

تفسير قرآني
مختصر: طريق
الطمأنينة -

سورة مريم إلى
سورة الفرقان



إن التحلي بالصفات الإيجابية
يؤدي إلى راحة البال

تفسير قرآني مختصر: طريق الطمانينة – سورة مريم إلى سورة الفرقان

كتب الشيخ بود

نُشر بواسطة دار شيخ بود للنشر، ٢٠٢٥

على الرغم من اتخاذ كل الاحتياطات اللازمة في إعداد هذا الكتاب، فإن الناشر لا يتحمل أي مسؤولية عن الأخطاء أو الإغفالات، أو عن الأضرار الناجمة عن استخدام المعلومات الواردة هنا

تفسير قرآني موجز :طريق الطمانينة - من سورة مريم إلى سورة الفرقان ٥٢

الطبعة الأولى .2 نوفمبر 2025

جميع الحقوق محفوظة © 2025 لكتب شيخ بود

تأليف :دار شيخ بود للنشر

جدول المحتويات

[جدول المحتويات](#)

[الشكر والتقدير](#)

[ملاحظات المترجم](#)

[مقدمة](#)

[سورة مريم، الآيات 1-98 من 98](#)

[مناقشة الآيات من 1 إلى 98 من سورة المائدة](#)

[سورة طه، الآيات 1-135 من 135](#)

[مناقشة الآيات من 1 إلى 135 من 135](#)

[سورة الأنبياء، الآيات 1-112 من 112](#)

[مناقشة الآيات من 1 إلى 112 من 112](#)

[سورة الحج، الآيات 1-78 من 78](#)

[مناقشة الآيات من 1 إلى 78 من 78](#)

[سورة 23 – سورة المؤمنون، الآيات 1 إلى 118 من 118](#)

[مناقشة الآيات من 1 إلى 118 من 118](#)

[سورة النور، الآيات من 1 إلى 64 من 64](#)

[مناقشة الآيات من 1 إلى 64 من سورة البقرة](#)

[سورة 25 – سورة الفرقان، الآيات 1 إلى 77 من 77](#)

[مناقشة الآيات من 1 إلى 77 من سورة المائدة](#)

[أكثر من 500 كتاب إلكتروني مجاني عن حسن الخلق](#)

وسائل شيخ بود الأخرى

الشكر والتقدير

الحمد لله رب العالمين، الذي منّ علينا بالإلهام والفرصة والقوة لإتمام هذا الكتاب .والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، الذي اختاره الله تعالى لخلاص البشرية

نود أن نعرب عن خالص تقديرنا لجميع أفراد عائلة شيخ بود، وخاصةً نجمنا الصغير يوسف، الذي ألهم دعمه ونصائحه المتواصلة تطوير كتب شيخ بود .وشكر خاص لأخينا حسن، الذي ساهم دعمه المتواصل في الارتقاء بشيخ بود إلى آفاق جديدة ومثيرة، بدت مستحيلة في مرحلة ما

نسأل الله تعالى أن يتم علينا نعمته ، وأن يتقبل من هذا الكتاب حرفاً حرفاً في محكم تنزيله، وأن يشهد لنا يوم القيامة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

ملاحظات المترجم

لقد حاولنا جاهدين تحقيق العدالة في هذا المجلد، ولكن إذا وجدنا أي قصور فإن المترجم هو المسؤول شخصيًا ووحيدًا عنه.

نتقبل احتمال وجود بعض الأخطاء والنقائص في سبيل إنجاز هذه المهمة الصعبة. ربما نكون قد تعثرنا دون قصد وارتكبنا أخطاءً، ونطلب من قرائنا العفو والمسامحة، ونقدر لفت انتباههم إلينا. نرحب باقتراحاتكم البناءة على ShaykhPod.Books@gmail.com.

مقدمة

هذا تفسيرٌ شاملٌ وسهل الفهم للسورة التاسعة عشرة من سورة مريم إلى الخامسة والعشرين من سورة الفرقان من القرآن الكريم. يتناول التفسيرُ تحديدًا الصفات الحميدة التي يجب على المسلمين التحلي بها والصفات السيئة التي يجب عليهم تجنبها لتحقيق الأخلاق الكريمة.

إن تبني الصفات الإيجابية يؤدي إلى راحة البال.

يرجى ملاحظة أن الآيات القرآنية قد تمت ترجمتها إلى اللغة العربية الحديثة لسهولة الفهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة مريم، الآيات 1-98 من 98

كَهَيْعَصَ ١

ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ٢

إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ٣

قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ
بِدُعَاؤِكَ رَبِّ شَقِيًّا ٤

وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ
لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ٥

يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ۖ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ٦

يَزَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ
سَمِيًّا ٧

قَالَ رَبِّ أُنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَأَنِّي آمُرَاتِي عَاقِرًا وَقَدْ
بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾

قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ
تَكُنْ شَيْئًا ﴿٩﴾

قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ
ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾

فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً
وَعَشِيًّا ﴿١١﴾

يَسْبِّحُ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾

وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾

وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾

وَسَلَّمَ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾

وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾

فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا
بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾

قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾

قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾

قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكْ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾

قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَى هَيْئٍ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ﴿٢١﴾

﴿ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴾ ﴿٢٢﴾

فَاجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا ﴿٢٣﴾

فَنَادَتْهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾

وَهَزِيَ إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾

فَكُلِّي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرِينِ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴿٢٦﴾

فَاتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾

يَتَأَخَتِ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾

فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾

قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾

وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا
دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾

وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾

وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾

ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾

مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَنَهُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ
فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾

وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۚ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾

فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ
عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾

أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٣٨﴾

وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾

إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾

وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٤١﴾

إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَأْتِبِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾

يَأْتِبِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾

يَأْتِبِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾

يَأْتِبِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾

قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾

قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾

وَأَعِزِّلْكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾

فَلَمَّا أَعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
وَكَلاَّ جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾

وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾

وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥١﴾

وَنَدَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾

وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾

وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥٤﴾

وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾

وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٥٦﴾

وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾

أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ

نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ

آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾

﴿٥٩﴾ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ

يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴿٥٩﴾

إِلَّا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ
شَيْئًا ﴿٦٠﴾

جَنَّتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ، بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا ﴿٦١﴾

لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًا ﴿٦٢﴾

تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًا ﴿٦٣﴾

وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ، مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ
ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًا ﴿٦٤﴾

رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ
لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾

وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَاتَ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾

أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴿٦٧﴾

فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ
جِثِيًا ﴿٦٨﴾

ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عُنِيًا ﴿٦٩﴾

ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾

وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾

ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾

وَإِذَا نُتِلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾

وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثْثَا وَرِيًّا ﴿٧٤﴾

قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرُّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا ﴿٧٥﴾

وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَتُ الصَّالِحَتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا ﴿٧٦﴾

أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِءَايَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾

أَطْلَعَ الْغَيْبَ أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾

كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾

وَنَرِثُهُ، مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾

وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾

كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾

أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤْزُهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾

فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾

يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾

وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرْدًا ﴿٨٦﴾

لَا يَمْلِكُونَ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾

وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾

لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ﴿٨٩﴾

تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ
هَذَا ﴿٩٠﴾

أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾

وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٣﴾

إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾

لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾

وَكُلُّهُمْ عِندَ يَوْمِ الْقِيَمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ
وُدًّا ﴿٩٦﴾

فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ
قَوْمًا لُدًّا ﴿٩٧﴾

وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْنٍ هَلْ يُحِشُّ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ
لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾

مناقشة الآيات من ١ إلى ٩٨ من سورة المائدة

:التفسير الدقيق للآية الأولى غير معروف .سورة مريم، الآية ١٩

"كاف، هاء، يا، عين، ص"

ومع ذلك، قد يشير هذا إلى أن القرآن الكريم مؤلف من حروف وكلمات عربية مألوفة لدى العرب، جمهوره الأول. لذا، تُشير هذه الآية إلى أنه لم يكن لديهم أي مبرر للطعن في صحته، إذ أدركوا بوضوح معجزاته اللغوية، وهي تعبيرات لم يتمكنوا من تقليدها في المعنى أو الأناقة أو التطبيق العملي، على الرغم من إتقانهم للغة العربية وشهرتهم كأفصح المتحدثين .سورة البقرة، الآية ٢٣

"وإن كنتم في شك مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا أنصاركم من دون الله إن كنتم صادقين"

حتى لو صيغت جملة بليغة وإيقاعية باللغة العربية، فإنها ستظل بعيدة كل البعد عن القرآن الكريم .فخلافًا للكلام البشري، يسبر القرآن الكريم جوهر الطبيعة البشرية ونفسياتها وفطرتها ببصيرة لا مثيل لها .ويقدم ،هدايته بوضوح بالغ، حتى لمن لم يتلقَّ تعليمًا رسميًا، ليتمكن من فهمها وتطبيقها في حياته .علاوة على ذلك ينقل القرآن الكريم حقائق عميقة ومجردة بعبارات بسيطة وسهلة الفهم والتطبيق للجميع .يتناول القرآن الكريم حقيقة الطبيعة البشرية، ويقدم هداية خالدة تناسب كل فرد ومجتمع وعصر .ولا يمكن لأي آية، ولن تستطيع أبدًا، أن تُضاهيه في هذا الصدد، مما يؤكد مصدره الإلهي .

تعابير القرآن الكريم لا مثيل لها، ومعانيه معبرة بدقة متناهية. تُظهر آياته وكلماته بلاغةً تفوق أي عمل أدبي آخر. بخلاف الكتب المقدسة والتعاليم الأخرى من مختلف الأديان وأنماط الحياة، يخلو القرآن الكريم من التناقضات. فهو يُقدّم سردًا شاملاً لتاريخ الأمم السابقة، مع أن النبي محمدًا صلى الله عليه وسلم لم يدرس التاريخ دراسةً منهجية. يأمر القرآن الكريم بكل ما هو نافع وينهي عن كل ما هو ضار، مُعالجًا العواقب الفردية والاجتماعية على حد سواء. وبذلك، يُرسي العدل والأمن والسلام في الأسر والمجتمعات. ويتجنب المبالغة والكذب والخداع، على عكس الشعر والقصص والخرافات. كل آية فيها فائدة، ويمكن تطبيقها عمليًا في الحياة. حتى عند سرد القصة نفسها، يُسلط القرآن الكريم الضوء على دروس جديدة، مما يضمن عدم رتابة تكرارها. يُقدّم وعودًا وتحذيرات، مدعومة دائمًا بأدلة دامغة وواضحة. حتى عند تناوله مفاهيم قد تبدو مجردة، كالصبر مثلاً، يُقدم القرآن الكريم أساليب بسيطة وعملية لتطبيقها في الحياة اليومية. يُذكر الناس بغايتهم الحقيقية: طاعة الله تعالى بإخلاص، مستخدمين نعمه فيما يرضيه. هذه الطاعة تضمن السلام والنجاح في الدنيا والآخرة، من خلال توازن العقل والجسد، والتنظيم السليم لكل شيء وكل شخص في حياة الإنسان. يُوضح القرآن الكريم الصراط المستقيم، ويجذب كل من يسعى إلى السلام الحقيقي والنجاح في الدنيا والآخرة. يُخاطب جوهر الطبيعة البشرية، جاعلاً هدايته خالدة ومناسبة لكل شخص ومكان وعصر. عند فهمها وتطبيقها بشكل صحيح، تُصبح حلاً للتحديات العاطفية والمالية والجسدية، مُقدمةً إجابات لكل صعوبة تواجه الأفراد والمجتمعات. يشهد التاريخ أن المجتمعات التي عاشت بصدق وفقًا لتعاليم القرآن الكريم جنت بركات حكمته الخالدة. واللافت للنظر أنه لم يُغير حرف واحد من القرآن الكريم عبر القرون، فقد وعد الله تعالى بحفظه. لا يوجد نص آخر في تاريخ البشرية يتمتع بهذا التميز الفريد والاستثنائي. سورة الحجر، الآية 9

"إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ"

لقد عالج الله تعالى التحديات الرئيسية التي تواجه المجتمعات، وقدم حلولاً فعالة لكل منها. وبحل هذه القضايا الجوهرية، يُمنع أو يُخفف عدد لا يُحصى من المشاكل الثانوية. وهذا يُبين كيف يُقدّم القرآن الكريم توجيهًا: سورة النحل، الآية 89. شاملاً في كل أمرٍ أساسيٍّ لا غنى عنه لنجاح الأفراد والمجتمعات في الدنيا والآخرة

"...ونزلنا إليك الكتاب تبياناً لكل شيء..."

هذه أعظم وأبقى معجزة أنعم الله بها على خاتم أنبيائه محمد صلى الله عليه وسلم .إلا أن نفعها مقصور على من سعى بصدقٍ وصدقٍ إلى الحق .أما من غلبت عليه أهواؤه، فانتقى منه بعضًا، فسيخسر الدنيا والآخرة .(سورة الإسراء، الآية 82)

وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً

:سورة مريم، الآية 1

"كاف، هاء، يا، عين، ص"

تبدأ هذه السورة من القرآن الكريم، كغيرها من السور، بحروفٍ لا تزال معانيها مجهولة .وهذا تذكيرٌ بأهمية التواضع في قراءة القرآن الكريم، مُدركين حدود الفهم البشري .هذا التواضع يُتيح للمرء فهمًا أعمق لتوجيهاته .على العكس، فإن من يُقبل عليه بغرور - مُعتقدًا أن معرفته تُعلي شأنه - يكون أكثر عرضةً للتساؤل والرفض عندما يواجه حكمةً لا يدركها تمامًا .وكما يستفيد الطالب المُخلص من تواضعه لمعلمه، فإن من يتواضع أمام القرآن الكريم وحده هو من يستفيد حقًا من تعاليمه .هذا الموقف يُؤدي إلى راحة البال في كلا العالمين، من خلال تنمية حالة ذهنية وجسدية متوازنة، ووضع كل شيء وكل شخص في مكانه الصحيح في حياة المرء.

:سورة مريم، الآية 1

"كاف، هاء، يا، عين، ص"

الحروف هي اللبّات الأساسية للمعرفة. ولذلك، قد ترمز هذه الآية أيضاً إلى أهمية المعرفة. فمن واجب كل مسلم طلب العلم النافع في الدنيا والآخرة وتطبيقه، كما أكد عليه الحديث الوارد في سنن ابن ماجه، رقم 224 فالجهل يؤدي حتماً إلى المعصية والضلال، فبدون العلم لا يمكن تجنب المعصية، ولا بلوغ الهداية. ومع ذلك، فإن العلم وحده لا يكفي إلا بالعمل به. فكما أن الخريطة لا تنفع إلا إذا استخدمت للوصول إلى الوجهة (سورة الجمعة، الآية 5، سورة رقم 62). فإن العلم الذي لا يُطبق لا يُفلح

"...ثم لم يأخذها على محمل الجد)" ولم يعمل بالعلم (كمثل الحمار يحمل الأسفار..."

أعظم علمٍ أُعطي للبشرية هو القرآن الكريم. وللانتفاع به حقاً، لا بدّ من العمل به وفقاً لسنة النبي الكريم محمد، صلى الله عليه وسلم. ويشمل ذلك تلاوة القرآن الكريم بدقةٍ واتّساق، والسعي لفهم معانيه، والأهمّ من ذلك تطبيق تعاليمه في الحياة اليومية. فمجرد تلاوته بـلغةٍ لا يفهمها المرء لا يكفي، فالقرآن الكريم ليس نصّاً للتلاوة فحسب، بل هو مصدرٌ إلهيٌّ للهداية. وكما أنّ الخريطة لا تقود المسافر إلى وجهته إلاّ عند استخدامها، فإنّ القرآن الكريم لا يهدي إلاّ من يطبّق مبادئه بفعالية. كما يجب عدم إساءة استخدامه لأغراضٍ مادية - كتكرار تلاوة آياتٍ معيّنة فقط للحصول على ممتلكاتٍ دنيوية كالمال أو الأولاد أو الزوج - لأنّ القرآن الكريم لم يُنزل لإشباع الرغبات الدنيوية. بل يجب التماس الحاجات الدنيوية بالطرق المشروعة المُتاحة لهم. بل إن من يعيش بصدق وفقاً لتعاليم القرآن الكريم سيستغل نعمه على الوجه الأمثل، محققاً التوازن النفسي والجسدي ومُحسنًا إدارة جميع جوانب حياته استعدادًا للحساب يوم القيامة. وهؤلاء يُرزقون بالسلام والتوفيق في الدنيا والآخرة.

في أكثر من موضع في القرآن الكريم، قبل الحديث عن الولادة المعجزة للنبي عيسى عليه السلام من دون أب بيولوجي، يتحدث الله تعالى عن الولادة المعجزة للنبي يحيى عليه السلام من أبوين طاعنين في السن، عاقرين. ويوضح هذا الأسلوب أنه كما لم تكن الولادة المعجزة للنبي يحيى عليه السلام دليلاً على ألوهيته، كذلك لم تكن الولادة المعجزة للنبي عيسى عليه السلام دليلاً على ألوهيته. ويبدأ الله تعالى الحديث عن النبي يحيى عليه السلام بوصفه رحمةً بوالديه، ولا سيما والده النبي زكريا عليه السلام، الذي تمنى نبياً عليهما: السلام ليكمل رسالته. سورة مريم، الآية 2

«ذكر رحمة ربك عبده زكريا»

كل طفل رحمة من الله تعالى للناس، لكن كونهم مصدر رحمة يعتمد على والديهم وأسرهم. فيما أن النبي الكريم زكريا عليه السلام ربا ابنه تربية صالحة، فقد أصبح مصدر رحمة له وللمجتمع أجمع. وأفضل سبيل فالقيادة بالقدوة هي اكتساب تعاليم الإسلام وتجسيدها بطريقة تتجلى حقيقتها. لتحقيق ذلك هو القيادة بالقدوة من خلال السلوك والقول. ومن خلال هذا التجسيد فقط، يمكن للأفراد نقل رسالة القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم بفعالية إلى الأجيال القادمة، مما يمكنهم من فهم حقيقة الإسلام من خلال الأدلة ومن المؤسف أن كثيراً من العقلية لا مجرد التقليد. وهذا النهج يعزز الالتزام بالمبادئ الإسلامية مدى الحياة الآباء يُظهرون حماساً كبيراً لنقل المعرفة الدنيوية التي تُسهّل التقدم المادي، لكنهم غالباً ما يهملون التنقيف الديني لأبنائهم. غالباً ما تُفوّض هذه المسؤولية إلى مؤسسات خارجية، مع أن غرس مبادئ الإسلام الأساسية في نفوسهم واجبٌ على الوالدين. ومع أن تشجيع طلب العلم الدنيوي أمرٌ محمود، إلا أنه يجب ألا يكون على حساب التعليم الديني. فمجرد إلحاق الأطفال بالمساجد لتعلم تلاوة القرآن الكريم دون فهم لا يكفي. يجب توجيه المراهقين إلى اعتناق الإسلام بالدليل واليقين، وإلا فإنهم يُخاطرون باعتبار الإسلام إرثاً ثقافياً بلا قيمة باقية، وقد يتخلون عنه في نهاية المطاف. عندما يُقبل الإسلام على أساس أدلة واضحة، يُعترف به كمنهج حياة شامل، يُنظّم كل موقف ويُرشد إلى استخدام كل نعمة إلهية. ولا يتأتى هذا الاعتراف إلا عندما يُزوّد كبار السن في الأسرة، وخاصةً الوالدين، أطفالهم بأدلة واضحة على حقيقة الإسلام. وهذا بدوره، لا يتأتى إلا عندما ينخرط هؤلاء الكبار أنفسهم في دراسة وممارسة التعاليم الإسلامية، مُجسّدين بذلك الإيمان الذي يسعون إلى نقله. وكما كان النبي زكريا عليه السلام قدوةً حسنة، أصبح ابنه النبي يحيى عليه السلام رحمةً له وللآخرين. سورة مريم، الآية ٢

«ذكر رحمة ربك عبده زكريا»

من الضروري الإقرار بأن هذه الآية تُبرز أسمى مقام يمكن أن يبلغه الإنسان :مقام العبد المخلص لله تعالى ولو وُجدت مقاماتُ أسمى من العبودية، لمنحها الله تعالى للنبي الكريم زكريا عليه السلام في خطابه .ويؤكد هذا الفهم أحاديثٌ عديدة، منها الرواية الواردة في صحيح مسلم، برقم 851، حيث عرّف النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم نفسه أولاً بأنه عبد الله تعالى، قبل أن يُعلن رسالته .يُعد هذا الإعلان بمثابة توجيه عميق للناس أجمعين :أن النجاح الحقيقي والدرجات العليا في الدنيا والآخرة لا يُنال إلا بالعبودية الحقيقية لله تعالى .ولا يمكن تحقيق هذه الحالة إلا بمحاكاة أكمل عباد الله تعالى، النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم :سورة آل عمران، الآية 31 .ولا يوجد طريقٌ بديلٌ لبلوغ العبودية الحقيقية

"قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم"

يتضح من سيرة النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم أن من يقبل عبودية الله تعالى بحق، لا يسعى وراء رضا نفسه في الدنيا، ولا وراء رضا الآخرين، ولا وراء إغراءات النزعات الدنيوية الزائلة كوسائل التواصل الاجتماعي والموضة والثقافة الشعبية .بل يسعى دائماً إلى رضا مولاه الله تعالى .ويتجلى هذا الإخلاص في حسن استخدام النعم الممنوحة له، وفقاً لهدى التعاليم الإسلامية، لا وفقاً لأهواءه ورغباته .علاوة على ذلك لا يسعى العبد لله تعالى إلى رضا الآخرين، بل يتمنى أن يسعى الناس إلى رضا الله تعالى .وأخيراً، يُقر العبد الحق بأن كل ما يملكه - بما في ذلك حياته - قد خلقه الله تعالى ومنحه إياه .وبالتالي فإنهم يدركون وجوب استخدام هذه النعم على الوجه الذي نص عليه الإسلام، لأن هذه النعم ليست ملكاً لهم، بل هي أمانة من الله تعالى.

يدل الله تعالى على صدق النبي الكريم زكريا عليه السلام بذكر دعائه الخاص والخفي له .سورة مريم، الآية

"إذ نادى ربه خفيا "

إن القيام بالأعمال الصالحة في الخفاء علامة إيجابية على إخلاص المرء لإرضاء الله تعالى، حيث لا أحد يعلم بأفعاله. ومن المحزن كيف يفشل الكثير من المسلمين في فهم هذه الحقيقة وبدلاً من ذلك يتبنون عدم الإخلاص من خلال نشر أدعيتهم على منصات التواصل الاجتماعي، حيث يتمنون أن يشهد الآخرون على عملهم الجيد. يجب على المرء أن يتذكر أن الفرد الذي يقوم بالأعمال الصالحة لأي سبب آخر غير إرضاء الله تعالى لن ينال مكافأة منه في هذه الدنيا ولا في الآخرة. وقد تم التحذير من ذلك في حديث موجود في جامع الترمذي، رقم 3154. ومع ذلك، فإن الشخص الثابت في إخلاصه ويرغب في تحفيز الآخرين على التصرف بالمثل، وبالتالي ينال نفس مكافأة أولئك الذين يتبعون مثاله الجيد، وهو ما أكدته حديث موجود في جامع الترمذي، رقم 2674، يمكنه الاستفادة بشكل صحيح وعلمي من النعم التي مُنحت له، مثل أمواله.

بدأ النبي زكريا عليه السلام دعائه الخاص بالتواضع، مشيراً إلى ضعفه، مُقراً بأن كل ما ناله وعاشه من خير كان بفضل الله تعالى. سورة مريم، الآية 4:

"قال رب إني وهن العظم مني واشتد رأسي ولم أكن بدعائك ربي شقياً"

من المهم ملاحظة أن هذا لا يعني بالضرورة أن الله تعالى قد استجاب لكل طلب ورغبة من النبي الكريم زكريا عليه السلام، بل يعني أنه كان دائماً راضياً عما قضى الله تعالى له، سواءً توافقت هذه القرارات مع دعواته ورغباته أم لا. لذلك، من المهم اتخاذ الموقف الصحيح عند الدعاء إلى الله تعالى. يجوز للمرء أن يدعو بالأمور الدنيوية المشروعة، ولكن يجب أن يرضى بالنتيجة: سواء استجاب الله تعالى دعائه بالطريقة التي أرادها أم لا. يتحقق هذا الموقف على أفضل وجه عندما يُقدّر المرء ويقبل قلة بصيرته ومعرفته، ويُقدّر علم

الله تعالى وحكمته اللامحدودة. سيضمن هذا الإدراك قبوله أن ما يختاره الله تعالى هو الأفضل له، حتى لو كانت حكمته خفية. سورة البقرة، الآية 216

"وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ..."

بشكل عام، من المؤسف أن نلاحظ أن بعض المسلمين يمارسون شعائر دينية - وخاصة رياضات روحية يوصي بها بعض الأفراد، ولكنها غير منصوص عليها في القرآن الكريم ولا في حديث النبي محمد صلى الله عليه وسلم - بهدف رئيسي هو نيل منافع دنيوية، كتأمين زوج أو ولد أو تأشيرة. مع أن طلب الرزق الدنيوي ليس محرماً في الإسلام، إلا أن توجه القصد من أداء العبادات نحو الكسب المادي فقط، أو غالباً، بدلاً من السعي وراء النعم الدينية، كطمأنينة القلب في الدنيا والآخرة، يؤدي إلى خسارة في الدنيا والآخرة. وهذا ينطبق بشكل خاص على الآخرة، لأن هؤلاء الأفراد لم يجعلوا الآخرة أولوية في نيتهم. سورة البقرة، الآية 200

"ومن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق"

علاوة على ذلك، وكما تشير هذه الآية، فإن الإنسان عندما يطلب أموراً دنيوية، فإنه يفعل ذلك دون علم يقيني أو بصيرة تمكنه من معرفة ما إذا كانت هذه الأمور نافعة له حقاً. وبسبب هذا القيد، قد يكون ما يطلبه في الواقع ضاراً به في الدنيا، وسبباً لشقاء في الآخرة. سورة البقرة، الآية ٢١٦

"وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ..."

،ومن الضروري للمسلمين أن يتواضعوا أمام الله تعالى، وأن يعترفوا بجهلهم ونظرتهم المحدودة للمستقبل بدلاً من أن يتصرفوا وكأنهم يمتلكون المعرفة الكاملة بما هو أفضل لهم.

:سورة البقرة، الآية 200

"ومن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق"

،علاوة على ذلك، فإن النظرة الدنيوية للإسلام مذمومة، إذ ينبغي السعي في أداء العبادات لوجه الله تعالى ونيل طمأنينة القلب في الدنيا والآخرة. هكذا كان خلق النبي محمد صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام رضي الله عنهم. ينبغي للمؤمن أن يرضى بما يقضيه الله تعالى له في الدنيا، متيقناً أنه خير له، وإن لم تظهر حكمته فوراً. وعليه أن يحرص على استخدام هذه النعم بما يرضيه، كما هو منصوص عليه في القرآن الكريم وسنة النبي صلى الله عليه وسلم. هذا وحده يؤدي إلى راحة البال الحقيقية والنجاح الحقيقي في الدنيا والآخرة، من خلال تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، ومن خلال حسن توزيع كل شيء وكل شخص في حياته، وهو: سورة البقرة، الآية 201 ، بذلك أفضل بكثير من السعي وراء مكاسب دنيوية محددة مع جهل عاقبتها. ج 2

"ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار"

من اللافت للنظر أن المسلم يقبل دواءً يصفه له الطبيب دون طلبه، واثقاً بأنه قد قدّم له ما فيه منفعة لصحته النفسية والجسدية، ولكنه لا يثق بالله تعالى ثقةً مماثلة. بل قد يطلب منه نتائج محددة، مفترضاً أنه يعلم ما هو الأنسب لنفسه، بدلاً من الاستسلام لحكمته وقضائه التام. لذا، يجب على المسلم أن يُقرّ بجهله وضيق

بصيرته، وأن يدعو بالخير العام في الدنيا والآخرة، تاركًا التفاصيل لله تعالى، الذي وحده يعلم ما هو الأصلح "لكل فرد. ولهذا السبب، جاء "الخير" المذكور في الآية ٢٠١ بعبارات عامة لا بطلبات محددة. يشمل "الخير" المشار إليه في هذه الآية كل ما يُستخدم على نحو يرضي الله تعالى، كما هو منصوص عليه في التعاليم الإسلامية، لأن هذا الاستخدام وحده يجلب النفع في الدنيا والآخرة. على العكس من ذلك، فإن أي شيء يُساء استخدامه في عبث أو مآثم لا يكون خيرًا للإنسان أبدًا؛ بل يؤدي به إلى حالة نفسية وجسدية غير متوازنة ويُسيئ تقدير كل شيء وكل شخص في حياته، ويفشل في الاستعداد الكافي للحساب يوم القيامة. وهذا يؤدي حتى لو تمتع ببعض الرفاهية الدنيوية (الفصل 20 ، إلى التوتر والمتاعب والصعوبات في الدنيا والآخرة (من سورة طه، الآيات 124-126

ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد "كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى

،يتضح من القرآن الكريم أن دعاء النبي زكريا عليه السلام لم يكن لطفل عادي، بل كان يدعو لنبيٍّ كريم عليه السلام، يُكمل رسالته ويحافظ على الهداية الإلهية. فلم يكن طلبه دنيويًا، بل رزقًا مقدسًا من الله تعالى. سورة مريم، الآيات 4-6:

قال رب إني وهن العظم مني وابيض رأسي ولم أكن بدعائك رب شقيًا وإني خفت الخلفاء من بعدي وكانت "امرأتي عاقرا فهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضاك

،الميراث المذكور في هذا الدعاء يتعلق بالرسالة الدينية، لا بالدنيا، فالأنبياء عليهم السلام لا يورثون المال. بل يورثون العلم، كما ثبت في حديث سنن ابن ماجه رقم 223

هذا الدعاء يُعَلِّمُ الناس أيضًا تصحيح نواياهم. ينبغي أن تكون رغباتهم مرتبطة بالآخرة لا بمكاسب دنيوية فحسب. على سبيل المثال، ينبغي للزوجين أن يتمنّوا أن يكون الولد سببًا في زيادة عباد الله الصالحين في الأرض، لا لأسباب دنيوية بحتة. ولا يتحقق ذلك إلا بتربية الأبناء وفقًا لتعاليم الإسلام، التي تُلزم الوالدين بتعلّم العلم الشرعي والعمل به ليكونوا قدوة حسنة لأبنائهم. علاوة على ذلك، فإن من يطلب النعم الدينية لا يفعل ذلك إلا لمرضاة الله تعالى. فإن شاء الله تعالى أن يحرّمهم تلك النعمة، كالولد، فعليهم الصبر، فهذا مما يُرضي الله تعالى. سورة مريم، الآية 6

"الذي يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله ربي مرضيًا "

بالإضافة إلى ذلك، مع الاعتقاد السائد بأن النبي زكريا عليه السلام دعا بولدٍ يُكمل سلسلة النبوة، فمن الممكن أيضًا، عند دراسة هذه الحادثة، أنه ربما لم يكن يطلب ولدًا، بل كان يطلب ولدًا يرث النبوة منه، حتى لو كان من شخص آخر في الجماعة. ويدعم ذلك اعترافه بأنه وزوجته كانا كبيرين في السنّ ولم يُرزقا بطفل، وأن الأخيرة كانت عاقراً أيضًا. سورة مريم، الآيتان 4-5

قال رب إني وهن العظم مني وابيض رأسي ولم أكن بدعائك رب شقيًا وإني خفت الخلفاء من بعدي وكانت "...امراتي عاقرا

ويدعم ذلك ردة فعله المفاجئة عندما أُبلغ أنه وزوجته العاقر سيُرزقان بمولود. لو دعا بذلك، لما دُعي، فهو أعلم وأفهم من معظم الناس قدرة الله تعالى (اللامتناهية). سورة مريم، الآيتان 7-8)

إننا نبشرك بغيام اسمه يحيى، لم نجعل لأحد من قبل اسمًا. قال: يا رب، أنى يكون لي غلام وقد ، زكريا عاقرت، وقد بلغت من الكبر غاية؟

.وهذا يؤكد ما سبق، وهو أنه يجب تجنب اتخاذ هذا الحدث ذريعة للدعاء في أمور الدنيا، كالطفل مثلاً

:سورة مريم، الآية 5

"وإني أخاف الخلفاء من بعدي "

وبشكل عام، يُشير هذا أيضًا إلى أهمية رعاية الفرد لمجتمعه .ينبغي على المرء تجنب السلوك الذي يعتقد فيه أنه ما دام يُطيع الله تعالى، مُحسنًا استخدام نعمه كما وردت في التعاليم الإسلامية، فإنه لا يُبالي بهداية المجتمع ككل .فكما أن التفاحة الطيبة تتأثر حتمًا بوضعها بين التفاحات الفاسدة، كذلك من يُهمل واجب الأمر بالمعروف ،يتأثر في النهاية بسلوك الآخرين الضار، سواءً كان هذا التأثير خفيًا أم ظاهرًا .حتى عندما يغفل المجتمع يجب على المرء ألا يتخلى أبدًا عن مسؤولية نصح من يعولهم، وخاصةً عائلته، فليس فقط أن سوء سلوك أقرب الناس إليه له تأثير أكبر، بل إن هذا الواجب ثابت على جميع المسلمين، كما أكد حديث في سنن أبي داود، رقم 2928 .حتى لو أهملت مشورته، يجب أداء الواجب بالنصح المستمر اللطيف، القائم على الأدلة الصحيحة والمعرفة الصحيحة .على العكس من ذلك، فإن محاولة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بجهل أو سوء أخلاق لن تؤدي إلا إلى نفور الناس عن الحق والهدى، مما يضر بالمجتمع بأكمله .فقط عندما يؤدي المرء هذا الواجب على الوجه الصحيح - بالجمع بين العلم والحكمة والآداب - يُعصم من مفسدات المجتمع .سورة الأعراف، الآية 164 .ويُمنح العفو يوم القيامة

"وإذ قالت أمة منهم لِمَ تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً قالوا مبرأة إلى ربكم ولعلهم يتقون"

ومع ذلك، إذا كان الشخص يهتم فقط بشؤونه الخاصة ويتجاهل سلوك الآخرين، فمن المخيف أن التأثير الضار لهؤلاء الأفراد قد يساهم مع مرور الوقت في تضليله.

ثم يُشير الله تعالى إلى قدرته المطلقة على منح ولادة معجزية لزوجين عاقرين، مُبيناً بذلك أن النبي يحيى عليه السلام لا يمكن اعتباره إلهًا، كما لا يمكن اعتبار النبي عيسى عليه السلام إلهًا، إذ كانت قدرة الله تعالى المطلقة وراء ولادته المعجزة من دون أب. سورة مريم، الآيتان 8-9:

قال رب أنى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عاية الكبر قال كذلك قال ربك هو "على هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا

فكما أن الله تعالى خلق كل إنسان من العدم، فإن خلقه ولداً من زوجين عاقرين، أو خلقه ولداً دون أب، لا يدل على الألوهية، بل يدل على قدرة الله تعالى التي لا حدود لها.

:سورة مريم 19 الآيات 10-11

"...قال [زكريا] رب اجعل لى آية. قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث لىال صحيحًا. فخرج إلى قومه من المحراب"

من المهم ملاحظة أن هذا الدعاء مقرونٌ بطاعةٍ، ألا وهي الدعاء . كذلك، فإن كل دعاءٍ ورد في القرآن الكريم وفي أحاديث النبي محمد صلى الله عليه وسلم، مرتبطٌ بالطاعات . علاوةً على ذلك، فإن كل دعاءٍ في القرآن الكريم نطق به أناسٌ أخلصوا لحياةٍ صالحةٍ، وسعوا طوال حياتهم لاستغلال النعم التي وهبت لهم فيما يُرضي الله تعالى . وهذا يُثبت أن الدعاء لا يكون فعالاً إلا إذا اقترن بالطاعات . وللأسف، تبني كثيرٌ من الناس موقفاً كسولاً، فتفوقوا في الدعاء، مُهمّلين طاعة الله تعالى العملية . فالدعاء لا يتطلب سوى القليل من الطاقة والوقت والموارد، كالمال، مما يُسهّل على البعض الاعتماد على الدعاء وحده . ومع ذلك، فإن تعاليم الإسلام وحياة النبي محمد صلى الله عليه وسلم تُبيّن بوضوح أن الدعاء لا بد أن يُدعم بالطاعات ليُحقق أثره الكامل . كل خطوة في حياة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وحياة أصحابه رضي الله عنهم، تُظهر كيف أطاعوا الله تعالى طاعةً فعليةً، مستخدمين النعم التي أنعم الله عليهم بها، كما وردت في التعاليم الإسلامية . لم يعتمدوا قط ، على الدعاء طلباً للفرج أو النجاح، متجاهلين العمل بما يرضي الله تعالى . ويشير حديث في جامع الترمذي رقمه 3499، إلى أن الوقتين اللذين يُرجّح فيهما إجابة الدعاء من الله تعالى، كلاهما مرتبطان بالطاعات . الأول بعد الصلوات المفروضة مباشرةً، والثاني في آخر الليل، عند صلاة التطوع . علاوة على ذلك، يؤكد القرآن سورة فاطر، الآية 10 . الكريم نفسه على وجوب تأييد الدعاء بالطاعات ليكون كاملاً وفعالاً:

"...إليه يصعد الكلام الطيب، والعمل الصالح يرفعه..."

إن عدم فهم وجوب تأييد الدعاء بطاعة الله تعالى، سببٌ رئيسيٌ لعدم تحسن أحوال الناس . فالتغيير الإيجابي يتطلب مواءمة النوايا والأقوال والأفعال مع هدي الله . سورة الرعد، الآية ١١

"إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم"

بالإضافة إلى ذلك، يجب على المرء أن يستغل الموارد المتاحة له، كطاقاته وقدراته، بفعالية لإحداث تغييرات إيجابية في حياته، بدلاً من الاعتماد على الدعاء فقط . فعلى سبيل المثال، يجب على من يواجه مشاكل زوجية أن يتخذ خطوات عملية لمعالجة المشاكل وحلها، مع الدعاء لله تعالى طلباً للتوفيق والسداد . فلا يمكن أن

يتكاسل عن بذل الجهود العملية، ويكتفي بالدعاء وحده لحل مشاكله. وكما سبق شرحه، فإن هذا الموقف السلبي يتعارض مع تعاليم الإسلام.

:سورة مريم 19 الآيات 10-11

قال [زكريا] رب اجعل لي آية. قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليالٍ صحيحًا. فخرج إلى قومه من المحراب فأومأ إليهم أن سبحوا بكرةً وعشيًا.

،توضح هذه الآيات أنه كلما أنعم على الإنسان بنعمة، كولادة طفل، وجب عليه شكر الله تعالى عليها. وللأسف، كثيرون يدعون لأمر الدنيا، ولكنهم عندما يُستجاب لهم، غالبًا ما يغفلون عن الله تعالى، فيُهملون شكره. سورة يونس، الآية ١٢:

وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدًا أو قائمًا فلما كشفنا عنه ضره لم يدعنا بضر مسه كذلك زين" "للظالمين ما كانوا يفعلون

يجب على المرء أن يتجنب هذا الموقف، وأن يزرع بدلاً من ذلك الشكر في أوقات الرخاء والصبر في أوقات الشدة، فينال بذلك البركات والأجر وطمأنينة القلب في كل ظرف. الشكر في النية هو العمل لمرضاة الله تعالى فقط. الشكر في القول هو النطق بالخير فقط أو الصمت. يتجلى الشكر في العمل بتوظيف النعم التي وهبت إليه بما يرضي الله تعالى، وفقًا لهدى القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. وهذا بدوره سيؤدي إلى زيادة البركات والسكينة الداخلية والنجاح في الدنيا والآخرة، من خلال تحقيق حالة ذهنية وجسدية متوازنة ووضع كل شيء وكل شخص في مكانه الصحيح في حياة المرء. سورة إبراهيم، الآية 7

لئن شكرتم لأزيدنكم

:سورة مريم، الآية 11

"فخرج إلى قومه من المحراب فأشار إليهم أن يسبحوا بكرة وعشيا"

بما أن كل شيء في الكون يجري بمشيئة الله تعالى، بما في ذلك المصائب التي تواجه الأفراد، فمن الواجب عليهم تعظيم الله تعالى بتجنب نسب المصائب إليه، بل عليهم أن يدركوا أن كل ما يقضيه لهم هو في النهاية لمصلحتهم، وإن لم يكن ذلك واضحاً لهم). سورة البقرة، الآية ٢١٦)

"وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ..."

إن الامتناع عن نسب أي سلبية إلى الله تعالى، وهو أساس لتعظيمه، يُلهم الناس لتكوين عقلية إيجابية. ومن الضروري أن يُعزز الناس هذا المنظور المتفائل، إذ يُساعدهم على تجاوز العقبات مع الالتزام بطاعة الله تعالى. وهذا الواجب يستلزم حسن استغلال النعم التي أنعم بها، كما وردت في التعاليم الإسلامية، ويؤدي إلى السكينة في الدنيا والآخرة من خلال تحقيق حالة نفسية وجسدية متناغمة، ووضع كل شيء وكل شخص في حياتهم في موضعه الصحيح. عند مواجهة المصاعب، ينبغي على الأفراد تذكير أنفسهم بأن ظروفهم قد تكون أسوأ بكثير. إذا كانت المصاعب تتعلق بأمور دنيوية، فعليهم أن يُعربوا عن امتنانهم لأنها لا تُضعف إيمانهم

وبدلاً من التركيز على الانزعاج اللحظي المرتبط بالتحدي، ينبغي أن يُركزوا على المكافأة الكبرى التي تنتظر من يصبر في سبيل الله تعالى. وعندما يفقد المرء نعمةً ما، فعليه أن يفكر في كثرة النعم التي لا يزال يتمتع بها. في كل محنة، ينبغي تذكر الآية القرآنية الكريمة التي تُبرز الحكمة الكامنة في التحديات والامتحانات التي سورة. قد لا تظهر للعيان. وبالتالي، قد تكون الظروف الحالية التي يواجهونها أنفع مما سعوا إليه في البداية: البقرة، الآية ٢١٦

"وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ..."

في الختام، من الضروري التأمل في هذه الحقائق وغيرها لتنمية عقلية إيجابية، وهو أمرٌ أساسيٌّ لتعظيم الله تعالى كما ينبغي، بتجنب نسب الأمور السلبية إليه. تذكروا أن الكأس ليست نصف فارغة، بل هي نصف ممتلئة حقاً. سورة مريم، الآية ١١

"وأوحى إليهم أن يسبحوا بالبكور والأصيل ..."

وكما ربي النبي زكريا النبي يحيى عليهما السلام على طاعة الله تعالى، بالفدوة الحسنة، فقد تمسك النبي يحيى عليه السلام بشريعة التوراة، وأعطاه الله الحكمة. سورة مريم، الآية ١٢

"قال يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبياً"

يشير الكتاب إلى الشريعة التي تتضمن قواعد السلوك الإلهي التي يجب على الناس اتباعها، لضمان حسن استخدامهم للنعم التي وهبها لهم .بالالتزام بهذه الشريعة، ينالون راحة البال، ويتمتعون بتوازن عقلي وجسدي، ويحسنون توزيع كل شيء وكل شخص في حياتهم، ويؤدون الحقوق الواجبة لله تعالى وللإنسان وهكذا، يُشكل الشريعة أساساً لنشر السلام والعدل في المجتمع .والحكمة أساسية أيضاً، إذ تُمكن الأفراد من تطبيق معارفهم - كالشريعة مثلاً - بما يعود بالنفع على أنفسهم وعلى الآخرين في الدنيا والآخرة .لذا، فإن الشريعة والحكمة لا غنى عنهما لبناء مجتمع عادل ومتناغم .فالشريعة، إذا خلت من الحكمة، تكون عرضة لسوء التفسير، إذ قد يستغل الناس ثغراتها لظلم الآخرين .وعلى العكس، فإن الحكمة بدون الشريعة تدفع الأفراد إلى تبني قواعد سلوك مبنية على تعريفاتهم الذاتية لما هو حق وعدل .جميع قواعد السلوك البشري ناقصة بطبيعتها، إذ تتشكل من محدودية المعرفة، وقلة الخبرة، وقلة البصيرة، ووجود التحيز - سواء أكان مقصوداً أم لا . وهكذا، فإن الحكمة دون القانون تحرم الإنسان من راحة البال الحقيقية، وتعيق انتشار السلام والعدالة في المجتمع، كما أنها ستؤدي حتماً إلى إهمال حقوق الآخرين .وقد حدث هذا بين بني إسرائيل، إذ موقفاً متطرفاً، حيث ركزوا على المسائل القانونية، متجاهلين حكمة التوراة، بل اتخذ كثير من علمائهم، وحذفوها .ونتيجة لذلك، غالباً ما فشلوا في تطبيق القانون بشكل صحيح، إذ لم يطبقوه بحكمة .ونتيجة لذلك تسببوا في انتشار الظلم والفساد في مجتمعهم

:سورة مريم، الآية 12

"وأتيناها الحكمة صبياً "

يمكن أن تعني كلمة "حكمة" أيضاً حسن التقدير .وهذا يعني أنه عندما يُطيع المرء الله تعالى، مُستخدماً النعم، التي أنعم بها عليه كما هو مُبين في التعاليم الإسلامية، فإنه يُمنح القدرة على الحكم الجيد في كل موقف يواجهه من خلال تحقيق حالة ذهنية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع سواء كان دنيوياً أو دينياً، فينال راحة البال :سورة الأنفال، الآية 29 . كل شيء وكل شخص في حياته على النحو الصحيح

...أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً يا

مهما بلغ تقدم أي مجتمع، ومهما اتسعت آفاقه المعرفية في مختلف التخصصات، بما في ذلك الجوانب العقلية، والجسدية للإنسان، يبقى من المستحيل على الإنسان وضع قواعد سلوكية تتوافق تماماً مع طبيعته البشرية وقادرة على التعامل مع كل ظرف وحالة وسيناريو قد يواجهه الأفراد أو المجتمعات طوال وجودهم على الأرض. هذا المسعى مستحيل بطبيعته، لأن البشرية لا تزال تكتشف جوانب جديدة من وجودها، مثل وظائف مناطق مختلفة من الدماغ، وبالتالي فهي بعيدة كل البعد عن امتلاك الفهم الشامل اللازم لصياغة قواعد سلوكية سليمة تضمن الطمأنينة والعدل على المستويين الفردي والاجتماعي. الله تعالى وحده هو القادر على تحقيق ذلك، فهو خالق كل شيء، وعلمه لا حدود له، شامل للماضي والحاضر والمستقبل. فهو وحده المؤهل لتزويد البشرية بقواعد سلوكية - معيار حاسم يميز بوضوح بين الخير والشر، والنفع والضرر - ويمكن من تحقيق راحة البال بدلاً من حياة مثقلة بالتوتر. ويشهد التاريخ أنه كلما طبقت هذه القواعد الإلهية بأمانة في حياة الأفراد، أدى ذلك إلى ترسيخ الطمأنينة والعدل والسلام على نطاق واسع في المجتمع. لذلك، يتعين على الأفراد اعتناق قواعد السلوك الإلهية الممنوحة لهم، وإدراك أنها الأكثر فائدة لرفاههم، حتى عندما تتعارض بعض جوانبها مع ميولهم الشخصية. يجب عليهم محاكاة حكمة المريض الذي يقبل ويتبع نصيحة طبيبه الطبية، مدركاً أنها تخدم مصلحته القصوى، حتى عندما تستلزم استخدام علاجات غير سارة أو اتباع نظام صارم.

عندما يُطبَّق شرع الله تعالى وحكمته في التعاليم الإلهية تطبيقاً صحيحاً، فإنه يُولَد بطبيعة الحال صفات إيجابية، تُؤدِّي بدورها إلى راحة البال، كما أن التحلِّي بالصفات الإيجابية يُؤدِّي إلى راحة البال والبدن. سورة مريم: ١٢-١٣

"...قال يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكمة صبيّاً ورحمة من لدنه "

تعكس المودة لطفه ورحمته بالآخرين. وبصورة عامة، الإسلام دين الوضوح والبساطة. ومن مبادئه الأساسية تعليمه أن معاملة المرء للآخرين هي معاملة الله تعالى لهم. فعلى سبيل المثال، من اعتاد العفو عن عيوب الآخرين والصفح عنها، ينال المغفرة من الله تعالى. سورة النور، الآية ٢٢

"...وليغفوا وليصفحوا، ألا تحبون أن يغفر الله لكم..."

من علون غيره في أمور نافعة، دنيوية كانت أم دينية، كالدعم المعنوي والمالي، ينال عون الله تعالى في الدنيا والآخرة. وقد ثبت هذا المبدأ في حديث رواه أبو داود برقم 4893، والذي جاء فيه أيضاً أن من ستر عيوب الناس ستر الله تعالى عيوبه.

في جوهر الأمر، عندما يُعامل المرء الآخرين بلطف واحترام وفقاً لتعاليم الإسلام، يُعامله الله تعالى بالمثل، وعلى العكس، يُعامل من يُسيء معاملة الآخرين بالمثل، حتى لو أدى واجبات العبادة التي تخصه مباشرةً. كالصلاة المفروضة. ذلك أن النجاح الحقيقي يقتضي أداء الواجبين: حق الله تعالى، وحق خلقه.

من أبسط الوسائل لنيل الرحمة الإلهية، وإن كانت عميقة، معاملة الآخرين كما يحب أن يعاملوه. وهذا المبدأ ينطبق على جميع الناس، بغض النظر عن معتقداتهم، بل يمتد إلى جميع المخلوقات.

مع ذلك، تجدر الإشارة إلى أن الله تعالى لا يُحسن إلى أحد إلا إذا كان إحسانه خالصاً لوجهه. أما إذا كان بدافع غير ذلك، فإن الثواب الموعود به في هذه التعاليم سيضيع لا محالة. فأساس جميع الأعمال - وأساس الإسلام نفسه - النية، كما جاء في الحديث الوارد في صحيح البخاري، رقم ١

:سورة مريم، الآية 13

"ومودة منا وصدقة "

،تتحقق الطهارة الروحية بالتحلي بالصفات الحميدة الواردة في التعاليم الإسلامية، كالصبر والشكر والكرم وتجنب الصفات السلبية المذكورة فيها، كالكبر والطمع والحسد. وهذا بدوره يؤدي إلى راحة البال، كما أن التحلي بالصفات الإيجابية يؤدي إلى راحة البال. كما أن من طهر قلبه سيتحلى بالتقوى، فيحسن استخدام نعم الله تعالى التي أنعم بها عليه، كما هو مبين في التعاليم الإسلامية. سورة مريم، الآية 13

"والطهارة، وكان تقيا... "

هذا النهج يُمكن الأفراد من تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، تُمكنهم من تحديد أولويات حياتهم بدقة والاستعداد للحساب يوم القيامة. وهذا السلوك يُؤدّي إلى راحة البال في الدنيا والآخرة

،لأن الإسلام، دين جميع الأنبياء عليهم السلام، هو منهج أخلاقي شامل، يُؤثّر على كل موقف يواجهه الإنسان ويتحقّق. سواءً كان دنيويًا أم دينيًا، وعلى كل نعمة يتفاعل معها، ويشمل أداء حقوق الله تعالى وحقوق العباد هذا المبدأ على أكمل وجه عندما يُعامل المرء الآخرين بالطريقة التي يُحبّ أن يُعامل بها. ومن سوء الفهم الجسيم الاعتقاد بأن النجاح يكمن فقط في أداء حقوق الله تعالى. يُؤكّد الإسلام بشكل قاطع على أن العدل سيتحقق يوم القيامة، حتى وإن بدا أنه قد فُقدَ في الدنيا. ومن ظلم غيره - مع أدائه حقوق الله تعالى - عليه أن يُقدّم حسناته لمن آذاهم. فإذا استنفدت حسناته، تحمّل وزر ذنوب ضحاياه حتى يُحقّق العدل كاملاً. وقد تُفضي

هذه النتيجة إلى نزولهم إلى جهنم يوم القيامة. وقد ورد هذا التحذير صراحة في حديث صحيح مسلم رقم 6579.

ولأن الإسلام شريعة كاملة، فقد أدى النبي يحيى عليه السلام حقوق الله تعالى وحقوق الناس، وأولهم والداه:
سورة مريم، الآية 14

"...وبراً بوالديه"

ويمكن للمرء أن يدرك الأهمية البالغة لمعاملة الوالدين بأقصى درجات العناية، حيث إن حقوقهما تأتي دائماً في المرتبة الثانية بعد عبادة الله تعالى، في العديد من آيات القرآن الكريم، على سبيل المثال، سورة البقرة:
الآية 83

"...لا تعبد إلا الله وبالوالدين إحساناً..."

لذا، يجب على المرء أن يحرص على معاملة والديه باحترام وحسن سيرة، وفقاً لتعاليم الإسلام. وينطبق هذا الواجب حتى لو كان الوالد غير مسلم، كما أكدته حديث في صحيح مسلم، رقم 2325. وبالمثل، تؤكد الآية من القرآن الكريم أن الإحسان إلى الوالدين لا يقتصر على المسلمين. ويمكن تحقيق ذلك على أفضل وجه 83 بمعاملة الوالدين كما يحب أن يعامله الأبناء

من المهم أن نفهم أن القرآن الكريم لا يأمر بالطاعة المطلقة للوالدين في جميع الأحوال، فقد يأمر الوالدان أحياناً بأفعال تتعارض مع أوامر الله تعالى. الطاعة المطلقة محفوظة لله تعالى ورسوله الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، الذي يأمر بطاعة الله تعالى فقط. لذلك، يجب على الوالدين عدم إساءة تفسير التعاليم الإسلامية بالإصرار على أن يُظهر أطفالهم طاعة غير مشروطة في كل أمر. للأسف، تبني بعض الآباء المسلمين ممارسات ثقافية من تقاليد أخرى تساوي بين طاعة الوالدين الكاملة وطاعته الواجبة لله. يُسمح للأطفال بمخالفة والديهم باحترام، حتى في الأمور المشروعة في الإسلام، شريطة أن يحافظوا على الاحترام في كل من القول والفعل.

وأخيراً، يجب على الإنسان أن يسعى ليكون طفلاً صالحاً وفقاً لمعايير الله تعالى، لا معايير الوالدين أو الأقارب أو المجتمع. فالمعايير البشرية لتعريف "الطفل الصالح" غالباً ما تكون خاطئة. فلا ينبغي للإنسان أن ينشغل بتصنيفات المجتمع، ولا أن يتأثر بمن يعتبرونه "طفلاً سيئاً". بل عليه أن يلتزم بالتعاليم الإسلامية المتعلقة بمعاملة الوالدين، وأن يلتزم ثواب الله تعالى ورضاه وحده. فالاعتماد على رضا الله تعالى، حتى رضا الوالدين، قد يُعرض المرء لخطر النفاق تجاه الله تعالى، وقد يدفعه إلى معصيته طلباً لرضا الآخرين. سورة العنكبوت، الآية 8، سورة العنكبوت، الآية 29.

"...ووصينا الإنسان بوالديه حسناً وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما"

من لم يفهم أن الإسلام منهجٌ كاملٌ في السلوك، يشمل حقوق الله تعالى وحقوق العباد، سيُسيء استخدام النعم في هذه الحياة الدنيا، يُحرم هذا السلوك الإنسان من التوازن النفسي والجسدي. التي وهبت له لا محالة ويُسيء تقدير قيمة كل شيء وكل شخص في وجوده. وبالتالي، ستصبح جميع جوانب حياته - سواء أكانت عائلة أم أصدقاء أم مهنة أم ثروة - مصدراً للضيق. إذا استمر في معصية الله تعالى، فسيُلقي اللوم على الأسباب والأشخاص الخطأ، بمن فيهم من يُمثل مصدر خيرٍ حقيقي في حياته، كالزوج الصالح. بقطع العلاقات مع هؤلاء، سيُعمّق معاناته، ويزيد من قابليته للاضطرابات النفسية حتى يصل إلى الاكتئاب وإدمان المخدرات، بل وحتى الميول الانتحارية. هذه الحقيقة واضحة فيمن يُسيئون استخدام النعم الممنوحة لهم باستمرار - كالأثرياء والمشاهير - رغم تمتعهم بملذات الدنيا. علاوة على ذلك، بما أن سلوكهم يمنعهم من الاستعداد للحساب النهائي أمام الله تعالى يوم القيامة، فإن عقابهم في الآخرة سيكون أشد بكثير. بالإضافة إلى ذلك، فإنهم بتقصيرهم في أداء حقوق الناس، سيتسببون أيضاً في انتشار الظلم والفساد في المجتمع. ولما كان

النبي الكريم يحيى عليه السلام يؤدي حقوق الله تعالى وحقوق الناس، فقد تجنب هذه الأمور السلبية المذكورة
:سورة مريم، الآية 14

"ولم يكن جبارًا عاصيًا "

بفضل قيامه بحقوق الله تعالى وحقوق العباد، نال راحة البال بتوازن حالته النفسية والجسدية، وحسن توزيع
:كل شيء وكل إنسان في حياته الدنيا .سورة مريم، الآية ١٥

"...وسلام عليه يوم ولد "

وكما ورد في حديث صحيح مسلم، رقم 7232، أن من عاش مسلمًا طائعًا مات وبعث مسلمًا طائعًا .سورة
:مريم، الآية 15

"ويوم يموت ويوم يبعث حيا"

لذا، لا ينبغي للإنسان أن يعيش حياةً رغيدة، معتقدًا أن مجرد إعلان إيمانه بالإسلام شفهيًا يضمن له عاقبة
حسنة يوم القيامة .فإن أصرَّ على معصية الله تعالى، ومات دون توبة صادقة، فسيُبعث في ذلٍّ .ولا يحتاج
الأمر إلى عالمٍ ليدرك مصير مثل هذا الشخص يوم القيامة .لذلك، لا ينبغي للمرء أن يُسيء استخدام النعم

التي أنعم بها عليه بمعصية الله تعالى، فيختار بذلك طريق الجحيم، متوهمًا أنه سيُبعث صالحًا ويلحق سورة طه، الآيات ١٢٤-١٢٦. بالصالحين في الجنة

ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد "كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى

في الواقع، من لم يُدعم إيمانه بالله تعالى بالأعمال الصالحة فقد يموت دون إيمانه. من الضروري إدراك أن الإيمان كالنبات الذي يحتاج إلى غذائه بالطاعات لينمو ويستمر. وكما أن النبات يفنى دون قوت ضروري. كضوء الشمس، كذلك قد يموت إيمان المرء إن لم يُدعم بالطاعات. وهذه أعظم خسارة

بعد أن بينّا أن الولادة المعجزة للنبي يحيى عليه السلام لا تدل على ألوهيته، بل تدل على قدرة الله تعالى: نُوقِشَ ميلاد النبي عيسى عليه السلام المعجز، مُبينين بذلك أنه ليس هو الآخر إلهاً. سورة مريم، الآية 16

"...وانكر في الكتاب مريم"

عمومًا، فإنَّ الغاية الأساسية من استذكار قصص عباد الله الصالحين هي الاقتداء بهم في تعاملهم مع الله تعالى ومع الناس. كما أنَّ استذكار قصصهم يُقوّي العزيمة على طاعة الله تعالى، إذ تُبين كل قصة كيف نالوا راحة البال في الدنيا والآخرة بفضل طاعتهم لله تعالى، رغم ما واجهوه من مصاعب. لذا، يجب على المرء أن يُعاش قصص الصالحين واضعًا هذه النقاط في اعتباره ليستفيد منها. ومن غفل عن ذلك، سيُلقي بقصص الصالحين على سبيل التسلية، ولن يزيد في طاعته لله تعالى، بل سيُصرّ على إساءة استخدام النعم التي وهبت له، فيُصاب باختلال في حالته النفسية والجسدية، ويُسيئ تقدير كل شيء وكل شخص في حياته، ولا يُعدّ

استعدادًا كافيًا للحساب يوم القيامة. وهذا يؤدي إلى التوتر والمتاعب والصعوبات في الدنيا والآخرة، حتى وإن تمتع ببعض الرفاهيات الدنيوية.

بالإضافة إلى ذلك، فقد دُلِّل على استذكار عباد الله الصالحين من خلال دراسة حياتهم وتعاليمهم مباشرةً من القرآن الكريم، حيث حُرِّفَت حياتهم وتعاليمهم في الكتب السماوية السابقة وحُرِّفَ تفسيرها. وهذا يُشير إلى يدعو الإسلام باستمرار جميع الناس، بغض النظر عن مستوى علمهم أو أهمية التدبر في القرآن الكريم فهمهم، إلى التدبر في القرآن الكريم. هذه الدعوة الإلهية تشمل كل فرد، وتحت على التأمل في معانيه ودروسه وإرشاداته، ليقربوا من الله تعالى، ويوفقوا حياتهم لأوامره. سورة ص، الآية 29

«كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب»

:وسورة النحل الآية 44

"بالبينات والأحكام، وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم، ولعلمهم يتفكرون"

إن فكرة أن تدبر القرآن الكريم خاص بالعلماء فكرة مضللة، وتتناقض تناقضًا واضحًا مع جوهر التعاليم الإسلامية. ومع ذلك، يجب أن يُفهم أن هذا لا يُجيز لغير المتعلمين تفسير الآيات أو استنباط الأحكام الشرعية بشكل مستقل، لأن هذه المحاولات قد تؤدي إلى الضلال. بل ينبغي على الأفراد توجيه تأملاتهم نحو مسائل لا تتعلق بالفقه الإسلامي، مع التركيز على مواضيع واضحة ومفهومة - مثل الصفات الفاضلة التي يُؤمر المؤمنون بالتحلي بها والصفات الضارة التي يُنصح بتجنبها، كما هو موضح في القرآن الكريم - حتى ينالوا راحة البال في الدنيا والآخرة من خلال تحقيق حالة ذهنية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في حياتهم على النحو الصحيح. هذا المستوى من التدبر في متناول الجميع.

ينبغي تناول المواضيع الأكثر تعقيدًا بالاستعانة بترجمات موثوقة وشروح موثوقة لضمان فهم سليم. فعندما يتفاعل عامة الناس مع القرآن الكريم من خلال هذه الترجمات والشروح، فإنه يُنمّي فيهم حبًا عميقًا لله تعالى وتعظيمًا له، ويقوي إيمانهم بتمكنهم من فهم الأدلة والبراهين الواضحة التي يحتويها. وهذا بدوره يُنمّي لديهم رغبة صادقة في طاعته، ويضمن لهم الاستعداد العملي للحساب يوم القيامة مستفيدين من نعمه التي أنعم بها عليهم وفقًا لتعاليم الإسلام.

إن أنجع وسيلة لتعميق الفهم هي التعلم على يد عالمٍ مؤهل. ومن الضروري أن يُؤخذ كل ما يُكتسب في هذا السياق بعين الاعتبار، حتى تُطبّق تعاليم القرآن الكريم تطبيقًا صحيحًا في حياتنا اليومية. وإذا تعذرت الدراسة المباشرة على يد عالم، فعلينا الرجوع إلى التفسيرات الصحيحة للقرآن الكريم، وطلب التوضيح من العلماء. عند وجود أي لبس في أي مسألة.

:سورة مريم، الآيات 16-17

"...واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانًا شرقيًا واتخذت من دونهم حجابًا"

يدل هذا عمومًا على أهمية الانقطاع عن الناس بانتظام لعبادة الله تعالى، والتأمل في أمورهم الدينية والدنيوية. وفي حديث في جامع الترمذي، رقم 2406، نصح النبي صلى الله عليه وسلم بأن من أسباب النجاة ترك الوقت، وكثيرًا ما يؤدي إلى معاصي الخروج من المنزل إلا لضرورة. فالاختلاط بالناس بلا ضرورة يُضيع قولية وجسدية. وبالتأمل الصادق، يدرك المرء أن كثيرًا من ذنوبه ومصاعبه نابعة من الاختلاط بالناس بلا ضرورة. وهذا لا يعني أن الآخرين هم المسؤولون دائمًا، بل يعني أن الامتناع عن الخروج من المنزل إلا لضرورة حقيقية، يُقلل من معاصيه ويُقلل من مشاكله. كما يُوفر هذا الضبط وقتًا ثمينًا للمعرفة النافعة وتطبيقها.

وعلى رأسها المعرفة الإسلامية، التي تُثري جميع جوانب الحياة. فالوقت نعمة لا تُستعاد إذا فُقدت. من أضاع وقته في الباطل أو المعصية، سيعاني من القلق والضيق في الدنيا، وندامة شديدة يوم القيامة، لا سيما عندما يشهد الثواب الجزيل لمن استغله بحكمة. علاوة على ذلك، فإن الاختلاط بالناس دون داعٍ يعيق أداء الواجبات تجاه الله تعالى وتجاه الناس، ويحرم الإنسان من ممارسة التأمل الذاتي الضرورية لتقييم مدى تقدمه في الحياة وأداء مسؤولياته. إن غياب هذا التأمل يؤدي إلى حياة بلا هدف، خالية من التوجيه الثابت في أمور الدنيا والدين.

يُعزز التفاعل الاجتماعي المفرط التبعية والتعلق العاطفي بالآخرين، مما يجعل السعادة والحزن يدوران كليًا حول العلاقات الإنسانية. وهذا يؤدي حتمًا إلى مشاكل عاطفية ونفسية واجتماعية. وتكمن الحماية من هذه: سورة مريم، الآيتان 16-17. الأضرار في قصر التفاعل الاجتماعي على حالات الضرورة القصوى

"...واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانًا شرقيًا واتخذت من دونهم حجابًا"

،في ضوء التأثير الواسع لوسائل التواصل الاجتماعي في الحياة العصرية، وسهولة تفاعل الأفراد المستمر من الضروري أن يدرك الشخص بُعدًا حيويًا للتأمل الذاتي المفيد. يُعدّ التأمل الذاتي أمرًا لا غنى عنه لتقييم الموقف بدقة من أجل الوصول إلى مسار -عمل سليم ومدروس جيدًا، سواء في الأمور الدنيوية أو الأخلاقية ولا يتأتى هذا التأمل إلا عندما ينعزل المرء عن نفسه وينسحب مؤقتًا من التواصل الخارجي، بما في ذلك التحدث مع الآخرين. وذلك لأنه لا يمكن لأي فرد آخر - بغض النظر عن قرب العلاقة - أن يفهم تمامًا حقيقة تجربة الآخر. فكل ظرف يثير مشاعر واستجابات فريدة لا يمكن أن يتشاركها الجميع بشكل متطابق، حتى بين أولئك الذين واجهوا مواقف مماثلة، لأن طبيعة كل شخص وإدراكه ورد فعله تختلف عن الآخرين. ولهذا السبب، غالبًا ما يؤدي طلب المشورة من الكثير من الناس إلى الارتباك وسوء اتخاذ القرارات

في حين أن استشارة الخبراء أمر مستحسن بالفعل في الشؤون الشخصية والمهنية، إلا أنه يجب على المرء مع ذلك الانخراط في التأمل الشخصي لتحديد القرار الأكثر ملاءمة في ضوء احتياجاته ومزاجه وقدراته

علاوة على ذلك، لا يمكن التأمل الذاتي في ظل وجود مشتتات متنافسة، تمامًا كما لا يستطيع الطالب الدراسة بفعالية مع التفاعل مع وسائل التواصل الاجتماعي. من يغمس باستمرار في التفاعل الاجتماعي - سواء بالاستماع أو المشاهدة أو المحادثة أو المراسلة - سيفشل حتمًا في تكوين أحكام سليمة بشأن الأمور التي يواجهها، لأنه أهمل التأمل الداخلي اللازم. وقد تدهور الوضع لدرجة أن الكثيرين لا يستطيعون حتى المشي إلى محطة الحافلات دون الانخراط في شكل من أشكال التفاعل الاجتماعي.

إن هذا الانضباط في التأمل الذاتي ضروري ليس فقط للقرارات المهمة، بل أيضًا للأمور التي تبدو ثانوية مثل مشاكل العمل، وهو بالغ الأهمية للحفاظ على وضوح الهدف والاتجاه في الحياة. إن من يُفِرط في الاختلاط بالآخرين، مُهملاً بذلك فترات منتظمة من التأمل الذاتي، سينجرف إلى حياة خالية من الهدف أو السعي الهادف، مُقَصِّرًا في السعي نحو الطموحات والأهداف النبيلة.

لذا، يجب على الإنسان أن يُخصَّص وقتًا واعيًا للتأمل الذاتي، مُسائلًا بانتظام هدفه، ومساره، وما إذا كان يسير في الاتجاه الصحيح. من خلال هذه الممارسة، يستطيع المرء تقييم الظروف الدنيوية والأخلاقية بوضوح، والتعامل معها على النحو المناسب، وضمان أن يُفضي مسار حياته إلى السلام والنجاح في الدنيا والآخرة، من خلال تحقيق حالة ذهنية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في حياته على النحو الصحيح.

بعد أن اعتزلت مريم رضي الله عنها، أرسل الله تعالى رئيس الملائكة جبريل عليه السلام ليُبشِّر بولادة النبي الكريم عيسى عليه السلام. سورة مريم، الآيتان 17-18

"فأرسلنا إليها ملكنا فتمثل لها بشرًا سويًا. قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت من الله متقًا..."

لما كانت مريم رضي الله عنها امرأةً عفيفةً محتشمةً، فقد كانت تتجنب مخالطة الرجال، ولذلك حذرت الغريب، من تقوى الله تعالى. وهذا يُبرز أهمية الصحبة الصالحة. وكما ورد في حديث في سنن أبي داود، رقم 4833 فإن المرء يقتدي بصاحبه، فيتشرب صفاته -سواءً كانت حسنةً أو سيئة- دون أن يشعر. ولذلك، من الضروري اختيار الصحابة الذين يُشجعون على طاعة الله تعالى، بأقوالهم وأفعالهم.

أبلغ جبريل عليه السلام مريم رضي الله عنها بمهمته، ووصف النبي عيسى عليه السلام كما وصف النبي يحيى عليه السلام سابقاً، مما يدل على أنهما بشر وليسا إلهيين. سورة مريم، الآية ١٩

"قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً "

،عموماً، تتحقق الطهارة الروحية بتبني الصفات الإيجابية من التعاليم الإسلامية، كالصبر والشكر والكرم وتجنب الصفات السلبية الواردة فيها، كالكبر والطمع والحسد. وهذا بدوره يؤدي إلى راحة البال، كما أن تبني الصفات الإيجابية يؤدي إلى راحة البال.

ورغم صدمة معجزة الولادة دون تدخل الأب، فقد اتضح لمريم رضي الله عنها أن ذلك من آيات قدرة الله تعالى. سورة مريم، الآيتان 20-21

"...قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسنني بشر ولم أكن بغياً قال كذلك قال ربك هو علي هين "

كان الهدف من هذه الولادة المعجزة أن يقتنع من شهدوا النبي عيسى عليه السلام بقدرة الله تعالى اللامتناهية
:سورة مريم، الآية ٢١

"...وجعلناه آية للناس..."

بالإضافة إلى ذلك، وكسائر الأنبياء، كان النبي عيسى عليه السلام رحمةً للناس، إذ أنزل عليه الوحي الإلهي
الذي يُعين الناس على طاعة الله تعالى، بالاستعانة بنعمه، فينالون راحة البال في الدنيا والآخرة، من خلال
حالة نفسية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في حياتهم على الوجه الصحيح تحقيق
:سورة مريم، الآية 21

"ورحمة منا وكان أمراً مقضياً"

عمومًا، مهما بلغ تقدم الحضارة، ومهما بلغ اتساع المعرفة التي تكتسبها في مختلف التخصصات، بما في
ذلك الأبعاد العقلية والجسدية للإنسان، يبقى من المستحيل على الإنسان وضع قواعد سلوكية منسجمة تمامًا
مع طبيعته البشرية، وقابلة للتكيف التام مع كل ظرف وحالة وسيناريو قد يواجهه الأفراد أو المجتمعات طوال
وجودهم على الأرض. وهذا أمرٌ مستحيل، فالبشرية لا تزال تكتشف حقائق جديدة عن طبيعتها، مثل الوظائف
المعقدة لمناطق الدماغ المختلفة، ناهيك عن اكتساب البصيرة الشاملة اللازمة لإقامة نظام متكامل يضمن
الطمأنينة والعدل على المستويين الفردي والاجتماعي. والله تعالى وحده قادر على ذلك، فهو خالق كل شيء
وعلمه لا حدود له، شامل للماضي والحاضر والمستقبل. فهو وحده المؤهل تمامًا لتزويد البشرية بقواعد
سلوكية - معيار نهائي يميز بوضوح بين الخير والشر، والنفع والضرر - والذي يُمكن من تحقيق الطمأنينة
بدلاً من حياة مثقلة بالقلق والاضطراب. يشهد التاريخ بشكل قاطع أنه كلما طبقت هذه القواعد الإلهية بأمانة
في حياة الأفراد، أدى ذلك إلى انتشار الطمأنينة والعدل والوئام في المجتمع. وبناءً على ذلك، يجب على

الأفراد قبول القواعد الإلهية التي وهبها الله لهم، وإدراك أنها الأكثر فائدة لرفاههم، حتى عندما قد تتعارض بعض جوانبها مع ميولهم الشخصية. يجب أن يحذوا حذو المريض الحكيم الذي يعترف بنصيحة الطبيب الماهر ويتبعها، مدركين أن هذه النصيحة تخدم مصلحتهم القصوى، حتى لو استلزمت استخدام أدوية غير سارة أو اتباع نظام صارم.

لما كانت مريم، رضي الله عنها، تعلم أن قومها لن يصدقوا ولادة ابنها المعجزة، بل سينتهمونها بعلاقة غير شرعية، أعربت عن قلقها والصعوبة الكبيرة التي ستواجهها لا محالة. سورة مريم، الآيتان ٢٢-٢٣:

فحملته فأنصرفت به إلى مكانٍ قَصِيٍّ، فساقها ألم الولادة إلى جذع نخلة، فقالت: يا ليتني متُّ قبل هذا، وكنتُ في غفلةٍ منسية.

رغم ما عبرت عنه من مخاوف، لم تعصي الله تعالى بأقوالها وأفعالها، بل ظلت مطيعة له لإيمانها الراسخ. فالإيمان الراسخ ضروري للبقاء ثابتًا على طاعة الله تعالى في كل ظرف، سواء في أوقات الرخاء أو الشدة. ويُزرع هذا الإيمان العميق من خلال تعلم وفهم والعمل بالآيات والتعاليم الواضحة الموجودة في القرآن الكريم وأحاديث النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم. تؤكد هذه التعاليم على أن الطاعة الحقيقية لله تعالى هي مصدر السلام في الدنيا والآخرة. وعلى النقيض من ذلك، فإن أولئك الذين يفتقرون إلى المعرفة بالمبادئ الإسلامية يصابون حتمًا بضعف الإيمان، مما يجعلهم أكثر عرضة للانحراف عن الطاعة، وخاصة عندما تتعارض رغباتهم الشخصية مع التوجيه الإلهي. هذا النقص في الفهم يعميهم عن حقيقة أن السلام الحقيقي يكمن في التخلي عن رغباتهم لصالح أوامر الله تعالى. لذلك، من الضروري أن يُعزز كل فرد إيمانه من خلال السعي وراء المعرفة الإسلامية وتطبيقها عمليًا. وبذلك، يُحافظ على طاعة الله تعالى، ويُحسن استغلال النعم التي وهبت له. وهذا يضمن له حالة نفسية وجسدية متوازنة، ويُمكنه من تحديد أولوياته بدقة استعدادًا للحساب في الآخرة.

:ويبدو أن النبي عيسى عليه السلام، بعد ولادته، وأسى أمه في محنتها. سورة مريم، الآيتان ٢٤-٢٥:

"...ولكنه ناداها من تحتها: لا تحزني "

وبصورة عامة، في حديث موجود في سنن ابن ماجه، رقم 1601، نصح النبي محمد صلى الله عليه وسلم بأن من عزى شخصاً مصاباً -ألْبسه الله ثوب الكرامة يوم القيامة. ونظراً لأن مواجهة الابتلاءات أمر لا مفر منه للجميع، فهذه وسيلة سهلة للغاية لنيل ثواب كبير، ولا تتطلب سوى القليل من الوقت والجهد والمال ويشمل ذلك السعي لمساعدة أسرة المنكوبين وفقاً لقدرة المرء، سواء من خلال الدعم العاطفي أو المالي أو البدني. يجب على الناس تشجيع أولئك الذين يتحملون المشقة بلطف على البقاء صبورين طوال المحنة وتذكيرهم بآيات القرآن الكريم وأحاديث النبي محمد صلى الله عليه وسلم، التي تبرز فضل الصبر وأجره العظيم. يجب أن يتحدثوا بإيجابية، مؤكدين لهم أن جميع الأمور تحدث لسبب حكيم ومفيد، حتى لو لم تفهم تلك الحكمة على الفور. في الواقع، لا يحتاج المرء إلى أن يكون عالماً للقيام بهذا العمل الصالح؛ في أغلب الأحيان، تكفي بضع كلمات صادقة للتخفيف من وطأة المصاعب، وفي بعض الحالات، يكفي مجرد الحضور الجسدي لطمأنة الآخرين، حتى دون كلمات. يُكتسب هذا الموقف بسهولة عندما يعامل المرء الآخرين بالطريقة التي يَتمنى أن يُعامل بها.

،وأخيراً، من الضروري أن يُخلص الناس نيتهم عند القيام بهذا العمل الصالح، وأن يقصدوا الله تعالى وحده وألا يُظهروا الفضل أمام الآخرين، كالأقارب، ولا يخشون الانتقاد إن قصروا في العمل. سيؤمر من يعمل لمصلحة الناس يوم القيامة أن يطلب ثوابه ممن عمل له، ولكنه لن ينال. هذا التحذير وارد في حديث رواه الترمذي برقم 3154.

بالإضافة إلى ذلك، وقر الله تعالى الطعام والشراب لمريم رضي الله عنها، لتخفيف وطأة ضغوطها. سورة مريم، الآيات 24-26

"...وقد جعل ربك تحتك سريًا، وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبًا جنيًا، فكل واشرب وارضَ ..."

علاوة على ذلك، يُبرز هذا عنصرين أساسيين في التوكل على الله تعالى. الأول هو استغلال الموارد والوسائل التي وهبها الله تعالى للإنسان، كالقوة البدنية أو المال أو العلم. والثاني هو الرضا بأن الله تعالى سيقدر له (سورة البقرة، الآية ٢١٦). الخير، حتى وإن لم تتضح له الحكمة من قراره

"وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ..."

على سبيل المثال، يُطلب من المريض تناول الأدوية الشرعية المتاحة له، مع التسليم في الوقت نفسه لقدر الله تعالى في تحسين صحته. وهكذا، فإن التوكل على الله تعالى لا يعني إهمال الموارد المتاحة، ولا يعني الاعتقاد بأن هذه الموارد وحدها هي التي تُحدد نتيجة الأمر. بل إن الجمع بين استخدام الوسائل بإخلاص، والإقرار بأن النتيجة النهائية بيد الله تعالى وحده، هو ما يُشكل التوكل الحقيقي عليه

سورة مريم 19 الآيات 24-26

"...وقد جعل ربك تحتك سريًا، وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبًا جنيًا، فكل واشرب وارضَ ..."

وبصورة عامة، يشير هذا أيضًا إلى أنه ما دام الإنسان ثابتًا على طاعة الله تعالى، مستخدمًا النعم التي أنعم بها عليه كما وردت في التعاليم الإلهية، فإنه ينال الحماية الإلهية والمعونة وراحة البال من خلال تحقيق حالة

سورة .ذهنية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في حياته على النحو الصحيح
:الطلاق، الآية 2

"ومن يتق الله يجعل له مخرجاً"

من الضروري الإقرار بأن العون الإلهي لا يتوافق بالضرورة مع الميول الفردية، بل إنه يتجلى لا محالة
،وفقاً لعلم الله تعالى اللامحدود وحكمته التامة .ولذلك، يُمنح هذا العون في أنسب الأوقات وأنسبها لكل شخص
:سورة البقرة، الآية ٢١٦ .حتى وإن كانت حكمته الكامنة خفية عن الإدراك المباشر

"وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ..."

،لما كانت مريم، رضي الله عنها، ستعود في النهاية إلى قومها وتواجه انتقاداتهم واتهاماتهم، أمرت بالصمت
،وترك النبي عيسى عليه السلام يدافع عنها ويظهر معجزةً، بالتحدث وهو طفل، لِيُثَبِّتَ بِذَلِكَ نبوته .سورة مريم
:الآيات 26-29

فإما ترين من البشر أحداً فقولي إني نذرت للرحمن عصمة فلن أكلم اليوم بشراً " .فأنتت به إلى قومها..."
تحمله .قالوا يا مريم لقد جئتِ شيئاً لم تعهديه من قبل .يا أخت هارون ما كان أبوكِ امرأً سوءاً وما كانت أمكِ
بعيًّا .فأشارت إليه .قالوا كيف نكلم من كان في المهد طفلاً؟

عمومًا، أول ما يجب مراعاته هو أنه عند التعامل مع من اتخذ قراره ورفض الاستماع لأي عذر معقول مدعوم بالأدلة، يجب الصمت في وجه انتقاداتهم، لأن التحدث معهم لن يزيدهم إلا توترًا وصعوبة. يجب على المرء أن يدافع عن نفسه من الاتهامات والنقد، ولكن بشكل انتقائي، بحيث لا يناقش هذه القضايا إلا مع من يتبنون عقلًا منفتحًا وغير متحيز، ويرغبون في الاستماع إلى الأدلة والمنطق. وعليهم أن يتذكروا أن الاتهامات الباطلة وانتقادات الناس لن تغير الحقيقة ولن تغير مكانتهم الحقيقية عند الله تعالى، تمامًا كما لم يغير النقد والاتهامات الموجهة إلى مريم رضي الله عنها من مكانتها العالية عند الله تعالى.

نقطة أخرى هي أنه على عكس مجتمع مريم رضي الله عنها، لا ينبغي التسرع في الأحكام، بل إعطاء الآخرين فرصة للشك، وخاصةً من عُرفوا بالاستقامة والصلاح. سورة مريم، الآيتان ٢٧-٢٨.

"قالوا يا مريم لقد جنّت شيئاً لم يأتي مثله يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغياً..."

في الواقع، في حديثٍ ورد في سنن أبي داود، رقم 4993، أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن حسن الظن بالناس من عبادة الله تعالى. أي أن حسن الظن بالناس من طاعة الله تعالى.

من ناحية أخرى، غالبًا ما تؤدي الافتراضات السلبية إلى خطايا كالغيبة والقذف وهدم الثقة. ينبغي، قدر الإمكان، تفسير المواقف بإيجابية ومنح الآخرين فرصة للشك. للأسف، عندما يتبنى الناس عقلية سلبية، يمكن الشعور بآثارها من أصغر وحدة - الأسرة - إلى مستوى دول بأكملها. على سبيل المثال، اندلعت حروب عديدة بناءً على الشك والافتراض. وبالمثل، غالبًا ما تُبنى الفضائح في وسائل الإعلام على افتراضات، حتى أن بعض القوانين وُضعت لتشجيع الشك. هذه المواقف تُدمر العلاقات، حيث غالبًا ما يُسيء أولئك الذين يفكرون بشكل سلبي تفسير النصيحة على أنها سخرية، أو يقاومون التصحيح، أو يتجنبون تقديم نصيحة صادقة خوفًا من أن تُشعل فتيل الصراع. مع مرور الوقت، يُولد هذا المرارة والاستياء.

يُعلّم الإسلام أنه حتى لو شكّ المرء في سوء نيته، فعليه قبول النصيحة إذا كانت مبنية على القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. إن رفض الحق لمجرد دوافع مُفترضة يضرّ بنموّ الإنسان الروحي

، إن الإصرار على تفسير الأمور بشكل سلبي قد يؤدي أيضًا إلى عواقب نفسية خطيرة، منها جنون العظمة وهي حالة يشك فيها المرء دائمًا في نوايا الآخرين السيئة. وتُعد هذه العقلية مدمرة بشكل خاص في العلاقات الشخصية كالزواج، حيث تكون الثقة وحسن النية أساسيين

لذلك، ينبغي على المؤمن أن يسعى جاهدًا لتفسير الأمور بإيجابية قدر الإمكان، فهذا يُنمي عقلية سليمة فالعقلية الإيجابية تُعزز الوحدة، وتوطّد العلاقات، وتُشجع على التراحم، بينما السلبية المُستمرة لا تُوجع إلا: سورة الحجرات، الآية ١٢. الشك والعداء وإهمال حقوق الناس - الحقوق التي أمر الله تعالى الناس بها

...يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم

:وسورة مريم 19 الآيات 27-28

"قالوا يا مريم لقد جنّبت شيئا لم يأتي مثله يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا ..."

ولما كانت مريم، رضي الله عنها، من نسل النبي هارون عليه السلام، واقتدت به، فقد عُرفت بأخته إكرامًا لصلاحها. بل إن مخاطبة الناس بهذه الطريقة شائعة في جميع المجتمعات، كأن يُطلق على شخص لقب ابن آدم عليه السلام، وإن لم يكن ابنه مباشرة.

ولإزالة الألوهية عنه بسبب ولادته المعجزة ونطقه وهو طفل رضيع، أعلن النبي عيسى عليه السلام عبوديته لله تعالى قبل إعلان نبوته. سورة مريم، الآيتان ٢٩-٣٠

إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا :

وبصورة عامة، يؤكد هذا المكانة السامية للعبد المخلص لله تعالى. ولو وُجدت مقامات أعلى، لمنحها الله، تعالى للنبي الكريم عيسى عليه السلام. ويؤكد ذلك أحاديث عديدة، منها حديث في صحيح مسلم، رقم 851. حيث عرّف النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم نفسه أولاً بأنه عبد الله تعالى، قبل أن يُعلن دوره كرسول. وهذا يُوضح أن النجاح النهائي والدرجات الروحية العليا يتحققان بالعبودية الحقيقية لله تعالى. وتُتحقق هذه العبودية بالافتداء بالنبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، العبد المثالي لله تعالى، إذ لا سبيل إلى هذه: سورة آل عمران، الآية 31. المقامات الرفيعة إلا به

"قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم"

يتضح من سيرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم أن العبد الصادق لا يسعى إلى رضا الله تعالى ولا إلى رضا الناس، بل يسعى دائماً إلى رضا مولاه الله تعالى. ويتجلى ذلك في حسن استغلال النعم التي أنعم الله به عليها وفقاً للتعاليم الإسلامية، لا في رغباته الشخصية. فالعبد الصادق يتمنى أن يرضي الله تعالى الناس، لا أن

يرضي نفسه .ويدرك في نهاية المطاف أن كل ما يملك، بما في ذلك حياته، هو هبة من الله تعالى، ويجب عليه استغلالها على الوجه الصحيح وفقًا للتعاليم الإسلامية، لأن هذه النعم ليست ملكًا له .

تعلّم النبي عيسى عليه السلام التوراة والإنجيل بنسختهما الأصلية غير المحرّفة، ليُصحّح ما أحدثه علماء بني إسرائيل من بدع، وليهديهم إلى صراط الله تعالى المستقيم، مُستعينين بنعمه التي أنعم بها عليهم .سورة آل عمران، الآية 48 .

"ويعلمه الكتابة والحكمة والتوراة والإنجيل"

:سورة مريم، الآية 30

"[قال] عيسى [إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا]"

عمومًا، مع أن القرآن الكريم لا يخضع للتحريف، كما هو الحال مع التوراة والإنجيل، إلا أنه قد يُساء تفسيره عمدًا لتحقيق مكاسب دنيوية، كالقيادة، ويمكن للمرء أن يختار ما يُعمل به من تعاليم وما يُتجاهله وفقًا لأهوائه في هذه .يجب تجنّب هذا النفاق تجاه القرآن الكريم، لأنه لن يؤدي إلا إلى إساءة استخدام النعم التي وهبت له الدنيا، سيُعيق هؤلاء الأفراد - بسبب سلوكهم الخاطئ - عن تحقيق التوازن المتناغم بين الصحة النفسية والجسدية، وسيُسيءون تقدير قيمة ودور كل شيء وكل شخص في حياتهم .وبالتالي، فإن العناصر التي يُفترض أن تكون مصدرًا للراحة والاستقرار - كالعائلة والأصدقاء والعمل والثروة - ستُصبح بدلاً من ذلك أسبابًا لضيق دائم .إذا أصرّوا على معصية الله تعالى، فسيُنسبون معاناتهم حتمًا إلى مصادر خاطئة، وغالبًا ما يُلقون باللوم على أطراف بريئة مثل زوجاتهم .يقطع صلاتهم بهؤلاء الفضليين، سيتفاقم مرضهم النفسي ويتدهورون إلى اضطرابات قد تصل إلى الاكتئاب وإدمان المخدرات، بل وحتى إلى ميول انتحارية .وهذه

النتيجة واضحة فيمن يسيئون استخدام النعم الإلهية الممنوحة لهم باستمرار - وخاصةً بين الميسورين والمشهورين - رغم تمتعهم الظاهري بملذات الدنيا . علاوة على ذلك، وبما أن موقفهم يمنعهم من الاستعداد للحساب النهائي يوم القيامة، فإن عقابهم في الآخرة سيكون أشد وطأة

:سورة مريم، الآية 30

"قال [عيسى] إني عبد الله أتاني الكتاب وجعلني نبيا"

بشكل عام، مهما بلغ تقدم المجتمع أو تراكم معارفه في مختلف التخصصات، وخاصةً فيما يتعلق بالجوانب العقلية والجسدية للإنسانية، فإنه يبقى عاجزاً عن صياغة مدونة سلوك شاملة . ذلك أن هذه المدونة يجب أن تتوافق تماماً مع الطبيعة البشرية، وأن تستوعب جميع الظروف والمواقف التي قد يواجهها الأفراد أو المجتمعات . وهذه مهمة مستحيلة أساساً، لأن فهم البشرية لذاتها في تطور مستمر . وتُكتشف باستمرار رؤى جديدة، مثل وظائف مناطق الدماغ المختلفة، مما يدل على أننا لم نجمع بعد المعرفة الكاملة اللازمة لوضع مدونة سلوك مثالية تضمن الطمأنينة والعدل . الله تعالى وحده قادر على تحقيق ذلك، فهو خالق كل شيء وعلمه لا حدود له، شامل لكل الأزمان . وهو وحده المؤهل لتزويد البشرية بمدونة سلوك - معيار واضح يميز الخير من الشر، والنافع من الضار، مما يُسهّل السلام الداخلي . تؤكد الأدلة التاريخية أن التطبيق الفعال لهذه القاعدة الإلهية للسلوك أدى باستمرار إلى انتشار الطمأنينة والعدل في المجتمعات . وبالتالي، يجب على الأفراد تقبل هذه القاعدة الإلهية باعتبارها تصب في مصلحتهم العليا، حتى وإن تعارضت بعض عناصرها مع رغباتهم الشخصية . وهذا أشبه بمريض عاقل يلتزم بنصيحة الطبيب، مُدركاً أنها لسلامته على المدى الطويل، رغم وصف أدوية غير مُرضية أو اتباع نظام غذائي مُقيّد

،ولما أدرك النبي عيسى عليه السلام هذه الحقيقة، أطاع الله تعالى بإخلاص، مستخدماً ما أنعم به عليه من نعم بتوازن حالته النفسية والجسدية، وحسن توزيع كل شيء وكل شخص في ،فإن راحة البال في الدنيا والآخرة حياته .سورة مريم، الآية 31

"وجعلني مباركاً أينما كنت"

ثم يُذكر الركّان الأساسيان لجميع الأعمال اللذان لا تتم طاعة الله تعالى إلا بهما .سورة مريم، الآية 31

"...وأوصاني بالصلاة والزكاة..."

لإقامة الصلوات المفروضة على الوجه الصحيح، يجب استيفاء جميع شروطها وآدابها، بما في ذلك أدائها في أوقاتها. وقد أكد القرآن الكريم مراراً على أهمية هذه الصلوات، فهي أبلغ تعبير عملي عن إيمان المرء بالله تعالى. ولأن الصلوات موزعة على مدار اليوم، فهي بمثابة تذكير دائم بيوم القيامة، يُهيئ المؤمن للحساب النهائي. وهكذا، فالصلاة ليست عمود الإيمان فحسب، بل هي الأساس الذي ترتكز عليه جميع الأعمال الصالحة، وتهدي المؤمن إلى طاعة ربه والاستعداد للآخرة. في الواقع، يحمل كل جزء من الصلاة صلة رمزية بذلك اليوم. على سبيل المثال، عندما يقف المرء في الصلاة منتصباً، فإن ذلك يمثل وقوفه يوماً ما بين يدي الله تعالى للحساب. سورة المطففين، الآيات 4-6

أَوَلَا يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُبْعَثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ

عندما يركعون، يُذكرون بالعدد الهائل من الناس الذين سيُحاسِبون يوم القيامة على تقصيرهم في الركوع لله تعالى خلال حياتهم على الأرض. هذا التواضع في الصلاة يرمز إلى الخضوع الذي كان متوقعًا منهم في: سورة المرسلات، الآية 48. الدنيا، لكنهم لم يُوفوا به

"وإذا قيل لهم اركعوا لم يركعوا"

عندما يسجد الإنسان في الصلاة، فإنه يُذكر باليوم الذي يُدعى فيه الجميع للسجود لله تعالى. ومع ذلك، فإن من أهملوا السجود له في حياتهم الدنيا - دلالةً على رفضهم طاعته تمامًا - سيجدون أنفسهم عاجزين عن ذلك: سورة القلم، الآيتان 42-43. يوم القيامة

يوم يشتد الأمر يدعون إلى السجود فيمنعون، وتخضع أعينهم، وتغشاهم الظل، وكانوا يدعون إلى السجود" وهم سالمون

عندما يركع الإنسان في الصلاة، فإنه يُذكره بكيفية سجوده بين يدي الله تعالى يوم القيامة، مُثَقلاً بالخوف: سورة الجاثية، الآية ٢٨. وهو ينتظر حسابه الأخير

".وترى كل أمة جاثية، وكل أمة تُدعى إلى كتابها، اليوم تجزون ما كنتم تعملون"

،من أدّى صلاته بتدبر هذه الأذكار، أقامها على الوجه الصحيح . هذا التدبر يضمن طاعة الله تعالى حق طاعته . سورة العنكبوت، الآية 45 . ليس فقط أثناء الصلاة نفسها، بل أيضاً فيما بينها

"...إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر"

كما هو مبين في الآية ٣١، فإن هذه الطاعة تتضمن استخدام النعم الممنوحة فيما يرضي الله، كما هو مبين في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم .سورة مريم، الآية ٣١:

"...وأوصاني بالصلاة والزكاة ..."

لا ترتبط الصلوات المفروضة بمعاملة المرء لله تعالى، بينما تمثل الزكاة المفروضة سلوكه تجاه الآخرين تشكل الزكاة المفروضة إلا جزءاً صغيراً من إجمالي ثروة الفرد، وتُطلب فقط عندما يمتلك المرء حداً أدنى محدداً .ومن مقاصدها تذكير المؤمن بأن الثروة التي في حوزته ليست ملكاً له حقاً للتصرف فيها كما يشاء؛ بل هي أمانة خلقها ووهبها الله تعالى، ولذلك يجب استخدامه وفقاً لرضاه .في الواقع، فإن كل نعمة تُمنح للإنسان هي قرض يجب رده في النهاية إلى صاحبه الشرعي، الله تعالى، ويتم هذا السداد عندما يتم استخدام هذه النعم بطرق تتوافق مع التوجيهات الواردة في القرآن الكريم وأحاديث النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم .من يغفل عن هذه الحقيقة، ويتصرف كما لو أن النعم التي وُهبَت له - كالمال مثلاً - ملكٌ خاص، فيمنع الصدقة المفروضة، ويعاقب بعقوبةٍ مماثلةٍ لعقوبة من تخلف عن سداد دينٍ دنيوي .وكمثالٍ على ذلك، يُحذّر حديثٌ في صحيح البخاري، رقمه ١٤٠٣، من أن من يمنع الصدقة المفروضة سيواجه يوم القيامة بثعبانٍ .سورة آل عمران، الآية ١٨٠ .سأّم كبيرٍ يلدغه مراراً وتكراراً

ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خير لهم بل هو شر لهم، سَتُطَوَّقُ أعناقهم بما يبخلون"
"...يوم القيامة

في هذه الدنيا، إذا استمر هذا الشخص في إساءة استخدام النعم التي وُهِبَتْ له، فسَيُصاب بحالة نفسية وجسدية غير متوازنة، وسيُسيء استخدام كل شيء وكل شخص في حياته. سيؤدي هذا إلى التوتر والمتاعب والصعوبات، حتى لو تمتع ببعض الرفاهية الدنيوية. سورة طه، الآيات ١٢٤-١٢٦

ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد
"كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى

،ولإبراز حقيقة أن النبي عيسى عليه السلام ليس إلهاً، أعلن صراحةً أنه بشر، كسائر البشر. سورة مريم
الآية 31.

"وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا ..."

يُمثل الاعتقاد المسيحي بصلب النبي عيسى عليه السلام وموته تناقضاً لاهوتياً. فجوهر الوجود الإلهي يكمن في خلوده وتعاليه على الموت الجسدي. ولكي يكون الكائن قابلاً للموت، لا يُمكن أن يكون إلهياً بحكم التعريف. لذا، فإن تأكيد موته صلباً يُفَوِّض بطبيعته ادعاء ألوهيته. هذا التناقض في العقيدة المسيحية نفسها يُشكك في المعتقد الأساسي بطبيعته الإلهية.

علاوة على ذلك، أوضح النبي الكريم عيسى عليه السلام أنه ليس له أب، وإلا لذكره عند إعلانه عن حسن معاملته لأمه مريم رضي الله عنها .سورة مريم، الآية 32

"...وبراً بوالدتي "

تتجلى الأهمية البالغة لمعاملة الوالدين بأقصى درجات العناية في التعاليم الإسلامية .فقد وردت حقوقهما دائماً في المرتبة الثانية بعد عبادة الله تعالى، في آيات عديدة من القرآن الكريم .ويؤكد هذا التشديد الهرمي على على سبيل المثال، سورة ، الواجب الجليل والمكانة الرفيعة الممنوحة للوالدين في الإطار الأخلاقي الإسلامي :البقرة، الآية 83

"...لا تعبد إلا الله وبالوالدين إحساناً ..."

إنَّ واجب الإسلام في معاملة الوالدين بأقصى درجات الاحترام واللطف، وفقاً للتعاليم الإسلامية، ركنٌ أساسيٌّ من أركان الإيمان .ويتجلى هذا الواجب جلياً في أهميته، حتى لو كان الوالدان غير مسلمين، وهو مبدأ أكدّه حديثٌ من صحيح مسلم، رقم 2325، والآية 83 من القرآن الكريم، المذكور آنفاً .والنهج الأمثل لتحقيق هذا الواجب هو معاملة الوالدين بنفس الرعاية والاهتمام اللذين يرجوهما المرء من أبنائه .إلا أن هذا لا يعني الطاعة المطلقة في جميع الأمور .فالتعاليم الإسلامية لا تأمر بالخضوع التام للوالدين عندما تتعارض تعليماتهما مع أوامر الله تعالى .فالطاعة المطلقة لله تعالى ورسوله الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، إذ إنَّ الأخير يأمر بطاعة الله تعالى وحده .ومن المفاهيم الخاطئة، المستمدة أحياناً من الممارسات الثقافية غير الإسلامية، أن يطلب الآباء من أبنائهم نفس الطاعة المطلقة التي هي واجبة لله .في الإسلام، يجوز للطفل أن يختلف مع والديه باحترام، حتى في الأمور المسموح بها شرعاً، شريطة احترامهما في أقوالهما وأفعالهما .ينبغي أن يكون الهدف الأسمى للفرد هو بلوغ معيار "الولد الصالح" كما حدده الله تعالى، لا المعايير البشرية غالباً ما تكون تعريفات "الولد الصالح" المجتمعية والأسرية والوالدية خاطئة، وقد تؤدي إلى السعي وراء

القبول البشري بدلاً من الرضا الإلهي. لا ينبغي للإنسان أن يتأثر بأوصاف الآخرين، بل يجب أن يركز على اتباع التعاليم الإسلامية المتعلقة بمعاملة الوالدين. فمن خلال السعي وراء ثواب الله تعالى ورضاه وحده سورة. يتجنب المرء خطر النفاق وإغراء معصيته من أجل الحصول على رضا الآخرين، بمن فيهم والديه. العنكبوت، الآية 8، سورة العنكبوت، الآية 29

"...ووصينا الإنسان بوالديه حسناً وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما"

من لا يدرك الإسلام كمنهج شامل للسلوك، يُنظّم العلاقة مع الله تعالى والتفاعل مع الآخرين، يُعرّض نفسه ونتيجةً لذلك، يقع في حالة من عدم التوازن العقلي والجسدي، ويُسيء. لخطر إساءة استخدام النعم الممنوحة له تقدير القيمة الحقيقية لكل شيء وكل شخص في حياته. وهذا سيجلب عليه المشقة والضيق والصعوبات في علاوةً على ذلك، يمنع هذا الموقف من الاستعداد. هذه الدنيا، حتى لو استمرّ في التمتع ببعض ملذّات الدنيا الجيد للمساءلة النهائية أمام الله تعالى يوم القيامة، حيث ستكون العواقب وخيمةً للغاية. وبإهمالهم حقوق الآخرين، يُساهمون أيضاً في انتشار الظلم والفساد في المجتمع. في المقابل، تُجسّد حياة النبي الكريم عيسى عليه السلام الفوائد العميقة للعيش وفقاً للمبادئ الإسلامية. بأداء حقوقه تجاه الله تعالى وتجاه الناس، صان نفسه من هذه العواقب الوخيمة، مجسّداً التوازن والانسجام اللذين تحققا على الصعيدين الفردي والمجتمعي: بالالتزام بالهدى الإلهي. سورة مريم، الآية 32

"ولم يجعلني من الجبارين"

بأداء حقوق الله تعالى وحقوق الناس، ينال الإنسان راحة البال. ويتحقق ذلك بتكوين حالة نفسية وجسدية: سورة مريم، الآية 33. متوازنة، وتقدير كل جانب وكل شخص في حياته تقديرًا صحيحًا

"...والسلام عليّ يوم ولدت "

،كما يحيا الإنسان يموت، وكما يموت يُبعث .وقد برز هذا المبدأ في حديث من صحيح مسلم، رقم 7232
:يُشير إلى أن من عاش ومات مسلماً مُطيعاً، سيُبعث واحداً .سورة مريم، الآية 33

"ويوم أموت ويوم أبعث حيا"

لذا، لا ينبغي للإنسان أن يعيش حياةً رغيدة، ظاناً أن مجرد إعلان الإيمان بالإسلام شفهيًا يضمن له عاقبة
حسنة يوم القيامة .فإن أصرَّ على معصية الله تعالى، ومات دون توبة صادقة، فسيُبعث في عار .ولا يحتاج
المرء إلى عالمٍ ليدرك مصير مثل هذا الشخص يوم القيامة .لذلك، لا ينبغي للمرء أن يُسيء استخدام النعم
التي أنعم بها عليه بمعصية الله تعالى، ويختار طريق الجحيم متوهمًا أنه سيُبعث صالحًا ويلحق بالصالحين
.في الجنة .سورة طه، الآيات ١٢٤-١٢٦

ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد
"كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى

إن إعلان الإيمان بالله تعالى لفظيًا لا يكفي إن لم يُدعم بالأعمال .فالإيمان، كالنبات، يحتاج إلى تغذية مستمرة
بالطاعات لينمو ويستمر .وكما يذبل النبات ويموت إن لم يتغذى بنور الشمس، كذلك قد يذبل إيمان المرء إن
لم يُدعم بالطاعة .وهذه أعظم وأعظم خسارة يمكن أن يختبرها الإنسان

:سورة مريم، الآية 33

"والسلام عليّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا "

كما ذكر سابقاً، بما أن النبي عيسى عليه السلام خُلِقَ، وسيُمَيِّت ويُبعث، كسائر البشر، فلا تُنسب إليه الألوهية .سورة مريم، الآيات 34-37

عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون .ما كان لله أن يتخذ ولدًا، تعالى، إذا قضى أمرًا فإنما يقول ذلك له كن فيكون، وإن الله ربي وربكم فاعبدوه، ذلك صراط مستقيم .فاختلفت الأحزاب من بينهم، فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم

،نشأ انتشار المعتقدات الباطلة حول النبي عيسى عليه السلام من عدة عوامل :ولادته المعجزة، ومعجزاته وعروجه إلى السماء وهو حي .وقد أكد القرآن الكريم على ولادته المعجزة للنبي عيسى عليه السلام، وصرّ :على أن ولادته من دون أب دليل على قدرة الله تعالى اللامتناهية .سورة آل عمران، الآية 47

قالت مريم رضي الله عنها :يا رب أنى يكون لي ولد ولم يمسنني بشر؟ قال :كذلك الله يخلق ما يشاء، وإذا قضى أمرًا فإنما يقول له كن فيكون

خلق الله تعالى النبي عيسى عليه السلام بلا أب، كما خلق آدم عليه السلام بلا أم ولا أم. وهذا لا يدل إطلاقاً على ألوهيتهما. سورة آل عمران، الآية 59

"إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون"

من العجيب حقاً أن المسيحيين يعتبرون النبي عيسى عليه السلام ابناً لله تعالى، لمجرد أنه وُلد من غير أب. ومع ذلك، فهم لا يطبقون هذا المنطق نفسه على النبي آدم عليه السلام، الذي خُلِقَ من غير أب ولا أم. فبمنطقهم الخاص، كان النبي آدم عليه السلام أحق بأن يُدعى ابناً لله تعالى من النبي عيسى عليه السلام، ومع ذلك لا يدعون ذلك. يُبرز هذا التناقض كيف أنهم يطبقون العقل والمنطق السليم في حالة النبي آدم عليه السلام، لكنهم يتجاهلون ذلك في حالة النبي عيسى عليه السلام.

معجزات النبي عيسى عليه السلام مؤكدة في القرآن الكريم. مع ذلك، يؤكد القرآن الكريم أنه لم يُجر هذه المعجزات إلا بمشيئة الله تعالى وإذنه وأمره. لو كان النبي عيسى عليه السلام إلهاً حقاً، لما احتاج إلى مشيئة: سورة آل عمران، الآية 49. الله تعالى أو إذنه

واجعل عيسى عليه السلام رسولاً إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تآكلون وما تدخرون في بيوتكم...

علاوة على ذلك، يُقرّ المسيحيون بأن أنبياء آخرين عليهم السلام قد صنعوا معجزات، مثل النبي موسى عليه السلام. ومع ذلك، لا يُنسبون إليهم الألوهية بسبب معجزاتهم. لذا، من غير المنطقي نسب الألوهية إلى النبي عيسى عليه السلام لمجرد معجزاته.

إن صعود النبي عيسى عليه السلام إلى السماء في حياته يُظهر قدرة الله تعالى العليا .فإن الله تعالى هو الذي رفعه وصعد به في هذه الرحلة العجيبة .ولو كان النبي عيسى عليه السلام إلهيًا حقًا، لصعوده بقدرته الذاتية، دون :آل عمران، الآية 55 حاجة إلى تدخل الله تعالى .سورة

"...إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا"

يُخبر القرآن الكريم المسيحيين أن النبي عيسى عليه السلام، خلافًا لاعتقادهم، لم يُصلب .الشخص الذي ظهر على الصليب لم يكن النبي عيسى عليه السلام، بل شخصٌ شُبّه به .في ذلك الوقت، كان الله تعالى قد رفع النبي :عيسى عليه السلام إلى السماء .سورة النساء، الآيات 156-158

ويكفرهم وقولهم على مريم بهتانًا عظيمًا، وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله، وما قتلوه وما "صلبوه، ولكن شبه لهم ...بل رفعه الله إليه

الاعتقاد المسيحي الخاطئ بأن النبي عيسى عليه السلام قد صُلب وقُتل هو اعتقاد خاطئ في جوهره، فالكائن، الإلهي الحقيقي لا يخضع لتجربة الموت .فإذا كان الكائن قادرًا على الموت، فلا يمكن أن يكون إلهيًا .لذا فإن اعتقادهم الخاطئ بشأن صلبه يتناقض في الواقع مع ادعائهم بألوهيته

الكائن الإلهي بطبيعته قائم بذاته، أي أنه لا يعتمد على أحد في وجوده أو معيشتة. وبما أن النبي عيسى عليه السلام وأمه مريم رضي الله عنها اعتمدا على الله تعالى في غذائهما ورزقهما، فلا يمكن اعتبارهما إلهيين (سورة المائدة، الآية 75). لقد كانا معتمدين كلياً على الله تعالى، مما يؤكد طبيعتهما البشرية.

ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صدوقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يُضلون

علاوة على ذلك، لا يمكن لأحد أن يدّعي أن الملائكة إلهية لمجرد أنهم لا يأكلون. في الواقع، هم أيضاً يُرزقون من الله تعالى بما يليق بخلقهم. إنهم ليسوا قادرين على البقاء، ومجرد خُلقوا وسيموتون في النهاية. كسائر المخلوقات، كافٍ لنفي أي ادعاء للآلوهية.

يشارك الطفل البيولوجي مع والديه في بعض الصفات، أما النبي عيسى عليه السلام فلا يشترك مع الله تعالى في أي صفات. فجميع صفاته بشرية: خُلق، ورزق بالطعام والشراب، وعاش، وسيموت، وسيُبعث، كسائر البشر. هذه الصفات وحدها كافية لنفي أي ادعاء للآلوهية. علاوة على ذلك، لا ينطبق أيٌّ من الأسباب التي سورة. قد تدفع الإنسان إلى إنجاب طفل - كالحماية في الكبر، أو الميراث، أو الصحبة - على الله تعالى: الإسراء، الآية ١١١

"...الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الدنل"

أدخل الرومان الذين اعتنقوا المسيحية الإيمان بالآلوهية النبي عيسى عليه السلام في دينهم، مُدمجين مفاهيم من ممارساتهم الوثنية السابقة. واتخذوا نبياً كريماً مباركاً عليه السلام، وربطوه بالأساطير والخرافات، مثل

زيوس وهرقل وأودين. ولا يتطلب الأمر سوى تطبيق بسيط للعقل السليم لفهم أن الكائن المخلوق، الذي يُعيله غيره، والمعرض للموت، لا يمكن أن يكون إلهيًا، لأن هذه الصفات تتناقض مع جوهر الألوهية.

رغم الأدلة القاطعة على أن النبي عيسى عليه السلام كان رسول الله تعالى، إلا أن كثيرًا من المسيحيين لا يزالون متمسكين بهذه المعتقدات الخاطئة. ومن أهم أسباب ذلك التقليد الأعمى للأجيال السابقة. فهذا التقليد يمنع الأفراد من التقييم النقدي للمعرفة والأدلة، ويثنيهم عن التشكيك في المعتقدات والافتراضات التي نشأوا عليها. وهذا يتناقض مع الفطرة السليمة وتعاليم الإسلام، فالبشر خُلِقوا للتفكير والتدبر، لا للاتباع دون تردد.

لذلك، يجب على المرء دائمًا تجنب التقليد الأعمى، فهو سبب رئيسي للضلال. بدلًا من ذلك، ينبغي على الأفراد استخدام عقولهم، وتقييم المعرفة والأدلة في كل موقف - سواء أكان دنيويًا أم دينيًا - واتخاذ قرارات مستنيرة. حتى في الإسلام، يُنتقد التقليد الأعمى، حيث يأمر الله تعالى الناس بدراسة التعاليم الإسلامية وفهمها: سورة يوسف، الآية 108. والعمل بها على أساس الفهم، وليس مجرد تقليد ممارسات الآخرين دون فهم.

"...قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني"

من الأسباب الرئيسية الأخرى التي تدفع الكثير من المسيحيين إلى التشبث بمعتقداتهم المتعلقة بالنبي عيسى عليه السلام، رغم الدلائل القاطعة على كونه رسول الله تعالى، هو رغبتهم في إشباع شهواتهم الدنيوية. تُروج بعض العقائد المسيحية لفكرة أن الخلاص في الدنيا والآخرة مضمونٌ لمن يؤمنون بالمسيحية، بغض النظر عن أفعالهم. يتيح هذا الاعتقاد للأفراد السعي وراء ملذات الدنيا بحرية، منتظرين خلاصًا أكيدًا. وبالتالي يتمسكون بهذه المعتقدات لأن تركيزهم الأساسي ينصب على إشباع شهواتهم الدنيوية بدلًا من الالتزام بقاعدة أخلاقية وروحية عليا، تشجع على حسن استخدام النعم التي أنعم الله بها عليهم. سورة مريم، الآيات 36-38

،قال عيسى عليه السلام {وإن الله ربي وربكم فاعبدوه، ذلك صراط مستقيم .}فاختلفت الأحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم .كيف يسمعون ويبصرون يوم يأتوننا، والظالمون اليوم في ضلال مبين.

،يُعلّم الإسلام البشرية أنه في كل ظرف، فإن الكائن الوحيد الذي تجب عليه الطاعة المطلقة هو خالقها ورازقها :الله تعالى .سورة مريم، الآية 36

"[قال عيسى [وإنَّ اللهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ"

في الحقيقة، كل من يُطيعه الفرد ويُقتدي به في حياته هو في الواقع موضع عبادته، حتى لو كفر بأي إله .لقد فطرت الطبيعة البشرية على طاعة شيء ما واتباعه حتمًا، سواءً كان ذلك الآخرين، أو وسائل التواصل سورة الفرقان، الآية .الاجتماعي، أو الموضات السائدة، أو الأعراف الثقافية، أو حتى ما تُمليه عليه أهواؤه 43.

"...أرأيت من اتخذ إلهه هواه"

كل من يطيعه الإنسان ويُقتدي به، يصبح في جوهره موضع عبادته .ولذلك، يُطلب من المسلمين تعزيز إيمانهم اللفظي بالعمل الدؤوب، بطاعة الله تعالى خالصة في جميع الأحوال وفوق كل اعتبار .هذه الطاعة تستلزم توظيف النعم التي أنعم الله بها عليهم بما يرضي الله تعالى، كما ورد في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم .من سلك هذا الطريق، نال الطمأنينة والنجاح الحقيقي، بتحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، وحسن توزيع كل شيء وكل شخص في حياته.

أما من ينكر وحدانية الله تعالى، ويوجه طاعته وإخلاصه لغيره، فسُحِرم من الرحمة الضرورية لنيل راحة البال والنجاح في الدنيا والآخرة بل سيصرّ على معصية الله تعالى، بإساءة استخدام نعمه التي أنعم بها عليه ونتيجةً لذلك، سيقع هؤلاء الأفراد في حالة نفسية وجسدية غير متوازنة، يُسيئون توزيع كل شيء وكل شخص، في حياتهم. إن عدم انسجامهم مع الهداية الإلهية سيمنعهم من الاستعداد الكافي للحساب يوم القيامة. وبالتالي سيُثقل كاهلهم بالتوتر والمشقة والصعوبات في الدنيا والآخرة، حتى وإن تظاهروا بالتمتع ببعض الرفاهية الدنيوية. فبدون طاعة الله تعالى، والاستخدام الصحيح لنعمه، لا يمكن لأي امتلاك مادي أو متعة زائلة أن. سورة طه، الآيات ١٢٤-١٢٦. تُوفّر سلامًا حقيقيًا أو رضا دائمًا

ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد "كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى

:سورة مريم، الآية 36

"[قال عيسى [وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ"

عندما يتأمل المرء في خلق السماوات والأرض، وما فيها من أنظمة متوازنة لا تُحصى، يتبين له أن لا إله إلا هو الذي أوجد الكون ويحافظ عليه. ومن دلائل هذه الحقيقة بُعد الشمس عن الأرض؛ فلو كانت أقرب أو أبعد قليلاً، لصار الكوكب غير صالح للسكن. كذلك، خُلقت الأرض بحيث تحافظ على جوّ نقيّ ومتوازن، مما يُمكن الحياة من الازدهار عليها). سورة البقرة، الآية ١٦٤)

"...واختلاف الليل والنهار ..."

إن التنظيم الدقيق للنهار والليل، مع تفاوت أطوالهما على مدار العام، يُمكن البشرية من تحقيق أقصى استفادة ممكنة منهما. فإذا طالت الأيام، عانى الناس من التعب من ساعات العمل الطويلة. وإذا طالت الليالي، لم يتبق وقت كافٍ لكسب الرزق أو ممارسة أنشطة نافعة أخرى، كإكتساب المعرفة. وعلى العكس، إذا قصرت الليالي، حُرِم الأفراد من الراحة الكافية، مما أضرَّ بصحتهم. كما أن أي تغيير في طول الليل والنهار المُقرر سيُعطل الدورات الزراعية، مما يؤثر سلبيًا على رزق الناس والحيوانات. إن كون الليل والنهار، وغيرهما، من الأنظمة الكونية المتوازنة بدقة، تعمل بانسجام تام، دليلٌ جليٌّ على وحدانية الله تعالى؛ فلو تعدد الآلهة لاختلَّت مشيئة كلِّ منهم، مما أدى إلى فوضى واضطراب في الكون). سورة الأنبياء، الآية ٢٢)

"وَلَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا"

:سورة البقرة، الآية 164

"والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء "

عندما يتأمل المرء دورة المياه المتوازنة تمامًا، يُصبح ذلك دليلًا لا لبس فيه على وجود خالق يتبخر ماء البحار، ويصعد، ويتكثف مُشكلاً أمطاراً حمضية تتساقط على الجبال. تعمل هذه الجبال كمرشحات طبيعية تُعادل حموضة الماء، ليصبح صالحاً للاستخدام البشري والحيواني. أي تغيير في هذا النظام الدقيق سيؤدي إلى عواقب وخيمة على الحياة على الأرض.

يؤدي محتوى الملح في البحار وظيفة حيوية: فهو يمنع تحلل الكائنات البحرية الميتة من تلويث المياه. فإذا تلوثت المحيطات بهذه الطريقة، ستختفي الحياة البحرية، وستنتشر الشوائب الناتجة إلى اليابسة، مدمرة الحياة البرية أيضًا. علاوة على ذلك، فقد وُضع تكوين مياه المحيطات بحيث تزدهر الحياة البحرية فيها، بينما تبقى السفن الثقيلة طافية على سطحها. إن أي تغيير طفيف في هذا التكوين من شأنه أن يحدث خللاً، يسمح إما للحياة البحرية بالازدهار أو للسفن بالإبحار - ولكن ليس كليهما في آن واحد. حتى في العصر الحديث، لا يزال النقل البحري هو الوسيلة الأكثر استخدامًا لنقل البضائع عبر العالم، مما يؤكد ضرورة هذا التوازن المثالي لاستدامة الحياة على الأرض.

وبالمثل، عند دراسة التنوع الهائل للأنواع، يتضح جلياً أنها خُلقت في انسجام تام مع بيئاتها. التطور، كونه عملية طفرة، ليس كاملاً بطبيعته؛ ومع ذلك، يُظهر العالم الطبيعي أمثلة لا تُحصى على التكيف المثالي فالجمل، على سبيل المثال، صُمم لتحمل الحرارة الشديدة والبقاء لفترات طويلة دون ماء، مما يجعله مثاليًا. سورة الغاشية، الآية 17. لحياة الصحراء. هذا الكمال في التصميم دليل واضح على الخلق المتعمد.

أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ؟

لقد خُلقت الماعز على نحوٍ مثاليٍّ بحيث تنفصل الشوائب في جسمها تمامًا عن الحليب الذي تُنتجه. ولو اختلطت هذه الشوائب بالحليب، لأصبح غير صالح للشرب. هذا الفصل الدقيق دليلٌ آخر على كمال تصميم الله تعالى: وحكمته. سورة النحل، الآية 66

وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها من بين فرث ودم لبنًا خالصًا سائغًا للشاربين.

وَهَبَ كُلُّ نَوْعٍ عَمْرًا مُحَدَّدًا يُسَاعِدُ عَلَى الْحِفَافِ عَلَى التَّوَازُنِ فِي النِّظَامِ الطَّبِيعِيِّ، مَانِعًا أَيَّ نَوْعٍ مِنْ أَنْ يُهَيِّمَ عَلَى الْبَقِيَّةِ. عَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ، يَمْتَلِكُ الذَّبَابُ عَمْرًا قَصِيرًا جَدًّا لَا يَتَجَاوَزُ ثَلَاثَةَ إِلَى أَرْبَعَةِ أَسَابِيعٍ، وَمَعَ ذَلِكَ فَهُوَ قَادِرٌ عَلَى وَضْعِ مَا يَصِلُ إِلَى خَمْسِمِائَةِ بَيْضَةٍ. لَوْ طَوَّرَ عَمْرَهُ، لَزَادَتْ أَعْدَادُهُ بِشَكْلِ غَيْرٍ مُتَنَاسِبٍ، مُتَغَلِّبًا فِي النِّهَايَةِ عَلَى الْأَنْوَاعِ الْآخَرَى فِي هَذَا الْعَالَمِ. عَلَى الْعَكْسِ مِنْ ذَلِكَ، فَإِنَّ الْمَخْلُوقَاتِ الَّتِي وَهَبَتْ بِعَمْرِ طَوِيلٍ تَقْتَصِرُ عَادَةً عَلَى إِنْتَاجِ عَدَدٍ قَلِيلٍ فَقَطْ مِنَ النَّسْلِ، مِمَّا يَضْمَنُ بَقَاءَ أَعْدَادِهَا مُعْتَدِلَةً. لَا يُمَكِّنُ أَنْ يُعْزَى هَذَا التَّنْظِيمُ الدَّقِيقُ بَيْنَ طَيْفِ الْكَائِنَاتِ الْحَيَّةِ إِلَى مَجْرَدِ الصَّدْفَةِ، وَلَا يُمَكِّنُ تَفْسِيرَهُ تَفْسِيرًا وَاقِيًا بِعَمَلِيَّاتِ التَّنْظِيرِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ، الْآيَةُ. غَيْرِ الْكَامِلَةِ وَالْعَشْوَانِيَّةِ. بَلْ هُوَ دَلِيلٌ وَاضِحٌ عَلَى التَّصْمِيمِ الْمُقْصُودِ وَالْحِكْمَةِ الْمُطْلَقَةِ ١٦٤:

"...وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض ..."

تَلْعَبُ الرِّيحُ دَوْرًا حَيَوِيًّا فِي اسْتِمْرَارِ الْحَيَاةِ، فَهِيَ ضَرُورِيَّةٌ لِلتَّلْقِيحِ، مِمَّا يُمَكِّنُ الْمَحَاصِيلَ وَالنَّبَاتَاتِ وَالْأَشْجَارَ، مِنَ التَّكَاثُرِ. فِي الْعَصُورِ الْقَدِيمَةِ، كَانَتْ لَا غَنَى عَنْهَا لِلسَّفَرِ الْبَحْرِيِّ، وَهِيَ وَظِيفَةٌ لَا تَزَالُ مَهْمَةً حَتَّى الْيَوْمِ حَيْثُ لَا يَزَالُ النُّقْلُ الْبَحْرِيُّ الْوَسِيلَةَ الْأَسَاسِيَّةَ لِنَقْلِ الْبَضَائِعِ عِبْرَ الْعَالَمِ. كَمَا تَعْمَلُ الرِّيحُ عَلَى حَمْلِ السَّحَابِ الْمَمْطَرَةِ إِلَى مَنَاطِقٍ مُحَدَّدَةٍ، مِمَّا يَضْمَنُ تَوْفِيرَ الْمِيَاهِ، الَّتِي بِدُونِهَا لَا يُمْكِنُ لِلخَلِيقَةِ الْبَقَاءَ. تَتَمَيَّزُ الْأَرْضُ بِنِظَامِ رِيحٍ مُتَوَازِنٍ تَمَامًا؛ فِغْيَابِ الرِّيحِ يُغْرِقُ الْخَلِيقَةَ فِي الْفَوْضَى، بَيْنَمَا تُؤَدِّي الرِّيحُ الشَّدِيدَةُ إِلَى الْفَوْضَى أَيْضًا وَبِالْمَثَلِ، يُنْظَمُ هَطُولُ الْأَمْطَارِ بِدَقَّةٍ: فِقْلَةُ الْأَمْطَارِ تُسَبِّبُ الْجَفَافَ وَالْمَجَاعَةَ، بَيْنَمَا تُسَبِّبُ الْأَمْطَارُ الْعَزِيرَةُ فَيَضَانَاتٍ وَاسِعَةَ النِّطَاقِ. هَذَا التَّوَازُنُ الدَّقِيقُ فِي كُلِّ مِنَ الرِّيحِ وَالْمَطَرِ دَلِيلٌ وَاضِحٌ عَلَى كَمَالِ حِكْمَةِ اللَّهِ. سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ، الْآيَةُ ١٨. تَعَالَى وَتَدَبَّرْهُ

"ولقد أنزلنا من السماء ماءً بقدرٍ فأسكنناه في الأرض وإنا على ذهابٍ به لقادرون"

من يتأمل هذه الأنظمة المتوازنة تمامًا لا يستطيع، بعقل سليم، أن ينكر وجود خالق واحد ذي قدرة مطلقة على كل شيء. هذا التناغم والدقة في الخلق يشهدان على سلطان الله تعالى وحكمته التي لا مثيل لها. سورة مريم: الآية 36

"[قال عيسى] وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ"

في الواقع، كل كائن معرض للموت ومعتمد على شيء أو شخص آخر في معيشته لا يمكن أن يكون إلهاً. هذه الحقيقة وحدها تنفي ألوهية كل كائن في السماوات والأرض، إلا الله تعالى. ولأنه وحده خالق الحياة والموت ورازق الخلق، فهو وحده المستحق للطاعة المطلقة

علاوة على ذلك، من المسلم به أن من وقر جوانب معينة من احتياجات الآخرين - مثل المأوى - يستحق الشكر. لذلك، من العدل والإنصاف أن يُعرب الناس عن شكرهم لله تعالى، الذي أنعم عليهم بكل نعمة في الكون. الشكر في النية يستلزم العمل لمرضاة الله تعالى فقط؛ أما من عمل لغير ذلك فلن ينال جزاءه. وقد أكد على هذا المبدأ حديث رواه الترمذي برقم 3154، والذي يحذر من نفاق النوايا. ومن علامات حسن النية الواضحة عدم توقع المرء أو رغبته في التقدير أو المكافأة من الناس. الشكر باللسان هو قول الخير فقط أو السكوت. الشكر بالعمل يتضمن استخدام النعم التي أنعم بها الله تعالى بطرق تتفق مع رضوانه، كما هو منصوص عليه في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. هذا الشكر الشامل يؤدي إلى زيادة، من خلال تحقيق حالة ذهنية وجسدية متوازنة، النعم، ويؤدي في النهاية إلى راحة البال في الدنيا والآخرة: سورة إبراهيم، الآية 7. ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في مكانه الصحيح في حياتهم

لئن شكرتم لأزيدنكم

من المُسلّم به عمومًا أن الإنسان عندما يمتلك شيئًا ما، فمن الطبيعي والصحيح أن يستخدمه بالطريقة التي يشاء. وكما أن الله تعالى هو الخالق والمالك والرازق لكل ما في الكون - بما في ذلك الإنسان - فهو وحده من يُقرر ما ينبغي أن يحدث فيه وما لا ينبغي. لذا، فمن العدل تمامًا أن يُطيع الإنسان الله تعالى، فهو وحده المالك المطلق للكون كله، بما في ذلك نفسه.

كذلك، عندما يُقرض شخصٌ ما يملكه لشخصٍ آخر، فإن الإنصاف يقتضي أن يستخدم المُقرض الشيء بما يُرضي صاحبه. وفي هذا الصدد، فإن كل نعمةٍ أنعم الله بها على شخصٍ ما هي في الحقيقة قرضٌ، وليست هبةً. وكما هو الحال مع أي قرضٍ دنيوي، يجب سداذه؛ والوسيلة الوحيدة لسداذه هي استخدام هذه النعم فيما سورة. يُرضي الله تعالى. أما بركات الجنة فهي هبة، ولذلك يكون لمن ينالها حرية التصرف فيها كما يشاء الأعراف، الآية 43:

"وقيل لهم: تلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون ..."

يجب على الإنسان، إذن، أن يحرص على عدم خلط النعم الدنيوية - الممنوحة كقرض والموكلة للاستخدام المسؤول - مع هدايا الجنة، التي تُمنح بحرية للاستمتاع غير المقيد.

كما ذكرنا سابقًا، من أهم أسباب إصرار البعض على الإيمان بالوهية النبي عيسى عليه السلام هو السعي وراء شهواتهم الدنيوية ونيل النجاة في الآخرة. أما من لا يتقبل حقيقة النبي عيسى عليه السلام، فسيستمر حتمًا في معصية الله تعالى، بإساءة استخدام نعمه التي أنعم بها عليهم. في هذه الدنيا، يمنع هذا الموقف الإنسان من تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، ويدفعه إلى إهمال كل شيء وكل شخص في حياته. ونتيجةً لذلك، تصبح عناصر حياته - كالعائلة والأصدقاء والعمل والثروة - مصادر للتوتر. إذا أصرَّ على معصية الله تعالى، فقد يُلقي باللوم على من لا يُطبقونه أو على الظروف، كالزوج مثلاً، في مصاعب الحياة. إن استبعاد الأشخاص الطيبين من حياته يزيد من توتره النفسي، وقد يؤدي إلى الاكتئاب وإدمان المخدرات، بل وحتى الانتحار. يتجلى هذا النمط فيمن يُسيئون استخدام النعم المُنعم بها، بمن فيهم الأغنياء والمشاهير، حتى وإن كانوا يتمتعون

برفاهية الدنيا .ولأن هذا الموقف يمنعهم من الاستعداد للحساب يوم القيامة، فإن عقابهم في الآخرة سيكون أشد بكثير). سورة مريم، الآيتان 37-38)

ثم اختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم كيف يسمعون ويبصرون يوم يأتوننا"
والظالمون اليوم في ضلال مبين

ثم يحث الله تعالى البشر على الاستعداد العملي للحساب يوم القيامة تفاديًا للندم الكارثي .سورة مريم، الآية 39:

وأُنذِرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة

لتسليط الضوء على قرب يوم القيامة، لم يُذكر في النص العربي أيُّ اقتراح إضافيٍّ كتشجيعٍ إضافيٍّ على ،وبوجه عام، يُعدُّ التفاؤل الكاذب بطول العمر صفةً مذمومةً للغاية .تجنَّب تأجيل الاستعداد للحساب يوم القيامة إذ غالبًا ما يدفع المرء إلى تقديم جمع متاع الدنيا على الاستعداد للآخرة .إنَّ تأملًا بسيطًا في يوم الإنسان العادي، الذي يتكون من أربع وعشرين ساعةً - بمقارنة الوقت المخصص للمساعي الدنيوية بالوقت المخصص للآخرة - يكشف عن حقيقة هذا الأمر .إنَّ التفاؤل الكاذب بطول العمر من أقوى أسلحة الشيطان لتضليل الناس .فعندما يظن المرء أنه سيعيش طويلاً، فإنه يؤجل الاستعداد للآخرة، خادعًا نفسه بأنه سيفعل ذلك في المستقبل القريب .وفي أغلب الأحيان، لا يأتي هذا "المستقبل القريب"، فيُدركه الموت قبل أن يُعدَّ .استعداده كما ينبغي

علاوة على ذلك، فإن الأمل الكاذب بطول العمر يُؤخر التوبة الصادقة وبذل الجهد لإصلاح النفس، إذ يظن المرء أن لديه متسعًا من الوقت لإجراء مثل هذه التغييرات .كما أنه يُشجع على اكتناز الممتلكات الدنيوية

كالثروة، متوهمًا أنها ستكون ضرورية طوال حياته الطويلة على الأرض. ويثير الشيطان الخوف من الفقر في الكبر، مُوحياً بأنه بدون اكتناز الثروة، لن يجد المرء سندًا عندما تضعف قوته البدنية ويستحيل عليه العمل. هذا التفكير يتجاهل حقيقة أن الله تعالى، الذي رزقهم في شبابهم، سيرزقهم أيضًا في كبرهم. في الواقع، قُدِّر رزق الخلق جميعًا قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف عام، كما هو مؤكد في حديث صحيح مسلم، رقم 6748. ومن اللافت للنظر أن المرء قد يُكرّس أربعين عامًا للادخار للتقاعد - وهي فترة نادرًا ما تتجاوز عشرين عامًا - ولكنه لا يُجهِّز نفسه للآخرة الخالدة بنفس القدر من الاجتهاد.

لا يُحرّم الإسلام الاستعداد للدنيا، ولا حرج في الادخار للمستقبل القريب، بشرط أن تبقى الآخرة هي الأولوية ومع ذلك، ورغم إدراكهم أن الموت قد يأتي في أي لحظة، يعيش البعض كأنهم خالدون في الدنيا. بل حتى لو وُعدوا بالحياة الأبدية في الدنيا، فلن يسعوا جاهدين لجمع ثروات الدنيا أكثر مما يفعلون، إذ يُقيّد قِيود الليل والنهار. فكَم من مات قبل الأوان؟ وكَم من تنبهوا وغيّروا سلوكهم؟

- في الحقيقة، إن من أعظم الآلام التي يختبرها الإنسان عند الموت - أو في أي مرحلة من مراحل الآخرة: الندم الشديد على تأخيرته في الاستعداد للحياة الأبدية. سورة المنافقون، الآيتان ١٠-١١

وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكون من الصالحين ولن يؤخر الله نفسًا إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون.

يُعتبر المرء أحمقًا إن كرّس وقتًا وجهدًا ومالًا أكثر لمنزلٍ لن يسكنه إلا لفترةٍ وجيزة، مُهملاً المنزل الذي كان ينوي الإقامة فيه لفترةٍ أطول. وهذا تشبيهٌ واضحٌ لتفضيل الدنيا الفانية على الآخرة الخالدة.

ينبغي على الناس أن يسعوا للفلاح في الدنيا والآخرة، مع الأخذ في الاعتبار أن الموت يأتي في وقت غير معلوم، وفي ظرف غير متوقع، وليس في عمر محدد، ولكنه آتٍ لا محالة. لذا، فإن الاستعداد للموت وما يليه يجب أن يُقدم على الاستعداد لمستقبل في هذه الدنيا، وهو في حد ذاته غير مؤكد وقد لا يتحقق أبدًا. سورة مريم، الآية 39

وأُنذِرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون

ينبغي على الناس أن يدركوا أن الندم ينقسم إلى قسمين: الأول يتعلق بأمور الدنيا، كالعزوف عن الزواج أو الإنجاب. والثاني يتعلق بالندم في القبر ويوم القيامة، كعدم استغلال النعم والخيرات بما يرضي الله تعالى

الندم الدنيوي، مهما كانت طبيعته، لا يدوم. يزول إما بتحقيق رغبة المرء، أو بتغيير نظرته، أو برحيله عن هذه الدنيا. هو بطبيعته مؤقت، فأطول ما يدوم هو الموت. علاوة على ذلك، فهو تافه، فقد يُسبب الحزن، لكنه لا يُسبب عذابًا شديدًا. ويزول هذا الندم تمامًا إذا دخل المرء الجنة برحمة الله تعالى

،في المقابل، فإن ندم الآخرة دائم. فمدة وجود المرء في القبر ويوم القيامة أطول بكثير من مدة الحياة الدنيا ولن يزول هذا الندم حتى يدخل الجنة، وهي نتيجة قد لا تحدث أبدًا، أو قد تتأخر طويلًا. إن يومًا واحدًا في الآخرة يُعادل ألف سنة في الدنيا). سورة الحج، الآية 47)

"وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون"

وأخيرا فإن هذه الندمات لها أهمية كبيرة، لأنها قد تؤدي إلى العقاب الشديد والعذاب في الآخرة.

لذا، ينبغي للإنسان أن يتأمل هذه الحقيقة بعمق، وأن يُحسن إلى نفسه بالسعي أولاً إلى إزالة ما قد يواجهه من ندم في القبر ويوم القيامة، قبل أن يُحاول معالجة ندم الدنيا). سورة الفجر، الآيتان ٢٣-٢٤)

"وعرضت جهنم يومئذ، يومئذ يتذكر الإنسان، فأنى له الذكر؟ قال يا ليتني قدمت لحياتي "

:وسورة مريم الآية 39

وأُنذِرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون

يُحذّر الجزء الأخير من هذه الآية أيضاً من أن المسلم إذا لم يُدعم إيمانه بالله تعالى واليوم الآخر بالأعمال من الضروري أن نفهم أن الإيمان كالنبته. الصالحة، فإنه في خطرٍ عظيمٍ من مغادرة هذه الدنيا دون إيمانه التي يجب تغذيتها بالطاعات لتزدهر وتعيش. وكما أن النبتة تموت دون قوتٍ أساسي كضوء الشمس، فإن إيمان الإنسان قد يهلك أيضاً إذا لم يُغذَّ بالطاعات. وهذه أعظم خسارة وأعظمها

ثم يُشير الله تعالى إلى أن السبب الرئيسي لعدم استعداد الناس عملياً للحساب يوم القيامة، بحسن استغلال نعمه التي أنعم بها عليهم كما وردت في التعاليم الإسلامية، هو أن ذلك يتعارض مع رغباتهم وأمانيتهم الدنيوية ولكي يُثنيهم عن هذا الموقف الخاطئ، يُذكرهم بأن رغباتهم وأمانيتهم الدنيوية كلها زائلة، ولن تُعينهم على نيل راحة البال في الدنيا ولا في الآخرة). سورة مريم، الآية 40)

"إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ"

في الواقع، في حديثٍ ورد في صحيح مسلم، رقم 7420، حدّر النبي محمد صلى الله عليه وسلم من أن ما يملكه الإنسان حقاً لا يرتبط إلا بثلاثة أشياء. أولها ما ينفقه الإنسان من ماله على الطعام واستهلاكه. ينبغي على الإنسان أن يُنفق على الطعام باعتدال، مُتجنباً الإفراط والتبذير والإسراف، لأن هذا السلوك يُعدّ من سورة الأعراف، الآية 31. المحرمات

"وكلوا واشربوا ولا تُسرفوا إنه لا يُحب المُسرفين"

من الضروري أن يتناول الإنسان الحلال فقط، فالدعاء مردودٌ بأكل الحرام، كما ورد في صحيح مسلم، رقم 2346. فإذا رُدّ دعاء المرء، فكيف يُقبل سائر أعماله عند الله تعالى؟ بل إن حديثاً في صحيح مسلم، رقم 2342، يدل على أن كل عمل صالح نابع من الحرام مردود. فكما أن أساس الإسلام الباطن هو النية، فكذلك، أساسه الظاهري هو الحصول على الحلال والانتفاع به.

علاوة على ذلك، يجب على الإنسان أن يتبنى عقلية تناول الطعام البسيط بحيث يأكل من أجل العيش، بدلاً من العيش من أجل الأكل، وتجنب تشتيت المعدة المستمر عن المسؤوليات والواجبات الأكثر أهمية.

المجال التالي الذي يُنفق فيه المرء أمواله هو الملابس. وينبغي عليه أيضًا تجنب الإسراف والتبذير، إذ وُصف
:سورة الإسراء، الآية ٢٧. هذا السلوك بأنه أشبه باتباع سبيل الشيطان

"...إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين"

ينبغي للإنسان أن يرضى باللباس الجميل النظيف البسيط، فهو من الإيمان، كما ورد في حديث سنن ابن ماجه
رقم 4118. لا يعارض الإسلام المظهر الحسن، ولكن من المهم أن نفهم أنه يمكن تحقيق ذلك دون إنفاق
مبالغ طائلة من المال أو الوقت. يجب ألا يتعارض الاهتمام بالمظهر الجيد مع واجبات المرء ومسؤولياته
في الواقع، كلما زاد انغماس المرء في مظهره، زاد احتمال إسرافه في مجالات أخرى من الحياة، مثل سيارته
،ومنزله وطعامه. وهذا يعيق استخدامه للنعم التي وُهِبَتْ له على الوجه الذي يرضي الله تعالى. ونتيجة لذلك
،سيقع في حالة من عدم التوازن العقلي والجسدي، ويفقد الاحترام الواجب لكل شيء وكل شخص في حياته
،مع إهماله الاستعداد للمحاسبة يوم القيامة. سيؤدي هذا حتمًا إلى التوتر والمشقة والصعوبات في العالمين
حتى لو بدا أنه يتمتع ببعض الكماليات الدنيوية

الجزء الأخير من ثروة الإنسان الحقيقية هو ما يُقدمه إلى الآخرة باستخدامه فيما يرضي الله تعالى. ويشمل
ذلك قضاء حوائج نفسه وحاجات من يعولهم، مع اتباع تعاليم الإسلام دائمًا، وتجنب الإسراف والتبذير. لا
ينطبق هذا المبدأ على الثروة فحسب، بل على جميع النعم التي وُهِبَتْ للإنسان. فكلما استخدم الإنسان هذه النعم
،بما يرضي الله تعالى، زاد نعيمه وتوفيقه في الدنيا والآخرة، من خلال تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة
ومن خلال حسن توزيع كل شيء وكل شخص في حياته. سورة النحل، الآية 97

"من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون"

وختامًا، ينبغي للإنسان أن يتذكر أن أولي الرزق - الطعام والكساء - قد ضمنهما الله تعالى ضمناً، ضمن رزقهما، الذي قُدِّرَ قبل خلق السماوات والأرض بأكثر من خمسين ألف عام. وقد أكد ذلك حديثٌ في صحيح مسلم، رقم 6748. لذا، ينبغي على المرء أن يسعى في هذه الضروريات باعتدال، وأن يُركز بدلاً من ذلك على الجانب الثالث: إيداع الأموال في الآخرة. أما ما عدا ذلك من أشكال اكتساب الأموال واستخدامها، فليس ملكاً لأحد، بل يُترك لغيره، وإن كان سيُحاسب عليه يوم القيامة. سورة مريم، الآية 40

"إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ"

لكي يُدرك الإنسان أهمية استغلال النعم الممنوحة له كما وردت في التعاليم الإسلامية، عليه أن يُدرك الفرق فعندما يسعى المرء وراء ملذات الدنيا، سيلاحظ سرعة زوال. بين لحظات المتعة العابرة وراحة البال الدائمة لذته. على سبيل المثال، بعد العودة من عطلة، تتلاشى هذه المتعة سريعاً، مما يدفعه إلى التخطيط للعطلة التالية لاستعادة تلك اللذة. وبالمثل، فإن متعة مشاهدة فيلم أو مسلسل تلفزيوني زائلة، تدفعه إلى مشاهدة شيء آخر لإعادة عيشها. هذا السعي الدائم وراء المتعة العابرة هو المحرك الرئيسي لصناعة الترفيه، وينطبق على جميع الأنشطة الباطلة أو المحرمة.

في المقابل، فإن حلاوة الأعمال التي تُرضي الله تعالى تبقى في القلب. فمثلاً، من أدى فريضة الحج بإخلاص، يبقى حلاوته لعقود. ومن أتم مشروعاً خيرياً بإخلاص، كبناء مسجد أو كفالة يتيم، يبقى حلاوته لسنوات. ولذلك، فعلى من يرغب في دوام حلاوة النفس أن يسعى إليها فيما يُرضي الله تعالى، لا فيما لا طائل منه أو معصية.

هذه الحقيقة دليلٌ قاطعٌ على ما يحمل قيمةً حقيقيةً في هذه الدنيا. فكلُّ ما يدوم له قيمةٌ حقيقية، أما ما يذبل:
سورة النحل، الآية 96. سريعاً فهو متقلبٌ لا قيمة له

"...كل ما لديك فان، وما عند الله باقي"

تُحدّد قيمة الإنسان بما يسعى إليه. فإذا سعى إلى ما هو دائم وقيم، كان لسلامه وأعماله قيمة باقية. أما إذا سعى إلى ما هو متقلب وعديم القيمة، فسرعان ما يتلاشى شعوره بالمتعة، فتفقد حياته قيمته الحقيقية، ويواجه محاسبته يوم القيامة محروماً من كل خير. سورة مريم، الآيتان 39-40

يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم في غفلة ولا يؤمنون. إنا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا وأنذرهم يرجعون.

بعد أن حثّ الله تعالى الناس على حسن السلوك، من خلال استغلال النعم التي أنعم الله عليهم بها استغلالاً صحيحاً، كما ورد في التعاليم الإسلامية، لينعموا براحة البال في الدنيا والآخرة، من خلال توازنهم النفسي، والجسدي، وحسن توزيعهم لكل شيء وكل شخص في حياتهم، ضرب الله تعالى أمثلة على من أحسنوا السلوك وعاقبتهم، ليستقيم الناس على الطريق القويم). سورة مريم، الآية 41)

"...واذكر في الكتاب إبراهيم"

عمومًا، الغرض الأساسي من استذكار سيرة عباد الله الصالحين هو إلهام المرء للاقتداء بسيرتهم مع الله تعالى ومع الناس. كما أن التأمل في سيرتهم يُعزز العزيمة على طاعة الله تعالى، إذ تُظهر كل قصة كيف نالوا راحة البال في الدنيا والآخرة بطاعتهم الثابتة، رغم ما عانوه من محن. لذا، من الضروري دراسة هذه القصص بقصد الهداية والنفع. فمن لم يفعل ذلك، واكتفى بذكر الصالحين للتسلية فقط، لن يزداد طاعةً لله تعالى، بل سيستمر في إساءة استخدام النعم الممنوحة لهم، مما يؤدي إلى اختلال في الحالة النفسية والجسدية واختلال في ترتيب الأولويات والعلاقات، وإهمال في الاستعداد الجيد للحساب يوم القيامة. إن مثل هذا الإهمال سيؤدي حتمًا إلى التوتر والضيق والصعوبة في الدنيا والآخرة، حتى لو تمتعوا ببعض الرفاهية الدنيوية.

بالإضافة إلى ذلك، فقد أُشير إلى استذكار عباد الله الصالحين من خلال دراسة حياتهم وتعاليمهم مباشرةً من سورة القرآن الكريم، حيث إن حياتهم وتعاليمهم المذكورة في الكتب السماوية السابقة قد حُرِّفَتْ وحُرِّفَتْ مريم، الآية 41:

"...وانكر في الكتاب إبراهيم"

علاوة على ذلك، يؤكد هذا على أهمية تدبر القرآن الكريم. فالإسلام يدعو الناس دائمًا، مهما بلغوا من العلم أو الفهم، إلى تدبر القرآن الكريم. هذه الدعوة الإلهية تشجع كل فرد على التدبر في معانيه ودروسه وإرشاداته، ليقترّب من الله تعالى، ويوفق حياته لأوامره. سورة ص، الآية 29:

«كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب»

:وسورة النحل الآية 44

"بالبينات والأحكام، وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم، ولعلمهم يتفكرون"

إن فكرة أن تدبر القرآن الكريم مقتصر على العلماء فكرة خاطئة، وتتناقض مع جوهر التعاليم الإسلامية ومع ذلك، لا يُجيز هذا لغير المتعلمين تفسير الآيات أو استنباط الأحكام الشرعية، فقد تؤدي هذه المحاولات إلى الضلال بدلاً من ذلك، ينبغي على الأفراد تركيز تأملاتهم على الأمور الواضحة والمفهومة، مثل الصفات الفاضلة التي أمر المؤمنون بها، والصفات الضارة التي أمروا بتجنبها، كما هو مبين في القرآن الكريم. إن الانخراط في هذه المواضيع يُتيح للجميع راحة البال في الدنيا والآخرة.

ينبغي تناول المواضيع الأكثر تعقيداً بالاستعانة بترجمات موثوقة وشروح موثوقة لضمان فهم دقيق. فعندما يدرس عامة الناس القرآن الكريم باستخدام هذه المصادر، فإنه يُنمّي فيهم حباً عميقاً لله تعالى وتعظيماً له ويقوي إيمانهم، ويُمكنهم من فهم الأدلة والبراهين الجلية التي يحتويها. هذا الفهم يُنمّي رغبة صادقة في طاعة الله تعالى، ويضمن لهم الاستعداد العملي للحساب يوم القيامة باغتنام نعمه وفقاً للتعاليم الإسلامية. وهذا يؤدي من خلال تحقيق حالة ذهنية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء إلى راحة البال في الدنيا والآخرة. وكل شخص في حياتهم على النحو الصحيح.

إن أنجع طريقة لتحقيق هذا العمق في الفهم هي التعلم على يد عالمٍ مؤهل. وينبغي التأمل في أي معرفة، تُكتسب في هذا السياق وتطبيقها باستمرار في الحياة اليومية. وإذا تعذرت الدراسة المباشرة على يد عالم، فينبغي الرجوع إلى التفسيرات الصحيحة للقرآن الكريم، وطلب التوضيح من العلماء عند وجود أي لبس.

"...واذكر في الكتاب إبراهيم"

يحث الله تعالى الناس على التحلي بصفات الصالحين، كالنبي الكريم إبراهيم عليه السلام، وذلك بذكر صفاته الحميدة التي يمكن الاقتداء بها، قبل ذكر نبوته التي لا يمكن لغيره أن يتحققها الآن. سورة مريم، الآية 41

"...إنه كان صادقاً ونبيّاً..."

في حديث رواه الترمذي برقم ١٩٧١، أكد النبي صلى الله عليه وسلم على أهمية الصدق وضرورة اجتناب الكذب بجميع صورته. ويؤكد الجزء الأول من الحديث أن الصدق يهدي إلى البر، الذي بدوره يهدي إلى الجنة. ومن داوم على الصدق فقد كتب الله تعالى له صديقاً

من الضروري إدراك أن الصدق يتألف من ثلاثة مستويات متميزة. أولها إخلاص النية، وهو أن يعمل المرء لله تعالى وحده، دون سعي إلى منفعة أو تقدير شخصي، كالشهرة. هذا المبدأ هو أساس الإسلام، فكل عمل يُقيم بالنية. وقد أكد هذا المفهوم حديث في صحيح البخاري، رقم 1. ومن الدلالة الواضحة على الإخلاص عدم الرغبة في طلب الشكر أو الاعتراف من الآخرين

المستوى الثاني يتضمن الصدق في الحديث. وهذا يستلزم الامتناع ليس فقط عن الكذب، بل عن جميع أشكال المعاصي اللفظية. من ينخرط في كلام آثم لا يمكن اعتباره صادقاً حقاً. يوجد نهج عملي لبلوغ هذا المستوى في حديث مسجل في جامع الترمذي، رقم 2317، والذي ينصح بأن يكمل المرء إسلامه بالامتناع عن الأمور التي لا تعنيه. تنشأ نسبة كبيرة من المعاصي اللفظية عند الانخراط في نقاشات لا علاقة لها به. وهذا يشمل

أيضاً تجنب الكلام الفارغ، الذي غالباً ما يؤدي إلى الحديث الآثم ويشكل إساءة استخدام للوقت الثمين - وهو أمر سيكون مصدرًا للندم يوم القيامة. يمكن الحفاظ على هذا المستوى من الصدق بالقول فقط عن الخير أو الصمت.

،المستوى الثالث والأخير هو الصدق في العمل. ويتحقق ذلك بالامتثال لأوامر الله تعالى، واجتناب نواهيه والصبر على الأقدار الإلهية، وذلك كله وفق سنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. ويجب أن يتم ذلك دون تأويل أو تعديل انتقائي للتعاليم الإسلامية بما يتماشى مع الأهواء الشخصية. ويجب على الأفراد الالتزام بالتسلسل الإلهي والأولويات التي وضعها الله تعالى في جميع أفعالهم. ومن سلك هذا الطريق، سيستخدم كل من خلال تحقيق،نعمة أنعم بها عليه بما يرضي الله تعالى. وهذا يؤدي إلى راحة البال في الدنيا والآخرة . حالة ذهنية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في حياته على الوجه الصحيح

إن عواقب عدم الالتزام بهذه المستويات من الصدق - أي الانخراط في الكذب - وخيمة. ووفقاً للحديث المذكور سابقاً، فإن الكذب يؤدي إلى المعصية، والتي تؤدي في النهاية إلى نار جهنم. الشخص الذي يستمر في هذا السلوك سيكتبه الله تعالى كذاباً كبيراً. فيما يتعلق بالمستويات الثلاثة الموضحة سابقاً، فإن الكذب في النية ينطوي على عدم الإخلاص لله تعالى، وعمل الصالحات من أجل الناس. الكذب في القول يشمل جميع أشكال الكلام الخاطئ والباطل. الكذب في العمل يشمل إساءة استخدام النعم التي مُنحت، وبالتالي انتهاك حقوق الله تعالى والبشرية. الشخص الذي يجسد جميع أبعاد الكذب هذه يُصنف ككذاب كبير، ولا يتطلب الأمر بصيرة علمية لتوقع مصير من سيكتبه الله تعالى كذلك يوم القيامة

:سورة مريم، الآية 41

"إبراهيم، إنه كان صادقاً ونبيّاً..."

يتمنى جميع الناس الانضمام إلى ركب الأنبياء عليهم السلام في الآخرة. لكن الإسلام يُبين أن ذلك لا يتحقق إلا باتباعهم آثارهم في الدنيا، فغاية النبي عليه السلام أن يُقتدى به في أقواله وأفعاله، لا أن يُحب ويُحترم لفظاً فحسب. وكما أن الأمم السابقة التي ادعت حب أنبيائها عليهم السلام لن تُلحق بهم في الآخرة لتقصيرها في اتباع تعاليمهم، فكذلك المسلمون الذين يُقَصِّرون في اتباع النبي محمد صلى الله عليه وسلم عملياً لن يُلحقوا به في الآخرة. بل سيُحشر كل إنسان مع من اقتدى بهم في الدنيا. وقد ورد هذا المبدأ جلياً في حديث سنن أبي داود، رقم 4031، الذي يُحذر من أن الصحبة الحقة لا تُبنى على مجرد ادعاء المحبة، بل على صدق الاقتداء (والاتباع في العمل). سورة النساء، الآية 69)

ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا

نهى النبي إبراهيم عليه السلام أباه ومجتمعه عن عبادة الأشياء الجامدة التي لا تملك القدرة على هداية الإنسان إلى الطمأنينة في الدنيا والآخرة. سورة مريم، الآية 42

"إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً"

في جوهره، فإن الأفراد الذين يتخلون عن قواعد السلوك الإسلامية لصالح الأنظمة الوضعية يفعلون ذلك عادةً لإشباع رغباتهم الدنيوية، لأن هذه الأنظمة تتشكل بطبيعتها من خلال رغبات الإنسان وتطلعاته. ومن الواضح، أنه عند عبادة الجمادات، كالأصنام، فإن هذه الأشياء تعجز عن توفير إطار أخلاقي شامل. ونتيجةً لذلك يُترك للمؤمنين صياغة أنظمتهم الأخلاقية الخاصة، والتي غالباً ما تكون مبنية على رغباتهم الشخصية، مع الحفاظ على مظهر العبادة الورع. ويتجلى هذا التوجه بشكل خاص بين الأثرياء وأصحاب النفوذ، الذين يرون أن اعتناق حقيقة الإسلام يستلزم الخضوع لمنظومة أخلاقية إلهية - منظومة تقيّد بطبيعتها السعي وراء الرغبات الأنانية. ونتيجةً لذلك، غالباً ما يُروجون لأسلوب حياتهم الخاص على الآخرين، بهدف الحفاظ على هيمنتهم

الاجتماعية وسلطتهم. تاريخياً، يُفسر هذا النمط سبب كون هؤلاء الأفراد من أوائل من رفضوا وعارضوا الأنبياء عليهم السلام. لم تكن مقاومتهم نابعة من تقييم عقلائي لصدق الإسلام قائم على أدلة دامغة، بل نابعة من رغبة في حماية مصالحهم الشخصية والسعي وراء شهواتهم الدنيوية. لكن من يتصرف بهذه الطريقة، سيُسَيء استخدام النعم التي مُنحت له لا محالة. ونتيجة لذلك، سيجد نفسه في حالة نفسية وجسدية غير متوازنة يُسيئ توزيع كل شيء وكل شخص في حياته، ولا يُعِدّ نفسه للحساب يوم القيامة على النحو الكافي. سيؤدي هذا إلى ضغوط وتحديات ومصاعب في الدنيا والآخرة، حتى لو عاش بعض النعيم الدنيوي. لتجنب هذه النتيجة، يجب على المرء قبول الهداية الإلهية والعمل بها، فهي وحدها القادرة على إرشاد المرء إلى راحة من خلال تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، ومن خلال توزيع كل شيء وكل، البال في الدنيا والآخرة: شخص في حياته على النحو الصحيح. سورة مريم، الآية 43

يا أبت قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطا مستقيما

لذا، يجب على الإنسان أن يتقبل تعاليم الإسلام ويعمل بها لمصلحته، حتى لو تعارضت مع رغباته الشخصية عليه أن يقتدي بسلوك المريض الحكيم الذي يقبل ويتبع نصيحة الطبيب الماهر، عالمًا أنها في مصلحته، حتى لو وُصفت له أدوية مُرّة أو نظام غذائي صارم. وكما يصل هذا المريض في النهاية إلى صحة نفسية وجسدية جيدة، كذلك يصل الفرد الذي يتقبل التعاليم الإسلامية ويعمل بها إلى التوازن والعافية في عقله وجسده. ذلك لأن الله تعالى هو الوحيد الذي يملك المعرفة الكاملة اللازمة لضمان بلوغ الإنسان حالة نفسية، وجسدية سليمة، ووضع كل شيء وكل شخص في حياته على النحو الصحيح. المعرفة البشرية بهذه الأمور، على الرغم من البحث المكثف، تظل محدودة. فهي لا تستطيع حل جميع التحديات التي قد يواجهها الإنسان ولا تحميه من جميع أشكال التوتر، ولا توفر له البصيرة اللازمة لترتيب أولوياته في الحياة على النحو الصحيح. فالنصيحة البشرية مقيدة لا محالة بمعرفة وخبرة محدودة وتحيز. على النقيض من ذلك، فإن الله تعالى وحده هو صاحب العلم التام، وقد أنزله على البشرية من خلال القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. تتجلى هذه الحقيقة عندما يلاحظ المرء الفرق بين من يوظفون نعمهم وفقاً للتعاليم الإسلامية ومن لا يفعلون. فرغم أن المرضى غالبًا ما يجهلون علم الأدوية الموصوفة لهم، إلا أنهم يتقنون بأطبائهم ومع ذلك، فإن الله تعالى لا يدعو الناس إلى الثقة العمياء، بل يدعوهم إلى التأمل في تعاليم الإسلام، ليدركوا صدقها من خلال الأدلة الواضحة، ويقدرُوا آثارها الإيجابية في حياتهم. إنه لا يتوقع التمسك الأعمى، بل سورة يوسف، الآية) يدعو إلى إدراك الحقيقة من خلال التأمل والإخلاص وعقل منفتح خالٍ من التعصب (108).

"...قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني"

ولكن بما أن طاعة الله تعالى غالبًا ما تنتقد شهوات الناس الدنيوية، فإن كثيرًا منهم يُصرّون على طاعة الشيطان، الذي يهدف إلى منع الناس من راحة البال في الدنيا والآخرة. ونتيجةً لذلك، فإنهم يعصون الله تعالى بإساءة استخدام النعم التي أنعم بها عليهم. سورة مريم، الآية 44

أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عتيْدًا يا

كما يعيش الشيطان في شقاء، فإنه يتمنى للبشرية أن تعيش البؤس والمعاناة في كلا العالمين. لذلك، فإن من يطيعه بإساءة استخدام النعم التي وُهِبَتْ له، سيُصاب بحالة نفسية وجسدية غير متوازنة، وسيُسيء استخدام كل شيء وكل شخص في حياته. ونتيجةً لذلك، قد تُصبح جميع جوانب حياته - بما في ذلك الأسرة والصداقات والعمل والثروة - مصادر للتوتر والضغط النفسي. وكثيرًا ما يُسيء الأفراد الذين يُصرّون على معصية الله تعالى تفسير أسباب ضيقهم، مُلقين باللوم على أهداف غير مناسبة، مثل الأزواج أو المقربين. ويؤدي فقدان هذه العلاقات الداعمة أو نفورها إلى تفاقم مشاكل الصحة النفسية، مما قد يؤدي إلى الاكتئاب وإدمان المخدرات، وفي الحالات الشديدة، إلى أفكار انتحارية. ويتجلى هذا النمط بشكل خاص لدى من يُسيء استخدام النعم التي وُهِبَتْ لهم، كالمشاهير، على الرغم من تمتعهم بملذات الدنيا. علاوة على ذلك، ولأن هذه المواقف: سورة مريم، الآيات 44-45. تُعيق الاستعداد للحساب يوم القيامة، فإن عواقبها في الآخرة ستكون أشد وطأة

إن الشيطان كان للرحمن عتيْدًا، يا أبت إنني أخاف أن يمسسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان قريبًا ،

ومن المثير للاهتمام أن والد النبي إبراهيم عليه السلام وقومه لم يعبدوا الشيطان، ومع ذلك اتهموا بذلك، لأن سورة يس، الآية 60. طاعة الشيطان في معصية الله تعالى تُعدّ عبادة له

أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ

مع أن غالبية الأفراد لم ينخرطوا مباشرة في عبادة الشيطان، إلا أنهم يُعتبرون كذلك عندما تُوجّه طاعتهم إليه مُخالفةً لله تعالى. لذا، من الضروري الامتناع عن طاعة أي جهة تُخالف أوامر الله تعالى، لأن هذا الخضوع يُشكّل عبادة. إن الاستمرار في معصية الله تعالى يؤدي حتمًا إلى الخضوع لتأثيرات أخرى، بما في ذلك الناس، ووسائل التواصل الاجتماعي، والاتجاهات الثقافية، والموضة، وأصحاب العمل. إن محاولة إرضاء جهات متعددة، وغالبًا ما تكون متضاربة، تُؤدّ ضغطًا كبيرًا، إذ لا يُمكن تلبية جميع مطالبها غير المتوقعة. وكما هو الحال مع الموظف الذي يُحاول تلبية توقعات مُشرفين مُتعددين، فإن من يتخلّى عن عبودية الله تعالى، يُعاني من عبء مُضاعف، يُقوّض في النهاية راحة باله. ومع مرور الوقت، قد يتجلى هذا في ضائقة نفسية، وعزلة اجتماعية، واكتئاب، وحتى أفكار انتحارية، حيث تفشل محاولات استرضاء هؤلاء الأسياد الدنيويين في تحقيق الرضا المنشود. تُلاحظ هذه الظاهرة لدى بعض الشخصيات البارزة، كالمشاهير والأهم من ذلك، أن الخضوع لغير الله تعالى في معصيته لا يُجدي نفعًا في الآخرة، إذ لا تُعينه هذه الجهات عند الحاجة الماسة. ولتجنب هذه العواقب، يجب على الإنسان أن يتخلّى عن طاعة ما يؤدي إلى معصية الله تعالى، وأن يُخلص نفسه له، مُستخدِمًا ما وهبه الله إياه من نعم وفق تعاليم الإسلام. هذا وحده يؤدي إلى راحة البال في الدنيا والآخرة، من خلال تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في حياته على الوجه الصحيح.

بشكل عام، عندما يتبنى الفرد مسارًا يخالف الأعراف السائدة لدى أقرانه - وخاصةً المسار القائم على الالتزام بأوامر الله تعالى - فقد يثير ذلك، دون قصد، شعورًا بعدم الارتياح أو عدم الكفاية لدى الآخرين، وخاصةً إذا كانت خياراتهم مدفوعة برغبات شخصية. وقد يتجلى هذا التنافر الداخلي في صورة انتقادات أو معارضات غالبًا ما تتبع من دوائر قريبة كأفراد الأسرة. ولا تتبع ردود الفعل هذه بالضرورة من صحة إيمان الفرد، بل من التحدي المتصور الذي يشكّله على نمط حياة وقيم من حوله. ونتيجةً لذلك، قد يُقابل الالتزام الراسخ سورة مريم، الآية 46. بالمبادئ الدينية بالمقاومة، على الرغم من نزاهته الأخلاقية والروحية

"قال أَلَمْ تَرْغَبْ فِي إِلَهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لئَلَّا تَتَّهَّ عَنْهَا لِأَرْجُمُكَ فَأَعْفُضْ عَنِّي أَبَدًا "

علاوة على ذلك، تُمارس المؤثرات المجتمعية المعاصرة - مثل وسائل التواصل الاجتماعي، واتجاهات الموضة السائدة، والأعراف الثقافية السائدة - ضغطًا كبيرًا على الأفراد الذين يسعون جاهدين للتمسك بالقيم الإسلامية. فكثيرًا ما يُنظر إلى ممارسة الإسلام والدعوة إليه على أنها عائقان أمام السعي لتحقيق النجاح المادي، والمكانة الاجتماعية، والاعتراف العام. وغالبًا ما تُقاوم المؤسسات والقطاعات الخاضعة للنقد الإسلامي دمج المبادئ الإسلامية، وتُثني المسلمين عن الالتزام بدينهم. وتُسهّم هذه المقاومة بشكل كبير في انتشار المشاعر المعادية للإسلام عبر مختلف المنصات، وخاصةً في الفضاءات الرقمية ووسائل التواصل الاجتماعي.

علاوة على ذلك، كثيرًا ما يواجه الملتمزمون بالتعاليم الإسلامية - التي تدعو إلى الاعتدال في الرغبات الشخصية والاستخدام الصحيح لنعم الله تعالى - معارضة من أفراد يتصرفون بلا ضوابط، ويستسلمون لدوافع يصفها الإسلام بالحيوانية. وكثيرًا ما يسعى هؤلاء الأفراد إلى ثني الآخرين عن اعتناق الإسلام، ويحاولون تحويل المسلمين الملتمزمين عن التزاماتهم الدينية، مشجعين على نمط حياة تحكمه الشهوات الجامحة. وكثيرًا ما يستهدف هؤلاء النقاد جوانب محددة من الممارسات الإسلامية، مثل قواعد اللباس المفروضة على النساء، سعياً منهم إلى التقليل من جاذبيتها. ومع ذلك، يستطيع المراقبون الفطنون بسهولة تمييز الطبيعة السطحية، لهذه الاعتراضات، التي تنبع من انزعاج أوسع نطاقاً من تركيز الإسلام على ضبط النفس. على سبيل المثال بينما قد يعترض النقاد على الزي الإسلامي، إلا أنهم نادراً ما يطبقون نفس التدقيق على الزي الرسمي الذي يرتديه العاملون في مهن مثل إنفاذ القانون، والجيش، والرعاية الصحية، والتعليم، وقطاعات الشركات. يكشف هذا النقد الانتقائي عن التناقض والافتقار إلى المنطق الموضوعي في حججهم. في نهاية المطاف، إن المبادئ الأساسية للإسلام وسلوك أتباعه المنضبط هي التي تثير هذه المعارضة، مما يدفع المنتقدين إلى الإساءة إلى الدين بوسائل مختلفة. سورة مريم، الآية 46

"قال أَلَمْ تَرْغَبْ فِي إِلَهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لئَلَّا تَتَّهَّ عَنْهَا لِأَرْجُمُكَ فَأَعْفُضْ عَنِّي أَبَدًا "

في مثل هذه الظروف، ينبغي أن يكون ردّ المرء على النقد لطيفًا، فالقسوة لا تُثني الآخرين عن قبول الحقيقة
:سورة مريم، الآية ٤٧

"قال سلام عليكم سأستغفر لكم ربي إنه كان بي رؤوفًا "

مع أن قطع الصلة بالأقارب لأسباب دينية قد يكون جائزًا في بعض الحالات، إلا أن التعاليم الإسلامية تشجع
عمومًا على الحفاظ على الروابط العائلية. إن الحفاظ على هذه الصلة - لا سيما من خلال أعمال البر، والنصح
بالأعمال الفاضلة، والنهي عن المنكر - يُشكل وسيلةً للتأثير الإيجابي. وقد يُلهم هذا التفاعل التوبة الصادقة
والإصلاح الروحي، مما يُقرب الفرد من أوامر الله تعالى. ويعكس هذا النهج المبدأ الإسلامي الأوسع المتمثل
في تعزيز البر مع الحفاظ على الرحمة والوثام الاجتماعي

علاوة على ذلك، عند مواجهة النقد، من الضروري الثبات على طاعة الله تعالى. هذا الثبات يُغذي شعورًا
عميقًا ودائمًا بالسكينة الداخلية، ويُشكل حمايةً من التأثيرات الخارجية الضارة، حتى وإن لم تكن هذه الحماية
ظاهرةً على الفور. بالالتزام الراسخ بالأوامر الإلهية، يُهدى الأفراد إلى استغلال النعم التي وهبت لهم بما
يُعزز التوازن في الصحة النفسية والجسدية. هذا التوافق مع التوجيه الإلهي يُمكنهم من تنظيم حياتهم على
نحوٍ هادف، مع توجهٍ واضح نحو محاسبتهم النهائية يوم القيامة. سورة مريم، الآية 48

"...وأن أترككم والذين تدعون من دون الله وأدعو ربي "

وبالتالي، يُنمّي هذا الإخلاص شعوراً عميقاً براحة البال في كلا العالمين. فالأفراد الذين يثبتون على إيمانهم يُهدى بهم إلهياً في جميع الظروف، سواءً أكانت رخاءً أم شدائد. هذا الالتزام الراسخ لا يُعمّق صفاءهم الداخلي فحسب، بل يضمن أيضاً نيل مكافآت روحية لا حدود لها، مؤكداً القيمة الدائمة لطاعة الله تعالى في كل مرحلة من مراحل الوجود. سورة مريم، الآية 48

"أرجو أن لا أكون في دعائي إلى ربي حزيناً..."

إن تجاهل أوامر الله تعالى، سعياً وراء رضا الآخرين، يفقد الإنسان السكينة والطمأنينة. ويُسهم هذا السلوك في سوء استغلال النعم، مما يؤدي إلى اضطرابات نفسية وجسدية. ويؤدي إلى اختلال أولويات الفرد وعلاقاته ومسؤولياته في حياته، مما يُعيق استعدادده للحساب يوم القيامة. وهذا يؤدي حتماً إلى الضيق والضيق في الدنيا والآخرة، مهما كانت متع الدنيا.

للحفاظ على ثبات النفس، لا بد من تقوية الإيمان، متمثلاً في إيمان النبي إبراهيم عليه السلام الراسخ. هذا الإيمان ضروريٌّ لاستمرار الإخلاص لله تعالى في جميع الأحوال، وينمو بفهم وتطبيق تعاليم القرآن الكريم القاطعة وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. تؤكد هذه المصادر أن الطاعة الصادقة تجلب السكينة في الدنيا والآخرة. أما من ينقصه معرفة المبادئ الإسلامية، فيكون إيمانه هشاً، مما يجعله عرضة للانحراف لا سيما عندما تتعارض الأهواء الشخصية مع الأوامر الإلهية. قد يحجب هذا النقص الحقيقة الجوهرية، وهي أن إخضاع النفس لطاعة الله تعالى أمرٌ أساسيٌّ لتحقيق السلام. لذا، لا بد من تقوية الإيمان من خلال اكتساب المعرفة الإسلامية وتطبيقها بجد، بما يضمن طاعة الله تعالى. وهذا يستلزم استغلال النعم وفق التوجيه الإلهي مما يُنمّي في نهاية المطاف التوازن العقلي والجسدي، ويضمن التوزيع الصحيح لجميع جوانب الحياة. وهذا يؤدي إلى راحة البال في الدنيا والآخرة). سورة مريم، الآيتان ٤٩-٥٠)

فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحاق ويعقوب وكلا جعلنا نبياً ووهبنا لهما من رحمتنا "وجعلنا لهما لساناً علياً"

من المهم إدراك أن النبي إبراهيم عليه السلام لم يُرزق بالذرية الصالحة إلا بعد تضحيات جسام في سبيل الله تعالى. وظل ثابتاً على طاعته رغم معارضة قومه. وهذا يُجسّد مبدأً أساسياً: أن الرحمة وراحة البال في الدنيا والآخرة على قدر الجهد. ومن المُحير أن كثيراً من الناس يطلبون عون الله تعالى، ثم يُقَصِّرون في أداء واجباتهم بطاعته والاستفادة من نعمه التي أنعم بها وفقاً للتعاليم الإلهية. ومن المُبررات الشائعة ضيق الوقت للأعمال الصالحة. فهم يتوقعون إلى العون الإلهي لكنهم لا يُخصِّصون وقتاً للأعمال التي تُرضيه. وهذا المنطق خاطيء بلا شك. فمن يُهمل الواجبات وينتظر العون الإلهي في أوقات الشدة يُظهر قلة فهم. وحتى من يُؤدّي الفرائض ويمتنع عن تجاوزها سيجد أن العون الذي يتلقاه محدود. والمبدأ واضح: يُعامل المرء بحسب سلوكه، كلما كرّس الإنسان وقته وجهده لله تعالى، مستخدماً نعمه التي أنعم بها عليه، ازدادت عوناً إلهياً وراحة بالاً، إنها، في من خلال تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، ومن خلال ضبط كل شيء وكل شخص في حياته، الحقيقة، حقيقة واضحة.

يجب أن يُدرك الإنسان أن معظم الفرائض - كالصلوات الخمس - لا تتطلب إلا جزءاً يسيراً من وقته اليومي، فمن غير المعقول أن يتوقع الإنسان توفيقاً إلهياً مستمراً بينما يُخصِّص ساعة واحدة فقط للعبادة المفروضة ويغفل عن الله تعالى بقية اليوم. فمثل هذا السلوك مرفوض حتى في العلاقات الإنسانية، فكيف يُعقل أن يُعامل رب العالمين بهذه الطريقة؟

هناك من يُكرِّسون وقتاً إضافياً لمرضاة الله تعالى فقط عند مواجهة صعوبات الدنيا، ثم يطلبون الحل كأنهم قد أنعموا عليه بأعمال تطوعية. هذه العقلية تتعارض جوهرياً مع مفهوم عبودية الله تعالى. ومن اللافت للنظر كيف يجد هؤلاء الأفراد وقتاً كافياً للترفيه - التجمعات الاجتماعية والترفيه والارتباطات العائلية - بينما يدّعون عدم وجود وقت لديهم للأعمال التي تُرضي الله. إنهم يهتمون تلاوة القرآن الكريم وتدبره، ويغفلون عن دراسة وتطبيق سنن النبي محمد صلى الله عليه وسلم. يمتلكون ثروة للرفاهية، لكنهم لا يستطيعون تخصيص موارد للصدقات التطوعية.

يجب أن يفهم أن الإنسان يُعامل وفقًا لسلوكه. إذا كرّس المرء وقتًا وجهدًا إضافيين لإرضاء الله تعالى، فسيُمنح الدعم اللازم لتجاوز تحديات الحياة بأمان وسكينة. وعلى العكس من ذلك، إذا فشل في أداء الواجبات، أو أداها دون مزيد من التفاني، فسيُتلقى ردًا يعكس التزامه المحدود. ببساطة، كلما أعطى المرء أكثر، زاد ما سيتلقاه، من يُعطي القليل لا ينبغي أن يتوقع الكثير في المقابل. لقد أدرك النبي الكريم إبراهيم وعائلته، عليهم السلام هذه الحقيقة جيدًا، ونتيجة لذلك، فقد نذروا أنفسهم لطاعة الله تعالى في جميع الأوقات باستخدام النعم التي أنعم من خلال، بها عليهم كما هو موضح في التعاليم الإلهية. ونتيجة لذلك، حصلوا على راحة البال في العالمين تحقيق حالة ذهنية وجسدية متوازنة ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في حياتهم بشكل صحيح. وإذا أدوا حقوق الناس، نشروا العدل والسلام في مجتمعهم، فنالوا بذلك المودة والرحمة والمنزلة الكريمة في الدارين. سورة البقرة، الآية ١٥٢:

"فاذكروني أذكركم"

:وسورة مريم 19 الآية 50

"ولقد وهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم سمعة حسنة"

بعد أن ذكر الله تعالى مثال النبي إبراهيم عليه السلام، لحثّ الناس على السلوك القويم في الدنيا، ذكر النبي موسى عليه السلام. سورة مريم، الآية 51

"...واذكر في الكتاب موسى"

عمومًا، الهدف الأساسي من استذكار قصص عباد الله الصالحين هو الاقتداء بهم في تعاملهم مع الله تعالى ومع الناس. كما أن التأمل في قصصهم يقوي العزيمة على الثبات على طاعة الله تعالى، إذ تُظهر كل قصة، أنهم، رغم ما عانوه من محن جسام، قد نالوا في النهاية راحة البال في الدنيا والآخرة بفضل طاعتهم الراسخة لذا، ينبغي . حالة نفسية وجسدية متوازنة، وحسن توزيعهم لكل شيء وكل شخص في حياتهم وحصولهم على دراسة هذه القصص بقصد استخلاص الدروس العملية، لجني فائدة حقيقية. من يغفل عن هذا المنظور يُخاطر، باعتبار قصص الصالحين مجرد مصدر للتسلية، دون أن يُلهمهم طاعة أكبر لله تعالى. في مثل هذه الحالات، قد يُصرّ المرء على إساءة استخدام النعم الممنوحة له، مما يؤدي إلى اختلال في الحالة النفسية والجسدية واختلال في الأولويات، وعدم كفاية الاستعداد للحساب يوم القيامة. وهذا يؤدي حتمًا إلى التوتر والمشقة والصعوبة في الدنيا والآخرة، حتى وإن بدا أنهم يتمتعون ببعض الرفاهيات الدنيوية.

علاوة على ذلك، من الضروري تذكر عباد الله الصالحين من خلال دراسة حياتهم وتعاليمهم كما وردت مباشرة في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، إذ إن قصص حياتهم في الكتب السماوية: سورة مريم، الآية 51. السابقة قد تعرضت للتحريف والتأويل الخاطئ

"...واذكر في الكتاب موسى"

علاوة على ذلك، يُبرز هذا الأهمية الجوهرية للتدبر في القرآن الكريم نفسه. فدأب الإسلام على توجيه دعوة مفتوحة للجميع، بغض النظر عن مستوى علمهم أو فهمهم، للتدبر في القرآن الكريم. هذه الدعوة الإلهية تحث، كل فرد على التدبر في معانيه ودروسه وإرشاداته، ليقترّب من الله تعالى، ويوفق حياته لأوامره. سورة ص: الآية 29

«كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب»

سورة النحل الآية 44:

"بالبينات والأحكام، وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم، ولعلمهم يتفكرون"

إن الاعتقاد بأن تدبر القرآن الكريم خاصٌ بالعلماء هو اعتقادٌ خاطئٌ ومخالفٌ لجوهر التعاليم الإسلامية. وفي الوقت نفسه، لا يُجيز هذا لغير أهل العلم الخوض في تفسير آياته أو استنباط الأحكام الشرعية، لأن مثل هذه المساعي غالبًا ما تؤدي إلى الضلال. بل يُشجّع الأفراد على تركيز تأملاتهم على الأمور الواضحة والمفهومة للجميع، مثل الصفات الفاضلة التي يُؤمر المؤمنون بالتحلي بها والصفات الضارة التي يُنصح بتجنبها، كما هو موضح في القرآن الكريم. إن التدبر في هذه المواضيع في متناول الجميع، وهو وسيلةٌ لتحقيق راحة البال من خلال تحقيق حالة ذهنية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص، في الدنيا والآخرة في حياتهم على النحو الصحيح.

أما المسائل الأكثر تعقيدًا، فينبغي تناولها بدعم من ترجمات موثوقة وشروح موثوقة لضمان فهم سليم. فعندما يتفاعل عامة الناس مع القرآن الكريم بهذه الطريقة، فإنه يُنمّي فيهم حبًا عميقًا لله تعالى وتعظيمًا له، ويقوي إيمانهم، ويُعمّق إدراكهم لما فيه من أدلة ودلائل واضحة. هذا التفاعل يُلهم رغبة صادقة في طاعة الله تعالى ويعزز في الوقت نفسه الاستعداد العملي للحساب يوم القيامة من خلال حسن استغلال نعمه وفقًا للتعاليم الإسلامية.

إن أنجع سبيل للوصول إلى هذا العمق في الفهم هو الدراسة تحت إشراف عالمٍ مؤهل. وينبغي بعد ذلك التأمل الشخصي في المعرفة المكتسبة في هذا السياق وتطبيقها باستمرار في الحياة اليومية. وإذا تعذرت الدراسة

المباشرة مع عالم، يُنصح الأفراد بالاعتماد على التفسيرات الصحيحة للقرآن الكريم، وطلب التوضيح من العلماء عند وجود أي لبس.

يحثّ الله تعالى الناس على التحلي بصفات الصالحين، كالنبي موسى عليه السلام، وذلك بذكر إحدى فضائله، التي يمكن بلوغها والافتداء بها، قبل ذكر نبوته الفريدة التي لا يمكن بلوغها في هذا العصر. سورة مريم: الآية 51

"إنه كان صادقاً ورسولاً نبياً"

في حديثٍ رواه مسلم في صحيحه، رقم 196، عرّف النبي صلى الله عليه وسلم الإسلام بأنه الإخلاص لخمسٍ من الأنبياء: الله تعالى، وكتابه، وهو القرآن الكريم، ورسوله صلى الله عليه وسلم، وأئمة المسلمين، وعامة سورة البينة، الآية 5. الناس

"وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ"

إذا قصر المرء في أداء واجباته تجاه الله تعالى، فهذا دليل واضح على نقص الإخلاص. في هذه الحالات، لا بد من التوبة الصادقة، متبوعةً بجهدٍ دؤوبٍ لأداء جميع الواجبات المفروضة. من الضروري أن نتذكر أن الله تعالى لا يُحمّل المرء مسؤولياتٍ تتجاوز طاقته. فكل أمرٍ ونهٍ قد قُدِّرَ إلهياً ليكون في حدود قدرة الإنسان: مؤكداً العدل الإلهي والرحمة الإلهية. سورة البقرة، الآية ٢٨٦

"لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا"

إن الإخلاص لله تعالى يقتضي من الإنسان أن يُقدم رضاه على رغباته ورضا الآخرين. وينبغي أن تكون أفعاله مدفوعةً بالسعي إلى رضا الله تعالى لا إلى منفعة شخصية أو اجتماعية. ويجب على الإنسان أن يحب الآخرين وينكر في الوقت نفسه آثامهم، خالصةً لله تعالى، لا بدافع التحيز الشخصي أو الانفعال العاطفي. وعند تقديم المساعدة أو الامتناع عن المعصية، يجب أن تكون النية نابعةً من طاعة الله تعالى. ومن يغرس هذه العقلية ويعمل بها باستمرار يُعدّ قد أكمل إيمانه. وقد ثبت هذا المبدأ في حديثٍ في سنن أبي داود، رقم 4681.

من أبعاد الإخلاص لله تعالى الثقة الراسخة بحكمة قضائه. يجب الإيمان بأن اختياراته تصب في نهاية المطاف في مصلحة المتأثرين، حتى وإن خفيت أسبابها. تعكس هذه الثقة إدراكًا عميقًا للحكمة الإلهية، وتؤكد استسلام (سورة البقرة، الآية ٢١٦). المؤمن لإرادة الله تعالى

"وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ..."

إن الاكتفاء بالرضا بالأحكام الإلهية التي توافق الأهواء الشخصية، مع إظهار السخط على ما يخالفها، دليلٌ واضحٌ على عدم الإخلاص لله تعالى. والإخلاص الحقيقي يتجسد في من داوم على طاعة الله تعالى، بتنفيذ أوامره واجتناب نواهيه، وصبر على أقداره، على نهج النبي صلى الله عليه وسلم، في جميع الأحوال والأحوال

:سورة مريم، الآية 51

"...لقد كان صادقاً..."

الإخلاص للقرآن الكريم يستلزم تعظيماً عميقاً ومحبةً لكلام الله تعالى. ويتجلى هذا الإخلاص بتحقيق ثلاثة أركان أساسية: أولها تلاوة القرآن الكريم تلاوةً صحيحةً ومنظمةً. ثانيها فهم تعاليمه من مصدر موثوق ومعلم كفء. ثالثها تطبيق هدايته بقصد رضاء الله تعالى. يُقدم الإنسان الصادق على اتباع تعاليم القرآن الكريم على اتباع الشهوات التي تتعارض مع رسالته. إن الاقتداء بالقرآن الكريم علامة قاطعة على الإخلاص لكتاب الله تعالى. وقد كان هذا نهج النبي محمد صلى الله عليه وسلم، كما ورد في حديث في سنن أبي داود، رقم 1342

من أركان الإخلاص للقرآن الكريم التعامل معه بنية صادقة لفهمه والعمل به بكامله، بغض النظر عما إذا كانت توجيهاته تتوافق مع ميول المرء الشخصية. فالالتزام الانتقائي ببعض الأوامر أو النواهي أو النصائح بناءً على تفضيل شخصي يُعدّ نفاقاً تجاه القرآن الكريم، ويحرم الفرد من الاستفادة الكاملة من توجيهاته الإلهية. (سورة الإسراء، الآية 82)

ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً

وأخيراً، من الضروري إدراك أن القرآن الكريم، وإن كان شفاءً من مصائب الدنيا، فلا ينبغي للإنسان أن يقتصر على تلاوته لهذا الغرض فقط. أي أنه لا ينبغي للمرء أن يتلوه فقط كوسيلة لحل مشاكل الدنيا، فيتعامل معه كأداة نفعية، يُستعان بها في أوقات الشدة ثم يُترك جانبا عند حصول الفرج. إن الوظيفة الأساسية للقرآن الكريم هي هداية الناس إلى الآخرة بسلام. إن إهمال هذه الغاية الجوهرية واستخدامه حصرياً في منافع الدنيا يُناقض سلوك المخلص الصادق. يشبه هذا السلوك من يشتري سيارة مزينة بالعديد من الكماليات

لكنها تفتقر إلى محرك، مما يجعلها عاجزة عن أداء وظيفتها الأساسية. وهذا النهج يعكس نفاقاً واضحاً تجاه كتاب الله تعالى.

:سورة مريم، الآية 51

"...لقد كان صادقاً..."

النقطة التالية المذكورة في الحديث السابق تتعلق بالإخلاص للنبي محمد صلى الله عليه وسلم. ويتجلى هذا الإخلاص في السعي الجاد لطلب العلم والعمل بسنته. وتشمل هذه السنة عباداته لله تعالى، وأخلاقه النبيلة التي جسدها في تعامله مع الخلق. ويقتضي الإخلاص الحقيقي الاقتداء ببعدي إرثه - الإخلاص للخالق. سورة القلم، الآية 4، سورة 68. والرحمة بالخلق

"وإنك لعلی خلق عظیم"

ويشمل ذلك أيضاً القبول المطلق لأوامر ونواهي النبي محمد صلى الله عليه وسلم في كل زمان. وقد فرض الله تعالى هذا الواجب. ويقتضي الاتباع الحقيقي ألا نتبع توجيهاته انتقائياً بناءً على تفضيل شخصي، بل نخضع لتعاليمه بقلب كامل طاعةً لله تعالى). سورة الحشر، الآية 7، سورة 59)

"وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا..."

إن الإخلاص للنبي محمد صلى الله عليه وسلم يقتضي تقديم سنته على سائر الأفعال والآراء. وهذا مستمد من الحقيقة الإسلامية الأصيلة، وهي أن جميع الطرق إلى الله تعالى مغلقة إلا على طريق النبي محمد صلى الله عليه وسلم. والإخلاص الحقيقي يقتضي الالتزام الراسخ بهديه، مع العلم بأن القرب الإلهي لا ينال إلا باتباع هديه في العبادة والسلوك. وأي انحراف عن هذا الطريق ينم عن نقص في الإخلاص، ويهدم أساس الإيمان. سورة آل عمران، الآية 31

"...قل [النبي محمد صلى الله عليه وسلم] إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم"

،من أركان الإخلاص للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، محبة وتوقير كل من ساندته في حياته وبعد وفاته سواء كانوا من آله الطاهرين أو صحابته الكرام رضوان الله عليهم أجمعين. إن نصرة من سار على نهجه ونشر سنته واجب على كل من أخلص له في ولائه. ويشمل الإخلاص أيضاً محبة من أحبه وذم من أساء إليه، بغض النظر عن صلة القرابة الشخصية. ويتجلى هذا المبدأ في حديث صحيح البخاري، رقم 16، الذي ينص على أنه لا يتحقق الإيمان حتى يحب الله تعالى ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم أكثر من جميع الخلق. ويجب أن تتجلى هذه المحبة بالفعل لا بالقول فقط. ويتطلب الإخلاص له الاحترام والمودة والالتزام العملي بتعاليمه. لكن هذا التمسك لا يتحقق إلا بمعرفة سيرته العطرة وهديه. ومن غير المنطقي ادعاء الحب والاحترام لمن لا يعرفه. ولذلك، فإن من يُظهر حبه للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، ثم لا يقتدي به في العمل، يُظهر نقصاً في الإخلاص.

:سورة مريم، الآية 51

"...لقد كان صادقاً..."

الحديث المذكور أنفًا يذكر الإخلاص لقادة المجتمع، بمن فيهم العلماء والمعلمون. ويشمل هذا الإخلاص تقديم النصيحة الحكيم لهم بلطف، ودعم قراراتهم الرشيدة بكل وسيلة مناسبة، مالية كانت أم مادية. ووفقًا لحديث، «وارد في موطأ الإمام مالك، كتاب رقم 56، الحديث رقم 20، فإن الوفاء بهذه المسؤولية مصدر رضا إلهي: سورة النساء، الآية 59. ويعكس التزام المرء بصالح المجتمع

"يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم"

هذا يُثبت بوضوح أن طاعة قادة المجتمع واجب ديني. مع ذلك، من الضروري إدراك أن هذه الطاعة مشروطة: فهي تبقى واجبة فقط بقدر ما لا تتضمن معصية الله تعالى. لا طاعة للمخلوق إذا نتج عنها معصية الخالق. في مثل هذه الحالات، ينبغي تجنب التمرد على القيادة، لأنه غالبًا ما يؤدي إلى معاناة الأبرياء. بدلاً من ذلك، ينبغي نصيحة القادة بالرفق - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - وفقًا لتعاليم الإسلام. وينبغي تشجيع الآخرين على اتباع هذا النهج، وينبغي الدعاء للقيادة بالبقاء على طريق الصلاح. عندما تكون القيادة مستقيمة، يكون عامة الناس أكثر ميلًا إلى اتباعها.

إن الغش للزعماء من علامات النفاق، ويجب تجنبه دائمًا. ومن الإخلاص في هذا السياق السعي لطاعة القادة فيما يُعزّز وحدة المجتمع على الخير، مع التحذير من كل ما يُسبب الفرقة والاضطراب. لا يُقرّ الإسلام الولاء الأعمى للزعماء، بل يأمر بالطاعة فقط فيما يُرضي الله تعالى.

:سورة مريم، الآية 51

"...لقد كان صادقاً..."

العنصر الأخير المذكور في الحديث المذكور سابقاً هو الإخلاص لعامة الناس. وهذا يشمل الرغبة المستمرة، في سلامتهم، والتي تُعبر عنها من خلال كل من القول والفعل. ويشمل ذلك تشجيع الآخرين على الصلاح وثنيتهم عن الإثم، وإظهار الرحمة واللفظ باستمرار. وقد تم التقاط هذا المبدأ بإيجاز في حديث موجود في صحيح مسلم، رقم 170، والذي ينص على أنه لا يمكن للمرء أن يبلغ الإيمان الحقيقي حتى يحب للناس ما يحب لنفسه. وقد تم التأكيد على أهمية الإخلاص تجاه الناس في حديث مسجل في صحيح البخاري، رقم 57 حيث وضع النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم هذا الواجب إلى جانب إقامة الصلاة المفروضة وإيتاء الزكاة المفروضة. إن وضع هذه المسؤولية إلى جانب ركنين أساسيين من أركان الإسلام يسלט الضوء على أهميتها العميقة.

من مظاهر الإخلاص تجاه الآخرين مشاركتهم أفراحهم وأحزانهم، شريطة ألا تتعارض هذه المشاعر مع تعاليم الإسلام. ويتجلى مستوى أعلى من الإخلاص عندما يتقبل المرء طوعاً المشقة الشخصية لتحسين حياة الآخرين، على سبيل المثال، بالتخلي عن الكماليات الشخصية للتبرع بالثروات للمحتاجين. إن السعي إلى سورة. جمع الناس على الخير سمة من سمات الإخلاص، بينما زرع الفرقة صفة منسوبة إلى الشيطان: الإسراء، الآية 53

"...إن الشيطان يريد أن يفرق بينهم"

من الوسائل الفعالة لتعزيز الوحدة بين الناس ستر عيوب الآخرين وتقديم النصيحة لهم سرّاً بشأن المعصية. ومن يتبع هذا النهج، سيستر الله تعالى عيوبه. وقد أكد هذا المبدأ حديثاً في جامع الترمذي، رقم 1426 ينبغي على المرء، كلما أمكن، أن يسعى إلى تنقيف الآخرين في أمور دينهم ودنياهم، مما يساهم في تحسين حالهم الروحي والدنيوي.

من الدلائل الواضحة على صدق النية تجاه الآخرين الاستعداد للدفاع عنهم في غيابهم، لا سيما ضد التشهير والنقد الجائر. إن تجاهل مصلحة الآخرين والتركيز على الذات فقط يتعارض مع المعايير الأخلاقية المتوقعة من المؤمن. بل إن هذا السلوك الأناني يشبه سلوك الحيوانات، التي تتصرف بدافع الغريزة فقط دون مراعاة للمسؤولية المجتمعية.

حتى لو عجز المرء عن إحداث تغيير على نطاق مجتمعي، فإنه لا يزال بإمكانه إظهار الإخلاص بدعم من هم في محيطه المباشر، كأفراد الأسرة والأصدقاء المقربين. تبقى الأخلاق الأساسية قائمة: يجب على المرء أن يعامل الآخرين بالطريقة التي يحب أن يُعامل بها. هذا المبدأ، المتجذر في العقل والوحي، هو حجر الزاوية: سورة القصص، الآية 77. في السلوك الإنساني الصادق

"...وأحسن كما أحسن الله إليك..."

من أركان الإخلاص للآخرين تقديم المساعدة لهم ابتغاء مرضاة الله تعالى. ويجب أن تكون هذه النية خالية من طلب الشكر والتقدير من الناس، لأن طلب هذا الشكر يُفسد نقاء العمل، ويُفسد الثواب، ويُظهر نقصاً في الإخلاص لله تعالى وللمُساعدين. وقد حُذِر من ذلك حديثاً في جامع الترمذي، رقم 3154. الإخلاص الحقيقي هو الخدمة دون انتظار، والنابعة من إدراك أن الله تعالى وحده هو القادر على نيل الأجر والقبول

:سورة مريم، الآية 51

"موسى، إنه كان صادقاً، وكان رسولاً نبياً..."

إن الاتحاد بالأنبياء عليهم السلام في الآخرة طموحٌ عالمٌ بين الناس . إلا أن التعاليم الإسلامية تؤكد بشكل قاطع أن هذا الاتحاد مشروطٌ باتباعهم بصدقٍ وعملٍ في الدنيا . فدور النبي عليه السلام لا يقتصر على الإعجاب به قولاً، بل على الاقتداء به في سلوكه وأخلاقه . فمجرد التعبير عن الحب لفظياً لا يكفي

علاوة على ذلك، فكما أن الأمم السابفة التي أعلنت حبها لأنبيائها عليهم السلام ستُحرم من صحبتهم في الآخرة لعدم تقليدهم لهم في العمل، فكذلك المسلمون الذين يقصرون عن اتباع النبي محمد صلى الله عليه وسلم سيُحرمون من صحبتهم في الآخرة . بل سيُحشر كل فرد مع من اقتدى بهم حقاً في العمل في حياته الدنيا . وقد :سورة النساء، الآية 69 . أكد هذا المبدأ حديثاً في سنن أبي داود، رقم 4031

ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن "أولئك رفيقا"

:لقد حظي النبي موسى عليه السلام بشرف التحدث إلى الله تعالى مباشرةً .سورة مريم، الآية 52

"وناديناه من جانب الطور الأيمن فقربناه مواسين"

من المهم أن نلاحظ أن الله تعالى قد كرّم جميع الناس بمثل هذا التكريم، بأن أنزل عليهم كلامه في القرآن الكريم. ومن إعجاز القرآن الكريم أنه لا يخاطب المجتمعات فحسب، بل يخاطب الأفراد أيضًا، ويرشدهم إلى من خلال كيفية التغلب على التحديات الفريدة والفردية التي يواجهونها في هذا العالم، لينعموا براحة البال خاطب الله تعالى توازنهم النفسي والجسدي، ووضع كل شيء وكل شخص في مكانه الصحيح، تمامًا كما: النبي الكريم موسى عليه السلام مباشرةً. سورة الأنبياء، الآية 10

أنزلنا إليكم كتابًا فيه ذكركم أفلا تعقلون لقد

ولكن لا يمكن الاستفادة من هذا الخطاب المباشر لهم إلا عندما يقتربون من كلام الله تعالى بعقل منفتح وغير متحيز، وعلى استعداد لتقديم التضحيات اللازمة لتحقيق راحة البال في العالمين

يتجلى صدق النبي موسى عليه السلام مجددًا عندما طلب من أخيه النبي هارون عليه السلام أن يُشركه في رسالته الإلهية. سورة طه، الآيات 29-32

واجعل لي وزيرًا من أهلي، هارون أخي، أقوي به، وليشركني في أمري

:وسورة مريم، الآية 53

ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا

لقد تجنب النبي الكريم موسى عليه السلام الأنانية بطلبه المساعدة من أخيه في مهمته، ولم يخش مشاركة الشرف الذي منحه إياه الله تعالى.

يفشل العديد من الأفراد في دعم بعضهم البعض في أعمال الخير بسبب خوف غير مبرر من أن ، للأسف ، هذا الدعم قد يرفع الآخرين فوقهم في الصدارة .وقد أثرت هذه الحالة حتى على العلماء والمؤسسات التعليمية حيث يتم حجب المساعدة بحجة عدم وجود روابط شخصية أو القلق من أن يتم التغاضي عن برامجهم الخاصة .هذا المنطق معيب بشكل أساسي، حيث يكشف تأمل موجز في التاريخ أن العكس هو الصحيح عندما تكون نية المرء هي طلب مرضاة الله تعالى، فإن دعم الآخرين في البر يؤدي دائماً إلى زيادة الشرف والاحترام .يوجه الله تعالى قلوب الناس نحو أولئك الذين يعملون بإخلاص، حتى لو كان دعمهم مفيداً لشخص ،آخر أو منظمة أو مؤسسة .يوجد مثال عميق على هذا المبدأ في سلوك عمر بن الخطاب، رضي الله عنه بعد وفاة النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم .رغم امتلاكه المكانة والدعم اللازمين لتولي القيادة، أقرّ عمر رضي الله عنه بصحة اختياره لأبي بكر الصديق رضي الله عنه أول خليفة في الإسلام .لم يُشغل نفسه باحتمال نسيانه من قِبَل المجتمع، بل نفذ الأمر الإلهي بنصرة الحق .وقد تأكد هذا الإخلاص والخضوع في الأحاديث الواردة في صحيح البخاري، رقمي 3667 و3668 .لم يُنتقص هذا القرار من مكانته، بل زاد من شرفه واحترامه في أعين المجتمع، وهي حقيقة جليّة لمن اطلع على التاريخ الإسلامي .على الناس أن يتدبروا هذه الحقيقة بعمق، ويُصلحوا سلوكهم، ويلتزموا بدعم الآخرين في الخير، بغض النظر عن بدأ الجهد .لا ينبغي أن يثني الخوف من النسيان أحداً عن أداء هذا الواجب .من أطاع الله تعالى لن يُخذل في الدنيا ولا في الآخرة :سورة مريم، الآية 53 .بل على العكس، فإن كرامتهم وتقديرهم سيزدادان في الدنيا والآخرة

.ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا

بعد أن ذكر الله تعالى مثال النبي موسى عليه السلام، لحثّ الناس على السلوك القويم في الدنيا، ذكر النبي :إسماعيل عليه السلام .سورة مريم، الآية 54

"...واذكر في الكتاب إسماعيل "

الهدف الأساسي من استحضار سير عباد الله الصالحين، تعظيم سلوكهم في علاقتهم بالله تعالى وبالبشرية .كما أن التأمل في هذه الروايات يعزز عزم المرء على الثبات على طاعة الله تعالى .توضح كل رواية باستمرار أنه على الرغم من تحمل المحن العميقة، فقد حقق الصالحون في النهاية السكينة في الدنيا والآخرة من خلال من خلال تحقيق حالة ذهنية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء ،التزامهم الثابت بالأوامر الإلهية لذلك، يجب التعامل مع هذه الروايات التاريخية بنية متعمدة لاستخلاص . وكل شخص في حياتهم بشكل صحيح دروس عملية لجني فائدة روحية حقيقية .إن عدم تبني هذا المنظور يهدد بتقليص قصص الصالحين إلى مجرد تسلية، خالية من أي قدرة على إلهام المزيد من الإخلاص والطاعة لله تعالى .قد يدفع هذا الإهمال الأفراد إلى الاستمرار في سوء استغلال النعم الممنوحة لهم، مما يؤدي إلى حالة من عدم التوازن - عقليًا وجسديًا - إلى جانب سوء ترتيب الأولويات وعدم الاستعداد الكافي لحساب يوم القيامة .وهذا يؤدي إلى التوتر والمشقة والصعوبة في الدنيا والآخرة، حتى مع وجود ملذات دنيوية ظاهرة .علاوة على ذلك، من الضروري أن يتم ذكر عباد الله الصالحين من خلال الدراسة المباشرة لحياتهم وتعاليمهم كما وردت في القرآن الكريم .تنشأ هذه الضرورة المنهجية لأن روايات حياتهم في الكتب السماوية السابقة يُعتقد أنها تعرضت للتغيير والتأويل :الخاطئ .سورة مريم، الآية 54

"...واذكر في الكتاب إسماعيل "

علاوة على ذلك، يُبرز هذا الأهمية المحورية للتدبر في القرآن الكريم نفسه .فدأب الإسلام على توجيه دعوة مفتوحة للجميع، بغض النظر عن خلفياتهم العلمية أو مستوى فهمهم، للتدبر في القرآن الكريم .هذه الدعوة الإلهية تحت كل فرد على التدبر في معانيه ودروسه وإرشاداته، للتقرب إلى الله تعالى، وتوفير حياتهم مع :سورة ص، الآية 29 .أوامره

«كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب»

سورة النحل الآية 44:

"بالبينات والأحكام، وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم، ولعلمهم يتفكرون"

إن افتراض أن تدبر القرآن الكريم حكراً على العلماء يتعارض مع جوهر تعاليم الإسلام. فبينما يُشجّع الأفراد على التدبر في النص، لا يُجيز هذا التشجيع لمن ليس لديهم تدريب متخصص محاولة تفسير الآيات أو استنباط الأحكام الشرعية تفسيراً مستقلاً، لأن هذه المساعي غالباً ما تكون عرضة للخطأ. بل يُنصح الناس بتوجيه تأملاتهم نحو مواضيع النص الواضحة والمفهومة، كالصفات الفاضلة التي أمروا بتجسيدها والصفات الضارة التي أمروا بتجنبها. فالتدبر في هذه الأمور المفهومة في متناول الجميع، ويُسهّل تحقيق السلام في من خلال تحقيق حالة ذهنية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في الدنيا والآخرة حياتهم على النحو الصحيح.

ينبغي تناول المسائل العقائدية والفقهية الأكثر تعقيداً بالاستعانة بترجمات موثوقة وشروح موثوقة لضمان فهم دقيق وسليم. فعندما يتفاعل عامة الناس مع القرآن الكريم بهذه الطريقة، فإنه يُنمّي فيهم حباً عميقاً لله وإجلالاً له، ويقوي إيمانهم، ويُعمّق إدراكهم للأدلة والبراهين الواضحة التي يحتويها الكتاب المقدس. هذا التفاعل يُنمّي رغبة صادقة في طاعة الأوامر الإلهية، ويضمن الاستعداد العملي للحساب يوم القيامة بالاستفادة من النعم الإلهية وفقاً للتعاليم الإسلامية.

إن أنجع وسيلة لتحقيق هذا العمق في الفهم هي التعلم على يد عالمٍ مُؤهل. وينبغي بعد ذلك التأمل الشخصي في المعرفة المكتسبة في هذا السياق وتطبيقها باستمرار في الحياة اليومية. وإذا تعذرت الدراسة المباشرة مع عالم، يُنصح الأفراد بالاعتماد على التفسيرات الصحيحة للقرآن الكريم، وطلب التوضيح من العلماء عند وجود أي لبس.

وأخيراً، يحثّ الله تعالى الناس على التحلي بصفات الصالحين، كالنبي الكريم إسماعيل عليه السلام، وذلك بذكر إحدى فضائله التي يمكن بلوغها والافتداء بها، قبل ذكر نبوته الفريدة التي لا يمكن بلوغها في هذا العصر. سورة مريم، الآية 54

"إنه كان عند وعده صادقاً وكان رسولاً نبياً..."

في حديثٍ رواه البخاري برقم ٢٧٤٩، حذّر النبي صلى الله عليه وسلم من إخلاف الوعد، فهو من علامات النفاق. وأهم وعدٍ قطعه الإنسان هو عهده بالله تعالى، وهو عهدٌ مُؤكّدٌ على قبوله ربّاً وملكاً. وهذا الوعد يستلزم تنفيذ الأوامر الإلهية، واجتناب المحرمات، والصبر على الأقدار، وذلك كله وفقاً لسنة النبي صلى الله عليه وسلم.

بالإضافة إلى هذا العهد الأساسي، يجب الوفاء بجميع الوعود الأخرى المعقودة بين الأفراد، إلا إذا وُجد عذرٌ مقبول. وهذا أمرٌ بالغ الأهمية، لا سيما في سياق وعود الآباء لأبنائهم. إن عدم الوفاء بهذه الوعود يُرسخ سوء الخلق، ويُرسخ الاعتقاد بأن الغشّ صفةٌ مقبولة. ويؤكد حديثٌ في صحيح البخاري، رقمه ٢٢٢٧، على خطورة هذا الأمر: "يُعلن الله تعالى أنه على من دعا باسمه في وعدٍ ثم أخلفه بغير حق". وهنا يُطرح السؤال: كيف يُرجى التوفيق يوم القيامة إذا كان الله تعالى على طاعته؟

،نظراً لخطورة هذه المسألة، فمن الأفضل عموماً الامتناع عن الوعود إلا للضرورة .ومع ذلك، عند الوعد يجب بذل الجهد الصادق للوفاء به، مع العلم أن النزاهة في مثل هذه الأمور من الإيمان والإخلاص .سورة الإسراء، الآية 34

"وأوفوا بالوعد، إن الوعد كان مسئولاً ..."

سورة مريم، الآية 54

"إنه كان عند وعده صادقاً وكان رسولاً نبياً ..."

يطمح المؤمنون إلى الاتحاد بالأنبياء عليهم السلام في الآخرة .إلا أن التعاليم الإسلامية تُقرّ صراحةً بأن تحقيق هذا الاتحاد مشروط بالافتداء بهم في الدنيا .فالدور الأساسي للنبي عليه السلام هو أن يكون قدوة حسنة، تُقتدى به في سلوكه وأخلاقه، لا مجرد إعجاب رمزي .ويؤكد الإسلام أنه كما أعلنت الأمم السابقة حبها للأنبياء عليهم السلام، لكنها ستُحرم من الاتحاد بهم في الآخرة لعدم اتباعهم سنتهم، كذلك ينطبق المبدأ نفسه على من يدعون حب النبي محمد صلى الله عليه وسلم، لكنهم يتجاهلون تعاليمه .فيُحشر المرء في النهاية مع من اتبعهم حقاً في العمل، لا مع من آمن بهم في وجدانه فقط .ويؤيد هذا المبدأ حديثٌ في سنن أبي داود (النساء ، الآية 69) .برقم 4031، يؤكد أن المرء يكون مع من اقتدى به في الدنيا

ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا

لأن الإسلام، منهج حياة جميع الأنبياء عليهم السلام، هو منهج أخلاقي شامل، يشمل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. سورة مريم، الآية 55

"...وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة "

يجب على الناس المداومة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفق معرفة صحيحة ورفق. واعتقاد أن فضيلة المرء الشخصية تحميه من التأثير السلبي للآخرين اعتقاد خاطئ. فكما أن التفاحة السليمة تتأثر في النهاية بوضعها بين تفاحات فاسدة، فإن من يهمل هذا الواجب الجماعي يخاطر بالتأثر سلبيًا بسوء سلوك الآخرين، سواء كان ظاهرًا أو خفيًا.

حتى مع غفلة المجتمع، لا ينبغي للإنسان أن يترك نصيح من يعولهم، كأفراد الأسرة. ويكتسب هذا الواجب أهمية خاصة، إذ أن سوء سلوك الأقارب له أثر أوضح، وهو فرض عين على كل فرد، كما دلت عليه الروايات، كسنن أبي داود، رقم 2928. وحتى لو أهمل في البداية، يؤدي الواجب بالنصح المستمر واللين الذي يجب أن يُدعم بأدلة قوية وعلم. أما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بغير علم أو بقسوة، فهو أمرٌ غير مُجدٍ، إذ يُنفر الناس من الحق والهدى، مما يلحق الضرر بالمجتمع بأكمله. ولا يُؤمل في هذا الواجب إلا، سورة الأعراف. عند أدائه على الوجه الصحيح - بعلم ودليل ولين - نجاة من شرور المجتمع ونيل المغفرة. الآية 164.

"وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قالوا مبرأة إلى ربكم ولعلمهم يتقون"

وعلى العكس من ذلك، إذا ركز الشخص فقط على مصلحته الذاتية وتجاهل سلوك الآخرين، فهناك خطر كبير من أن تؤدي الآثار المجتمعية السلبية في نهاية المطاف إلى تضليله.

بتشجيعه على هذين العاملين اللذين يُمثّلان ركنَي الخير، حثّ النبي إسماعيل عليه السلام على كل خير في الدنيا. سورة مريم، الآية 55

"...وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة "

لإقامة الصلوات المفروضة على الوجه الصحيح، لا بد من استيفاء جميع شروطها وآدابها، وعلى رأسها أداء الصلاة في أوقاتها. وقد أكد القرآن الكريم مرارًا على أهمية الصلاة، فهي التعبير العملي الأسمى عن إيمان المؤمن بالله تعالى. وبتوزيعها على مدار اليوم، تُعدّ الصلاة تذكيرًا مستمرًا بيوم القيامة، مُهيّئَةً إياه للحساب والجزاء. وهكذا، لا تُعدّ الصلاة عمود الإيمان فحسب، بل هي الأساس الذي تُبنى عليه جميع الأعمال الصالحة فهي توجّه المؤمن إلى طاعة ربه والاستعداد للأخرة. بل إن كل ركن من أركان الصلاة يعكس رمزياً جوانب ذلك اليوم. فعلى سبيل المثال، يعكس الوقوف منتصبًا في الصلاة الوضع الذي سيقف فيه الناس يومًا ما أمام الله تعالى للحساب. سورة المطففين، الآيات 4-6

أَوَلَا يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُبْعَثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ

عندما يسجد المؤمن في صلاته، فإنه يُذكر بالعدد الهائل من الناس الذين سيُلامون يوم القيامة على تقصيرهم. سورة المرسلات، الآية 48. في السجود لله تعالى في حياتهم الدنيا

"وإذا قيل لهم اركعوا لم يركعوا"

،يُبرز هذا النقد عدم الخضوع التام لطاعة الله تعالى في جميع مناحي الحياة .فعندما يسجد المرء في الصلاة ،فإنه يُذكر باليوم الذي يُدعى فيه الناس جميعًا للسجود لله تعالى .أما من أهمل السجود له في حياته الدنيا :سورة القلم، الآيتان 42-43 .مُظهرًا بذلك رفضه التام لطاعته، فسيجد نفسه عاجزًا عن ذلك يوم القيامة

يوم يشتد الأمر يدعون إلى السجود فيمنعون، وتخضع أعينهم، وتغشاهم الذل، وكانوا يدعون إلى السجود"
"وهم سالمون

عندما يركع الإنسان في الصلاة، فإنه يُذكره بكيفية سجوده بين يدي الله تعالى يوم القيامة، مُثقلًا بالخوف .(سورة الجاثية، الآية ٢٨) .وهو ينتظر جزاءه

"وترى كل أمة جاثية، وكل أمة تُدعى إلى كتابها، اليوم تجزون ما كنتم تعملون"

من أدّى صلاته مُتدبرًا هذه الأذكار، أقامها على الوجه الصحيح .هذا التدبر يضمن أن تمتد طاعته لله تعالى .سورة العنكبوت، الآية 45 .إلى ما بعد الصلاة، مُهتديًا بسلوكه وأفعاله في الفترات الفاصلة بين الصلوات

"...إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر"

كما هو مبين في الآية ٥٥، فإن هذه الطاعة تستلزم استخدام النعم الممنوحة بما يرضي الله تعالى، كما هو مبين في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. سورة مريم، الآية ٥٥

"...وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة"

تُنظَّم الصلوات المفروضة علاقة المرء بالله تعالى، بينما تُنظَّم الزكاة المفروضة علاقته بالآخرين. وتُعتبر الزكاة جزءًا صغيرًا من ثروة الفرد، ولا تُستحقَّ إلا عند امتلاكه مبلغًا أدنى مُحدَّدًا. وغايتها الأساسية هي تذكير المؤمن بأن الثروة ليست ملكًا شخصيًا مطلقًا، بل هي أمانةٌ أودعها الله تعالى، ليُستخدمها فيما يُرضيه والحقيقة أن كل نعمة تُمنح للإنسان هي قرضٌ يجب رده في النهاية إلى صاحبه الحق، الله تعالى. ويُستحقَّ سداد هذه الأمانة عند استخدامها وفقًا للإرشادات الواردة في القرآن الكريم وسنة النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم.

على المستوى الفردي، تُطهِّر الصدقة مال المُعطي، وتُزيل آثار الجشع والبخل التي تُفسد القلب. كما تُنمِّي، الامتنان بتذكير المؤمن بأن رزقه في نهاية المطاف من الله تعالى، وليس من جهده وحده. علاوة على ذلك، تُنمِّي الصدقة التواضع بتحويل منظور المرء من كونه مالكًا للثروة إلى كونه أمينًا على الموارد الإلهية. مُعززةً بذلك عقلية العبودية لله تعالى.

، على الصعيد المجتمعي، تُخفف الصدقة المفروضة من معاناة الفقراء وتُخفف من حدة التفاوت الاقتصادي مما يحمي نسيج المجتمع من الاستياء والانقسام والاضطرابات الاجتماعية. كما تضمن أن يستفيد من تداول

الثروة ليس الأغنياء فحسب، بل الضعفاء أيضاً، مما يُعزز العدالة والوئام. وعندما تُورَّع الثروة بهذه الطريقة الإلهية، يتعزز التماسك الاجتماعي، وتُصان حقوق جميع أفراد المجتمع بشكل أفضل.

،من يغفل عن هذه الحقيقة، ويتصرف كما لو أن نعمته - كالثروة - ملكٌ له وحده، فيمنع الصدقة المفروضة ،سيواجه عواقبَ مماثلةً لمن يُهمل سداد دينٍ دنيوي . على سبيل المثال، يُحدَّر حديثٌ في صحيح البخاري رقمه ١٤٠٣، من أن من يمنع الصدقة المفروضة سيواجه يوم القيامة ثعباناً ساماً كبيراً يلدغه مراراً وتكراراً .سورة آل عمران، الآية ١٨٠

ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خير لهم بل هو شر لهم، ستطُوق أعناقهم بما يبخلون"
"...يوم القيامة

في هذا السياق، تُصبح الثروة التي يمتنع عنها الأفراد عن الصدقة المفروضة مصدرًا لضيقهم وشقائهم، إذ وهذا يُؤدي إلى حالة نفسية وجسدية غير متوازنة، ويُؤدي بهم إلى اختلال يُسيئون استخدام النعم التي مُنحوها .أولوياتهم فيما يتعلق بكل شيء وكل شخص في حياتهم، ويمنعهم من الاستعداد الكافي للحساب يوم القيامة وهذا يُؤدي في النهاية إلى التوتر والمتاعب والصعوبات في الدنيا والآخرة، حتى وإن تمتعوا ببعض الرفاهية :سورة طه، الآيات ١٢٤-١٢٦ .الدنيوية مؤقتًا

ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد"
"كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى

:سورة مريم، الآية 55

"...وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة"

عندما يُحقق المرء الركّنين الأساسيين لجميع الأعمال الصالحة، فإنه سيُحسن استخدام النعم التي مُنحها له يضمن هذا النهج للفرد تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، ويُعطي. كما هو موضح في التعاليم الإسلامية الأولوية لجميع جوانب حياته، وفي الوقت نفسه يُهيئه للمحاسبة يوم القيامة. بالإضافة إلى ذلك، بما يضمن هذا الموقف الوفاء بحقوق الناس، فإنه يُسهم في نشر العدل والسلام في المجتمع. وبالتالي، يؤدي هذا السلوك إلى راحة البال على المستوى الفردي والمجتمعي. ونتيجة لذلك، سيكون هذا الشخص راضيًا عن الحياة في الدنيا والآخرة، وسيَرْضِي الله تعالى، حيث قام بدوره كمبعوث له في الأرض. سورة مريم، الآية 55

"وكان عند ربه مرضياً"

علاوة على ذلك، من المهم ملاحظة أن المرء لن يَرْضَى الله تعالى إلا عندما يَرْضِي عنه وعن اختياراته له ولأحبائه. لذلك، يجب على المرء أن يتقبل أن كل ما يختاره الله تعالى له هو الأفضل، حتى لو لم يراع حكمة (سورة البقرة، الآية ٢١٦). اختياراته، فهذا يضمن رضاه عنه، وبالتالي نيل رضاه في الدنيا والآخرة

"وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ..."

:الفجر ، الآيات 27-30 وسورة

"يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي"

بعد أن ذكرنا سيرة النبي إسماعيل عليه السلام المُثلى، كوسيلةٍ لحثّ الناس على السلوك القويم في الدنيا، لجأ الله تعالى إلى مثال النبي إدريس عليه السلام .سورة مريم، الآية 56

"...وانكر في الكتاب إدريس"

.الغرض الأساسي من سرد قصص عباد الله الصالحين هو الاقتداء بهم في علاقاتهم مع الله تعالى ومع الناس. كما أن التأمل في هذه القصص يُعزز عزم المرء على الثبات على طاعة الله تعالى .وتوضح هذه القصص باستمرار أن الصالحين، رغم ما عانوه من محنٍ شديدة، قد نالوا في النهاية السكينة في الدنيا والآخرة بفضل وحصولهم على حالة نفسية وجسدية متوازنة، وحسن توزيعهم لكل شيء ،التزامهم بالأمور الإلهية وكل شخص في حياتهم.

لذلك، يجب التعامل مع هذه الروايات التاريخية بنيةٍ مدروسةٍ لاستخلاص دروسٍ عمليةٍ تُثمر نفعًا روحيًا حقيقيًا .إن عدم تبني هذا المنظور يُعرّض قصص الصالحين للتحريف، ويحرمهم من قدرتها على إلهام المزيد من الإخلاص والطاعة لله تعالى .هذا الإهمال قد يدفع الأفراد إلى الاستمرار في سوء استغلال النعم المُنعمة عليهم، مما يؤدي إلى حالةٍ من الاختلال العقلي والجسدي، إلى جانب سوء ترتيب الأولويات وعدم الاستعداد الكافي لمساءلة يوم القيامة .وهذا يؤدي إلى التوتر والضيق والصعوبة في الدنيا والآخرة، حتى وإن كانوا .ينعمون براحةٍ دنيويةٍ ظاهرة

علاوة على ذلك، من الضروري أن يكون ذكر عباد الله الصالحين من خلال الدراسة المباشرة لسيرتهم وتعاليمهم كما وردت في القرآن الكريم. وتنشأ هذه الضرورة المنهجية لأن قصص حياتهم في الكتب السماوية السابقة قد تعرضت للتحريف والتأويل. سورة مريم، الآية 56

"...وانكر في الكتاب إدريس "

علاوة على ذلك، يُبرز هذا الأهمية الجوهرية للتدبر في القرآن الكريم نفسه. فدأب الإسلام على توجيه دعوة مفتوحة للجميع - بغض النظر عن خلفياتهم العلمية أو مستوى فهمهم - للتدبر في القرآن الكريم. هذه الدعوة الإلهية تشجع كل إنسان على التدبر في معانيه ودروسه وإرشاداته، متقرباً بذلك من الله تعالى، ومُوفّقاً في حياته لأوامره. هذا التدبر ليس حكرًا على العلماء فحسب، بل هو فرض وفرصة للجميع، يهدف إلى غرس: سورة ص، الآية 29. الإخلاص والطاعة والرقى الروحي في كل من يتدبره

«كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب»

:سورة النحل الآية 44

"بالبينات والأحكام، وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم، ولعلمهم يتفكرون"

إن افتراض أن تدبر القرآن الكريم حكرٌ على العلماء هو افتراضٌ خاطئٌ ويتعارض جوهرياً مع روح التعاليم الإسلامية. فبينما يُشجّع على تدبر القرآن الكريم جميع الناس، فإن هذه الدعوة لا تُجيز لمن ليس لديهم تأهيل علمي تفسير الآيات أو استنباط الأحكام الشرعية بشكل مستقل، وهي مساعي غالباً ما تُفضي إلى سوء التقدير والخطأ. بل يُحثّ الأفراد على تركيز تأملاتهم على مواضيع واضحة ومتاحة للجميع، مثل الخصال الحميدة التي يُؤمر المؤمنون بالتحلي بها والخصال الضارة التي يُؤمرون بتجنبها. فهذه الجوانب من الرسالة القرآنية في متناول الجميع، وهي وسيلةٌ لتحقيق راحة البال في الدنيا والآخرة.

أما المسائل الفقهية الأكثر تفصيلاً، فينبغي تناولها بالاستعانة بترجمات موثوقة وشروح موثوقة لضمان فهم سليم. فعندما يتفاعل عامة الناس مع القرآن الكريم بهذه الطريقة، فإنه يُتمي فيهم حباً عميقاً لله تعالى وتعظيماً له، ويقوي إيمانهم، ويزيد وعيهم بالأدلة الواضحة التي يتضمنها النص الإلهي. ويغذي هذا التفاعل رغبة صادقة في طاعة الله تعالى، ويُسهّل الاستعداد الجاد للحساب يوم القيامة من خلال الحث على حسن استخدام من خلال تحقيق حالة ذهنية النعم الإلهية وفقاً للتعاليم الإسلامية. وهذا يؤدي إلى راحة البال في الدنيا والآخرة. وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في حياتهم على الوجه الصحيح.

إن أنجع سبيل للوصول إلى هذا الفهم العميق هو الدراسة تحت إشراف عالمٍ مُؤهل. وينبغي بعد ذلك استيعاب المعرفة المُكتسبة في هذا السياق وتطبيقها باستمرار في الحياة اليومية. وإذا تعذر الوصول المباشر إلى التعليم العلمي، يُنصح الأفراد بالاعتماد على التفسيرات الصحيحة للقرآن الكريم، وطلب التوضيح من العلماء عند وجود أي لبس.

وأخيراً، يحثّ الله تعالى الناس على الاقتداء بصفات الصالحين، كالنبي إدريس عليه السلام، وذلك بذكر إحدى فضائله، وهي صفةٌ قابلةٌ للتحقق والتكرار، قبل ذكر نبوته، وهي صفةٌ مُقدّرةٌ إلهياً لا تُدرك في هذا العصر. وهذا الترتيب يُؤكّد على أهمية اتباع السلوك القويم كغاية عامة، في تناول كل من يسعى إلى القرب من الله تعالى وراحة البال في الدنيا والآخرة. سورة مريم، الآية 56

"إنه كان صادقًا ونبياً ..."

في حديثٍ رواه الترمذي، برقم ١٩٧١، أكد النبي محمد صلى الله عليه وسلم على أهمية الصدق وضرورة اجتناب الكذب بجميع صوره. ويؤكد الجزء الأول من الحديث أن الصدق يهدي إلى البر، وأن البر يهدي إلى الجنة. ومن داوم على الصدق فقد كتبه الله تعالى صديقاً. سورة مريم، الآيتان ٥٦-٥٧

"واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقاً نبياً ورفعناه مكاناً علياً"

والفصل الرابع من سورة النساء، الآية 69

"...ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين"

،الصدق، كما هو موضح في التعاليم الإسلامية، يتألف من ثلاثة مستويات متميزة. أولها يتعلق بإخلاص النية أي أن يعمل المرء لله تعالى وحده، دون أن يبتغي منفعة شخصية أو شهرة أو شهرة. يشكل هذا المبدأ أساس الممارسة الدينية، حيث يُحكم على كل عمل بنواياه - وهو مفهوم مؤكد في حديث صحيح البخاري رقم 1. ومن الدلائل الواضحة على الإخلاص عدم الرغبة في طلب الشكر أو الاعتراف من الآخرين.

المرتبة الثانية هي الصدق في الحديث. وهذا يستلزم الامتناع ليس فقط عن الكذب، بل عن جميع أنواع المعاصي اللفظية. فمن يخوض في الكلام الفاحش أو الباطل لا يُعدّ صادقاً حقاً. ويوجد دليل عملي لبلوغ هذه

المرتبة في حديث منشور في جامع الترمذي، رقم 2317، والذي ينصح بأن يكمل المرء إيمانه بالامتناع عما لا يعنيه. وينشأ جزء كبير من المعاصي اللفظية عندما يخطر الأفراد في نقاشات لا علاقة لهم بها. وهذا يشمل أيضًا تجنب اللغو الذي غالبًا ما يؤدي إلى الكلام الفاحش ويمثل إضاعة للوقت - وهو أمر سيكون مصدرًا للندم يوم القيامة. ويُحفظ هذا المستوى من الصدق بالقول فقط بالخير أو الصمت

المستوى الثالث والأخير هو الصدق في العمل. ويتحقق ذلك بالامتثال التام للأوامر الإلهية، واجتناب المحرمات، والصبر على القضاء، وفقًا لسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. ويجب أن يتم ذلك دون تأويل أو تعديل انتقائي للتعاليم الدينية بما يتماشى مع الأهواء الشخصية. يجب على الأفراد الالتزام بالتسلسل الإلهي والأولويات التي وضعها الله تعالى في جميع جوانب السلوك. ومن يتصرف بهذه الطريقة سيستخدم كل نعمة يضمن هذا النهج للأفراد تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، وتحديد. أنعم بها عليه بما يرضي الله تعالى أولوياتهم الصحيحة لجميع الأشخاص والأمور في حياتهم، مما يسمح لهم بالاستعداد الكافي للحساب يوم القيامة. سيؤدي هذا السلوك، بالتالي، إلى تحقيق راحة البال في الدنيا والآخرة. سورة مريم، الآية 57

ورفعناه مكانا عليا

إن عواقب عدم الالتزام بهذه المراتب من الصدق - أي الانخراط في الكذب - وخيمة. ووفقًا للحديث المذكور سابقًا، فإن الكذب يؤدي إلى المعصية، والتي تؤدي في النهاية إلى نار جهنم. الشخص الذي يستمر في هذا السلوك سيكتبه الله تعالى كذابًا كبيرًا. فيما يتعلق بالمستويات الثلاثة الموضحة سابقًا، فإن الكذب في النية ينطوي على عدم الإخلاص لله تعالى، وعمل الصالحات من أجل الناس. الكذب في القول يشمل جميع أشكال الكلام الخاطئ والباطل. الكذب في العمل يشمل إساءة استخدام النعم التي مُنحت لهم، وبالتالي انتهاك حقوق الله تعالى، وحقوق البشر. الشخص الذي يجسد جميع أبعاد الكذب هذه يُصنف ككذاب كبير، ولا يتطلب الأمر بصيرة علمية لتوقع مصير من سيكتبه الله تعالى كذلك يوم القيامة

:سورة مريم، الآية 56

"إنه كان صادقًا ونبياً ..."

يطمح جميع الأفراد إلى الاتحاد بالأنبياء عليهم السلام في الآخرة. إلا أن التعاليم الإسلامية تُبين أن هذا الاتحاد لا يتحقق إلا بالافتداء بهم في الدنيا. فدور النبي عليه السلام هو أن يكون قدوة للآخرين في القول والفعل، لا أن يكون مجرد موضع للمودة اللفظية. وكما أن الأمم السابقة التي أعلنت حبها للأنبياء عليهم السلام ستفشل في بلوغ القرب منهم في الآخرة لعدم اقتدائها بهم، فكذلك المسلمون الذين لا يقتدون بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم لن يتمكنوا من الانضمام إليه في الآخرة. بل سيُحاذى المرء من اقتدى بهم في الدنيا. ويؤكد هذا المبدأ حديث في سنن أبي داود، رقم 4031. سورة النساء، الآية 69

ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا

بعد أن ذكر الله تعالى بعضاً من صفات الأنبياء عليهم السلام، أوضح أنهم ما فضلهم الله وهداهم إلا لخضوعهم لطاعته خالصة في كل حال، مستغلين نعمه التي أنعم بها عليهم كما بينتها تعاليمه. سورة مريم، الآية 58

أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل وممن هدينا واجتبينا. وإذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكياً

يستطيع جميع الناس أن ينالوا نفس النعمة والهداية من الله تعالى، فيحصلوا على راحة البال في العالمين، من خلال الحصول على حالة ذهنية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في حياتهم بشكل صحيح، من خلال الخضوع للتوجيه الإلهي الممنوح لهم من الله تعالى.

بعض النظر عن تقدم أي مجتمع ومدى المعرفة المكتسبة في مختلف المجالات، بما في ذلك الجوانب العقلية والجسدية للإنسانية، يبقى من المستحيل أساساً على الناس صياغة مدونة سلوك شاملة. يجب أن تتوافق هذه المدونة تماماً مع الطبيعة البشرية، وأن تستوعب بنجاح جميع الظروف والأحوال والسيناريوهات التي يواجهها الأفراد والمجتمعات طوال وجودهم على الأرض. ينبع هذا الاستحالة من حقيقة أن البشرية لا تزال تكتشف رؤى جديدة في مكونات محددة من الوجود البشري - مثل وظائف الدماغ - ناهيك عن امتلاك فهم كافٍ لوضع مدونة سلوك لا تشوبها شائبة تعزز الطمأنينة والعدل على المستويين الفردي والمجتمعي. الله تعالى وحده هو القادر على تحقيق ذلك. بصفته خالق كل شيء، فإن علمه لا حدود له، يشمل الماضي والحاضر والمستقبل بأكمله. وبالتالي، فهو وحده المؤهل لتزويد البشرية بمدونة سلوك - معيار يفصل بوضوح بين الخير والشر، والنافع والضار، ويسهل تحقيق راحة البال في حياة مليئة بالتوتر. تثبت الأدلة التاريخية بشكل قاطع أن التطبيق الفعال لهذه القاعدة الأخلاقية الإلهية في حياة الأفراد قد أدى باستمرار إلى انتشار العدالة والسلام في المجتمع. لذا، يجب على الأفراد اعتناق هذه القاعدة الأخلاقية الإلهية، وإدراك أنها الأنسب لرفاهيتهم، حتى وإن تعارضت بعض عناصرها مع رغباتهم الشخصية. وعليهم أن يتصرفوا كمريض حكيم يُقرّ بالنصيحة الطبية التي يقدمها طبيبه ويلتزم بها، مُدركين أنها في نهاية المطاف في مصلحتهم، على الرغم من وصف أدوية غير مُرضية واتباع نظام غذائي صارم.

ولكن بما أن طاعة الله تعالى غالباً ما تتعارض مع شهوات الناس الدنيوية، فإن كثيراً منهم يُصرّون على معصيته بإساءة استخدام النعم التي أنعم بها عليهم. سورة مريم، الآية 59

"...فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات "

تُذكر الصلوات المفروضة لأنها ركنٌ أساسيٌّ من أركان الأعمال الصالحة، ولأنها تذكيرٌ دائمٌ بيوم القيامة تُعدّ الصلوات، الممتدة على مدار اليوم، تذكيرًا دائمًا بيوم القيامة، مُساعدةً المؤمنين على الاستعداد للحساب الأخير. يُمثّل كلُّ ركنٍ من أركان الصلاة رمزياً جوانب ذلك اليوم. لذا، فالصلاة ليست مجرد ركنٍ أساسيٍّ من أركان الإيمان؛ بل هي أيضاً الأساس الذي تُبنى عليه جميع الأعمال الصالحة، وتُرشد المؤمن إلى العيش بوعيٍ لربه واستعدادٍ للآخرة. على سبيل المثال، يُشير الوقوف في الصلاة إلى الموقف الذي سيقف فيه الجميع: سورة المطففين، الآيات 4-6. في النهاية أمام الله تعالى للحساب

أَوْ لَا يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُبْعَثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ

عندما يسجد المؤمن في صلاته، فإنه يُذكر الناس بكثرة من سيُلامون يوم القيامة على تقصيرهم في السجود لله تعالى في حياتهم الدنيا. هذا العمل المتواضع من الصلاة يُمثّل الخضوع الذي كان متوقعاً منهم في حياتهم: سورة المرسلات، الآية 48. الدنيا ولم يُحققوه

"وإذا قيل لهم اركعوا لم يركعوا"

عندما يسجد الإنسان في الصلاة، فإنه يُذكر باليوم الذي يُدعى فيه الجميع للسجود لله تعالى. أما من لم يسجد سورة القلم، الآيتان. له في حياته - مستغلاً نعمه التي أنعم بها عليه - فسيجد أنه لا يستطيع ذلك يوم القيامة: 42-43:

يوم يشتد الأمر يدعون إلى السجود فيمنعون، وتخضع أعينهم، وتغشاهم الظل، وكانوا يدعون إلى السجود" وهم سالمون

عندما يركع الإنسان في الصلاة، فإنه يُذكره بكيفية سجوده بين يدي الله تعالى يوم القيامة، مليئاً بالقلق والترقب:
سورة الجاثية، الآية ٢٨. لحكم قضاؤه الأخير

"وترى كل أمة جاثية، وكل أمة تُدعى إلى كتابها، اليوم تجزون ما كنتم تعملون"

،من صلى متفكراً في هذه الأذكار، أحسن صلاته. هذا التأمل يضمن أن طاعته لله تعالى تتجاوز الصلاة نفسها
سورة العنكبوت، الآية 45. وتؤثر على سلوكه وأفعاله في الفترات الفاصلة بين الصلوات

"...إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر"

ولكن عند إهمال الصلوات المفروضة، ينسى المرء محاسبته يوم القيامة، فلا يستعد لها، بل يُصرّ على إضاعة
:النعم التي وهبت له. سورة مريم، الآية 59

"...فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات"

في هذه الدنيا، سيعيق هذا حتمًا قدرتهم على تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، ويدفعهم إلى إهمال أولوياتهم وعلاقاتهم، مما يؤدي إلى اضطراب في جميع مناحي الحياة. ونتيجةً لذلك، تصبح العناصر التي من المفترض أن تجلب لهم الراحة - كالعائلة والأصدقاء والعمل والثروة - مصادر للتوتر والقلق. إذا استمر هؤلاء الأفراد في تحديهم، فإنهم غالبًا ما يُرجعون ضيقهم إلى أسباب خاطئة، مُلقين باللوم على أطراف بريئة كالزوج أو الرفاق المقربين. بقطعهم هذه العلاقات المفيدة، فإنهم يُفاقمون حالتهم، وينحدرون إلى مزيد من عدم الاستقرار النفسي، الذي قد يتجلى في الاكتئاب، أو إدمان المخدرات، أو حتى الأفكار الانتحارية. هذه النتيجة واضحة للعيان لدى من يُسيء استخدام النعم المُنحت لهم باستمرار، كالمشاهير. فرغم وفرتهم المادية، تبقى مشاكلهم النفسية الخطيرة دون حل بسبب إهمالهم التوجيه الإلهي. علاوة على ذلك، لا يُعيق هذا الموقف حياتهم الدنيوية فحسب، بل يُعيق أيضًا استعدادهم ليوم القيامة. وبالتالي، فإن العقاب الذي ينتظرهم في الآخرة سيكون أشد بكثير، مما يعكس جسامه استخفافهم بغرض وجودهم والنعم الموكولة إليهم. سورة مريم، الآية 59

"فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون سوءًا "

بالإضافة إلى ذلك، يحدث هذا السلوك أيضًا عندما يتبنى المرء التفكير التمني حيث يصر على معصية الله تعالى بإساءة استخدام النعم التي أنعم بها عليه، بينما يعتقد خطأً أنه سيُمنح نفس الرحمة والهدى الذي مُنح، هذا الموقف لا قيمة له في إطار الإسلام. في المقابل، للأنبياء عليهم السلام، كما يُعلنون شفهيًا عن إيمانهم بهم يتميز الرجاء الحقيقي بالسعي النشط في طاعة الله تعالى. وهو يستلزم الاستخدام الصحيح للنعم وفقًا للتعاليم الإسلامية، متبوعًا بالأمل الصادق في رحمة الله تعالى ومغفرته في كل من هذه الدنيا والآخرة. وقد تم توضيح لذلك الفرق بين الرجاء الحقيقي والتفكير التمني المجرد في حديث مسجل في جامع الترمذي، رقم 2459 يتعين على الأفراد إدراك هذا الفرق واستيعابه. الأمل الحقيقي ينبع من الجهد والإخلاص والخضوع، بينما التمني خالٍ من الجوهر ولا يُثمر نفعًا في أيٍّ من العالمين. يجب على المرء أن يحرص على أن يكون أمله من، قائمًا على الطاعة لا على الرضا، لأن الطاعة وحدها هي التي تقود إلى القبول الإلهي والسلام الدائم خلال تحقيق حالة ذهنية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في حياته على النحو الصحيح.

:سورة مريم، الآية 59

"فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون سوءًا "

كما ذكرنا سابقًا، قد يكون هذا أيضًا إشارةً إلى الموقف الضال الذي يدّعي فيه المرء إيمانه ومحفته للأنبياء عليهم السلام لفظيًا، ثم يغفل عن دعم هذا الإقرار بالأفعال باتباعهم في سلوكهم. ولأن الإنسان يُعدّ ممن يُفتدى سنن أبي داود رقم 4031، فإنه يجب عليه دعم إيمانه اللفظي بالأنبياء عليهم السلام بهم، كما ورد في حديث باتباعهم عمليًا، وإلا فلن ينضم إليهم في الآخرة. بل إن من يغفل عن دعم إيمانه اللفظي بالأفعال يكون في من الضروري أن نفهم أن الإيمان أشبه بالنبات الذي يحتاج إلى غذائه بالطاعات. خطر عظيم من فقدان إيمانه لينمو ويعيش. فكما أن النبات يفنى إذا حُرِم من غذائه، كضوء الشمس، كذلك قد يضعف إيمان الإنسان ويسقط في النهاية إذا لم يُدعم بالطاعات المتواصلة. وهذا الانحدار هو أعظم خسارة ممكنة. سورة مريم، الآية 59

"لذلك سوف يقابلون الشر ..."

لتجنب هذه النتيجة، يجب على المرء أن يتوب توبةً صادقةً من سوء سلوكه، ويُصلح سلوكه، ويُؤيد إيمانه اللفظي بالأفعال، وذلك بالاستغلال الصحيح للنعم التي وهبت له كما هو مبين في التعاليم الإسلامية. سورة مريم، الآية 60

"إلا من تاب وآمن وعمل صالحا "

التوبة الصادقة تتطلب عدة عناصر متكاملة: الشعور بالذنب الصادق أو الندم على الذنب، والاستغفار من الله تعالى، وطلب العفو من كل من ظلم، شريطة ألا يُسبب ذلك عواقب وخيمة. إضافةً إلى ذلك، يجب على الفرد الالتزام الصادق بتجنب تكرار نفس الذنب أو ما شابهه، وتصحيح أي حقوق مُنتهكة لله تعالى وللناس. وعليه بعد ذلك الاستمرار في طاعة الله تعالى بإخلاص، مُحسنًا استغلال النعم التي أنعم بها عليه، بما يتوافق مع هذا النهج يُمكن الفرد من تحقيق التوازن في صحته النفسية والجسدية، ويُمكنه من تحديد. التعاليم الإسلامية أولوياته وترتيب كل جانب من جوانب حياته - سواءً كانت علاقات أو مسؤوليات أو موارد - وفقًا للهداية، الإلهية. وبذلك، يُهيئ نفسه بفعالية للمحاسبة يوم القيامة. هذا السلوك يُعزز راحة البال الدائمة في العالمين، ويعكس الانسجام الناتج عن الطاعة الصادقة لله تعالى. سورة مريم، الآيتان 60-61

"...فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئاً، جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب..."

عمومًا، يجب على الأفراد تجنب الموقف الخاطئ المتمثل في ادعاء عدم قبول التعاليم الإسلامية أو العمل بها حتى تصبح جميع الأمور - وخاصةً ما يتعلق منها بالغيبيات كالملائكة - ظاهرةً وقابلةً للتحقق تجريبيًا. هذا الموقف خاطئٌ جوهريًا، إذ يكمن جوهر الإيمان في إثبات بعض الحقائق الغيبية دون إدراكها بالحواس الخمس، كروية الله تعالى. ومع ذلك، فإن هذه العناصر الغيبية مدعومة بآيات ودلائل كثيرة في السماوات والأرض. على سبيل المثال، وجود لوحة فنية يستلزم بالضرورة وجود رسام؛ وبالمثل، وجود خلقٍ منظمٍ تمامًا يدل بلا شك على وجود خالق.

. علاوة على ذلك، في شؤون الدنيا، عادةً ما يقبل الأفراد ويستخدمون أمورًا لا يدركونها أو يستوعبونها تمامًا. ومن الأمثلة الواضحة على ذلك شيوع استخدام الطب، رغم عجز معظم الناس عن إدراك آلياته الداخلية أو فهمها. وبينما يرتكز الإطار الأخلاقي والقانوني للإسلام على الأدلة والمنطق، فإن بعض جوانب الدين تستند - إلى حقائق غيبية تحديدًا لأن هذا يُضفي قيمة على الإيمان. ولذلك، فإن ادعاء الإيمان من يشهد الغيب كالملائكة - لن يقبله الله تعالى، لأن الإيمان بما هو ظاهر لا يتطلب قناعة روحية.

،إن الاختبار الحقيقي يكمن في قبول الإنسان للواقع رغم حجبهِ عن حواسِّه، وفي طاعته لله تعالى بإخلاص، وإن كان في وسعه المعصية. لقد أبقي الله تعالى، بإرساله الأنبياء عليهم السلام، وإنزاله الكتب السماوية هامشاً لاختبار حكم الإنسان وطاعته. ولم يكشف عن الحقيقة قطّ إلى حدّ يُصبح معه القبول حتمياً، لأن هذا الإكراه يُبطل غاية الاختبار ويُفرغ مفاهيم النجاح والفشل من معناها. ولذلك، يُحذّر القرآن الكريم من انتظار ظهور الله تعالى وملائكته جسدياً قبل قبول الحقيقة. فمثل هذا الحدث يُشير إلى نهاية فترة الاختبار، فلا يترك مجالاً لاتخاذ قرار طوعي. لا قيمة للإيمان والطاعة إلا عندما تُعرض الحقيقة بطريقة تسمح برفضها. لو انكشفت غيبات الكون والآخرة، لاضطر حتى أعتى الكفار والمذنبين إلى الاستسلام. لذا، فإن فضل الإيمان والطاعة مشروط بوجود حجاب على الحقيقة. لحظة رفع هذا الحجاب تُشير إلى انتهاء استقلال الإنسان وقيام يوم القيامة. سورة مريم، الآية 61

"إن وعده كان آتياً دائماً..."

من أعظم وعود الله تعالى، عمومًا، أن من اغتنم نعمه وفق تعاليم الإسلام، سينال راحة البال في الدنيا والآخرة. ويتحقق ذلك من خلال بناء حالة نفسية وجسدية متوازنة، وترتيب علاقاته ومسؤولياته وموارده إساءة استخدام توزيعاً سليماً. هذا الاتزان يُعزز الانسجام والوضوح والاكتمال الروحي. أما من يُصرّ على نعم الله عليه، فسيقع حتمًا في اختلال التوازن النفسي والجسدي، ويفقد اعتباره لكل شيء وكل شخص في حياته، مُهملاً الاستعداد للحساب يوم القيامة. سيؤدي هذا الإهمال إلى مشقة وضيق وضيق في الدنيا والآخرة حتى وإن بدا عليه التمتع ببعض الرفاهية الدنيوية

:سورة مريم، الآية 61

.عدن التي وعدّها الرحمن عباده بالغيب، إن وعده كان آتياً جنات

إن إنكار إمكانية بعث الإنسان يوم القيامة ادعاءً غريب، بالنظر إلى كثرة أمثلة البعث التي تحدث طبيعياً على مدار الأيام والشهور والسنين .على سبيل المثال، يُحيي الله تعالى الأرض الميتة القاحلة، فينبُث بذرة هامةً مُوفراً بذلك قوتاً للخلقة .وبالمثل، يُحيي الله تعالى، بل يُحيي، البذرة الميتة المدفونة في الأرض، وهي الإنسان، تماماً كما تُحيي البذرة الميتة التي تُعاد إلى الحياة .كما أن الطبيعة الدورية الواضحة للفصول تُشيرُ، إلى البعث .ففي الشتاء، تذبل أوراقُ الأشجار وتتساقط، فتبدو الشجرة ميتةً .ومع ذلك، في فصولٍ أخرى تنمو الأوراق من جديد، فتبدو الشجرة مفعمةً بالحياة من جديد .بل إن عملية التجدد تحدث باستمرارٍ داخلَ الجسم، حيثُ تموتُ الخلايا، مثل خلايا الجلد، وتتكاثرُ باستمرارٍ .علاوةً على ذلك، تُقدمُ دورةُ النوم واليقظة لجميع المخلوقاتِ مثلاً آخرَ على البعث .يُعتبر النوم شقيق الموت، إذ تتوقف حواس النائم مؤقتاً .ثم يعيد الله :سورة الزمر، الآية 42 .تعالى روحه إذا قدر له البقاء، فيعيد الحياة للنائم

الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى "أجل مسمى إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون

إن وجود يوم القيامة ضرورة منطقية تنبع من ملاحظة التوازن الجوهرى في الكون .وتتجلى أمثلة عديدة على التوازن في الخلق :فالبعد المتوازن تماماً بين الأرض والشمس يجعلها صالحة للسكن؛ ودورة الماء متوازنة بدقة لاستمرار الحياة؛ والأرض تتمتع بخصائص متوازنة من الصلابة لدعم الهياكل الثقيلة، واللين الذي يسمح للبراعم الرقيقة بالاختراق .وتشير هذه الأمثلة بوضوح ليس فقط إلى خالق، بل أيضاً إلى مبدأ التوازن.

ومع ذلك، ثمة اختلال صارخ في أفعال البشر وجزاءهم .فكثيراً ما يفلت الظالمون من العقاب في هذه الحياة الدنيا، بينما لا ينال المظلومون، ومن يتحلون بالصبر العظيم، جزاءهم كاملاً .علاوة على ذلك، يواجه كثير من الذين يطيعون الله تعالى بإخلاص مصاعب دنيوية جمّة، بينما ينعم من يعصيه علناً بنعيم الدنيا .وكما أن الله تعالى قد وضع التوازن في سائر المخلوقات، فلا بد من موازنة ثواب وعقاب الأفعال .وبما أن هذه العدالة الجلية غائبة تماماً في الدنيا، فلا بد أن تأتي في يوم القيامة

لله تعالى القدرة على الثواب والعقاب الكاملين في الدنيا. إلا أن من حكم تأخير الجزاء الكامل إتاحة فرص دائمة للمذنبين للتوبة الصادقة وتقويم سلوكهم. كذلك، لا يُمنح المؤمنون الجزاء الكامل في الدنيا، لأن الدنيا - ليست جنة. علاوةً على ذلك، فإن الإيمان بالغيب - وتحديدًا الجزاء الكامل الذي ينتظر المؤمن في الآخرة جانبٌ جوهريٌّ ومميزٌ للإيمان. إن نيل الجزاء الكامل في الدنيا، والذي يُدرك بالحواس الخمس، يُضعف من عمق هذا الإيمان بالغيب.

وبالإضافة إلى ذلك، فإن تنمية الخوف من العقاب الكامل والأمل في تلقي المكافأة الكاملة في الآخرة بمثابة تشجيع قوي للأفراد على الامتناع عن الخطايا وأداء الأعمال الصالحة.

لكي يبدأ يوم الجزاء، لا بد أن ينتهي هذا العالم المادي. وذلك لأن العقاب والثواب الكاملين لا يمكن أن يُقضى عليهما إلا بعد انتهاء أعمال كل فرد. لذا، لا يمكن أن يأتي يوم الجزاء إلا بعد انتهاء أعمال البشر، مما يؤكد أن العالم المادي لا بد أن ينتهي لا محالة. إن التأمل في هذا النقاش يُعزز الإيمان بيوم القيامة، ويشجع على الاستعداد له بالاستفادة الصحيحة من النعم الممنوحة، كما هو مبين في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى من خلال تحقيق حالة الله عليه وسلم. وهذا يؤدي في النهاية إلى تحقيق راحة البال والنجاح في كلا العالمين، سورة الجاثية. ذهنية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في حياتهم بشكل صحيح، الآية 22، الفصل 45:

"وخلق الله السموات والأرض لحكمة، لتُجزى كل نفس ما اكتسبت، وهم لا يُظلمون".

:وسورة مريم، الآية 61

"إن وعده كان آتيا دائما..."

فالإيمان القوي الراسخ ضروريٌ للمحافظة على لكي يتأثر الإنسان بوعود الله تعالى، لا بد من إيمان راسخ طاعة الله تعالى في جميع الأحوال، سواءً في السراء والضراء. وينمو هذا الإيمان العميق بفهم وتطبيق الآيات والتعاليم الواضحة في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. تؤكد هذه المصادر أن طاعة الله، في المقابل، يفتقر من يجهل مبادئ الإسلام إلى إيمان هشّ. تعالى خالصةً هي سبيل السلام في الدنيا والآخرة مما يجعله عرضة للانحراف، لا سيما عندما تتعارض الأهواء الشخصية مع الهداية الإلهية. هذا النقص في الفهم يحجب حقيقة أن السكينة الحقيقية لا تُنال إلا بتسليم المرء لشهواته في سبيل تنفيذ أوامر الله تعالى. لذلك من الضروري أن يُعزز الإنسان إيمانه بالسعي الدؤوب للمعرفة الإسلامية وتطبيقها عملياً. هذا يضمن طاعة الله تعالى الثابتة في جميع الأحوال. وهذه الطاعة تستلزم حسن استغلال النعم الممنوحة، وفقاً لتعاليم الإسلام. هذا التوازن يُعزز حالة نفسية وجسدية متوازنة، ويُمكن من تحديد أولويات جميع جوانب الحياة - العلاقات والمسؤوليات والموارد - مما يضمن راحة البال في الدنيا والآخرة. سورة مريم، الآية 62

«لا يسمعون فيها لغوا إلا سلاما»

:إلى ثلاثة أقسام: الأول من أراد أن يبلغ داراً لا يسمع فيها لغواً، فعليه اجتنابه في الدنيا. ويُقسّم الكلام عموماً الكلام الخبيث، ويجب اجتنابه بحزم. والثاني: الكلام الطيب، ويجب استخدامه في وقته المناسب. أما القسم الأخير فهو الكلام الخبيث. ورغم أنه لا يُصنّف إثماً ولا عملاً صالحاً، إلا أنه من الأفضل اجتنابه لأنه غالباً ما يكون مقدمةً للكلام الخبيث. علاوةً على ذلك، يصبح الكلام الخبيث مصدر ندم على المرء يوم القيامة عندما يُدرك الفرص والوقت الضائع فيه. لذا، على المرء إما أن يقول خيراً أو يصمت، وهو مبدأ ورد في حديث صحيح مسلم، رقم 176

لقد منح الله تعالى كل نعمة دنيوية يملكها الإنسان قرضاً، ولم يمنحها له هبة. وكما هو الحال مع القروض والطريقة الوحيدة لسداده هي استخدامه فيما يرضي الله تعالى. من ناحية. الدنيوية، يجب سداد هذا القرض

أخرى، ولأن بركات الجنة هبة، فالناس أحرار في استخدامها كما يشاؤون. لذلك، فإن من أحسن استخدام القرض الذي وُهب له في الدنيا كما هو مبين في التعاليم الإسلامية، سينال راحة البال في الدنيا والآخرة، من خلال تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في حياته على الوجه الصحيح، وسيُمنح عطايا أبدية في الآخرة ليتمتع بها كما يشاء. سورة مريم، الآيتان 62-63:

"ولهم رزقهم فيها غدوًا وعشيًا، تلك الجنة التي نورثها عبادنا الذين اتقوا..."

ولكي يتم الاستقامة، وبالتالي الحصول على راحة البال في الدنيا والآخرة، لا بد من الاعتقاد الصحيح في شأن الله تعالى، كوحدانيته.

في مختلف المعتقدات خارج الإسلام، ليس من النادر أن نجد فكرة أن الله، أو الكائن الأسمى، يخضع لقيود بشرية، كالتعب. غالبًا ما يُحاكي هذا المفهوم نموذج الحاكم الدنيوي - الذي يُنظر إليه على أنه غير قادر على إدارة جميع الشؤون بشكل مستقل، وبالتالي يعتمد على مساعدين أو وسطاء. تاريخيًا، دفع هذا الفهم بعض الجماعات، بما في ذلك غير المسلمين في مكة المكرمة، إلى تبجيل كائنات أخرى، مثل الملائكة، أملًا في نيل رضى الله تعالى. إلا أن الله تعالى يدحض هذا المفهوم الخاطئ بكلمات رئيس الملائكة جبريل عليه سورة السلام، قائد الملائكة. وقد نوقش هذا في كتاب الإمام الواحدي، أسباب النزول، 19:64، صفحة 125 مريم، الآية 64:

"[قال جبريل] وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيًا"

للأسف، تبني بعض المسلمين توجهًا مشابهًا. فهم يُكرّسون الوقت والجهد والموارد لتبجيل الشخصيات الروحية، مُفترضين أن لهم صلةً مميزةً بالله تعالى، تُشبه العلاقة بين الحاكم والملك. هدفهم هو كسب ود هذه

الشخصيات على أمل أن يتوسطوا عند الله تعالى، كما يُطلب موافقة الحاكم للوصول إلى الملك. في هذا الإطار، يعمل القادة الروحيون كحُرَّاس، وهي فكرة تتعارض تمامًا مع التعاليم الإسلامية. لم يُنصَّب الأنبياء عليهم السلام أنفسهم كحُرَّاس، بل أناروا الطريق المباشر لنيل رضا الله تعالى، ولم يسعوا إلى منفعة شخصية في ذلك. وبالتالي، فبينما يُؤمر المسلمون بتلقي المعرفة الإسلامية من مُعلِّمين مُؤهَّلين وإبداء الاحترام الواجب لهم، يجب ألا يعتبروا تعظيم أو إخلاص هؤلاء الشخصيات شرطًا أساسيًا لإقامة صلة بالله تعالى. السلطة المطلقة على الكون لله تعالى وحده، وهو المطلع على كل شيء، ولا يحتاج إلى وسطاء بينه وبين البشر. وقد في سورة البقرة، الآية ١٨٦ ، أكد القرآن الكريم هذا المبدأ صراحةً، على سبيل المثال

"...وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان"

:وسورة غافر الآية 60

"وقال ربكم ادعوني أستجب لكم"

:وسورة البقرة، الآية 255

"...من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ..."

مع أن الشفاعة واقعٌ واقعٌ يقع يوم القيامة، وهو أمرٌ خاضعٌ تمامًا لإذن الله تعالى الصريح، إلا أنه من الضروري عدم الاستهزاء بأهميتها أو تجاهلها. فهذا الموقف قد يُعرّض الفرد لخطر حرمانه من هذه الرحمة الإلهية. وغالبًا ما ينبع الاستهزاء بمفهوم الشفاعة من التمني، حيث يفشل الشخص في استخدام النعم الممنوحة له وفقًا للمبادئ الإسلامية، ولكنه يفترض النجاة من خلال تدخل الآخرين، كأفراد الأسرة أو الشخصيات الروحية. في الواقع، من يسخر من الشفاعة بهذه الطريقة قد يجد النبي محمد صلى الله عليه وسلم يشهد عليه: سورة الفرقان، الآية 30. يوم القيامة

"وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا "

هذه الآية تُشير إلى المسلمين، فهم وحدهم من أقرّوا بهدي القرآن الكريم وقبلوه. أما غير المسلمين، فلا يُعتبرون قد تخلّوا عنه لعدم اعتناقهم تعاليمه. أما من يشهد عليه النبي محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة فبالعاقبة جلية وشديدة.

. علاوة على ذلك، حتى في حالات الشفاعة، فإن الإهمال قد لا يمنع دخول النار، بل قد يخفف من شدة العذاب ومع ذلك، يجب الاعتراف بأن حتى أقصر تجربة في النار عميقة لا تُطاق. لذا، فإن أي أمل صادق في الشفاعة يجب أن يقتصر بسعي جاد - أي استخدام فعال وصادق للنعم وفقًا للقرآن الكريم وتعاليم النبي محمد صلى الله عليه وسلم. عندها فقط يمكن للمرء أن يأمل بحق في الشفاعة يوم القيامة، مع إدراك واضح أنها رحمة من الله تعالى وحده.

ولأن الله تعالى منزّه عن كل عيب، بخلاف الملوك الدنيويين، فإنه لا يحتاج إلى شركاء أو أعوان، ولذلك يجب طاعته وعبادته وحده في كل وقت. سورة مريم، الآية 65

”رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدُوهُ“

في الواقع، يُعَلِّم الإسلام بشكلٍ قاطع أنه في جميع الأحوال - سواءً في اليسر أو العسر، في الطمأنينة أو الاضطراب - فإن الكائن الوحيد المستحق للطاعة المطلقة هو الله تعالى، خالق كل شيء ورازقه. هذا المبدأ الأساسي متجذر في شهادة الإيمان، ومُعزز في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. في الواقع، كل من يُطيعه الفرد باستمرار، ويُقتدي به في حياته، يصبح في الواقع مُرادًا لعبادته - حتى لو أنكر الإيمان بأي إله ظاهريًا. ذلك لأن العبادة، بمعناها الأوسع، لا تشمل فقط طقوس العبادة، بل تشمل أيضًا إعطاء - الأولوية للقيم والولاءات والأنماط السلوكية. لقد فطر الله الإنسان على الطاعة والخضوع لأمرٍ ما لا محالة سواءً كان ذلك أفرادًا آخرين، أو توقعات مجتمعية، أو معايير ثقافية، أو تأثيرات رقمية مثل وسائل التواصل (سورة الفرقان، الآية 43). الاجتماعي، أو ميولًا ذاتية

"...أرأيت من اتخذ إلهه هواه"

كل من يطيعه الإنسان، أو أي شيء يطيعه، يصبح في جوهره موضع عبادته. ولذلك، يُطلب من الأفراد تعزيز إيمانهم اللفظي بالعمل الدؤوب، وذلك بطاعة الله تعالى بإخلاص في جميع الأحوال وفوق كل التأثيرات المتعارضة. وتستلزم هذه الطاعة حسن استخدام النعم الممنوحة لهم بما يرضي الله تعالى، كما هو منصوص عليه في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. ومن يتحلى بهذه الصفة، يُمنح راحة البال من خلال تحقيق حالة ذهنية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل، والتوفيق الحقيقي في الدنيا والآخرة شيء وكل شخص في حياته على الوجه الصحيح.

على العكس من ذلك، فإن من ينكر وحدانية الله تعالى، ويوجه طاعته وإخلاصه نحو غيره - سواءً أكانوا لذلك، سيقع هؤلاء أشخاصًا أم أيديولوجيات أم أهواءً شخصية - سيسيء استخدام النعم التي وُهِبَتْ له. ونتيجةً. الأفراد في حالة نفسية وجسدية غير متوازنة، ويضعون كل شيء وكل شخص في حياتهم في غير موضعه إن عدم انسجامهم مع الهداية الإلهية سيمنعهم من الاستعداد الكافي للحساب يوم القيامة. ونتيجةً لذلك، سيُنْقَل

كاهلهم بالتوتر والمشقة والصعوبة في الدنيا والآخرة - حتى لو بدا عليهم التمتع ببعض الرفاهية الدنيوية فبدون طاعة الله تعالى، والاستخدام الصحيح لنعمه، لا يمكن لأي امتلاك مادي أو متعة زائلة أن توفر سلامًا. سورة طه، الآيات ١٢٤-١٢٦. حقيقياً أو رضا دائماً

ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد "كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى

:سورة مريم، الآية 65

«رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ»

،عندما يتأمل المرء بإخلاص في خلق السماوات والأرض، وما فيها من أنظمة معقدة ومتوازنة لا حصر لها يتبين له أن لا إله إلا هو الذي أوجد الكون ويحافظ عليه. ومن الدلائل الكثيرة على هذه الحقيقة دقة موقع الشمس بالنسبة للأرض؛ فلو كانت أقرب أو أبعد قليلاً، لأصبح الكوكب غير صالح للحياة. وبالمثل، خلقت الأرض بتدبير إلهي للحفاظ على جو نقي ومتوازن، مما يُمكن من ازدهار الحياة على سطحها. تشير هذه الملاحظات بلا شك إلى تصميم مدروس وحكم مُستدام. إنها بمثابة مؤشرات واضحة على الحكمة والقدرة الإلهية، تدعو الناس إلى إدراك الخالق من خلال التناغم والدقة الجليلة في العالم الطبيعي. هذا النوع من التأمل، سورة البقرة. لا يُشجع عليه الإسلام فحسب، بل هو أيضاً أساس لغرس التبجيل والشكر والطاعة لله تعالى، الآية 164:

"...واختلاف الليل والنهار ..."

إن التنظيم الدقيق للنهار والليل، مع تفاوت أطوالهما على مدار العام، يُمكن البشرية من الاستفادة منهما على أكمل وجه. فإذا طالت الأيام بشكل ملحوظ، شعر الأفراد بالتعب نتيجةً لطول فترات النشاط. وعلى العكس إذا طالت الليالي بشكل مفرط، فلن يتبقى وقت كافٍ لكسب الرزق أو ممارسة أنشطة نافعة أخرى، كإكتساب المعرفة. من ناحية أخرى، إذا قصر الليل، حُرِم الأفراد من الراحة الكافية، مما يُضر بصحتهم البدنية والنفسية علاوة على ذلك، فإن أي خلل في طول الليل والنهار المحدد سيؤثر سلبيًا على الدورات الزراعية، مما يُهدد قوت كل من الإنسان والحيوان. إن كون هذه الإيقاعات الزمنية - وغيرها من الأنظمة الكونية الدقيقة المتوازنة، تعمل بانسجام تام دليلٌ جليٌّ على وحدانية الله تعالى. فلو كان هناك آلهة متعددة، لكلٍ منها إرادة مستقلة - لكانت النتيجة حتميةً هي الخلاف والفوضى. يؤكد النظام المتكامل الملحوظ في جميع أنحاء الخلق أنها خاضعة لخالق واحد حكيم، إرادته مطلقة وتصميمه لا تشوبه شائبة. سورة الأنبياء، الآية ٢٢

"وَلَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا"

:سورة البقرة، الآية 164

"والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء "

عندما يتأمل المرء دورة الماء المتوازنة تمامًا، يُصبح ذلك دليلًا جليًا على وجود خالق. يتبخر الماء من البحار، ثم يصعد، ويتكثف مُشكلاً المطر الذي ينزل على الجبال. تعمل هذه الجبال كمرشحات طبيعية، تُعادل الشوائب، ليصبح الماء صالحًا للاستخدام البشري والحيواني. أي تغيير في هذا النظام الدقيق سيؤدي إلى عواقب وخيمة على الحياة على الأرض.

يؤدي محتوى الملح في البحار أيضًا غرضًا حيويًا: فهو يمنع تحلل الكائنات البحرية الميتة من تلويث المياه. فإذا تلوثت المحيطات بهذه الطريقة، ستختفي الحياة البحرية، وستنتشر الشوائب الناتجة إلى اليابسة، مدمرة الحياة البرية أيضًا. علاوة على ذلك، فقد وُضع تكوين مياه المحيطات بحيث يمكن للحياة البحرية أن تزدهر فيها، بينما تبقى السفن الثقيلة طافية على سطحها. إن أي تغيير طفيف في هذا التكوين من شأنه أن يخلق خللًا، يسمح إما للحياة البحرية بالازدهار أو للسفن بالإبحار - ولكن ليس كليهما في وقت واحد. حتى في العصر الحديث، لا يزال النقل البحري هو الوسيلة الأكثر استخدامًا لنقل البضائع عبر العالم، مما يؤكد ضرورة هذا التوازن المثالي لاستدامة الحياة على الأرض.

وبالمثل، عند دراسة التنوع الهائل للأنواع، يتضح جليًا أنها خُلقت في انسجام تام مع بيئاتها. التطور، كونه عملية طفرة عشوائية، ليس كاملاً بطبيعته؛ ومع ذلك، يُظهر العالم الطبيعي أمثلة لا تُحصى على التكيف المثالي. فالجمل، على سبيل المثال، صُمم لتحمل الحرارة الشديدة والبقاء لفترات طويلة دون ماء، مما يجعله ملائمًا بشكل فريد لحياة الصحراء. هذا الكمال في التصميم دليل جليّ على الخلق المتعمد، يدل على حكمة: سورة الغاشية، الآية 17. الله تعالى وقدرته

أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ؟

خُلقت الماعز على نحوٍ لا تشوبه شائبة، بحيث انفصلت الشوائب في جسمها تمامًا عن الحليب الذي تُنتجه. ولو اختلطت هذه الشوائب بالحليب، لجعلته غير صالح للشرب والاستهلاك البشري. هذا الفصل الدقيق والمستمر ليس وليد الصدفة، بل هو دلالة جلية على كمال تصميم الله تعالى وحكمته. هذا الكمال في الخلق يدعو إلى التأمل والشكر والطاعة لمن خلق كل شيء بتوازن وانسجام. سورة النحل، الآية 66

وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها من بين فرث ودم لبنًا خالصًا سائغًا للشاربين.

لكل نوع عمر محدد يحافظ على التوازن في النظام الطبيعي، مانعاً أي نوع من أن يطغى على البقية .على سبيل المثال، يمتلك الذباب عمراً قصيراً جداً يتراوح بين ثلاثة وأربعة أسابيع فقط، ومع ذلك فهو قادر خلال هذه الفترة على وضع ما يصل إلى خمسمائة بيضة .لو طُور عمره، لازدادت أعدادُه بشكل غير متناسب متغلباً في النهاية على الأنواع الأخرى ومُخلّاً بالتوازن البيئي للعالم .على العكس من ذلك، تقتصر المخلوقات التي تُمنح عمراً طويلاً عادةً على إنتاج عدد قليل من النسل، مما يضمن بقاء أعدادها معتدلة ومستدامة .لا يمكن إرجاع هذا التنظيم الدقيق بين مختلف الكائنات الحية إلى مجرد الصدفة، ولا يمكن تفسيره بشكل كافٍ بعمليات التطور غير الكاملة والعشوائية .بل هو دليل واضح على التصميم المتعمد والحكمة الكاملة .إن التناغم الواضح في أعمار جميع المخلوقات، وقدراتها الإنجابية، وآليات بقائها، يشير بلا شك إلى تدبير الله :سورة البقرة، الآية 164 .تعالى المُدبّر، الذي خلق الخلق بتوازن وتناسب لا تشوبه شائبة

"...وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض ..."

تلعب الرياح دوراً لا غنى عنه في استمرار الحياة، فهي وسيلة للتلقيح الجوي تُمكن المحاصيل والنباتات والأشجار من التكاثر .في العصور السابقة، كانت حيوية للنقل البحري، وهي وظيفة لا تزال ذات أهمية حتى اليوم، إذ لا يزال النقل البحري الوسيلة الرئيسية لنقل البضائع عبر العالم .كما تحمل الرياح السحب الممطرة إلى مناطق محددة، مما يضمن توفير المياه، التي بدونها لا يمكن لأي شكل من أشكال الحياة البقاء .تتميز الأرض بنظام رياح متوازن تماماً :فغياب الرياح يُغرق الخليقة في ركود وفوضى، بينما تُؤدي الرياح الشديدة، إلى الدمار والفوضى .وبالمثل، فإن هطول الأمطار مُنظّم إلهياً؛ فقلة الأمطار تؤدي إلى الجفاف والمجاعة، بينما تُسبب الأمطار الغزيرة فيضانات ودماراً واسع النطاق .هذا التوازن الدقيق في كل من الرياح والمطر، سورة المؤمنون .دليل واضح على حكمة الله تعالى وتدبيره، الذي خلق الخلق بتناسق وتناغم لا تشوبه شائبة :الآية 18:

"ولقد أنزلنا من السماء ماءً بقدرٍ فأسكناه في الأرض وإنا على ذهابٍ به لقادرون"

من تأمل هذه الأنظمة المتوازنة بصدق، لا يمكنه، بعقل سليم، أن ينكر وجود خالق واحد ذي قدرة مطلقة على كل شيء. إن التناغم والدقة الجليّان في جميع أنحاء الخلق دليلٌ لا يُنكر على سلطان الله تعالى الفائق وحكمته المطلقة. كل جانب من جوانب النظام الطبيعي - توازنه وترابطه وتنظيمه المحكم - يشير إلى تصميم مقصود وحكمة مُستدامة، لا تترك مجالاً لفكرة الصدفة أو تعدد الآلهة. هذا التأمل يُلزم القلب والعقل على حد سواء بالاعتراف بوحدانية الله تعالى، والخضوع له وحده شكرًا وطاعةً. سورة مريم، الآية 36

"[قال عيسى] وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ"

من المتفق عليه عالميًا أن من يوفر جوانب معينة من احتياجات الآخرين - مثل المأوى أو الرزق - يستحق الشكر. فكم أعظم إذن واجب الشكر لله تعالى الذي أنعم بكل نعمة في الكون. الشكر بالنية يستلزم العمل لمرضاة الله تعالى فقط؛ أولئك الذين يعملون بدوافع أخرى لن ينالوا منه جزاءً. وقد أكد على هذا المبدأ حديث مسجل في جامع الترمذي، رقم 3154، والذي يحذر من النوايا غير الصادقة. ومن الدلالة الواضحة على حسن النية عدم توقع المرء أو رغبته في التقدير أو المكافأة من الناس. يتمثل الشكر المعبر عنه باللسان في التحدث فقط بالخير أو الصمت. يتضمن الشكر بالعمل استخدام النعم التي منحها الله تعالى بطرق تتوافق مع مرضاته، كما هو منصوص عليه في القرآن الكريم وأحاديث النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم. هذا من خلال تحقيق الشكر الشامل يؤدي إلى زيادة النعم، ويؤدي في النهاية إلى راحة البال في الدنيا والآخرة سورة . حالة ذهنية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في مكانه الصحيح في حياتهم سورة . إبراهيم، الآية 7

لئن شكرتم لأزيدنكم

من المُسلّم به عمومًا أن امتلاك الإنسان لشيءٍ ما، من حقه وطبيعيٌّ أن يستخدمه كيفما شاء. وكذلك، بما أن الله تعالى هو الخالق والمالك والرازق لكل ما في الكون - بما في ذلك الإنسان - فهو وحده من يُقرر ما ينبغي، أن يكون فيه وما لا ينبغي. لذا، فمن العدل أن يُطيع الإنسان الله تعالى، فهو وحده المالك المُطلق للكون بأسره بما فيه نفسه.

وبالمثل، عندما يُعير شخصٌ ما يملكه لشخصٍ آخر، فإن العدل يقتضي استخدامه وفقًا لرغبات صاحبه الشرعي. وبالمثل، فإن كل نعمةٍ أنعمها الله تعالى على شخصٍ ما هي في الحقيقة قرضٌ، وليست هبةً دائمةً. وكما هو الحال في القروض الدنيوية، يجب سداد هذه الأمانة في نهاية المطاف. والوسيلة الوحيدة للسداد هي استخدام هذه النعم بما يرضي الله تعالى. على النقيض من ذلك، تُمنح بركات الجنة كهبةً حقيقية، يُستمتع بها بحرية ودون قيود. سورة الأعراف، الآية 43:

"وقيل لهم: تلك الجنة التي أوردتموها بما كنتم تعملون..."

إن إدراك هذا التمييز يقي الإنسان من الغفلة، ويغرس فيه الشكر، ويحث على حسن استخدام متع الدنيا كما وردت في التعاليم الإسلامية. وهذا يضمن له حالة نفسية وجسدية متناغمة، ويوفق بين جميع جوانب حياته وكل من فيها، مع الاستعداد الكافي لمسؤولياته يوم القيامة. وبالتالي، يؤدي هذا السلوك إلى الطمأنينة في الدنيا والآخرة. ولكن بما أن طاعة الله تعالى غالبًا ما تتعارض مع رغبات الناس الدنيوية، فمن المهم أن يتحلى المرء بإيمان راسخ ليثبت على طاعته في كل وقت. سورة مريم، الآية 65:

"...واصبر على عبادته..."

الإيمان القوي ضروريٌّ لاستمرار طاعة الله تعالى في جميع الأحوال، في السراء والضراء. ويُثَمِّي هذا الإيمان بالفهم السليم والتطبيق العملي للآيات والتعاليم الواضحة الواردة في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. فهذه المصادر تُبيِّن أن طاعة الله تعالى تُؤدِّي إلى الطمأنينة في الدنيا والآخرة. وعلى العكس، فإنَّ من يفتقر إلى معرفة المبادئ الإسلامية يكون عرضة لضعف الإيمان، مما يجعله أكثر عرضة للانحراف، لا سيما عندما تتعارض الأهواء الشخصية مع التوجيه الإلهي. وهذا النقص في الفهم يُخفي حقيقة أن السلام الحقيقي لا يتحقق إلا بتسليم المرء لأوامر الله تعالى. وعليه، فمن الضروري أن يُقَوِّي الأفراد إيمانهم من خلال اكتساب المعرفة الإسلامية وتطبيقها باستمرار. ومن خلال الاستخدام الصحيح للنعم التي أنعم الله بها عليهم وفقًا للتعاليم الإسلامية، فإنهم يستطيعون تحقيق التوازن العقلي والجسدي، فضلاً عن تحديد الأولويات الصحيحة في جميع أبعاد حياتهم.

،بالإضافة إلى ذلك، وكما ذكرنا سابقاً، كان من أهداف القرآن الكريم نقض أي اعتقادات خاطئة حول الله تعالى من اختلاق الناس لها، مثل تشبيهه بملك دنيوي. ولتجنب تكوين اعتقاد خاطئ عن الله تعالى، لا بد من دراسة صفاته وأسمائه الإلهية كما وردت في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. سورة مريم، الآية 65.

"هل تعرف أحداً يشاركه اسمه؟ ..."

هذا الفهم يُعزز الإيمان الصحيح بالله تعالى، ويحث على الطاعة الصادقة بانتفاعهم بنعمه وفق المبادئ الإسلامية. أما الجهل بصفات الله تعالى وأسمائه، فقد يؤدي إلى اعتقادات خاطئة تُفضي إلى المعصية، كالتمني فمن أدرك أن الله تعالى غفور رحيم، سعى جاهداً في طاعته، راجياً مغفرته لذنوبه. أما من لم يدرك طبيعة مغفرة الله تعالى، فقد استمر في معصيته، ظاناً أنه سيُغفر له مهما كانت أعماله.

استخدم زعماء غير المسلمين في مكة أساليب عديدة لثني الآخرين عن اعتناق الإسلام، خوفاً من فقدان مكانتهم الاجتماعية وقيادتهم. ومن هذه الأساليب التشكيك في مفهوم البعث. سورة مريم، الآية 66

"ويقول الإنسان إذا متُّ أخرج حيا؟"

:وسورة الإسراء الآية 49

"ويقولون إذا كنا عظاما ورفاتا إنا لمبعوثون خلقا جديدا"

،من المهم إدراك أن من يتجاهلون مفهومًا يتعارض مع رغباتهم يميلون إلى المبالغة فيه حتى حد السخافة فيبدو غير معقول وغير صحيح .هذا التحريف يُبرر رفض المفهوم كليًا .على سبيل المثال، عندما يُصرّ شخص على إساءة معاملة الآخرين - كالأقارب مثلاً - ويُنصح بإظهار الاحترام وحسن الخلق بدلًا من ذلك .قد يبرر سلوكه بزعم أن هذه النصيحة تتطلب منه أن يكون بلا عيب، كالملائكة، لا يُظهر أدنى سلوك سلبي - ولأن الكمال البشري بعيد المنال، فإنهم يرفضون النصيحة الأصلية - التي كانت عملية وقابلة للتحقيق باعتبارها غير واقعية، مُبررين بذلك سوء سلوكهم ومتجنبين التغيير نحو الأفضل .هذا السلوك يمنع الأفراد من تحمل مسؤولية أفعالهم، مما يؤدي حتمًا إلى الضلال .إن إهمال المساءلة الشخصية يمنع نمو الشخصية ويشجع على إساءة استخدام نعم الله تعالى .يؤدي هذا الإهمال إلى اضطراب نفسي وجسدي، ويؤدي إلى اختلال أولوياتهم وعلاقاتهم في حياتهم، ويتركهم غير مستعدين للمساءلة يوم القيامة .ومهما بلغت ثرواتهم المادية، فإن هذا التقاعس عن تحمل المسؤولية يؤدي إلى التوتر والضيق والشقاء في الدنيا والآخرة .كما أن التهرب من المساءلة يمنع الأفراد من أداء حقوق الآخرين، مما يساهم في انتشار الفساد والظلم في مجتمعاتهم .

:سورة مريم، الآية 66

"ويقول الإنسان إذا متُّ أخرج حياً؟"

من العجب أن يشك الناس في البعث بعد أن تحولوا إلى تراب وعظام، مع أن الله تعالى خلقهم من العدم أول مرة. سورة مريم، الآية 67

أَوَلَمْ يَذْكُرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْئًا

إن التشكيك في بعث البشر يوم القيامة أمرٌ غريب، خاصةً مع وجود أدلة واضحة على عمليات التجدد في الطبيعة. هذه الأمثلة، التي تحدث يوميًا وشهريًا وسنويًا، تُقدم أوجه تشابه مُقنعة. ويُعدّ إنعاش المناظر الطبيعية التي تبدو قاحلة بفضل هطول الأمطار مثالاً رئيسياً على ذلك. وبالمثل، فإن إنبات بذرة ميتة لتصبح نباتاً حياً ينبت، والذي يُحافظ على الحياة لاحقاً، يُظهر قوة التجدد. تُشير هذه العملية إلى أن الخالق يمتلك القدرة على إعادة الحياة إلى الجسد البشري - "البذرة" المدفونة في الأرض - تماماً كما تُعاد الحياة إلى بذرة نباتية ميتة علاوةً على ذلك، تعكس الدورة الموسمية مبدأ البعث هذا بوضوح. ففي الشتاء، تبدو الأشجار ميتة مع شيخوخة أوراقها وتساقطها؛ ومع عودة الفصول الأخرى، تتجدد الأوراق، وتعود الشجرة إلى الحياة بصرياً. إن عملية التجدد الخلوي المستمرة والمجهريّة داخل الجسم، مثل الموت والتكاثر المستمر لخلايا الجلد، تُقدم دليلاً ملموساً آخر على البعث. وأخيراً، تُقدم دورة النوم واليقظة المشتركة بين جميع الكائنات الحية مثالاً يومياً مستمراً. فبما أن النوم مرتبط مجازياً بالموت بسبب توقف حواس النائم مؤقتاً، فإن عودة وعي الإنسان عند الاستيقاظ تُعتبر إحياءً يومياً، متوقفاً على إعادة الله تعالى روحه إلى الجسد. وتُناقض هذه الظواهر مجتمعةً: سورة الزمر، الآية 42. غرابة الإيمان بالبعث النهائي للبشرية

الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى "أجل مسمى إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون"

إن تأكيد يوم القيامة يقتضيه مبدأ التوازن المتأصل في الكون. فالخلق حافلٌ بأمثلة التوازن: فالمسافة المدارية للأرض تضمن صلاحية الحياة، ودورة المياه مُعدّلة بدقة للحياة، والأرض تتمتع بتوازنٍ بين الثبات والمرونة. هذه الأمثلة مجتمعةً تؤكد وجود خالقٍ وتأسيس قانونٍ أساسيٍّ للتوازن. ومع ذلك، يتجلى اختلالٌ واضحٌ في مجال العمل البشري والجزاء. فكثيرًا ما يفلت الظالمون والمستبدون من العدالة الكاملة في حياتهم، بينما لا يُكافأ المظلومون والصابرون جزاءً كاملاً. وبالمثل، قد يُكابد الأتباع المخلصون مشقةً جمّةً في الدنيا، بينما قد ينعم من يخالفون جهازًا براحةً دنيوية. وبما أن التوازن مُستقرٌّ في جميع جوانب الخلق الأخرى، فمن المنطقي أن يكون هناك توازنٌ مُتناسبٌ بين الثواب والعقاب في أعمال البشر. وبما أن العدالة الظاهرة غير مكتملة بشكل واضح في هذا العالم الحالي، فيجب أن يتم الانتهاء منها في وقت لاحق: يوم القيامة.

لا شك أن القدرة على توزيع الثواب والعقاب كاملين في هذه الحياة الدنيا موجودة، إلا أن التأخير يُفيد في بعض الحكم الأساسية. أولاً، يُنصح للمذنبين فرصًا مستمرة للتوبة الصادقة وتقويم السلوك. ثانيًا، لا يُمنح المؤمنون ثوابًا كاملاً في هذه الحياة الدنيا، لأن هذه الدنيا ليست جنة. علاوة على ذلك، يُعدّ الإيمان بالغيب وتحديدًا الثواب الكامل الذي ينتظر المؤمن في الآخرة - سمةً مميزةً للإيمان الحقيقي. إن نيل الجزاء الكامل - في هذه الدنيا، والذي يُدرك بالحواس الخمس، يُضعف من جوهر هذا الإيمان. إن تنمية الخوف من العقاب الأخير والأمل في الثواب الأبدي الكامل يُشكّل حافزًا قويًا للأفراد على الامتناع عن المعاصي والقيام بالأعمال الصالحة.

لكني يبدأ يوم القيامة، لا بد من انتهاء العالم المادي. ولا يتحقق العدل الكامل إلا بانقضاء أعمال كل فرد. لذا، يستلزم يوم القيامة توقف الأعمال البشرية، وبالتالي النهاية الحتمية للعالم المادي الحالي. ويهدف التأمل في هذه الضرورة اللاهوتية إلى تقوية الإيمان بيوم القيامة، وبالتالي تشجيع الاستعداد له من خلال الاستفادة من من خلال تحقيق جميع النعم، كما تحثنا عليه التعاليم الإسلامية. وهذا يؤدي إلى راحة البال في كلا العالمين حالة ذهنية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في حياتهم على النحو الصحيح. سورة الجاثية، الآية 22، الفصل 45

"وخلق الله السموات والأرض لحكمة، لئلا تجزى كل نفس ما اكتسبت، وهم لا يُظلمون".

:سورة مريم 19 الآيات 68-69

ففوربك لنحشرنهم والشیاطین ثم لنحضرنهم حول جهنم جثیا ثم لنخرجن من کل شیعة من کان أشد علی
"الرحمن طغیاناً

أسوأ ما في المجتمع فيما يتعلق بمعصية الله تعالى هم عادةً المؤثرون ونخب المجتمع، حيث يتلاعبون بسهولة ويؤثرون على الآخرين لمعصية الله تعالى، مما يزيد من خطاياهم أضعافاً مضاعفة اعتماداً على عدد الأشخاص الذين يضللونهم. وقد تم التحذير من ذلك في حديث موجود في جامع الترمذي، رقم 2674. أحد الأسباب الرئيسية للتأثر بالآخرين هو عندما يتبع المرء رأي الأغلبية داخل مجتمعه بشكل أعمى، والذي يتم لذلك يجب على المرء أن يتجنب التبعية العمياء. التحكم فيه وإملاؤه من قبل المؤثرين ونخب المجتمع للآخرين، لأن سلوك الأغلبية داخل المجتمع غالباً ما يؤدي إلى معصية الله تعالى. عندما يلاحظ الأفراد أن الأغلبية تتجاهل التوجيه الإلهي، فقد ينخدعون بالاعتقاد بأن هذا السلوك يجب أن يكون صحيحاً، وبالتالي يتبعونه دون تفكير أو تأمل. في الواقع، فإن رأي أو ممارسة الأغلبية ليس بالضرورة مقياساً للحقيقة. يشهد التاريخ نفسه على ذلك، حيث ثبت بطلان العديد من المعتقدات الشائعة مع ظهور أدلة ومعارف جديدة، مثل الاعتقاد السائد سابقاً، وإن كان خاطئاً، بأن الأرض مسطحة. لذلك، من الضروري الامتناع عن التشبه، بالقطيع، والانقياد دون تفكير لرأي الأغلبية. فمثل هذا التقليد الأعمى غالباً ما يؤدي إلى خيارات خاطئة سواء في الأمور الدنيوية أو الدينية. تكمن الحكمة الحقيقية في مواعمة سلوك المرء مع هدي الله تعالى وتعاليم: سورة الأنعام، الآية 116. النبي محمد صلى الله عليه وسلم، لا مع توجهات المجتمع وافتراضاته المتقلبة

وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يظنون

بل ينبغي على الأفراد استخدام العقل والمنطق اللذين أنعم الله عليهما بهما لتقييم كل ظرف على أساس المعرفة والدليل. وهذا يُمكنهم من اتخاذ قرارات مستنيرة ومبدئية، حتى لو خالفت هذه القرارات الآراء السائدة لدى الأغلبية. في الواقع، ينتقد الإسلام بشدة التقليد الأعمى للآخرين في الأمور الدينية لهذا السبب تحديداً. بل إنه يشجع الأفراد على التعلم والتأمل والعمل بتعاليم الإسلام بفهم، حتى تكون طاعتهم لله تعالى مبنية على الاقتناع. (يوسف ، الآية 108، سورة 12 والبصيرة لا على التقليد الجاهل). سورة

"...قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني"

يشترط لمحاسبة الناس يوم القيامة أمران :القدرة على إحياء الموتى، وقد تقدم ذكرهما، وعلم جميع نواياهم وأقوالهم وأفعالهم، وهو علم لا يعلمه إلا الله تعالى .سورة الملك، الآية ١٤

أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ

:وسورة مريم، الآية 70

"ثم إنا نحن أعلم بمن هو أهلها"

السبيل الوحيد للنجاة من عذاب الآخرة هو الاستعداد له عملياً في الدنيا، وذلك بالاستغلال الأمثل لنعم الله تعالى كما وردت في التعاليم الإسلامية. سورة مريم، الآيتان 71-72

"وإن منكم إلا واردها، كان ذلك على ربك قدرًا محتومًا، ثم ننجي الذين اتقوا، ونذر الظالمين فيها جثيًا".

في نهاية المطاف، بما أن الخلق كله لله تعالى، ويبقى تحت سيطرته وسلطانه الكاملين، فإن كل فرد ملزم بالامتثال لأوامره. وكما يواجه المرء عواقب عدم الالتزام بقوانين السلطة الحاكمة في الدولة، فإنه سيواجه أيضًا عواقب في الدنيا والآخرة لإهمال قوانين مالك الكون. قد يغادر المرء بلدًا إذا لم يرضَ بقوانينه، ولكن لا يوجد مكان خارج نطاق سلطة الله تعالى. وبالمثل، بينما قد يغير البشر قواعد مجتمعاتهم، فإنهم لا يستطيعون أبدًا تغيير القوانين التي وضعها الله تعالى. وكما أن صاحب المنزل يحدد قواعده بغض النظر عن اعتراضات الآخرين، فإن الله تعالى يضع قوانين الكون، لأنه وحده خالقه ومالكة. ولهذا السبب، فإن الامتثال لأوامره هو في نهاية المطاف في مصلحة البشرية. من أدرك هذه الحقيقة سيسعى جاهدًا لطاعة الله تعالى، مستخدمًا ما أنعم به عليه من نعم تُرضيه، كما ورد في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. وهذا يؤدي خلال تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء إلى راحة البال في الدنيا والآخرة، من قد يسعى الفرد إلى فهم الحكمة الكامنة وراء الأوامر والنواهي. وكل شخص في حياته على الوجه الصحيح الإلهية، مدرّجًا كيف أنها تخدم رفاهية الإنسان، وتعزز العدالة، وتؤدي إلى راحة البال والجسد في الدنيا والآخرة. كبديل، قد يختار اتباع أهوائه ورفض تعاليم الإسلام. ومع ذلك، يجب على من يفشل في الامتثال للشرعية الإلهية أن يكون مستعدًا لمواجهة عواقب اختياره في الدنيا والآخرة، فلا اعتراض ولا احتجاج ولا: سورة مريم، الآيتان 71-72. شكوى ثبرته

"وإن منكم إلا واردها، كان ذلك على ربك قدرًا محتومًا، ثم ننجي الذين اتقوا، ونذر الظالمين فيها جثيًا".

من المهم ملاحظة أن الإيمان وحده لا يكفي للنجاة يوم القيامة، فمن كان متفًا في الدنيا سينجو. التقوى هي حسن استغلال النعم الممنوحة كما وردت في التعاليم الإسلامية. ويدعم ذلك هذه الآيات التي لا تشير إلى ذهاب

الكافرين إلى النار، بل إلى الظالمين. من يدّعي الإيمان بالله تعالى، ثم لا يدعمه بالأفعال، فإنه لا محالة يتصرف كالمظلوم، بإساءته استخدام النعم الممنوحة له. بل إن من لا يدعم إيمانه لفظيًا بالأفعال معرض لخطر كبير يتمثل في فقدانه. من الضروري إدراك أن الإيمان كالنبات، يحتاج إلى تغذية مستمرة بالطاعات لينمو ويستمر. وكما أن النبات الذي يُحرم من العناصر الحيوية كضوء الشمس يذبل ويموت لا محالة، فكذلك قد يهلك إيمان المرء إذا لم يُدعم بطاعة الله تعالى الدائمة. وتشكل هذه الخسارة أعظم أشكال الحرمان.

من الأساليب الأخرى التي اتبعتها قادة غير المسلمين في مكة لثني الآخرين عن اعتناق الإسلام، خوفًا من فقدان نفوذهم الاجتماعي وقيادتهم، تعريف النجاح وفقًا للمعايير الدنيوية، التي تتعارض مع المعايير الواردة في التعاليم الإلهية. سورة مريم، الآية 73:

"وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الحزبين خير مكانا وأحسن جمعا"

،من أركان الإيمان - كونه امتحانًا بحد ذاته - أن طاعة الله تعالى لا تثمر بالضرورة منافع آنية أو ملموسة كالزيادة الظاهرة في المال. فالطاعة هي توظيف نعم الله تعالى بما يرضيه، كما ورد في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. وثمار هذه الطاعة غالبًا ما تكون أدق، تتجلى في المقام الأول في القلب الروحي، مثلًا من خلال تحقيق السلام الداخلي والسكينة، وتحقيق حالة ذهنية وجسدية متوازنة، وحسن توزيع كل شيء وكل شخص في حياته. سورة النحل، الآية 97:

"من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون"

غالبًا ما يلتبس ضعيف الإيمان بمنافع ملموسة من الله تعالى، كالصحة الجيدة، أو المسكن المريح، أو النجاح المهني. ولأن الإسلام لا يضمن هذه المكافآت الدنيوية، فكثيرًا ما يحاول الشيطان صرف الناس عن الإيمان

كليًا، أو على الأقل عن العمل به .هذا الواقع يُشكل اختبارًا يجب على كل إنسان اجتيازه بنجاح من خلال تقوية إيمانه .ويتطلب تحقيق ذلك اكتساب المعرفة الإسلامية وتطبيقها عمليًا، مما يعزز اليقين بالخير الكثير .الناجح عن طاعة الله تعالى في الدنيا والآخرة

علاوة على ذلك، ينبغي على الأفراد التحلي بالفطرة السليمة، بإدراك أن المنافع الحقيقية غالبًا ما تكون غير ملموسة، مثل تحسن الصحة النفسية، والسلام الداخلي، والرضا الروحي .في الواقع، من يمتلك جميع منافع الدنيا سيتخلّى عنها بكل سرور في سبيل مكاسب معنوية عميقة .لذلك، يجب على المرء أن يتجنب الانسياق وراء السعي وراء المكافآت الملموسة من الله تعالى، لأنها غير مضمونة .قد يؤدي عدم فهم هذا إلى ونتيجة لذلك، سيقع في .خيبة أمل، بل قد يبعد المرء عن الطاعة الصادقة بإساءة استخدام النعم التي مُنحت له حالة من عدم التوازن النفسي والجسدي، ويفقد المنظور الصحيح لكل شيء وكل شخص في حياته، ويتجاهل الاستعداد للحساب يوم القيامة .سيؤدي هذا حتمًا إلى التوتر والمشقة والصعوبة في الدنيا والآخرة، حتى لو بدا أنه يتمتع ببعض الرفاهية الدنيوية .سورة الحج، الآية 11

ومن الناس من يعبد الله على حرف، فإن أصابه خير اطمأن به، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه، فقد "خسر الدنيا والآخرة، ذلك هو الخسران المبين

من الضروري إدراك أن الممتلكات الدنيوية - كالشهرة والثروة والسلطة والعائلة والأصدقاء والمهنة - لا قيمة لها إلا إذا صاحبها راحة البال .فغياب هذه السكينة قد يُفاقم هذه الممتلكات التوتر والصعوبات في الدنيا والآخرة .ويتجلى هذا الواقع عند مراقبة الأغنياء والمشاهير، الذين يُعاني الكثير منهم من مشاكل نفسية حادة .رغم ثرواتهم المادية

راحة البال الحقيقية تتحقق بحسن استغلال النعم، وفقًا لتعاليم الإسلام .هذا النهج يُعزز التوازن النفسي والجسدي، ويُمكن الفرد من تحديد أولوياته وترتيبها بشكل صحيح في جميع جوانب الحياة .هذا السلوك يُهيئ

المرء للمحاسبة يوم القيامة، ويؤدي في النهاية إلى سلام دائم في الدنيا والآخرة، لأنه يعكس حياة متوافقة مع الهداية الإلهية والهدف.

لذا، يجب على الإنسان قبول التعاليم الإسلامية والعمل بها لما فيه مصلحته، حتى لو تعارضت مع رغباته وهذا يشبه المريض العاقل الذي يتبع نصيحة الطبيب، متبعًا الأدوية المرّة ونظامًا غذائيًا صارمًا، عالمًا أن ذلك في مصلحته. فكما ينال هذا المريض صحة جيدة، كذلك من يتبع التوجيه الإسلامي بإخلاص يحقق حالة نفسية وجسدية متوازنة، ويضبط جميع جوانب حياته. وذلك لأن الله تعالى وحده هو من يملك المعرفة اللازمة لضمان هذا التناغم والرضا.

:سورة مريم، الآية 73

"وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الحزبين خير مكانا وأحسن جمعا"

.علاوة على ذلك، لا ينبغي أن ينخدع المرء بالاعتقاد الخاطئ بأن نيل نعيم الدنيا علامة على المحبة الإلهية :سورة المؤمنون، الآيتان ٥٥-٥٦

أيحسبون ما نمدهم به من أموال وبنين أنعجل لهم في الخيرات بل لا يشعرون

بل إن كل ما ينال المرء في هذه الدنيا ما هو إلا اختبار: هل سيستخدمه كما هو منصوص عليه في التعاليم من خلال توازن حالته النفسية، الإسلامية أم لا. من يجتاز الاختبار سينال راحة البال في الدنيا والآخرة، والجسدية، ومن خلال توزيع كل شيء وكل شخص في حياته توزيعًا صحيحًا. أما من يفشل في هذا الاختبار فسيعاني من اختلال في حالته النفسية والجسدية، وسيُسيء توزيع كل شيء وكل شخص في حياته. وهذا سيؤدي إلى التوتر والصعوبات والمتاعب في الدنيا، حتى لو تمتع بالرفاهية. وبما أن سلوكه يمنعه من الاستعداد للحساب يوم القيامة، فسيكون عقابه في الآخرة أشد بكثير.

وأخيرًا، عندما يتأمل المرء في مصير من انغمسوا في شهوات الدنيا وما واجهوه من عواقب، يتضح جليًا أن النجاح الحقيقي لا يكمن في أمور الدنيا، كالمال والسلطة، بل في نيل راحة البال، وهي مرتبطة بكيفية استغلال النعم الممنوحة، لا بالحصول على أمور الدنيا، كالمال. سورة مريم، الآية 74

أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن مالاً وعبوناً وكم

تُعدّ هذه الآية تحذيرًا عميقًا من تبني نظرة أنانية، حيث ينغمس الفرد في ظروفه الشخصية فقط، متجاهلاً حقائق الحياة الأوسع. تُحجب هذه العقلية قدرة المرء على إدراك الحكمة الكامنة في التاريخ، والتجارب، الشخصية، وصراعات الآخرين. يُعدّ التأمل في هذه الدروس من أنجع الوسائل لتنمية الشخصية النبيلة وتجنب تكرار أخطاء الماضي، وتحقيق السكينة الداخلية الحقيقية. على سبيل المثال، فإن مشاهدة الأثرياء، والمشاهير يُسيئون استخدام النعم التي مُنحت لهم - ليعانون من القلق، والمرض النفسي، وإدمان المخدرات وحتى الميول الانتحارية رغم تمتعهم بالرفاهية - تُقدم تحذيرًا قويًا. إنها تُثبت أن السلام لا يتحقق بالامتلاكات المادية أو السعي الجامح وراء الشهوات. وبالمثل، فإن رؤية شخص يُعاني من اعتلال الصحة يجب أن تُثير الامتنان لرفاهيته وتُلهمهم على استخدامها الصحيح قبل أن يضيع. لذا يدعو الإسلام الأفراد باستمرار إلى التأمل، والنظر إلى ما وراء همومهم المباشرة، واستخلاص الحكمة من العالم من حولهم. وبذلك، يحمون أنفسهم من الغفلة، ويبينون منظورًا يُغذي التوازن والامتنان والسلام الدائم، من خلال بلوغ حالة نفسية وجسدية سليمة، ووضع كل شيء وكل شخص في حياتهم وفقًا للهداية الإلهية.

لأن الله تعالى لا يُجبر الناس على الهداية، إذ يُبطل ذلك امتحان الدنيا، فإنه يمنح الناس مهلةً وأمورًا دنيويةً اختبارًا لهم: هل سيحسنون استخدامها كما هو منصوص عليه في التعاليم الإسلامية؟ (سورة مريم، الآية ٧٥)

"قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالِ فَلْيُمِدَّ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا "

من لا يستغلّون هذه النعم سيستمرون حتمًا في إساءة استخدام النعم التي وهبت لهم. في هذه الدنيا، ستعيقهم عقليتهم عن بلوغ حالة نفسية وجسدية متوازنة، وستدفعهم إلى إهمال كل شيء وكل شخص في حياتهم. ونتيجةً لذلك، ستتحوّل جوانب حياتهم، بما في ذلك العائلة والأصدقاء والعمل والثروة، إلى مصادر للتوتر. إذا استمروا في تحدي الله تعالى، فسيسببون ضغوطهم للآخرين، مثل أزواجهم. وبإزالة هذه التأثيرات الإيجابية من حياتهم، سيتفاقم لديهم مشاكل الصحة النفسية، مما قد يؤدي إلى الاكتئاب وإدمان المخدرات، وحتى الأفكار الانتحارية. تتجلى هذه النتيجة عند مراقبة أولئك الذين يستمرون في إساءة استخدام النعم التي لديهم، كالأثرياء والمشاهير، على الرغم من تمتعهم بملذّات الدنيا. سورة مريم، الآية 75

"...حتى إذا رأوا ما يوعدون إما عذاب ..."

سيمنعهم موقفهم من الاستعداد للحساب يوم القيامة، مما يؤدي إلى عذاب أشد في الآخرة. سورة مريم، الآية 75:

"أو الساعة ليعلمن من شر مكاننا وأضعف جنديا ..."

من اغتنم هذه النعم ونعمته بحسن استخدامها كما وردت في التعاليم الإسلامية، سيُمنح القدرة على تجاوز كل الظروف، سواءً في اليسر أو العسر، لينال جزاءً وافراً وراحة بال في الدنيا والآخرة، من خلال توازنه النفسي والجسدي، ومن خلال استغلال كل شيء وكل شخص في حياته على الوجه الأمثل. سورة مريم، الآية 76:

"ويزيد الله الذين اهتدوا هدى"

لذلك، يجب على الفرد قبول التعاليم الإسلامية والعمل بها لمصلحته، حتى عندما تتعارض هذه التعاليم مع رغباته الشخصية. يجب أن يكون مثل المريض الحكيم الذي يتبع نصيحة الطبيب، مدركاً أنها في مصلحته حتى لو تطلبت أدوية مَرّة أو حمية غذائية مُقيّدة. وكما أن هذا المريض ينال في النهاية العافية الجسدية والنفسية، كذلك من يلتزم بتعاليم الإسلام بإخلاص ينال التوازن في الدنيا والآخرة. سورة مريم، الآية 76

"والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير منقلباً"

هذا لأن الله تعالى وحده يملك المعرفة اللازمة لضمان تحقيق التوازن البشري ووضع كل شيء وكل شخص في حياتهم على النحو الصحيح. إن المعرفة التي يمتلكها المجتمع البشري فيما يتعلق بالصحة النفسية والجسدية، على الرغم من البحوث المكثفة - تظل محدودة بطبيعتها. فهي لا تستطيع تفسير كل تحدٍ قد يواجهه الشخص - ولا تضمن التحرر من جميع أشكال التوتر أو ضمان الترتيب الصحيح لأولويات الحياة. تتبع هذه القيود من القيود البشرية في المعرفة والخبرة والبصيرة والنزاهة. الله تعالى وحده يملك المعرفة الكاملة، وقد نقلها إلى البشرية من خلال القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. تتجلى هذه الحقيقة عند مقارنة نتائج من استخدموا نعمهم وفقاً للتعاليم الإسلامية بمن لم يفعلوا. فبينما يثق المرضى عادةً بخبرة الأطباء دون فهم علم الأدوية الموصوفة لهم، فإن الله تعالى لا يفرض عليهم الإيمان الأعمى. بل يدعو الناس إلى التأمل في

تعاليم الإسلام ليدركوا صدقها بأدلة واضحة، وليلاحظوا آثارها الإيجابية في الحياة. إلا أن هذا الإدراك يتطلب عقلاً منفتحاً وموضوعياً عند التطرق إلى الهداية الإلهية للإسلام. سورة يوسف، الآية 108

"...قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني"

علاوة على ذلك، بما أن الله تعالى هو وحده المتصرف في قلوب البشر الروحية - دار الطمأنينة - فهو وحده: سورة النجم، الآية 43. الذي يُحدد من يُمنح هذه الطمأنينة ومن لا يُمنح

"وأنه هو الذي أضحك وأبكى"

من البديهي أن الله تعالى لا يمنح راحة البال إلا لمن استغلّ نعمه على الوجه الصحيح، كما نصّت عليه: سورة مريم، الآية 76. تعاليم الإسلام

"والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير منقلباً"

كلما سعى المرء إلى الاستمتاع بملذات الدنيا المباحة، سرعان ما يدرك أن حلاوة هذه التجارب زائلة. على سبيل المثال، سرعان ما يتلاشى الفرح والإثارة اللذان يشعر بهما المرء خلال عطلة عند عودته إلى المنزل مما يدفعه إلى التخطيط لرحلة أخرى سعياً وراء نفس المتعة العابرة. وبالمثل، تتلاشى لذة إنهاء فيلم أو برنامج تلفزيوني على الفور تقريباً، مما يخلق رغبة في المزيد من الترفيه لاستعادة ذلك الشعور. هذه الدورة سمة

مميزة لجميع الانغماسات الباطلة أو الأثمة، وهذا التوق المتكرر إلى حلاوة عابرة هو بالتحديد ما يدعم صناعة الترفيه.

في المقابل، تبقى حلاوة الأعمال الصادقة لنيل رضا الله تعالى راسخة في القلب. فالمسلم الذي يؤدي فريضة الحج بإخلاص لا يزال يستشعر حلاوتها الروحية حتى بعد عقود. وكذلك من يقوم بعمل خيري - كبناء مسجد أو كفالة يتيم - يبقى في قلبه لذة ذلك العمل لسنوات طويلة. هذه الحلاوة الروحية الدائمة دليل واضح على أن الرضا الحقيقي والباقي يكمن في الأعمال التي ترضي الله تعالى، لا في الأعمال الباطلة أو المعصية.

، علاوة على ذلك، يُبرز هذا الواقع حقيقةً جوهريةً حول طبيعة القيمة في هذا العالم: ما يبقى له قيمةٌ جوهريةٌ بينما ما يزول سريعاً متقلبٌ وخالٍ من الجوهر الحقيقي. لذا، ينبغي على الفرد الفطن أن يُوجّه مساعيه نحو: سورة النحل، الآية 96. البقاء والمعنى، مُدرِّكاً أن القيمة الحقيقية تكمن في ما يبقى روحياً

"...كل ما لديك فاني، وما عند الله باقي"

القيمة الحقيقية للإنسان مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بطبيعة مساعيه. فمن يسعى إلى ما هو دائم وقيم في ذاته - وهو رضى الله تعالى - ينال قيمةً باقية، وتدوم طمأنينته وأعماله الصالحة. أما من يسعى إلى ما هو زائل خالٍ من الجوهر الحقيقي، فيجد متعته زائلة، وحياته، المجردة من المعنى، تعكس هذا النقص في القيمة. وهكذا، فإن المسار الذي يختاره الإنسان لا يعكس أولوياته فحسب، بل يحدد أيضاً قيمته وإرثه الأسمى.

من لم يدرك أن نيل نعيم الدنيا ما هو إلا اختبار: هل سيُحسن استغلالها كما وردت في التعاليم الإسلامية أم لا، سيظن زوراً أنه محبوب عند الله تعالى، وأنه بفضل هذا الحب ينال النجاة في الآخرة، مهما كانت سيئاته. (سورة مريم، الآيتان 77-78).

أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأعطين مالا وولدا أطلع في الغيب أم اتخذ عند الرحمن وعدا

سورة .لا يُنال محبة الله إلا بالعمل الصالح، وبحسن استغلال النعم الممنوحة، كما ورد في التعاليم الإسلامية
الحجرات، الآية ١٣

"...إن أكرمكم عند الله أتقاكم..."

جميع المعايير الأخرى، كالنسب أو المكانة الاجتماعية أو كثرة ما يملك المرء من دنياه، لا قيمة لها في تحديد
محبة الله أو منزلة الإنسان عند الله تعالى. ومن يجهل هذه الحقيقة ينسب إلى الله تعالى أمورًا سلبية، كالظلم
(الجاثية، الآية ٢١، سورة رقم ٤٥ والعنصرية، ظنًا منه أنه سيرزقه النجاة في الآخرة مع معصيته). سورة

أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما
يحكمون

، هذا الاعتقاد الخاطئ لن يدفعهم إلا إلى الاستمرار في إساءة استخدام النعم التي وُهِبَت لهم. ونتيجةً لذلك
سيعاني هؤلاء الأفراد من حالة نفسية وجسدية غير متوازنة، ويضعون كل شيء وكل شخص في حياتهم في
غير موضعه. وهذا سيؤدي حتمًا إلى التوتر والمشقة وأنواع مختلفة من الصعوبات - حتى لو تظاهروا بالتمتع
ببعض الرفاهية الدنيوية. سورة مريم، الآية 79

لا إسكتب ما يقول ونمدد له من العذاب واسعاً

،ونتيجةً لذلك .إن عدم مواءمة سلوكهم مع الهداية الإلهية سيمنعهم من الاستعداد الكافي للحساب يوم القيامة
ستضيع جهودهم ونجاحاتهم الدنيوية في الدنيا، إذ لم تُؤدَّ إلى راحة البال في الدنيا ولا في الآخرة .سورة
الكهف، الآيتان ١٠٣-١٠٤

"قل هل ننبتكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً "

:وسورة مريم، الآية 80

"ونورثه ما يذكر ويأتينا فردا"

يروى الحديث الوارد في صحيح مسلم، برقم 7420، تحذيراً من النبي محمد صلى الله عليه وسلم، بأن المال
الحقيقي للإنسان يقتصر على ثلاثة أنواع .النوع الأول هو ما يُنفق من ماله على كسب القوت واستهلاكه
ويدعو الهدي الإسلامي إلى الاعتدال في هذا الإنفاق، محذراً من الممارسات الخاطئة كالإسراف والتبذير
.سورة الأعراف، الآية 31 .والإفراط في الطعام

"وكلوا واشربوا ولا تُسرفوا إنه لا يُحب المُسرفين"

يُعتبر من الضروري لأتباع الإسلام تناول الطعام الحلال فقط، حيث يعتمد قبول دعاء الشخص على هذا الالتزام، وهو مبدأ موجود في حديث موثق في صحيح مسلم، رقم 2346. إذا رُفضت دعوات المرء بسبب تناول الحرام، فإن احتمال قبول أعماله الأخرى يكون كذلك. في الواقع، يشير حديث منفصل موجود في صحيح مسلم، رقم 2342، إلى أن أي عمل فاضل متجذر في المال الحرام مرفوض. لذلك، فكما أن النية هي الأساس الباطني للممارسة الدينية، فإن اكتساب واستخدام الحلال يشكلان أساسه العملي الخارجي. يتضمن مبدأ ذو صلة تنمية نهج في استهلاك الطعام حيث يأكل الفرد ليعيش بدلاً من أن يعيش ليأكل. يشجع هذا المنظور على عادات غذائية بسيطة ويساعد على منع التشتيت المستمر لرغبات المرء الجسدية عن الالتزامات الدينية والدنيوية الأكثر أهمية.

بعد الغذاء، يأتي الإنفاق على الملابس في المرتبة الثانية من أصول الإنسان الحقيقية. وهنا يُنصح الأفراد أيضاً بتجنب الإسراف والتبذير. هذا الضبط بالغ الأهمية، إذ ذُكر بشدة في الكتب المقدسة أن من يُفرط في (سورة الإسراء، الآية ٢٧). الإنفاق يُوصف بأنه إخوة الشيطان.

"...إن المبشرين كانوا إخوان الشياطين"

ينبغي للإنسان أن يكتفي بملابس نظيفة وبسيطة ومهذبة، فهذه الصفة ذاتها تُعتبر من الإيمان، وفقاً لحديث موجود في سنن ابن ماجه، رقم 4118. وبينما لا يحرم الإسلام المظهر اللائق، يجب على المرء أن يدرك أن هذا المعيار يمكن تحقيقه بسهولة دون إنفاق كبير للمال أو الوقت. يجب ألا يعيق اهتمام الشخص بمظهره أبداً عن الوفاء بواجباته والتزاماته الأساسية. في الواقع، غالباً ما يؤدي الانشغال المتزايد بالمظهر الجسدي إلى تبني الإسراف في مجالات أخرى من الحياة، مثل السيارة والسكن والنظام الغذائي. هذا الإفراط في التدليل يمنع في النهاية الاستخدام الصحيح للنعم بطرق ترضي الله تعالى، مما يؤدي إلى صعوبات في كل

من هذا العالم والآخرة من خلال الحصول على حالة ذهنية وجسدية غير متوازنة وإساءة وضع كل شيء وكل شخص في حياتهم.

الجزء الأخير من ممتلكات الفرد الحقيقية هو ما يرسله إلى الآخرة بإنفاقه في أوجه تُرضي الله تعالى. ويشمل ذلك استخدام موارد الفرد في الضروريات الشخصية وحاجات من يعولهم، والالتزام الصارم بتعاليم الإسلام بتجنب الإسراف والتبذير. ويشمل هذا المبدأ جميع النعم التي وُهِبَت للفرد، وليس فقط الثروة المالية. وكلما من استخدم الفرد هذه النعم في أوجه تُرضي الله تعالى، زاد السلام والنجاح الذي يحققه في الدنيا والآخرة. خلال تحقيق حالة ذهنية وجسدية متوازنة ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في حياته بشكل صحيح .
:سورة النحل، الآية 97

"من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون"

وختامًا، ينبغي على الفرد أن يتذكر أن الصنفين الأولين - وهما القوت والكسوة - قد ضمنهما الله تعالى. فهذه النفقات جزء من رزقه المقدر، وهو رزق ثابت لا يتغير، فقد حُدد قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف عام. ويؤيد هذا المبدأ حديثٌ في صحيح مسلم، رقمه 6748. لذا، ينبغي على الفرد أن يتوخى الاعتدال في السعي وراء هذين الصنفين، وأن يُركز أكثر على الجانب الأخير - وهو ما يُرسل إلى الآخرة. أما سائر أشكال اكتساب الثروة والانتفاع بها، فهي في الحقيقة ليست ملكًا للفرد؛ بل ستترك حتمًا لغيره لينتفع بها، مع أن صاحبها الأصلي سيُحاسَب عليها يوم القيامة. سورة مريم، الآية 80

"ونورثه ما يذكر ويأتينا فردا "

من صور التمني الأخرى التي تبناها الناس عبر التاريخ الاعتقاد بالشفاعة كوسيلة للنجاة في الآخرة مهما كانت سيئاتهم . على سبيل المثال، ادعى غير المسلمين في مكة، إلى جانب غيرهم من المشركين، خطأ أن الملائكة بنات الله تعالى . وعبدوا الملائكة وبعض الشخصيات الجلييلة من ماضيهم - الذين كانوا يُعتبرون (سورة مريم، الآية 81، سورة 19) . أولياء - ظناً منهم أن هذا التبجيل سيضمن لهم شفاعتهم عند الله تعالى .

"واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا عليهم عزاً "

كثيرٌ من غير المسلمين الذين آمنوا بالله تعالى، نسبوا إليه محدودياتٍ بشرية، كالتعب . هذا الفهم الخاطئ دفعهم إلى تصور الله تعالى كحاكمٍ دنيوي، أشبه بملكٍ عاجزٍ عن الحكم وحده، معتمداً على ولايةٍ لإدارة أجزاءٍ من مملكته . ومن هذا الفهم الخاطئ، بدأوا يعبدون مخلوقاتٍ أخرى، كالملائكة، طمعاً في رضوان الله بواسطتها وللأسف، تبنى بعض المسلمين فكرةً مماثلة . فهم يبذلون الوقت والجهد والموارد في سبيل أشخاصٍ يُعتبرون روحانيين بشكلٍ خاص، ظانين أن هؤلاء الأشخاص يتمتعون بقربٍ خاص من الله تعالى، كالولاية أمام الملك هدفهم هو إرضاء هذه الشخصيات بالهدايا ومظاهر التبجيل الاستثنائية، معتقدين أن هذا التبجيل سيضمن لهم الشفاعة . وبذلك، يُحوّلون القادة الروحيين إلى حُرّاسٍ بين أنفسهم وبين الله تعالى، وهو مفهومٌ يتعارض جوهرياً مع التعاليم الإسلامية . لم يكن الأنبياء عليهم السلام حُرّاساً قط، بل كانت مهمتهم توضيح الطريق، المؤدي إلى راحة البال الحقيقية والرفاهية الدائمة، التي تُنال من خلال التوازن في الحالة النفسية والجسدية، ومن خلال تحديد أولويات جميع جوانب الحياة بشكلٍ صحيح . لم يطلبوا ولم يقبلوا جزاءً دنيوياً، كالهدايا مقابل هدايتهم . وعليه، فبينما يُشجّع المسلمون على طلب العلم من مُعلّمين أكفاء، وتقديم الاحترام الواجب لهم، يجب ألا يعتبروا تبجيل أو تمجيد هؤلاء الأشخاص شرطاً أساسياً للتواصل مع الله تعالى . فالله تعالى وحده يملك المعرفة الكاملة والسلطة المطلقة على الكون، ولا يحتاج إلى وسطاء بينه وبين خلقه . وقد أكد القرآن الكريم هذه الحقيقة بشكلٍ قاطع . على سبيل المثال، سورة البقرة، الآية 186

"...وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان"

:وسورة غافر الآية 60

"وقال ربكم ادعوني أستجب لكم"

:سورة البقرة، الآية 255

"...من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ..."

مع أن الشفاعة حقيقة واقعة يوم القيامة، تُمنح بإذن الله تعالى الصريح، إلا أنه لا ينبغي الاستهزاء بها أو التهاون بها. ففعل ذلك يُعرّض المرء لخطر حرمانه من هذا التجلي الفريد للرحمة الإلهية. إن تجاهل قيمة الشفاعة الحقيقية غالباً ما ينبع من التمني، حيث يفشل الشخص في استخدام النعم الممنوحة له وفقاً للمبادئ الإسلامية، ويفترض النجاة من خلال تدخل الآخرين، مثل أفراد الأسرة أو الشخصيات الروحية الموقرة. في الواقع، هذا الموقف مُضلل للغاية. فمن يسخر من الشفاعة أو يعتمد عليها مُهملاً مسؤوليته الشخصية، قد يواجه في النهاية العواقب الوخيمة المتمثلة في شهادة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ضده يوم القيامة، بدلاً من أن يشهد لصالحه. سورة الفرقان، الآية 30

"وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا "

هذه الآية تُشير إلى المسلمين، فهم وحدهم من أقرّوا بهدي القرآن الكريم وقبلوه. أما غير المسلمين، فلم يُعتنقوا تعاليمه قط، فلا يُعتَبَرُونَ تَخْلِيًّا عنه. فكل مسلم يشهد عليه النبي محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة، تكون عاقبته جليّةً ووخيمةً.

وكذلك من علق الناس عليه الشفاعة من الشخصيات الأخرى مع إصرارهم على معصية الله تعالى، سيجدون أنفسهم يوم القيامة يقطعون صلتهم به. سورة مريم، الآية 82

. هؤلاء "الآلهة" سينكرون عبادتهم لهم، وسيكونون ضدهم خصومًا ! لا

علاوة على ذلك، حتى في الحالات التي تُقبل فيها الشفاعة، فإن التهاون لا يمنع دخول النار؛ بل قد يخفف من وطأة العذاب. ومع ذلك، يجب إدراك أن حتى أقصر لقاء مع النار يكون عميقًا لا يُطاق. لذا، لا ينبغي فصل الرجاء الحقيقي في الشفاعة عن السعي الجاد، أي الاستخدام الصادق والفعال لنعم الله وفقًا للقرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. فبهذا السعي فقط يمكن للمرء أن يأمل بالشفاعة يوم القيامة بحق، مع التسليم التام بأنها رحمة من الله تعالى.

ولكن بما أن طاعة الله تعالى، بالاستعانة بنعمه، تتعارض مع شهوات الناس الدنيوية، فإن كثيرًا منهم يُصرّون على معصيته ظانين أنهم سينالون السلام والنجاة في الدنيا والآخرة. ومن يتبنى هذا الموقف، سيتأثر حتمًا بالشيطان وجنوده من البشر، الذين يهدفون إلى حثّ الناس على السعي وراء شهواتهم الدنيوية، فيُعانون في الدنيا والآخرة، كما يُعانون في الآخرة). سورة مريم، الآية 83)

أرسلنا الشياطين على الكافرين تزكيمهم أنا

بما أن لا شيء يحدث في الكون إلا بمشيئة الله تعالى، فقد نُسبت إليه هذه النتيجة. لكن من البديهي أن هذه النتيجة لا تحدث إلا لأنهم اختاروا اتباع شهواتهم الدنيوية على طاعة الله تعالى. كلما أصرّ المرء على شهواته في هذا العالم، يعيق. الدنيوية، ازداد تأثره بالأمور السلبية، كوسائل التواصل الاجتماعي والموضة والثقافة هذا الموقف الفرد عن تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، ويدفعه إلى إهمال كل شيء وكل شخص في حياته. ونتيجة لذلك، تصبح العناصر التي من المفترض أن تجلب له الراحة - كالعائلة والأصدقاء والعمل والثروة - مصادر للتوتر والقلق. إذا أصرّ الفرد على معصية الله تعالى، فسيبدأ في تحميل الآخرين مسؤولية محنته، مُلقياً اللوم على أطراف بريئة كالزوج أو الأقارب. يقطع هذه العلاقات النافعة، يُفاقم حالته، وينحدر إلى حالة من عدم الاستقرار النفسي، قد تتجلى في الاكتئاب، وإدمان المخدرات، وحتى الميل الانتحارية. تتجلى هذه النتيجة جليةً فيمن يُسيء استخدام النعم المُنعم بها باستمرار، كالمشاهير. فرغم تمتعهم بالرفاهية الدنيوية، غالباً ما يعانون من مشاكل نفسية عميقة نتيجة إهمالهم التوجيه الإلهي. علاوة على ذلك، لا يُعيق هذا السلوك حياتهم الدنيوية فحسب، بل يُعيق استعدادهم للحساب يوم القيامة. وبالتالي، سيكون عقابهم في الآخرة أشد بكثير، مما يعكس جسامه جحودهم وتحديدهم المُستمر لله تعالى.

ولأن النبي محمداً صلى الله عليه وسلم لم يكن يتمنى هذه النتيجة لأحد، فقد سعى جاهداً إلى هداية الناس إلى قبول الإسلام والعمل به لمصلحتهم. لكن الله تعالى ذكره بأن واجبه ليس فرض الهداية على الناس، بل بيان تعاليم الإسلام للجميع، وترك شخصيته قدوة حسنة لهم. سورة مريم، الآية 84

"فلا تعجل عليهم"

بشكل عام، على الفرد أن يوضح للآخرين الفرق بين النصيحة الصحيحة والخاطئة، ويشجعهم على اتباع الطريق الفاضل. ومع ذلك، لا تمتد هذه المسؤولية إلى إجبار الآخرين على اتباع هذا التوجيه، فالخيار النهائي يقع على عاتق كل شخص. إن عدم إدراك عدم قدرة المرء على إملاء قرارات حياته غالباً ما يؤدي إلى إحباط وخيبة أمل متكررة عندما يصر الناس على مسارات عمل خاطئة. إذا تُرك هذا الحزن دون رادع، فقد

يتفاقم ويؤدي إلى اليأس أو حتى الاكتئاب. لذلك، من الضروري أن نفهم أن دور المرء هو الهداية بصدق وحكمة، لا الإكراه، فالهداية لله تعالى وحده. سورة العاشية، الآيتان 21-22

"فذكر إنما أنت مذكر، لست عليهم بمسيطر"

من يصبو بصدق إلى الهداية السليمة هم وحدهم من سيقبلونها في النهاية. من يُعطون الأولوية للسلام في الدنيا والآخرة يُدركون أن ثمن كبح جماح شهواتهم الدنيوية زهيد، وهو ثمن يستحق العناء من أجل بلوغ السكينة الحقيقية. إنهم يُدركون أن تحقيق كل رغبة دنيوية لا يُحقق سلامًا داخليًا حقيقيًا - وهي حقيقة تتجلى جليًا عند مراقبة حياة الأثرياء والمشاهير، الذين، على الرغم من تمتعهم بالرفاهية والترف، يُعانون من مشاكل نفسية

ثم إن من أصرّ على معصية الله تعالى فلا يغترّ بإمهاله، فإن هذه الإمهال مؤقتة. سورة مريم، الآية 84

"نحن لا نحصي منهم إلا عددًا محدوداً..."

لذا، ينبغي للإنسان أن ينتهز هذه النعم في الدنيا بحسن استغلال ما أنعم الله به عليه من النعم، كما بينتها تعاليم الإسلام، لينعم براحة البال في الدنيا والآخرة، وذلك بتوازن حالته النفسية والجسدية، وحسن توزيع كل شيء (وكل شخص في حياته). سورة مريم، الآية 85)

"يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً"

من المهم الإشارة إلى أن تحقيق راحة البال في الدنيا والآخرة، في جميع تعاليم الإسلام، يتطلب الإيمان ودعمه بالأعمال الصالحة. بل إن من لا يدعم إيمانه بالله تعالى لفظيًا بالأعمال يكون في خطر عظيم من فقدانه. من أن الإيمان أشبه بنبت يحتاج إلى تغذية مستمرة بالطاعات ليزدهر ويستمر. فكما أن النبات الضروري إدراك الذي يُحرم من قوت يومه - كضوء الشمس - يذبل ويموت لا محالة، فكذلك قد يذبل إيمان المرء إذا لم يُدعم بطاعة الله تعالى الدائمة. وهذه الخسارة أعظم الخسائر. سورة مريم، الآية 86

"ويسوق المجرمين إلى جهنم ظمًا"

كما ذكرنا سابقًا، لا ينبغي أن يُخدع المرء بالاعتقاد بأنه يستطيع تجنّب هذه النتيجة في الآخرة بشفاعته غيره. سورة مريم، الآية ٨٧

«لا يملك الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن ميثاقًا»

مع أن الشفاعة حتمية يوم القيامة - بإذن الله - إلا أنه من الأهمية بمكان ألا تُقابل بمثل هذا الاستهزاء أو الاستخفاف. فقد يؤدي هذا الفعل في النهاية إلى حرمان المرء من هذه الرحمة الإلهية. وكثيرًا ما ينبع الاستخفاف بمفهوم الشفاعة من التمني، حيث يتجاهل المرء استغلال النعم الممنوحة له وفقًا للمبادئ الدينية ومع ذلك يتوقع النجاة من خلال تدخل الآخرين، كالشخصيات الروحية أو الأقارب. بل إن من يحتقر الشفاعة بهذه الطريقة قد يجد أن النبي محمدًا صلى الله عليه وسلم، إمام الشفعاء، قد يشهد عليه يوم القيامة. سورة الفرقان، الآية 30

"وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا "

هذه الآية تُشير إلى المسلمين، فهم الأمة الوحيدة التي أقرّت بالقرآن الكريم واعتنقته. أما من لم ينتم إلى الإسلام، ولم يقبل بهديه قط، فلا يُوصف بدقة بأنه تارك له. والعاقبة لكل مسلم يشهد عليه النبي محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة واضحة.

علاوة على ذلك، حتى في الحالات التي تُمنح فيها الشفاعة في النهاية، فإن الإهمال السابق قد لا يمنع تمامًا دخول النار؛ بل قد يخفف فقط من شدة العقوبة اللاحقة. يجب أن يُفهم بوضوح أن حتى أقصر تجربة لهذه العقوبة النهائية تكون شديدة للغاية. لذلك، يجب أن يقترن الأمل الصادق بالشفاعة بالسعي الجاد - وتحديدًا الاستخدام الصادق والفعال للنعم الممنوحة بطريقة تتوافق مع هدى القرآن الكريم وتعاليم النبي محمد صلى الله عليه وسلم. فقط عندما يكون هذا الجهد موجودًا، يجب على الفرد أن يتمنى الشفاعة يوم القيامة مع إدراك أن الله تعالى وحده لديه السلطة النهائية في الترخيص بها.

من أهم أسباب تمسك المسيحيين بالوهية النبي عيسى عليه السلام، رغم عدم وجود دليل يدعم ادعائهم، هو سعيهم وراء شهواتهم في الدنيا، ونيل النجاة في الآخرة بشفاعته. وكما ذكرنا سابقًا، فإن الرجاء في شفاعته: لا بد أن يكون مدعومًا بالإيمان الصحيح والطاعة العملية لله تعالى. سورة مريم، الآيات 88-91

ولذا. لقد جئتم بفضاعة تكاد السماوات يتفطرن منها وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً. أن يجعلوا الرحمن للرحمن ولداً.

بشكل عام، نشأ انتشار المعتقدات الباطلة حول النبي عيسى عليه السلام من عدة عوامل: ولادته المعجزة والمعجزات الخارقة التي أجراها بإذن الله تعالى، وعروجه إلى السماء وهو حي. يؤكد القرآن الكريم على ولادته المعجزة للنبي عيسى عليه السلام، ويعرض ولادته بدون أب كدليل واضح على قدرة الله تعالى اللامحدودة. هذا الحدث، بعيداً عن الإيحاء بالألوهية، يُذكرنا بأن الله تعالى يخلق ما يشاء، دون قيود التجربة البشرية. سورة آل عمران، الآية 47:

قالت مريم رضي الله عنها: يا رب أنى يكون لي ولد ولم يمسنني بشر؟ قال: كذلك الله يخلق ما يشاء، وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون.

خلق الله تعالى النبي عيسى عليه السلام بلا أب، كما خلق آدم عليه السلام بلا أم ولا أب. وهذا لا يعني البتة ألوهيتهما، بل هو دلالة جلية على قدرة الله تعالى وإرادته اللامحدودة، الذي يخلق ما يشاء. وكلا الأمرين تذكير بأن الخلق نفسه خاضع كلياً لأمر الله تعالى، وأنه لا يشاركه في ألوهيته أو ربوبيته أي مخلوق، مهما كانت أصوله. سورة آل عمران، الآية 59:

"إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون"

من العجيب حقاً أن المسيحيين يعتبرون النبي عيسى عليه السلام ابناً لله تعالى لمجرد ولادته بدون أب. ومع ذلك، فهم لا يطبقون هذا المنطق نفسه على النبي آدم عليه السلام، الذي خُلِق بلا أب ولا أم. فبمنطقهم الخاص كان النبي آدم عليه السلام أحق بأن يُدعى ابناً لله تعالى من النبي عيسى عليه السلام. ومع ذلك، فهم يمتنعون عن تقديم مثل هذا الادعاء. يبرز هذا التناقض كيف يُطبق العقل والمنطق السليم في حالة النبي آدم عليه السلام، ويُهمل في حالة النبي عيسى عليه السلام.

معجزات النبي عيسى عليه السلام مؤكدة في القرآن الكريم. ومع ذلك، فقد أوضح القرآن الكريم بوضوح تام أنه لم يُجر هذه المعجزات إلا بمشيئة الله تعالى وإذنه وأمره. ويؤكد القرآن الكريم مراراً أنه كان عبداً ورسولاً لله، لا شريكاً له في الألوهية. لو كان النبي عيسى عليه السلام إلهاً حقاً، لما احتاج إلى إرادة الله تعالى أو إذنه للقيام بهذه الأفعال. بل إن كون معجزاته مشروطة بالموافقة الإلهية هو في حد ذاته دليل على عبوديته: سورة آل عمران، الآية 49. ووحانية الله تعالى

واجعل عيسى عليه السلام رسولاً إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تآكلون وما... تدخرون في بيوتكم

علاوة على ذلك، يُقرّ المسيحيون أنفسهم بأن أنبياء آخرين عليهم السلام صنعوا معجزات أيضاً، كتحول عصا، النبي موسى عليه السلام إلى ثعبان، أو شق البحر. ومع ذلك، لا يُنسبون إليهم الألوهية بسبب معجزاتهم. لذا من غير المنطقي نسب الألوهية إلى النبي عيسى عليه السلام لمجرد معجزاته، لا سيما وأن القرآن الكريم يُبيّن أنها لم تتم إلا بمشيئة الله تعالى وإذنه

إن صعود النبي عيسى عليه السلام إلى السماء في حياته يُظهر قدرة الله تعالى العليا. فالله تعالى هو الذي رفعه وصعده في هذه الرحلة العجيبة. ولو كان النبي عيسى عليه السلام إلهاً حقاً، لصعده بقدرته الذاتية دون حاجة إلى تدخل الله تعالى. بل إن صعوده دليل آخر على سلطان الله تعالى المطلق، وتذكير بأن كل نبيّ: سورة آل عمران، الآية 55. عليهم السلام، مهما عظم شأنه، يبقى عبداً لله تعالى

"...إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا"

يُخبر القرآن الكريم المسيحيين أن النبي عيسى عليه السلام، خلافاً لاعتقادهم، لم يُصلب. بل إن الشخص الذي ظهر على الصليب لم يكن النبي عيسى عليه السلام، بل شخصاً مُشابهاً له. وبحلول ذلك الوقت، كان الله تعالى قد رفع النبي عيسى عليه السلام إلى السماء. تُفند الآية التالية بشكل قاطع ادعاء الصلب وتؤكد أن صعود النبي عيسى عليه السلام كان بمشيئة الله تعالى وقدرته. لا يُصحح هذا السرد مفهوماً خاطئاً رئيسياً فحسب، بل يؤكد أيضاً مبدأ أن السلطة النهائية على الحياة والموت تعود إلى الله تعالى وحده. إن الحفاظ المعجز للنبي عيسى عليه السلام يُعد دليلاً على الحكمة الإلهية وتذكيراً بأنه لا يمكن لأي مؤامرة بشرية أن: سورة النساء، الآيات 156-158. تتغلب على إرادة الله تعالى

وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً، وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله، وما قتلوه وما "صلبوه، ولكن شبه لهم... بل رفعه الله إليه

إن الاعتقاد المسيحي بأن النبي عيسى عليه السلام قد صُلب وقُتل اعتقادٌ خاطئٌ في جوهره، فالكائن الإلهي الحقيقي لا يخضع لتجربة الموت. فإذا كان الكائن قادراً على الموت، فلا يمكن أن يكون إلهياً. وبالتالي، فإن ادعائهم بشأن صلبه يتناقض مباشرةً مع تأكيدهم على ألوهيته، لأن الفناء صفةٌ مميزةٌ للمخلوقات، لا للخالق.

الألوهية بطبيعتها قائمة بذاتها، مستقلة، لا تحتاج إلى شيء. لا يعتمد الكائن الإلهي على أي مصدر خارجي للوجود أو الرزق. ومع ذلك، كان كلُّ من النبي عيسى عليه السلام وأمه مريم رضي الله عنها يعتمدان على الله تعالى في الغذاء والرزق. واعتمادهما على الطعام والشراب وضروريات الحياة يُثبت طبيعتهما البشرية (سورة المائدة، الآية 75). وينفي أي ادعاء للألوهية. فالاستقلال المطلق والاكتفاء الذاتي لله تعالى وحده

ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صدوقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يُضلون

علاوة على ذلك، لا يمكن لأحد أن يدّعي أن الملائكة إلهية لمجرد أنهم لا يأكلون الطعام. في الواقع، هم أيضًا يُرزقون من الله تعالى بما يليق بخلقهم الفريد. إنهم ليسوا قادرين على البقاء، وكونهم قد وُجدوا وسيُفنون في النهاية، كسائر المخلوقات، كافٍ لنفي أي ادعاء للألوهية.

وبالمثل، بينما قد يشترك الطفل البيولوجي مع والديه في بعض الصفات، فإن النبي عيسى عليه السلام لا يشترك مع الله تعالى في أي صفات. جميع صفاته بشرية: خُلِق، ورزق بالطعام والشراب، وعاش وسموت، وسيُبعث، كسائر البشر. هذه الصفات وحدها كافية لنفي أي ادعاء للألوهية. علاوة على ذلك، لا ينطبق أي من الأسباب التي قد تدفع الإنسان إلى إنجاب طفل - كالحماية في الكبر، أو الميراث، أو الرفقة - سورة الإسراء، الآية ١١١. على الله تعالى، فهو غني عن الحاجة، ومكتفي بذاته تمامًا.

"...الحمد لله الذي لم يتخذ ولدًا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الدن"

:وسورة مريم، الآية 92

"وَمَا كَانَ لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا"

أدخل الرومان الذين اعتنقوا المسيحية في دينهم الاعتقاد بالألوهية النبي عيسى عليه السلام، مُدمجين مفاهيم ورثوها من تقاليدهم الوثنية السابقة. وبذلك، أخذوا نبيًا كريمًا مباركًا عليه السلام، وربطوه بأساطير وخرافات مستمدة من شخصيات مثل زيوس وهرقل وأودين. ومع ذلك، لا يتطلب الأمر سوى أبسط تطبيقات العقل لإدراك أن الكائن المخلوق، الذي يُعيله غيره، والمُعَرَّض للموت، لا يمكن أن يكون إلهيًا، لأن هذه الصفات تُناقض جوهر الألوهية تمامًا.

رغم الأدلة القاطعة على أن النبي عيسى عليه السلام كان رسول الله تعالى، إلا أن كثيرًا من المسيحيين لا يزالون متمسكين بهذه المعتقدات الخاطئة. ومن أهم أسباب هذا التمسك التقليد الأعمى للأجيال السابقة. فهو يمنع الأفراد من التقييم النقدي للمعرفة والأدلة، ويثنيهم عن التشكيك في الافتراضات التي نشأوا عليها. وهذا التقليد الأعمى يتناقض مع الفطرة السليمة ومبادئ الإسلام، فالبشر خُلِقوا للتفكير والتدبر والتفكر، لا للاتباع دون تردد.

لذلك، يجب على المرء دائمًا تجنب التقليد الأعمى، فهو سبب رئيسي للضلال. بدلًا من ذلك، ينبغي على الأفراد استخدام عقولهم، وتقييم المعرفة والأدلة في كل ظرف - سواء أكان دنيويًا أم دينيًا - واتخاذ قرارات مستنيرة. حتى في الإسلام، يُنكر التقليد الأعمى، لأن الله تعالى يأمر الناس بدراسة هدايته وفهمها والعمل بها: سورة يوسف، الآية 108. بفهم ويقين، بدلًا من مجرد تقليد ممارسات الآخرين دون بصيرة

"...قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني"

كما ذكرنا سابقًا، فإنّ من الأسباب الرئيسية الأخرى التي تدفع الكثير من المسيحيين إلى التشبث بمعتقداتهم المتعلقة بالنبي عيسى عليه السلام، رغم الدلائل القاطعة على صدقه كرسول الله تعالى، هو رغبتهم في إشباع شهواتهم الدنيوية. تُرَوِّج بعض العقائد المسيحية لفكرة أن الخلاص في الدنيا والآخرة مضمونٌ لمن يعتنق المسيحية فقط، بغض النظر عن أفعاله. هذا الاعتقاد يُعطي الأفراد شعورًا زائفًا بالأمان، يسمح لهم بالسعي وراء ملذات الدنيا دون قيود، مع توقعهم في الوقت نفسه خلاصًا مؤكدًا. وبالتالي، لا يُعتنقون هذه العقائد عن قناعة راسخة، بل لأنها تُفضّل السعي وراء الشهوات على الانضباط الأخلاقي والروحي الأسمى. في المقابل، يؤكد الإسلام على أن الخلاص الحقيقي يتطلب الإيمان والعمل الصالح، وأنّ نعم الله تعالى يجب استخدامها بمسؤولية ووفقًا لهدايته. وهكذا، فإنّ استمرار هذه المعتقدات الخاطئة يعكس تفضيلًا للراحة واللين على المساءلة والتفاني الصادق. سورة مريم، الآيات 87-90

"لا يملك الشفاعة إلا من اتخذ من الرحمن ميثاقًا وقالوا اتخذ الرحمن ولدًا لقد جنّتم بسوء "

لما كان الخلق أجمعين يُقرّون بوحداية الله تعالى، فإنهم يُريدون إهلاك من يُنسب إليه ولدًا زورًا. ولكن الله تعالى يمنعهم رحمةً ورحمةً للناس. سورة مريم، الآيات ٩٠-٩٢:

تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا أن يجعلوا للرحمن ولدا وما كان للرحمن أن يتخذ ولدا

وبما أن الله تعالى هو وحده الخالق والمحيي والمميت، فهم ليسوا إلا عبادته، سواء قبلوا هذه الحقيقة أم لم يقبلوها. سورة مريم، الآية 93

«إن من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً»

من يعبد الله تعالى لا يسعى وراء رضا نفسه في الدنيا ولا يسعى لنيل رضا الآخرين، بما في ذلك وسائل التواصل الاجتماعي والموضة والثقافة. بل يسعى جاهداً لنيل رضا مولاه الله تعالى. ويتجلى ذلك في حسن استغلاله للنعم التي أنعم بها عليه، كما ورد في التعاليم الإسلامية، لا في اتباع أهوائه. بل إن عبد الله تعالى لا يتمنى رضا الناس عنه، بل يتمنى رضا الله تعالى. في نهاية المطاف، يُقرّ عبد الله تعالى بأن كل ما يملك، بما في ذلك حياته، قد خلقه الله تعالى ومنحه إياه. وعليه، فعليه استغلال هذه النعم كما وردت في التعاليم الإسلامية لأنها ليست ملكه. سيساعده هذا النهج على تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، وتحديد أولويات كل شيء وكل شخص في حياته، والاستعداد جيداً للحساب يوم القيامة. هذا السلوك يؤدي إلى راحة البال في الدنيا

،والآخرة .أما من يُصرّ على التصرّف كالربّ، فسيُسيء استخدام النعم التي وُهِبَتْ له لا محالة .ونتيجةً لذلك سيعاني من حالة نفسية وجسدية غير متوازنة، وسيُسيء ترتيب أولويات عناصر حياته وعلاقاته، ولن يُعِدّ نفسه للحساب يوم القيامة كما ينبغي .وهذا يُؤدّي إلى التوتر والمشقّة والشدائد في الدنيا والآخرة، حتى وإن تمتع ببعض الرفاهية الدنيوية .أيّ كان الموقف الذي يختاره المرء، فسيواجه عواقب أفعاله في الدنيا والآخرة .سورة مريم، الآية 94

" فأحصاهم وأحصاهم إحصاءً "

من أهم أسباب اتباع الناس لطريق الخطأ في الحياة التقليد الأعمى لرأي الأغلبية في مجتمعهم .ولذلك، يجب تجنب اتباع الآخرين دون تدبر، لأن سلوك الأغلبية غالبًا ما يؤدي إلى معصية الله تعالى .فعندما يرى الأفراد، تجاهل الأغلبية للتعاليم الإسلامية، قد يظنون أن هذا السلوك صحيح، فيتبعونه دون تفكير أو تمييز .في الواقع ليس رأي الأغلبية بالضرورة مقياسًا للحقيقة .والتاريخ نفسه يُظهر هذه النقطة، حيث ثبت لاحقًا بطلان العديد من المعتقدات الشائعة مع ظهور أدلة ومعارف جديدة - على سبيل المثال، الاعتقاد السائد سابقًا، وإن كان خاطئًا، بأن الأرض مسطحة .لذا، من الضروري الامتناع عن التصرف كالمقطع، والتوافق دون تفكير مع رأي الأغلبية .فمثل هذا التوافق الأعمى غالبًا ما يؤدي إلى خيارات خاطئة، سواء في الأمور الدنيوية أو (سورة) .الروحانية، بينما تكمن الحكمة الحقيقية في استخدام العقل والتأمل والدليل في البحث عن الحقيقة .(الأنعام، الآية 116)

وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يظنون

بل ينبغي على الأفراد استخدام العقل والمنطق اللذين وهبهما الله تعالى لهم لتقييم كل ظرف على أساس المعرفة والدليل .وهذا يُمكنهم من اتخاذ قرارات مستنيرة ومبدئية، حتى لو خالفت هذه القرارات الآراء السائدة لدى الأغلبية .في الواقع، ينتقد الإسلام بشدة التقليد الأعمى للآخرين في الأمور الدينية لهذا السبب تحديدًا .بل

إنه يشجع المؤمنين على تعلم التعاليم الإسلامية والتأمل فيها والعمل بها بفهم وبصيرة، حتى تكون طاعتهم (يوسف ، الآية 108، سورة 12 لله تعالى مبنية على الاقتناع والفهم لا على التقليد الجاهل) .سورة

"...قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني"

يجب أن نتذكر أن التقليد الأعمى قد يُريحهم في الدنيا، لكنهم في الآخرة سيواجهون محاسبتهم وحدهم، ولن يُغني عنهم ما اتبعوه من أشخاص أو أشياء، مثل مواقع التواصل الاجتماعي والموضة والثقافة) .سورة مريم (الآية 95، سورة 19

"وكلهم آتية يوم القيامة فرداً "

،من يدرك هذه الحقيقة سيتخذ موقفاً سليماً، فيستغل النعم التي وُهِبَتْ له كما هو مبين في التعاليم الإسلامية حتى لو كان هذا الموقف غير شائع في مجتمعه .هذا سيضمن له حالة نفسية وجسدية متوازنة، ويضع كل شيء وكل شخص في مكانه الصحيح في حياته، ويستعد جيداً للحساب يوم القيامة .هذا السلوك يؤدي إلى راحة البال في الدنيا والآخرة، وإلى محبة الله .بالإضافة إلى ذلك، بما أن هذا الموقف سيؤدي إلى أداء حقوق الناس، فإنه سينشر العدل والسلام في مجتمعه، ويكسب محبة واحترام الآخرين .سورة مريم، الآية 96

"إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً "

لذا، يجب على الأفراد اعتناق قواعد السلوك الإلهي التي أوحى بها إليهم، مُدركين أنها الإطار الأمثل لسلامتهم حتى وإن تعارضت بعض جوانبها مع رغباتهم الشخصية .عليهم أن يتعاملوا معها كما يتعامل المريض الحكيم مع نصيحة الطبيب - ملتزمين بالأدوية الموصوفة ونظام غذائي صارم، مُدركين أنها تُحقق مصلحتهم القصوى، مهما كانت المتاعب العارضة .مهما بلغ تقدم المجتمع البشري، ومهما اكتسب من معرفة في مختلف التخصصات - بما في ذلك دراسة العقل والجسد - يبقى من المستحيل على البشر وضع قواعد سلوك تتوافق تمامًا مع الطبيعة البشرية وقادرة على مواجهة جميع الظروف والتحديات التي تواجههم طوال حياتهم .إن فهم البشرية للحالة الإنسانية في تطور مستمر، من فهم وظائف الدماغ إلى جوانب أوسع من السلوك والمجتمع إلا أن هذه المعرفة محدودة بطبيعتها .الله تعالى وحده هو القادر على توفير هذه التوجيهات .بصفته خالق كل شيء، فإن معرفته لا حدود لها، تشمل الماضي والحاضر والمستقبل .وبناءً على ذلك، فهو وحده المؤهل لوضع منهج إلهي يُميّز بوضوح الخير من الشر، والنافع من الضار، ويُمكن من بلوغ الطمأنينة الحقيقية في حياة مُثقلة بالضغوط .وتُشير الأدلة التاريخية إلى أن تطبيق الأفراد لهذا التوجيه الإلهي بفعالية يُفضي إلى ازدهار السكينة والعدل والوئام في المجتمع .سورة مريم، الآية 97

{ثم يسرناه على لسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لا يطيّقون }

بشكل عام، عندما يتبع الفرد مسارًا يخالف الأعراف السائدة لدى أقرانه - وخاصةً تلك القائمة على الالتزام بأوامر الله تعالى - فقد يثير ذلك، دون قصد، مشاعر عدم الارتياح أو القصور لدى الآخرين، خاصةً إذا كانت خياراتهم موجهة أساسًا برغباتهم الشخصية .غالبًا ما يتجلى هذا التنافر الداخلي في صورة انتقادات أو معارضات، غالبًا ما تنشأ من دوائر اجتماعية قريبة، بما في ذلك أفراد الأسرة .لا تعكس هذه الانفعالات بالضرورة صحة إيمان الفرد أو قوته، بل تعكس التحدي المتصور الذي يمثله لقيم وأسلوب حياة من حوله .وبالتالي، قد يواجه الالتزام الراسخ بالمبادئ الدينية مقاومة، حتى لو كان سليمًا أخلاقيًا وروحيًا

،تُمارس التأثيرات المجتمعية المعاصرة - بما في ذلك وسائل التواصل الاجتماعي، واتجاهات الموضة السائدة والأعراف الثقافية السائدة - ضغطًا كبيرًا على الأفراد الذين يسعون إلى التمسك بالقيم الإسلامية .وكثيرًا ما يُنظر إلى ممارسة الإسلام والدعوة إليه على أنها عقبتان أمام النجاح المادي، والمكانة الاجتماعية، والاعتراف العام .وغالبًا ما تُقاوم المؤسسات والقطاعات الخاضعة للنقد الإسلامي تبني المبادئ الإسلامية

وقد تُثني المسلمين عن الالتزام بدينهم. وتُسهم هذه المقاومة بشكل كبير في انتشار المشاعر المعادية للإسلام عبر مختلف المنصات، وخاصةً في الفضاءات الرقمية ووسائل التواصل الاجتماعي.

علاوة على ذلك، غالبًا ما يواجه الملتزمون بالتعاليم الإسلامية - التي تُشدد على الاعتدال في الرغبات الشخصية والاستخدام المسؤول لنعم الله تعالى - معارضة من أفراد يتصرفون بلا ضوابط، مُنغمسين في دوافع يعتبرها الإسلام دنيئة أو حيوانية. وكثيرًا ما يحاول هؤلاء الأفراد ثني الآخرين عن اعتناق الإسلام وتشجيع المسلمين الملتزمين على التخلي عن التزاماتهم الدينية لصالح نمط حياة تحكمه الشهوات غير المنضبطة. ويستهدف النقاد عادةً جوانب محددة من الممارسات الإسلامية، مثل قواعد اللباس المفروضة على النساء، في محاولة للحد من جاذبيتها. ومع ذلك، يكشف الرصد الدقيق عن سطحية هذه الاعتراضات، التي تتبع عادةً من انزعاج أوسع نطاقًا من تركيز الإسلام على ضبط النفس. على سبيل المثال، بينما يُشكك النقاد، غالبًا في الزي الإسلامي، نادرًا ما يُخضعون الزي المهني - الذي يرتديه موظفو إنفاذ القانون، أو الجيش أو الرعاية الصحية، أو التعليم، أو قطاعات الشركات - للتدقيق نفسه. يكشف هذا النقد الانتقائي عن التناقض والافتقار إلى المنطق الموضوعي في حججهم. في نهاية المطاف، إن المبادئ الأساسية للإسلام وسلوك أتباعه المنضبط هي التي تثير هذه المعارضة، مما يدفع المنتقدين إلى الإساءة إلى الدين بوسائل متنوعة. سورة مريم، الآية 97

"وانذر به قوما عدوا ..."

إن طاعة الله تعالى الراسخة ضرورية في مثل هذه الظروف، فهي تُثني شعورًا عميقًا بالطمأنينة، وتحمي الإنسان من التأثيرات الخارجية السلبية، حتى وإن لم تكن هذه الحماية ظاهرة للعيان. تتضمن هذه الطاعة حسن استغلال النعم، وتعزز التوازن النفسي والجسدي، وتُمكن من تنظيم جميع جوانب الحياة استعدادًا للحساب يوم القيامة. وهكذا، تُعزز الطاعة السلام في الدنيا والآخرة. وبالتالي، يُهدى الصابرون في جميع المواقف - سواءً أكانت سهلة أم صعبة - فيطمنون ويحصلون على ثواب لا يُحصى. يتطلب الحفاظ على هذا الثبات تقوية الإيمان. فالإيمان الراسخ لا غنى عنه للبقاء مُخلصين لله تعالى في جميع الأحوال، وينمو من خلال الفهم العميق والتطبيق العملي لتعاليم القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. تُبين هذه التعاليم أن الطاعة الصادقة تؤمن السلام الحقيقي في الدنيا والآخرة. في المقابل، فإن من يفتقرون إلى معرفة المبادئ الإسلامية لديهم إيمان هشّ، مما يجعلهم أكثر عُرضة للانحراف عن الطاعة، لا سيّما عندما تتعارض

رغباتهم الشخصية مع التوجيه الإلهي. هذا النقص قد يُطمس إدراك أنّ التخلي عن الرغبات الشخصية لأوامر الله تعالى أمرٌ أساسيٌّ لتحقيق السلام الحقيقي. لذلك، من الضروري تقوية الإيمان من خلال اكتساب المعرفة الإسلامية وتطبيقها، وضمان استمرار طاعة الله تعالى. فباستخدام النعم وفقًا للتعاليم الإسلامية، يمكن للفرد تحقيق حالة متوازنة من العقل والجسم، وتنظيم جميع جوانب حياته تنظيمًا سليمًا. سورة مريم، الآية 97

{ثم يسرناه على لسانك لتبشر به المتقين }

في المقابل، فإن تجاهل أوامر الله تعالى سعيًا وراء رضا الآخرين يؤدي إلى فقدان السلام الداخلي. هذا السلوك يُعزز إساءة استخدام النعم، ويُسبب اضطرابات نفسية وجسدية، ويُشوّه الأولويات والعلاقات، ويُعيق الاستعداد الكافي للحساب يوم القيامة. وبالتالي، يؤدي هذا المسار إلى التوتر والضيق في الدنيا والآخرة، بغض النظر عن أي رفاهية مادية قد يمتلكها المرء. سورة مريم، الآيتان 97-98

"وأندر به قوما لا يطيقون. وكم أهلكنا قبلهم من القرون هل تشعر منهم من أحد أو تسمع لهم صوتا؟..."

علاوةً على ذلك، تُعدّ هذه الآيات تحذيرًا عميقًا من تبني نظرة أنانية، حيث يغمس الفرد في ظروفه الشخصية فقط، متجاهلاً حقائق الحياة الأوسع. تُضعف هذه العقلية قدرة المرء على إدراك الحكمة الكامنة في الأنماط التاريخية، والتجارب الشخصية، وصراعات الآخرين. يُعدّ التأمل في هذه الدروس من أنجع الوسائل لتنمية الشخصية النبيلة، وتجنب تكرار أخطاء الماضي، وتحقيق السكينة الداخلية الحقيقية. على سبيل المثال، فإن مشاهدة الأثرياء والمشاهير يُسيئون استخدام النعم التي مُنحت لهم - ليعانوا من القلق، والضيق النفسي، وإدمان المخدرات، وحتى الميول الانتحارية رغم تمتعهم بالرفاهية - تُقدم تحذيرًا جادًا. إنها تُوضح أن السلام لا يمكن تحقيقه من خلال الممتلكات المادية أو السعي الجامح وراء الشهوات. وبالمثل، فإن رؤية شخص يعاني من اعتلال الصحة يجب أن تُثير الامتنان لرفاهيته وتُلهمه على استخدامها الصحيح قبل أن يضيع. لذا يدعو الإسلام الأفراد باستمرار إلى التأمل، والنظر إلى ما وراء همومهم المباشرة، واستخلاص الحكمة من العالم

من حولهم .وبذلك، يحمون أنفسهم من الغفلة، ويبنون منظورًا يُغذي التوازن والامتثال والسلام الدائم، وذلك من خلال بلوغ حالة ذهنية وجسدية سليمة، ووضع كل شيء وكل شخص في حياتهم وفقًا للهداية الإلهية

في الختام، يجب على الإنسان أن يتقبل تعاليم الإسلام ويعمل بها لمصلحته، حتى لو تعارضت مع رغباته الشخصية .عليه أن يقتدي بسلوك المريض الحكيم الذي يقبل ويتبع نصيحة الطبيب الماهر، عالمًا أنها في مصلحته، حتى لو وُصفت له أدوية مُرة أو نظام غذائي صارم .وكما ينال هذا المريض في النهاية صحة جيدة، كذلك ينال من يتقبل التعاليم الإسلامية ويعمل بها التوازن والعافية في عقله وجسده .ذلك لأن الله تعالى هو الوحيد الذي يملك المعرفة الكاملة اللازمة لضمان صحة الإنسان النفسية والجسدية، ووضع كل شيء وكل شخص في حياته على الوجه الصحيح .تبقى المعرفة البشرية بهذه الأمور، على الرغم من البحث المكثف، محدودة .فهي لا تستطيع حل جميع التحديات التي قد يواجهها الإنسان، ولا تحميه من جميع أشكال التوتر، ولا تمنحه البصيرة اللازمة لترتيب أولوياته في الحياة على النحو الصحيح .فالنصيحة البشرية مقيدة، لا محالة بمعرفة وخبرة محدودة وتحيز .على النقيض من ذلك، فإن الله تعالى وحده هو صاحب العلم التام وقد أنزله على البشرية من خلال القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم .تتجلى هذه الحقيقة عندما يلاحظ المرء الفرق بين من يستعملون نعمهم وفقًا للتعاليم الإسلامية ومن لا يفعلون .فرغم أن المرضى غالبًا ما يجهلون علم الأدوية الموصوفة لهم، إلا أنهم مع ذلك يثقون بأطبائهم .ومع ذلك، فإن الله تعالى لا يدعو الناس إلى الثقة العمياء، بل يدعوهم إلى التأمل في تعاليم الإسلام، ليدركوا صدقها من خلال الأدلة الواضحة، ويقدرُوا آثارها الإيجابية في حياتهم .ومع ذلك، فإن هذا الإدراك يتطلب عقلًا مفتوحًا وغير متحيز .بعيدًا عن التعصب والانشغالات الدنيوية، عند اتباع هداية الإسلام .سورة يوسف، الآية 108

"...قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني"

بالإضافة إلى ذلك، ولأن الله تعالى هو المتحكم الوحيد في قلوب العباد - دار الطمأنينة - فهو وحده الذي يُحدد من ينال هذه السكينة ومن يُحرم منها .ولا يمكن لأي جهد أو مال أو متاع دنيوي أن يضمن هذه السكينة :سورة النجم، الآية 43 .بمفرده، فهي هبة إلهية مُنحت بمشيئته وحده

"وأنه هو الذي أضحك وأبكى"

ومن الجلي أن الله تعالى لا يمنح راحة البال الحقيقية إلا لمن يستغلّ نعمه على الوجه الصحيح، كما هو مبين في تعاليم الإسلام. فهؤلاء يُدركون أن كل نعمة أمانة، يجب استخدامها وفقاً للهداية الإلهية، ومن خلال هذا التناغم الواعي مع مشيئته، ينعمون بالسكينة الداخلية من خلال تحقيق حالة ذهنية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في حياتهم على الوجه الصحيح. سورة النحل، الآية 97

"من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون"

.الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

طه ١

مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ٢

إِلَّا نَذْكِرَ لِمَن يَخْشَىٰ ٣

تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَىٰ ٤

الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ٥

لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ ٦

وَإِنْ يُجْهَرُ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَىٰ ٧

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ٱلْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ٨

وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ٩

إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا
بِقَبْسٍ أَوْ أُجِدُّ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾

فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَمْوَسَىٰ ﴿١١﴾

إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾

وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴿١٣﴾

إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾

إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾

فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾

وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَمْوَسَىٰ ﴿١٧﴾

قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا
مَنَازِبٌ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾

قَالَ أَلْقِهَا يَمْوَسَىٰ ﴿١٩﴾

فَالْقَهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴿٢٠﴾

قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴿٢١﴾

وَأَضْمَمْنَا يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ۗ آيَةً أُخْرَى ﴿٢٢﴾

لِنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ﴿٢٣﴾

أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٢٤﴾

قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾

وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾

وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ﴿٢٧﴾

يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾

وَجْعَلْ لِي زَئِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾

هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾

أَشَدُّ دَبِهُ ۖ أَزْرَى ﴿٣١﴾

وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾

كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾

وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾

إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾

قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾

وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ ﴿٣٧﴾

إِذَا وَحِينَا إِلَىٰ أَمِّكَ مَا يُوْحَىٰ ﴿٣٨﴾

أَنْ أَقْدِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَأَقْدِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ
لِّي وَعَدُوٌّ لَهُ، وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٣٩﴾

إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ، فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ
أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَّكَ
فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾

وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾

أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِأَيَّتِي وَلَا نُنْيَا فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾

أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾

فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾

قَالَ رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾

قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾

فَأَنبَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَا تَعْذِّبُهُمْ

قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيْنَا وَمِن آتَبَعِ الْهُدَىٰ ﴿٤٧﴾

إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾

قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يُمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾

قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾

قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى ﴿٥١﴾

قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴿٥٢﴾

الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَاسْلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ
السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى ﴿٥٣﴾

كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَمَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى ﴿٥٤﴾

﴿٥٥﴾ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴿٥٥﴾

وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى ﴿٥٦﴾

قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَمُوسَى ﴿٥٧﴾

فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ ۖ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلَفُهُ ۖ وَنَحْنُ
وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾

قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾

فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى ﴿٦٠﴾

قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيَلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ
بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ ﴿٦١﴾

فَنَنْزِعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾

قَالُوا إِن هَٰذَا لَسِحْرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا
وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾

فَاجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ أَتَتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾

قَالُوا يَمُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنِ الْقَىٰ ﴿٦٥﴾

قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا
تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾

فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾

قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾

وَأَلْقَىٰ مَا فِي يَمِينِكَ تَلَقَّفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سِحْرٍ وَلَا يُفْلِحُ
السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾

فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾

قَالَ ءَامَنْتُمْ لَهُ، قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ، لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ
فَلَا قِطْعَتَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خَلْفٍ وَلَا صَلْبَتَكُمْ فِي جُذُوعِ
النَّخْلِ وَلَنَعْلَمَنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ﴿٧١﴾

قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا
أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٢﴾

إِنَّا ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِئَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ
وَأَبْقَى ﴿٧٣﴾

إِنَّهُ، مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ، جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴿٧٤﴾

وَمَن يَأْتِهِ، مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ
الْعُلَى ﴿٧٥﴾

جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَن
تَزَكَّى ﴿٧٦﴾

وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمُ طَرِيقًا فِي
الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى ﴿٧٧﴾

فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ، فَغَشَّيَهُم مِّنَ الَّيْمِ مَا غَشَّيَهُمْ ﴿٧٨﴾

وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ، وَمَا هَدَى ﴿٧٩﴾

يَبْنِي إِسْرَءِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ
وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلَوى ﴿٨٠﴾

كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي
وَمَنْ يَحِلَّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى ﴿٨١﴾

وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴿٨٢﴾

❖ وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَمُوسَى ﴿٨٣﴾

قَالَ هُمْ أَوْلَاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴿٨٤﴾

قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾

فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَنَ أَسْفًا قَالَ يَقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ
رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ
عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي ﴿٨٦﴾

قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حُمِلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ
الْقَوْمِ فَقَدْ فَتَنَهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾

فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ
مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾

أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾

وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَقَوْمُ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ
الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿٩٠﴾

قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾

قَالَ يَهْرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٢﴾

أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾

قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ
بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾

قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يُسْمِرُ ﴿٩٥﴾

قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ
الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾

قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسٌ وَإِنَّ لَكَ
مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ، وَانْظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا
لَنُحَرِّقَنَّهُ، ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾

إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾

كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا
ذِكْرًا ﴿٩٩﴾

مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾

خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾

يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾

يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَيْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾

نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَيْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾

فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾

لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١٠٧﴾

يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ، وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ
فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾

يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾

يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ، عِلْمًا ﴿١١٠﴾

﴿١١١﴾ وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾

وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا
هَضْمًا ﴿١١٢﴾

وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ
أَوْ يُحَدِّثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾

فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْءَانِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى
إِلَيْكَ وَحْيُهُ، وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾

وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسَى وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴿١١٥﴾

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ
أَبَى ﴿١١٦﴾

فَقُلْنَا يٰٓأَدَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ
فَتَشْقَى ۝١١٧

إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ۝١١٨

وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى ۝١١٩

فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يٰٓأَدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةٍ
الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى ۝١٢٠

فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءُ تُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا
مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ۝١٢١

ثُمَّ أَجْنَبَهُ رَبَّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ۝١٢٢

قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا
يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا
يَشْقَى ۝١٢٣

وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ أَعْمَى ۝١٢٤

قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ۝١٢٥

قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَ ءَايَتُنَا فَنَسِينَهَا ۖ وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴿١٢٦﴾

وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ﴿١٢٧﴾

أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْكِنِهِمْ ۖ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِأُولِي النُّهَى ﴿١٢٨﴾

وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى ﴿١٢٩﴾

فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى ﴿١٣٠﴾

وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ ۖ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿١٣١﴾

وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا تَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ ۚ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴿١٣٢﴾

وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ ۖ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ ۚ الْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾

وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ
إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِّن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾

قُلْ كُلُّ مُتَرَبِّصٍ فَتَرَبَّصُوا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَن أَصْحَابُ الضَّرَاطِ
السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾

مناقشة الآيات من ١ إلى ١٣٥ من ١٣٥

:التفسير الدقيق للآية الأولى غير معروف .سورة طه، الآية ١

"تاها"

ومع ذلك، قد يشير هذا إلى أن القرآن الكريم مؤلف من حروف وكلمات عربية مألوفة لدى العرب، الذين كانوا جمهوره الأول. لذا، تشير هذه الآية إلى أنه لم يكن لديهم أي مبرر للطعن في صحته، إذ كانوا يدركون لغته تمامًا ويدركون إعجازه. ورغم إتقانهم للغة العربية وتصورهم أنهم أبلغ المتكلمين، لم يتمكنوا من الإتيان بأي شيء يضاهي القرآن الكريم في المعنى أو الأناقة أو التطبيق العملي. إن فشلهم في تقليده، رغم خبرتهم اللغوية، دليل قاطع على مصدره الإلهي. سورة البقرة، الآية 23

"وإن كنتم في شك مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا أنصاركم من دون الله إن كنتم صادقين"

،ولعل هذا يفسر ذكر القرآن الكريم مباشرةً بعده في الآية ٢. فموضعه يؤكد أن الكتاب الذي أنزل عليهم والمكون من نفس الحروف والكلمات المألوفة، هو أوضح دليل على مصدره الإلهي، وأقوى دليل على شكوكهم. سورة طه، الآية ٢

«ما أنزلنا عليك القرآن»

حتى لو صيغت جملةً رشيقةً وإيقاعيةً باللغة العربية، فإنها ستعجز حتمًا عن نقل البصائر العميقة في طبيعة الإنسان ونفسيته وفطرته التي يقدمها القرآن الكريم. ولن يبلغوا مستوى الوضوح الذي يُمكن حتى من لم يتلقوا تعليمًا رسميًا من فهم تعاليمه وتطبيقها في حياتهم اليومية. ولن ينجحوا في التعبير عن المفاهيم المجردة بأسلوب بسيطٍ وعمليٍّ وعالميٍّ كما أظهره القرآن الكريم. يتناول القرآن الكريم جوهر الطبيعة البشرية، مُقدمًا هدايةً خالدةً تخدم كل فردٍ ومجتمعٍ وعصرٍ. لا تُضاهي آيةً من القرآن الكريم في هذا الصدد، مما يؤكد على أصله الإلهي.

تعبير القرآن الكريم لا مثيل لها، ومعانيه مُعبرٌ عنها بدقةٍ متناهية. تُظهر آياته بلاغةً مُلفتةً تتفوق على جميع الأعمال الأدبية الأخرى. بخلاف الكتب والتعاليم الأخرى، التي غالبًا ما تحتوي على تناقضات، فإن القرآن الكريم خالٍ من التناقض. فهو يُقدِّم سرًّا شاملًا لتاريخ الأمم السابقة، على الرغم من أن النبي محمدًا صلى الله عليه وسلم لم يتلقَ تعليمًا تاريخيًا رسميًا. يأمر بكل ما هو نافع وينهي عن كل ما هو ضار، مُعالجًا الأبعاد الفردية والاجتماعية على حد سواء، مما يضمن العدل والأمن والسلام في الأسر والمجتمعات. يتجنب القرآن الكريم المبالغة والكذب والخداع، على عكس الشعر والأساطير والخرافات. كل آية فيه هادفة وقابلة للتطبيق العملي. حتى عند سرد القصة نفسها، يُسلِّط الضوء على دروس جديدة ذات دلالة، مما يضمن ألا تُصبح رسالته رتيبة عند تكرار تلاوتها. يُقدِّم وعودًا وتحذيرات، مدعومة بأدلة دامغة وواضحة. عند تناوله مفاهيم قد تبدو مجردة، كالصبر، فإنه يُقدِّم باستمرار أساليب مباشرة وعملية لتطبيقها في الحياة اليومية. يدعو القرآن الكريم الناس إلى إدراك غاية خلقهم الحقيقية: طاعة الله تعالى بإخلاص، وذلك بتوظيف النعم الممنوحة لهم، بما يرضيه. وبذلك، ينالون السلام والتوفيق في الدنيا والآخرة، مُحققين التوازن في أحوالهم العقلية والجسدية ومنظمين كل شيء وكل شخص في حياتهم على الوجه الصحيح. سورة طه، الأيتان 2-3

"ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكره لمن يخشى "

،إنه يوضح الصراط المستقيم ويجعله جذابًا لمن يسعون إلى السلام الحقيقي والنجاح في الدنيا والآخرة. هدايته المتجذرة في جوهر الطبيعة البشرية، تبقى خالدة ونافعة للجميع. عندما يُفهم القرآن الكريم ويُطبق على النحو

الصحيح، فإنه يقدم حلولاً لجميع الصعوبات العاطفية والمالية والجسدية، ويقدم إجابات لكل تحدٍ يواجهه الأفراد والمجتمعات على حد سواء. يشهد التاريخ نفسه أن المجتمعات التي التزمت بتعاليمه بإخلاص جنت ثمار حكمته الشاملة والخالدة. ومن اللافت للنظر أنه لم يُغير حرف واحد من القرآن الكريم على مر قرون لا تُحصى، لأن الله تعالى وعد بحفظه. لا يوجد نص آخر في تاريخ البشرية يتمتع بهذه الخاصية الاستثنائية والفريدة. سورة الحجر، الآية 9

"إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ"

لقد عالج الله تعالى التحديات الأساسية التي تواجه كل مجتمع، ووفر لها حلولاً فعّالة. وبحل هذه القضايا الجوهرية، مُنعت أو خُفّفت مشاكل ثانوية لا تُحصى. وهذا يُظهر كيف يُقدّم القرآن الكريم توجيهًا شاملاً في جميع الأمور الأساسية اللازمة لرخاء الأفراد والمجتمعات، بما يضمن لهم النجاح في الدنيا والنجاة في الآخرة. سورة النحل، الآية 89

"...ونزلنا إليك الكتاب تبياناً لكل شيء..."

والسورة 20 طه الآية 4

ممن خلق الأرض والسموات العلى تنزيل

هذا يدل على المعجزة الأعظم والأزلية التي أنعم بها الله تعالى على خاتم رسله، النبي محمد صلى الله عليه وسلم. إلا أن نفعها مقصور على من سعى بصدق وتمسك بالحق. أما من غلبت عليه أهواؤه، فقبل بعضه (سورة الإسراء، الآية 82). اختياريًا وتجاهل بعضه الآخر، فسيخسر الدنيا والآخرة

وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً

:سورة طه، الآية 1

"تاها"

تبدأ هذه السورة من القرآن الكريم، كغيرها من السور، بحروف متقطعة لا يدرك الناس معانيها فهمًا كاملاً ويُعد وجودها تذكيرًا عميقًا بوجوب تعامل الأفراد مع القرآن الكريم بتواضع، مُقرين بحدود فهمهم. ومن خلال هذا التواضع، يفتحون على استنباط رؤى أعمق من التوجيه الإلهي الذي يحتويه. في المقابل، قد يجد من يتعاملون مع القرآن الكريم بغطرسة، معتمدين فقط على معرفتهم الخاصة، أنفسهم مضطربين وعرضة للتساؤل عنه، لا سيما عندما يواجهون صعوبات في فهم الحكمة الكامنة في تعاليمه. وكما يستفيد الطالب المخلص من التواضع أمام معلمه، فإن من يُظهرون التواضع أمام القرآن الكريم هم وحدهم من يستفيدون حقًا من توجيهاته. يؤدي هذا الموقف إلى راحة البال في العالمين، مما يُمكن المرء من تحقيق الانسجام في حالته العقلية والجسدية، ووضع كل شيء وكل شخص في حياته وفقًا للحكمة الإلهية

:سورة طه، الآية 1

"تاها"

يتألف العنصر الأساسي للمعرفة من حروف. ولذلك، قد ترمز هذه الآية أيضًا إلى مركزية المعرفة نفسها فمن واجب كل فرد طلب وتطبيق المعرفة النافعة، دنيوية كانت أم دينية، كما أكدته الحديث الوارد في سنن ابن ماجه، رقم 224. فالجهل يؤدي حتمًا إلى الإثم والضلال، فلا سبيل إلى الصواب إلا بالعلم، ولا سبيل إلى الهداية إلا به. ولا يقل أهمية عن ذلك تطبيق العلم، إذ لا قيمة للمعرفة وحدها إلا بالعمل بها. فكما أن خريطة الطريق لا تنفع إلا باتباعها للوصول إلى الوجهة المقصودة، فكذلك المعرفة التي لا تُطبَّق عمليًا لا تُؤدِّي إلى النجاح. فالفائدة الحقيقية لا تكمن في اكتساب العلم فحسب، بل في تجسيده عمليًا، فيحوّل الفهم إلى هداية وممارسة. سورة الجمعة، الآية 5

"...ثم لم يأخذها على محمل الجد)" ولم يعمل بالعلم (كمثل الحمار يحمل الأسفار..."

تُشير الآية التالية إلى أهم المعارف التي أنعم بها على البشرية. يُبرز هذا الترتيب أن جميع أنواع المعرفة تُفضي في نهاية المطاف إلى المعرفة الإلهية الواردة في القرآن الكريم، وتُكمّلها. هذه المعرفة هي التي تُهدى حياة الإنسان إرشادًا شاملاً، تُلبّي الاحتياجات الدنيوية والروحية، وتضمن له التوفيق في الدنيا والآخرة من خلال تحقيق حالة ذهنية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في مكانه الصحيح. سورة طه، الآية 2

«ما أنزلنا عليك القرآن»

للاستفادة الحقيقية من القرآن الكريم، لا بد من التعمق في جوانبه المختلفة وفقاً لسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. ولا بد من تلاوة القرآن الكريم بدقة واتباع المنهج الصحيح، مع السعي لفهم معانيه وتطبيق تعاليمه، في الحياة اليومية. ولا يكفي مجرد التلاوة بلغة لا يفهمها الإنسان، فالقرآن الكريم ليس مجرد نص للتلاوة بل هو مصدر شامل للهداية. ولا تتحقق الفائدة الحقيقية إلا بتطبيق مبادئه تطبيقاً فعالاً، كما لا يمكن للخريطة أن تقود المسافر إلى وجهته إلا عند استخدامها فعلياً. علاوة على ذلك، لا ينبغي استغلال القرآن الكريم لأغراض مادية، كتكرار تلاوة آيات معينة لمجرد الحصول على ممتلكات دنيوية كالولد أو الزوج. لم يُنزل القرآن الكريم كوسيلة لتحقيق رغبات دنيوية، فهناك وسائل دنيوية ثابتة لتحقيقها، بل إن هدفه هو هداية البشرية إلى الاستخدام الصحيح للنعم التي وهبت لهم. من اتبع تعاليمه بإخلاص، سيحقق الانسجام النفسي والجسدي، ويدير جميع جوانب حياته بكفاءة استعداداً للحساب يوم القيامة. وهذا بدوره يؤدي إلى السلام والتوفيق في الدنيا والآخرة. سورة طه، الآية 2

أنزلنا عليك القرآن لتشقى ما

مهما بلغ تقدم أي مجتمع، ومهما اكتسب من معرفة في مختلف المجالات، بما في ذلك الجوانب العقلية والجسدية للبشر، يبقى من المستحيل على الإنسان صياغة قواعد سلوك تتوافق تماماً مع الطبيعة البشرية وتستوعب كل الظروف والأوضاع والسيناريوهات التي قد يواجهها الأفراد أو المجتمعات طوال وجودهم على الأرض. هذا المسعى بعيد المنال أساساً، لأن البشرية لا تزال في طور اكتشاف رؤى جديدة في أبعاد محددة للوجود، مثل وظائف مناطق مختلفة من الدماغ. لذا، فإن توقع أن يطور البشر نظاماً لا تشوبه شائبة قادراً على تعزيز السكينة والعدالة على المستويين الفردي والمجتمعي أمر مستحيل. الله تعالى وحده هو القادر على توفير مثل هذا النظام. بصفته خالق كل شيء، فإن علمه مطلق، يشمل الماضي والحاضر والمستقبل بأكمله. وهكذا، فهو وحده المستحق أن يمنح البشرية قانوناً إلهياً للسلوك - معياراً يُميّز بوضوح بين الخير والشر، والنافع والضار، ويهدي الناس إلى راحة البال بدلاً من حياةٍ مرهقة بالتوتر. سورة طه، الآية 4

ممن خلق الأرض والسموات العلى تنزيل

يشهد التاريخ أنه كلما طُبِّقَ هذا القانون الإلهي بصدق في حياة الأفراد، أشاع الطمأنينة والعدل والوئام في المجتمع. ولذلك، يجب على الأفراد اعتناق قانون السلوك الإلهي الذي أنزل إليهم، مُدركين أنه أنفعُ لهم، حتى وإن تعارضت بعض جوانبه مع رغباتهم الشخصية. وعليهم أن يتصرفوا كمريض عاقل يستجيب لنصيحة طبيب ماهر، عالمًا أنها في نهاية المطاف في مصلحته، على الرغم من صعوبة تحمل دواء غير سار أو الالتزام بنظام غذائي صارم. وكما يتصرف المريض العاقل بنصيحة طبيبه خوفًا من أن يؤدي تجاهلها إلى تدهور صحته الجسدية، فإن من يخشى العيش بلا راحة بال في الدنيا والآخرة، سيستجيب ويعمل بتعاليم الإسلام، عالمًا أنه لا يمكن الحصول عليها إلا بطاعة الله تعالى. سورة طه، الآيات 2-4

أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى تنزيلاً ممن خلق الأرض والسماوات العلى ما

يفهم الخوف من فقدان راحة البال في الدنيا والآخرة بسهولة عندما يُلاحظ المرء أن الأغنياء والمشاهير يُسيئون استخدام النعم التي مُنحت لهم، وكيف يُصابون نتيجةً لذلك بحالة نفسية وجسدية غير متوازنة، ويُسيئون توزيع كل شيء وكل شخص في حياتهم، مما يؤدي بدوره إلى مشاكل صحية نفسية مُختلفة. في حين يتضح أن من يُطيعون الله تعالى، بحسن استخدامهم للنعم التي أنعم بها عليهم كما هو مُبين في التعاليم الإسلامية، ينالون راحة البال من خلال توازن حالتهم النفسية والجسدية، ومن خلال توزيع كل شيء وكل شخص في حياتهم: توزيعاً صحيحاً. سورة طه، الآيتان 2-3

ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى

من يكفرون بالإسلام أو يتجاهلون العمل به غالبًا ما يفعلون ذلك تعلقًا بالدنيا وملذاتها الزائلة. يظنون أن الإيمان والعمل الصادقين سيحرمهم من ملذات الدنيا، معتبرين الإيمان مجموعة من القيود التي تحد من تحقيق رغباتهم. ونتيجةً لذلك، يبتعدون عنه - سواءً رفضًا قاطعًا أو إهمالًا عمليًا - وينغمسون في ملذات الدنيا دون قيود، مقتنعين بأن السلام الحقيقي يكمن في الحرية المطلقة

في هذا الضلال، يحتقرون من يؤمنون بإيمانهم ويعيشون به، ويضبطون تصرفاتهم، ولا يستغلون نعيم الدنيا إلا بما يرضي الله تعالى. ويعتبرون هؤلاء المسلمين الأتقياء دنيئين، محرومين من النعيم، بينما يعتبرون أنفسهم أحرارًا. لكن الحقيقة هي العكس: فالعبد الحق من خالف الله تعالى، والأحرار حقًا من استسلم له. فانعتق من عبودية الدنيا

يمكن فهم هذا المفهوم بشكل أفضل من خلال مثال يُقَيِّد الوالد الحكيم نظام طفله الغذائي، فيُقَيِّد استهلاكه المفرط للأطعمة غير الصحية، ويُصِرُّ بدلاً من ذلك على وجبات متوازنة ومغذية. يرى الطفل هذه القيود عبئًا عليه، ويعتقد أنه مُقَيِّد بقواعد والديه. في المقابل، يُمنح طفل آخر حرية كاملة في تناول ما يشاء، متى شاء، وبالكمية التي يشاء. ظاهريًا، يبدو هذا الطفل الثاني حرًا ومُحسَدًا عليه، بينما قد يشعر الطفل المُقَيِّد بالنقص مقارنةً به. ومع ذلك، مع مرور الوقت، تتضح الحقيقة. فالطفل الذي عاش بلا قيود يُعاني في النهاية من العواقب: السمنة، وداء السكري، وارتفاع ضغط الدم، وتدهور الصحة النفسية بسبب سوء الصحة وانعدام الثقة بالنفس. يصبح هذا الشخص مُستعبدًا للأدوية والأمراض والصراعات الاجتماعية أو النفسية. في هذه الأثناء، ينمو الطفل الذي تحمَّل القيود بصحة جيدة جسديًا وعقليًا، واثقًا بقدراته، ومتحررًا من الاعتماد على الرعاية الطبية المُستمرة أو انعدام الأمن الاجتماعي. ما كان يبدو في السابق تقييدًا، كان في الواقع طريقًا إلى الحرية الحقيقية.

وبالمثل، فإن من يهجرون الإيمان سعيًا وراء شهواتهم الجامحة، يصبحون في نهاية المطاف عبيدًا لقوى خارجية لا تُحصى، سواء أكانت مواقع التواصل الاجتماعي، أم التوجهات المجتمعية، أم الموضة، أم الضغوط الثقافية. وهذا يؤدي إلى آلام نفسية وجسدية واجتماعية. في المقابل، من يستسلم لله تعالى، يتحرر من هذه، من خلال تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، العبودية، وينعم براحة البال، وسلامة البدن، والحرية الحقيقية: ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في حياته على النحو الصحيح. سورة طه، الآيتان 2-3

ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى

لا ينبغي أن يندفع المرء بالاعتقاد الخاطئ بأن القرآن الكريم، بما أنه يُقدّم قواعد سلوكية شاملة للناس ليتبعوها، يعني، بطريقة ما، حرمانهم من السعادة. فبما أن الله تعالى هو الخالق الوحيد للكون وما فيه، فهو وحده من يملك العلم التام بما ينفع البشرية حقًا وما يضرها، حتى وإن لم يكن ذلك واضحًا للناس أنفسهم فعلى سبيل المثال، لم تُكتشف العديد من الآثار الضارة للكحول على جسم الإنسان وعقله إلا مؤخرًا من خلال الأبحاث العلمية، بينما حرم الله تعالى استهلاكه منذ أكثر من 1400 عام

عمومًا، فإنّ ما يُحرّم في الإسلام هو ما يفوق ضرره أي نفع مُتصوّر. قبل تحريم الخمر والمقامرة، لفت الله تعالى الانتباه صراحةً إلى هذا المبدأ، مُعلنًا أن ضررها يفوق أي نفع يُفترض. وهذه الحقيقة واضحة لمن سورة البقرة، الآية ٢١٩. تدبرها بعقلٍ سليم

«...يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس»

وُضعت مبادئ الإسلام لمصلحة البشرية جمعاء. والله تعالى مستقلٌّ تمامًا عن خلقه، فلا ينفعهم طاعته، ولا يضرهم معصيته. سورة الممتحنة، الآية 6)

"ومن تولى فإن الله هو الغني الحميد"

لذا، من الضروري أن يعتنق الأفراد تعاليم الإسلام ويطبقوها لما فيه خيرهم وصالحهم. وهذا يتطلب استغلال النعم التي أنعم الله بها عليهم بما يرضي الله تعالى، كما هو منصوص عليه في الهدى الإسلامي. فبهذا السلوك

،وحده ينال المرء راحة البال ويضمن النجاح في الدنيا والآخرة، من خلال تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة (النحل ، الآية 97 ومن خلال حسن توزيع كل شيء وكل شخص في حياته) .سورة

"من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون"

.إن لم يفعلوا، فإن شهواتهم الدنيوية ستصبح في نهاية المطاف مصدر معاناة وقلق وشقاء في الدنيا والآخرة وفي سعيهم وراء ما يضرهم فقط، يجلبون على أنفسهم اختلالاً جسدياً ونفسياً، ويضيعون كل شيء وكل :سورة طه، الآيات ١٢٤-١٢٦. شخص في حياتهم

ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد "كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى

من يخشى هذه النتيجة عليه أن يقتدي بالمريض الحكيم الذي يقبل ويتبع إرشادات الطبيب الماهر، مدركاً أن ذلك في النهاية يصب في مصلحته، حتى لو استلزم ذلك أدوية غير مريحة أو نظاماً غذائياً صارماً .وكما يتخلص المريض طوعاً من العوائق النفسية والجسدية لاستعادة صحته، كذلك يفعل من يتعلم التعاليم الإسلامية :ويعمل بها، ضامناً بذلك سلامته الروحية ونجاحه في نهاية المطاف .سورة طه، الآيات 2-4

.ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى، إلا تذكرة لمن يخشى، تنزيل ممن خلق الأرض والسموات العلى

عندما يتأمل المرء خلق السماوات والأرض والأنظمة التي لا تُحصى فيهما - كلُّ منها متوازنٌ تمامًا - يتبين له أن لا إله إلا هو الذي خلق الكون ويديمه .على سبيل المثال، بُعد الشمس الدقيق عن الأرض دليلٌ واضح؛ فلو كانت أقرب أو أبعد قليلاً، لكان الكوكب غير صالح للسكن .وبالمثل، خُلقت الأرض بغلاف جوي متوازن ونقي، مُهيأً بشكلٍ فريدٍ لاستمرار الحياة ورعايتها .سورة البقرة، الآية ١٦٤

"...واختلاف الليل والنهار ..."

إن التناوب الدقيق للنهار والليل، مع اختلاف أطولهما على مدار العام، يُمكن البشرية من الاستفادة القصوى منهما .فإذا طالت الأيام أكثر من اللازم، أنْهك الناس من العمل المطول؛ وإذا طالت الليالي أكثر من اللازم فلن يكون هناك وقت كافٍ لكسب الرزق أو السعي وراء مساعٍ نافعة كتحصيل المعرفة .وعلى العكس، إذا كانت الليالي قصيرة جداً، حُرِم الناس من الراحة الكافية اللازمة للحفاظ على صحة جيدة .علاوة على ذلك فإن أي خلل في توازن الليل والنهار سيؤثر سلباً على الزراعة، مما يهدد قوت كل من البشر والحيوانات .إن حقيقة أن النهار والليل وأنظمة الكون الأخرى تعمل في انسجام تام دليل واضح على وحدانية الله تعالى .لأنه لو كان هناك آلهة متعددة، كل منها يرغب في نتائج مختلفة، لساد الفوضى والاضطراب في الكون حتماً .سورة الأنبياء، الآية 22

"وَلَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا"

:سورة البقرة، الآية 164

"والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء "

دورة الماء المتوازنة تمامًا بحد ذاتها دليلٌ واضح على وجود خالق. يتبخر الماء من البحار، ثم يرتفع، ويتكثف مكونًا المطر الذي يتساقط على الجبال. تُعادل هذه الجبال حموضة المطر، مما يجعله صالحًا للاستخدام، البشري والحيواني. أي تغيير في هذا التوازن الدقيق سيؤدي إلى كارثة على الحياة على الأرض. وبالمثل يمنع ملح البحر الكائنات البحرية المتحللة من تلويث المياه. بدون هذه الحماية الطبيعية، لا يمكن للحياة البحرية أن توجد، وستغنى الشوائب الناتجة على الحياة على اليابسة أيضًا.

خُلقت مياه المحيطات والبحار بطريقة تسمح للحياة البحرية بالازدهار فيها، بينما تستطيع السفن الثقيلة الإبحار على سطحها في الوقت نفسه. ولو تغير تركيب الماء ولو قليلًا، لاختلّ هذا التوازن، مما يسمح إما للحياة البحرية بالعيش فيه أو للسفن بالطفو عليه، ولكن ليس كليهما في آنٍ واحد. ومن اللافت للنظر أن النقل البحري لا يزال حتى اليوم الوسيلة الأكثر استخدامًا لنقل البضائع حول العالم، مما يُبرز أهمية هذا التوازن للحضارة الإنسانية.

على النقيض من ذلك، فإن التطور عملية متجذرة في الطفرة، وهي بطبيعتها غير كاملة. ومع ذلك، عندما نلاحظ الأنواع العديدة المنتشرة في جميع أنحاء الأرض، يبدو كل منها متكيفًا تمامًا مع بيئته. على سبيل المثال، يتمتع الجمل بتجهيز فريد للحياة الصحراوية، إذ صُمم لتحمل الحرارة الشديدة وتحمل فترات طويلة بدون ماء. تُثبت هذه الأمثلة أن الخلق قد خُلِق في انسجام تام، مما يُمكن كل نوع من الأنواع من الازدهار: سورة الغاشية، الآية 17. في بيئته المُخصصة له

أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ؟

صُممت الماعز بدقة متناهية، بحيث تُفصل الشوائب الموجودة في جسمها تمامًا عن الحليب الذي تُنتجه. أي اختلاط لهذه الشوائب بالحليب سيجعلها غير صالحة للشرب. سورة النحل، الآية 66

وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها من بين فرث ودم لبنًا خالصًا سائغًا للشاربين

لكل نوع عمر محدد، مما يحافظ على التوازن ويمنع أي نوع من الأنواع من الهيمنة على الآخرين. على سبيل المثال، عمر الذباب قصير جدًا، يتراوح بين ثلاثة وأربعة أسابيع، ومع ذلك يمكنه وضع ما يصل إلى بيضة. إذا طالت مدة حياته، فقد يصبح تعداده غير متناسب، مما قد يُخل بتوازن الأنواع الأخرى. على 500. العكس من ذلك، عادةً ما تُنتج الكائنات ذات الأعمار الطويلة ذرية قليلة فقط، مما يضمن بقاء تعدادها منظمًا، لا يمكن إرجاع هذا الاعتدال الدقيق إلى الصدفة، ولا يمكن تفسيره بشكل كافٍ بعملية التطور. سورة البقرة، الآية 164:

"...وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض..."

تلعب الرياح دورًا حيويًا في النظام الطبيعي. فهي تُسهّل تلقيح الرياح، مما يُمكن المحاصيل والنباتات والأشجار من التكاثر. في العصور السابقة، كانت الرياح ضرورية للسفر البحري، الذي لا يزال الوسيلة الأساسية لنقل البضائع عبر العالم حتى يومنا هذا. كما تحمل الرياح السحب الممطرة إلى مواقع محددة، موفرةً الماء الأساسي الذي تعتمد عليه جميع الكائنات الحية. يعمل نظام الرياح هذا بتوازن مثالي: فقلة الرياح تُسبب الفوضى، بينما تُعطل الرياح الشديدة الحياة على الأرض. وبالمثل، يُنظّم هطول الأمطار بدقة - فقلة الأمطار تُؤدي إلى الجفاف والمجاعة، بينما تُؤدي الأمطار الغزيرة إلى فيضانات مُدمرة. يُبرز هذا التوازن المثالي سورة المؤمنون، الآية 18. التصميم الدقيق المتأصل في العالم الطبيعي

"ولقد أنزلنا من السماء ماءً بقدرٍ فأسكنناه في الأرض وإنا على ذهابٍ به لقادرون"

من يتأمل هذه الأنظمة المتوازنة تمامًا لا يستطيع أن ينكر وجود خالق واحد ذي سلطان على كل شيء. سورة طه، الآيتان ٥-٦:

الرحمن على العرش استوى، له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى

في نهاية المطاف، بما أن كل شيء في الوجود ملكٌ لله تعالى وسلطانه، فإن من واجب الأفراد الالتزام بأوامره. وكما قد يواجه المرء عقوباتٍ لمخالفة قوانين بلدٍ ما، فإن إهمال الأنظمة الإلهية التي وضعها الخالق، يؤدي حتمًا إلى مشقةٍ في الدنيا وعقابٍ في الآخرة. فبينما قد يختار المرء مغادرة بلدٍ يجد قوانينه غير مقبولة لا يمكن لأحد الهروب من حكم الله تعالى. وبالمثل، على الرغم من أن الأفراد قد يحاولون تغيير المعايير المجتمعية، إلا أنهم لا يستطيعون تعديل القوانين الإلهية التي وضعها. وكما يُملّي صاحب المنزل القواعد، داخل ممتلكاته، فإن الكون يحكمه الله تعالى، الذي وحده يُحدد قوانينه دون الحاجة إلى موافقة بشرية. لذلك فإن طاعة هذه الأنظمة الإلهية ليست عبادةً فحسب، بل هي أيضًا ضرورةً لمصلحة المرء. من يدرك هذه الحقيقة يسعى جاهدًا لامتثال أوامر الله تعالى، وتوظيف النعم التي أنعم بها عليه بما يرضيه، كما ورد في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. قد يختار الأفراد التأمل في حكمة الأوامر والنواهي الإلهية، مدركين دورها في تعزيز الرفاه الشخصي والمجتمعي. أو قد يستسلمون لشهواتهم ويتجاهلون التعاليم الإسلامية. ومع ذلك، يجب على من يهملون هذه المبادئ أن يكونوا مستعدين لمواجهة عواقب أفعالهم في: سورة الكهف، الآية 29. الدنيا والآخرة، فلا اعتراض ولا شكوى ستحميهم من عاقبة ما قدره الله تعالى

وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر. إنا أعتدنا للظالمين نارًا أحاط بهم سرادقها. وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمسح يشوي الوجوه. بئس الشراب وساءت مرقدته

لا بدّ لمحاسبة الناس في الدنيا والآخرة من أمرين :الولاية على محاسبتهم، وقد سبق بيان ذلك، وعلم جميع نواياهم وأقوالهم وأفعالهم، وهو علّم لا يملكه إلا الله تعالى .سورة طه، الآية 7

وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى

بما أن الله تعالى هو وحده خالق الخلق ومدبّرهم ومحاسبهم في الدنيا والآخرة، فهو وحده المستحق للعبادة والطاعة في كل حال .سورة طه، الآية 8

"الله لا إله إلا هو "

في الواقع، كل من يطيعه الفرد ويقتدي به في حياته هو في جوهره ما يعبد، حتى لو ادعى ظاهريًا عدم إيمانه بأي إله .خُلِقَ البشر بحيث لا بد لهم من طاعة شيء ما .قد يكون هذا المعبود بالنسبة للبعض الآخرين أو وسائل التواصل الاجتماعي، أو الموضة، أو الثقافة، أو حتى رغباتهم الخاصة .أي شيء يحتل هذه المكانة .سورة الفرقان، الآية 43 .من الطاعة المطلقة يصبح عمليًا مقصد عبادتهم

"...أرأيت من اتخذ إلهه هواه"

وبناءً على ذلك، يُطلب من المسلمين تعزيز إيمانهم الشفهي بالعمل الدؤوب، بطاعة الله تعالى خالصةً له في جميع الأحوال وفوق كل اعتبار. وتقتضي هذه الطاعة توظيف النعم التي أنعم الله بها عليهم بما يرضي الله تعالى، كما ورد في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. ومن سلك هذه الطريق، ينال راحة البال والتوفيق الحقيقي. ويتحقق ذلك ببلوغ حالة نفسية وجسدية متوازنة، وبوضع كل شيء وكل شخص في حياته على الوجه الصحيح وفقاً للحكمة الإلهية. وبهذه الطريقة، لا يُعلن إيمانهم باللسان فحسب، بل يتجسد (الآية 97 ، النحل بالأعمال، مما يضمن لهم الانسجام في الدنيا والنجاة في الآخرة) .سورة

"من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون"

أما من ينكر وحدانية الله تعالى، ويوجه طاعته وإخلاصه لغيره، فيحرم من الرحمة الإلهية الضرورية لنيل راحة البال والنجاح في الدارين. هؤلاء الأفراد سيستمرون في معصيتهم بإساءة استخدام النعم التي أنعم الله تعالى بها عليهم. ونتيجة لذلك، يقعون في حالة نفسية وجسدية غير متوازنة، ويضيعون كل شيء وكل شخص في حياتهم. إن عدم انسجامهم مع الهداية الإلهية يمنعهم من الاستعداد الكافي للحساب يوم القيامة. وبالتالي فهم مثقلون بالتوتر والمشقة والصعوبات في الدارين - حتى لو كانوا في الظاهر يتمتعون ببعض الكماليات الدنيوية. فبدون طاعة الله تعالى، والاستخدام الصحيح لنعمه، لا يمكن لأي امتلاك مادي أو متعة زائلة أن توفر سلاماً حقيقياً أو رضا دائماً. سورة طه، الآيات ١٢٤-١٢٦

ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد
"كنت بصيراً قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى

:سورة طه، الآية 8

"الله لا إله إلا هو"

بالإضافة إلى ذلك، فإن الشخص الذي يوفر جوانب معينة من احتياجات الآخرين، مثل السكن، يُعتبر بحق مستحقاً للشكر. لذلك، بما أن الله تعالى قد منح كل نعمة في الكون للبشرية، فمن العدل والإنصاف أن يُظهر الناس له الشكر. يتضمن الشكر بالنية العمل من أجل إرضاء الله تعالى فقط، لأن الشخص الذي يعمل لأي دافع آخر لن ينال مكافأة منه. وقد تم التحذير من ذلك صراحةً في حديث موجود في جامع الترمذي، رقم 3154 ومن العلامات الإيجابية لصدق النية أن الشخص لا يتوقع ولا يرغب في التقدير أو المكافأة من الآخرين. يتضمن الشكر باللسان التحدث فقط بما هو جيد أو التزام الصمت، بينما يتطلب الشكر من خلال العمل استخدام النعم التي مُنحت بطرق ترضي الله تعالى، كما هو موضح في القرآن الكريم وأحاديث النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم. هذا الشكر الشامل يؤدي إلى زيادة النعم، ويؤدي في النهاية إلى راحة البال من خلال تحقيق حالة ذهنية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء وكل، والنجاح في الدنيا والآخرة: سورة إبراهيم، الآية 7. شخص في مكانه الصحيح في حياتهم

لئن شكرتم لأزيدنكم

، علاوة على ذلك، عندما يمتلك الإنسان شيئاً، يُعتبر من الصواب والطبيعي أن يستخدمه كما يشاء. وكذلك، بما أن الله تعالى هو الخالق والمالك والحافظ لكل شيء في الكون - بما في ذلك البشر - فهو وحده الذي يُحدد ما ينبغي أن يحدث فيه وما لا ينبغي. لذا، فمن العدل والمنطق أن يُطيع الناس الله تعالى، فهو وحده المالك المطلق للكون كله وما فيه.

وبالمثل، عندما يُقرض شخص ما يملكه لشخص آخر، فمن الإنصاف أن يستخدم المُقرض الشيء بما يُرضي صاحبه. وفي هذا الصدد، فإن كل نعمة أنعمها الله تعالى على البشر ليست هبةً دائمةً، بل هي قرضٌ مُؤتمنٌ عليه. وكما هو الحال في القروض الدنيوية، يجب سداد هذه الأمانة، والسبيل الوحيد لذلك هو

استخدام هذه النعم فيما يُرضي الله تعالى. أما بركات الجنة فهي عطايا، ولذلك فإن من يدخلها يكون حرًا في: سورة الأعراف، الآية 43. التمتع بها كما يشاء دون قيد أو شرط

"وقيل لهم: تلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون..."

لذا، لا ينبغي للإنسان أن يخلط بين نعيم الدنيا الزائل، الذي هو مجرد قرض مُنح له، وعطايا الجنة الباقية فالنعم الدنيوية أمانةٌ يجب استخدامها وفقًا لأوامر الله تعالى، ويُحاسب عليها العبد. أما نعيم الجنة، فهو عطايا حقيقية، مطلقة وأبدية، تُمنح جزاءً للإيمان والعمل الصالح.

:سورة طه، الآية 8

"الله لا إله إلا هو"

لطاعة الله تعالى وعبادته على الوجه الصحيح، لا بدّ من تعلّم أسمائه وصفاته الإلهية الواردة في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم والعمل بها. سورة طه، الآية 8

"وله الأسماء الحسنى..."

هذا الفهم يُنمّي الإيمان بالله تعالى، ويُلهم الطاعة الصادقة بتشجيع الأفراد على استخدام نعمه التي أنعم بها عليهم وفقاً للمبادئ الإسلامية. في المقابل، غالباً ما يؤدي الجهل بأسماء الله وصفاته الإلهية إلى اعتقادات خاطئة تتجلى في المعصية، مثل الانغماس في التمني. على سبيل المثال، من يدرك حقاً أن الله تعالى غفور رحيم، سيسعى جاهداً لطاعته، وفي الوقت نفسه يأمل في مغفرته عن عيوبه. على النقيض من ذلك، من يفشل في فهم طبيعة مغفرة الله تعالى بشكل صحيح، قد يُصر على المعصية، ظاناً خطأ أنه سيُغفر له مهما كانت أعماله.

:سورة طه، الآية 8

"وله الأسماء الحسنى..."

وفي حديث رواه البخاري برقم 2736 أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أن من حفظ أسماء الله الحسنى التسعة والتسعين دخل الجنة.

المعرفة في هذا السياق لا تعني مجرد حفظ هذه الأسماء، بل تشمل دراستها والتأمل في معانيها وتجسيدها قدر الإمكان. فالله تعالى، على سبيل المثال، هو الرحمن الرحيم الذي لا حدود لرحمته، ولطفه حاضر في نعمه التي لا تُحصى على خلقه. ومع أن هذه الصفة لله تعالى، في صورتها الكاملة غير المحدودة، إلا أن درجة من الرحمة قد انعكست أيضاً في صفاتٍ أخرى، كما في شخصية النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم.

لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما أصابكم حريص عليكم وبالمؤمنين رؤوف رحيم

عندما تُطبّق صفة من صفات الله تعالى على خلقه، تُفهم وفقًا لقدرة الإنسان .على سبيل المثال، فإن الرحمة بالناس تعني إظهار رقة القلب والتعاطف مع الآخرين .في المقابل، فإن الله تعالى هو الرحيم بمعنى مطلق وغير محدود، رحمة تفوق الإدراك .وبالمثل، فإن الله تعالى هو الغفور، الذي يشمل غفرانه جميع الذنوب لمن تاب .وبينما لا يمكن لأي إنسان أن يجسد المغفرة في شكلها غير المحدود، فإن الإسلام يشجع الأفراد على تبني هذه الصفة في حياتهم الخاصة من خلال مسامحة الآخرين من أجل الله تعالى .إن القيام بذلك يعكس الإخلاص، ويلين القلب، ويقرب الشخص من رحمة الله تعالى .سورة النور، الآية 22

"...وليعفوا وليصفحوا، ألا تحبون أن يغفر الله لكم..."

وهكذا، فإن صفات الله تعالى الإلهية يجب أن تتجلى للناس وفقًا لقدراتهم وإمكاناتهم .ولتحقيق ذلك، يجب على المرء أن يسعى أولاً لفهم معنى هذه الأسماء المقدسة ثم تجسيد أهميتها من خلال العمل الدؤوب، حتى تترسخ هذه الصفات في القلب الروحي .وبهذه الطريقة، تُزرع الأخلاق النبيلة .وهذا التهذيب في الشخصية يُمكن المؤمن من استخدام نعم الله تعالى بما يرضيه، كما هو موضح في القرآن الكريم وأحاديث النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم .ويصبح هذا التوافق الواعي مع الهداية الإلهية مصدرًا للسلام الدائم والنجاح الحقيقي والوفاء في الدنيا والآخرة من خلال تحقيق حالة ذهنية وجسدية متوازنة ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في حياته بشكل صحيح .سورة النحل، الآية 97

"من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون"

بعد أن ذكر الله تعالى ما يدل على استحقاقه وحده للطاعة في كل حال، ذكر حادثة سابقة تُبين عواقب طاعته ومعصيته، ليقوي عزم العبد على طاعته .سورة طه، الآية 9

وهل أذاك حديث موسى؟

من الضروري إدراك أنه، خلافاً لغيره من الكتب المقدسة، دينية كانت أم دنيوية، فإن الله تعالى، عندما يروي أحداث الماضي، لا يُدرج إلا التفاصيل الضرورية لبلوغ الهداية التي تُفضي إلى راحة البال في الدنيا والآخرة ويُحذف عمداً أي معلومة لا علاقة لها بهذا الغرض .على سبيل المثال، غالباً ما تُترك تواريخ أو أماكن أو أسماء محددة دون ذكرها إذا لم تُسهم في تحقيق الدروس المرجوة .هذه الخاصية موجودة باستمرار في جميع أنحاء القرآن الكريم، وتُعدّ من صفاته الإعجازية، فكل كلمة هادفة ومُوجّهة نحو الهداية، دون أي معلومات إضافية .تضمن هذه الخاصية الفريدة تركيز القارئ على الدروس الأهم، مما يُسهّل تطبيق المعرفة التي تُعزز طاعة الله تعالى .وهذا بدوره يُفضي إلى راحة البال في الدنيا والآخرة، من خلال حالة ذهنية وجسدية متوازنة، ووضع كل شيء وكل شخص في مكانه الصحيح في حياة المرء .وعليه، وفيما يتعلق بالتعاليم الإسلامية ينبغي التركيز على البحث والتدقيق في المسائل المذكورة صراحةً في القرآن الكريم وأحاديث النبي محمد صلى الله عليه وسلم، لأنها هي ذاتها المسائل التي ستُناقش يوم القيامة .وينبغي تنحية فروع البحث الأخرى جانباً، لأنها قد تُصرف انتباه المرء عن المعرفة والعمل الضروري المطلوب .ويدعم هذا المبدأ حديث موجود في صحيح مسلم، رقم 3257، يحث فيه الناس على الامتناع عن طرح الأسئلة التافهة والتركيز بدلاً من ذلك على اجتناب المحرمات وأداء الواجبات .وللأسف، انشغل كثير من الناس، بمن فيهم العلماء، بنقاشات حول مسائل تافهة لن تُسأل عنها يوم القيامة .وقد ساهم هذا النهج في انقسامات لا داعي لها داخل المجتمع الإسلامي، على الرغم من التوجيه الواضح للحفاظ على الوحدة .في هذا السياق، يروي الله تعالى جوانب من قصة النبي موسى عليه السلام، مُركزاً فقط على ما هو ضروري للهداية، ومُغفلاً تفاصيل لا صلة لها بالموضوع، كالتوقيّات والأماكن الدقيقة .لذا، لا يُقصد متابعة الأمور المُستثناة من الرواية القرآنية، لأنها لا تُسهم في زيادة الهداية .سورة طه، الآية ١٠

"إذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا إني أحسست نارا لعلني آتيكم بمصباح أو أجد على النار من هدى "

خلال هجرته مع عائلته من مدين، تاه النبي موسى عليه السلام واتجه نحو النار طلباً للعون والهداية. وتشير هذه الآية، عمومًا، إلى أن الهداية تتطلب جهدًا وتضحية، كالشعور بالوحدة، إذ غالبًا ما يؤدي اتباع طريق فعندما يختار المرء طريقًا يخالف ما اعتاده أقرانه، وخاصةً الطريق. الهداية الإسلامية إلى الانتقاد والعزلة المبني على الالتزام بأوامر الله تعالى، فقد يثير ذلك، دون قصد، انزعاجًا أو شعورًا بالنقص لدى الآخرين، لا سيما إذا كانت خياراته مدفوعةً بأهوائه الشخصية. وقد يتجلى هذا التنافر الداخلي في صورة انتقادات أو معارضات، غالبًا ما تكون صادرة عن أوساط قريبة، كأفراد الأسرة. ولا تعكس هذه الانفعالات بالضرورة صحة إيمان الفرد، بل التحدي الذي يمثله لأسلوب حياة وقيم من حوله. ونتيجةً لذلك، قد يواجه الالتزام الراسخ بالمبادئ الدينية مقاومة، حتى وإن كان سليمًا أخلاقيًا وروحيًا.

تُمارس المؤثرات المجتمعية المعاصرة - مثل وسائل التواصل الاجتماعي، واتجاهات، علاوة على ذلك. الموضة السائدة، والأعراف الثقافية السائدة - ضغطًا كبيرًا على الأفراد الساعين إلى التمسك بالقيم الإسلامية، وغالبًا ما يُنظر إلى ممارسة الإسلام والترويج له على أنها عقبتان أمام النجاح المادي، والمكانة الاجتماعية والاعتراف العام. وقد تُقاوم المؤسسات والقطاعات التي تُنتقد الإسلام دمج المبادئ الإسلامية، وتُثني بنشاط عن الالتزام بها. وتُسهم هذه المقاومة بشكل كبير في انتشار المشاعر المعادية للإسلام، لا سيما عبر المنصات الرقمية ووسائل التواصل الاجتماعي.

كثيرًا ما يواجه الملتزمون بالتعاليم الإسلامية - التي تدعو إلى الاعتدال في الرغبات الشخصية والاستخدام المسؤول لنعم الله تعالى - معارضة من أفراد يتصرفون دون قيود، وينغمسون في دوافع يصفها الإسلام بالحيوانية. وكثيرًا ما يحاول هؤلاء الأفراد ثني الآخرين عن اعتناق الإسلام، مشجعين على نمط حياة تحكمه الشهوات الجامحة. وكثيرًا ما يستهدف النقاد جوانب محددة من الممارسات الإسلامية، مثل قواعد اللباس المفروضة على النساء، في محاولة للتقليل من جاذبيتها. ومع ذلك، يمكن للمراقبين الفطنين بسهولة إدراك سطحية هذه الاعتراضات، التي تنبع من انزعاج أوسع نطاقًا من تركيز الإسلام على ضبط النفس. على سبيل المثال، بينما يدقق النقاد في الملابس الإسلامية، نادرًا ما يشككون في الزي الرسمي الذي يرتديه العاملون في مهن مثل إنفاذ القانون، والجيش، والرعاية الصحية، والتعليم، أو قطاعات الشركات. يُبرز هذا النقد الانتقائي التناقض وغياب المنطق الموضوعي وراء هذه الاعتراضات. وفي نهاية المطاف، فإن المبادئ الأساسية للإسلام والسلوك المنضبط لأتباعه هي التي تثير المعارضة، مما يدفع المنتقدين إلى التشهير بالإيمان من خلال قنوات مختلفة.

ولكن كما أن التضحيات مطلوبة لتحقيق النجاح الدنيوي، كأن يصبح المرء طبيباً، يجب عليه أن يُقرّ بأن الحصول على الهداية الصحيحة التي تُؤهله لراحة البال في الدنيا والآخرة، من خلال تحقيق حالة ذهنية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في حياته على الوجه الصحيح، يتطلب أيضاً تضحيات وجهداً حقيقياً. بهذا فقط ينال المرء قرب الله تعالى، الذي يؤدي إلى راحة البال في الدنيا والآخرة. سورة طه، الآيات ١١-١٣:

"...ولما جاءها نُودي يا موسى إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى وإني اخترتك"

كان أمر خلع النعل دليلاً على التواضع في طاعة الله تعالى. ومن لم يتحلّ بالتواضع في طاعة الله تعالى، فقد يعترض الكبر طاعة الله تعالى الحقيقية، لا سيما تكبر، إذ يعتقد زوراً أنه يُقدّم لله تعالى معروفاً بطاعته عندما تتعارض الأهواء الشخصية مع أوامره، فنُضِلُّ الناس عن الصراط المستقيم. أما من يُدرك أن الإيمان والطاعة في النهاية يخدمان مصالحه، فيُتَمَيَّن التواضع أمام الله تعالى، ويثبتان على دينهما في السراء والضراء. فيُظهَران الصبر في البلاء، وفي الرخاء فيشكران. والشكر بالنية هو العمل بقصد إرضاء الله تعالى فقط. أما الشكر بالقول فيُعَبَّر عنه بقول الخير، أو بالصمت عند الاقتضاء. الشكر العملي يقتضي توظيف النعم بما أنعم الله به على الإنسان، وفقاً للقرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. أما الصبر، فيقتضي الامتناع عن الشكوى قولاً وفعلاً، مع المواظبة على طاعة الله تعالى، مع الثقة التامة بأنه يقضي دائماً بالخير. (سورة البقرة، الآية ٢١٦). وإن لم تظهر حكمته فوراً

"وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ..."

وبالتالي، فإن من يلتزم بهذا المعيار القويم في جميع الأحوال، ينال عونًا ورحمةً من الله تعالى. ويؤدي هذا الفضل الإلهي إلى السلام والتوفيق في الدنيا والآخرة، إذ يحقق التوازن النفسي والجسدي، ويضبط كل شيء وكل شخص في حياته. ويتجلى هذا الواقع في حديث صحيح مسلم، رقم 7500، الذي يؤكد أن من استقام على طاعة الله تعالى، أحاط به رحمته وهده.

:سورة طه، الآية 12

أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالوادي المقدس طوى

علاوة على ذلك، من المهم ملاحظة أن احترام الله تعالى، وسائر جوانب الإسلام، كالقرآن الكريم والنبي محمد صلى الله عليه وسلم، يجب أن يكون وفقًا لمصدري الهداية: القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، لا بناءً على أمور أخرى كالثقافة والموضة وآراء الناس. ومشكلة احترام الآخرين وفقًا لمعايير أخرى هي أنه في نهاية المطاف سيتجاهل المرء معايير الاحترام الممنوحة للناس في مصدرى الهداية ونتيجة لذلك، سيُظهر الناس عدم احترام لله تعالى، ظانين أنهم يُظهرون احترامهم له. وكثيرًا ما يحدث هذا في حق النبي محمد صلى الله عليه وسلم، حيث يتبع الناس ممارسات غريبة، مدعين أنهم يُظهرون له محبة واحترامًا، مع أن هذه الممارسات تتعارض مع مصدرى الهداية، مما يؤدي إلى عدم احترامه معتقدين أنها تُكرمه. ولتجنب ذلك، يجب الالتزام الصارم بمصدرى الهداية دائمًا

:سورة طه، الآية 12

أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالوادي المقدس طوى

مع أن بعض الأماكن والأشياء تُعتبر مقدسة في الإسلام، إلا أنه من المؤسف أن يُظهر كثير من المسلمين احترامهم وتقديرهم لبعض ما حرّمه الله تعالى، كالأماكن، لكنهم يُغفلون ما هو أهم، كحقوق الآخرين. فعلى سبيل المثال، في حديث ورد في سنن ابن ماجه رقم 3932، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "حرمة المسلم". "ودمه وماله أحرم عند الله تعالى من حرمة بيته الحرام، الكعبة

هذا الحديث، كغيره من الأحاديث، يُعلّمنا أن النجاح الحقيقي لا يتحقق إلا بأداء حقوق الله تعالى - كأداء الصلوات المفروضة - وحقوق إخواننا في الله. فلا يكفي أحدهما دون الآخر. يوم القيامة، يقوم العدل: قد يُجبر الظالم على نقل حسناته إلى المظلوم، وقد يتحمل ذنوب من ظلمهم إن لزم الأمر، مما قد يؤدي إلى دخوله النار. وقد حدّر من ذلك حديث في صحيح مسلم، رقم 6579

المؤمن الحقيقي هو من يمتنع عن إيذاء الآخرين أو ممتلكاتهم بالقول أو الفعل. وقد أكد هذا المبدأ حديث من سنن النسائي، رقم 4998. لذا، يجب على المسلمين أن يحرصوا على ألا تُؤذي أفعالهم وأقوالهم الآخرين

احترام ممتلكات الآخرين أمرٌ بالغ الأهمية. فلا يجوز للمسلم أن يأخذ ما يملكه غيره ظلماً، حتى في الأمور البسيطة، كالمنازعات القضائية. يُحذر صحيح مسلم، في الحديث رقم 353، من أن من يفعل ذلك قد يُعذب في النار، حتى لو أخذ شيئاً تافهًا كغصن شجرة. يُؤمر المسلمون بعدم استخدام ممتلكات الآخرين إلا بما يرضيهم، وردّها بما يرضي صاحبها. ينبغي على المرء أن يُعامل ممتلكات الآخرين كما يُحب أن يُعامل ممتلكاته.

كذلك، يجب صون شرف المسلم. فالأفعال أو الأقوال التي تنتهك كرامة الآخرين، كالغيبة والقذف، محرمة. بل يجب الدفاع عن شرف الآخرين، حاضرين كانوا أو غائبين، فإن ذلك يقيهم من النار. وقد ورد هذا التوجيه

في حديث رواه الترمذي برقم ١٩٣١. ولا يُخاطب المرء الناس إلا بما يُحب أن يُخاطب به نفسه، إما خيرًا وإما صمتًا.

وختامًا، ينبغي للإنسان أن يتجنب ظلم الآخرين - سواءً في أنفسهم أو أموالهم أو شرفهم - بمعاملتهم كما يحب أن يُعاملوا. وكما يحب الإنسان حماية نفسه واحترامها، فعليه أن يُظهر ذلك للآخرين بالقول والفعل. وهذا السلوك من سمات المؤمن الحق، كما ورد في حديث في جامع الترمذي، رقم 2515

:سورة طه، الآية 13

"...ولقد اخترتك "

عند دراسة حياة النبي موسى عليه السلام قبل نبوته، يتبين جليًا أنه قد اختاره الله تعالى لما اتسم به من صفات حميدة. سورة القصص، الآية ١٤

"ولما بلغ أشده واشتد آتيناه حكمًا وعلماً وكذلك نجزي المحسنين "

فمن أراد أن يصطفيه الله تعالى لينال رحمته وبركاته في الدنيا والآخرة، فعليه طاعته، مستخدمًا بركاته كما وردت في التعاليم الإسلامية. سورة طه، الآية ١٣

"وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى إليك "

هذا يضمن لهم حالةً نفسيةً وجسديةً متوازنة، مع وضع كل شيء وكل شخصٍ في حياتهم على الوجه الصحيح وفقًا للحكمة الإلهية. وبذلك، يستعدون جيدًا للحساب يوم القيامة. هذا السلوك يؤدي في النهاية إلى راحة البال والنجاح الحقيقي في الدنيا والآخرة.

علاوة على ذلك، تحت هذه الآية الناس على الاستماع الصحيح للمعرفة الإسلامية للعمل بها. سورة طه، الآية ١٣:

"فاستمع لما يوحى إليك ..."

تتضمن هذه العملية الإنصاتَ الدقيقَ للمعارف الإسلامية، وربطها بتجارب المرء السابقة، وتقييم كيفية تطبيقها في المستقبل، والسعي الجاد لتحقيق ذلك. بهذه الطريقة، يضمن الفرد الاستفادة الحقيقية من المعرفة التي يكتسبها. في المقابل، فإن مجرد الإنصات للمعارف الإسلامية دون تأمل وتقييم وتطبيق لن يحدث تغييرًا إيجابيًا في السلوك. وهذا في الواقع أحد الأسباب الرئيسية لعدم تحقيق الكثيرين تغييرًا ملموسًا، رغم توافر المعرفة الإسلامية اليوم أكثر من أي وقت مضى.

ثم يُذكر أساس كل الهداية الإلهية التي نزلت عبر التاريخ. سورة طه، الآية ١٤

"...إني أنا الله لا إله إلا أنا"

بما أن الله تعالى هو وحده الخالق والمدير والمحاسب في العالمين، فهو وحده الذي يجب أن يُقبل ربًّا وإلهًا لهم، ولذلك يُطاع في كل موقف يواجهونه. سورة طه، الآية ١٤

"لا إله إلا أنا فاعبدون"

من الضروري إدراك أن عبادة الله تعالى تتجاوز بكثير مجرد الطقوس الدينية، كالصلوات المفروضة. فالعبادة الحقيقية تشمل طاعته في كل ظرف وفي كل نعمة دنيوية، كما هو مبين في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. والطاعة حقيقة ملموسة تتجاوز مجرد الإيمان في القلب؛ فهي تتطلب أداء الأعمال الصالحة التي تُبذل فقط لنيل رضى الله تعالى. ومن يعمل بدوافع خفية لن يُجزيه الله، كما أكد على ذلك حديث في جامع الترمذي، رقم 3154. علاوة على ذلك، فإن طاعة الله تعالى تستلزم تحقيق مختلف أبعاد الانخراط في القرآن الكريم. أولها تلاوته بدقة وانتظام. وثانيها فهم تعاليمه من خلال مصدر ومعلم موثوق. ثالثها: تطبيق هدايته في الحياة اليومية بنية صادقة لمرضاة الله تعالى. يُعلي المسلم المخلص تعاليم القرآن الكريم فوق الشهوات التي تُناقضها، مُنشئًا شخصية تُشكلها مبادئه. وهذا يعكس التزامًا حقيقيًا بكتاب الله تعالى، وينسجم مع سيرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، الذي وُصف سلوكه بأنه مُجسّد للقرآن الكريم، كما ورد في حديث من سنن أبي داود، رقم 1342. ومن الجوانب الأساسية لتكريم القرآن الكريم الانخراط فيه بجدية، والسعي لفهم جميع تعاليمه وتطبيقها، بغض النظر عن أي ميول شخصية مُتعارضة. أما من يلتزمون انتقائيًا بأوامر أو نواهٍ أو توجيهات مُعينة بناءً على أهوائهم، فإنهم يُظهرون عدم إخلاص تجاهه، ونتيجةً لذلك، يحرمون: سورة الإسراء، الآية 82. أنفسهم من جني ثمار حكمته العميقة

وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً

في نهاية المطاف، من الضروري إدراك أن القرآن الكريم، وإن كان يقدم حلولاً لمصاعب الحياة الدنيا، فلا ينبغي حصر تطبيقه في هذا الدور المحدود. لا ينبغي اعتباره مجرد أداة تُتلى في أوقات الشدة ثم تُترك جانباً. عند طلب الفرج. إن الغاية الأسمى للقرآن الكريم هي أن يكون دليلاً شاملاً، يضمن طريقاً آمناً إلى الآخرة. إن تجاهل هذا الهدف الأساسي واستخدامه فقط لمعالجة الشؤون الدنيوية يتعارض مع مبادئ الإيمان الحقيقي. يمكن تشبيه هذا السلوك بشخص اشترى سيارة مجهزة بالعديد من الميزات لكنها تفتقر إلى محرك، مما يجعلها عاجزة عن تحقيق غرضها الحقيقي. وبالمثل، فإن حصر القرآن الكريم في النفع الدنيوي يعكس نقصاً في الالتزام الحقيقي به، لأن هدفه الأسمى هو توجيه البشرية نحو النجاح الأبدي من خلال طاعة الله تعالى والاستعداد ليوم القيامة.

ثم يُذكر الركن الأساسي لجميع الأعمال الصالحة، إذ لا يمكن طاعة الله تعالى وعبادته بدونه. سورة طه: الآية ١٤

"فاعبدني وأقم الصلاة لذكري ..."

لإقامة الصلوات المفروضة على الوجه الصحيح، لا بد من استيفاء جميع شروطها وآدابها، وعلى رأسها أداء كل صلاة في وقتها. وقد أكد القرآن الكريم مراراً على أهمية الصلاة، فهي تُمثل أسمى تجليات إيمان المؤمن بالله تعالى. وبتوزيعها على مدار اليوم، تُذكر الصلاة دائماً بيوم القيامة، وتُهيئ المؤمن للحساب النهائي. فالصلاة ليست عمود الإيمان فحسب، بل هي أيضاً الأساس الذي تُبنى عليه جميع الأعمال الصالحة. فهي تهدي المؤمن إلى طاعة الله والاستعداد للآخرة. بل إن كل ركن من أركان الصلاة يعكس رمزياً جوانب ذلك اليوم. فعلى سبيل المثال، يعكس الوقوف في الصلاة وضعية الوقوف التي سيقف بها الناس يوماً ما أمام الله تعالى للحساب. سورة المطففين، الآيات 4-6

أَوَّلَا يَنْظُرُونَ أَنَّهُمْ مُبْعَثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ

عندما يسجد المرء في الصلاة، فإنه يُذكر بالعدد الهائل من الأفراد الذين سيُلامون يوم القيامة على تقصيرهم: سورة المرسلات، الآية 48. في السجود لله تعالى في حياتهم الدنيا

"وإذا قيل لهم اركعوا لم يركعوا"

يُسلِّط هذا النقد الضوء على عدم الخضوع التام لطاعة الله تعالى في جميع مناحي الحياة. فالسجود في الصلاة يُذكّر باليوم الذي يُؤمر فيه الناس جميعًا بالسجود لله تعالى. ومن أهمل السجود له في الدنيا، مُظهرًا بذلك. سورة القلم، الآيتان 42-43. رفضه طاعته التامة، سيجد نفسه عاجزًا عن ذلك يوم القيامة

يوم يشتد الأمر يدعون إلى السجود فيمنعون، وتخضع أعينهم، وتغشاهم الظل، وكانوا يدعون إلى السجود" وهم سالمون

عندما يركع الإنسان في الصلاة، فإنه يُذكّره بالموقف الذي سيتخذه أمام الله تعالى يوم القيامة، مليئًا بالخوف: سورة الجاثية، الآية ٢٨. والقلق، وهو ينتظر نطق حسابه الأخير

"وترى كل أمة جاثية، وكل أمة تُدعى إلى كتابها، اليوم تجزون ما كنتم تعملون"

من أدّى صلاته مُتدبرًا هذه الأذكار، أقامها على الوجه الصحيح. وهذا التدبر يضمن أن تمتد طاعته لله تعالى (سورة العنكبوت، الآية 45) . إلى ما بعد الصلاة، مُهتدٍ بسلوكه وأفعاله بين الصلوات

"...إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر"

:سورة طه الآية 14

"وأقم الصلاة لذكرى..."

هذه الطاعة والذكر تستلزمان استغلال النعم بما يرضي الله تعالى، كما بينه القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. وهذا يضمن راحة البال من خلال توازن الحالة النفسية والجسدية، وحسن توزيع كل شيء وكل شخص في حياتهم. وكما تشير الآية التالية، فإنهم بذلك يستعدون جيدًا للحساب يوم القيامة. سورة طه، الآية 15:

إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتُجزى كل نفس بما سعت

إن الاختبار الحقيقي للبشرية يكمن في مدى قبول الأفراد للواقع حتى لو تعذر إدراكه مباشرة بحواسهم، وهل سيُطيعون الله تعالى بإخلاص بعد قبولهم له، مع امتلاكهم القدرة على معصيته. لقد حرص الله تعالى، بإرساله الأنبياء عليهم السلام، وإنزاله الكتب السماوية، على أن يبقى هناك مجال لاختبار أحكام الناس وطاعتهم. لم يكشف الحقيقة قط لدرجة تجعل القبول حتميًا، وإلا لفقد مفهوم الابتلاء أو النجاح أو الفشل معناه. وعليه، تُبرز هذه الآية أنه لا ينبغي للناس توقع يوم القيامة قبل موعده. فلو كُشف عنه مسبقًا، لكان ذلك إيذانًا بنهاية العالم، ولم يترك للأفراد مجالًا للاختبار. لا قيمة للإيمان والطاعة إلا ما دام الواقع محجوبًا بما يسمح برفضه. لو انكشفت حقائق غيب الكون والآخرة، لما كفر ولم يعصي حتى أعتى الكفار وأعظم المجرمين. وهكذا، فإن قيمة الإيمان والطاعة تكمن تحديدًا في وجود هذا الحجاب. لحظة انكشاف الحقيقة تمامًا، ستُعلن نهاية الفترة: سورة طه، الآية 15. الممنوحة للبشرية لاتخاذ القرار والاختبار. تلك اللحظة ليست إلا يوم القيامة:

إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتُجزى كل نفس بما سعت

يوم القيامة حقيقة لا مفر منها. يكشف التأمل الدقيق في الكون عن أمثلة لا تُحصى على التوازن والدقة فالأرض، على سبيل المثال، تقع على مسافة مثالية من الشمس؛ ولو كانت أقرب أو أبعد قليلًا، لما كانت الحياة مستدامة. وبالمثل، فإن دورة المياه - حيث يتبخر الماء من المحيطات، ويتكثف في الغلاف الجوي ويعود مطرًا - متوازنة تمامًا لاستدامة الحياة. والأرض أيضًا خلقت بطريقة متوازنة: لينة بما يكفي لاختراق البراعم الهشة ونموها، وفي الوقت نفسه صلبة بما يكفي لتحمل وزن الهياكل الشاهقة. هذه الأمثلة لا تشهد فقط على وجود خالق، بل تشهد أيضًا على مبدأ التوازن الذي يحكم الخلق

ومع ذلك، وسط هذا التناغم، يبقى خللٌ واضحٌ في التوازن: أفعال البشر. فكثيرًا ما يُرى الظالمون والطغاة يفلتون من العقاب في هذه الدنيا، بينما يكابد عددٌ لا يُحصى من المظلومين المشقة دون أن ينالوا جزاءهم المستحق. كثيرٌ من المسلمين الذين يطيعون الله تعالى بإخلاص، يواجهون البلاء والصعوبات، فلا ينالون إلا جزءًا من ثوابهم في هذه الدنيا، بينما ينعم من يعصيه جهارًا بنعيم الدنيا. وكما أن الله تعالى قد أقام التوازن، في جميع جوانب الخلق، فلا بد من العدل في أفعال البشر. ولأن هذا التوازن لا يتحقق كاملاً في هذه الدنيا فلا بد أن يتحقق في زمانٍ آخر، ألا وهو يوم القيامة

كان بإمكان الله تعالى أن يُجزى ويُعاقب في الدنيا جزاءً وفيراً. إلا أن من الحكمة الإلهية في منع الجزاء الكامل أنه يُتيح للناس فرصاً متكررة للتوبة وإصلاح أخلاقهم. كذلك، لا يُجزى المؤمنون جزاءهم كاملاً هنا. فالدنيا ليست جنة. إن الإيمان بالغيب - ولا سيما الوعد بالجزاء في الآخرة - ركنٌ أساسي من أركان الإيمان بل إن هذا الإيمان بالغيب هو ما يُضفي على الإيمان قيمته الفريدة، فالإيمان بما يُدرك بالحواس لا يتطلب خضوعاً قلبياً حقيقياً.

علاوة على ذلك، فإن الخوف من العقاب التام والرجاء بالجزاء التام في الآخرة يُشكلان دافعين قويين، يشجعان الأفراد على الامتناع عن المعاصي وفعل الخيرات. ولكن لكي يبدأ يوم الجزاء، لا بد أن ينتهي هذا العالم المادي، إذ لا يُجزى الثواب والعقاب إلا بعد انتهاء أعمال الناس جميعاً. وهكذا، فإن ضرورة يوم القيامة ذاتها تعني نهاية العالم المادي في نهاية المطاف.

إن التأمل في هذه الحقائق يُعزز اليقين بيوم القيامة، ويُلهم الاستعداد لها بضمان حسن استغلال نعم الله تعالى وفقاً للقرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. وبذلك ينال المؤمن راحة البال والفلاح في الدنيا. (سورة الجاثية، الآية ٢٢). والآخرة

"وخلق الله السموات والأرض لحكمة، لئُجزى كل نفس ما اكتسبت، وهم لا يُظلمون".

:والسورة 20 طه الآية 15

إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتُجزى كل نفس بما سعت

علاوة على ذلك، وخلافاً للمعايير الدنيوية - حيث يُحكم على الأفراد ويُقدَّرون بناءً على نتائجهم فقط - فإن الله تعالى يُقيِّم ويُقدِّر إخلاص الجهد، حتى وإن لم تُتحقق نتائج ملموسة. ما دام المرء يمتلك نية صالحة، ألا وهي إرضاء الله تعالى، ويدعم ذلك بالسعي الصادق في طاعته، فإنه سيحظى براحة البال في الدنيا والآخرة. تتجلى هذه الراحة من خلال حالة ذهنية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في حياته على النحو الصحيح، حتى وإن لم تُكَلَّل جهوده بنتائج ملموسة. على سبيل المثال، من أخلص النية وسعى بجد لإتمام مشروع خيري، فإنه سينال جزاءه عند الله تعالى في الدنيا والآخرة، حتى وإن لم تُسفر جهوده عن نتائج سورة النجم، الآية. مادية. إن مقياس النجاح الإلهي لا يكمن في النتيجة نفسها، بل في نقاء النية وصدق الجهد 39:

"وأن ليس للإنسان إلا ما سعى"

:والسورة 20 طه الآية 15

"لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا سَعَتْ..."

ولكن بما أن طاعة الله تعالى عملياً، وبالتالي الاستعداد للحساب يوم القيامة، غالباً ما تتعارض مع رغبات الناس الدنيوية، فإن كثيراً منهم يُصرّون على معصية الله تعالى، بإساءة استخدام النعم التي أنعم بها عليهم في هذه الدنيا، يمنع هذا الموقف الإنسان من تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، ويدفعه إلى إهمال كل شيء وكل شخص في حياته. وبالتالي، تصبح الأمور التي من المفترض أن تجلب الراحة - كالعائلة والأصدقاء والعمل والثروة - مصادر للتوتر والقلق. إذا أصرّوا على معصية الله تعالى، فإنهم يبدأون بإلقاء اللوم على

الأسباب والأشخاص الخطأ في حياتهم، بل ويوجهون إحباطهم نحو الأبرياء، مثل الزوج/الزوجة. يقطع علاقاتهم مع هؤلاء الأشخاص الطيبين، فإنهم يُعمّقون عدم استقرارهم، مما قد يدفعهم في النهاية إلى الاكتئاب وإدمان المخدرات، وحتى الميول الانتحارية. هذه النتيجة واضحة فيمن يُسيئون استخدام النعم المُنعَم بها باستمرار، ومنهم كثيرٌ من الأغنياء والمشاهير، الذين رغم تمتعهم برفاهية الدنيا، غالبًا ما يُعانون من مشاكل نفسية حادة. علاوةً على ذلك، ولأنّ سلوكهم يمنعهم من الاستعداد للحساب يوم القيامة، فإنّ عقابهم في الآخرة سيكون أشدّ بكثير.

ثم يُحذّر الله تعالى من أن من أهم أسباب هذه النتيجة، التي تجعل الناس يتخلفون عن طاعته ويتبعون شهواتهم، الدنيوية، هو تقليدهم الأعمى للرأي السائد في مجتمعهم، والذي يُمليه عليهم أصحاب النفوذ ونخب المجتمع. الذين لا هدف لهم سوى تحقيق جميع رغباتهم وطموحاتهم الدنيوية، كالمال والرئاسة. سورة طه، الآية 16

فلا يصدّك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتهلك.

لذا، يجب الامتناع عن التقليد الأعمى، لأن سلوك الأغلبية في المجتمع غالبًا ما يؤدي إلى معصية الله تعالى. عندما يلاحظ الأفراد تجاهل الأغلبية للتعاليم الإسلامية، قد يفترضون أن سلوك الأغلبية صحيح، وبالتالي يتبعونها دون تفكير أو تأمل. لكن في الواقع، ليس رأي الأغلبية بالضرورة مقياسًا للحقيقة. يقدم التاريخ أمثلة عديدة على معتقدات شائعة ثبت لاحقًا بطلانها مع ظهور أدلة ومعارف جديدة، مثل الاعتقاد الخاطئ بأن الأرض مسطحة. لذلك، من الضروري تجنب السلوك كالبهائم، والتوافق مع رأي الأغلبية دون تفكير، لأن هذا التوافق غالبًا ما يؤدي إلى خيارات خاطئة في الأمور الدنيوية والدينية. الهداية الحقيقية لا تكمن في موافقة الأغلبية، بل في الالتزام بأوامر الله تعالى، كما وردت في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. سورة الأنعام، الآية 116.

وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يظنون

:والسورة 20 طه الآية 16

فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتهلك

بل ينبغي على الأفراد استخدام العقل والمنطق اللذين أنعم الله عليهما بهما لتقييم كل ظرف على أساس المعرفة والدليل، مما يُمكنهم من اتخاذ قرارات مستنيرة، حتى لو خالفت هذه القرارات آراء الأغلبية. في الواقع، ينتقد الإسلام بشدة التقليد الأعمى للآخرين في أمور الدين لهذا السبب تحديداً، ويشجع الناس على تعلم تعاليم:سورة يوسف، الآية 108. الإسلام والتأمل فيها والعمل بها بفهم وإخلاص

"...قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني"

:سورة طه، الآية 16

فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتهلك

تُحذّر هذه الآية أيضاً من صحبة السوء. وكما ورد في حديث في سنن أبي داود، رقم 4833، فإنّ المرء يتّبع نهج صاحبه. وهذا يعني أنّه لا بدّ أن يتشرب صفات من يُصاحبه، سواء أكانت حسنة أم سيئة، دون أن يُدرك

ذلك غالبًا. ولذلك، من الضروريّ اختيار الصحابة الذين يُشجّعون ويؤيّدون طاعة الله تعالى بأقوالهم وأفعالهم. أمّا من يتّخذ صحبة السوء، الذين لا يهدفون إلّا إلى تحقيق شهواتهم الدنيوية، فسيتبنّى لا محالة الموقف نفسه ونتيجةً لذلك، سيُصرّون على إساءة استخدام النعم التي وهبوا بها. ونتيجةً لذلك، سيجدون أنفسهم في حالة نفسية وجسدية غير متوازنة، يُسيئون تقدير كلّ شيء وكلّ شخص في حياتهم، ولا يُجهّزون أنفسهم للحساب يوم القيامة بشكل كافٍ. وهذا سيؤدّي إلى ضغوطٍ وتحدياتٍ ومصاعبٍ في الدنيا والآخرة، حتى وإن توقّرت لهم بعضُ مُتّع الدنيا. سورة طه، الآية 16

فلا يصدّك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتهلك

،وأخيرًا، تُحذّر هذه الآية من الإصرار على اتباع جميع الشهوات، سواءً كانت معصيةً أو باطلة. في الواقع من جوانب التقوى، التي تتضمن حسن استغلال النعم كما وردت في التعاليم الإسلامية، اجتناب بعض الحلال خوفًا من الوقوع في الحرام. سورة البقرة، الآية ١٨٧)

"تلك حدود الله فلا تقربوها"

لا يحرم الله تعالى تجاوز حدوده فحسب، بل يأمر صراحةً بالامتناع عن الاقتراب منها. وهذا المبدأ الاحترازي موضوعٌ متكرّرٌ في القرآن الكريم. ومن الأمثلة البارزة على ذلك نهى الله تعالى النبي آدم عليه السلام عن أكل ثمرة شجرة معينة، مع أن النصيحة كانت ألا يقترب منها، مع أن الاقتراب منها جائزٌ في حد ذاته. وهذا يؤكد التوجيه الإلهي للمؤمنين بالحفاظ على مسافةٍ آمنةٍ من المحرمات المحتملة. سورة الأعراف، الآية 19

"و يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين"

تدل الأمثلة الكثيرة على أن جواز الفعل لا يقتضي فعله، فالتقرب من حدود الله تعالى ليس حراماً، وإنما تجاوزها هو المحرم. يجب اجتناب بعض الأفعال المباحة، كذلك المصنفة ضمن اللغو، لأنها غالباً ما تؤدي إلى الحرام. فعلى سبيل المثال، غالباً ما يكون قول اللغو، الذي لا يُعدّ معصية، مقدمةً لذنوب أعظم كالغيبة والكذب. وبالمثل، غالباً ما يؤدي إنفاق المال عبثاً إلى التبذير، وهو معصية. وهذا يؤكد الحكمة من الامتناع: عن الحلال للمحافظة على مسافة أمنة من الحرام. سورة الإسراء، الآية 27

"إن المبشرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفوراً"

إن الغالبية العظمى ممن انحرفوا عن الطريق الصحيح قد فعلوا ذلك تدريجياً. يتضمن هذا عادةً التعامل مع الأمور المحرمة دون المشاركة فيها في البداية، مما يؤدي في النهاية، مع مرور الوقت، إلى التشجيع والإغراء على الانخراط في تلك الأفعال المحرمة. ومن الأمثلة الشائعة أن الشخص الذي يخالط متعاطي الكحول يكون أكثر عرضة للانخراط فيها في النهاية من الشخص الذي يتجنب مثل هذه الصحبة. إن هذا الموقف من التجنب الاستباقي، وخاصة بعض الأمور الحلال أو الباطلة، هو مبدأ نصح به النبي محمد صلى الله عليه وسلم، كما هو موثق في حديث موجود في جامع الترمذي، رقم 2451. وقد أشار إلى أنه لا يمكن للمرء أن يبلغ التقوى الحقيقية - أي أنه لا يمكن أن يثبت على حسن استخدام النعم الممنوحة له كما هو موضح في التعاليم الإسلامية حتى يترك بعض الأشياء الحلال خوفاً معقولاً من أن تؤدي به تلك الأفعال إلى الحرام. وبالتالي، يجب - الاهتمام ليس فقط بتجنب المحرمات الصريحة، بل أيضاً بتجنب بعض الأمور المباحة، وخاصة تلك التي تُعتبر باطلة، خوفاً من أن تؤدي في النهاية إلى التعدي. يتضمن هذا النهج بقاء الفرد ثابتاً في طاعة الله تعالى الصادقة، مما يستلزم الاستخدام الصحيح للنعم الممنوحة كما هو مفصل في القرآن الكريم وأحاديث النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم. يُعد هذا جوهر البر، ويُفهم أنه يؤدي إلى راحة البال في كل من الدنيا من خلال تحقيق حالة ذهنية وجسدية متوازنة ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في حياتهم والآخرة: الفصل 16 النحل، الآية 97. بشكل صحيح

"من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحبيبه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون"

، على العكس من ذلك، فإن من لا يدرك أهمية عدم إدراك حدود الله تعالى، يميل إلى الإفراط في المباحات وخاصةً الباطل. هذا الإفراط يزيد بشكل كبير من احتمالية ارتكابه للمحرمات، ويؤدي إلى إساءة استخدام النعم التي وُهِبَتْ له. ونتيجةً لذلك، سيعاني هؤلاء الأفراد من حالة نفسية وجسدية غير متوازنة، وسيخطئون في ترتيب أولوياتهم في حياتهم، ولن يستعدوا جيدًا للحساب يوم القيامة. وهذا يؤدي حتمًا إلى التوتر والمشقة والصعوبات في الدنيا والآخرة، حتى لو كانوا يتمتعون برفاهية دنيوية مؤقتة. سورة طه، الآيات ١٢٤-١٢٦

ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد "كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى

:ولدعم رسالته، أنعم الله تعالى على النبي الكريم موسى عليه السلام بالمعجزات. سورة طه، الآيات ١٧-٢٤

:وما تلك بيمينك يا موسى؟ "قال": هي عصاي أتوكأ عليها وأهوي على غنمي ولي فيها مآرب أخرى "قال": ألقها يا موسى "فألقاها فإذا هي حية تسعى. قال": خذها ولا تخف سنعيدها إلى حالتها الأولى. واضم يدك" "إلى جنبك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى. لنري من آياتنا الكبرى. اذهب إلى فرعون إنه طغى

كما ورد في حديث صحيح البخاري، رقم 4981، أن كل نبي من الأنبياء عليهم السلام قد وُهب معجزات متنوعة لدعم رسالته. إلا أن النبي محمداً صلى الله عليه وسلم قد وُهب القرآن الكريم، مُنحاً إياه معجزةً خالدةً. أما معجزات الأنبياء الآخرين عليهم السلام، فقد اقتصرَت على أزمنة وأماكن محددة، وهدفت بالأساس إلى تعزيز رسالتهم لا إلى أن تكون محورها. ولأن هذه المعجزات كانت مقيدة بزمان ومكان، فقد كان الهدف منها تشجيع من شهداها على قبول الحقيقة. أما بالنسبة لمن لم يختبرها مباشرةً، فقد بقيت هذه المعجزات مجرد قصص، عاجزة عن إلهام الإيمان أو تقوية إيمان من سبقوه. في المقابل، يُشكل القرآن الكريم - وبالتالي

أحاديث النبي محمد صلى الله عليه وسلم - معجزة باقية وحية .إنها في متناول الجميع، في أي وقت، وبالتالي تتجاوز أي معجزة مؤقتة وُهبها الأنبياء السابقون عليهم السلام

عمومًا، تعابير القرآن الكريم لا مثيل لها، ومعانيه مُعبّر عنها بدقة متناهية .وتجسد آياته بلاغةً فذة تفوق جميع الأعمال الأدبية الأخرى .بخلاف الكتب والتعاليم الأخرى، التي غالبًا ما تحتوي على تناقضات، يخلو القرآن الكريم تمامًا من التناقض .فهو يُقدّم سرًا شاملاً لتاريخ الأمم السابقة، على الرغم من أن النبي محمدًا صلى الله عليه وسلم لم يتلقَ تعليمًا تاريخيًا رسميًا .علاوة على ذلك، يأمر بكل مفيد وينهى عن كل مضر، مُعالجًا الأبعاد الفردية والاجتماعية، ضامنًا بذلك العدل والأمن والوثام في الأسر والمجتمعات .يتجنب القرآن الكريم المبالغة والكذب والخداع، على عكس الشعر والأساطير والخرافات .كل آية فيه هادفة وقابلة للتطبيق العملي حتى عند سرد القصة نفسها، يُسلّط الضوء على دروس جديدة ذات أهمية، ضامنًا ألا تُصبح رسالته رتيبة عند تكرار تلاوتها .يُقدّم القرآن الكريم وعودًا وتحذيرات، مدعومةً بأدلة دامغة وواضحة .عند تناوله مفاهيم قد تبدو مُجرّدة - كالصبر مثلاً - يُقدّم باستمرار أساليب مباشرة وعملية لتطبيقها في الحياة اليومية .يدعو القرآن الكريم الأفراد إلى إدراك غاية خلقهم الحقيقية :إخلاص طاعة الله تعالى، بتوظيف نعمه فيما يُرضيه وبذلك، ينالون السلام والنجاح في الدنيا والآخرة، مُحققين التوازن في أحوالهم العقلية والجسدية، ومُنظّمين كل شيء وكل شخص في حياتهم على الوجه الصحيح .يُوضّح القرآن الكريم الصراط المستقيم ويجعله جذابًا ،لمن يسعى إلى السلام والنجاح الحقيقيين في الدنيا والآخرة .إن هدايته، المُتجذّرة في جوهر الفطرة البشرية تبقى خالدة ونافعة للجميع .عندما يُفهم القرآن الكريم ويُطبّق على النحو الصحيح، يُقدّم حلولًا لجميع الصعوبات العاطفية والمالية والجسدية، مُقدّمًا إجابات لكل تحدٍّ يواجهه الأفراد والمجتمعات على حدّ سواء .يشهد التاريخ نفسه أن المجتمعات التي التزمت بتعاليمه بصدق جنت ثمار حكمته الشاملة والخالدة .من اللافت للنظر أنه لم يُغيّر حرف واحد من القرآن الكريم على مرّ قرون لا تُحصى، فقد وعد الله تعالى بحفظه .ولا يوجد نصّ آخر في تاريخ البشرية يتّسم بهذه الخاصية الفريدة .سورة الحجر، الآية 9

"إِنَّا نَحْنُ نَرُزِّلُ الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ"

لقد عالج الله تعالى التحديات الأساسية التي تواجه كل مجتمع، وقَدّم لها حلولاً فعّالة .وبحل هذه القضايا الجوهرية، تمّ تجنّب أو تخفيف عدد لا يُحصى من المشاكل الثانوية في آنٍ واحد .وهذا يُظهر أن القرآن الكريم

يُقدّم توجيهًا شاملاً في جميع الأمور الأساسية اللازمة لرخاء الأفراد والمجتمعات. وتعاليمه لا تضمن النجاح: سورة النحل، الآية 89. والاستقرار في الدنيا فحسب، بل تضمن أيضاً النجاة الأبدية في الآخرة

"...ونزلنا إليك الكتاب تبياناً لكل شيء..."

هذا يدل على المعجزة الأعظم والأزلية التي أنعم بها الله تعالى على خاتم رسله، النبي محمد صلى الله عليه وسلم. إلا أن نفع هذه المعجزة مقصورٌ على من سعى بصدقٍ إلى الحق وخلص له قلبه. أما من غلبت عليه أهوائه، فقبل بعضه تاركاً بعضه الآخر، فسُيخسر في الدنيا والآخرة. إن خضوعهم الجزئي ينم عن نقصٍ في: سورة الإسراء، الآية 82. الإخلاص، ويحرّمهم من الهداية والبركات الكاملة التي أنزلها القرآن الكريم

وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً

لما أراد النبي موسى عليه السلام مواصلة مناجاته مع الله تعالى، أطل في جوابه عمداً. سورة طه، الآيتان ١٧-١٨:

"وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي أتوكأ عليها وأحط على غنمي ولي فيها أغراض أخرى "

هذا يُظهر عمق محبة النبي موسى عليه السلام وإخلاصه لله تعالى. على من يدّعي محبة الله تعالى أن يتبنّى موقفاً مماثلاً بإطالة حديثه معه، وذلك بدراسة آياته في القرآن الكريم بانتظام، وتدبرها، والعمل بها. ومن

،إعجاز القرآن الكريم أنه يخاطب الجماعة والفرد على حد سواء .فمن جهة، يُخاطب المجتمعات بأسرها ،مُرشدًا إيّاها إلى كيفية إرساء السلام والعدل والوئام في مجتمعاتها .ومن جهة أخرى، يُخاطب الأفراد مُباشرةً مُرشدًا إيّاهم إلى كيفية التغلب على تحدياتهم الشخصية الفريدة .وبهذه الطريقة، يُمكنهم من بلوغ راحة البال ،من خلال تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، ووضع كل شيء وكل شخص في حياتهم على الوجه الصحيح .تمامًا كما خاطب الله تعالى النبي موسى عليه السلام مُباشرةً) .سورة الأنبياء، الآية 10، سورة 21)

أنزلنا إليكم كتابًا فيه ذكركم أفلا تعقلون لقد

لا ينتفع الإنسان حقًا من هذا الخطاب المباشر إلا إذا تعامل مع كلام الله تعالى بعقلٍ منفتحٍ ونزيه، بعيدًا عن التعصب والانشغالات الدنيوية .يتطلب هذا التعامل الاستعداد لتقديم التضحيات اللازمة لتوفيق حياته مع الهداية الإلهية .حينها فقط، ينال الإنسان راحة البال الحقيقية في الدنيا والآخرة، بتحقيق التوازن في حالته النفسية والجسدية، وحسن توزيع كل شيء وكل شخص في حياته وفقًا لإرادة الله تعالى .

وتشير الآيات التالية أيضًا إلى أن إظهار المشاعر ضمن الحدود جائز في الإسلام .سورة طه، الآيات ١٩-٢١:

قال ألقها يا موسى فألقاها فإذا هي حية تسعى حثيثًا قال خذها ولا تخف سنعيدها إلى حالتها الأولى

:وسورة القصص الآية 31

،وقيل له :القي عصاك، فلما رآها تتلوى كأنها حية، ولي هاربًا ولم يرجع، قال :يا موسى، أقبل ولا تخف"
".إنك من الأمنين

كان رد فعل النبي موسى عليه السلام طبيعيًا بالفرار من الحية، ولم يُنتقد من الله تعالى على ذلك. وهذا يُظهر أن التعبير عن المشاعر جزءٌ أصيلٌ من كيان الإنسان. وما دامت هذه المشاعر ضمن الحدود التي وضعها الإسلام، فإن التعبير عنها مقبولٌ تمامًا. لا يتوقع الإسلام من المؤمن أن يتصرف كآلةٍ خاليةٍ من المشاعر في أوقات الشدة. بل في كل ظرفٍ، يُدعى الإنسان إلى الحفاظ على التوازن - التخلص من التوتر من خلال المشاعر الطبيعية دون تجاوز الحدود التي وضعها الله تعالى. وقد أُشير إلى ذلك في سورة الحديد، الآية 23

لِكَيْ لَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ

- لا تمنع هذه الآية الإنسان من الحزن أو الفرح، بل تحذر من الإفراط في هذين الشعورين - الحزن والفرح اللذين قد يؤديان إلى سلوك آثم إذا لم يُضبطا. ينبغي على المرء أن يتذكر دائمًا أنه ما دام يحافظ على الاعتدال في هذه الحدود، فإنه سيتمكن من تجاوز الصعاب، وينال الثواب والبركات في الدنيا والآخرة. ويتجلى هذا المبدأ في ختام هذه الحادثة، حيث منح الله تعالى الأمان لمن أطاعه. قد لا يظهر هذا الأمان فورًا للمؤمن ولكنه سيتجلى لا محالة. يكمن السر في الحفاظ على طاعة الله تعالى خالصة في جميع الأحوال. هذه الطاعة تستلزم توظيف النعم التي وهبها الله للإنسان بما يرضيه، كما هو مبين في القرآن الكريم وسنة النبي محمد وهذا يمكنه من تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، مع وضع كل شيء وكل شخص. صلى الله عليه وسلم في حياته وفقًا للحكمة الإلهية. وبذلك يستعدون استعدادًا كافيًا للحساب يوم القيامة، وهذا السلوك يؤدي في النهاية إلى راحة البال والفوز الحقيقي في الدنيا والآخرة.

لما أصبح فرعون طاغيةً شريرًا أساء استخدام موارد الله تعالى التي أنعم بها عليه، قصر في أداء حقوق الناس. فتسبب في انتشار الفساد والظلم في أمته. وبدلًا من إهلاكه وأهله، بعث الله تعالى النبي الكريم موسى

عليه السلام ليهديه وقومه إلى طاعة الله تعالى، التي تضمنت حسن استخدام النعم التي أنعم بها عليهم كما من خلال تحقيق حالة نفسية وجسدية، وردت في التعاليم الإلهية، فحققوا راحة البال على المستوى الفردي متوازنة، ومن خلال حسن توزيع كل شيء وكل شخص في حياتهم، ونشر العدل والسلام في أمتهم بأداء حقوق الناس. سورة طه، الآية 24

"أَذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى"

لما نشأ النبي موسى عليه السلام في قصر فرعون، أدرك أن مهمته ستكون بالغة الصعوبة والخطورة. ولذلك طلب الطمأنينة لمواجهة القلق والتوتر الذي سيواجهه لا محالة. سورة طه، الآية 25

"قال رب اشرح لي صدري"

عمومًا، لا سبيل لراحة البال إلا بتوازن الحالة النفسية والجسدية، وحسن توزيع كل شيء وكل شخص في حياته. ولا يتحقق ذلك إلا بطاعة الله تعالى، والاستخدام الأمثل للنعم التي أنعم بها عليه، كما بينتها التعاليم لذلك، يجب على الإنسان قبول تعاليم الإسلام والعمل بها لما فيه مصلحته، حتى لو تعارضت مع الإسلامية رغباته الشخصية. ويجب عليه أن يحذو حذو المريض الحكيم الذي يقل نصيحة طبيبه ويتبعها، مدركًا أنها في مصلحته، حتى لو تعلق الأمر بأدوية مَرَّة أو حمية غذائية صارمة. فكما أن هذا المريض ينال في النهاية صحة بدنية ونفسية جيدة، كذلك من يقبل التعاليم الإسلامية ويعمل بها ينال العافية الحقيقية. ذلك لأن الله تعالى هو وحده الذي يملك المعرفة الكاملة اللازمة لضمان توازن الحالة النفسية والجسدية للإنسان، وحسن توزيع كل شيء وكل شخص في حياته. أما علم البشر، فرغم كثرة الأبحاث، يبقى محدودًا. لا يمكن للعلم أن يحل جميع التحديات التي قد يواجهها الإنسان، ولا أن يحميه من جميع أشكال الضغوط النفسية والجسدية، أو أن يُمكنه من تنظيم حياته على نحو سليم من جميع النواحي. المعرفة البشرية مُقَيَّدة بخبرة محدودة، وبصيرة مُبْهِمة، وتحيزات. في المقابل، يمتلك الله تعالى وحده المعرفة الكاملة، وقد منحها للبشرية في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. تتجلى هذه الحقيقة عندما يُلاحظ المرء الفرق بين من يستخدم نعمته

وفقاً للتعاليم الإسلامية ومن لا يفعل. في أغلب الأحيان، لا يفهم المرضى علم الأدوية الموصوفة لهم، ومع ذلك يتقون بطبيبتهم ثقةً عمياءً ويلتزمون بها. مع ذلك، لا يدعو الله تعالى الناس إلى الثقة العمياء، بل يدعوهم إلى التأمل في تعاليم الإسلام، ليدركوا صدقها ويُقدِّروا آثارها الإيجابية في حياتهم. لا يتوقع قبولاً أعمى، بل إدراكاً واعياً للحق، بناءً على الأدلة الواضحة التي قدمها. إلا أن هذا الاعتراف يتطلب التعامل مع تعاليم: سورة يوسف، الآية ١٠٨. الإسلام بعقل منفتح وغير متحيز

"...قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني"

بالإضافة إلى ذلك، ولأن الله تعالى هو وحده المسيطر على قلوب الناس - دار الطمأنينة - فهو وحده الذي يُحدد من يُمنح هذه النعمة ومن لا يُمنح. سورة النجم، الآية 43

"وأنه هو الذي أضحك وأبكى"

:سورة طه الآية 25

"قال رب اشرح لي صدري"

ومن الواضح أن الله تعالى لا يمنح الطمأنينة الحقيقية إلا لمن استغلّ نعمه على الوجه الصحيح، كما هو مبين في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. كما هو مبين في الآية التالية، فإن هذا السلوك يضمن للإنسان أداء واجباته تجاه الله تعالى وتجاه الناس بسهولة. سورة طه، الآية 26

"وسهل لي أمري"

:سورة الليل 92 الآيات 5-7

"فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى"

من خلال تحقيق حالة ذهنية وجسدية متوازنة، ومن خلال، سيؤدي هذا إلى راحة البال على المستوى الفردي وضع كل شيء وكل شخص في حياتهم بشكل صحيح، وسيؤدي إلى نشر العدل والسلام في مجتمعهم، من خلال الوفاء بحقوق الناس. أما من يُصر على اتباع شهواته الدنيوية، فسيُسيء استخدام النعم التي وُهِبَتْ له لا محالة. ونتيجة لذلك، سيجد نفسه في حالة من عدم التوازن العقلي والجسدي، وسيُسيء وضع كل شيء وكل شخص في حياته، وفي النهاية سيفشل في الاستعداد بشكل صحيح لحسابه يوم القيامة. سيؤدي هذا إلى ضغوط وتحديات ومصاعب في العالمين، على الرغم من أي ترف دنيوي قد ينغمس فيه. وبما أن هذا الموقف يمنعهم من الوفاء بحقوق الناس، فسيُساهمون في انتشار الفساد والظلم في مجتمعهم. سورة الليل، الآيات 8-10

"ومن منع واستغنى عن الله وجدد الخير فسنيسره للعسرى"

من المهم إدراك أن الله تعالى قد أوضح أن أداء جميع الواجبات التي أوكّلها إلى الإنسان، والاستفادة من النعم التي وهبها إياها وفقاً للتعاليم الإسلامية، ومواجهة كل ظرف بالصبر، كلها أمور في حدود طاقته. فالشريعة سورة. الإلهية لا تفرض واجبات تفوق طاقات البشر، بل تدعو كل فرد إلى العمل في حدود طاقته الكاملة: البقرة، الآية ٢٨٦

» ... لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا

لذلك، لا يبقى للناس عذرٌ إن قصروا في طاعة الله تعالى بإخلاص. عليهم أن يتخلوا عن التهاون في ادعاء بذل الجهد، بينما هم في الحقيقة لا يبذلون الجهد المطلوب. فالاجتهاد الصادق سيقودهم حتماً إلى الوفاء بالواجبات المنتظرة منهم. لذا، يجب على المرء أن يتبنى الموقف الصحيح، مُدركاً أنه سيُحاسب في الدنيا: سورة البقرة، الآية ٢٨٦. والآخرة، حيث لا تُقبل الأعذار

"لها ما اكتسبت، وعليها ما اكتسبت ..."

مع أن النبي موسى عليه السلام أدرك هذه الحقيقة، إلا أنه طلب العون في مهمته، مُقرّاً بأن النجاح لا يتحقق سورة. إلا بمعونة الله تعالى، فالإلهام والمعرفة والقدرة والفرصة للنجاح في أي مهمة تأتي كلها من الله تعالى: طه، الآية ٢٦

"وسهل لي أمري"

يُعتقد على نطاق واسع أن النبي موسى عليه السلام كان يتلعثم في كلامه، فطلب من الله تعالى أن يزيله عنه ليتمكن من بيان الهداية الإلهية للناس بوضوح. سورة طه، الآيتان ٢٧-٢٨

"واحلل عقدة من لساني، فيفهموا كلامي"

بشكل عام، من جوانب النصيح في أمور الدنيا أو الدين التحدث بوضوح وبساطة وعمق. ينبغي على الناصحين تجنب التعقيد والإسهاب غير الضروريين، والسعي بدلاً من ذلك إلى التحدث بأسلوب واضح ومؤثر. في الواقع، هذا هو نهج النبي محمد صلى الله عليه وسلم، الذي أكد في حديث صحيح مسلم رقم 1167 أنه كان يتمتع بفصاحة الكلام. هذه الصفة ضمنت فهم رسالته لأبسط الناس، وفي الوقت نفسه وفرت عمقاً لا ينضب للعلماء للتعمق فيه.

يتجلى صدق النبي موسى عليه السلام أكثر عندما طلب بتواضع من أخيه النبي هارون عليه السلام أن يُشركه في رسالته الإلهية. لم يعكس هذا الطلب حبه العميق لأخيه فحسب، بل عكس أيضاً إيثاره وحرصه على نجاح: الآيات 29-32، الرسالة نفسها، مُقدماً تنفيذ أمر الله تعالى على التمييز الشخصي. سورة طه

واجعل لي وزيراً من أهلي، هارون أخي، أقوي به، وليشركني في أمري.

:سورة مريم، الآية 53

ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا

للأسف، يعجز الكثيرون اليوم عن دعم بعضهم البعض في أعمال الخير خوفاً في غير محله من أن هذا الدعم قد يرفع الآخرين فوقهم في الأهمية. وقد أثر هذا الوضع حتى على العلماء والمؤسسات التعليمية، حيث يُمنع الدعم بحجة عدم وجود روابط شخصية أو خوفاً من أن يتم التغاضي عن منبر الشخص. هذا المنطق خاطئ تماماً، فالتاريخ يُظهر بوضوح عكس ذلك. عندما تكون نية المرء ابتغاء مرضاة الله تعالى، فإن دعم الآخرين في البر يؤدي دائماً إلى زيادة الشرف والاحترام. الله تعالى يوجه قلوب الناس إلى أولئك الذين يعملون بإخلاص، حتى لو كان دعمهم مفيداً لشخص آخر أو منظمة أو مؤسسة. ويوجد مثال عميق على هذا المبدأ في سلوك عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، بعد وفاة النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم. رغم امتلاكه المكانة والدعم اللازمين لتولي القيادة، أقرَّ عمر رضي الله عنه بصحة اختياره لأبي بكر الصديق رضي الله عنه أول خليفة في الإسلام. لم يُشغل نفسه باحتمال نسيانه من قِبَل المجتمع، بل نفذ الأمر الإلهي بنصرة الحق. وقد تأكد هذا الإخلاص والخضوع في الأحاديث الواردة في صحيح البخاري، رقمي 3667 و3668. لم يُنتقص هذا القرار من مكانته، بل زاد من شرفه واحترامه في أعين المجتمع، وهي حقيقة جليّة لكل من اطلع على التاريخ الإسلامي. على الناس أن يتأملوا في هذه الحقيقة، ويُصلحوا سلوكهم، وأن يُلزموا أنفسهم بدعم الآخرين في الخير، بغض النظر عمّن بدأ الجهد. لا ينبغي أن يثني الخوف من النسيان أحداً عن أداء هذا الواجب. من أطاع الله تعالى لن يُخذل في الدنيا ولا في الآخرة. وعلى العكس من ذلك، فإن كرامتهم وتقديرهم سوف يزدادان في كلا العالمين.

ثم يوضح النبي موسى عليه السلام أن أساس النجاح في الدنيا والآخرة هو طاعة الله تعالى. سورة طه، الآيتان ٣٣-٣٤:

"لكي نسبحك كثيراً ونذكرك كثيراً"

بما أن النبي موسى عليه السلام كان سيواجه صعوبات لا محالة خلال مهمته، فإن تسبيح الله تعالى، بعدم نسب أي شيء سلبي إليه، مثل الصعوبات التي قُدِّرها الله تعالى، جزء لا يتجزأ من طاعته. من لم يُسَبِّح الله تعالى حق تسبيحه، سينسب إليه سلبيات لا محالة، وخاصةً عند مواجهة الصعوبات. هذا سيمنعه من طاعته بالاستخدام الصحيح للنعم التي أنعم بها عليه كما هو مبين في التعاليم الإسلامية. ونتيجة لذلك، سيقع في حالة نفسية وجسدية غير متوازنة، ويضيع كل شيء وكل شخص في حياته، ويهمل الاستعداد الكافي للحساب يوم القيامة. هذا الإهمال يؤدي حتماً إلى التوتر والمشقة والصعوبة في الدنيا والآخرة، حتى لو كان يتمتع ظاهرياً ببعض الكماليات الدنيوية. لتجنب هذه النتيجة، يجب على المرء أن يُمَجِّد الله تعالى، بعدم نسب الأمور السلبية إليه، كالصعاب التي قُدِّرها، بل عليه أن يدرك أن كل ما يختاره الله تعالى له هو الأفضل، وإن خفيت عنه. (حكمته). سورة البقرة، الآية ٢١٦)

"وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ..."

هذا يضمن لهم ذكر الله تعالى وطاعته، وذلك باستخدام نعمه كما وردت في التعاليم الإسلامية. وهذا يُمكنهم من تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، مع وضع كل شيء وكل شخص في حياتهم على الوجه الصحيح وفقاً للحكمة الإلهية. وبذلك، يستعدون أيضاً للحساب يوم القيامة على الوجه الأمثل. هذا السلوك يؤدي في النهاية إلى راحة البال والنجاح في الدنيا والآخرة. لذا، فإن أساس كل نجاح وراحة بال في الدنيا والآخرة هو: تعظيم الله تعالى وذكره عملياً. سورة طه، الآيتان 33-34

"لكي نسبحك كثيراً ونذكرك كثيراً"

بالإضافة إلى ذلك، يجب على المرء أن يذكر الله تعالى بالطريقة الصحيحة من خلال تحقيق مراتب ذكره الثلاثة. المستوى الأول هو ذكر الله تعالى، باطنًا وسرًا. وهذا يشمل تنقية النية بحيث يتم كل عمل لمرضاته فقط. المستوى الثاني هو ذكر الله تعالى باللسان. وهذا يستلزم التحدث بطرق ترضي الله أو، عندما لا يكون

لديك ما تقوله جيدًا، فالصمت .وكما أكدته حديث موجود في صحيح مسلم، رقم 176، فإن الصمت في مثل هذه الظروف هو في حد ذاته عمل فاضل وبالتالي شكل من أشكال ذكر الله تعالى .أعلى وأكثر مستويات الذكر فعالية هو ذكر الله تعالى من خلال المرء من خلال العمل .ويتحقق ذلك من خلال تنفيذ أوامره والامتناع عن نواهيه ومواجهة القدر بالصبر، وفقًا لأحاديث النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم .من بلغ هذه الدرجة استخدم النعم التي مُنحت له بما يرضي الله تعالى .ومع ذلك، يتطلب بلوغ ذلك اكتساب المعرفة الإسلامية والعمل بها، فهي أصل كل خير وأساس النجاح في الدنيا والآخرة .أولئك الذين يظلون محصورين في المستويين الأولين سينالون بالفعل مكافأة تتناسب مع نيتهم، ومع ذلك فمن غير المرجح أن يعززوا إيمانهم وتقواهم إلا إذا تقدموا إلى المستوى الثالث وهو أعلى مستوى من التذكر .من حقق المستويات الثلاثة قد وُعد من خلال الحصول على حالة ذهنية وجسدية متوازنة ومن براحة البال والجسد في كل من الدنيا والآخرة :سورة الرعد، الآية 28 . خلال وضع كل شيء وكل شخص في حياته بشكل صحيح

"ألا بذكر الله تطمئن القلوب"

:سورة النحل الآية 97

"من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون"

،للأسف، يغفل كثير من الناس، رغم قيامهم بالواجبات ونوافل العبادات، عن مراتب الذكر العليا لله تعالى ،فيحرمون أنفسهم من السكينة التي يُفترض أن يُورثها الذكر .فعباداتهم وأعمالهم الصالحة، وإن كانت محمودة لا تُحقق راحة البال والقلب التامة التي تنبع من دمج الذكر في النية والقول والعمل .ولا تتحقق السكينة الحقيقية في الدنيا إلا بمراعاة جميع أبعاد الذكر وفقًا لهدى القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم

ولما كان الله تعالى يعلم نوايا العباد وأقوالهم وأفعالهم، فإنه يعلم من يذكره حقًا ومن لا يذكره، فيحاسب كلاً على ذلك. سورة طه، الآية 35

"إنك منا بصير"

بعد أن استجاب الله تعالى لدعوة النبي موسى عليه السلام، ذكره بنعمته السابقة في حمايته في ظرف لا يُطاق، فآلهمه ذلك الثبات على رسالته، عالمًا بأن الله تعالى سيضمن حمايته وتوفيقه. سورة طه، الآيات 37-39

ولقد منّ علينا عليك مرةً أخرى، إذ أوحينا إلى أمك ما أوحينا أن ألقيه في التابوت، فألقه في اليم، فيقذفه اليم إلى الشاطئ، يأخذه عدوًا لي وعدوًا له، وألقيت عليك محبةً مني أن تُنشأ على عيني

عمومًا، من الضروري التأمل في تجارب المرء الماضية وتجارب الآخرين، كالأنبياء عليهم السلام، وكيف أنعم الله عليهم بالرحمة والبركات رغم ما واجهوه من مصاعب، فهذا يلهمهم على الثبات على طاعة الله تعالى في كل حين، عالمين بأنه يختار لهم الخير دائمًا، ويمنحهم السند وراحة البال مهما كانت المصاعب. سورة (البقرة، الآية ٢١٦).

"وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ..."

سورة الطلاق 65 الآية 2

"ومن يتق الله يجعل له مخرجاً"

من الضروري الإقرار بأن العون الإلهي لا يتوافق بالضرورة مع الميول الفردية، بل إنه يتجلى لا محالة وفقاً لعلم الله تعالى اللامحدود وحكمته التامة. ولذلك، يُمنح هذا العون في أنسب الأوقات وأنسبها لكل إنسان، حتى وإن خُفّت حكمته الكامنة عن الإدراك المباشر.

بينما كان فرعون يقتل مواليد بني إسرائيل الذكور، أُوحى إلى أم موسى عليه السلام أن تضعه في صندوق وترميه في النهر لحمايته من جنود فرعون. وصل النبي موسى عليه السلام أخيراً إلى قصر فرعون، حيث أقنعت زوجة فرعون زوجها بتبنيه ابناً لهما. أودع الله تعالى في النبي موسى عليه السلام حباً عظيماً، فكان كل من رآه يقع في حبه، فيحميه بذلك من خطة فرعون لقتل مواليد بني إسرائيل الذكور. سورة طه، الآيتان 38-39.

إذ أوحينا إلى أمك ما أوحينا أن ألقيه في التابوت فألقه في اليم فيقذفه اليم بالشط يأخذه عدواً لي وعدواً له وألقيت إليك محبة مني أن تربي على عيني

:وسورة القصص الآية 9

"وقالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً وما كانوا يشعرون"

وهذا يُبرز أهمية الثبات على طاعة الله تعالى، باستغلال النعم التي أنعم بها على الوجه الذي يرضيه، كما بينه القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، حتى في بيئة غير إسلامية. ولعل مثال النبي موسى عليه السلام يُبرز ذلك بوضوح. فمن المعروف أنه نشأ في قصر فرعون، وهو مكان يعج بالفساد والممارسات الشريرة. ومع ذلك، ورغم تعرضه لمثل هذه البيئة، ظل غير متأثر و متمسكًا بالأخلاق النبيلة طوال حياته. ومع أنه كان معصومًا من التأثير السلبي، إلا أن الناس مطالبون بالافتداء به بالثبات على الحق. سورة القصص، الآية 14

"ولما بلغ أشده واشتد آتيناه حكمًا وعلمًا وكذلك نجزي المحسنين "

في عصرنا هذا، انتشر المسلمون في جميع أنحاء العالم واندمجوا في مجتمعات وثقافات متنوعة. وبينما يُعلم، الإسلام احترام عادات وآراء المجتمعات الأخرى، فإنه لا يُجيز تبني ممارسات تتعارض مع تعاليمه. وللأسف، لم يلتزم كثير من المسلمين بمبادئ الإسلام عند اندماجهم مع المجتمعات الأخرى. ونتيجةً لذلك، دمجوا العادات غير الإسلامية مع الممارسات الإسلامية لدرجة أن التمييز بينهما أصبح في كثير من الأحيان غير واضح. ويتجلى ذلك جليًا في العديد من حفلات الزفاف الإسلامية المعاصرة، حيث غالبًا ما تغطي الممارسات الثقافية على الهدي الإسلامي. وكما لم يتبنَّ النبي موسى عليه السلام ممارسات آل فرعون رغم نشأته في قصره، فيجب على المسلمين الالتزام بتعاليم الإسلام أينما كانوا. وكان هذا أيضًا موقف الصحابة رضي الله عنهم، الذين سافروا إلى بلاد بعيدة، لكنهم حافظوا على تعاليم الإسلام

يشهد التاريخ نفسه أنه كلما ازداد المسلمون اتباعًا للممارسات غير الإسلامية، قلَّ التزامهم بتعاليم القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. وهذا الموقف يؤدي حتمًا إلى الضلال، لأن الله تعالى لا يقبل إلا ما يكون مبنياً على هذين المصدرين من الهداية. ويؤكد هذا المبدأ حديث في سنن أبي داود، رقم 4606: سورة آل عمران، الآية 85

"ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين"

، علاوة على ذلك، نشأ النبي موسى عليه السلام في قصر فرعون ولم يهرب منه حتى تعرّضت حياته للخطر ،فيه الفتن، ويتعرض له المسلمون باستمرار رغم كونها بيئة غير إسلامية .عمومًا، في هذا العصر الذي تنتفشى يرى البعض أن الحل يكمن في الانسحاب الجسدي، كالهجرة إلى بلد إسلامي أو عزل الأسرة من خلال التعليم المنزلي .ورغم أن هذه الإجراءات قد توفر قدرًا من الحماية، إلا أنها ليست الحل الأمثل .تكمن مشكلة تبني عقلية الهروب "في أنه ما لم ينعزل المرء بشكل دائم في كهف منعزل مع عائلته، فمن المستحيل تجنب الفتن" والتجارب تمامًا .لا محالة، سيواجهها المسلم بشكل أو بآخر .على سبيل المثال، بينما قد تحقق المدارس غير المختلطة نتائج أفضل من المدارس المختلطة، سيواجه الطالب في النهاية الجنس الآخر في الحياة .في عصر وسائل التواصل الاجتماعي، قد تصل الفتن إلى الشخص حتى داخل غرفة نومه .وبالمثل، حتى لو انتقلت عائلة إلى بلد إسلامي - وهو احتمال يزداد صعوبة في العصر الحديث - فستظل تواجه المحن، فكل مجتمع تحدياته الخاصة .بل حتى الحجاج والمسافرون يشهدون الظلم والجور في مدينتي مكة المكرمة والمدينة المنورة .

يُلاحظ أيضًا أن المسلمين الذين يهاجرون من مجتمعات أكثر تقليدية إلى الغرب غالبًا ما يقعون في معصية أشد من أولئك الذين ولدوا ونشأوا هناك .ولأنهم عاشوا سابقًا في بيئات أكثر تقييدًا، فإنهم يشعرون بالإرهاق عند مواجهة الإغراءات فجأة، بينما قد يكون من اعتادوا هذه البيئات أكثر قدرة على مقاومتها .وهذا يدل على أن عقلية الهروب غير عملية ولا مستدامة في عصرنا الحالي .

إن المفتاح الحقيقي للتغلب على المحن، كما يؤكد عليه الإسلام، يكمن في تقوية الإيمان من خلال تعلم المعرفة الإسلامية والعمل بها، وغرس هذا التوجه في الجيل القادم .فالإيمان القوي يضمن ثبات المسلم في وجه الفتن مهما كانت بيئته، وذلك من خلال استغلال النعم الممنوحة له باستمرار بما يرضي الله تعالى، كما هو مبين في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم .هذا التعليم يزود الشباب المسلم بفهم الحكمة وراء المحرمات الإسلامية .قد تفيد عقلية الهروب من الفتن مؤقتًا، لكنها لا تغرس القناعة .إنها أشبه بالمجرم

المسجون: بمجرد إطلاق سراحه، يعود إلى الجريمة ما لم يُصلح من خلال التعليم. وبالمثل، فإن الشاب المسلم ذو الرغبات الفطرية، عندما يُحرم من الفهم السليم، من المرجح أن يتعثر عند الاختبار

، عندما يُقال لشخص ما عن تحريم دون أن يُعلم حكمته، يكون أقلّ التزامًا به وأكثر عرضةً للخداع. في المقابل من يفهم منطق التحريم يكون أكثر ثباتًا عليه. على سبيل المثال، من يعلم أضرار الكحول - آثاره المدمرة على الصحة البدنية والنفسية، وعلاقته بالجريمة والعنف والخراب المالي، وقدرته على تدمير الأسر والأرواح - يكون أكثر ميلًا للامتناع عنه من من يعلم فقط أنه محرم دون أن يفهم سببه -

لذا، بينما ينبغي على المسلمين اتخاذ خطوات عملية لتقليل التعرض للمصاعب، عليهم إدراك أن الحل الأساسي يكمن في التعليم: تعلم القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم والعمل بهما. من خلال ذلك يكتسب المرء فهمًا لحكمة المحرمات، ويقوي إيمانه، ويضمن طاعة الله تعالى في جميع الأحوال. وهذه الطاعة بدورها تستلزم استخدام النعم التي وهبَتْ على الوجه الذي يرضيه، مما يضمن السلام والنجاح من خلال تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في الدنيا والآخرة في حياته على الوجه الصحيح.

بعد أن تبناه فرعون، حرم الله تعالى على النبي موسى عليه السلام أن يشرب حليبًا من امرأة إلا أمه. فدلت أخته قوم فرعون على أمهم، وهم غافلون عن صلتهم بالنبي موسى عليه السلام. وهكذا، أنجز الله تعالى وعده: بإرجاع النبي موسى عليه السلام سالمًا إلى أمه، وهي مهمة بدت مستحيلة. سورة القصص، الآية ١٢

"...ولقد منعنا عنه المراضع من قبل "

:وسورة طه الآية 40

"...وإذ ذهبت أختك فقالت هل أدلك على من يكفله فرددناك إلى والدتك كي تقر عينها ولا تحزن"

وكما ذكرنا آنفاً، ما دام الإنسان ثابتاً على طاعة الله تعالى، مثل أم النبي الكريم موسى عليه السلام، فإنه من خلال الحصول على حالة ذهنية وجسدية، سيحصل على راحة البال والمساعدة الإلهية في كل موقف حتى لو بدا هذا مستحيلاً في ذلك، متوازنة ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص بشكل صحيح في حياته الوقت.

ثم ذكر الله تعالى نعمة أخرى أنعم بها على النبي موسى عليه السلام، ليقوي عزمه على تحقيق رسالته. سورة طه، الآية 40

"وقتلتم نفساً فنجيناكم من الغم"

تدخل النبي موسى عليه السلام بين جندي مصري بدا أنه يظلم رجلاً بريئاً، فقتل الجندي المصري خطأ
:سورة القصص، الآيات ١٥-١٧

،ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان، رجل من شيعته، ورجل من عدوه " فاستغاث به رجل من شيعته على رجل من عدوه، فضربه موسى فقتله، قال :هذا من عمل الشيطان، إنه عدو

مضل مبين، قال :رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي، فغفر له، إنه هو الغفور الرحيم، قال :رب بما أنعمت علي
".فلن أكون ظهيراً للمجرمين

أول ما تجدر الإشارة إليه هو أن النبي موسى عليه السلام أقرّ بتسرعه عند التورط بذكر الشيطان، إذ يحثّ
في جامع الترمذي برقم الشيطان الناس دائماً على التسرع بدلاً من التروي قبل الفعل .وفي حديث ورد
٢٠١٢، بيّن النبي صلى الله عليه وسلم أن التأني من الله تعالى، وأن العجلة من الشيطان

هذا التعليم بالغ الأهمية، فكثيرٌ ممن يُكثرون من الأعمال الصالحة ينقص أجـرهم بالتعجل .فمثلاً، قد يتفوه
الإنسان بكلماتٍ مؤذية في لحظة غضب، مما قد يؤدي به إلى الهلاك يوم القيامة .وقد حدّر من هذا الخطر
حديثٌ صريحٌ في جامع الترمذي، رقمه ٢٣١٤

في الواقع، إن الغالبية العظمى من الذنوب والمصائب - كالنزاعات والصراعات والندم - تنشأ من تقصير
،الناس في التفكير ملياً، بل تسرعهم في التصرف .ومن علامات الذكاء الحقيقية التفكير قبل النطق أو الفعل
.فلا يُقدم المرء على فعل إلا وهو واثق من أن أقواله وأفعاله صالحة ومفيدة، سواء في أمور الدنيا أو الدين

،مع أنه لا ينبغي للإنسان أن يتأخر في فعل الخير، إلا أنه يجب عليه التروي قبل الإقدام عليه .فالعـمل المتسرع
دون استيفاء شروطه وآدابه، قد لا يُؤتي ثماره .ولذلك، لا يُقدم على أي أمر إلا بعد التروي

ومن سلك هذا النهج فإنه لا يقلل من ذنوبه ويزيد من طاعته لله تعالى فحسب، بل يقلل أيضاً من مصاعب
.الحياة التي تواجهه من جدال واختلاف ومشقات لا داعي لها

علاوة على ذلك، تحمّل النبي موسى عليه السلام مسؤولية خطئه، فتاب توبةً نصوحًا. فالتوبة الصادقة تُنجي الإنسان من وطأة الذنوب ومتاعبها. سورة طه، الآية 40

"وَقَتَلْتُمْ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكُم مِّنَ الْغَمِّ"

:سورة القصص 28 الآيات 16-17

إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم. قال رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيرًا رب للمجرمين.

التوبة الصادقة تقتضي الندم الصادق على الذنب، وطلب مغفرة الله تعالى، ومغفرة من ظلمه إن أمكن، شريطة ألا يؤدي ذلك إلى مزيد من الضرر. وهي تستلزم عزمًا راسخًا وصادقًا على عدم العودة إلى نفس الذنب أو ما شابهه، مع تصحيح أي حقوق انتهكت، سواءً الله تعالى أو للناس. وتتجلى التوبة الصادقة أيضًا في طاعة الله تعالى المستمرة، من خلال الاستخدام الصحيح لنعمه وفقًا للتعاليم الإسلامية. وهذا يُمكنهم من تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، وتقدير كل شيء وكل شخص في حياتهم تقديرًا صحيحًا، والاستعداد جيدًا، سورة طه. للمحاسبة يوم القيامة. وهذا السلوك يؤدي في نهاية المطاف إلى راحة البال في الدنيا والآخرة. الآية 40.

"وَقَتَلْتُمْ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكُم مِّنَ الْغَمِّ"

علاوة على ذلك، وعلى عكس إبليس، تحمّل النبي موسى عليه السلام مسؤولية خطئه. يجب على المرء الامتناع عن تبني عقلية التهرب من المسؤولية وإلقاء اللوم على الآخرين. أولئك الذين يرفضون الاعتراف بأخطائهم لن يتقدموا في شخصياتهم أبدًا؛ بل سيستمرون في إساءة استخدام النعم الممنوحة لهم. يؤدي هذا الإهمال إلى حالة من الخلل العقلي والجسدي، وسوء ترتيب الأولويات، والإهمال في الاستعداد للمحاسبة يوم القيامة. ونتيجة لذلك، سيواجه هؤلاء الأفراد التوتر والمشقة والصعوبة في الدنيا والآخرة، بغض النظر عن أي رفاهيات دنيوية زائلة قد يتمتعون بها. علاوة على ذلك، فإن رفض تحمل المسؤولية يمنع إحقاق حقوق الناس، وينشر الضرر والفساد في المجتمع. لن يقبل الله تعالى الأعذار وإلقاء اللوم أبدًا في الدنيا والآخرة. في الواقع، وكما هو مبين في القرآن الكريم، فإن الله تعالى لن يقبل حتى محاولات الناس نسب ذنوبهم إلى الشيطان، رغم جهوده المتواصلة لإضلالهم. سورة إبراهيم، الآية ٢٢:

وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فخنتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا "... أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم

مع أن الشيطان سيُحاسب حتمًا على ذنوبه، إلا أنه لا يمكن لأحد أن يُحمّله عبء ذنوبه. ذلك لأن الشيطان لا يملك سلطة إكراه أحد على الضلال، بل يقتصر دوره على توجيه الدعوة. ومن يقبلها طوعًا ويختار العصيان فلا يلومن إلا نفسه.

بعد حادثة مقتل الجندي المصري، اضطر النبي موسى عليه السلام إلى الهجرة من مصر خالي الوفاض، إذ أرادت السلطات المصرية قتله انتقامًا له. سورة القصص، الآيتان ٢٠-٢١:

وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى، قال يا موسى إن الملائمة يأمرون بك ليقتلوك، فاخرج منها إنني لك من الناصحين، فخرج منها خائفًا مترقبًا، قال رب نجني من القوم الظالمين

:وسورة طه الآية 40

"وبلغكم بلاءً شديدًا"

.لأن الدنيا دار ابتلاء، فينبغي على المرء أن يتجنب الجهل الذي يظن أنه لا ينبغي أن يواجه أي صعوبات فكل إنسان يُبتلى باليسر والشدة، كما ابتلي الأنبياء عليهم السلام، مع أنهم أحب عباد الله إلى الله تعالى .سورة الأنبياء، الآية 35:

"ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون"

فالإيمان الراسخ ضروري للمحافظة. للثبات على طاعة الله تعالى في كل الأحوال، لا بد من إيمان راسخ على طاعة الله تعالى في جميع الظروف، سواء أكانت مواتية أم صعبة. وينمو هذا الإيمان الراسخ من خلال الفهم الشامل والتطبيق العملي للتوجيهات والتعاليم الصريحة الواردة في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. فهذه التعاليم المقدسة تؤكد أن الطاعة الحقيقية لله تعالى تُكَلِّم بالسكينة والنجاح في الدنيا والآخرة. في المقابل، قد يعاني الأفراد الذين يفتقرون إلى الفهم العميق للمبادئ الإسلامية من ضعف الإيمان، مما يجعلهم أكثر عرضة للانحراف عن الأوامر الإلهية، وخاصةً عندما تتعارض الميول الشخصية مع التوجيه الديني. هذا النقص في المعرفة قد يحجب إدراك أن تغليب مشيئة الله تعالى على الشهوات هو السبيل إلى السلام الحقيقي الشامل في الدنيا والآخرة. لذا، من الضروري للأفراد تقوية إيمانهم بالسعي الدؤوب للمعرفة الإسلامية وتطبيقها، مما يضمن طاعة الله تعالى في جميع الأوقات. يشمل هذا الالتزام حسن استغلال

جميع النعم الممنوحة وفقاً للتعاليم الإسلامية، مما يؤدي في نهاية المطاف إلى راحة البال في الدنيا والآخرة من خلال الصحة العقلية والجسدية المثلى، وتحديد الأولويات الصحيحة لجميع جوانب الحياة. في حالة النبي الكريم موسى عليه السلام، لما ثبت على طاعة الله تعالى، مُنح الأمن والأمان وراحة البال في مدين، بعد هجرته من مصر. سورة طه، الآية 40

"...ولبثت في أهل مدين سنين ..."

كانت مراحل حياة النبي موسى عليه السلام كلها بمثابة تدريب له على تلقي رسالته النبوية وتحقيقها. سورة طه، الآية 40

"ثم جئت للموعد المعلوم يا موسى"

،بشكل عام، من المهم أن نفهم أن كل تجربة يمر بها الإنسان في هذه الدنيا، وخاصةً ما هو خارج عن إرادته كالمرض أو وفاة عزيز، قد أُختيرت له خصيصاً. هذه التجارب في المقام الأول اختبارٌ له: هل سيظل شاكراً لله تعالى في الرخاء وصابراً في الشدة؟ كما أنها بمثابة تدريبٍ نفسيٍّ له على تحمل مسؤوليات الحياة والتجارب المستقبلية التي سيواجهها. لذلك، يجب على الإنسان ألا يُركز على صعوبات الحياة، بل أن يتعلم منها الدروس اللازمة، ويتقدم إلى المرحلة التالية من حياته محافظاً على طاعة الله تعالى، مستخدماً النعم التي أنعم بها عليه كما وردت في التعاليم الإسلامية. ما دام الإنسان يتصرف بهذه الطريقة، فإنه سينتقل من مرحلة إلى أخرى خلال تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء وكل بأجرٍ وافر وراحة بال، من شخص في حياته على النحو الصحيح. لكن من يُكثر من التساؤل والنقد في المواقف المُقدَّرة التي يواجهها والتي هي خارجة عن إرادته، سيُسيء استخدام النعم التي وُهِبَتْ له لا محالة. ونتيجةً لذلك، سيقع في حالة نفسية وجسدية غير متوازنة، ويُسيئ تقدير كل شيء وكل شخص في حياته، ولن يُعَدَّ نفسه للحساب يوم القيامة كما ينبغي. وهذا بدوره سيُسبِّب له التوتر والمشقة والصعوبات في الدنيا والآخرة، حتى وإن بدا أنه يتمتع ببعض الرفاهية الدنيوية.

بالإضافة إلى ذلك، بما أن الله تعالى خلق الناس جميعاً، ورزقهم، وحاسبهم في الدنيا والآخرة، فليس لهم الحق في التذمر من اختياراته. سورة طه، الآية ٤١

"وخلقتك لنفسي"

:وسورة 51 الذاريات، الآية 56

"وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ"

قبل أن يعبد الإنسان الله تعالى، عليه أولاً أن يعرفه، إذ لا طاعة إلا بعلم. بل يجب على الناس أن يتعلموا كيفية عبادة الله تعالى قبل أن يتمكنوا من أداء هذا الواجب على الوجه الصحيح. فالعلم يسبق العبادة. ولذلك في حديث رواه ابن ماجه، رقم 224، صرح النبي صلى الله عليه وسلم بأن طلب العلم النافع فريضة على كل إنسان. فبدون علم، لا يمكن عبادة الله تعالى على الوجه الصحيح. بل إن بعض الأعمال بعلم خير من كثير من الأعمال الخاطئة بجهل. ولأن الله تعالى هو خالق البشر، فلا حق لأحد أن يُعبد ويُعبد سواه. فإذا فصل صاحب عمل موظفاً بسهولة لتقصيره في الواجبات التي وُظّف من أجلها، فكم بالأخطر ترك عبادة الله تعالى وخدمته، وهو وحده خالق الخلق ورازقهم؟ لقد مُنحت البشرية جميعاً حرية الإرادة والقدرة على طاعة سورة البقرة، الآية. الله تعالى وعبادته. ثم إنه لا يأمر بشيء فوق طاقة البشر، بل ما في متناول أيديهم فقط ٢٨٦:

«...لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا

لذا، على كل فرد أن يقرر في نهاية المطاف ما إذا كان يرغب في تحقيق الغاية من خلقه، فينال بذلك راحة البال والجسد الحقيقية في الدنيا، والتوفيق الأبدي في الآخرة، من خلال تحقيق حالة ذهنية وجسدية متوازنة ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في حياته على الوجه الصحيح. سورة النحل، الآية 97

"من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون"

في هذه الدنيا، يمنع هذا. أو قد يرفضونها ويتجاهلونها، فيُصِرُّون على إساءة استخدام النعم التي وُهِبَتْ لهم. السلوك الإنسان من تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، ويدفعه إلى إهمال كل شيء وكل شخص في حياته ونتيجةً لذلك، تصبح جميع جوانب وجوده - العائلة والأصدقاء والعمل والثروة - مصادر للتوتر بدلاً من الراحة. إذا أصرّوا على معصية الله تعالى، فإنهم يبدأون بإلقاء اللوم على الأسباب والأشخاص الخطأ، مثل الزوج/الزوجة، في اضطرابهم الداخلي. وعندما يقطعون علاقاتهم بمن هم في الواقع مصدر خير، تتفاقم حالتهم، ويغرقون في مزيد من عدم الاستقرار النفسي حتى يقعوا في الاكتئاب وإدمان المخدرات، بل وحتى الميول الانتحارية. وهذه النتيجة واضحة للعيان لدى من يُصِرُّون على إساءة استخدام النعم التي وُهِبَتْ لهم كالأثرياء والمشاهير، الذين رغم تمتعهم بالرفاهية الدنيوية، غالبًا ما يعانون من مشاكل نفسية عميقة. إن ضلالهم لا يحرمهم من راحة الدنيا فحسب، بل يمنهم أيضًا من الاستعداد للحساب يوم القيامة. ولذلك، سيكون: سورة طه، الآيات ١٢٤-١٢٦. عقابهم في الآخرة أشد بكثير

ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد
"كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى

وكما أن جهازاً مثل الهاتف المحمول، إذا فشل في تحقيق غرضه الأساسي يتم التخلص منه في النهاية، فإن الناس أيضاً سيتم التخلص منهم في هذا العالم وفي يوم القيامة في الجحيم إذا فشلوا في تحقيق الغرض الأساسي من وجودهم.

من الضروري إدراك أن العبادة هي طاعة الله تعالى، وهي استخدام النعم فيما يرضيه، كما بينه القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. وتشمل هذه الطاعة جميع نوايا العبد وأقواله وأفعاله، وتشمل الواجبات المفروضة عليه تجاه الله تعالى، كأداء الصلوات المفروضة، والواجبات تجاه خلقه، كمعاملة الناس بما يحب أن يعاملوه.

من خلال الحصول على حالة ذهنية وجسدية متوازنة، من أطاع الله تعالى، سيُمنح راحة البال في كلا العالمين بينما سيواجه أولئك الذين يعصونه أشد، ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص بشكل صحيح في حياتهم العقوبة في الدنيا والآخرة. في الواقع، في حديث سماوي مسجل في جامع الترمذي، رقم 2466، يروي النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى، الذي يعلن أنه إذا اشتغل الشخص بعبادته بطاعة خالصة سيملاً قلبه غنىً ويزيل فقره. ولكن إذا أعرض عن عبادته وطاعته، فإن الله تعالى سيملاً حياته بالمشاكل ولا يزيل فقره.

يجب أن يُلاحظ أيضاً أن الله تعالى غني عن خلقه. وكما هو واضح في حديث في صحيح مسلم، رقم 6572، فإن العباد لا ينفعون إلا أنفسهم بأعمالهم الصالحة، فإن هذه الأعمال الصالحة تؤدي إلى راحة البال في الدنيا والآخرة، ولا يضرّون إلا أنفسهم بذنوبهم، إذ سيُحاسبون عليها في الدنيا والآخرة. إن جلال الله تعالى ومكانته اللامتناهية لا يتغيران، سواء عبده الخلق أم لا. فهو وحده الخالق والرزاق، والناس عليه كل اعتماد. من أدرك هذه الحقيقة وأطاع الله تعالى بإخلاص، مستخدماً النعم التي أنعم بها عليه كما وردت في التعاليم الإسلامية من خلال تحقيق حالة نفسية وجسدية، فقد حقق الغاية من خلقه، ومنح راحة البال والجسد في الدنيا والآخرة متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في حياته على النحو الصحيح.

بعد أن زوّد الله تعالى النبيين موسى وهارون عليهما السلام بالعزيمة وعجائبه، أمرهما بدعوة فرعون إلى الهداية، إذ أصرّ على إساءة استخدام نعم الله تعالى عليه، كالسلطان، مما أدى إلى انتشار الفساد والظلم في أمته. سورة طه، الآيتان 42-43

"اذهب أنت وأخوك بآياتي ولا تنيا في ذكري واذهبا إلى فرعون إنه طغى"

ذَكَرَ الله تعالى كليهما بمفتاح النجاح وراحة البال في كلا العالمين :ذكر الله تعالى، والذي يتكون من ثلاث يتضمن المستوى الأول من ذكر الله تعالى التأمل الداخلي والصامت .وهذا يشمل الفعل الأساسي .مراتب لتصحيح النية بحيث تكون جميع الأعمال فقط لكسب رضى الله تعالى .المستوى الثاني هو ذكر الله تعالى لفظيًا، والذي يتحقق بالتحدث بطريقة ترضيه أو بالحفاظ على الصمت .كما ورد في حديث مسجل في صحيح مسلم، رقم 176، فإن الصمت عندما لا يكون لديك شيء جيد ليقوله يشكل عملاً فاضلاً وبالتالي فهو مكون من ذكر الله تعالى .إن الطريقة الأهم والأكثر فعالية لتقوية الرابطة الروحية مع الله تعالى هي الذكرى العملية من خلال المرء الأفعال .يتحقق ذلك بتنفيذ أوامره، واجتناب نواهيه، ومواجهة القدر بالصبر والثبات، اقتداءً بسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم .ومن يبلغ هذه الدرجة يستغل النعم التي أنعم بها عليه بما يرضي الله تعالى .إلا أن بلوغ هذه الدرجة يستلزم اكتساب العلم الشرعي وتطبيقه، فهو أساس كل خير وفلاح في الدنيا والآخرة .

من اقتصر على المستويين الأولين، سينال جزاءً حسنًا على ما قصد .ومع ذلك، فمن غير المرجح أن يزداد إيمانه وتقواه بشكل ملحوظ إلا إذا انتقل إلى المرتبة الثالثة، وهي أعلى مراتب ذكر الله تعالى .ومن نجح في من خلال تحقيق حالة ذهنية، تحقيق هذه المراتب الثلاثة، فقد وُعد براحة بال وجسد تامة في الدنيا والآخرة ،سورة الرعد . وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في حياته على الوجه الصحيح ،الآية 28:

"ألا بذكر الله تطمئن القلوب"

وسورة النحل الآية 97

"من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون"

على الرغم من أن فرعون كان ظالماً جائراً، مُعلنًا الألوهية، فقد أمر الله تعالى النبيين موسى وهارون عليهما السلام بدعوته إلى الهداية برفقٍ ومحبة. سورة طه، الآية 44

"فقل لا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى"

،يتجلى جمال الإسلام في اللطف. وقد أكد النبي محمد صلى الله عليه وسلم على هذه الصفة في أحاديث عديدة، منها حديث في سنن ابن ماجه، رقم 3689. ويشهد القرآن الكريم أن الصحابة، رضوان الله عليهم أجمعين انجذبوا إليه ورافقوه بمحبة للطفه ولطف خلقه. وقد برهنت شخصيته على أن القوة الحقيقية لا تكمن في سورة آل عمران. القسوة أو الشدة، بل في الرحمة والصبر والرفق، مما يلين القلوب ويوحى بالإخلاص
:الآية 159

"...فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك "

كان العرب معروفين بقسوة قلوبهم، ولكن بفضل رقة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، تحوّلت قلوبهم القاسية وباتباعهم لطفه، أصبحوا منارات هداية للبشرية. ولذلك حدّر النبي محمد صلى الله عليه وسلم في حديث رواه سورة آل عمران، الآية 103. أبو داود، برقم 4809، من أن من حرم الرفق حرم الخير كله

"واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا "

هذه رسالة واضحة للجميع بضرورة تبني عقلية لطيفة وبناءة، لا قاسية وهدّامة. ينبغي أن يكون هدفهم توحيد الناس والسعي لنفع الآخرين، لا إثارة الخلاف والانقسام في المجتمع. ويمكن ملاحظة مثال عملي على هذا المبدأ في تعامل المرء مع أبنائه. فالآباء الذين يتبنون نهجًا لطيفًا ورحيمًا تجاه أبنائهم يتركون أثرًا إيجابيًا عليهم أكبر بكثير من أولئك الذين يستخدمون القسوة والشدة

للأسف، يدفع بعض الأفراد، بقسوتهم، الناس بعيدًا عن الإسلام، مُخالفين بذلك سنن النبي محمد صلى الله عليه وسلم. ومن الأمثلة الواضحة على لطفه حادثة بال أعرابي غير متعلم في المسجد. فعندما أراد الصحابة رضوان الله عليهم جميعًا، أن يُعاقبوه، نهاهم النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وشرح له برفق آداب المسجد تُبيّن هذه الحادثة، الواردة في سنن ابن ماجه، رقم 529، كيف كان لأسلوبه اللطيف أثرٌ إيجابيٌّ في تغيير حياة الأعرابي.

وقد أكّد القرآن الكريم مرارًا وتكرارًا على هذه السمة الجوهرية للرفق. فعلى سبيل المثال، مع أن فرعون ادّعى غرورًا أنه الرب الأعلى، أمر الله تعالى النبيين موسى وهارون عليهما السلام بدعوته إلى الهداية بالكلام اللين واللين. وهذا يُبيّن أنه حتى في مواجهة الكبرياء والعداء الشديدين، كان الأمر الإلهي هو استخدام الرفق، لأنه من خلال لين اللسان ورحمة القلب تخترق الحقيقة وتتحوّل. سورة طه، الآيتان 43-44

"اذهبوا إلى فرعون إنه طغى فقولوا له قولاً ليئلاً لعله يتذكر أو يخشى"

يستجيب الأطفال، بل وحتى الحيوانات، فطرياً للغة الرفق. فكيف لا يُهدى البالغون إذا تبناوا هذه الصفة في دعوتهم إلى الإسلام والخير؟ ولذلك، أشار النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم في حديثٍ منشورٍ في صحيح مسلم، رقم 6601، إلى أن الله تعالى لطيفٌ رحيمٌ بجلاله، ويُحب أن يُعامل خلقه بعضهم بعضاً بالرفق. ولكن للأسف، يعتقد الكثيرون خطأً أن الرفق علامة ضعف. والحقيقة أن هذا ليس إلا خديعةً من الشيطان، يسعى إلى إبعاد الناس عن الإسلام بتشجيع القسوة والشدة بدلاً من الشفقة والرحمة.

كما كان فرعون يخشى دائماً فقدان قيادته ونفوذه، كان النبيان موسى وهارون عليهما السلام يخشيان أن يتسرع في الحكم دون أن يمنحهما فرصة لإثبات صدق رسالتهما. سورة طه، الآية 45

"قالوا ربنا إنا نخاف أن يعجل علينا"

عموماً، يجب على المرء تجنب التسرع في الأحكام، سواءً في الأمور الدنيوية أو الدينية. بل عليه تقييم كل موقف يواجهه بناءً على الأدلة والمعرفة، ثم اتخاذ قرار منطقيٍّ متوافق مع الأدلة والمعرفة، لا مع رغباته أو رغبات الآخرين. ولا سبيل إلى الهداية في الأمور الدنيوية أو الدينية إلا باتباع هذا المنهج

بالإضافة إلى ذلك، وكما خشي فرعون فقدان قيادته ونفوذه، خشي النبيان موسى وهارون عليهما السلام أيضاً أنه حتى لو منحهما فرصة إثبات صدق رسالتهما له، فإنه سيؤذيهما، حتى لو اقتنع برسالتهما، فيمنعهما من دعوة بقية المجتمع إلى الهداية. سورة طه، الآية 45

"قالوا ربنا إنا نخاف أن يعجل علينا أو أن يطغي"

ينشأ نمط ثابت عندما يتبنى الفرد مسارًا سلوكيًا مختلفًا عن المعايير الاجتماعية السائدة، وخاصةً المسار الذي يركز على التفاني لسلطة دينية عليا. يمكن لهذا الاختلاف، وخاصةً عندما يكون راسخًا في المبادئ الروحية أن يثير في كثير من الأحيان مشاعر عدم الارتياح أو عدم الكفاءة لدى المراقبين الذين قد تكون قراراتهم الخاصة موجهة في المقام الأول بميولهم الشخصية. غالبًا ما يؤدي هذا التنافر الداخلي إلى استنكار أو مقاومة خارجية، وهو ما يُصادف غالبًا في الدوائر الاجتماعية الحميمة للفرد، بما في ذلك الأسرة. لا يُعد هذا الاحتكاك بالضرورة حكمًا على صدق التزام الفرد، بل هو رد فعل على التحدي المتصور الذي يشكله الالتزام المنضبط لأسلوب الحياة المختار والقيم الراسخة للمجتمع المحيط. وبالتالي، غالبًا ما يواجه التفاني الراسخ للمبادئ الدينية مقاومة، بغض النظر عن النزاهة الأخلاقية والروحية لهذا الالتزام.

علاوة على ذلك، تفرض القوى الثقافية الحديثة، بما في ذلك الوسائط الرقمية، واتجاهات الموضة، والأعراف المجتمعية السائدة، ضغطًا كبيرًا على الملتزمين بقيم دينية معينة. ويُوصف أحيانًا الممارسة والترويج لمثل هذه المعتقدات بأنها عقبات أمام التقدم المهني، والقبول الاجتماعي، والقبول العام. علاوة على ذلك، قد تُقاوم المؤسسات والقطاعات التي تُنتقد من منظور ديني بشدة دمج مبادئها، مما يُثبط التمسك بها. وقد ساهمت هذه المقاومة بشكل واضح في تضخيم المشاعر الانتقادية أو العدائية، لا سيما عبر مختلف قنوات التواصل الرقمي والاجتماعي.

غالبًا ما يواجه أتباع الديانات التي تدعو إلى الاعتدال في الرغبات الشخصية والاستخدام الصحيح للنعم الممنوحة لهم، مواجهةً من أولئك الذين يندفعون في سلوكيات غير مقيدة، مدفوعةً بدوافع تُوصف بأنها حيوانية بحتة. يحاول هؤلاء الأفراد في كثير من الأحيان ثني الآخرين عن اعتناق الدين، مروجين بدلاً من ذلك لنظرة عالمية تحكمها الإشباع المطلق. غالبًا ما يركز النقاد على جوانب محددة وواضحة من الممارسة الدينية، مثل الزني الشرعي للنساء، في محاولة لتقويض مصداقية الدين وجاذبيته. ومع ذلك، يكشف التدقيق الدقيق عن سطحية هذه الاعتراضات، التي غالبًا ما تتبع من انزعاج أعمق من التركيز الديني على ضبط النفس. على

سبيل المثال، بينما قد يخضع الزي الديني لتدقيق مكثف، فإن الزي المؤسسي المماثل الذي يرتديه العاملون في مهن مثل إنفاذ القانون والجيش والطب والأوساط الأكاديمية أو الحياة العملية لا يحظى عادةً باعتراض يُذكر. يكشف هذا التركيز الانتقائي عن التناقض المتأصل ونقص المنطق الموضوعي في الانتقادات. في نهاية المطاف، إن العقائد الأساسية للدين وسلوك أتباعه المنضبط هي التي تثير المعارضة، مما يدفع المنتقدين. سورة طه، الآية 45. إلى تشويه الدين بوسائل مختلفة

"قالوا ربنا إنا نخاف أن يعجل علينا أو أن يطغي"

إن طاعة الله تعالى الثابتة أمرٌ بالغ الأهمية لغرس شعورٍ عميقٍ بالطمأنينة، وحمايةٍ من التأثيرات الخارجية، الضارة، حتى وإن لم تظهر هذه الحماية فوراً. هذا الثبات يضمن الاستخدام الأمثل لجميع النعم الممنوحة ويعزز التوازن النفسي والجسدي. كما يُمكن من تنظيم جميع جوانب الحياة على النحو الأمثل، مع الاستعداد في الوقت نفسه للحساب يوم القيامة. وهكذا، تُعزز الطاعة الطمأنينة في الدنيا والآخرة. وبالتالي، يُهدى الصابرون في جميع المواقف - سواءً أكانت سهلةً أم صعبةً - مما يُعزز السلام الداخلي، وينال ثواباً لا يُحصى، وعوناً إلهياً. سورة طه، الآية 46

"قال لا تخافا إني معكما أسمع وأرى"

:الطلاق 65 الآية 2 وسورة

"ومن يتق الله يجعل له مخرجاً"

لا بدّ من الاعتراف بأنّ التدخّل الإلهي لا يتوافق بالضرورة مع رغبات أو أهواء فردية. بل إنّ هذا العون يُمنح دائماً وفقاً لعلم الله اللامحدود وحكمته التامة. ولذلك، يُمنح هذا العون في أنسب الأوقات وأنسبها لكلّ: سورة البقرة، الآية ٢١٦. شخص، حتى وإن ظلّ سبب توقيته وطبيعته غامضاً عن الفهم البشري المباشر

"وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ..."

إنّ الحفاظ على هذا الثبات يستلزم تقوية الإيمان. فالإيمان القوي لا غنى عنه للبقاء مخلصين لله تعالى في جميع الأحوال، وينمو من خلال الفهم العميق والتطبيق العملي لتعاليم القرآن الكريم الواضحة وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. تُثبت هذه التعاليم المقدسة أن الطاعة الصادقة تُثمر سلاماً حقيقياً في الدنيا والآخرة في المقابل، فإن من يفتقرون إلى المعرفة بالمبادئ الإسلامية لديهم إيمان هش، مما يجعلهم أكثر عرضة للانحراف عن الطاعة، وخاصة عندما تتعارض رغباتهم مع التوجيه الإلهي. هذا النقص قد يُطمس إدراك أن التخلي عن رغباتهم لأوامر الله تعالى ضروري لتحقيق السلام الحقيقي. لذلك، من الضروري تقوية الإيمان من خلال اكتساب المعرفة الإسلامية وتطبيقها، وضمان استمرار طاعة الله تعالى. وباستخدام النعم وفقاً للتعاليم الإسلامية، يمكن للفرد تحقيق حالة متوازنة من العقل والجسم، وتنظيم جميع جوانب حياته على النحو الأمثل.

في المقابل، فإن تجاهل أوامر الله تعالى سعياً وراء رضا الآخرين يؤدي إلى فقدان السلام الداخلي. هذا السلوك يُعزز إساءة استخدام النعم، ويُسبب اضطراباً نفسياً وجسدياً، ويُشوّه الأولويات والعلاقات، ويُعيق الاستعداد الكافي للحساب يوم القيامة. وبالتالي، يؤدي هذا المسار إلى التوتر والضيق في الدنيا والآخرة، بغض النظر عن أي رفاهية مادية قد يمتلكها المرء.

لما كان بنو إسرائيل هم مسلمو عصرهم، فقد كانت مهمة النبيين موسى وهارون عليهما السلام تحريرهم من عبودية فرعون الذي عاملهم معاملة قاسية خوفاً من تمردهم عليه. سورة طه، الآية 47

"...فأتياه فقولا إنا رسل ربك فأرسل معنا بني إسرائيل ولا تعذبهم"

نشأ النبي موسى عليه السلام على يد فرعون لسنوات طويلة، وكان مقتنعًا بنبوته، إذ حافظ على صفاء أخلاقه رغم نشأته في بيئة فاسدة، تمامًا كما كان غير المسلمين في مكة على يقين من صدق النبي محمد صلى الله عليه وسلم، إذ عاشوا معه أربعين عامًا قبل إعلان نبوته. سورة يونس، الآية 16

"لأنني عشت بينكم عمرًا قبل ذلك. أفلا تعقلون؟..."

ورغم هذه الأدلة، كان النبيان موسى وهارون عليهما السلام على أهبة الاستعداد لإظهار الآيات المعجزة التي أنعم الله تعالى بها على النبي موسى عليه السلام، كدليل إضافي على نبوتهما. سورة طه، الآية 47

"...لقد جننا إليك بآية من ربك"

ثم دعوا فرعون وقادته إلى الهداية، التي تضمنت حسن استغلال نعم الله تعالى التي أنعم بها عليهم، ووعدوهم براحة البال في الدنيا والآخرة، من خلال تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، ووضع كل شيء وكل شخص في حياتهم على الوجه الصحيح. سورة طه، الآية 47

"والسلام على من اتبع الهدى ..."

مهما بلغ التقدم الذي قد يحققه أي مجتمع، ومهما اكتسب من معارف في مختلف المجالات، بما فيها، عمومًا الجوانب العقلية والجسدية للإنسان، يبقى من الصعب على البشرية صياغة قواعد سلوك تتوافق تمامًا مع الفطرة البشرية، وتستوعب جميع الظروف والأحوال والسيناريوهات المحتملة التي واجهتها طوال حياتها. هذا المسعى مستحيل أساسًا لأن البشرية تكشف باستمرار عن رؤى جديدة في مكونات محددة من الوجود البشري، مثل وظائف مناطق الدماغ المختلفة. وهذا يدل على أن الفهم الكافي لوضع قواعد سلوك سليمة تعزز الطمأنينة والعدل على المستوى الفردي والمجتمعي، هو الآن، وسيظل، بعيد المنال. الله تعالى وحده هو القادر على تحقيق ذلك، فهو خالق كل شيء، وعلمه لا حدود له، شامل للماضي والحاضر والمستقبل وهكذا، فهو وحده المستحق أن يُرسي للبشرية ميثاقًا للسلوك - معيارًا يُميز الخير عن الشر، والنافع عن الضار، ويُسهّل تحقيق راحة البال في حياةٍ مُرهقة. تُثبت الأدلة التاريخية بما لا لبس فيه أنه عندما طُبِّقت هذه الميثاق الإلهي بفعالية في حياة الأفراد، أدى ذلك إلى انتشار العدل والسلام في المجتمع. وبالتالي، يجب على الأفراد اعتناق ميثاق السلوك الإلهي الذي وُهبَ لهم، مُدركين أنه الأنسب لرفاهيتهم، حتى لو تعارضت بعض عناصره مع رغباتهم الشخصية. يجب أن يتصرفوا كمريض حكيم يُقرّر بالنصيحة الطبية التي يُقدمها طبيبه ويلتزم بها، مُدركين أنها في النهاية في مصلحتهم الفضلى، على الرغم من وصف أدوية غير مُريحة ونظام غذائي صارم.

ولكن بما أن طاعة الله تعالى غالبًا ما تتعارض مع رغبات الناس وطموحاتهم الدنيوية، فإن كثيرًا منهم في هذه الدنيا، يمنع هذا الموقف الفرد من يُصِرّون على معصيته بإساءة استخدام النعم التي أنعم بها عليهم بلوغ حالة نفسية وجسدية متوازنة، ويؤدي إلى ضياع أولوية وقيمة كل شيء وكل شخص في حياته. ونتيجةً لذلك، تصبح جميع جوانب وجوده - بما في ذلك الأسرة والأصدقاء والعمل والثروة - مصادر للتوتر بدلًا من إذا استمر الفرد في معصية الله تعالى، فإنه غالبًا ما يبدأ في إلقاء اللوم على الأسباب والأشخاص. الراحة، الخطأ، مثل الزوج/الزوجة، في اضطرابه الداخلي. وبتباعدهم عن أولئك الذين هم في الواقع مصادر للخير فإنهم لا يفعلون سوى تفاقم حالتهم، مما يزيد من تعرضهم لعدم الاستقرار النفسي حتى ينجسوا إلى الاكتئاب وإدمان المخدرات، وحتى الميول الانتحارية. هذه النتيجة السلبية واضحةٌ جليةٌ فيمن يُصِرّون على إساءة استخدام النعم التي وُهبوا بها، كالأغنياء والمشاهير الذين، رغم تمتعهم بالرفاهية الدنيوية، غالبًا ما يُعانون من مشاكل نفسية عميقة. فسلوكهم الضال لا يحرمهم من راحة البال في هذه الحياة فحسب، بل يمنعهم أيضًا

من الاستعداد الكافي للحساب يوم القيامة .وبالتالي، سيكون عقابهم في الآخرة أشدّ بكثير .سورة طه، الآية 48:

«لقد أوحى إلينا أن العذاب على من كذب وتولى »

لمنع الآخرين من قبول الإيمان، بدأ فرعون يجادل النبي موسى عليه السلام، ربما خوفاً من تمرد قومه إذا تجاهل رسالته وتجاهله .سورة طه، الآيتان ٤٩-٥٠:

"...قال فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه"

من المتعارف عليه والمقبول أن من يملك شيئاً له الحق في استخدامه كيفما يشاء .وبما أن الله تعالى خلق كل شيء في الكون، بما في ذلك الناس جميعاً، ويملكه ويديمه، فمن المنطقي أنه وحده من يحدد ما يجب وما لا يجب أن يحدث في الكون .لذا، من المعقول والعاقل أن يطيع الإنسان الله تعالى، فهو صاحب الملكية المطلقة للكون كله، بما في ذلك الإنسان نفسه

علاوة على ذلك، غالباً ما ينطوي مفهوم التطور على الطفرة، والتي، بطبيعتها، تنطوي على عنصر من النقص أو الصدفة .على العكس من ذلك، عندما نلاحظ الأنواع العديدة الموجودة، نجد أنها خُلقت بطريقة متوازنة تماماً لتزدهر في بيئتها الخاصة .على سبيل المثال، يُجسّد الجمل هذا التصميم المثالي، إذ صُمم بدقة لتحمل درجات الحرارة العالية والبقاء لفترات طويلة دون الحاجة إلى الماء .وهذا يجعله مُلائماً تماماً للحياة .سورة الغاشية، الآية 17 .في الصحراء

أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ؟

تُقدّم الماعز مثلاً آخر على التصميم المثالي، إذ إن تركيب جسمها دقيقٌ للغاية بحيث تُفصل الشوائب تماماً سورة النحل، الآية . عن الحليب الذي تُنتجه . وأي اختلاط بين المادتين سيجعل الحليب غير صالح للشرب
66:

وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها من بين فرث ودم لبنًا خالصًا سائغًا للشاربين

،منح كل نوع عمرًا محددًا، مما يمنع نوعًا واحدًا من التغلب تمامًا على الأنواع الأخرى . على سبيل المثال يتمتع الذباب بعمر قصير جدًا، عادةً ما يستمر من ثلاثة إلى أربعة أسابيع فقط، ومع ذلك فإنه يضع ما يصل إلى 500 بيضة . لو كان عمره أطول بكثير، لازداد تعداد الذباب بشكل غير متناسب، مما يجعله يتفوق على جميع الأنواع الأخرى في العالم . على العكس من ذلك، فإن المخلوقات الأخرى ذات العمر الطويل جدًا لديها القدرة على إنجاب عدد قليل فقط من النسل . هذا التفاوت في معدلات التكاثر يسمح أيضًا باعتدال تعدادها بشكل طبيعي . لا يمكن أن يُعزى التوازن الدقيق الواضح في هذه الاختلافات في دورة الحياة إلى مجرد صدفة، ولا يمكن لعملية التطور غير الموجه أن تفسر تمامًا هذا النظام والتصميم المتأصلين . سورة طه، الآية
50:

"قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى "

عندما يتأمل المرء الحيوانات التي لا تُحصى التي تسكن الأرض، وكلُّ منها مُهيأً على نحوٍ فريدٍ لطلب رزقه والحصول عليه دون أي تعليم رسمي، يُصبح ذلك دليلاً جلياً على حكمة الله تعالى وقدرته. فكلُّ مخلوق، من أصغر حشرة إلى أكبر حيوان، يُهدى في رزقه وبقائه بعلمٍ غرسه الله فيه. هذه الغريزة، سواءً تجلّت في هجرة الطيور عبر القارات، أو في أنماط صيد الحيوانات المفترسة، أو في بحث النمل عن الطعام، ليست وليدة الصدفة، بل هي قضاءٌ إلهي. وحتى لو جادل المرء بأن هذه المعرفة مُنطبعةٌ في شفرتها الوراثية، فإن هذا أيضاً يُشير بلا شكٍّ إلى يد الخالق والحافظ، الله تعالى. فمن، غير خالق الخلق، يستطيع أن يُضمّن هذا التوجيه الدقيق في جوهر الحياة؟ إن الشفرة الوراثية نفسها علامةٌ على براعةٍ إلهية، نصٌّ كتبه الخالق ليضمن لكلِّ مخلوقٍ أداءً دوره في توازن الوجود. علاوةً على ذلك، لا تمتلك الحيوانات القدرات العقلية العليا والتفكير، المجرد التي وهبت للبشر، ومع ذلك فهي قادرة على بناء هياكل معقدة ومُتقنة. فخلية النحل، وشبكة العنكبوت وأعشاش الطيور من عجائب الهندسة، صُممت كلُّ منها بدقة وهدف. ويلفت القرآن الكريم نفسه الانتباه إلى النحل، الآيتين 68-69 هذه الحقيقة في سورة:

وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلي من كل الثمرات"
..."فاسلكي سبل ربك ذلولا

تُبيّن هذه الأمثلة أن سلوك الحيوانات الغريزي ليس عشوائياً، بل هو إرشاد إلهي. فهي تتصرف وفقاً للدور الذي أوكله إليها خالقها، فلا تحيد أبداً عن منهجه الذي رسمه. في هذا درسٌ عميقٌ للبشرية: إذا كانت المخلوقات عديمة العقل والإرادة الحرة تخضع تماماً لإرادة الله تعالى، فكم بالحري ينبغي للبشر - الذين وهبوا العقل والمعرفة والاختيار - أن يجتهدوا في طاعته؟

وهكذا، يُصبح العالم الطبيعي حجرة دراسة واسعة لعلم اللاهوت، حيث يشهد كل طائر في الجو، وكل سمكة في البحر، وكل حشرة في مستعمرتها، على وجود الله تعالى وحكمته وعنايته. إن التأمل في هذه الآيات يُقوي الإيمان، إذ تُذكر المؤمن بأن الرزق والهدى والنظام إنما هو من عند الخالق. سورة طه، الآية ٥٠

"قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى "

من يُدبّر بعضًا من رزق غيره، كسكنه، يُستحق الشكر. وبما أن الله تعالى قد أنعم على البشرية بكل نعمة في هذا الكون، فمن العدل والإنصاف أن يُظهر الناس له الشكر باستمرار. شكر النية هو القيام بالأعمال لنيل رضى الله تعالى فقط، أما من يعمل لغير ذلك فلا ينال ثوابه، وقد ورد هذا التحذير في حديث جامع الترمذي رقم 3154. ومن علامات حسن النية عدم انتظار التقدير أو الجزاء من الناس. الشكر باللسان هو الكلام بالخير فقط، أو الصمت. وأخيرًا، الشكر بالأعمال هو استخدام النعم بما يرضي الله تعالى، كما ورد في القرآن الكريم وسنة النبي صلى الله عليه وسلم. الالتزام بهذه الأشكال من الشكر يؤدي إلى زيادة النعم، ويعزز راحة من خلال تحقيق حالة ذهنية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء وكل، البال في الدنيا والآخرة: سورة إبراهيم، الآية 7. شخص في مكانه الصحيح

لئن شكرتم لأزيدنكم

وبالمثل، عندما يُقرض شخص ما يملكه لشخص آخر، يُعْتَدُ بأنَّ المُقرضَ يستخدمه وفقًا لرغبة المالك. لقد منح الله تعالى كلَّ نعمةٍ يملكها الإنسان قرضًا، لا هبةً صريحةً. وكما هو الحال في القروض الدنيوية، يجب سداد هذا القرض الإلهي. والوسيلة الوحيدة لسداد هذا القرض هي استخدام هذه النعم بما يرضي الله تعالى. سورة الأعراف، الآية. وعلى العكس، لأنَّ بركات الجنة تُمنح هبةً، فإنَّ للأفراد حرية استخدامها كما يشاؤون 43:

"وقيل لهم: تلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون ..."

لذلك لا ينبغي للإنسان أن يخلط بين النعم الدنيوية التي تُمنح على سبيل القرض، وهدايا الجنة

سورة طه، الآية 50

"قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى "

من الضروري إدراك أن الله تعالى وحده يملك المعرفة اللازمة لضمان توازن الإنسان نفسيًا وجسديًا، ووضع كل شيء وكل شخص في حياته على الوجه الصحيح. إن معرفة المجتمع بعلم النفس والفسولوجيا البشرية رغم البحث المكثف، لن تكفي أبدًا لتحقيق هذه النتيجة. فالخبرة البشرية لا تستطيع حل كل تحدٍّ يواجهه الإنسان في الحياة، ولا تحميه من جميع أشكال التوتر، ولا تمكنه من تنظيم شؤونه بإنصاف وحكمة كاملتين. ويعود هذا القيد إلى القيود الكامنة في المعرفة البشرية، والخبرة، والبصيرة، والتحيزات التي تصاحبها حتمًا في المقابل، فإن الله تعالى وحده يملك المعرفة الكاملة، وقد أنزل الهداية على البشرية في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. ويتجلى هذا الحق عندما يلاحظ المرء الفرق بين من يستغلون نعمهم وفقًا للتعاليم الإسلامية ومن لا يستغلونها. لهذا السبب، يجب على الإنسان أن يتقبل التعاليم الإسلامية ويعمل بها لمصلحته، حتى لو تعارضت مع رغباته الشخصية. عليه أن يقتدي بالمريض الحكيم الذي يقبل نصيحة طبيبه مُدركًا أنها في مصلحته، حتى لو كانت أدوية مرّة أو نظامًا غذائيًا صارمًا. فكما ينال هذا المريض في النهاية صحة جيدة، كذلك من يقبل التعاليم الإسلامية ويعمل بها ينال العافية الحقيقية. ومع ذلك، هناك فرقٌ جوهري بين الاثنين. ففي أغلب الأحيان، لا يفهم المرضى علم الأدوية الموصوفة لهم، فيضعون ثقتهم العمياء في طبيبهم. مع ذلك، فإن الله تعالى لا يدعو الناس إلى الإيمان الأعمى، بل يدعوهم إلى التأمل في تعاليم الإسلام ليدركوا صدقها ويُقدّروا آثارها الإيجابية في حياتهم. إنه يريد من الناس أن يدركوا صدق هدايته من خلال الأدلة الواضحة، لا من خلال القبول الجاهل. وهذا يتطلب، مع ذلك، التعامل مع تعاليم الإسلام بعقل منفتح: سورة يوسف، الآية 108. وغير متحيز، بعيدًا عن التعصب والتكبر.

"...قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني"

لما عجز فرعون عن الاعتراض على أن كل مخلوق قد خُلِقَ وهُدَى على هدى تام، مُشيرًا بذلك إلى وحدانية الله تعالى، حاول ثني الآخرين عن اعتناق الإسلام، دين جميع الأنبياء عليهم السلام، بإغضابهم على النبي موسى عليه السلام. سورة طه، الآية 51

خَالَفَ الْأَوَّلِينَ فَمَادَا

أراد فرعون من النبي موسى عليه السلام أن يُعلن أن القرون السابقة ما دامت تُكفر بوحداية الله تعالى، فإنها ستدخل النار في الآخرة، مما يثبط عزيمة المستمعين لحديثهم عن قبول الحق، وذلك بإغضابهم، كما يُشير السلف إلى آبائهم. ومن البديهي أن من يُغضب يضيق به الطريق لقبول الحق، حتى لو كان مُقتنعا به. ولكن، لما فهم النبي موسى عليه السلام خطة فرعون، ذكر أجداد القوم الذين يستمعون لحديثهم بأسلوب غير مُسيء، مُحافظاً على الحق. سورة طه، الآية 52

"قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى "

،وقد دلت هذه الإجابة أيضاً على أن الله تعالى يملك أمرين ضروريين للمحاسبة: الأول القدرة على البعث وقد سبقت الإشارة إلى قدرة الله تعالى الخلقية، والثاني علمه بنوايا العباد وأقوالهم وأفعالهم، وهو علم لا يملكه إلا الله تعالى.

ثم يذكر نقاط أخرى تدل على وحدانية الله تعالى، وأنه وحده المستحق للطاعة في كل حال.

تتميز البيئة الأرضية للأرض بتكوين مُعَايير بدقة يسمح بزراعة المحاصيل وتشبيد المنشآت في آنٍ واحد يكشف مسحًا لتضاريس الكوكب المتنوعة عن اختلافات ملحوظة في الارتفاع. تُشكل المناطق المرتفعة، صعوباتٍ جوهريّةً لسكن البشر نظرًا لصعوبة الوصول إليها وانخفاض كثافة الأكسجين الجوي. ونتيجةً لذلك تقع الغالبية العظمى من التضاريس على ارتفاع مثالي، مما يُفيد النشاط البشري والاستيطان بشكل كبير. في حين أن بعض المناطق الجغرافية تُمثل صعوبةً كبيرةً في الوصول إليها بسبب خصائصها الطبيعية، مما يُعيق السفر واستغلال الموارد، فإن تصميم الأرض يُسهّل في المقام الأول سهولة الوصول لسكانها. علاوةً على ذلك، صُمم الكوكب بحيث تكون الموارد الطبيعية الأساسية لدعم الحياة متاحةً بسهولة للبشرية. وبشكلٍ أكثر تحديدًا، يبدو أن هناك علاقةً مباشرة بين أهمية الموارد لبقاء الإنسان وسهولة الوصول إليها. من غير المرجح أن تكون هذه الخصائص الكوكبية المعقدة والمفيدة، وما شابهها، نتيجةً للصدفة، مما يُشير بقوة إلى وجود خالقٍ مُتعمد. سورة طه، الآية 53

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ هَدًارًا وَجَعَلَ لَكُم فِيهَا سُبُلًا هُودًارًا﴾

يُعتدل دوران الكوكب المستمر والسريع بوجود الجبال، التي تعمل كمثبتات جيولوجية أو أوتاد، مما يُهيئ في سورة النحل، الآية 15. نهاية المطاف الظروف اللازمة لازدهار الحياة على الأرض

"وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ"

تؤدي السلاسل الجبلية دورًا محوريًا في الدورة الطبيعية، إذ تُعدّ أنظمةً أساسيةً للاحتفاظ بالترسيب الحمضي وتنقيته، مما يجعل المياه صالحةً للاستهلاك الزراعي والشرب من قِبَل البشر والحيوانات على حدٍ سواء.

علاوةً على ذلك، تُمثّل مصدرًا ثابتًا للمياه العذبة النقية التي تُغذي باستمرار أنهار وجداول الكوكب الموزّعة:
سورة الرعد، الآية 3. استراتيجيًا

"وجعلنا فيها رواسي وأنهارًا"

كثيراً ما يُستشهد بالتوازن الدقيق لدورة المياه كدليل قوي على وجود خالق مُدبّر. تتضمن هذه العملية تبخر مياه البحر، ثم تكثفها، وتكوين أمطار حمضية. ثم تعمل الجبال على معادلة هذه الحموضة، مما يجعل المياه صالحة للاستخدام. ويؤكد أن أي خلل جوهري في هذا النظام المُعابر بدقة سيؤدي حتماً إلى نتائج كارثية على الحياة الأرضية. إضافةً إلى ذلك، يُنظر إلى كمية الأمطار على أنها مُنظّمة بدقة؛ فقلة الأمطار تُسبب: سورة طه، الآية 53. الجفاف والمجاعة، بينما تؤدي غزارة الأمطار إلى فيضانات واسعة النطاق

"...وأنزل من السماء ماءً..."

:وسورة المؤمنون، الآية 18

"ولقد أنزلنا من السماء ماءً بقدرٍ فأسكناه في الأرض وإنا على ذهابٍ به لقادرون"

خُلقت الأرض لتسهيل إنتاج أنواع متنوعة من القوت لجميع الكائنات الحية. وتظل عملية إحياء بذرة خاملة: سورة طه، الآية 53. فوق قدرة الإنسان، مما يُقدم دليلاً واضحاً على سلطة الخالق وسيطرته

"وأنتجت بذلك فئات من النباتات المختلفة ..."

يُلفت القرآن الكريم الانتباه إلى ظاهرة طبيعية عميقة: كيف أن التربة نفسها، التي تتغذى من مصدر مائي: سورة الرعد، الآية 4. واحد، تُنتج مع ذلك محاصيل زراعية وثمارًا ذات صفات أو مذاق مختلف تمامًا

و في الأرض قطع متجاورات و جنان من أعناب و زرع و نخيل متعدد من أصل و غير أصل يسقى بماء"
"...واحد و نفضل بعضهم على بعض في الثمر

إن التباين في الجودة الذي نلاحظه حتى بين ثمار شجرة واحدة يثبت أن النتيجة النهائية تتحدد من خلال عوامل خارج الممارسات الزراعية القياسية.

يُحسن التوقيت الدقيق وتفاوت مدة الليل والنهار على مدار العام لتحقيق أقصى فائدة للإنسان. فإذا طالت الأيام أكثر من اللازم، عانى البشر من الإرهاق. وعلى العكس، إذا طالت الليالي، فلن يكفي الوقت المتاح للأنشطة الأساسية ككسب الرزق واكتساب المعرفة. وإذا قُصِّرت الليالي، تضررت الراحة اللازمة للصحة المثلى علاوة على ذلك، فإن التغيرات في طول الليل والنهار النسبي ستؤثر سلبيًا على دورات المحاصيل، مما يؤثر سلبيًا على موارد الرزق المتاحة لكل من البشر والحيوانات. سورة طه، الآية 54

"كلوا منها وارعوا أنعامكم"

يُقدِّم العمل المتناغم والدقيق للأيام والليالي وغيرها من الأنظمة المتوازنة في الكون كدليل واضح على وحدانية الخالق: الله تعالى. ويشير الأساس المنطقي إلى أن وجود آلهة متعددة سيؤدي حتمًا إلى تضارب الرغبات، ومن ثم إلى فوضى أو اضطراب في الكون. سورة الأنبياء، الآية ٢٢

"وَلَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا"

وسورة طه الآية 54

"إن في ذلك لآيات لأولي الألباب ..."

عندما يتأمل المرء الكون، تتجلى له أمثلة لا تُحصى على التوازن. فالأرض، على سبيل المثال، تقع على مسافة متوازنة تمامًا من الشمس؛ ولو كانت أقرب أو أبعد قليلًا، لما كانت الحياة مستدامة. وبالمثل، فإن دورة المياه - حيث يتبخر الماء من المحيطات، ويتكثف في الغلاف الجوي، ويعود مطرًا - متوازنة بدقة لضمان استمرار الحياة على الأرض. الأرض نفسها خُلقت بطريقة متوازنة: لينة بما يكفي لاختراق البراعم الهشة ونموها لتصبح محاصيل، وفي الوقت نفسه صلبة بما يكفي لتحمل وزن الهياكل الثقيلة. هذه الأمثلة، وغيرها الكثير، لا تشهد فقط على وجود خالق، بل تشهد أيضًا على مبدأ التوازن الذي يحكم خلقه.

ومع ذلك، وسط هذا التناغم، يُلاحظ اختلالٌ صارخٌ في أفعال البشر. فكثيرًا ما يفلت الظالمون والطغاة من العقاب في الدنيا، بينما يكابد المظلومون الشدائد دون جزاء. كثيرٌ من المسلمين الذين يطيعون الله تعالى بإخلاص، يواجهون البلاء والصعوبات، فلا ينالون إلا جزءًا من ثوابهم في الدنيا، بينما ينعم من يعصيه جهازًا بنعيم الدنيا. وكما أن الله تعالى قد أرسى التوازن في النظام الطبيعي، فكذلك يجب أن يكون هناك توازنٌ في ثواب وعقاب أفعال البشر. وبما أن هذا التوازن لا يتحقق كاملاً في الدنيا، فلا بد أن يتحقق في زمانٍ آخر، ألا وهو يوم القيامة.

كان الله تعالى ليُجازي ويُعاقب في الدنيا جزاءً وفيرًا، ولكن من حكمته أنه يُتيح للناس فرصًا مُتكررة للتوبة وإصلاح أخلاقهم. كذلك لا يُجازي المؤمنين جزاءً وفيرًا، فالدنيا ليست جنة. علاوة على ذلك، فإن الإيمان بالغيب - ولا سيما الجزاء الكامل الذي ينتظر المؤمنين في الآخرة - ركنٌ أساسي من أركان الإيمان. بل إن هذا العنصر الغيبي هو ما يُضفي على الإيمان ميزته الحقيقية، فالإيمان بما يُدرك بالحواس لا يُشكل إيمانًا خاصًا.

وهكذا، فإن الخوف من العقاب التام والرجاء في جزاء الآخرة التام يُشكلان دافعين قويين، يشجعان المؤمنين على الامتناع عن المعاصي وفعل الصالحات. ولكن لكي يأتي يوم الجزاء، لا بد أن ينتهي هذا العالم المادي إذ لا يُقاس الثواب والعقاب إلا بعد انتهاء أعمال الناس. وتشير هذه الضرورة إلى أن العالم سيصل إلى نهايته لا محالة، ممهدًا الطريق للحساب الأخير.

إن التأمل في هذه الحقائق يُقوّي الإيمان بيوم القيامة، ويُلهم الاستعداد له. ويكمن هذا الاستعداد في استخدام نعم الله تعالى، وفقًا للقرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. وبذلك، يضمن الإنسان راحة البال في الدنيا، والتوفيق الدائم في الآخرة، من خلال تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل (سورة الجاثية، الآية ٢٢). شيء وكل شخص في حياته على الوجه الصحيح.

"وخلق الله السموات والأرض لحكمة، لتُجزى كل نفس ما اكتسبت، وهم لا يُظلمون".

وسورة طه الآية 55

"من الأرض خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى"

علاوة على ذلك، فإن إنكار إمكانية إحياء البشر يوم القيامة ادعاء غير منطقي، إذ تُشاهد أمثلة عديدة على الإحياء على مدار الأيام والشهور والسنين. يُحيي الله تعالى الأرض القاحلة بهطول الأمطار، مُنبِثًا البذور الميتة مُحْيِيَةً لتوفير القوت لخليقته. وبالمثل، فهو قادر وسيُحيي الإنسان - مُشَبِّهًا بالبذرة - المدفونة في الأرض، تمامًا كما يُخرج البذرة الميتة إلى نبات حي. كما أن تغير الفصول علامة واضحة على الإحياء. ففي الشتاء، تذبل أوراق الأشجار وتتساقط، فتبدو وكأنها بلا حياة، ومع حلول الربيع تعود إلى كامل حيويتها. والإحياء واضح أيضًا في جسم الإنسان نفسه، حيث تموت الخلايا وتُستبدل باستمرار، مثل تجديد خلايا الجلد حتى دورة النوم والاستيقاظ اليومية تُذكرنا بهذه الحقيقة. يُوصف النوم بأنه "شقيقة الموت"، إذ تُعطل حواس النائم، فيعيد الله تعالى الروح إلى الجسد إذا قدر له البقاء، فيُحييه من جديد. هذه الآيات المتكررة في الخلق ليست محض مصادفات، بل هي تذكير مقصود بحقيقة البعث، مؤكدةً أن من يُحيي الأرض، ويُجدد سورة الزمر، الآية 42. الجسد، ويُوقظ النائم، قادرٌ على إحياء البشرية للحساب يوم القيامة

الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى "أجل مسمى إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون"

وسورة طه الآية 55

"من الأرض خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى"

كما هو مبين في حديث مسجل في صحيح مسلم، رقم 7232، من مات في حالة جيدة -أي في طاعة الله تعالى، بالاستخدام الصحيح للنعم التي منحها وفقاً للتعاليم الإسلامية- سيُبعث في حالة جيدة. في الواقع، فإن الطريقة التي يموت بها الشخص هي انعكاس للحياة التي عاشها. وبالتالي، إذا عاش المرء في طاعة الله تعالى، من خلال الوفاء بأوامره بإخلاص، والامتناع عن نواهيه، ومواجهة القدر بالصبر وفقاً لأحاديث النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، فإن مثل هذا الشخص سيموت في حالة جيدة ويبعث في حالة جيدة. وهذا سنن أبي يشمل البعث مع الصالحين، حيث اتبعوا خطواتهم عملياً. ويدعم هذا المبدأ أيضاً حديث موجود في وعليه، فلا ينبغي للإنسان أن يسلك طريق النار بمعصية الله تعالى، وإساءة استخدام النعم. داود، رقم 4031 التي أنعم بها عليه، متوهمًا أنه سيُبعث صالحًا ويلحق بالأتقياء في الجنة. فهذا الاعتقاد خداع للنفس، فالبعث :سورة طه، الآيات ١٢٤-١٢٦. يعكس حقيقة الحياة، ولا يُبعث إلا من عاش في طاعة

ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد
"كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى"

:وسورة طه الآية 55

"من الأرض خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى"

تُسَلِّط هذه الآلية الضوء أيضًا على قصر الحياة الدنيا، إذ تُغفل أي ذكر للحياة على الأرض، وتُشير فقط إلى الخلق والموت والبعث. وهذا يُذكرنا بأنه لا ينبغي أن يندفع المرء بالأمال الكاذبة بطول العمر، لأن هذه الأوهام تُؤدي إلى التقصير في طاعة الله تعالى، والاستعداد للموت والحساب يوم القيامة. إن تأملًا بسيطًا في كيفية قضاء المرء لأربع وعشرين ساعة يوميًا في المتوسط - كم يُكرّس من وقته للمساعي الدنيوية مقابل الاستعداد للآخرة - يكشف هذه الحقيقة بوضوح. في الواقع، يُعدّ الأمل الكاذب بطول العمر من أكثر الأسلحة فعالية التي يستخدمها الشيطان لتضليل الناس. يعتقد الكثيرون أنهم سيعيشون طويلًا، ويؤجلون الاستعداد للآخرة، متوهمين أنهم سيحضرونها في المستقبل القريب. ومع ذلك، في معظم الحالات، لا يأتي هذا "المستقبل القريب" أبدًا، ويصل الموت وهم غير مستعدين.

الأمل الكاذب يدفع المرء أيضًا إلى تأجيل التوبة الصادقة ومحاولة إصلاح نفسه، مُقنعًا إياه بأن الوقت لا يزال كافيًا. إنه يشجع على اكتناز الممتلكات الدنيوية، كالثروات، وهما بالحاجة إليها في حياة دنيوية طويلة يُثير الشيطان الخوف من الفقر في الكبر، مُوهماً الناس بضرورة جمع ثروة طائلة للبقاء على قيد الحياة عندما يعجزون عن العمل. ينسون أن الله تعالى رزقهم في شبابهم، وسيرزقهم في كبرهم أيضًا. في الواقع، قُدِّر رزق الخلق جميعًا قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف عام، كما ورد في حديث صحيح مسلم رقم 6748. ومن اللافت للنظر أن كثيرين يُكرّسون عقودًا - أحيانًا أربعين عامًا أو أكثر - للادخار لتقاعد نادرًا. 6748. ما يتجاوز العشرين عامًا، ومع ذلك يُخفقون في الاستعداد بنفس القدر للآخرة الأبدية.

لا يُثني الإسلام عن الاستعداد لحاجات الدنيا، ولا يُحرّم الادخار للمستقبل. ومع ذلك، يجب ألا يُطغى هذا، الاستعداد على واجب إعطاء الأولوية للآخرة. فبينما يُسلم معظم الناس بأن الموت قد يأتي في أي لحظة يعيش كثيرون كأنهم سيخلدون في هذه الدنيا. بل لو وُعدوا بالحياة الأبدية على الأرض، لما استطاعوا جمع كل ما يشتهون، إذ تقيدهم حدود الليل والنهار. مات عدد لا يُحصى من الناس أبكر مما كان متوقعًا، ولكن كم من قليلين هم الذين يُحسنون التصرف وفقًا لذلك؟

في الحقيقة، إن من أعظم الآلام التي يعانيها الإنسان عند الموت وفي مراحل الآخرة الندم الشديد على تأخير الاستعداد للخلود. سورة المنافقون، الآيتان ١٠-١١

وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكون من الصالحين ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون

يُعتَبَر المرء، بحق، أحمقاً إن استثمر وقتاً ومالاً أكثر في منزلٍ سيسكنه لفترةٍ وجيزة، بينما أهمل المنزل الذي كان ينوي الإقامة فيه طويلاً. وهذا مثالٌ واضحٌ على تفضيل الحياة الدنيا على الحياة الآخرة

يُشَجِّع الناس على السعي وراء حاجتي الدنيا والآخرة، مع العلم أن الموت لا يأتي في وقت أو ظرف أو عمر يعلمه أحد، ولكنه آتٍ لا محالة. لذا، فإن الاستعداد للموت وما يليه يجب أن يُقدَّم على الاستعداد لمستقبل دنيوي. طه، الآية 55 قد لا يأتي أبداً. سورة

"من الأرض خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى"

،على الرغم من الآيات الكثيرة الدالة على وحدانية الله تعالى، وأهمية طاعته والاستعداد للحساب يوم القيامة إلا أن كثيراً من الناس، مثل فرعون، يرفضون طاعة الله تعالى ويتجاهلون، لأنها تتعارض مع رغباتهم الدنيوية. سورة طه، الآية 56

ولقد أرينا فرعون آياتنا كلها فكذب وأبى

لما نشأ النبي موسى عليه السلام في قصر فرعون، كان فرعون وكبار حكومته يدركون تمامًا نزاهته وصدقه الفائقين. ولأنهم كانوا رجالًا متعلمين، أدركوا أيضًا أن سلوكه لا يشبه سلوك من يُصاب بالسحر. كانوا على يقين بأن المعجزات التي أظهرها لم تكن من وحي السحر.

علاوة على ذلك، لو كانوا يعتقدون حقًا أن آياته مجرد سحر، لما خافوا من فقدان سلطانهم وقوتهم، لأن السحر الذي اعتادوه كان يخدع الأبصار فقط ولا يغير الحقيقة. إن خوفهم المعلن من فقدان الثروة والنفوذ دليل في حد ذاته على تصديقهم لمعجزات النبي موسى عليه السلام. سورة النمل، الآيتان ١٣-١٤

فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين وكذبوها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً فانظر كيف كان "عاقبة المفسدين"

فكان اتهامهم له بالسحر ليس إلا محاولة مقصودة لثني الناس عن قبوله واتباعه.

علاوة على ذلك، لو كانوا يعتقدون حقًا أنه ساحر، لتمكنوا من إعدامه فورًا وإنهاء الأمر. إن رفضهم ذلك: سورة طه، الآية 56. يدل بوضوح على خوفهم من عقاب الله تعالى إن حاولوا إيذاء نبيه صلى الله عليه وسلم.

ولقد أرينا فرعون آياتنا كلها فكذب وأبى.

تحقيق التوازن النفسي والجسدي بشكل عام، من يُصرّ على معصية الله تعالى بإساءة استخدام نعمه، يُعيق ويُسيء تقدير قيمة وألوية الناس والممتلكات. ونتيجةً لذلك، تُصبح جميع جوانب حياته - بما في ذلك الأسرة، والصدقات والعمل والثروة - مصادر ضغط نفسي كبير. وإذا استمرّ في التصرف بمخالفة أوامر الله تعالى فسُيعزى هذا الضغط إلى غيره، مما يدفعه غالباً إلى إلقاء اللوم ظلماً على الآخرين، كالزوج مثلاً، على صعوباته. إن قطع العلاقات مع هؤلاء الأشخاص المفيدون لا يؤدي إلا إلى تفاقم الاضطرابات النفسية القائمة، وقد تصل إلى الاكتئاب الحاد، وإدمان المخدرات، وحتى الميول الانتحارية. وتتجلى هذه النتيجة عند ملاحظة أولئك، وخاصةً الأثرياء والمشاهير، الذين يُسيئون استخدام النعم التي أنعم الله عليهم بها، رغم تمتعهم بملذات الدنيا. وعلاوة على ذلك، لأن هذا الموقف السيئ يمنع من الاستعداد الجيد للحساب يوم القيامة، فإن عقوبتهم الناتجة في الآخرة ستكون أشدّ بما لا يقاس.

عندما يتبنى الفرد سلوكاً ينحرف عن المعايير المتعارف عليها في جماعته، وخاصةً تلك القائمة على مراعاة أوامر الله تعالى، فإن هذا الاختلاف غالباً ما يُؤدّ مشاعر عدم الارتياح أو عدم الكفاءة بين رفاقه. وتتجلى هذه الظاهرة بوضوح عندما تكون خيارات الرفاق مدفوعةً بشهوات دنيوية. وقد يتجلى هذا الصراع الجوهري خارجياً في صورة انتقاد أو معارضة، غالباً ما تنشأ داخل دوائر علاقات مباشرة، مثل الوحدات الأسرية ولا تُشكل ردود الفعل هذه بالضرورة حكماً على صدق إيمان الفرد أو استقامته، بل على التحدي المُتصوّر الذي يُمثله لأنماط الحياة والقيم السائدة في محيطه. ونتيجةً لذلك، غالباً ما يُقابل الولاء الراسخ للمبادئ الدينية بالمقاومة، حتى عندما يكون هذا الالتزام سليماً في جوهره من الناحيتين الأخلاقية والروحية.

، علاوة على ذلك، تُشكّل القوى الثقافية المعاصرة - بما في ذلك وسائل التواصل الاجتماعي، والموضة السائدة والثقافة - ضغوطاً كبيرة على الساعين إلى الحفاظ على تعاليم الإسلام. ويُعتبر الالتزام بالإسلام والترويج له، أحياناً، عائقاً أمام الإنجاز المادي، والتقدير الاجتماعي، والقبول الشعبي الواسع. وقد تُعارض المؤسسات والقطاعات التجارية التي تُواجه انتقادات من منظور إسلامي بشدة دمج مبادئه، مما يُثني عن الالتزام الديني وقد ساهمت هذه المعارضة بشكل كبير في انتشار المشاعر المعادية للإسلام، لا سيما عبر المنصات الرقمية. ووسائل التواصل الاجتماعي.

كثيراً ما يواجه أتباع الإسلام - الذين يدافعون عن حسن استخدام النعم - عداءً ممن يعيشون حياةً خاليةً من القيود، مُطلقين العنان لنزواتٍ تُصنّفها العقيدة الإسلامية على أنها حيوانية. قد يسعى هؤلاء الأفراد إلى ردع

الآخرين عن اعتناق الإسلام، مُنادين بدلاً من ذلك بحياةٍ تحكمها الشهوات الجامحة .عادةً ما يُركز المُنتقدون على جوانب مُحددة من الممارسات الإسلامية، مثل قواعد اللباس الشرعي للنساء، في محاولةٍ لتقويض سلطتها وأهميتها .ومع ذلك، يُمكن للمراقبين المُتبصرين أن يُدركوا بسهولة سطحية هذه الاعتراضات، التي تتبع أساساً من انزعاجٍ أعمق من تركيز الإسلام على الانضباط وضبط النفس .على سبيل المثال، بينما كثيراً ما يخضع اللباس الإسلامي لتدقيقٍ غير مُبرر، لا يُوجد اعتراضٌ مُقابل يُذكر على الزي الرسمي المُفروض في مجالاتٍ مثل إنفاذ القانون، والجيش، والرعاية الصحية، والتربية، أو بيئات الشركات .يكشف هذا النمط من النقد الانتقائي عن التناقض الكامن وافتقار هذه الحجج إلى أساسٍ منطقي .في نهاية المطاف، إن مبادئ الإسلام الجوهرية وسلوك أتباعه المنضبط هي التي تُثير المعارضة، مما يدفع المنتقدين إلى الإساءة إلى الدين بوسائل شتى .سورة طه، الآية 57

"قال أجنّتنا لخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى؟ "

رغم أن النبيين موسى وهارون عليهما السلام أوضحا منذ البداية أنهما لا يريدان سوى تحرر بني إسرائيل من عبودية فرعون، وأنهما قد قدما له ولقومه الهدى دون إجبارهم على قبوله، إلا أن فرعون اتهم النبي موسى عليه السلام بادعاء النبوة من أجل القيادة والسلطة، وذلك لثني الآخرين عن قبول رسالته .سورة طه، الآية 57:

"قال أجنّتنا لخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى؟"

خلص فرعون إلى أن السبيل الوحيد لنقض معجزات النبي موسى عليه السلام وعرقلة مهمته هو إقامة عرضٍ علني .وباستخدامه السحرة لخداع أعين الناس، سعى إلى إقناعهم بأن السلطة والحكم الحقيقيين بيده لا بيد الله .تعالى، إله النبي موسى عليه السلام .سورة طه، الآية 58

"ثم لنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا أنت مكانا معلوما "

.ولكن لما توكل النبي موسى عليه السلام على الله تعالى، رغب في مواجهة علنية لهداية العامة إلى الحق
:سورة طه، الآيتان ٥٩-٦٠

"قال موعدكم يوم العيد حين يتجمع الناس بالغدو، فانطلق فرعون فجهر أمره ثم جاء "

قبل أن تقع المواجهة بين النبي موسى عليه السلام وسحرة فرعون، حذّره النبي موسى عليه السلام من
:الطعن في الأدلة الواضحة التي أنزلها الله تعالى عليه .سورة طه، الآية 61

قال موسى للسحرة الذين دعاهم فرعون :ويلكم لا تفترون على الله الكذب فيستأصلكم عذابًا وقد خسر من
".يفتري

عمومًا، قد يحدث هذا عندما يتبنى المسلمون ممارسات لا تستند إلى مصدري الهداية :القرآن الكريم وسنة
كلما اعتمد المرء على مصادر المعرفة الدينية غير المصدرين الأصليين .النبي محمد صلى الله عليه وسلم
للهداية - القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم - حتى لو بدت هذه المصادر مشجعة على
العمل الصالح، قلّ التزامه بالهدى الحق .وهذا يؤدي حتمًا إلى الضلال .ولذلك، حذّر النبي محمد صلى الله
عليه وسلم في حديث رواه أبو داود برقم 4606 من أن كل أمر لا يستند إلى هذين المصدرين سيرفضه الله
تعالى .علاوة على ذلك، كلما اعتمد المرء على مصادر المعرفة الدينية الأخرى، زاد احتمال تبنيه ممارسات
،تتعارض مع تعاليم الإسلام .وهكذا بالضبط يُضللّ الشيطان الناس - تدريجيًا، خطوة بخطوة .على سبيل المثال

عندما يواجه الشخص صعوبات، قد يُنصح بممارسة بعض التمارين الروحية التي تتعارض مع التعاليم الإسلامية. إذا كان هذا الشخص جاهلاً ومعتاداً على اتباع مصادر غير موثوقة، فسيقع بسهولة في هذا الفخ ويتبع ممارسات تتعارض مباشرة مع الإسلام. مع مرور الوقت، قد يبدأ في الاعتقاد بمعتقدات عن الله تعالى والكون تتعارض مع أسس الإسلام ذاتها - مثل الاعتقاد بأن الناس أو الكائنات الخارقة للطبيعة قادرة على التحكم في مصيرهم. تنشأ هذه المعتقدات لأن معرفتهم مستمدة من خارج المصدرين الأصليين للهداية. بعض هذه الممارسات والمعتقدات ترقى إلى مستوى الكفر الصريح، مثل ممارسة السحر الأسود، وهو محرم بشكل: سورة البقرة، الآية 102. قاطع في الإسلام

وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت...
"...وما هاروت. وما يعلمان أحداً حتى يقولوا إنما نحن فتننة فلا تكفر

:وهكذا، قد يفقد المسلم إيمانه دون أن يشعر إذا اعتاد العمل بمصادر المعرفة الدينية غير المصدرين الأصليين القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. ولذلك، فإن الانخراط في البدع الدينية التي لا تستند إلى هذين المصدرين هو في الواقع اتباعاً لخطى الشيطان، إذ يسعى إلى إبعاد الناس تدريجياً عن الصراط: سورة البقرة، الآية 208. المستقيم، وتزيين الباطل بزي الحق حتى يبتعدوا عن هدى الله تعالى

يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين

علاوة على ذلك، فإن اتباع المرء لممارسات لا تستند إلى هذين المصدرين سيؤدي حتماً إلى تشجيع غيره من الجهال على اتباعه، مما يؤدي إلى إهمالهم هذين المصدرين، مما يؤدي في النهاية إلى ضلالهم. وكلما زاد إضلال الناس، زادت ذنوبهم في الدنيا والآخرة. وقد حُذِر من ذلك في حديث ورد في جامع الترمذي: رقم 2674. سورة طه، الآية 61

"ويلكم لا تفتروا على الله كذباً فيستأصلكم عذاباً وقد خاب من افترى..."

لما كان لدى بعض السحرة رغبة في الحقيقة، وأقرّوا سرّاً ببطلان منهج قومهم، إذ لم يكن مبنياً على دليل أو علم، ولم يؤدّ إلا إلى انتشار الفساد والظلم في مجتمعهم، ولما سمعوا بعض جوانب الرسالة التي جاء بها النبي موسى عليه السلام، كرغبته في تحرير بني إسرائيل من عبودية فرعون، بدأوا يتجادلون سرّاً فيما بينهم حول ما يجب فعله. سورة طه، الآية 62

"فاختلفوا في أمرهم بينهم وأسرّوا حديثهم"

،ولكن لما فضّل بعض السحرة أسلوب حياتهم الذي مكّنهم من تحقيق شهواتهم الدنيوية دون أي محاسبة إلهية خشية أن تشجعهم رسالة النبي موسى عليه السلام على التحكم في شهواتهم الدنيوية بالاستخدام الصحيح للنعم التي وهبوا بها، أصرّوا على أن النبي موسى عليه السلام لم يكن صادقاً في هداية الناس، وعليهم حماية أسلوب حياتهم بهزيمة النبي موسى عليه السلام. سورة طه، الآيتان 63-64

قالوا إن هذين ساحران يريدان أن يخرجاك من أرضك بسحرهما ويذهبا عن سبيلكم المثل فاجمعوا كيديكم" ثم اصطفوا وقد أفلح اليوم من غلب

بشكل عام، غالباً ما يتجاهل أولئك الذين يتجاهلون قواعد السلوك الإسلامية ويلتزمون بدلاً من ذلك بأنظمة سلوك بديلة من صنع الإنسان إشباعاً لرغبات دنيوية، لأن هذه الأنظمة متجذرة في نهاية المطاف في الميل البشرية. غالباً ما يكون الأثرياء والأقوياء أكثر رسوخاً في هذه العقلية، لإدراكهم أن اعتناق حقيقة الإسلام

يتطلب الخضوع لإطار أخلاقي محدد - إطار يقيد السعي وراء الرغبات الضالة. ونتيجة لذلك، غالبًا ما يروجون لطرق بديلة ويشجعون الآخرين على اتباعها، خوفًا من أن يؤدي قبول الإسلام إلى إضعاف نفوذهم وسلطتهم. تاريخيًا، تفسر هذه الديناميكية سبب كون الأثرياء والأقوياء من أوائل من رفضوا وعارضوا الأنبياء عليهم السلام. لا ينبع هذا السلوك من تقييم موضوعي لحقيقة الإسلام، الذي يثبت بأدلة واضحة، بل من الرغبة في الحفاظ على رغباتهم وتطلعاتهم الدنيوية.

علاوة على ذلك، يُحذر هذا أيضًا من صحبة السوء، فقد أقنع بعض السحرة الآخرين بهزيمة النبي موسى وكما ورد في حديث في سنن أبي داود، رقم 4833، فإن المرء. عليه السلام، رغم شكوكهم في معارضته يتبع منهج قرينه. وهذا يدل على أنه لا بد أن يتبنى صفات من يخالطهم، سواء أكانت فاضلة أم فاسدة، غالبًا دون وعي. لذلك، من الضروري اختيار صحبة تشجع أقوالها وأفعالها على طاعة الله تعالى وتدعمها. أما من يتبنى صحبة السوء - الذين لا هم لهم سوى السعي وراء شهوات الدنيا - فسيتبعون هذا النهج لا محالة. هؤلاء الأفراد يُصرّون على إساءة استخدام النعم التي وهبوا بها، مما يضعهم في حالة نفسية وجسدية غير متوازنة. سيُسيئون تقدير كل شيء وكل شخص في حياتهم، دون أن يُعدّوا أنفسهم جيدًا للحساب يوم القيامة. وهذا يؤدي في النهاية إلى ضغوط وتحديات ومصاعب في الدنيا والآخرة، حتى وإن تمتعوا ببعض الرفاهية الدنيوية مؤقتًا. فالصحبة الحقة لا تُقاس بالذات الزائلة، بل بمدى قربها من طاعة الله تعالى، فتهدّهم إلى راحة البال في الدنيا والآخرة، من خلال تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، ومن خلال حسن توزيع كل شيء وكل شخص في حياتهم.

وأخيرًا، غالبًا ما يُجبر الناس على اتباع سلوك خاطئ عندما يتبعون أعمى رأي الأغلبية والرأي السائد في مجتمعهم، والذي يسيطر عليه الأغنياء والنخبة، الذين لا يهدفون إلا إلى الحفاظ على أسلوب حياتهم، مما يتيح لهم حرية الانغماس في شهواتهم الدنيوية. لذا، ينبغي على الفرد التروي بدلًا من تبني الأعراف المجتمعية السائدة دون تمحيص، لأن السلوكيات الشائعة غالبًا ما تنحرف عن هدي الله تعالى. عند ملاحظة تجاهل شريحة كبيرة من المجتمع للتعاليم الإسلامية، قد يستنتج المرء خطأً أن سلوك الأغلبية مبرر، مما يؤدي إلى التزام غير تمحيص. ومع ذلك، فإن موقف الأغلبية ليس دقيقًا في جوهره. تُظهر السوابق التاريخية حالات، دحضت فيها آراء أو معتقدات مقبولة على نطاق واسع، مثل فكرة الأرض المسطحة التي كانت سائدة سابقًا بأدلة ورؤى جديدة. لذلك، من الضروري تجنب الخضوع السلبي للرأي السائد، لأن هذا السلوك غالبًا ما: سورة الأنعام، الآية 116. يؤدي إلى قرارات خاطئة في أمور دنيوية ودينية

وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يظنون

بدلاً من ذلك، يُتوقع من الأفراد استخدام ما وُهب لهم من عقلٍ وحكمة لتقييم كل موقف بناءً على المعرفة والدليل. يُمكن هذا النهج النقدي من اتخاذ قراراتٍ مدروسة، حتى لو كانت تلك القرارات مُخالفةً لآراء الأغلبية السائدة. علاوةً على ذلك، ينتقد الإسلام بشدة التقليد الجاهل للآخرين في مسائل الإيمان، ولذلك يُشجع المسلمين (يوسف، الآية 108، سورة 12 سورة) . بنشاط على تعلم التعاليم الإسلامية والعمل بها بفهم كامل

"...قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني"

:سورة طه، الآيات 63-64

قالوا إن هذين ساحران يريدان أن يخرجاك من أرضك بسحرهما ويذهبا عن سبيلكم المثل فاجمعوا كيدهم
ثم اصطفوا وقد أفلح اليوم من غلب

باختصار، يدعو الإسلام الأفراد إلى كبح جماح شهواتهم الدنيوية، بينما ينتقد المسلمون من يعيشون فقط لإشباع هذه الدوافع، لأن مبادئ الإسلام تكشف عن الطبيعة الحيوانية للشهوة الجامحة. علاوة على ذلك، فإن الصناعات والشركات التي تستفيد من التبذير والاستهلاك تُعارض الإسلام حتمًا، سعيًا لصرف الناس عن اتباع هدايته ورغم هذه المعارضة، يُؤمر المؤمنون بالثبات على طاعة الله تعالى، فهو وحده من يمنحهم السكينة ويحميهم من أذى الناس - حتى وإن لم تكن هذه الحماية ظاهرة للعيان. في المقابل، من يُساوم على طاعة الله لكسب رضا المجتمع سيفشل في النهاية على كلا الجبهتين: لن ينجو من عقاب الله تعالى، ولن يحصل على رضا

دائم من الناس أو من اتجاهات الدنيا، لأن وسائل التواصل الاجتماعي والثقافة والموضة بطبيعتها غير مستقرة ودائمة التغير. من ثابر على طاعة الله تعالى، مستغلاً نعمه وفق هديه، يحقق توازناً نفسياً وجسدياً، ويرتب أولوياته ترتيباً صحيحاً، وينال عوناً إلهياً يعينه على كل محنة. هؤلاء ينالون النجاح الحقيقي والسلام الدائم، سورة طه، الآيات 65-68. كما فعل النبي موسى عليه السلام عندما توكل على ربه.

قالوا يا موسى إما أن تُلقني وإما أن نكون أول من ألقى، قال بل ألقوا، فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تتحرك، وشعر موسى في نفسه بالريبة، قال الله لا تخف، إنك أنت الأعظم.

وبما أن النبي موسى عليه السلام أراد أن يبين الفرق بين معجزاته والسحر للناس أجمعين، فقد أمر السحرة بإظهار سحرهم أولاً.

علاوة على ذلك، وبشكل عام، لم يُنكر الله تعالى الخوف الذي شعر به النبي موسى عليه السلام، فالشعور وما دامت هذه المشاعر ضمن الحدود التي وضعها الإسلام، فالتعبير بالعواطف جزء من طبيعة الإنسان عنها جائز تماماً. لا يتوقع الإسلام من المؤمنين أن يكتبوا إنسانيتهم أو أن يستجيبوا للمصاعب بطريقة آلية خالية من المشاعر. بل على العكس، في كل ظرف، يُدعى الناس إلى الحفاظ على التوازن - السماح بالتححرر الطبيعي للعواطف مع الامتناع عن تجاوز حدود الله تعالى. وقد أُشير إلى ذلك في سورة الحديد، الآية 23

لِكَيْ لَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ

، لا تمنع هذه الآية الإنسان من الشعور بمشاعر كالحزن أو الفرح، بل تُحذّر من الإفراط في الحزن أو الفرح فكلاهما إن لم يُكبح جماحه قد يؤدي إلى سلوكٍ آثم. لذا، يُدعى المرء إلى أن يدرك أنه بالاعتدال في هذه الحدود، يُمكنه تحمّل الصعاب ونيل الثواب والبركات في الدنيا والآخرة. يكمن السر في الحفاظ على طاعة

الله تعالى خالصةً في جميع الأحوال . هذه الطاعة تستلزم استخدام نعمه فيما يُرضيه، كما هو منصوص عليه - في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم . بهذا النهج، يصل المؤمنون إلى حالة من التوازن نفسيًا وجسديًا - مع وضع كل جانب من جوانب حياتهم وفقًا للحكمة الإلهية . وبذلك، يُهيئون أنفسهم جيدًا للحساب النهائي يوم القيامة . هذا السلوك، المُتجذر في الانضباط والإخلاص، يُؤدي إلى السلام الداخلي والفلاح الحقيقي في الدنيا والآخرة .

سورة طه، الآيات 66-67

قال بل ألقوا فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسير [كالحيات] وإذ شعر موسى في نفسه " بالريبة "

بما أن شريعة الله تعالى غالبًا ما تتحدى رغبات الناس وطموحاتهم ، علاوة على ذلك، وكما ذكرنا سابقًا الدنيوية، فإن بعضهم يرفضها ويعارضها حسب قوته . ولأن هؤلاء غالبًا ما يمتلكون موارد دنيوية، كالثروة والنفوذ الاجتماعي، فإن أساليبهم ستبدو متفوقة ومهيمنة، تمامًا كما فعل سحرة فرعون . ومهما كانت الموارد التي يمتلكونها، فإن مساعي الساعين إلى نزع الهداية الإلهية عن المجتمع لن تفلح أبدًا . فهم لا يقهرون الله تعالى، ولا يطفئون نور الهداية التي أنعم بها على البشرية . بل إن مخططاتهم وشريعتهم التي صنعها البشر ستُهزم حتمًا بالهداية الإلهية، لأن الحق سينتصر على الباطل . وهكذا، فإن من سعى بصدق إلى الهداية سيجدها دائمًا في متناوله ويستطيع العمل بها، كما وعد الله تعالى بحفظ وحيه إلى يوم القيامة . سورة طه، الآية 68

"قال الله لا تخف إنك أنت الأعْلون"

ولأن جهادهم في نهاية المطاف ضد الله تعالى، فلن ينتصروا على حقيقة الإسلام - وهي حقيقة أثبتتها التاريخ مرارًا وتكرارًا. على مر العصور، نهضت وسقطت أعداد لا تُحصى من الأفراد والمنظمات والإمبراطوريات، مستخدمةً أساليب متنوعة - سواءً من خلال السياسة أو الحرب أو الدعاية، أو في العصر الحديث، وسائل التواصل الاجتماعي - في محاولاتها لاستئصال الإسلام من المجتمع. ومع ذلك، فقد ظل الإسلام صامدًا، محفوظًا بحماية الله، وسيستمر في البقاء إلى يوم القيامة. إن حقيقة الإسلام ليست محفوظة فحسب، بل هي مقدر لها أن تسود، مما يضمن أن يجدها دائمًا طالبو الهداية المخلصون. إن جهودهم لإخماد: سورة التوبة، الآية 32. الإسلام عبثية كمحاولة إطفاء نور الشمس بأنفاس المرء

يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون

:سورة طه، الآيات 68-69

قال الله لا تخف إنك أنت الأعظم. وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا. إن ما صنعوا إلا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى.

لقد أكملت تعاليم الإسلام وعُرضت على البشرية بكاملها. والآن، تقع على عاتق كل فرد مسؤولية اختيار ما إذا كان سيسعى إلى السكينة في الدنيا والآخرة من خلال الانخراط في هذه التعاليم وتطبيقها. إن العمل بالهداية الإلهية يضمن توازنًا متناغمًا بين الصحة العقلية والجسدية، مما يُمكن المرء من تحديد أولوياته بشكل صحيح. في جميع جوانب الحياة مع الاستعداد الكافي للحساب يوم القيامة

كما ذكرنا سابقًا، لما كان السحرة يتوقون إلى الهداية، وتجادلوا سرًا قبل مواجهة النبي موسى عليه السلام، فلما شاهدوا معجزة النبي موسى عليه السلام، أيقنوا أنها ليست سحرًا، بل معجزة إلهية أنزلها الله عليه. فاستبد بهم الحق الذي شهدوه، فتركوا شهواتهم الدنيوية، واستسلموا له. سورة طه، الآية 70

"...فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا "

هذه التجربة الغامرة من الهداية لا تتحقق إلا بإرادة صادقة في طلب الحقيقة والعمل بها، حتى لو تعارضت مع أهوائه. فمثل هذا الشخص يسعى إلى المعرفة الإسلامية بعقل منفتح وموضوعي، ونتيجة لذلك، تتغلب عليه حتمًا الأدلة الواضحة الواردة في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. قلبه الروحي يقر بالحق ويقبله، فلا يبقى له خيار سوى التسليم بصدق. أما من يتبع التعاليم الإسلامية بعقلية مسبقة ومتحيزة أو بنية خاطئة - أي العمل بما يتوافق مع أهوائه فقط - فلن ينال الهداية الحقيقية. حتى لو اعتنق الإسلام ظاهريًا، فلن ينال راحة البال التي تنبع من التسليم الحقيقي، لا في الدنيا ولا في الآخرة. ومثال سحرة فرعون يوضح هذه الحقيقة. لقد توجهوا بصدق ونية سليمة، فلما رأوا الحق، غلبهم. ورغم الخطر الجسيم الذي شكّله ذلك على حياتهم الدنيوية، فقد آمنوا دون تردد، مُظهريين أنه عندما يكون القلب مفتوحًا والنية صافية، ينفذ الهداية الإلهية ويلزم بالاستسلام. سورة طه، الآية 70

"فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا، قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى "

عندما فشلت خطة فرعون لهزيمة النبي موسى عليه السلام علانيةً، كان رد فعله الأول تهديد الناس الذين شهدوا المنافسة. وحذرهم من اتخاذ أي قرار دون إذنه، مُلمحًا بذلك إلى العقوبة التي سيواجهونها إن تجرأوا على قبول الحقيقة مُستقلين. يُظهر هذا الردّ غطرسته وخوفه، إذ كان يُدرك أن آيات الله تعالى لا تُنكر، ومع سورة طه، الآية 71. ذلك سعى إلى السيطرة على الناس بالترهيب لا بالعقل أو الدليل

"...قال آمنتم به قبل أن آذن لكم"

هذا الشكل الخفي من التهديد ليس قاصرًا على الماضي، بل غالبًا ما يُشاهد في العصر الحاضر. تُلمَّح شخصيات نافذة، كالسياسيين وقادة المجتمع، أحيانًا إلى تقييد المسلمين من ممارسة دينهم بحرية. وقد يُصوِّرون هذه القيود على أنها واجب مفترض للقضاء على ممارسات تتعارض، من وجهة نظرهم، مع مفاهيمهم عن الحرية أو التكامل الاجتماعي. في الواقع، يُحاكي هذا الخطاب أساليب فرعون، الذي سعى إلى ترهيب الناس وإخضاعهم بدلًا من السماح لهم بقبول الحقيقة باستقلالية. عندما فشلت خطة فرعون لهزيمة النبي موسى عليه السلام علنًا، حاول إنقاذ هزيمته الواضحة باللجوء إلى الافتراء. زعم أن السحرة والنبي موسى عليه السلام قد تأمروا معًا لتضليل الناس. كان الهدف من هذا الاتهام الباطل زرع الشك في نفوس الجماهير: سورة طه، الآية 71. وصرفهم عن إدراك حقيقة المعجزات التي شهدها والتي لا يمكن إنكارها

"...إنه لأميركم الذي علمكم السحر..."

عندما يُقرر المرء مُسبقًا رفض أي نمط حياة يُناقض رغباته، فإنه لن يقبل الحقيقة، حتى لو عُرضت عليه أدلة دامغة لا تُنكر. بل يلجأ إلى أعذار واهية لتبرير رفضه. ومن الأمثلة الشائعة على ذلك ميل هؤلاء الأفراد إلى التركيز على جوانب مُحددة من الإسلام - مثل قواعد اللباس المفروضة على النساء - في محاولة لتقويض جاذبيته وتبرير معارضتهم له. ومع ذلك، يُمكن للأفراد ذوي البصيرة أن يُدركوا بسهولة سطحية هذه الانتقادات، التي تنبع في الواقع من ازدراء لتأكيد الإسلام على الانضباط الذاتي وضبط النفس الأخلاقي. على سبيل المثال، بينما قد يُدين النقاد قواعد اللباس الإسلامية للنساء، فإنهم نادرًا ما يُطبقون نفس التدقيق على قواعد اللباس المطلوبة في المهن الأساسية الأخرى، مثل إنفاذ القانون، والجيش، والرعاية الصحية، والتعليم والأعمال التجارية. هذا النقد الانتقائي، عند مُقارنته بصمتهم تجاه أشكال أخرى من الملابس المُنظمة، يكشف عن ضعف حججهم وتناقضها. في نهاية المطاف، إن مبادئ الإسلام نفسها - دعوته إلى الانضباط والتواضع والمساءلة - هي التي تُثير هذه المعارضة. إن سلوك أتباعه المنضبط شهادة حية على صدق الإيمان، وهذه الشهادة هي التي تُثير هجمات متنوعة على الإسلام، سواءً بالسخرية أو التشويه أو النقد الانتقائي

عندما تفشل التهديدات الخفية والهجمات الخطابية في ثني الناس عن العمل بالحق، غالبًا ما يلجأ أصحاب السلطة إلى تهديدات مباشرة ضد من ثبتوا على طاعة الله تعالى. ينبع هذا العداء من خوفهم من فقدان مكانتهم: سورة طه، الآية 71. الاجتماعية ونفوذهم وقيادتهم في المجتمع مع استمرار انتشار نور الإسلام

"لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف وأصلبنكم في جذوع النخل ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى..."

طاعة الآخرين على الله تعالى، كالناس ووسائل التواصل في هذه الحالة، يجب على المرء أن يتجنب تفضيل الاجتماعي والموضوعة والثقافة، لأن ذلك لن يؤدي إلا إلى إساءة استخدام النعم الممنوحة له. ونتيجة لذلك، سيجد نفسه في حالة من عدم التوازن النفسي والجسدي، مما يؤدي إلى سوء توزيع كل شيء وكل شخص في حياته، ولن يكون مستعدًا بشكل كافٍ للمحاسبة يوم القيامة. سيؤدي هذا إلى التوتر والتحديات والمصاعب على طاعة الله في الدنيا والآخرة، حتى لو عاش بعض الرفاهية الدنيوية بدلاً من ذلك، يجب عليه الثبات من خلال تحقيق حالة ذهنية وجسدية متوازنة، تعالى، مع العلم أن ذلك يؤدي إلى راحة البال في الدنيا والآخرة ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في حياته بشكل صحيح، حتى لو واجه صعوبة. سورة طه، الآية 72:

"قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا "

:وسورة الطلاق 65 الآية 2

"ومن يتق الله يجعل له مخرجاً"

من الضروري إدراك أن العون الإلهي لا يتوافق بالضرورة مع رغبات الأفراد أو توقعاتهم الشخصية، بل يتوافق دائماً مع علم الله تعالى اللامحدود وحكمته التامة. ولذلك، يتجلى هذا العون في أنسب الأوقات وأنفعها للأفراد، حتى وإن لم يدركوا حكمته في البداية. فما قد يبدو للوهلة الأولى تأخيراً أو حرماناً أو مشقة، هو في الحقيقة مظهر من مظاهر الرحمة الإلهية والبصيرة، فإن الله تعالى يمنح معونته بما يحفظ الإيمان، وينمي الصبر، ويضمن النفع على المدى البعيد. لذا، يجب على المرء أن يثق بقضاء الله تعالى، مدرّكاً أن اختياره لعباده دائماً أفضل مما قد يختارونه لأنفسهم. سورة البقرة، الآية ٢١٦

"وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ..."

وبالإضافة إلى ذلك، فكما أن الله تعالى هو وحده الخالق والرزاق والمحاسب في العالمين، فهو وحده المستحق أن يُطاع في كل حال.

للتقليل من شأن المصاعب التي تواجه المرء، عليه أن يقارنها بصعوبات أشد، كيوم القيامة. سورة طه، الآية ٧٢:

"فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ، إِنَّكَ لَا تَقْضِي إِلَّا لِلْحَيَاةِ الدُّنْيَا..."

في الواقع، كل تحدٍّ يواجهه الإنسان ما هو إلا جزء من أحجية ضخمة .عندما يركز المرء على هذا الجزء فقط - والذي غالبًا ما يمثل محنة أو صعوبة - فإنه يفقد رؤية الصورة الكاملة .ونتيجة لذلك، تبدو المشقة أشد وطأة مما هي عليه في الواقع، وتبدو عواقبها السلبية أشد وطأة مما هي عليه في الواقع .هذا التركيز الضيق يمنع المرء من ممارسة الصبر الحقيقي، والذي يتضمن الامتناع عن الشكوى قولاً أو فعلاً مع الحفاظ على طاعة الله تعالى الصادقة .ومن الوسائل الفعالة للغاية للتغلب على هذا المأزق التأمل المستمر في يوم القيامة هذا التأمل يُمكن الإنسان من إدراك أن تحدياته الدنيوية تافهة مقارنة بفتن ذلك اليوم الهائلة .لا يمكن لأي مشقة في هذه الحياة أن تُعادل شدة ما ينتظره يوم القيامة .إنه يوم تدنو فيه الشمس - على بُعد ميلين من الخليفة ويعرق كل إنسان بقدر أعماله، كما حذر في حديث منشور في جامع الترمذي، رقم 2421 .وهو أيضًا يوم - سورة .يتخلى فيه عنهم أقرباؤهم الذين كانوا يقلق عليهم ويسعى لرضاهم، فلا يستهلك كل إنسان إلا نفسه :عبس، الآيات 33-37

"فإذا جاءت الصيحة الصارخة .يوم يفر المرء من أخيه .وأمه وأبيه .وصاحبته وبنيه .لكل امرئ يومئذ شأن"

يومٌ يُجبر فيه كلُّ فردٍ على مراجعة أعماله بعد أن رأى جهنم بأَم عينيه .ستُرفع حجب الغفلة، وستظهر حقيقة كلِّ عملٍ - صغيرًا كان أم كبيرًا .يومئذٍ لا تُجدي الاعذار، لأنَّ الحقَّ سيظهر أمامهم في أبهى صوره) .سورة (الفجر، الآية ٢٣

﴿وَعُرِضَتْ لَهُمْ جَهَنَّمُ يَوْمَئِذٍ يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ فَأَنَّى لَهُ الذِّكْرُ﴾

عندما يُركز الإنسان اهتمامه على يوم القيامة، تبدو تحديات الدنيا ومتاعبها أقل أهميةً حتمًا .هذا المنظور يُمكنه من التحلي بالصبر منذ بداية المحنة، مما يسمح له بتقييم الوضع ومعالجته بطريقة تُخفف التوتر وتمنع اليأس .

علاوة على ذلك، فإنّ تركيز الذهن على حقائق الآخرة يُنمّي القدرة على التغاضي عن الأمور التي لا وزن لها يومئذٍ، وتجاهلها، والتقليل من شأنها، بما في ذلك مشاق الدنيا وضغوطها وهمومها العابرة. بل يُقدّم الإنسان على ما هو أهمّ حقًا: الأعمال التي لها قيمة يوم القيامة. ومن أهمّها التحلّي بالصبر في مواجهة المصاعب، فهو لا يحفظ السكينة الداخلية فحسب، من خلال تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في مكانه الصحيح في حياته، بل يضمن أيضًا الثواب الأبدي عند الله تعالى: سورة الزمر، الآية 10

"إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب"

لهذا السبب، بعد إيمانهم، لم يكثر السحرة لتهديدات فرعون بالتعذيب الجسدي. كانت قلوبهم مطمئنة ليوم القيامة، ويقينهم بالحساب الأبدي جعل تهديدات العذاب الدنيوي تافهة. أدركوا أن أي ألم في هذه الدنيا لا يُضاهي عذاب الآخرة، ولا يفوق الجزاء الأبدي الموعود لمن ثبتوا على طاعة الله تعالى. ويظل ثباتهم الثابت، مثالاً خالداً على كيف أن الإيمان الحقيقي يُحوّل الخوف من الخلق إلى خوف من الخالق وحده. سورة طه: الآيتان 72-73

قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات وعلى الذي فطرنا فاقض ما أنت قاضٍ إنك تقضي إلا للحياة الدنيا"
"إنا آمنا بربنا ليغفر لنا ذنوبنا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى

ثم يحذر الله تعالى الناس من اتباع نهج فرعون، الذي أصرّ على شهواته وطموحاته الدنيوية رغم إدراكه لصدق الهداية الإلهية. هذا الموقف لن يؤدي إلا إلى إساءة استخدام النعم الممنوحة، كما فعل فرعون. هذه العقلية في الحياة الراهنة ستعيق تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، وتؤدي إلى سوء ترتيب الأولويات في جميع جوانب الوجود. وبالتالي، سيصبح كل جانب من جوانب حياة الفرد، بما في ذلك الأسرة والصداقات والعمل والممتلكات المادية، مصدرًا لضغط نفسي شديد. إذا استمر هذا النمط من معصية الله تعالى، فسينسب

الفرد ضيقه إلى مصادر غير مناسبة، مثل الزوج أو غيره. إن قطع العلاقات مع الداعمين لن يؤدي إلا إلى تفاقم الضائقة النفسية، مما قد يتفاقم إلى اضطرابات نفسية، وإدمان على المخدرات، وحتى أفكار انتحارية. هذه النتيجة واضحة لمن يُسيء استخدام النعم المُنعَم بها باستمرار، حتى بين الأغنياء والمشاهير الذين ينعمون بملذات الدنيا. ولأن هذا السلوك يُعيق الاستعداد للحساب النهائي يوم القيامة، فإن العواقب في الآخرة ستكون أشد وطأة بكثير. سورة طه، الآية 74

"إنه من يأت ربه مجرمًا فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيا"

بل يجب على المرء أن يتبع خطى سحرة فرعون الذين استسلموا لحقيقة الهداية الإلهية. هذا يضمن لهم حسن استخدامهم للنعم الممنوحة لهم كما هو موضح في التعاليم الإسلامية. وهذا يُمكنهم من تحقيق حالة ذهنية وجسدية متوازنة، وتنظيم كل شيء وكل شخص في حياتهم على نحو سليم. هذا السلوك يؤدي في النهاية إلى راحة البال والرفاهية. سورة طه، الآية 75

﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا فَقَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُظْمَىٰ﴾

وبما أن سلوكهم يضمن لهم الاستعداد الصحيح للحساب يوم القيامة، فإنهم يُكَافَوْنَ بالنعيم الأبدي وراحة البال. سورة طه، الآية 76

جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى

كما تشير هذه الآية، لا يتحقق الطمأنينة والنجاح في الدنيا والآخرة إلا بتأييد الإقرار الشفهي بالإيمان بالأعمال الصالحة. ومن يتخلف عن ذلك يكون في خطر عظيم، وهو فقدان الإيمان. من الضروري إدراك أن الإيمان، كالنبذة التي يجب تغذيتها بالطاعات حتى تنمو وتستمر. فكما أن النبتة التي تُحرم من الغذاء، كضوء الشمس تدبل وتموت، فكذلك قد يضعف إيمان الإنسان ويموت في النهاية إذا لم يُغذَّ بالطاعة. وهذه الخسارة أعظم الخسائر. ولتجنب هذه النتيجة، يجب على المرء أن يُظهر قلبه الروحي بتبني الصفات الحميدة المذكورة في التعاليم الإسلامية، كالصبر والشكر والكرم، وتجنب الصفات السلبية المذكورة فيها، كالكبر والطمع والحسد. وهذا يؤدي إلى راحة البال، كما أن تبني الصفات الإيجابية يؤدي إلى راحة البال. علاوة على ذلك، يضمن هذا السلوك دعم إيمانهم اللفظي بالله تعالى، من خلال العمل، وذلك بالاستخدام الصحيح للنعم التي أنعم بها خلال عليهم كما هو مبين في التعاليم الإسلامية. وهذا بدوره يزيد من راحة بالهم في الدنيا والآخرة، من سورة. تحقيق حالة ذهنية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في حياتهم بشكل صحيح طه، الآية 76.

جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى

لما عزم فرعون وقومه على معارضة النبي موسى عليه السلام وأتباعه وإيذائهم، أمر الله تعالى النبي موسى عليه السلام بالهجرة من مصر دون خوف من فرعون وجنوده. سورة طه، الآية 77

"ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى"

، وهذا يدلّ عمومًا على أنه من استقام على طاعة الله تعالى، واستغلّ نعمه كما وردت في التعاليم الإسلامية: سورة الطلاق، الآية ٢. فإنه ينال عونه وتأييده في كل حال

"ومن يتق الله يجعل له مخرجا"

،لكن من الضروري إدراك أن العون الإلهي لا يتوافق بالضرورة مع الميل الفردية أو التوقعات الشخصية بل يتجلى وفقاً لعلم الله تعالى اللامحدود وحكمته التامة. يُمنح عونه في أنسب الأوقات وأنفعها لكل فرد، حتى لو حُجبت الحكمة الكامنة عن الإدراك الفوري. ما قد يبدو تأخيراً أو تقييداً أو حتى مشقة، هو في الواقع تجلٍ: سورة البقرة، الآية ٢١٦. دقيق للقدر الإلهي، مصمم لضمان كل من النفع الدنيوي والتوفيق الأبدي

"وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ..."

أما من يُصرّ على معصية الله تعالى، مُسيءًا استخدام النعم التي وُهِبَتْ له، فسيُعاني في الدنيا والآخرة، كما عاناه فرعون وقومه. سورة طه، الآية 78

"فتبعهم فرعون بجنوده فأغشاهم من اليم ما غشاهم"

نتيجةً لمعصيتهم، يقعون في حالة نفسية وجسدية غير متوازنة، ويخطئون في ترتيب أولوياتهم تجاه كل شيء وكل شخص في حياتهم، ويهملون الاستعداد السليم للحساب يوم القيامة. وهذا يؤدي حتماً إلى التوتر والمشقة والصعوبة في الدنيا والآخرة، حتى وإن تظاهروا ببعض الرفاهية الدنيوية

من أهم أسباب هذه النتيجة انقياد الناس اتباعاً أعمى لرأي الأغلبية والرأي السائد في مجتمعهم، الذي يسيطر عليه القادة والنخبة، الذين لا يسعون إلا إلى تحقيق مطامحهم وشهواتهم الدنيوية. سورة طه، الآية 79

وأضل فرعون قومه وما هدى

لذا، يجب على الفرد الامتناع عن تبني سلوك الآخرين دون تمحيص، لأن السلوك المجتمعي السائد غالباً ما يؤدي إلى الانحراف عن أوامر الله تعالى. إن ملاحظة تجاهل شريحة كبيرة من المجتمع للتعاليم الإسلامية، قد يدفع المرء إلى افتراض خاطئ بأن أفعال الأغلبية صحيحة، مما يؤدي إلى التزام غير مدروس. ومع ذلك فمن الواضح أن وجهة نظر الأغلبية ليست معصومة من الخطأ. يقدم التاريخ أمثلة واضحة على معتقدات شائعة، مثل الاعتقاد السابق بأن الأرض مسطحة، والتي أبطلت لاحقاً بظهور أدلة وفهم جديد. لذلك، من الضروري تجنب الخضوع السلبي للرأي العام، لأن هذا القبول غير المدروس غالباً ما يُعجل باتخاذ قرارات: سورة الأنعام، الآية 116. غير مدروسة في الأمور الدنيوية والدينية

وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يظنون

في المقابل، يُشجّع الأفراد على استخدام ما لديهم من عقلٍ وحكمة لتقييم كل موقفٍ بناءً على المعرفة والدليل. هذه القدرة تُمكن من اتخاذ قراراتٍ واعية، حتى عندما تتعارض تلك الأحكام مع آراء الأغلبية السائدة. في الواقع، ينتقد الإسلام بشدة التقليد الجاهل للآخرين في مسائل الإيمان، وبالتالي، يُشجع على ممارسة علمية (الآية 108، سورة 12، يوسف يتفاعل فيها المسلمون مع التعاليم الإسلامية بفهم كامل). سورة

"...قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني"

ثم يُذَكِّرُ الله تعالى بني إسرائيل أهل الكتاب بنعمه عليهم وعلى آبائهم ليحثهم على شكره بقبول الإسلام والعمل به، لا سيما بعد إدراكهم صدقه. وقد عرف علماءهم القرآن الكريم، لعلمهم بمؤلفه الله تعالى، وعرفوا النبي محمد صلى الله عليه وسلم، والقرآن الكريم، فقد ورد ذكرهما في كتبهم السماوية). سورة الأنعام، الآية ٢٠)

”...الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه» [القرآن الكريم] كما يعرفون أبناءهم»

:وسورة البقرة، الآية 146

«الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم»

:وسورة طه الآية 80

”...يا بني إسرائيل لقد أنجبناكم من عدوكم ”

لم ينقذهم الله تعالى من عبودية فرعون فحسب، بل رزقهم أيضاً التوراة، دليلاً إلهياً للسلوك، كفل لهم راحة من خلال تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء وكل، البال على المستوى الفردي

شخص في حياتهم على النحو الصحيح، وضمن لهم تحقيق السلام والعدل في مجتمعهم، من خلال الوفاء بحقوق الناس. سورة طه، الآية 80

"وجعلنا لك موعدًا على جانب الطور الأيمن "

وقد وفر الله لهم ما يحتاجون إليه من رزقٍ لحياةٍ هانئةٍ في الدنيا، لا سيما في رحلتهم في الصحراء بعد خروجهم من مصر. سورة طه، الآيتان ٨٠-٨١

"وواعدناكم جانب الطور الأيمن وأنزلنا عليكم المن والسلوى أن كلوا من طيبات ما رزقناكم "

من المهم ملاحظة أن الله تعالى قرن في هذه الآية بين شرع الله وأكل الطعام الحلال الطيب، ليبين أن شرع الله يشمل جميع جوانب حياة الإنسان، ككسب الرزق والانتفاع به، ويعم كل نعمة يحصل عليها وكل موقف يواجهه. لذا، يجب تجنب الجهل باعتقاد أن شرع الله يقتصر على العبادات، كالصلوات المفروضة، لأن ذلك سيؤدي إلى إساءة استخدام النعم الممنوحة. سورة طه، الآية 81

"...كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي"

إن هذا السلوك في الحياة الدنيا يعيق تحقيق التوازن النفسي والجسدي، ويؤدي إلى سوء ترتيب الأولويات فيما يتعلق بالأفراد والممتلكات. ونتيجةً لذلك، تصبح جميع مقومات الحياة، بما في ذلك الأسرة والصداقات

والعمل والثروة، مصدرًا عميقًا للتوتر. وإذا استمر المرء في معصية الله تعالى، فإنه يعزو هذا الضيق إلى مصادر غير مناسبة، كالزواج أو غيره. إن عزل نفسه بقطع علاقاته بمن يدعمه سيفاقم الضيق النفسي حتمًا. مما قد يؤدي إلى اضطرابات نفسية، قد تنفقم إلى الاكتئاب، وإدمان المخدرات، وحتى الأفكار الانتحارية. وتتجلى هذه النتيجة عند ملاحظة أولئك، بمن فيهم الأثرياء والمشاهير، الذين يُصرّون على إساءة استخدام النعم الممنوحة لهم رغم تمتعهم بملذات الدنيا. وبما أن هذا السلوك يحول دون إحقاق حقوق الناس، فإنه يُسهم في انتشار الفساد والظلم في مجتمعهم. علاوة على ذلك، ولأن هذا الموقف السلبي يمنع الاستعداد الكافي للحساب النهائي يوم القيامة، فإن العقاب الناتج في الآخرة سيكون أشد بكثير. سورة طه، الآية 81

"ولا تعتدوا فيه فيحل عليكم غضبي ومن يحل عليه غضبي فقد سقط..."

ولكن كما هو الحال دائمًا، يحث الله تعالى الناس على التوبة الصادقة وإصلاح سلوكهم ليبلغوا راحة البال في ذلك بتحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، ووضع كل شيء وكل شخص في مكانه الصحيح، الدنيا والآخرة: سورة طه، الآية 82

"ولكني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى"

تتضمن التوبة الصادقة عدة عناصر أساسية. أولاً، يجب على المرء أن يشعر بالندم الحقيقي والذنب على الذنب المرتكب، معترفًا بأنه مخالفة لأوامر الله تعالى. ثانيًا، يجب على المرء أن يطلب المغفرة من الله تعالى ومن أي شخص مظلوم عند الاقتضاء، شريطة ألا يؤدي ذلك إلى مزيد من الأذى أو المتاعب. ثالثًا، يجب على التائب أن يعقد عزمًا راسخًا وصادقًا على عدم العودة إلى نفس الذنب، أو إلى أي تجاوز مماثل. بالإضافة إلى ذلك، تتطلب التوبة رد أي حقوق انتهكت - سواء كانت تتعلق بالله تعالى أو بالناس - إلى أقصى حد ممكن. وأخيرًا، فإن التوبة الحقيقية ليست فعلًا لحظيًا، بل هي حالة طاعة مستمرة، حيث يسعى الفرد إلى استخدام نعم الله تعالى على النحو الذي حددته التعاليم الإسلامية. ومن خلال هذا، تصبح التوبة عملية تحويلية. لا تمحو خطايا الماضي فحسب، بل تعيد توجيه حياة الإنسان نحو البر والامتنان.

بعد أن حثَّ الله تعالى أهل الكتاب، ذرية بني إسرائيل، على شكر نعمه الكثيرة عليهم وعلى آبائهم، حذَّره من اتباع نهج بعض آبائهم الذين قصرُوا في شكره. سورة طه، الآيات 83-85

قال وما أعجلك عن قومك يا موسى قال هم على أثري وعجلت إليك ربي لترضى قال بل لقد فتننا قومك " من بعدك وأضلهم السامري

أول ما يجب الانتباه إليه هو ضرورة المسارعة في فعل ما يرضي الله تعالى، كما فعل النبي موسى عليه السلام. يجب على الإنسان أن يُقدم رضاه بحسن استغلال نعمه كما وردت في التعاليم الإسلامية على رضا ونتيجة لذلك، سيُصاب الإنسان نفسه أو رضا الآخرين، لأن هذا لن يؤدي إلا إلى إساءة استخدام هذه النعم باختلال في حالته النفسية والجسدية، ولن يُعطي الأولوية لجميع جوانب حياته، ولن يُهدر الاستعداد الكافي للحساب يوم القيامة. سيؤدي هذا حتمًا إلى التوتر والمتاعب والصعوبات في الدنيا والآخرة، حتى مع امتلاكه لذلك، يجب على الإنسان قبول التعاليم الإسلامية وتطبيقها لما فيه مصلحته، حتى لو تعارضت. لمتاع الدنيا هذه التوجيهات مع رغباته الشخصية. يجب على المرء أن يقتدي بالمريض الفطن الذي يقبل نصيحة الطبيب ويعمل بها، مدرِّكًا فائدتها القصوى، حتى لو استلزم ذلك دواءً مُرًّا أو نظامًا غذائيًا صارمًا. وكما سيصل هذا المريض الحكيم في النهاية إلى صحة نفسية وجسدية مثالية، فكذلك سيصل من يعتنق التعاليم الإسلامية ويعمل بها. وذلك لأن الله تعالى هو المالك الوحيد للمعرفة الكاملة اللازمة لضمان تحقيق الشخص لحالة نفسية وجسدية متوازنة، وتحديد أولويات جميع عناصر وعلاقات حياته بشكل صحيح. إن المعرفة الجماعية للحالات النفسية والجسدية البشرية التي تراكمت لدى المجتمع، على الرغم من البحث المكثف، ستظل دائمًا غير كافية لتحقيق هذه النتيجة الشاملة. فبسبب القيود المتأصلة في المعرفة والخبرة والبصيرة ووجود التحيزات، لا يمكن للنصيحة العلمانية معالجة جميع المشكلات التي يواجهها الفرد، أو ضمان التحرر من جميع أشكال الإجهاد النفسي والجسدي، أو ضمان الوضع السليم لجميع جوانب الحياة. الله تعالى وحده يملك هذه المعرفة تتجلى هذه. الكاملة، وقد أنعم بها على البشرية من خلال القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم الحقيقة عند ملاحظة الأفراد الذين يستخدمون النعم الممنوحة لهم وفقًا للتعاليم الإسلامية مقابل أولئك الذين لا يفعلون ذلك. فبينما يضطر المريض غالبًا إلى الاعتماد على خبرة طبيبه، ويتناول الأدوية الموصوفة دون فهم العلم الكامن وراءها، يدعو الله تعالى البشرية إلى التأمل في التعاليم الإسلامية ليقدروا أثرها الإيجابي على حياتهم. فهو لا يشترط الإيمان الأعمى؛ بل يريد أن يدرك الناس صدق الإسلام من خلال أدلته الواضحة. ومع

سورة يوسف، الآية .ذلك، فإن هذا الاعتراف يستلزم التعامل مع التعاليم الإسلامية بعقل منفتح وموضوعي
108:

"...قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني"

بعد رحيل النبي موسى عليه السلام لموعده مع الله تعالى، حقق كثير من بني إسرائيل رغبتهم في وضع
سورة طه، الآية .ميثاق عيش يناسب رغباتهم، باتخاذهم إلهًا لا روح فيه، لم يوفّر لهم ميثاقًا أخلاقيًا أسمى
85:

قال ولكننا فتننا قومك من بعدك وأضلهم السامري

لأن الغضب فطرة بشرية، فلا بأس به ما دام مُسيطرًا عليه في حدود التعاليم الإسلامية، كما كان الأنبياء
عليهم السلام يُسيطرون على غضبهم .سورة طه، الآية ٨٦

"...فرجع موسى إلى قومه غضبانًا "

تشجع تعاليم الإسلام العديدة على ضبط النفس .على سبيل المثال، بما أن الغضب مرتبط بالشیطان ومُستفز
له، فقد ورد في حديث صحيح البخاري (رقم 3282) (أن على الغاضب أن يستعيز بالله تعالى من الشيطان
كما ورد في حديث جامع الترمذي (رقم 2191) (أن يسجد للغضب، وقد يعني هذا السجود على الأرض حتى

يهدأ. بل إن اتخاذ وضعية جسدية سلبية يقلل من احتمالية الغضب، كما ورد في حديث سنن أبي داود (رقم 4782)، واتباع هذا التوجيه يُمكن المرء من ضبط غضبه حتى يهدأ، ويمنعه من إيذاء الآخرين. وبالمثل (رقم 4784)، الذي أوصى فيه النبي صلى الله عليه وسلم بالوضوء عند الغضب. هذه الممارسة مهمة لأن الماء يُعادل حرارة الغضب الطبيعية. وإذا أعقبتها صلاة، فإنها تُساعد على ضبط الغضب، وتُجلب ثوابًا روحياً عظيماً.

تُساعد النصائح المذكورة آنفاً الشخص الغاضب على ضبط تصرفاته الجسدية. وللتحكم في الكلام، يُنصح بالصمت في لحظات الغضب، لأن الكلام غالباً ما يترك أثراً أطول أمداً من الأفعال الجسدية. لقد تضررت علاقات لا تُحصى أو دُمرت بسبب كلماتٍ تلفظ بها الإنسان في الغضب، والتي غالباً ما تؤدي إلى المزيد من المعاصي والآثام. لذلك، من الضروري تذكر الحديث الوارد في سنن ابن ماجه، رقم 3970، والذي يُحذر من أن كلمةً واحدةً سيئةً قد تُوقع صاحبها في النار يوم القيامة.

إن ضبط النفس صفة محمودة، وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم أصحابها بأنهم أقوىاء، كما ورد في حديث صحيح البخاري، رقم 6114. ومن كظم غيظه لله تعالى، مختاراً ترك المعصية رغم الاستفزاز، ملأ قلبه سكينه وإيماناً، كما ورد في سنن أبي داود، رقم 4778. ويعكس هذا الضبط للنفس قلباً نقياً، وهو القلب. سورة الشعراء، الآيتان 88-89. الوحيد الذي يُمنح الأمان يوم القيامة، كما ذكره القرآن الكريم.

يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

كما ذكرنا سابقاً، فإن الغضب - عند ضبطه - يمكن أن يخدم غرضاً مفيداً. يجب أن يوجه نحو حماية النفس والدين والمال. عندما يتم التعبير عنه وفقاً للتعاليم الإسلامية، يُعتبر هذا غضباً من أجل الله تعالى. وهذا يعكس مثال النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، الذي لم يظهر غضباً أبداً لأسباب شخصية؛ كان غضبه في سبيل الله تعالى فقط، كما أكدته حديث موجود في صحيح مسلم، رقم 6050. كانت شخصيته تجسيدا للقرآن الكريم، كما هو مذكور في حديث آخر من صحيح مسلم، رقم 1739، مما يدل على أنه كان يرضى ما

يرضى الله تعالى، ويغضب لما يغضبه . علاوة على ذلك، فإن الكراهية لله تعالى فقط تعتبر من اكتمال الإيمان، كما ورد في حديث موجود في سنن أبي داود، رقم 4681. وبما أن الغضب هو أصل الكراهية، فهذا يوضح أن الإسلام لا يدعو الأفراد إلى القضاء على الغضب تمامًا - وهي مهمة مستحيلة - بل إلى تنظيمه في إطار التوجيه الإلهي.

من المهم أيضًا إدراك أن الغضب لله تعالى لا يُحمد إلا إذا كان في حدوده . فإذا تجاوز حدوده، صار مذمومًا وحتى لو نشأ الغضب دفاعًا عن المبادئ الإلهية، فيجب على الإنسان إدارته وفقًا للتعاليم الإسلامية . وفي سنن أبي داود، برقم 4901، حديث عن عابدٍ قال في غضبه : إن الله تعالى لا يغفر لمذنب . ونتيجةً لذلك، سيُدان ذلك العابد بالعقاب في النار، بينما يُغفر للمذنب يوم القيامة

وبالجملة فإنه من الضروري للإنسان أن يضبط غضبه حتى يتجنب الأقوال والأفعال التي قد تؤدي إلى الندم الشديد في الدنيا وعواقب وخيمة في الآخرة

:سورة طه، الآية 86

"...فرجع موسى إلى قومه غضبانًا أسفا"

لقد ضرب النبي موسى عليه السلام أروع الأمثلة في الإخلاص للآخرين، حتى حزن حزنًا شديدًا على ضلالهم . ويُعرّف الإخلاص الحقيقي في الإسلام بأنه أن يحب المرء للآخرين ما يحبه لنفسه، وخاصة الهداية والنجاة . وقد أكد هذا المبدأ حديثًا في صحيح البخاري، رقم 13، حيث أعلن النبي محمد صلى الله عليه وسلم أن المؤمن لا يكتمل إيمانه حتى يحب للآخرين ما يحب لنفسه . وعليه، فالمطلوب من كل إنسان أن يتحلى بهذا الإخلاص بإظهاره قولًا وفعلًا، فيساعد الناس على الخير بقدر استطاعته، ويحذرهم من الشر وفقًا لتعاليم

الإسلام .بهذه الروح، عاتب النبي موسى عليه السلام قومه على اتباعهم سلوكياتٍ لا تُرضي أهوائهم، بدلاً من شكر الله تعالى على نعمه الجسيمة التي أنعم بها عليهم، وعلى رأسها نجاتهم من ظلم فرعون وعبوديته إن جحودهم هذا يعكس غفلتهم عن إدراك أن النعم الإلهية تقتضي الطاعة والتواضع والثبات، لا الغفلة والانغماس في الملذات .سورة طه، الآية 86

قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدًا حسنًا فهل طال عليكم الأجل أم أردتم أن ينزل عليكم غضب من ربكم ..."

"فأخلفتموني ما وعدتموني

بدلاً من تحمّل مسؤولية خطيئتهم، حاول كثيرٌ منهم تبرير سلوكهم بزعم فقدان السيطرة على أنفسهم .سورة طه، الآية ٨٧

"قالوا ما أخلفنا وعدك ولكن حملنا أثقالاً من زينة القوم فنبنّاها وكذلك ألقى السامري "

عندما تستحوذ على الفرد رغباته الدنيوية، يفقد السيطرة على أفعاله تدريجيًا، مدفوعًا فقط برغبة، بشكل عام إشباعها متجاهلاً العواقب الوخيمة المترتبة عليها .تشبه هذه الحالة حالة مدمن المخدرات، الذي يدفعه إدمانه إلى تعاطي مواد تُشوّه حكمه وتُفقده ضبط نفسه .في هذه الحالة، قد يرتكب أفعالاً خاطئة، كالسرقة، غافلاً عن تنشأ نتيجة مماثلة عندما تشتد الرغبات الدنيوية - كالسعي المُلح وراء الثروة أو المكانة .الآثار المدمرة لسلوكه أو المتعة - إلى حد الإدمان .تُسيطر هذه الرغبات على سلوك الشخص، وتُملّي عليه خياراته وسلوكه بطرق تُفضي إلى الفساد الأخلاقي والانحدار الروحي .لهذا السبب، من الضروري تعلم كيفية تنظيم رغبات المرء والسعي فقط إلى ما هو مشروع، وبطريقة متوازنة .إن هذا الاعتدال يحمي من العواقب المدمرة للرغبة غير المنضبطة، والتي تتجلى حتمًا في الأفعال غير الأخلاقية وفي الضرر الذي يلحق بالصحة العقلية والجسدية

علاوةً على ذلك، يجب على المرء تجنب اتخاذ موقفٍ هدامٍ برفض تحمّل مسؤولية أفعاله وإلقاء اللوم على الآخرين. سورة طه، الآيتان ٨٧-٨٨

قالوا ما أخلفنا عهدك عن عمد ولكن حملنا أثقالاً من زينة القوم فنبدناها وكذلك ألقى السامري واستخرج "لهم عجلاً له خوار فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسي

من لا يدرك مسؤوليته الشخصية لن يُحسن من نفسه أبداً؛ بل سيُصرّ على إساءة استخدام نعم الله تعالى. ولا شك أن هذا الإهمال يؤدي إلى حالة من الاختلال العقلي والجسدي، حيث يُسيء ترتيب أولوياته، ويُسيء استخدام علاقاته، ويُهمل الاستعداد للمساءلة النهائية يوم القيامة. وهذا يؤدي إلى ضغوط وتحديات ومصاعب في الدنيا والآخرة، بغض النظر عن أي رفاهية دنيوية قد يتمتع بها مؤقتاً. علاوة على ذلك، فإن عدم تحمل المسؤولية يمنع المرء من أداء حقوق الآخرين، مما يُسبب انتشار الضلال والفساد والظلم في المجتمع. إن لوم الآخرين على أخطائه لن يقبله الله تعالى، لا في الدنيا ولا في الآخرة. بل إن حتى محاولة إلقاء اللوم على: سورة إبراهيم، الآية 22. الشيطان ستُرفض، رغم جهوده الحثيثة في تضليل البشرية

وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فخنتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا "..." أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم

مع أن الشيطان سيُحاسب على ذنوبه، إلا أنه لا يستطيع أحد أن يُحمّله تبعات ذنوبه. ذلك لأن الشيطان لا يملك القدرة على إكراه الناس على الضلال. دوره يقتصر على دعوتهم وإغرائهم، بينما خيار قبول دعوته أو رفضها، يعود لكل شخص. لذا، فلا يلومن من اتبع دعوته طوعاً إلا نفسه. يوم القيامة، ستُحاسب كل نفس على أعمالها، ولن تُجدي الأعذار أو محاولات التنصل من المسؤولية نفعا عند الله تعالى.

في الواقع، سعى بنو إسرائيل الذين تحولوا إلى عبادة الأصنام إلى تكريم شيء جامد، معتبرين إياه وسيلة للظهور بمظهر فاضل في نظر المجتمع، وفي الوقت نفسه منحوا أنفسهم حرية الانغماس في شهواتهم الدنيوية وبذلك، أساءوا استخدام النعم التي أنعم الله تعالى بها عليهم. نبع ميلهم إلى هذه العبادة من إدراكهم أن صنماً جامداً لا يمكن أن يوفر لهم بوصلة أخلاقية أو مدونة سلوك ملزمة. وهكذا، بتبجيلهم ما هو عاجز، حرروا سورة. أنفسهم فعلياً لوضع معاييرهم وإرشاداتهم الخاصة - معايير تتوافق مع رغباتهم بدلاً من التوجيه الإلهي طه، الآية 89

"أفلم يروا أنه لا يرجع إليهم قولاً ولا يملك لهم ضراً ولا نفعاً؟ "

لذلك، يكمن في صميم جميع أشكال عبادة الأصنام وقواعد السلوك البشري السعي وراء الشهوات الدنيوية غالباً ما تُصمَّم هذه الأنظمة لإشباع شهوات الإنسان متسترةً بعبادة الأخلاق. يحاول أتباعها تضليل الآخرين ليعتقدوا أنهم صالحون يتبعون إطاراً أخلاقياً أعلى، بينما هم في الواقع يُشبعون ميولهم الدنيا فحسب. في الحقيقة، هذا السلوك يُنزلهم إلى مستوى الحيوانات، لا مدفوعين بهداية إلهية أو غاية عليا، بل بسعيهم الجامح: سورة الأعراف، الآية 148. وراء الشهوات والرغبات

"اتخذوها وكانوا ظالمين ..."

ونتيجةً لذلك، سيقع هؤلاء الأفراد لا. من يتبع هذا السلوك سيُسيء استخدام النعم التي وُهِبَتْ له لا محالة محالة في حالة من الاختلال العقلي والجسدي، ويُسيئون ترتيب أولوياتهم وعلاقاتهم، ويُهملون الاستعداد الكافي لحسابهم يوم القيامة. سيحرمهم هذا الإهمال من السلام الحقيقي، ويجلب عليهم التوتر والصعوبات لن تحميهم ممتلكاتهم. والصراعات في الدنيا والآخرة، بغض النظر عن أي راحة مادية قد يتمتعون بها مؤقتاً. الدنيوية ولا مكانتهم ولا ملذاتهم الزائلة من اضطرابهم الداخلي، ولن تكون بمثابة وقاية من الحساب الأخير في الواقع، فإن إهمالهم يُحوّل النعم إلى أعباء، والعلاقات إلى مصادر للصراع، وفرص النمو إلى أسباب للندم. والأخطر من ذلك، أن غفلتهم تمنعهم من إدراك أن كل لحظة راحة هي فرصة للتوبة والإصلاح وإعادة

تنظيم حياتهم وفقاً لأوامر الله تعالى. وهكذا، وإن بدا لهم النجاح ظاهرياً، فإنهم في باطنهم قلقون، وفي الآخرة يكون إهمالهم خسارةً وعقاباً شديدين. إنما النجاح الحقيقي في طاعة الله تعالى والاستعداد للحياة الأبدية، لأن ذلك يؤدي إلى راحة البال في الدنيا والآخرة بتوازن النفس والجسد، وحسن توزيع كل شيء وكل شخص في حياتهم.

في هذا السياق، وقف النبي هارون عليه السلام صوتاً للحق والهدى. نهى قومه عن عبادة العجل، وحثهم على التوبة النصوح إلى الله تعالى. وقد عكست نصيحته الواجب النبوي في هداية الناس عن الباطل، وإرشادهم إلى الشكر والطاعة والاعتراف بالنعمة الإلهية. سورة طه، الآية 90

"ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم هو الرحمن الرحيم فاتبعوني وأطيعوا أمري "

بما أن هذا العالم دار ابتلاء، فسيختبر الناس بتعرضهم لقواعد سلوكية من صنع البشر تدعوهم إلى إشباع رغباتهم الدنيوية، مع أن الله تعالى أمرهم باتباع قواعد السلوك الإلهية التي تُعلمهم ضبط شهواتهم الدنيوية أي مجتمع بشري، مهما بلغ تطوره التكنولوجي أو عمق معارفه في هذه الحالة، يجب أن يتذكروا أن قدرة المتراكمة - حتى في مجالات العلوم الإنسانية العقلية والجسدية - على وضع معيار سلوكي شامل، ينسجم تماماً مع مجمل التجربة الإنسانية، وينطبق على كل حدث وحالة وسيناريو يمكن تصوره واجهه الإنسان طوال حياته على الأرض، تبقى هدفاً بعيد المنال. هذا المسعى مستحيل أساساً لأن البشرية لا تزال تكتسب فهماً جديداً ودقيقاً لعناصر مختلفة من الحياة البشرية، مثل العمليات الدقيقة في مناطق الدماغ المختلفة. في ظل هذا الاكتشاف المستمر، فإن تحقيق فهم كامل بما يكفي لإرساء إطار أخلاقي شامل وشامل، يضمن الطمأنينة والعدل على المستويين الفردي والجماعي، أمرٌ بعيد المنال. الله تعالى وحده قادر على هذا العمل، الفذ، فهو خالق كل شيء، وعلمه لا حدود له، يشمل كل ما كان، وكل ما هو كائن، وكل ما سيكون. وبالتالي، فهو وحده من يملك المكانة اللائقة ليضع للبشرية منهجاً للسلوك - منهجاً يُميز بوضوح بين الخير والشر والنافع والضار، ويهدي الأفراد إلى سلام داخلي مستقر بدلاً من حياة مُثقلة بالضغط. تُشير الروايات التاريخية بوضوح إلى أنه عندما تم تطبيق هذا القانون الإلهي بفعالية في حياة الناس اليومية، أدى ذلك إلى ازدهار السلام والعدل والسكينة في المجتمع. لذلك، من الضروري أن يقبل الأفراد هذا المنهج الإلهي للسلوك مُدركين أنه يُقدم لهم أعظم فائدة لرفاهيتهم، حتى لو تعارضت بعض جوانبه مع رغباتهم اللحظية. عليهم أن

،يتصرفوا كمريض عاقل يُقَرّ بنصيحة طبيبه ويتبعها، مُدركين أن العلاج الموصوف هو في النهاية لمصلحتهم .على الرغم من احتمال استخدام أدوية غير مُرضية واتباع نظام غذائي مُقيد

ولكن بما أن طاعة الله تعالى تتعارض مع شهوات الناس الدنيوية، فإن كثيرًا منهم سينكرون تعاليم الإسلام أو يتجاهلونها، حتى وإن ادعوا الإيمان بها، كما فعل بنو إسرائيل .بل سيصرون على اتباع قواعد سلوكية وضعها البشر تُمكنهم من تحقيق شهواتهم الدنيوية .سورة طه، الآية 91

"قالوا لن نزال عاكفين على العجل حتى يرجع إلينا موسى "

لما عيّن النبي موسى عليه السلام أخاه النبي هارون عليه السلام على بني إسرائيل في غيابه، حملة المسؤولية وسأله عنها .سورة طه، الآيتان ٩٢-٩٣

"قال يا هارون ما منعك إذ رأيتهم يضلون أن تتبعني فهل عصيت أمري؟"

عليه السلام، إلا أن الأخير حملة مسؤولية ما موسى عليه السلام شقيق النبي هارون على الرغم من أن النبي كلف به، ولم يسمح لعلاقاته العائلية أن تمنعه من ذلك .وهذا يُظهر المبدأ النبوي القائل بأن العدالة لا ينبغي أن تُمسّ بالعلاقات الشخصية .وبصورة أعم، فإن أحد الأسباب الرئيسية لتدهور المجتمعات هو التخلي عن العدالة .وقد حدّر النبي محمد عليه الصلاة والسلام في حديثٍ مُسجّل في صحيح البخاري، رقم 6787 من أن الأمم السابقة هلكت لأن حكامها كانوا يُعاقبون الضعفاء عند مخالفتهم القانون، ويعفون عن الأغنياء والنافذين، بمن فيهم أقاربهم .بل إنه، بصفته رئيسًا للدولة، أعلن في هذا الحديث أنه إذا ارتكبت ابنته جريمة، فسيُطبّق عليها العقوبة القانونية كاملةً .ومع أن أفراد عامة الناس قد لا يكونون دائمًا في وضع يسمح لهم بنصح قادتهم مباشرةً بالعدل، إلا أنهم يستطيعون التأثير عليهم بشكل غير مباشر من خلال تجسيد العدالة

في تعاملاتهم .على سبيل المثال، يجب على المرء أن يُنصف من يعولهم، كأولاده، بالمساواة بينهم .وقد نصّ على ذلك حديثٌ صريحٌ في سنن أبي داود، رقم 3544 .وبالمثل، يجب عليهم العدل في جميع معاملاتهم التجارية، بغض النظر عمّن يتعاملون معه .فإذا ما تمسك الأفراد بالعدل على المستوى الشخصي، ستتحسن رغبتهم في ذلك ، المجتمعات تدريجيًا .وفي المقابل، سيُجبر أصحاب النفوذ - كالسياسيين والقادة - على العدل .أم لا، إذ سيدركون أن الناس لن يتسامحوا مع الظلم

ولما كان النبي موسى عليه السلام قد عبّر عن غضبه لله تعالى، وكانت تربطه بأخيه النبي هارون عليه السلام صلة وثيقة، لم يعترض الأخير على أفعاله، بل أدرك خطورة الموقف .سورة طه، الآية 94

قال [هارون] يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم تراقب"قولي"

خفف النبي هارون عليه السلام من حدة الموقف بتذكيره النبي موسى عليه السلام بعلاقتهمما وبأنه أدى واجبه كخليفة له .وبشكل أعم، يُبرز هذا أهمية الحفاظ على الهدوء في المواقف العصبية، وخاصةً عندما يفقد الآخرون السيطرة على مشاعرهم .ينبغي السعي لتخفيف حدة هذه الظروف بمخاطبة الآخرين بلطف ولطف، وتجنب أي رد فعل قد يُفاقم التوترات .إذا استصعب المرء ضبط انفعالاته عند فقدان الآخرين لمشاعرهم .فمن المستحسن التزام الصمت، أو إن أمكن، الابتعاد عن الموقف، وعدم معالجة الأمر إلا بعد عودة الهدوء .ساعد هدوء النبي هارون عليه السلام على تهدئة النبي موسى عليه السلام، الذي لجأ إلى الله تعالى مستغفرًا لأخيه، ثم كَفَّر عن أفعاله بالدعاء له .سورة الأعراف، الآية 151

"قال رب اغفر لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين "

علاوة على ذلك، لم يتسرع النبي هارون عليه السلام في محاربة من عبدوا العجل الذهبي خوفاً من أن يؤدي ذلك إلى فتنة واسعة النطاق، مما يؤدي إلى إيذاء الأبرياء. ولذلك، حذرهم من معصية الله تعالى، وتجنب الصراع المسلح حتى عاد أخوه النبي موسى عليه السلام. سورة طه، الآية 94

"إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم تراقب قولي "

عموماً، يُشير هذا إلى أن من الأفضل التعامل مع الآخرين بالرحمة والرفق، لأن هذا السلوك أرجح بكثير لحثهم على العودة إلى الهداية من معاملتهم بقسوة. فالكلمة الرقيقة تُلين القلب، بينما الكلمة القاسية تُفسيه عندما يُقابل الناس بالشدة، غالباً ما يستجيبون بالغضب والمقاومة، حتى لو أدركوا في أعماقهم حقيقة ما يُنقل إليهم. وهكذا، تُصبح القسوة حاجزاً أمام الهداية، بينما يفتح الرفق باباً للتأمل والقبول. في الوقت نفسه، من لا تعني السلبية، جامع الترمذي، رقم 2701 المهم توضيح أن الأحاديث التي تُشجع على الرفق، مثل حديث أو الضعف. يُعلّم الإسلام التواضع، لكنه لا يُقرّ بالإهانة أو الاستغلال. بل يُؤمر الناس بتبني الرفق كأسلوب عام في التعامل مع الآخرين، مع الحفاظ على الحزم عند تجاوز الحدود. يعكس هذا التوازن النموذج النبوي الرحمة كصفة سائدة، والقوة والعزيمة عند مواجهة الحق أو الحق. عملياً، يعني هذا أن على الناس السعي لإصلاح الآخرين بالحكمة والصبر والرحمة، ساعياً دائماً إلى إصلاحهم لا إلى إذلالهم. ومع ذلك، إذا اقتضت الظروف الحزم - كما في حالة الظلم أو انتهاك الحقوق - فإن الحزم يكون في حد ذاته رحمة، إذ يمنع الضرر. وبقيم العدل. وهكذا يُعلّم الإسلام أخلاقاً كاملة: رفقاً بلا ضعف، وقوة بلا قسوة.

بعد أن تقبل موسى عليه السلام نهج النبي هارون عليه السلام في تعامله مع عبدة العجل الذهبي، لم يُسرع في محاكمة السامري صانع العجل الذهبي، بل أعطاه فرصة لشرح أفعاله. سورة طه، الآية 95

وما شأنك يا سامري؟ : قال

عمومًا، في حديثٍ رواه أبو داود برقم ٤٩٩٣، نصح النبي صلى الله عليه وسلم بأن حسن الظن بالآخرين من عبادة الله تعالى، أي أن حسن الظن بالناس طاعةٌ لله تعالى.

غالبًا ما يؤدي تفسير الأمور بشكل سلبي إلى آثام كالغيبة والقذف. ولذلك، يُشجّع الناس على تفسير المواقف بإيجابية كلما أمكن، مما يُعطي الآخرين فرصةً للشك. وللأسف، فإن لتبني عقلية سلبية عواقب تمتد من الأسرة إلى المستوى الوطني. يشهد التاريخ على دول خاضت حروبًا بناءً على مجرد افتراضات وشكوك، وبالمثل، فإن العديد من الفضائح التي تُروّج لها وسائل الإعلام مبنية على التخمين، وحتى الأنظمة القانونية. في بعض الأحيان، قد رسّخت الشك أساسًا للحكم.

على المستوى الشخصي، تُفسد هذه العقلية العلاقات. فمن اعتاد تفسير الأمور بشكل سلبي غالبًا ما يفترض أن الآخرين يسخرون منه أو يُقللون من شأنه، أقوالًا أو أفعالًا. هذا يمنعه من قبول النصيحة الصادقة، معتقدًا أنها سخرية، ويثنيه عن تقديمها خوفًا من رفضها أو إثارة الخلافات. هذا السلوك يُؤلّد المزيد من الصفات السلبية، كالمرارة والاستياء.

لذا، من المهم إدراك أنه حتى لو افترض المرء أن غيره ينتقده، فعليه قبول النصيحة إذا كانت مبنية على القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. فرفض النصيحة النافعة بدافع الشك هو حرمان من الهداية.

علاوة على ذلك، فإنّ التفسير السلبي المستمر للأمور قد يُؤدي إلى حالة نفسية مُدمرة، تُعرف باسم جنون العظمة. فالشخص المُستسلم لجنون العظمة سيظلّ يشكّ في نوايا الآخرين السيئة، مما قد يُدمّر العلاقات، بما فيها الزواج والروابط الأسرية الوثيقة.

لذا، ينبغي السعي لتفسير الأمور بإيجابية قدر الإمكان، فالعقلية الإيجابية تُنمّي علاقات سليمة، وتعزز الوحدة وتزرع السكينة الداخلية. أما العقلية السلبية، فتُشجّع على العداء وعدم الثقة، حتى تجاه من يُحسنون السلوك: سورة الحجرات، الآية ١٢. وهذا الموقف يمنع المرء من أداء حقوق الآخرين، وهو واجبٌ أمر به الله تعالى

...يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم

عندما سُئل السامري عن أفعاله، اعتذر عذراً لا يستند إلى أي دليل، لتبرير أفعاله، محاولاً بذلك التهرب من مواجهة عواقب أفعاله. سورة طه، الآية 96

" قال فهمت ما لم يعقلوا فأخذت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك ساورتني نفسي "

قُدِّمَت تفسيراتٌ مختلفةٌ لهذه الآية، لكن أوضحها هو أن السامري فهم أن اتباع شريعة إلهية يعني حُسن استخدامِه للنعم التي أنعم الله به عليها. ولأنه أثر السعي وراء شهواته الدنيوية، كالقيادة والنفوذ، فقد أدخل عمداً بدعةً دينيةً في الدين الذي جاء به الرسول النبي موسى عليه السلام، مُقنعاً الناس باتباعه، ومُضلياً إياهم بأنهم ما زالوا على هدى. لذا، يُحذّر هذا من الأخذ بالبدع الدينية الناتجة عن العمل بأمور غير مأخوذة من مصدري الهداية: القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. فكلما زاد اعتماد المرء على مصادر المعرفة الدينية قلّ العمل بمصدري الهداية. وهذا يؤدي حتماً إلى الضلال. ولذلك، حذّر النبي محمد صلى الله عليه وسلم في حديث رواه أبو داود برقم 4606 من أن كل أمر لا يستند إلى هذين المصدرين سيُرفض عند الله تعالى. بل كلما اعتمد المرء على مصادر أخرى للمعرفة الدينية، زاد احتمال تبنيه ممارساتٍ ومعتقداتٍ تتعارض مع تعاليم الإسلام. وهذه هي بالضبط طريقة الشيطان في إضلال الناس تدريجياً. فعلى سبيل المثال، قد يُنصح من يواجه صعوباتٍ بممارسة بعض التمارين الروحية التي تتعارض مباشرةً مع تعاليم الإسلام. فإذا كان جاهلاً ومعتاداً على اتباع مصادر غير موثوقة، فسيقع بسهولة في هذا الفخ، منخرطاً في ممارساتٍ تتحدى هدي الإسلام صراحةً. ومع مرور الوقت، قد يُفسد هذا الانحراف فهمه لله تعالى وللكون

وقد يبدأ في الاعتقاد بأن الناس أو الكائنات الخارقة للطبيعة تتحكم في مصيره، وهو اعتقادٌ يتعارض مباشرةً مع مبادئ الإسلام الأساسية. بعض هذه الممارسات والمعتقدات الضالة يصل إلى حد الكفر الصريح، كممارسة: سورة البقرة، الآية ١٠٢. السحر الأسود، وهو محرّمٌ إدانةً قاطعة

وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت و...". وما هاروت. وما يعلمان أحداً حتى يقولوا إنما نحن فتنّة فلا تكفر

لذا، فإن الحفاظ على الإيمان يتطلب الالتزام الصارم بمصدري الهداية، لأنهما وحدهما يوفران إطار الهداية، وهكذا. النقي. وأي انحراف، مهما كان صغيراً، يفتح باب البدع والخرافات، وفي نهاية المطاف، الضلال قد يفقد المرء إيمانه دون أن يشعر إذا اعتاد العمل بمصادر المعرفة الدينية خارج هذين المصدرين. ولهذا السبب، فإن العمل بالبدع الدينية غير المتجذرة في هذين المصدرين هو في الواقع اتباع لخطى الشيطان، فهو يُضل الناس تدريجياً، ويغريهم بممارسات تبدو فاضلة، لكنها في النهاية تحرفهم عن الصراط المستقيم. ما يبدأ كإضافة تبدو بريئة إلى الدين، يمكن أن يؤدي مع مرور الوقت إلى تآكل أسس الإيمان ذاتها، ويترك الشخص عرضة للكفر والهلاك الروحي. سورة طه، الآية 97

قال موسى: فاذهب، وإن لك في الحياة الدنيا أن تقول لا صلة، وإن لك موعداً لن تخلفه، وانظر إلى إلهك الذي كنت له عاكفاً، لنحرقنه ولنسفنه في اليم تهشيمًا

لذا، يجب على المرء تجنب البدع الدينية واتباع جميع قواعد السلوك الأخرى إذا أراد الحصول على راحة البال والنجاح في الدنيا والآخرة، وذلك من خلال تحقيق حالة ذهنية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في حياته على النحو الصحيح. سورة طه، الآية 98

"...إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو"

،في الإسلام المبدأ الأساسي هو توجيه البشرية إلى طاعة خالقها والرزاق، الله تعالى، في كل حال. في جوهره فإن غاية عبادة المرء هي، في الواقع، ما أو من يطيعه، حتى لو لم يعلن إيمانه بإله. يفترض هذا المنظور أن البشر خُلِقوا بحاجة فطرية إلى أن يُحكمهم ويُهتدوا بشيء ما. قد تتجلى هذه السلطة المطلقة في الآخرين، أو التوجهات التي تُملئها وسائل التواصل الاجتماعي، أو ما تُمليه الموضة، أو الثقافة السائدة، أو حتى رغبات الفرد. سورة الفرقان، الآية 43

"...أرأيت من اتخذ إلهه هواه"

المبدأ الراسخ هو أن الطاعة والتمسك بأي كيان هو في جوهره عبادة. لذا، يُطلب من المسلمين إثبات إيمانهم الشفهي بالأفعال العملية، مُظهرين طاعة خالصة لله تعالى في كل أحوالهم، مُقدمين إياه على كل شيء. هذا الالتزام يستلزم استغلال النعم التي أنعم الله بها عليهم بما يرضي الله، كما هو مبين بدقة في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. يُعدّ اتباع هذا السلوك المنضبط ضروريًا لتحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، وإعطاء الأولوية لجميع عناصر وعلاقات الحياة، والاستعداد الكافي للحساب النهائي يوم القيامة. (سورة النحل، الآية 97). وبالتالي، يؤدي هذا السلوك إلى تحقيق راحة البال في الدنيا والآخرة.

"من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون"

على العكس من ذلك، فإن من ينكر وحدانية الله تعالى، ويختار طاعة غيره وعبادته، سيُسيء استخدام النعم التي وُهِبَتْ له لا محالة. ويترتب على هذا الخلل اختلال التوازن النفسي والجسدي، واختلال ترتيب الأولويات

في كل شيء وكل شخص في حياته، وعدم الاستعداد الكافي للحساب يوم القيامة. وسيؤدي هذا إلى التوتر والضيق والصعوبات في الدنيا والآخرة، حتى وإن تمتع ببعض النعيم. سورة طه، الآيات ١٢٤-١٢٦

ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد
"كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى

:سورة طه، الآية 98

"إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو، وقد أحاط بكل شيء علماً"

إن ملاحظة خلق السماوات والأرض، وما فيها من أنظمة متوازنة تماماً، تقود إلى استنتاج مفاده أن خالقاً واحداً ورازقاً واحداً هو المسؤول عن الكون. ومن الأمثلة القاطعة على ذلك بُعد الشمس الدقيق عن الأرض فهذه المسافة بالغة الأهمية، لأن أي اختلاف طفيف - سواء كانت الشمس أقرب أو أبعد قليلاً - سيجعل الأرض، غير صالحة للسكن. وبالمثل، فإن الأرض نفسها قد تشكلت بطريقة محددة تُؤدِّد غلاًفاً جويّاً نقيّاً ومتوازناً :سورة البقرة، الآية ١٦٤. وهو أمر ضروري لازدهار الحياة عليها

"...واختلاف الليل والنهار ..."

إن دورة الليل والنهار المُحكّمة التوقيت، وتقلباتها على مدار العام، مُرتبة بدقة لتعظيم الفوائد المُتاحة للبشرية فإذا طالت الأيام، سيُصاب الناس بإرهاق شديد من جراء فترات النشاط الطويلة. وعلى العكس، إذا طالت الليالي، فلن يكون هناك وقت كافٍ للأفراد لكسب عيشهم واكتساب المعرفة والسعي وراء مساعٍ إنتاجية أخرى. وإذا قصرت الليالي، سيُحرم الناس من الراحة اللازمة للحفاظ على صحة مثالية. علاوة على ذلك فإن التغيرات في طول الليل والنهار ستُلحق الضرر بالمحاصيل حتمًا، مما يُؤثر سلبيًا على توفير القوت لكل من الإنسان والحيوان. إن كون دورات الليل والنهار، إلى جانب جميع الأنظمة المتوازنة الأخرى في الكون تعمل في انسجام تام وكامل يُشير بوضوح إلى وحدانية الله تعالى. لو كان هناك آلهة متعددة، لتنافست رغباتهم: بلا شك، مما لن يؤدي إلا إلى الفوضى والاضطراب في جميع أنحاء الكون. سورة الأنبياء، الآية 22

"وَلَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا"

:سورة البقرة، الآية 164

"والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء "

إن ملاحظة دورة الماء المتوازنة تمامًا تُشير إلى وجود خالق. فالماء المتبخر من البحر يصعد ويتكثف مُشكلًا أمطارًا حمضية تهطل على الجبال. ثم تؤدي الجبال وظيفةً أساسيةً في تحييد هذه الأمطار الحمضية، مما يجعلها آمنةً للاستخدام البشري والحيواني. وأي خلل في هذا النظام الدقيق والمتوازن سيؤدي إلى كارثةٍ كارثيةٍ على الحياة على الأرض.

يمنع محتوى الملح في البحر تلوثه بالكائنات الحية الميتة. لو سُمح للمحيط بالتلوث، لكانت الحياة البحرية غير مستدامة، وستطغى الشوائب الناتجة عنها في نهاية المطاف على الحياة البرية أيضًا. صُمم تركيب مياه

المحيط خصيصًا للسماح للحياة البحرية بالازدهار فيه، وفي الوقت نفسه تمكين السفن الثقيلة من الإبحار على سطحه. أي اختلاف طفيف في هذا التركيب من شأنه أن يحدث خللاً، مما يتيح إما ازدهار الحياة البحرية أو إبحار السفن، ولكن ليس كليهما في آنٍ واحد. حتى اليوم، لا يزال النقل البحري هو الوسيلة الأكثر شيوعًا لنقل البضائع حول العالم، مما يؤكد على أهمية هذا التوازن المثالي للحياة على الأرض.

بالنظر إلى مفهوم التطور كشكل من أشكال الطفرة، وهو مفهوم ناقص بطبيعته، نجد تناقضًا صارخًا عند مراقبة الأنواع العديدة. يبدو أنها خُلقت بطريقة متوازنة تمامًا تُمكنها من النمو في بيئاتها الخاصة. فالجمل على سبيل المثال، مُهيأ هندسيًا باتقان لتحمل درجات الحرارة العالية وفترات طويلة من عدم الماء، مما يجعله: سورة الغاشية، الآية 17. مُلائمًا تمامًا للحياة في الصحراء

أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ؟

يُستشهد بفسولوجيا الماعز كمثال آخر على التصميم المثالي، لا سيما في كيفية فصل جسم الحيوان للشوائب عن الحليب الذي ينتجه دون أي خلل. أي تلوث أو اختلاط للشوائب الداخلية بالحليب سيجعله غير صالح: سورة النحل، الآية 66. للاستهلاك

وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها من بين فرث ودم لبنًا خالصًا سائغًا للشاربين

لكل نوع عمر محدد، يعمل كآلية طبيعية لمنع أي نوع من الاكتظاظ السكاني والهيمنة على الأنواع الأخرى على سبيل المثال، عمر ذبابة المنزل قصير جدًا، يتراوح بين ثلاثة وأربعة أسابيع تقريبًا، لكنها تستطيع وضع ما يصل إلى 500 بيضة. لو طُوّر عمرها، لأصبحت أعدادها كبيرة بشكل غير متناسب، مما يُمكنها من التفوق على جميع الأنواع الأخرى على الأرض. على العكس من ذلك، عادةً ما تُنتج الكائنات ذات الأعمار

الأطول بكثير عددًا قليلًا من النسل، مما يُسهم أيضًا في اعتدال حجمها السكاني. لا يُمكن منطقيًا أن يُعزى هذا التوازن الشامل والمتسق في جميع أشكال الحياة إلى الصدفة أو أن يُفسّر بشكل كافٍ فقط بعملية التطور: سورة البقرة، الآية 164. غير الكامل

"...وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض ..."

وجود الرياح ضروري لعدة وظائف حيوية. فهي تُسهّل التلقيح الريحي، وهو ضروري لتكاثر مختلف المحاصيل والنباتات والأشجار. تاريخيًا، وحتى يومنا هذا، كانت الرياح ضرورية للسفر البحري، وهي الوسيلة السائدة لنقل البضائع عالميًا. كما أن الرياح ضرورية لحمل السحب الممطرة إلى مناطق محددة وتوزيع الماء الضروري لجميع الخليقة. يعمل نظام رياح متوازن تمامًا على الأرض؛ فغياب الرياح من شأنه أن يُسبب فوضى، تمامًا كما أن الزيادة المفرطة في نشاط الرياح تُؤدي أيضًا إلى فوضى. وبالمثل، فإن هطول الأمطار متوازن بدقة: فقلة الأمطار تُسبب الجفاف والمجاعة، بينما تؤدي الأمطار الغزيرة إلى فيضانات: سورة المؤمنون، الآية 18. عارمة

"ولقد أنزلنا من السماء ماءً بقدرٍ فأسكناه في الأرض وإنا على ذهابٍ به لقادرون"

من تأمل هذه الأنظمة المتوازنة تمامًا، لا يستطيع منطقيًا أن ينكر وجود خالق واحد ذي قدرة مطلقة على كل شيء. سورة طه، الآية 98. شيء

"إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو، وقد أحاط بكل شيء علماً"

إذا كان الفرد الذي يكتفي بتأمين بعض جوانب رزق شخص آخر، مثل توفير السكن، يستحق الشكر، فمن العدل والإنصاف أن تشكر البشرية الله تعالى على كل نعمة موجودة في الكون. الشكر المبني على النية يعني القيام بالأعمال لغرض إرضاء الله تعالى فقط. وعلى العكس من ذلك، فإن كل من كانت أفعاله مدفوعة بأسباب أخرى سيفقد أي مكافأة منه، وهو تحذير موجود في حديث مسجل في جامع الترمذي، رقم 3154. ومن علامات حسن النية الواضحة أن الشخص لا يتوقع أو يرجو أي تقدير أو تعويض من الآخرين. الشكر المعبر عنه باللسان يتضمن إما التحدث بما هو مفيد أو اختيار الصمت. وأخيرًا، فإن الشكر المعبر عنه بالأفعال يتضمن استخدام النعم التي وهبها الله للإنسان بطرق ترضي الله، كما هو مبين في القرآن الكريم وأحاديث النبي محمد صلى الله عليه وسلم. يُفهم أن هذا التجلي الشامل للشكر يؤدي إلى زيادة النعم، ويضمن راحة البال في الدنيا والآخرة، من خلال تحقيق حالة ذهنية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في مكانه الصحيح. سورة إبراهيم، الآية 7

لئن شكرتم لأزيدنكم

من المسلم به عمومًا أن من يملك شيئًا ما يحق له استخدامه كما يشاء. وبما أن الله تعالى هو الخالق والمالك والرازق لكل شيء في الكون، بما في ذلك البشر جميعًا، فهو وحده من يُقرر ما يجب وما لا يجب أن يحدث في هذا الكون. لذا، من المعقول والعاقل أن يُطيع الإنسان الله تعالى، فهو المالك الحصري للكون كله، بما في ذلك الإنسان نفسه.

وبالمثل، عندما يُقرض شخص ما شيئًا لآخر، يُتوقع من المُقرض أن يستخدمه وفقًا لرغبة صاحبه. لقد منح الله تعالى كل نعمة يملكها الإنسان، لا هبةً، بل قرضًا. وكأي دين دنيوي، فإن هذا القرض يستوجب السداد والطريقة الوحيدة لسداد هذا القرض هي استخدام تلك النعم بما يرضي الله تعالى. على النقيض تمامًا، فإن سورة الأعراف، الآية. النعم الممنوحة في الجنة هبةٌ حقيقية، أي أن للناس حرية استخدامها كيفما يشاؤون

43:

"وقيل لهم: تلك الجنة التي أورتتموها بما كنتم تعملون ..."

سورة. لذا، يجب الحذر من الخلط بين النعم الدنيوية، وهي قروض مؤقتة، والعطايا التي تنتظرنا في الجنة طه، الآية ٩٨.

"إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو، وقد أحاط بكل شيء علماً"

بما أن الله تعالى هو الخالق والرزاق والمحاسب على الخلق في العالمين، وهو وحده من يملك العلم الكامل بكل شيء، فيجب طاعته في جميع الأوقات من خلال تطبيق التوجيه الإلهي الذي كشفه لكل ظرف. الله تعالى هو الوحيد الذي يملك المعرفة اللازمة لضمان تحقيق الشخص لحالة ذهنية وجسدية متوازنة ووضع كل شيء، وكل شخص في حياته في مكانه الصحيح. على النقيض من ذلك، فإن معرفة البشر بالحالات العقلية والجسدية على الرغم من البحث والدراسة المكثفة، لن تكفي أبدًا لتحقيق هذه النتيجة. إن الفهم البشري محدود بطبيعته بالتجربة والبصيرة والتحيز. لا يمكنه حل كل مشكلة قد يواجهها الشخص في الحياة، ولا يمكنه ضمان الحماية من جميع أشكال الإجهاد العقلي والجسدي، ولا يمكنه توفير الحكمة لتحديد الأولويات وإدارة العلاقات والمسؤوليات بشكل صحيح. الله تعالى وحده يملك هذه المعرفة الكاملة، وقد أنزلها على البشرية في القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم. تتجلى هذه الحقيقة عندما نلاحظ الفرق بين من يستغلون النعم التي أنعم الله عليهم بها وفقًا للتعاليم الإسلامية ومن لا يستغلونها. فالأولون يحققون لذا، ينبغي. التوازن والوضوح والهدف، بينما يقع الآخرون في الحيرة والاختلال ومشاكل الصحة النفسية على الفرد اعتناق تعاليم الإسلام وتطبيقها لمصلحته الشخصية، حتى لو تعارضت تلك التعاليم مع رغبته الشخصية. وعليه أن يتصرف كمريض عاقل يتبع إرشادات الطبيب، مدركًا تمامًا أن العلاج الموصوف له هو في مصلحته - حتى لو كان يتضمن دواءً غير سار أو نظامًا غذائيًا مقيدًا. وكما يستعيد هذا المريض صحته النفسية والجسدية السليمة في النهاية، كذلك من يستسلم للمبادئ الإسلامية ويعيش وفقًا لها ينال العافية: سورة طه، الآيتان 98-99. والتوازن والسلام

"أحاط بكل شيء علمًا .كذلك نقص عليك من أنباء ما سبق .ولقد آتيناك من لدننا ذكرًا ..."

بما أن النبي محمدًا صلى الله عليه وسلم لم يكن على اطلاع بالكتب السماوية السابقة - وهي حقيقة يُقرّ بها أهل الكتاب وغير المسلمين في مكة - فلم يكن على علمٍ بالتعاليم المُعدّلة أو الأصلية الموجودة في هذه النصوص المقدسة .وهذا الواقع يُؤكّد الأصول الإلهية للقرآن الكريم .سورة طه، الآية 99

"نحن نقص عليك من أنباء ما قد سبق، ولقد آتيناك من لدننا ذكرًا..."

علاوةً على ذلك، تُعدّ هذه الآية تحذيرًا عميقًا من تبني -نظرة أنانية، حيث ينغمس الفرد في ظروفه الشخصية فقط، متجاهلاً حقائق الحياة الأوسع .تُحجب هذه العقلية قدرة المرء على إدراك الحكمة الكامنة في التاريخ والتجارب الشخصية، وصراعات الآخرين .يُعدّ التأمل في هذه الدروس من أنجع الوسائل لتنمية الشخصية النبيلة، وتجنب تكرار أخطاء الماضي، وتحقيق السكينة الداخلية الحقيقية .على سبيل المثال، تُقدّم مشاهدة الأثرياء والمشاهير وهم يُسيئون استخدام النعم التي مُنحت لهم - ليعانوا من القلق، والمرض النفسي، وإدمان المخدرات، وحتى الميول الانتحارية رغم تمتعهم بالرفاهية - تذكيرًا قويًا .يُبيّن هذا أن السلام الحقيقي لا يتحقق من خلال الممتلكات المادية أو السعي المفرط وراء الشهوات .وبالمثل، فإن رؤية شخص يُعاني من اعتلال الصحة يجب أن تُثير الامتنان لسلامته، -وثُلهمه على استخدامها الصحيح قبل أن يُفقدّها .لذا، يدعو الإسلام الناس باستمرار إلى التأمل، والنظر إلى ما وراء همومهم الآنية، واستخلاص الحكمة من العالم من حولهم .وبذلك، يحمون أنفسهم من الغفلة، ويبنون منظورًا يُغذي التوازن والشكر والسلام الدائم .ويتحقق ذلك من خلال الاستخدام الصحيح للنعم الممنوحة كما هو موضح في التعاليم الإسلامية .وهذا يؤدي إلى حالة ذهنية وجسدية سليمة، ووضع كل شيء وكل شخص في مكانه الصحيح في حياتهم .وهكذا، لا يصبح التأمل مجرد تمرين فكري، بل عبادة، تُوفق القلب والعقل مع طاعة الله تعالى، مما يؤدي إلى راحة البال في الدنيا والآخرة .

"ولقد آتيناكم من لدنا ذكرا"

لقد أُشير إلى الوحي الإلهي في هذه الآية بالتذكير. والتعاليم الإسلامية في الواقع بمثابة تذكير للناس أجمعين لأنها مصممة بتناغم تام مع الفطرة البشرية. فأي سلوك يتعارض مع الفطرة البشرية سيبدو غريباً حتماً، مما يُسبب اضطراباً عقلياً وجسدياً عند محاولة الأفراد اتباعه. في المقابل، ولأن التعاليم الإسلامية مصممة إلهياً لتتوافق مع جوهر الإنسانية، فإنها تُشعرنا بألفة فطرية، وتُغذي التوازن العقلي والجسدي. ويتجلى هذا الشعور بالألفة بشكل خاص لدى من يعتنقون الإسلام بعد اتباع دين أو أسلوب حياة آخر. ويشهد كثير من المهتمين أن مبادئ الإسلام، حتى دون دراسة مسبقة، تتردد في نفوسهم، كما لو كانوا يعيدون اكتشاف شيء محفور في قلوبهم. وذلك لأن الإسلام لا يفرض إطاراً مصطنعاً على البشر؛ بل يُعيدهم إلى حالتهم الفطرية التي خلق الله تعالى عليها الناس جميعاً. على النقيض من ذلك، غالباً ما تفرض أنظمة أخرى قواعد سلوكية غريبة عن الفطرة البشرية، مما يؤدي إلى صراع داخلي واختلال في التوازن والسخط. ومع ذلك، قد لا يُدرك المرء هذه الحقيقة تماماً إلا بعد أن يتعامل مع التعاليم الإسلامية بعقلية منفتحة ونزيهة. فالتحيز أو الغرور أو التعلق الأعمى بالتقاليد الموروثة قد يحجب القلب عن إدراك الانسجام بين الوحي والطبيعة البشرية. ولكن عندما نتعامل بصدق، فإن التوجيه الإلهي لا يكشف عن نفسه كعبء أو قيد، بل كتذكير يعيد التوازن ويزرع السكينة ويوجه البشرية نحو غايتها الحقيقية. وبهذه الطريقة، يصبح الوحي مرآة وبوصلة في آن واحد: مرآة تعكس الحقيقة الفطرية الكامنة في النفس البشرية، وبوصلة ترشدها نحو راحة البال في كلا العالمين، من خلال تحقيق حالة ذهنية وجسدية متوازنة ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في حياته بشكل صحيح.

لكن بما أن طاعة الله تعالى غالباً ما تتعارض مع رغبات الناس الدنيوية، فإن كثيراً منهم يُصرّون على في هذه الدنيا، يمنع هذا الموقف الإنسان من تحقيق معصيته بإساءة استخدام النعم التي أنعم الله بها عليهم. حالة نفسية وجسدية متوازنة، ويدفعه إلى إضاعة أولوياته فيما يتعلق بكل شيء وكل شخص في حياته ونتيجة لذلك، تصبح أمور كالعائلة والأصدقاء والعمل والثروة - التي يُفترض أنها نعمة - مصادر للتوتر والضيق. إذا أصرّوا على معصية الله تعالى، فإنهم يبدأون بإلقاء اللوم على الأشخاص والظروف غير المناسبة، حتى على من يُمثلون مصدرًا حقيقياً للخير، مثل الزوج/الزوجة. إن استبعاد هؤلاء الأشخاص من حياتهم لا يُسهم إلا في تعميق معاناتهم، مما يؤدي إلى تفاقم الاضطرابات النفسية، والاكتئاب، وإدمان

تتجلى هذه النتيجة عند ملاحظة أولئك الذين يُسيئون. المخدرات، وفي الحالات القصوى، الميول الانتحارية استخدام النعم الممنوحة لهم باستمرار، كالأثرياء والمشاهير، الذين غالبًا ما يُواجهون، على الرغم من رفايتهم الدنيوية، مشاكل صحية نفسية حادة. علاوة على ذلك، ولأن هذا الموقف يمنعهم أيضًا من الاستعداد للحساب: يوم القيامة، فإن عقابهم في الآخرة سيكون أشد بكثير. سورة طه، الآيتان ١٠٠-١٠١

"ومن أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزرا خالدا فيه وساء هو لهم يوم القيامة وزرا "

من المهم ملاحظة أن هذه الآيات تُنذر من يُعرض عن تعاليم الإسلام بعذاب أبدي في الآخرة. وهذا تحذير للمسلمين بأن يُدعموا إيمانهم بالله تعالى بالأعمال الصالحة، وإلا فقد يُغادرون هذه الدنيا بغير إيمانهم. من إدراك أن الإيمان كالنبذة الرقيقة التي تحتاج إلى تغذية مستمرة لتزدهر وتدوم. فكما أن النبتة التي الضروري تُحرم من ضوء الشمس والماء والرعاية تذبل وتموت، فكذلك إيمان الإنسان قد يهلك إذا لم يُغذَّ بطاعة الله تعالى. لا يبقى الإيمان حيًا في القلب بمجرد القول أو الشعور؛ بل يجب تغذيته بالصلاة والذكر والعمل الصالح فإذا أهمل الإيمان، ضعف تدريجيًا حتى ينطفئ تمامًا، تاركًا الإنسان قاحلاً. والثبات على الهداية الإلهية روحياً. هذه أعظم الخسائر، فبينما يمكن تعويض الخسائر الدنيوية، فإن فقدان الإيمان يحرم الإنسان من راحة: البال في الدنيا والآخرة. سورة طه، الآية ١٠٢

"يوم يُنفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا "

ثم يحذر الله تعالى الناس من أن تمنعهم شهواتهم الدنيوية من بلوغ راحة البال في الدنيا والآخرة بطاعته، فإن ملذات الدنيا التي يسعون إليها زائلة لا تدوم، ولن توصلهم إلى راحة البال في الدنيا ولا في الآخرة. سورة طه، الآيتان ١٠٣-١٠٤

سيتمتمون فيما بينهم ما لبثتم إلا عشرة أيام، نحن أعلم بما يقولون إذ يقول مثلهم الأعلى في طريقهم ما لبثتم "الإلا يوما واحدا".

بالإضافة إلى ذلك، يجب على المرء تجنب تبني الأمل الكاذب بطول العمر في هذه الدنيا، فالعمر يمر بسرعة مذهلة. في الواقع، فإن التفاؤل بطول العمر صفة مذمومة للغاية، وهي من الأسباب الرئيسية لتقديم الناس على جمع ممتلكات الدنيا على الاستعداد للآخرة. إن تأملاً بسيطاً في متوسط أربع وعشرين ساعة من يوم المرء - بالنظر إلى ما يُكرسه من مساعي دنيوية وقليل للآخرة - يكشف عن هذه الحقيقة. إن الأمل الكاذب بطول العمر من أقوى أسلحة الشيطان التي يستخدمها لإضلال الناس. عندما يقنع المرء نفسه بأنه سيعيش طويلاً، فإنه يؤجل الاستعداد للآخرة، ويتخيل أنه سيكون لديه وقت للتوبة والإصلاح في المستقبل القريب. ومع ذلك، في معظم الحالات، لا يأتي هذا "المستقبل القريب" أبداً، ويدركهم الموت دون استعداد كافٍ.

، علاوة على ذلك، فإن الأمل الكاذب بطول العمر يدفع المرء إلى تأخير التوبة الصادقة والسعي لتهديب أخلاقه، متوهماً أن الوقت المتبقي كافٍ. إنه يشجع على اكتناز الممتلكات الدنيوية، كالثروة، بغرس الخوف من أن يُترك المرء بلا سند في الشيخوخة عندما تضعف قوته البدنية. هذه المخاوف تتجاهل حقيقة أن الرب نفسه الذي رزق في شبابه سيستمر في الرزق في شيخوخته. في الواقع، قُدِّر الرزق لجميع الخلق قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف عام، كما أكدته حديث موجود في صحيح مسلم، رقم 6748. ومن اللافت للنظر حقاً - أن الشخص قد يُخصص أربعين عاماً من عمره للادخار للتقاعد - الذي نادراً ما يستمر لأكثر من عقدين. ومع ذلك يفشل في الاستعداد بنفس الاجتهاد للآخرة الأبدية.

لا يُحرّم الإسلام الاستعداد للحاجات الدنيوية. لا حرج في الادخار للمستقبل القريب، بشرط أن تكون الأولوية دائماً للآخرة. ومع ذلك، ورغم إدراكهم أن الموت قد يأتي في أي لحظة، يعيش كثيرون كأنهم سيخلدون في هذه الدنيا. بل إن بعضهم يتصرف كما لو أنه لو وُعد بالحياة الأبدية على الأرض، لسعى جاهداً لجمع المزيد من الدنيا، محصوراً فقط بدورة الليل والنهار. كم من الناس رحلوا قبل الموعد، وكم من قليل من يُلتفت إلى رحيلهم؟

في الواقع، من أعظم الآلام التي يختبرها الإنسان عند الموت - أو في أي مرحلة من مراحل الآخرة - الندم على تأخير الاستعداد للخلود. ولن ينفعه هذا الندم حينئذٍ، إذ تكون فرصة العمل قد فاتت. فالحكمة الحقيقية تكمن في إدراك قصر الحياة، وترك الآمال الكاذبة، والتفرغ للاستعداد للدار الآخرة. سورة المنافقون، الآيتان ١٠-١١:

وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكون من الصالحين ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون.

يُعَدُّ المرء أحمقاً لو كرّس وقتاً وجهداً ومالاً أكثر لبيتٍ سيقم فيه قليلاً، مُهملاً البيت الذي كان ينوي العيش فيه طويلاً. هذا مثلاً دقيق لمن يُفضّلون حياة الدنيا الزائلة على حياة الآخرة الخالدة.

يُعَلِّمُ الإسلام الناس السعيَ للدنيا والآخرة، مُؤدِّينَ مسؤولياتهم في هذه الحياة دون أن يغيب عن بالهم مصيرهم، ومع ذلك، يجب أن نتذكر أن الموت لا يأتي في وقتٍ أو وضعٍ أو عمرٍ يعلمه أحد، مع أن حلوله حتمي. لذلك فإن الاستعداد للموت وما يليه يجب أن يُقدَّم على الاستعداد لمستقبلٍ في هذه الدنيا، وهو أمرٌ غير مؤكد وقد لا يأتي أبداً. تكمن الحكمة الحقيقية في موازنة مسؤوليات الدنيا مع الأولوية الكبرى للاستعداد الأبدي، وضمان أن يكون جهد المرء في هذه الحياة وسيلةً لنيل راحة البال في الدنيا والآخرة من خلال تحقيق حالة ذهنية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء وكل شخصٍ في حياته على النحو الصحيح. سورة طه، الآيتان 103-104:

سيتمتعون فيما بينهم ما لبثتم إلا عشرة أيام، نحن أعلم بما يقولون إذ يقول مثلهم الأعلى في طريقهم ما لبثتم "إلا يوماً واحداً".

لأن الحياة قصيرة في هذا العالم، مهما طال الزمن، ينبغي على المرء السعي وراء ما هو ثمين ويمنحه راحة كلما سعى المرء إلى الاستمتاع بالملذات المشروعة في العالم المادي، سرعان ما .البال في كلا العالمين يلاحظ كيف تتلاشى حلاوتها في القلب بسرعة .على سبيل المثال، عند العودة من عطلة، تتلاشى متعة التجربة على الفور تقريباً، مما يدفع المرء إلى التخطيط لرحلة أخرى بحثاً عن الشعور نفسه .وبالمثل، بمجرد انتهاء فيلم أو برنامج تلفزيوني، تتلاشى حلاوة التجربة، تاركةً رغبة في مشاهدة شيء آخر لاستعادة ذلك الشعور العابر بالمتعة .ينطبق هذا النمط على جميع المساعي الباطلة أو الخاطئة .في الواقع، إن هذه الرغبة المستمرة في إعادة تجربة الحلاوة المؤقتة هي التي تغذي صناعة الترفيه

،في المقابل، تبقى حلاوة الأعمال التي تُرضي الله تعالى .فالمؤمن الذي يؤدي فريضة الحج بإخلاص، مثلاً .يبقى حلاوتها لعقود .وكذلك من يقوم بعمل خيري، كبناء مسجد أو كفالة يتيم، تبقى حلاوته في قلبه لسنوات وهذا يُظهر أن من يتمنى دوام حلاوة النفس عليه أن يسعى إليها بالأعمال التي تُرضي الله تعالى، لا بالباطل .أو المعصية

علاوة على ذلك، تُعدّ هذه الحقيقة دليلاً عميقاً على ما يحمل قيمة حقيقية في هذه الدنيا .فما يدوم له قيمة :سورة النحل، الآية 96 .حقيقية، بينما ما يزول سريعاً متقلب، وفي نهاية المطاف لا قيمة حقيقية له

"...كل ما لديك فانٍ، وما عند الله باقٍ"

نُقاس قيمة كل إنسان بما يسعى إليه .فإذا سعى إلى ما هو دائم وقِيم حقاً، امتلك قيمةً لنفسه، ودامت سلامته وأعماله .أما إذا سعى إلى ما هو زائل لا قيمة له، فسرعان ما تتلاشى متعته، وتصبح حياته أيضاً خاليةً من .أي قيمة باقية

كان قادة غير المسلمين يعارضون الإسلام بطرق مختلفة لثني الآخرين عن اعتناقه، خوفاً من فقدان نفوذهم الاجتماعي وقيادتهم. ومن هذه الأساليب طرح أسئلة على النبي محمد صلى الله عليه وسلم، لتحدي التعاليم الإسلامية، مثل حقيقة خراب السماوات والأرض يوم القيامة. سورة طه، الآية 105

"ويسألونك عن الجبال"

لأن الجبال أصلبُ هياكلٍ طبيعيةٍ يُمكنهم تمييزها، سيُفاجأون بدمارها المحتوم يوم القيامة. لكن أيَّ عاقلٍ يُدرك سورة طه، الآيات ١٠٥-١٠٧. أن من خلق الجبال الشامخة قادرٌ على إزالتها

ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا ويترك الأرض هادية لا ترى فيها منخفضاً ولا ارتفاعاً

ينبغي تجنب التشبه بأئمة غير المسلمين في مكة، والاستجابة لأمر الله تعالى في الدنيا قبل أن يصلوا إلى الآخرة حيث يستجيبون لداعيه داعياً الناس إلى يوم القيامة، طوعاً أو كرها. سورة طه، الآية ١٠٨

"يومئذٍ كلُّ ذي دَعْوَةٍ لا دَعْوَى عنه"

لذا، ينبغي على الناس الاستجابة لدعوة الله تعالى، التي نزلت على لسان النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، بطاعة خالصة. تتجلى هذه الطاعة في تنفيذ أوامر الله تعالى، واجتناب نواهيه، ومواجهة القدر بصبر وثبات، عملاً بالسنة النبوية الشريفة. باتباع هذا المنهج الشامل - طاعة في العمل، وكف عن المعصية، وصبر

في البلاء - يضمن الإنسان استغلال النعم التي وهبه إياها فيما يرضي الله تعالى .وهنا يكمن الهدف الحقيقي ،من النعمة الإلهية :ليس مجرد التمتع بالعطايا الدنيوية، بل استخدامهما الصحيح كوسيلة للتقرب إلى الخالق وتحقيق النجاح وراحة البال في الدنيا والآخرة، من خلال تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، ومن خلال :سورة الأنفال، الآية 24 .وضع كل شيء وكل شخص في حياته على الوجه الصحيح

... يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم

من استجاب للنداء الإلهي في الدنيا، وجد النداء الأخير سهلاً في تحمله والاستجابة له .أما من غفل عن نداء الله تعالى، مُسيئاً استخدام النعم التي وَهَبَتْ له، فلن يجد راحة في هذه الدنيا، إذ سيُصاب بحالة نفسية وجسدية ،غير متوازنة، ويُسيئ توزيع كل شيء وكل شخص في حياته، وسيُجبر على إجابة نداء الصور يوم القيامة نداءً سيثقل كاهله، ويُصبح حملاً ثقيلاً عليه .لا يُمكن للإنسان أن يتجاهل نداء الله تعالى طويلاً، لأن النداء الأخير آتٍ لا محالة - عاجلاً أم آجلاً - ولن يستطيع أحدٌ تجنبه أو تجاهله .ولما كان هذا الواقع مؤكداً، فإن الحكمة تقتضي الاستجابة له الآن، اليوم، بدلاً من الاستمرار في الغفلة .فمن سمع نفخة البوق وهو غافل، لم ينفعه فعل ولا ندم، وما يليه أشد هولاً وقسوة .سورة طه، الآية ١٠٨

"وَحَسِبْتُ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا "

،كما يُخضع كلُّ إنسانٍ للصمت يوم القيامة، فينبغي على المرء أن يتحلّى بهذا التواضع في كلامه في الدنيا ويمكن تقسيم الكلام .كما في أوقات الشدة التي قدَّرها الله تعالى عليه، لينال رحمة الرحمن وبركاته في الدارين عموماً إلى ثلاثة أقسام :الأول :الكلام الخبيث، الذي يجب اجتنابه تماماً، لما فيه من ضرر على صاحبه وعلى غيره .والثاني :الكلام الطيب، الذي ينبغي أن يُقال في وقته المناسب، لما فيه من نفع للفرد والمجتمع .والثالث :الكلام الفارغ .ومع أن هذا النوع من الكلام لا يُعدُّ في حدِّ ذاته إثماً أو عملاً صالحاً، إلا أنه غالباً ما يكون بل إن الكلام الفارغ يُصبح ندماً يوم القيامة، حين يُدرك المرء ما .مدخلاً للكلام الفارغ، ولذلك يُفضَّل اجتنابه أضاعه من فرص وأوقات كان من الممكن استثمارها في ذكر الله تعالى أو في أعمال نافعة .ولذلك، أوصى

النبي محمد صلى الله عليه وسلم في حديث صحيح مسلم رقم 176 بأن يقول الإنسان خيرًا أو يصمت. ويُبرز هذا المبدأ جسامة المسؤولية الملقاة على عاتق اللسان. فبحفظ اللسان، لا يقي الإنسان نفسه من المعصية. فحسب، بل يضمن أيضًا أن يكون كلامه وسيلةً للهداية والسلوان والثواب لا سببًا للندم والعقاب.

وكما أن الأمل بطول العمر وعدم تقدير فانيات الدنيا يمنعان من طاعة الله تعالى، فكذلك التمني، كأن ينتظر من ينقذه يوم القيامة مع إصراره على معصية الله تعالى. سورة طه، الآية ١٠٩

"يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له من القول "

مع أن الشفاعة واقعٌ واقع يقع يوم القيامة، وهو أمرٌ خاضعٌ تمامًا لإذن الله تعالى الصريح، إلا أنه من الضروري ألا يُستهزأ بأهميتها أو يُهملها أو يُستهزأ بها. فهذا الموقف يُهدد بحرمان المرء من هذا التجلي العظيم للرحمة الإلهية. وغالبًا ما ينبع الاستهزاء بمفهوم الشفاعة أو التقليل من شأنه من التمني، حيث يُهمل المرء استخدام النعم الممنوحة له وفقًا للمبادئ الإسلامية، مع افتراضه أن النجاة ستتحقق بتدخل الآخرين كأفراد الأسرة أو الأولياء أو الشخصيات الروحية. وهذا الاعتماد الزائف لا يُقرض المسؤولية الشخصية فحسب، بل يُناقض أيضًا غاية الشفاعة ذاتها، وهي مخصصة لمن يسعون بإخلاص إلى طاعة الله تعالى والثبات على هدايته. في الحقيقة، من يسخر من مفهوم الشفاعة أو يُسيء استخدامه بهذه الطريقة، قد يجد النبي محمدًا صلى الله عليه وسلم يشهد عليهم يوم القيامة، بدلًا من أن يشفع لهم. فالشفاعة ليست رخصةً للغفلة، بل رحمةً لمن يُكرم الهدى الإلهي ويسعى إليه). سورة الفرقان، الآية 30)

"وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا "

، هذه الآية تُشير تحديدًا إلى المسلمين، فهم وحدهم من أقرّوا بهدي القرآن الكريم وقبلوه .أما غير -المسلمين فلا يُعتبرون قد تخلّوا عنه لعدم اعتناقهم تعاليمه .فأي مسلم يشهد عليه النبي محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة، ستكون عاقبته جليّةً وشديدة

علاوة على ذلك، حتى في حالات الشفاعة، فإن التهاون في الدنيا قد لا يمنع من دخول النار، بل قد يُخفف من شدة العذاب أو مدته .مع ذلك، يجب إدراك أن حتى أقصر تجربة في النار عميقة لا تُطاق، تتجاوز إدراك العقل البشري .لذا، فإن أي أمل صادق في الشفاعة يجب أن يُصاحبه سعيٌ جاد، أي استخدامٌ فعّالٌ وصادقٌ للنعم وفق القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم .حينها فقط يُمكن للمرء أن يأمل الشفاعة يوم القيامة بحق، مُدركًا أنها ليست حقًا يُطالب به، بل هي رحمةٌ مُنحت بسلطان الله تعالى وإذنه .إن الاعتماد عليها دون سعي هو غفلة، أما السعي بإخلاص في طاعة الله تعالى، فإن رجاؤها هو تجسيدٌ لتوازن الخوف والرجاء الذي يُميز الإيمان الحقيقي

لمحاسبة الناس يوم القيامة، لا بدّ من إحياء الموتى وسلطانهم، كما ذكرنا سابقًا، وكلاهما لله تعالى وحده .كما لا بدّ من علمهم بنواياهم وأقوالهم وأفعالهم، وهو علمٌ لله تعالى وحده، فهو يعلم ما مضى وما حاضر وما مستقبل .سورة طه، الآية ١١٠

"الله يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما "

،يمكن فهم الجزء الأخير من هذه الآية على أنه إشارة إلى حقيقة أن البشر، بغض النظر عن مدى معرفتهم لن يدركوا أبدًا جوهر الله تعالى وصفاته الإلهية - مثل علمه اللامتناهي وقدرته وحكمته .ومع ذلك، لتجنب تكوين معتقدات مضللة أو مجسمة عن الله تعالى، من الضروري دراسة أسمائه وصفاته الإلهية كما وردت في القرآن الكريم وأحاديث النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم .هذه الدراسة تعزز الإيمان السليم والمتوازن بالله تعالى، وتلهم الطاعة الصادقة من خلال توجيه الأفراد إلى استخدام النعم التي وهبها لهم وفقًا للمبادئ الإسلامية .وعلى العكس من ذلك، يمكن أن يؤدي الجهل بالأسماء والصفات الإلهية إلى مفاهيم

خاطئة عن الله تعالى، والتي بدورها تؤدي إلى العصيان والغفلة .على سبيل المثال، من فهم أن الله تعالى غفور رحيم، فإنه يسعى جاهداً لطاعته، راجياً عفوه، مدرّكاً لضرورة التوبة والعمل الصالح .أما من أساء فهم طبيعة المغفرة الإلهية، فقد يُصر على المعصية، ظاناً خطأ أنه سيُغفر له مهما كانت أعماله .هذا الظنّ بالسوء هو في حد ذاته ضرب من الوهم، فالرحمة الإلهية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالاجتهاد الصادق والتوبة والطاعة.

:سورة طه، الآية 110

"الله يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولكن لا يحيطون به علماً "

علاوة على ذلك، وبشكل أكثر تحديداً، يمكن فهم الآية 110 على أنها إشارة إلى المعرفة المحدودة للغاية للبشر، بغض النظر عن مقدار ما اكتسبوه في مختلف العلوم، عند مقارنتها بعلم الله تعالى اللامتناهي .تشير هذه الحقيقة إلى أن الله تعالى وحده يمتلك المعرفة اللازمة لضمان وصول الشخص إلى حالة ذهنية وجسدية متوازنة ووضع كل شيء وكل شخص في حياته في مكانه الصحيح .على النقيض من ذلك، فإن معرفة البشر بالحالات العقلية والجسدية للأفراد، على الرغم من الكم الهائل من الأبحاث التي أجريت، لن تكفي أبداً لتحقيق هذه النتيجة .لا يمكن للنصيحة البشرية أن تحل كل مشكلة قد يواجهها الشخص في الحياة، ولا يمكنها أن تضمن الحماية من جميع أشكال الإجهاد العقلي والجسدي .وبالمثل، لا يمكنها أن توفر الحكمة لتحديد أولويات العلاقات والمسؤوليات وإدارتها بشكل صحيح، لأن المعرفة البشرية محدودة بطبيعتها بالتجربة والبصيرة والتحيز .الله تعالى وحده يملك هذه المعرفة الكاملة، وقد أنزلها على البشرية في القرآن الكريم وأحاديث النبي محمد صلى الله عليه وسلم الصحيحة .وتتجلى هذه الحقيقة عندما نلاحظ الفرق بين من يستغلون النعم التي وهبها الله لهم وفقاً للتعاليم الإسلامية ومن لا يستغلونها

:سورة طه، الآية 110

"ولكنهم لا يحيطون به علماً..."

قد يشير الضمير المذكور في هذه الآية أيضاً إلى يوم القيامة، الذي سبق ذكره في الآيات السابقة. مع أن حقيقة يوم القيامة تتجاوز إدراك الناس، إلا أنه يجب على المرء تقوية إيمانه به من خلال دراسة أحاديثه في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، فهذا يساعد على الاستعداد العملي له بالاستفادة من النعم الممنوحة له كما وردت في التعاليم الإسلامية. إن خضوع المرء لشهواته الدنيوية في طاعة الله تعالى يضمن له الفوز يوم تُذل فيه كل الأشياء أمامه. سورة طه، الآية ١١١

"...وَحَشَعْتُ أُجُوهَ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ"

في الواقع، لا يمكن لأي شخص يمكن أن يختبر الموت ويعتمد على شيء أو شخص آخر في الرزق أن يكون إلهاً. هذه الحقيقة وحدها تنفي ألوهية كل كيان في السماوات والأرض إلا الله تعالى. علاوة على ذلك، بما أن الله تعالى هو وحده خلق الحياة والموت ويرزق جميع الخلق، فهو وحده المستحق للطاعة. وكما أن الشخص الذي يوفر لشخص آخر جانباً من جوانب الرزق - مثل السكن - يستحق الشكر، فإن ذلك يتبع ذلك أيضاً أن الله تعالى، الذي منح كل نعمة في الكون، هو أحق بالشكر. والشكر بالنية يستلزم العمل فقط لمرضاة الله تعالى لأن الأعمال التي تتم لأسباب أخرى لن تنال ثوابه. وقد أكد ذلك حديث موجود في جامع الترمذي، رقم 3154 ومن علامات حسن النية أن الشخص لا يطلب التقدير أو الجزاء من الآخرين. ويكون الشكر باللسان. 3154 بالقول فقط بالخير أو بالصمت. شكرُ النعم بالأفعال هو استخدامُ النعم بما يُرضي الله تعالى، كما ورد في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. وهذا الشكرُ يؤدي إلى زيادة النعم، ويؤدي في نهاية من خلال تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع، المطاف إلى راحة البال في الدنيا والآخرة: سورة إبراهيم، الآية 7. كل شيء وكل شخص في الحياة على الوجه الصحيح

لئن شكرتم لأزيدنكم

كما يُعتبر المالك الشرعي للشيء عمومًا صاحب السلطة في تحديد استخدامه، فكذا الخالق يملك السلطة المطلقة. وبما أن الله تعالى خلق الكون بأكمله، بما في ذلك الأفراد، ويملكه ويديمه، فمن حقه وحده أن يُملّي ما يجب وما لا يجب أن يحدث فيه. وبالتالي، يُرى من المناسب للفرد أن يخضع لأوامر الله تعالى، لأنه وحده مالك الكون بأكمله، بما في ذلك الأفراد.

وبالمثل، عند إقراض شيء ما لشخص آخر، يُتوقع من المُقرض أن يستخدمه وفقًا لرغبته. لقد أنعم الله تعالى على البشرية بكل نعمة دنيوية كقرض، لا كهبة. وكما هو الحال مع القروض الدنيوية، فإن هذا القرض الإلهي يحمل في طياته توقعًا بالسداد. ولا يتحقق هذا الالتزام إلا بحسن استخدام هذه النعم بما يرضي الله تعالى. سورة الأعراف، الآية. أما النعم الممنوحة في الجنة، فهي هبة، تُتيح للمُقرض حرية استخدامها كما يشاء

43:

"وقيل لهم: تلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون..."

لذلك، لا ينبغي لنا أن نخطئ بين النعم الدنيوية، التي هي قرض، وهدايا الجنة.

من لم يطع الله تعالى، لما يتعارض مع شهواته الدنيوية، مع أنه وحده خالق الخلق ورافعه، سيُسيء استخدام نعمه لا محالة. هذا السلوك في هذه الحياة يمنع الإنسان من تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، ويدفعه إلى إعطاء الأولوية لكل شيء وكل شخص في حياته. ونتيجة لذلك، تصبح جميع جوانب حياته، بما في ذلك عائلته وأصدقائه وعمله وثروته، مصدرًا للتوتر. إذا استمر الفرد في معصية الله تعالى، فقد يُلقى باللوم على الآخرين أو الظروف، مثل شريك حياته، في توتره. إن إزالة هذه التأثيرات الإيجابية من حياته لاحقًا لا تؤدي إلا إلى تفاقم ضائقة النفسية، مما قد يؤدي إلى الاكتئاب وإدمان المخدرات، وحتى الميل الانتحاري. هذه

النتيجة ملحوظة لدى من يُسيء استخدام النعم الممنوحة لهم، مثل الأغنياء والمشاهير، على الرغم من تمتعهم برفاهية الدنيا . علاوة على ذلك، ولأن هذا المنظور حال دون استعدادهم للحساب يوم القيامة، فإن عقابهم :سورة طه، الآية ١١١ . النهائي في الآخرة سيكون أشد بكثير

"وقد خاب من حمل الظلم ..."

لتجنب هذه النتيجة، يجب على المرء طاعة الله تعالى، وذلك بحسن استخدام نعمه كما وردت في التعاليم هذا النهج يضمن للفرد حالة نفسية وجسدية متوازنة، ويضع أولويات دقيقة لكل شيء وكل شخص .الإسلامية .في حياته، مع الاستعداد الكافي للحساب يوم القيامة .وهذا السلوك يؤدي إلى راحة البال في الدنيا والآخرة .سورة طه، الآية ١١٢

"ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما "

يجب ملاحظة أن القيام بالأعمال الصالحة، بالاستخدام الصحيح للنعم التي مُنحت على النحو المبين في التعاليم الإلهية، قد تم ذكره قبل الإيمان في هذه الآية .وهذا يسلط الضوء على أهمية دعم الإيمان بالأعمال الصالحة الحصول على حالة ذهنية وجسدية متوازنة من أجل الحصول على راحة البال في كلا العالمين، من خلال ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في حياته بشكل صحيح .في الواقع، فإن من يفشل في دعم إعلانهِ من الضروري إدراك .اللفظي عن الإيمان بالله تعالى بالأعمال الصالحة يكون في خطر كبير من فقدان إيمانه أن الإيمان يشبه النبات الذي يتطلب تغذية مستمرة من خلال أعمال الطاعة لينمو ويستمر .وكما أن النبات سوف يهلك بدون قوت، مثل ضوء الشمس، فإن إيمان الشخص قد يتضاءل ويموت بالمثل إذا لم يتغذى .بأعمال الطاعة المستمرة .يمثل فقدان الإيمان أعرق وأهم ضرر

لتجنب هذه النتيجة وغيرها من مساوئ معصية الله تعالى، والتي سبق ذكرها، يجب على المرء طاعته بإخلاص، وذلك باستخدام نعمه كما وردت في التعاليم الإسلامية. سورة طه، الآية ١١٣

"وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يكون لهم تذكرة"

مهما بلغ تقدم أي مجتمع، ومهما اكتسب من معارف في مختلف المجالات، بما فيها الجوانب العقلية والجسدية، للإنسان، يبقى من الصعب على أي جماعة بشرية صياغة مدونة سلوك تتوافق تمامًا مع الفطرة البشرية وتستوعب جميع الظروف والأحوال والسيناريوهات التي قد يواجهها الأفراد أو المجتمعات على الأرض. هذا، المسعى مستحيل أساسًا، إذ تواصل البشرية اكتشاف رؤى جديدة تتعلق بمكونات محددة من الوجود البشري مثل وظائف مناطق مختلفة من الدماغ البشري، ناهيك عن تراكم فهم كافٍ لوضع مدونة سلوك لا تشوبها شائبة، تعزز الطمأنينة والعدل على المستويين الفردي والاجتماعي. الله تعالى وحده هو القادر على تحقيق ذلك، فهو خالق كل شيء، وعلمه لا حدود له، يشمل الماضي والحاضر والمستقبل. وهكذا، فهو وحده المستحق أن يُرسي للبشرية ميثاقًا للسلوك - معيارًا يميز الخير عن الشر، والنافع عن الضار، ويُسهّل تحقيق راحة البال في حياةٍ مثقلة بالضغط. تُثبت الأدلة التاريخية بما لا لبس فيه أنه عندما طُبّق هذا الميثاق الإلهي بفعالية في حياة الأفراد، أدى ذلك إلى انتشار الطمأنينة والعدل والسلام في المجتمع. وبالتالي، يجب على الأفراد اعتناق الميثاق الإلهي الذي أنعم الله عليهم به، مُدركين أنه الأنسب لرفاهيتهم، حتى لو تعارضت بعض عناصره مع رغباتهم الشخصية. يجب أن يتصرفوا كمريض حكيم يُقرّ بنصيحة طبيبه ويلتزم بها، مُدركين أن النصيحة في النهاية تصب في مصلحتهم، على الرغم من وصف أدوية غير مُرضية ونظام غذائي صارم. سورة طه، الآية ١١٣.

"وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا"

إن تذكير غير المسلمين في شبه الجزيرة العربية بأن القرآن الكريم قد أنزل بلغتهم يُشير إلى أنهم، رغم، حتى أفصح الجمل وأسطبها. إنقائهم للغة العربية، لا يُمكنهم مُجاراة القرآن الكريم بأي شكل من الأشكال

والتي كُتبت بالعربية، سَتَقْصَرُ كثيرًا عن القرآن الكريم. بخلاف الخطاب البشري، يتغلغل القرآن الكريم في جوهر الطبيعة البشرية، ونفسياتها، وفطرتها ببصيرة لا تُضاهى. يُقَدِّم هدايته بوضوح بالغ، حتى من لم يتلقَّ تعليمًا رسميًا يُمكنه فهمها وتطبيقها في حياته. علاوةً على ذلك، ينقل القرآن الكريم حقائق عميقة ومُجرّدة، بعبّارات بسيطة، في تناول جميع الأفراد وقابلة للتطبيق. يُعالج القرآن الكريم الواقع الأصيل للطبيعة البشرية ويُقدِّم هداية خالدة تناسب كل فرد ومجتمع وعصر. لا يُمكن لأي آية، ولن تُضاهيه أبدًا، في هذا الصدد، مما. سورة طه، الآية 113. يُؤكد مصدره الإلهي

"وكذلك أنزلناه قرآنًا عربيًا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يكون لهم تذكرة"

بشكل عام، تتجلى في القرآن الكريم تعبيراتٌ لا مثيل لها، ومعانيه معبرةٌ بدقّةٍ فائقة. تُظهر آياته وكلماته بلاغةً تتفوق على أي عملٍ أدبي آخر. بخلاف الكتب المقدسة والتعاليم الأخرى من مختلف الأديان وأنماط الحياة، يخلو القرآن الكريم بوضوحٍ من التناقضات. فهو يُقدم سرًّا كاملاً لتاريخ الأمم السابقة، مع أن النبي محمدًا صلى الله عليه وسلم لم يدرس التاريخ دراسةً منهجية. يأمر القرآن الكريم بكل ما هو مفيد وينهى عن كل ما هو ضار، مُعالجًا العواقب الفردية والاجتماعية على حدٍ سواء. وبذلك، يُرسي العدل والأمن والسلام في الأسر والمجتمعات بفعالية. ويتجنب المبالغة والكذب والخداع، على عكس الشعر والقصص والخرافات كل آية فيها فائدة ويمكن تطبيقها عمليًا في الحياة. حتى عند سرد القصة نفسها، يُبرز القرآن الكريم دروسًا جديدة، مما يضمن عدم تحولها إلى رتابةٍ عند التكرار. يُقدِّم القرآن الكريم وعودًا وتحذيرات، مدعومةً دائمًا بأدلة دامغة وواضحة. حتى عند تناوله مفاهيم قد تبدو مجردة، كالصبر مثلاً، يُقدِّم القرآن الكريم أساليب بسيطة وعملية لتطبيقها في الحياة اليومية. يُذكر الناس بغايتهم الحقيقية: طاعة الله تعالى بإخلاص، باستخدام نعمه بما يُرضيه. هذه الطاعة تضمن السلام والنجاح في الدنيا والآخرة من خلال حالة متوازنة من العقل والجسد، والتنظيم السليم لكل شيء وكل شخص في حياة المرء. يُبين القرآن الكريم الصراط المستقيم واضحًا وجذابًا لكل من يسعى إلى السلام الحقيقي والنجاح في الدنيا والآخرة. يُخاطب جوهر الطبيعة البشرية، جاعلاً هدايته خالدة ومناسبة لكل شخص ومكان وعصر. عندما يُفهم ويُطبّق بشكل صحيح، يُصبح الحل للتحديات العاطفية والمالية والجسدية، مُقدِّمًا إجابات لكل صعوبة تواجه الأفراد والمجتمعات. يشهد التاريخ نفسه أن المجتمعات التي عاشت بصدق وفقًا لتعاليم القرآن الكريم جنت بركات حكمته الخالدة. والأمر اللافت للنظر هو أن القرآن الكريم لم يُغيّر حرًا واحدًا على مرّ العصور، فقد وعد الله تعالى بحفظه. ولا يوجد نصّ آخر في تاريخ البشرية يمتلك هذه الميزة الفريدة والاستثنائية. سورة الحجر، الآية 9

"إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ"

لقد عالج الله تعالى التحديات الرئيسية التي تواجه المجتمعات، وقَدَّم حلولاً فعّالة لكل منها. وبحل هذه القضايا الجوهرية، يُمنع أو يُخَفَّف عدد لا يُحصى من المشاكل الثانوية. وهذا يُبيِّن كيف يُقدِّم القرآن الكريم توجيهًا شاملاً في كل أمرٍ أساسيٍّ لا غنى عنه لنجاح الأفراد والمجتمعات في الدنيا والآخرة. سورة النحل، الآية 89

"...ونزلنا إليك الكتاب تبياناً لكل شيء..."

هذه أعظم وأبقى معجزة أنعم الله بها على خاتم أنبيائه محمد صلى الله عليه وسلم. إلا أن نفعها مقصور على من سعى بصدقٍ وصدقٍ إلى الحق. أما من غلبت عليه أهوائه، فانتقى منه بعضاً، فخاسر في الدنيا والآخرة. (سورة الإسراء، الآية 82)

وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً

:سورة طه، الآية 113

"وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون"

من المهم إدراك أن البشارة والإنذار لا يُجديان نفعًا إلا إذا قُبِلَا باستجابة عملية. فمجرد الاعتراف دون عمل لا يكفي. لذا، فإن من استجاب بصدق وعمل - مستغلًا نعم الله تعالى التي أنعم بها عليه وفقًا للتعاليم الإسلامية سيحظى براحة البال في الدنيا والآخرة. فهو يحقق حالة نفسية وجسدية متوازنة، ويضع كل شيء وكل - شخص في حياته في نصابه الصحيح. في المقابل، من لم يستجب عمليًا للبشارة والإنذارات الواردة في التعاليم الإسلامية، سيستمر في إساءة استخدام النعم التي وهبت له. ونتيجة لذلك، سيقع في اختلال التوازن النفسي والجسدي، وسيفشل في ترتيب أولوياته وعلاقاته ومسؤولياته بشكل صحيح. والأخطر من ذلك، سيهمل الاستعداد الجيد للحساب يوم القيامة. ونتيجة لذلك، سيواجه هؤلاء الأفراد ضغوطًا ومصاعب وصعوبات في الدنيا والآخرة، حتى لو تظاهروا ببعض الرفاهية الدنيوية. فالسكينة الحقيقية لا تكمن في وفرة المادة، بل في انسجام الحياة مع الهداية الإلهية. فبهذا الانسجام فقط، تتحول النعم إلى مصدر سلام، لا إلى سبب للندم.

:سورة طه، الآية 113

"وكذلك أنزلناه قرآنًا عربيًا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يكون لهم تذكرة"

يُقدِّم الوحي الإلهي هنا للتذكير، فتعاليم الإسلام بحد ذاتها هي التذكير الأسمى للبشرية. إنها متوافقة تمامًا مع الفطرة البشرية، التي وضعها الخالق لتتوافق مع الفطرة التي غرسها في كل نفس. أيُّ سلوك يتعارض مع هذه الحالة الفطرية سيبدو غريبًا حتمًا، مما يُسبب اضطرابًا نفسيًا واختلالًا جسديًا عند محاولة المرء العيش بموجبها. على النقيض من ذلك، تبدو التعاليم الإسلامية مألوفة فطريًا لأنها تُعيد الأفراد إلى الحالة التي خلقهم الله عليها، مُعْدِيَةً التوازن والسلام والوئام في الجسد والعقل. غالبًا ما يُعبّر عن هذه الحقيقة بوضوح أكبر من قبل أولئك الذين يعتنقون الإسلام بعد اتباع طريق آخر. يشهد العديد من المُهتدين أن مبادئ الإسلام تتردد في أذهانهم على مستوى عميق، حتى قبل دراستها بعمق، كما لو أن حقائق الإسلام محفورة بالفعل في قلوبهم وذلك لأن الإسلام لا يفرض إطارًا مصطنعًا على البشرية؛ بل يكشف عما كان موجودًا دائمًا بالفطرة. من ناحية أخرى، غالبًا ما تشترط أنظمة أخرى التوافق مع مُثُلٍ دخيلة على الطبيعة البشرية، مما يُغذي السخط والاضطراب والصراع الداخلي. ومع ذلك، قد يبقى هذا الانسجام بين الوحي والنفس البشرية خافيًا على من

يساورهم التحيز أو الغرور أو الولاء الأعمى للتقاليد الموروثة. هذه الحجب تمنع القلب من إدراك الراحة والتوازن الكامنين في الهداية الإلهية. ولكن عندما يُعامل الوحي بصدق وانفتاح، فإنه لا يُختبر كعبء، بل كتحرر - يعيد التوازن، ويزرع السكينة، ويهدي الإنسان إلى غايته الحقيقية. وبهذه الطريقة، يكون الوحي مرآةً تعكس الحقيقة الفطرية الكامنة في النفس، وبوصلةً تُرشدها نحو تحقيق راحة البال في العالمين، من خلال تحقيق حالة ذهنية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في حياتهم على الوجه الصحيح، بطاعة الله تعالى بإخلاص في كل موقف.

:سورة طه، الآية 113

"لعلهم يتقون أو يكون لهم ذكرى"

تشير هذه الآية أيضاً إلى أن الله تعالى لا يطلب من الناس ولا يتوقع منهم أن يصبحوا صالحين بين عشية وضحاها. بل إن الله تعالى يُقر بأن عملية التحول إلى شخص صالح، يستخدم النعم التي أنعم بها عليه كما هو موضح في التعاليم الإسلامية، تستغرق وقتاً. لذلك، يجب على المرء أن يستلهم من التعاليم الإسلامية حتى يتم تشجيعه، خطوة بخطوة، على تبني الصلاح في جميع جوانب حياته. ولكن من المهم ملاحظة أنه إذا لم يتغير سلوك المرء تجاه الله تعالى والخلق بشكل إيجابي مع مرور الوقت، فهو لا يتقدم، ويجب ألا يخدع نفسه بالاعتقاد بخلاف ذلك، لأنه سيؤدي به فقط إلى الاستمرار في إساءة استخدام النعم التي أنعم بها عليه. ونتيجة لذلك، سيقع في حالة نفسية وجسدية غير متوازنة، ويخطئ في ترتيب أولوياته فيما يتعلق بكل شيء وكل شخص في حياته، ويفشل في الاستعداد الكافي للمساءلة يوم القيامة. وسوف يؤدي هذا حتماً إلى التوتر والمشقة والصعوبات في كلا العالمين، حتى وإن بدا أنهما يتمتعان ببعض الرفاهيات الدنيوية.

،ولكن كما تشير الآية التالية، فإن من يتبنى الموقف الصحيح، ويستجيب للأذكار الواردة في التعاليم الإسلامية، سيحسن سلوكه تدريجياً، خطوة بخطوة، حتى يصل إلى الاستقامة التي تُقرّ، من خلال نواياه وأقواله وأفعاله، بأن الطاعة لله تعالى وحده في كل حال، فهذا وحده يؤدي إلى راحة البال في الدنيا والآخرة، من خلال تحقيق

حالة ذهنية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في حياته على النحو الصحيح. سورة طه، الآية ١١٤:

"فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ. وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا"

تشجع هذه الآية الناس على فهم القرآن الكريم فهمًا عميقًا قبل تطبيق تعاليمه في حياتهم. لفهم معاني آيات القرآن الكريم وأحاديث النبي محمد صلى الله عليه وسلم فهمًا صحيحًا، يجب وضعها دائمًا في سياقها الصحيح لا يجوز أخذ آية أو حديث بمعزل عن الآخر ثم استخدامه لتبرير أفعال أو آراء شخصية دون مراعاة الظروف التي نزلت فيها أو سُجِّلَتْ فيها. لفهم هذا السياق فهمًا صحيحًا، يجب تحليل الآيات والأحاديث في ضوء حياة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وممارساته وهديه. من خلال هذا النهج الشامل فقط يتضح المقصود بكل آية أو حديث، وكيفية تطبيقه. سورة طه، الآية 114

"قُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ..."

إن عدم مراعاة هذا المبدأ يؤدي حتمًا إلى سوء تفسير القرآن الكريم، مما يؤدي بدوره إلى معصية الله تعالى. وقد أدى هذا التفسير الخاطئ تاريخيًا إلى عواقب وخيمة، منها إيذاء الأبرياء بذريعة باطلة هي التبرير الديني. لذا، فإن الفهم الصحيح ليس مجرد ممارسة أكاديمية، بل هو ضمان للإيمان والأخلاق والمجتمع، يضمن تطبيق الوحي الإلهي على الوجه الذي أراده الله تعالى، وجسده رسوله الكريم محمد صلى الله عليه وسلم.

سورة طه، الآية 114

"قُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا..."

في حديثٍ رواه مسلم في صحيحه، رقم 6853، بيّن النبي صلى الله عليه وسلم أن من سلك طريقًا في طلب العلم سهّل الله له طريق الجنة. ويشمل هذا الحديث الشريف الطريق المادي لطلب العلم، كحضور المحاضرات والدروس ومجالس العلم، والطريق الفكري والروحي لتحصيله دون مشقة، من خلال الاستماع والقراءة والمذاكرة والكتابة. وتندرج جميع أنواع طلب العلم بصدق تحت هذا التوجيه

طريق الجنة مليء بالعقبات التي تحول دون الوصول إليها سالمًا. ولا يجتازه إلا من عرف هذه العقبات وسبل تجاوزها. والقياس واضح: فكما لا يبلغ المرء مدينة في الدنيا إلا بمعرفة موقعها والطريق الموصل إليها، فكذلك لا ينال الجنة إلا بمعرفة طريقها والأعمال الموصلة إليها

تشمل المعرفة المذكورة هنا المعرفة الدينية والدنيوية النافعة. فالعلم الديني يُرشد المرء مباشرةً إلى كيفية استغلال نعم الله تعالى. كما أن العلم الدنيوي النافع، إذا طُلب بنية صحيحة، يُعين على الطاعة. فمثلاً، من اكتسب علمًا نافعًا ليحصل على عملٍ مشروع، يُسهّل عليه تجنب الكسب الحرام، فيحفظ بذلك دينه ويعينه على طريق الجنة.

، علاوة على ذلك، لا يسلك طريق الجنة إلا من تقوى. والتقوى هي امتثال أوامر الله تعالى، واجتناب نواهيه ومواجهة القدر بالصبر، كل ذلك وفقًا لسنة النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم. لذا، فإن أصل التقوى هو اكتساب المعرفة الدينية، والأهم من ذلك العمل بها. فالعلم بلا عمل كمصباح لا يُضاء، يحمل في طياته طاقةً: سورة فاطر، الآية 28. ولكنه لا يُهدي. المعرفة الحقة لا تُثير الطريق إلا إذا اقترنت بالطاعة والإخلاص

"...إنما يخشى الله من عباده العلماء..."

من المهم أن نلاحظ أن نية الإنسان في طلب العلم والعمل به يجب أن تكون رضا الله تعالى وحده. فمن طلب العلم الشرعي لأغراض دنيوية - كالجاه أو الجدال أو الرياء - فقد وُعدَّ بالنار وعيدًا شديدًا، ما لم يتوب توبة نصوحًا. وقد ورد هذا التحذير صراحةً في حديث سنن ابن ماجه، رقم 253

علاوة على ذلك، من الضروري أن يقتصر العلم بالعمل، فالعلم بدون عمل لا قيمة له ولا نفع. إنه كمن علم، بطريق السلامة ثم أبى سلوكه، مفضلاً البقاء في منطقة خطرة. هذه المعرفة، وإن وجدت، لا تُنْجِي. ولذلك تنقسم المعرفة إلى قسمين. الأول: علم العمل، وهو ما يؤدي إلى التقوى وزيادة طاعة الله تعالى. وهو العلم الذي ينير القلب ويهدي إلى راحة البال في الدنيا والآخرة، بتوازن الحال العقلية والبدنية، وحسن وضع كل شيء وكل شخص في حياته. والثاني: علم يُهمل ويُترك دون تطبيق. وهذا النوع لا يزيد في الطاعة، بل يُورث الكبر، إذ يظن المرء نفسه متفوقاً على غيره بما يعلم، وإن لم يُجسِّده. يُشبه هذا الشخص المثل القرآني: سورة الجمعة، الآية 5. للحمير التي تحمل أسفارًا، مُحْمَلَةٌ بعلم لا ينفعها

"...ثم لم يعملوا به كمثل الحمار يحمل أسفاراً..."

وهكذا، فإن قيمة المعرفة الحقيقية لا تكمن في امتلاكها، بل في تطبيقها خالصاً لله تعالى. حينها فقط تصبح سبباً للنجاة والهداية وراحة البال في الدنيا والآخرة، من خلال تحقيق حالة ذهنية وجسدية متوازنة، ووضع كل شيء وكل شخص في مكانه الصحيح في حياته

وتتضح أهمية العلم بالعمل في الآية التالية، حيث ذكر النبي الكريم آدم عليه السلام، الذي فضله الله تعالى على الملائكة جزئياً بفضل ما وهبه الله من علم. سورة البقرة، الآيتان 31-32

وعلم آدم الأسماء كلها، ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين، قالوا سبحانك "لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم

وسورة طه الآية 115

"ولقد أخذنا على آدم عهدا من قبل فنسي "

لكن بخلاف مثال الحمار المذكور سابقاً، لم يتجاهل النبي الكريم آدم عليه السلام العمل بعلمه عمداً، إذ لم يكن ،عازماً على معصية الله تعالى بأكله من الشجرة المحرمة، بل أكرهه الشيطان وخدعه ليأكل منها .سورة طه الآية ١١٥

"ولم نجد له عزما "

وكما حذر من التسرع في القرآن الكريم دون علم صحيح، كذلك حذر من التسرع في أمر النبي آدم عليه ففي حديث رواه الترمذي برقم ٢٠١٢، بين النبي صلى الله عليه وسلم أن .السلام دون تفكير في العواقب .التأني من الله تعالى، والتسرع من الشيطان

هذا تعلیم بالغ الأهمية ينبغي فهمه وتطبيقه، فكثيرٌ من أصحاب الأعمال الصالحة الكثيرة غالبًا ما يُفسدونها أو يُهلكونها بالتسرع .على سبيل المثال، قد يتفوه المرء بكلماتٍ سيئةٍ في لحظة غضبٍ لا يُسيطر عليه، فيُلقي بنفسه في الهلاك .وقد حذّر من هذا الخطر صراحةً في حديثٍ آخر في جامع الترمذي، رقم 2314

في الواقع، إن الغالبية العظمى من الذنوب والمصاعب - كالجِدال والخلافات والصراعات - تنشأ من عدم تفكير الناس مليًا، بل تصرفهم باندفاع .إن علامة الذكاء الحقيقية هي التروي قبل التكلم أو الفعل، فلا يُقدم المرء على أي فعل إلا بعد التأكد من أن أقواله وأفعاله صالحة ومفيدة في أمور الدنيا والدين .

في الوقت نفسه، مع عدم التأخر في الأعمال الصالحة، يجب على المرء أن يُفكّر مليًا قبل الإقدام عليها ،فالعَمَل، وإن كان ظاهره صالحًا، قد يُحرّم من الثواب إذا أهملت شروطه وآدابه بسبب التسرع .ولذلك .تقتضي الحكمة ألا يُقدّم المرء على أي أمر إلا بعد تفكير عميق

:بعد أن ذكر الله تعالى أهمية اجتناب معصيته وعواقبها، ذكر العاصي الأصلي .سورة طه، الآية ١١٦

"وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى "

:لم يكن إبليس من الملائكة، بل كان من الجن .سورة الكهف، الآية ٥٠

"إلا الشيطان كان من الجن"

،ومع ذلك، فبفضل عباداته الكثيرة، رُفِعَ إلى مصاف الملائكة، فشمله أمر السجود. إلا أن إبليس استكبر واعتبر نفسه أعلى من النبي الكريم آدم عليه السلام). سورة الأعراف، الآية ١٢)

"قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين"

لقد رفض بغطرسة حقيقة أن المظهر الخارجي للشخص لا يحدد رتبته أو مكانته. إن المراتب الحقيقية لا يحددها إلا الله تعالى، ومن يعترف به بصدق ربه فلن ينازع في ذلك. لقد حكم الشيطان على الصفات الخارجية للنبي الكريم آدم عليه السلام على عجل، متجاهلاً المعرفة والروح التي منحها الله تعالى له. من الضروري تجنب هذه العقلية الانتقائية التي تغذي السلبية، لأنها يمكن أن تجعل الشخص ينظر إلى الآخرين باستمرار من خلال عدسة مشوهة. غالبًا ما يؤدي هذا الموقف إلى خطايا إضافية، بما في ذلك الغيبة والنميمة والقذف، ولهذا السبب نصح النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم في حديث مسجل في سنن أبي داود، رقم 4993 بأن الحفاظ على الأفكار الإيجابية عن الآخرين هو في حد ذاته شكل من أشكال عبادة الله تعالى.

علاوة على ذلك، يجب إدراك أن المظاهر الخارجية أو المقاييس الدنيوية - كالثروة أو العرق أو الجنس - لا تثبت تفوقًا على الآخرين. وقد أوضح الله تعالى أن التفوق الحقيقي لا يكون إلا بقدر خشيته. وهذا يتطلب طاعة صادقة، فيستخدم الإنسان النعم التي وهبت له فيما يرضيه، كما هو مبين في القرآن الكريم وسنة النبي: سورة الحجرات، الآية 13. محمد صلى الله عليه وسلم

"...إن أكرمكم عند الله أتقاكم..."

من الضروري إدراك أنه بما أن نوايا الفرد مخفية عن الآخرين، فلا هو ولا غيره يستطيع الحكم على تفوقه بناءً على ظاهره فقط. لذلك، يجب على المرء الامتناع عن الادعاء بمكانته أو مكانة الآخرين، فإن الله تعالى وحده هو الذي يعلم نوايا كل فرد وأقواله وأفعاله. سورة النجم، الآية 32

"فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى"

بسبب غطرسته، كان الشيطان يفتقر بوضوح إلى أي خوف من الله تعالى، وبالتالي لا يمكن اعتباره أفضل من النبي الكريم آدم عليه السلام، على الرغم من أن آدم قد خُلِقَ من طين الكبرياء، بشكل عام، هو سمة مدمرة يجب تجنبها، لأنها تؤدي إلى الخراب في الدنيا والآخرة. حذر النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم في حديث مسجل في صحيح مسلم، رقم 265، من أن حتى أقل قدر من الكبرياء كافٍ لإدانة الشخص إلى الجحيم. الكبرياء يعمي الأفراد عن الحقيقة عندما تُعرض عليهم، لأن الحقيقة غالبًا ما تتعارض مع رغباتهم. رفض الشيطان الحقيقة برفضه قبول المكانة المشرفة التي منحها الله تعالى للنبي الكريم آدم عليه السلام علاوة على ذلك، فإن الكبرياء يتسبب في احتقار المرء للآخرين، معتقدًا أنه متفوق. كلا هاتين النتيجةين للكبرياء متهورة: فالحقيقة لا غنى عنها للهداية السليمة في الأمور الدنيوية والروحية، ولذا يجب قبولها بغض النظر عن ينقلها، لأن مصدرها النهائي هو الله تعالى. وبالمثل، فإن النظر إلى الآخرين بازدراء أمر غير حكيم، إذ لا أحد يعرف مكانته، ولا مكانة الآخرين، عند الله تعالى. وبما أن المصير النهائي لكل شخص في الآخرة يبقى مخفيًا، فمن حماقة التقليل من الآخرين، حيث لا يمكن للمرء أن يضمن أنه سيغادر هذه الدنيا مؤمنًا. علاوة على ذلك، فإن كل نعمة يتمتع بها الإنسان خلقها وأنعم بها الله تعالى وحده؛ وبالتالي، فهو وحده المالك الحقيقي لجميع النعم. إن الشعور بالفخر بشيء لا ينتمي في النهاية إلى نفسه أمر سخيف - مثل شخص يفتخر بقصر لا يملكه. الكبر صفة لله تعالى، ومن ينافره فيها عذاب في الدارين، كما جاء في حديث في سنن أبي داود، رقم 4090. ومن الصفات المهلكة التي غرسها الشيطان الحسد. والحسد من كبائر الذنوب إذ يُخالف حكمة الله تعالى في توزيع النعم على خلقه. فيتصرف الحاسد كأن الله تعالى أخطأ في منح نعمة خاصة لغيره دونه. وقد دلَّ على ذلك إبليس حين ظنَّ أن شرف النبي آدم عليه السلام حقُّ له. وبقي الإنسان نفسه من الحسد أن الله تعالى يُقسِّم النعم بحسب علمه وحكمته، فيُعطي كلَّ فردٍ ما يُناسبه. فبدلاً من الانشغال بما أنعم الله به على غيره، ينبغي للإنسان أن يُركِّز على استخدام النعم التي يملكها بما يُرضي الله تعالى.

وبذلك، ينالون راحة البال في الدنيا والآخرة، فيحققون حالةً متوازنةً عقليًا وجسديًا، ويضعون كل شيء وكل
:سورة الشورى، الآية ٢٧. شخص في حياتهم على الوجه الصحيح

ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل ما يشاء إنه بعباده خبير بصير

ينبغي على المرء أن يكره الحسد ويحرص على ألا يؤثر في أقواله أو أفعاله تجاه الشخص الذي يحسده. ومن
خلال التصرف بهذه الطريقة، يُرجى أن يغفر الله تعالى أي مشاعر حسد. من المهم أن نفهم أن الرغبة في
الحصول على ممتلكات مماثلة لتلك الممنوحة للآخرين - دون تمنى ضرر لهم - أمر جائز، وإن كان مكروهًا
بشكل عام في الأمور الدنيوية. إذا ابتغى المرء نعمة مماثلة لما يتمتع به الآخرون، فمن المستحسن توجيه
هذه الرغبات نحو أهداف دينية نافعة، مثل اكتساب العلم أو الانخراط في الأعمال الخيرية. ويدعم هذا التوجيه
حديث مسجل في صحيح مسلم، رقم 1896. بالإضافة إلى ذلك، فإن هذه الحادثة بمثابة مثال تحذيري بشأن
الطموح المفرط للقيادة والسلطة. لقد طمح الشيطان إلى أن يكون ممثل الله تعالى في الأرض واعتبر نفسه
أحق بهذا المنصب. قادته رغبته الشديدة في القيادة إلى تحدي الله تعالى، وأدت إلى سمات مدمرة أخرى، بما
في ذلك الكبر والحسد. ولذلك، حذر النبي محمد صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الترمذي برقم ٢٣٧٦
من أن السعي وراء الريادة والمال أشدّ ضررًا على الإيمان من ذنبين جائعين أطلقا على قطيع غنم. فالإفراط
في التعلق بهذه المطالب قد يدفع المرء بسهولة إلى معصية الله تعالى في سعيه للحصول عليها أو الاحتفاظ
بها أو زيادتها. ومن الحكمة دائمًا السعي وراء المطالب المشروعة التي تتوافق مع احتياجات المرء
ومسؤولياته، مانعًا بذلك نفسه من التوتر وخطر العقاب في الدنيا والآخرة.

علاوة على ذلك، من الضروري الاقتداء بالملائكة، الذين أدركوا جوهر العبودية تمامًا: فهم لا يعترضون
:سورة الحجر، الآيتان ٢٩-٣٠. على أحكام الله تعالى، بل يستسلمون لها طاعةً تامةً

"فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعين"

أما الشيطان، فقد تسلط على الناس، وفرض منطقه على أوامر الله تعالى .سورة الحجر، الآيات 30-32

إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين، قال يا إبليس ما لك لا تكون مع الساجدين، قال لن أسجد لبشر خلقتة"
"من صلصال من حمأ مسنون

، هذا السلوك يتناقض تمامًا مع العبودية الحقيقية، إذ يُتوقع من العبد الاستماع والطاعة لسيده في جميع الأوقات واثقًا بأنه أعلم بالصواب في كل ظرف .كان الشيطان أول من ابتكر بفرض حجته على أمر الله تعالى بدلًا من الخضوع له .من الضروري رفض هذه العقلية، واتباع مثال الملائكة الذين امتنعوا عن البدع وخضعوا لله تعالى كما أمرهم .هذا المبدأ هو أحد أسباب تحذير النبي محمد صلى الله عليه وسلم من أن أي أمر لا يستند إلى الإسلام - وتحديدًا القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم - مرفوض من الله تعالى، كما جاء في حديث سنن أبي داود رقم 4606 .لذلك، يجب على المرء أن يحرص على التعلم من هذين المصدرين الرئيسيين للهداية والعمل بهما، وتجنب غيرهما حتى لو بدا مفيدًا .والحقيقة أن الانخراط المفرط في مصادر المعرفة الدينية البديلة يمكن أن يقلل من فهم وممارسة القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم مما يؤدي في نهاية المطاف إلى الضلال

علاوة على ذلك، كان الشيطان أول من تبنى عقلية الطاعة الانتقائية، مُختارًا متى يُطيع الله تعالى ومتى يُعصيه .فمع أنه لم يُنكر وحدانية الله أو العبادات، إلا أنه رفض الأمر المفرد بالسجود، إجلالًا لنبي الله آدم عليه السلام، غرورًا وتعلقًا بمنزلته المُفترضة .وبالمثل، قد يُظهر المرء هذا السلوك بانتقائية التعاليم الإسلامية وفقًا لأهوائه، مُعتبرًا الإيمان لباسًا يُلبس ويُخلع حسب الرغبة .وهذا يُناقض جوهر الإسلام، الذي يتطلب خضوعًا عمليًا ودائمًا لله تعالى .يجب على المؤمن الحق أن يتجنب هذا الميل الشيطاني، وأن يُقارب كل ظرف بصدق، وأن يُحسن استغلال جميع النعم بما يُرضي الله تعالى، مُؤدّيًا دوره كوكيل له، مُحققًا بذلك التوازن والسكينة والنجاح في الدنيا والآخرة، من خلال تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في حياته على الوجه الصحيح .بالمقابل، يؤدي الانتقائية إلى معصية الله تعالى بإساءة استخدام النعم الممنوحة .وينتج عن ذلك اختلال في التوازن النفسي والجسدي، وسوء ترتيب الأولويات

في كل شيء وكل شخص في الحياة، وعدم الاستعداد الكافي للحساب يوم القيامة. وفي نهاية المطاف، يُنتج ذلك ضغوطاً ومشقات وصعوبات في الدنيا والآخرة، حتى مع التمتع بملذات الدنيا

:سورة الحجر، الآية 33

"قال لن أسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون"

وهذا يؤكد أيضاً أهمية السعي لإقامة حقوق الخلق إلى جانب حقوق الله تعالى. وقد دار جدل الشيطان حول إكرام حقوق النبي آدم عليه السلام، بدلاً من أداء حقوق الله تعالى. لذا، يجب تجنب هذا الخل، وتقديم أداء حقوق الله تعالى على غيرها، أي استخدام النعم بما يرضيه، كما هو مبين في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، مع السعي في الوقت نفسه لأداء حقوق الآخرين. ويتحقق ذلك بمعاملة الناس وفقاً لتعاليم الإسلام، وتحديداً كما يحب المرء أن يُعامل. ومن المهم ألا نفترض أن أداء حقوق الله تعالى وحده هو ضمان النجاح. فالإسلام ينص بوضوح على أن العدل سيتحقق يوم القيامة، حتى وإن بدا أنه قد تم التهرب منه في هذه الدنيا. من ظلم غيره، حتى بعد أداء حق الله تعالى، عليه أن ينقل أعماله الصالحة إلى من ظلمهم وأن يتحمل، إن لزم الأمر، ذنوب من ظلمهم حتى تتحقق العدالة كاملة. وقد يؤدي هذا إلى دخول الظالم جهنم يوم القيامة، كما حذر من ذلك حديث صحيح مسلم رقم 6579

إضافةً إلى ذلك، وكما هو مبين في الآية التالية، من الصفات السلبية الأخرى التي أظهرها الشيطان رفضه :سورة الحجر، الآية 39. تحمّل مسؤولية أفعاله، بل لوم الله تعالى على ضلاله

"قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض و لأغوينهم أجمعين"

الله تعالى لا يُجبر أحدًا على الهدى أو الضلال، لأن ذلك يُبطل غاية الحياة كاختبار. بل يُبين للناس سبل الخير، والشر، ويترك لهم اختيار طريقهم، ثم يُحاسِبهم على اختياراتهم. وبالتالي، لا يجوز لأحد أن يُحمّل الله تعالى أو أي جهة أخرى، مسؤولية ضلالهم إذا اختاروا معصيته بإساءة استخدام النعم التي أنعم بها عليهم. يجب على المرء أن يتجنب تبني موقف يُقصر فيه عن تحمل مسؤولية أفعاله ويُلقى باللوم على الآخرين. من يرفض تحمل المسؤولية لن يُحسن من نفسه أبدًا، وسيستمر في إساءة استخدام النعم التي وُهِبَت له. ونتيجة لذلك، سيعاني من اختلال التوازن النفسي والجسدي، وسيُخطئ في ترتيب أولوياته فيما يتعلق بكل شيء وكل شخص في حياته، ولن يُعدّ نفسه جيدًا للمحاسبة يوم القيامة. وهذا يؤدي إلى التوتر والضييق والصعوبات في الدنيا والآخرة، بغض النظر عن أي رفاهيات دنيوية قد يمتلكها.

علاوة على ذلك، فإن عدم تحمل مسؤولية أفعال المرء يمنعه من أداء حقوق الآخرين. هذا السلوك يُضلل الآخرين ويُساهم في انتشار الفساد والظلم في المجتمع. إن لوم المرء الآخرين على أخطائه أمرٌ لا يقبله الله تعالى، لا في الدنيا ولا في الآخرة. بل كما هو مبين في الآية التالية، فإن الله تعالى لا يقبل محاولة إلقاء اللوم: سورة إبراهيم، الآية ٢٢. على الشيطان في ذنوب المرء، رغم جهوده الحثيثة في إضلال الناس

وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فخذتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا "... أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم

مع أن الشيطان سيُحاسِب على ذنوبه، إلا أنه لا يستطيع أحد تحميله عواقب أفعاله، إذ لا يملك القدرة على إجبار أحد على الضلال. كل ما يملكه هو الدعوة والتشجيع، ومن يقبل دعوته طوعًا يتحمل المسؤولية الكاملة. عن اختياراته. مسؤوليتهم تقع على عاتقهم وحدهم.

:سورة الحجر، الآية 39

"قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين"

علاوة على ذلك، من الضروري إدراك أنه بما أن القدر خفي على الناس، فلا يجوز اتخاذه مبررًا لارتكاب المنكرات. سورة الأنعام، الآية ١٤٨

"قُلْ هَلْ عِنْدَكَ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجَنَا بِهِ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَحْمِسُونَ ..."

علاوة على ذلك، فإن الله تعالى لا يحاسب الأفراد على مصيرهم يوم القيامة، بل يحاسبهم على نواياهم وأفعالهم، وكلاهما في وسعهم. سورة الأنبياء، الآية ٢٣

«لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون»

بما أن نوايا الفرد وأفعاله خاضعة لسيطرته، فإنه مُلزم بتحمل مسؤوليتها، بغض النظر عن أي ادعاءات تُخالف ذلك. لا يمكن لضابط الشرطة الذي يُسيء عمدًا استخدام تدريبه والموارد التي تُقدمها له الإدارة مُحاسبتها على سوء سلوكه. وبالمثل، لا يمكن للإنسان أن يُلام الله تعالى عندما يُسيء عمدًا استخدام النعم التي أنعم بها، وخاصةً بعد أن هداه إلى استخدامها على الوجه الصحيح

ومن غير المنطقي أيضاً أن يتذرع المرء بالقدر ذريعةً لارتكاب الذنوب، بينما يطالب في الوقت نفسه بالعدل حين يظلمه الآخرون. فيموجب هذا الاعتقاد، يكون الظلم الذي يعانیه مُقدِّراً سلفاً، وبالتالي لا يستطيع محاسبة من ظلمه.

وختاماً، لا ينبغي أن يكون القدر تبريراً للأفعال المعاصية. فالقدر لا يعني أن الله تعالى يُجبر الناس على سلوكٍ مُعين، بل هو علمه المسبق باختياراتهم وأفعالهم، وتسجيله لها، وتمكينه لهم من القيام بأفعالهم المقصودة. والله تعالى لا يُلزم الناس بالهداية أو الضلال، لأن ذلك يُبطل غاية الحياة الدنيا.

مع أن إبليس كان مُدرِكاً تماماً لهذه الحقائق، إلا أنه لام الله تعالى على ضلاله، رافضاً تحمّل مسؤولية أفعاله بل ونسب خطأً فقداًه مكانته الرفيعة بين الملائكة إلى النبي الكريم آدم عليه السلام. وبغطرسةٍ وسخطٍ، أقسم ،على إضلال جميع ذريته حتى يفشلوا في امتحان الدنيا، ويعانوا في الدنيا والآخرة، كما عانى هو. سورة طه: الآيات ١١٧-١٢١

وإنك "فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى " لا تظمأ فيها ولا حارق ".فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى فأكل آدم "...وامرأته منها فبدت لهما سوأتها

لما علم النبي آدم عليه السلام أنه خُلِق ليكون خليفة الله تعالى في الأرض، رغب في البقاء في الجنة مع الله تعالى، وتجنب ما يواجهه البشر من أمراضٍ عادية كالمرض والموت. ونتيجةً لذلك، أكره على أكل الشجرة ظاناً أنه سيجعله من الملائكة، فيبقى في الجنة مع الملائكة. وهذا هو الوهم نفسه الذي يغرسه الشيطان في أبناء النبي آدم عليه السلام، بتوجيههم نحو ملذات الدنيا، واعداً إياهم براحة البال الدائمة والمتعة والترفيه

،والتسلية .يجب أن نتذكر أن الدنيا تنقسم إلى أربعة أقسام :الشهرة، والثروة، والسلطة، والحياة الاجتماعية كالأهل والأصدقاء .فمهما كانت النعم الدنيوية التي ينالها الإنسان ضمن هذه الأقسام، فإنها تبقى زائلة، والموت يقطعها عنه .من ناحية أخرى، فإن نعيم الآخرة دائم وكامل .لذا، يجب على المرء أن يوجه جهوده نحو الآخرة بدلاً من السعي وراء شهوات الدنيا .علاوة على ذلك، كلما أساء استخدام النعم التي وُهِبَتْ له، سعيًا وراء شهواته الدنيوية، ازداد اضطراب عقله وجسده، وساءت أحواله، وضاع كل شيء وكل شخص في حياته سيؤدي هذا إلى التوتر والمتاعب والصعوبات والعار والحرَج، تمامًا كما حدث مع النبي الكريم آدم وزوجته .عليهما السلام .سورة طه، الآية ١٢١

"...فأكل آدم وامرأته منها فبدت لهما سواتهما"

وبما أن هذا الموقف يمنعهم من الاستعداد للحساب يوم القيامة، فإن عقابهم في الآخرة سيكون أشد بكثير، إن لم يتوبوا كما فعل النبي الكريم آدم وزوجته عليهما السلام .سورة طه، الآية ١٢١

"وجعلوا ينتزعون عليهم من ورق الجنة .وعصى آدم ربه فغوى..."

لما غرس الله تعالى في نفوسهم - وفي نفوس جميع البشر - ميلًا طبيعيًا لتجنب الخجل والحرَج، سعوا إلى ستر عوراتهم .ومع مرور الوقت، سعوا أيضًا إلى ستر الخجل الأعْمَق الناشئ عن معصية الله تعالى، من خلال التوبة الصادقة .وتشتمل التوبة الصادقة على عدة عناصر أساسية .تبدأ بالندم الصادق والشعور بالذنب على الذنب المرتكب .ويتبع ذلك طلب مغفرة الله تعالى، وعند الاقتضاء، طلب العفو ممن ظلم، شريطة ألا يؤدي ذلك إلى مزيد من الأذى أو المتاعب .كما تتطلب التوبة الصادقة عزماً راسخاً وصادقاً على عدم العودة إلى نفس الذنب أو ما شابهه .بالإضافة إلى ذلك، يجب على المرء تصحيح أي حقوق انتهكت - سواء كانت تتعلق بالله تعالى، كإهمال العبادات، أو بالناس، كحجب المستحقات أو الظلم .وأخيراً، لا تكتمل التوبة إلا بطاعة الله تعالى، مستغلين نعمه التي أنعم بها وفقاً لتعاليم الإسلام .وهكذا، لا تكون التوبة مجرد استغفار، بل هي عملية تحويلية تُعيد التوازن، وتُنقي القلب، وتُعِيد توجيه -الحياة نحو العبودية الخالصة ، مما يؤدي إلى

من خلال تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء وكل راحة البال في الدنيا والآخرة سورة طه، الآية ١٢٢ . شخص في حياته على الوجه الصحيح

"ثم اجتبه ربه فتاب عليه وهدى "

عدم علاوة على ذلك، وعلى عكس إبليس، تحمّل النبي آدم وزوجته، عليهما السلام، مسؤولية أخطائهما . إن تقبّل الفرد لمسؤولية أفعاله يُعرّض نموّه الشخصي للخطر، ويؤدي إلى استمراره في إساءة استخدام النعم التي وهبّت له . غالبًا ما يؤدي هذا التجنّب المُستمرّ للمساءلة إلى حالة من عدم التوازن النفسي والجسدي، مما يدفعه إلى سوء إدارة جوانب حياته، بما في ذلك العلاقات والممتلكات . علاوة على ذلك، يُهمل هذا الفرد الاستعداد الضروري لمساءلته النهائية، يوم القيامة . يتجلى هذا الرفض لتحمل المسؤولية في النهاية في صورة ضغوط وتحديات ومصاعب في حياته الدنيا والآخرة، بغض النظر عن أي ثروة مادية أو ملاذات دنيوية قد يمتلكها . كما أن عدم تقبّل المرء لأفعاله يُعيق إحقاق حقوق الآخرين، وبالتالي يُساهم في انتشار الفساد والظلم في المجتمع . ومن المُسلّم به أن إلقاء اللوم على الآخرين بسبب ذنوب المرء لن يُقبل من الله تعالى في الدنيا والآخرة . بل إنّ مُحاولاتٍ نسبِ ذنوبهم إلى الشيطان، رغم سعيه المُستمرّ لتضليل البشر، لن يُقبلها الله :سورة إبراهيم، الآية ٢٢ . تعالى، كما تُشيرُ إليه الآية المُقدّسة

وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فخنتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا "... أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم

تُبرز هذه المُساءلة الفردية نقطةً لاهوتيةً بالغة الأهمية :فرغم أن الشيطان سيُحاسب على ذنوبه، لن يُسمح لأحدٍ بتحميله عواقب تجاوزاته . ذلك لأن الشيطان لم يكن يملك القدرة على إغواء الناس نحو الضلال، بل كان يدعوهم فحسب . لذا، فإن من اختاروا قبول هذه الدعوة طواعيةً، لا أحد يُحاسبهم سوى أنفسهم

بعد إدراك أهمية طاعة الله تعالى في كل وقت، والتوبة الصادقة، بدأ اختبار الحياة على الأرض .سورة طه
:الآية ١٢٣

"قال اهبطوا من الجنة وبعضكم لبعض عدو"

من المهم إدراك أنه كما أن الشيطان عدوٌّ مُعلنٌ للبشر، فإن الناس قد يُعادون بعضهم بعضًا .لذلك، يجب الحذر من تأثير الصحابة الضالين، كما يحذرون من فخاخ الشيطان .وقد حذّر النبي محمد صلى الله عليه وسلم في حديثٍ رواه أبو داود، رقم 4833، من أن المرء لا بد أن يتحلّى بصفات رفاقه .لذلك، من الضروري اختيار الصحابة الصالحين ليكتسب المرء الصفات الحميدة بدلاً من الصفات المذمومة .فبمصاحبة الصالحين، يُقوّي المرء عزمه على الثبات على طاعة الله تعالى .وهذا بدوره يُمكنه من تحقيق راحة البال في الدنيا والآخرة ، وتحقيق التوازن في حالته النفسية والجسدية، وحسن تنظيم كل شيء وكل شخص في حياته .علاوةً على ذلك فإن الصحبة لا تُشكّل سلوك المرء في الدنيا فحسب، بل تُحدّد أيضًا مصيره في الآخرة .من صحب الصالحين ،في الدنيا يُحشّر معهم في الآخرة، فكما أشار النبي صلى الله عليه وسلم في حديث سنن أبي داود رقم 4031 فإن المرء ينتمي إلى الجماعة التي يقتدي بها .وهكذا، فالصحبة مرآة لحال المرء، وعامل حاسم في مصيره .الأبدي

لقد حذّر الله تعالى البشرية، من خلال جدّهم النبي الكريم آدم عليه السلام، من أن السبيل الوحيد لاجتياز امتحان الحياة، الذي يُحدّد ما إذا كان الإنسان سيُحسن استخدام النعم التي وُهبَ لها أم لا، هو قبول الهداية الإلهية ،والعمل بها .هذا وحده كفيلٌ براحة البال في الدنيا والآخرة، من خلال تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة .ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في مكانه الصحيح في الحياة .سورة طه، الآية ١٢٣

"وإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى"

من المهم ملاحظة أن الآية ذكرت ما يلي، وهو الإيمان المدعم بالأعمال الصالحة. لذلك، فإن الإقرار الشفهي بالله تعالى لا يكفي لاجتياز اختبار الحياة وتحقيق راحة البال في الدنيا والآخرة. بل إن من لا يدعم إقراره من الضروري أن نفهم أن الإيمان أشبه. الشفهي بالأعمال الصالحة يكون في خطر عظيم من فقدان إيمانه بنبات يحتاج إلى التغذية بالطاعات ليزدهر ويبقى. فكما أن النبات الذي يُحرم من الغذاء الأساسي، كضوء الشمس، سيموت لا محالة، فإن إيمان الفرد قد يموت أيضًا إذا لم يزرعه بالأعمال الصالحة. هذا التدهور يمثل سورة طه، الآية 123. الخسارة الكبرى. لتجنب هذه النتيجة، يجب على المرء أن يؤمن ويعمل الصالحات.

"وإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى"

،مهما بلغ تقدم أي مجتمع، ومهما اكتسب من معارف في مختلف المجالات، بما فيها العلوم العقلية والفيزيائية، يبقى من المستحيل على الإنسان أن يضع قواعد سلوكية تتوافق تمامًا مع طبيعته البشرية، وتعالج كل الظروف والأحوال والمواقف التي قد يواجهها الأفراد والمجتمعات طوال وجودهم على الأرض. هذا المسعى مستحيل أساسًا، فالبشرية لا تزال تكتشف رؤى جديدة حتى في أبسط جوانب وجودها، مثل وظائف مناطق مختلفة من الدماغ البشري. فكيف إذن يمكنها أن تجمع فهمًا كافيًا لوضع قواعد سلوكية سليمة تضمن الطمأنينة والعدل على المستويين الفردي والاجتماعي؟ الله تعالى وحده هو القادر على ذلك، فهو خالق كل شيء، وعلمه لا حدود له، شامل للماضي والحاضر والمستقبل. وهكذا، فهو وحده المستحق أن يُقدّم للبشرية ميثاقًا شاملًا للسلوك - معيارًا إلهيًا يُميّز الخير من الشر، والنافع من الضار، ويُسهّل بلوغ راحة البال في حياةٍ مُثقلةٍ بالتوتر والريبة. تُثبت الأدلة التاريخية بشكلٍ قاطع أنه كلما طُبّق هذا الميثاق الإلهي بأمانة في حياة الأفراد والمجتمعات، نتج عنه انتشار الطمأنينة والعدل والسلام. وعلى العكس، عندما أهمل أو استُبدل بأنظمةٍ من صنع البشر، تبع ذلك اختلالٌ وظلمٌ واضطرابٌ لا محالة. لذا، يجب على الأفراد اعتناق الميثاق الإلهي الذي أنعم الله عليهم به، مُدركين أنه الأنسب لرفاهيتهم، حتى لو بدت بعض عناصره مُتعارضةً مع رغباتهم الشخصية. عليهم أن يتصرفوا كمريضٍ حكيمٍ يُقرّ بنصيحة الطبيب المُحتكّ ويلتزم بها، مُدركين أن العلاج الموصوف - وإن كان مُرًا أو نظامًا علاجيًا صارمًا - هو في نهاية المطاف في مصلحتهم. وعلى نحو مماثل، فإن طاعة التوجيه الإلهي، حتى عندما تتحدى ميول الإنسان، هي الطريق الأكيد لصحة الروح وتوازن الحياة، والنجاح الأبدي.

ولكن بما أن طاعة الله تعالى تتعارض مع شهوات الناس الدنيوية، فإن كثيرًا منهم يُصرّون على معصيته في هذه الدنيا، يمنع هذا الموقف الإنسان من بلوغ حالة ذهنية. بإساءة استخدام النعم التي أنعم الله بها عليهم وجسدية متوازنة، ويدفعه إلى إساءة استخدام كل شيء وكل شخص في حياته. ونتيجة لذلك، تصبح جميع جوانب وجوده - العائلة والأصدقاء والعمل والثروة - مصادر للتوتر بدلاً من الراحة. إذا أصرّوا على معصية الله تعالى، فسيسببون توجيه اللوم حتمًا، مُحَمِّلين الأشخاص والظروف غير المناسبة مسؤولية محنتهم. في كثير من الحالات، قد يلومون حتى أزواجهم أو أحبائهم، مُقَصِّين الأشخاص الطيبين من حياتهم. وهذا يُعمِّق اختلال توازنهم، ويزيد من قابليتهم للاضطرابات النفسية حتى يغرقوا في الاكتئاب وإدمان المخدرات، بل وحتى الميول الانتحارية. هذه النتيجة ليست نظرية، بل ملحوظة، لا سيما بين أولئك الذين يُصرّون على إساءة استخدام النعم التي أنعم الله عليهم بها. حتى الأغنياء والمشاهير - على الرغم من استمتاعهم الظاهري بالرفاهية الدنيوية - غالبًا ما يُجسّدون هذه الحقيقة، إذ تُشير مشاكلهم النفسية الحادة إلى حياة مُنعزلة عن الهداية الإلهية. سورة طه، الآية ١٢٤

"ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا "

والأخطر من ذلك، أن هذا الموقف لا يحرمهم من راحة الدنيا فحسب، بل يمنعهم أيضًا من الاستعداد للحساب يوم القيامة. وبالتالي، سيكون عقابهم في الآخرة أشد بكثير. سورة طه، الآيات ١٢٤-١٢٧

،ونحشره يوم القيامة أعمى، يقول: رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا، قال: كذلك أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا... "وكذلك اليوم تُنسى، وكذلك نجزي من ظلم ولم يؤمن بآيات ربه، ولَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى

كما حُدِّرت هذه الآيات، فإن تجاهل هدي الله تعالى قد شُبِّه بالكفر به. وكما ذكرنا سابقًا، لا يكفي إعلان الإيمان لفظيًا لتحقيق النجاح إلا إذا اقترن بطاعة الله تعالى. ومن يتخلف عن ذلك يكون في خطر عظيم، إذ يفقد إيمانه قبل رحيله عن الدنيا. يُشَبِّه الإيمان بشعلة رقيقة تحتاج إلى عناية مستمرة، فكما تنطفئ النار بفقدان

وقودها، كذلك يضعف الإيمان وقد ينطفئ إن لم يُحافظ عليه بالطاعة المتواصلة. إن إهمال هذا الغذاء الروحي يعرض الإنسان لخطر فقدان النور الذي يهديه، وهذه الخسارة هي الأشد تدميرًا.

كما تشير الآية التالية، لتقدير أهمية طاعة الله تعالى واجتناب معصيته، لا بد من ملاحظة اختيارات الآخرين وعواقبها. سورة طه، الآية ١٢٨

"...فأفلم يتبين لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في ديارهم"

هذه الآية تذكيرٌ مُلحٌ بِضَدِّ الانشغال بالنفس، حيثُ يقتصرُ اهتمامُ المرءِ على الظروفِ الشخصيةِ مُتجاهلاً الحقائقَ الأكبرَ المُحيطةَ به. هذه النظرةُ الضيقةُ تُعمي القلبَ عن إدراكِ الحكمةِ التي يُمكنُ استخلاصُها من التاريخ والتجاربِ الشخصيةِ وتجاربِ الآخرين. التأملُ في هذه الدروسِ من أضمنِ الوسائلِ لصقلِ الشخصيةِ وتجنبِ الأخطاءِ المُتكررةِ، وإيجادِ سلامٍ داخليٍّ دائمٍ، من خلالِ تحقيقِ حالةٍ نفسيةٍ وجسديةٍ متوازنةٍ، ومن خلالِ وضعِ كلّ شيءٍ وكلِّ شخصٍ في حياتهم بشكلٍ صحيحٍ. على سبيلِ المثالِ، مُلاحظةُ كيف يُسيءُ الأثرياءُ والمشاهيرُ استخدامَ النعمِ التي مُنحت لهم - ليُصابوا بالقلقِ والاكتئابِ والإدمانِ، أو حتى بالانتحارِ. رغمَ ما يُوفّره لهم من راحةٍ - تُعلِّمُنا أنَّ السكينةَ الحقيقيةَ لا تُشتري بالثروة ولا تُؤمَّن برغباتٍ جامحةٍ وبالمثل، فإنَّ مُشاهدةَ شخصٍ يُعاني من المرضِ تُثيرُ الامتنانَ لصِحَّتِهِ وتُحفِّزُ على استخدامها بشكلٍ صحيحٍ، قبلَ أن تتلاشى. لذا يحث الإسلامُ الناسَ على التفكيرِ والتأملِ، والنظرِ إلى ما وراءِ المنظورِ الضيقِ لظروفهم واستخلاصِ الحكمةِ من العالمِ من حولهم. سورة طه، الآية ١٢٨

"إن في ذلك لآياتٍ لأولي الألباب ..."

وبذلك يحفظون أنفسهم من الغفلة، ويزرعون التوازن والشكر وراحة البال في العالمين. وتتحقق هذه الحالة بالسعي إلى سلامة العقل والجسد، ووضع الأشخاص والأشياء في نصابها الصحيح وفقاً للهداية الإلهية. وهكذا يتجاوز التأمل مجرد التفكير، ويصبح عبادة، تُوازن القلب والعقل مع مشيئة الله تعالى

بالإضافة إلى ذلك، ولأن الله تعالى يمنح الناس دائماً مهلةً لإصلاح سلوكهم، فلا ينبغي أن يظن أحدٌ أن مهلةً هم دائمة. سورة طه، الآية ١٢٩

كلمة سبقت من ربك لكان العذاب حقاً وأجلاً مسمى ولولا

بحالة نفسية وجسدية غير متوازنة، وسيُسيء من لم ينتهز هذه النعم وأصرَّ على إساءة استخدامها، سيُصاب استخدام كل شيء وكل شخص في حياته. إن استمرَّ على هذا النهج، فلن يُعَدَّ نفسه للحساب يوم القيامة. وعندما تنتهي هذه النعم في الدنيا، سيواجه عقاباً أشدَّ في الآخرة. أما من يُدرك هذه الحقيقة، فسيبقى ثابتاً على طاعة الله تعالى، مُحسناً استخدام النعم التي وُهِبَتْ له كما هو مُبين في التعاليم الإسلامية. ولكن بما أن طاعة الله تعالى ستدفع المرء لاختيار طريق مُغاير لغالبية الناس من حوله، فسُيواجه النقد. سورة طه، الآية 130

"...فاصبر على ما يقولون"

بشكل عام، عندما يتبع الفرد مساراً يبتعد عن المعايير السائدة لدى أقرانه - وخاصة تلك المتجذرة في الالتزام بأوامر الله تعالى - فإنه غالباً ما يولد انزعاجاً أو شعوراً بالنقص لدى الآخرين، وخاصة عندما تكون خياراتهم مدفوعة برغبات شخصية. غالباً ما يتجلى هذا التوتر الداخلي في شكل انتقاد أو معارضة، وغالباً ما تنشأ داخل الدوائر القريبة مثل أفراد الأسرة. لا تعكس ردود الفعل هذه بالضرورة صحة إيمان الفرد أو صحته

بل بالأحرى التحدي المتصور الذي يشكله على نمط حياة وقيم من حوله. ونتيجة لذلك، غالباً ما يُقابل الالتزام الراسخ بالمبادئ الدينية بالمقاومة، حتى عندما يكون هذا الالتزام مستقيماً أخلاقياً وسليماً روحياً.

علاوة على ذلك، تُمارس المؤثرات المجتمعية المعاصرة - مثل وسائل التواصل الاجتماعي، واتجاهات الموضة، والمعايير الثقافية السائدة - ضغطاً كبيراً على من يسعون إلى ترسيخ القيم الإسلامية. ويُصوّر أحياناً أن ممارسة الإسلام والدعوة إليه عقبتان أمام النجاح المادي، والاعتراف الاجتماعي، والقبول العام. وقد تُقاوم المؤسسات والقطاعات الخاضعة للنقد الإسلامي بشدة تبني مبادئه، مما يُثني عن الالتزام به. وقد ساهمت هذه المقاومة بشكل كبير في انتشار المشاعر المعادية للإسلام، لا سيما عبر المنصات الرقمية ووسائل التواصل الاجتماعي.

كثيراً ما يواجه أتباع الإسلام - الذين يعتنقون الاعتدال في رغباتهم الشخصية والاستخدام المسؤول لنعم الله تعالى - معارضة ممن يعيشون حياةً جامحة، منغمسين في دوافع يصفها الإسلام بالدينية والحيوانية. وقد يحاول هؤلاء الأفراد ثني الآخرين عن اعتناق الإسلام، مروجين بدلاً من ذلك لأسلوب حياة تحكمه الشهوات الجامحة. وكثيراً ما يستهدف النقاد جوانب محددة من الممارسات الإسلامية، مثل قواعد اللباس المفروضة على النساء، في محاولة لتقويض مصداقيتها وأهميتها. ومع ذلك، يمكن للمراقبين المتأنيين بسهولة تمييز سطحية هذه الاعتراضات، التي تتبع في نهاية المطاف من انزعاج أعمق من تركيز الإسلام على الانضباط وضبط النفس. على سبيل المثال، بينما كثيراً ما يخضع الزي الإسلامي لتدقيق مفرط، لا يوجد اعتراض يُذكر على الزي الرسمي المفروض في مهن مثل إنفاذ القانون، والجيش، والرعاية الصحية، والتعليم، وقطاعات الشركات. يكشف هذا النقد الانتقائي عن التناقض وغياب المنطق السليم الكامن وراء هذه الحجج. في نهاية المطاف، إن المبادئ الأساسية للإسلام والسلوك المنضبط لأتباعه هي التي تثير المقاومة، مما يدفع المنتقدين. سورة طه، الآية ١٣٠. إلى الإساءة إلى الدين عبر قنوات مختلفة.

"...فاصبر على ما يقولون"

في مثل هذه الظروف، تُعد طاعة الله تعالى الراسخة أمرًا أساسيًا. فهي تُنمّي شعورًا عميقًا بالطمأنينة، وتحمي الأفراد من التأثيرات الخارجية السلبية، حتى وإن لم تكن هذه الحماية ظاهرة للعيان. تتضمن هذه الطاعة حسن استغلال النعم، وتعزز التوازن النفسي والجسدي، وتُمكن من تنظيم جميع جوانب الحياة على النحو الأمثل استعدادًا للحساب يوم القيامة. وبهذه الطريقة، تُعزز الطاعة السلام في الدنيا والآخرة. وبالتالي، يُهدى الصابرون في جميع المواقف - سواء أكانت سهلة أم صعبة - مما يُعزز السكينة الداخلية ويضمن ثوابًا لا يُحصى. يتطلب الحفاظ على هذا الثبات تنمية إيمان قوي. فالإيمان القوي لا غنى عنه للبقاء مُخلصًا لله تعالى في جميع الأحوال، وينمو من خلال الفهم العميق والتطبيق العملي لتعاليم القرآن الكريم الواضحة وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. تُبين هذه التعاليم أن الطاعة الصادقة تؤمن السلام الحقيقي في الدنيا والآخرة. في المقابل، فإن من يفتقرون إلى معرفة المبادئ الإسلامية لديهم إيمان هشّ، مما يجعلهم أكثر عُرضة للانحراف عن الطاعة، لا سيّما عندما تتعارض رغباتهم الشخصية مع التوجيه الإلهي. هذا النقص يُطمس إدراك أنّ التخلي عن رغباتهم الشخصية لأوامر الله تعالى أمرٌ أساسيٌ لتحقيق السلام الحقيقي. لذلك، من الضروري تقوية الإيمان من خلال اكتساب المعرفة الإسلامية وتطبيقها، وضمان استمرار طاعة الله تعالى. فباستخدام النعم وفقًا للتعاليم الإسلامية، يمكن للفرد تحقيق حالة متوازنة من العقل والجسم، وتنظيم جميع جوانب حياته النعم وفقًا للتعاليم الإسلامية. يمكن للفرد تحقيق حالة متوازنة من العقل والجسم، وتنظيم جميع جوانب حياته

تنظيمًا صحيحًا. سورة طه، الآية 130

وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى يقولون

بالإضافة إلى ذلك، بما أنه لا شيء في الكون يحدث إلا بمشيئة الله تعالى، بما في ذلك الصعوبات والابتلاءات والنقد الذي قد يواجهه المرء من الآخرين، فإن على المرء أن يُمجّد الله تعالى، وذلك بالامتناع عن نسب الصفات أو النوايا السلبية إليه. بل يجب أن يُسلم بيقين بأن كل ما يقضيه هو في النهاية للخير، حتى وإن لم تتضح له حكمته فورًا. هذا الموقف يعكس عبودية حقيقية، لأنه يُقرّ بسيادة الله تعالى المطلقة، وحدود الإدراك البشري. فما قد يبدو ظاهريًا كشدة، هو في الحقيقة وسيلة للتطهير أو الارتقاء أو الحماية من ضرر أعظم، وهكذا، فإن تمجيد الله تعالى في أوقات البلاء يستلزم إدراك حكمته الكاملة، والاستسلام لقضائه بالصبر، سورة البقرة، الآية 216. والثقة بأن اختياره لعباده دائمًا أفضل مما قد يختارونه لأنفسهم

"وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ..."

من أهم جوانب تعظيم الله تعالى، الذي يجنب المرء نسب أي شيء سلبي إليه، تنمية عقلية إيجابية. وبشكل عام، من الضروري أن ينمي الناس هذه العقلية، فهي أداة قيّمة في مواجهة تحديات الحياة مع الثبات على طاعة الله تعالى. وتقتضي هذه الطاعة استغلال نعمه فيما يرضيه، كما هو مبين في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. فكلما واجه المرء محنة، عليه أن يدرك أن الوضع كان يمكن أن يكون أسوأ بكثير. فإذا كانت المحنة دنيوية، فعليه أن يحمد الله على عدم تأثيرها على إيمانه، فإن حفظ الإيمان أعظم نعمة. وبدلاً من التركيز على الحزن اللحظي المصاحب للمحنة، عليه أن يركز على الجزاء العظيم الذي ينتظر من يصبر في سبيل الله تعالى. عندما يُصاب المرء بفقد نعمة ما، عليه أن يتفكر في كثرة النعم الباقية معه. في كل محنة، عليه أن يتذكر التذكير القرآني بأن في الصعاب والاختبارات حكماً خفية قد لا تتجلى للبشر فوراً. وهكذا، فإن الوضع الذي يواجهه حالياً، في الواقع، أفضل مما كان يتمنى في البداية، لما يحمله من حكمة إلهية وتطهير وإمكانية رفعة في الدرجات. وهكذا، يصبح تبني عقلية إيجابية تعظيماً لله تعالى، إذ: سورة البقرة، الآية 216. يؤكد حكمته الكاملة ورحمته وعدله، ويحمي المؤمن من اليأس والجحود والضلال

"وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ..."

في الختام، ينبغي التأمل ملياً في هذه الحقائق - وأمثالها - لتنمية عقلية إيجابية. هذه العقلية ضرورية لتعظيم الله تعالى على الوجه الصحيح، بالامتناع عن نسب أي شيء سلبي إليه. بل يجب إدراك أن لكل قضاء من الله تعالى حكمة ورحمة ونفعاً، حتى وإن لم يظهر ذلك جلياً. بتبني هذا المنظور، يُحوّل المرء المحن إلى فرص للنمو والشكر، مما يُعزز الإيمان والطاعة. لذا، يجب أن يتذكر المرء دائماً: أن الكأس ليست نصف فارغة، بل هي في الحقيقة نصف ممتلئة، تفيض بالبركات والحكمة والرحمة الإلهية لمن يدركون ببصيرة: سورة طه، الآية 130

"...وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ..."

إن شكر الله تعالى على نعمه الكثيرة والمتواصلة ليس عبادة فحسب، بل هو ردّ عدلٍ ورحمةٍ على كرمه ويتجلّى الشكر في ثلاثة أوجه :أولاً :الشكر بالنية، أي توجيه الدوافع والأهداف نحو رضا الله تعالى دون طلب جزاء أو منفعة .ثانيًا :الشكر بالقول، أي التلفظ بالخير والذكر والثناء، أو الصمت عند عدم فائدة الكلام ثالثًا :الشكر بالعمل، أي استغلال النعم بما يرضي الله تعالى، كما بينه القرآن الكريم وسنة النبي صلى الله عليه وسلم .وعندما يُعبّر عن الشكر بهذه الأوجه الشاملة، فإنه يُصبح سببًا لجلب المزيد من النعم، كما وعد الله تعالى الشاكرين بالزيادة .علاوة على ذلك، فهو يُنمّي السكينة والتوازن والنجاح في الدنيا والآخرة، من خلال تحقيق الانسجام في الحالة النفسية والجسدية، وتنظيم كل شيء وكل شخص في الحياة على نحوٍ صحيح وهكذا، لا يكون الشكر مجرد استجابة للنعم، بل هو ممارسة تحويليّة تصون الإيمان، وتغذي الرضا، وتضمن :سورة إبراهيم، الآية 7 .الثواب الأبدي

لئن شكرتم لأزيدنكم

:سورة طه، الآية 130

فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف " ...النهار

تشير هذه الأوقات أيضًا إلى الصلوات الخمس المفروضة يوميًا .ولأن الصلوات المفروضة تُذكّر المرء بمسؤوليته يوم القيامة، فإنها تُعينه على التركيز على الاستعداد العملي لها، فتمنعه من التشتت بسبب المصاعب، التي يواجهها .يتضمن هذا الاستعداد العملي حسن استغلال النعم الممنوحة له كما وردت في التعاليم الإسلامية مما يؤدي إلى راحة البال في الدنيا والآخرة من خلال تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع .سورة طه، الآية 130 .كل شيء وكل شخص في حياته على الوجه الصحيح

"لكي تشبعوا..."

إن إقامة الصلوات المفروضة بدقة تستلزم الالتزام بجميع شروطها وآدابها، مع الحرص على أداء كل صلاة في وقتها. وقد أكد القرآن الكريم باستمرار على أهمية الصلوات المفروضة، معتبراً إياها المظهر العملي الأول لإيمان المؤمن بالله تعالى. وتوزع هذه الصلوات على مدار اليوم، لتكون بمثابة تذكير دائم بيوم القيامة مُهيئاً المؤمن للحساب النهائي. وبالتالي، فإن الصلوات المفروضة ليست مجرد عمود الإيمان، بل هي أيضاً الأساس الذي تُبنى عليه جميع الأعمال الصالحة. فهي تُرشد المؤمن إلى حياة تتسم بمراقبة الله تعالى والاستعداد للأخرة. بل إن كل ركن من أركان الصلاة يُجسد رمزياً أبعاد ذلك اليوم العظيم. فعلى سبيل المثال، يُجسد الوقوف في الصلاة رمزياً نفس الوضعية التي ستقف بها البشرية جمعاء يوماً ما أمام الله تعالى للحساب: سورة المطففين، الآيات 4-6

أَوَلَا يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُبْعَثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ

وبالمثل، فإن الركوع في الصلاة يُذكّرنا بعمقٍ بعددٍ لا يُحصى من الناس الذين سيُلامون يوم القيامة على تقصيرهم في الركوع لله تعالى في حياتهم الدنيا. سورة المرسلات، الآية 48

"وإذا قيل لهم اركعوا لم يركعوا"

يُبرز هذا الفعل النقد الذي يواجهه من قصرُوا في طاعة الله تعالى في جميع مناحي الحياة . علاوة على ذلك عندما يسجد المؤمن في صلاته، فإنه يُذكر باليوم الذي يُؤمر فيه الناس جميعًا بالسجود لله تعالى . من أهمل هذا الفعل في حياته الدنيا - فأظهر بذلك رفضه طاعته في كل حال - سيجد نفسه عاجزًا جسديًا عن السجود :يوم القيامة .سورة القلم، الآيتان 42-43

يوم يشتد الأمر يدعون إلى السجود فيمنعون، وتخضع أعينهم، وتغشاهم الظل، وكانوا يدعون إلى السجود"
"وهم سالمون

وأخيرًا، يُذكر الركوع في الصلاة بموقف العبد أمام الله تعالى يوم القيامة، موقفٌ يملؤه الخوف والترقب .انتظارًا لإعلان الحساب) .سورة الجاثية، الآية ٢٨، سورة ٤٥)

"وترى كل أمة جاثية، وكل أمة تُدعى إلى كتابها، اليوم تجزون ما كنتم تعملون"

من أدّى صلاته متأملًا في هذه الأذكار، أقامها على الوجه الصحيح .فهذا التأمل العميق يضمن أن تتجاوز طاعته لله تعالى شعائر الصلاة، فتُرشد سلوكه وأفعاله بين الصلوات) .سورة العنكبوت، الآية 45، سورة (العنكبوت، الآية 29

"...إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر"

هذه الطاعة تقتضي استغلال النعم بما يرضي الله تعالى، كما بينه القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله وهذا السلوك يؤدي إلى راحة البال في الدنيا والآخرة، إذ يضمن للمؤمن حالة نفسية وجسدية .عليه وسلم متوازنة، ويضع جميع جوانب حياته وأفرادها في مكانها الصحيح، ويستعد للحساب يوم القيامة على الوجه الأمثل .سورة طه، الآية 130

فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى

لأن طاعة الله تعالى غالبًا ما تتعارض مع رغبات الناس الدنيوية، فإن كثيرًا منهم يُصرون على معصيته .في الواقع، من أهم أسباب اتباع السلوك الخاطئ الانقياد الأعمى لرأي الأغلبية والرأي السائد في مجتمعهم، الذي تسيطر عليه النخبة وقادة المجتمع الذين لا هم لهم سوى إشباع رغباتهم الدنيوية .ولذلك، يُحذر القرآن الكريم مرارًا من التقليد الأعمى للآخرين .سورة طه، الآية ١٣١

ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أفوامًا منهم زينة الحياة الدنيا لنفتنهم فيها

يجب الحذر من تقليد الآخرين دون تمييز، فسلوك الأغلبية غالبًا ما ينحرف عن طاعة الله تعالى .فعندما يرى الناس إهمالًا واسعًا للتعاليم الإسلامية، قد يفترضون أن ما يمارسه معظم المجتمع صحيح، فيتبعونه دون تفكير أو تدبر .في الواقع، موقف الأغلبية ليس ضمانًا للحقيقة .والتاريخ نفسه يشهد على ذلك :فمعتقدات لا تُحصى اعتنقتها الجماهير في يوم من الأيام، ثبت بطلانها لاحقًا بأدلة ومعارف أوضح - على سبيل المثال الاعتقاد السائد بأن الأرض مسطحة .تذكرنا هذه الأمثلة بأن الحقيقة لا تُثبت بالأرقام، بل بالتوافق مع الهداية الإلهية .لذا، من الضروري تجنب السلوك كالمقطيع الجاهل، والانقياد الأعمى للتيارات السائدة .ففعل ذلك يُخاطر باتخاذ خيارات مضللة، ليس فقط في أمور الدنيا، بل أيضًا في أمور الإيمان، بما لذلك من عواقب .(سورة الأنعام، الآية ١١٦) .في الدنيا والآخرة

وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يظنون

بدلاً من الاستسلام لتأثير الأغلبية، ينبغي على الأفراد استخدام العقل والمنطق اللذين منحهما الله تعالى لهم - لتقييم كل موقف بعناية. وبتأسيس خياراتهم على معرفة سليمة ودليل قاطع، يمكنهم اتخاذ قرارات مستنيرة. حتى لو خالفت هذه القرارات الرأي السائد. ولهذا السبب، يُدين الإسلام بشدة التقليد الأعمى في مسائل الإيمان ويدعو الناس بدلاً من ذلك إلى فهم دينهم، وتعلم تعاليمه، والعمل بها بوضوح. فالطاعة الحقيقية لا تكمن في: سورة يوسف، الآية 108. الخضوع الجاهل، بل في الخضوع الواعي المبني على المعرفة

"...قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني"

هذا يضمن تركيز المرء على الموقف الصحيح، فيستخدم النعم التي وُهِبَتْ له كما هو موضح في التعاليم القيام بذلك الإسلامية، حتى وإن تعارض ذلك مع الموقف السائد في مجتمعه. وكما تشير الآية ١٣١، فإن يضمن التوازن العقلي والجسدي، ويمنحه الوضوح لتحديد مكان كل شيء وكل شخص في الحياة. وفي الوقت نفسه، يظل مدرّكاً لمسؤوليته النهائية يوم القيامة. يصبح هذا النهج مصدرًا للسكينة، ويضمن راحة البال في الدنيا والآخرة. سورة طه، الآية ١٣١

"ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أقوامًا منهم زينة الحياة الدنيا لنفتنهم بها ورزق ربك خير وأبقى "

توضح هذه الآية أيضًا أن الحصول على الأشياء الدنيوية، مثل الثروة والقيادة، ليس دليلاً على النجاح أو المحبة الإلهية. بل هو مجرد اختبار: هل سيستخدمون ما مُنحوا بشكل صحيح كما هو موضح في التعاليم

الإسلامية أم لا .من يفشل في هذا الاختبار بإساءة استخدام هذه النعم سيحصل على حالة نفسية وجسدية غير متوازنة، وسيضيع كل شيء وكل شخص في حياته ويفشل في الاستعداد بشكل كافٍ لحسابه يوم القيامة .سيؤدي هذا إلى التوتر والمتاعب والصعوبات في كلا العالمين، حتى لو تمتعوا ببعض الرفاهيات الدنيوية ،تلاحظ هذه النتيجة عادةً لدى الأغنياء والمشاهير .لذلك يجب ألا ينخدع المرء بالأشياء الدنيوية التي يمتلكها .لأن الفشل في اختبار الحصول على هذه الأشياء لن يؤدي إلا إلى المتاعب والصعوبات في كلا العالمين

سورة طه، الآية 131

"ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أقوامًا منهم زينة الحياة الدنيا لنفتنهم بها ورزق ربك خير وأبقى "

علاوة على ذلك، تُصحّح هذه الآية الاعتقاد السائد، وإن كان خاطئًا، بأن حياة الآخرين غالبًا ما تبدو أفضل من حياة المرء .على سبيل المثال، يراقب كثير من الناس المشاهير ويظنون خطأً أن حياتهم أفضل .في الواقع، غالبًا ما يكون هذا التصور بعيدًا عن الحقيقة، فمن يبدو ظاهريًا يتمتعون بالرخاء والامتياز قد يكونون في الواقع مثقلين بصعوبات بالغة لدرجة أن الآخرين لن يرغبوا أبدًا في استبدالهم .عادةً ما يرى الشخص الخارجي بُعدًا واحدًا فقط من حياة الآخر، ولكن إذا كشفت الحقيقة كاملة، فسيتضح أن كل فرد يواجه محنًا وأن لا أحد يمتلك حياة مثالية، بغض النظر عن ثروته أو شهرته أو مكانته .غالبًا ما تُغذي وسائل الإعلام هذا المفهوم الخاطئ، التي لا تهدف إلى تقديم واقع مجرد، بل إلى صياغة روايات جذابة تجذب الانتباه والقراء .لو أن وسائل الإعلام نقلت حقائق مجردة، خالية من البهرجة والمبالغة، لفقد الكثير من جمهورها اهتمامه بسرعة .وهكذا، فإن صورة الكمال التي تُعرض على حياة المشاهير غالبًا ما تكون وهمًا .تم بناؤه بعناية وليس انعكاسًا دقيقًا للواقع

يجب على المرء أن يحذر من هذا الاعتقاد الخاطئ، فهو أداة من أدوات الشيطان، يسعى لدفع الناس إلى كفر النعم التي يملكونها .وقد حذر النبي محمد صلى الله عليه وسلم من هذا التوجه في حديث رواه الترمذي برقم

٢٥١٣، داعيًا إلى النظر إلى من يملك القليل من الدنيا لا إلى من يملك الكثير. هذا المنظور يغرس الشكر ويمنع السخط على القدر الإلهي.

لذلك، كلما شعر المرء بجحود، فعليه أن يُحوّل انتباهه إلى العدد الهائل من الأفراد الذين يعيشون في فقر مدقع ويعانون من مصاعب تفوق بكثير ما يعانونه. وبذلك، سيدرك أن الأمور ليست أكثر خضرة في الجانب الآخر، بل هي أكثر خضرة في جانبهم، لأن الله تعالى قد قسم لكل شخص ما هو خير له بحكمته اللامتناهية: سورة البقرة، الآية ٢١٦

"...وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم..."

و: سورة الشورى 42، الآية 27

ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل ما يشاء إنه بعباده خبير بصير

وهذا يضمن لهم الاستخدام الصحيح لما منحهم إياه الله تعالى كما هو مبين في التعاليم الإسلامية، وبالتالي الحصول على راحة البال من خلال الحصول على حالة ذهنية وجسدية متوازنة ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في حياتهم بشكل صحيح.

بعد ذكر أهمية إقامة الصلوات المفروضة، يُذكر الله تعالى الناس بأن من واجبهم كخلفاء له في الأرض حثّ الناس على طاعته .سورة طه، الآية ١٣٢

"...وأمر أهلك بالصلاة"

كما ذكرنا سابقاً، فإنّ الصلوات اليومية، لما فيها من توزيعها، تُعدّ تذكيراً مستمراً بيوم القيامة واستعداداً عملياً له، إذ يرتبط كل ركن من أركانها بيوم القيامة .لذا، فإنّ الصلوات المفروضة هي الركن الأساسي لجميع الأعمال الصالحة، ولذلك يجب على المرء إقامتها وحثّ الآخرين عليها، كأقاربه .سورة طه، الآية ١٣٢

"...وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها"

كما تشير هذه الآية، فإن أنجع وسيلة لحفظ حقيقة الإسلام ونقلها هي القيادة بالقدوة .وتقتضي القيادة بالقدوة تعلم تعاليم الإسلام أولاً ثم العمل بها، ليدرك الآخرون صدقها قولاً وفعلاً .ولا يمكن للمسلم أن يُعلّم هذه المبادئ للأجيال القادمة بفعالية إلا عندما يُجسّدها المسلمون في حياتهم اليومية، فيفهمون صدق الإسلام من خلال الأدلة الواضحة لا التقليد الأعمى، مما يضمن ثباتهم على تعاليمه طوال حياتهم .ومع ذلك، فمن دواعي القلق البالغ أن يُبدي العديد من الآباء المسلمين حرصاً كبيراً على نقل المعرفة الدنيوية لأبنائهم - المعرفة التي تُفضي إلى النجاح المادي - ومع ذلك يُهملون تعليمهم الديني، وكثيراً ما يُفوضون هذه المسؤولية للآخرين .ومع أن تشجيع طلب المعرفة الدنيوية أمرٌ محمود، إلا أنه يجب ألا يكون على حساب التعليم الديني يقع على عاتق الوالدين المسؤولية الأساسية في تعليم أبنائهم أصول الإسلام مباشرةً، إذ لا يمكن الاستعانة بمصادر خارجية للقيام بهذه المسؤولية .فمجرد إرسال الأطفال إلى المساجد لتعلم تلاوة القرآن الكريم دون فهم معانيه لا يكفي .يجب أن يكون المراهق، على وجه الخصوص، مُهيأ لقبول الإسلام على أساس الدليل واليقين، لا التقليد الأعمى .والإلا، فمع نضجه، قد ينظر إلى الإسلام على أنه إرث ثقافي لا حقيقة إلهية، فيتخلّى عنه مع مرور الوقت .على النقيض من ذلك، عندما يقبل المرء الإسلام بناءً على الدليل، فإنه يدرك أنه منهج حياة شامل - منهج يجب تطبيقه في كل ظرف وفي كل نعمة من الله تعالى .ولا يتحقق هذا إلا عندما يتحمل

كبار السن في الأسرة، وخاصة الوالدين، مسؤولية تعليم البراهين الواضحة على صدق الإسلام. وهذا بدوره لا يتحقق إلا عندما يكون هؤلاء الكبار قدوة حسنة - يتعلمون تعاليم الإسلام ويستوعبونها ويعملون بها في حياتهم. وبهذه الطريقة فإن الجيل القادم لن يرث المعرفة فحسب، بل سيشهد تطبيقها الحي، وهو أقوى أشكال نشر رسالة الإسلام وأضمن ضمان للإيمان.

:سورة طه، الآية 132

"...وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها"

وبوجه عام، يجب على الناس المواظبة على واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بعلم ورفق. ولا ينبغي للإنسان أن يظن أن تمسكه بالفضيلة سيقويه من التأثير السلبي للأفراد الضالين. فكما أن التفاحة الطيبة تتأثر في النهاية بوضعها بين التفاحات الفاسدة، كذلك من يقصر في أمر الآخرين بالخير سيتأثر حتماً بسلوكه السلبي، سواء كان خفياً أم ظاهراً. وحتى لو أصبح المجتمع الأوسع غافلاً، يجب على المرء ألا يكف عن نصح من يعولهم، مثل أفراد الأسرة، لأن سلوكهم السلبي سيؤثر على الفرد بعمق أكبر. علاوة على ذلك، فإن سنن أبي داود، رقم هذا الدور الاستشاري واجب محدد على جميع الناس كما هو مبين في حديث موجود في وحتى في مواجهة التجاهل، يجب على الشخص أداء هذا الواجب من خلال تقديم النصيحة اللطيفة. 2928 المستمرة المدعومة بالأدلة القوية والمعرفة. على العكس من ذلك، فإن محاولة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بجهل أو سوء أدب لن تؤدي إلا إلى إبعاد الناس عن الحق والهدى، مما يؤثر سلباً على المجتمع بأسره. في نهاية المطاف، فقط عندما يطبق المرء مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تطبيقاً صحيحاً، سيُحمى :سورة الأعراف، الآية 164. من الآثار السلبية للمجتمع ويُبرأ من مسؤوليته النهائية

"وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً قالوا مبرأة إلى ربكم ولعلمهم يتقون"

ومع ذلك، إذا ركز الفرد فقط على سلوكه الخاص وتجاهل تصرفات الآخرين، فمن المخيف أن تؤدي التأثيرات السلبية الناجمة عن المجتمع إلى تضليله في نهاية المطاف.

ثم يُبين الله تعالى أن طاعته، كإقامة الصلوات المفروضة، لا تُفيده بشيء، بل تُفيد الناس، إذ تُوصلهم إلى راحة من خلال تحقيق التوازن النفسي والبدني، وحسن توزيع كل شيء وكل شخص في، البال في الدنيا والآخرة حياتهم. لذا، سواءً أطعت الله تعالى أم عصيته، فلا أثر له عليه، بل تنعكس آثاره وعواقبه على الناس. سورة طه، الآية ١٣٢.

"لا نسألكم رزقاً نحن نرزقكم والعاقبة للمتقين"

هذه الحقيقة بالغة الأهمية لفهمها، إذ قد يتكبر المرء، معتقداً زوراً أنه يُقدم منة لله تعالى بطاعته. هذا الغرور قد يعيق طاعته الحقيقية لله تعالى، لا سيما عندما تتعارض رغباته الشخصية مع أوامره، مما قد يصرفه عن الطريق الصحيح. في المقابل، من يدرك أن إيمانه وطاعته في النهاية يخدمان مصالحه الخاصة، سيُتميان التواضع أمام الله تعالى، ويُصرَّان على طاعته في الشدائد وفي الرخاء. في الشدة، سيُظهران الصبر، وفي الرخاء، سيُعربان عن الشكر. الشكر بالنية هو العمل لمرضاة الله تعالى فقط، بينما في القول، يُمكن التعبير عنه بالكلام الطيب أو الصمت. علاوة على ذلك، الشكر بالأفعال هو استخدام النعم التي أنعم الله بها على المرء وفقاً للقرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. أما الصبر، فهو تجنب الشكوى قولاً وفعلاً مع المواظبة على طاعة الله تعالى، والثقة بأنه يختار لهم الخير دائماً، وإن لم تتضح لهم الحكمة من ذلك. (سورة البقرة، الآية ٢١٦).

"وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ..."

.وبالتالي، فإن من يلتزم بهذا السلوك السليم في جميع الأحوال، ينال عوناً ورحمةً لا ينقطعان من الله تعالى ويؤدي ذلك إلى السلام في الدنيا والآخرة، وذلك بتحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، وحسن توزيع كل شيء وكل شخص في حياته، كما ورد في حديث صحيح مسلم، رقم 7500. سورة طه، الآية 132

"لا نسألكم رزقاً نحن نرزقكم والعاقبة للمتقين"

عندما يُساعد شخصٌ شخصاً آخر، ولو بجزءٍ من احتياجاته، كإطعامه أو مأوى، فمن الطبيعي أن يُظهر له شكره. فكم يكون الشكر لله تعالى، الذي يُنعم علينا بكل نعمة في الوجود؟ وكما ذكرنا سابقاً، يجب أن يكون الشكر بالنية، وذلك بالقيام بالأعمال الصالحة لمرضاة الله تعالى، وبالقول، بالقول الحسن أو الصمت وبالأفعال، وذلك بالاستخدام الصحيح للنعم التي وُهِبَتْ لنا كما وردت في التعاليم الإسلامية. هذا الشكر الشامل يدعو إلى زيادة النعم، ويفتح الطريق إلى السلام الداخلي والرضا في الدنيا والآخرة، من خلال تحقيق حالة ذهنية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في حياتنا على النحو الصحيح. سورة إبراهيم، الآية 7

لئن شكرتم لأزيدنكم

عندما يمتلك المرء شيئاً، فمن الطبيعي والمؤكد أن يكون له الحق في استخدامه كيفما يشاء. وكذلك، بما أن الله تعالى هو الخالق والمالك والرازق لكل ما هو موجود - بما في ذلك البشر - فهو وحده صاحب السلطة على ما يجري في الكون. لذا، فمن العدل والإنصاف أن يطيعه الناس، لأنهم ملكه

كذلك، عندما يُقرض شخصٌ ما ممتلكاته لشخصٍ آخر، يُتوقع من المُقرض احترام رغبة المالك الحقيقي. لقد جعل الله تعالى كل نعمة في حياة الإنسان قرضًا، لا هبةً مطلقة. وكما هو الحال في جميع القروض، فإن السداد واجب. ويكون هذا السداد باستخدام النعم فيما يرضي الله تعالى. في المقابل، فإن عطايا الجنة ليست: سورة الأعراف، الآية 43. قروضًا؛ بل هي عطاءات دائمة، تُمنح بحرية للاستمتاع بها دون قيد

"وقيل لهم: تلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون ..."

إن ما يُمنح في هذه الحياة من راحة وثروة وفرص، ما هو إلا أمانات، تحمل في طياتها مسؤولية ومحاسبة وتُرد هذه الأمانات بالشكر والطاعة لله تعالى. أما عطايا الآخرة فهي ممتلكات حقيقية، تُمنح بلا شرط وتُستمتع بها دون قيد. إن إدراك هذا التمييز يُعين المرء على التواضع، واستخدام نعم الدنيا على الوجه الأمثل، والسعي لنيل المكافآت الأبدية التي لا تزول. ومن يدرك هذه الحقيقة يُسدّد ما وُهِبَ له في هذه الدنيا، بحسن استخدامها باتِّباع هذا النهج، يُحقّق الإنسان التوازن النفسي والجسدي، ويُمكنه من. كما هو مُبين في التعاليم الإسلامية وضع كل أمر وعلاقة في مكانها الصحيح. وفي الوقت نفسه، يُهيئ نفسه للحساب النهائي يوم القيامة. هذا السلوك يُجلب الصفاء والتناغم والراحة النفسية في هذه الحياة، والسلام الدائم والنجاح في الآخرة. سورة (طه، الآية 132).

"والعاقبة للمتقين ..."

:سورة البقرة، الآية ١٨٧. عمومًا، من البرّ ترك بعض المباحات خشية أن تكون بابًا للحرام

"تلك حدود الله فلا تقربوها"

لا يكتفي الله تعالى بتحريم تجاوز حدوده، بل يأمر الناس بتجنب الاقتراب منها. ويتكرر هذا التوجيه الاحترازي في القرآن الكريم. وخير مثال على ذلك أمر الله تعالى النبي آدم عليه السلام: فبينما حُرِّمَ من الأكل من شجرة معينة، نُصِّحَ أيضًا بعدم الاقتراب منها، مع أن مجرد الاقتراب منها لم يكن محرماً أصلاً. وهذا يُظهر مبدأً إلهياً يحث المؤمنين على الابتعاد عن الأفعال التي قد تؤدي إلى المعصية). سورة الأعراف، الآية 19)

"و يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين"

تشير أمثلة لا تحصى إلى أن مجرد كون الفعل مُباحاً لا يعني وجوب اتباعه. فمع أن الاقتراب من حدود الله تعالى ليس إثماً في حد ذاته، فإن تجاوزها إثم. ينبغي تجنب بعض الأفعال المُباحة - وخاصةً تلك التي تُعتبر عبثاً أو تافهًا - لأنها غالباً ما تُمهّد الطريق إلى الحرام. فعلى سبيل المثال، فإن الكلام الفارغ، وإن لم يكن إثماً في حد ذاته، إلا أنه غالباً ما يؤدي إلى تجاوزات أشد خطورة كالقيل والقال والكذب. وبالمثل، فإن إنفاق المال بلا طائل قد يتطور بسهولة إلى تبذير، وهو إثم. تُبرز هذه الأمثلة حكمة توحي الحذر والامتناع عن بعض الأفعال المُباحة للبقاء آمناً بعيداً عن المحرمات. سورة الإسراء، الآية 27

"إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفوراً"

معظم من ينحرفون عن الطريق الصحيح يفعلون ذلك تدريجياً، من خلال عملية تدريجية. غالباً ما يبدأون بما هو محرم دون الانخراط فيه تماماً، ثم يُغرون تدريجياً أو يُشجعون مع مرور الوقت على ارتكاب المحرمات على سبيل المثال، من يخالط بانتظام متعاطي الكحول يكون أكثر عرضة للانخراط فيه من من يتجنبها. وقد أكد النبي محمد صلى الله عليه وسلم على مبدأ الحذر الاستباقي، وخاصة فيما يتعلق ببعض الأمور الحلال - أو الباطلة، كما ورد في حديث في جامع الترمذي، رقم 2451. وأوضح أن المرء لا يمكن أن يبلغ البر

بالثبات على استخدام النعم التي وهبت له على النحو الصحيح وفقاً للتعاليم الإسلامية - حتى يعتمد تجنب بعض الأمور المباحة خشية أن تؤدي إلى الحرام. لذلك، يجب على المرء ألا يتجنب ما هو محرم صراحة فحسب، بل يجب أيضاً توخي الحذر في بعض الأمور الحلال، وخاصة الباطلة، لمنع التعدي في نهاية المطاف. وبذلك، يحافظون على طاعة الله تعالى، مُحسنين استخدام نعمه، كما هو مبين في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. هذا النهج الدقيق يُشكل جوهر الاستقامة، ويُعزز راحة البال الدائمة في الدنيا والآخرة، من خلال تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص (النحل، الآية 97، الفصل 16 في حياتهم على النحو الصحيح). سورة

"من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون"

في المقابل، من لا يُقدّر أهمية الابتعاد عن حدود الله تعالى، يُرجّح أن يُفرط في المباحات، وخاصة في المطاعم العبثية. هذا الإفراط يزيد كثيراً من خطر الوقوع في الحرام وإساءة استخدام النعم التي وهبت له. ونتيجةً يقع هذا الشخص في اختلال عقلي وجسدي. يُسيء استخدام النعم المُؤتمن عليها، ويُقصر في تحديد، لذلك الأشخاص والأمور حقّها، ويُهمل الاستعداد السليم للحساب النهائي يوم القيامة. هذا سيجلب عليه حتماً القلق والمشقة والفتن في الدنيا والآخرة. حتى لو أُتيحت له ملاذات دنيوية زائلة أو ترفُّ، فلن يحميه ذلك من سورة طه، الآيات. الاضطراب الداخلي والصعوبات الدائمة التي تنشأ عن الانحراف عن الهداية الإلهية ١٢٤-١٢٦:

ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد
"كنت بصيراً قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى"

كما ذكر سابقاً، استخدم قادة غير المسلمين في مكة أساليب مختلفة لثني الآخرين عن اعتناق الإسلام، خوفاً من فقدان قيادتهم ونفوذهم الاجتماعي. ومن هذه الأساليب طلب معجزات محددة من النبي محمد صلى الله عليه وسلم. سورة طه، الآية 133

"...ويقولون لولا يأتينا بآية من ربه"

بناءً على سنة الله تعالى الخالدة، لو أنعم على غير المسلمين في مكة بالمعجزة التي طلبوها، ثم أصرّوا على رفض الإسلام، لاستلزم عدله إبادتهم التامة. ولكن، بما أن الله تعالى لم يشأ هلاكهم، فقد اختار عدم الاستجابة لمطالبهم الباطلة، بل منحهم مهلة، وأتاح لهم فرصة التفكير والتوبة والهدى. ومع ذلك، حاولوا في عنادهم اتخاذ غياب هذه المعجزات ذريعةً للتشكيك في شرعية الإسلام. والواقع أن هذا المنطق كان خاطئاً، فقد تجلّت حقيقة الإسلام بالفعل من خلال المعجزة الكبرى - القرآن الكريم - الذي لا يُضاهى في بلاغته وحكمته وحفظه لم تكن مطالبهم بمزيد من الآيات نابعة من الإخلاص أو البحث الصادق عن الحقيقة، بل من الغطرسة والتحدي. وهكذا، كان حجب المعجزات التي طلبوها بحد ذاته مظهرًا من مظاهر الرحمة الإلهية، إذ نجاهم من الهلاك الداهم، ومنحهم فرصةً أخرى لقبول الهداية. وفي الوقت نفسه، كشف عن زيف اعتراضاتهم (سورة الإسراء، الآية). مُظهرًا أن رفضهم لم يكن لنقص الأدلة، بل لفسوة القلوب والكبرياء في غير محله (59).

وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذبها الأولون وآتينا ثمود الناقة آية مبينة فظلموها وما نرسل بالآيات إلا "تخويفًا"

علاوة على ذلك، كان دور كل نبي كريم، عليه السلام، هو توضيح التوجيهات الإلهية للبشرية وأن يكون قدوة حسنة للناس. لم تكن مهمتهم أبدًا إبهار الآخرين بعروض معجزية، لأن المعجزات التي منحها الله لهم كانت محدودة بأوقات وأماكن محددة وكانت بمثابة أدلة داعمة لصدقهم. لم تكن جوهر رسالتهم. كان الجوهر الأساسي لكل رسالة نبوية دائمًا هو العلم والهدى والدليل الواضح. في حالة النبي الكريم محمد، صلى الله عليه وسلم، كان جوهر رسالته هو القرآن الكريم وشخصيته الفريدة. يقف القرآن الكريم نفسه كمعجزة خالدة، بلاغته وحكمته وعمقه يتجاوز القدرة البشرية. أدرك غير المسلمين في مكة، لكونهم أساتذة اللغة العربية - أن مثل هذا الكلام لا يمكن أن يكون كلام إنسان. علاوة على ذلك، فقد عاشوا مع النبي محمد صلى الله عليه وسلم أربعين عامًا قبل نبوته، وعرفوا صدقه وأمانته وبراءة كيده. فلم يكن رفضهم له عيبًا في الرسالة أو في

سورة يونس، الآية .الرسول صلى الله عليه وسلم، بل غرورًا وكبرياءً وعدم رغبة في ترك منهجهم الراسخ
١٦:

"لأنني عشت بينكم عمرًا قبل ذلك .أفلا تعقلون؟..."

بما أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم لم يتفاعل مع الكتب السماوية السابقة - وهي حقيقة أقرها أهل الكتاب وغير المسلمين في مكة - فلا يمكن أن يكون على دراية بالتعاليم المحرفة أو الأصلية الواردة في تلك النصوص .وتقف هذه الحقيقة كشهادة قوية على الأصول الإلهية للقرآن الكريم .يقدم القرآن الكريم روايات مفصلة عن الأمم السابقة والأنبياء عليهم السلام والوحي بدقة وتناسق، على الرغم من أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم كان أميًا ولم يكن لديه إمكانية الوصول إلى هذه المعرفة من خلال الدراسة أو التعليم .إن دقة هذه الروايات، إلى جانب الحكمة والتوجيه العميقين الموجودين في القرآن الكريم، تثبت أنه لا يمكن أن يكون من تأليف إنسان .بل هو وحي مباشر من الله تعالى، الذي تحيط معرفته بكل شيء .وهكذا، فإن غياب الاطلاع المسبق على الكتب المقدسة السابقة، مقترنًا بعمق القرآن الكريم الذي لا مثيل له، يُعدّ دليلًا قاطعًا على مصدره .سورة العنكبوت، الآية 48 .الإلهي وعلى صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم

وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون

:وسورة طه الآية 133

"أَلَمْ يَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ مِّنَ الْكِتَابِ الْأُولَى ..."

أوضح الله تعالى أن غير المسلمين في مكة لم يكونوا يسعون إلى الحقيقة بصدق، بل كانوا يطلبون المعجزات لا بدافع الفضول الصادق، بل لثني الآخرين عن اعتناق الإسلام. ولو أن الله تعالى أنعم عليهم بآيات خارقة للعادة، لوجدوا أعذاراً لرفضها، لأن عقولهم كانت مغلقة أصلاً. وكان رفضهم نابعاً من تعارض قبول الإسلام مع رغباتهم الدنيوية وطموحاتهم الشخصية. سورة الحجر، الآيتان 14-15:

وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ لَقَالُوا إِنَّمَا سُحِرْتُ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ سَاهُونَ.

مع أن غير المسلمين في مكة كانوا يستحقون العقاب، لما مارسوه من ممارسات أدت إلى انتشار الفساد والظلم في مجتمعهم، إلا أن الله تعالى لم يُهلكهم، بل أرسل النبي محمداً صلى الله عليه وسلم بالقرآن الكريم ليهديهم إلى الصراط المستقيم، فلا عذر لهم إن خالفوا الله تعالى بعد ظهور الإسلام. سورة طه، الآية 134

"وَلَوْ أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَنْ نُنْزِلَ وَنَحْزِي "

والآن وقد بلغت الرسالة الخاتمة والهدى الإلهي إلى البشرية، فلا عذر لأحد في عدم قبولها والعمل بها، لا سيما في هذا العصر الذي أصبحت فيه التعاليم الإسلامية الأصيلة والموثوقة في متناول الناس. سورة طه الآية ١٣٥.

"قل كلُّ ينتظر فانتظروا فستعلمون من أصحاب الهدى ومن المهتدين"

إن الراحة الممنوحة للناس في هذه الدنيا مؤقتة، لذا يجب استغلالها قبل مواجهة العواقب الحتمية لأفعالهم. لا ينبغي لمن أساء استخدام النعم التي مُنحت له أن يظن أنه سيفلت من المحاسبة تمامًا لأنه لم يُعاقب بعد، أو لأنه يجهل أشكال العقاب الدقيقة الموجودة بالفعل. في الواقع، يمنعه هذا الموقف من تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، ويدفعه إلى إهمال كل شيء وكل شخص في حياته. ونتيجة لذلك، تصبح العناصر التي من المفترض أن تجلب له الراحة، كالعائلة والأصدقاء والعمل والثروة، مصادر للتوتر والقلق. إذا استمر في معصية الله تعالى، فسيلقي باللوم لا محالة على من لا يستحقونه، ويحمل الظروف والأشخاص غير المناسبين مسؤولية محتته. في كثير من الأحيان، قد يلوم حتى شريك حياته أو أحبائه، ويستبعد الأشخاص الطيبين من حياته وهذا يُعمق اختلال توازنه، ويزيد من قابليته للاضطرابات النفسية حتى يغرق في الاكتئاب وإدمان المخدرات، بل وحتى الميول الانتحارية. هذه النتيجة ليست تخمينية، بل ملحوظة، لا سيما بين من يُصرون على إساءة استخدام النعم التي مُنحوا إياها، كالأغنياء والمشاهير، رغم تمتعهم الظاهري بالرفاهية الدنيوية والأخطر من ذلك، أن هذا الموقف لا يحرمهم من راحة البال في الدنيا فحسب، بل يمنعهم أيضًا من الاستعداد: سورة طه، الآية ١٣٥. للحساب يوم القيامة. وبالتالي، فإن عقابهم في الآخرة سيكون أشد بكثير.

"قل كلُّ ينتظر فانتظروا فستعلمون من أصحاب الهدى ومن المهتدين"

لذلك، يجب على الفرد قبول التعاليم الإسلامية والعمل بها لما فيه مصلحته، حتى لو تعارضت هذه التعاليم مع رغباته الشخصية. يجب أن يتصرف الشخص كمريض عاقل يقبل نصيحة طبيبه ويعمل بها، عالمًا أنها في مصلحته، حتى لو تضمن العلاج أدوية مُرة ونظامًا غذائيًا صارمًا. وكما يتمتع هذا المريض العاقل بصحة نفسية وجسدية جيدة، كذلك سيتمتع من يقبل التعاليم الإسلامية ويعمل بها. هذه النتيجة مضمونة لأن الله تعالى هو الوحيد الذي يملك المعرفة الكاملة اللازمة لضمان تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، ووضع كل شيء وكل شخص في حياته بشكل صحيح. إن معرفة المجتمع بالحالات النفسية والجسدية للإنسان، على الرغم من جميع الأبحاث التي أجريت، لن تكون كافية أبدًا لتحقيق هذه النتيجة الشاملة. لا يمكن للنصيحة المجتمعية أن تحل جميع المشكلات التي يواجهها الإنسان، ولا أن تتجنب جميع أنواع الضغوط النفسية والجسدية، ولا أن تمكنه من وضع كل شيء وكل شخص في الحياة بشكل صحيح، بسبب محدودية المعرفة والخبرة وبعد النظر والتحيزات المتأصلة. الله تعالى وحده هو من يملك هذه المعرفة، وقد أنزلها على البشرية في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. تتجلى هذه الحقيقة جليةً عند النظر إلى حياة من استخدموا النعم التي وهبها الله لهم وفقًا للتعاليم الإسلامية، مقارنةً بمن لم يفعلوا. فخلافاً للمرضى الذين يثقون في أغلب الأحيان بطبيبهم ثقةً عمياء لعدم فهمهم لعلم أدويتهم، يدعو الله تعالى الناس إلى التأمل في تعاليم الإسلام

ليقدروا آثارها الإيجابية على حياتهم. فهو لا يتوقع من الناس أن يثقوا بها ثقةً عمياء، بل يريد منهم أن يدركوا صدقها من خلال أدلتها الواضحة. ومع ذلك، يتطلب هذا من المرء أن يتحلى بعقلٍ منفتحٍ وموضوعيٍّ عند سورة يوسف، الآية 108. التعامل مع تعاليم الإسلام

"...قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني"

بالإضافة إلى ذلك، بما أن الله تعالى هو وحده المسيطر على قلوب الناس الروحية، دار الطمأنينة، فهو وحده سورة النجم، الآية 43. الذي يقرر من ينالها ومن لا ينالها

"وأنه هو الذي أضحك وأبكى"

لذا، من البديهي أن الله تعالى لا يمنح راحة البال إلا لمن أحسن استخدام نعمه التي أنعم بها عليه، وفقاً لتعاليم سورة النحل، الآية 97. الإسلام

"من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون"

.الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾

مَا يَأْتِيهِمْ مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ
يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾

لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأُ النُّجُوى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ
مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾

قَالَ رَبِّى يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ
الْعَلِيمُ ﴿٤﴾

بَلْ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَامٌ بَلْ أِفْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْنِذِرْنَا يَتَّعِ
كَمَا أَرْسَلَ الْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾

مَاءَ أَمْنَةٍ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾

وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾

وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا آلِيًّا كُلُّونَ الطَّعَامِ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴿٨﴾

ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾

لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾

وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ؕ آخَرِينَ ﴿١١﴾

فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾

لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسْكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَسْأَلُونَ ﴿١٣﴾

قَالُوا يَوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٤﴾

فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَمِيدِينَ ﴿١٥﴾

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنٍ ﴿١٦﴾

لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهُوَ لَا تَتَّخِذَنَّهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٧﴾

بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ، فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمْ الْوَيْلُ
مِمَّا نَصِفُونَ ﴿١٨﴾

وَلَهُ، مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ، لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ
عِبَادَتِهِ، وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾

يُسَبِّحُونَ أَلَيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾

أَمْ اتَّخَذُوا إِلَهَةً مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ ﴿٢١﴾

لَوْ كَانَ فِيهِمَا إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَنَ اللَّهُ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا
يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾

لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿٢٣﴾

أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ، إِلَهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِنْ مَعِيَ
وَذِكْرٌ مِنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾

وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ، بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾

لَا يَسْبِقُونَهُ، بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾

يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى وَهُمْ مِنَ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾

﴿٢٩﴾ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌُ مِنْ دُونِهِ، فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾

أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾

وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾

وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾

وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾

وَمَا جَعَلْنَا لِلْبَشَرِ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ ﴿٣٤﴾

كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾

وَإِذَا رَأَى الْكَافِرُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٦﴾

خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾

وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾

لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُوتُ عَنْ وُجُوهِِهِمُ النَّارُ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾

بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رِيسْلًا مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾

قُلْ مَنْ يَكْلُوْكُمْ بِالْأَيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ
ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾

أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ
أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنْنَا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾

بَلْ مَنَعْنَا هَؤُلَاءِ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا
يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمْ
الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾

قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا
يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾

وَلِإِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَوَيْلَنَا إِنَّا
كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٤٦﴾

وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ
كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا
حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا
لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾

الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ
مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾

وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٥٠﴾

﴿٥١﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥١﴾

إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾

قَالُوا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا لَهَا عِبَادِينَ ﴿٥٣﴾

قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٥٤﴾

قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ﴿٥٥﴾

قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ
مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٦﴾

وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدِيرِينَ ﴿٥٧﴾

فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾

قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذِهِ ءِثْمًا لِّهْتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾

قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾

قَالُوا فَاتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾

قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِثَالِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾

قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا
يَنْطِقُونَ ﴿٦٣﴾

فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾

ثُمَّ نَكْسُوْا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿٦٥﴾

قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا
يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾

أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾

قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِ الْهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾

قُلْنَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾

وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾

وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾

وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾

وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ
الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا
عَبِيدِينَ ﴿٧٣﴾

وَلُوطًا إِذْ أَنَا فِي حُكْمٍ وَأَعْلَمُ بِغَيْبَاتِهِ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ
تَعْمَلُ الْخَبِيثَ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَسِيقِينَ ﴿٧٤﴾

وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا ۖ إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾

وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ ۖ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ
مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾

وَنَصْرَنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ
فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾

وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَمٌّ
الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾

فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ

الْجِبَالِ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾

وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِنُحْصِنَكُمْ مِّنْ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ

أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨٠﴾

وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا

وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ ﴿٨١﴾

وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ، وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ

ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴿٨٢﴾

﴿٨٣﴾ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ ۖ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ

الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾

فَأَسْتَجَبْنَا لَهُ، فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم

مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ﴿٨٤﴾

وَأِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٥﴾

وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا ۚ إِنَّهُمْ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾

وَإِذَا النُّونُ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي
الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ
الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾

فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ، وَكَذَلِكَ نُشَجِّي
الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾

وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ، رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ
الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾

فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَوَهَبْنَا لَهُ، يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَاهُ، زَوْجَهُ
إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا
وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾

وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا
وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾

إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ
فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾

وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلُّ إِلَيْنَارٍ جَعُوتٌ ﴿٩٣﴾

فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعِيدِهِ
وَإِنَّا لَهُ كَنُيُوتٌ ﴿٩٤﴾

وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾

حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ
يَنْسِلُونَ ﴿٩٦﴾

وَأَقْرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا
يَتَوَلَّوْنَ أَكْثَرَ كُنَافٍ مِنْ غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٩٧﴾

إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ
لَهَا وَرِدُونَ ﴿٩٨﴾

لَوْ كَانَهُمْ يُشْعُرُونَ هَؤُلَاءِ آلِهَةٌ مَا وَرَدُوا هَؤُلَاءِ وَلَوْ كَانُوا
لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿٩٩﴾

إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾

لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ
خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾

لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا
يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾

يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ
خَلْقِ نُعِيدُهُ، وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٠٤﴾

وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا
عِبَادِي الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾

إِنَّ فِي هَذَا الْبَلَاغِ لِقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴿١٠٦﴾

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾

قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ
مُسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرَىٰ أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدُ
مَا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾

إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾

وَإِنْ أَدْرَىٰ لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَنْعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾

قَالَ رَبِّ أَحْكُم بِالْحَقِّ ۖ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾

مناقشة الآيات من ١ إلى ١١٢ من ١١٢

تبدأ هذه السورة من القرآن الكريم بتحذير صريح من قرب يوم القيامة، وكيف ينبغي ألا يغفل الإنسان عن الاستعداد العملي له، وإلا وصل إليه غير مستعد. سورة الأنبياء، الآية 1

"...لقد اقتربت حكايتهم للناس"

يوم القيامة حقيقة لا مفر منها. عندما يتأمل المرء الكون، يلاحظ أمثلة لا تُحصى على التوازن والدقة فالأرض، على سبيل المثال، تقع على مسافة مثالية ومتوازنة من الشمس؛ ولو كانت أقرب أو أبعد قليلاً، لما كانت الحياة مستدامة. وبالمثل، فإن دورة المياه - حيث يتبخر الماء من المحيطات، ويتكثف في الغلاف الجوي، ويعود مطراً - متوازنة تمامًا لاستدامة الحياة على الأرض. خلقت الأرض نفسها بطريقة متوازنة لينة بما يكفي لاختراق البراعم الهشة ونموها لتصبح محاصيل، وفي الوقت نفسه صلبة بما يكفي لتحمل وزن الهياكل الثقيلة. هذه الأمثلة لا تشهد فقط على وجود خالق، بل تشهد أيضًا على مبدأ التوازن الذي يتخلل خلقه.

ومع ذلك، وسط هذا التناغم، يبقى خللٌ صارخ: أفعال البشر. فكثيرًا ما نرى ظالمين وطغاة يفلتون من العقاب في الدنيا، بينما يكابد عددٌ لا يُحصى من المظلومين المشقة دون أن ينالوا جزاءهم المستحق. كثيرٌ من المسلمين، الذين يطيعون الله تعالى بإخلاص، يواجهون البلاء والصعوبات، فلا ينالون إلا جزءًا من ثوابهم في الدنيا، بينما ينعم من يعصيه جهازًا بنعيم الدنيا. وكما أن الله تعالى قد وضع التوازن في جميع جوانب الخلق، فكذلك يجب أن يكون هناك توازن في ثواب وعقاب أفعال البشر. وبما أن هذا التوازن لا يتحقق تمامًا في الدنيا، فلا بد أن يحدث في موعدٍ آخر مُحدد، ألا وهو يوم القيامة.

كان بإمكان الله تعالى أن يُجزى ويُعاقب في الدنيا جزاءً وفيرًا .إلا أن من حكمته تعالى في منع الجزاء الكامل أنه يُتيح للناس فرصًا متكررة للتوبة الصادقة وإصلاح سلوكهم .كذلك، لا يُجزى المسلمين جزاءهم كاملاً هنا، فالدنيا ليست جنة .إن الإيمان بالغيب - ولا سيما الجزاء الكامل الذي ينتظر المؤمن في الآخرة - ركنٌ أساسي من أركان الإيمان .بل إن هذا الإيمان بالغيب هو ما يُميز الإيمان الحقيقي، فالإيمان بما يُدرك بالحواس لا يحتاج إلى يقين خاص .

وبالإضافة إلى ذلك فإن الخوف من العقاب الكامل والرجاء في الجزاء الكامل في الآخرة يدفع الإنسان إلى الامتناع عن المعصية والقيام بالأعمال الصالحة .

لكي يبدأ يوم الجزاء، لا بد أن ينتهي هذا العالم المادي .لا يمكن تطبيق الثواب والعقاب إلا بعد انتهاء أعمال الناس جميعًا .لذا، فإن ضرورة يوم القيامة ذاتها تعني أن العالم الدنيوي يجب أن ينتهي في النهاية .إن التأمل في هذه الحقائق يعزز قناعة المرء بيقين يوم القيامة .هذا التأمل يشجع المرء على الاستعداد له باستخدام النعم التي مُنحت له وفقًا لهدى القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم .وبذلك ينال راحة البال في من خلال تحقيق حالة ذهنية وجسدية متوازنة ومن خلال وضع ،هذه الدنيا ويضمن النجاح في الحياة الأبدية .سورة الجاثية، الآية 22 . كل شيء وكل شخص في حياته بشكل صحيح .

"وخلق الله السموات والأرض لحكمة، ولتجزى كل نفس ما اكتسبت، وهم لا يظلمون أحدًا"

:وسورة الأنبياء 21 الآية 1

"...لقد اقتربت حكايتهم للناس"

ولكن لما كان طاعة الله تعالى والاستعداد للمحاسبة يتعارضان غالبًا مع شهوات الناس الدنيوية، فإن كثيرًا منهم يتجاهلون ذلك، حتى وإن زعموا الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر. سورة الأنبياء، الآية 1

«ولقد جاء الناس حسابهم وهم في غفلة معرضون»

من المهم ملاحظة أنه حتى لو كان يوم القيامة بعيدًا، فإن حساب المرء يبدأ فعليًا بموته، وهو ليس بعيدًا بالتأكيد. في الواقع، يمكن أن يأتي الموت في أي وقت، وبغض النظر عن طول عمر المرء، فإن حياته ستمر، بسرعة كبيرة، وهو أمر لا ينكره عاقل. من أهم أسباب تجاهل المرء للمسؤولية، حتى لو ادعى الإيمان بها، إن تبني آمال كاذبة بطول العمر صفة مذمومة للغاية، لأنها من الأسباب. تبني آمال كاذبة بطول العمر الرئيسية التي تدفع المرء إلى تقديم جمع الممتلكات الدنيوية على الاستعداد للآخرة. إن تأملًا بسيطًا في متوسط أربع وعشرين ساعة من يوم المرء يكشف عن مقدار الوقت المخصص للمساعي الدنيوية مقارنة بقلّة الوقت المخصص للحياة الأبدية في الآخرة. في الواقع، إن الأمل الخاطيء بطول العمر هو أحد أكثر أسلحة الشيطان فعالية لتضليل البشرية. عندما يقنع الإنسان نفسه بطول العمر، فإنه يؤجل الاستعداد للآخرة، معتقدًا خطأً أن لديه متسعًا من الوقت لذلك في المستقبل. في أغلب الأحيان، لا يأتي هذا "المستقبل" أبدًا، ويغادر الإنسان هذه الدنيا دون أن يكون قد استعد جيدًا لمسكنه الأبدي.

، علاوة على ذلك، فإن الأمل الكاذب بطول العمر يدفع المرء إلى تأجيل التوبة الصادقة وإصلاح الأخلاق، متوهمًا أن هناك متسعًا من الوقت للتغيير. إنه يشجع على اكتناز الممتلكات الدنيوية، كالثروة، بغرس الخوف من الحاجة إليها في سن الشيخوخة عندما تضعف القوة البدنية وتتراجع القدرة على العمل. ومع ذلك، فإن هذه المخاوف تتجاهل حقيقة أن الرب نفسه الذي رزق في شبابه سيستمر في الرزق في شيخوخته. في الواقع، يُدّر رزق كل مخلوق قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف عام، كما هو مؤكد في حديث صحيح مسلم رقم 6748. ومن اللافت للنظر أن الشخص قد يخصص أربعين عامًا من عمره للادخار للتقاعد - وهي فترة نادرًا ما تتجاوز عشرين عامًا - ثم يفشل في الاستعداد بنفس الاجتهاد للآخرة الخالدة.

هذا لا يعني أن الإسلام يُثني عن الاستعداد للحاجات الدنيوية. فلا حرج في الادخار للمستقبل القريب، بشرط أن تبقى الآخرة هي الأولوية القصوى. مع أن الناس يُسلمون بأن الموت قد يأتي في أي لحظة، إلا أن كثيرين يعيشون كأنهم سيخلدون في الدنيا. بل حتى لو وُعدوا بالحياة الأبدية في الدنيا، لما استطاعوا بذل جهد أكبر في سبيل الكسب المادي، لأن قيود الليل والنهار ستظل تُقيدهم. كم من رحلوا قبل أوانهم، وكم من قليل من يُحسنون تدبيرهم بعد رحيلهم؟

في الحقيقة، من أعظم الآلام التي يختبرها الإنسان عند الموت - أو في أي مرحلة من مراحل الآخرة - الندم على تأخير الاستعداد للحياة الأبدية. سورة المنافقون، الآيتان ١٠-١١

وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون.

يُعتَبَر المرء، بحق، غير حكيم إذا كرّس وقتاً وجهداً ومالاً أكثر لمسكنٍ سيقم فيه لفترة قصيرة، مُهملاً منزله الذي كان ينوي العيش فيه مدةً أطول بكثير. وهذا تشبيهٌ واضحٌ لمن يُقدّمون هموم الدنيا الزائلة على حياة الآخرة الباقية.

من الضروري أن يسعى الإنسان إلى الاستقرار الدنيوي والتوفيق الأبدي. ومع ذلك، عليه أن يتذكر دائماً أن الموت لا يأتي في وقت أو ظرف أو عمر يعلمه، مع أن وقوعه مؤكد. ولذلك، فإن الاستعداد للموت وما يليه: سورة الأنبياء، الآية 1. مقدم على الاستعداد لمستقبل دنيوي قد لا يتحقق

«ولقد جاء الناس حسابهم وهم في غفلة معرضون»

التمني هو الإصرار .من الأسباب الرئيسية لهذا الموقف لدى من يدعون الإيمان بمحاسبتهم يوم القيامة، التمني .على معصية الله تعالى، مع انتظار رحمته ومغفرته في الدنيا والآخرة .لا قيمة لمثل هذا الموقف في الإسلام في المقابل، يكمن الأمل الحقيقي في السعي لطاعة الله تعالى، مستخدمين النعم التي أنعم الله بها عليهم، ثم طلب رحمته ومغفرته .وقد برز هذا التمييز الجوهري في حديث رواه الترمذي برقم 2459 .لذلك، يجب على المرء أن يدرك الفرق، وأن يحرص على غرس الأمل الحقيقي في رحمة الله تعالى، مع تجنب التمني، لأنه لا فائدة منه في الدنيا والآخرة .في الواقع، إن المسلم الذي لا يدعم إيمانه بالله تعالى ويوم القيامة بالأعمال يمكن تشبيه الإيمان بشعلة هشة يجب رعايتها .الصالحة عملياً، معرض لخطر كبير، وهو فقدان إيمانه باستمرار .كما تخبو النار وتنطفئ بنقصان وقودها، كذلك يتضاءل الإيمان وقد ينطفئ في النهاية إن لم يُغذَّ بالطاعات المنتظمة .إهمال هذا الغذاء الروحي يُعرض الإنسان لخطر فقدان نوره الهادي، وهذه الخسارة من أعظم المآسي .

سورة الأنبياء، الآية 21

«ولقد جاء الناس حسابهم وهم في غفلة معرضون»

من الأسباب الرئيسية لتجاهل المسؤولية، كما تشير هذه الآية، الانقياد الأعمى لرأي الأغلبية والرأي العام في لذا، يُنصح الأفراد .مجتمعهم، الذي تسيطر عليه النخبة والقادة، الذين لا هم لهم سوى إشباع شهواتهم الدنيوية بالامتناع عن التقليد غير النقدي، لأن السلوك المجتمعي السائد غالباً ما يؤدي إلى تجاهل المبادئ الأخلاقية والروحية الراسخة .عند ملاحظة تجاهل المجتمع الأوسع للتعاليم الإسلامية، قد يستنتج المرء خطأً أن أفعال الأغلبية سليمة بطبيعتها، فيتبنى هذه السلوكيات دون دراسة أو تمحيص .ومع ذلك، فإن إجماع الأغلبية ليس دقيقاً دائماً .تُظهر السوابق التاريخية حالات عديدة دحضت فيها الآراء أو المعتقدات المقبولة على نطاق واسع

مثل نموذج مركزية الأرض للكون أو الاعتقاد بأن الأرض مسطحة - لاحقًا بالأدلة والمعارف الناشئة - لذلك، من الضروري تجنب التمسك السلبي بوجهة النظر السائدة، لأن هذا التقليد غير المدروس غالبًا ما: سورة الأنعام، الآية 116. يؤدي إلى قرارات غير مدروسة في الأمور الدنيوية والدينية

"وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يظنون"

بدلاً من ذلك، ينبغي على الأفراد استخدام ملكات العقل والفكر الممنوحة لهم، وتقييم كل موقف بناءً على معرفة مؤكدة وأدلة تجريبية. هذا التقييم الدقيق يُمكنهم من اتخاذ قرارات مدروسة، حتى عندما تتعارض تلك الخيارات مع الآراء السائدة لدى عامة الناس. في الواقع، يُنهي الإسلام بشدة عن التقليد الجاهل للآخرين في مسائل الإيمان لهذا السبب تحديداً. ولذلك، فهو يدعو أتباعه بشدة إلى الانخراط في تعاليمه وممارستها من (سورة يوسف، الآية 108، الفصل 12). خلال إطار من الفهم والتطبيق المدروس

"...قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني"

لكن من يغفل عن حسن تدبيره، ويتبع ظاهرياً توجهات الأغلبية في مجتمعه، يتجاهل عملياً الاستعداد للحساب: يوم القيامة، حتى مع تذكيره بواقعه وقرب ظهوره. سورة الأنبياء، الآيتان ٢-٣

...ما يأتيهم من حديث من ربهم إلا استمعوه وهم يلعبون وقلوبهم شاختة

علاوة على ذلك، يُمثل هذا تحذيرًا واضحًا بوجوب الإنصات للتعاليم الدينية على النحو الصحيح للاستفادة منها حقًا. فالإنصات السليم ليس فعلًا سلبيًا، بل عملية فعّالة تتطلب الانتباه والتأمل والإخلاص. وهو يتضمن الانخراط الدقيق في المعرفة، وربطها بتجارب المرء السابقة، وتقييم كيفية تطبيقها في المواقف المستقبلية، ثم السعي الجاد لتطبيقها في الحياة اليومية. ومن خلال هذه العملية المدروسة فقط، يمكن تحويل المعرفة إلى توجيه يُشكّل الشخصية والسلوك. فمجرد الاستماع إلى التعاليم الدينية دون تأمل أو تطبيق لن يحدث تغييرًا ذا معنى. فالمعرفة التي لا تُطبّق تبقى نظرية، وفي كثير من الأحيان، تُصبح عبئًا بدلًا من نعمة. وهذا أحد الأسباب الرئيسية وراء عدم تحقيق الكثير من الناس تحولًا حقيقيًا في سلوكهم، على الرغم من الوصول غير المسبوق إلى المعرفة الدينية في العصر الحديث - من خلال الكتب والمحاضرات والمنصات الرقمية. ولم تُترجم وفرة المعلومات إلى وفرة من الإصلاح، لأن الخطوات الأساسية للتأمل والاستيعاب والتطبيق غالبًا ما تُهمل. تنشأ الفائدة الحقيقية عندما ينفذ العلم إلى القلب، ويؤثر في النية، ويتجلى في العمل. عندما يستمع الإنسان بتواضع، ويربط التعليم بحياته، ويسعى بصدق للعيش بموجبه، تصبح المعرفة مصدرًا للنور يهديه في التحديات ويقوي إيمانه. وبدون ذلك، قد تصبح المعرفة مجرد تمرين فكري، يُعجب به نظريًا ولكنه غائب عمليًا. سورة الأنبياء، الآيتان ٢-٣. عمليًا:

...ما يأتيهم من حديث من ربهم إلا استمعوه وهم يلعبون وقلوبهم شائخة

، عندما تستحوذ على الإنسان شهواته الدنيوية، يفقد السيطرة على أفعاله تدريجيًا، ويدفعه دافع إشباعها فقط متجاهلاً في كثير من الأحيان العواقب الوخيمة المترتبة على ذلك. تشبه هذه الحالة إلى حد كبير حالة مدمن المخدرات، الذي يدفعه إدمانه إلى تعاطي المخدرات، مما يفقده ضبط نفسه ويُسوّه حكمه. في مثل هذه الحالة قد يرتكب أفعالاً خاطئة، كالسرقة، غافلاً عن الآثار المدمرة لسلوكه. وبالمثل، يمكن أن يتطور التعلق المفرط بشهوات الدنيا - كالسعي الحثيث وراء الثروة أو المكانة أو المتعة - إلى شكل من أشكال الإدمان يُملّي على سلوك الشخص. عندما تشتد الرغبة دون رادع، فإنها تتوقف عن كونها أداة تحت سيطرة المرء، بل تصبح سيدًا يتحكم في فكره وقوله وفعله. لهذا السبب، من الضروري تعلم كيفية تنظيم الرغبات والسعي فقط إلى ما هو مشروع ومفيد، مع الحفاظ على التوازن والاعتدال. بدون هذا الانضباط، تُفضي الرغبات الجامحة حتمًا إلى أفعال غير أخلاقية، وعلاقات متوترة، وإضرار بالصحة النفسية والجسدية. على النقيض من ذلك، عندما تُدار الرغبات في حدود توجيهه الإلهي، فإنها تُصبح وسيلةً للاستقرار والرضا والنمو، لا سببًا للسقوط.

لكي لا ينشغل الإنسان بملذات الدنيا، ويسيطر عليه ما يمنعه من الاستعداد العملي للحساب يوم القيامة، عليه بالإيمان القوي ضروري، فهو ضامن لثبات الإنسان على طاعة الله تعالى في كل .أن يتحلى بإيمان قوي أحواله، سواء في السراء والضراء .ويكتسب هذا الإيمان بتعلم الأدلة الواضحة من القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم والعمل بها .فهذه المصادر تثبت أن طاعة الله تعالى خالصة، هي الطريق الصحيح ومن جهل بتعاليم الله تعالى، لا بد أن يكون ضعيف الإيمان .مثل هذا .لراحة البال والرضا في الدنيا والآخرة الشخص يستسلم بسهولة للعصيان كلما تحدت رغباته، إذ يغفل عن أن ترك أهوائه لطاعة الله تعالى هو سبيل الطمأنينة في الدنيا والآخرة .ولذلك، يجب على كل فرد السعي إلى اليقين بالإيمان من خلال اكتساب المعرفة الصحيحة وتطبيقها .وهذا يتطلب استغلال النعم وفق هدي الإسلام، مما يضمن وضع كل نعمة في مكانها الصحيح واستخدامها في الغرض المقصود .وبهذا، يضمن الإنسان التوازن النفسي والبدني، وينمي الانسجام في علاقاته ومسؤولياته، ويصل في النهاية إلى راحة البال في الدنيا والفلاح الأبدي في الآخرة

لكن أولئك الذين تسيطر عليهم شهواتهم الدنيوية وتشنت انتباههم سيتجاهلون التعاليم الإلهية حتمًا، حتى لو في الواقع، كل فرد يتخلى عن قواعد السلوك الإسلامية لصالح الأنظمة التي صنعها .ادعوا الإيمان بها الإنسان يفعل ذلك فقط لإشباع رغبات دنيوية، لأن جميع هذه القواعد البديلة متجذرة في النهاية في الرغبات البشرية بدلاً من التوجيه الإلهي .غالبًا ما يكون الأثرياء والأقوياء أكثر رسوخًا في هذه العقلية، لأنهم يدركون .أن اعتناق حقيقة الإسلام سيتطلب منهم الخضوع لإطار أخلاقي محدد يقيد السعي وراء رغباتهم الضالة واعتراضًا بذلك، فإنهم يقاومون هذا الخضوع وبدلاً من ذلك يشجعون الآخرين على اتباع قيادتهم، خوفًا من تاريخيًا، يفسر هذا لماذا كان الأثرياء والنافذون في .أن يؤدي قبول الحقيقة الإلهية إلى تقليل نفوذهم وسلطتهم كثير من الأحيان أول من رفض وعارض الأنبياء عليهم السلام .لم تكن معارضتهم نابعة من تقييم عقلائي لصواب الإسلام أو خطئه، قائم على أدلة دامغة، بل كانت نابعة من تصميمهم على الحفاظ على سلطتهم ومواصلة إشباع رغباتهم دون رادع .وهكذا، لم يكن رفضهم مسألة قناعة فكرية، بل كان مظهرًا من مظاهر:الغطرسة والكبرياء والتعلق بالكسب الدنيوي .سورة الأنبياء، الآية 3

"والذين ظلموا يأسرون نجوى هل هذا إلا بشر مثلكم أفأتون السحر وأنتم تعلمون ..."

بشكل عام، عندما يتبع الفرد مسارًا يبتعد عن المعايير السائدة لأقرانه - وخاصة المسار المتجذر في الالتزام بأوامر الله تعالى - فإنه غالبًا ما يثير عدم الارتياح أو الشعور بالقصور لدى الآخرين، وخاصة عندما تكون

خياراتهم محكومة برغبات شخصية. غالبًا ما يتجلى هذا القلق الداخلي في شكل نقد أو سخرية أو معارضة صريحة، وغالبًا ما ينشأ داخل الدوائر الأقرب، مثل العائلة والأصدقاء. لا تعكس ردود الفعل هذه بالضرورة صحة إيمان الفرد أو صحته، بل على التحدي المتصور الذي يشكله على نمط حياة وقيم وتبريرات الذات لمن حوله. وبالتالي، غالبًا ما يُقابل الالتزام الراسخ بالمبادئ الدينية بالمقاومة، حتى عندما يكون هذا الالتزام مستقيمًا أخلاقيًا وسليمًا روحيًا.

علاوة على ذلك، تُمارس المؤثرات المجتمعية المعاصرة - مثل وسائل التواصل الاجتماعي، واتجاهات الموضة، والمعايير الثقافية السائدة - ضغطًا هائلًا على من يسعون إلى ترسيخ القيم الإسلامية. ويُصوّر أحيانًا أن ممارسة الإسلام والدعوة إليه عوائق أمام النجاح المادي، والاعتراف الاجتماعي، والقبول العام. وقد تُقاوم المؤسسات والقطاعات التي تجد نفسها عرضة للنقد الإسلامي بشدة تبني مبادئه، مما يُثني عن الالتزام به ويُهمّش من يُؤيدونه. وقد لعبت هذه المقاومة دورًا هامًا في انتشار المشاعر المعادية للإسلام، لا سيما عبر المنصات الرقمية ووسائل التواصل الاجتماعي، حيث غالبًا ما تُصاغ السرديات لتقويض الالتزام الديني.

- كثيرًا ما يواجه أتباع الإسلام - الذين يعتنقون الاعتدال في رغباتهم والاستخدام المسؤول لنعم الله تعالى - معارضة ممن يعيشون حياة جامحة، منغمسين في دوافع يصفها الإسلام بالحيوانية. وقد يحاول هؤلاء الأفراد ثني الآخرين عن اعتناق الإسلام، مروجين بدلاً من ذلك لأسلوب حياة تحكمه الشهوات الجامحة. وكثيرًا ما يستهدف النقاد جوانب محددة من الممارسات الإسلامية، مثل قواعد اللباس المفروضة على النساء، في محاولة لتقويض مصداقيتها وأهميتها. ومع ذلك، يمكن للمراقب الدقيق أن يستشعر بسهولة سطحية هذه الاعتراضات التي تنبع في نهاية المطاف من انزعاج أعمق من تركيز الإسلام على الانضباط والحياء وضبط النفس. على سبيل المثال، بينما تخضع الملابس الإسلامية لتدقيق غير متناسب، لا يوجد اعتراض يُذكر على الزي الرسمي المفروض في مهن مثل إنفاذ القانون والجيش والرعاية الصحية والتعليم وقطاع الشركات. يكشف هذا النقد الانتقائي عن التناقض وغياب المنطق السليم الكامن وراء هذه الحجج. في نهاية المطاف، ليست الممارسات الظاهرية بحد ذاتها هي ما يثير المقاومة، بل مبادئ الإسلام الأساسية وسلوك أتباعه المنضبط. تتناقض هذه المبادئ تناقضًا صارخًا مع أنماط الحياة القائمة على الشهوات والملذات، وهذا التناقض هو ما يدفع المنتقدين إلى الإساءة إلى الدين عبر قنوات مختلفة. سورة الأنبياء، الآية 3، سورة 21

"والذين ظلموا يأسرون نجوى هل هذا إلا بشر مثلكم أفأتون السحر وأنتم تعلمون ..."

،في مثل هذه الظروف، لا بدّ من طاعة الله تعالى الثابتة .فهي تُنمّي في الإنسان شعورًا عميقًا بالسكينة الداخلية وتحميه من التأثيرات الخارجية الضارة، حتى وإن لم تكن هذه الحماية مُدركة فورًا .ومن خلال الطاعة المُستمرة، يتعلم المرء كيفية استخدام النعم المُنعمّة عليه على الوجه الأمثل، مما يُعزز التوازن النفسي والجسدي، ويُمكن من تنظيم جميع جوانب الحياة تنظيمًا سليمًا، مع ضمان الاستعداد الكافي للحساب يوم القيامة .وهكذا، فإن طاعة الله تعالى ليست مجرد واجب روحي، بل هي أيضًا مصدر انسجام واستقرار في شؤون الدنيا .فهي تُعزز السكينة في هذه الحياة، وتضمن السلام الأبدي في الآخرة .وبالتالي، فإن من يثبت على إخلاصه يُهدى في كل ظرف - سواءً في السراء أو الضراء - مُعززًا صفاءه الداخلي، ومُؤمّنًا له مكافآت لا تُحصى تتجاوز حدود الإدراك الدنيوي

إن تجاهل أوامر الله تعالى سعيًا وراء رضا الآخرين يؤدي إلى فقدان السلام الداخلي .هذه الأفعال تشجع على إساءة استخدام النعم، مما يؤدي إلى فوضى نفسية وجسدية، ويدفعهم إلى إهمال كل شيء وكل شخص في حياتهم .هذا سيؤدي إلى ضغوط وتحديات في هذه الحياة، بغض النظر عن الرفاهية المادية التي يتمتعون بها ،وبما أن سلوكهم يمنعهم من الاستعداد للمحاسبة في الآخرة، فسواجهمون المزيد من الصعوبات في الآخرة :لأن الذي سيحاسبهم يعلم جميع نواياهم وأقوالهم وأفعالهم .سورة الأنبياء، الآية 4

"قال ربي يعلم القول في السماء والأرض وهو السميع العليم "

على مرّ الأجيال، استخدم قادة غير المسلمين أساليب متنوعة لثني الآخرين عن اعتناق الإسلام، دين جميع الأنبياء عليهم السلام، خوفًا من فقدان مكانتهم الاجتماعية ونفوذهم .وقد تصرف قادة غير المسلمين في مكة بنفس الأسلوب مع النبي محمد صلى الله عليه وسلم .بعض هذه الأساليب مذكورة في الآية التالية .سورة الأنبياء، الآية 5

"ولكنهم يقولون أضغاث أحلام "

كان هذا اتهامًا غريبًا حقًا، فالنبي محمد صلى الله عليه وسلم كان في الواقع يتلو روايات تاريخية صادقة ويقدم أدلة واضحة ومعارف تدعم رسالة الإسلام. ومن الحقائق الثابتة - التي أقر بها أهل الكتاب وغير المسلمين في مكة على حد سواء - أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم لم يكن له أي تفاعل مع الكتب السماوية السابقة. كان أميًا ولم يدرس التعاليم الأصلية أو المحرفة الواردة في تلك النصوص. وهذه الحقيقة وحدها تجعل من غير المعقول أن يتمكن من تقديم مثل هذه الروايات التفصيلية والدقيقة عن الأمم السابقة والأنبياء عليهم السلام والوحي دون عون إلهي. لذا، يقف القرآن الكريم دليلاً قاطعاً على الوحي من الله تعالى. إن دفته وحكمته واتساقه تتجاوز القدرة البشرية، ومعرفته بالأمور التي تقع خارج متناول البشر تؤكد بشكل أكبر مصدره الإلهي. وهكذا، فإن غياب الاطلاع المسبق على الكتب المقدسة السابقة، إلى جانب عمق القرآن الكريم وحقيقته، يُشكلان دليلاً قاطعاً على أنه ليس تأليفاً بشرياً، بل هو كلام الله الأزلي. سورة العنكبوت الآية 48.

وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون

.ولما لم يستطيعوا إنكار هذه الحقيقة، زعموا أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم هو مؤلف القرآن الكريم: سورة الأنبياء، الآية 5

"...بل هو الذي اخترعه ..."

يتألف القرآن الكريم من حروف وكلمات عربية مألوفة تماماً للعرب، الذين كانوا جمهوره الأول. ورغم إتقانهم للغة العربية وشهرتهم كأفصح المتحدثين، عجزوا عن إنتاج ما يُضاهي القرآن الكريم في المعنى أو

الأناقة أو التوجيه العملي .كان عرب ذلك العصر يفخرون بمهارتهم اللغوية، فنظموا شعراً ونثراً بليغاً احتفت به الأجيال .ومع ذلك، عندما واجهوا القرآن الكريم، وجدوا أنفسهم عاجزين عن تقليد ولو عبارة واحدة منه لم يكن هذا العجز راجعاً إلى نقص في القدرة اللغوية، فقد كانوا بارعين في البلاغة والتعبير، بل لأن القرآن الكريم يتجاوز التأليف البشري، جامعاً بين بلاغة لا مثيل لها وحكمة بالغة وتناسق لا تشوبه شائبة وهداية مُغيرة لكل جانب من جوانب الحياة .إن فشلهم في تكراره، رغم خبرتهم، يُمثل دليلاً قاطعاً ودائماً على أصله :سورة البقرة، الآية 23 .الإلهي

"وإن كنتم في شك مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا أنصاركم من دون الله إن كنتم صادقين"

حتى لو صيغت جملة عربية بدت رشيقة وإيقاعية، فإنها ستعجز حتماً عن إدراك الرؤى العميقة في الطبيعة البشرية وعلم النفس والطباع التي ينقلها القرآن الكريم .ستفتقر كلماتهم إلى الوضوح وسهولة الفهم اللذين يسمحان حتى لمن لم يتلقوا تعليماً رسمياً بفهم تعاليمه واستيعابها وتطبيقها في حياتهم اليومية .ولن ينجحوا في التعبير عن مفاهيم مجردة بنفس البساطة والعملية والشمولية التي يتميز بها القرآن الكريم .ينفذ القرآن الكريم إلى جوهر الطبيعة البشرية، مخاطباً أعماق احتياجات القلب والعقل، مقدماً هداية خالدة تتجاوز الحدود الثقافية والاجتماعية والتاريخية .رسالته تخدم كل فرد ومجتمع وعصر، مقدمةً مبادئ لا تزال صالحة اليوم كما كانت في زمن الوحي .لا يمكن لأي آية ألُفت بجهد بشري أن تُضاهي القرآن الكريم في هذا الصدد، ولن تُضاهيه أبداً .بلاغته التي لا تُضاهى، إلى جانب حكمته المُغيرة، تُمثل شهادة خالدة لا تُدحض على أصله .الإلهي

،يتمتع القرآن الكريم ببلاغة ووضوح لا يضاهيهما أي خطاب أو كتابة أخرى .كلماته دقيقة، ومعانيه عميقة، وأسلوبه فريد تماماً .بخلاف الكتب المقدسة والكتابات البشرية الأخرى، التي غالباً ما تحتوي على تناقضات وتضاربات، فإن القرآن الكريم معصوم من الخطأ في رسالته .إنه يروي تاريخ الأمم السابقة بدقة، على الرغم من أن النبي محمداً صلى الله عليه وسلم لم يدرسها دراسة رسمية .يأمر القرآن الكريم بكل مفيد وينهى عن كل مضر، ويعالج احتياجات الفرد والمجتمع على حد سواء بطريقة تعزز العدل والوئام والسلام .إنه خالٍ من المبالغة والكذب والخداع - وهي سمات شائعة في الأساطير والخرافات والشعر .لكل آية هدف وهداية عملية .حتى عند تكرار قصة، فإنه يكشف عن دروس جديدة وحكمة جديدة، مما يضمن عدم تكرار رسالته ،أو مللها .وعوده وتحذيراته مدعومة بأدلة واضحة وحاسمة .حتى في أمور قد تبدو مجردة، كالصبر مثلاً

يُقَدِّم القرآن الكريم أساليب بسيطة وعملية لتطبيقها في الحياة اليومية. والأهم من ذلك، يُذَكِّر الناس بغايتهم، الحقيقية: العيش في طاعة خالصة لله تعالى، مُستخدمين النعم التي أنعم الله عليهم بها في ما يُرضيه. وبذلك ينالون السلام والتوفيق في الدنيا والآخرة، ويُحقِّقون التوازن النفسي والبدني، ويُحسنون توزيع كل شيء وكل شخص في حياتهم. يبيِّن القرآن الكريم الصراط المستقيم، ويجعله جذاباً لكل من يسعى إلى السلام والنجاح الحقيقيين في الدنيا والآخرة. إن هدايته، المُنسجمة تماماً مع الفطرة البشرية، تبقى خالدة ونافعة للجميع. عندما يُفهم ويُطبَّق بصدق، يُقدِّم حلولاً للصعوبات النفسية والمالية والجسدية، مُقدِّماً إجابات لكل تحدٍّ يواجهه الأفراد والمجتمعات على حد سواء. يشهد التاريخ نفسه أن المجتمعات التي التزمت بتعاليمه ازدهرت بفضل حكمته الشاملة الخالدة. والجدير بالذكر أنه لم يُغيَّر حرف واحد من القرآن الكريم على مرَّ العصور، فقد وعد الله، تعالى بحفظه. لا يوجد نص آخر في تاريخ البشرية يُشارك في هذا التميز الاستثنائي والفريد. سورة الحجر: الآية 9

"إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ"

لقد عالج الله تعالى التحديات الأساسية التي تواجه كل مجتمع، ووفر لها حلولاً فعّالة. وبحل هذه القضايا الجوهرية، مُنعت أو خُفِّفت مشاكل ثانوية لا تُحصى. وهذا يُظهر كيف يُقدِّم القرآن الكريم توجيهاً شاملاً في جميع الأمور الأساسية اللازمة لرخاء الأفراد والمجتمعات، بما يضمن لهم النجاح في الدنيا والنجاة في الآخرة. سورة النحل، الآية 89

"...ونزلنا إليك الكتاب تبياناً لكل شيء..."

:والسورة 20 طه الآية 4

ممن خلق الأرض والسموات العلى تنزيل

هذا يدل على المعجزة الأعظم والأزلية التي أنعم بها الله تعالى على خاتم رسله، النبي محمد صلى الله عليه وسلم. إلا أن نفعها مقصور على من سعى بصدق وتمسك بالحق. أما من غلبت عليه أهواؤه، فقبل بعضه اختياريًا وتجاهل بعضه الآخر، فسيخسر الدنيا والآخرة. سورة الإسراء، الآية 82)

.وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً

بعد أن عجزوا عن تأليف كتابٍ يضاهي القرآن الكريم، اتهم زعماء غير المسلمين في مكة النبي محمدًا صلى الله عليه وسلم بالشاعر، وفي أحيانٍ أخرى بالجنون. سورة الأنبياء، الآية 5

"...بل هو شاعر..."

:وسورة الحجر الآية 6

"وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون"

قد أمضوا أربعين عامًا مع النبي محمد مرة أخرى، كانت هذه ادعاءات غريبة، إذ كان غير المسلمين في مكة صلى الله عليه وسلم قبل إعلان نبوته، ولذلك كانوا يعلمون أنه ليس بكاذبًا ولا شاعرًا ولا مجنونًا. سورة يونس، الآية 16

"لأنني عشت بينكم عمرًا قبل ذلك. أفلا تعقلون؟..."

علاوة على ذلك، بخلاف الشعر، يخلو القرآن الكريم تمامًا من المبالغة والزيف والحوار العشوائي والفحش والغموض والمفاهيم التي لا تُطبَّق. كل آية فيه هادفة ودقيقة وعملية، تهدي الأفراد نحو تهذيب الأخلاق والارتقاء الروحي وحسن تنظيم حياتهم. كلماته ليست مجرد زينة أو مُسلية؛ بل هي توجيهات تُشكِّل السلوك وتُطهِّر القلب وتُرسِّي العدل في المجتمع. على النقيض من ذلك، يعتمد الشعر - وإن كان غالبًا بليغًا وجميلًا - غالبًا على الزخرفة والاستعارة والتعبير الخيالي. قد يُسلِّي أو يُلهِم أو يُثير المشاعر، لكنه لا يُقدِّم - بالضرورة توجيهات عملية أو مبادئ راسخة للعيش. قد يُبالغ الشعر في تصوير الحقائق، أو يُمجِّد الرذائل أو يُركِّز على مواضيع الغرور والشهوة، بينما يدعو القرآن الكريم باستمرار إلى الحق والصالح والمحاسبة أمام الله تعالى. لذا، فإن مساواة الاثنين خطأ فادح. يتجاوز القرآن الكريم حدود التأليف البشري، جامعًا بين بلاغة لا مثيل لها وحكمة خالدة ومنهج عملي. إنه ليس عملاً فنيًا يُعجب به الناس فحسب، بل هو وحي إلهي يهدف إلى تغيير الأفراد والمجتمعات. ومن لا يدرك هذا التمييز يُقارن القرآن الكريم بالشعر، فهما لا يُقارنان. في الغرض والأثر.

عندما فشل زعماء غير المسلمين في مكة في الطعن في صحة القرآن الكريم وسمعة النبي محمد صلى الله عليه وسلم المعصومة، حاولوا المطالبة بأشياء لدعم ادعائه، مثل المعجزة، مع أن المعجزتين الأعظم والأزليتين كانتا أمامهم مباشرة: القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. سورة الأنبياء، الآية 5:

"فليأتنا بآية كما أرسل من قبله..."

وظيفة النبي الكريم، عليه السلام، هي توضيح التعاليم الإلهية للبشرية، وأن يكون قدوة حسنة للآخرين. لم يكن هدفهم إثارة إعجاب الناس بالأعمال العجيبة، إذ اقتصرَت معجزات الله تعالى عليهم على لحظات وأماكن محددة، ولم تكن سوى تأكيد لتعليمهم؛ ولم تكن هذه الأعمال جوهر رسالتهم. علاوة على ذلك، ولأن الأحداث الخارقة مقيدة بالزمان والمكان، فإن من حضرها يُحَقِّز على قبول الحقيقة. ومع ذلك، بالنسبة للأفراد الذين لم يشهدوا هذه المعجزات العابرة، فإنها تبقى مجرد روايات، لا تكفي لإثارة القناعة أو تعزيز طاعة الله تعالى بين المؤمنين، لعدم رؤيتهم المباشرة للحدث. وعلى العكس من ذلك، فإن القرآن الكريم، وبالتالي ممارسات النبي محمد صلى الله عليه وسلم، تشكل معجزة باقية وحية، يمكن لأي شخص الوصول إليها في أي وقت وبالتالي فهي تفوق إلى حد كبير أي معجزة عابرة أنعمت على الأنبياء الآخرين عليهم السلام.

علاوة على ذلك، ووفقاً لسنة الله تعالى الخالدة، لو وهب غير المسلمين في مكة المعجزة التي سعوا إليها. ورفضوا الإسلام، لأبادهم تماماً. ولكن، بما أن الله تعالى لم يُرد هلاكهم، فقد فضّل عدم تلبية طلباتهم الخاطئة وبالتالي، سيتخذون هذه الحقيقة دليلاً على صحة الإسلام. سورة الإسراء، الآية 59

وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذبها الأولون وآتينا ثمود الناقة آية مبينة فظلموها وما نرسل بالآيات إلا "تخويفاً"

:سورة الأنبياء الآية 6

أمنت قبلهم من قرية مما أهلكناها أفلا يؤمنون وما

بناءً على هذا الفهم، كشف الله تعالى أن قادة غير المسلمين في مكة لم يكونوا مهتمين حقًا بمعرفة الحقيقة. لم يكن طلبهم للمعجزات سوى حيلة لثني الآخرين عن اعتناق الإسلام. في الواقع، حتى لو عرض عليهم الله تعالى معجزات مذهلة، لاختلقوا أذكارًا لرفضها. ذلك أنهم كانوا قد عزموا على رفض الإسلام، لأن مبادئه تتعارض مع طموحاتهم وشهواتهم الدنيوية. سورة الحجر، الآيتان 14-15

وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ لَقَالُوا إِنَّمَا سُحِرْتُ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ سَحَرُوا

من الأساليب الأخرى التي اتبعتها قادة غير المسلمين في مكة، كما فعل من سبقهم، لثني الآخرين عن اعتناق الإسلام خوفًا من فقدان نفوذهم الاجتماعي وقيادتهم، الطعن في طبيعة النبي محمد صلى الله عليه وسلم زعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم ينبغي أن يكون مخلوقًا مميزًا، كالملائكة، لا أن يكون بشراً. البشرية. (سورة الإسراء، الآية 94). كسائر أمته

"وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا "

:سورة الأنبياء الآية 7

"وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رَجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ "

إن وظيفة النبي الكريم، عليه السلام، مُلائمة للبشرية بشكلٍ فريد، مما يجعل من غير المعقول افتراض أن كائنات كالملائكة قادرة على القيام بهذا الدور. فالهدف الأساسي للنبي الكريم، عليه السلام، هو أن يكون قدوةً، عمليةً ملموسةً للناس، مُبيناً لهم كيفية التعامل مع جميع جوانب الحياة في طاعة الله تعالى. فالملائكة، بطبيعتهم لا يعانون من ظروفٍ بشريةٍ كالتعب والجوع والصراع النفسي. فلو وُضع ملكٌ نبياً، عليه السلام، لصُغِبَ. على الناس التواصل معه، مما قد يُعطيهم ذريعةً أمام الله تعالى يوم القيامة، مُدّعين عجزهم عن مُحَاكاة مثله وبالتالي، حتى لو عيّن الله تعالى ملكاً نبياً، عليه السلام، فإنه سيُجسّد بالضرورة في صورة بشريةٍ ليقْتدي به الناس واقعياً. لذا، من اللافت للنظر أن غير المسلمين أبدوا استغرابهم من تعيين نبي بشري، عليه الصلاة والسلام، في حين أن هذا في الواقع هو الترتيب الأكثر طبيعيةً ومنطقيةً. فإذا كان الناس تائهين في الضلال غافلين عن الحقيقة، فما هو العجب حقاً: أن يتخذ خالقهم وربهم التدابير لهدايتهم، أم أن يسمح لهم بالتعمادي في الضلال إلى ما لا نهاية؟ إن رفض هذه الرحمة والهداية الإلهية لأمرٌ خارق للعادة. علاوة على ذلك، فإن كون كل نبي، عليه الصلاة والسلام، بشراً أمرٌ تؤكد الكتب السماوية السابقة. ولم يكن قادة غير المسلمين في مكة يجهلون ذلك، فقد كانوا على دراية بعلماء من أهل الكتاب المقيمين في المدينة المنورة، وكان كثير منهم يتربص وصول خاتم الأنبياء، عليه الصلاة والسلام. هذه الحقيقة التاريخية تؤكد عدم منطقية اعتراضهم، وتُبرز: سورة الأنبياء، الآيات 7-8. ثبات الهداية الإلهية على مر العصور

"فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون. وما جعلنا صورهم لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين..."

عموماً، لا بدّ من إدراك حسن سيرة المجتهدين في طاعة أوامر الله تعالى، وذلك باستغلال النعم التي أنعم الله بها عليهم كما وردت في التعاليم الإسلامية، كالأنبياء عليهم السلام، ليتسنى لنا الاقتداء بأخلاقهم الحميدة. ويجب تجنّب وجهتي نظر متطرفتين في مراقبة الصالحين تجنّباً للضلال

من التطرف في هذا المنظور التقليل من شأن الصالحين، ومنهم الأنبياء عليهم السلام، جهلاً منهم، ظناً منهم أن هذه الأفعال تُعلي من شأن الله تعالى. في الواقع، يُقوّض هذا الموقف الاحترام اللازم لمحاكاة فضائل هؤلاء الأفراد، إذ يستحيل تقليد شخصية من لا يُقدّر بمثله.

أما المنظور المتطرف الثاني، فيتمثل في رفع منزلة الصالحين فوق ما هو منصوص عليه في تعاليم القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. ويؤدي هذا المنظور إلى اعتبار الصالحين ملائكة لا بشرًا يمكن، بل ينبغي، الاقتداء بصفاتهم. فمن المستحيل الاقتداء بمن لا يمكن التواصل معه. ويرفع منزلة الصالحين فوق الحدود التي حددتها التعاليم الإسلامية، يُعاق الأفراد عن التواصل معهم، مما يعيق قدرتهم على تبني صفاتهم الحميدة، إذ قد يعتبرونها بعيدة المنال. وبالتالي، بدلاً من اتباع الصالحين، قد يقتصر الأفراد على النقاش حول منزلتهم الرفيعة وصفاتهم الفاضلة. وهذا قد يؤدي إلى الاعتقاد الخاطئ بأن مجرد مدح الصالحين لفظيًا يكفي لنيل الهداية في الحياة، حتى لو لم يسع المرء جاهداً إلى تجسيد صفاتهم الحميدة. في حين أنه قد يكون صحيحاً أنه لا يمكن لأحد أن يصل إلى المكانة الرفيعة التي وصل إليها الصالحون، مثل مكانة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، فإنه من الضروري أن يسعى كل فرد إلى تحقيق إمكاناته الخاصة من خلال محاكاة الصفات الفاضلة للصالحين، بدلاً من أن يقتصر على مجرد الإعجاب اللفظي.

لذا، من الضروري تجنب كلا التطرفين، واعتبار الصالحين وفق تعاليم الإسلام. فهذا النهج من شأنه أن يعزز احترامهم، ويمكّن الأفراد من الاقتداء بفضائلهم، والاعتراف بهم كبشر جديرين بصفاتهم الحميدة، بدلاً من اعتبارهم شخصيات ملائكية يصعب بلوغها عملياً.

ثم يُنذر الله تعالى الناس جميعاً بأن من اتبع الأنبياء عليهم السلام عملياً، بطاعته تعالى، وحسن استخدام نعمه التي أنعم بها عليهم كما وردت في التعاليم الإلهية، هو وحده من ينال راحة البال والأمان في الدنيا والآخرة اللذين وعد بهما من أطاعه، وذلك بتحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، وحسن وضع كل شيء وكل شخص (في حياته). سورة الأنبياء، الآية 9، الفصل 21)

"ثم صدقناهم الوعد فأنجيناهم ومن نشاء "

:وسورة الطلاق 65 الآية 2

"ومن يتق الله يجعل له مخرجاً"

من الضروري إدراك أن العون الإلهي لا يتوافق بالضرورة مع الميول الفردية أو التوقعات الشخصية، بل يتجلى وفقاً لعلم الله تعالى اللامحدود وحكمته التامة. عون الله تعالى لا يأتي اعتباطاً، ولا يتأخر عبثاً؛ بل يُمنح في أنسب الأوقات وأنفعها لكل فرد. قد تبقى الحكمة الكامنة وراء هذا العون محجوبة عن الإدراك الفوري، لكنها تستمر في العمل بدقة متناهية، مصوغة النتائج بما يخدم في نهاية المطاف مصالح المؤمن. هذا الواقع يُذكر البشرية بأن العون الإلهي لا يُقاس برغبات آنية أو فهم بشري محدود. فما قد يبدو تأخيراً أو محنة أو حتى حرماناً غالباً ما يكون في الحقيقة شكلاً من أشكال الرحمة والهداية الخفية. بتسليم أنفسهم لحكمة الله تعالى الكاملة، يكتسب الناس الصبر والتواضع والتوكل عليه، مما يعزز إيمانهم ويضمن لهم البقاء مستفيدين من عونه في الدنيا والآخرة.

ولكن بما أن طاعة الله تعالى تتعارض مع شهوات الناس الدنيوية، فإن كثيراً منهم سيفشلون في اتباع الأنبياء وهذا المنظور. عليهم السلام عملياً في طاعة الله تعالى. بل سيستمرون في إساءة استخدام النعم التي وهبوا بها سعيهم قدرتهم على تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة في هذه الحياة، وسيؤدي بهم إلى إساءة تقدير كل شيء وكل شخص في حياتهم بشكل أساسي. ونتيجة لذلك، سيصبح كل جانب من جوانب حياتهم، بما في ذلك أسرهم وأصدقائهم وعملهم وثروتهم، مصدرًا للتوتر. إذا أصروا على تحدي الله تعالى، فسيحملون خطأ الأشياء والأشخاص غير المناسبين في حياتهم، مثل زوجاتهم، مسؤولية توترهم. وعندما يقطعون هؤلاء الأشخاص الطيبين من حياتهم، فلن يؤدي ذلك إلا إلى تفاقم اضطراباتهم النفسية حتى ينحدروا إلى الاكتئاب وإدمان المخدرات وحتى الميول الانتحارية. تتجلى هذه النتيجة عند ملاحظة من يُصرون على إساءة استخدام النعم التي أنعموا بها، كالأغنياء والمشاهير، مع امتلاكهم لمتاع الدنيا. ولأنّ موقفهم يمنعهم من الاستعداد للحساب يوم القيامة، فإنّ عقابهم في الآخرة سيكون أشدّ بكثير). سورة الأنبياء، الآية 9، سورة 21)

"وأهلك الظالمين..."

لتجنب هذه النتيجة السلبية، يجب على الفرد، لمصلحته الخاصة، قبول التعاليم الإسلامية والعمل بها، حتى لو تعارضت مع رغباته الشخصية. يجب أن يتصرف كمريض عاقل يقبل نصائح طبيبه ويتبعها، عالمًا أنها في مصلحته، حتى لو تضمن العلاج دواءً مرًا وحمية غذائية صارمة. وكما يتمتع هذا المريض العاقل بصحة نفسية وجسدية جيدة، كذلك يتمتع بها من يقبل التعاليم الإسلامية ويعمل بها. ذلك أن الله تعالى هو وحده من يملك المعرفة الكاملة اللازمة لضمان توازن الحالة النفسية والجسدية للإنسان، ووضع كل شيء وكل شخص في حياته في المكان الصحيح. إن معرفة المجتمع بالحالات النفسية والجسدية للإنسان لن تكفي أبدًا لتحقيق هذا الهدف، على الرغم من كل الأبحاث التي أُجريت. المعرفة المجتمعية لا يمكنها حل كل مشكلة قد يواجهها الإنسان، ولا يمكن لنصائحها أن تزيل جميع أشكال التوتر النفسي والجسدي، ولا يمكنها أن ترشد الإنسان إلى تحديد أولوياته بشكل صحيح، كل ذلك بسبب محدوديتها المتأصلة في المعرفة والخبرة والبصيرة وقابليتها للتحيز. الله تعالى وحده يملك هذه المعرفة الكاملة، وقد أنزلها على البشرية في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. سورة الأنبياء، الآية ١٠

أنزلنا إليكم كتابًا فيه ذكركم أفلا تعقلون لقد

تتجلى حقيقة هذا الأمر جليةً عند ملاحظة من يستخدمون النعم الممنوحة لهم وفقًا للتعاليم الإسلامية، مقارنةً بمن لا يفعلون. فخلافاً للحالة الشائعة التي غالبًا ما يجهل فيها المرضى علم الأدوية الموصوفة، فيضطرون إلى الثقة العمياء بطبيبهم، يدعو الله تعالى الناس إلى التأمل في تعاليم الإسلام ليقدروا آثارها الإيجابية على حياتهم. فهو لا يتوقع من الناس أن يثقوا بالتعاليم الإسلامية ثقة عمياء، بل يريد منهم أن يدركوا صدقها من خلال أدلتها الواضحة. ومع ذلك، فإن هذا الإدراك يتطلب من المرء أن يتعامل مع تعاليم الإسلام بعقل منفتح وموضوعي. سورة يوسف، الآية 108

"...قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني"

،بالإضافة إلى ذلك، بما أن الله تعالى هو وحده المسيطر على قلوب الناس الروحية، التي هي دار الطمأنينة
فهو وحده الذي يحدد من ينالها ومن لا ينالها .سورة النجم، الآية 43

"وأنه هو الذي أضحك وأبكى"

ومن البديهي أن الله تعالى لا يمنح راحة البال إلا لمن أحسن استخدام النعم التي أنعم بها عليه، كما بينته
:التعاليم الإسلامية .سورة الأنبياء، الآية ١٠

أنزلنا إليكم كتابًا فيه ذكركم أفلا تعقلون لقد

لقد أُشير إلى الوحي الإلهي في هذه الآية على أنه تذكير .والواقع أن التعاليم الإسلامية بمثابة تذكير للناس
أجمعين، إذ صُممت بتناغم تام مع الفطرة البشرية .فأيُّ سلوك يتعارض مع الفطرة البشرية سيبدو غريبًا
حتمًا، مُسببًا اضطرابًا عقليًا وجسديًا عند محاولة الأفراد اتباعه .في المقابل، ولأن التعاليم الإسلامية مُصممة
إلهيًا لتتوافق مع جوهر الإنسانية، فإنها تُشعرنا بألفة فطرية، تُغذي التوازن العقلي والجسدي .ويتجلى هذا
الشعور بالألفة بشكل خاص لدى من اعتنقوا الإسلام بعد اتباع دين أو أسلوب حياة آخر .ويشهد كثير من
المهتدين الجدد أن مبادئ الإسلام، حتى دون دراسة مسبقة، تتردد في نفوسهم، كما لو كانوا يعيدون اكتشاف
شيء محفور في قلوبهم .وذلك لأن الإسلام لا يفرض إطارًا مصطنعًا على البشر؛ بل يُعيدهم إلى حالتهم
الفطرية التي خلق الله تعالى عليها الناس جميعًا .على النقيض من ذلك، غالبًا ما تفرض أنظمة أخرى قواعد
،سلوكية غريبة عن الفطرة البشرية، مما يؤدي إلى صراع داخلي واختلال في التوازن والسخط .ومع ذلك
قد لا يُدرك المرء هذه الحقيقة تمامًا إلا بعد أن يتعامل مع التعاليم الإسلامية بعقلية منفتحة ونزيهة .فالتحيز
أو الغرور أو التعلق الأعمى بالتقاليد الموروثة قد يحجب القلب عن إدراك الانسجام بين الوحي والطبيعة
البشرية .ولكن عندما نتعامل بصدق، فإن التوجيه الإلهي لا يكشف عن نفسه كعبء أو قيد، بل كتذكير يعيد
التوازن ويزرع السكينة ويوجه البشرية نحو غايتها الحقيقية .وبهذه الطريقة، يصبح الوحي مرآة وبوصلة في
أن واحد :مرآة تعكس الحقيقة الفطرية الكامنة في النفس البشرية، وبوصلة ترشدنا نحو راحة البال في كلا

العالمين، من خلال تحقيق حالة ذهنية وجسدية متوازنة ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في حياته بشكل صحيح.

ولكن بما أن طاعة الله تعالى تتعارض مع شهوات الناس الدنيوية، فإن كثيرًا منهم يُصرون على معصيته بإساءة استخدام النعم التي أنعم بها عليهم. ولذلك، يُحذّر الله تعالى الناس من أن يُلاقوا مصير من سبقوهم حين أصرّوا على معصيته). سورة الأنبياء، الآيات ١١-١٥)

وكم من قرية كانت ظالمة دمّناها وأنشأنا بعدها قوما آخرين فلما أحس أهلها بأسنا فروا منها لا تفروا " وارجعوا إلى حيث أرقيتم ودياركم لعلكم تُسألون قالوا يا ويلتنا إنا كنا ظالمين وما زال ذلك القول منهم حتى "جعلناهم حصيدًا مبيدًا"

، تُعدّ هذه الآيات تذكيرًا قويًا بعدم الانشغال بالنفس في الحياة، حيث ينحصر اهتمام المرء في ظروفه الشخصية متجاهلاً الحقائق الكبرى المحيطة بها. إن هذه النظرة الضيقة تُعمي القلب عن إدراك الحكمة التي يمكن استخلاصها من التاريخ، والتجارب الشخصية، وتجارب الآخرين. إن التأمل في هذه الدروس من أضمن الوسائل لصقل الشخصية، وتجنب تكرار الأخطاء، وتحقيق السلام الداخلي الدائم - من خلال تنمية التوازن، في الحالتين العقلية والجسدية، ووضع كل شيء وكل شخص في مكانه الصحيح في الحياة. على سبيل المثال، فإن ملاحظة كيف يُسيء الأثرياء والمشاهير استخدام النعم التي مُنحوها - ليُصابوا بالقلق والاكتئاب والإدمان، أو حتى بالانتحار رغم ما لديهم من وسائل راحة مادية - تُعلّمنا أن السكينة الحقيقية لا تُشتري بالثروة ولا تُكتسب بالانغماس في الشهوات. وبالمثل، فإن مشاهدة معاناة المصابين بالمرض تُلهم المرء الامتنان لصحته، وتُلهمه على استخدامها بشكل صحيح قبل أن تتلاشى. لذا يدعو الإسلام الناس إلى التفكير والتأمل وتجاوز حدود أحوالهم الضيقة، واستخلاص الحكمة من العالم من حولهم. وبذلك، يغمسون في نفوسهم الامتنان والتواضع وحسن التدبير، مدركين أن كل ظرف - يسرًا كان أم عسرًا - يحمل في طياته دروسًا تهدي الإنسان نحو التهذيب الأخلاقي، والنمو الروحي، والفوز في الآخرة.

سورة الأنبياء، الآيات 11-12

"وكم من قرية كانت ظالمة دمرناها وأنشأنا بعدها قوما آخرين فلما أحس أهلها بأسنا فروا منها "

هذه الآيات بمثابة تحذير صارم من إهمال مهلة الله تعالى لتقويم سلوك الإنسان . هذه المهلة مؤقتة دائما وليست دائمة . فلا ينبغي لمن أساء استخدام النعم التي وهبت له أن يظن أنه سيقى في مأمن من المحاسبة، لأنه لم يُعاقب بعدُ - أو لأنه لم يُدرك أشكال العقاب الدقيقة الموجودة بالفعل . ففي هذه الدنيا، يمنع هذا الموقف الفرد من بلوغ حالة نفسية وجسدية متوازنة . ويدفعه إلى سوء ترتيب أولوياته، وسوء تقدير علاقاته، وسوء استخدام . وهذا سيؤدي إلى التوتر والمتاعب والصعوبات، حتى لو تمتع ببعض الرفاهية الدنيوية . النعم الممنوحة له وفي نهاية المطاف، فإن إهماله في هذه الدنيا يمنعه من الاستعداد للمحاسبة يوم القيامة . ولذلك، سيكون العقاب الذي ينتظره في الآخرة أشد بكثير، لأنه أضاع المهلة والنعم التي كان من الممكن أن تكون سبيل نجاته .

سورة الأنبياء، الآيات 13-15

لا تفروا وارجعوا إلى حيث أرفعتم ومساكنكم لعلكم تسألون . قالوا يا ويلتنا إنا كنا ظالمين . وما زال ذلك " . كَذَلِكَ قَوْلُهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا مُنْذِرًا

تشير هذه الآيات أيضًا إلى أن الأشياء الدنيوية التي مُنحت لهم أصبحت مصدرًا لخطأهم، حيث فشلوا في اجتياز اختبار منح هذه الأشياء باستخدامها بشكل صحيح كما هو موضح في التعاليم الإلهية . لذلك، يجب على المرء أن يسهل الأمور على نفسه من خلال تبني حياة بسيطة حتى يصبح اختباراه في هذه الدنيا أسهل، فكلما زاد المرء، زاد اختبار الاستخدام الصحيح لها صعوبة . في الواقع، هذا هو أحد الأسباب التي جعلت النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم ينصح في حديث مسجل في سنن ابن ماجه، رقم 4118، بأن البساطة جزء من الإيمان . لا يؤمر الشخص بالتخلي عن جميع الأموال أو الشهوات المشروعة؛ بل يُشجع على تبني حياة الاعتدال والبساطة في جميع جوانب الوجود - سواء في الطعام أو الملابس أو المسكن أو العمل . هذا النمط من الحياة يُحرر الإنسان من المشتتات غير الضرورية، ويمنحه الوقت والصفاء اللازمين لتحقيق راحة البال

من خلال تحقيق حالة ذهنية وجسدية متوازنة، وترتيب كل شيء وكل شخص في حياته على الوجه، في الدنيا للأخرة على الوجه الأمثل. وهذا الاستعداد يستلزم تنفيذ أوامر الله تعالى، واجتناب الصحيح، والاستعداد نواحيه، ومواجهة القدر بالصبر، كل ذلك وفقاً لسنة النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم. الحياة البسيطة لا تُلغي السعي في الدنيا، بل تُشجع على العمل الجاد لتلبية احتياجاته الشخصية وحاجات من يعولهم، دون إفراط أو تبذير أو إسراف. كلما ركز الإنسان على البساطة، سهل عليه استخدام النعم التي وهبه إياها فيما يرضي الله تعالى. هذه الحياة تُنمي الامتنان والتوازن والانضباط، ضامنة أن تبقى الثروة والموارد أدوات خدمة لا مصادر غرور أو تشتيت. في نهاية المطاف، يؤدي هذا الطريق الوسطي إلى السلام والتوفيق في الدنيا: سورة النحل، الآية 97. والآخرة: الطمأنينة والاستقرار في الدنيا، والثواب الأبدى في الآخرة.

"من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون"

بالإضافة إلى ذلك، يجب على الشخص أن يدرك أنه كلما كانت حياته أبسط، قلّت عليه الضغوط المتعلقة بالأمور الدنيوية. تسمح له هذه البساطة بتخصيص طاقة وتركيز أكبر للاستعداد للأخرة، وبالتالي تحقيق راحة من خلال الحصول على حالة ذهنية وجسدية متوازنة ومن خلال وضع كل شيء وكل، البال والجسد والروح، وعلى العكس من ذلك، كلما أصبحت حياة الشخص أكثر تعقيداً وتساهلاً. شخص في حياته بشكل صحيح زاد استهلاكه للضغوط والصعوبات والانشغالات التي لا نهاية لها بشؤون الدنيا. يمنعهم هذا الموقف من تحقيق السكينة والتوازن الحقيقيين داخل أنفسهم. تؤدي البساطة إلى اليسر في هذه الدنيا وإلى حساب مباشر يوم القيامة. على النقيض من ذلك، تؤدي حياة الإفراط والتساهل إلى قلق دائم في هذه الدنيا وحساب شديد وصعب في الآخرة. كلما كان الحساب أكثر صرامة، كان العقاب الذي يليه أعظم. ويدل على هذه الحقيقة حديث في صحيح البخاري برقم 103، يبين العلاقة بين البساطة في الدنيا واليسر في الحساب الآخر.

بالإضافة إلى ذلك، لتجنب هيمنة الرغبة في امتلاك ممتلكات الدنيا، وبالتالي إغراء إساءة استخدام النعم الممنوحة، يجب على المرء أن يدرك أن الأشياء الدنيوية - كالشهرة والثروة والسلطة والأسرة والأصدقاء والمهنة - لا قيمة لها إلا إذا صاحبها راحة البال. فبدون السكينة الداخلية، تصبح هذه النعم نفسها مصدراً للقلق والتوتر. في الدنيا والآخرة. تتجلى هذه الحقيقة عندما نتأمل حياة الأغنياء والمشاهير الذين، على الرغم من امتلاكهم وتمتعهم بوفرة من ملذات الدنيا، غالباً ما يعانون من اضطرابات نفسية، واكتئاب وإدمان، بل وحتى يأس. تثبت حالتهم أن الوفرة المادية، بمعزل عن السلام الداخلي والثبات الروحي،

لا يمكن أن توفر راحة البال. فالقيمة الحقيقية لا تكمن في تراكم الممتلكات، بل في القدرة على استخدامها بامتنان واعتدال وهدف، بما يُرضي القلب، من خلال تحقيق حالة ذهنية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في حياتهم على النحو الصحيح.

علاوة على ذلك، لكي يُركّز المرء على الموقف الصحيح، عليه أن يدرك غاية الحياة في هذه الدنيا: هل سيستخدم النعم التي وُهِبَتْ له كما هو مُبَيَّن في التعاليم الإسلامية أم لا. سورة الأنبياء، الآيتان ١٦-١٧

"وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ. وَلَوْ أَرَدْنَا اتِّخَاذَ لَهُوَ لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ عِنْدِنَا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ "

:سورة 45 الجاثية، الآية 22

"وخلق الله السموات والأرض لحكمة، لتُجزى كل نفس ما اكتسبت، وهم لا يُظلمون".

يوم القيامة حقيقة لا مفر منها، وبقينه متجذر في بنية الكون. عندما يتأمل المرء الكون، يجد مظاهر لا تُحصى من التوازن والدقة. على سبيل المثال، تحافظ الأرض على مسافة دقيقة تمامًا من الشمس، وهو توازن دقيق يُمكن الحياة. وبالمثل، فإن دورة المياه مُعدّلة بدقة للحفاظ على الكوكب، والأرض نفسها مصممة لتكون خصبة بما يكفي لنمو الشتلات الهشة، وفي الوقت نفسه متينة بما يكفي لدعم الهياكل الضخمة. هذه الأمثلة الشاملة لا تؤكد فقط وجود خالق، بل تؤكد أيضًا مبدأ التوازن الأساسي الذي يحكم الخلق أجمع.

،ومع ذلك، يبقى اختلالٌ صارخٌ في عالم أفعال البشر. ففي الدنيا، غالبًا ما يفلت الظالمون والطغاة من العقاب بينما يكابد عددٌ لا يُحصى من الناس المشقة والظلم دون أن ينالوا حقهم. يواجه كثيرٌ من عباد الله المخلصين صعوباتٍ جمة، فلا ينالون إلا جزءًا يسيرًا من ثوابهم في الدنيا، بينما قد ينعم من يتجاهلون أوامره علنًا بالرخاء الدنيوي. وكما أرسى الله تعالى التوازن في النظام الطبيعي، فلا بد أن يُعاد جزاء أفعال البشر إلى التوازن الكامل في النهاية. وبما أن هذا العدل المطلق لم يتحقق هنا، فلا بد أن يتحقق في يوم القيامة

كان بإمكان الله تعالى أن يُنزل الثواب أو العقاب كاملاً فوراً. إلا أن من أهمّ جوانب الحكمة الإلهية في منع الثواب الكامل إتاحة فرصٍ مُستمرةٍ للتوبة وإصلاح سلوك الناس. وبالتالي، لا ينال المؤمنون ثوابهم كاملاً في هذه الحياة الدنيا، لأن الدنيا ليست دارهم الأبدية. فالإيمان يستلزم الإيمان بالغيب، وهذا الثواب الغيبي في الآخرة تحديداً هو ما يُميّز اليقين الحقيقي. فلو كانت جميع العواقب ظاهرةً وفوريةً، لفقد الإيمان ميزته الفريدة

وبالإضافة إلى ذلك فإن الخوف العميق من العقاب والأمل الشديد بالمكافأة في الآخرة يشكلان حوافز قوية تدفع الأفراد إلى ترك الخطيئة وتكريس أنفسهم للأعمال الصالحة

لكي يبدأ يوم القيامة، لا بد أن ينتهي العالم المادي الحالي، إذ لا يصدر الحساب النهائي إلا بعد انتهاء أعمال الناس جميعاً. لذا، فإن نهاية العالم مقدمة ضرورية لإقامة العدل المطلق

إن التأمل في هذه الحقائق يُعمّق إيمان المرء بيوم القيامة. هذا الإيمان يُلهم المؤمنين للاستعداد بجِدِّ باستخدام النعم المُنحة لهم وفقاً لهدى القرآن الكريم وسنة النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم. باتباع هذا الطريق، يحققون راحة البال الحقيقية في الدنيا، ويضمنون النجاح في الآخرة، ويحققون حالة ذهنية وجسدية متوازنة ويرتبون جميع أولوياتهم في الحياة على النحو الصحيح. لذلك، من الضروري رفض جميع قواعد السلوك الأخرى التي وضعها البشر، فهي معيبة أساساً، ومتجذرة في الأهواء البشرية، وغير قادرة على إيصال المرء إلى سلام دائم أو نجاح في الدنيا والآخرة، لأنها تُشجع فقط على إساءة استخدام النعم الإلهية. سورة الأنبياء

الآية 18

"بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زهق ولكم هلاك مما تصفون "

مهما بلغ تقدم المجتمع والمعرفة التي يكتسبها في مختلف المجالات، بما في ذلك الجوانب العقلية والجسدية للإنسان، يبقى من المستحيل عليه صياغة مدونة سلوك تتوافق تمامًا مع الطبيعة البشرية وتستوعب جميع الظروف والأحوال والسيناريوهات التي قد يواجهها الأفراد أو المجتمعات طوال وجودهم على الأرض. هذا المسعى بعيد المنال في جوهره، إذ تواصل البشرية اكتشاف رؤى جديدة حول مكونات محددة من الوجود البشري، مثل وظائف مناطق مختلفة من الدماغ البشري، ناهيك عن تراكم ما يكفي من الفهم لوضع مدونة سلوك لا تشوبها شائبة تعزز الطمأنينة والعدل على المستويين الفردي والمجتمعي. الله تعالى وحده هو القادر، على تحقيق ذلك، فهو خالق كل شيء، وعلمه لا حدود له، شامل للماضي والحاضر والمستقبل. سورة الأنبياء: الآية 19

"...وله من في السماوات والأرض "

لذلك، فهو وحده المستحق أن يُقدّم للبشرية مدونة سلوك - معيارًا يُميّز الخير من الشر، والنافع من الضار ويُسهّل تحقيق راحة البال في حياةٍ مُرهقة. تُشير الأدلة التاريخية بشكلٍ قاطع إلى أنه عندما طُبّق هذا القانون الإلهي بفعالية في حياة الأفراد، فقد أدّى إلى انتشار الطمأنينة والعدل والسلام في المجتمع. وبالتالي، يجب على الأفراد اعتناق مدونة السلوك الإلهي التي وُهبّت لهم، مُدركين أنها الأكثر فائدةً لرفاهيتهم، حتى لو تعارضت بعض عناصرها مع رغباتهم الشخصية. يجب أن يتصرفوا كمريضٍ حكيمٍ يُقرّ بالنصيحة الطبية التي يُقدّمها طبيبه ويلتزم بها، مُدركين أنها في النهاية في مصلحتهم الفضلى، على الرغم من وصف أدويةٍ غير مُريحةٍ ونظامٍ غذائيٍّ صارم.

ولكن بما أن طاعة الله تعالى تتعارض مع شهوات الناس، فإن كثيرًا منهم يتكبرون على طاعته، فيصرون ونتيجة لذلك، يقعون في حالة نفسية وجسدية غير .على معصيته بإساءة استخدام النعم التي أنعم بها عليهم .متوازنة، ويضيعون كل شيء وكل شخص في حياتهم، ويفشلون في الاستعداد الكافي للحساب يوم القيامة وهذا سيؤدي حتمًا إلى التوتر والمشقة والصعوبات في الدنيا والآخرة، حتى لو عاشوا لحظات من الرفاهية ،الدنيوية أو الراحة المؤقتة .فهذه الرفاهيات لا تحميهم من عواقب إساءة استخدام النعم التي أنعم بها عليهم ولا تحميهم من عدل الله تعالى .لتجنب هذه النتيجة، يجب الاقتداء بعباد الله الصالحين، المتواضعين، والمطيعين له، وذلك بالاستخدام الصحيح للنعم التي وُهبوا بها كما وردت في التعاليم الإسلامية .فمعرفة هذا وحده تؤدي تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء إلى راحة البال في الدنيا والآخرة، من خلال .وكل شخص في حياتهم على الوجه الصحيح .سورة الأنبياء، الآيتان 19-20

" .والذين عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يسأمون .يسبحون الليل والنهار لا يفترون ..."

علاوة على ذلك، يجب على الشخص الذي يطيع الله تعالى أن يتجنب بنشاط تبني موقف الغرور حيث يفترض خطأ أن طاعته هي منحة مقدمة له .يمكن أن يعيق هذا النوع من الغرور بشدة خضوعهم الحقيقي، وخاصة عندما تتعارض رغباتهم الشخصية مع أوامره، مما يوجههم بعيدًا عن الطريق الصحيح .وعلى العكس من ذلك، فإن أولئك الذين يدركون أن إيمانهم وطاعتهم في النهاية لا يفيدون إلا أنفسهم سيزرعون التواضع أمام الله تعالى بشكل طبيعي .يسمح لهم هذا المنظور بالبقاء ثابتين في طاعتهم في كل من فترات الشدة ولحظات الرخاء .فهم يظهرون الصبر في الأوقات الصعبة، والذي يتضمن طاعة الله تعالى باستمرار مع الامتناع عن جميع أشكال الشكوى - سواء في القول أو الفعل - والثقة بأنه يختار دائمًا ما هو الأفضل لهم، حتى لو لم يكن ،السبب واضحًا للوهلة الأولى .وفي أوقات الرخاء، يعبرون عن الامتنان .ولهذا الامتنان ثلاثة أبعاد :النية وهي العمل الخالص لإرضاء الله تعالى؛ والكلام، وهو ما يُنقل من خلال النطق بالكلمات الطيبة أو الحفاظ على الصمت؛ والعمل، أي استغلال النعم التي أنعم الله بها عليهم وفقًا للقرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم .سورة البقرة، الآية ٢١٦

" .وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ..."

وبالتالي، فإن من يلتزم بهذا السلوك في جميع الأحوال، ينال عونًا ورحمةً لا ينقطعان من الله تعالى. ويؤدي ذلك إلى السلام في الدنيا والآخرة، وذلك بتحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، وحسن توزيع كل شيء وكل شخص في حياته، كما ورد في حديث صحيح مسلم، رقم 7500. والصبر في الشدائد، والشكر في الرخاء من مظاهر تمجيد الله تعالى، فلا يُنسب إليه ما لا يُحمد عقباه، كالصعاب التي قدّرها الله تعالى عليهم. سورة الأنبياء، الآية 20

" ويسبحون الليل والنهار ولا يفترون "

من أهم جوانب تعظيم الله تعالى الامتناع عن نسب أي شيء سلبى إليه. ومن سبل تحقيق ذلك تنمية عقلية إيجابية. وبشكل عام، من الضروري أن ينمي الناس هذه العقلية، فهي أداة فعّالة في مواجهة تحديات الحياة مع الثبات على طاعة الله تعالى. وتقتضي هذه الطاعة استغلال نعمه بما يرضيه، كما هو مبين في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. فكلما واجه الإنسان مصاعب، فعليه أن يذكر نفسه بأن الوضع كان يمكن أن يكون أسوأ بكثير. فإذا كانت المصاعب تتعلق بأمور دنيوية فقط، فعليه أن يحمد الله على أنها لم تضر بإيمانه. وبدلاً من التركيز على الحزن اللحظي المصاحب للابتلاءات، عليه أن يركز على الجزاء العظيم الموعود لمن صبر في سبيل الله تعالى. عندما يُصاب الإنسان بفقد نعمة ما، عليه أن يتفكر في كثرة النعم الباقية معه. وفي كل محنة، عليه أن يتذكر الآية القرآنية التي تُذكر المؤمنين بأن في الصعاب والاختبارات حكماً خفية قد لا تظهر للوهلة الأولى. وهكذا، فإن الوضع الذي يواجهونه، في الواقع، أفضل مما كانوا يتمنونونه، في البداية، لما يحمله من حكمة ورحمة إلهية. بتبني هذه النظرة الإيجابية، لا يُمجد المرء الله تعالى فحسب من، بل يضمن أيضاً راحة باله وجسده وروحه، ضامناً أن تصبح المحن وسيلة للنمو الروحي بدلاً من اليأس خلال تحقيق حالة ذهنية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في حياته على النحو: سورة البقرة، الآية ٢١٦. الصحيح

"وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ..."

في الختام، ينبغي التأمل في هذه الحقائق وغيرها لتنمية عقلية إيجابية. هذه العقلية ضرورية لتمجيد الله تعالى على الوجه الصحيح، بالامتناع عن نسب أي شيء سلبي إليه. إنها تسمح لنا برؤية كل ظرف من خلال عدسة الحكمة والرحمة الإلهية، مدركين أن حتى المحن تحمل في طياتها فوائد خفية. لذا، بدلاً من اعتبار تحديات الحياة نقائص، يجب أن نتذكر أن الكأس ليست نصف فارغة، بل هي في الحقيقة نصف ممتلئة، مليئة بنعم تفوق بكثير ما حُرِمنا منه.

:سورة الأنبياء، الآية 19

"...وله من في السماوات والأرض "

.عمومًا، بما أن كل شيء في الوجود ملكٌ لله تعالى وسلطانه المطلق، فمن الضروري للأفراد الالتزام بأوامره وكما قد يُعاقب المرء على مخالفة قوانين بلد، فإن تجاهل الأحكام الإلهية التي وضعها الخالق يؤدي حتمًا إلى مشقة في الدنيا وعواقب وخيمة في الآخرة. فبينما قد يختار المرء مغادرة بلد لا تروق له قوانينه، فإنه لا يستطيع الفرار من سلطان الله تعالى، لأن سلطانه وسع السماوات والأرض. ومع أن الأفراد قد يحاولون تغيير المعايير الاجتماعية، إلا أنهم لا يستطيعون تعديل القوانين الإلهية التي وضعها الله تعالى. وكما يُملّي صاحب المنزل قوانينه داخل ممتلكاته، فإن الكون يحكمه الله تعالى، الذي وحده يُحدد قوانينه دون حاجة إلى موافقة أو تصديق بشري. لذا، فإن الالتزام بهذه الأحكام الإلهية ليس مسألة طاعة فحسب، بل هو أيضًا مصلحة شخصية، لأنها تضمن الرفاهية الدنيوية والنجاح الأبدي. من أدرك هذه الحقيقة يسعى جاهدًا لامتثال أوامر الله تعالى، واستغلال نعمه بما يرضيه، كما ورد في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. قد يختار الأفراد التأمل في حكمة الأوامر والنواهي الإلهية، مدركين دورها في تعزيز الرفاه الشخصي والاجتماعي. أو قد يستسلمون لشهواتهم ويتجاهلون هدي الإسلام. ومع ذلك، يجب على من يهملون المبادئ الإلهية أن يكونوا مستعدين لمواجهة العواقب الحتمية لأفعالهم في الدنيا والآخرة. لن يثنيهم أي قدر من الاعتراضات أو الأعذار أو الشكاوى عن عواقب ما قدره الله تعالى. عدله كامل، وسلطانه لا مفر منه. سورة الكهف، الآية 29

وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر .إنا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها .وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمسح يشوي الوجوه .يئس الشراب وساءت مرقدته

،بشكل عام، كثيراً ما نسب غير المسلمين الذين يؤمنون بالله تعالى إليه عيوباً بشرية، كالتعب .ونتيجةً لذلك اعتبروا الله تعالى أشبه بملك دنيوي .لا يستطيع الملك الدنيوي إدارة شؤون مملكته بمفرده، ولذلك يُعين مساعدين، كالولاة، لمساعدته في إدارة مملكته .وبسبب هذا الاعتقاد، بدأ كثيرٌ منهم بعبادة آلهة أخرى - بما في ذلك الملانكة - سعياً لنيل رضى الله تعالى .سورة الأنبياء، الآية ٢١

اتخذوا آلهة من الأرض يحييون بها الموتى؟ أم

وقد تبنى بعض المسلمين هذا المفهوم أيضاً .فهم يُكرّسون وقتهم وجهدهم ومواردهم للبحث عن أشخاص روحانيين يُعتقد أنهم يتمتعون بعلاقة فريدة مع الله تعالى، كما هو الحال مع الوالي الذي يرتبط ارتباطاً فريداً بالملك .هدفهم هو إرضاء هذه الشخصية الروحانية حتى تشفع لهم لدى الله تعالى .وهذا يُحاكي كيف يمكن للوالي أن يشفع لدى الملك لشخص أرضاه بالهدايا ومظاهر الاحترام والمودة غير العادية .تعمل هذه الشخصيات الروحانية بفعالية كبوابة بين عامة الناس والله تعالى، وهو مفهوم يتعارض جوهرياً مع التعاليم الإسلامية .لم يكن الأنبياء عليهم السلام بمثابة بوابين، بل أناروا الطريق والطرق المؤدية إلى رضى الله تعالى وراحة البال في الدنيا والآخرة، ولم يطلبوا من الناس أي نوع من التعويض، كالهدايا .لذلك، ينبغي على المسلم أن يتعلم العلم الشرعي من معلم مؤهل وأن يُظهر له الاحترام الذي يستحقه، ولكن لا ينبغي له أن يعتقد أنه بحاجة إلى عبادة من يبدون روحانيين للتواصل مع الله تعالى ورضاه .فإن الله تعالى وحده هو المسيطر على الكون وسلطانه، وهو على علم بكل ما يجري فيه .ولذلك، لا يحتاج إلى وسطاء بينه وبين :على سبيل المثال، سورة البقرة، الآية ١٨٦ .البشر .وقد بيّن القرآن الكريم هذه النقطة بوضوح

"...وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان"

:سورة غافر الآية 60

"وقال ربكم ادعوني أستجب لكم"

:سورة البقرة، الآية 255

"...من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه..."

علاوة على ذلك، مع أن الشفاعة ستقع يوم القيامة - بإذن الله تعالى - فمن الأهمية بمكان ألا يُستهزأ بها أو يُستهان بها. فقد يؤدي ذلك إلى حرمان المرء من هذه الرحمة الإلهية. غالبًا ما ينبع الاستهزاء بمفهوم الشفاعة من طبعٍ راضٍ، حيث يُهمل الفرد استغلال النعم الممنوحة له وفقًا للمبادئ الإسلامية، ومع ذلك يتوقع النجاة من خلال تدخل الآخرين، مثل الأقارب أو الشخصيات الروحية. في الواقع، قد يكتشف الشخص الذي يسخر من الشفاعة بهذه الطريقة أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم سيشهد عليه يوم القيامة. سورة الفرقان: الآية 30

"وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا "

هذه الآية خاصة بالمسلمين، فهم الأمة الوحيدة التي أقرّت بالقرآن الكريم واعتنقته. أما غير المسلمين فلم يقبلوا هدايته، فلا يمكن وصفهم بالتخلي عنه. إن مصير أي مسلم يشهد عليه النبي محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة واضح.

حتى في حالات الشفاعة، فإن هذا الإهمال قد لا يمنع دخول النار، بل قد يخفف من شدتها على الأكثر. يجب أن يفهم جلياً أن حتى أقصر تجربة في النار لا تُطاق. لذلك، يجب أن يقترن الأمل الصادق بالشفاعة بالسعي الجاد، وتحديداً، الاستخدام الفعال والمخلص للنعم الممنوحة بما يتوافق مع هدي القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. عندها فقط، ينبغي للمرء أن يأمل بالشفاعة يوم القيامة، مدركاً أن الله تعالى وحده هو الذي يأذن بها.

:سورة الأنبياء، الآية 21

اتخذوا آلهة من الأرض يحييون بها الموتى؟ أم

عندما يتأمل المرء في خلق السماوات والأرض وما فيها من أنظمة متوازنة تماماً لا تُحصى، يتضح له أن هناك واحداً فقط هو الذي خلق الكون ويديمه. كل تفصيل فيه يدل على حكمة وتصميم دقيقين. على سبيل المثال، المسافة الدقيقة بين الشمس والأرض دليل واضح؛ فلو كانت أقرب أو أبعد قليلاً، لما كانت الأرض صالحة للحياة. وبالمثل، خُلقت الأرض بغلاف جوي متوازن ونقي، مما يُمكن الحياة من الازدهار في انسجام هذا الكمال المعقد لا يترك مجالاً للشك في أن هذه الأنظمة ليست عشوائية، بل هي خلق الله تعالى وحفظه. :سورة البقرة، الآية ١٦٤. المتعمد

"...واختلاف الليل والنهار ..."

إن التوقيت المثالي لليل والنهار، إلى جانب تفاوت أطولهما على مدار العام، يُمكن الناس من الاستفادة القصوى منهما. فإذا طالت الأيام أكثر من اللازم، لأنّهم الناس من ساعات العمل الطويلة. وإذا طالت الليالي أكثر من اللازم، لفقدت البشرية الوقت الكافي لكسب الرزق وممارسة الأنشطة المفيدة كالتساب المعرفة. من ناحية أخرى، إذا قصرت الليالي أكثر من اللازم، حُرِمَ الناس من الراحة اللازمة للحفاظ على صحة مثالية. علاوة على ذلك، فإن أي تغيير في التوازن الطبيعي لليل والنهار سيؤثر بشدة على الزراعة، مما يؤدي إلى نقص في توفير الغذاء لكل من الناس والحيوانات. إن حقيقة أن النهار والليل، والعديد من الأنظمة الأخرى في الكون تعمل في انسجام تام، دليل لا يمكن إنكاره على وحدانية الله تعالى.

سورة البقرة، الآية 164

"والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء "

إن مراقبة دورة الماء المتوازنة تمامًا تُقدم دليلًا واضحًا على وجود خالق. يتبخر الماء من البحار، ويرتفع إلى الغلاف الجوي، ويتكثف مُشكلاً المطر، الذي يكون في البداية حمضيًا. عندما يهطل هذا المطر على الجبال، تُعادل المعادن الموجودة فيه حموضته، مما يجعله آمنًا للإنسان والحيوان والنبات. أي تغيير في هذا النظام سيكون له عواقب وخيمة على الحياة على الأرض. كما يلعب محتوى الملح في المحيطات دورًا حيويًا فهو يمنع الكائنات البحرية المتحللة من تلويث المياه. فبدون هذا التوازن، ستهلك الحياة البحرية، وستؤثر الشوائب الناتجة عنه على الحياة البرية أيضًا. علاوة على ذلك، فإن المحيطات مُصممة بحيث تزدهر الحياة البحرية بينما تتمكن السفن الثقيلة من عبور السطح بأمان. أي تغيير طفيف في خصائص الماء من شأنه أن يُخل بهذا التوازن، مما يجعل من المستحيل على الحياة البحرية والنقل البحري التعايش معًا. وحتى اليوم، لا يزال النقل البحري هو الوسيلة الأكثر شيوعًا وفعالية لنقل البضائع عبر العالم، مما يُبرز أهمية هذا التوازن للحضارة الإنسانية.

وبالمثل، يعكس تصميم الكائنات الحية توازنًا مثاليًا. فالتطور، الذي يفهم على أنه طفرة عشوائية، ليس كاملاً بطبيعته. ومع ذلك، تُظهر الأنواع العديدة على الأرض تكيفات دقيقة تُمكنها من الازدهار في بيئاتها. على سبيل المثال، يتمتع الجمل بتجهيزات مثالية لتحمل درجات حرارة الصحراء المرتفعة والبقاء لفترات طويلة دون ماء. يُظهر هذا التصميم دقة التخطيط المتأصلة في الخلق، مما يدل على أن الله تعالى قد خلق البيئة: سورة الغاشية، الآية 17. وسكانها بتناغم وانسجام

أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ؟

تُجسّد الماعز مثلاً آخر على دقة التصميم في الخلق. فجسمها مُصمّم بحيث تُفصل الشوائب تماماً عن الحليب الذي تُنتجه، مما يضمن بقاء الحليب نقياً وصالحاً للاستهلاك. وأي خلل في هذا النظام الطبيعي سيجعل الحليب: غير صالح للشرب، مما يُظهر التوازن الدقيق والحكمة الكامنة في خلق الله تعالى. سورة النحل، الآية 66

وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها من بين فرث ودم لبنًا خالصًا سائغًا للشاربين

خُلِقَ كُلُّ نَوْعٍ بِعَمْرِ مُحدّدٍ بعناية، مما يُحافظ على التوازن البيئي ويمنع أيّ نوعٍ من الهيمنة على الأرض على سبيل المثال، يعيش الذباب من 3 إلى 4 أسابيع فقط، لكن بإمكانه وضع ما يصل إلى 500 بيضة. لو كان عمره أطول، لزادت أعداده بشكلٍ لا يُمكن السيطرة عليه، مما قد يُهيمن على الأنواع الأخرى. على العكس من ذلك، عادةً ما تُنتج الحيوانات ذات الأعمار الطويلة ذريةً قليلةً، مما يحدُّ بشكلٍ طبيعيٍّ من نموِّ أعدادها. لا يُمكن أن يُعزى هذا التوازن الدقيق في أعمار الكائنات ومعدلات تكاثرها إلى الصدفة، ولا يُمكن تفسيره بشكلٍ مُرضٍ بالتطور وحده. إنه دليلٌ واضحٌ على التصميم المُتعمّد والحكمة في الخلق. سورة البقرة، الآية 164.

"...وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض..."

تلعب الرياح دورًا محوريًا في استدامة الحياة والحفاظ على التوازن على الأرض. فهي تُسهّل تلقيحها، مما يسمح للمحاصيل والنباتات والأشجار بالتكاثر بكفاءة. تاريخيًا، كانت الرياح أساسية للسفر البحري، الذي لا يزال الوسيلة الرئيسية لنقل البضائع عالميًا حتى اليوم. كما تُوجّه الرياح السحب الممطرة إلى مناطق محددة، مما يضمن حصول جميع الكائنات الحية على الماء اللازم للبقاء. هذا التوازن الدقيق أمر حيوي بفقطة الرياح أو الأمطار تُعطل الحياة، بينما تُسبب الرياح أو الأمطار الغزيرة الفوضى والدمار واختلال التوازن. تُبرز دقة هذا النظام التصميم الدقيق والحكمة الكامنة وراء العالم الطبيعي. سورة المؤمنون، الآية 18

"ولقد أنزلنا من السماء ماءً بقدرٍ فأسكناه في الأرض وإنا على ذهابٍ به لقادرون"

،من يتأمل هذه الأنظمة وغيرها - في نظامها وترابطها وسيرها المتقن - لا يمكنه إنكار وجود خالق واحد، لو كان هناك آلهة متعددة، كلٌّ منها يسعى إلى نتائج مختلفة. كلي القدرة، يحكم ويدبم كل شيء في الكون لوقع الكون حتمًا في الفوضى. لذا، لا يمكن أن يُعزى التوازن المتقن الملحوظ في الخلق إلا إلى إرادة وحكمة :خالق واحد ورازق واحد. سورة الأنبياء، الآية 22

"لو كان في السماوات والأرض آلهة إلا الله لفسدنا، فسبحان الله رب العرش عما يصفون"

إن محاسبة العباد على أفعالهم تقتضي القدرة على بعثهم، وهو ما تقدم، وسلطة محاسبتهم، وكلاهما لله تعالى
:وحده .سورة الأنبياء، الآية ٢٣

"لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون"

عمومًا، لن يُحاسب الله تعالى الأفراد يوم القيامة على ما قضاه لهم، بل سيُقيّم نواياهم وأفعالهم، وكلاهما تحت سيطرتهم. ولأن النوايا والأفعال اختيارية، فإن الأفراد مُلزمون بتحمل مسؤوليتها، بغض النظر عن أي ادعاءات تُخالف ذلك. على سبيل المثال، لا يُمكن لضابط الشرطة الذي يُسيء عمدًا استخدام تدريبيه والموارد التي انتمنه عليها القسم أن يُلقي باللوم على المؤسسة نفسها. وبالمثل، لا يُمكن لشخص أن يُحاسب الله تعالى عندما يُسيء عمدًا استخدام النعم التي أنعم بها، لا سيما بعد أن أوضح الله له كيفية استخدامها

علاوة على ذلك، من التناقض أن يتذرع المرء بالقدر ذريعةً لارتكاب الذنوب والتهرب من المسؤولية، ثم عندما يُظلم هو نفسه من الآخرين، يُطالب بالعدل. لو كان مُتسقًا في تفكيره، لا يضطر إلى قبول أن الظلم الذي لحق به كان مُقدّرًا مُسبقًا، وبالتالي لا يستطيع مُحاسبة مُضطهده. هذا التناقض يُفصح ضعف استخدام القدر ذريعةً للسلوك الخاطئ

،وختامًا، لا ينبغي أبدًا استخدام القدر مبررًا للعصيان. فهذا لا يعني أن الله تعالى يُجبر الناس على سلوكٍ مُعين بل يعني أن الله تعالى يعلم جميع الاختيارات والأفعال قبل وقوعها، وقد سجلها، وأجاز للأفراد القيام بأفعالهم، المقصودة، ثم يُحاسبهم عليها، لأنه لا يُلزم الناس بالهداية أو الضلال، فإن فعل ذلك يُبطل غاية الحياة الدنيا (سورة الأنبياء، الآية ٢٣). وهي اختبار الناس في حريتهم في الاختيار

"لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون"

في حديثٍ مُدَوَّنٍ في صحيح البخاري ، رقم ١٠٣ ، حذَّر النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم من أن من يُحاسب الله تعالى على أعماله يوم القيامة سيُعاقب . يُسَلِّط هذا القولُ العميقُ الضوءَ على قسوة ذلك اليوم . وأهمية العيشِ بوعيٍ وضبطٍ في هذه الدنيا

من المهم أن يفهم الإنسان أنه مع أن التمتع بالملذات الحلال في الدنيا ليس محرماً، إلا أن هذا الانغماس غالباً ما يكون مدخلاً إلى الحرام . على سبيل المثال، غالباً ما يكون الكلام الفارغ هو الخطوة الأولى قبل الكلام المضر والآثم . علاوة على ذلك، كلما انغمس المرء في الملذات الحلال غير الضرورية، طالت محاسبته وصعوبتها يوم القيامة

يجب على المرء أن يضع في اعتباره صعوبة ذلك اليوم الهائلة . وصف النبي محمد صلى الله عليه وسلم في حديث موجود في جامع الترمذي ، رقم 2421 ، أن الشمس ستُجلب على بُعد ميلين من الخليفة . وأثناء انتظارهم للحساب، وطوال عملية الحساب، ستُعرض جهنم نفسها وجهاً لوجه مع الناس . وهكذا، كلما طال الحساب، ازداد الضغط والضيق الذي سيتحمله، حتى وإن غفر الله له ونجا في النهاية

:سورة المعارج، الآية 4 . ويخبرنا القرآن الكريم أيضاً أن يوم القيامة سيستمر خمسين ألف سنة

"في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة..."

في ضوء ذلك، من غير المنطقي التضحية بالراحة الأبدية من أجل بضعة عقود عابرة من الانغماس في الدنيا. إن حياة الاعتدال والبساطة في الأمور المشروعة لا تحمي المرء من الانزلاق إلى الحرام فحسب، بل تقصر أيضًا وتخفف حسابه في الآخرة. لذلك من الأفضل أن يعيش المرء حياة بسيطة لتقليل حسابه يوم القيامة. وهذا هو أحد الأسباب التي جعلت النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم ينصح في حديث مسجل في سنن ابن ماجه ، رقم 4118، بأن البساطة جزء من الإيمان. في الواقع، هذه البساطة ذاتها هي التي ستؤدي إلى دخول المؤمنين الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام، حيث سيكون حسابهم أخف وأقصر. وقد تأكد هذا الواقع في حديث آخر موجود في سنن ابن ماجه، رقم 4122. وعندما نتأمل أن متوسط عمر الإنسان نادراً ما يتجاوز ثمانين عاماً، يتضح لنا مدى عدم منطقية العيش بترف لبضعة عقود عابرة إذا كان ذلك يؤدي إلى تأخير خمسمائة عام قبل دخول الجنة - بافتراض، بالطبع، أنه يتم قبول المرء مباشرة دون أن يعاقب أولاً في الجحيم.

يجب على الإنسان أن يتذكر دائماً أنه كلما انغمس في الملذات الدنيوية المشروعة، زاد التوتر والتشتت الذي سيواجهه في هذه الحياة، وقل استعدادة للآخرة. يتطلب الاستعداد للآخرة استخدام النعم التي أنعم بها الله تعالى على النحو الذي يرضيه، مع تجنب الإسراف والإفراط والتبذير. على النقيض من ذلك، فإن من يتبنى حياة بسيطة - الحصول على الأشياء الدنيوية واستخدامها وفقاً للضرورة والمسؤولية فقط - سيجد راحة البال من خلال الحصول على حالة ذهنية وجسدية متوازنة ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص بشكل، والجسد تشجع هذه البساطة على الاستعداد العملي ليوم القيامة وتؤدي إلى حساب نهائي أسهل. لا. صحيح في حياته يتطلب الأمر خبرة علمية لمعرفة أي طريق أفضل. طريق الاعتدال والبساطة هو طريق الحكمة والسكينة والنجاح الأبدي.

كما ذكرنا سابقاً، بما أن الاستعداد للحساب يوم القيامة يتعارض مع رغبات الناس الدنيوية، يسعى كثير منهم إلى إيجاد جهات تشفع لهم عند الله تعالى، كالملائكة أو الصالحين، مما يتيح لهم حرية معصية الله تعالى بإساءة استخدام نعمه عليهم، معتقدين زوراً أنهم سينالون النجاة بشفاعة أحد). سورة الأنبياء، الآية ٢٤)

"أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم "

للأسف، اتخذ كثير من المسلمين موقفًا مشابهاً، إذ يبحثون عن الصالحين الذين يشفعون لهم عند الله تعالى، وهذا الموقف ليس إلا أوهامًا، وهو يتناقض مع تعاليم الإسلام. بل هو في الواقع لا يستند إلى دليل أو علم بل إلى هدفهم تحقيق رغباتهم الدنيوية ونيل نجاتهم في الدنيا والآخرة. ومع أن الشفاعة حقيقة واقعة يوم القيامة، فلا ينبغي الاستهزاء بها بالتمني والإصرار على معصية الله تعالى، معتقدين زورًا أن غيرهم سينقذهم من عواقب أفعالهم. بل يجب أن يتحلى المرء بالأمل الحقيقي في رحمة الله تعالى، كالشفاعة، وذلك بطاعته، خالصًا، مستخدمًا نعمه التي أنعم بها عليه كما وردت في التعاليم الإسلامية، ثم رجاء شفاعة الصالحين، بل إن من يسخر من الشفاعة بهذه الطريقة قد يشهد عليه النبي محمد صلى الله عليه وسلم كرسول الله صلى الله عليه وسلم: الله عليه وسلم يوم القيامة. سورة الفرقان، الآية 30

"وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً"

هذه الآية موجهة تحديدًا للمسلمين، فهم الأمة الوحيدة التي أقرت بهدي القرآن الكريم واعتنقته. أما غير المسلمين، فلم يقبلوا هذا الوحي، فلا يمكن وصفهم بالتخلي عنه. وبالتالي، فإن مصير أي مسلم يشهد عليه النبي محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة واضح. لذا، يجب على المرء أن يترك الممارسات والمعتقدات الباطلة التي لا تستند إلى المعارف الإسلامية، وأن يتعلم ويعمل بالتعاليم الإلهية ليحسن استغلال النعم التي وهبت له. سورة الأنبياء، الآية ٢٤

"هذا بلاغ الذين معي وبلاغ الذين من قبلي"

باتباع هذا النهج، يتحقق للإنسان توازنٌ عقليٌّ وجسديٌّ، ويُنظَّم حياته تنظيمًا سليمًا، ويُعدّ العدة للحساب يوم القيامة. وبذلك، ينال راحة البال الحقيقية في الدنيا والآخرة.

لكن بما أن هذا السلوك الصحيح غالبًا ما يتعارض مع رغبات الناس الدنيوية، فسيظل كثير منهم جاهلين بتعاليم الإسلام، حتى وإن ادعوا الإيمان به. وسيتبعون قواعد سلوكية أخرى وضعها البشر، كالموضة والثقافة. ووسائل التواصل الاجتماعي، ليتمكنوا من إشباع رغباتهم الدنيوية). سورة الأنبياء، الآية ٢٤)

"ولكن أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون"

هذا الموقف في الدنيا يمنع الإنسان من تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، ويدفعه إلى إضاعة كل شيء وكل شخص في حياته. ونتيجةً لذلك، تصبح جميع جوانب حياته، بما في ذلك الأسرة والأصدقاء والعمل والمال، مصادر للتوتر. وإذا أصرَّ على معصية الله تعالى، فسيلوم، خطأً، الأشياء والأشخاص غير المناسبين في حياته، مثل شريك حياته، على محنته. إن استبعاد هؤلاء الأشخاص الطيبين من حياته لن يؤدي إلا إلى تفاقم اضطراباته النفسية، مما قد يؤدي به في النهاية إلى الاكتئاب وإدمان المخدرات، بل وحتى إلى الميل الانتحاري. وتتجلى هذه النتيجة جليَّةً عند رؤية من يُصرّون على إساءة استخدام النعم التي وهبت لهم كالأغنياء والمشاهير، حتى وهم ينعمون برفاهية الدنيا. علاوةً على ذلك، ولأن هذا الموقف سيمنعهم من الاستعداد للحساب يوم القيامة، فإن عقابهم في الآخرة سيكون أشدَّ بكثير.

:سورة الأنبياء، الآية 24

"...أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم "

بشكل عام، من المهم إدراك أن المعبودات الباطلة لا تقتصر على الأصنام المادية. في الحقيقة، كل ما يطيعه الإنسان أو يُقدّمه على طاعة الله تعالى - سواءً أكان ذلك مواقع التواصل الاجتماعي، أم الموضة، أم التوجهات الثقافية، أم حتى غيرهم - يصبح في الواقع موضع عبادة. سورة التوبة، الآية 31

"...اتخذوا أبحارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله"

،لم يكن علماء أهل الكتاب وزعمائهم يُعبدون، بل كانوا يُطاعون بما يخالف طاعة الله تعالى. وفي الإسلام تُعتبر هذه الطاعة، إذا خالفت الهداية الإلهية، عبادةً لذاتها لا لله تعالى. ويتجلى هذا المبدأ أيضاً في حالة: سورة يس، الآية 60. الشيطان الذي سعى إلى أن يُطاع فاتبع في معصية الله تعالى

أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ

لم يخطر الغالبية العظمى من الناس في عبادة الشيطان مباشرةً، بل اعتُبروا كذلك لطاعتهم له في معصية الله تعالى. لذلك، من الضروري الامتناع عن طاعة أي كائنات أخرى تُخالف الله تعالى، لأن هذه الطاعة تُعدّ عبادةً لها. إذا أصرَّ أحدٌ على معصية الله تعالى، فسيقع حتماً تحت تأثير قوى أخرى - سواءً أكانت أفراداً، أو وسائل تواصل اجتماعي، أو موضة، أو ثقافة، أو أصحاب عمل. إن محاولة خدمة أسياد متعددين ظالمين لا تُنتج إلا التوتر، إذ يستحيل إرضائهم جميعاً بسبب مطالبهم المتضاربة وغير المتوقعة. وكما يُكافح الموظف الذي يعمل تحت إشراف عدة مشرفين لتلبية توقعات متضاربة، فإن من يُعرض عن عبودية الله تعالى سيجد نفسه مُثَقلاً بأسياد لا يُحصى عددهم، مُضحيًا براحة باله. مع مرور الوقت، غالباً ما يواجه هؤلاء الأفراد الحزن والعزلة والاكتئاب، بل وحتى الأفكار الانتحارية، إذ تفشل جهودهم لإرضاء أسياد الدنيا في تحقيق ما يصبون إليه. ويتجلى هذا الواقع جلياً عند ملاحظة حياة من يتبنون هذه العقلية، كالمشاهير، الذين رغم ثروتهم وشهرتهم، غالباً ما يعانون من اضطراب داخلي عميق. علاوة على ذلك، فإن الاستسلام لغير الله تعالى في معصيته لن يُجدي نفعاً في الآخرة، إذ لن تُعينه في وقت حاجته. لتجنب هذا الهلاك، يجب على المرء أن

يترك طاعة كل ما يؤدي إلى معصية الله تعالى، وأن يُخلص نفسه لله وحده، من خلال تعلم التعاليم الإسلامية والعمل بها. سورة الأنبياء، الآية 24

"هذا بلاغ الذين معي وبلاغ الذين من قبلي"

مهما بلغ تقدم أي مجتمع، ومهما اكتسب من معارف في مختلف المجالات، بما فيها الجوانب العقلية والجسدية والاجتماعية للحياة البشرية، يبقى من المستحيل على البشرية صياغة قواعد سلوكية تتوافق تمامًا مع الفطرة البشرية، وقادرة على التعامل مع كل ظرف وحالة وسيناريو قد يواجهه الأفراد أو المجتمعات طوال وجودهم على الأرض. هذا المسعى بعيد المنال أساسًا، فالبشرية لا تزال تكتشف رؤى جديدة حتى في جوانب محددة من كيانها، مثل وظائف مناطق مختلفة من الدماغ. فإذا لم يتقن الناس بعد معرفة أنفسهم معرفة كاملة، فكيف يمكنهم وضع قواعد سلوكية سليمة تضمن الطمأنينة والعدل على المستويين الفردي والاجتماعي؟ الله تعالى وحده هو القادر على ذلك، فهو خالق كل شيء، وعلمه لا حدود له، شامل للماضي والحاضر والمستقبل، وهكذا، فهو وحده المستحق أن يُقدّم للبشرية ميثاقًا للسلوك - وهو معيار إلهي يُميّز بوضوح الخير من الشر والنافع من الضار، ويُسهّل تحقيق راحة البال في حياةٍ مُثقلة بالتوتر والاختلال. تُثبت الأدلة التاريخية بشكلٍ قاطع أنه كلما طُبّق هذا الميثاق الإلهي بصدق في حياة الأفراد والمجتمعات، أثمر طمأنينة وعدلاً ووثاقًا في المجتمع. وعلى العكس، عندما أهمل أو استُبدل بأنظمةٍ من صنع الإنسان، تبعه فسادٌ وقمعٌ واضطرابٌ لا محالة. لذلك، يجب على الأفراد اعتناق الميثاق الإلهي الذي أنعم الله عليهم به، مُدركين أنه الأنسب لرفاهيتهم حتى لو بدت بعض عناصره مُتعارضةً مع ميولهم أو رغباتهم الشخصية. عليهم أن يتصرفوا كمريضٍ حكيمٍ يُقرّ بالنصيحة الطبية التي يُقدّمها طبيبٌ ماهر ويلتزم بها، مُدركين أن الوصفة - وإن كانت مرّة أو نظامًا علاجيًا صارمًا - هي في نهاية المطاف لمصلحتهم وشفائهم. كذلك، فإن طاعة القانون الإلهي، حتى لو خالفت ذلك من خلال تحقيق الشهوات، هي أضمن طريق إلى السعادة الحقيقية في الدنيا والنجاح الأبدي في الآخرة (سورة). حالة نفسية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في مكانه الصحيح في الحياة (الأنبياء، الآية ٢٤، الفصل ٢١).

"هذا بلاغ الذين معي وبلاغ الذين من قبلي"

تُعَدُّ هذه الآية أيضًا تحذيرًا قويًا من تبني نظرة أنانية، حيث ينشغل المرء بظروفه الخاصة فقط، متجاهلاً حقائق الحياة الأوسع. هذا الموقف يُعَيِّم القلب ويمنعه من استخلاص الحكمة من التاريخ والتجارب الشخصية، وحياة الآخرين. في المقابل، فإن التأمل في هذه الدروس يُصقل شخصية المرء، ويمنع تكرار أخطاء الماضي، ويُغذي سلامًا داخليًا دائمًا من خلال تمكينه من حالة ذهنية وجسدية متوازنة، والتنظيم الصحيح لكل شيء وكل شخص في حياته. على سبيل المثال، فإن ملاحظة كيف يُسيء الأثرياء والمشاهير استخدام النعم التي مُنحوا - ليقعوا في القلق والاكتئاب والإدمان، أو حتى الانتحار رغم الرفاهية المادية - يُظهر أن السكينة الحقيقية لا تُشتري بالثروة أو تُنال من خلال الرغبات الجامحة. وبالمثل، فإن مشاهدة معاناة المرضى من شأنها أن تُلهم المرء الامتنان لصحته، وتُشجعه على استخدامها بشكل صحيح قبل أن تتلاشى. لذلك، يُشدد الإسلام على أهمية اليقظة والتأمل، ويحث الأفراد على النظر إلى ما وراء النطاق الضيق لظروفهم الخاصة واستخلاص الحكمة من العالم من حولهم. سورة الأنبياء، الآية ٢٤

"هذا ذكرٌ لمن معي وذكرٌ لمن قبلي"

في هذه الآية، يُوصف الوحي الإلهي بأنه تذكير. بل إن تعاليم الإسلام بمثابة تذكير للجميع، لأنها تتماشى تمامًا مع الفطرة البشرية. وأي نظام سلوكي يتعارض مع هذه الفطرة سيبدو غريبًا حتمًا، مما يُسبب صراعًا داخليًا، بل وإجهادًا جسديًا ونفسيًا عند محاولة الناس العيش وفقًا له. على النقيض من ذلك، ولأن التوجيه الإسلامي مُوحى به إلهيًا في انسجام مع الفطرة البشرية، فإنه يبدو مألوفًا فطريًا، مُعزِّزًا التوازن والاستقرار في الجسد والعقل. وغالبًا ما يتجلى هذا الانسجام بوضوح أكبر لدى من يعتنقون الإسلام بعد اتباع أسلوب حياة آخر. ويشهد كثير من المهنددين أن مبادئ الإسلام، حتى قبل دراستها بعمق، تتردد في نفوسهم كما لو كانوا يعيدون الاتصال بشيء مكتوب في قلوبهم. وذلك لأن الإسلام لا يفرض إطارًا مصطنعًا على البشر؛ بل يُعيدهم إلى حالتهم الأصلية من النقاء التي خلق الله تعالى الناس عليها. ومع ذلك، كثيرًا ما تفرض أنظمة أخرى قواعد سلوكية تتعارض مع الطبيعة البشرية، مما يؤدي إلى السخط واختلال التوازن والاضطراب الداخلي. ومع ذلك، قد تبقى هذه الحقيقة مخفية ما لم يتعامل المرء مع الوحي بصدق وانفتاح. فالتحيز أو الكبرياء أو الولاء الأعمى للتقاليد الموروثة قد يحجب القلب عن إدراك الانسجام الطبيعي بين الهداية الإلهية والطبيعة البشرية. أما عندما نتعامل مع الوحي بتواضع، فإنه لا يكشف عن نفسه كعيب بل كرحمة - تذكير يعيد التوازن ويزرع السكينة ويوجه البشرية نحو غايتها الحقيقية. وبهذا المعنى، يعمل الوحي كمرآة وبوصلة في أن واحد: مرآة تعكس الحقيقة الفطرية الكامنة بالفعل في النفس البشرية، وبوصلة توجهها نحو السلام في

الدنيا والنجاح الأبدي في الآخرة، بتعليم الناس العيش في توازن عقلي وجسدي ووضع كل شيء وكل شخص في مكانه الصحيح.

من أهم أسباب تجاهل الناس للتعاليم الإسلامية، وتبنيهم قواعد سلوكية أخرى من صنع البشر، التقليد الأعمى، لرأي الأغلبية في مجتمعهم، الذي يسيطر عليه جهلاء لا هم لهم سوى إشباع شهواتهم الدنيوية. سورة الأنبياء: الآية ٢٤

"ولكن أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون ..."

لذا يجب الحذر وتجنب التقليد الأعمى، فسلوك الأغلبية في المجتمع غالبًا ما يؤدي إلى معصية الله تعالى، فعندما يرى الأفراد أن معظم الناس يتجاهلون الهداية الإلهية، قد يندفعون فيظنون أن الأغلبية على حق فيتبعونهم دون تفكير أو تمييز. في الواقع، لا تُحدد الحقيقة بالأرقام، ورأي الأغلبية ليس دائمًا صحيحًا والتاريخ نفسه يقدم أدلة وافرة على ذلك. فقد ثبت لاحقًا بطلان معتقدات لا حصر لها كانت لدى الأغلبية عند مواجهتها بأدلة ومعارف جديدة - على سبيل المثال، الاعتقاد السائد، وإن كان خاطئًا، بأن الأرض مسطحة تُبين هذه الأمثلة خطورة افتراض أن الإجماع الشعبي هو الحقيقة. لذلك، من الضروري الامتناع عن التصرف كالكطيع، والتوافق دون تفكير مع سلوك العامة. فالتقليد الأعمى غالبًا ما يؤدي إلى خيارات خاطئة، سواء في: سورة الأنعام، الآية 116. الأمور الدنيوية، أو الأخطر من ذلك، في الأمور الدينية

"وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يظنون"

بدلاً من ذلك، ينبغي على الأفراد استخدام المنطق والعقل اللذين أنعم الله عليهما بهما لتقييم كل ظرف على ضوء المعرفة والدليل. هذا يُمكنهم من اتخاذ قرارات مدروسة ومدروسة، حتى عندما تختلف هذه القرارات

عن الآراء السائدة لدى الأغلبية . الحقيقة لا تُحدد بالأرقام، بل بالتوافق مع التوجيه الإلهي والمنطق السليم لهذا السبب، ينتقد الإسلام بشدة ممارسة التقليد الأعمى للآخرين في أمور الدين . إن التقليد الجاهل يُجرد الشخص من المسؤولية وغالبًا ما يؤدي إلى الخطأ، لأنه يضع الرأي البشري فوق الوحي الإلهي . بل يشجع :سورة يوسف، الآية 108 . الإسلام الناس على التعلم والتأمل والعمل بتعاليمه بفهم

"...قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني"

بهذه الطريقة، لا تكون الطاعة آلية، بل واعية، متجذرة في اليقين والوضوح . هذا النهج يحمي الأفراد من الانجراف وراء تيارات الرأي العام المتغيرة، ويضمن بقاء أفعالهم راسخة في المبادئ الخالدة التي أنزلها الله تعالى من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .سورة الأنبياء، الآية 25

"وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ "

يُعَلِّم الإسلام أن من يجب على البشر طاعته في كل ظرف هو خالقهم ورافعهم، الله تعالى . في الحقيقة، من يُطيعه الإنسان ويقتدي به في حياته هو في الواقع من يعبد، حتى لو أنكر وجود أي إله ظاهريًا . ذلك لأن الطاعة شكل من أشكال العبودية، والعبودية لغير الله تعالى عبادة في غير محلها . لقد خُلِقَ البشر بفطرة تدفعهم إلى الطاعة والخضوع . فبعضهم يتوجه هذا الخضوع نحو الآخرين، وبعضهم الآخر يتوجه نحو وسائل التواصل الاجتماعي، أو الموضة، أو الثقافة، أو حتى نحو رغباتهم الخاصة . ومع ذلك، فإن كل هذه الأمور زائلة ومحدودة، لا تُحقق الرضا الدائم أو الهداية النهائية . في المقابل، فإن طاعة الله تعالى تتماشى مع :غاية الخلق، فهي تُحرر الإنسان من عبودية الخلق وتُرسّخه في عبودية الخالق .سورة الفرقان، الآية 43

"...أرأيت من اتخذ إلهه هواه"

إن من يختاره الإنسان ليطيعه ويتبعه هو في الحقيقة موضع عبادته. ولذلك، يجب على المسلمين أن يتأكدوا من أن إعلان إيمانهم الشفهي مدعومٌ بالعمل الدؤوب، وذلك بطاعة الله تعالى بإخلاص في كل ظرف قبل كل شيء. فالطاعة الحقة تقتضي استغلال النعم الممنوحة لهم فيما يرضي الله تعالى، كما هو مبين في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. فعندما يعيش المرء على هذا النحو، فإنه يحقق التوازن في حالته النفسية والجسدية، ويضع كل شيء وكل شخص في مكانه الصحيح في حياته. وفي الوقت نفسه، فإنه يُعدّ نفسه على النحو المناسب للمحاسبة يوم القيامة. وهذا السلوك لا يحقق غاية الإيمان فحسب، بل يؤدي أيضًا إلى راحة البال الحقيقية في الدنيا والفوز الأبدي في الآخرة). سورة النحل، الآية 97)

"من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون"

على النقيض من ذلك، فإن من ينكر وحدانية الله تعالى، ويوجه طاعته وإخلاصه لغيره من الكائنات أو الأشياء، سيُسيء استخدام النعم التي وهبت له لا محالة. ونتيجةً لذلك، سيقع هؤلاء الأفراد حتمًا في حالة من عدم التوازن، عقليًا وجسديًا. سيُسيئون ترتيب أولوياتهم، ويُعطون أهميةً مفرطةً لأُمور الدنيا، مُهملين ما يستحق اهتمامهم حقًا. ونتيجةً لذلك، سيُقصّرون في الاستعداد الكافي لحسابهم يوم القيامة. سيؤدي هذا الإهمال إلى التوتر والمشقة والصعوبة في الدنيا والآخرة، حتى لو تمتعوا مؤقتًا ببعض الرفاهية الدنيوية. فبدون الرحمة الإلهية والهداية الصحيحة، لا تُفني الملذات الزائلة الإنسان من اضطراب داخلي في هذه الحياة، ولا: سورة طه، الآيات ١٢٤-١٢٦. من الحساب الشديد الذي ينتظره في الآخرة

ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد
"كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى

بما أن الله تعالى هو وحده خالق الحياة والموت وحافظ الخليقة، فهو وحده المستحق للطاعة .حتى في أمور الدنيا، عندما يوفر شخص ما لشخص آخر بطريقة محدودة - مثل توفير المأوى أو المساعدة - فإنه يُعتبر مستحقاً للشكر .فكم بالحري يجب إظهار الشكر لله تعالى، الذي منح البشرية كل نعمة في الكون .من العدل واللياقة أن يُعرب الناس عن شكرهم له .يتجلى الشكر في ثلاثة أشكال أساسية .الشكر بالنية يعني أن يعمل المرء فقط لمرضاة الله تعالى .من يعمل بدوافع أخرى لن ينال ثوابه، كما حذر من ذلك حديث موجود في جامع الترمذي، رقم 3154 .ومن الدلالة الواضحة على صدق النية أن الشخص لا يتوقع التقدير أو الجزاء .من الآخرين .ويتم التعبير عن الشكر باللسان بالتحدث بكلمات الخير والامتناع عن الكلام الضار أو اللغو .يتجلى شكر الإنسان على أعماله باستخدام نعم الله تعالى على الوجه الذي يرضيه، كما بينه القرآن الكريم وسنة النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم .فإذا تجلى الشكر في هذه الأبعاد الثلاثة - النية والقول والعمل أصبح سبباً لزيادة النعم، كما وعد الله تعالى، ويؤدي إلى راحة البال واستقرار القلب والتوفيق في الدنيا - من خلال تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، ومن خلال حسن توزيع كل شيء وكل شخص في ،والآخرة :سورة إبراهيم، الآية 7 . حياته

لئن شكرتم لأزيدنكم

عندما يمتلك الإنسان شيئاً، فمن الطبيعي والمقبول أن يتصرف فيه كيفما يشاء .كذلك، بما أن الله تعالى هو الخالق والمالك والحافظ لكل شيء في الكون - بما في ذلك الإنسان - فله وحده الحق في تحديد ما يجب وما لا يجب أن يحدث فيه .لذلك، من العدل والمعقول أن يطيعوا الله تعالى، فهو وحده المالك المطلق للخلق أجمعين، بما في ذلك أنفسهم .وبالمثل، عندما يُقرض شخص ما ممتلكاته لشخص آخر، فمن العدل أن يستخدم المُستعير الشيء وفقاً لرغبات مالكة الشرعي .في الحقيقة، كل نعمة أنعم الله تعالى بها على الناس في هذه الدنيا ليست هبة دائمة، بل هي قرض مُودع لديهم .وكما هو الحال في القروض الدنيوية، يجب سداد هذه الأمانة .إن السبيل الوحيد لردّها هو استخدام هذه النعم بما يرضي الله تعالى، كما هو مبين في القرآن ،الكريم والأحاديث النبوية الشريفة عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم .أما بركات الجنة، فهي ليست قروضاً بل عطايا أبدية .بمجرد منحها، تصبح ملكاً للمؤمن دون قيد، ويتمتع بها بحرية كما يشاء .هذا التمييز يُذكر الناس بأن بركات الدنيا أمانة يجب استخدامها بمسؤولية، بينما بركات الآخرة الأبدية هي مكافآت كرم خالص :سورة الأعراف، الآية 43 .من الله تعالى

"وقيل لهم: تلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون ..."

لذا، لا ينبغي للإنسان أن يخلط بين نعيم الدنيا الزائل - الذي يُمنح كقرض واختبار - ونعم الجنة الباقية فالملذات الدنيوية زائلة ومؤتمنة عليها إلى أجل مسمى، بينما ثواب الآخرة أبدي لا يفنى. إدراك هذا التمييز بقي المرء من التعلق بالملذات الدنيوية، ويوجه القلب نحو السعي لنيل النعم الباقية الموعودة في الجنة.

علاوة على ذلك، فإن أي كائن معرض للموت، أو يعتمد على شيء أو شخص آخر في وجوده وقوته، لا يمكن اعتباره إلهاً بحق. فالألوهية الحقيقية تقتضي الاستقلال المطلق، والوجود الأبدي، والتحرر من جميع أشكال الحاجة أو النقص. هذه الحقيقة وحدها كافية لاستبعاد كل كائن في السماوات والأرض من الألوهية إلا الله تعالى. فهو وحده الحي الذي لا يموت، الغني الذي لا يحتاج إلى أحد، بينما الخلق جميعاً في حاجة دائمة إليه. كل كائن آخر - سواء كان ملكاً أو نبياً، عليهم السلام، حاكماً، أو صنماً - فهو طارئ، تابع ومحدود. وبالتالي، فإن العبادة الموجهة إلى أي شيء سوى الله تعالى في غير محلها، لأنه وحده الذي يمتلك: سورة الأنبياء، الآيتان 25-26. صفات الألوهية الكاملة والسيادة المطلقة

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ "بَلْ هُمْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ"

بشكل عام، كان سبب انتشار المعتقدات الباطلة حول النبي عيسى عليه السلام هو ولادته المعجزة، ومعجزاته الخارقة، ومعرجه إلى السماء وهو حي. وقد أكد القرآن الكريم على معجزة ولادته، وصرّح بجلاء بوصوله: سورة آل عمران، الآية 47. إلى الدنيا بدون أب كدليل واضح على قدرة الله تعالى المطلقة

قالت مريم رضي الله عنها :يا رب أنى يكون لي ولد ولم يمسنني بشر؟ قال :كذلك الله يخلق ما يشاء، وإذا قضى أمرًا فإنما يقول له كن فيكون

خلق الله تعالى النبي عيسى عليه السلام بلا أب، كما خلق آدم عليه السلام بلا أب ولا أم .وهذا دليل على :سورة آل عمران، الآية 59 .قدرته وحكمته المطلقة، ولا يعني إطلاقًا أن أيًا منهما إلهي

"إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون"

من اللافت للنظر أن المسيحيين يدّعون أن النبي عيسى عليه السلام ابن الله تعالى، لأنه وُلد بلا أب، لكنهم لا يطبّقون هذا المنطق على النبي آدم عليه السلام، الذي خُلِق بلا أب ولا أم .وبمنطقهم، كان النبي آدم عليه السلام أحقّ بهذا اللقب، لكنهم لا يدّعون .يبرز هذا التناقض كيف يطبّق المنطق والعقل في حالة ويُهمل في حالة أخرى

.يُتَبَيَّن القرآن الكريم معجزات النبي عيسى عليه السلام، ولكنه يُؤكِّد أنها كانت بمشيئة الله تعالى وإذنه وأمره :سورة الأنبياء، الآية ٢٦

".وقالوا اتخذ الرحمن ولدًا، تعالى، بل هم عباد مكرمون "

لو كان النبي عيسى عليه السلام إلهًا، لما احتاج إلى إذن الله تعالى لإجرائها. لذا، فإن معجزاته آياتٌ على سورة آل عمران، الآية 49. عظمة الله تعالى، لا دليلًا على ألوهيته

واجعل عيسى عليه السلام رسولاً إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأبرئ الأكْمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تَأْكُلون وما...تدخرون في بيوتكم

بالإضافة إلى ذلك، يُقرّ المسيحيون بأن أنبياء آخرين عليهم السلام قد أجروا معجزات أيضاً - مثل العصا وشق البحر اللذين وهبا للنبي موسى عليه السلام. ومع ذلك، ورغم اعترافهم بهذه الآيات الخارقة للعادة، فإنهم لا يُنسبون الألوهية إلى هؤلاء الأنبياء عليهم السلام بسبب معجزاتهم. لذا، فمن غير المنطقي اعتبار المعجزات دليلاً على الألوهية في حالة نبي واحد عليه السلام، بينما يُنكر ذلك على غيره ممن أيدتهم الآيات المعجزة. بل إن المعجزات شهادة على صدق النبوة وقدرة الله تعالى الذي وهبها، وليست دليلاً على الألوهية. في الأنبياء عليهم السلام أنفسهم.

إن صعود النبي عيسى عليه السلام إلى السماء وهو حيٌّ دليلٌ جليٌّ على قدرة الله تعالى. فالله تعالى هو الذي رفعه وانطلق به في هذه الرحلة العجيبة، مُظهرًا بذلك سلطانه على الحياة والموت والخلق أجمعين. ولو كان النبي عيسى عليه السلام إلهيًا في ذاته، لما احتاج إلى تدخّل الله تعالى ليصعد، بل لتَمَّ ذلك بقدرته الذاتية. إن كون صعوده قد تمَّ بمشيئة الله تعالى وقدرته دليلٌ على أنه كان عبدًا ونبيًا لله تعالى، لا معبودًا. سورة آل عمران، الآية 55:

"...إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا"

يخبر القرآن الكريم المسيحيين أن النبي عيسى عليه السلام، خلافاً لاعتقادهم، لم يُصلب. بل إن من ظهر على الصليب لم يكن النبي عيسى عليه السلام، بل آخر خُلِقَ على شاكلته. وبحلول ذلك الوقت، كان الله تعالى قد رفع النبي عيسى عليه السلام إلى السماء، حامياً إياه من مكائد أعدائه. تُسلط هذه الرواية الضوء على حقيقتين أساسيتين: الأولى، أن الصليب لم يُصب النبي عيسى عليه السلام كما زعم؛ والثانية، أن صعوده كان تجلياً مباشراً لقدرة الله تعالى العليا وحمانيته. وهكذا، يُصحح القرآن الكريم المفهوم الخاطئ للصليب، ويؤكد: سورة النساء، الآيات 157-158. شرف الله تعالى وحفظه لأحد الأنبياء الكرام عليه السلام

وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صليوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً ولكن رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً

إن الاعتقاد المسيحي الخاطئ بأن النبي عيسى عليه السلام قد صُلب - أي قُتل - هو في حد ذاته اعتقاد متناقض، فالكائن الإلهي الحقيقي يتجاوز بكثير تجربة الموت. فإذا كان الكائن قادراً على الموت، فلا يمكن أن يكون إلهياً. وهكذا، فإن ادعائهم بشأن صلبه، في الواقع، يُقوّض ادعائهم بألوهيته، لأن قبول الموت ينفي جوهر الألوهية. فالألوهية بطبيعتها تتطلب استقلالاً مطلقاً واكتفاءً ذاتياً. فالكائن الإلهي قائم بذاته، لا يحتاج إلى شيء ولا أحد. وأي كائن يحتاج إلى رزق من غيره لا يمكن أن يكون إلهياً. كان كل من النبي عيسى عليه السلام وأمه المباركة مريم رضي الله عنها معتمدين على الله تعالى في رزقهما وبقائهما. وهذا الاعتماد بحد (سورة المائدة، الآية 75). ذاته دليل على أنهما لم يكونا كائنين إلهيين، بل كانا من عباد الله المكرمين.

ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صدوقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يُضلون

علاوة على ذلك، لا يمكن الادعاء بأن الملائكة تُعتبر إلهية بمجرد أنها لا تأكل. في الواقع، هم أيضاً يُرزقون من الله تعالى، وإن كان ذلك بطريقة مختلفة عن البشر. إنهم ليسوا مُكتفين ذاتياً، إذ يعتمدون على خالقهم في وجودهم ووظيفتهم. إن مجرد خُلِقوا وسيموتون في النهاية، كسائر المخلوقات، كافٍ لنفي أي ادعاء للألوهية.

كذلك، تنهار حجة الألوهية المنسوبة إلى النبي عيسى عليه السلام عند التدقيق. فالطفل البيولوجي يشترك حتمًا في بعض الصفات مع والده. أما النبي عيسى عليه السلام، فلا يشترك في أي صفات مع الله تعالى. فجميع صفاته بشرية: خُلِق، واحتاج إلى الطعام والشراب، وسيموت، وسيُبعث - كسائر البشر. هذه الصفات وحدها كافية لنفي أي ادعاء للألوهية.

علاوة على ذلك، لا ينطبق أيُّ من أسباب رغبة البشر في الإنجاب على الله تعالى. فالناس يطلبون الأبناء للدعم في الكبر، أو الميراث، أو الرفقة. والله تعالى غنيٌّ عن كل هذه الاحتياجات. فهو الحي القيوم، الغني. (سورة الإسراء، الآية ١١١). عن الخلق. وإن نسب إليه الولد فرض قيود بشرية على من هو في غاية الغنى.

"...الحمد لله الذي لم يتخذ ولدًا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الدن"

كان الرومان الذين اعتنقوا المسيحية لاحقًا هم من أدخلوا مفهوم ألوهية النبي عيسى عليه السلام في دينهم. لم يكن هذا المفهوم جزءًا من رسالته الأصلية، بل انتقل من تقاليدهم الوثنية السابقة. فقد أخذوا نبيًا كريمًا. مباركًا، صلى الله عليه وسلم، ووضعوه جنبًا إلى جنب مع خرافات وأساطير مثل زيوس وهيرقل وأودين، ومع ذلك، لا يتطلب الأمر سوى قدر ضئيل من المنطق السليم لإدراك أن الكائن المخلوق، الذي يُعيله غيره. والمعرض للموت، لا يمكن أن يكون إلهيًا، لأن هذه الصفات تتناقض مع جوهر الألوهية.

رغم الأدلة الدامغة على أن النبي عيسى عليه السلام كان رسول الله تعالى، إلا أن كثيرًا من المسيحيين لا يزالون متمسكين بمعتقدات خاطئة عنه. ومن أهم أسباب هذا التمسك التقليد الأعمى لأسلافهم. فهو يمنع الإنسان من فحص المعرفة والدليل بوضوح، ويثنيه عن التشكيك في المعتقدات والتقاليد التي نشأ عليها. وهذا السلوك يتناقض مع تعاليم الإسلام ومبادئ العقل، فالإنسان خُلِق بعقل ومسؤولية، لا كالبهائم التي تتبع

دون تفكير. لذلك، يجب على المرء دائماً تجنب التقليد الأعمى للآخرين، فهو من أهم أسباب الضلال. بل يجب على الناس استخدام عقولهم، وتقييم المعرفة والدليل في كل أمر - دنيوياً كان أم دينياً - ثم اتخاذ قرارات مستنيرة. حتى في الإسلام، يُنتقد التقليد الأعمى، لأن الله تعالى يريد من عباده أن يدرسوا تعاليمه ويفهموها: سورة يوسف، الآية 108. ويعملوا بها ببصيرة ويقين، لا بتقليد الآخرين دون تفكير.

"...قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني"

من الأسباب المهمة الأخرى لإصرار كثير من المسيحيين على إيمانهم بالنبي عيسى عليه السلام، رغم الدلائل القاطعة على صدقه كرسول الله تعالى، هو رغبتهم في إشباع شهواتهم الدنيوية. تُرَوِّج بعض العقائد المسيحية لفكرة أن النجاة في الدنيا والآخرة مضمونة لمن يعتنق المسيحية، مهما كانت أعماله. تُقدِّم هذه العقيدة مبرراً مناسباً للانغماس في ملذات الدنيا دون قيود، مع افتراض ضمان النجاة. ونتيجةً لذلك، يستمر كثيرون في التمسك بهذه المعتقدات، ليس سعياً صادقاً وراء الحقيقة، بل لأنها تُمكنهم من تقديم شهواتهم الدنيوية على الخضوع لقواعد سلوكية أسمى. سورة الأنبياء، الآيات 26-28

بل هم عباد مكرمون، لا يسبقونه قولاً، وهم بأمره عاملون، يعلم ما بين أيديهم وما بعدهم، ولا ، تعالى يشفعون إلا لمن يرضى، وهم من خشيته مشفقون

في المقابل، يدعو الإسلام البشرية إلى إدراك أن كل نعمة من الله تعالى أمانة، وأن النجاة الحقيقية تقتضي الشكر والانضباط وحسن استخدام هذه النعم وفق الهداية الإلهية. وهكذا، فإن السعي وراء الشهوات الجامحة يُصبح عائقاً أمام الحقيقة، بينما الطاعة الصادقة لله تعالى هي السبيل الوحيد لراحة البال في الدنيا والفلاح خلال تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، ومن خلال حسن توزيع كل شيء وكل الأبدى في الآخرة، من شخص في حياتهم.

من المهم أيضاً ملاحظة أنه مع أن الشفاعة ستقع يوم القيامة - بإذن الله تعالى - فلا ينبغي الاستهزاء بأهميتها فالاستهزاء بها قد يؤدي إلى حرمان من هذه الرحمة الإلهية. وكثيراً ما ينشأ الاستخفاف بمفهوم الشفاعة من الرضا بالقدر، حيث يفشل الفرد في استخدام النعم الممنوحة له وفقاً للمبادئ الإسلامية، ومع ذلك يتوقع النجاة من خلال تدخل الآخرين، مثل الأقارب أو الشخصيات الروحية. في الواقع، قد يجد الشخص الذي يسخر من: سورة الفرقان، الآية 30. الشفاعة بهذه الطريقة أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم يشهد عليه يوم القيامة

"وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً"

هذه الآية خاصة بالمسلمين، فهم الأمة الوحيدة التي أقرّت بالقرآن الكريم واعتنقته. أما غير المسلمين، فلا يُوصفون بالتخلي عنه لعدم قبولهم هدايته. وعاقبة كل مسلم يشهد عليه النبي محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة واضحة.

علاوة على ذلك، يجب على من يرجو شفاعة الصالحين، كالنبي محمد صلى الله عليه وسلم، أن يسلك في سيرتهم التي كانت مبنية كلياً على عبودية الله تعالى. سورة الأنبياء، الآية ٢٨

"ولا يشفعون إلا لمن ارتضى، وهم من خشيته مشفقون..."

يتضح من سيرة الصالحين، وفي مقدمتهم النبي محمد صلى الله عليه وسلم، أن من يقبل عبوديته لله تعالى حق قبوله، لا يسعى وراء ملذاته في الدنيا، ولا يسعى وراء رضا الناس الزائل، ولا وراء فتن الموضة والثقافة ووسائل التواصل الاجتماعي، بل غايته الدائمة رضا مولاه الله تعالى. وتتجلى هذه العبودية عملياً عندما يستغل

المؤمن النعم التي وهبه إياها وفق هدي الإسلام، لا أن يستغلها وفق أهوائه. بل إن العبد لا يتمنى رضا الآخرين، بل يتمنى أن يسعى الناس لرضا الله تعالى. وأخيرًا، يدرك العبد الحق أن كل ما يملكه - بما في ذلك حياته - قد خلقه الله تعالى ووهب له إياه. وبذلك، يُقر بأن هذه النعم ليست ملكًا له، بل هي أمانة في عنقه. لذا يجب استخدامها استخدامًا صحيحًا ومسؤولًا، كما هو مبين في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. باتباع هذا النهج، يصل الإنسان إلى حالة نفسية وجسدية متوازنة، ويستطيع أن يضع كل شيء وكل. وسلم شخص في حياته على الوجه الصحيح. وفي الوقت نفسه، يستعد جيدًا للحساب يوم القيامة. وهذا السلوك يؤدي بطبيعة الحال إلى راحة البال والرضا الحقيقي في الدنيا والآخرة.

في المقابل، من يتبنى عقلية السيد، يوجه حياته نحو إشباع رغباته، حتى لو تطلب ذلك معصية الله تعالى. يتصرف هذا الشخص كما لو أن النعم التي وهبت له ملك خاص، يتصرف بها كيفما يشاء دون حساب ينسى أنها في الحقيقة أمانة من الله تعالى، وأنه سيُسأل عنها يوم القيامة. تتجلى هذه العقلية أيضًا في علاقاته مع الآخرين. فبدلاً من أن يطلب من الناس إرضاء الله تعالى، يسعى إلى وضع نفسه في مركز الاهتمام، مطالباً الآخرين بالسعي وراء سعادته ورضاه. حتى لو لم يُصرّح بذلك صراحةً، فإن أفعاله تكشف عن حقيقته: إنه يرغب في أن يُطاع ويُعجب به، بل ويُبجل، كما لو كان هو نفسه جديرًا بالعبادة. هذا السلوك هو شكل خفي من أشكال الغرور وعبادة الذات. إنه يعكس موقف من جعلوا أنفسهم منافسين لله تعالى، مطالبين بالطاعة والولاء الذي لا يملكه إلا هو. في الواقع، يؤدي هذا الطريق إلى فساد القلب وإساءة استخدام النعم التي وهبت ونتيجة لذلك، سيقع هؤلاء الأفراد حتمًا في حالة من عدم التوازن، عقليًا وجسديًا. سيخطئون في ترتيب لهم سيؤدي هذا إلى التوتر والمشقة. أولوياتهم، ويعطون أهمية مفرطة لما هو زائل ويهملون ما هو أبدي والصعوبة في هذه الدنيا. حتى لو تمتعوا مؤقتًا ببعض الرفاهية الدنيوية، فلن تحميهم هذه الراحة الزائلة من الاستعداد الكافي لحسابهم يوم القيامة اضطراب داخلي في هذه الحياة. وبما أن هذا الموقف يمنعهم من، فسيكون عقابهم في الآخرة أشد بكثير. سورة طه، الآية 29

"ومن يقل منهم إني إله من دونه فنجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين"

ثم يحث الله تعالى الناس على قبول الحقّ بذكر بعض الآيات الدالة على وحدانيته، فيطيعوه بحسن استغلال نعمه كما وردت في التعاليم الإسلامية، فيتحقق بذلك راحة البال في الدنيا والآخرة، وذلك بتوازن حالتهم النفسية والجسدية، وحسن وضع كل شيء وكل شخص في حياتهم). سورة الأنبياء، الآية 30)

"أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا"

وقد يُفهم من هذا إشارة إلى كيفية فصل الله تعالى بين السماوات والأرض برفع السماء كظلة على الأرض:
بلا عمد ظاهرة .سورة الرعد، الآية ٢

«...الله الذي رفع السماء بغير عمد ترونها»

في بناء أي بناء، حتى لو كان بسيطًا، يلزم وضع دعائم كالأعمدة بعناية للحفاظ على سلامته وثباته. تتطلب هذه العملية تفكيرًا وتخطيطًا ودقة. فإذا كان هذا صحيحًا بالنسبة لبنية بشرية بحتة، فكيف يُمكن للمرء أن يدّعي منطقيًا أن السماوات والأرض - الواسعتان والمعتدتان والمتوازنتان تمامًا - وُجدتا صدفة؟ لو كان خلقهما صدفة، لكان بناؤهما حتمًا يكشف عن عيوب وعدم استقرار ونقص. لكن ما يُلاحظ هو العكس: عالم، من التناغم والنظام والتوازن، يشهد بوضوح على التخطيط المتعمد والدقيق للخالق، الله تعالى .سورة الملك:
الآيتان 3-4

الذي خلق سبع سماوات طباقًا لا ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فواصل ثم "
"ارجع البصر مرتين ينقلب إليك البصر خاشعًا وهو كلول

علاوة على ذلك، فإن كمال هذا الخلق نفسه يدحض فكرة تعدد الآلهة. فلو كان هناك أكثر من إله مسؤول عن السماوات والأرض، لنشأ الصراع والفوضى، لأن كلاً منهم كان يرغب ويطالب بشيء مختلف. إن غياب هذا الاضطراب، ووجود التناغم التام، دليل قاطع على أن الكون من صنع خالق واحد لا غيره - الله تعالى. سورة الأنبياء، الآية 22

"وَلَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا"

- علاوة على ذلك، فإن فصل السماء عن الأرض، مع رفع السماء كغطاء واقٍ، مكن من تكوين دورة المياه وهو نظام تعتمد عليه جميع أشكال الحياة. سورة الأنبياء، الآية 30

"وجعل من الماء كل شيء حي؟"

هذه الآية بيانٌ. أثبت العلم هذه الحقيقة بعد سنوات من نزولها، وهي حقيقةٌ كانت آنذاك تتجاوز إدراك الناس لحقيقةٍ ودليلٍ عميقٍ على وجوده وقدرته. تُذكر البشرية بأن أساس الحياة هو الماء، وأن جميع الكائنات الحية بشراً وحيواناً ونباتاً - تعتمد عليه في البقاء. يُظهر هذا الاعتماد أن الخلق ليس مكتفٍ بذاته، بل يعتمد كلياً - على رزق الله تعالى المستمر. إن تناغم دورة الماء - التبخر، والتكثيف، وهطول الأمطار، والامتصاص دقيقٌ للغاية، لدرجة أن أدنى تغييرٍ فيه كفيلٌ بدمار الحياة على الأرض. هذا التوازن دليلٌ واضحٌ على تخطيطٍ مُدبرٍ، لا محض صدفة. لذا، تُعدّ الآية دحضاً للإلحاد والشرك، لأنه إذا كانت الحياة نفسها تنبع من الماء وكان الماء خارجاً عن سيطرة الإنسان، فإن الإيمان بخالق هو الاستنتاج العقلي الوحيد. كما أن كمال هذا النظام ينفي إمكانية تعدد الآلهة، إذ لا يمكن لمثل هذه الوحدة والنظام أن يوجدوا وسط إراداتٍ متضاربة. يؤكد العلم الحديث أن جسم الإنسان يتكون في معظمه من الماء، وأن الماء ضروري لوظائف الخلايا. هذا التوافق بين الوحي والواقع الملموس يُظهر حقيقة القرآن الكريم الخالدة. فكما أن الماء يُغذي الحياة الجسدية، فإن الوحي الإلهي يُغذي الحياة الروحية؛ وبدونه، تذبل الروح كما يهلك الجسد بدون ماء. وهكذا، فإن الآية ليست مجرد وصف لأصل الحياة، بل هي دلالة تُشير مباشرةً إلى وجود الله تعالى وحكمته وتأثيره. إنها تدعو

البشرية إلى التفكير، وترك الكفر، والاعتراف بأن من خلق الحياة من الماء هو وحده المستحق للعبادة. سورة الأنبياء، الآية 30

"أفلا يؤمنون؟ ..."

ولأن الأرض تدور باستمرار بسرعة فائقة، خلقت الجبال أوتادًا تثبت الأرض، مما يسمح للحياة بالازدهار عليها. سورة الأنبياء، الآية 31

"وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم"

تؤدي الجبال دورًا حيويًا في استمرار الحياة على الأرض. فهي تحتفظ بالأمطار الحمضية وتُنقيها، مما يضمن ملاءمتها للزراعة والشراب وتغذية الإنسان والحيوان. ومن هذه الجبال تتدفق الأنهار والجدول، موزعة بشكل استراتيجي عبر الأرض، موفرة مصدرًا ثابتًا للمياه العذبة النقية. هذا النظام ليس عشوائيًا، بل يعكس تصميمًا مدروسًا يُحافظ على الخلق. فتكوين الأرض نفسها متوازن تمامًا. فقد خلقت بطريقة تُمكن الناس من زراعة المحاصيل والبناء عليها في آن واحد. عند ملاحظة تنوع المناظر الطبيعية، سيلاحظ المرء اختلاف الارتفاعات. يصعب السكن في المناطق المرتفعة نظرًا لصعوبة الوصول إليها وقلة مستويات الأكسجين ومع ذلك، فإن الغالبية العظمى من سطح الأرض تقع على ارتفاع مثالي، مما يجعلها مناسبة ومفيدة للحياة البشرية. علاوة على ذلك، في حين أن بعض مناطق العالم يصعب الوصول إليها طبيعيًا، مما يمنع الناس من استغلال جميع مواردها، فقد صُممت غالبية الأرض لتكون سهلة العبور والاستخدام. يضمن هذا التوازن الحفاظ على بعض المناطق وإمكانية الوصول إلى مناطق أخرى، مما يُشير مرة أخرى إلى حكمة الخلق. علاوة على ذلك، صُممت الأرض بحيث تكون الموارد الأساسية اللازمة لبقاء الإنسان في متناول اليد. فالماء والهواء والتربة ومصادر الغذاء الأساسية وفيرة وفي متناول اليد، بينما غالبًا ما تُدفن مواد أقل ضرورة أو ضررًا في أعماق الأرض أو توضع في مواقع تتطلب جهدًا للوصول إليها. لا يعكس هذا الترتيب الصدفة بل تخطيطًا دقيقًا ورحمة. عندما يتأمل المرء هذه الجوانب - الجبال، ودورة المياه، وتوازن الأرض، وإمكانية

الوصول إلى الموارد، وملاءمة الأرض للسكن - يتضح أن هذا الانسجام لا يمكن أن يكون نتيجة صدفة أو صدفة. بل هو آية جلية من آيات الخالق، الله تعالى، الذي تتجلى حكمته وقدرته ورحمته في كل تفاصيل العالم الطبيعي. سورة الأنبياء، الآية 31

"وجعلنا فيها فجواباً لعلهم يهتدون "

كما ذكرنا سابقاً، رُفعت السماء فوق الأرض، فصارت سقفاً واقياً لها. سورة الأنبياء، الآية 32

"وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً "

حتى لو كان بناء بسيط يتطلب أعمدةً ودعاماتٍ وتخطيطاً دقيقاً لضمان القوة والسلامة، فإنه من غير المعقول أن نتصور أن السماوات والأرض الواسعتين قد وُجدتا صدفة. فالبناء الذي شُيّد دون تخطيط سينهار لضعفه وعدم استقراره، بينما يعمل الكون بتوازن ودقة لا تشوبهما شائبة. هذا الكمال يُشير بوضوح إلى التصميم (سورة الأنبياء، الآية 32). والتخطيط المدروس للخالق، الله تعالى

"وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً "

علاوة على ذلك، يمكن فهم هذا أيضاً على أنه إشارة إلى الغلاف الجوي، الذي صممه الله تعالى بإتقان لحماية الأرض وسكانها. فهو بمثابة درع يحميها من الإشعاعات الضارة القادمة من الشمس، وينظم درجة الحرارة

ويحرق عددًا لا يُحصى من الأجسام الغريبة قبل أن تصطدم بالأرض. لولا هذا الغطاء الواقي، لما كانت الحياة ممكنة. والجدير بالذكر أن هذه الحقائق العلمية لم تُكتشف إلا بعد قرون من نزول القرآن الكريم. ومع ذلك، فقد لفت القرآن الكريم الانتباه إلى السماء كسقف واقٍ، آية للمتأملين. هذا التناغم بين الوحي والاكتشافات اللاحقة هو في حد ذاته دليل على المصدر الإلهي للقرآن الكريم، ودليل واضح على حكمة الله تعالى وقدرته، تُذكر هذه الآيات البشرية بأن الكون ليس وليد الصدفة أو المصادفة، بل هو تصميم مدروس. فالغلاف الجوي كسائر جوانب الخلق، يشهد على وجود الخالق، الله تعالى، وتأثيره، ورحمته، ومع ذلك يتجاهل كثير من الناس هذه الآيات وغيرها، لأن طاعة الله تعالى تتعارض مع شهواتهم الدنيوية. سورة الأنبياء، الآية 32

"ولكنهم عن آياته معرضون ..."

تُعدّ هذه الآية تذكيرًا قويًا بعدم الانشغال بالنفس في الحياة، حيث يقتصر اهتمام المرء على ظروفه، عمومًا الشخصية ويتجاهل الحقائق الكبرى المحيطة به. هذه النظرة الضيقة تُعمي القلب عن إدراك الحكمة التي يمكن استخلاصها من التاريخ، ومن التجارب الشخصية، ومن تجارب الآخرين. إن التأمل في هذه الدروس من أضمن الوسائل لصقل الشخصية، وتجنب تكرار الأخطاء، وتحقيق السلام الداخلي الدائم من خلال تحقيق، على سبيل المثال. التوازن النفسي والجسدي، ووضع كل شيء وكل شخص في مكانه الصحيح في الحياة، فإن ملاحظة كيف يُسيء الأثرياء والمشاهير استخدام النعم التي مُنحوها - ليُصابوا بالقلق والاكتئاب والإدمان أو حتى بالانتحار رغم ما لديهم من ملذات دنيوية - تُظهر أن السكينة الحقيقية لا تُشتري بالثروة ولا تُؤمّن بالشهوات الجامحة. كذلك، فإن مشاهدة معاناة المصابين بالمرض تُلهم المرء الامتنان لصحته وتُلهمه على استخدامها بشكل صحيح قبل أن تزول. لذا، يدعو الإسلام الناس إلى اليقظة والتفكير، والنظر إلى ما وراء العدسة الضيقة لحالتهم، واستخلاص الحكمة من العالم من حولهم. وبذلك، يُنمّون الامتنان والتواضع وحسن التدبير، مُدركين أن كل ظرف - سواء كان يسرًا أم عسرًا - هو آية من الله تعالى، تهدف إلى هدايتهم إلى الحق والتوازن والتوفيق في الآخرة، من خلال تحقيق حالة ذهنية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في حياتهم على النحو الصحيح.

يضمن مسار الشمس حصول الأرض على قدر متوازن تمامًا من الضوء والظلام. ويتيح تعاقب الليل والنهار، إلى جانب اختلاف أطوالهما على مدار العام، للبشر الاستفادة القصوى منهما. فإذا طالت الأيام أكثر من اللازم عانى الناس من التعب والإرهاق نتيجة ساعات العمل الطويلة. وعلى العكس، إذا طالت الليالي، فلن يتوفر

وقت كافٍ لكسب عيشهم أو الانخراط في أنشطة مفيدة كالعلم والتعلم. ومن ناحية أخرى، إذا قصرت الليالي. حُرِّم الأفراد من الراحة اللازمة للحفاظ على صحتهم وقوتهم. ويمتد هذا التوازن أيضًا إلى الزراعة والغذاء فأَيُّ تغيير في طول الليل والنهار من شأنه أن يُعطل نمو المحاصيل، مما يؤدي إلى عواقب وخيمة على البشر والحيوانات. وللقمر أيضًا دور حيوي في هذا النظام. فبانعكاسه ضوء الشمس، يُنير الليل، ويرشد المسافرين عبر الصحاري والمحيطات - وهي رحلات لطالما كانت ضرورية للتجارة ونقل البضائع. تُنظَّم أطوارها حركة المد والجزر في البحار والمحيطات، وهي حركةٌ بالغة الأهمية للحفاظ على التوازن البيئي. وأَيُّ خللٍ في هذه الحركة سيُلحق ضررًا واسع النطاق بالنظم البيئية والحياة البشرية على حدٍ سواء. علاوةً على ذلك تُعدُّ الشمس والقمر مقياسين طبيعيين للزمن، يُمكنان البشر من تنظيم حياتهم وفصولهم وعباداتهم. هذا التوازن الدقيق وموقع الشمس والقمر في النظام الشمسي لا يُمكن أن يكونا وليدَ صدفة، بل هو دلالةٌ جليةٌ على حكمة (سورة الأنبياء، الآية 33، سورة 21). الخالق، الله تعالى، وقدرته، وتأثيره، الذي سخرهما لخير خلقه.

"...وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر"

لا تتبع الشمس والقمر مسارًا دقيقًا حدده الله تعالى لهما فحسب، بل يتحرك كل كوكب ونجم في هذا الكون الشاسع في مسار ومدار محددين. يُظهر هذا النظام الكوني انسجامًا وتوازنًا على نطاق يفوق الفهم البشري. هذا الانسجام بعيد كل البعد عن فكرة الأحداث العشوائية أو الصدفة العمياء، كما تدَّعي نظريات مثل الانفجار العظيم عندما تُقدم على أنها حادثة دون إرادة إلهية. إن التناسق التام للأجرام السماوية - التي لا تصطدم أبدًا: ولا تحيد عن مساراتها المحددة - يدل بوضوح على يد خالق. سورة يس، الآية 40

"لا الشمس ينبغي أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار بل كل في فلك يسبحون"

تؤكد هذه الآية أن نظام السماوات ليس اعتباطيًا، بل هو قدر إلهي. وعندما يتأمل المرء اتساع الكون، ودقة مدارات الكواكب، وثبات النجوم، يتضح أن هذا التوازن لا ينشأ من الفوضى. بل هو دليل واضح على حكمة الله تعالى وقدرته وسلطانه، الذي سخر الكون كله لأمره. سورة الأنبياء، الآية 33)

"كل [الأجرام السماوية] في مدار تسبح ..."

،في الواقع، إن من يتأمل بإخلاص هذه الأنظمة المتوازنة تمامًا - تعاقب الليل والنهار، وتناغم الشمس والقمر وثبات الجبال، ودقة دورة المياه، وسهولة الوصول إلى الموارد الأساسية - لا يمكنه أن ينكر منطقيًا وجود خالق واحد قادر على كل شيء. ويشير القرآن الكريم مرارًا وتكرارًا إلى هذه الآيات، ليس كعجائب مجردة بل كأدلة حية على الحكمة الإلهية والسلطان. سورة آل عمران، الآية ١٩٠

"إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب"

تُذكر هذه الآيات البشرية بأن نظام الكون وتناغمه ليسا وليد الصدفة، بل هو تصميم مُدبّر. هذا التوجيه يوجّه الإنسان إلى تأمل الآيات في العالم الطبيعي، مما يؤدي حتمًا إلى إدراك وجود الخالق وقدرته ووحدانيته. وهكذا، فإن النتيجة المنطقية للتأمل هي وحدانية الله تعالى، الذي وحده يديم ويحكم كل شيء. إن إنكار هذه الحقيقة في مواجهة هذه الأدلة الدامغة هو إعراض عن العقل والوحي

ولكن بما أن قبول هذه الحقيقة وطاعته تعالى، بالتصرف الصحيح في النعم الممنوحة كما وردت في التعاليم الإسلامية، غالبًا ما يتعارض مع رغبات الناس وطموحاتهم الدنيوية، فإن كثيرًا منهم يتجاهلون التعاليم الإسلامية، تمامًا كما فعل قادة غير المسلمين في مكة. لقد اعتقدوا خطأً أنه إذا مات النبي محمد صلى الله عليه وسلم أو قُتل، فإن الإسلام، الذي كان يتحدى رغباتهم الدنيوية وطموحاتهم في القيادة والثروة، سيزول. (سورة الأنبياء، الآية 34، سورة 21)

جعلنا لأحد من قبلك الخلود فإن مت هل هم خالدون وما

لكنهم لم يدركوا أنه حتى لو انطفأ نور الإسلام، فسيظل كل إنسان يواجه عواقب أفعاله في الدنيا والآخرة، إذ لا مفر من تدبير الله تعالى. وبوجه عام، إذا أصرَّ المرء على معصية الله تعالى، بإساءة استخدام النعم التي وهبَتْ له، فإنه سيُصاب بحالة نفسية وجسدية غير متوازنة، وسيُسيئ توزيع كل شيء وكل شخص في حياته. وهذا سيؤدي إلى التوتر والمتاعب والصعوبات، حتى لو تمتع ببعض الرفاهية الدنيوية. وبما أن هذا الموقف يمنعهم من الاستعداد للحساب يوم القيامة، فسيأتيهم الموت وهم غير مستعدين، فالموت وبلوغ الحساب: قدرٌ لا مفر منه. سورة الأنبياء، الآية 35

"...كل نفس ذائقة الموت"

الموت آتٍ لا محالة، وإن كان وقته مجهولاً. لذا، من المنطقي أن يُقدِّم المؤمن بالآخرة الاستعداد لها على الاستعداد لأمر قد لا تقع، كالزواج والأبناء والتقاعد. لكن من العجيب أن كثيراً من الناس يتبنون عقلية معاكسة، مع إقرارهم بأن الدنيا فانية، بينما الآخرة باقية لا مفر منها. فمهما تصرف المرء، سيُحاسب على أعماله. لا ينبغي أن يظن المرء أنه يستطيع تأجيل الاستعداد للآخرة إلى وقتٍ لاحق، فهذا لا يؤدي إلا إلى مزيد من التأجيل حتى يأتي الموت فجأةً، فيتركه في ندمٍ لا ينفع.

يجب ألا يندفع الإنسان بحقيقة أن المرء غالباً ما يحصل على فرص ثانية في أمور الدنيا، ثم يطبق هذا الموقف نفسه على الموت. فعندما يحين الموت، لا توجد فرص ثانية ولا تأخير. يجب على المرء أن يتذكر دائماً أنه من عاش في غفلة عن الموت والآخرة، فسوف يموت على تلك الحال. ومن مات في غفلة، سيُبعث على الحال نفسها. ومن غير المرجح أن ينال مثل هذا الإنسان ما يصبو إليه يوم القيامة. وقد دلت على هذه الحقيقة حديث في صحيح مسلم، رقم 7232

كما تشير الآية ٣٥، فإن المهم ليس حتمية الموت نفسه، بل اجتياز اختبار الحياة الدنيا من عدمه. سورة الأنبياء، الآية ٣٥

"...كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة "

إن اختبار الحياة يكمن في حسن استخدام المرء للنعم التي أنعم بها عليه، كما وردت في التعاليم الإلهية، في كل حال، كالرخاء والشدة. لذا، يجب على المرء أن يتحلى بالخلق القويم، فيشكر الله في الرخاء، ويصبر في الشدة. ويُظهر الشكر في النية بالعمل خالصًا لوجه الله تعالى، دون طلب جزاء أو ثناء من الخلق. ويُظهر الشكر في القول، فيحسن النطق بالخير والنفع والصدق، أو يسكت عن الكلام الذي لا فائدة فيه. ويُظهر الشكر في العمل، فيستخدم كل نعمة أنعم الله بها عليه بما يرضي الله تعالى، وفقًا لهدى القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. فالشكر في النية والقول والعمل، يكون سببًا في جلب المزيد من النعم، ويؤدي إلى راحة البال، وطمأنينة القلب، والفلاح في الدنيا والآخرة. بالشكر، يُحقق الإنسان التوازن في حالته النفسية والجسدية، ويتعلم كيف يُقيّم كل شيء وكل شخص في حياته بشكل صحيح، مُدرّكًا أن جميع النعم أمانات من: سورة إبراهيم، الآية 7. الله تعالى، ليُستخدمها وفق مشيئته

لئن شكرتم لأزيدنكم

الصبر يعني أيضًا كَفَّ الشكوى بالقول أو الفعل، والثبات على طاعة الله تعالى. وهو يقتضي يقينًا راسخًا: سورة البقرة، الآية ٢١٦. بأن ما يقضيه الله تعالى هو في النهاية للخير، وإن لم تتضح حكمته للعبد فورًا

"وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ..."

،الصبر الحقيقي ليس استسلامًا سلبيًا، بل هو حالة توكل واستسلام فاعل، يُداوم فيها المرء على أداء الواجبات والامتناع عن المحرمات، وتحمل المحن بكرامة وهدوء . وهكذا، يصبح الصبر عبادةً ووسيلةً لنيل راحة البال في الدنيا والآخرة

لذلك، من سعى للصواب في كل موقف، ينال عون الله تعالى ورحمته الدائمة . هذا العون الإلهي يجلب راحة البال في الدنيا والآخرة، ويُمكن الإنسان من تحقيق التوازن في حالته النفسية والجسدية، ووضع كل شيء وكل شخص في حياته على الوجه الصحيح . وقد أكد هذا الحديث الصحيح في صحيح مسلم، رقم 7500

من لم يفهم اختبار الحياة الدنيا ولم يتجاوب معه بإيجابية، لن يُظهر الشكر أو الصبر، بل يُصرّ على إساءة هذا سيمنعه من تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، وسيُسيء ترتيب أولوياته . استخدام النعم التي مُنحت له وعلاقاته في حياته . ونتيجةً لذلك، ستتحوّل جميع جوانب حياته، بما في ذلك الروابط العائلية والصداقات الشخصية والمهنية والأصول المالية، حتّى إلى مصادر ابتلاءات كبيرة . إذا استمر الفرد في تجاهل طاعة الله تعالى، فسيُسيء دائماً نسب أسباب محنته، وغالبًا ما يُلقي باللوم على أطراف بريئة، مثل الزوج/الزوجة ويُفترض أن يؤدي قطع العلاقات اللاحقة مع الأشخاص المستفيدين إلى تفاقم الحالات النفسية القائمة، مما يُفضي إلى اضطرابات نفسية حادة، بما في ذلك الاكتئاب السريري، وإدمان المخدرات، والأفكار الانتحارية تتجلى هذه النتيجة جليةً من خلال ملاحظة أفرادٍ يُسيئون استخدام النعم المُنعم بها باستمرار - كمن ينعمون بالرخاء الدنيوي والسمعة العامة - رغم تمتعهم بالرفاهية المادية . علاوةً على ذلك، ولأن هذا الموقف السلبي قد أحبط الاستعداد الضروري ليوم القيامة، فإن العقاب في الآخرة سيكون أشد وطأةً بكثير

،ولما كان الله تعالى مطلعًا على نوايا العباد وأقوالهم وأفعالهم، فإنه يعلم من يشكر ويصبر ومن لا يشكر ،فيحاسب كل ذي حقٍ على ذلك) . سورة الأنبياء، الآية 35)

"وإِنَّا تُرْجَعُونَ"

خوفًا من فقدان نفوذهم الاجتماعي وقيادتهم مع ظهور الإسلام، استخدم زعماء غير المسلمين في مكة أساليب عديدة لثني الآخرين عن اعتناق الإسلام . على سبيل المثال، كانوا يسخرون علنًا من النبي محمد صلى الله عليه وسلم ويسبونونه، وينتقدون تحديه لعاداتهم القديمة في عبادة الأصنام الجامدة .سورة الأنبياء، الآية 36

"وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذوك إلا هزوا لهذا الذي يذكر ألهتكم"

سعوا لإقناع الناس بالتمسك بدينهم الموروث بالقول :كيف يُضلل مجتمعهم وقد سلكت أجيالٌ كثيرةٌ سبقتهم الدرب نفسه؟ ومع ذلك، من الضروري إدراك أن الرأي السائد أو رأي الأغلبية داخل المجتمع ليس بالضرورة صحيحًا .يُقدم التاريخ أمثلةً لا تُحصى على معتقداتٍ راسخةٍ ثبت خطئها لاحقًا عند مواجهتها بأدلةٍ ومعارفٍ جديدةٍ، مثل الاعتقاد السائد سابقًا بأن الأرض مسطحة .لذا، من الضروري تجنب السلوك كالقطيع الجاهل والانقياد الأعمى للأغلبية دون تفكير أو تمييز .غالبًا ما يؤدي هذا الانقياد إلى خياراتٍ خاطئةٍ في أمور الدنيا والديانة .سورة الأنعام، الآية 116 .والديانة

"وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يظنون"

بدلاً من ذلك، ينبغي على الأفراد استخدام ما وُهب لهم من عقلٍ وحكمة لتقييم كل ظرفٍ بعناية في ضوء المعرفة والدليل. هذا يُمكنهم من اتخاذ قراراتٍ مدروسةٍ ومبدئية، حتى عندما تتعارض هذه القرارات مع الآراء السائدة للأغلبية. إن التقليد الأعمى، دون تدبرٍ أو فهم، غالباً ما يؤدي إلى الخطأ والضلال. لهذا السبب ينتقد الإسلام بشدة التقليد الجاهل للآخرين في أمور الإيمان والممارسة، ويدعو الناس بدلاً من ذلك إلى التعلم، والتأمل والعمل بتعاليمه بوضوح وفهم. وبهذه الطريقة، لا يركز إيمان المرء على العادة أو العرف الموروث، بل على الاقتناع والطاعة الواعية لله تعالى. سورة يوسف، الآية 108

"...قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني"

في الواقع، كل من ينحرف عن قواعد السلوك الإسلامية ويتبنى قواعد سلوكية من صنع البشر إنما يفعل ذلك إشباعاً لرغباته الدنيوية، لأن هذه الأنظمة متجذرة في نهاية المطاف في أهواء البشر وميولهم. وغالباً ما يكون الأغنياء والأقوياء أكثرهم رسوخاً في هذه العقلية، إذ يدركون أن قبول حقيقة الإسلام سيُلزمهم بالخضوع لإطار أخلاقي محدد، مما يحد من سعيهم وراء طموحاتهم الضالة. وخوفاً من فقدان نفوذهم وسلطتهم، لا يكتفون بمعارضة الحقيقة بأنفسهم، بل يسعون أيضاً لإقناع الآخرين باتباعهم. ويشهد التاريخ أن هذا هو سبب كون الأغنياء وأصحاب النفوذ غالباً ما كانوا أول من رفض وعارض الأنبياء عليهم السلام. لم يكن معارضتهم نابعة من تقييم حقيقي لصواب الإسلام أو خطأه قائم على أدلة دامغة، بل رغبوا في الحفاظ على مكانتهم الدنيوية والانغماس في شهواتهم دون قيود. وهكذا، لم يكن رفضهم موقفاً فكرياً، بل كان مظهرًا من مظاهر الرغبة الجامحة. سورة الأنبياء، الآية 36

"وهم عند ذكر الرحمن كافرون..."

من الأساليب الأخرى التي استخدمها زعماء غير المسلمين في مكة لثني الآخرين عن اعتناق الإسلام، خوفاً من فقدان نفوذهم الاجتماعي وقيادتهم، طلب معجزات محددة من النبي محمد صلى الله عليه وسلم. سورة الأنبياء، الآية 37

"خُلِقَ الْإِنْسَانُ عَجَلًا سَأَرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَعْجَلُونِ "

إن الدور الأساسي الموكل إلى النبي الكريم، عليه السلام، هو تبليغ الوصايا الإلهية للبشرية، وإرساء قدوة حسنة لجميع الناس. لم تكن مهمتهم قط مجرد القيام بمآثر خارقة للطبيعة تُدهش الناظرين، بل كان هدفهم الأساسي هداية البشرية نحو معرفة الله تعالى وطاعته. لم تكن المعجزات التي أنعم الله بها عليهم أهدافاً مستقلة، بل كانت أدواتٍ لتأكيد صحة نبوتهم. اقتصرَت هذه الأحداث المعجزة على أزمنة وأماكن محددة، صُممت لتقديم دليل مباشر لمعاصريهم. وهكذا، اقتصر تأثيرها في بثّ القناعة على من شهدوها مباشرةً. أما بالنسبة لمن جاء بعدهم، فلم تكن هذه المعجزات إلا روايات تاريخية - جديرة بالاحترام، لكنها غير كافية بحد ذاتها لغرس الإيمان في نفوس المتشككين أو لرفع اليقين الروحي لدى المتدينين.

في المقابل، يُعدّ القرآن الكريم، إلى جانب أحاديث النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم الشريفة، معجزةً خالدةً وعالمية. هذه المعجزة الخالدة والحية لا تحدها زمان ولا مكان، بل تستمر في إنارة قلوب وعقول الناس عبر الأجيال. ولذلك، فهي تفوق جميع معجزات الأنبياء السابقين عليهم السلام في الأهمية والتأثير. لقد حيرت بلاغة القرآن الكريم ودقته وعمقه الفائق أبرع أساتذة اللغة العربية من مشركي مكة، الذين أدركوا فوراً أن هذا التأليف لا يمكن أن يكون من صنع البشر. علاوة على ذلك، كان هؤلاء أنفسهم يعرفون النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم أربعين عاماً قبل بعثته، وكانوا على دراية تامة بأمانته التي لا تشوبها شائبة، واستقامته الأخلاقية، ونزاهته - وهي صفات جعلت من المستحيل عليه أن يفترى أو ينسب القرآن الكريم إلى نفسه. سورة يونس، الآية 16:

"لأنني عشت بينكم عمراً قبل ذلك. أفلا تعقلون؟..."

إن عدم تفاعل النبي محمد صلى الله عليه وسلم مع الكتب السماوية السابقة - وهي حقيقة يُقر بها أهل الكتاب وغير المسلمين في مكة - يُظهر جهله بالتعاليم المختلفة، سواءً المُحرَّفة أو المحفوظة، الواردة في تلك النصوص المقدسة. تُقدم هذه الحقيقة التاريخية دليلاً إضافياً على ادعاء المصدر الإلهي للقرآن الكريم، إذ سورة العنكبوت، الآية 48. لا يُمكن أن يكون توافقه العميق مع الوحي السابق ناتجاً عن علم بشري أو انتحال

وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون

علاوة على ذلك، وتماشياً مع النموذج الإلهي الأزلي الذي أرساه الله تعالى، لو مُنح غير المسلمين في مكة المعجزة التي طلبوها ثم رفضوا الإسلام، لكان مصيرهم الفناء التام. ولأن الله تعالى لم يشأ هلاكهم، فقد اختار عمداً عدم تلبية طلباتهم غير اللائقة. ومن المفارقات أنهم استخدموا هذا الإهمال، بسخرية، كدليل مزعوم: سورة الإسراء، الآية 59. على صحة الرسالة الإسلامية

وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذبها الأولون وآتينا ثمود الناقة آية مبينة فظلموها وما نرسل بالآيات إلا "تخويفاً"

:الأنبياء الآية 37 وسورة

"خُلِقَ الْإِنْسَانُ عَجَلًا سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَعْجَلُون "

،أكد الله تعالى أن غير المسلمين في مكة كانوا في الأساس غير مهتمين بالبحث الصادق عن الحقيقة .ولذلك فإن مطالبهم بالمعجزات كانت تهدف فقط إلى ثني الآخرين عن اعتناق الإسلام .في الواقع، حتى لو عرض عليهم الله تعالى آيات باهرة خارقة للطبيعة، لاختلقوا حتمًا أذاريًا لرفضهم .وقد تأكدت هذه النتيجة لأنهم كانوا قد عزموا مسبقًا على رفض الإسلام، لأن أحكامه تتعارض بشكل مباشر مع رغباتهم وطموحاتهم :سورة الحجر، الآيتان 14-15 .الديبوية

وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ لَقَالُوا إِنَّمَا سُحِرْتُ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ سَاهُونَ

من الأساليب الأخرى التي استخدمها زعماء غير المسلمين في مكة لثني الآخرين عن اعتناق الإسلام، نابعة من خوفهم من فقدان نفوذهم الاجتماعي وسلطتهم وهيبتهم، المطالبة ساخرين بإنزال العقاب الذي أنذروا به عليهم فورًا .لم يكن قصدهم فضولًا حقيقياً أو رغبة صادقة في الحقيقة، بل استهزاءً بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم وتقويضاً لرسالته .ولما لم يُنزل العقاب فوراً، اتخذوا هذا التأخير دليلاً مفترضاً للتشكيك في صحة الإسلام وصدق النبي محمد صلى الله عليه وسلم .في الواقع، كشف طلبهم عن جهلهم وعنادهم المتعمد .لم يكن تأجيل العقاب دليلاً على الباطل، بل مظهرًا من مظاهر رحمة الله تعالى اللامتناهية، الذي يُمهّل للمخطئين ليتوبوا ويُصلحوا .إن العقاب الفوري ينفي غاية حرية الإرادة والمسؤولية الأخلاقية، لأن الإيمان النابع من الخوف من العقاب الظاهر لا يكون حقيقياً .وهكذا، كان تأخير العقاب الإلهي فرصة أخيرة لهم لإعادة النظر .واعتماد الهداية قبل انقضاء أجلهم .سورة الأنبياء، الآية 37

"خُلِقَ الْإِنْسَانُ عَجَلًا سَأَرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَعْجَلُون "

لكن الله تعالى حذرهم، وحذر الناس أجمعين، بأنه لا يُمهّل الناس إلا إلى أجلٍ مُّحدّد، فلا يظنّوا أنهم سيفلتون بحالة نفسية وجسدية من عقاب أفعالهم .بل إن من يُصرّ على معصية الله تعالى بإساءة استخدام نعمه، سيُصاب غير متوازنة، وسيُسيء استخدام كل شيء وكل شخص في حياته .وهذا سيؤدي إلى ضغوط ومتاعب

وصعوبات، حتى لو تمتع ببعض الرفاهية الدنيوية. ولأنهم لم يُعدّوا أنفسهم للحساب يوم القيامة، فسيكون عقابهم في الآخرة أشدّ بكثير.

وأخيرًا، لثني الآخرين عن اعتناق الإسلام، خوفًا من فقدان نفوذهم الاجتماعي وقيادتهم، كان زعماء غير المسلمين في مكة يطالبون أيضًا بمعرفة موعد يوم القيامة بدقة، وعندما لا يُبلّغون به، كانوا يستخدمون ذلك دليلًا على عدم وقوعه. سورة الأنبياء، الآية 38.

"ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين"

كان هذا الموقف غير حكيم، لأن عدم المعرفة بشأن الوقت الدقيق ليوم القيامة لا ينفي بأي حال من الأحوال حدوثه النهائي. وبالمثل، فإن جهل الفرد بموته لا يمنع حدوثه. لقد تم إخفاء هذه الحقائق الأساسية، مثل الموت والحساب الأخير، عن الخلق لضمان الحفاظ على حالة من اليقظة الدائمة للناس، بدلاً من تأجيل الاستعداد حتى يصبح الحدث وشيكًا على الفور. هذا النهج الاستباقي أكثر فعالية بكثير في تحقيق النجاح الروحي من النهج التفاعلي. على سبيل المثال، الطالب الحكيم، الذي يُبلغ عن اختبار مفاجئ محتمل، سيدرس باستمرار يوميًا حتى يتم إجراء الاختبار. وعلى العكس من ذلك، إذا تم منح الطالب تاريخًا محددًا للاختبار، فقد يؤجل هذا الطالب، بدافع من شعور زائف بالأمان، الاستعداد حتى يقترب الموعد النهائي، وهو مماطلة تقلل في النهاية من فرص نجاحه بسبب عدم كفاية الاستعداد.

ينتقد القرآن الكريم من يشترطون عدم قبول مبادئ الإسلام أو الالتزام بها حتى تتجلى جميع جوانبها، بما في ذلك العناصر الغيبية كالملائكة. وهذا منظور خاطئ، إذ إن الإيمان الحقيقي يكتسب أهميته من خلال الإيمان ببعض الحقائق الغيبية دون الحاجة إلى إدراك حسي، كرؤية الله تعالى مباشرة. ومع ذلك، فإن هذه الحقائق الغيبية مدعومة بقوة بأدلة وعلامات عديدة في السماوات والأرض. فمثلًا، مجرد وجود لوحة يدل دلالة قاطعة على وجود رسام. وكذلك وجود الخلق يدل دلالة قوية على وجود خالق، لا سيما عندما يتسم هذا الخلق بالكمال والتناغم. علاوة على ذلك، يلجأ الناس يوميًا إلى ظواهر دنيوية لا حصر لها رغم عجزهم عن

إدراكها؛ فعلى سبيل المثال، يتناول كثير من الناس الأدوية دون فهم آلية عملها في جسم الإنسان. ومع أن الإطار الأخلاقي الذي يقدمه الإسلام قائم كلياً على الأدلة والمنطق العقلي، إلا أن بعض جوانبه متجذرة أساساً في حقائق غيبية، مما يُعطي من قيمة الإيمان الحقيقي. لذلك فإن أي ادعاء إيماني من شخص يشاهد الكائنات غير المرئية مباشرة، مثل الملائكة، لن يقبله الله تعالى، لأن الإيمان بهذه الحقائق بعد مشاهدتها ليس له أي فضل روحي.

إن تقييم الأفراد مبني على قدرتهم على إدراك الواقع، حتى وإن لم يكن مُدرِّكاً بحواسهم مباشرةً، وعلى خضوعهم الصادق لله تعالى، مع امتلاكهم القدرة على اختيار المعصية. لقد وقر الله تعالى، بإرساله الأنبياء عليهم السلام، وإنزاله الكتب السماوية، إطاراً لتقييم فطنة الأفراد وتمسكهم بها. لم يُكشف الواقع قط لدرجة تُجبر الناس على قبوله دون نقاش. فلو انكشف الواقع تماماً، لزال أساس الاختبار، وأفقد مفهومي النجاح والفشل معناهما. لذا، لا ينبغي للأفراد أن يتوقعوا تجلّي الغيب لهم جلياً، كظهور الله تعالى وملائكته أمام أعينهم. فمثل هذا الحدث يُشير إلى نهاية كل شيء، ويقضي على أي فرصة متبقية للأفراد لممارسة إرادتهم الحرة. لا قيمة للإيمان الحقيقي بالله تعالى وطاعته إلا ما دام الواقع مُقدِّماً بطريقة تسمح برفضه. لو انكشفت الحقيقة تماماً، وأدرك الناس غياب الكون والآخرة، لضاع إيمانهم وطاعتهم. ولو كانت هذه الجوانب جليةً جلية، لما عارضها أو رفضها حتى أشد الكفار إصراراً وأكبر المذنبين. لا معنى للإيمان والطاعة إلا بوجود حجاب يحجب الحقيقة. وحين تنكشف هذه الحقيقة تماماً، ستعلن نهاية وقت الاختيار ونهاية مرحلة الاختبار. يوم القيامة. سورة الأنبياء، الآيتان 39-40 -

لو يعلم الذين كفروا حين لا يصرفون النار عن وجوههم ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون بل تأتيهم بغتة "فُتْحِيرُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ دَفْعَهَا وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ"

ولكي نتجنب هذه النتيجة لا بد من تقوية الإيمان بالمحاسبة يوم القيامة حتى نتشجع على الاستعداد لها عملياً.

،يفترض يوم القيامة كشرط أساسي، وهو نتيجة مُستقاة من ملاحظة الخصائص الأساسية للكون .ففي الكون ،ثمة أدلة وافرة على التوازن المثالي .على سبيل المثال، يُحافظ مسار الأرض حول الشمس على مسافة دقيقة وهو شرط لا غنى عنه لوجود الحياة .وبالمثل، تعمل دورة الماء في توازن مثالي، حيث تضمن عمليات مثل التبخر والتكثيف وهطول الأمطار استمرارية الأنظمة البيولوجية .حتى تكوين التربة متوازن بدقة، إذ يتمتع بنعومة كافية للشتلات الرقيقة وصلابة كافية لدعم الهياكل القوية .هذه الأمثلة، وغيرها الكثير، لا تُعدّ دليلاً على وجود خالق فحسب، بل تُعدّ أيضاً دليلاً على الدقة التي أرسى بها التوازن في الخلق .

.ومع ذلك، وفي تناقض صارخ مع هذا التناغم الكوني الشامل، لا يزال هناك خلل ملحوظ قائم :أفعال البشر فكثيراً ما يفلت الظالمون والطغاة من المحاسبة في هذه الدنيا، بينما يعاني المظلومون دون أن ينالوا جزاءهم المستحق .كثير من المسلمين الذين يُظهرون طاعة صادقة لله تعالى، يتحملون ابتلاءات جسيمة، لكنهم لا ينالون إلا جزءاً يسيراً من جزاءهم المستحق هنا .وعلى العكس من ذلك، غالباً ما ينغمس آخرون ممن يتحدونه جهاراً في ملذات الدنيا دون عواقب فورية .وبما أن الله تعالى قد ضمن التوازن في بقية خلقه، فإن العدل يقتضي أن تُوازن أعمال البشر أيضاً .وبما أن هذا التوازن الكامل لا يتحقق تماماً في الدنيا، فإن حدوثه .ضروري في وجود لاحق - وتحديداً يوم القيامة

مع أن الله تعالى قادر على إقامة العدل التام في الدنيا، إلا أن حكمته تُقرر غير ذلك .فهو يُتيح باستمرار ،للمخطئين فرصاً للتوبة وإصلاح سلوكهم، بدلاً من معاقبتهم فوراً .وبالمثل، يحرم المؤمنين الجزاء الكامل لأن الحياة الدنيا ليست جنة الآخرة .ركن الإيمان هو الإيمان بالغيب، أي الاعتماد على العدل المطلق والجزاء في الآخرة .فلو كان الجزاء ظاهراً وفورياً، لنقصت قيمة الإيمان

علاوة على ذلك، فإنّ الخوف من العقاب النهائي وتوقع الجزاء الأبدي في الآخرة يُشكّلان دافعين قويين يدفعان الأفراد إلى نبذ المعاصي والسعي إلى الاستقامة .ولكن لكي يتمّ يوم الجزاء كاملاً، لا بدّ أن يصل العالم المادي إلى نهايته، إذ لا يُمكن إصدار الحكم إلا بعد انتهاء أعمال كل فرد .هذه الضرورة الجوهرية تُشير إلى أن الدنيا آتية لا محالة

إن التأمل في هذه الحقائق يُعزز يقين المرء بيوم القيامة، ويُلهمه الاستعداد له. وهذا الاستعداد يتضمن حسن استغلال النعم، وفقًا للقرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. باتباع هذا النهج، يضمن المرء راحة البال والتوفيق الدائم في الدنيا والآخرة، من خلال تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، ومن خلال سورة الجاثية، الآية 22، سورة المائدة، الآية () وضع كل شيء وكل شخص في حياته على الوجه الصحيح (45).

"وخلق الله السموات والأرض لحكمة، ولتجزى كل نفس ما اكتسبت، وهم لا يظلمون أحدًا"

يُحذّر الله تعالى الناس، على لسان نبيه الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، من أن يثنيهم عن طاعته والاستعداد للحساب يوم القيامة بنقد الآخرين، فمواجهة النقد واقع لا مفر منه، وقد وقع على مر التاريخ. سورة الأنبياء، الآية 41:

"ولقد استهزأ من قبلك برسل"

إن الأفراد الذين يختارون مسارًا منحرفًا عن الأعراف المجتمعية، وخاصةً المسار القائم على طاعة أوامر الله تعالى، غالبًا ما يُسببون انزعاجًا لمن حولهم ممن تحكم رغباتهم الشخصية خياراتهم في المقام الأول. وكثيرًا ما يتجلى هذا الانزعاج الداخلي في صورة نقد أو سخرية أو معارضة صريحة، وقد يكون حادًا بشكل خاص في الدوائر الضيقة من العائلة والأصدقاء. ولا تُمثل هذه الانفعالات السلبية بالضرورة حكمًا على صحة إيمان الفرد، بل هي انعكاس للتحدي الذي يُشكله على نمط حياة أقرانه وقيمهم وتبريراتهم الذاتية ونتيجةً لذلك، غالبًا ما يُقابل الالتزام الراسخ بالمبادئ الدينية بالمقاومة، حتى لو كان هذا الالتزام سليمًا أخلاقيًا ومستقيمًا روحيًا.

يمارس المجتمع المعاصر، من خلال قوى مثل وسائل التواصل الاجتماعي، واتجاهات الموضة، والمعايير الثقافية السائدة، ضغطاً هائلاً على من يسعون إلى التمسك بالقيم الإسلامية. ويُنظر أحياناً إلى ممارسة الإسلام، والترويج له على أنها عائقان أمام النجاح المادي، والاعتراف الاجتماعي، والقبول العام. علاوة على ذلك، قد تُقاوم المؤسسات والقطاعات التي تُنتقد الإسلام بشدة تبني مبادئه، مما يُثني عن التمسك به ويُهمّش من يُدافع عنه. وقد ساهمت هذه المقاومة بشكل كبير في انتشار المشاعر المعادية للإسلام، لا سيما عبر المنصات الرقمية ووسائل التواصل الاجتماعي، حيث غالباً ما تُصاغ السرديات بشكل استراتيجي لتقويض الالتزام الديني.

يواجه أتباع الإسلام، الذين يعتنقون الاعتدال في شهواتهم والانتفاع الصحيح بالنعم المُنعم بها، مقاومةً مستمرةً ممن يعيشون حياةً حرةً، مُستسلمين لنزواتٍ تُعتبر حيوانيةً في الإطار الإسلامي. قد يسعى هؤلاء الأفراد إلى ردع الآخرين عن اعتناق الإسلام، مُنادين بدلاً من ذلك بحياةٍ تُملئها عليهم شهواتٌ جامحةٌ. وكثيراً ما يُركز النقاد معارضتهم على طقوسٍ إسلاميةٍ مُحددة، كالزِّي الإلزامي للنساء، في محاولةٍ للتقليل من شأن الدين ووثاقته. ومع ذلك، يُمكن للمراقبين المُتبصرين بسهولة أن يدركوا قلةَ العمق في هذه الاعتراضات مُدركين أنها تتبع أساساً من عدم ارتياحٍ أعمق لتأكيد الإسلام على الانضباط والحياء وضبط النفس. على سبيل المثال، بينما تُواجه قواعد اللباس الإسلامي تدقيقاً مُفرطاً، فإنّ فرضياتٍ مُماثلةٍ تتعلق بالزِّي الرسمي في مجالاتٍ مثل إنفاذ القانون، والجيش، والطب، والتعليم، وبيئات الشركات لا تُثير سوى القليل من الاعتراض. يكشف هذا النقد الانتقائي عن التناقض المنطقي والخطأ المنطقي الذي يركز عليه هذا النوع من الحجج. في نهاية المطاف، لا تُثير هذه المقاومة الممارسات الظاهرية نفسها، بل المبادئ الأساسية للإسلام وسلوك أتباعه المنضبط. تُعارض هذه المبادئ بشدة أنماط الحياة القائمة على الترف والإشباع الفوري، وهذا، الأنبياء، الآية 41 التناقض الصارخ يُحفز المنتقدين على الحط من قدر الدين عبر قنوات مُختلفة (سورة (الفصل 21).

"ولقد استهزأ من قبلك برسل "

في مثل هذه الظروف الصعبة، تُصبح طاعة الله تعالى الراسخة ضرورةً لا غنى عنها. فهي تُنمّي شعوراً عميقاً بالسلم الداخلي لدى الفرد، وتُشكّل درعاً واقياً من الضغوط الخارجية الضارة، حتى وإن لم تكن تلك الحماية ظاهرةً فوراً. ومن خلال هذا الالتزام الراسخ، يتعلم المرء كيفية استخدام النعم المُنعمه عليه على

الوجه الصحيح، مما يُعزز التوازن النفسي والجسدي. تُسهّل هذه الطاعة تنظيم جميع جوانب الحياة تنظيمًا سليمًا، وتضمن الاستعداد الكافي للحساب يوم القيامة. وهكذا، فإن طاعة الله تعالى تتجاوز مجرد الواجب الروحي؛ فهي مصدر انسجام واستقرار في شؤون الدنيا، تُعزز السكينة في الدنيا، وتضمن السلام الأبدي في الآخرة. وبالتالي، فإن أولئك الذين يظلون مصممين على إخلاصهم يتم توجيههم إلهيًا من خلال كل الظروف سواء كانت من السهولة أو المحنة - وبالتالي تعزيز صفاءهم الداخلي وضمان مكافآت لا تعد ولا تحصى - تتجاوز حدود الفهم الدنيوي.

في المقابل، فإن اختيار تجاهل أوامر الله تعالى، مُفضلاً طلب رضا الآخرين، يؤدي حتمًا إلى فقدان السلام الداخلي. تُشجّع هذه الأفعال على إساءة استخدام النعم، مما يؤدي إلى فوضى نفسية وجسدية، ويُفقد الفرد كل شيء وكل شخص في حياته. هذا المسار يُؤلّد حتمًا ضغوطًا وتحديات في هذه الحياة، بغض النظر عن أي رفاهية مادية قد يتمتعون بها. علاوة على ذلك، ولأن هذا الموقف يمنعهم من الاستعداد للمساءلة في الآخرة، فسيواجهون صعوبات أكبر هناك، لأن الذي سيحاسبهم مطلع تمامًا على جميع نواياهم وأقوالهم وأفعالهم. سورة الأنبياء، الآيتان 41-42

..."وحاق بالذين استهزأوا منهم ما كانوا يستهزئون به. قل من يمنعكم بالليل والنهار من الرحمن؟..."

ولكن بما أن طاعة الله تعالى تتعارض مع شهوات الناس الدنيوية، فإن كثيرًا منهم يتجاهلون كل ما يدعوههم إلى طاعته، حتى وإن ادّعوا الإيمان به. سورة الأنبياء، الآية 42

"ولكنهم عن ذكر ربهم معرضون..."

في الواقع، إن أي فرد ينحرف عن قواعد السلوك الإسلامي ليتبع أنظمةً وضعيةً إنما يفعل ذلك أساساً لتسهيل تحقيق رغباته الدنيوية، لأن هذه الأطر البديلة متجذرة في جوهرها في أهواء البشر. وغالباً ما يكون الأثرياء، والأقوياء أكثر رسوخاً في هذه العقلية لإدراكهم أن اعتناق حقيقة الإسلام يفرض الالتزام بإطار أخلاقي محدد مما سيمنعهم بالضرورة من اتباع رغباتهم الضالة. وبالتالي، فإنهم يشجعون الآخرين بنشاط على اتباع نهجهم، مدفوعين بالخوف من فقدان نفوذهم وسلطتهم. تاريخياً، تفسر هذه المقاومة سبب كونهم في كثير من الأحيان أول من رفض وعارض الأنبياء عليهم السلام. هذا السلوك لا علاقة له إطلاقاً بتقييم موضوعي لصحة الإسلام قائم على أدلة واضحة؛ إنه مجرد ممارسة لإرضاء الذات وإشباع الرغبات الشخصية. سورة الأنبياء، الآية 42.

"ولكنهم عن ذكر ربهم معرضون ..."

وبوجه عام، قد يقع الشخص في عادة تجنب أي نقاش أو تفكير يشجع على طاعة الله تعالى - مثل التذكير بالموت ويوم القيامة. وكثيراً ما يوجد هذا الموقف بين أولئك الذين يمزحون ويضحكون كثيراً. ونتيجة لذلك، فإنهم يتعرضون لمرض روحي تم التحذير منه صراحةً في حديث مسجل في سنن ابن ماجه، رقم 4193 حيث حذر النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم من الضحك المفرط لأنه يميئ القلب الروحي. تنشأ هذه الحالة لأن الشخص الذي يسعى باستمرار إلى التسلية ينشغل بالأمور التافهة، ويتجنب التفكير الجاد في الهدف النهائي للحياة. إن الاستعداد للموت والآخرة من أخطر الأمور، ومن أهمل التفكير فيها، فلن يستعد لها بشكل صحيح أبداً. يؤدي هذا الإهمال إلى ذبول القلب الروحي وموته. في المقابل، كلما أخلص الإنسان في تأمله للآخرة، قلَّ ميله إلى كثرة الضحك والعبث. وقد ثبت ذلك في حديث صحيح البخاري رقم 6486. فالاعتدال في الضحك والجدية في التأمل ضروريان للحفاظ على سلامة القلب وحيويته، ووعيه برجوعه إلى الله تعالى.

على مر التاريخ، اختلق من سعوا وراء شهواتهم الدنيوية، وسعيًا وراء نجاة أنفسهم في الدنيا والآخرة، فكرة عبادة وسطاء - كالملائكة أو الصالحين - معتقدين أنهم سيشفعون لهم عند الله تعالى. وشبهوا الله تعالى بملك دنيوي. فكما أن الملك لا يتولى بنفسه جميع شؤون مملكته، فيعين مساعدين أو ولاة أو وزراء لإدارة مملكته، كذلك ظنوا أن الله تعالى يحتاج إلى وسطاء لإدارة خلقه ونيل رحمته. ونتيجة لهذا التصور الخاطئ بدأ كثيرون يوجهون أعمال العبادة - كالدعاء والذبح والعبادة - إلى غيرهم، كالملائكة، طمعاً في رضوان الله تعالى من خلالهم. إلا أن هذا الاعتقاد خطأ فادح، فالله تعالى مختلف عن خلقه اختلافاً جذرياً. إنه مطلع على

كل تفاصيل ملكه، لا يحتاج إلى أعوان ولا وسطاء، وهو وحده من يملك نفعا ودفع ضرر. إن إسناد حدود حاكم دنيوي إليه هو سوء فهم لكماله المطلق وسلطانه واستقلاله. سورة الأنبياء، الآية 43

لهم آلهة تمنعهم من دوننا لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منا يحفظون أم

للأسف، تبنى بعض المسلمين هذا المفهوم. فهم يُكرّسون وقتهم وطاقاتهم ومواردهم للبحث عن شخصيات روحية يؤمنون بصلتها الفريدة بالله تعالى، كما يرتبط الحاكم بالملك. هدفهم إرضاء هؤلاء الأفراد على أمل أن يشفعوا لهم لدى الله تعالى. وهذا يُحاكي العادة الدنيوية المتمثلة في التقرب من الحاكم بالهدايا والمبالغة في إظهار الاحترام، ليتمكن من الشفاعة لدى الملك. وبهذه الطريقة، تُعامل هذه الشخصيات كحُرّاس بين الناس وبين الله تعالى، وهو مفهوم يتناقض جوهرياً مع تعاليم الإسلام. لم يكن الأنبياء عليهم السلام حُرّاساً قط، بل أناروا الطريق المستقيم الذي يؤدي إلى راحة البال في الدنيا والآخرة، ولم يطلبوا من الذين هداهم جزاءً أو عطايا أو منفعة دنيوية. كانت مهمتهم تبليغ الوحي، وتوضيح الحقيقة، وتجسيد طاعة الله تعالى. لذا، ينبغي على المسلم أن يتعلم من معلمين أكفاء وأن يُظهر لهم الاحترام الذي يستحقونه، ولكن يجب ألا يعتقد أبداً أن عبادة الأشخاص أو المبالغة في تعظيمهم - مهما بدوا روحانيين - هي وسيلة للتقرب إلى الله تعالى. فالتقرب الحقيقي منه لا يتحقق إلا بالإيمان والطاعة والإخلاص. الله تعالى وحده هو صاحب السيطرة الكاملة على الكون وسلطانه. وهو مطلع على كل ما يجري فيه، ولا يحتاج إلى وسطاء بينه وبين عباده. وقد عبّر القرآن الكريم عن هذه الحقيقة بوضوح، مؤكداً مراراً وتكراراً على قربة المباشر واستقلاله المطلق عن جميع: على سبيل المثال، سورة البقرة، الآية ١٨٦. المخلوقات

"...وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان"

:وسورة غافر الآية 60

"وقال ربكم ادعوني أستجب لكم"

:سورة البقرة، الآية 255

"...من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه..."

.علاوة على ذلك، مع أن الشفاعة ستقع يوم القيامة - بإذن الله تعالى - فمن الأهمية بمكان ألا يُستهزأ بها فالاستخفاف بها قد يُحرم من هذه الرحمة العظيمة. وكثيرًا ما ينبع الاستهزاء بمفهوم الشفاعة من شعور بالرضا، حيث يُهمل المرء استغلال النعم الممنوحة له وفقًا للمبادئ الإسلامية، مع افتراضه أنه سينال النجاة بتدخل الآخرين، كالأقارب أو الشخصيات الروحية. هذا الشعور الزائف بالطمأنينة يؤدي إلى التهاون في العمل والإهمال في الاستعداد للأخرة. بل إن من يستهزئ بالشفاعة بهذه الطريقة قد يجد أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم - الذي افترضوا شفاعته - سيشهد عليهم يوم القيامة). سورة الفرقان، الآية 30، سورة 25)

"وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا "

هذه الآية خاصة بالمسلمين، فهم الأمة الوحيدة التي أقرّت بالقرآن الكريم واعتنقته. أما غير المسلمين فلم يقبلوا هدايته، فلا يمكن وصفهم بالتخلي عنه. إن مصير أي مسلم يشهد عليه النبي محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة بديهي ومثير للقلق العميق.

حتى في حالات الشفاعة، فإن التقصير في أداء الواجبات قد لا يمنع دخول النار؛ بل قد يخفف على الأكثر من شدة العذاب أو مدته. يجب أن يفهم بوضوح أن حتى أقصر تجربة للنار لا تُطاق على الإطلاق وتتجاوز قدرة الإنسان على التحمل. لذلك، يجب ألا ينفصل الأمل الحقيقي في الشفاعة عن السعي الجاد. يتطلب ذلك الاستخدام الفعال والمخلص للنعم التي مُنحت للمرء بطريقة تتوافق مع هدى القرآن الكريم وتعاليم النبي محمد صلى الله عليه وسلم. فقط عندما يسعى المرء بهذه الطريقة، يمكنه أن يأمل بحق في الشفاعة يوم القيامة - مع الفهم الواضح دائماً أن الله تعالى هو وحده الذي يمنح الإذن بذلك، وأنه لا يمكن لأحد أن يشفع إلا بمشيئته.

كما ذكر سابقاً، عندما يتخلى الأفراد عن قواعد السلوك الإسلامية لصالح أنظمة وضعها البشر، فإن دافعهم في نهاية المطاف هو السعي وراء طموحات دنيوية. ذلك لأن هذه الأطر التي وضعها البشر مبنية في جوهرها على رغباتهم. غالباً ما يكون أصحاب الثروات والنفوذ أكثر المنخرطين في هذا النهج. إنهم يدركون أن اعتناق حقيقة الإسلام يستلزم الالتزام ببنية أخلاقية واضحة، تقيّد بطبيعتها الانجراف وراء أهوائهم الجامحة. وخوفاً من فقدان نفوذهم وامتيازاتهم، فإنهم لا يرفضون الحقيقة لأنفسهم فحسب، بل يسعون أيضاً بنشاط إلى توجيه الآخرين نحو نمط حياتهم المتساهل. ويشهد التاريخ باستمرار على هذا النمط: فالأثرياء والأقوياء كانوا عادةً أبرز معارضي الأنبياء عليهم السلام. لم يكن رفضهم يوماً تقييماً حقيقياً لصدق الإسلام قائماً على الأدلة، بل الأنبياء، الآية 44، سورة كان جهداً دؤوباً لحماية رغباتهم والحفاظ على مكانتهم فوق كل اعتبار). سورة (21).

"بل رزقنا هؤلاء وآباءهم من الطيبات"

عندما يعجز الناس عن فهم محنة الرزق الدنيوي، كالمال مثلاً، فإنهم ينساقون وراء شهواتهم الدنيوية، عاصين الله تعالى، بإساءة استخدام النعم التي وهبهم إياها. ويزدادون ضللاً عندما يعتقدون آمالاً كاذبة على طول العمر. سورة الأنبياء، الآية 44

"...حتى طال عليهم الزمان ..."

وبالتالي، يفشل هؤلاء الأفراد في نهاية المطاف في اختبار الحياة الدنيا: ألا وهو تحديد مدى استغلالهم للنعم الممنوحة لهم كما وردت في تعاليمهم الروحية. عمومًا، يُعدّ التعلق بآمال كاذبة بطول العمر صفةً مذمومةً للغاية، إذ يُشكّل الدافع الرئيسي وراء إعطاء الأولوية لجمع الممتلكات المادية على الاستعداد للآخرة. يكفي المرء أن يُحلل يومه المعتاد، ويلاحظ مقدار الوقت المُخصّص له في شؤون الدنيا مُقارنةً بالوقت المُخصّص لمستقبله الروحي، ليدرك هذه الحقيقة. في الواقع، يُعدّ التعلق بالكاذب بطول العمر من أقوى المؤثرات الخارجية المُستخدمة لتضليل الناس. فعندما يعتقد المرء أن لديه وقتًا كافيًا، يُؤجّل الاستعداد للآخرة، مُقنعًا نفسه زورًا بأنه قادر على الاهتمام بها في المستقبل القريب. في أغلب الأحيان، لا يتحقق هذا "المستقبل القريب"، ويموت الشخص دون أن يُجهّز نفسه جيدًا.

علاوة على ذلك، يدفع هذا الأمل الكاذب المرء إلى تأجيل التوبة الصادقة وتحسين سلوكه، ظنًا منه أن لديه متسعًا من الوقت للإصلاح. ويشجعه على ادخار الأشياء المادية، كالثروة، مُقنعًا إياها بأنها ستكون ضرورية، طوال حياته على الأرض. وكثيرًا ما يُخيف الناس التأثير السلبي فيعتقدون أن عليهم ادخار المال لشيخوختهم مُوحياً بأنهم قد لا يجدون من يُسندهم عندما يُضعفون جسديًا ويعجزون عن العمل. وينسون أن الله تعالى، كما تكفل برزقهم في صغرهم، سيتكفل بهم أيضًا في شيخوختهم. في الواقع، خُصصت أرزاق الخلق جميعًا بأكثر من خمسين ألف عام قبل خلق السماوات والأرض، وهي حقيقة مؤكدة في تعليم روحي موجود في صحيح مسلم، رقم 6748. ومن العجيب أن يُكرّس الإنسان أربعين عامًا من عمره للادخار لتقاعد نادرًا ما يدوم أكثر من عشرين عامًا، ومع ذلك يفشل في الاستعداد للآخرة بنفس القدر من الحماس.

الحياة الروحية لا تُلزم الإنسان بإهمال رزق الدنيا؛ فلا ضير في الادخار للمستقبل القريب، بشرط أن تكون الأولوية دائمًا للآخرة. مع أن الناس يُسلمون بإمكانية الموت في أي لحظة، إلا أن بعضهم يتصرف كما لو أنه سيخلد في هذه الدنيا. يصلون إلى حدّ يمنعهم فيه ضيق الليل والنهار من السعي بجهد أكبر لجمع المزيد من الثروة المادية، حتى لو ضمنوا لهم الحياة الأبدية على الأرض. كم من شخص رحل قبل الموعد؟ وكم منكم يتعلم درسًا حقيقيًا ويغير سلوكه؟

في الواقع، من أشدّ الآلام التي يشعر بها الإنسان عند الموت أو في أيّ مرحلة أخرى من مراحل الآخرة هو:
الندم الشديد على تأخير الاستعداد للحياة الأبدية. سورة المنافقون، الآيتان ١٠-١١

وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكون من الصالحين ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون

لا شك أن المرء سيُعتبر أحمقاً إذا كرّس وقتاً وموارد أكثر بكثير لسكنٍ مُعدّ لإقامة قصيرة مقارنةً بسكنٍ كان يُخطط للإقامة فيه إلى أجلٍ غير مسمى. يُمثّل هذا السيناريو تشبيهاً مثاليّاً لتفضيل الدنيا على الآخرة

ينبغي على الناس أن يسعوا جاهدين لتأمين احتياجاتهم الدنيوية ومستقبلهم الروحي، ولكن عليهم أن يدركوا أن الموت قادم لا يأبه لوقته أو حالته أو عمره؛ إنه أمرٌ محتوم. لذلك، يجب أن يُقدّم الاستعداد للموت والحياة الأبدية التي يُقدّمها على الاستعداد لأي مستقبل دنيوي، وهو في حد ذاته أمرٌ غير مؤكد

، يُحذّر الله تعالى من الغفلة عن طاعته والاستعداد للحساب يوم القيامة، مُذكِّراً الناس بزوال شهواتهم وممتلكاتهم وكيف أن كل ما يُقدّرونه من الدنيا، كالشهرة والثروة والجاه والأهل والأصدقاء والوظيفة، يفلت من أيديهم مع مرور الزمن، حتى يصلوا إلى الموت والحساب خاليي الوفاض. سورة الأنبياء، الآية 44

"أَفَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نُبْقِي فِي الْأَرْضِ نَقْصِرُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَالِيُونَ..."

بشكل عام، كلما سعى المرء للتمتع بملذات الدنيا الحلال، أدرك سريعاً مدى زوال حلاوتها. تتلاشى اللذة بسرعة تقارب سرعة الشعور بها. على سبيل المثال، عندما يعود المرء من إجازة، تتلاشى متعة الرحلة بسرعة، مما يدفعه إلى التخطيط لرحلة أخرى لاستعادة نفس الشعور. وبالمثل، عندما ينتهي فيلم أو برنامج تلفزيوني، تتلاشى المتعة التي أحدثها، تاركاً الفرد متلهفاً لمشاهدة شيء آخر لإحياء ذلك الشعور. لا تقتصر هذه الدورة على الملهي الحلال، بل تتجلى بشكل أوضح في الملاحقات الآثمة أو التافهة. في الواقع، إن هذا التوق الدائم إلى إعادة تجربة الحلاوة المؤقتة هو ما يغذي صناعة الترفيه بأكملها.

في المقابل، تبقى حلاوة الأعمال الرضوية لله تعالى راسخة في القلب. فالمؤمن الذي يؤدي فريضة الحج بإخلاص يتذوق حلاوتها لعقود. وكذلك من يعمل صدقة جارية، كبناء مسجد أو كفالة يتيم، يبقى حلاوتها في قلبه لسنوات. ولذلك، فعلى من يبتغي رضا الله تعالى أن يلتصقها في الأعمال التي ترضيه، لا في الباطل أو المعصية.

علاوة على ذلك، تُعدّ هذه الحقيقة بحد ذاتها دليلاً عميقاً على ما يحمل قيمة حقيقية في هذه الدنيا. فما يبقى له سورة النحل، الآية 96. قيمة حقيقية، بينما ما يزول سريعاً متقلب، وفي النهاية لا قيمة له.

"...كل ما لديك فان، وما عند الله باقٍ"

تُقاس القيمة الحقيقية للإنسان بما يسعى إليه. من يُكرّس نفسه لما هو دائم وذو قيمة حقيقية، سيُدرك قيمته من خلال تحقيق حالة ذهنية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء، وسيبقى سلامه وأعماله وإرثه أما من يسعى وراء ما هو زائل وبلا قيمة، فسيجد أن متعته. وكل شخص في حياته على النحو الصحيح. تتلاشى سريعاً، تاركة وراءها فراغاً. في هذه الحالة، تُصبح حياته، كما مساعيه، خالية من أي قيمة باقية.

مهما بلغت موارد معارضي الهداية الإلهية، لتعارضها مع رغباتهم وطموحاتهم الدنيوية، فإن مساعيهم لإلغاء هذه الهداية من المجتمع ستبوء بالفشل في نهاية المطاف. ذلك لأنهم عاجزون عن التغلب على الله تعالى أو على الهداية التي أنعم بها على البشرية. بل إن مساعيهم وقواعد سلوكهم التي وضعها البشر ستُقهَر حتماً أمام الهداية الإلهية، مما يضمن لكل باحث عن الحقيقة أن يجدها ويعمل بها (سورة الأنبياء، الآية 44، سورة 21).

"أَفَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نُنْزِلُ فِي الْأَرْضِ نَقْصِرُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا فَأُولَئِكَ هُمُ الْغَالِبُونَ ..."

ولأنّ جهادهم في جوهره ضدّ الله تعالى، فلن ينتصروا في نهاية المطاف على حقيقة الإسلام - وهي حقيقة أثبتتها التاريخُ بجلاء. لقد برزت أعدادٌ لا تُحصى من الأفراد والمنظمات والصناعات ثم اندثرت، بعد أن سعت إلى استئصال الإسلام من المجتمع بوسائلٍ مُختلفة، منها المناورات السياسية والصراع والدعاية المُنتشرة وحملات التواصل الاجتماعي. ومع ذلك، يبقى الإسلام صامداً، ومُقدَّر له أن يستمرّ على هذا المنوال إلى يوم سورة القيامة. إنّ جهودهم المُركّزة للقضاء على الإيمان باطلّة تماماً، كمحاولة إطفاء نور الشمس بالنفخ فيه: التوبة، الآية 32

يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون

لقد أكملت تعاليم الإسلام وقُدِّمت للبشرية بكاملها، فلم يبقَ جانبٌ من جوانب الهداية إلا وافٍ. فمن مسائل العقيدة والعبادة إلى الأخلاق والسلوك الاجتماعي والحكم، يُقدِّم الإسلام إطاراً شاملاً يُعالج البعدين الروحي والعملية للحياة. وتقع على عاتق كل فرد مسؤولية اختيار الانخراط في هذه التعاليم بصدق وتطبيقها في حياته اليومية. ومن يفعل ذلك سيجد السكينة الحقيقية، ليس في الآخرة فحسب، بل في الدنيا أيضاً، إذ تُنمّي مبادئ الإسلام التناغم بين العقل والجسد، والقلب والروح. بالعيش وفقاً للهداية الإلهية، يتعلم الإنسان إعطاء الأولوية - لكل جانب من جوانب الحياة على النحو المناسب - مُوازناً بين المسؤوليات الدنيوية والواجبات الروحية

مُهيئًا نفسه للحساب النهائي يوم القيامة. لذا، فإن اعتناق تعاليم الإسلام هو سلوك طريق من الوضوح والتوازن والهدف. إنه يعني العيش بيقين بأن جهود المرء مُوجَّهة نحو ما هو دائم، لا زائل، وأن حياته مُنسجمة مع: سورة الأنبياء، الآية 45. حكمة الله تعالى الخالدة

"قُلْ إِنَّمَا يُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ"

،سورة الأنبياء. من يتمسك بشهواته الدنيوية سيُسيئ لا محالة استخدام النعم التي أنعم الله تعالى بها عليه لكن الآية 45:

"ولكن الصم لا يسمعون الدعاء إذا أُنذروا"

يُخلّ هذا الاستغلال بالتوازن الطبيعي لسلامتهم النفسية والجسدية، ويدفعهم إلى سوء ترتيب أولوياتهم وسوء إدارة الأشخاص والمسؤوليات الموكلة إليهم. ونتيجةً لذلك، يتحوّل كل جانب من جوانب حياتهم - العائلة والأصدقاء والعمل والثروة - تدريجيًا إلى مصدر للتوتر والسخط. وإذا استمرّوا في العصيان، فإنهم يُحمّلون الآخرين، كزوجهم أو رفاقهم المقربين، مسؤولية اضطرابهم الداخلي ظلمًا. وباستبعاد هذه التأثيرات الإيجابية فإنهم يُعمّقون عزلتهم ويُفاقمون حالتهم، التي قد تتجلى في سلوكيات هدامة كالإكتهاب وإدمان المخدرات وحتى الأفكار الانتحارية. وتتجلى هذه النتيجة جليًا في حياة الكثيرين ممن، على الرغم من امتلاكهم للثروة والشهرة يظلّون قلقين وغير راضين، حيث تُخفي رفايتهم الظاهرة فراغًا داخليًا عميقًا. والأخطر من ذلك، أن هذا الموقف يمنعهم من الاستعداد للحساب النهائي أمام الله تعالى يوم القيامة. إن ما يواجهونه في الآخرة من ضغوط وعذاب سيفوق بكثير أي مشقة في الدنيا، وعندها لن تبقى لهم أي فرصة للتوبة. فلا المال ولا الجاه ولا شفاعة الآخرين ستنجيهم من عواقب أفعالهم). سورة الأنبياء، الآية 46، سورة 21)

"وَلَوْ مَسَّهُمْ نَفْخَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَقَالُوا يَا وَيْلَتَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ "

لذلك، يجب على الفرد اعتناق المبادئ الإسلامية والالتزام بها بالكامل لما فيه مصلحته الذاتية، حتى لو تعارضت مباشرة مع رغباته الشخصية. وعليه أن يقتدي بالمريض الحكيم الذي يلتزم بنصائح طبيبه الطبية مدركاً أنها في مصلحته، حتى مع مواجهة علاجات غير مريحة ونظام غذائي صارم. وكما يحقق هذا المريض المجتهد صحة نفسية وجسدية مثالية، كذلك سيحققها من يتبنى التعاليم الإسلامية ويطبقها. تتبع هذه الفائدة من امتلاك الله تعالى لعلم وحكمة لا مثيل لهما، وهما ضروريان لمساعدة الإنسان على تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، ولتنظيم جميع جوانب حياته، بما في ذلك علاقاته، على النحو السليم. سيظل فهم المجتمع للحالات النفسية والجسدية البشرية قاصراً دائماً عن تحقيق هذا الهدف الشامل، بغض النظر عن مدى البحث العلمي المُجرى. ويستمر هذا القيد لأن المعرفة الدنيوية لا تستطيع حل جميع المشكلات التي يواجهها الأفراد، ولا يمكنها تجنب جميع أشكال الإجهاد النفسي والجسدي، ولا تضمن الإدارة الفعالة لجميع جوانب الحياة بسبب القيود المتأصلة في المعرفة والخبرة والبصيرة والتحيزات السائدة. الله تعالى وحده هو من يملك العلم الكامل سورة الأنبياء، الآية. وقد أفاضه على البشرية من خلال القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم 45.

"قُلْ إِنَّمَا يُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ"

يتضح هذا الواقع عند مقارنة من يتقبلون النعم الممنوحة لهم وفقاً للمبادئ الإسلامية بمن لا يتقبلونها. فبينما قد لا يدرك العديد من المرضى تماماً الأساس العلمي لعلاجاتهم الموصوفة، فيعتمدون على أطبائهم اعتماداً أعمى، يحث الله تعالى الناس على التأمل في تعاليم الإسلام لفهم آثارها الإيجابية على حياتهم. فهو لا يطلب قبولاً أعمى لتعاليم الإسلام، بل يريد من الناس إدراك حقيقتها من خلال الأدلة الواضحة. ومع ذلك، فإن إدراك هذه الأدلة يتطلب بالضرورة التعامل مع تعاليم الإسلام بنظرة منفتحة وغير متحيزة. سورة يوسف: الآية 108

"...قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني"

ولكن بما أن طاعة الله تعالى تتعارض مع شهوات الناس الدنيوية، فإن كثيرًا منهم يتجاهلونها ويصرون على
:إساءة استخدام النعم التي أنعم الله عليهم بها .سورة الأنبياء، الآية 45

"ولكن الصم لا يسمعون الدعاء إذا أُنذروا ..."

وبالتالي، سيقعون في حالة من عدم الاستقرار النفسي والبدني، ويفقدون صواب نظرته لعلاقاتهم
ومسؤولياتهم. وهذا سيجلب عليهم المشقة والقلق والضيق، بغض النظر عن أي نعيم دنيوي مؤقت). سورة
(الأنبياء، الآية 46

"وَلَوْ مَسَّهِمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَقَالُوا يَا وَيْلَتَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ "

.وبما أن موقفهم يمنعهم من الاستعداد للحساب يوم القيامة، فإن ضيقهم وشدائدهم ستزداد أضعافًا مضاعفة
:سورة الأنبياء، الآية 47

ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئًا وإن يكن مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا "
"حاسبين

من المهم للإنسان أن يُقَيِّم أعماله بانتظام، فلا أحد أعلم بها منه إلا الله تعالى. فالتأمل الصادق في النفس يُلهم التوبة الصادقة من الذنوب، ويدفع إلى فعل الصالحات، ومنها استغلال النعم فيما يرضي الله تعالى. أما من أهمل هذا التأمل، فسيقع في الغفلة، ويُسيء استخدام النعم، ويعيش على غير هدى. وسيجد مثل هذا الإنسان موازنة أعماله يوم القيامة صعبة للغاية، وقد تُؤدي به إلى النار.

يمكن توضيح هذا المبدأ من خلال مثال صاحب العمل. صاحب العمل الحكيم يراجع حساباته بانتظام، ويتأكد من أن مشروعه يسير على الطريق الصحيح وأن جميع الالتزامات - مثل الإقرارات الضريبية - يتم الوفاء بها على النحو الصحيح. على النقيض من ذلك، فإن صاحب العمل المهمل يفشل في مراقبة حساباته، مما يؤدي إلى خسارة مالية وفوضى. عندما يحين وقت تقديم سجلاته، فإنه يواجه عقوبات تزيد من معاناته. ومع ذلك، فإن عقوبة عدم مراعاة أعمال المرء في هذه الدنيا أشد بكثير من أي غرامة دنيوية. يوم القيامة، سيواجه من أهمل تقييم نفسه الميزان غير مستعد، ولن تكون العقوبة عبئاً مالياً بل عقوبة لا تُطاق حقاً. وهكذا، فإن سورة الزلزلة 99، الآيتان 7-8. الشخص العاقل هو من يحاسب نفسه الآن، قبل أن يحاسب لاحقاً

"فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره"

وأخيراً، على الإنسان ألا يكتفي بحماية نفسه من الوقوع في المعاصي، بل عليه أيضاً أن يحرص على تجنب استخدام النعم التي وهبت له في أمور باطلة. فمع أن هذه الأعمال قد لا تكون دائماً آثمة في ذاتها، إلا أنها لا تُعدّ من الأعمال الصالحة، وبالتالي لا تُؤتي ثماراً باقية. بل ستُصبح يوم القيامة مصدراً للندم العميق، لا سيما عندما يُدرك المرء أن الوقت أو المال أو الطاقة التي أنفقت في أعمال باطلة كان من الممكن استثمارها في أعمال كانت ستثقل كفة الميزان. بل قد يكشف المرء أن أدنى فرق بين كفتي الميزان يُحدد عاقبته. فما يبدو تافهاً في الدنيا قد يكون حاسماً في الآخرة، لأن أي خلل طفيف قد يُشكّل الفرق بين النجاة والهلاك. وهكذا، تكمن الحكمة في استخدام كل نعمة بما يُقرّب المرء إلى الله تعالى، فلا يُضيّع شيئاً على ما لا قيمة له. هذا النهج يضمن لهم حالة نفسية وجسدية متوازنة، ويُمكنهم من تحديد أولوياتهم بدقة، مع. في الآخرة

،الاستعداد الكافي للحساب يوم القيامة .هذا السلوك يُفضي في نهاية المطاف إلى راحة البال والرضا في الدنيا
(سورة الأنبياء، الآية 47) .والفوز الأبدي في الآخرة

"وإن يك مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين "

على مر التاريخ، هَبَّ الله تعالى للناس قواعدَ سلوكٍ ليستعدوا للحسابِ يومَ القيامة، فينعموا براحةِ البال في
من خلال توازنِ حالتهم النفسية والجسدية، ومن خلال وضعِ كلِّ شيءٍ وكلِّ شخصٍ في حياتهم ،الدنيا والآخرة
(سورة الأنبياء، الآية 48) .على الوجه الصحيح

"ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان ونوراً "

تُعدّ مدونة السلوك الإلهية المعيارَ النهائي، الذي يُميّز بين الخير والشر، والنافع والباطل، وبين ما يؤدي إلى
راحة البال وحياةٍ مليئةٍ بالتوتر .إنها ليست مجرد مجموعةٍ من المبادئ المجردة، بل هي نورٌ حيٌّ يُنير العالم
من حول الإنسان، ويُمكنه من إدراك القيمة الحقيقية للأشياء .فبدونها، يُترك الناس لقياس القيمة من خلال
،معايير متغيرة وغير موثوقة، كالموضة والثقافة ووسائل التواصل الاجتماعي - معايير تتغير مع الزمن
وغالبًا ما تُؤدي إلى الارتباك وعدم الرضا واختلال الأولويات .في المقابل، تُوفّر مدونة السلوك الإلهية
الوضوح والثبات، وتُمكن الإنسان من رؤية الطريق الصحيح في كل ظرف - سواءً في الأمور الدنيوية أو
الالتزامات الدينية - بحيث تكون خياراته سليمة وهادفة ونافعة .تضمن هذه التوجيهات ألا يُبددوا نعمهم فيما
هو باطل أو ضار، بل أن يستخدموها بطرقٍ تُحقق نفعًا دائمًا .من خلال هذا النور، يتعلم الإنسان العيش
بتوازن :محققًا الانسجام بين العقل والجسد، والقلب والروح، ومضغًا كل شيء وكل شخص في مكانه
الصحيح في حياته .وبذلك، ينال راحة البال في الدنيا، ويهيئ نفسه للسلام الأبدي في الآخرة .لذا، فإن شريعة
الله ليست دليلًا للعمل فحسب، بل هي أيضًا ضمانة للانسجام الداخلي، ووضوح الرؤية، والنجاح النهائي

مهما بلغ المجتمع من تقدم، ومهما اكتسب من معرفة في مختلف المجالات - سواء في العلوم أو الطب أو دراسة العقل والجسم البشري - فلن ينجح أبدًا في صياغة مدونة سلوك تتناسب تمامًا مع طبيعة البشر. فهذه المهمة تتجاوز قدرة البشر، فالبشر ما زالوا يكتشفون تفاصيل جديدة عن أنفسهم، حتى فيما يتعلق بوظائف أجزاء معينة من الدماغ البشري. إذا لم تبلغ البشرية بعد معرفة كاملة بتكوينها، فكيف يمكنها أن تأمل في وضع نظام مثالي يعالج كل حالة وحالة وسيناريو يواجهه الأفراد والمجتمعات طوال حياتهم على الأرض؟ وحده القادر على تحقيق ذلك هو الله تعالى. فهو خالق كل شيء، وعلمه لا حدود له، يشمل الماضي والحاضر والمستقبل في كل شيء. لذلك، فهو وحده المؤهل لمنح البشرية مدونة سلوك كاملة - معيار إلهي يميز الحق من الباطل، والخير من الشر، والنافع من الضار. هذا التوجيه الإلهي هو ما يضمن راحة البال للفرد والعدالة للمجتمع، ويحميها من فوضى الشهوات والضلالات البشرية. والتاريخ نفسه يشهد على هذه الحقيقة. فكلما طُبّق المعيار الإلهي بإخلاص، أثمر انسجامًا بين الأفراد ونشر العدل والسلام في المجتمع. وعلى العكس كلما أهمل أو استُبدل بأنظمة من صنع الإنسان، تبعه الفساد والظلم والاضطراب حتمًا. لذا، يجب على الناس تقبل المعيار الإلهي بقناعة تامة، مُدركين أنه الأنسب لهم - حتى لو بدت بعض جوانبه مخالفة لرغباتهم الشخصية. عليهم أن يتصرفوا كمريض حكيم يثق بخبرة طبيب ماهر: فمهما كان الدواء الموصوف مُرًا والنظام الغذائي صارمًا، فإنه يقبله، عالمًا بأنه السبيل الوحيد للشفاء الحقيقي والرفاهية الدائمة. وبالمثل، فإن شريعة الله، وإن كانت قد تتحدى أحيانًا الميول البشرية، فهي السبيل الوحيد للسلام الدائم والعدالة والخلاص. (سورة الأنبياء، الآية 48، سورة 21)

"ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكرى"

يُوصف الوحي الإلهي في هذه الآية بأنه تذكير. بل إن الهداية الحقة تذكيرٌ للبشرية جمعاء، لأنها مصممةٌ بتوافقٍ تام مع الفطرة البشرية. فأي نظام سلوكي يتعارض مع الفطرة البشرية سيبدو حتمًا غريبًا، مما يُسبب اضطراباتٍ نفسيةً وجسديةً عند محاولة الأفراد العيش بموجبه. في المقابل، فإن الهداية التي تتوافق مع جوهر الإنسانية تبدو مألوفةً بطبيعتها، مُعززةً التوازن في العقل والجسد. ويتجلى هذا الشعور بالإدراك بشكلٍ خاص لدى أولئك الذين، بعد اتباع فلسفاتٍ أو أساليب حياةٍ أخرى، يجدون مبادئ تبدو وكأنها تتردد في أعماقهم - كما لو كانت تُوقظ حقيقةً مُنطبعةً في أعماقهم. لا يفرض هذا الهداية إطرًا مُصطنعًا على الحالة الإنسانية؛ بل يُعيد الأفراد إلى الحالة الطبيعية التي خُلِقوا عليها أصلًا. في المقابل، غالبًا ما تفرض الأنظمة الأخرى أنماطًا سلوكيةً تتعارض مع الطبيعة البشرية، مما يؤدي إلى خلافٍ داخليٍّ وعدم استقرارٍ وعدم رضا. ومع ذلك، قد لا يُدرك المرء هذه الحقيقة تمامًا إلا بعد أن يتعامل مع هذه التعاليم بانفتاح وحيادية.

فالتحيز أو الكبرياء أو التمسك الأعمى بالأفكار الموروثة قد يحجب القلب عن إدراك الانسجام بين الحقيقة والطبيعة البشرية. ومع ذلك، عندما نتعامل معها بصدق، لا تكشف الحكمة الإلهية عن نفسها كقيد أو عبء بل كتذكير يعيد التوازن، ويزرع السكينة، ويوجه البشرية نحو غايتها الحقيقية. وهكذا، يصبح الوحي مرآة وبوصلة في آن واحد: مرآة تعكس الحقيقة الكامنة في النفس البشرية، وبوصلة ترشدنا نحو السلام والتوازن من خلال التنظيم الصحيح لحياة الإنسان وعلاقاته.

،طاعة الله تعالى غالبًا ما تتعارض تمامًا مع رغبات الناس الدنيوية. ولذلك، يتجاهل الكثيرون الهداية الإلهية مفضلين اتباع رغباتهم وطموحاتهم. وحدهم من يدركون عواقب المعصية، ويخشون الوقوف غير مستعدين أمام ربهم يوم القيامة، يقبلون الهداية الإلهية ويعملون بها. يدركون أن معصية الله تعالى، بإساءة استخدام نعمه، هي دعوة إلى اختلال التوازن في حياتهم: فتضطرب حالتهم النفسية والجسدية، وتختلط أولوياتهم. ويضيعون كل شيء وكل شخص في حياتهم. هذا الإهمال يمنعهم من الاستعداد الكافي للمسؤولية النهائية والنتيجة حياة مليئة بالتوتر والمشقة والاضطراب الداخلي، حتى وإن بدوا في الظاهر متمتعين ببعض الرفاهية الدنيوية. في الحقيقة، لا تغنيهم هذه النعم الزائلة عن متاعب الدنيا، ولا عن العواقب الأعظم التي تنتظرهم في: سورة الأنبياء، الآيات 48-49. الآخرة

"الفرقان ونور وذكرى للمتقين. الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون..."

بما أن الكتب السماوية السابقة قد حرّرها الناس على مرّ العصور، سعيًا وراء منافع دنيوية، فقد أنزل الله تعالى الوحي الإلهي الخالد والنهائي، المحفوظ من التغيير، لينعم الناس براحة البال في الدنيا والآخرة، من خلال توازنهم العقلي والجسدي، ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في حياتهم على الوجه الصحيح (سورة الأنبياء، الآية 50، سورة 21).

"وهذا ذكر مبارك أنزلناه"

يتميز النص القرآني الكريم ببلاغة ووضوح فريدين لا مثيل لهما في أي وسيلة تواصل أخرى، شفوية كانت أم مكتوبة. تعكس دقة مفرداته وعمق دلالاته خصوصية أسلوبية. وعلى عكس الشرائع الدينية الأخرى والأعمال الأدبية البشرية، التي غالبًا ما تُظهر تباينات وتناقضات داخلية، يحافظ القرآن الكريم على اتساق تام وتكامل تام في مضمونه البلاغي. علاوة على ذلك، يُفصّل روايات الحضارات السابقة بدقة مُوثّقة، على الرغم من أن النبي محمدًا صلى الله عليه وسلم لم يكن لديه أي تدريب أكاديمي سابق في مثل هذه المسائل التاريخية. يُعدّ القرآن الكريم بمثابة قانون أخلاقي وقانوني شامل، يأمر بكل ما هو مفيد ويحرم كل ما هو ضار. تُعالج أحكامه احتياجات الفرد والجماعة على حد سواء، مما يُعزز إرساء العدل والتماسك والسكينة في المجتمع. يخلو النص تمامًا من المبالغة والتلفيق والازدواجية التي تُصادف كثيرًا في الروايات الأسطورية أو التراث الشعبي أو القصائد الشعرية. كل بيت من أبياته يزخر بالمعنى الهادف والتوجيه العملي. حتى عند إعادة النظر في قصة معينة، يُقدم النص باستمرار رؤية جديدة ودروسًا جديدة، مما يضمن عدم تكرار رسالته أو إنقالها. وتدعم إعلاناته عن الجزاء والنصح بأدلة قاطعة لا تقبل الجدل. حتى في المناقشات المتعلقة بمفاهيم قد تُعتبر مجردة، كالصبر، يُقدم القرآن الكريم منهجيات مباشرة وعملية لدمجها في الحياة اليومية. فهو، في جوهره، يُعيد توجيه انتباه الإنسان نحو غايته الأسمى: تنمية الإخلاص لله تعالى، من خلال الاستخدام الأمثل، للنعم الممنوحة على نحو يرضيه. من خلال هذا الالتزام، يحقق الأفراد السكينة والنجاح في الدنيا والآخرة. ويضمنون حالة من الانسجام العقلي والجسدي، ويحددون بدقة مكانة جميع العناصر والأشخاص في حياتهم. يُنير القرآن الكريم الطريق القويم ويجعله جذابًا لكل من يسعى إلى السلام والرخاء الحقيقيين في كلا العالمين. وتبقى هدايته، التي تنسجم تمامًا مع الفطرة البشرية، وثيقة الصلة دائمًا ونافعة للجميع. وعندما يُعامل بصدق الفهم والاجتهاد في التطبيق، فإنه يُقدم حلولًا للأزمات النفسية والمالية والجسدية، ويُقدم حلولًا لكل تحدٍّ يواجهه الأفراد والمجتمعات. ويؤكد السجل التاريخي أن المجتمعات التي التزمت بعقائده ازدهرت في ظل حكمته، الواسعة والخالدة. والجدير بالذكر أنه لم يتعرض حرف واحد من القرآن الكريم للتغيير على مر العصور، دليل على العهد الإلهي بحفظه من الله تعالى. ولا توجد وثيقة مكتوبة أخرى عبر تاريخ البشرية تتمتع بهذه الميزة الفريدة والاستثنائية. سورة الحجر، الآية 9

"إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ"

لقد عالج الله تعالى التحديات الأساسية التي تواجه كل مجتمع مباشرةً، وقدم لها حلولاً فعّالة. وقد أدى حل هذه المشاكل الرئيسية إلى منع أو تخفيف عدد كبير من المشاكل الثانوية. وهذا يُظهر بوضوح قدرة القرآن الكريم

على تقديم توجيه شامل في جميع الأمور الأساسية اللازمة لرفاهية الأفراد والمجتمعات، مما يضمن لهم: سورة النحل، الآية 89. النجاح في الدنيا والنجاة في الآخرة

"...ونزلنا إليك الكتاب تبلياناً لكل شيء..."

تُمثل هذه الظاهرة المعجزة الأعظم والأزلية التي أنعم الله بها على خاتم رسله، النبي محمد صلى الله عليه وسلم. ومع ذلك، فإن منافعها العظيمة لا ينالها إلا من سعى بصدقٍ ونذر نفسه للحق. أما من سمح لشهواته الدنيوية بالتغلب عليه، فتمسك ببعض المبادئ وتجاهل بعضها الآخر، أو رفض تعاليمها رفضاً قاطعاً، فسيُلحق (سورة الإسراء، الآية 82) به في النهاية ضررٌ عظيم

وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً

:سورة الأنبياء الآية 50

وهذا حديث مبارك أنزلناه أفتجروون عليه فتتكرون

ثم يتحدث الله تعالى عن النبي الكريم إبراهيم عليه السلام، الجد المبجل لكفار مكة وأهل الكتاب في المدينة: سورة الأنبياء، الآية 51

ولقد آتينا إبراهيم حسنةً من قبلُ وكنا به عالمين

كان هذا أيضاً نقداً مباشراً لكل من عبدة الأصنام في مكة وأهل الكتاب في المدينة، الذين كانوا يفتخرون بشدة بانتمائهم إلى النبي إبراهيم عليه السلام. ومع ذلك، ورغم هذا الادعاء، فشلوا في محاكاة طاعته، بل أصروا على معصية الله تعالى. بل إن كلا الفريقين زعموا أنهم الورثة الحقيقيون لإرثه، بينما في الواقع كانت أفعالهم بمثابة خيانة واضحة له. وبلغ عصيانهم ذروته عندما رفضوا الإسلام، رغم اعترافهم بصدقه. لقد عاش عبدة الأصنام في مكة مع النبي محمد صلى الله عليه وسلم أربعين عاماً قبل إعلان نبوته. عرفوه عن كثب رجلاً: سورة يونس، الآية 16. ذا صدق وأمانة، وبالتالي لم يكن من المعقول اتهامه بالكذب.

"لأنني عشت بينكم عمراً قبل ذلك. أفلا تعقلون؟..."

علاوة على ذلك، ولأنهم أتقنوا اللغة العربية، أدركوا أن القرآن الكريم فوق تأليف البشر، ولا يمكن أن يكون كلام مخلوق. علاوة على ذلك، لم يكن للنبي محمد صلى الله عليه وسلم أي تفاعل مباشر مع الكتب السماوية السابقة، وهي حقيقة أقر بها أهل الكتاب وغير المسلمين في مكة. لذا، من البديهي أنه لم يكن على دراية بالتعاليم الأصلية أو المحرفة التي تضمنتها. اتسمت حياته قبل النبوة بالبساطة والنزاهة، وغياب أي دراسة رسمية للوحي السابق. هذه الحقيقة التي لا يمكن إنكارها تُعدّ دليلاً قاطعاً على المصدر الإلهي للقرآن الكريم. إن معرفته العميقة بالكتب السابقة، وتصحيحه للتحريفات، وعرضه للحقائق الخالدة، لا يمكن أن تأتي إلا من الله تعالى، الذي أحاط علمه بكل شيء. وهكذا، يقف القرآن الكريم كمعجزة حية، تؤكد صدق النبي محمد: سورة العنكبوت، الآية 48. صلى الله عليه وسلم، وحكمة الخالق اللامتناهية

وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون

علاوة على ذلك، كان علماء أهل الكتاب يعرفون القرآن الكريم، لعلمهم بمؤلفه الحق - الله تعالى .كما عرفوا صدق الإسلام، إذ ورد ذكر القرآن الكريم ومجيء النبي محمد صلى الله عليه وسلم في كتبهم السماوية .ولم يعذرهم علمهم بهذه النبوءات، إذ كانوا يعلمون أن خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم والوحي الأخير قد أنبئ بهما، ومع ذلك اختار كثيرون كتمان أو إنكار ما علموا أنه حق). سورة الأنعام، الآية ٢٠)

”...الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه«[القرآن الكريم [كما يعرفون أبناءهم»

:سورة البقرة، الآية 146

«الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم»

على المسلمين أن يحذروا بشدة من اتباع نهج هاتين الطائفتين بمجرد ادعاء الاعتزاز باتباع النبي محمد صلى الله عليه وسلم، مع إهمال الاقتداء به عملياً .فالولاء الحقيقي له لا يتجلى بالقول فحسب، بل بالطاعة الدائمة الصادقة لله تعالى، كما أظهرها هو نفسه طوال حياته المباركة .وتقتضي هذه الطاعة استخدام النعم التي أنعم بها الله تعالى على الوجه الذي يرضيه، لا إضاعتها في أمور باطلة أو ضارة .والقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم تُرسي هذا السلوك، وتُهدي المؤمنين في كل جانب من جوانب الحياة .إن ادعاء الانتماء إلى النبي صلى الله عليه وسلم دون السعي إلى تجسيد طاعته هو الوقوع في نفس التناقض الذي وقع فيه من افتخروا بنسبهم إلى النبي إبراهيم عليه السلام، مع عدم الاقتداء بسنته وسيرته الحسنة .سورة الأنبياء، الآية 51

ولقد آتينا إبراهيم حسنةً من قبلُ وكنا به عالمين

كان أساس حسن خلقه إخلاصه لله تعالى، مما شجعه على التسليم التام له في كل حال. سورة البقرة، الآية ١٣١:

"وَإِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلَمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لربِّ العالمين"

الإخلاص لله تعالى يقتضي أداء جميع الواجبات التي فرضها - سواءً أكانت أوامر أم نواهي - لمرضاته وحده. فيدون هذا الإخلاص، تفقد أعظم الأعمال قيمتها الحقيقية. وكما أكد حديث في صحيح البخاري، رقم 1، فإن قيمة كل عمل تتوقف على صفاء القصد منه. وبالتالي، فإن من عمل صالحاً دون إخلاص لله تعالى، فلن ينال جزاءً في الدنيا ولا في الآخرة. وفي الواقع، ووفقاً لحديث في جامع الترمذي، رقم 3154، فإن من عمل لأجل الآخرين دون الله تعالى، سيؤمر يوم القيامة أن يطلب جزاءه ممن عمل لأجلهم. ومع ذلك، فإن هذا الطلب سيكون عبثاً، لأنه لن ينفعه أحد يومئذ. وهذا بمثابة تذكير قوي بأن الإخلاص ليس مجرد فضيلة. سورة البينة، الآية 5: 98. بل هو الأساس الذي يعتمد عليه قبول الأعمال.

"وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ"

إذا تراخى الإنسان في أداء واجباته تجاه الله تعالى، فهذا التقصير دليلٌ واضحٌ على نقص الإخلاص. فالإخلاص الحقيقي يقتضي المثابرة على تنفيذ أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه. لذا، يجب على هذا الإنسان أن يسارع إلى التوبة الصادقة، مستغفراً من تقصيره، ومجدداً عزمه على أداء جميع الواجبات على أكمل.

وجه. ومن الضروري أن نتذكر أن الله تعالى، بحكمته ورحمته اللامتناهيتين، لا يُكلف نفساً فوق طاقتها. فكل أمرٍ مُناسبٌ تماماً للفطرة البشرية، وكل نهْيٍ هو لحماية دين الإنسان وجسده وروحه. لذا، عندما يسعى الإنسان لأداء واجباته، فعليه أن يفعل ذلك بثقةٍ وأمل، عالماً بأن الله تعالى لم يُشرع إلا ما في متناول يديه وما (سورة البقرة، الآية ٢٨٦). يُفَضِّي إليه في النهاية من توفيقٍ في الدارين

"لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا"

الإخلاص لله تعالى يعني أن يُقدِّم الإنسان رضاه على رضا نفسه أو رضا غيره. فالمؤمن الحقيقي يُقدِّم الأعمال التي يقصد بها الله تعالى على كل شيء. ويمتد هذا الإخلاص إلى علاقاته: فيحب الآخرين ويكره ذنوبهم لله تعالى، لا بدافع التفضيل أو الشهوة. فعندما يُساعد الناس أو عندما يمتنع عن المعاصي، لا يكون دافعه إلا ابتغاء مرضاة الله تعالى. ومن يتبنى هذه العقلية فقد اكتمل إيمانه، كما جاء في حديث أبي داود رقم 4681.

من أركان الإخلاص لله تعالى الثقة بقضائه واختياراته، مع اليقين بأنها خيرٌ لمن شملهم، حتى وإن خفيت الحكمة من ورائها. وتعكس هذه الثقة عمق إيمان المرء، إذ تُقرّ بأن الله تعالى عليمٌ حكيمٌ رحيمٌ رحيم وبالخضوع لمشيئته بصدقٍ ورضا، يحفظ الإنسان قلبه من اليأس والضغينة والشك، وينعم براحة البال في . ومن خلال حسن تدبير كل شيء وكل شخص في حياته، الدنيا والآخرة من خلال توازنٍ عقليٍّ وجسديٍّ (سورة البقرة، الآية ٢١٦).

"وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ..."

إن الرضا بأحكام الله تعالى التي توافق هوى النفس، والاستيلاء مما يخالفها، دليلٌ واضحٌ على عدم الإخلاص لله تعالى. ويتجلى الإخلاص الحقيقي في الاستقامة على طاعة الله تعالى، مهما كانت الظروف، امتثالاً لأوامره، واجتناباً لنواهيه، ومواجهة كل قدرٍ بالصبر والاستسلام. ومن يتحلّى بهذه الصفة، مقتدياً بالنبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، في كل أحوال الحياة، فهو صاحب الإخلاص الحقيقي. لا يززع إيمانه اليسر والعسر، ولا الكسب والخسارة، بل يركز على إخلاص لا يتزعزع لله تعالى، وثقته بحكمته التامة

:سورة الأنبياء، الآية 51

ولقد آتينا إبراهيم حسنةً من قبلُ وكنا به عالمين

،كان من حسن سيرته تفنيد معتقدات أمته الباطلة، ليهديهم إلى الإيمان وطاعته، فيطمئنوا في الدنيا والآخرة بتوازن حالتهم النفسية والجسدية، وحسن توزيع كل شيء وكل شخص في حياتهم). سورة الأنبياء، الآية 52)

"إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون"

ولأن إيمانهم لم يكن مبنياً على دليل أو علم أو منطق، لم يكن لديهم إلا الرجوع إلى آبائهم الجاهلين. سورة الأنبياء، الآية 53

"قالوا وجدنا آبائنا لهم عابدين"

من أهم أسباب الضلال عبر الأجيال التقليد الأعمى للرأي السائد في المجتمع .سورة الأنبياء، الآية ٥٤

"قال لقد كنتم أنتم وأباؤكم في ضلال مبين"

ينبغي على الأفراد الامتناع عن اتباع الآخرين دون تمحيص، لأن الاتجاهات السائدة في المجتمع غالبًا ما تُبْعِدُهم عن الحق والعدل .فعندما يلاحظ المرء تجاهل الأغلبية للتوجيه الأخلاقي أو المعنوي، قد يفترض أن هذا السلوك صحيح، فيُقلِّده دون تفكير .في الواقع، رأي الأغلبية ليس بالضرورة مرادفًا للحقيقة .يُقَدِّمُ التاريخ أمثلة عديدة على معتقدات راسخة دحضت لاحقًا بأدلة وفهم جديدين، مثل الاعتقاد الخاطئ الشائع بأن الأرض مسطحة .لذلك، من الضروري تجنب التصرف كأتباع غير مُفَكِّرِينَ، مُنْصَاعِينَ بشكل أعمى للرأي العام .فمثل هذا السلوك غالبًا ما يؤدي إلى الخطأ والالتباس وسوء التقدير في الأمور الدنيوية والدينية .بدلًا من ذلك، ينبغي على الأفراد التحلي بالعقل والتأمل والفتنة لضمان أن تكون أفعالهم مُوجَّهة بالحق لا بميل .سورة الأنعام، الآية 116 .العامة المتغيِّرة

"وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يظنون"

وسورة الأنبياء، الآية 54

"قال لقد كنتم أنتم وأباؤكم في ضلال مبين"

بدلاً من ذلك، ينبغي على الأفراد استخدام ما وهبوا من ذكاءٍ وقدرةٍ على التفكير، وتقييم كل موقفٍ من منظور المعرفة والدليل. يُمكنهم هذا النهج المدروس من الوصول إلى استنتاجاتٍ سليمةٍ ومستنيرة، حتى لو اختلفت هذه الاستنتاجات عن الآراء السائدة لدى الأغلبية. لطالما اعتُبر التقليد الأعمى، لا سيما في مسائل العقيدة والمبادئ، مصدرًا للخطأ. لذا، يتطلب الفهم الحقيقي من الأفراد طلب المعرفة، والتأمل بعمق، والعمل بناءً: سورة يوسف، الآية 108. على البصيرة لا على التقاليد الجاهلة أو التوافق الاجتماعي

"...قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني"

في الحقيقة، كل من يتجاهل قواعد السلوك الإسلامية ويفضل قواعد بشرية بديلة إنما يفعل ذلك أساسًا لإشباع رغباته الدنيوية، لأن جميع القواعد الأخرى مبنية أساسًا على الميول البشرية. غالبًا ما يُظهر الميسورون والنافذون تمسكًا أقوى بهذه العقلية، إذ يدركون أن قبول حقيقة الإسلام يستلزم اتباع إطار أخلاقي محدد، يحد من سعيهم وراء الأهواء الضالة. هذا السلوك لا يتوقف على كون الإسلام عقيدة صحيحة أو خاطئة مدعومة بأدلة واضحة؛ بل هو ببساطة إشباع للرغبات الشخصية. وبالتالي، يُرجون لهذه العقلية لدى الآخرين، خوفًا من فقدان نفوذهم وسلطتهم. تاريخيًا، يُفسر هذا سبب كونهم أول من رفض وعارض الأنبياء عليهم السلام، غالبًا ما تبدأ هذه المعارضة بتحذيرات خفية من تحدي أو معارضة أسلوب حياتهم. سورة الأنبياء، الآية 55، سورة 21.

"قالوا أجنّتنا بالحق أم أنت من اللاعبين"

هذا التهديد الخفي ليس قاصرًا على الماضي، بل يُشاهد غالبًا في العصر الحاضر. أحيانًا تُلمّح شخصيات نافذة، كالسياسيين وقادة المجتمع، إلى تقييد المسلمين من ممارسة دينهم بحرية. وقد يُصوِّرون هذه القيود على

،أنها واجب مفترض للقضاء على ممارسات تُناقض، في نظرهم، مفاهيمهم عن الحرية أو التكامل الاجتماعي في مواجهة .مع أن هدفهم الوحيد هو الحفاظ على قواعد السلوك التي تُمكنهم من تحقيق رغباتهم الدنيوية هذه الانتقادات، يجب على المرء أن يبقى ثابتاً على طاعة الله تعالى، فهو وحده من يمنح راحة البال والحماية من أذى الآخرين، حتى وإن لم يكن ذلك واضحاً له فوراً .في المقابل، من يسعى لإرضاء المجتمع وهو يعصي الله تعالى، لن ينجو من عقابه ولن يُفلح في إرضاء الناس حقاً، لأن المجتمع والمعايير الدنيوية - كتلك التي تُشكّلها وسائل التواصل الاجتماعي والموضة والثقافة - متقلبة ودائمة التغير .أدرك النبي إبراهيم عليه ،سورة الأنبياء .السلام هذه الحقيقة، فتمسك بها رغم تحذيرات قومه الماكرة له بالكف عن انتقاد أسلوب حياتهم :الآية ٥٦

"قال بل ربكم رب السماوات والأرض الذي فطرهن وأنا على ذلك من الشاهدين "

عندما يتأمل المرء في تكوين السماوات والأرض، إلى جانب الأنظمة المتوازنة بدقة، يجد نفسه مُفْتَنّاً بأن كياناً واحداً هو الذي خلق الكون ويحافظ عليه .ويُعد البعد الدقيق بين الشمس والأرض مثالاً واضحاً على ذلك، إذ سيكون الكوكب غير صالح للسكن لو كان النجم أقرب أو أبعد قليلاً .وبالمثل، صُمم تكوين الأرض .(سورة البقرة، الآية ١٦٤) .نفسه لتوفير غلاف جوي نقي ومتوازن، مما يُتيح ازدهار الحياة

"...واختلاف الليل والنهار ..."

إن الجدولة الدقيقة للأيام والليالي، إلى جانب اختلاف مدتها على مدار العام، تُمكن البشرية من تحقيق أقصى استفادة ممكنة منها .فإذا طالت الأيام، سيُنْهَك الناس من طولها .وعلى العكس، إذا طالت الليالي، فلن يكون هناك وقت كافٍ لكسب الرزق أو السعي وراء مساعٍ نافعة، كإكتساب المعرفة .وإذا قصرت الليالي، حُرِم الناس من الراحة اللازمة لصحة مثالية .كما أن التغيرات في طول الليل والنهار ستؤثر سلباً على المحاصيل مما يؤثر سلباً على القوت المتاح للإنسان والحيوان .علاوة على ذلك، فإن كون الليل والنهار، إلى جانب جميع الأنظمة المتوازنة الأخرى في الكون، تعمل في تزامن تام، دليل واضح على وحدانية الله تعالى .إن

وجود آلهة متعددة سيؤدي حتمًا إلى رغبات متضاربة، مما سيؤدي في النهاية إلى فوضى في جميع أنحاء الكون). سورة الأنبياء، الآية 22)

"وَلَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا"

سورة البقرة، الآية 164

"والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء "

إن النظر في دورة المياه المتوازنة تمامًا يُشير بوضوح إلى وجود خالق. فماء البحر يتبخر، ثم يرتفع، ثم يتكثف مُشكلاً أمطاراً حمضية تتساقط على الجبال. تعمل هذه الجبال بعد ذلك على معادلة حموضة الماء مما يجعله صالحاً للاستهلاك البشري والحيواني. أي انحراف عن هذا النظام المتوازن تمامًا من شأنه أن يُعجل بكارثة لجميع أشكال الحياة على الأرض. علاوة على ذلك، يعمل محتوى الملح في البحر على منع تلوث المحيط بالكائنات الميتة. فإذا أصبح المحيط ملوثاً، فلن تنقرض الحياة البحرية فحسب، بل ستغرق السمية الناتجة الحياة على اليابسة أيضاً. لقد خضع تركيب الماء في المحيطات والبحار لمعايير دقيقة تسمح بازدهار الحياة البحرية فيه وملاحة السفن الثقيلة على سطحه. فإذا تغير تركيب الماء ولو قليلاً، فسيحدث خلل، مما يُتيح إما ازدهار الحياة البحرية أو إبحار السفن، ولكن ليس كليهما في آن واحد. وحتى اليوم، لا يزال النقل البحري هو الوسيلة السائدة لنقل البضائع حول العالم. وهذا التوازن الرائع ضروري لاستدامة الحياة على الأرض.

تفترض نظرية التطور حدوث التغيير من خلال الطفرة، وهي بطبيعتها عملية غير كاملة. ومع ذلك، عند دراسة الأنواع العديدة، يُلاحظ أنها خُلقت في حالة من التوازن المثالي، مما يُمكنها من النمو والازدهار في

بيئاتها الخاصة .على سبيل المثال، خُلِقَ الجمل ليتحمل درجات الحرارة العالية ويعيش لفترات طويلة دون .سورة الغاشية، الآية 17 .الحاجة إلى شرب الماء .لذا، فهو مُهيأً تمامًا لحياة الصحراء

أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ؟

تُقدم الماعز مثالاً آخر على هذا التصميم المثالي، إذ يضمن تركيبها الفسيولوجي فصل الشوائب داخل جسمها .فصلاً تاماً عن الحليب الذي تُنتجه .أي تلوث أو اختلاط بين المادتين سيجعل الحليب غير صالح للاستهلاك .سورة النحل، الآية 66

وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها من بين فرث ودم لبنًا خالصًا سائغًا للشاربين

لكل نوع عمر محدد، وهي آلية تمنع أي مجموعة من الكائنات من الهيمنة التامة على جميع المجموعات الأخرى .على سبيل المثال، تعيش الذبابة الشائعة حياة قصيرة جدًا لا تتجاوز ثلاثة إلى أربعة أسابيع، ومع ذلك فهي قادرة على وضع ما يصل إلى خمسمائة بيضة .لو طُور هذا العمر، لتزايدت أعدادها بسرعة غير متناسبة، مما يُمكنها من التفوق على جميع الأنواع الأخرى على الكوكب .على العكس من ذلك، غالبًا ما تكون الكائنات ذات العمر الطويل جدًا قادرة على إنتاج عدد قليل من النسل، مما يضمن بالمثل تنظيم حجم مجموعاتها .هذه الترتيبات الدقيقة والمتوازنة تتحدى التفسير باعتبارها مجرد صدفة، ولا يمكن تفسيرها .سورة البقرة، الآية ١٦٤ .بشكل كافٍ من خلال عملية التطور

"...وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض..."

للرياح وظيفة أساسية متعددة الجوانب، فهي تُسهّل التلقيح الريحي الذي يُمكن من تكاثر المحاصيل والنباتات والأشجار. تاريخيًا، كانت الرياح ضرورية للسفر البحري، وهي الطريقة التي لا تزال الوسيلة العالمية، الرئيسية لنقل البضائع حتى يومنا هذا. كما تُعدّ الرياح ضرورية لنقل السحب الممطرة إلى مناطق محددة مما يُوفّر الماء الحيوي الضروري لجميع الخليقة. يُلاحظ توازن مثالي في نظام الرياح على الأرض، إذ إن غياب الرياح يُؤدي إلى فوضى للكائنات الحية، تمامًا كما أن الزيادة المفرطة في سرعة الرياح وقوتها تُؤدي أيضًا إلى فوضى واسعة النطاق. وبالمثل، يُحافظ على توازن مثالي لهطول الأمطار، حيث أن قلة الأمطار سورة المؤمنون، الآية. تُؤدي إلى الجفاف والمجاعة، بينما تُسبب الأمطار الغزيرة فيضانات عارمة مُدمرة

18:

"ولقد أنزلنا من السماء ماءً بقدرٍ فأسكناه في الأرض وإنا على ذهابٍ به لقادرون"

إن من يتأمل هذه الأنظمة المتوازنة تمامًا لا يستطيع، وفقًا للمنطق، أن ينكر وجود خالق واحد ذي سلطان مطلق على كل شيء. سورة الأنبياء، الآية 56

"قال بل ربكم رب السماوات والأرض الذي فطرهن وأنا على ذلك من الشاهدين "

من يُلبّي احتياجات الآخرين، كسكنهم، يستحقّ الشكر بلا شك. وبما أن الله تعالى قد أنعم على البشرية بكلّ نعمة في هذا الكون، فمن العدل والإنصاف أن يُظهر الناس امتنانهم له. شكر النية الباطنة يقتضي القيام بالأعمال بقصد رضا الله تعالى فقط. من كانت أعماله مدفوعة بعوامل خارجية فلن ينال ثواب الله تعالى، وهو ما حدّر منه حديث في جامع الترمذي، رقم 3154. ومن الدلائل الواضحة على صدق النية عدم انتظار، التقدير أو الجزاء من الآخرين. الشكر باللسان إما أن يكون بالقول النافع فقط أو بالصمت. علاوة على ذلك فإن الشكر بالأعمال يقتضي استخدام النعم الممنوحة على الوجه الذي يرضي الله تعالى، كما هو منصوص عليه في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. هذه الممارسة الشاملة للشكر تُفضي إلى زيادة

من خلال تحقيق حالة ذهنية وجسدية، في النعم، وفي نهاية المطاف، إلى راحة البال في الدنيا والآخرة
:سورة إبراهيم، الآية 7 . متوازنة، ووضع كل شيء وكل شخص في مكانه الصحيح

لئن شكرتم لأزيدنكم

في العادة، عندما يمتلك الفرد شيئاً ما، يحق له عمومًا استخدامه وفقًا لتقديره الخاص. وبما أن الله تعالى هو
الذي خلق كل شيء في الكون، بما في ذلك البشر، ويملكه ويديمه، فمن المنطقي أنه وحده صاحب السلطة
على تحديد ما يحدث في الكون. لذا، من الإنصاف والعدل أن يطيع الإنسان الله تعالى، فهو المالك الوحيد
للكون بأسره، وتمتد ملكيته إليه

وبالمثل، عندما يُقرض شخصٌ ما شيئاً لشخصٍ آخر، يُتوقع من المُقرض أن يستخدمه وفقًا لرغبات المالك
،لقد منح الله تعالى كل نعمةٍ يملكها الإنسان، ليس هبةً دائمةً، بل قرضًا. وكما هو الحال في أي دينٍ دنيوي
يجب سداد هذا القرض. والطريقة الوحيدة لسداد هذا القرض الإلهي هي استخدام تلك النعم فيما يُرضي الله
،سورة الأعراف. تعالى. أما بركات الجنة، فهي هبة، وبالتالي يكون الناس أحرارًا في استخدامها كما يشاؤون
:الآية 43

"وقيل لهم: تلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون ..."

لذا، يجب الحذر من الخلط بين النعم الممنوحة في الدنيا، والتي تُعتبر قرضًا، والعطايا الأبدية التي تنتظرنا
:في الجنة. سورة الأنبياء، الآية ٥٦

"قال بل ربكم رب السماوات والأرض الذي فطرهن وأنا على ذلك من الشاهدين "

لما أراد النبي إبراهيم عليه السلام أن يُظهر لقومه أن الأصنام الجامدة لا نفع لها ولا ضرر، خطط لتدميرها.
سورة الأنبياء، الآيات ٥٧-٦١

:والله لأكفرن بأصنامكم من بعد ما توليتم ومضيتم "فجعلها حطامًا إلا واحدًا منها لعلهم فيه يرجعون .قالوا " من فعل هذا بالهتنا إنه لمن الظالمين .قالوا :سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم .قالوا :فأتوا به على أعين .الناس لعلهم يشهدون "

أراد قادة مجتمعه أن يجعلوا من النبي إبراهيم عليه السلام قدوة حسنة، مانعين بذلك الآخرين من السير على خطاه بتحدي أسلوب حياتهم .وكثيرًا ما نشهد هذا النوع من الاستهداف العلني في عالمنا المعاصر، حيث يُستهدف من يتحدون الممارسات الضالة للمجتمع علنًا، كما هو الحال من خلال حملات على مواقع التواصل الاجتماعي تهدف إلى تشويه صورتهم العامة واستهداف عائلاتهم وأصدقائهم ووظائفهم .ومن الغريب أن هؤلاء يدعون حرية التعبير عندما يستهدفون من يتحدون أسلوب حياتهم، لكنهم لا يمنحون من يتحداهم نفس الحقوق .في مواجهة هذه المعارضة، يجب على المرء أن يظل ثابتًا كما فعل النبي إبراهيم عليه السلام، عالمًا أن راحة البال لا تُنال إلا بطاعة الله تعالى، لا بإرضاء الناس .سورة الأنبياء، الآيتان 62-63

"قالوا أفعلت هذا بالهتنا يا إبراهيم قال بل فعل ذلك هذا كبيرهم فاسألهم إن كانوا ينطقون "

ولم يثبت النبي الكريم إبراهيم عليه السلام لقومه عجز آلهتهم عن حماية أنفسهم فحسب، وبالتالي إثبات عدم قدرتهم على حماية أي شخص آخر، بل ذكرهم أيضًا أن الإله الذي لا يستطيع التواصل مع أتباعه لن يتمكن أبدًا من هدايتهم إلى أي شيء جيد في الدنيا أو في الآخرة.

في الواقع، كل مجتمع يتبنى قواعد سلوكية من صنع الإنسان -- سواءً عبادة الأصنام أو غيرها من الأنظمة التي يبتدعها - يفعل ذلك متوهمًا أن هذه القواعد تمنحه الفضيلة في نظر أقرانه، وفي الوقت نفسه تمنحه حرية الانغماس في شهواته الدنيوية. وهكذا، يُسيئون استخدام النعم التي أنعم الله عليهم بها، فيوجهونهم نحو إشباع الذات بدلًا من الطاعة الصادقة. وقد نشأ ميلهم إلى هذه العبادة من إدراكهم أن صنمًا ميثًا، أو أي بناء، عاجز، لا يمكن أن يوفر لهم بوصلة أخلاقية حقيقية أو قواعد سلوكية ملزمة. فبتقديسهم ما هو عاجز بطبيعته حرروا أنفسهم من المساءلة، مانحين أنفسهم حرية وضع معاييرهم وإرشاداتهم الخاصة - معايير تتماشى مع رغباتهم لا مع التوجيه الإلهي. -لم يُفسد هذا الخداع الذاتي عبادتهم فحسب، بل شوه أيضًا فهمهم للفضيلة واستبدل الحقيقة الإلهية بهوى الإنسان. فلما أدرك قومه هذه الحقيقة، انتقد كل واحد منهم نفسه سرًا. سورة الأنبياء، الآية 64

"فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون "

أدركوا أن قبول الحق يعني ضرورة ضبط شهواتهم بالاستخدام الصحيح للنعم التي أنعم الله بها عليهم، كما بينتها التعاليم الإلهية. لكن بما أنهم سيطروا على شهواتهم، فقد غلبتهم، ولذلك ظلوا على نهجهم الباطل، مع علمهم ببطلانه). سورة الأنبياء، الآية 65، سورة 21)

"...ثم انقلبوا "

إن كون هذه الآية في حالة سلبية يدل على القوة الجارفة لشهواتهم الدنيوية التي دفعتهم إلى العودة إلى معتقداتهم وبوجه عام، عندما تستحوذ على المرء شهواته الدنيوية، يفقد السيطرة على أفعاله تدريجياً، ويدفعه الضالة دافع إشباعها فقط، متجاهلاً في كثير من الأحيان العواقب الوخيمة التي تترتب على ذلك. وتشبه هذه الحالة حالة مدمن المخدرات، الذي يدفعه إدمانه إلى البحث عن المخدرات، مما يجرده من ضبط نفسه ويُسَوِّش حكمه. وفي مثل هذه الحالة، قد يرتكب أفعالاً خاطئة، كالسرقة، غافلاً عن الضرر الذي يلحقه بنفسه وبالآخرين وبالمثل، يمكن أن يتطور التعلق المفرط بالملذات الدنيوية - كالسعي الحثيث وراء الثروة أو المكانة أو المتعة إلى شكل من أشكال الإدمان الذي يُسيطر على سلوك الإنسان. وعندما تشتد الرغبة دون رادع، فإنها - تستعبد القلب والعقل، مما يؤدي إلى الفساد الأخلاقي، واتخاذ قرارات متهورة، وفي نهاية المطاف، إلى الأذى الروحي والجسدي. لذلك، من الضروري تعلم ضبط النفس والتحكم في رغباتها، والسعي وراء الحلال والنفع فقط، وبتوازن. فبضبطها ضمن حدود الله تعالى، بقي الإنسان نفسه من عواقب الإفراط المدمرة، التي تتجلى دائماً في أعمال غير أخلاقية، واضطرابات داخلية، ومشاكل صحية، نفسية وجسدية. فالحرية الحقيقية لا تكمن، في الاستسلام للرغبة، بل في السيطرة عليها بالطاعة والاعتدال وضبط النفس تحت -إشراف الهداية الإلهية من خلال تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع، فهذا يضمن راحة البال في الدنيا والآخرة كل شيء وكل شخص في حياته على الوجه الصحيح.

ثم ذكّرهم النبي إبراهيم عليه السلام بأن صنماً لا روح فيه لا يهديهم ولا يضرهم ولا ينفعهم. سورة الأنبياء
الآيات 65-67

ثم ردّوا لقد علمت أن هؤلاء لا ينطقون قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم بئساً لكم "ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون؟"

ولكن لما أتاحت لهم شريعتهم الباطلة تحقيق جميع شهواتهم الدنيوية، فقد تمسكوا بها رغم الأدلة الواضحة، التي أظهرها لهم النبي إبراهيم عليه السلام. ولما لم يكن لديهم دليل يُثبت شريعتهم الباطلة، لجأوا إلى العنف كما يلجأ الناس في كل عصر إلى التهريب والعنف عند الطعن في معتقداتهم وشريعتهم الباطلة). سورة (الأنبياء، الآية 68، سورة 21

"قالوا حرقوه وانصروا آلهمكم إن كنتم فاعلين"

بشكل عام، غالباً ما يُسبب الأفراد الذين يختارون مساراً منحرفاً عن الأعراف المجتمعية السائدة - وخاصةً المسار القائم على طاعة أوامر الله تعالى - انزعاجاً لدى أولئك الذين تحكم أهوائهم الشخصية حياتهم في المقام الأول. يتجلى هذا الانزعاج الداخلي غالباً في صورة نقد أو سخرية أو معارضة صريحة، وقد يكون حاداً بشكل خاص في الدوائر الضيقة من العائلة والأصدقاء. لا تُمثل هذه الانفعالات السلبية بالضرورة حكماً على صحة إيمان الفرد، بل هي انعكاس للتحدي الذي يُشكله على قيم أقرانه وأنماط حياتهم وتبريراتهم الذاتية - ونتيجةً لذلك، غالباً ما يُقابل الالتزام الراسخ بالمبادئ الدينية بالمقاومة، حتى عندما يكون هذا الالتزام سليماً أخلاقياً وسليماً روحياً.

في المجتمع المعاصر، تُمارس قوى مؤثرة، مثل وسائل التواصل الاجتماعي، واتجاهات الموضة، والمعايير الثقافية السائدة، ضغطاً هائلاً على من يسعون إلى ترسيخ القيم الإسلامية. ويُصور أحياناً ممارسة الإسلام، والترويج له على أنها عائقان أمام النجاح المادي، والاعتراف الاجتماعي، والقبول العام. علاوة على ذلك، قد تُقاوم المؤسسات والقطاعات التي تُنتقد الأخلاق الإسلامية بشدة تبني مبادئها، مما يُثني عن الالتزام بها ويُهمّش من يُدافع عنها. وقد ساهمت هذه المقاومة بشكل كبير في انتشار -المشاعر المعادية للإسلام، لا سيما عبر المنصات الرقمية ووسائل التواصل الاجتماعي، حيث غالباً ما تُصاغ الخطابات بشكل استراتيجي لتقويض الالتزام الديني.

كثيراً ما يواجه أتباع الإسلام، الذين يعتنقون الاعتدال في شهواتهم ويحسنون استخدام نعم الله تعالى، معارضة ممن يعيشون حياةً جامحة، منغمسين في نزواتٍ يصفها الإسلام بالحيوانية. وقد يحاول هؤلاء ثني الآخرين عن اعتناق الإسلام، مروجين بدلاً من ذلك لأسلوب حياة تحكمه الشهوات الجامحة. وكثيراً ما يستهدف المنتقدون ممارساتٍ إسلاميةً محددة، مثل قواعد اللباس المفروضة على النساء، في محاولةٍ لتقويض مصداقية الدين وأهميته. ومع ذلك، يستطيع المراقبون الفطنون بسهولة تمييز سطحية هذه الاعتراضات، مُدركين أنها تتبع في نهاية المطاف من انزعاجٍ أعمق من تركيز الإسلام على الانضباط والحياء وضبط النفس. على سبيل المثال، بينما يواجه الزي الإسلامي تدقيقاً مفرطاً، لا تُثار اعتراضاتٌ تُذكر على الزي

الرسمي المفروض في مهن مثل إنفاذ القانون، والجيش، والرعاية الصحية، والتعليم، وقطاعات الشركات، يكشف هذا النقد الانتقائي عن التناقض وغياب المنطق السليم الكامن وراء هذه الحجج. في نهاية المطاف ليست الممارسات الظاهرية بحد ذاتها هي ما يثير المقاومة، بل مبادئ الإسلام الأساسية وسلوك أتباعه المنضبط. تتناقض هذه المبادئ تناقضًا صارخًا مع أنماط الحياة القائمة على الشهوات والملذات، وهذا التناقض العميق هو ما يدفع المنتقدين إلى الإساءة إلى الدين عبر قنوات مختلفة. سورة الأنبياء، الآية 68، سورة 21

"قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين "

في مثل هذه الظروف الصعبة، لا تُصبح طاعة الله تعالى الثابتة مجرد فضيلة، بل ضرورة لا غنى عنها، فهي تُنمّي في المؤمن شعورًا عميقًا بالسلام الداخلي، وتُشكّل درعًا واقياً من الضغوط الخارجية الضارة حتى وإن لم تكن تلك الحماية ظاهرة للعيان. ومن خلال الالتزام الراسخ، يتعلم المرء استخدام النعم الممنوحة له على الوجه الصحيح، مُحققًا بذلك التوازن النفسي والجسدي. تُرسّخ هذه الطاعة النظام في جميع جوانب الحياة، وتضمن الاستعداد الكافي للحساب النهائي يوم القيامة. وهكذا، تتجاوز طاعة الله تعالى نطاق الواجب الروحي فحسب؛ بل تُصبح مصدرًا للتناغم والاستقرار في شؤون الدنيا، مانحةً السكينة في الدنيا ومؤمنَةً السلام الأبدي في الآخرة. من يثبت على إيمانه يُهدى إلهيًا في كل ظرف، سواءً أكان يسرًا أم بلاءً، مما يُعزز صفاءه وينال ثوابًا لا يُحصى يتجاوز حدود إدراك الدنيا. سورة الأنبياء، الآيات 69-71

يا نار كوني بردًا وسلامًا على إبراهيم وأرادوا به سوءًا فجعلناهم الأخسرين ونجيناه ولوطًا إلى الأرض الله التي باركنا فيها للعالمين

في المقابل، فإنّ اختيار تجاهل أوامر الله تعالى، سعيًا وراء رضا الآخرين الزائل، يؤدي حتمًا إلى فقدان السلام الداخلي. هذا المسار يؤدي إلى إساءة استخدام النعم، مما يُحدث اضطرابًا في الحالة النفسية والجسدية ويؤدي إلى ضياع كل شيء وكل شخص في حياته. هذا المسار يُؤلّد التوتر والاضطراب والمشقة في هذه الدنيا، بغض النظر عن أي راحة مادية قد تُصاحبه مؤقتًا. والأخطر من ذلك، أنه يمنع الفرد من الاستعداد

للمحاسبة في الآخرة، حيث سيقف بين يدي من هو مطلع على كل نية وقول وعمل. يومئذ لا يُغني عنهم عذر، ولا يحجبهم رضا دنيوي عن عدل الله تعالى. سورة الأنبياء، الآية 70

"وأرادوا به سوءا فجعلناهم الأخسرين "

لكي يتبنى المرء السلوك الصحيح، لا بد من تقوية إيمانه. فالإيمان الراسخ الراسخ ضروري للبقاء على طاعة الله تعالى في كل أحواله، سواء في السراء والضراء. وينمو هذا الإيمان العميق بفهم وتطبيق الآيات والتعاليم الواضحة في القرآن الكريم وأحاديث النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم. فهذه التعاليم الإلهية تثبت أن طاعة الله تعالى هي سبيل السلام في الدنيا والسكينة الدائمة في الآخرة. أما من يفتقر إلى معرفة المبادئ الإسلامية، فيضعف إيمانه حتمًا، مما يجعله عرضة للانحراف عن الطاعة، لا سيما عندما تتعارض أهواؤه الشخصية مع الهداية الإلهية. وهذا النقص يُعميهم عن حقيقة أن التخلي عن أهوائهم لاتباع أوامر الله تعالى هو مفتاح السلام الحقيقي في الدنيا والآخرة. لذا، يجب على كل فرد تقوية إيمانه من خلال السعي وراء المعرفة الإسلامية وتطبيقها عمليًا. وبذلك، يضمن استمرار طاعته لله تعالى في جميع الأحوال. وتتطلب هذه الطاعة حسن استغلال النعم الممنوحة له، وفقًا لهدى الإسلام. والنتيجة هي حياة متوازنة - عقليًا وجسديًا، وروحيًا - حيث تُرتب الأولويات بدقة، وتتناغم جميع جوانب الوجود في ظل التوجيه الإلهي. سورة الأنبياء: الآية 71

"ونجيناه ولوطا إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين "

هذه الأرض هي القدس، التي باركها الله تعالى للناس أجمعين، لا لبني إسرائيل فقط. وكذلك بارك الله تعالى مكة المكرمة). سورة الحج، الآية ٢٥)

"والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاشق فيه والظاعن فيه"

يُقيّم الإسلام المكانة الحقيقية للناس بناءً على معيار. بشكل عام، يُشير هذا إلى أهمية المساواة في الإسلام واحد ثابت: مدى إخلاصهم في طاعة الله تعالى. تتجلى هذه الطاعة في استخدام النعم التي أنعم الله بها عليهم بما يرضيه، كما هو مبين في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم. جميع المعايير الأخرى التي غالبًا ما يقيس بها الناس قيمتهم - مثل الجنس أو العرق أو النسب أو الطبقة الاجتماعية - لا قيمة لها عند الله تعالى. إن اتخاذ مثل هذه الإجراءات هو دعوة للعنصرية والغلظة والفرقة داخل - سورة. المجتمع، وكلها أمور مُدانة في الإسلام. الشرف الحقيقي يكمن فقط في التقوى وإخلاص الطاعة: الحجرات، الآية 13

"...إن أكرمكم عند الله أتقاكم..."

يجب أن نتذكر أيضًا أن النية خافية على البشر. لا أحد يستطيع معرفة باطني غيره حق المعرفة، ولا يستطيع الحكم على من هو أفضل عند الله تعالى، بناءً على الأفعال الظاهرة وحدها. ولذلك، يجب على المؤمنين الامتناع عن الادعاء بأحوال الآخرين - أو حتى أنفسهم - لأن المعرفة النهائية بالقول والعمل لله تعالى وحده، وهو وحده من يحكم بالعدل يوم القيامة). سورة النجم، الآية 32)

"فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى"

لم يُنعم الله تعالى على النبي إبراهيم عليه السلام إلا بعد أن بذل تضحياتٍ جسام في سبيل الله تعالى، كَرَدِّ ضلال قومه، وصبرهم على أذيتهم، وهجرتهم، حتى أنعم الله عليه بنعمه الجزيلة). سورة الأنبياء، الآية 72)

ووهبنا له إسحاق ويعقوب أيضا وكلا جعلنا صالحين

،من الضروري إدراك أنه كما لا يمكن لأي فرد تحقيق نجاح دنيوي - كأن يصبح طبيبًا - دون جهد وتضحية ،كذلك لا يمكن لأحد أن ينال راحة البال في الدنيا والآخرة دون السعي والتضحية في سبيل الله تعالى .وللأسف ،يظن كثير من المسلمين خطأ أن مجرد إعلان إيمانهم بالإسلام يكفي لضمان السلام والنجاح في الدنيا والآخرة .هذا الاعتقاد الخاطئ يقودهم إلى الاعتقاد بأن رضا الله تعالى لا يتطلب أي جهد أو تضحية .في الحقيقة، يقدم الإسلام فلسفة واضحة وشاملة :الخير الذي يناله المرء في الدنيا والآخرة يتناسب طرديًا مع الجهد الذي يبذله إذا لم يكرس المسلم نفسه لرضا الله تعالى - باستخدام النعم التي وهبها له وفقًا لهدى القرآن الكريم والسنة ،النبوية الشريفة - فلا ينبغي له أن يتوقع جزاءً وافرًا من الله تعالى .لا يُمنح الفضل الإلهي بالادعاءات الفارغة :سورة النجم، الآية 39 .بل بالسعي الصادق والطاعة والتضحية

"وأن ليس للإنسان إلا ما سعى"

حتى الأنبياء عليهم السلام لم يُهتدوا إلا بعد أن سعوا بإخلاص تامٍّ لمرضاة الله تعالى، مُستغلين ما أنعم الله عليهم به على الوجه الصحيح .فكان اجتهداهم الدؤوب وصبرهم وتضحياتهم سبيلًا إلى اكتمال الهداية الإلهية لهم، وجعلهم قدوةً للبشرية جمعاء) .سورة الأنبياء، الآية 73)

"وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين"

يُبرز الجزء الأول من هذه الآية الأهمية البالغة للقيادة بالقُدوة، فهذا جوهر القيادة الحقيقية. فالقيادة بالقُدوة تعني تعلم تعاليم الإسلام والعمل بها بما يُدرك الآخرون صدقها قولاً وفعلاً. فبهذا المعيار فقط، يُمكن للمؤمنين تعليم القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم للأجيال القادمة بفعالية، حتى يعتنقوا الإسلام على بصيرة لا تقليدًا أعمى. هذا الأساس يضمن ثباتهم على تعاليم الإسلام طوال حياتهم. ومن المحزن للغاية أن يُظهر العديد من الآباء اليوم حرصًا كبيرًا على نقل المعرفة الدنيوية لأبنائهم - المعرفة التي قد تؤدي بالفعل إلى النجاح الدنيوي - ومع ذلك يُهملون واجبهم في توفير التربية الدينية السليمة لهم. بل غالبًا ما يُفوضون هذه المسؤولية بالكامل للآخرين، مع أن من واجبهم غرس أسس الإسلام في نفوس أبنائهم. ومع أن تشجيع السعي وراء المعرفة الدنيوية أمرٌ محمود، إلا أنه يجب ألا يكون على حساب التعليم الديني. إن إرسال الأطفال، إلى المساجد لمجرد تعلم تلاوة القرآن الكريم دون فهم لا يكفي. يجب على الشاب أن يعتنق الإسلام بالدليل لا بالتقليد الأعمى، وإلا سينحرف عنه تدريجيًا، معتبرًا إياه مجرد هوية ثقافية قابلة للتخلي عنها مع مرور الوقت. على النقيض من ذلك، عندما يعتنق المرء الإسلام بأدلة واضحة، فإنه يدرك أنه ليس تقليدًا، بل منهج حياة شامل، يُنظم كل موقف، ويُرشد إلى حسن استغلال كل نعمة من الله تعالى. ولا يتحقق هذا إلا عندما يتولى كبار السن في الأسرة، وخاصة الوالدين، مسؤولية تعليم الأدلة الواضحة على صدق الإسلام. وهذا بدوره لا يتحقق إلا عندما يكون هؤلاء الكبار قدوة حسنة، فيتعلمون تعاليم الإسلام، ويستوعبونها، ويعملون بها بإخلاص وثبات. وهكذا، يصبحون براهين حية على الإيمان، يُرشدون الجيل القادم ليس فقط من خلال التعليم، بل من خلال شهاداتهم التي لا تُنكر من حياتهم.

:سورة الأنبياء، الآية 73

"...وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات"

هذا يعني استخدام النعم الممنوحة للإنسان استخدامًا صحيحًا وصادقًا وفقًا للتعاليم الإلهية. وبذلك، يصل الإنسان إلى حالة من التوازن النفسي والجسدي، ويضع كل شيء وكل شخص في مكانه الصحيح في حياته. هذا الانضباط يضمن له الاستعداد الكافي للمحاسبة يوم القيامة، حين تُسأل كل نعمة ويُوزن كل عمل بعدل تام. هذا الأسلوب في العيش لا يحميه فقط من الفوضى والاضطراب وسوء الأولويات في هذه الدنيا، بل يضمن أيضًا أن تظل خياراته متوافقة مع الهداية الإلهية. بهذه الطريقة، يبني حياةً منسجمة، حيث لا تتعارض المسؤوليات الدنيوية والواجبات الروحية، بل تتكامل وتدعم بعضها البعض. هذا التوازن يُنتج وضوح الهدف

والاستقرار في مواجهة المحن، والشكر في أوقات الرخاء. في نهاية المطاف، يؤدي هذا السلوك إلى راحة البال الحقيقية في الدنيا والآخرة. لأنه يعيش بوعي دائم بأن كل نعمة أمانة، وكل لحظة فرصة، وكل عمل خطوة إما أن تكون أقرب إلى الله تعالى أو أبعد عنه. من يعيش بهذا الوعي يحول وجوده كله إلى عبادة، وفي المقابل ينال السكينة في هذه الحياة والسعادة الأبدية في الآخرة.

بعد ذكر فعل الخير، ذكر الله تعالى الركنتين الأساسيتين اللذين تدور عليهما جميع الأعمال الصالحة. سورة الأنبياء، الآية 73

"...وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة..."

إن أداء الصلاة المفروضة على الوجه الصحيح يتطلب الالتزام التام بجميع شروطها وآدابها، وعلى رأسها أداء كل صلاة في وقتها. وقد أكد القرآن الكريم مرارًا على أهمية هذه الصلوات العظيمة، واعتبرها التعبير العملي الأسمى عن إيمان المؤمن بالله تعالى. فهي، إذ تُقام على مدار اليوم، تُذكر المؤمن بيوم القيامة، وتغرس في نفسه الاستعداد للحساب والجزاء. وهكذا، فإن الصلاة المفروضة ليست ركنًا أساسيًا من أركان الإيمان فحسب، بل هي أيضًا الأساس الذي تُبنى عليه جميع الأعمال الصالحة. فهي تهدي المؤمن إلى حياة تتسم بمراقبة الله تعالى والاستعداد للآخرة. بل إن كل ركن من أركان الصلاة يعكس رمزياً جوانب ذلك اليوم العظيم - فعلى سبيل المثال، يمثل الوقوف في الصلاة الوضعية التي سيقف بها البشر جميعاً يوماً ما أمام الله تعالى للحساب. سورة المطففين، الآيات 4-6

أَوَلَا يَنْظُرُونَ أَنَّهُمْ مُبْعَثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ

وبالمثل، عندما يُركع المرء في الصلاة، فإنه يُذكّر بقوةٍ بالعدد الهائل من الناس الذين سيُلامون يوم القيامة :على تقصيرهم في الركوع لله تعالى في حياتهم الدنيا .سورة المرسلات، الآية 48

"وإذا قيل لهم اركعوا لم يركعوا"

،هذا الفعل يُؤكد التحذير المُوجّه لمن قصرُوا في طاعة الله تعالى في جميع مناحي حياتهم .علاوة على ذلك عندما يسجد المؤمن في الصلاة، فإنه يُذكّر باليوم الذي يُؤمر فيه الناس جميعًا بالسجود لله تعالى .من أهمل هذا الفعل في دنياه - وكشف بذلك عن عدم رغبته في طاعته في جميع الأحوال - سيجد نفسه عاجزًا عن :السجود يوم القيامة .سورة القلم، الآيتان 42-43

يوم يشتد الأمر يدعون إلى السجود فيمنعون، وتخضع أعينهم، وتغشاهم الظل، وكانوا يدعون إلى السجود" وهم سالمون

وأخيرًا، يُذكرنا الركوع في الصلاة بالموقف الجليل الذي سيتخذه كل فرد أمام الله تعالى يوم القيامة، وهو موقفٌ يملؤه الخشوع والخشوع في انتظار إعلان مصيره المحتوم) .سورة الجاثية، الآية ٢٨، سورة ٤٥ (

".وترى كل أمة جاثية، وكل أمة تُدعى إلى كتابها، اليوم تجزون ما كنتم تعملون"

من أدى صلاته بتدبر عميق لهذه الأذكار، سيثبتها في أصدق صورها. هذا التعمق في التدبر يضمن أن طاعته لله تعالى تتجاوز فعل الصلاة نفسه، مُشكّلةً سلوكه ومُرشدةً أفعاله في الفترات الفاصلة بين الصلوات. سورة العنكبوت، الآية 45

"...إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر"

هذه الطاعة تقتضي أن يستغل الإنسان النعم الممنوحة له فيما يرضي الله تعالى، وفقًا لهدى القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. سورة الأنبياء، الآية 73

"...وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة..."

الزكاة المفروضة لا تُشكل إلا جزءًا يسيرًا من إجمالي ثروة الإنسان، ولا تُفرض إلا عند امتلاكه نقودًا محدودة. ومن أهدافها الأساسية تذكير المؤمن بأن ما يملكه ليس ملكًا له، ولو كان ملكًا له لتصرف فيه كيف شاء. بل إن المال هبة من الله تعالى، فلا بد من استخدامه بما يرضيه. في الحقيقة، كل نعمة يتمتع بها الإنسان سواء أكانت ثروة أم صحة أم علمًا أم منصبًا - هي قرضٌ مُؤتمنٌ عليه، يجب رده في النهاية إلى صاحبه - الحق، الله تعالى. وهذا السداد لا يكون برد النعمة نفسها، بل باستغلالها فيما يرضي الله، كما بينه القرآن الكريم وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم. فعندما يؤدي المؤمن هذه الأمانة، يصبح ماله تزكيةً وحفظًا وثوابًا. من يفشل في إدراك هذه الحقيقة، ويتصرف بدلاً من ذلك كما لو أن النعم التي مُنحت له تنتمي إليه وحده، سيسيء استخدامها حتمًا. وعلى وجه الخصوص، فإن من يحجب الصدقة المفروضة، ويعامل ثروته كما لو كانت ملكًا له وحده، سيواجه عقوبة - تمامًا كما يُحاسب من فشل في سداد قرض دينوي. ويتضح شدة هذه المسؤولية في حديث موجود في صحيح البخاري، رقم 1403، والذي يحذر من أن الشخص الذي يهمل في صدقته المفروضة سيواجه يوم القيامة ثعبانًا سامًا كبيرًا يلتف حوله ويلدغه باستمرار كشكل من أشكال العقاب. تعمل هذه الصورة الصارخة كتذكير بأن الثروة نعمة واختبار في نفس الوقت. فعندما تُستخدم بشكل صحيح، فإنها ترتقي بالشخص روحياً، وتقوي روابط المجتمع، وتضمن المكافأة في الآخرة. ولكن عندما يتم

اكتنازها أو إساءة استخدامها، فإنها تصبح مصدرًا للندم والعذاب والخسارة في كلا العالمين. لذا، يجب على المؤمن أن يتذكر دائمًا أن كل ما يُنفق في سبيل الله تعالى ليس خسارة، بل استثمار يُدرّ عوائدَ أعظم بكثيرٍ: سورة آل عمران، الآية ١٨٠. مما تُقدّمه هذه الدنيا

ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خير لهم بل هو شرّ لهم، ستطوّق أعناقهم بما يبخلون" "...يوم القيامة

في هذه الدنيا، تصبح الثروة التي يمنعون عنها الصدقة المفروضة مصدرًا للتوتر والشقاء. فبدلًا من أن تجلب لهم الراحة والأمان، تدفعهم إلى إساءة استخدام النعم التي وهبت لهم. ونتيجةً لذلك، يقعون في حالة من عدم التوازن - نفسيًا وجسديًا - فيُسيئون ترتيب أولوياتهم، ويُسيئون تقدير علاقاتهم، ويُقصرّون في الاستعداد الكافي لحسابهم يوم القيامة. هذا الإهمال يُفضي إلى حيرة في الدنيا وخراب في الآخرة. فحتى لو تمتعوا ظاهريًا ببعض الرفاهية الدنيوية، فإنهم في باطنهم سيققون قلقين، مُثقلين بالقلق، محرومين من الرضا الحقيقي. ثروتهم، التي كان من الممكن أن تكون وسيلةً للتطهير والثواب، تُصبح سببًا للضيق والتوتر والندم. وفي نهاية المطاف، بإهمالهم واجبهم تجاه الله تعالى، يستبدلون السكينة الأبدية براحة زائلة، والنجاح الدائم: سورة طه، الآيات ١٢٤-١٢٦. بوجه مؤقت

ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد" كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى

عندما يُقيم المرء الركنتين الأساسيين اللذين تدور عليهما جميع الأعمال الصالحة: الصلاة المفروضة والزكاة المفروضة، فإنه يُحسن طاعة الله تعالى وعبادته في كل حال. سورة الأنبياء، الآية 73

"وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين ..."

عمومًا، من الضروري إدراك أن عبادة الله تعالى تتجاوز بكثير مجرد الطقوس الدينية، كالصلوات المفروضة فالعبادة الحقّة تشمل طاعته في كل حال وفي كل نعمة أنعم بها، كما هو مبين في القرآن الكريم وأحاديث النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم. والطاعة ليست مجرد فكرة مجردة محصورة في القلب، بل هي حقيقة ملموسة تتجلى في الأعمال الصالحة التي تؤدي لله تعالى وحده. ومن يعمل بدوافع خفية - طلبًا للشهرة أو الجاه أو الكسب الدنيوي - لن يُجزّيه الله. وقد أكد على هذه النصيحة حديث في جامع الترمذي، رقم 3154 علاوة على ذلك، فإن طاعة الله تعالى تقتضي تحقيق أركان القرآن الكريم. أولها تلاوته بدقة وانتظام، وحفظ كلماته بتعظيم. ثانيًا، فهم تعاليمه من خلال مصادر موثوقة ومعلمين مؤهلين. أما البعد الثالث والأهم فهو تطبيق توجيهاته بنية صادقة لمرضاة الله تعالى. فالمؤمن المخلص يضع تعاليم القرآن الكريم فوق الأهواء الشخصية التي تتعارض معه، مدركًا أن الحكمة الإلهية تفوق الهوى البشري. إن بناء الشخصية وفقًا للقرآن الكريم يعكس التزامًا حقيقيًا به. كان هذا مثال النبي محمد صلى الله عليه وسلم، الذي وُصفت شخصيته بأنها تجسيد للقرآن الكريم، كما ورد في حديث من سنن أبي داود رقم 1342. لذا، فإن من أساسيات تكريم القرآن الكريم الانخراط فيه بجدية - تلاوته بإخلاص، والسعي لفهم معانيه، وتطبيق تعاليمه دون مساومة. إن الانتقائية في التمسك، حيث يقبل المرء ما يتماشى مع ذوقه الشخصي فقط ويتجاهل ما يعترض الرغبة، يعكس نقصًا في الأصالة تجاه القرآن الكريم. هذا النهج يحرم الإنسان من حكمته العميقة وقدرته التحويلية. على النقيض من ذلك، فإن من يتبناه بالكامل، بتواضع وإخلاص، يجد فيه دليلًا شاملاً للسلام والتوازن والنجاح في الدنيا من خلال تحقيق حالة ذهنية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في حياته، والآخرة سورة الإسراء، الآية 82. على النحو الصحيح:

ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً

في نهاية المطاف، من الضروري الإقرار بأن القرآن الكريم، وإن كان يقدم حلولاً لمصاعب الدنيا، إلا أن تطبيقه يجب ألا يقتصر على هذا الدور وحده. فلا ينبغي اعتباره مجرد أداة تُتلى في أوقات الشدة ثم تُترك جانباً عند إيجاد الفرج. بل إن غاية القرآن الكريم الأسمى هي أن يكون دليلًا شاملاً، يُرشد إلى طريق آمن إلى الآخرة. إن تجاهل هذا الهدف الأساسي واستخدامه فقط لمعالجة مشاكل الدنيا الزائلة هو إساءة استخدام لحكمته الإلهية، ويخالف مبادئ المؤمن الصادق. هذا السلوك أشبه بمن يشتري سيارة مزودة بالعديد من

الميزات لكنها تفتقر إلى محرك - تبدو رائعة ظاهرياً، لكنها في النهاية عاجزة عن تحقيق غرضها الحقيقي وبالمثل، فإن الانخراط في القرآن الكريم دون التزام صادق بهديه يكشف عن علاقة سطحية به، علاقة لا تُقدّر مكانته ككلمة الله الخالدة، تعالى. الإخلاص الحقيقي يقتضي أن يُؤخذ القرآن الكريم بتبجيل، وأن يُدرس بإخلاص، وأن يُطبّق بثبات، حتى لا يكون مصدر راحة في الشدة فحسب، بل دليلاً دائماً في اليسر، يُشكّل كل قرار، وكل نعمة، وكل خطوة في الحياة. عندها فقط يُظهر المرء التزاماً حقيقياً به، وعندها فقط يُؤدّي دوره، من خلال تحقيق حالة ذهنية وجسدية متوازنة، كنور في هذه الدنيا ووسيلة لراحة البال في الدنيا والآخرة، ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في حياته على النحو الصحيح.

لما كان النبي لوط عليه السلام مُطيعاً لله تعالى بإخلاص في جميع الأوقات، فقد أُعطي الحكمة والرأي السديد والمعرفة. سورة الأنبياء، الآية 74

"وَلَوْطًا أَنْبَأَهُ حُكْمًا وَعِلْمًا"

الحكمة هي القدرة على اتخاذ القرار الصائب في جميع الأحوال، سواءً أكانت دنيوية أم دينية، ليبقى الإنسان ثابتاً على طاعة الله تعالى. وبهذا، ينال راحة البال، والتوازن النفسي والجسدي، ويحسن توزيع كل شيء وكل شخص في حياته. ويحمل مصطلح "الحكمة" في معناه معنى "الحكمة". فالحكمة هي القدرة على توظيف المعرفة، سواءً أكانت دينية أم دنيوية، توظيفاً صحيحاً، بما يعود بالنفع على الفرد والمجتمع في الدنيا والآخرة فعلى سبيل المثال، من يملك الحكمة سيستخدم معرفته العلمية لإنتاج نتائج نافعة، كالأدوية التي تشفي وتحفظ الحياة. أما من يفتقر إليها، فسيسيء استخدامها، فينتج أشياء ضارة، كالأسلحة التي تنشر الدمار. وهكذا فالحكمة ليست مجرد امتلاك المعرفة، بل هي القدرة على تطبيقها بما يرضي الله تعالى. العلم المذكور في الآية 74 يشمل المعرفة الدينية والمعرفة الدنيوية النافعة، وهي المعرفة التي تُمكن من تحصيل الرزق الحلال ومساعدة الآخرين في أمور الدنيا والدين. وهذه المعرفة نعمة، لكن مصدرها الحقيقي يكمن في الثبات على طاعة الله تعالى، واغتنام كل نعمة وفق هدي القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. وهكذا، لا يكون الاجتهاد والحكمة مجرد صفات عقلية، بل أمانات روحية، تُزرع بالطاعة، وتُصان بالإخلاص. وتُكَمَّل بمواءمة الأعمال مع الهداية الإلهية.

بفضل طاعته لله تعالى، نجا النبي الكريم لوط عليه السلام من قومه الذين سلكوا دربًا قائمًا على شهواتهم وأهوائهم). سورة الأنبياء، الآية 74)

" ونجينا من القرية التي كانت تعمل الخبائث، إنهم كانوا قوم سوء مفسدين ... "

عندما يستسلم الفرد لشهواته الدنيوية، يفقد السيطرة على أفعاله، ويندفع فقط لإشباعها دون إدراك العواقب السلبية المترتبة على ذلك. تُشبه هذه الحالة مدمن المخدرات، الذي يُملِي عليه إكراهه أفعاله، فيدفعه إلى تعاطيها. ونتيجةً لذلك، يفقد استقلاليته ويرتكب أفعالاً ضارة، كالسرقة، غافلاً في كثير من الأحيان عن الأثر المدمر لسلوكه، إذ أعماه إيمانه تمامًا. ويمكن أن تنشأ هذه النتيجة الضارة أيضًا فيما يتعلق بال رغبات الدنيوية السطحية، كالرغبة الشديدة في الثروة. فعندما تشتد الرغبة بما يكفي، تتحول إلى إدمان يُسيطر على سلوك الشخص وأفعاله. وبالتالي، يجب على المرء أن يتعلم التحكم في رغباته، وأن يُشبع رغباته المشروعة فقط بطريقة متوازنة، لتجنب هذه النتيجة، التي لا تؤدي إلا إلى أعمال شريرة ومشاكل في الصحة العقلية والجسدية.

في الحالة التاريخية لقوم لوط عليه السلام، بلغت رغبتهم الشديدة في إشباع شهواتهم مع الجنس الآخر حدًّا جعلهم يفقدون السيطرة على سلوكهم. ونتيجةً لذلك، لم يتمكنوا من اعتبار أفعالهم شريرة، بل اعتبروها خيرًا (الأنبياء، الآية 74، سورة 21 تمامًا كما يرى المدمن سلوكه المدمر مقبولا). سورة

" ونجينا من القرية التي كانت تعمل السوء، إنهم كانوا قومًا فاسقون ... "

انخرطت أمة النبي لوط عليه السلام في إشباع شهواتها مع الجنس الآخر، وهو فعلٌ لم يسبق له مثيل في تاريخ البشرية، إذ خالف جوهرياً الفطرة التي خُلقت عليها. ولو كان هذا السلوك جزءاً أصيلاً من الفطرة البشرية، لكان واضحاً منذ فجر البشرية، تماماً كما نشأ نظام الزواج بين الرجل والمرأة منذ بدء الوجود البشري). سورة البقرة، الآية 35)

"...وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة "

إن الأفراد الذين يتبنون أنماطاً سلوكية تُروج لها المفاهيم المجتمعية - كتلك التي تُروج لها وسائل التواصل الاجتماعي والأزياء والثقافة - دون تمحيص، سيجدون أنفسهم حتماً منخرطين في سلوكيات تتعارض مع طبيعتهم الأصلية. ويُساقون إلى اعتقاد خاطئ بأن راحة البال الحقيقية تكمن في هذه المفاهيم، مع أن تغيير طبيعة المرء جذرياً لا يؤدي إلا إلى حالة عقلية وجسدية غير مستقرة. وهذا الاضطراب نفسه يعيق تحقيق راحة البال. فكل جهاز في جسم الإنسان مُصمم للعمل بانسجام. وعندما تُدفع هذه الأجهزة إلى أقصى حد تكون النتيجة حالة من الاضطراب العقلي والجسدي. على سبيل المثال، يجب تنظيم درجة حرارة الجسم بدقة. ضمن نطاق محدد؛ فالانحرافات التي تكون مرتفعة جداً أو منخفضة جداً تؤدي حتماً إلى مضاعفات صحية وبالمثل، فإن الإفراط في تناول الطعام أو عدم كفايته قد يُسبب مشاكل صحية، كما أن ارتفاع ضغط الدم أو انخفاضه الشديد قد يُسبب أمراضاً مختلفة. وقائمة هذه الأمثلة طويلة. وبالتالي، فإن محاولة تعديل الطبيعة الفطرية للإنسان لن تؤدي إلا إلى مشاكل صحية جسدية ونفسية، مما يؤدي في النهاية إلى فقدان السيطرة على أفعال الشخص، التي تُقاد برغبات جامحة. وهذا يُفسر لماذا يُعاني الأفراد الذين يتصرفون بطرق تتعارض مع طبيعتهم الفطرية، مثل إشباع شهواتهم مع الجنس الآخر، من صعوبات نفسية متكررة، تمنعهم - من تحقيق راحة بال دائمة، حتى لو واجهوا لحظات عابرة من الفرح والمرح. يجب ألا نخلط بين السعادة وهي شعور عابر يتقلب بتغير الظروف - وراحة البال، وهي حالة مستقرة تدوم في الفرد طوال الوقت.

علاوة على ذلك، فإن الأفراد الذين يتصرفون على نحو يخالف فطرتهم بهذه الطريقة سيُسيئون استخدام النعم الممنوحة لهم حتماً، وسيجدون صعوبة في الالتزام بقواعد السلوك الإسلامي، حتى مع ادعائهم الإسلام ونتيجةً لذلك، سيجدون أنفسهم مُثقلين بشكلٍ متزايد بمشاكل الصحة النفسية الناجمة عن اختلال توازن صحتهم العقلية والجسدية، بالإضافة إلى سوء ترتيب أولوياتهم فيما يتعلق بالأشخاص والأشياء في حياتهم. ونتيجةً لذلك، ستصبح جوانب مختلفة من حياتهم، بما في ذلك الأسرة والأصدقاء والعمل والثروة، مصادر للتوتر.

إذا استمروا في معصية الله تعالى، فسوف يُرجعون توترهم خطأً إلى أشخاص وظروف غير مناسبة في حياتهم، مثل زوجاتهم. وبإلغاء هذه التأثيرات الإيجابية، فإنهم يُفاقمون مشاكل صحتهم النفسية، مما قد يؤدي إلى الاكتئاب وإدمان المخدرات، وحتى الأفكار الانتحارية. ويتضح هذا النمط المُدمر بشكلٍ خاص عند مراقبة أولئك الذين يُواصلون مُخالفة الفطرة التي خُلقوا من أجلها.

لقرون، صُنِّف هذا السلوك بالإجماع من قِبَل علماء النفس المحترفين على أنه اضطراب نفسي. لكن الكثير منهم تراجعوا عن موقفهم، واصفين إياه بالسلوك الطبيعي، رغم عدم امتلاكهم أي دليل أو بحث علمي يدعم هذا التغيير. وقد تبناوا هذا الموقف فقط بسبب الضغط المجتمعي، خوفاً من فقدان وظائفهم ومناصبهم الأكاديمية إذا لم يُطبِّقوه. عندما يُلاحظ المرء كيف يُصنِّف معظم المجتمع هذا السلوك على أنه طبيعي، فقد يفترضون أن تصرفات الأغلبية صحيحة بالفعل، مما يدفعهم إلى الموافقة دون أي تفكير أو تأمل. ومع ذلك، فإن الحقيقة هي أن وجهة نظر الأغلبية ليست معصومة من الخطأ. فقد أثبتت الأدلة التاريخية باستمرار حالات دحض فيها الرأي السائد لاحقاً بمعلومات وفهم جديدين، مثل الاعتقاد الخاطئ بأن الأرض مسطحة. طالما أن التغيير في رأي الأغلبية قائم على الأدلة والبحث، فإنه يُعتبر تقدماً. ولكن لأن هذا التحول في رأي الأغلبية لا يستند إلى أدلة أو بحث، فإنه يؤدي فقط إلى انحراف اجتماعي.

علاوة على ذلك، يتفق الكثيرون مع هذا السلوك، بل وينضمون إلى مجتمعاتهم لمجرد تعرّضهم لوابل من الصور والفيديوهات التي تُروِّج لأسلوب حياتهم، مثل مواقع التواصل الاجتماعي. فعندما يُغمر المرء بمثل هذا المحتوى، يُقنعه ذلك بأن هذا النوع من السلوك طبيعي ومقبول، وقد يُغريه ذلك بالانضمام إلى مجتمعهم معتقداً خطأً أن راحة البال الحقيقية تكمن هناك. حتى في العلاقات الطبيعية، غالباً ما يرتبك البالغون بشأن مشاعرهم، ويُستغل هذا الالتباس لإقناع الناس بأن مشاعرهم الودية تجاه شخص من نفس جنسهم هي في الواقع مشاعر رومانسية. ونتيجةً لذلك، يُصدِّق الناس، وخاصةً ضعاف النفوس، هذا الاعتقاد خطأً، رغم عدم وجود دليل يدعم هذا الاستنتاج.

.علاوة على ذلك، يمتلك الأفراد وعياً فطرياً بالفطرة التي خُلقوا عليها، مما يُمكنهم من فهم كيفية التصرف وبالتالي، عندما يواجهون الحقيقة، يعجزون عن تقديم أي دليل أو معرفة تُثبت خياراتهم الحياتية. مبررهم الوحيد هو أن خياراتهم الحياتية، التي تتعارض مع طبيعتهم الفطرية، تُشعرهم بالسعادة. إلا أن هذا المنطق

مُضَلَّل، فهناك العديد من السلوكيات الضارة وغير الصحية، مثل تعاطي المخدرات، التي قد تُثِير أيضًا مشاعر المتعة؛ وهذا لا يعني بالضرورة وجوب ممارستها

علاوة على ذلك، بما أن جميع الأفراد يدركون فطرتهم، فإن من ينحرفون عنها بالانغماس في رغباتهم مع الجنس نفسه، غالبًا ما يطلبون الدعم من الآخرين، لأنهم يفتقرون إلى الثقة واليقين بشأن خياراتهم الحياتية وهذا عامل مهم يساهم في حرصهم على فرض آرائهم على المجتمع الأوسع، إذ لا يشعرون بالأمان إلا عندما يتفق الآخرون معهم. في المقابل، لا يطلب الأفراد في المجتمع الذين لا ينحرفون عن الفطرة التي خُلقوا عليها الدعم من الآخرين؛ بل يسعون وراء خياراتهم الحياتية بروح من الطمأنينة. من يشكك في سلوكه سيطلب الدعم من الآخرين حتمًا، كما هو الحال مع الطالب غير الواثق الذي يسعى باستمرار لموافقة معلمه. على العكس، لا يحتاج الواثقون في سلوكهم وخياراتهم الحياتية إلى دعم خارجي، حتى لو كانوا منفردين في أفعالهم، تمامًا مثل الطالب الواثق الذي لا يطلب الدعم المستمر من معلمه. هذا الشك الداخلي، الذي يتجلى في حاجة ملحة للدعم من الآخرين، يُشكل دليلًا كافيًا على سلوكهم لمن يتمتعون بالفطرة السليمة

علاوة على ذلك، فإن من يتبنون هذا السلوك، ويدّعون الإيمان بدين ما، غالبًا ما يُصرّون على تحريف تعاليم دينهم لتبرير سلوكهم، مع أن كل دين قائم على وجه الأرض يُعارض سلوكهم تمامًا ويُصنّفه من الكبائر. من لم تُعَمِّه أهواؤه، لن يُبرّر سلوكه للآخرين بتحريف تعاليم دينه. بل سيبقى وفيًا لدينه، ويسلك وفقًا للفطرة التي خُلق عليها

علاوة على ذلك، عندما يفتقر الأفراد إلى اليقين والثقة في قراراتهم المتعلقة بنمط حياتهم، وخاصةً عندما يدركون أن هذه الخيارات تتعارض مع طبيعتهم الفطرية، فإنهم غالبًا ما يلجأون إلى سلوك مسيء تجاه من يعارضون آرائهم. فهم لا ينخرطون في نقاشات ناضجة، لعدم وجود أدلة دامغة تدعم معتقداتهم. بل يشنون هجمات شخصية على الآخرين، بما في ذلك عائلاتهم ومعتقداتهم وأسلوب حياتهم، على غرار ما فعلته أمة (سورة الأعراف، الآية 81). النبي لوط عليه السلام

"فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريبتكم إنهم أناس يتطهرون"

بعد أن فشل النبي لوط عليه السلام في ردع قومه عن الشهوات التي أعمتهم عن الحق، حذّرهم من أن سلوكهم جدير بالمحاربة. إن الانبهار بالشهوات يؤدي حتمًا إلى العديد من الأعمال الشريرة والمشينة، ويلحق الضرر بالأبرياء في المجتمع. على سبيل المثال، لا يضر مدمن المخدرات نفسه فحسب، بل يلحق الضرر أيضًا بالعديد من أفراد المجتمع، إذ يدفعه نمط حياته المختار غالبًا إلى حياة الجريمة لتأجيج إدمانه. وبالمثل، فإن من تغمره شهوة الثروة يرتكب أفعالًا شريرة للحصول عليها، مثل السرقة والاحتيال. وبينما قد لا يكون من يُشبعون شهواتهم مع الجنس نفسه مرتكبين لجريمة دائمًا، إلا أنه عندما تُعَمِّي أي رغبة الفرد، فإنه يُشجع على سبيل. على إشباع جميع شهواته الدنيوية، والتي سيكون بعضها حتمًا شريرًا ويسبب الأذى للآخرين المثال، في هذا العصر، غالبًا ما يتجلى الضرر الذي يمكن أن يلحقه المرء في سلوك عدواني ومسيء تجاه من يمارسون حقهم في التعبير عن أنفسهم بمجرد الاختلاف باحترام مع أسلوب حياة الآخرين. وكثيرًا ما يتخذ هذا الضرر شكل الإساءة عبر الإنترنت، حيث يُستهدف الأفراد ليس فقط شخصيًا، بل أيضًا من خلال هجمات موجهة إلى عائلاتهم وأصدقائهم، وحتى حياتهم المهنية. سورة هود، الآية 80

"قال لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد"

وكما امتنع النبي الكريم لوط عليه السلام عن الانقياد الأعمى لرأي الأغلبية والرأي السائد في مجتمعه، ثابتًا على طاعة الله تعالى، ومستغلًا النعم التي وهبه إياها على الوجه الصحيح وفقًا للهداية الإلهية، فقد نال بذلك راحة البال في الدنيا والآخرة، محققًا التوازن في حالته النفسية والجسدية، ومرتبًا جميع الأمور والعلاقات في نصابها الصحيح). سورة الأنبياء، الآية 75)

"وأدخلناه في رحمتنا إنه من الصالحين"

كذلك، يجب على المرء أن يقتدي به، ويتجنب اتباع اتجاهات الأغلبية أو الرأي السائد عندما يؤدي هذا إلى معصية الله تعالى. بل إن سلوك الأغلبية في المجتمع غالباً ما ينحرف عن الهداية الإلهية. فعندما يرى المرء معظم الناس يتجاهلون تعاليم الإسلام، قد يميل إلى افتراض صحة هذا السلوك، وبالتالي، يقلده دون تفكير أو تأمل. في الواقع، ليس بالضرورة أن يكون رأي الأغلبية متوافقاً مع الحقيقة. يقدم التاريخ أمثلة عديدة على معتقدات شائعة دحضت لاحقاً بأدلة وفهم جديدين - مثل الفكرة الشائعة سابقاً، وإن كانت خاطئة، بأن الأرض مسطحة. لذلك، من الضروري الامتناع عن التصرف كأتباع غير مفكرين يلتزمون بشكل أعمى بالآراء سورة. السائدة في المجتمع، لأن هذا التمسك غالباً ما يؤدي إلى الخطأ والضلال في أمور الدنيا والدينية الأنعام، الآية 116

"وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يظنون"

بل ينبغي على الأفراد استخدام ما وهب لهم من عقلٍ وحكمةٍ لتقييم كل موقفٍ في ضوء المعرفة والدليل، مما يُمكنهم من اتخاذ قراراتٍ سليمةٍ ومستنيرةٍ، حتى لو خالفت هذه القرارات الآراء السائدة لدى الأغلبية. في الواقع، يُدين الإسلام بشدة التقليد الأعمى للآخرين في مسائل الإيمان لهذا السبب تحديداً، ويحث المؤمنين: سورة يوسف، الآية 108. على طلب العلم والعمل بتعاليم الإسلام بفهمٍ وبصيرة

"...قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني"

كان هذا موقف النبي الكريم نوح عليه السلام، الذي ثابر على طاعة الله تعالى، بدلاً من التقليد الأعمى لرأي الأغلبية والرأي السائد في مجتمعه، الذي دعا الناس إلى تحقيق شهواتهم الدنيوية، مخالفين بذلك الله تعالى. (سورة الأنبياء، الآية 76)

"و نوحًا إذ نادى من قبل فاستجبنا له ونجيناه وأهله من الكرب العظيم"

:سورة الطلاق 65 الآية 2

"ومن يتق الله يجعل له مخرجاً"

من الضروري الإقرار بأن العون الإلهي لا يتوافق بالضرورة مع الميول الفردية أو الرغبات الشخصية، بل يتجلى جلّياً وفقاً لعلم الله تعالى اللامحدود وحكمته التامة. يُمنح عونه دائماً في أنسب الأوقات وأنسبها لكل إنسان، حتى وإن كانت الحكمة الكامنة فيه غائبة عن الإدراك الفوري. لذا، فإن واجب الإنسان هو الثبات على طاعة الله تعالى في جميع الأوقات، وذلك بحسن استغلال نعمه كما وردت في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. بهذا الثبات، ينعم الإنسان بتوازن نفسي وبدني، ويضع كل شيء وكل شخص في مكانه الصحيح في حياته. وهكذا، يستعد جيداً للمحاسبة يوم القيامة، حيث تُسأل كل نعمة ويُوزن كل عمل بالعدل التام. وبالتالي، يصبح هذا السلوك مصدرًا لراحة البال الحقيقية في الدنيا والآخرة. في هذه الحياة الدنيا، يمنح صفاء واستقرارًا وتناغمًا، وفي الآخرة يضمن النجاح الأبدي والنجاة. وهكذا، فإن العون الإلهي ليس مسألة توافق الواقع مع إرادة الإنسان، بل هو توافق إرادته مع حكمة الله تعالى الأبدية.

:سورة الأنبياء، الآية 76

"و نوحًا إذ نادى من قبل فاستجبنا له ونجيناه وأهله من الكرب العظيم"

من المهم أن نلاحظ أن من نجوا من آله هم من أطاعوا الله تعالى مثله .بل إن زوجته، التي لم تحدّ حذوه في
:سورة التحريم، الآية ١٠ .طاعة الله تعالى، لاقت نفس مصير قومها

ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم "
".يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلين

بما أن الله تعالى هو الحاكم الأعلى والعدل تماماً، فإنه يُقيّم الأفراد بناءً على إيمانهم ونواياهم وأقوالهم
وأفعالهم، لا على أساس النسب أو الصلات الاجتماعية أو النسب .ومن يظن أن خلفية عائلية كريمة أو
.علاقات شخصية كفيلة بمنعه من المساءلة، إنما يُنسب الظلم والتحيز إلى الله تعالى، وهو اعتقاد باطل تماماً
.سورة الجاثية، الآية 21، سورة المائدة، الآية 45

أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما
يحكمون

ويجب رفض الاعتقاد الخاطئ بأنهم يستطيعون الاستمرار في معارضة الله تعالى، مع الاعتماد على غيره
.لحمايتهم من العقاب يوم القيامة

كان هذا الاعتقاد الخاطئ سائداً لدى الأمم السابقة، وللأسف، لا يزال بعض الأفراد يتبنون فكرة مماثلة، ظانين أن النبي محمداً صلى الله عليه وسلم سيضمن حمايتهم من العذاب في ذلك اليوم. وبينما تُقرّ مصادر إسلامية، مختلفة بشفاعة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، بما في ذلك الحديث الوارد في سنن ابن ماجه، رقم 4308، يبقى من الصحيح أن بعض الأفراد سيواجهون النار لا محالة. حتى مجرد التفكير في لحظة وجيزة في النار أمرٌ مُحزنٌ للغاية، ويُبرز ضرورة التخلي عن مثل هذه التمنيات. علاوة على ذلك، فإن الانغماس في هذه، العقلية يسخر من شفاعة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. وقد يؤدي هذا الموقف إلى الاستبعاد من شفاعته: بل قد يشهد عليهم يوم القيامة. سورة الفرقان، الآية 30

"وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا "

هذه الآية موجهة تحديداً للمسلمين، فهم أمة القرآن الكريم، ومن لم يقبله لا يجوز له تركه. لذا، فإن عواقب من يشهد عليه النبي محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة واضحة

ومن هنا كان لا بد من رفض التمني، وتغذية الأمل الصادق في رحمة الله تعالى، بالالتزام بأوامره، والاستغلال المسؤول للنعم التي أنعم بها، وفقاً للإرشاد الإسلامي

على عكس النبي نوح عليه السلام، أصرّ غالبية قومه على اتباع شهواتهم، عاصين الله تعالى، بإساءة استخدام نعمه التي أنعم بها عليهم. ولا يقتصر عصيان الله تعالى على اختلال التوازن النفسي والجسدي، وإضاعة كل شيء وكل شخص في الحياة، ومنعهم من الاستعداد الكافي للحساب يوم القيامة، بل إن عصيان الله تعالى يمنع أيضاً من أداء حقوق الناس، فينتشر الفساد والظلم في مجتمعهم، كما فعل قوم نوح عليه السلام). سورة (الأنبياء، الآية 77، سورة 21

"وأنجيناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين "

أما النبيان داود وسليمان عليهما السلام، فقد أطاعا الله تعالى، مستخدمين النعم التي أنعم الله عليهما بها كما بتوازن نفسي وجسدي، وحسن توزيع كل، وردت في التعاليم الإلهية، فنالا راحة البال في الدنيا والآخرة، شيء وكل شخص في حياتهما، وأديا حقوق الناس، فنشرا العدل والسلام في مجتمعهما). سورة الأنبياء (الآيتان 78-79).

وداود وسليمان إذ يحكمان إذ غزته غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين وفهمنا سليمان الأمر وكلاً...أتينا حكماً وعلماً

،من المهم إدراك أنه، خلافاً للكتب الأخرى - دينية كانت أم دنيوية - عندما يروي الله تعالى أحداث الماضي، فإنه لا يُدرج إلا التفاصيل الضرورية لاستخلاص الهداية الصحيحة التي تؤدي إلى راحة البال في العالمين ويتم عمداً حذف المعلومات غير ذات الصلة بهذا الهدف. على سبيل المثال، غالباً ما تُترك تواريخ أو أماكن أو أسماء شخصية دون ذكرها عندما لا تخدم الدروس المرجوة. هذا الاختيار الدقيق سمة ثابتة للقرآن الكريم ويمثل إحدى صفاته الإعجازية، حيث أن كل كلمة هادفة وموجهة نحو الهداية، دون تضمين أي محتوى خارجي. تتضمن هذه السمة المميزة أن يظل القارئ مُركّزاً على الدروس الأكثر أهمية، مما يعزز تطبيق المعرفة التي تعزز طاعة الله تعالى. وهذا بدوره، يعزز راحة البال في العالمين من خلال تمكين حالة ذهنية وجسدية متوازنة والترتيب الصحيح لجميع جوانب وعلاقات المرء في الحياة. لذا، ينبغي على الأفراد، عند التعامل مع التعاليم الإسلامية، التركيز على دراسة وتأمل المسائل التي تناولها القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم صراحةً، لأنها القضايا التي ستكون ذات صلة مباشرة يوم القيامة. وينبغي تنحية البحث في المسائل الأخرى جانباً، لأنه قد يصرف الانتباه عن المعرفة والعمل الأساسيين. ويدعم هذا النهج حديث مسجل في صحيح مسلم، رقم 3257، والذي ينصح الناس بتجنب طرح الأسئلة التفاهة، وإعطاء الأولوية بدلاً من ذلك للامتناع عن المحرمات وأداء الواجبات. وللأسف، انغمس الكثيرون، بمن فيهم العلماء في نقاشات حول أمور تافهة لن تُناقش يوم القيامة. وقد ساهمت هذه الانشغالات في انقسامات لا داعي لها داخل المجتمع الإسلامي، على الرغم من التوجيه الواضح للحفاظ على الوحدة. في هذا السياق، ذكر الله تعالى حكماً أصدره النبيان داود وسليمان عليهما السلام، مُبرِّزاً الجوانب الأساسية للهداية فقط، ومتجاهلاً التفاصيل

غير ذات الصلة، كتفاصيل القضية الدقيقة. أما العناصر المُستثناة من الرواية القرآنية، فليست مُرادًا البحث: سورة الأنبياء، الآيتان 78-79. عنها، لأنها لا تُسهم في بلوغ الهداية الحقيقية

وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ غزته غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين وفهمنا سليمان الأمر وكلاً...أتينا حكماً وعلماً

تُسلط هذه الآيات الضوء على مفهوم مهم في الإسلام، ألا وهو الاستدلال. اختلف النبيان داود وسليمان عليهما السلام في قضاء في قضية قانونية، ومع ذلك أثنى الله تعالى عليهما. وهذا يُبين أن السعي الصادق في طلب الحق، حتى وإن أدى إلى نتائج مختلفة، أمرٌ يُكرّمه الله تعالى. ومثال آخر على ذلك ما حدث في حياة النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم. ففي السنة العاشرة من هجرته إلى المدينة، بعث معاذ بن جبل رضي الله عنه لولاية من ولايات اليمن. وعند مغادرته، سأله النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم: كيف تقضي إذا عُرضت عليك قضية؟ فأجاب معاذ رضي الله عنه: سأقضي بما في القرآن الكريم. فسأله النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم: ماذا تفعل إذا لم تجد الحكم في القرآن الكريم؟ فأجاب معاذ رضي الله عنه بأنه سيحكم بسنة النبي صلى الله عليه وسلم. ثم سأل النبي صلى الله عليه وسلم ماذا يفعل إذا لم يجد الحكم في سنة النبي صلى الله عليه وسلم؟ فأجاب معاذ رضي الله عنه أخيراً بأنه سيستخدم التفكير المستقل، ويضمن أن يظل حكمه منسجماً مع القرآن الكريم وسنة النبي صلى الله عليه وسلم. وعند سماع ذلك، حمد النبي صلى الله عليه وسلم الله تعالى على أن منحه نائباً يرضيه. وقد ناقش الإمام ابن كثير هذه الحادثة في سيرة النبي، المجلد 4، الصفحات 140-141.

من هذا، فهم العلماء أنه عندما يتقن الشخص علوم الإسلام المختلفة، فقد يصل إلى مستوى التفكير المستقل وهذا يمكنه من تطبيق تعاليم القرآن الكريم وأحاديث النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، بحكم مهني غير متحيز من أجل استنباط الأحكام في الإسلام. والأهم من ذلك، أن هذه العملية لا تستند إلى أهواء شخصية ولكن إلى تفكير منضبط متجذر في الوحي. وفقاً لحديث موجود في صحيح مسلم، رقم 4487، عندما يصدر العالم المؤهل حكماً خاطئاً من خلال التفكير المستقل، فإنه لا يزال يكافأ مرة واحدة على جهده المخلص. إذا كان حكمه صحيحاً، فإنه يكافأ مرتين. وهذا يدل على رحمة الله تعالى، والقيمة العالية الممنوحة للسعي الصادق من أجل الحقيقة، حتى عندما تؤدي القيود البشرية إلى الخطأ. وبالتالي، فإن التفكير المستقل هو

مسؤولية ونعمة في نفس الوقت. ويضمن أن تظل الشريعة الإسلامية ديناميكية وقابلة للتطبيق وذات صلة عبر العصور والأماكن، مع بقائها دائمًا راسخة في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

:سورة الأنبياء 21، الآية 79

"وكلا آتيناهم حكما وعلما "

يُعرّف حسن التقدير بأنه القدرة على اتخاذ القرار الصائب في جميع الأحوال، سواءً أكانت تتعلق بأمور دنيوية أم فرائض دينية، مما يضمن الثبات على طاعة الله تعالى. ومن خلال هذا النهج المنضبط، يحقق المرء راحة البال، ويحافظ على التوازن النفسي والبدني، ويُرتب أولوياته بدقة في كل شيء وكل شخص في حياته. ويحمل مصطلح "الحكمة" أيضًا معنى "الحكمة". "فالحكمة هي القوة الأساسية التي تضمن تطبيق المعرفة دينية كانت أم دنيوية - تطبيقًا صحيحًا، مما يعود بالنفع على الفرد والمجتمع في الدنيا والآخرة. فعلى سبيل - المثال، يُوظف صاحب الحكمة معارفه العلمية لتحقيق نتائج نافعة، كالأدوية التي تُشفي وتُحافظ على الحياة، أما من يفتقر إلى الحكمة، فسيُسيء استخدامها، مُنتجًا أشياء ضارة كالأسلحة التي تنتشر الدمار. وهكذا فالحكمة ليست مجرد امتلاك المعرفة؛ بل هي القدرة على تطبيقها بما يرضي الله تعالى. المعرفة المذكورة هنا تشمل الفهم الديني والمعرفة الدنيوية النافعة، ما يُمكن من كسب الرزق الحلال ومساعدة الآخرين في أمور الدنيا والدين. هذه المعرفة نعمة عظيمة، لكن مصدرها الحقيقي يكمن في الثبات على طاعة الله تعالى واغتنام كل نعمة وفق هدي القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. وهكذا يتبين أن حسن التدبير والحكمة ليسا مجرد صفات عقلية، بل أمانات روحية، تُزرع بالطاعة، وتُصان بالإخلاص، وتُكَمَّل بتوفيق الأعمال مع الهداية الإلهية.

بما أن الخلق أجمع، باستثناء البشر، قد أسلموا أنفسهم لطاعة الله تعالى، فهم في حالة من التوازن والانسجام :سورة الرعد، الآية ١٣. التام

"...وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفِهِ"

هذا التوازن والانسجام واضح لكل من تأمل خلق الكون: شروق الشمس وغروبها بدقة، وأطوار القمر المنتظمة، والكواكب العديدة التي لا تُحصى والتي تبقى ثابتة في مداراتها. ولا يتحقق هذا الانسجام إلا بخضوع الخليقة كلها لأمر الله تعالى. في المقابل، لا يُلاحظ هذا الانسجام بين البشر، فكثيرون لا يخضعون لطاعة الله تعالى، بخلاف سائر الخلق. لذا، إذا رغب المرء في تحقيق نفس التوازن والانسجام الذي يشهده في الكون في حياته، فعليه أن يحذو حذو الخلق نفسه بطاعة الله تعالى بإخلاص في كل وقت، كما فعل النبي (داود عليه السلام). سورة الأنبياء، الآية 79)

"وسخرنا الجبال يسبحن مع داود والطير وكنا فاعلين ..."

وهذا يستلزم حسن استغلال النعم الممنوحة لهم على النحو المبين في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. فبهذه الطاعة، ينعم الإنسان بتوازن نفسي وجسدي، ويضع كل جانب من جوانب حياته في مكانه الصحيح، ويستعد جيدًا للحساب يوم القيامة. وبالتالي، يؤدي هذا السلوك إلى الطمأنينة الحقيقية في الدنيا والآخرة: صفاء ونقاء في الدنيا، وسلام ونجاح أبدي في الآخرة.

:سورة الأنبياء 21، الآية 79

"وسخرنا الجبال يسبحن مع داود والطير وكنا فاعلين ..."

عمومًا، بما أن لا شيء في الكون يحدث إلا بمشيئة الله تعالى - بما في ذلك ما يواجهه المرء من ابتلاءات وتحديات - فعلى الإنسان أن يُمجد الله تعالى، بالامتناع عن نسب السلبية إليه. بل عليه أن يُسلم بأن كل ما (سورة البقرة، الآية ٢١٦) .يقضيه هو للخير، حتى وإن لم تتضح حكمته فورًا

"وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ..."

من أساسيات تعظيم الله تعالى، وتجنب نسب أي شيء إليه، تنمية عقلية إيجابية. ومن الضروري أن ينمي الإنسان هذه العقلية، فهي وسيلة قيّمة لمواجهة التحديات مع الحفاظ على طاعة الله تعالى. وهذه الطاعة تستلزم توظيف النعم التي أنعم بها على الوجه الذي يرضيه، كما هو مبين في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. عند مواجهة المصاعب، يجب على الإنسان أن يدرك أن الوضع كان يمكن أن يكون أصعب بكثير. فإذا كانت المصيبة دنيوية، فعليه أن يحمد الله أنها لم تؤثر على إيمانه. وبدلاً من الانغماس في الحزن اللحظي المصاحب للمحنة، عليه أن يركز على الجزاء العظيم الموعود لمن يصبر في سبيل الله تعالى. فإذا فقد المرء نعمة ما، فعليه أن يتأمل في النعم الكثيرة الباقية. في كل محنة، من المفيد استحضار هداية القرآن الكريم، الذي يُبرز الحكمة الكامنة في الصعوبات والاختبارات التي قد لا تظهر فوراً. بهذه الطريقة، يُمكن فهم الوضع الراهن على أنه أفضل مما تمناه المرء في البداية، مما يُعزز القدرة على الصمود والشكر والثقة: سورة البقرة، الآية ٢١٦. بالقضاء الإلهي

"وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ..."

في الختام، ينبغي على الأفراد التأمل في هذه الأفكار وغيرها لتنمية عقلية إيجابية، وهي ضرورية لتعظيم الله تعالى، بالامتناع عن نسب أي شيء سلبي إليه. من المهم أن نتذكر أن الكأس ليست نصف فارغة، بل نصف ممتلئة.

لأن الإسلام، دين جميع الأنبياء عليهم السلام، هو منهج شامل، يشمل كل ما يواجهه الإنسان من أمور دينية ودنيوية، كطلب الرزق. سورة الأنبياء، الآية 80

"...و علمناه صنعة الدرع لتوقيكم من القتال "

لذلك، يجب على المرء تجنب الاعتقاد الخاطئ بأن الله تعالى يهتم فقط بالفرائض الدينية، كأداء الصلوات المفروضة. سبحانه الله تعالى الإنسان على كل ظرف يمر به، سواء كان دنيوياً أم دينياً. لذا، من الضروري طلب العلم والعمل بتعاليم الإسلام لضمان الاستجابة الصحيحة في جميع المواقف. وبذلك، يصل الإنسان إلى حالة ذهنية وجسدية متناغمة، وينظم جميع جوانب حياته وعلاقاته بشكل صحيح، ويستعد جيداً لمسؤولياته يوم القيامة. هذا النهج يعزز السكينة في العالمين. يجب على المرء أيضاً الامتناع عن اعتبار الإسلام لباساً يُلبس أو يُخلع حسب الرغبة الشخصية. أولئك الذين يتبنون هذا النهج، في الواقع، يعبدون أهوائهم، بغض: سورة الفرقان، الآية 43. النظر عن أي ادعاءات بخلاف ذلك

"...أرأيت من اتخذ إلهه هواه"

،من يغفل عن التعاليم الإسلامية في كل موقف، سيُسيء استخدام النعم الممنوحة له حتماً. ونتيجةً لذلك، سيعاني من حالة نفسية وجسدية غير متوازنة، وسيُسيء ترتيب أولوياته وعلاقاته في حياته، ولن يُعدّ نفسه، لمسؤولياته يوم القيامة كما ينبغي. هذا الإهمال سيُولد ضغوطاً وصعوباتٍ ومصاعب في الدنيا والآخرة. حتى وإن تمتع ببعض الرفاهية الدنيوية

"...وعلمناه صنعة الدرع لتوقيكم من القتال "

على الرغم من أن النبي داود عليه السلام كان ملكًا، إلا أنه كان يكسب رزقه بجهده. في الواقع، في حديث ورد في صحيح البخاري، رقم 2072، نصح النبي محمد صلى الله عليه وسلم بأنه ما أكل أحدٌ طعامًا خيرًا من كسب يده. وهذا يُبرز كرامة العمل وفضيلة -الاعتماد على النفس

لذا من المهم ألا يخلط الناس بين الكسل والتوكل على الله تعالى. للأسف، يبتعد البعض عن المهن المشروعة ويعتمد على المنافع الاجتماعية، ويقضي وقته في المساجد مدعيًا أنه يتوكل على الله تعالى في رزقه. هذه ليست توكلاً حقيقياً على الله تعالى، بل هي نوع من الكسل يتعارض مع تعاليم الإسلام. إن التوكل الحقيقي على الله تعالى في الرزق هو استخدام الأسباب التي خلقها - كالقوة البدنية والمهارات والفرص - لكسب المال الحلال وفقاً لتعاليم الإسلام، ثم الاعتماد على الله تعالى في الرزق من خلالها. إن الغرض من التوكل على الله تعالى هو عدم التخلي عن الأسباب التي خلقها، فيجعلها غير صالحة، والله تعالى لا يخلق شيئاً عبثاً. بل إن الغرض من الثقة هو منع الشخص من طلب الثروة من خلال وسائل مشكوك فيها أو غير مشروعة، مع الاعتقاد جازماً بأن رزقهم قد قُدر لهم قبل أكثر من خمسين ألف عام من خلق السماوات والأرض. وقد تأكد ذلك في حديث موجود في صحيح مسلم، رقم 6748. لا يمكن تغيير هذا التوزيع للرزق تحت أي ظرف من الظروف. واجب الشخص هو السعي للحصول عليه من خلال الوسائل المشروعة، كما كانت سنة الأنبياء المقدسين، عليهم السلام. وقد أشار إلى ذلك حديث صحيح البخاري، رقم 2072. وبالتالي، فإن استخدام الوسائل التي يوفرها الله تعالى هو في حد ذاته جانب من جوانب الثقة به، لأنه خلقها لهذا الغرض بالذات لذلك يجب على المرء ألا يكون كسولاً في ادعاء الثقة بالله تعالى، بالاعتماد على المنافع الاجتماعية عندما تكون لديه القدرة على كسب الثروة المشروعة من خلال جهوده الخاصة والوسائل التي يوفرها له الله تعالى وأخيراً، فإن فهم هذا الحديث والعمل به يحث على الاستغناء عن الاعتماد على الآخرين، سواء الحكومة أو الأقارب أو المجتمع ككل. بل ينبغي للإنسان أن يستغل ما رزقه الله تعالى، وفقاً لتعاليم الإسلام، مع إيمان تام

بأنّ رزقه الحلال سيصل إليه لا محالة. وبذلك يُظهرون التوكل الحقيقي على الله تعالى وحده، ويُجسّدون السنة الشريفة للأنبياء عليهم السلام). سورة الأنبياء، الآية 80، سورة 21)

"...وعلمناه صنعة الدرع لتوفيقكم من القتال "

بما أن الله تعالى هو وحده من رزق الناس جميع النعم الدنيوية، إما مباشرة كالثروات الطبيعية، أو غير مباشرة كالإلهام الاختراعات، فهو جدير بالشكر. سورة الأنبياء، الآية 80

"فهل ستكونون شاكرين إذن؟..."

من يُلبّي احتياجات غيره، كالسكن مثلاً، يستحقّ الشكر بلا شك. كذلك، بما أن الله تعالى قد أنعم على البشرية بكلّ نعمة في الكون، فمن العدل والواجب أن يُظهر الناس امتنانهم له. شكر النية الباطنة يقتضي القيام بالأعمال ابتغاء مرضاة الله تعالى فقط. من كانت أعماله مدفوعة بعوامل خارجية فلن ينال ثوابه، كما حدّر من ذلك حديث في جامع الترمذي، رقم 3154. ومن علامات صدق النية الواضحة عدم انتظار الفرد للثناء أو طلبه من الآخرين. الشكر باللسان هو الكلام النافع فقط أو اختيار الصمت. الشكر بالأعمال هو استخدام النعم التي أنعم الله بها على الإنسان بما يرضي الله تعالى، كما هو مبين في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. هذه الممارسة الشاملة للشكر تؤدي إلى زيادة النعم، وتؤدي في نهاية المطاف إلى راحة البال في الدنيا والآخرة. سورة إبراهيم، الآية 7

لئن شكرتم لأزيدنكم

في الأحوال العادية، عندما يمتلك الفرد شيئاً ما، يحق له عموماً استخدامه حسب رغبته. وبما أن الله تعالى هو الخالق والمالك والرازق لكل ما في الكون، بما في ذلك البشر، فمن المنطقي أنه وحده صاحب السلطة على تحديد ما يجري في الكون. لذا، من العدل والإنصاف أن يطيع الإنسان الله تعالى، فهو المالك المطلق للكون بأسره، بما في ذلك الفرد نفسه.

على سبيل المثال، عندما يُقرض شخصٌ ما مُلْكاً لشخصٍ آخر، يُتوقع من المُقرض أن يستخدمه وفقاً لتعليمات المالك. وبالمثل، فإن الله تعالى يمنح كل نعمة يملكها الإنسان ليس كهبةٍ دائمة، بل كقرض. وكما أن أي قرضٍ دنيويٍّ يتطلب سداداً، فإن هذا القرض الإلهي يجب سداؤه من خلال استخدام النعم بما يُرضي سورة. الله تعالى. في المقابل، تُمنح بركات الجنة كهبةٍ حقيقية، تُتيح للناس التمتع بها بحرية وفقاً لرغباتهم: الأعراف، الآية 43

"وقيل لهم: تلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون ..."

لذا، يجب الحذر من الخلط بين النعم الممنوحة في الدنيا، والتي تُعطى كقرض، والعطايا الأبدية التي تنتظرنا. سورة الأنبياء، الآية ٨٠. في الجنة

"فهل ستكونون شاكرين إذن؟..."

ولإثبات نبوته، مُنح النبي سليمان عليه السلام معجزات كثيرة. سورة الأنبياء، الآيتان 81-82

ولسليمان الريح عاتية تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها وكنا بكل شيء علمين. ومن الشياطين من"
"يغوص له ويعمل عملاً دون ذلك وكنا لهم حافظين

كما هو مبين في حديث موجود في صحيح البخاري، رقم 4981، فقد وُهب كل نبي من الأنبياء عليهم السلام معجزات تدعم رسالته. ومع ذلك، فقد وُهب النبي محمد صلى الله عليه وسلم القرآن الكريم على نحو فريد باعتباره معجزته الخالدة والباقية. أما المعجزات التي وهبها الله تعالى للأنبياء الآخرين عليهم السلام فقد اقتصر على أوقات وأماكن محددة، وكانت تهدف في المقام الأول إلى تعزيز رسالتهم بدلاً من تشكيل محورها المركزي. ولأن مثل هذه الأحداث المعجزة كانت مقيدة بالزمان والظروف، فقد أثرت بشكل مباشر على أولئك الذين شهدوها فقط. بالنسبة للآخرين، ظلت روايات من الماضي - قصص، على الرغم من أنها ملهمة، إلا أنها لم تحمل نفس القوة المباشرة لإثارة الإيمان أو تعزيز طاعة الله تعالى، بين أولئك الذين لم يشهدوها بشكل مباشر. لذلك كان تأثيرها محدوداً ومؤقتاً. في المقابل، يقف القرآن الكريم - وبالتالي، سنن النبي محمد صلى الله عليه وسلم - كمعجزة خالدة حيّة. إنه في متناول جميع الناس، في كل عصر ومكان ويستمر في إنارة القلوب، وهداية العقول، وتغيير المجتمعات. لا تقتصر طبيعته الإعجازية على لحظة واحدة. في التاريخ، بل تبقى دليلاً دائماً على النبوة، متجاوزة كل معجزة مؤقتة مُنحت للأنبياء الآخرين، عليهم السلام القرآن الكريم معجز في بلاغته، وحفظه من التغيير، وعمق هدايته الذي لا مثيل له، وقدرته على تلبية احتياجات البشرية في جميع الأوقات والظروف. إنه يخاطب العالم والشخص العادي على حد سواء، مقدماً الحكمة والشرعية والراحة والإلهام. وعلى عكس المعجزات الزائلة، فإنه يبقى -حاضراً دائماً، يدعو إلى التأمل والدراسة والطاعة. وهكذا فإن القرآن الكريم ليس معجزة ماضية فحسب، بل هو دليل حي على رحمة الله وحكمته، وهو يهدي البشرية إلى راحة البال في العالمين إلى نهاية الزمان، من خلال الحصول على حالة ذهنية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في حياتهم بشكل صحيح.

،ويستمر الله تعالى في الحديث عن الأنبياء عليهم السلام الذين ثبتوا على طاعته رغم المصاعب التي واجهوها، (سورة الأنبياء، الآية 83). وكيف نالوا بفضل الله العون والفرج وراحة البال في الدنيا والآخرة.

"وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين"

هذا يدل على أن الدعاء للفرج من المصائب لا يتعارض مع مفهوم الصبر. فالصبر الحقيقي لا يُعرّف بالصبر الصامت فحسب، بل بتجنب الشكوى بالقول والفعل، مع الثبات على طاعة الله تعالى. ويتطلب ذلك حسن استغلال النعم التي وهبت لهم وفقاً للتعاليم الإسلامية، والاستمرار في أداء واجباتهم مهما واجهوا من مشقة وفي الوقت نفسه، يجب عليهم أن يرضوا بقناعة بأن ما يقضيه الله تعالى لهم - سواء كان فرجاً عاجلاً من سورة البقرة، الآية ٢١٦. محنتهم أو استمراراً لها - هو في النهاية الأفضل، حتى وإن خفتهم حكمته

"وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ..."

:وسورة الأنبياء الآية 83

"وأنت أرحم الراحمين"

وهكذا، يصبح الدعاء عبادةً، لا ينافي الصبر، إذ يعكس التوكل على الله تعالى، مع الاعتراف بحكمته التامة ورحمته الواسعة. وهذا الموقف يحوّل الشدة إلى قربة إلى الله تعالى. ويطمئن قلب المؤمن سواء رفعت عنه العسر أو طالت، لعلمه أن لكل قضاء منافع خفية، سواء كانت تكفيراً للذنوب، أو رفعاً للدرجات، أو غرساً للتواضع والشكر. وهكذا، فالصبر والدعاء ليسا نقيضين، بل رفيقين، يهديان المؤمن إلى السكينة في الدنيا بإلهام طاعة الله تعالى، وحسن استخدام نعمه كما وردت في التعاليم الإسلامية، مما يؤدي بدوره إلى راحة تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، ومن خلال حسن وضع كل شيء البال في الدنيا والآخرة، من خلال (سورة الأنبياء، الآية 84، سورة 21). وكل شخص في حياته

"فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضرر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى للعابدين "

إن ذكر العابدين يدل على أن على المسلم أن يُقرن إيمانه بالله تعالى بالأعمال الصالحة لينال عون الله ورحمته من الضروري أن نفهم أن الإيمان .وطمأنينة قلبه في الدارين .ومن لم يفعل ذلك فقد يُغادر الدنيا بلا إيمان كالنبته الرقيقة التي يجب تغذيتها بالطاعات لتزدهر وتدوم .فكما أن النبتة التي تُحرم من ضوء الشمس والماء والرعاية تذبل وتموت، فكذلك إيمان الإنسان يذبل ويموت إذا لم يُدعم بالأعمال الصالحة المتواصلة .فالإيمان ،ليس كنزاً ثابتاً، بل هو واقع حي يتطلب عناية مستمرة .فكل طاعة تُقوي جذوره، وكل ذكر لله تعالى يُنمّيه وكل ذنب يُهمل في التوبة يُضعفه .إذا أهملنا إيماننا تماماً، فقد ينطفئ نوره، وهذه أعظم خسارة تُصيب الإنسان، فالحسائر الدنيوية قد تُعاد، لكن فقدان الإيمان يحرم الإنسان من الفوز في الدنيا والآخرة .لذا، يجب على المؤمن أن يجعل إيمانه أمانةً له، وأن يُغذيه يومياً بالأعمال الصالحة، ليبقى نابضاً بالحياة وقوياً حتى يلقى الله تعالى .سورة الأنبياء، الآية 84

"وذكرى للعابدين "

.عموماً، من الضروري إدراك أن عبادة الله تعالى تتجاوز بكثير مجرد الطقوس الدينية، كالصلوات المفروضة فالعبادة الحقّة، كما وردت في القرآن الكريم وأحاديث النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، تشمل طاعته في جميع الأحوال وفي كل نعمة أنعم بها .والطاعة ليست مجرد شعور قلبي، بل تتجلى في الأعمال الصالحة التي تُؤدى لله تعالى وحده .أما من يعمل بدوافع خفية - طلباً للشهرة أو الجاه أو الكسب الدنيوي - فلن ينال ثوابه، كما جاء في حديث في جامع الترمذي، رقم 3154 .وتستلزم طاعة الله تعالى أيضاً تحقيق جوانب التعلق بالقرآن الكريم المختلفة .أولها تلاوته الصحيحة والمنتظمة، وحفظ كلماته بتعظيم .وثانيها فهم تعاليمه من خلال مصادر موثوقة ومعلمين أكفاء .البعد الثالث والأهم هو تطبيق هدايته بنية صادقة لمرضاة الله تعالى .فالمؤمن المخلص يُقدم تعاليم القرآن الكريم على الأهواء الشخصية التي تُناقضه، مُدركاً أن الحكمة الإلهية تفوق الهوى البشري .إن بناء الشخصية وفقاً للقرآن الكريم يُظهر التزاماً حقيقياً به، وقد تجسد ذلك في النبي محمد صلى الله عليه وسلم، الذي تجسدت شخصيته في القرآن الكريم، كما ورد في حديث من سنن أبي

،داود رقم 1342 .لذا، فإن تكريم القرآن الكريم يتطلب التزامًا جادًا :تلاوته بإخلاص، والسعي لفهم معانيه وتطبيق هدايته دون تهاون .إن الانتقائية في التمسك بالقرآن الكريم - قبول ما يتوافق مع الذوق الشخصي فقط وإهمال ما يُخالف الذوق - تعكس عدم الأصالة تجاهه، وتحرم الفرد من حكمته العميقة وإمكاناته التحويلية ومن جهة أخرى، فإن من يتقبله بصدق وتواضع، يجد فيه دليلًا شاملاً للسلام والتوازن والنجاح في الدنيا والآخرة، من خلال تحقيق حالة ذهنية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في حياته :سورة الإسراء، الآية 82 .على الوجه الصحيح

.وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا

في نهاية المطاف، من الضروري إدراك أن القرآن الكريم، وإن كان يهتدي بتحديات هذا العالم، إلا أن غايته لا تقتصر على هذه الوظيفة فحسب .فهو ليس أداة تُتلى في أوقات الشدة وتُترك جانبًا عند نيل الفرج .بل إن الهدف الأساسي للقرآن الكريم هو أن يكون دليلًا شاملاً، يوجه البشرية نحو راحة البال في الدنيا والآخرة إن إهمال هذا الهدف الأساسي واستخدامه فقط لمعالجة الصعوبات الدنيوية المؤقتة يُشكل إساءة استخدام لحكمته الإلهية ويتناقض مع مبادئ المؤمن الحقيقي .هذا السلوك أشبه بشراء سيارة متعددة الميزات ولكن بدون محرك - تبدو رائعة ظاهريًا، لكنها في النهاية عاجزة عن تحقيق الغرض المقصود منها .وبالمثل، فإن الانخراط في القرآن الكريم دون التزام صادق بهدايته يعكس علاقة سطحية، تُقصر في احترام مكانته ككلمة الله الخالدة، تعالى .الإخلاص الحقيقي يقتضي أن يُؤخذ القرآن الكريم بتبجيل، وأن يُدرس بإخلاص، وأن يُطبق باستمرار، حتى لا يكون مصدر راحة في الشدائد فحسب، بل دليلًا دائمًا في الرخاء، يُشكّل كل قرار وكل نعمة، وكل خطوة في الحياة .بهذا الإخلاص فقط يُظهر المرء التزامًا حقيقيًا، مما يسمح للقرآن الكريم .بأداء دوره كنور في الدنيا ووسيلة نجاة في الآخرة

ويؤكد الله تعالى مرة أخرى على أهمية الصبر، إذ نسبه إلى الأنبياء عليهم السلام، فهو ركن أساسي من أركان الإيمان .سورة الأنبياء، الآية 85

"وإسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين "

الصبر هو صفةٌ يمتنع بها الإنسان عن الشكوى، قولاً كان أو فعلاً، في أوقات الشدة، مع الحفاظ على طاعة الله تعالى خالصةً له في جميع الأحوال. وتستلزم هذه الطاعة استخدام نعم الله تعالى على الوجه الذي يرضيه كما هو مبين في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. يكمن أساس الصبر في تعلم العلم الشرعي والعمل به. كلما اكتسب الإنسان هذه المعرفة وطبقها، تعمق فهمه بأن كل ما يقضيه الله تعالى هو في النهاية الأفضل للجميع، حتى لو لم تظهر الحكمة من وراء بعض المصاعب فوراً. تحتوي العديد من المصاعب على دروس وفوائد خفية، كما يتضح في قصة النبي يوسف عليه السلام. في صغره، فُصل عن والديه من قبل إخوته، وترك في بئر مظلم، وبيع في سوق العبيد، وسُجن ظمأً. ومع ذلك، فقد غرست كلُّ من هذه التجارب دروساً وتجارب مكنته لاحقاً من إنقاذ سكان مصر من مجاعة شديدة. ولولا تحمّله هذه المشاق بصبر، لما كان في وضعٍ يُمكنه من إنقاذ أرواح الملايين). سورة البقرة، الآية ٢١٦)

"وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ..."

إن الإيمان بالحكمة الخفية وراء أحداث الحياة، وما يترتب عليها من طاعة الله تعالى، ركنٌ أساسي من أركان الإيمان. فمن السهل الإيمان بالله تعالى والحمد له في الرخاء، لكن حقيقة الإيمان تتجلى عند مواجهة الشدائد مع الاستمرار في طاعته وتعظيمه.

ثمكّن دراسة التعاليم الإسلامية الفرد أيضاً من وضع مصاعبه في سياقها الصحيح بمقارنتها بما واجهه غيره بمن فيهم من هم أحب إلى الله تعالى ممن واجهوا ابتلاءات أشدّ بكثير. هذا التأمل يُخفف من حدة المصاعب التي يُدركها المرء، مما يُعزز غرس الصبر. كما أن مشاهدة الآخرين في نفس الوقت الذين يواجهون تحدياتٍ أشدّ تأثيراً يُمكن أن يكون لها تأثيرٌ مُماثل.

، علاوة على ذلك، تُقدم التعاليم الإسلامية فهمًا عميقًا لمفهوم القدر، مُبيّنةً أن كل حدث في حياة الإنسان وخاصةً ما لا يرتبط مباشرةً بأفعاله - سواءً أكان رخاءً أم شدةً - هو أمرٌ حتميٌّ في نهاية المطاف. فالشكوى من الظروف التي لا مفر منها لا تُجدي نفعًا. بل إن الصبر على المصائب المقدرة يُمكن الإنسان من نيل الثواب الجزيل الذي وعد الله تعالى به الصابرين. سورة الزمر، الآية 10

"إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب"

وسورة الأنبياء 21 الآيات 85-86

.وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين .وأدخلناهم في رحمتنا .إنهم كانوا من الصالحين وإسماعيل

لذا، يواجه الإنسان أمرًا لا مفرَّ منه :إما أن يواجهه بالصبر ويحصل على ثوابٍ لا يُحصى، أو أن يستجيب له بفارغ الصبر ويضيع عليه الثواب. في كلتا الحالتين، لا مفرَّ من هذا الأمر، لذا من الحكمة التعامل معه. بما يعود بالنفع في الدنيا والآخرة. سورة الحديد، الآيتان ٢٢-٢٣

أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير. لكي ما... لا تأسوا مما فاتكم

تُساعد دراسة التعاليم الإسلامية المرء أيضًا على إدراك أن ما يتمناه في الدنيا ليس بالضرورة هو الأفضل له. سورة البقرة، الآية ٢١٦

"وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ..."

يستطيع كل فرد أن يلاحظ أمثلة في حياته توضح هذه الحقيقة. فالكثير من الرغبات التي يعتقد المرء أنها مفيدة تتحول في النهاية إلى مصادر للتوتر، بينما قد تتحول الظروف التي يُنظر إليها في البداية على أنها ضارة إلى خير غير متوقع. ومن يدرك هذه الحقيقة يكون أقل عرضة للاستجابة بفارغ الصبر عند مواجهة مواقف تتعارض مع رغباته، مدركًا أن تحمل مثل هذه الظروف هو الأفضل له في النهاية، حتى لو لم تتضح الحكمة الكامنة وراء ذلك فورًا.

كما يُنقى الذهب بالحرارة، كذلك تُقوّى القدرة العقلية بالتجارب. فالأفراد الذين اعتادوا على حياة رغيدة قد يواجهون انهياراتٍ حتى عند مواجهة تحدياتٍ عادية، كالصعوبات الزوجية. ومن خلال التجارب والابتلاءات يُقوّي الله تعالى نفسية المؤمن، مما يُمكنه من مواجهة مصاعب المستقبل بسهولةٍ أكبر.

يُعَلِّم الإسلام الصبر في جميع الأحوال، حتى في أوقات الرخاء. ففي أوقات الرخاء والوفرة، يجب على الإنسان التحلي بالصبر لئلا يُسيء استخدام النعم الممنوحة له، كالصحة الجيدة وزيادة الدخل.

تُناقش التعاليم الإسلامية العديد من الحكم الإضافية الكامنة وراء صعوبات الحياة. لذلك، من الضروري للمؤمنين دراسة هذه التعاليم وتعلمها والعمل بها، وغرس الصبر في كل ظرف لنيل ثواب لا يُحصى في الدنيا والآخرة. على المرء أن يتحمل المحن مُدركًا أنه، كمريض عاقل يتبع نصيحة طبيب، حتى الدواء المر أو النظام الغذائي الصارم يُفيد في النهاية.

الصبر لا يعني الخمول، بل من أساسيات الصبر معالجة الموقف والسعي إلى حله وفق التوجيه الإسلامي ، على سبيل المثال، ينبغي للزوجة التي تتعرض للعنف من زوجها أن تتخذ إجراءات لحماية نفسها وأولادها كالانفصال عنه .هذا التصرف متوافق تمامًا مع الصبر، بينما السلبية لا تعكس الصبر الحقيقي أو الالتزام بالإسلام .وبالمثل، فإن التعبير عن المشاعر، كال بكاء، لا يتعارض مع الصبر .بكى النبي يعقوب عليه السلام بكاءً شديدًا حتى أعمى بصره، ومع ذلك لم يُعاتبه الله تعالى قط .سورة يوسف، الآية 84

"فتولى عنهم وقال يا أسفي على يوسف وابيضت عيناه من الحزن إنه كان كظلاماً "

هناك حالات عديدة بكى فيها النبي محمد صلى الله عليه وسلم استجابةً للأحداث الحزينة، مثل وفاة ابنه إبراهيم رضي الله عنه، كما هو مسجل في حديث موجود في سنن أبي داود، رقم 3126 .إن التعبير عن معصية الله تعالى، بالقول أو الفعل، ينافي الصبر؛ ومع ذلك فإن الاستجابات البشرية الطبيعية، مثل البكاء والشعور بالحزن، مسموح بها تمامًا ومتوافقة مع الطبيعة البشرية

من الضروري أيضًا فهم أن الصبر واجبٌ منذ بداية المحنة وحتى نهاية الحياة .وقد أكد على هذا المبدأ حديثٌ في صحيح البخاري، رقمه ١٣٠٢ .إن الصبر بعد انقضاء مدةٍ لا يُعدّ صبرًا حقيقيًا، بل يعكس القبول الفطري ،الذي يحدث مع مرور الوقت .يجب على المرء أن يحافظ على الصبر منذ بداية المحنة بضبط أقواله وأفعاله وتجنب أي مظهرٍ من مظاهر عدم الصبر، والحفاظ على هذا الثبات حتى الرحيل .إن عدم القيام بذلك يُعرض المرء لفقدان ثواب تحمل المحن بالصبر

في نهاية المطاف، من صبر على كل حال، مُثَبِّتًا على طاعة الله تعالى، مُسْتَعِلاً النعم التي وُهِبَتْ له كما وردت، تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة في التعاليم الإسلامية، سينال راحة البال في الدنيا والآخرة، من خلال ومن خلال حسن توزيع كل شيء وكل شخص في حياته). سورة الأنبياء، الآية 86)

"وأدخلناهم في رحمتنا إنهم من الصالحين"

ثم ذكر مثال آخر للصبر عند المصيبة في الآية التالية. سورة الأنبياء، الآية ٨٧

واذكر صاحب الحوت إذ ذهب مغاضبًا فظن أن لن نقضي عليه ونادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك
"إني كنت من الظالمين"

يُعتقد أن النبي يونس عليه السلام، بعد أن أنبأه الله تعالى بعقاب أمته على عصيانها المستمر، عزم على الهجرة عنهم، فلا تُعاقب أمة إلا بهجرة نبيها عليه السلام. وقد جرت العادة بين الأنبياء عليهم السلام حين كفر قومهم إلا أنه رحل دون إذن الله تعالى. ومع أن هذا لم يكن إثماً، إلا أنه كان منافياً لمكارم الأخلاق ومقام النبوة الرفيع، الذي يقتضي الالتزام المطلق بأمر الله. ونتيجة لذلك، حُبس في بطن حوت عظيم مدة من الزمن. لم يكن هذا عقاباً بمعنى القصاص، بل كان تقويماً إلهياً ورفعةً له، يُذكره - وبالتالي جميع الناس، بضرورة التسليم التام لأمر الله تعالى. كان حبسه درساً عميقاً في الصبر والتواضع والتوكل على الله تعالى، وقد أشاد القرآن الكريم لاحقاً بدعوته في تلك المحنة، مُعتبراً إياها قدوة لكل من يواجه الشدائد. سورة الأنبياء، الآية 87

"ونادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ..."

وبشكل عام، يجب. رغم عدم ارتكابه آية، تحمّل النبي يونس عليه السلام مسؤولية خطئه وتاب إلى الله تعالى على المرء تجنّب التهرّب من تحمل مسؤولية أفعاله وإلقاء اللوم على الآخرين. من لا يعترف بنقائصه لن ونتيجةً لذلك، سيقع حتمًا في حالة من الاختلال. يُحسّن من نفسه، بل سيستمر في استغلال النعم التي وهبت له العقلي والجسدي، وسيُسيئ ترتيب أولوياته، ويُسيء استخدام علاقاته، ولن يُعدّ العدة الكافية للحساب يوم القيامة. سيؤدي هذا الإهمال إلى ضغوط وتحديات ومصاعب في الدنيا والآخرة، بغض النظر عن أي رفاهية دنيوية قد يتمتع بها مؤقتًا. علاوةً على ذلك، فإن إهمال المسؤولية يمنع المرء من أداء حقوق الآخرين. هذا التقصير لا يضرّ الأفراد فحسب، بل يُضللّ من حولهم أيضًا، مما يُسهم في انتشار الفساد والظلم في المجتمع. هذا السلوك يُفوّض الثقة، ويُضعف المجتمعات، ويتناقض مع جوهر الأخلاق الإسلامية، التي تُؤكّد على العدل والمحاسبة والإخلاص. لوم المرء الآخرين على أفعاله السيئة لن يقبله الله تعالى، لا في الدنيا ولا في الآخرة. بل كما هو مُبيّن في القرآن الكريم، فإن الله تعالى لن يقبل حتى محاولات الناس لإلقاء اللوم على: سورة إبراهيم، الآية ٢٢. الشيطان في ذنوبهم، رغم جهوده الحثيثة لإضلالهم

وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فخنتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا" "...أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم

مع أن الشيطان سيُحاسب على ذنوبه، إلا أنه لا يمكن لأحد أن يُحمّله عواقب أفعاله، لأنه لم يكن يملك القدرة على إكراه أحد على الضلال. لقد دعا الناس إلى الضلال فحسب، ومن لبّى دعوته طوعًا يتحمل كامل المسؤولية عن اختياراته. ستُحاسب كل نفس على أعمالها فقط، وفي يوم القيامة، لن ينفعها أي عذر أو حيلة لذا، فإن طريق النجاح الحقيقي يكمن في المساءلة الشخصية والتواضع والالتزام الصادق بإصلاح أفعال المرء. يتحمل مسؤولية أفعاله، لا يصون المرء إيمانه فحسب، بل يُعزز أيضًا النزاهة الأخلاقية والوفاء في المجتمع ككل.

"ونادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ..."

وبالإضافة إلى ذلك فإن النبي الكريم يونس عليه السلام مع أنه لم يرتكب ذنباً إلا أنه مجدّد الله تعالى فلم ينسب إليه شيئاً سيئاً كأنه ضيق في بطن الحوت

من أركان تمجيد الله تعالى عدم نسب أي شيء سلبي إليه. ويتطلب ذلك ترسيخاً متعمداً لعقلية إيجابية. تُعد هذه العقلية بالغة الأهمية لأنها تُشكل مورداً قوياً للتغلب على صعوبات الحياة مع الثبات على طاعة الله تعالى والطاعة تعني استخدام النعم التي أنعم بها على الوجه الذي يرضيه، كما ورد في القرآن الكريم وأحاديث النبي محمد صلى الله عليه وسلم. عند مواجهة الشدائد، ينبغي على الإنسان أن يُذكر نفسه فوراً بأن الوضع كان يمكن أن يكون أسوأ بكثير. فإذا كانت المحنة دنيوية بحتة، فعليه أن يشكر الله على بقاء إيمانه - أعلى ما يملك - سليماً بدلاً من التركيز على الألم اللحظي، ينبغي التركيز على المكافأة الحتمية التي تنتظر من يصبر في سبيل الله تعالى. وعندما تُزال عنه نعمة، ينبغي على الإنسان أن يُفكر بوعي في النعم الأخرى الكثيرة التي لا يزال يتمتع بها. في كل محنة، لا بدّ من استحضار هداية القرآن الكريم، التي تُطمئن المؤمنين بأن المصاعب تُخفي وراءها حكماً وفوائد خفية قد لا تظهر للوهلة الأولى. فما يبدو غير مُرضٍ قد يكون في: سورة البقرة، الآية ٢١٦. الواقع أنفع مما يُراد في البداية

"وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ..."

لذا، فإنّ التحلي بعقلية إيجابية يتجاوز التفاؤل البسيط؛ فهو إيمانٌ صادق، وسبيلٌ لتعظيم الله تعالى، بالثقة بحكمته، وقبول رحمته، والتسليم التام لقضائه. هذا النهج يُمكن الإنسان المُخلص من تحويل كل محنة إلى فرصة للنمو الشخصي، والامتثال العميق، وراحة البال في الدنيا والآخرة، وذلك بالحفاظ على توازن نفسي وجسدي، وتنظيم جميع جوانب الحياة تنظيمًا سليماً

،في الختام، لا بدّ من التأمل العميق في هذه الحقائق لتنمية عقلية إيجابية .فهذه الروح ليست مجرد أداة دنيوية بل هي ركن أساسي من أركان تعظيم الله تعالى، برفض أي سوء إليه، وإدراك حكمته في كل قدر .على المؤمن أن يُدرب قلبه على إدراك النعم حتى في المحن، ورؤية الحكمة الكامنة في الشدائد، والبقاء شاكراً في جميع الأحوال .عليه أن يدرك أن الكأس ليست نصف فارغة، بل هي ممتلئة بما قدره الله تعالى لهم في الدنيا والآخرة .إن تبني هذا المنظور يُفضي إلى حياة من الطمأنينة والشكر، والتوكل الراسخ على الله تعالى، مُحوِّلاً كل لحظة - سواءً في السراء أو الضراء - إلى طاعة .ويتم ذلك بالثبات على طاعة الله تعالى، وحسن استغلال النعم، كما فعل النبي الكريم يونس عليه السلام .يضمن هذا النهج الشامل للأفراد تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، وتنظيمًا سليمًا لجميع جوانب حياتهم وعلاقاتهم، والاستعداد الكافي للحساب يوم القيامة .وبالتالي ،(سورة الأنبياء، الآية 88) .فإن هذا السلوك يُعزز راحة البال في الدنيا والآخرة

"فاستجبنا له ونجيناه من الغم والحزن وكذلك ننجي المؤمنين"

،هذا النوع الخاص من العون الإلهي وُعدّ به المؤمنون الحقيقيون، وليس فقط من يُعرفون بالمسلمين .المسلمون في هذا السياق، هم من يفتقرون إلى فهم عميق للمعرفة الإسلامية، وقد اعتنقوا الإسلام أساساً من خلال :سورة الحجرات، الآية 14 .الارتباط العائلي، كاتباع دين والديهم

"...قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم"

بسبب نقص معرفتهم الإسلامية، يعاني هؤلاء الأفراد من ضعف الإيمان .هذا الضعف يدفعهم إلى معصية الله تعالى باستمرار، بإساءة استخدام النعم التي أنعم بها عليهم - وخاصةً عندما تتعارض أهوائهم الشخصية مع تعاليم الإسلام - حتى لو أدوا الفرائض الأساسية .في المقابل، يعتنق المؤمن الحق الإسلام من خلال .المعرفة المكتسبة من القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، فيصل إلى إيمان قوي راسخ :سورة الحجرات، الآية 15

إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وأولئك هم الصادقون.

بفضل إيمانهم القوي، يظل هؤلاء الأفراد ثابتين على طاعة الله تعالى، سواء في أوقات الشدة - بالصبر - أو في أوقات الرخاء - بالتعبير عن الشكر. يتجلى الشكر في النوايا من خلال العمل فقط لإرضاء الله تعالى ويتجلى الشكر في الكلام بالتحدث بإيجابية أو اختيار الصمت عند اللزوم. ويتجلى الشكر في العمل باستخدام النعم التي وهبت للفرد بطرق ترضي الله تعالى، كما هو منصوص عليه في القرآن الكريم وتعاليم النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم. ومن خلال هذا الشكر الشامل، يُنعم على الشخص بمزيد من النعم والسكينة الداخلية والنجاح الدائم في كل من الدنيا والآخرة، حيث يحقق حالة ذهنية وجسدية متوازنة وينظم جميع جوانب حياته بشكل صحيح. سورة إبراهيم، الآية 7

لئن شكرتم لأزيدنكم

علاوة على ذلك، فإن الصبر يستلزم الامتناع عن الشكوى قولاً وفعلاً، مع الثبات على طاعة الله تعالى. وهو، نابع من اليقين بأن ما يقضيه الله هو في النهاية خيرٌ للعبد، حتى وإن لم تتضح حكمته فوراً. سورة البقرة: الآية ٢١٦

"وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ..."

لذا، فإن من أحسن العمل في جميع الأحوال سينال عون الله تعالى ورحمته الدائمة. ونتيجةً لذلك، ينالون السكينة في الدنيا والآخرة بتحقيق حالة نفسية وجسدية منسجمة، وحسن تدبير كل شيء وكل شخص في سورة الأنبياء، الآية 88. حياتهم. وقد أكد هذا المبدأ حديثاً في صحيح مسلم، رقم 7500

"فاستجبنا له ونجيناه من الغم والحزن وكذلك ننجي المؤمنين"

عليه السلام، الذي دعا بنبي عليه السلام يرث منه النبوة، فيهدي قومه زكريا ثم ذكر الله تعالى قصة النبي بعد وفاته. سورة الأنبياء، الآية 89

"وزكريا إذ نادى ربه رب لا تدركني فردا"

يتضح من القرآن الكريم أن دعاء النبي زكريا عليه السلام لم يكن لطفل عادي، بل كان دعاؤه من القلب للنبي كريم، عليه السلام، يُكمل رسالته، ويُعلي شأن الهداية الإلهية، ويُحافظ على صفاء الإيمان بين أمته. فلم يكن طلبه متاعاً دنيوياً أو راحةً شخصية، بل رزقاً مقدساً من الله تعالى. يعكس هذا الدعاء الطموحات السامية للأنبياء عليهم السلام، الذين لم يقتصر همهم على الكسب الدنيوي، بل اتجهوا دائماً نحو حفظ الحق وهداية البشرية. فكان رزق النبي يحيى عليه السلام، ابناً صالحاً ونبيّاً كريماً، استجابةً لدعاء النبي زكريا عليه السلام ودليلاً على رحمة الله تعالى، مُبيناً أن الدعاء الصادق المقترن بالطاعة، حين ينبع من نية نبيلة، يُكرم على

:سورة مريم 19 الآيات 4-6. أكمل وجه

قال رب إني وهن العظم مني وأبيض رأسي ولم أكن بدعائك رب شقياً وإني خفت الخلفاء من بعدي وكانت

"امراتي عاقراً فهب لي من لدنك ولياً يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضاك

،الميراث المذكور في هذا الدعاء يتعلق بالرسالة الدينية، لا بالدنيا .لم يورث الأنبياء عليهم السلام مالا مادياً بل علماً، كما ورد في حديث سنن ابن ماجه رقم ٢٢٣ .وكان إرثهم الحقيقي حفظ الهداية الإلهية ونقلها، التي لا تزال تغذي قلوب وعقول المؤمنين إلى قيام الساعة

هذا الدعاء يُعَلِّمُ الناس أيضاً تطهير النوايا وتصحيحها، وأن تكون رغباتهم مرتبطة بالآخرة لا مقتصرة على المنافع الدنيوية .فعلى سبيل المثال، ينبغي للزوجين أن يتمتوا الإنجاب ليس لمجرد النعيم الدنيوي أو المكانة الاجتماعية، بل لهدف نبيل وهو زيادة عباد الله الصالحين في الأرض .ولا يتحقق هذا الهدف النبيل إلا بتربية الأبناء على تعاليم الإسلام، التي بدورها تقتضي من الوالدين أنفسهم تعلّم المعارف الإسلامية وتطبيقها والعمل بها ليكونوا قدوة حسنة لأبنائهم

،علاوة على ذلك، فإن من يطلب النعم الدينية لا يفعل ذلك إلا لمرضاة الله تعالى .وليس قصده -مصلحة ذاتية بل رضا الله .فإذا شاء الله تعالى أن يمنع عنه تلك النعمة - كمنعه هبة الولد - فعليه أن يتقبل قضائه بصبر ورضا، فهذا مما يرضي الله تعالى .وقد دلت على ذلك الآية 89، حيث أقر النبي الكريم زكريا عليه السلام .بأن الله تعالى خير الوارثين، فهو أعلم بموعد ختام أمر، كالنبوة بين بني إسرائيل، في الأرض وعودته إليه وبهذا يُظهر المرء استسلاماً حقيقياً، مُدرّكاً أن لكل حكمة ظاهراً كان أو باطناً، وأن النجاح النهائي يكمن في:توافق رغبات المرء مع مشيئة الله تعالى .سورة مريم، الآية 6

"الذي يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله ربي مرضياً "

بالإضافة إلى ذلك، مع الاعتقاد السائد بأن النبي زكريا عليه السلام دعا بولدٍ يُكمل سلسلة النبوة، فمن الممكن أيضاً - عند دراسة هذا الحدث بدقة - أن طلبه لم يكن بالضرورة ابنًا بيولوجيًا .بل ربما كان يسأل الله تعالى

أن يرزقه بولدٍ يرث النبوة منه، حتى لو كان هذا الطفل من آخر في الجماعة. ويدعم هذا التفسير اعترافه هو وزوجته ببلوغهما سن الرشد، وأنها عاقر، مما يجعل احتمال إنجاب ذرية بيولوجية أمرًا مستحيلًا. سورة مريم، الآيتان 4-5

قال رب إني وهن العظم مني وابيض رأسي ولم أكن بدعائك رب شقيًّا وإني خفت الخلفاء من بعدي وكانت " ... امرأتي عاقرا

ويدعم هذا التفسير دهشته عندما أبلغ أنه وزوجته العاقر سيرزقان بمولود. فلو كان دعاؤه من أجل مولود بيولوجي تحديدًا، لما كان متوقعًا، فهو، أكثر من غيره، كان يعلم ويدرك قدرة الله تعالى اللامتناهية. لذا، يُشير دهشته إلى أن طلبه الأصلي ربما لم يكن ابنًا من صلبه، بل خليفة يرث رسالة النبوة، سواءً كان ذلك المولود منه أو من غيره من أبناء الأمة

هذه اللحظة المفاجئة تُبرز عمق رحمة الله تعالى، فلم يكتفِ بمنح النبي زكريا عليه السلام خليفةً لمواصلة رسالة الهداية، بل فعل ذلك على نحوٍ عجيبٍ للغاية، إذ رزقه هو وزوجته العاقر بابنٍ صالح، النبي يحيى عليه السلام. ففاقت الاستجابة الإلهية توقعاته، مُظهرةً أن الله تعالى يُعطي بطرقٍ تفوق الخيال، وأن حكمته: تشمل حفظ الإيمان وإتمام الدعاء. سورة مريم، الآيتان 7-8

إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى، لم نجعل لأحد من قبل اسمًا. قال: يا رب، أنى يكون لي غلام وقد ، زكريا عاقرت، وقد بلغت من الكبر غايةً؟

"...فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه"

.وهذا يؤكد ما سبق من وجوب الامتناع عن اتخاذ هذا الحدث ذريعة للدعاء في أمور الدنيا، كطلب الولد مثلاً

وقد بين الله تعالى أنه استجاب لدعاء النبي زكريا عليه السلام لطاعته وطاعة أهل بيته عليهم السلام). سورة (الأنبياء، الآية 90، سورة 21

"إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين "

،بتوازنٍ نفسيٍّ وجسديٍّ ،فمن أراد من الله تعالى أن يرزقه رحمةً وبركةً في الدارين، فيطمئنّ بالدنيا والآخرة وحسن تدبير كلِّ شيءٍ وكلِّ شخصٍ في حياته، فعليه أن يُطيع الله تعالى طاعةً عمليةً، كما فعل آلُ النبيِّ زكريا عليهم السلام .وهذه الطاعةُ تشملُ حسنَ استغلالِ النعمِ كما وردت في التعاليم الإلهية). سورة الأنبياء، الآية (سورة 21، 90

"...إنهم كانوا يسارعون في الخيرات "

يدلّ التعجيل المذكور على وجوب تقديم هذه الطاعة على أهواء النفس وأهواء الآخرين، كوسائل التواصل الاجتماعي والموضة والثقافة. فمثلاً، إذا سئمت للإنسان فرصة للانتفاع بنعمة مُنحت له وفق هواه، حتى لو كان ذلك حلالاً أو رضا الله تعالى، فعليه اختيار الثاني. ومن أهم أسباب ضعف العزيمة على المسارعة في فالأمل الكاذب بطول العمر صفة مذمومة. الخيرات التعلق بالأمل الكاذب بطول العمر، ولذلك يجب اجتنابه للغاية، فهو من أهم الأسباب التي تدفع الإنسان إلى تقديم جمع الدنيا على الاستعداد للآخرة. يكفي أن يتأمل الإنسان متوسط -ساعات حياته، ويتأمل مقدار ما يُخصّصه للدنيا مقارنةً بما يُخصّصه للآخرة، ليدرك هذه الحقيقة. إن التعلق الكاذب بطول العمر من أقوى أسلحة الشيطان لإضلال الناس. عندما يقنع المرء نفسه بطول العمر، فإنه يؤجل الاستعداد للآخرة، معتقداً خطأ أنه قادر على ذلك في القريب العاجل. ومع ذلك، في أغلب الأحيان، لا يأتي هذا "المستقبل القريب"، ويغادر الإنسان هذه الدنيا دون أن يكون قد استعد استعداداً كافياً لمسكنه الأبدي.

علاوة على ذلك، فإن الأمل الكاذب بطول العمر يدفع المرء إلى تأخير التوبة الصادقة وإصلاح الأخلاق، إذ يظن أن الوقت متسع لمثل هذه الأمور. ويشجع على اكتناز الممتلكات الدنيوية، كالثروة، وهماً أنها ستكون ضرورية طوال حياته الطويلة على الأرض. ويخيف الشيطان الناس فيعتقدون أنهم ما لم يجمعوا الثروة لشيخوختهم، فسيتركون عاجزين عندما لا يعودون قادرين على العمل. وينسون أن الرب الذي رزقهم في شبابهم سيستمر في رزقهم في شيخوختهم. في الواقع، فُذِرَ رزق كل مخلوق قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف عام، كما هو مؤكد في حديث موجود في صحيح مسلم، رقم 6748. يا للعجب أن يُكرّس الإنسان أربعين عاماً من عمره للادخار لتقاعد نادراً ما يدوم أكثر من عشرين عاماً، ثم يفشل في الاستعداد بنفس الطريقة للآخرة الأبدية.

لا يُعلّم الإسلام الناس إهمال الاستعداد الدنيوي تماماً. فلا ضير في الادخار للمستقبل القريب، بشرط أن تبقى الآخرة هي الأولوية القصوى. ومع ذلك، ورغم اعترافهم بقرب الموت في أي لحظة، يتصرف كثيرون وكأنهم سيخلدون. بل حتى لو وُعدوا بالحياة الأبدية في الدنيا، لما استطاعوا بذل جهد أكبر في جمع متاع الدنيا، لأن دورة الليل والنهار نفسها تُقيّد الجهد البشري. فكم من رحلوا أبكر مما كانوا يتوقعون، وكم منا من يُحسن الظن برحيلهم؟

في الواقع، من أعظم الآلام التي يختبرها الإنسان عند الموت، وفي كل مرحلة من مراحل الآخرة، الندم على تأخره في الاستعداد للحياة الأبدية. حينها، لا ينفع الغنى ولا الجاه ولا ملذات الدنيا، ولا يبقى إلا الإيمان الصادق والعمل الصالح والتوبة النصوح سندًا للرحلة القادمة. سورة المنافقون، الآيتان ١٠-١١

وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكون من الصالحين ولن يؤخر الله نفسًا إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون

يُوصف المرء بالحمق إذا بذل مزيدًا من وقته وجهده وماله في بيتٍ لن يسكنه إلا قليلًا، مُهملاً البيت الذي قُدِّر له أن يسكنه طويلًا. هذا مثالٌ واضحٌ لمن يُفضّلون ملذات الدنيا الزائلة على دار الآخرة الخالدة

إن الناس مأمورون بالعمل للدنيا والآخرة، فالتوازن من الحكمة. ومع ذلك، عليهم أن يتذكروا دائمًا أن الموت لا يأتي في وقت أو حال أو عمر معلوم. إنه آتٍ لا محالة، لكن ساعته خفية. لذا، فإن الاستعداد للموت وما يليه يجب أن يكون مقدمًا على الاستعداد لمستقبل في هذه الدنيا غامض وقد لا يأتي أبدًا

،العاقل من يستثمر في الأبدية، مع القيام بواجباته في الدنيا. أما الجاهل فمن يُرهق نفسه فيما هو آتٍ لا محالة. مُهملاً الآخرة). سورة الأنبياء، الآية 90، سورة 21)

"...إنهم كانوا يسارعون في الخيرات "

علاوة على ذلك، فقد اتبعت عائلة النبي زكريا عليهم السلام الموقف الصحيح في الدعاء إلى الله تعالى .سورة
:الأنبياء، الآية 90

"...إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً ويدعوننا رغباً ورهباً "

،من المهم ملاحظة أن دعاء الصالحين، كما ورد في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم كان دائماً مقروناً بالطاعات .فكل دعاء مذكور في القرآن الكريم كان ممن نذروا حياتهم للجهاد في سبيل الله تعالى، مستخدمين النعم التي أنعم الله عليهم بها على الوجه الذي يرضيه .وهذا يُثبت مبدأً جوهرياً :أن الدعاء لا يكون فعالاً إلا إذا رافقته طاعة صادقة .وللأسف، يتبنى كثير من الناس اليوم موقفاً من الكسل، فيُبدعون في رفع أيديهم بالدعاء، لكنهم يقصرون في طاعة الله تعالى عملياً .ذلك أن الدعاء لا يتطلب جهداً ولا وقتاً ولا موارد، بينما تتطلب الطاعة جهداً وتضحية وانضباطاً .ومع ذلك، يتضح من تعاليم الإسلام، ومن سيرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، أن الدعاء لم يكن ليُبنى على الدعاء وحده، بل كان دائماً مُعززاً بالعمل والطاعة وحسن استخدام الدعاء .كل خطوة في حياة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وحياة أصحابه الكرام رضي الله عنهم تشهد على هذه الحقيقة .لم يدعوا قط بالفرج أو النصر متجاهلين العمل بما يرضي الله تعالى ،كان دعاؤهم مصحوباً بالسعي والتضحية والثبات في الطاعة .ويوضح حديث موجود في جامع الترمذي رقم 3499، هذا المبدأ من خلال تسليط الضوء على وقتين خاصين تكون فيهما الدعاء أكثر استجابة :مباشرة بعد الصلوات المفروضة، وفي الجزء الأخير من الليل عندما يستيقظ المرء لصلاة التطوع .ترتبط هاتان اللحظتان ارتباطاً مباشراً بأفعال الطاعة، مما يدل على أن قبول الدعاء مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالعبادة والعمل الصالح .بالإضافة إلى ذلك، يوضح القرآن الكريم نفسه أن الدعاء يجب أن يكون مدعوماً بالطاعة حتى يكون كاملاً وفعالاً .المؤمن الذي يجمع بين الدعاء الصادق والعمل الصادق يُظهر توكله على الله تعالى، ويتبع نهج :سورة فاطر، الآية ١٠ .النبوة في العبادة

"...إليه يصعد الكلام الطيب، والعمل الصالح يرفعه..."

إن عدم فهم وجوب تأييد الدعاء بطاعة الله تعالى، سببٌ رئيسيٌ لعدم تغير حال كثير من المسلمين تغييرًا إيجابيًا. فالدعاء وحده، دون جهدٍ مُقابل، لا يُكمل. يجب على المرء إصلاح نيته، وتهذيب كلامه، ومطابقة أفعاله لأوامر الله تعالى، لإحداث تغييرٍ حقيقيٍّ ودائمٍ في حياته. يُوضح القرآن الكريم أن الله تعالى لا يُغير ما: سورة الرعد، الآية ١١. يقوم حتى يُغيروا ما بأنفسهم

"إن الله لا يغير ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم"

هذا يعني أن الدعاء يجب أن يقترن بتوبة صادقة، وطاعة مستمرة، وحسن استخدام النعم. فبدون ذلك، يبقى الدعاء كلامًا على اللسان لا حقيقة في القلب والحياة. لذا، يجب إدراك أن الدعاء ليس بديلًا عن العمل، بل هو قوة تُلهم وتُعززه. وعندما يجتمع الدعاء والطاعة، يُصبحان وسيلةً قويةً للتغيير، للفرد وللمجتمع ككل.

بالإضافة إلى ذلك، يجب على المرء استغلال الموارد المتاحة له - من وقته وطاقته وقدراته - لإحداث تغيير إيجابي في حياته، ولا يمكن الاعتماد على الدعاء فقط. على سبيل المثال، يجب على الشخص الذي يواجه صعوبات في حياته الزوجية اتخاذ خطوات عملية لحل المشكلات، مثل تحسين التواصل، والتحلي بالصبر والسعي للصالح، مقرونًا بهذه الجهود بالدعاء إلى الله تعالى طلبًا للتوفيق والسداد. لا يمكن أن يتساهل في تجنب الإجراءات اللازمة لمعالجة مشاكله والاعتماد فقط على الدعاء. هذا الكسل يتعارض مع تعاليم الإسلام التي تؤكد على التوكل على الله تعالى وبذل الجهد في حدود إمكانياته. التوكل الحقيقي ليس ترك العمل، بل الجمع بين الدعاء الصادق والطاعة العملية والسعي. وهكذا يُظهر المرء صدقه بالعمل بما أنعم الله به عليه من نعم وموارد، والتوجه إليه بالدعاء بالتوفيق. هذا التوازن بين الدعاء والسعي هو النموذج النبوي، ومن خلال هذا التناغم يتحقق التغيير الإيجابي في الأمور الدنيوية والروحية. سورة الأنبياء، الآية 90

"...وادعنا رغباً ورهباً..."

بشكل عام، من المؤسف أن نرى بعض المسلمين يمارسون طقوساً دينية - وخاصةً رياضات روحية يوصي - بها بعض الأفراد، ولكنها غير مذكورة في القرآن الكريم ولا في حديث النبي محمد صلى الله عليه وسلم بهدف رئيسي هو نيل منافع دنيوية، كتأمين زوج أو ولد أو تأشيرة. مع أن طلب الرزق الدنيوي ليس محرماً في الإسلام، إلا أن المشكلة تكمن عندما يكون القصد من أداء العبادات هو الكسب المادي فقط، أو غالباً فالعبادات تُقَرَّب العبد إلى الله تعالى، وتجلب له بركات كطمأنينة القلب، ونقاء الروح، والثواب الأبدي في الآخرة. وعندما تُختزل هذه الأعمال المقدسة إلى مجرد وسائل لتحقيق أغراض دنيوية، فإنها تفقد جوهرها الحقيقي وتُحرم من الغذاء الروحي الذي وُجدت لتوفيره. هؤلاء الأفراد معرضون للخسارة في الدنيا والآخرة في الدنيا، لأن عاقبة الدنيا غير مضمونة، وفي الآخرة، لأنهم لم يُقدموا على الدنيا والآخرة. هذا أمرٌ خطيرٌ خاصةً في الآخرة، فالنية هي أساسُ الأعمال. فإذا لم تُقدَّم الآخرة في النية، فقد لا تُؤتي الأعمالُ الصادقةُ جزاءها الحقيقي. لذا، يجب على المرء أن يُنَقِّي دوافعه باستمرار، وأن يُوجِّه عبادته في المقام الأول نحو (سورة البقرة، الآية ٢٠٠). رضى الله تعالى، وطلب رحمته الأبدية وراحة باله في الدارين.

"ومن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق"

علاوة على ذلك، وكما تشير هذه الآية، فإن الإنسان عندما يدعو في أمور الدنيا، فإنه يفعل ذلك دون علم أو بصيرة كافية لمعرفة ما إذا كانت هذه الأمور نافعة له حقاً. وبسبب هذا القيد، قد يصبح ما يطلبه في الواقع: سورة البقرة، الآية ٢١٦. مصدر ضرر في الدنيا وسبباً لشقاء في الآخرة

"وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ..."

لذا، من الضروري أن يتحلَّى المرء بالتواضع أمام الله تعالى، وأن يُقرَّ بجهله وضيق رؤاه للمستقبل، لا أن سورة البقرة، الآية ٢٠٠. يتصرف كأنه يملك علماً كاملاً بما هو خير له

"ومن الناس من يقول ربنا آتانا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق"

، علاوة على ذلك، فإن النظرة الدنيوية للإسلام مذمومة، إذ ينبغي السعي في أداء العبادات لوجه الله تعالى ونيل طمأنينة القلب في الدنيا والآخرة. هكذا كان خلق النبي محمد صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام رضي الله عنهم. ينبغي للمؤمن أن يرضى بما يقضيه الله تعالى له في الدنيا، متيقناً أنه خير له، وإن لم تظهر حكمته فوراً. وعليه أن يحرص على استخدام هذه النعم بما يرضيه، كما هو مبين في القرآن الكريم وسنة النبي صلى الله عليه وسلم. هذا وحده يؤدي إلى راحة البال الحقيقية والنجاح الحقيقي في الدنيا والآخرة، من خلال تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، ومن خلال حسن توزيع كل شيء وكل شخص في حياته، وهو: سورة البقرة، الآية 201، بذلك أفضل بكثير من السعي وراء مكاسب دنيوية محددة مع جهل عاقبتها. ج 2

"ومنهم من يقول ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار"

من اللافت للنظر أن يقبل الإنسان دواءً يصفه له الطبيب دون طلبه، واثقاً بأنه قد قدّم له ما هو أنفع لصحته النفسية والجسدية، ولكنه لا يُعطي الله تعالى نفس القدر من الثقة. بل قد يطلب منه نتائج محددة، مدّعياً أنه يعلم ما هو خير له، بدلاً من الاستسلام لحكمته وقضائه التام. لذا، يجب على الإنسان أن يُقرّ بجهله وقصر بصيرته، وأن يدعو بالخير العام في الدنيا والآخرة، تاركاً التفاصيل لله تعالى، الذي وحده يعلم ما هو خير لكل فرد.

لهذا السبب، جاء "الخير" المذكور في الآية ٢٠١ بعبارات عامة لا طلبات محددة يشمل "الخير" المشار إليه في هذه الآية كل ما يُستعمل على نحو يرضي الله تعالى، كما هو منصوص عليه في التعاليم الإسلامية، لأن هذا الاستعمال وحده يؤدي إلى راحة البال في الدنيا والآخرة، من خلال تحقيق حالة ذهنية وجسدية متوازنة

ومن خلال حسن توزيع كل شيء وكل شخص في حياتهم .على العكس من ذلك، فإن أي شيء يُساء استخدامه في مساعي باطلة أو آثمة لا يمكن أن يكون خيرًا حقيقيًا للإنسان؛ بل سيقوده إلى حالة ذهنية وجسدية غير متوازنة، ويجعله يُسيء توزيع كل شيء وكل شخص في حياته، ويمنعه من الاستعداد الكافي للحساب يوم القيامة .وهذا بدوره يُسبب التوتر والمشقة والصعوبة في الدنيا والآخرة، حتى وإن بدا عليه النعيم والكماليات:

الفصل ٢٠ من سورة طه، الآيات ١٢٤-١٢٦

ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد

"كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى

:سورة الأنبياء، الآية 90

"...وادعنا رغباً ورهباً ..."

التوازن بين الخوف من العقاب والرجاء في رحمة الله تعالى أمرٌ أساسيٌّ للإنسان .فالخوف أمانٌ يُشجع على اجتناب المعاصي، بينما الرجاء يُلهم على فعل الخيرات .والتطرف في الميل المفرط إلى أحد الطرفين مذموم .فالخوف المفرط يُؤدي إلى اليأس والظنون السلبية بالله تعالى، كأن يعتقد أنه لن يغفر له .أما الرجاء المفرط فيؤدي إلى الرضا بالقدر والتمني .والتمني يحدث عندما يقصر الإنسان في طاعة الله تعالى، بإهمال أوامره، وإصراره على نواهيه، وعدم صبره على القدر كما جاء في حديث النبي صلى الله عليه وسلم، ومع ذلك ينتظر المغفرة والرحمة في الدنيا والآخرة .هذا ليس رجاءً حقيقيًا، بل هو -خداع للنفس .إنه كمزارع لا يزرع ولا يسقي الأرض، ومع ذلك ينتظر حصادًا وافراً .أما الرجاء الحقيقي، فهو أن يجتهد المرء في طاعة الله تعالى، فإذا زلّ، تاب توبةً نصوحًا، ثم رجا رحمته ومغفرته .هذا كالزارع الذي يزرع البذر، ويسقي الزرع، ويرعاه بعناية، ثم يرجو حصادًا مثمرًا .وقد لخص النبي محمد صلى الله عليه وسلم هذه الحقيقة في حديثٍ ورد في جامع الترمذي، رقم 2459

عمومًا، ينبغي للإنسان أن يكون أكثر خوفًا من الله تعالى في حياته، فالخوف يمنع من المعصية، وهو أسمى من الرجاء الموجب لفعل الخيرات. أما في المرض والشدائد، وخاصةً عند اقتراب الموت، فلا ينبغي للإنسان إلا أن يرجو رحمة الله تعالى، ولو قضى عمره في معصية الله. وقد أمر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم صراحةً في حديث صحيح مسلم رقم 2877

وأخيرًا، فإن التواضع أمرٌ بالغ الأهمية، لا سيما مع الثبات على طاعة الله تعالى، لأن الكبر قد يوهم المرء بأنه يُحسن إلى الله تعالى بطاعته. سورة الأنبياء، الآية 90

"إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين "

يمكن للغرور أن يعيق الإنسان بشدة عن طاعة الله تعالى الصادقة، لا سيما عندما تتعارض رغباته الشخصية مع أوامره، فتُضلّه عن الصراط المستقيم وتُسبب له اختلالاً روحياً. في المقابل، من يُدرك أن إيمانه وطاعته في نهاية المطاف يخدمان مصالحه الشخصية، يُنمّيان تواضعاً حقيقياً أمام الله تعالى، ويثبتان على إخلاصهما في أوقات الشدة والرخاء. في أوقات الرخاء، يُعبّرون عن الشكر بطرق متعددة: الشكر بالنية يعني القيام بالأعمال فقط لمرضاة الله تعالى؛ والشكر بالقول يُعبّر عنه بالكلام الإيجابي النافع أو بالصمت؛ والشكر بالعمل يعني الاستفادة من النعم التي أنعم بها عليهم وفقاً للقرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. في أوقات الشدة، يُظهرون الصبر، مُتحمّلين الصعاب دون شكوى في القول أو الفعل، مُتمسكين بثقة راسخة، بأن الله تعالى يُقدّر لهم الخير دائماً، حتى وإن لم تتضح لهم الحكمة من وراء الأحداث فوراً. سورة البقرة: الآية 216

"وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ..."

ومن خلال دمج التواضع والامتنان والصبر في الحياة اليومية، يحقق الإنسان القوة الروحية، وينمي حالة ذهنية وجسدية متناغمة، ويضمن أن تكون علاقاته ومسؤولياته متوافقة بشكل مناسب، مما يعزز في نهاية المطاف النجاح والهدوء في هذا العالم والآخرة، كما هو موضح في حديث موجود في صحيح مسلم، رقم 7500.

في آياتٍ عديدة من القرآن الكريم، قبل أن يروي قصة الولادة المعجزة للنبي عيسى عليه السلام - الذي وُلد بلا أب بيولوجي - يُقدّم الله تعالى أولاً قصة الولادة المعجزة للنبي يحيى عليه السلام، الذي وُلد لأبوين طاعنين في السنّ عاقرين. سورة الأنبياء، الآية 90

"...فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه "

يخدم هذا التسلسل السردى المتعمد غرضًا واضحًا: فهو يؤكد أن الولادات غير العادية أو المعجزة، في حد ذاتها، لا تدل على الألوهية. فكما كانت ولادة النبي الكريم يحيى عليه السلام مظهرًا من مظاهر قدرة الله وحكمته، بدلاً من أن تكون مؤشرًا على المكانة الإلهية، فإن ولادة النبي الكريم عيسى عليه السلام أيضًا تُظهر قدرة الله تعالى على الخلق بأمره وحده، دون أن يعني ذلك أن النبي الكريم عليه السلام كان يمتلك الألوهية. ومن خلال مقارنة هذه الأحداث، يعزز القرآن الكريم المبدأ الإسلامي الأساسي القائل بأن جميع الأنبياء عليهم السلام، بغض النظر عن الظروف المعجزة المحيطة بولادتهم أو حياتهم، هم بشر اختارهم الله تعالى لنقل رسالته، ليكونوا قدوة في الطاعة والهداية والنزاهة الأخلاقية للبشرية. يُساعد هذا السياق على فهم الفرق بين القدرة الإلهية والرسالة النبوية، مُؤكدًا أن المعجزات تدل على سلطان الله تعالى، لا على ألوهية الشخص: الذي تحدث من خلاله. سورة الأنبياء، الآية 91

"والتي أحصنت فرجها فننفخنا فيه من الروح وجعلناها و ابنها آية للعالمين "

قبل مناقشة بعض أساليب حماية العفة، من المهم فهم بعض أسباب تشجيع الإسلام على حماية العفة، من خلال تشجيع الزواج وتحريم العلاقات خارجه .عندما يفتقر الزوجان إلى الإخلاص الحقيقي لبعضهما البعض كما هو متوقع في الزواج، فإن أي صعوبات كبيرة يواجهانها غالبًا ما تُفاقم الضغط النفسي، إذ يفشلان في توفير الدعم والتفاهم المناسبين لبعضهما البعض .إن الانخراط في علاقات عاطفية متعددة على مدار العمر يؤثر حتمًا على الصحة النفسية، وغالبًا ما يؤدي إلى عدم الاستقرار العاطفي والاكتئاب، وفي كثير من الحالات، الحاجة إلى الاستشارة النفسية .علاوة على ذلك، فإن الأفراد الذين لديهم تاريخ من تعدد الشركاء أقل احتمالًا بشكل عام لإيجاد شريك مناسب قادر على الوفاء بحقوقهم، لأن العلاقات العابرة المتكررة تُنمّي شخصية فضفاضة وغير مرغوب فيها، وهو ما يراه من يسعون إلى التزامات جادة مدى الحياة، كالزواج غير جذاب .وهذا بدوره يزيد من الضغط النفسي على الفرد، حيث تتضاءل احتمالية بناء علاقة زوجية مستقرة ومرضية.

غالبًا ما تنطوي العلاقات العابرة على عدم توافق في التوقعات، حيث يرغب أحد الشريكين في التزام طويل الأمد بينما لا يشارك الآخر نفس النوايا .عندما تظهر هذه الاختلافات حتمًا، فإنها غالبًا ما تترك الشريك الأكثر استثمارًا مع صدمة عاطفية طويلة الأمد .على النقيض من ذلك، يتشارك الزوجان منذ البداية فهما واضحًا للالتزامهما المتبادل، ويكرسان أنفسهما بالكامل لبعضهما البعض في جميع الظروف، سواء كانت متوقعة أو غير متوقعة، مثل مسؤوليات تربية الأطفال .تخلق العلاقات قبل الزواج وهما بالألفة الكاملة مع الشريك، مما قد يؤدي إلى خيبة أمل بعد الزواج عندما تظهر حقائق المسؤوليات والضغط المشتركة .حتى العيش معًا قبل الزواج لا يمكن أن يخفف تمامًا من هذه المشكلات، حيث لا يتم الكشف عن الشخصية الحقيقية والنطاق الكامل للمسؤوليات الزوجية إلا من خلال التزام الزواج.

من الضروري ألا يندفع المرء بمظهر العلاقة غير الشرعية، معتقدًا خطأ أنها لا تُسبب أي ضرر للأفراد المعنيين أو للمجتمع .فالبشر محدودو المعرفة، وغالبًا ما يكونون قصيري النظر، ويتأثرون بشدة بالعواطف، مما قد يؤدي إلى افتراض خاطئ بأن هذه العلاقات غير ضارة .قد يُشجع المسلم الذي يدخل في علاقة غير شرعية، مع مرور الوقت، على ارتكاب المزيد من المعاصي مع شريكه، إذ يصعب السيطرة على العواطف والرغبات، لا سيما في المجتمعات التي تُعتبر فيها مثل هذه السلوكيات، بما في ذلك الزنا أمرًا طبيعيًا .قد تُؤدي هذه الأفعال إلى سلسلة من المشاكل الإضافية، بما في ذلك حالات الحمل غير المرغوب

فيه والتقليل من شأن الخطايا الكبرى الأخرى. حتى في حالة عدم حدوث أي خطايا إضافية، فإن التعلق العاطفي القوي قد يمنع اتخاذ القرارات العقلانية، مما قد يدفع المرء إلى الزواج من شريك يبدو مناسباً ولكنه يفتقر إلى الصفات اللازمة للوفاء بمسؤوليات الزوج والأبوة.

غالبًا ما تكشف ضغوط ومسؤوليات الزواج، بما في ذلك الوفاء بحقوق الزوج والأبناء، عن سمات شخصية كانت مخفية سابقًا، مما يؤدي إلى الخلافات والصعوبات. وهذا هو السبب في أن الأفراد الذين كانوا في علاقات قبل الزواج غالبًا ما يرون أن شريكهم قد "تغير" بعد الزواج. قد لا يكون الشريك قد تغير؛ بل إن الظروف والمسؤوليات المتأصلة في الحياة الزوجية تكشف عن سمات وعادات لم تكن واضحة من قبل وبغض النظر عن الوقت الذي قضاه المرء مع شريك قبل الزواج، فمن المستحيل فهم شخصيته تمامًا كما يفعل المرء داخل مؤسسة الزواج. فالشخص الذي قد يكون شريكًا جيدًا لا يمتلك تلقائيًا الصفات المطلوبة ليكون زوجًا أو والدًا جيدًا، حيث تختلف الخصائص اللازمة لهذه الأدوار عن تلك اللازمة للرفقة العابرة.

علاوة على ذلك، غالبًا ما يسمح الأفراد للعواطف، كالحب، بأن تعميهم عن أهمية اختيار شريك صالح، يؤدي وحده حقوق الزوج والأبناء ويجتنبهم الأذى، حتى في أوقات الخلاف. في المقابل، قد يُقصر الشخص الذي يفتقر إلى التقوى في هذه المسؤوليات، لا سيما عند الغضب، إلا أن التعلق العاطفي قد يُخفي هذه المخاطر مما يؤدي إلى زيجات مبنية على المشاعر لا على التوافق. وقد حذر النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم من تغلب العواطف على التمييز في اختيار الزوج، فالحب يُعمي الإنسان ويُصمّه. وقد حذر من ذلك حديثٌ في سنن أبي داود، رقم 5130.

الشخص ذو الشخصية غير التقية الذي يرتبط بعلاقات متعددة سيجذب بطبيعة الحال آخرين ذوي طابع مماثلة، والذين غالبًا ما تكون مصالحهم أنانية. قد يفشل هؤلاء الشركاء في احترام التزاماتهم أو الوفاء بها أو يسيئون لفظيًا إلى شريكهم، أو يستغلون تصرفات سابقة غير حكيمة لإلحاق الأذى العاطفي. هذه الهجمات اللفظية، حتى لو أعقبتها اعتذارات، يمكن أن تترك ندوبًا عاطفية عميقة قد تتجاوز تأثير الإيذاء الجسدي علاوة على ذلك، فإن من يجتذبون شركاء غير التقيين يكونون أكثر عرضة للأذى الجسدي، وقد يهجرهم شركاؤهم عندما تتلاشى الصفات الخارجية التي جذبت الانتباه في البداية، مثل الجمال. يساهم هذا النمط في انتشار العلاقات خارج نطاق الزواج بين غير التقيين، حيث يعامل الشركاء بعضهم البعض كأشياء مؤقتة يمكن استبدالها عندما لا يعودون مرغوبين. قد يلجأ الأطفال في مثل هذه البيئات إلى الإساءة اللفظية تجاه

والديهم، وخاصة الأم، مكررين بذلك الندوب العاطفية التي سببها سلوك غير محتشم سابق. في المقابل، من المرجح أن يجذب الشخص الذي يتحلى بالتواضع والاستقامة أفرادًا فاضلين مماثلين. تتميز هذه العلاقات بالاحترام المتبادل، حيث يكون تأثير الإهانات والخلافات ضئيلاً، لأن جميع الأطراف تدرك خطأها وزيفها. يميل الأطفال في هذه الأسر إلى احترام كلا الوالدين، متأثرين ببيتهم الأخلاقية.

يُشكّل الأطفال غير المُخطط لهم والناجمون عن علاقات غير شرعية ضغطاً إضافياً على الزوجين، مما يؤدي غالباً إلى الانفصال نتيجةً للتردد في تقاسم مسؤوليات تربية الطفل. وهذا غالباً ما يؤدي إلى تفكك الأسرة، ويحرم الأطفال من دعم وإشراف كلا الوالدين، مما يسهم بدوره في مشاكل مجتمعية كالجريمة والتعرض للاستغلال، وعدم الاستقرار الأسري. إن تربية الطفل عمداً مسؤولية مُرهقة أصلاً؛ فتربية طفل مولود دون تخطيط تُفاقم الضغط النفسي والعملية بشكل كبير، مما يؤدي غالباً إلى الرعاية البديلة أو التبني مع عواقب سلبية طويلة المدى على نمو الطفل وتوجيهه الأخلاقي.

إن العواقب الوخيمة للعلاقات غير الشرعية لا تتضح دائماً لمن يهتدي بالعاطفة أو الجهل. تُشبه هذه العلاقات تناول وجبة تبدو شهية، لكنها في الحقيقة مسمومة. ولأن الخطر خفي، يجب على الأفراد أن يتقوا بإرشاد من يعلم تماماً العواقب الخفية - الله تعالى - وأن يلتزموا بنصائحه، حتى لو تعارضت مع رغباتهم الشخصية وهذا يُضاهي المريض الحكيم الذي يتبع وصفة الطبيب، حتى لو تضمنت دواءً مُراً ونظاماً غذائياً مُقيّداً؛ وبذلك يحققون صحة بدنية ونفسية مثالية. وبالمثل، فإن من يقبل التعاليم الإسلامية ويعمل بها سيحظى براحة البال في الدنيا والآخرة، من خلال تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في حياته على النحو الصحيح، لأن الله تعالى وحده هو من يملك المعرفة الشاملة اللازمة لضمان هذه النتيجة. إن النصائح والبحوث المجتمعية، على الرغم من فائدتها، لا يمكنها أن تمنع جميع الضغوط النفسية أو الجسدية الناجمة عن محدودية المعرفة والخبرة والبصيرة. لقد أنزل الله تعالى هذه المعرفة للبشرية من خلال القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. وتتجلى آثار اتباع هذا التوجيه أو إهماله في حياة من يعمل به، وفي حياة من لا يعمل به.

يعالج الله تعالى هذه القضايا الاجتماعية والشخصية الشائكة بتحريم العلاقات غير الشرعية وتشجيع الزواج وهو إطار يُكرّس فيه الزوجان حياتهما لبعضهما البعض ولأطفالهما بإخلاص. وبتناوله قضايا الزواج والطلاق والأرامل والأطفال في القرآن الكريم، يُرسي الله تعالى أساساً واضحاً لاستقرار المجتمع. فعندما

يؤدي أفراد الأسرة حقوق بعضهم البعض ويهيئون بيئات حاضنة للأطفال، يمتد الأثر الإيجابي إلى جميع أنحاء المجتمع. وفي المقابل، يولد اختلال الأسرة وعدم إعمال هذه الحقوق عواقب سلبية تمتد آثارها إلى المجتمعات.

على مر التاريخ، حاول العديد من المفكرين معالجة التحديات المجتمعية؛ إلا أن حلولهم غالبًا ما استهدفت الأعراض السطحية بدلًا من الأسباب الجذرية، مما حدّ من فعاليتها. يعالج الله تعالى، بهداه، القضايا الجوهرية سورة النحل، الآية. التي تؤثر على الفرد والمجتمع، موفرًا إطارًا شاملاً يُمكن من النجاح في الدنيا والآخرة
89:

"ونزلنا عليك الكتاب تبيانًا لكل شيء وهدى ورحمة"

ولكن لا يدرك الحكمة العميقة الكامنة في آياته إلا من استخدم العقل والتفكير اللذين أنعم الله عليهما بإخلاص: سورة البقرة، الآية ٢٤٢. واجتهاد

كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ

:سورة الأنبياء، الآية 91

"...والتي حفظت فرجها "

ينبغي على الناس اتخاذ جميع الاحتياطات اللازمة لتجنب الوقوع في علاقات غير شرعية. أولها غض البصر. وهذا لا يعني التحديق الدائم في الأرض، بل تجنب النظر حولك دون داعٍ، وخاصة في الأماكن العامة وعليهم الامتناع عن التحديق في الآخرين واحترام الجنس الآخر. فكما يكره المرء أن ينظر إلى أخته أو (سورة النور، الآية 30، سورة النور، الآية 24). ابنته، كذلك لا ينبغي له أن ينظر إلى أخوات وبنات غيره.

"...قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم"

ينبغي على المرء، كلما أمكن، أن يتجنب الخلوة بشخص من الجنس الآخر إلا إذا كانت بينهما صلة قرابة تمنع الزواج نهائياً. وقد نصّ النبي محمد صلى الله عليه وسلم على هذا المبدأ بوضوح في حديث ورد في صحيح البخاري، رقم 1862.

علاوة على ذلك، ينبغي على الناس ارتداء ملابس وسلوكيات محتشمة. فالملابس المحتشمة تمنع جذب النظرات غير الضرورية، بينما يمنع السلوك المحتشم اتخاذ الخطوات الأولية التي قد تؤدي إلى علاقات غير مشروعة، مثل التحدث غير الضروري مع الجنس الآخر.

ومن الضمانات الأخرى التفكير في بركات تجنب العلاقات غير الشرعية. فعلى سبيل المثال، ضمن النبي محمد صلى الله عليه وسلم الجنة لمن حفظ لسانه وعفته، كما ورد في حديث في جامع الترمذي، رقم 2408 وفي الوقت نفسه، يُعدّ الخوف من عقوبة العلاقات غير الشرعية رادعاً أيضاً. وقد حدّر النبي محمد صلى الله عليه وسلم من أن الإيمان يزول عن من يزني، كما ورد في سنن أبي داود، رقم 4690.

في الواقع، لا حاجة للإنسان إلى علاقات غير شرعية، فقد شرع الإسلام الزواج وسيلةً مشروعةً ومباركةً، لإشباع الشهوات الفطرية. ولمن لا يستطيع الزواج بعد، نصح النبي صلى الله عليه وسلم بالإكثار من الصيام لما فيه من ضبط الشهوات والأفعال. وهذا التوجيه موجود في حديث صحيح مسلم، رقم 3398

وهكذا يوفر الإسلام التدابير الوقائية والبدائل المشروعة، مما يضمن للإنسان أن يحافظ على عفته، ويحمي إيمانه، وينال رضا الله تعالى.

سورة الأنبياء، الآية 91

"والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من الروح وجعلناها وابتها آية للعالمين "

عمومًا، يُمكن إرجاع انتشار المعتقدات الخاطئة حول النبي عيسى عليه السلام إلى ثلاثة عوامل رئيسية ولادته المعجزة، ومعجزاته الخارقة، ومعرجه إلى السماء وهو حيّ. وقد أكّد القرآن الكريم على معجزة سورة آل. ولادته، مُصَوِّرًا قدومه إلى الدنيا بلا أب كدليلٍ جليّ على قدرة الله تعالى وسلطانه اللامحدود: عمران، الآية 47

قالت مريم رضي الله عنها :يا رب أنى يكون لي ولد ولم يمسنني بشر؟ قال :كذلك الله يخلق ما يشاء، وإذا قضى أمرًا فإنما يقول له كن فيكون.

خلق الله تعالى النبي عيسى عليه السلام من غير أب، كما خلق آدم عليه السلام من غير أب ولا أم. وهذا دليل واضح على قدرته المطلقة وحكمته اللامتناهية، ولا يدل بأي حال من الأحوال على ألوهية أي منهما: سورة آل عمران، الآية 59

"إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون"

من اللافت للنظر أن بعض المسيحيين يزعمون أن النبي عيسى عليه السلام ابن الله تعالى لمجرد ولادته من ، غير أب، لكنهم لا يطبقون نفس المنطق على النبي آدم عليه السلام الذي خُلِقَ من غير أب ولا أم. وبمنطقتهم يُقدم النبي آدم عليه السلام أساساً أقوى لمثل هذا الادعاء، إلا أنهم لا يقدمون أي تأكيد من هذا القبيل. هذا التناقض يُبرز الانتقائية في تطبيق المنطق والحس السليم في موضع وتجاهلها تمامًا في موضع آخر. يؤكد القرآن الكريم معجزات النبي عيسى عليه السلام، ولكنه يؤكد بوضوح أن هذه الأفعال الخارقة للعادة تمت بمشيئة الله تعالى وإذنه وأمره، فلا مجال لنسب الألوهية إليه. سورة الأنبياء، الآية 26

"وقالوا اتخذ الرحمن ولدًا، تعالى، بل هم عباد مكرمون "

لو كان النبي عيسى عليه السلام إلهًا حقًا، لما احتاج إلى إذن الله تعالى ليُجري هذه المعجزات. بل إن أفعاله الخارقة للعادة تُعدّ دلائل واضحة على قدرة الله تعالى وجلاله المطلقين، وتُظهر عظمته لا دلالة على ألوهية: سورة آل عمران، الآية 49. النبي صلى الله عليه وسلم

واجعل عيسى عليه السلام رسولاً إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تاكلون وما...تدخرون في بيوتكم

علاوة على ذلك، يُقرّ المسيحيون بأن أنبياء آخرين، عليهم السلام، قد صنعوا أيضاً معجزات - مثل العصا، وشق البحر الذي وُهب للنبي موسى، عليه السلام. ومع ذلك، ورغم اعترافهم بهذه الآيات الخارقة للعادة: فإنهم لا ينسبون الألوهية إلى هؤلاء الأنبياء، عليهم السلام، بناءً على معجزاتهم. وهذا يُظهر تناقضاً واضحاً فاعتبار المعجزات دليلاً على الألوهية في حالة نبي واحد، عليه السلام، بينما يُنكر نفس المكانة على الآخرين الذين أيدتهم الآيات المعجزة على قدم المساواة أمر غير منطقي. بل إن المعجزات بمثابة شهادة على صدق النبوة والقدرة العليا لله تعالى الذي وهبها، وليست دليلاً على الألوهية الكامنة في الأنبياء، عليهم السلام أنفسهم.

وبالمثل، فإن صعود النبي الكريم عيسى عليه السلام إلى السماء وهو حيّ يُجسّد سلطان الله تعالى وقدرته المطلقة. فبأمر الله تعالى وتدبيره، رُفِعَ وانطلق في هذه الرحلة العجيبة، مُظهرًا سلطانه على الحياة والموت والخلق أجمعين. ولو كان النبي الكريم عيسى عليه السلام ذا ألوهية خاصة، لما احتاج إلى إرادة الله تعالى أو معونته في الصعود. وإن كون صعوده قد تمّ بقدرة الله تعالى وحدها، يؤكد أنه كان عبدًا ورسولاً لله تعالى: سورة آل عمران، الآية 55. لا معبودًا بذاته

"...إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا"

يوضح القرآن الكريم للمسيحيين أن النبي عيسى عليه السلام، خلأً لاعتقادهم، لم يُصلب. بل إن من ظهر على الصليب كان شبيهًا به، وكان الله تعالى قد رفعه إلى السماء، مانعًا إياه من مكائد أعدائه. يؤكد هذا الحديث حقيقتين أساسيتين: الأولى: أن صلب النبي عيسى عليه السلام لم يقع كما زعم زورًا؛ والثانية: أن صعوده دليل واضح على قدرة الله تعالى، وحفظ رسوله المختار عليه السلام. وبهذا يُصحح القرآن الكريم المفهوم

سورة النساء، الآيتان. الخاطيء حول الصلب، ويؤكد شرف وحفظ ومكانة أحد الأنبياء الكرام عليه السلام
157-158.

وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه
لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً ولكن رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً

،إن الاعتقاد المسيحي الخاطيء بأن النبي عيسى عليه السلام قد صُلب - أي قُتل - هو اعتقاد متناقض بطبيعته
لأن الكائن الإلهي الحقيقي لا يمكن أن يختبر الموت. والقدرة على الموت تنفي الألوهية بطبيعتها، لأن الألوهية
تستلزم وجوداً أبدياً يتجاوز حدود الفناء. وبالتالي، فإن ادعاءهم بألوهيته بتأكيدهم على أنه صُلب يناقض
نفسه، لأن قبول الموت يقوض جوهرياً جوهر معنى الألوهية. فالألوهية، في جوهرها، تتطلب استقلالاً مطلقاً
واكتفاءً ذاتياً. الكائن الإلهي مكتفٍ بذاته تماماً، لا يعتمد على شيء ولا على أحد. أي كيان يعتمد على غيره
في الرزق أو البقاء لا يمكن أن يمتلك الألوهية الحقيقية. لقد اعتمد كل من النبي عيسى عليه السلام وأمه
المباركة مريم رضي الله عنها اعتماداً كاملاً على الله تعالى في غذائهما وحمايتهما ووجودهما. هذا التبعية
،سورة المائدة. دليل قاطع على أنهم لم يكونوا من أهل التوحيد، بل كانوا عباداً لله تعالى مُكرّمين مُخلصين
:الآية 75

ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صدوقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم
الآيات ثم انظر أنى يُضلون

علاوة على ذلك، من الخطأ الادعاء بأن الملائكة، لعدم احتياجهم للطعام، يمكن اعتبارهم من أهل الآلهة. في
الواقع، هم أيضاً مُعالجون بالكامل من الله تعالى، وإن كان ذلك على نحوٍ مختلف عن البشر. إنهم ليسوا
مكتفين ذاتياً، فوجودهم وأفعالهم تعتمد كلياً على خالقهم. إن كونهم خُلقوا وسيواجهون في نهاية المطاف نهاية
وجودهم الدنيوي كافٍ وحده لدحض أي فكرة عن الألوهية

وبالمثل، ينهار ادعاء الألوهية المنسوب إلى النبي عيسى عليه السلام عند التدقيق. فبينما يشترك الطفل البيولوجي مع والده في بعض الصفات، فإن النبي عيسى عليه السلام لا يشترك مع الله تعالى في أي صفات جميع صفاته بشرية: خُلِقَ، واحتاج إلى الطعام والشراب، وعاش حياةً فانية، وسيُبعث كسائر البشر. هذه الصفات وحدها تُنفي بشكل قاطع أي ادعاء للألوهية.

علاوة على ذلك، فإن الأسباب التي تدفع البشر إلى الرغبة في الإنجاب - كالنفقة في الكبر أو الميراث أو الصحبة - لا تنطبق على الله تعالى. فهو حيٌّ، غنيٌّ عن كل خلقه. إن نسب الولد إليه يفرض قيوداً بشرية على سورة الإسراء. من هو غنيٌّ عن الحاجة تماماً، مُنزهٌ عن كل اعتماد، مما يُناقض كماله المطلق وتعالى: الآية ١١١

"...الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الدن"

كان الرومان، الذين اعتنقوا المسيحية لاحقاً، مسؤولين عن إدخال مفهوم ألوهية النبي عيسى عليه السلام في دينهم. لم يكن هذا المفهوم جزءاً من رسالته الأصلية، بل تأثر ببقايا تقاليدهم الوثنية السابقة. وبذلك، رفعوا مكانة نبيٍّ كريمٍ مبارك، عليه السلام، ووضعوه في مصاف الأساطير والخرافات مثل زيوس وهرقل وأودين ومع ذلك، لا يتطلب الأمر سوى قدرٍ ضئيل من الحس السليم لإدراك أن الكائن المخلوق، المعتمد على غيره في الرزق، والمعرض للموت، لا يمكن أن يكون إلهياً أبداً - فهذه الصفات تتعارض جوهرياً مع جوهر الألوهية.

على الرغم من الأدلة الدامغة على أن النبي عيسى عليه السلام كان نبياً ورسولاً لله تعالى، إلا أن كثيراً من المسيحيين لا يزالون متمسكين بهذه المعتقدات الخاطئة. ومن أهم أسباب هذا التمسك التقليد الأعمى لأسلافهم فهذا التقليد يثني الأفراد عن البحث في المعرفة والدليل بوضوح، ويمنعهم من التشكيك في المعتقدات والتقاليد التي نشأوا عليها. وهذا السلوك يتناقض مع تعاليم الإسلام ومبادئ العقل، فالبشر خُلِقوا بعقل ومسؤولية، لا

مجرد قطيع نسير عليه دون تفكير. لذا، يجب على المرء أن يتجنب التقليد الأعمى، لأن هذا التقليد سبب رئيسي للضلال. بل يجب على الناس استخدام العقل والمنطق اللذين وهبهم الله إياهما، وتقييم المعرفة والدليل بدقة في كل أمر - سواء كان دنيويًا أو دينيًا - واتخاذ قرارات مستنيرة. حتى في الإسلام، يُنهي بشدة عن التقليد الأعمى، لأن الله تعالى يريد من عباده أن يدرسوا تعاليمه ويفهموها ويعملوا بها بفهم واقتناع صادقين. سورة يوسف، الآية ١٠٨. لا بالتمسك الجاهل بأفعال أو آراء الآخرين

"...قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني"

من العوامل الرئيسية التي ساهمت في استمرار بعض المعتقدات المسيحية المتعلقة بالنبي عيسى عليه السلام، رغم الدلائل الواضحة على دوره الحقيقي كنبي ورسول من الله تعالى، الرغبة في إشباع الميول الدنيوية، وتروج بعض العقائد المسيحية لفكرة أن الخلاص - في الدنيا والآخرة - يُمنح تلقائيًا لكل من يؤمن بالمسيحية بغض النظر عن أفعاله أو سلوكه الأخلاقي. وتُقدم هذه التعاليم ذريعة مناسبة للانغماس في ملذات الدنيا دون قيود، مع افتراض أن الخلاص النهائي مضمون. ونتيجة لذلك، يتمسك كثير من أتباع هذه المعتقدات، ليس سعيًا صادقًا وراء الحقيقة أو تأملًا صادقًا في طبيعة النبوة، بل لأن هذه العقائد تُمكنهم من تقديم رغباتهم الشخصية ومصالحهم الذاتية على طاعة شريعة أخلاقية عليا، شرعها الله. هذا الميل نحو الراحة وإشباع الذات يُعزز نوعًا من الرضا الروحي، حيث يتمسك الأفراد بأنظمة عقائدية تُبرر أسلوب حياتهم بدلًا من أن تُجبرهم على طلب الهداية الحقيقية والتوافق مع أوامر الله تعالى. سورة الأنبياء، الآيات 26-28

بل هم عباد مكرمون، لا يسبقونه قولًا، وهم بأمره عاملون، يعلم ما بين أيديهم وما بعدهم، ولا ، تعالى يشفعون إلا لمن يرضى، وهم من خشيته مشفقون

بعد أن ذكر الله تعالى أمثلة كثيرة من عباده الصالحين الذين أطاعوه حق طاعته، مستخدمين ما أنعم الله عليهم به من النعم، كما وردت في التعاليم الإلهية، يحث الله تعالى الناس على التكاتف في وطنهم ومنهج حياتهم

وذلك بتحقيق التوازن النفسي والبدني، وحسن توزيع كل، لينعموا هم أيضاً براحة البال في الدنيا والآخرة شيء وكل شخص في حياتهم). سورة الأنبياء، الآية 92)

هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون إن

تُقرّ تعاليم الإسلام بأنّ الكائن الوحيد الذي يجب على البشرية طاعته طاعةً مطلقةً هو خالقها ورافعها، الله تعالى. في جوهر الأمر، فإنّ من يُطيعه الإنسان ويجعله قدوةً لوجوده هو، في جوهره، مُراد عبادته، حتى وإن رفض صراحةً أيّ إيمانٍ بوجود إله. ويرجع ذلك إلى أنّ الطاعة مظهرٌ من مظاهر العبودية، وعندما تُوجّه هذه العبودية لغير الله تعالى، فإنّها تُمثّل شكلاً من أشكال التفاني في غير محله. تنطوي الطبيعة البشرية على ميلٍ فطريٍّ إلى التبعية والخضوع لشيءٍ ما. بالنسبة لبعض الأفراد، يُوجّه هذا الخضوع نحو الآخرين؛ وبالنسبة لآخرين، يُوجّه نحو وسائل التواصل الاجتماعي، أو اتجاهات الموضة، أو الأعراف الثقافية، أو حتى الدوافع الشخصية. ومع ذلك، فإنّ جميع هذه المواضع مؤقتة ومحدودة، لا تُقَدِّم رضاً دائماً أو توجيهاً نهائياً. على النقيض من ذلك، فإنّ التمسك بالله تعالى يتوافق مع الغاية الأساسية من الخلق، فيحرّر الإنسان من عبودية المخلوقات ويُرسّخ إخلاصه للخالق وحده). سورة الفرقان، الآية 43)

"...أرأيت من اتخذ إلهه هواه"

إن الكيان الذي يختاره الفرد، سواءً كان شخصاً أو شيئاً، لطاعته واتباعه هو أساساً موضوع إخلاصه وبالتالي، فإن المسلمين ملزمون بضمان أن يكون إقرارهم بالإيمان شفهيّاً موثقاً بالأعمال المتواترة، وتحديدًا بطاعة الله تعالى بإخلاص، قبل كل شيء وفي كل حال. وتقتضي الطاعة الحقيقية توظيف النعم الممنوحة لهم. بما يرضي الله تعالى، كما ورد تفصيله في القرآن الكريم وأحاديث النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم فعندما ينظم المرء حياته بهذه الطريقة، يحقق التوازن في صحته العقلية والجسدية، ويعطي كل شيء وكل شخص الأولوية المناسبة. وفي الوقت نفسه، يُهيئ نفسه جيداً للحساب يوم القيامة. وهذا السلوك لا يحقق غاية

الإيمان فحسب، بل يُتوج أيضاً بالسكينة الحقيقية في الدنيا والسعادة الدائمة في الآخرة .سورة النحل، الآية 97:

"من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون"

، على العكس من ذلك، فإن من ينكر وحدانية الله تعالى، ويوجه طاعته وإخلاصه نحو كيانات أو أشياء أخرى سيُسيء استخدام النعم التي نالها .ويؤدي هذا التوجيه الخاطئ بطبيعة الحال إلى اختلال التوازن، مما يؤثر على صحته العقلية والجسدية .سيُسيء ترتيب أولوياته، مُعطياً أهمية مفرطة لشؤون الدنيا مُغفلاً ما يستحق تركيزه حقاً .ونتيجة لذلك، لن يكون مُستعداً جيداً لحسابه يوم القيامة .يؤدي هذا الإهمال إلى التوتر والمشقة ،والصعوبة في الدنيا والآخرة، حتى لو حظي براحة دنيوية مؤقتة .إن غياب الرحمة الإلهية والهداية الصحيحة والملذات الدنيوية لا تحمي الإنسان من اضطرابه الداخلي في هذه الحياة، ولا من الحساب الشديد الذي ينتظره في الآخرة .سورة طه، الآيات ١٢٤-١٢٦

ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد "كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى

:وسورة الأنبياء الآية 92

"وأنا ربكم فاعبدون "

بما أن الله تعالى هو الخالق الوحيد للحياة والموت وخالق كل الخليقة، فهو وحده المستحق للطاعة بحق .حتى في شؤون الدنيا، عندما يقدم شخص لآخر بعض الرزق المحدود - مثل المأوى أو المساعدة - يُعتبر ذلك الشخص مستحقاً للشكر .فكم بالحري الامتنان لله تعالى، الذي أنعم على البشرية بكل نعمة يمكن تصورهما في الكون؟ من الصواب والمناسب أن يعبر الناس عن امتنانهم له .يتخذ الامتنان ثلاثة أشكال أساسية .الامتنان بالنية يعني أن أفعال الفرد تتم فقط لإرضاء الله تعالى .من يعمل أعمالاً بدوافع بديلة لن ينال ثواباً منه، كما حذر من ذلك حديث رواه الترمذي برقم 3154 .ومن الدلالة الواضحة على صدق النية أن الشخص لا يتوقع التقدير أو الجزاء من الآخرين .والامتنان باللسان يتجلى في النطق بالكلمات الطيبة والامتناع عن الكلام الضار أو الباطل .يتجلى شكر الأعمال باستغلال نعم الله تعالى على الوجه الذي يرضيه، كما بينه القرآن الكريم وسنة النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم .فإن توافر الشكر في هذه الأبعاد الثلاثة - النية والقول والعمل - كان سبباً لزيادة النعم، كما وعد الله تعالى، ويؤدي إلى راحة البال واستقرار القلب والتوفيق في الدنيا والآخرة، من خلال تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، ومن خلال حسن توزيع كل شيء وكل شخص في حياته .سورة إبراهيم، الآية 7

لئن شكرتم لأزيدنكم

من البديهي والمتعارف عليه أن من يملك شيئاً ما له أن يتصرف فيه كيفما يشاء .كذلك، ولأن الله تعالى هو الخالق والمالك والرازق لكل شيء في الكون - بما في ذلك البشر جميعاً - فهو وحده من يملك حق تحديد ما ينبغي أن يكون فيه وما لا ينبغي .لذا، فمن العدل والمنطق أن يُطاع الله تعالى، فهو وحده المالك المطلق للخلق أجمعين، بمن فيهم أنفسهم

وبالمثل، عندما يُقرض شخص ماله لآخر، فمن الإنصاف أن يستخدمه المستفيد وفقاً لمواصفات مالكة الشرعي .في الواقع، كل نعمة أنعم الله بها على الناس في هذه الدنيا ليست هبةً دائمة، بل هي قرضٌ مؤقتٌ عليه .وكما هو الحال في ديون الدنيا، لا بدّ من سداد هذه الأمانة في نهاية المطاف .والوسيلة الوحيدة لسدادها هي استخدام هذه النعم بما يرضي الله تعالى، كما هو مفصل في القرآن الكريم وأحاديث النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم .على النقيض تماماً، فإن بركات الجنة ليست قروضاً، بل هي عطايا أبدية .بمجرد

منحها، تصبح للمؤمن دون قيد، ويتمتع بها كما يشاء. هذا الفرق يُذكر الناس بأن بركات الدنيا أمانةٌ يجب: سورة الأعراف، الآية 43. إدارتها بمسؤولية، بينما بركات الآخرة الأبدية هي جزاءٌ من كرم الله تعالى

"وقيل لهم: تلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون ..."

لذا، يجب على الأفراد تجنب الخلط بين نعيم الدنيا الزائل - الذي هو مجرد قرض واختبار - وعطايا الجنة الباقية. فالملاذات الدنيوية زائلة ومؤتمنة على أجلٍ محدود، بينما مكافآت الآخرة أبدية لا تزول. إن إدراك هذا الفرق يحمي الإنسان من التعلق المفرط بالملاذات الدنيوية، ويوجه القلب نحو السعي الحثيث نحو النعم الباقية الموعودة في الجنة، وذلك بالاستخدام الصحيح للنعم التي مُنحت له في الدنيا، كما هو موضح في التعاليم الإسلامية.

:سورة الأنبياء، الآية 92

"وأنا ربكم فاعبدون "

من الضروري إدراك أن عبادة الله تعالى تتجاوز مجرد الطقوس الدينية، كأداء الصلوات المفروضة. فالعبادة الحقيقية تشمل طاعة الله تعالى في كل أحواله وفي كل نعمة أنعم بها، كما هو مبين في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. والطاعة ليست مجرد إيمان باطني أو شعور روحي؛ بل هي حقيقة ملموسة يجب أن تتجلى في أعمال صالحة تؤدي لمرضاة الله تعالى فقط. أما من يعمل بدوافع خفية - طلباً للشهرة أو الكسب الدنيوي أو القبول الاجتماعي - فلن ينال ثواب الله تعالى، وهو ما أكدته حديث في جامع الترمذي، رقم

علاوة على ذلك، فإن طاعة الله تعالى تقتضي الانخراط في القرآن الكريم على نحو شامل ومتعدد الجوانب. المرحلة الأولى هي تلاوة آياته بدقة واتباع وتقوى، مع الحفاظ على كلماته المقدسة كما نزلت. والمرحلة الثانية هي السعي لفهم معانيه من خلال التفسيرات الموثوقة وإرشاد العلماء ذوي المعرفة. والمرحلة الثالثة وهي الأهم - هي التطبيق الحقيقي لتعاليمه في جميع مناحي الحياة، ابتغاء مرضاة الله تعالى. فالمؤمن الحقيقي، يخضع رغباته وميوله لأوامر القرآن الكريم، ويبني شخصيته على مبادئه. هذا يُمثل أسمى صور الإخلاص وقد تجسد ذلك جلياً في النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، الذي وُصفت شخصيته النبيلة بأنها "القرآن الكريم نفسه" في العمل، كما ورد في حديث موجود في سنن أبي داود، رقم 1342. ولتكريم القرآن الكريم حقاً، يجب على المرء أن يقترب منه بإخلاص تام - تلاوته بإخلاص، ودراسته بتواضع، والعمل بهديه دون استثناء. إن الطاعة الجزئية أو الانتقائية - حيث يتبع المرء فقط التعاليم التي تتوافق مع المصلحة الشخصية مع تجاهل الباقي - تُظهر علاقة ناقصة مع كتاب الله تعالى. مثل هذا النهج يحرم الفرد من جميع الفوائد الروحية والأخلاقية والدينية الواردة في القرآن الكريم، والتي هي محفوظة لأولئك الذين يعتقدون هدايته: سورة الإسراء، الآية 82. بالكامل

وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً

من الضروري إدراك أن القرآن الكريم، وإن كان يُقدّم الهداية والسلوان في أوقات الشدة الدنيوية، إلا أن غايته تتجاوز بكثير حل الصعوبات العابرة. فليس المقصود به أن يُعامل كمجرد علاج يُلجأ إليه في أوقات الشدة ويُهمل بعد بلوغ الفرج. بل هو دليلٌ كاملٌ وأبديٌّ للحياة، يقود أتباعه إلى الصلاح والفلاح في الآخرة، وفي نهاية المطاف، راحة البال في الدنيا والآخرة، من خلال تحقيق حالة ذهنية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في مكانه الصحيح في حياتهم. إن حصر استخدامه في مواجهة التحديات المادية أو العاطفية هو سوء فهم وتقليص لغايته الإلهية. هذا النهج يُشبه امتلاك سيارة جميلة الصنع خالية من المحرك - مبهرة المظهر، لكنها عاجزة تماماً عن تحقيق غرضها المقصود. وبالمثل، فإن تلاوة القرآن الكريم دون السعي للعيش وفقاً لتعاليمه تعكس التزاماً سطحياً يفتقر إلى الإخلاص والفهم الحقيقي. لا يمكن للمؤمن أن ينال البركات الروحية والأخلاقية والدينية العميقة التي أنزل القرآن الكريم من أجلها إلا من خلال التأمل المستمر، والالتزام الصادق، والتطبيق العملي.

سورة الأنبياء، الآية 92

هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون إن

لأن الإسلام، دين جميع الأنبياء عليهم السلام، هو منهج سلوكي شامل، يشمل كل ما يواجهه الإنسان، دينياً كان أم دنيوياً. لذلك، يجب على المرء أن يتجنب الاعتقاد الخاطئ بأن الله تعالى مختصّ فقط بالواجبات الدينية، كأداء الصلوات المفروضة. الله تعالى سيحاسب الإنسان على كل ظرف يمر به، دينياً كان أم دنيوياً، لذا، من الضروري طلب العلم والعمل بتعاليم الإسلام لضمان الاستجابة الصحيحة في جميع المواقف. وبذلك يصل الإنسان إلى حالة نفسية وجسدية متناغمة، وينظم جميع جوانب حياته وعلاقاته بشكل صحيح، ويستعد جيداً للحساب يوم القيامة. هذا النهج يعزز السكينة في الدنيا والآخرة. كما يجب على المرء الامتناع عن اعتبار الإسلام لباساً يُلبس أو يُخلع حسب الرغبة الشخصية. فمن يتبنى هذا النهج، في الواقع، يعبد أهوائه. (سورة الفرقان، الآية 43). بغض النظر عن أي ادعاءات مخالفة

"...أرأيت من اتخذ إلهه هواه"

ولكن كما تشير الآية التالية، فإن من يتخلف عن العمل بتعاليم الإسلام في كل ظرف، سيُسيئون استخدام النعم الممنوحة لهم لا محالة. سورة الأنبياء، الآية 93

"...وَتَقْسَمُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ"

في هذا العالم، يعيق هذا الموقف تحقيق حالة ذهنية وجسدية متوازنة، ويدفع الأفراد إلى اختلال التوازن في كل شيء وكل شخص في حياتهم. ونتيجة لذلك، حتى النعم كالعائلة والأصدقاء والوظيفة والثروة - التي يُقصد بها أن تكون مصادر للدعم والراحة - تصبح مصادر للتوتر والقلق والإحباط. بإصرارهم على معصية الله تعالى، غالبًا ما يُرجع هؤلاء الأفراد صعوباتهم إلى أسباب خاطئة، ويُلقون باللوم على الآخرين - مثل الزوج أو الأصدقاء أو الزملاء - في مشاكلهم. وبذلك، قد يقطعون علاقاتهم بمن يدعمونهم ويحسنون إليهم حقًا، مما يزيد من عزلتهم ويفاقم ضائقتهم النفسية والعاطفية. ومع مرور الوقت، يمكن أن يتفاقم هذا الإهمال وسوء إدارة نعم الحياة إلى تحديات صحية نفسية خطيرة، بما في ذلك الاكتئاب والإدمان وحتى الميول الانتحارية. يتجلى هذا النمط عند ملاحظة من يُسيئون استخدام النعم الممنوحة لهم - سواء كانوا أغنياء أو مشهورين أو ذوي امتيازات أخرى - والذين، رغم تمتعهم بالرفاهية الدنيوية، يظلون غير راضين أو قلقين أو تعساء. إن عجزهم عن تنمية الامتنان والصبر واليقظة يمنعهم من تحقيق السلام الداخلي الحقيقي. علاوة على ذلك، فإن تقصيرهم في الاستعداد للمحاسبة أمام الله تعالى، ستكون عواقبهم في الآخرة أشد وطأة. سورة الأنبياء، الآية 93:

"وكلنا سيرجعون ..."

إن إهمال الواجبات الروحية والمسؤوليات الأخلاقية سعيًا وراء شهوات دنيوية زائلة لا يزعزع استقرار الحياة الراهنة فحسب، بل يُقوّض أيضًا رفاه الإنسان الأبدي، ويُفاقم معاناته بطرق تتجاوز هذه الحياة الدنيا والدروس المستفادة من هذه الملاحظات واضحة: إن إساءة استغلال النعم وإهمال طاعة الله تعالى يُزعزعان الانسجام الدنيوي ووعده الثواب في الآخرة.

سورة الأنبياء، الآية 93

"...وَتَقَسَّمُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ"

نشأت هذه المشكلة نفسها عندما أهمل الناس طلب العلم والعمل بالتعاليم الإسلامية بأنفسهم، ووضعوا بدلاً من ذلك ثقة عمياء في المعلمين الروحيين الذين وضعوا أنفسهم وسطاء بين الناس والله تعالى. وكثيراً ما سعت هذه السلطات الروحية المزعومة إلى تحقيق طموحات دنيوية - كالقيادة والنفوذ والثروة - تحت ستار الإرشاد الديني. وللأسف، تبنى بعض المسلمين نموذجاً هرمياً مماثلاً، مكرسين وقتاً وجهداً وموارد هائلة لسعي الأفراد الذين يُعتبرون متدينين بشكل استثنائي أو مرتفعين روحياً. ويفترضون أن هؤلاء الأشخاص يتمتعون، بقرب فريد من الله تعالى - أشبه بالحكام الذين يتمتعون بمكانة خاصة لدى الملك. في هذا النظام المعيب يصبح الهدف كسب ود هؤلاء القادة الروحيين من خلال الهدايا السخية، أو أعمال التفاني الاستثنائي، أو التبجيل المبالغ فيه، على أمل أن يتوسط هؤلاء الأفراد نيابة عنهم أمام الله تعالى. وبذلك، فإنهم يحولون هذه الشخصيات البشرية إلى حُرَاسٍ بين أنفسهم وبين خالقهم، وهي ممارسة تتعارض مع جوهر التعاليم الإسلامية. لم يدع الأنبياء عليهم السلام هذه المكانة قط، ولم يسعوا إليها. لم تكن مهمتهم قط أن يجعلوا أنفسهم وسطاء للمكاسب الدنيوية، ولا أن يطلبوا عطايا أو أموالاً أو غير ذلك من أشكال الجزية الشخصية مقابل الهداية. بل كان هدفهم إنارة الطريق المؤدي إلى راحة البال الحقيقية في الدنيا والآخرة. لقد هداوا البشرية إلى حالة نفسية وجسدية متوازنة، وإلى وضع كل شيء وكل شخص في حياتهم على الوجه الصحيح، ساعيين دائماً إلى رضوان الله تعالى.

يُشجّع المسلمون على طلب العلم من أساتذة أكفاء، واحترام جهودهم وتوجيهاتهم. ولكن، لا ينبغي لهم أبداً أن يعتقدوا أن صلتهم بالله تعالى مشروطة بموافقة أو شفاعة أو تعظيم من أحد. فالقرب الحقيقي من الله يأتي من خلال الإخلاص المباشر، والطاعة الصادقة، وتطبيق هديه، لا من خلال الخضوع لأشخاص غير معصومين من الخطأ.

الله تعالى وحده هو صاحب العلم والسلطان والقدرة على الكون أجمع. لا يحتاج إلى وسطاء أو حُرَاسٍ بينه وبين خلقه. وقد أكد القرآن الكريم مراراً وتكراراً على هذه الحقيقة الجوهرية، مؤكداً أن لكل مؤمن سبيلاً مباشراً إلى ربه، دون حاجة إلى وساطة بشرية في أمور الهداية أو الرحمة أو القضاء. بإدراك هذا المبدأ والعمل به، يصون المسلمون أنفسهم من الضلال، ويحافظون على سلامة عبادتهم، ويضمنون بقاء إخلاصهم: نَقِيًّا نَقِيًّا من شوائب الدنيا. على سبيل المثال، سورة البقرة، الآية ١٨٦

"...وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان"

:سورة غافر الآية 60

"وقال ربكم ادعوني أستجب لكم"

:سورة البقرة، الآية 255

"...من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه..."

مع أن الشفاعة واقعٌ واقعيٌّ يقع يوم القيامة، ويخضع تمامًا لأمر الله تعالى ومشيئته، إلا أنه من الضروري عدم الاستهزاء بأهميتها. فالاستهزاء بهذا المفهوم قد يُحرم المؤمن من هذه الرحمة العميقة. وغالبًا ما ينبع هذا الميل من شعورٍ خاطئٍ بالأمان، حيث يفشل الفرد في الاستفادة من نعم الله تعالى التي أنعم بها عليه وفقًا - لأوامره، ويفترض أن الآخرين - سواءً كانوا من أفراد الأسرة أو القادة الروحيين أو الشخصيات المرموقة سيضمنون له الخلاص نيابةً عنه. وهذا افتراضٌ خاطئٌ وخطير. فالشفاعة تُمنح بمشيئة الله تعالى فقط، ولا تُعوّض عن الإهمال المتعمد أو المعصية في أداء الواجبات. وفي الواقع، فإن من يسخر من الشفاعة أو يُقلّل من شأنها بهذه الطريقة يُعرّض نفسه لعواقب وخيمة. قد يشهد النبي محمد صلى الله عليه وسلم على هؤلاء

يوم القيامة، مبيّنًا العواقب الوخيمة للإصرار على إساءة استخدام رحمت الله وبركاته. سورة الفرقان، الآية 30:

"وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا "

هذه الآية موجهة للمسلمين تحديداً، فهم وحدهم من أقرّوا بهدي القرآن الكريم وقبلوه. أما غير المسلمين، فلا يُعتبرون متخلين عنه لعدم اعتناقهم تعاليمه. ولذلك، فإن العواقب وخيمة على كل مسلم يشهد عليه النبي محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة

من المهم أن نفهم أنه حتى في حالات قبول الشفاعة، فإنها لا تضمن النجاة من النار تلقائياً. بل قد تُخفف من وطأة العذاب في أحسن الأحوال. ومع ذلك، يجب التأكيد على أن تجربة جهنم، حتى لو كانت عابرة، تُعدّ عذاباً عميقاً لا يُصدق. لذا، لا ينبغي أبداً أن يقترن الرجاء بالإهمال أو التهاون. فالرجاء الحقيقي لا يكون إلا إذا اقترن بجهد صادق، مُوظفاً فاعلاً لنعم الله تعالى، بما يتوافق مع هدي القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

بهذا السعي الصادق فقط، يُمكن للمرء أن يطمح إلى الشفاعة بحق، مُدرّكاً تماماً أنها رحمة من الله تعالى، وليست استحقاقاً مضموناً. وهكذا، يكون رجاء الشفاعة ذا معنى، ويرتكز على المسؤولية والمحاسبة المطلوبة: من كل إنسان. سورة الأنبياء، الآية 93

"وكلنا سيرجعون ..."

"...وَتَقْسَمُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ"

كلما أعطى الناس الأولوية للسعي وراء الرغبات الدنيوية - مثل اكتساب الثروة أو المكانة أو القيادة - فإنهم غالبًا ما ينحرفون عن عمد عن التعاليم الإلهية لله تعالى ويتحدونها بل ويتجاهلونها. هذا السلوك يعزز الفرقة ويمنع المجتمع الأوسع من اتباع التوجيه الصحيح، حيث قد يسيء كل فرد حسود أو طموح تفسير التعاليم الإلهية عمدًا لإنشاء فصيلة الخاص. هدفهم هو تعزيز السلطة والوصول إلى القيادة الدنيوية، بدلاً من طلب مرضاة الله تعالى. يجب على المرء أن يكون يقظًا لتجنب هذا الموقف المدمر، لأنه في النهاية يؤدي إلى كل من الفساد الروحي والعقاب في الآخرة. وقد تم التحذير من مخاطر هذا السلوك صراحةً في حديث مسجل في سنن ابن ماجه، رقم 253، والذي يؤكد على العواقب الوخيمة للسماح للغيرة أو الطموح أو الشهوة الشخصية بالتغلب على الطاعة الصادقة لله تعالى. بالثبات على التعاليم الصحيحة وتجنب التعصب، يصون سورة الأنبياء، الآيتان 92-93. المرء إيمانه ووحدة الأمة الإسلامية

"إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون"

كما ذكرنا سابقًا، وضعت الأمم السابقة أنظمةً هرميةً في أديانها لضمان القيادة والنفوذ والثروة. نصب هؤلاء أنفسهم حُرَّاسًا بين الله تعالى وعامة الناس، مُعْطِينَ انطباعًا بأن القرب من الله تعالى لا يتحقق إلا بالطاعة العمياء، أو الإطراء، أو العطايا المادية. وللأسف، وقع المجتمع الإسلامي أحيانًا في نمطٍ مماثل. فرغم أمر الله تعالى لهم بتجنب الفرقة، والسعي الصادق للمعرفة، والعمل بتعاليم الإسلام، إلا أن بعضهم سمح للطموح والغيرة والرغبة في السلطة بأن تتغلب على إخلاصهم. ولم يُؤدِّ هذا الانحراف عن التعلم والطاعة الصادقين إلى انقسامات داخل المجتمع فحسب، بل منعهم أيضًا من تحقيق الوحدة والتوازن والسلام الذي كان من شأنه، الالتزام بالهدى الإسلامي الحق. بفهم هذه السابقة التاريخية، يُذَكَّر المسلمون بأهمية رفض الوصاية الهرمية

والسعي بدلاً من ذلك إلى الطاعة المباشرة الصادقة لله تعالى، من خلال العلم والعمل والتواضع، وذلك: سورة آل عمران، الآية ١٠٥. باستخدام النعم التي أنعم بها عليهم كما هو مبين في التعاليم الإسلامية

"ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم"

كان الأنبياء عليهم السلام هداةً أرشدوا إلى الطريق الصحيح المؤدي إلى راحة البال في الدنيا والآخرة. لم يجعلوا أنفسهم حراساً يطلبون رضا الناس للتقرب من الله تعالى، بل كان هداهم نابغاً من الإخلاص والمعرفة والرغبة في هداية الناس إلى التوازن الروحي والدنيوي. لذا، يجب على المسلم أن يلتزم من يجسد هذا الموقف - أولئك الذين يُقدمون الوضوح والحق وطاعة الله تعالى على المصلحة الشخصية أو السلطة - ليتعلم ويطبق تعاليم الإسلام على الوجه الصحيح. وفي المقابل، يجب على المسلم أن يتجنب العلماء والشخصيات التي تُروج للفرقة، أو تُعلي من شأن نفسها، أو تُشجع على اتباع قواعدها الشخصية بشكل أعمى. فهذا السلوك يؤدي إلى الفرقة والضلال وإساءة استخدام نعم الله تعالى. بدلاً من ذلك، يجب على المرء أن يسعى، لدراسة القرآن الكريم وتعاليم النبي محمد صلى الله عليه وسلم والعمل بها. وبذلك، يُنمّون العقلية السليمة، ويُحسنون استخدام نعمهم، ويُسهمون في الوحدة والوئام والصالح في المجتمع، من خلال أداء حقوق الناس. وتحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في حياتهم على الوجه الصحيح: سورة البقرة، الآية ٢١٣

"...وهدى الله الذين آمنوا للحق فيما اختلفوا فيه بإذنه"

ومع ذلك، فإن هذا التوجيه مخصص فقط لمن يتجنبون التقليد الأعمى، ويتعاملون مع التعاليم الإسلامية بعقل منفتح، صادق، وفطن، طالبين المعرفة، متعمقين في فهمها، ومطبقينها بإخلاص في كل جانب من جوانب حياتهم. سورة البقرة، الآية ٢١٣

"والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ..."

:سورة يوسف الآية 108

"...قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني"

:سورة البقرة، الآية 213

"...وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم ..."

يمكن الوقاية من الغيرة، التي غالبًا ما تؤدي إلى الفرقة، عندما يُنمّي الأفراد - وخاصة العلماء وقادة المجتمع، إخلاصهم لله تعالى. هذا الإخلاص يستلزم السعي لاستخدام النعم التي مُنحت لهم، كالنفوذ والمعرفة والقيادة - بما يرضي الله تعالى، كما هو منصوص عليه في التعاليم الإسلامية. عند استخدامها بشكل صحيح، تُعزز هذه النعم السلام والعدل والوحدة في المجتمع، مُهيئةً بيئةً مُواتيةً للرفاه الجماعي، من خلال أداء حقوق الناس علاوةً على ذلك، يُمكن هذا النهج الأفراد من تحقيق راحة البال الحقيقية والنجاح في الدنيا والآخرة، من خلال على . تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في حياتهم بشكل صحيح، العكس من ذلك، إذا أسيء استخدام هذه النعم لتحقيق مكاسب شخصية أو مكانة اجتماعية أو رغبات دنيوية، فسيُعاني الفرد من حالة نفسية وجسدية غير متوازنة، وسيُسيء وضع كل شيء وكل شخص في حياته، وسيُخفق في الاستعداد الكافي للمحاسبة يوم القيامة. والعواقب المترتبة على ذلك هي التوتر والمشقة

والاضطراب في كلا العالمين، بغض النظر عن أي رفاهية دنيوية قد يمتلكونها. سورة طه، الآيات ١٢٤-١٢٦:

ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد
"كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى

يجب على الغيور أن يدرك أن موقفه هذا يُشكل تحديًا مباشرًا لحكمة الله تعالى وقدرته، فهو وحده من يُقرر توزيع نعم الدنيا على خلقه. فعندما يشعر المرء بالحسد، فإنه في الواقع يُشكك في حكم الله تعالى، مُفترضًا أنه أخطأ في منح نعمة مُعينة لغيره. ولهذا السبب تحديدًا تُعتبر الغيرة من كبائر الذنوب في الإسلام. أما الفطن، فيُركز على استخدام النعم التي وُهِبَت له بما يُرضي الله تعالى، مُوقنًا تمامًا بأن ما يملكه هو خير له وما يملكه الآخرون هو خير له. وبتنمية هذه العقلية، يقي الإنسان نفسه من عواقب الغيرة المُدمرة، والتي تشمل الضيق النفسي، والشقاق الاجتماعي، والمساءلة في الآخرة، فينال راحة البال والنجاة من العذاب في الدنيا والآخرة). سورة الأنبياء، الآية 94)

"فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفار لسعيه وإنا له لحافظون"

من المهم ملاحظة أن ذكر الأعمال الصالحة قبل الإيمان للدلالة على أهمية دعم الإقرار الشفهي بالإسلام، بالأعمال الصالحة. ويدعم ذلك أيضًا أن الآية تُعلن أن جهود الإنسان العملية في طاعة الله تعالى لا تُنكر لكنها لا تذكر إيمانه في هذا الصدد. بل إن من لا يُدعم إقراره بالأعمال معرض لخطر كبير يتمثل في فقدان إيمانه. يُمكن تشبيه الإيمان بشعلة رقيقة، تتطلب عناية فائقة وعناية مستمرة. فكما أن النار تخدم وتنطفئ إذا حُرمت من وقودها، كذلك الإيمان قد يضعف بل وينطفئ إذا لم يُغذَّ باستمرار بطاعة الله تعالى والإخلاص له. إن إهمال هذا القوت الروحي يُعرِّض الإنسان للخطر، فبدون نور الإيمان، تُصبح الهداية مُظلمة، وقد تتعثر القرارات، ويُصبح طريق السلام الداخلي والفلاح في الآخرة مُبهمةً. إن فقدان هذا النور الهادي من أعظم الخسائر، إذ يسلب القلب غايته والنفس غايتها. سورة الأنبياء، الآية 94

"فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفار لسعيه وإنا له لحافظون"

علاوة على ذلك، وخلافًا للمعايير الدنيوية، حيث يُحكم على الشخص غالبًا بالنتائج التي يحققها فقط، فإن الله تعالى يُقيّم ويُقدّر إخلاص جهود المرء، بغض النظر عن النتيجة. ما دام الإنسان يُضمر نية خالصة - ابتغاء مرضاة الله تعالى - ويقرنها بجهد صادق في طاعته، فإنه مضمون الأجر وراحة البال في الدنيا والآخرة. وهذا يشمل تحقيق حالة ذهنية وجسدية متوازنة، ووضع كل شيء وكل شخص في مكانه الصحيح في حياته. حتى لو لم تتحقق النتائج الملموسة لجهوده، فإن تفانيه ونيته لهما قيمة عظيمة عند الله تعالى. على سبيل المثال، من ينوي بإخلاص إتمام مشروع خيري ويسعى جاهدًا لتحقيقه، سينال ثوابًا من الله تعالى، حتى لو لم يُسفر المشروع في النهاية عن أي نتيجة ملموسة. هذا التقدير يؤكد المبدأ الراسخ القائل بأن النية والجهد: سورة النجم، الآية 39. في المنظور الإلهي يفوقان مجرد النتائج

"وأن ليس للإنسان إلا ما سعى"

ولأن الله تعالى يعلم كل شيء، كمن يجتهد في طاعته ومن لا يجتهد، فإنه سيحاسب كل إنسان على ذلك في الدنيا والآخرة. سورة الأنبياء، الآية 94

"وإنا له لحافظون"

من أجل اتخاذ الموقف الصحيح، يدعو الله تعالى الناس باستمرار إلى التأمل في الأمم السابقة، وبالتالي فيمن حولهم، لتقدير عواقب طاعته ومعصيته. سورة الأنبياء، الآية 95

"وحرام على قرية أهلكناها أن يرجعوا"

،تُمثّل هذه الآية تحذيرًا قويًا من الانشغال بالذات، حيث يقتصر تركيز الفرد على محيطه الشخصي المباشر مما يدفعه إلى تجاهل الحقائق الأوسع التي تحيط به. هذا المنظور الضيق يحجب القلب عن إدراك الحكمة العميقة التي يمكن استخلاصها من دراسة التاريخ والمحن الشخصية وتجارب الآخرين. يُعدّ الانخراط في هذا النوع من التأمل من أكثر الطرق موثوقية لصقل الشخصية، وتجنب تكرار الأخطاء، وتحقيق السلام الداخلي الدائم في نهاية المطاف. يتحقق هذا السلام من خلال ضمان حالة ذهنية وجسدية متوازنة، وتحديد أولويات كل شيء وكل شخص في الحياة بشكل صحيح. على سبيل المثال، فإن ملاحظة كيف يُسيء الأفراد الأثرياء والشهرة استخدام النعم التي مُنحواها - ليغرقوا في قلق عميق، واكتئاب، وإدمان، أو حتى انتحار رغم ما لديهم من ملذات دنيوية - يُقدم درسًا واضحًا: لا يُشترى السكينة الحقيقية بالثروة، ولا يُضمن بالانغماس، في رغبات جامحة. وبالمثل، فإن رؤية شخص يُصارع مرضًا شديدًا تُلهم المرء فورًا الامتنان لصحته وتُشكّل دافعًا قويًا لاستخدامها على النحو الصحيح قبل أن تتدهور لا محالة. ولذلك، يُشجّع الإسلام الناس بنشاط على التحلّي باليقظة والتأمل، والنظر إلى ما هو أبعد من العدسة المُقَيّدة لحالتهم الفردية، واستخلاص الحكمة والهداية بحدّ من العالم بأسره من حولهم. هذه النظرة الواسعة تُحوّل الحياة اليومية إلى مصدر دائم للتعاليم الأخلاقية والروحية العميقة.

بحالة نفسية وجسدية إذا لم يتبنّ المرء الموقف الصحيح، فعصي الله تعالى بإساءة استخدام نعمه، فسيُصاب بهذا يُؤدّي إلى التوتر والمتاعب والصعوبات. غير متوازنة، ويُسيئ توزيع كلّ شيء وكلّ شخص في حياته حتى وإن تمتع ببعض ملذات الدنيا. وبما أنّ هذا الموقف يمنعه من الاستعداد العملي للحساب يوم القيامة، عند نهاية الدنيا والبعث، فسيكون عقابه في الآخرة أشدّ بكثير). سورة الأنبياء، الآيتان 96-97)

حتى إذا أفرج عن يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب وصوب ينسلون. واقترب وعد الحق فإذا أًبصار الذين".
"كفروا شاخصة يا ويلتنا إنا كنا في غفلة عن هذا بل كنا ظالمين

كما ورد في حديث صحيح مسلم، رقم 7285، فإن خلاص يأجوج ومأجوج سيكون من أبرز علامات نهاية العالم. وبما أن هذا الحدث سيكون فتنة شديدة على الناس، فلا بد من قوة الإيمان لمواجهة كل فتنة يواجهونها فالإيمان الراسخ والراسخ ضروري. طوال حياتهم، حتى لو لم يشهدوا الفتن الكبرى التي ستقع قبل نهاية العالم للتمسك بطاعة الله تعالى في جميع الأحوال، سواء في السراء والضراء. ويُزرع هذا الإيمان العميق من خلال الدراسة الدؤوبة والفهم والتطبيق العملي للآيات والتعاليم الواضحة الواردة في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. وتُظهر هذه التعليمات الإلهية أن الاستسلام الحقيقي لله تعالى يجلب السلام والرضا الحقيقيين في الدنيا والآخرة. على النقيض من ذلك، غالبًا ما يكون لدى من يفتقرون إلى الفهم الصحيح للمبادئ الإسلامية ضعف في الإيمان، مما يجعلهم أكثر عرضة للانحراف عن الطاعة، وخاصةً عندما تتعارض رغباتهم الشخصية مع التوجيه الإلهي. هذا النقص يعميهم عن حقيقة أن التخلي عن رغبات المرء لصالح طاعة الله تعالى هو الطريق الصحيح للسكينة والتوازن في الحياة. لذلك، من الأهمية بمكان أن يعمل كل فرد بنشاط على تقوية إيمانه من خلال طلب المعرفة الإسلامية وتطبيقها في حياته اليومية. وهذا يشمل استخدام النعم التي وهبَ لهم بطرق ترضي الله تعالى، كما هو موضح في التعاليم الإسلامية. وبذلك، ينالون ليس فقط المكافأة الروحية، بل أيضًا حالة ذهنية وجسدية متناغمة، تضمن لهم تحديد الأولويات والمكان المناسبين لكل جانب من جوانب حياتهم. وبهذه الطريقة، يصبح الإيمان منارة تُغذي الطاعة والحكمة والسلام الداخلي في جميع الظروف.

ومع ذلك، فإن من يفشل في تنمية إيمان راسخ سيستمر حتمًا في معصية الله تعالى، بإساءة استخدام النعم التي وهبها الله له. هذا العصيان المستمر يُخل بتوازن صحته النفسية والجسدية، ويدفعه إلى إهمال أولوياته وعلاقاته في حياته. حتى لو تمتعوا بملذات الدنيا أو الكماليات المادية، فإن هذه المكاسب المؤقتة لا تعوّض عن الاضطراب الداخلي والتوتر والصعوبات التي تنشأ عن حياة تُعاش على خلاف الهداية الإلهية. علاوة على ذلك، فإن هذا الموقف يمنعهم من الاستعداد الكافي لحسابهم يوم القيامة. وبالتالي، سيواجهون ذلك اليوم خالي الوفاض، محرومين من كل خير، مليئين بالندم - ندم لن ينفعهم شيئًا. إن عدم استخدامهم للنعم الممنوحة لهم بشكل صحيح لا يُقوّض صحتهم في هذه الحياة فحسب، بل يتركهم أيضًا عرضة لخسارة أبدية في الآخرة.

سورة الأنبياء، الآية 97

"واقترِبِ الوعدَ الحقَّ فإذا أبصارُ الذين كفروا شاخصةٌ يا ويلتنا لقد كنا في غفلةٍ من هذا بل كنا ظالمين"

بشكل عام، من الضروري فهم أن المعبودات الباطلة لا تقتصر على الأصنام المادية المصنوعة من الحجر أو المعدن. في الواقع، أي شيء يضعه الإنسان فوق الله تعالى، أو يطيعه مخالفاً لأوامره، يصبح معبوداً في حياته. قد يكون هذا على شكل وسائل التواصل الاجتماعي، أو الثروة، أو الموضة، أو التوجهات الثقافية، أو الوظائف، أو حتى أشخاصاً آخرين يُقدَّر رضاهم على طاعة الله تعالى. عندما يدور تفكير المرء ووقته وطاقته حول هذه المساعي بدلاً من الإخلاص والطاعة لله تعالى، فإنه في الواقع يسمح لهذه المشتتات بأن تحل محل العبادة الحقيقية. إن إدراك هذا الشكل الخفي من الشرك وتصحيحه أمر بالغ الأهمية للحفاظ على إيمان نقي: وراسخ. سورة التوبة، الآية 31

"...اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله"

لم يُعبد علماء أهل الكتاب وزعمائهم الدينيون بالمعنى الحرفي، بل أُطيعوا واثَّبعوا على خلاف أوامر الله تعالى. وفي الإسلام، تُعتبر هذه الطاعة - متى خالفت الهداية الإلهية - عبادةً موجهةً إلى ذلك الشخص لا إلى الله تعالى. ويكشف هذا الفهم أن العبادة لا تقتصر على السجود أو التسبيح، بل تشمل أيضاً الخضوع والطاعة ويتجلى المبدأ نفسه في مثال الشيطان، الذي رغب في أن يُتَّبَعَ ويُطاع على خلاف الله تعالى. سورة يس، الآية 60:

أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ

لم يعبد الغالبية العظمى من الناس إبليس مباشرة، بل يُعَدُّون أتباعًا له عند طاعته مخالفين لله تعالى. وهذا يُبيِّن أن العبادة لا تقتصر على السجود أو التسبيح، بل تشمل الطاعة والخضوع. لذا، يجب تجنُّب طاعة أي كائن أو نظام أو تأثير يُخالف أوامر الله تعالى، لأن هذه الطاعة عبادة موجهة إليه. عندما يُصرَّ المرء على معصية الله تعالى، فإنه يقع حتمًا تحت سيطرة قوى أخرى، سواءً أكانت أفرادًا، أو وسائل تواصل اجتماعي أو اتجاهات ثقافية، أو رغبات مادية، أو أصحاب عمل. إن محاولة خدمة أسياد متعددين ظالمين لا تُؤدي إلا إلى الفتنة، إذ يستحيل إرضائهم جميعًا لتضارب مطالبهم وتغيُّرها الدائم. كما يكافح الموظف الذي يعمل تحت إشراف عدة مشرفين لتحقيق توقعات متضاربة، فإن من يتخلى عن عبودية الله تعالى يجد نفسه عبدًا لتأثيرات دنيوية لا تُحصى، فاقداً راحة باله وهدفه. مع مرور الوقت، غالبًا ما يعاني هؤلاء الأفراد من الحزن والقلق والعزلة، بل وحتى الاكتئاب، إذ تفشل جهودهم لإرضاء أسيادهم الدنيويين في تحقيق الرضا الداخلي الذي يصبون إليه. تتضح هذه الحقيقة عند مراقبة حياة من يجسدون هذه العقلية - كالمشاهير الذين، على الرغم من ثروتهم وشهرتهم وترفعهم، غالبًا ما يعانون من ضيق نفسي عميق وعدم رضا. علاوة على ذلك، فإن من يستسلمون لقوى الدنيا في معصية الله تعالى، سيجدون أن هذه القوى لا تستطيع مساعدتهم في الآخرة. في يوم القيامة، سيتخلى عنهم كل سيد كاذب خدموه - سواء كان شخصًا أو مبدأ أو رغبة - تاركًا إياهم دون شفاعاة أو فرج. سورة الأنبياء، الآيات 98-100

إنكم وما تعبدون من دون الله حطب جهنم أنتم وآردونها ولو كان هؤلاء آلهة ما أتوها ولكن كل فيها خالدون " لهم فيها زفير ثقيل وهم فيها لا يسمعون

كما حذرت هذه الآيات، فإنَّ من يدَّعي الإيمان بالله تعالى، ثمَّ يطيعون غيره، كوسائل التواصل الاجتماعي والموضة، والثقافة، والناس، فيُقصِّرون بذلك في إثبات إيمانهم بالله تعالى لفظيًا، في أفعالهم، مُعرِّضون لخطرٍ ينبغي إدراك جوهر الإيمان من خلال تشبيهه بالنبات الحيّ. فلكي ينمو هذا النبات. كبير يُفقد إيمانهم تمامًا ويدوم، لا بدَّ من قوتٍ له، وتحديدًا في شكل أعمال طاعة. ومثل النبات الذي يذبل ويذبل في النهاية عندما يُحرم من الغذاء الحيويّ، كضوء الشمس أو الماء، فإنَّ إيمان الفرد يكون عُرضةً للخطر أيضًا. فإذا أهمل المرء تغذية قناعاته الروحية من خلال أعمال طاعةٍ مُتسقةٍ ومُتعمَّدة، فمن المُرجَّح جدًّا أن يتضاءل إيمانه. وينتهي في النهاية. ويُعتبر فقدان الإيمان تمامًا من أعمق وأشدَّ النتائج الروحية تدميرًا.

أما من عزز إيمانه بالله تعالى لفظيًا، واستغلَّ نعمه استغلالًا صحيحًا، فسينال وعد الله تعالى براحة البال في الدنيا والآخرة، من خلال توازنه النفسي والجسدي، وحسن تدبيره لكل شيء وكل شخص في حياته. وكما سيطر على شهواته في الدنيا، فسيُتاح له تحقيقها في الآخرة، إلى الأبد). سورة الأنبياء، الآيات ١٠١-١٠٣)

إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها بعيدون لا يسمعون صوتها وهم فيما تشتهي أنفسهم خالدون لا»
«يحزنهم الفزع الأكبر وتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون

فالإيمان الراسخ ضروريٌّ للفرد ليحافظ. لكي يتأثر الإنسان بوعود الله تعالى إيجابًا، لا بد من إيمان راسخ على طاعته التامة لله تعالى، مهما كانت الظروف، موالية كانت أم صعبة. وينمو هذا الإيمان الراسخ من خلال الفهم الدقيق والتطبيق العملي للآيات والتعاليم الجليلة الواردة في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. تكشف هذه المصادر المقدسة أن التسليم الحقيقي لله تعالى يجلب السلام العميق ليس في الدنيا فحسب، بل في الآخرة أيضًا. في المقابل، فإن الأفراد الذين ينقصهم فهم المبادئ الإسلامية يكون إيمانهم ضعيفًا. وهذا الضعف يجعلهم أكثر عرضة للانحراف عن الطاعة، لا سيما عندما تتعارض رغباتهم الشخصية مع التوجيه الإلهي. هذا النقص في المعرفة غالبًا ما يمنعهم من إدراك حقيقة جوهرية: أن التخلي الطوعي عن رغبات المرء المباشرة لاتباع أوامر الله تعالى هو الشرط الأساسي لتحقيق الطمأنينة الحقيقية في الدنيا والآخرة. لذلك، من الضروري أن يكرس الناس أنفسهم لتقوية إيمانهم من خلال السعي الجاد وتطبيق المعرفة الإسلامية. هذا الالتزام يضمن استمرار طاعتهم لله تعالى. علاوة على ذلك، تتضمن هذه العملية الاستخدام الصحيح للنعم التي مُنحت لهم، وفقًا للتعاليم الإسلامية. هذا النهج الشامل يُتوج في نهاية المطاف بحالة من التوازن العقلي والجسدي، وتحديد الأولويات الصحيحة لجميع جوانب حياتهم.

:سورة الأنبياء، الآيات 98-100

إنكم وما تعبدون من دون الله حطب جهنم أنتم وارادونها ولو كان هولاء آلهة ما أتوها ولكن كل فيها خالدون "
"لهم فيها زفير ثقيل وهم فيها لا يسمعون

زبارة ، وهو غير -مسلم من مكة ، ذات مرة بأنه إذا أُلقي كل ما يُعبد سوى الله تعالى في النار، فإن هذا يشمل الملائكة الذين عبدتهم بعض الناس، وكذلك النبيين عزيز وعيسى عليهما السلام، اللذين عبدتهما بعض اليهود والنصارى .وعندما أبلغ هذا الادعاء إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم، أوضح الأمر بقوله إن من رغب :وطلب العبادة لأنفسه من دون الله تعالى فقط سيكون في النار مع من عبدتهم .ويؤسس هذا الرد تمييزاً حاسماً .لم يدعوا الأنبياء عليهم السلام وعباد الله الصالحين الناس إلى عبادتهم قط، ولم يوافقوا على مثل هذه الأفعال بل على العكس من ذلك، فقد وجهوا أتباعهم باستمرار إلى عبادة الله تعالى وحده .لذا، فالإثم لا يقع على من رُفِعَ إلى مقامات الله ظلماً، بل على من مارس العبادة، وعلى من سعى إليها غروراً .هذا المبدأ يصون شرف الأنبياء والملائكة عليهم السلام، مؤكداً براءتهم من الادعاءات الباطلة التي وُجِّهت إليهم .كما يُعزز هذا المبدأ القرآني الجوهرى بأن الشرك بالله تعالى جريمة على العابدين والداعين إليه، لا على المعبودين باطلين .ثم :أنزل الله تعالى سورة الأنبياء، الآيتين ١٠١-١٠٢

"إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها بعيدون لا يسمعون صوتها وهم فيما انتهت أنفسهم خالدون "

تشير هذه الآية إلى النبيين عزيز وعيسى عليهما السلام، وكذلك إلى الملائكة الذين عبدتهم بعض الطوائف .وللدلالة على عقليتهم الجدلية والسلبية، نزلت الآيتان ٥٧ و ٥٨ من سورة الزخرف (٤٣) .ظلماً

وعندما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك يضحكون، وقالوا :أللهتنا خير أم هو؟ ما ضربوه إلا جدلاً، بل هم "قَوْمٌ يَخْتَصِمُونَ".

وهكذا، يُبيّن القرآن الكريم براءة الأنبياء والملائكة عليهم السلام من التبجيل الباطل المُوجّه إليهم. واللوم يقع كلياً على من رفعهم إلى مقامات الألوهية ثم اتخذوا ذكرهم ذريعةً للجدال. كما يُبيّن هذا المقطع كيف يُمكن للغرور وروح المُجادلة أن تُعمي الناس عن إدراك الحقيقة، حتى مع وضوحها.

وقد تقدم هذا في كتاب السيرة النبوية للإمام ابن كثير، ج2، ص34.

من المهم، لا سيما في عصرنا هذا، أن يُدرك الناس الفرق بين من يناقشون مواضيع جدلية بقصد صادق لإحداث تغيير إيجابي، ومن يثيرونها لمجرد لفت الانتباه. من يسعى بصدق إلى تحسين المجتمع يُظهر دائماً الاحترام وحسن الخلق، حتى تجاه من يتحداهم بكلامه. لا يلجأون إلى لغة بذينة أو سلوك مُسيء لإثبات وجهة نظرهم، بل يدرسون الموضوع ويفهمونه بعناية، متجنبين سوء التفسير أو التزوير لدعم حجّتهم. نقدهم بناءً وصدقهم واضح في أقوالهم وسلوكهم. هؤلاء هم من يجب أن يُلتفت إليهم، فإن صحت وجهة نظرهم، نفعت المجتمع ككل. وإن أخطأوا، تقبّلوا الحقيقة بتواضع عندما تُوضّح لهم. على النقيض من ذلك، يجب تجاهل من يتصرفون على النقيض - سواء في الإعلام أو في غيره - لأنهم لا يسعون إلى تحسين الحياة، بل إلى لفت الانتباه إلى أنفسهم فقط. كالأطفال الذين يتظاهرون بالرغبة في لفت الانتباه، يزدهرون باهتمام الآخرين بهم. لذلك، ينبغي على الناس عدم تداول أو مشاركة مقاطع الفيديو أو المنشورات أو أي محتوى آخر مرتبط بهؤلاء الأفراد، لأن ذلك لا يؤدي إلا إلى تأجيج رغبتهم في التقدير. إن النقاش معهم مضيعة للوقت، نظراً لنواياهم وسلوكياتهم الفاسدة. بدلاً من ذلك، ينبغي توجيه طاقة المرء نحو مساعي أنفع - تلك التي تُضيف قيمة حقيقية لنفسه وللآخرين، في الدنيا والآخرة.

يحذر الله تعالى الناس من الاستعداد للحساب يوم القيامة، بوصف ذلك تفصيلاً في القرآن الكريم، كما في الآية التالية: سورة الأنبياء، الآية ١٠٤.

"...يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده "

إن إنكار إمكانية بعث البشر يوم القيامة ادعاءً غريبٌ وغير منطقي. فالله تعالى، الذي خلق البشر من العدم قادرٌ بلا شك على إعادتهم إلى الحياة بعد أن تحولوا إلى ترابٍ وعظامٍ راكدة. فإحياء ما كان موجودًا أهون بكثير من خلقه من العدم أصلًا. علاوةً على ذلك، فإن ظاهرة البعث ليست أمرًا بعيدًا أو مجردًا؛ بل يمكن ملاحظتها مرارًا وتكرارًا في العالم الطبيعي. ويضرب الله تعالى أمثلةً لا تُحصى على هذه الحقيقة آياتٍ للمتأملين. فعندما يُنزل المطر على أرضٍ قاحلة، تُحيي الأرض التي كانت ميتة، فتُخرج نباتًا وثمارًا وزرعًا ومن بذرةٍ ميتةٍ مدفونةٍ في الأرض، يُخرج الله تعالى براعمَ خضراء، تُغذي البشر والحيوانات. وبالمثل، يُحيي بذرة "البشرية" - تلك المدفونة تحت الأرض - بنفس السهولة التي يُحيي بها الأرض بعد موتها. يُذكرنا تغيير" الفصول أيضًا بالبعث. ففي الشتاء، تتساقط أوراق الأشجار فتبدو هامدة، ومع حلول الربيع، تزدهر تلك الأشجار نفسها بالخضرة والحيوية من جديد. كل دورة موت وتجدد في الطبيعة شهادة صامتة على قدرة الله تعالى على البعث. كما أن البعث يحدث باستمرار داخل جسم الإنسان نفسه. تموت خلايا لا تُحصى وتُستبدل في كل لحظة - مثل خلايا الجلد وخلايا الدم وغيرها - مُظهرةً عملية تجدد وتجدد مستمرة. حتى الدورة اليومية للنوم واليقظة تعكس هذه الحقيقة. وُصف النوم بأنه شقيق الموت، فعند النوم، تتعطل الحواس ويتلاشى الوعي. ومع ذلك، فإن الله تعالى، بأمره، يعيد الروح إلى النائم كل صباح، مانحًا إياه حياة جديدة ما دام يشاء: سورة الزمر، الآية 42

الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى "أجل مسمى إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون"

وهكذا، من أصغر العمليات البيولوجية إلى دورات الطبيعة الكبرى، فإن علامات القيامة موجودة في كل مكان. وإنكارها ليس من باب العقل، بل هو غفلة عن الأدلة الكثيرة التي يُظهرها الله تعالى في الخلق.

إن وقوع يوم القيامة ليس مجرد احتمال، بل هو ضرورة منطقية وأخلاقية. أي شخص يتأمل الكون سيلاحظ أن التوازن والنظام يتخللان كل جانب من جوانب الخلق. فالأرض، على سبيل المثال، تقع على مسافة متوازنة تمامًا من الشمس. لو كانت أقرب قليلًا، لجعلتها الحرارة الشديدة غير صالحة للسكن؛ ولو كانت أبعد قليلًا، لجعل البرد الحياة مستحيلة. وبالمثل، تعمل دورة المياه بدقة مذهلة: يتبخر الماء من المحيطات، ويرتفع

إلى الغلاف الجوي، ويتكثف في السحب، ويعود مطراً، مما يضمن استمرار قوت جميع الكائنات الحية والأرض نفسها دليل آخر على هذا التوازن. فهي لينة بما يكفي لاختراق البراعم والجذور الرقيقة، مما يسمح للمحاصيل بالنمو وتغذية الخليقة، وفي الوقت نفسه متينة وقوية بما يكفي لدعم هياكل ضخمة على سطحها هذا التناغم والتناسب، الجلي في جميع أنحاء العالم الطبيعي، يشير بوضوح ليس فقط إلى وجود خالق، بل أيضاً إلى حكمته وعدله الكاملين، اللذين يتجلبان من خلال التوازن في كل شيء. ومع ذلك، ثمة مجال واحد يتجلى فيه الخلل جلياً، ألا وهو أفعال البشر. ففي هذا العالم، كثيراً ما نرى طغاة وظالمين يفلتون من العقاب رغم ظلمهم. وفي المقابل، يعاني عدد لا يحصى من الأفراد من الظلم والقهر، لكنهم لا ينالون كامل الجزاء على صبرهم وتحملهم. يواجه كثير من المؤمنين الذين يسعون بإخلاص إلى طاعة الله تعالى، ابتلاءات وصعوبات، وغالباً ما ينالون جزاءً زهيداً في هذه الحياة، بينما يبدو أن من يُصرون على العصيان ينعمون بالخير. وكما يحكم التوازن كل جانب آخر من جوانب الخلق، يجب أن يكون النظام الأخلاقي متوازناً أيضاً. يجب أن يُكافأ الخير في النهاية، ويجب أن يُعاقب الشرّ جزاءً كاملاً. وبما أن هذا التوازن الكامل لا يتحقق في الدنيا، فلا بد من إقامته في عالم آخر، يوم القيامة. ذلك اليوم هو ميدان العدالة المطلقة، حيث يُوزن كل عملٍ ونيةٍ وكلمةٍ بالعدل المطلق.

الله تعالى قادرٌ على جزاءٍ وثوابٍ كاملين في الدنيا، لكن حكمته تقضي بغير ذلك. فهو يمنح المذنبين فرصاً دائمةً للتوبة والإصلاح، ويوسع عليهم رحمته مراراً وتكراراً. كما يحرم المؤمنين جزاءهم كاملاً، فالدنيا ليست دارهم، بل دار اختبار لا جزاء.

علاوة على ذلك، فإن الإيمان بالغيب ركنٌ أساسي من أركان الإيمان. ويشمل الغيب الحقائق التي لا تُدرك بالحواس الخمس، كالآخرة والجنة والنار. يكمن جمال الإيمان وتميزه في الإيمان دون رؤية. فلو تجلّى الثواب والعقاب كاملين في هذه الحياة الدنيا، لفقد الإيمان عمقه الروحي وأهميته، لأن الإيمان بالمشاهد لا يحتاج إلى اقتناع قلبي.

علاوة على ذلك، فإن رجاء الثواب والخوف من العقاب في الآخرة يدفع الإنسان إلى اجتناب المعاصي والسعي في الصالحات. هذا التوازن بين الرجاء والخوف يغذي الإخلاص والتواضع والمثابرة في طريق العبد إلى الله تعالى.

لكي يأتي يوم القيامة، لا بدّ من زوال العالم المادي أولاً. فما دامت أعمال البشر مستمرة، فلا يمكن أن يبدأ الحساب. زوال أعمال البشر يستلزم انتهاء الوجود الدنيوي نفسه، وبالتالي، فإن زوال هذا العالم مقدمة حتمية لقيام يوم القيامة.

إن التأمل العميق في هذه الحقيقة يُقوّي الإيمان بالآخرة، ويُلهم الاستعداد لها بإخلاص واجتهاد. وهذا الاستعداد يشمل استخدام جميع نعم الله تعالى، وفقاً للقرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. وبذلك، ينال الإنسان راحة البال، وتوازناً في الجسد والروح، ونجاحاً حقيقياً في الدنيا والآخرة، من خلال تحقيق حالة (سورة الجاثية، الآية). نفسية وجسدية متوازنة، ومن خلال حسن توزيع كل شيء وكل شخص في حياته (سورة 45، 22).

"وخلق الله السموات والأرض لحكمة، لتُجزى كل نفس ما اكتسبت، وهم لا يُظلمون".

:وسورة الأنبياء الآية 104

"كما بدأنا أول خلق نعيده وعدّا علينا وإنّا كنا فاعلين ..."

بتوازن ،من استعداد للحساب يوم القيامة، لن ينال راحة البال في الآخرة فحسب، بل كُفِّل له راحة البال في الدنيا ،حالته النفسية والجسدية، وحسن توزيع كل شيء وكل شخص في حياته، وسينشر السلام والعدل في مجتمعه ،بأداء حقوق الناس). سورة الأنبياء، الآية ١٠٥)

ولقد كتبنا في الكتاب من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون

أوضح الله تعالى أن الناس لا يحتاجون إلا إلى أن يصبحوا مؤمنين حقيقيين لنيل التفوق والنجاح في كلا العالمين .الإيمان الحقيقي ليس مجرد ادعاء باللسان، بل هو حالة شاملة للقلب واللسان والعمل .وهو يستلزم تنفيذ أوامر الله تعالى، والامتناع عن نواهيه، ومواجهة القدر بالصبر وفقاً لأحاديث النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم .وهذا يشمل كلاً من الواجبات تجاه الله تعالى - كالصلاة والصيام والذكر - والواجبات تجاه الناس، كالعدل واللفظ والرحمة .ومن بين هذه الواجبات المبدأ النبيل المتمثل في أن يحب المرء للآخرين ما يحب لنفسه، كما هو مذكور في حديث موجود في جامع الترمذي، رقم 2515 .يضمن هذا المبدأ أن الإيمان ليس أنانياً أو -ينظر إلى الداخل، بل يشع خارجياً في خدمة البشرية

وكما تشير الآية التالية، فإن الإيمان الحقيقي يقتضي من الإنسان تعلم تعاليم الإسلام والعمل بها بإخلاص :سورة الأنبياء، الآية ١٠٦

«إن في هذا لبياناً وبلاغاً لقوم عابدين »

بهذا الموقف تحديداً، نال الصحابة الكرام، رضي الله عنهم، التوفيق والتفوق .فقد جمعوا بين طاعة الله تعالى وخدمة خلقه، فأصبحوا قدوة حسنة للأجيال). سورة آل عمران، الآية ١٣٩)

«فلا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين»

:سورة الأنبياء، الآية 106

«إن في هذا لَآيَاتٍ وَبَشْرًا»

مهما بلغ تقدم أي مجتمع، ومهما اكتسب من معارف في مختلف المجالات، بما فيها الجوانب العقلية والجسدية، والاجتماعية للإنسان، يبقى من المستحيل على البشرية صياغة قواعد سلوكية تتوافق تمامًا مع الفطرة البشرية وقادرة على التعامل مع كل ظرف وحالة وسيناريو قد يواجهه الأفراد أو المجتمعات طوال وجودهم على الأرض. هذا المسعى بعيد المنال أساسًا، فالبشرية لا تزال تكتشف رؤى جديدة حتى حول مكونات محددة من وجودها، مثل وظائف مناطق مختلفة من الدماغ البشري. إذا كان الناس لا يزالون يسعون جاهدين لفهم أنفسهم فكيف يمكنهم وضع قواعد سلوكية سليمة تضمن الطمأنينة والعدل على المستويين الفردي والاجتماعي؟ الله تعالى وحده هو القادر على تحقيق ذلك، فهو خالق كل شيء، وعلمه لا حدود له، يشمل الماضي والحاضر والمستقبل. وهكذا، فهو وحده المستحق أن يُرسي للبشرية منهجًا سلوكيًا - معيارًا إلهيًا يميز الخير من الشر والنافع من الضار، ويُسهّل تحقيق الطمأنينة في عالم يسوده التوتر والريبة. تُثبت الأدلة التاريخية بما لا يدع مجالًا للشك أن تطبيق هذا المنهج الإلهي في حياة الأفراد والمجتمعات بأمانة، أدى إلى انتشار الطمأنينة والعدل والسلام. وتقف أجيال الإسلام الذهبية، بدءًا من الصحابة الكرام، رضوان الله عليهم، شاهدًا حيًا على هذه الحقيقة. لذا، يجب على الأفراد اعتناق منهج السلوك الإلهي الذي أنعم الله عليهم به، مُدركين أنه الأنسب لصحتهم -، حتى وإن تعارضت بعض عناصره مع رغباتهم الشخصية. عليهم أن يتصرفوا كمريض عاقل يُقرّ بنصيحة طبيبه ويلتزم بها، مُدركين أنها في نهاية المطاف في مصلحتهم، حتى لو تضمنت الوصفة دواءً مُرًا أو نظامًا صارمًا. كذلك، قد تتطلب طاعة الله تعالى تضحيةً أحيانًا، لكنها تؤدي إلى الشفاء والتوازن من خلال تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في، والنجاح الأبدي مكانه الصحيح. سورة الأنبياء، الآية ١٠٦

إِنَّ فِي ذَلِكَ لِبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ

بالإضافة إلى ذلك، توضح هذه الآية أنه لا يمكن للمرء أن يعبد الله تعالى بشكل صحيح دون الإخلاص للقرآن الكريم. في الواقع، وفقًا لحديث موجود في صحيح مسلم، رقم 196، فإن أحد جوانب الإسلام هو الإخلاص يبدأ الإخلاص للقرآن الكريم بالاحترام العميق والمحبة لكلمات الله تعالى. يتجلى هذا الإخلاص للقرآن الكريم عندما يحقق المرء الجوانب الثلاثة الأساسية للقرآن الكريم. أولها تلاوته بشكل صحيح ومنتظم، مع إعطاء كلماته الاحترام الواجب. ثانيها السعي لفهم تعاليمه من خلال مصادر موثوقة ومعلمين مؤهلين. ثالثها، والأهم هو العمل بتعاليم القرآن الكريم بهدف وحيد هو إرضاء الله تعالى. يقدم الشخص المخلص أوامر القرآن الكريم على رغباته الخاصة عندما يتعارض الاثنان. إن الاقتداء بالقرآن الكريم هو العلامة الحقيقية للإخلاص لكتاب الله تعالى. كان هذا هو المنهج النبيل للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، كما ورد في حديث أبي داود برقم ١٣٤٢. ومن الإخلاص للقرآن الكريم التعامل معه بنية صادقة لفهمه والعمل به، بغض النظر عما إذا كانت تعاليمه تتوافق مع ميول المرء الشخصية. ومن اتبع أوامر أو نهى أو نصائح انتقائية، وتجاهل غيرها بناءً على أهوائه، فقد خالف القرآن الكريم. ولن يستفيد مثل هذا الشخص من هدايته حقًا، فالقرآن الكريم منهج: سورة الإسراء، الآية ٨٢. حياة كامل، وليس مجرد اقتراحات اختيارية

وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً

وأخيرًا، من المهم أن نفهم أنه مع أن القرآن الكريم شفاء لمشاكل الدنيا، إلا أنه لا ينبغي للإنسان أن يقتصر على هذا الغرض وحده. فلا ينبغي للمرء أن يتلوه كمجرد وسيلة لحل المشاكل المؤقتة، فيتعامل مع القرآن الكريم كأداة تُستخدم في أوقات الشدة فقط ثم تُهمل بعد زوال المشكلة. إن وظيفة القرآن الكريم الأساسية هي تحقيق راحة البال في الدنيا والآخرة. إن إهمال هذه الغاية الأسمى واستخدامه فقط كعلاج لمشاكل الدنيا هو إساءة استخدام لدوره، ويتناقض مع سلوك من كان صادقًا تجاهه. يشبه هذا الموقف من يشتري سيارةً مليئةً بالعديد من الملحقات، ولكنها بدون محرك - قد تبدو كاملة، لكنها لا تحقق غايتها الحقيقية. إن هذا السلوك يُظهر عدم الإخلاص تجاه القرآن الكريم. يتجلى الإخلاص الحقيقي عندما يتعامل معه المرء كهدى شامل

مصدر شفاء للقلب، ونور للعقل، وطريق إلى الخلاص الأبدي. إن المنافع الدنيوية من نعمه، ولكنها ثانوية بالنسبة إلى هدفه الأكبر، وهو إيصال البشرية إلى رضوان الله تعالى، والفوز الدائم

كما تشير الآية التالية، لا يمكن العمل بالقرآن الكريم إلا باتباع سنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وهو المظهر المادي للقرآن الكريم. سورة الأنبياء، الآية ١٠٦

"وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ "

هناك شكلان متميزان من الوحي الإلهي. يتكون الأول من كلام الله تعالى نفسه، المحفوظ في القرآن الكريم خطابه الحرفي، الذي تم نقله من خلال الوحي إلى النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم. الشكل الثاني - هو الهداية الإلهية التي تم الكشف عنها للنبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، والتي لم تتخذ شكل الكلام المباشر بل تم نقلها عن طريق الإلهام والفهم. تتجسد هذه الوحي في أقواله وأفعاله وإقراراته المباركة والمعروفة مجتمعة باسم أحاديثه. إنها تمثل الهداية الإلهية المعبر عنها من خلال أقواله وسلوكه، لأنه لم يقل: سورة النجم، الآية 3. أو يفعل بدافع الهوى الشخصي؛ بل كان كل ما أبلغه موحى به من الله تعالى

"ولا يتكلم عن هواه"

لا يمكن فهم القرآن الكريم فهمًا كاملاً إلا بإرشاد أحاديث النبي محمد صلى الله عليه وسلم. تُوضّح الأحاديث معاني الآيات بشرح سياقها الصحيح، كظروف نزولها، والأحداث التي تُشير إليها، وكيفية تطبيقها. فبدون هذه التوضيحات، قد يُساء تفسير الآيات أو تطبيقها تطبيقاً خاطئاً. ولذلك، فإن اتباع أحاديث النبي محمد صلى الله عليه وسلم ليس اختياريًا، بل واجب، إذ تُمثّل التفسير الحيّ للقرآن الكريم، وتُوفّر الإطار العملي لفهم (سورة الحشر، الآية 7، سورة 59). الهداية الإلهية وتطبيقها على الوجه الصحيح

"وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا..."

:وسورة آل عمران الآية 31

"...قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم"

:وسورة النساء الآية 59

يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول

:وسورة النساء الآية 80

«ومن يطع الرسول فقد أطاع الله»

،ومن أسباب أهمية الأحاديث النبوية الشريفة أن القرآن الكريم لا يتضمن جميع تفاصيل الممارسات الإسلامية، مما يستدعي الرجوع إلى أحاديث النبي محمد صلى الله عليه وسلم للتوضيح والإرشاد. فعلى سبيل المثال، لا يمكن فهم أو ممارسة ثلاثة من أركان الإسلام - الزكاة والحج والصلاة - فهماً كاملاً من خلال القرآن الكريم وحده. وقد ذُكرت الصلوات المفروضة، وهي الركن الأساسي من أركان الإسلام، في القرآن الكريم ولكن لم يُشرح بالتفصيل كيفية أدائها أو مواعيدها بدقة. وبالمثل، لم يُحدد القرآن الكريم مقدار الزكاة المفروضة بدقة، بل حدد الفئات المستحقة لها فقط. ومع ذلك، يجب الرجوع إلى الحديث الشريف لفهم هذه الفئات وكيفية توزيعها فهماً كاملاً. أما الحج، فلم يُذكر فيه إلا بعض جوانبه بإيجاز. وقد وضّحت أحاديث النبي محمد صلى الله عليه وسلم تسلسل الشعائر وتفاصيل ما يجب فعله في كل مرحلة. ولولا هذه الأحاديث، لما أمكن تحقيق ثلاثة من أركان الإسلام الخمسة على الوجه الأمثل. لذلك، من الضروري إدراك أن الله تعالى لم يحفظ القرآن الكريم فحسب، بل حفظ أيضاً أحاديث النبي محمد صلى الله عليه وسلم الصحيحة والثابتة، إذ إن كليهما: سورة الحجر، الآية 9. ضروريان لتمام الإسلام وصحته

«إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ»

لم يرد ذكر مصطلح القرآن صراحة في هذه الآية، بل استخدمت كلمة التذكير، والتي تشمل كلا الشكليين من الوحي الإلهي: القرآن الكريم وأحاديث النبي محمد صلى الله عليه وسلم

من المهم أن نلاحظ أن من نقلوا القرآن الكريم إلى الأجيال اللاحقة - الصحابة رضي الله عنهم - هم أنفسهم من نقلوا أحاديث النبي محمد صلى الله عليه وسلم بإخلاص. لذا، فإن إنكار أحدهما يُلقي بظلال من الشك على صحة الآخر وحجيته.

علاوة على ذلك، فإن الصحابة، رضوان الله عليهم، هم من فهموا الإسلام فهماً عميقاً. فقد أثبتوا باستمرار أن القرآن الكريم لا يمكن تطبيقه تطبيقاً صحيحاً دون الرجوع إلى أحاديث النبي محمد صلى الله عليه وسلم فبدون هذه الأحاديث، تكون آيات القرآن الكريم عرضة لسوء التفسير، ويمكن بسهولة إخراجها عن سياقها

الصحيح. ومن خلال أحاديث النبي محمد صلى الله عليه وسلم، يتضح المعنى الدقيق للآيات، ويظهر مقصودها الحقيقي وتطبيقها. ولهذا السبب، يُعد النبي محمد صلى الله عليه وسلم تجسيدًا حيًا وعمليًا للقرآن الكريم، يهدي البشرية في فهمه وتطبيقه. سورة الأنبياء، الآية 107

"وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ "

،إن الرحمة التي أنعم بها النبي محمد صلى الله عليه وسلم على البشرية، وما أنعم به عليه من القرآن الكريم :سورة الأعراف، الآية ١٥٧. قد لُحِصت ببراعة في آية أخرى

الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم". فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون

كل ما أمر به الإسلام وناهي عنه يهدي الإنسان إلى راحة البال في الدنيا والآخرة، حتى وإن لم تتضح له هذه الحكمة فورًا. فبحسن استغلالهم للنعم التي وهبوا إياها، يضمنون توازنًا متناغمًا بين حالتهم النفسية والجسدية، ويضعون كل شيء وكل شخص في مكانه الصحيح، ويهيئون أنفسهم للحساب يوم القيامة. وهذا السلوك يُفضي بطبيعة الحال إلى الطمأنينة في الدنيا والفوز الأبدي في الآخرة. علاوة على ذلك، فإن العمل، بتعاليم الإسلام يضمن الوفاء بحقوق الآخرين، مما يؤدي بدوره إلى نشر العدل والرحمة والسلام في المجتمع. ويهيئ بيئةً يزدهر فيها الأفراد والمجتمعات

علاوةً على ذلك، فقد ورث الناس مسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر النبيلة عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم. وهذا الواجب ليس مجرد واجب اجتماعي، بل أمانة مقدسة، تضمن إحقاق الحق، وكبح جماح

الفساد، والحفاظ على النسيج الأخلاقي للمجتمع. وعندما يؤدي هذا الدور بحكمة ورفق وإخلاص، يصبح
سورة آل عمران، الآية ١١٠. وسيلة لإصلاح الجماعة ومصدرًا للبركة الإلهية

«...كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ

من الضروري أن يواصل الناس الدعوة إلى الخير والتنفير من الشر وفقًا لتعاليم الإسلام، وأن يفعلوا ذلك
بلطف وحكمة. لا ينبغي للإنسان أن يظن أن طاعته لله تعالى ستقيه تلقائيًا من التأثيرات السلبية للضالين. فكما
أن التفاحة الطيبة تفسد بوضعها بين التفاحات الفاسدة، كذلك من يهمل في الدعوة إلى الخير سيتأثر في النهاية
بأفعالهم الضارة، سواء كانت صريحة أم خفية

حتى لو استمر المجتمع في معصية الله تعالى، يجب على المرء أن يستمر في نصيح من يعولهم، كأفراد
الأسرة، لأن سلوكهم السلبي قد يكون له تأثير أكبر عليهم. علاوة على ذلك، تقع هذه المسؤولية على عاتق
كل مؤمن، كما ورد في حديث سنن أبي داود رقم 2928. حتى لو واجه المرء تجاهلاً أو رفضاً من الآخرين
فعليه أن يؤدي واجبه بالمداومة على النصيحة اللطيفة، مدعومة بالدليل الصحيح والمعرفة. ومع ذلك، فإن
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دون فهم سليم وحكمة وأدب حسن لن يؤدي إلا إلى تنفير الناس عن الحق
وإبعادهم عن الهداية السليمة، مما يضر في نهاية المطاف بالمجتمع بأكمله. فقط بالأمر بالمعروف والنهي
عن المنكر على الوجه الصحيح يمكن للمرء أن يحمي نفسه من آثار المجتمع الفاسد ويأمل في نيل مغفرة الله
سورة الأعراف، الآية 164. تعالى يوم القيامة

"وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قالوا مبرأة إلى ربكم ولعلمهم يتقون"

ومع ذلك، إذا انشغل المرء بنفسه متجاهلاً سلوك من حوله، فإنه يخشى أن يؤثر سلوك الآخرين السلبي عليه في نهاية المطاف ويؤدي إلى ضلاله. إن إهمال واجب الدعوة إلى الخير والنهي عن الشر يسمح للفساد بالانتشار دون رادع، ومع مرور الوقت، حتى التعرض البسيط لمثل هذا السلوك قد يضعف عزيمة المرء ويهدم مبادئه.

:سورة الأعراف، الآية 157

"الذي يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث"

بما أن الله تعالى هو الخالق الوحيد للكون وما فيه، فهو وحده يعلم يقيناً ما ينفع الإنسان وما يضره، حتى وإن لم يكن هذا الأمر واضحاً للعيان. ومن الأمثلة الصارخة على ذلك تحريم الخمر. فبينما لم تكشف الأبحاث العلمية الحديثة إلا مؤخراً عن العديد من آثاره المدمرة على جسم الإنسان وعقله، فقد حرّمه الله تعالى منذ أكثر من أربعة عشر قرناً، مُظهرًا بذلك كمال علمه وحكمته.

عموماً، الأمور المحرمة في الإسلام قليلة، وهي محرمة تحديداً لأن ضررها يفوق أي نفع متوقع. وقد أكد الله تعالى هذا المبدأ صراحةً قبل تحريم الخمر والميسر تحريماً تاماً، حين أعلن أن ضررهما يفوق أي نفع: سورة البقرة، الآية ٢١٩. محتمل يُتصور. وهذه الحقيقة جلية لمن تأمل بعقل سليم وفطنة سليمة

«...يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس»

مبادئ الإسلام وُجدت فقط لمصلحة -الأفراد ورفاهيتهم. الله تعالى مستقل تمامًا عن خلقه؛ لا ينفعه بطاعتهم، ولا يتضرر من معصيتهم. كل أمر ونهى عنه وُضع لمصلحة الناس أنفسهم، يهديهم إلى ما يغذي قلوبهم ويصون كرامتهم، ويضمن لهم النجاح في الدارين. وهكذا، عندما يلتزم المرء بتعاليم الإسلام، فإنه في الواقع: سورة الممتحنة، الآية 6. ينفع نفسه، بينما إهماله أو رفضه لهذه المبادئ لا يضر إلا نفسه

"ومن تولى فإن الله هو الغني الحميد"

لذا، من الضروري أن يعتنق الأفراد تعاليم الإسلام ويطبقوها لما فيه خيرهم -وصالحهم الأسمى. وهذا يتطلب منهم استغلال النعم التي أنعم الله عليهم بها، كما بينتها الهدى الإسلامي. فكل نعمة - سواء أكانت ثروة أم صحة أم علمًا أم نفوذًا - أمانة، وحسن استخدامها يجلب السمو الروحي والوئام الدنيوي. ومن خلال هذا الموقف وحده ينال الإنسان راحة البال الحقيقية ويحقق النجاح في الدنيا والآخرة. ويتحقق هذا النجاح بتنمية حالة من التوازن النفسي والبدني، ووضع كل شيء وكل شخص في مكانه الصحيح في حياة الإنسان. فعندما تُرتب أولويات الإنسان وفقًا للحكمة الإلهية، يرتاح القلب، وينضبط الجسد، وينتفع المجتمع بالعدل والرحمة وهكذا، لا تكون تعاليم الإسلام عبئًا، بل رحمة، تهدي الأفراد إلى العيش بقصد وتوازن ووضوح، وتُعدهم: سورة النحل، الآية 97 ج. للقاء الله تعالى الأبدى

"من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون"

أما إذا لم يستغلوا النعم الممنوحة لهم على الوجه الذي شرعه الله تعالى، فإن ما يملكونه من عطايا سيصبح سببًا للاختلال. ستضطرب حالتهم النفسية والجسدية، وسيُسيئون ترتيب أولوياتهم بإعطاء أهمية مفرطة لبعض الأمور وإهمال بعضها الآخر، وسيُقصّرون في الاستعداد الكافي للحساب يوم القيامة. هذا الإهمال يؤدي حتمًا إلى التوتر والمشقة والصعوبة في الدنيا والآخرة. حتى لو تمتعوا ظاهريًا ببعض الرفاهية الدنيوية، سيظلون

في باطنهم محرومين من السكينة والرضا الحقيقيين، لأن النعم إذا أساءوا استغلالها تحولت إلى أعباء بدلاً العشرون من سورة طه، الآيات ١٢٤-١٢٦ من أن تكون مصدرًا للنفع. الفصل

ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد "كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى

عليهم أن يقتدوا بالمريض الحكيم الذي يلتزم بتعليمات طبيبه ويلتزم بها بإخلاص، مدرّكاً أن ذلك في نهاية المطاف يصب في مصلحته، حتى لو تضمنت الوصفة دواءً مُراً أو نظاماً غذائياً صارماً. وكما يتحمل هذا المريض طوعاً مشقة مؤقتة ليضمن صحة دائمة، كذلك يفعل من يتعلم تعاليم الإسلام ويعمل بها. فبإزالة العوائق النفسية والجسدية التي تعيق النمو الروحي، يمهّدون الطريق إلى عافية حقيقية -في الدنيا ونجاح أبدي: سورة الأعراف، الآية 157. في الآخرة

الذي يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم "...
"...إصرهم والأغلال التي كانت عليهم

لا ينبغي أن ينخدع المرء بالظن بأن قيود الإسلام تحرم الإنسان من حريته. في الواقع، من يعيش بلا حدود، هو من يُكبّل بأعباء المعاناة النفسية والجسدية والاجتماعية. الحرية الحقيقية لا تكمن في الانغماس المطلق بل في حياة منضبطة تسترشد بالحكمة الإلهية. يمكن توضيح هذه الحقيقة من خلال سيناريو بسيط. أحد الوالدين المُرعِبين يُقيّد نظام طفله الغذائي، فيسمح له بتناول الأطعمة غير الصحية في مناسبات نادرة، مع تشجيعه على تناول طعام صحي ومتوازن. قد يرى الطفل هذه القيود قيوداً غير مرغوب فيها، ويشعر بأنه مُقيّد بإصرار والديه على تناول طعام صحي. في المقابل، يُمنح طفل آخر الحرية الكاملة في تناول ما يشاء متى شاء، وبأي كمية. يشعر هذا الطفل بالحرية التامة، غير مُثقل بأي قيود. عندما يلتقي هذان الطفلان غالباً ما يسخر أحدهما من الآخر الذي يعيش في ظل قيود غذائية أو يحتقره. حتى أن الطفل المُقيّد قد يشعر بالشفقة على نفسه -عند ملاحظة حرية الآخر الظاهرة. للوهلة الأولى، يبدو أن الطفل الذي لا حدود له قد

اكتشف السعادة، بينما يُثقل كاهل الآخر بالقيود. لكن مع مرور الوقت، تتضح الحقيقة. يُصاب الطفل الذي لا حدود له بمشاكل صحية خطيرة كالسمنة والسكري وارتفاع ضغط الدم. تُسبب هذه الأمراض الجسدية اضطرابات نفسية، تُضعف ثقته بنفسه وصورته الذاتية، وتُجبره على الاعتماد على الأدوية في ظل مواجهة تحديات اجتماعية جمة. وتصبح حريته المزعومة هي السبب الحقيقي لبؤسه

في المقابل، ينضج الطفل الذي تحمّل القيود ليصبح -فردًا متكاملًا، قويًا في عقله وجسده. انضباطه يُنمّي ثقته بنفسه ومرونته وقدراته، مما يُمكنه من النجاح في الحياة. يظلّ متحررًا من قيود المرض والأدوية والصعوبات الاجتماعية، بعد أن رُبّي بتوازن وحكمة. وهكذا، ينمو الطفل الذي بدا يومًا مقيّدًا ليصبح شخصًا حرًا ومستقلًا. بحق، بينما يصبح من عاش بلا حدود أسيرًا لعواقب خياراته

،باختصار، العبد الحقيقي هو من تعلق بكل شيء سوى الله تعالى، سواءً أكان ذلك وسائل التواصل الاجتماعي، أم الأعراف الاجتماعية، أم الموضة، أم الثقافة. هذا العبودية تؤدي حتمًا إلى مشاكل نفسية وجسدية واجتماعية. أما الحر الحقيقي فهو من خضع لله تعالى وحده، مستغلًا نعمه التي أنعم بها عليه وفقًا لتعاليم الإسلام. هذا الخضوع يؤدي إلى راحة البال والجسد، التي تتحقق بالتوازن والانضباط وترتيب الأولويات الصحيح، مع الاستعداد للمحاسبة يوم القيامة. سورة الأعراف، الآية ١٥٧

الذي يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم "...
"...إصرهم والأغلال التي كانت عليهم

بالإضافة إلى ذلك، لتحقيق الحرية النفسية والجسدية الحقيقية، يجب على المرء أن يظل متمسكًا ارتباطًا وثيقًا بمصدري الهداية الأصيلين: القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. فجميع مصادر -المعرفة الدينية المزعومة الأخرى لا تؤدي إلا إلى تعقيد حياة المرء وصرفه عن الصراط المستقيم. بل كلما زاد اعتماد المرء على مصادر بديلة، حتى وإن بدت إيجابية، قلّ اعتماده على هذين المصدرين الرئيسيين للهداية وهذا يؤدي حتمًا إلى الضلال. ولذلك، حدّر النبي محمد صلى الله عليه وسلم في حديث رواه أبو داود برقم

من أن أي أمر لا يستند إلى هذين المصدرين سيرفضه الله تعالى . هذا المبدأ يصون صفاء الإيمان 4606 ويضمن عدم إدخال الناس على بدع أو ممارسات تحرف الدين . يكمن خطر اللجوء إلى مصادر أخرى في ، أن يبدأ المرء تدريجيًا في تبني ممارسات تتعارض مع تعاليم الإسلام . هكذا يُضلل الشيطان الناس تدريجيًا حتى يبتعدوا عن الحق . على سبيل المثال، عند مواجهة المصاعب، قد يُنصح المرء بممارسة بعض التمارين الروحية التي تُخالف التعاليم الإسلامية . فإذا كان غافلًا عنها وميًا لا اتباع مصادر بديلة، فقد يقع بسهولة في هذا الفخ، مُؤديًا طقوسًا لا أساس لها في الإسلام . والأسوأ من ذلك، أن هؤلاء الأفراد قد يبدأون في اعتناق معتقدات عن الله تعالى والكون تتعارض مع التعاليم الإسلامية، مثل الاعتقاد الخاطئ بأن الناس أو الأولياء أو الكائنات الخارقة للطبيعة قادرون على إملاء مصائرهم . تنشأ هذه الأفكار لأن فهمهم مُستمد من مصادر غير مصدري الهداية . بل إن بعض هذه الممارسات الضالة تتخطى حدود الإيمان، كالسحر الأسود، الذي يُخالف تمامًا أسس العقيدة الإسلامية) . سورة البقرة، الآية ١٠٢)

وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت ... "وما روت . وما يعلمان أحدًا حتى يقولوا إنما نحن فتننة فلا تكفر

قد يُعرّض المرء إيمانه للخطر دون قصدٍ منه، إذ يميل إلى الاعتماد على مصادر بديلة للمعرفة الدينية . ولذلك، فإنّ الانخراط في بدع دينية تفقر إلى أي أساس في المصدرين الرئيسيين للهداية - القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم - يُشبه في الواقع اتباع سبيل الشيطان . فهذه الممارسات تُبعد الإنسان تدريجيًا عن الحقيقة، فتُستبدل الوضوح بالحيرة، والإخلاص بالضلال . لذا، فإنّ السلامة الحقيقية تكمن في التمسك القوي بالقرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، فهما معًا النوران اللذان يحفظان الإيمان :من الفساد والانحراف . سورة البقرة، الآية 208

يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين

علاوة على ذلك، عندما يبدأ الناس بالتعامل مع مصادر أخرى للمعرفة الدينية، فإنهم يُعقدون الإسلام حتمًا لدرجة تجعل تطبيقه عبئًا ثقيلًا. فبدلاً من أن يختبروا البساطة والرحمة التي أرادها الله تعالى، يجدون أنفسهم، مُثقلين، ونتيجةً لذلك، يقعون في المعصية، مُعتبرين الدين صعبًا للغاية. هذا التحريف لا يؤثر عليهم فحسب بل يُثبِّط الجيل القادم أيضًا. عندما يرى الشباب شيوخهم يُعقدون الإسلام بلا داع من خلال البدع، يشعرون هم أيضًا بالإحباط ويترددون في تطبيقه. وهكذا، ما كان يُفترض أن يكون طريقاً لليسر والهداية، يتحول إلى مصدر مشقة ونفور. والحماية الوحيدة من هذه النتيجة هي التمسك بتعاليم القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، مع تجنّب جميع مصادر -المعرفة الدينية الأخرى المزعومة. وبذلك، يُحافظ المرء على نقاء الإسلام ووضوحه وسهولة فهمه، ويضمن أن يظل مصدرًا للسلام والهداية والرحمة للفرد والمجتمع: سورة الأنبياء، الآيات 106-107

"إن في هذا لبلاغاً لقومٍ عابدين وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين"

من المتعارف عليه عالمياً أن أي اختراع يفشل في تحقيق الغرض الذي صُنِع من أجله، يُعتبر فاشلاً، بغض النظر عن الميزات الرائعة الأخرى التي قد يمتلكها. على سبيل المثال، الهاتف المجهز بالعديد من الوظائف المتقدمة، مثل -كاميرا عالية الجودة، سيظل معيباً إذا لم يتمكن من أداء وظيفته الأساسية وهي إجراء المكالمات: سورة الذاريات، الآية 56. وبالمثل، فإن البشر خلق الله تعالى، وُجدوا لغرض محدد

"وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُون"

إن غاية الإنسان إذن هي عبادة الله تعالى وطاعته. وهذه الطاعة الصادقة تستلزم تنفيذ أوامره واجتناب نواهيه ومواجهة القدر بالصبر، وذلك كله على نهج النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم. وبهذا يضمن الإنسان وهذا النهج يضمن له حالة نفسية وجسدية متوازنة، مما يُمكنه. استغلال كل نعمة أنعمها الله عليه فيما يرضيه من تحديد أولويات التزاماته وعلاقاته في حياته. كما يُسهّل عليه الاستعداد الكافي للحساب يوم القيامة. ومن ثم، فإن هذا السلوك يُفضي إلى راحة البال في الدنيا والآخرة.

على العكس من ذلك، فإن من أهمل هذا الهدف سيعيش حتمًا حياةً بلا معنى ولا هدف، مهما بدا أنه يحققه من نجاحات دنيوية. تتجلى هذه الحقيقة جليةً عند ملاحظة المجتمع: فأصحاب الثراء والمكانة والنفوذ ظاهريًا هم غالبًا أكثر من يُصابون بالقلق والتوتر والاكتئاب وإدمان المخدرات والكحول. تنشأ هذه الحالات بسبب سيؤدي هذا السلوك. إخفاقهم في تحقيق هدفهم الحقيقي من الخلق، مُسيئين بذلك استخدام نعم الله تعالى عليهم إلى حالة نفسية وجسدية غير متوازنة، تدفع الأفراد إلى عدم ترتيب أولوياتهم في التزاماتهم وعلاقاتهم الحياتية بشكل صحيح. علاوة على ذلك، سيعيق هذا السلوك الاستعداد الكافي للحساب يوم القيامة. وبالتالي، سيؤدي هذا السلوك إلى التوتر والمتاعب والصعوبات في الدنيا والآخرة، بغض النظر عن أي تمتع بالرفاهية الدنيوية. سورة طه، الآية ١٢٤:

"ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا"

لا ينبغي للإنسان أن يخدع نفسه بالاعتقاد بأنه يعيش حياة هادئة إذا لم يستغل النعم الدنيوية التي وُهِبَتْ له استغلالاً صحيحاً، حتى لو أدى ظاهرياً الواجبات الأساسية، كالصلوات الخمس. إن الغاية الحقيقية من الحياة: تتجاوز مجرد بعض الطقوس اليومية أو السنوية، بل تشمل كل نفس وكل جانب من جوانب وجود الإنسان. التعاملات المالية، والسلوك الشخصي، والتفاعلات الاجتماعية، والمسؤوليات المهنية، والحياة الأسرية. من يُنجز الحد الأدنى فقط، مُهملاً الغاية الأوسع من الخلق، يكون كأناء يبدو جميلاً من الخارج، ولكنه فارغ من الداخل. قد يبدو ظاهرياً كاملاً، لكن حياته في باطنه تفتقر إلى الجوهر. ولهذا السبب، لا يزال كثير من الناس الذين يؤدون الواجبات يعانون من التوتر والقلق والاكتئاب، إذ يغفلون أن غايتهم ليست مقتصرة على بضع ساعات في اليوم أو بضعة أيام في السنة، بل تشمل الحياة بأكملها.

من أهم أسباب تجاهل هذه الحقيقة التقليد الأعمى للمجتمع والموضة والثقافة ووسائل التواصل الاجتماعي. فعندما يتخلى الناس عن استخدام عقولهم، يبدأون في الاعتقاد خطأً بأن المعنى يكمن في المساعي الدنيوية كالثراء والوظيفة والصدقات والروابط العائلية. وبهذا، ينحدرون إلى مستوى الماشية، لا تحركهم إلا الغريزة والرغبة. بدلاً من ذلك، عليهم أن يتعلموا من هدي الإسلام ويتأملوا في خيارات الآخرين وعواقبها. وعندما

يتم ذلك بإخلاص، يتضح أن الوجود الهادف لا يكمن في السعي وراء الأمور الدنيوية، بل في تحقيق غاية الخلق ذاتها - كما أن الاختراع لا قيمة له إلا عندما يؤدي وظيفته الأساسية. إن عدم إدراك هذه الحقيقة هو مأساة البشرية الحقيقية.

لذلك، يجب على جميع الناس السعي لتحقيق غاية الخلق باستخدام النعم التي وُهِبَتْ لهم بما يرضي الله تعالى، كما هو مبين في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. هذا السبيل وحده يؤدي إلى حياة ذات معنى وهدف وسلام حقيقيين - في الدنيا والآخرة، من خلال تحقيق حالة ذهنية وجسدية متوازنة، ومن خلال: سورة الرعد، الآية 28. وضع كل شيء وكل شخص في حياتهم على النحو الصحيح

"ألا بذكر الله تطمئن القلوب"

وسورة النحل الآية 97:

"من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون"

لذا، يجب على الإنسان قبول التعاليم الإسلامية والعمل بها لما فيه مصلحته، حتى لو تعارضت مع رغباته الشخصية. عليه أن يقتدي بمريض عاقل يتبع نصيحة طبيب ماهر، فيقبل دواءً مراراً ويتبع نظاماً غذائياً صارماً، عالماً أن ذلك في النهاية لسلامته. وكما ينال هذا المريض صحة نفسية وجسدية جيدة بالالتزام بالمنضبط كذلك سيحظى به من يقبل تعاليم الإسلام ويعمل بها بإخلاص. ذلك أن الله تعالى هو وحده الذي يملك المعرفة الكاملة اللازمة لتحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، ولوضع كل شيء وكل شخص في حياة الإنسان على الوجه الصحيح. إن المعرفة البشرية جمعاء - على الرغم من البحث المكثف والتقدم التكنولوجي - لن تكفي أبداً لتحقيق هذه النتيجة. فالفهم البشري محدود بطبيعته بالتجربة والتحيز وبعد النظر. فهو لا يقدم حلولاً لكل

مشكلة قد يواجهها الإنسان، ولا يزيل جميع أشكال الضيق النفسي والجسدي، ولا يرشد الناس إلى ترتيب أولوياتهم بشكل صحيح. الله تعالى وحده يملك العلم الكامل والمطلق بخلقه. ومن رحمته الواسعة، أنعم على البشرية بهذا الهداية من خلال القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. سورة الأنبياء، الآيتان ١٠٦-١٠٧.

" إن في هذا لبلاغاً لقوم عابدين وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين "

تتضح حقيقة هذا الأمر عندما يلاحظ المرء الفرق بين من يستخدم نعمه وفقاً للتعاليم الإسلامية ومن لا يفعل. ومن المثير للاهتمام أنه على الرغم من أن معظم المرضى لا يفهمون التفاصيل العلمية وراء الأدوية الموصوفة لهم، إلا أنهم ما زالوا يتقنون بأطبائهم دون تردد. في المقابل، لا يأمر الله تعالى الناس باتباع الإسلام دون وعي، بل يدعوهم إلى التأمل العميق في تعاليمه، حتى يشهدوا ويقدرُوا حكمته وآثاره الإيجابية في حياتهم. إنه يشجع على التأمل، لا التقليد الأعمى، حتى يدرك الناس حقيقة هدايته من خلال الأدلة الواضحة والبصيرة الشخصية. ومع ذلك، فإن هذا الاعتراف يتطلب من المرء أن يتعامل مع تعاليم الإسلام بصدق: سورة يوسف، الآية 108. وتواضع وعقل منفتح وغير متحيز

"...قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني"

:سورة الأنبياء الآية 108

"قل إنما يوحى إلي أنما ألهمكم إله واحد فهل أنتم مسلمون "

تُبين تعاليم الإسلام بوضوح أن المستحق الوحيد للطاعة المطلقة هو خالق كل شيء ورازقه - الله تعالى . في جوهره، يصبح من يختاره المرء أن يطيعه، في الحقيقة، موضع عبادته، حتى لو أنكر الإيمان بأي كائن إلهي ظاهرياً . ذلك لأن الطاعة تعبير عن العبودية، وعندما تُوجّه هذه العبودية لغير الله تعالى، فإنها تُشكّل عبادة، في غير محلها وشكلاً من أشكال الاختلال الروحي . الطبيعة البشرية تميل بطبيعتها إلى الخضوع؛ فكل إنسان بوعي أو بغير وعي، يتبع ويخدم شيئاً ما . يتجلى هذا الخضوع لدى البعض في طاعة الآخرين - القادة والمشاهير والأقران . ويتخذ لدى آخرين شكل التعلق بوسائل التواصل الاجتماعي، أو صيحات الموضة، أو العادات الثقافية، أو الرغبات الشخصية . ومع ذلك، فإن جميع هذه المواضيع من الطاعة مؤقتة وعابرة، عاجزة عن تحقيق إشباع دائم أو هداية نهائية . سورة الفرقان، الآية 43

"...أرأيت من اتخذ إلهه هواه"

على النقيض من ذلك، عندما يوجه الإنسان طاعته لله تعالى وحده، فإنه ينسجم مع غاية خلقه . هذا النوع من العبودية مُحَرَّر لا مُقَيَّد، إذ يُحرِّر الفرد من عبودية المخلوقات - سواء أكانت توقعات اجتماعية أم مساعي مادية أم أهواء شخصية - ويُرسِّخه في علاقة إخلاص لله الأزلي المُكتفي بذاته . بهذه الطاعة، يُحقِّق الإنسان الصفاء والهدف والسلام الداخلي، من خلال تحقيق حالة ذهنية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في حياته على النحو الصحيح، حيث لا يعود يتأثر بتأثيرات العالم الزائلة والمتناقضة، بل يُهتدي بحكمة الوحي الإلهي الثابتة .

لذا، يُطلب من المسلمين التأكد من أن إعلان إيمانهم الشفهي مُثبتٌ بأفعالٍ مُخلصةٍ ومُستمرة . وهذا يستلزم تقديم طاعة الله تعالى على كل شيء وفي كل ظرف . فالطاعة الحقيقية لله تعالى تقتضي استغلال النعم المُنعم بها - كالمال والوقت والعلم والنفوذ - بما يُرضي الله، كما هو مُبينٌ جلياً في القرآن الكريم وأحاديث النبي محمد صلى الله عليه وسلم . عندما يُبني المؤمن حياته على هذا الأساس، فإنه يُحقق فطرته حالةً من التوازن العقلي والبدني، إذ يتعلم أن يُعطي كل شيء وكل شخص مكانه الصحيح وفقاً للهداية الإلهية . ويمتد هذا التناغم إلى ما هو أبعد من شؤون الدنيا، إذ يُهيئ نفسه جيداً لمُحاسبة يوم القيامة . وبذلك، لا يُحقق جوهر الإيمان وغايته الحقيقية فحسب، بل يُحقق أيضاً الطمأنينة الحقيقية في الدنيا والفلاح الأبدي في الآخرة . وهذه

هي النتيجة الطبيعية للعيش وفق الحكمة الإلهية، ووضع الله تعالى في مركز طاعته وإخلاصه، وبالتالي مواعمة جميع جوانب الحياة مع حقيقته الأبدية

على العكس من ذلك، فإن من ينكر وحدانية الله تعالى، ويوجه طاعته وإخلاصه نحو كيانات أخرى - سواء أكانت أشخاصاً أم ممتلكات أم رغبات أم أيديولوجيات - سيسيء استخدام النعم التي وُهِبَتْ له لا محالة. يؤدي هذا التوجيه الخاطئ إلى الفوضى وعدم التوازن، مما يُخلّ بسلامته العقلية والجسدية. تُشَوِّه أولوياته، إذ يُعطي أهمية مفرطة لأمر دنيوية زائلة، مُهملاً ما يستحق اهتمامه حقاً: تحقيق غايته بطاعة الله تعالى الصادقة، ونتيجة لذلك، سيفشل في الاستعداد الكافي لحسابه يوم القيامة. يتجلى هذا الإهمال في توتر دائم، وارتباك وسخط في هذه الدنيا، حتى لو بدا أنه يتمتع ببعض الكماليات المادية. إن ملذات هذه الحياة، الخالية من الرحمة والهداية الإلهية، لا تُوفر حماية من الفراغ الداخلي أو السلام الدائم. في نهاية المطاف، يجد هؤلاء الأفراد أن ملذات الدنيا - مهما كثرت - لا تحميهم من اليأس الروحي في هذه الحياة، ولا من الحساب العسير الذي ينتظرهم في الآخرة. سورة طه، الآيات ١٢٤-١٢٦

ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد "كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى

سورة الأنبياء، الآية 108

"قل إنما يوحى إلي أنما إليكم إله واحد فهل أنتم مسلمون "

عندما يتأمل المرء بعمق في خلق السماوات والأرض، وفي الأنظمة العديدة التي تعمل فيهما بتناغم تام، فإنه يهتدي حتماً إلى إدراك وجود كيان واحد أسمى، خلق الكون بأسره ويديمه، ألا وهو الله تعالى. كل عنصر

في الكون يشهد على حكمته اللامتناهية وتصميمه الدقيق. تأمل، على سبيل المثال، المسافة المثالية بين الأرض والشمس: أي ابتعاد طفيف سيحرق الكوكب، بينما أي ابتعاد طفيف سيجعله متجمداً وبلا حياة وبالمثل، فقد دُقق تركيب الأرض بدقة للحفاظ على جو متوازن ونقي، مما يسمح لجميع أشكال الحياة بالازدهار. هذه الدقة الدقيقة لا يمكن أن تكون وليدة الصدفة، بل هي دلالة واضحة على الخلق المتعمد: سورة البقرة، الآية ١٦٤. والرزق المستمر من قبل من له علم وقدر مطلقان

"...واختلاف الليل والنهار ..."

لقد رُسم تعاقب الليل والنهار بتوازنٍ بديع، مع اختلاف مدتهما على مدار العام، بتدبير إلهيٍّ جليلٍ لضمان أعظم منفعةٍ للبشرية. فإذا طالت الأيامُ أكثر من اللازم، عانى الناس من الإرهاق نتيجةً لطول فترات النشاط وعلى العكس، إذا طالت الليالي أكثر من اللازم، فلن تكون هناك فرصٌ كافيةٌ لكسب الرزق أو الانخراط في أنشطةٍ نافعة، كإكتساب المعرفة. وإذا قصرت الليالي، حُرِم الناس من الراحة المُنعشة اللازمة للصحة البدنية والعقلية. وبالمثل، فإن أي تغييرٍ كبيرٍ في توازن الليل والنهار من شأنه أن يُعطّل الدورات الزراعية، ويُقلّل من موارد الرزق المتاحة للإنسان والحيوان. هذا التناغم الدقيق، الذي لا يُرى فقط في تعاقب الليل والنهار، بل في جميع أنظمة الكون، يُمثل دليلاً واضحاً لا لبس فيه على وحدانية الله تعالى. فلو كان هناك آلهةٌ متعددةٌ تحكم الكون، لأدى اختلاف إراداتهم وأوامرهم حتماً إلى الفوضى والاضطراب. فالنظام المحكم الذي يسود الخلق كله يشهد على وحدة الله تعالى وقدرته وحكمته التامة. سورة الأنبياء، الآية ٢٢

"وَلَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا"

:سورة البقرة، الآية 164

"والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء "

،إن التأمل في دورة الماء المتوازنة تمامًا دليلٌ جليّ على خالقٍ حكيمٍ مُدبّرٍ. يتبخر ماء المحيطات والبحار ويصعد إلى الغلاف الجوي، ويتكثف مُشكّلًا سُحبًا تُسقط المطر على الأرض. هذا المطر، الحمضي في البداية، ينزل على الجبال، حيث تُعادل المعادن الموجودة فيها حموضته، مما يجعل الماء نقيًا وصالحًا لقوت الناس والحيوانات والنباتات. وأي خلل في هذا التوازن الدقيق من شأنه أن يُسبب دمارًا واسع النطاق للحياة على الأرض.

وبالمثل، يؤدي محتوى الملح في المحيطات وظيفّة تنقيّة أساسية. فهو يمنع تراكم التحلل الناتج عن الكائنات البحرية العديدة التي تهلك فيه. فإذا تلوّث البحر، ستختفي الحياة البحرية، وينتشر الفساد الناتج عن ذلك إلى اليابسة، مسمّمًا أساس الحياة. كما أن التركيب الكيميائي لمياه البحر متوازن تمامًا للسماح بتعايش الحياة البحرية والطفو اللازم للسفن لعبور سطحه. ولو تغير هذا التوازن ولو قليلًا، لسمح بإحدى هاتين الظاهرتين إما الحياة داخل البحر أو الملاحه عليه - ولكن ليس كليهما. ونظرًا لأن النقل البحري لا يزال الوسيلة - الأساسية لنقل البضائع عالميًا، فإن هذا التوازن لا غنى عنه لاستمرار الحضارة الإنسانية.

علاوة على ذلك، عند التأمل في تنوع الكائنات الحية، يتضح أنها خُلقت في انسجام تام مع بيئاتها، ليس نتيجة طفرات عشوائية أو ناقصة، بل بتصميم مدروس. على سبيل المثال، مُنح الجمل خصائص تُمكنه من تحمّل حرارة الصحراء الشديدة والبقاء لفترات طويلة دون ماء. تكيفاته الجسدية والبيولوجية - كسنامه لتخزين الدهون، ورموشه الطويلة للحماية من الرمال، وأقدامه المبطنة للمشّي على التضاريس الحارقة - تُجسّد خلقًا. سورة الغاشية، الآية 17. هادفًا وذكيا مُلائمًا تمامًا لمحيطه

أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ؟

تُقدّم الماعز مثلاً آخر على التصميم الدقيق والهادف. فتركيبها الداخلي مُرتب بطريقة تُفصل تماماً أي شوائب أو فضلات في جسمها عن الحليب الذي تُنتجه. تضمن هذه الآلية البيولوجية الدقيقة بقاء الحليب نقيًا وأمنًا وصالحًا للاستهلاك البشري. فإذا كان هذا النظام ناقصًا، ولو قليلًا، فقد يتلوث الحليب، مما يجعله ضارًا أو غير صالح للأكل. إن هذه الوظيفة المثالية في مخلوق بسيط كالماعز دليلٌ واضح على حكمة الله تعالى وقدرته: سورة النحل، الآية 66. في صنع كل جانب من جوانب الخلق بدقة متناهية

وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها من بين فرث ودم لبنًا خالصًا سائغًا للشاربين

لكل نوع عمر محدد، وهو نظام مصمم للحفاظ على التوازن البيئي ومنع أي نوع من الهيمنة على الآخرين. خذ الذبابة الشائعة كمثال: فهي تعيش لمدة ثلاثة إلى أربعة أسابيع فقط، ومع ذلك فهي قادرة على وضع ما يصل إلى خمسمائة بيضة. لو طُور عمرها، لازدادت أعداد الذبابة بشكل كبير، مما قد يُهيمن على الأنواع الأخرى ويُخل بالتوازن الطبيعي. على العكس من ذلك، غالبًا ما تُنتج الكائنات ذات الأعمار الطويلة جدًا ذرية قليلة جدًا، مما يضمن بقاء أعدادها متناسبة ولا تُهدد الاستقرار البيئي. لا يُمكن أن تُعزى هذه الأعمار والأنماط التكاثرية المُعيرة بعناية إلى الصدفة، ولا يُمكن تفسيرها بالكامل من خلال عملية التطور. بل إنها تعكس الحكمة الدقيقة والتخطيط المُدبر لله تعالى، الذي يحافظ على التوازن والنظام في جميع أنحاء الخلق: سورة البقرة، الآية ١٦٤

"...وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض..."

للرياح أغراضٌ أساسيةٌ متعددةٌ تُبرز التوازنَ الدقيق الذي وضعه الله تعالى. ومن أهم وظائفها تسهيلُ تلقيح النباتات، وهو أمرٌ حيويٌّ لتكاثر المحاصيل والنباتات والأشجار، مما يضمنُ استمرارية الحياة على الأرض تاريخياً، لعبت الرياح دوراً حاسماً في السفر البحري، مما سمحَ للسفن بالإبحار عبر المحيطات، وهي وسيلةٌ نقلٍ لا تزالُ الوسيلةَ الأساسيةَ لنقل البضائع عالمياً. إضافةً إلى ذلك، تتولى الرياح حمل الغيوم الممطرة إلى

مناطق محددة، موفرة المياه الأساسية اللازمة لاستمرار جميع أشكال الخلق. يعمل هذا النظام في توازن ملحوظ. بغياب الرياح تماماً من شأنه أن يعطل التلقيح، ويُعيق السفر، ويمنع التوزيع السليم للأمطار، مسبباً فوضى للكائنات الحية. وعلى العكس من ذلك، فإن الرياح الشديدة أو غير المنضبطة ستسبب دماراً واسع النطاق. وبالمثل، فإن كمية الأمطار متوازنة بدقة: فقلة الأمطار تؤدي إلى الجفاف والمجاعة، بينما تؤدي الأمطار الغزيرة إلى فيضانات كارثية. هذا التنظيم المثالي يُظهر حكمة الله تعالى وقدرته في تنظيم العالم: سورة المؤمنون، الآية ١٨. الطبيعي بما يضمن استمرار الحياة مع الحفاظ على النظام والاستقرار

"ولقد أنزلنا من السماء ماءً بقدر فأسكناه في الأرض وإنا على ذهابٍ به لقادرون"

من يتأمل هذه الأنظمة وغيرها من الأنظمة المتوازنة بدقة - الحركات الدقيقة للسموات، ودورة الماء، وتوزيع الحياة، والتوازن الدقيق للطبيعة - لا يمكنه أن ينكر منطقياً وجود خالق واحد قادر على كل شيء. إن التنسيق والترابط المتقن لهذه الأنظمة يدلان بلا شك على أن الله تعالى هو الكائن الوحيد الذي يملك السلطة والحكمة التامتين على الخلق أجمعين). سورة الأنبياء، الآية 108)

"قل إنما يوحى إلي أنما إليهم إله واحد فهل أنتم مسلمون"

بما أن الله تعالى هو وحده خالق الحياة والموت وحافظ الوجود كله، فهو المستحق الوحيد للطاعة والإخلاص - المطلقين. حتى في المعاملات الدنيوية، عندما ينال المرء منفعة محدودة - كالمأوى أو الطعام أو المساعدة فإنه يُعرب غريزياً عن امتنانه لمن وهبها. فكم يكون الامتنان لله تعالى، الذي أنعم على البشرية بكل نعمة يمكن تصورها - ظاهرة كانت أم باطنة؟ لذا، فمن اللائق والمعقول والعاقل أن يُعرب الناس عن امتنانهم له، في كل جانب من جوانب حياتهم. يتجلى الامتنان، في صورته الشاملة، من خلال ثلاثة أبعاد أساسية: النية والقول، والفعل. ويتحقق امتنان النية عندما يقوم الشخص بجميع أعماله لإرضاء الله تعالى فقط، دون طلب مكاسب دنيوية أو مدح أو اعتراف. الأعمال التي تتم لأي دافع سوى مرضاته خالية من المكافأة، كما أكد عليه حديث موجود في جامع الترمذي، رقم 3154. ومن أهم علامات النية الصادقة أن المرء لا يتوقع

التقدير أو المكافأة من الآخرين .يتضمن شكر اللسان مدح الله تعالى بكلمات الذكر وتجنب الكلام الضار والكاذب والتافه .إنه يعكس الوعي الدائم بالواحد الذي يمنح كل النعم .يعني الشكر من خلال العمل استخدام كل نعمة - مثل الثروة والصحة والمعرفة والنفوذ - بطرق ترضي الله تعالى، كما هو موضح في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة للنبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم .عندما يتم الحفاظ على هذه الأشكال الثلاثة من الشكر معًا، فإنها لا تصون النعم الموجودة فحسب، بل تعمل أيضًا كوسيلة لزيادتها، كما وعد الله تعالى في القرآن الكريم .علاوة على ذلك، يُنمّي الامتنان الصادق قلبًا مطمئنًا، وعقلًا متزنًا، وشعورًا بالرضا يتجاوز الرضا المادي، ويؤدي في نهاية المطاف إلى السلام في الدنيا والتوفيق الأبدي في الآخرة من خلال تحقيق حالة ذهنية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في مكانه الصحيح في الحياة .سورة إبراهيم، الآية 7

لئن شكرتم لأزيدنكم

من البديهي والمنفق عليه عالميًا أن الملكية تمنح حق التحكم واتخاذ القرار .فعندما يمتلك المرء شيئًا، فإنه يملك سلطة استخدامه أو تعديله أو حتى التصرف فيه كما يشاء .وبهذا المنطق نفسه، وبما أن الله تعالى هو الخالق والمالك والرازق لكل شيء في الوجود - بما في ذلك السماوات والأرض وما بينهما - فإنه وحده يملك الحق المطلق في تحديد الحلال والحرام في خلقه .لذا، فمن المعقول والعاقل أن يُقدم جميع الناس طاعة كاملة لله تعالى، فهو وحده صاحب الملكية المطلقة على كل شيء، بما في ذلك حياتهم

كذلك، عندما يُقرض شخص ما شيئًا لآخر، فمن العدل والمتوقع أن يستخدمه المُقرض وفقًا لشروط صاحبه الشرعي .فإن أساء المُقرض استخدامه، اعتُبر ظالمًا وجاحدًا .كذلك، فإن كل نعمة تُنعم بها البشرية - سواء أكانت ثروة أم صحة أم عقلًا أم مكانة أم وقتًا - ليست ملكية دائمة، بل هي أمانة مؤقتة مُمنوحة من الله تعالى .وكما هو الحال مع جميع القروض، سُنسترد هذه الأمانة يومًا ما، وسيُحاسَب الناس على كيفية استخدامها والطريقة الوحيدة الصحيحة "لرد" هذه الأمانة هي استخدام كل نعمة بما يُرضي الله تعالى، كما هو مُبين في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .هذا الاستخدام الواعي والمخلص يُحوّل الأفعال العادية إلى عباداتٍ .وشكر .في المقابل، فإن بركات الجنة ليست أماناتٍ مؤقتة، بل هي عطايا أبدية، مُنحت من رحمة الله وكرمه .سورة الأعراف، الآية 43 .بمجرد منحها، تصبح ملكًا للمؤمن دون قيد أو شرط، يتمتع بها بحرية وإلى الأبد

"وقيل لهم: تلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون ..."

لذا، يجب على الأفراد الحذر من الخلط بين نعيم الدنيا الزائل - الذي يُمنح كأمانة واختبار - ونعيم الجنة الباقي. فنعيم الدنيا زائل، ينقضي زمانه، بينما نعيم الآخرة أبدي، ثابت، لا يتغير، خالٍ من كل نقص أو فقد. إن إدراك هذا التمييز الحيوي يحمي الإنسان من التعلق المفرط بملذات الدنيا وملذاتها، مما يؤدي غالبًا إلى الغفلة والإهمال الروحي. بل إن هذا الوعي يُوجّه القلب نحو حياة هادفة، دافعًا إياه إلى استخدام نعيم الدنيا بمسؤولية، بما يرضي الله تعالى، والسعي الحثيث لنيل الثواب الباقي في الجنة. وبذلك، يكتسب الإنسان حكمة حقيقية، وحسًا بالتوجيه يتجاوز زوال الدنيا، وراحة بال، من خلال تحقيق حالة ذهنية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في حياته على الوجه الصحيح.

سورة الأنبياء، الآية 108

"قل إنما يوحى إلي أنما إليكم إله واحد فهل أنتم مسلمون "

من المهم أن نلاحظ أن كون المرء مسلمًا ليس مجرد لقب أو هوية مجردة، بل هو أسلوب حياة عملي. فهو - يتطلب من المرء طاعة الله تعالى، وذلك بحسن استغلال نعمه التي أنعم بها عليه في جميع مناحي الحياة دنيوية كانت أم دينية - وفي كل ظرف يمر به، سواء في السراء والضراء. لذا، لا يقتصر الإيمان الحقيقي على الشعائر فحسب، بل يمتد إلى أخلاق المرء ومعاملاته وسلوكه اليومي. ويعزز هذا الفهم الآية التالية التي تتحدث عن الإعراض عمليًا لا مجرد الاعتقاد. فهي تشير إلى أن الكفر بالإسلام هو في الواقع ترك عملي: لطاعة الله تعالى. سورة الأنبياء، الآية 109

"...ولكن إذا تولوا "

بمعنى آخر، لا يُعلن الإيمان باللسان فحسب، بل يُبرهن عليه بالعمل الدؤوب. إهمال هذا البعد العملي يُضعف جوهر الإيمان، بينما العيش به هو تحقيقٌ لمقصد الخلق والسير على طريق النجاح الحقيقي. في الواقع، من لا يُدعم إيمانه اللفظي بالله تعالى بأفعالٍ مُقابلةٍ يُعرّض نفسه لخطرٍ كبيرٍ بفقدانه. الإيمان ليس امتلاكًا ثابتًا بل هو حقيقةٌ حيّة، ويُشبه شعلَةً رقيقةً تحتاج إلى عنايةٍ دائمة. وكما أن النار تنطفئ بفقدان وقودها، كذلك يضعف الإيمان ويُعرّض نفسه للانطفاء إن لم يُدعم بالطاعة والذكر المُستمر. إهمال هذا الغذاء الروحي، يُضعف الإنسان، ويُطفئ تدريجيًا النور الذي يُرشده في الحياة. فإن انطفأ هذا النور، كان الفقدان أشدَّ ضررًا لأنه يحرمه من الهداية في الدنيا والنجاة في الآخرة. لذلك، يجب حماية الإيمان وتنميته وتعزيزه من خلال أعمال الطاعة المستمرة، حتى لا يتلاشى دون أن نلاحظه حتى فوات الأوان.

بما أن الإسلام لا يفرض الهداية على الناس، فقد كان من واجب النبي محمد صلى الله عليه وسلم أن يوضح: تعاليم الإسلام للناس جميعًا، وأن يجعل شخصيته قدوة لهم. سورة الأنبياء، الآية ١٠٩

"فإن تولوا فقل إني بشرتكم سواء "

،بشكل عام، يتحمل كل شخص مسؤولية مساعدة الآخرين على التمييز بين الهداية السليمة والنصيحة الخاطئة وتشجيعهم على اتباع طريق الفضيلة والصلاح. إلا أن لهذه المسؤولية حدودًا واضحة: فهي لا تمتد إلى إجبار أي شخص على العمل بالإرشادات المقدمة، فالاختيار النهائي والمساءلة يقعان على عاتق الفرد وحده. عندما يفشل المرء في إدراك هذه الحدود، فإن المحاولات المتكررة للسيطرة على الآخرين أو تصحيحهم يمكن أن تؤدي إلى إحباط وخيبة أمل مستمرين، وخاصة عندما يستمر الناس في سلوك مسارات خاطئة. ومع مرور الوقت، قد تتفاقم هذه الخيبة غير المنضبطة إلى حزن أو قلق أو حتى اكتئاب. لذلك، من الضروري التعامل

مع هذه المسؤولية بصبر وإخلاص وحكمة، مدركين أن القدرة الحقيقية على هداية القلوب والعقول هي لله :سورة الغاشية، الآيتين 21-22 تعالى وحده .ويؤكد القرآن الكريم هذا المبدأ في

"فذكر إنما أنت مذكر، لست عليهم بمسيطر"

تُسلط هذه الآية الضوء على حقيقة جوهرية :الهداية في نهاية المطاف مسألة قلبية، ولا ينالها إلا من سعى إليها بإخلاص .من يسعى بصدق إلى النجاح في الدنيا والآخرة يُدرك أن ضبط النفس والانضباط، والتخلي المؤقت عن شهوات الدنيا، أمورٌ ضرورية لتحقيق السلام الداخلي والرضا الدائم . لا يمكن بلوغ السكينة الداخلية الحقيقية من خلال السعي المفرط وراء الملذات المادية أو الثروة أو المكانة الاجتماعية .ويتجلى هذا ،الواقع جلياً عند مراقبة حياة الأثرياء والمشاهير، الذين غالباً ما يواجهون، على الرغم من وفرة متع الدنيا اضطرابات نفسية عميقة وضغطاً نفسياً واستياءً داخلياً .علاوةً على ذلك، فإن إدراك حدود تأثير المرء على الآخرين يُمكنه من التركيز على نموه الروحي .بالسعي لتطبيق تعاليم القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وإرشاد الآخرين بلطفٍ وحكمةٍ دون إكراه، يُمكن للمرء أن يُنمي السلام الشخصي ،والتأثير الإيجابي في المجتمع .وتكمن الحكمة في هذا النهج في فهم أن التغيير الحقيقي يأتي من داخل القلب .بتوجيه من الله تعالى، وأن دور الإنسان هو التذكير الصادق، وليس فرض الإيمان

وعلى عكس العديد من الأديان وأساليب الحياة الأخرى، فإن الإسلام دينٌ ومنهج حياة لجميع ،علاوةً على ذلك :سورة الأنبياء، الآية ١٠٩ .الناس دون استثناء

"فإن تولوا فقل إني بشرتكم سواء "

هذا يُبرز الأهمية البالغة للمساواة في الإسلام. يُقاس وضع الناس بمعيار واحد: مدى إخلاصهم في طاعة الله تعالى. وتتجلى هذه الطاعة في استخدام النعم التي أنعم الله بها عليهم بما يرضيه، كما هو مبين في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. سورة الحجرات، الآية 13

"...إن أكرمكم عند الله أتقاكم..."

- جميع المعايير الأخرى التي يقيس بها الناس مكانتهم - كالجنس أو العرق أو الثروة أو الطبقة الاجتماعية - لا قيمة لها عند الله تعالى. إن تعظيم هذه المعايير هو دعوةٌ للتكبر والعنصرية والتفرقة بين الناس. فالنبل الحقيقي لا يكمن إلا في الاستقامة، التي تُعرّف بصدق النية وثبات الطاعة

من المهم أيضًا ملاحظة أنه بما أن النية خفية عن الخلق، فلا يمكن لأحد أن يحكم على باطن غيره حكمًا حقيقيًا. قد تكون الأعمال الظاهرة ظاهرة، لكن الإخلاص لا يعلمه إلا الله تعالى. ولذلك، يجب على الناس سورة النجم، الآية. الامتناع عن ادعاء فضل أنفسهم أو غيرهم، فالله وحده يعلم حقيقة كل نية وقول وعمل

32.

"فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى"

هذا المبدأ، إذا ما تمسك به، يُصبح حصنًا قويًا للمجتمع. فهو يُزيل بذور الفرقة، ويُنمي التواضع، ويوحد الناس على معيار واحد للقيمة. عندما يدرك الأفراد أن قيمتهم الحقيقية تكمن فقط في علاقتهم بالله تعالى، يتحررون من تسلسلات الدنيا الزائفة، ويتمكنون من العيش بكرامة ومساواة واحترام متبادل

استخدم زعماء غير المسلمين في مكة أساليب عديدة لثني الآخرين عن اعتناق الإسلام خوفاً من فقدان نفوذهم الاجتماعي وقيادتهم. ومن هذه الأساليب الاستفسار عن موعد يوم القيامة، وعندما لم يُبلِّغوا به، اتخذوه دليلاً على عدم وقوعه. سورة يونس، الآية 48

"ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين"

:وسورة الأنبياء الآية 109

"وإني لأعلم قريب أم بعيد ما توعدون"

كان هذا الموقف غير حكيم، فغياب المعرفة بموعد يوم القيامة لا يعني أنها لن تقع أبداً. كذلك، فإن جهل الأفراد بموعد وفاتهم لا يعني بالضرورة أن الموت لن يُصيبهم. بعض الحقائق الأساسية - كالموت ويوم القيامة - أُخفيت عمدًا عن الخلق ليبقى الناس في حالة استعداد دائم، بدلاً من تأجيل استعداداتهم حتى يحين وقتها. هذا النهج الاستباقي أنجع بكثير في تحقيق النجاح من النهج الانفعالي. خذ مثلاً لطالب حكيم يُدرك أن اختباراً مفاجئاً قد يحدث في أي وقت. مثل هذا الطالب يُحضر باستمرار، يوماً بعد يوم، حتى يحين موعد الاختبار. في المقابل، إذا أُعطي الطالب موعداً محدداً للاختبار، فقد يدفعه الرضا عن النفس إلى تأجيل جهوده حتى يقترب الموعد النهائي. هذا التسويف سيُقلل في النهاية من فرص نجاحه، لأن استعداده سيكون على الأرجح غير كافٍ.

وبالمثل، ينتقد القرآن الكريم من يدعون عدم قبولهم أو تطبيقهم للتعاليم الإسلامية حتى تتضح لهم جميع جوانبها، بما في ذلك الحقائق الغيبية كالملائكة. هذا الرأي خاطئ، فالإيمان الحقيقي لا يكون له معنى إلا إذا تضمن الإيمان بالحقائق الغيبية دون الحاجة إلى إدراكها بالحواس الخمس، كرؤية الله تعالى. مع ذلك، فهذه الحقائق الغيبية ليست بلا أدلة، بل هي مدعومة بآيات لا تُحصى في السماوات والأرض. وكما أن وجود اللوحة دليل على وجود الرسام، فإن وجود الخلق دليل على الخالق، لا سيما عندما يُظهر هذا الخلق هذا الكمال والتناغم والنظام. علاوة على ذلك، يقبل الناس بسهولة ويستفيدون من ظواهر لا تُحصى لا يدركونها أو يستوعبونها تمامًا. على سبيل المثال، يتناول كثيرون الأدوية دون فهم آلية عملها في الجسم، ومع ذلك يثقون بآثارها. وبالمثل، بينما يركز الإطار الأخلاقي للإسلام على الأدلة والمنطق العقلي، فإن بعض جوانبه متجذرة في حقائق غيبية. وهذا لا ينقص من الإيمان، بل يزيده، فالإيمان بالغيب جوهر الاستسلام، فلا يُقرّ الله تعالى بإيمان من شهد الغيب، كرؤية الملائكة، إذ لا قيمة للإيمان بعد الرؤية.

لذا، فإن تقييم الأفراد مبني على قدرتهم على إدراك الواقع حتى لو كان محجوبًا عن حواسهم، وعلى استعدادهم، للخضوع لله تعالى، رغم قدرتهم على اختيار المعصية. بإرسال الأنبياء عليهم السلام، وإنزال الكتب السماوية هدى الله تعالى البشرية هداية كافية لتمييز الحق من الباطل. ومع ذلك، لم يكشف الحقيقة قط لدرجة تُجبر الناس على قبولها دون نقاش. ولو كان الأمر كذلك، لبطلت غاية الاختبار، وفقد مفهوم النجاح والفشل - معناهما. ولذلك، يجب على الأفراد ألا يتوقعوا تجلّي الغيب أمامهم - كرؤية الله تعالى أو ملائكته مباشرة لأن هذا الكشف يعني نهاية كل شيء. عندها، لا يبقى خيار، وينتهي وقت الاختبار. لا قيمة للإيمان والطاعة إلا ما دامت الحقيقة محجوبة، مفتوحة على القبول والرفض. لو انكشف الغيب، لما رفضه حتى أعتى الكفار وأشدّهم عتيًا. لكن قبولهم حينها لا معنى له، إذ تكون المحنة قد انتهت. وهكذا، لا معنى لقبول الإيمان والطاعة إلا ببقاء الحجاب. لحظة انكشاف الحقيقة تمامًا، تُمثّل نهاية وقت الاختيار والاختبار. تلك اللحظة ليست إلا يوم القيامة. ولأن الله تعالى يعلم كل شيء، بما في ذلك نوايا العباد وأقوالهم وأفعالهم، فسيحاسبهم على ذلك. (سورة الأنبياء، الآية ١١٠)

يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتُمون إنه

كانت هذه الآية أيضًا نقدًا لقادة غير المسلمين في مكة، إذ كان الله تعالى يعلم أن نيتهم في التشكيك في يوم القيامة كانت لثني الآخرين عن قبول الإسلام، وليس رغبة صادقة في الحصول على الهداية الصحيحة. من

الضروري أن نتذكر أن النية هي الأساس الباطن للإسلام، تمامًا كما أن كسب الحلال والانتفاع به هو الأساس الظاهري للإسلام. إذا كان الأساس فاسدًا، فإن أي شيء ينتج عنه، مثل الأعمال الصالحة، سيكون فاسدًا وبالتالي مرفوضًا من الله تعالى. لذلك، فإن من يطلب الهداية الصحيحة لتحقيق راحة البال في العالمين، من خلال الحصول على حالة ذهنية وجسدية متوازنة ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في حياته بشكل صحيح، يجب أن يتعامل مع التعاليم الإسلامية بعقل منفتح وغير متحيز، على عكس قادة غير المسلمين في مكة.

بالإضافة إلى ذلك، ولأن موعد يوم القيامة غير معلوم، فلا ينبغي للإنسان أن يؤخر الاستعداد له عمليًا بأمل زائف بطول العمر، لأن عمره في الدنيا مجرد اختبار، فلا ينبغي أن يصرفه عن محاسبته في الآخرة). سورة (الأنبياء، الآية ١١١).

"وما أدري لعلها فتنة لكم ومتاع إلى حين"

من العقبات الشائعة أمام استعداد الفرد العملي للحساب يوم القيامة، غرس آمال كاذبة في حياة طويلة. ويمثل هذا التوجه سمة مدمومة للغاية، إذ غالبًا ما يُعجّل بتفضيل جمع المنافع الدنيوية المادية على الاستعداد الضروري للآخرة. يكفي أن يدقق المرء في تخصيص وقته خلال أربع وعشرين ساعة نموذجية ليلاحظ، التفاني المفرط في المساعي الدنيوية على حساب الاهتمامات الأبدية، مؤكدًا بذلك هذه الحقيقة. في الواقع يُعدّ التصور الخادع لعمر طويل من أقوى أدوات الشيطان لتضليل البشرية. فعندما يقتنع المرء بمستقبل طويل، فإنه يؤجل دائمًا الجهود اللازمة للآخرة، ظنًا منه أن هذا الاستعداد يمكن تنفيذه في وقت غير محدد، في المستقبل. ومن المؤسف أنه في الغالبية العظمى من الحالات، لا يتحقق هذا "المستقبل القريب" المتوقع. وبالتالي يغادر الفرد هذا العالم دون أن يكون قد حصل على المؤن الكافية لمسكنه الأبدي.

علاوة على ذلك، يؤدي هذا التوقع الخاطئ بطول العمر إلى تأجيل التوبة الصادقة وإصلاح النفس، إذ يفترض الشخص أن لديه متسعًا من الوقت لهذه الأمور الروحية الحيوية. كما أنه يُحَقِّز على الإفراط في اكتناز

الممتلكات الدنيوية، كالثروة، متوهمًا أن هذه الموارد ستكون ضرورية طوال حياة دنيوية طويلة. يُثير الشيطان الخوف في نفوس الناس بمكر، مُوحياً بأن عدم جمع الثروة في سن متقدمة سيجعلهم عاجزين عندما يعجزون عن العمل. وكثيرًا ما يتجاهلون الضمانة الأساسية بأن الخالق الذي رزقهم في شبابهم سيظل يُعينهم في شيخوختهم. من الثابت أن رزق كل مخلوق قد قدر قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وهو ما يؤكد حديث صحيح مسلم برقم 6748. ومن العجيب أن يقضي الإنسان أربعين سنة من عمره يدخر بدقة. لتقاعد نادرًا ما يتجاوز عقدين من الزمن، ثم يهمل في الوقت نفسه الاستعداد للآخرة بنفس الجد والاجتهاد.

لا يدعو التراث الإسلامي إلى التخلي التام عن الاستعداد الدنيوي. فلا مانع جوهري من الادخار للمستقبل القريب، شريطة أن تبقى الآخرة هي الأولوية النهائية والقاطعة. ومع ذلك، ورغم الإقرار اللفظي بأن الموت، قد يأتي في أي لحظة، فإن كثيرًا من الناس يعيشون حياتهم كما لو كانوا مطمئنين إلى الخلود. في الحقيقة حتى لو ضُمن لهم البقاء الأبدي على الأرض، فلن يتمكنوا من تكثيف جهودهم في جمع الرزق الدنيوي بما يتجاوز حدودًا معينة، لأن دورة الليل والنهار تفرض قيودًا طبيعية على المساعي البشرية. يزرخ التاريخ. بأمثلة على من رحلوا قبل أوانهم، إلا أن تكرار مثل هذه الحوادث نادرًا ما يُلهم الأحياء اليقظة اللازمة.

في الواقع، من أشدّ العذابات التي سيُلاقونها المرء عند الموت، ثم في كل مرحلة من مراحل الآخرة، الندم الشديد على تأخره في الاستعداد للحياة الأبدية. عند تلك اللحظة الحاسمة، ستُصبح الثروة والمكانة الاجتماعية والملذات الدنيوية الزائلة بلا قيمة. وقد عبّرت عن هذه الحقيقة الجليّة بوضوح في سورة المنافقون، الآيتان ١٠-١١:

وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين ولن يؤخر الله نفسًا إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون.

يُعدّ الإنسان غير عقلائيّ إذا كرّس مزيدًا من وقته وجهده وموارده لسكنٍ خُير له أن يقيم فيه لفترةٍ وجيزة بينما يُهمل في الوقت نفسه السكنَ المُقدّر لمستقبله الطويل، الذي ربما لا نهاية له. وهذا يُجسّد بوضوح محنة من يُعطون أهمية قصوى لراحة الدنيا الزائلة على حساب دار الآخرة الخالدة.

في الواقع، يُؤمر الأفراد بالسعي وراء الدنيا والآخرة، فالحفاظ على التوازن جزء لا يتجزأ من الحكمة. ومع ذلك، يجب أن يتذكروا دائمًا أن الموت لا يُعلن عن حلوله بوقت أو ظرف أو عمر مُتوقع. حدوثه مُطلق، لكن لحظته الدقيقة تبقى مخفية. وبالتالي، فإن الاستعداد الدقيق للموت وما يليه من أحداث يجب أن يُقدم بالضرورة على الاستعداد لمستقبل أرضي غامض قد لا يتكشف تمامًا. الفرد الحكيم حقًا هو من يستثمر بانتظام في ما هو أبدي، مع الوفاء في الوقت نفسه بالتزاماته في العالم الفاني. على العكس من ذلك، يستنفد الشخص الجاهل طاقاته لما هو مُقدر له الفناء السريع، ويتجاهل في الوقت نفسه الحياة الأبدية الآتية. سورة الأنبياء، الآية

111:

"وما أدري لعلها فتنة لكم ومتاع إلى حين"

من لم يُحسن استغلال ما وُهبَ له من وقت في الدنيا، وأصرَّ على إضاعة النعم، فسُيلاقى العذاب في الدنيا والآخرة. سورة الأنبياء، الآية ١١٢)

"...قال رب احكم بالحق"

في هذه الدنيا، من يُصرّ على معصية الله تعالى، ويُسيء استخدام النعم التي وُهِبَت له، سيفشل حتمًا في تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة. إن عجزه عن تحديد أولوياته وإدارة جوانب الحياة المختلفة بشكل صحيح سيُفقدّه تقدير كل شيء وكل شخص من حوله. ونتيجةً لذلك، ستصبح علاقاته مع عائلته وأصدقائه، وكذلك حياته

المهنية وثروته ومساعيه الدنيوية الأخرى، مصادر للتوتر والضغط النفسي بدلاً من أن تكون مصدرًا للراحة - أو الدعم. غالبًا ما يُوجّه هؤلاء الأفراد إحباطهم نحو أهداف خاطئة، مُلقين باللوم على أحبائهم كالزوج/الزوجة - أو الظروف الخارجية في صعوباتهم. عندما يُبعدون أو يُبعدون هؤلاء الداعمين عن حياتهم، يزداد عدم استقرارهم النفسي والعاطفي. وقد يتفاقم هذا الأمر إلى عواقب وخيمة، بما في ذلك الاكتئاب وإدمان المخدرات، وحتى الأفكار الانتحارية. تتجلى هذه النتائج عند مراقبة الأفراد، بمن فيهم الأثرياء والمشاهير، الذين يُواصلون إساءة استخدام النعم؛ فرغم تمتعهم بالرفاهية الدنيوية، يظلون أسرى اضطراب داخلي وعدم رضا. في نهاية المطاف، ولأن سلوكهم يمنعهم من الاستعداد للمحاسبة أمام الله تعالى، فإن محتهم في الآخرة ستكون أشد وطأة. إن ملذات الدنيا الزائلة لا تحمي الإنسان من عواقب إهمال مسؤولياته الروحية، ولا تعوّضه عن إهمال غايته الحقيقية في الحياة.

ولكن كما هو الحال دائماً، فإن باب التوبة والإصلاح مفتوح دائماً ما دام الإنسان حيًا. سورة الأنبياء، الآية ١١٢:

"...وربنا هو الرحمن الرحيم..."

،التوبة الصادقة ليست مجرد نطقٍ بالكلمات، بل هي انعطافة عميقة في القلب. تبدأ بالندم الصادق على الذنوب، متبوعًا بطلب مغفرة الله تعالى، ومغفرة من ظلمهم إن أمكن، شريطة ألا يؤدي ذلك إلى مزيدٍ من الأذى أو الفتنة. كما تتطلب التوبة الصادقة عزمًا راسخًا صادقًا على عدم العودة إلى نفس الذنب أو ما شابهه، مع السعي لاستعادة أي حقوقٍ انتهكت، سواءً لله تعالى أو لخلقه. علاوةً على ذلك، يجب على المرء أن يظل ثابتًا على طاعة الله تعالى، مستخدمًا نعمه على الوجه الذي يرضيه، كما هو مبين في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. بهذا التفاني الدؤوب، يحقق الإنسان توازنًا في عقله وجسده، ويضع كل شيء وكل شخص في مكانه الصحيح، ويستعد جيدًا للحساب يوم القيامة. هذا السلوك يؤدي إلى راحة البال الحقيقية، في الدنيا وسكنية أبدية في الآخرة، فالتوبة تطهر القلب، وترد الكرامة، وتربط العبد بخالقه. سورة الأنبياء، الآية ١١٢:

"وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الَّذِي يُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ "

أول ما يجب فهمه هو أن مفهوم طلب العون من الله تعالى يُشير تحديدًا إلى اللجوء إليه بعد بذل أقصى جهد للتغلب على التحديات التي تواجهه. ولا يعني ذلك طلب العون الإلهي مع البقاء سلبيًا أو غافلاً عن الوسائل والموارد الدنيوية التي هيأها الله تعالى لاستخدامها. فبحكمته اللامتناهية، خلق الله تعالى هذه الوسائل خصيصًا ليعتقد منها الناس في مواجهة صعوبات حياتهم، كما هو موضح في التعاليم الإسلامية. لذلك، يجب ألا نتخذ موقفًا جامدًا أو سلبيًا، منتظرين من الله تعالى حل التحديات دون أي جهد شخصي. فالتوكل الحقيقي على الله تعالى يتطلب السعي الجاد لاستخدام القدرات والمعارف والموارد التي منحها، مع التوكل في الوقت نفسه على مشيئته. وبذلك يُظهر الإنسان اجتهاده في استخدام ما وهبه الله تعالى، واستسلامه الصادق لهدايته ودعمه.

سورة الرعد، الآية 11

"إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم"

سورة الأنبياء، الآية 112

"وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الَّذِي يُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ "

والجزء الأخير من هذه الآية يذكرنا بأنه ما داموا ثابتين على طاعة الله تعالى فإنهم سيواجهون انتقادات من الآخرين، كما واجه النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم وصحابته رضي الله عنهم انتقادات من غير المسلمين في الجزيرة العربية.

بشكل عام، عندما يختار الفرد مسارًا يخالف الأعراف السائدة لدى أقرانه - وخاصةً مسارًا قائمًا على الالتزام الصادق بأوامر الله تعالى - فإنه غالبًا ما يثير انزعاجًا أو قلقًا أو حتى استياءً لدى الآخرين. ويصدق هذا بشكل خاص عندما يكون المراقبون أنفسهم مدفوعين في المقام الأول برغبتهم الشخصية وميولهم الدنيوية. غالبًا ما يتجلى القلق الداخلي لدى هؤلاء الأفراد في شكل نقد أو سخرية أو معارضة صريحة، غالبًا ما تكون نابعة من أقرب المقربين إليه، كالعائلة والأصدقاء. ومع ذلك، فإن ردود الفعل هذه لا تدل بالضرورة على صحة إيمان الفرد أو صحته؛ بل تعكس التحدي المتصور الذي يشكله الالتزام بالمبادئ الإسلامية على أنماط حياة من حولهم، وتبريراتهم الذاتية، وتنازلاتهم الأخلاقية. ونتيجة لذلك، غالبًا ما يُقابل الالتزام الراسخ بالواجبات الدينية بالمقاومة، حتى عندما يكون هذا الالتزام سليمًا أخلاقيًا وسليمًا روحيًا ومفيدًا للمجتمع.

علاوةً على ذلك، تُمارس المؤثرات المجتمعية المعاصرة - مثل وسائل التواصل الاجتماعي، واتجاهات الموضة، والمعايير الثقافية السائدة - ضغطًا هائلًا على الأفراد الذين يسعون جاهدين للتمسك بالقيم الإسلامية في بعض الأحيان، يُنظر إلى ممارسة الإسلام والدعوة إليه على أنها عائقان أمام النجاح المادي، أو التقدير الاجتماعي، أو القبول العام. وقد تُقاوم المؤسسات والقطاعات وشبكات التواصل الاجتماعي، التي ترى نفسها مُنتقدة من منظور إسلامي، بشدة دمج مبادئه، مما يُهمّش المُلتزمين به. وقد ساهمت هذه المقاومة بشكل كبير في انتشار المشاعر المعادية للإسلام، لا سيما عبر المنصات الرقمية ووسائل التواصل الاجتماعي. حيث غالبًا ما تُشكّل الروايات عمدًا لتقويض الالتزام الديني الصادق.

- كثيرًا ما يواجه أتباع الإسلام - الذين يتحلون بالاعتدال في شهواتهم ويستغلون نعم الله تعالى بمسؤولية معارضة من أفراد يعيشون حياةً جامحة، تحكمها في المقام الأول دوافعُ يصفها الإسلام بالحيوانية. وكثيرًا ما يحاول هؤلاء الأفراد ثني الآخرين عن اعتناق الممارسات الإسلامية، مروجين بدلاً من ذلك لأنماط حياةٍ تهيمن عليها الشهوات الجامحة. وكثيرًا ما تُوجّه الانتقادات إلى جوانبٍ ظاهرةٍ من الالتزام الإسلامي، مثل قواعد اللباس المفروضة على النساء، في محاولةٍ للتقليل من شرعيتها وأهميتها. ومع ذلك، يتضح من خلال الملاحظة الدقيقة أن هذه الاعتراضات غالبًا ما تكون سطحيةً ومتناقضةً، تعكس عدم ارتياحٍ للطبيعة المنضبطة والذاتية التنظيم للمبادئ الإسلامية، بدلاً من الاهتمامات العملية الحقيقية. على سبيل المثال، بينما يخضع الزي الإسلامي لتدقيقٍ وإدانةٍ غير متناسبين، لا تُثار اعتراضاتٌ تُذكر على الزي الرسمي المفروض في مختلف المهن، مثل إنفاذ القانون، والجيش، والرعاية الصحية، والتعليم، أو الشركات. يكشف هذا النقد الانتقائي عن التناقض والخطأ المنطقي الكامن وراء هذه الاعتراضات. في نهاية المطاف، ليست المظاهر الخارجية للممارسة الإسلامية هي ما يثير المقاومة، بل المبادئ الأساسية - الانضباط، وضبط النفس، والمساءلة

الأخلاقية، والاعتدال - التي تتناقض تناقضًا حادًا مع أنماط الحياة التي تهيمن عليها الشهوات الجامحة. هذا التناقض هو ما يدفع المنتقدين إلى تقويض الإسلام من خلال النقد والسخرية والتشويه، لا سيما عبر منصات التواصل الاجتماعي والرقمية الحديثة. سورة الأنبياء، الآية 112

"وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الَّذِي يُسْتَعَوَّذُ بِهِ عَلَى مَا تُصِفُونَ "

في مثل هذه الظروف، تُصبح طاعة الله تعالى الراسخة لا غنى عنها. فهي تُنمّي في الفرد شعورًا عميقًا بالسلام الداخلي، وتحميه من التأثيرات الخارجية الضارة، حتى وإن لم تكن هذه الحماية مُدركة فورًا. ومن خلال الطاعة المُستمرة، يتعلم المرء كيفية استخدام النعم المُنعمَة عليه على الوجه الصحيح، مُعززًا بذلك التوازن النفسي والجسدي. وهذا بدوره يُمكن من تنظيم جميع جوانب الحياة تنظيمًا سليمًا، مع ضمان الاستعداد الكافي للحساب يوم القيامة. وهكذا، فإن طاعة الله تعالى ليست مجرد واجب روحي، بل هي أيضًا مصدر انسجام واستقرار في شؤون الدنيا. فهي تُعزز السكينة في هذه الحياة، وتضمن السلام الأبدي في الآخرة أولئك الذين يثبتون على إخلاصهم يُهتدون في كل ظرف - سواءً في السراء أو الضراء - مُعززين صفاءهم الداخلي، ومُؤمّنين مكافآت لا تُحصى تتجاوز حدود إدراك الدنيا

في المقابل، فإن تجاهل أوامر الله تعالى سعيًا وراء رضا الآخرين يؤدي إلى فقدان السلام الداخلي. هذا سيؤدي هذا إلى حالة نفسية وجسدية غير متوازنة، ويدفعهم إلى عدم. السلوك يشجع على إساءة استخدام النعم ترتيب أولوياتهم في التزاماتهم وعلاقاتهم في الحياة. علاوة على ذلك، سيعيق هذا السلوك الاستعداد الكافي، للحساب يوم القيامة. وبالتالي، سيؤدي هذا السلوك إلى التوتر والمتاعب والصعوبات في الدنيا والآخرة وهكذا، فإن طريق الطاعة هو طريق الصفاء والتوازن والنجاح. بغض النظر عن أي تمتع بالرفاهية الدنيوية الأبدي، بينما طريق المعصية هو طريق الحيرة والاضطراب والخسارة الفادحة

لذا، فإن الفرد مُلزَمٌ أخلاقياً وروحياً بقبول وتطبيق تعاليم الإسلام لما فيه مصلحته القصوى، حتى لو تعارضت هذه التوجيهات مع ميوله الشخصية أو رغباته الآنية. ينبغي النظر إلى هذا الالتزام من منظور المريض

الحكيم الذي يلتزم بنصيحة الطبيب بإخلاص، مُدركًا قيمتها الجوهرية رغم احتمال وصف دواء مُر أو اتباع نظام غذائي صارم. وكما يحقق المريض الحكيم العافية الجسدية والنفسية بالامتثال، كذلك سيحقق الشخص الذي يعتنق التوجيه الإسلامي ويعمل به حالة من التوازن الروحي والوجودي. تنبع فعالية هذا النهج الفريدة، من أن الله تعالى هو المصدر الوحيد للمعرفة الشاملة التي تضمن للفرد حالة ذهنية وجسدية متوازنة حقًا ويحدد بدقة المكانة الصحيحة لكل شيء وكل شخص في حياته. إن المعرفة التراكمية للحالات العقلية والجسدية البشرية التي يمتلكها المجتمع المعاصر - على الرغم من الأبحاث المكثفة - ستظل قاصرة دائمًا عن تحقيق هذه النتيجة الشاملة. الفهم البشري محدود بطبيعته بالخبرة المحدودة، وقصر النظر، والتحيزات التي لا مفر منها، مما يعني أن نصائحه لا تستطيع حل جميع مشاكل الحياة، أو منع جميع أشكال الإجهاد النفسي والجسدي أو توجيه الفرد إلى ترتيب سليم للأولويات. الله تعالى وحده يملك هذه المعرفة الكاملة، وقد أنعم بها على البشرية في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. ويتجلى صدق هذا الادعاء عند ملاحظة الفرق الواضح في حياة من يستخدم النعم الممنوحة له وفقًا للمبادئ الإسلامية ومن لا يستخدمها. فبينما يثق المريض غالبًا بطبيبه ثقة عمياء، يفتقر فيها إلى المعرفة المتخصصة لفهم الأساس العلمي لعلاج، يدعو الله تعالى البشرية إلى التأمل في تعاليم الإسلام ليتمكنوا من تقدير آثاره الإيجابية العميقة على حياتهم. فهو لا يطلب إيمانًا مطلقًا، بل يريد من الناس أن يدركوا صدق هذه التعاليم من خلال أدلتها الواضحة ودلائلها العقلية. هذا التقدير الصادق، مع ذلك، يفرض على من يتقدم نحو تعاليم الإسلام أن يتحلى أولاً بعقل منفتح وموضوعي: سورة يوسف، الآية ١٠٨

"...قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني"

. علاوة على ذلك، لا بد من الاعتراف بأن الله تعالى هو المسيطر الوحيد على قلوب الناس، دار الطمأنينة فهو وحده الذي يُحدد من يُمنح الطمأنينة ومن يُحرم منها. سورة النجم، الآية 43

"وأنه هو الذي أضحك وأبكى"

من الواضح إذا أن الله تعالى يُخصّص هذه الطمأنينة الثمينة لمن أحسن استخدام نعمه، كما هو مُفصّل ومُوضّح في التعاليم الإسلامية. فالرضا الحقيقي الدائم هو هبة إلهية تُمنح جزاءً على حسن السلوك والتمسك: سورة النحل، الآية 97. بالمنهج المُنزّل

"من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون"

.الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

يَأْتِيهَا النَّاسُ أَتَقُورَ رَبَّكُمْ إِن زَلْزَلَتِ السَّاعَةُ شَيْءٌ
عَظِيمٌ ﴿١﴾

يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ
كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ
بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾

وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ
مَّرِيدٍ ﴿٣﴾

كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ
السَّعِيرِ ﴿٤﴾

يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُرَابٍ
ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ
لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ
نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لَتَبَلِّغُوهُنَّ أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن
يُتَوَفَّىٰ وَمِنْكُمْ مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن
بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ
أَهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾

ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّ الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾

وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾

وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾

ثَانِي عَطْفِهِ، لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنَذِيقُهُ يَوْمَ
الْقِيَمَةِ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿٩﴾

ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ
أَصَابَهُ فِتْنَةٌ أُنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ
الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١١﴾

يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْصُرُهُمْ وَمَا لَا يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ هُوَ
الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٢﴾

يَدْعُوا لِمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَيْتَ الْمَوْلَى وَلَيْتَ
الْعَشِيرُ ﴿١٣﴾

إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾

مَنْ كَانَتْ يَظُنُّ أَنَّ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ
إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾

وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ ﴿١٦﴾

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ
وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ
وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ
وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ
يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٨﴾

﴿١٩﴾ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ
لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾

يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿٢٠﴾

وَلَهُمْ مَّقْمِعٌ مِّن حديد ﴿٢١﴾

كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا
عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾

إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ
وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾

وَهُدُوءًا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوءًا إِلَى صِرَاطٍ الْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ
بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾

وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا
وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾

وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ
يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾

لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ
مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَاكْلُوا مِنْهَا
وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾

ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نُدُورَهُمْ وَلِيَطَوفُوا
بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾

ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ
وَأَحَلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ
فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ
الزُّورِ ﴿٣٠﴾

حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ۚ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنْ
السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾

ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْكُمْ شَعْبِ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾

لَكُمْ فِيهَا مَنْفَعٌ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ
الْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾

وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ
مِّنْ بَهِيمَةٍ ۚ الْأَنْعَامُ فَالْهُكْمُ لِلَّهِ وَحْدَهُ ۚ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ
الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾

الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ
وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾

وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِّنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَاذْكُرُوا
اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا
الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ۚ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾

لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ
كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدٰكُمْ وَبَشِّرِ
الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾

﴿٣٨﴾ إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ
كَفُورٍ ﴿٣٨﴾

أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتِّلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ
لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾

الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبَّنَا اللَّهُ
وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّهُدَمَتِ صَوَامِعُ وَبِيْعٌ
وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا
وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾

الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ
وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾

وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ ﴿٤٢﴾

وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾

وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ
أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾

فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فِيهَا خَاوِيَةٌ
عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ ﴿٤٥﴾

أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ
يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي
الْصُّدُورِ ﴿٤٦﴾

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ
رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾

وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمَلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَى
الْمَصِيرِ ﴿٤٨﴾

قُلْ يَكَايْهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٤٩﴾

فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ
كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾

وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٥١﴾

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾

لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾

وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾

وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾

الْمَلَأُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٥٦﴾

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾

وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا
لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ
الْرَازِقِينَ ﴿٥٨﴾

لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾

﴿٥٩﴾ ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ
لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوءٌ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ
فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ
الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ
مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾

لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ
الْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلَّكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ
وَيُمَسِّكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ
لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٦٥﴾

وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ
لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾

لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنْزِعُ عَنْكَ فِي الْأُمْرِ
وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾

وَإِنْ جَدَلُواكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾

اللَّهُ يُخَكِّمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ
تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾

أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَّا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ
إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾

وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ
وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٧١﴾

وَإِذْ أَنْتَلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا
الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونُ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ
ءَايَاتِنَا قُلْ أَفَأَنْتُمْ كُمْ بِشَرٍّ مِّنْ ذَٰلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ
كَفَرُوا وَبَشِّرِ الْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾

يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ فَاستَمِعُوا لَهُ ءَايَاتِ الَّذِينَ
تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ
يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ
وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾

مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ءِإِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾

اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ءَايَاتِ اللَّهِ
سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾

يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٧٦﴾

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ
وَفَعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾

وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۚ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ
فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ
قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى
النَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ
فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ

مناقشة الآيات من ١ إلى ٧٨ من ٧٨

يبدأ هذا السورة من القرآن الكريم بخطاب للناس أجمعين .سورة الحج، الآية ١

"...يا أيها الإنسان"

وهذا يدل على الأهمية البالغة للمساواة في الإسلام .فمكانة الناس تُقاس بمقياس واحد :مدى إخلاصهم في طاعة الله تعالى .وتتجلى هذه الطاعة في استخدامهم للنعم التي أنعم الله عليهم بها على الوجه الذي يرضيه ،سورة الحجرات، الآية 13 .كما هو مبين في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم

"...إن أكرمكم عند الله أتقاكم..."

جميع المعايير الأخرى التي يقيس بها الناس القيمة غالبًا - مثل الجنس أو العرق أو الثروة أو الطبقة الاجتماعية - لا قيمة لها عند الله تعالى .إن إعلاء مثل هذه الفروقات هو دعوة للخطيئة والعنصرية والانقسام بين الناس - يكمن النبل الحقيقي فقط في الاستقامة، والتي تُعرف بصدق النية وثبات الطاعة .ومن الضروري أيضًا إدراك أن النية مخفية عن الخلق .قد تكون الأعمال الخارجية ظاهرة، لكن الحقيقة الباطنية للإخلاص لا يعلمها إلا الله تعالى .لهذا السبب، يجب على الناس الامتناع عن ادعاء تفوقهم أو تفوق الآخرين، لأن مثل هذه الأحكام تخص الله تعالى وحده .هو وحده يعلم حقيقة كل نية وكلمة وفعل .عندما يتم التمسك بهذا المبدأ، فإنه يصبح ضمناً قوياً للمجتمع .فهو يزيل بذور الانقسام، ويزرع التواضع، ويوحد الناس على معيار واحد للقيمة

،بادراك أن القيمة الحقيقية تكمن فقط في علاقة الإنسان بالله تعالى، يتحرر الناس من تسلسلات الدنيا الزائفة
:سورة النجم، الآية 32. ويتمكنون من العيش بكرامة ومساواة واحترام متبادل

"فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى"

:يدعو الله تعالى جميع الناس إلى تحقيق غاية خلقهم :طاعته وعبادته .سورة الذاريات، الآية ٥٦

وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ

:وسورة الحج 22 الآية 1

"...يا أيها الناس اتقوا ربكم"

التقوى، أساس طاعة الله تعالى، تتضمن حسن استخدام النعم الممنوحة، كما وردت في التعاليم الإسلامية، في
،باتباع هذا النهج .كل حال، يسراً كان أو عسراً، وفي كل جانب من جوانب الحياة، دنيوية كانت أو دينية
يُنَمِّي الإنسان حالة من التوازن العقلي والبدني، ضامناً بذلك انتظام عواطفه وعلاقاته وألوياته .يتعلم تقدير
كل نعمة ومسؤولية بما يتناسب مع قيمتها الحقيقية، مسترشداً بإدراكه أن محاسبته النهائية تقع أمام الله تعالى
يوم القيامة .هذا التوافق الواعي بين الإيمان والفكر والعمل يُضفي صفاءً وهدفاً على الحياة، ويقي الفرد من
الحيرة والاضطراب الداخلي .يشعر هذا الإنسان بسكينة وقوة حقيقية في مواجهة محن الحياة، لأن قلبه راسخ

في الذكر الإلهي، وأعماله موجهة نحو النجاح الأبدي .وننتيجة لذلك، ينال سلاماً ورضاً دائمين - في هذه الدنيا الفانية وفي الحياة الآخرة الخالدة

علاوة على ذلك، فإن من جوانب التقوى الامتناع عن بعض المباحات خشية أن تؤدي إلى الحرام .سورة البقرة، الآية ١٨٧:

"تلك حدود الله فلا تقربوها"

لا يكتفي الله تعالى بمنع الناس من تجاوز حدوده، بل يأمرهم حتى بعدم الاقتراب منها .وقد تكرر هذا المبدأ الاحترازي في القرآن الكريم .فعلى سبيل المثال، أمر الله تعالى النبي الكريم آدم عليه السلام ليس فقط بالامتناع عن أكل الشجرة المحرمة في الجنة، بل بتجنب الاقتراب منها تماماً، مع أن مجرد الاقتراب منها كان حلالاً .(في حد ذاته) .سورة الأعراف، الآية 19)

"و يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين"

تُسلط هذه الآية الضوء على حقيقة روحية عميقة :ليس كل ما هو حلال نافع بالضرورة .فبعض الأعمال الحلال، وخاصة الباطل منها، غالباً ما تكون مدخلاً إلى الحرام .فعلى سبيل المثال، الكلام الباطل، وإن لم يكن إثمًا في حد ذاته، إلا أنه غالباً ما يؤدي إلى كبائر كالغيبة والكذب .وبالمثل، فإن إنفاق المال عبثاً قد يُفضي بسهولة إلى الإسراف، وهو أمر مُدان بوضوح في القرآن الكريم .سورة الإسراء، الآية 27

"إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا"

الحقيقة أن معظم من يضلُّون لا يقعون في المعصية فجأةً، بل هي عملية تدريجية تدرجية. يبدأون بمجرد الاقتراب من المحرمات، مُقنعين أنفسهم بسلامتها، حتى ينجرّفوا في النهاية إلى ذات الأفعال التي كانوا يتجنبونها سابقاً. على سبيل المثال، من يخالط من يشربون الخمر بانتظام يكون أكثر عرضة للوقوع فيها من من يبتعد عنها. وقد أكد النبي محمد صلى الله عليه وسلم على مبدأ الحذر والحيلة، إذ نصح المؤمنين بترك بعض الحلال خوفاً من أن يفضي بهم إلى الحرام. وكما ورد في حديث في جامع الترمذي، رقم 2451، لا يمكن للمرء أن يبلغ التقوى الحقيقية حتى يترك بعض الحلال ليتقي نفسه من المعصية. لذلك، يجب على المرء، ألا يكتفي بتجنب الحرام الصريح، بل يجب عليه أيضاً أن يتحلى بالحكمة بالابتعاد عن التباهي والإسراف حتى في الأمور الشرعية. هذا الوعي يضمن طاعة الله تعالى الثابتة، باستعمال النعم الممنوحة وفقاً لهدى القرآن الكريم وسنة النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم. هذا النهج يجسد جوهر الاستقامة، ويؤدي إلى السلام الدائم - النفسي والجسدي - من خلال مساعدة المرء على تحديد أولوياته بشكل صحيح في كل شيء (النحل ، الآية 97 وكل شخص في حياته استعداداً ليوم القيامة). سورة

"من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون"

على العكس من ذلك، وكما حدّثت الآية ١، فإنّ من يغفلون عن هذه الحكمة - وينغمسون بإفراط في الملذات الحلال، وخاصةً في الملاحقات الباطلة - سيجدون أنفسهم منجذبين تدريجياً نحو الحرام. وبإساءة استخدامهم للنعم الممنوحة لهم، فإنهم يدعون إلى المشقة والاضطراب والاضطراب الداخلي في حياتهم. يفقد هؤلاء الأفراد التوازن في كل من الصحة العقلية والجسدية، ويخطئون في ترتيب أولوياتهم وعلاقاتهم. وحتى لو عاشوا لحظات عابرة من المتعة، فإنّها تتبعها حتماً مشاعر الضيق وعدم الرضا - وهي حقيقة واضحة في حياة الكثيرين ممن يعيشون في غفلة، بمن فيهم الأثرياء والمتساهلون. وبما أن موقفهم يمنعهم من الاستعداد بشكل صحيح لمحاسبتهم، فإنّ صعوباتهم وعقوبتهم ستزداد أضعافاً مضاعفة. سورة الحج ٢٢، الآيتان ١-٢:

اتقوا ربكم، إن زلزلة الساعة لشيء عظيم، يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى، ولكن عذاب الله شديد.

من أهم أسباب وصف عناصر الآخرة - كيوم القيامة والنار - بتفاصيل دقيقة في التعاليم الإسلامية، هو محور الاعتقادات الخاطئة التي تبنتها الأمم السابقة، والتي استخفت بهذه الحقائق، بل سخرت منها. وقد نشأ هذا التجاهل من تمنيات زائفة، حيث أصرّ الناس على معصية الله تعالى، طائنين أنهم سينالون النجاة في الدنيا والآخرة. وتمثلت هذه الظنون في أشكال متعددة: الاعتماد على شفاعة الصالح دون إصلاح، والاعتقاد بأن مجرد النطق بالإيمان يكفي للنجاة، وافتراس قبول الأعداء والتوبة يوم القيامة مهما كانت الأعمال، وفكرة أن عقاب الآخرة لن يكون أشد من عقاب الدنيا. ولمحو هذه المفاهيم الخاطئة، يعرض الإسلام حقائق الآخرة: بتفصيل، ليدرك الناس جديتها ويستعدوا لها. سورة الحج، الآية 2

يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد

لذا، ليس الغرض من هذه الأوصاف بثّ اليأس، بل إيقاظ القلوب للحق، وحثّها على طاعة الله تعالى. وهذه الطاعة تستلزم حسن استغلال نعمه على الوجه الذي يرضيه، كما بينه القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. وبإدراك هذه التعاليم، يُصان الإنسان من التهاون، ويُجنّب الأمل الكاذب، ويُهدى إلى حياة الإخلاص والمسؤولية، مما يضمن له السلامة من العقاب والتوفيق في الدنيا والآخرة، من خلال تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، ومن خلال حسن توزيع كل شيء وكل شخص في حياته.

ولكن بما أن طاعة الله تعالى والاستعداد للمحاسبة غالبًا ما تتعارض مع رغبات الناس الدنيوية، فسيصرّ كثير منهم على معصية الله تعالى. بل سينتقد كثير منهم الإسلام والمسلمين نتيجةً لرغباتهم وأطماعهم الدنيوية. سورة الحج، الآية 3

"ومن الناس من يجادل في الله بغير علم"

إن الانحراف الواضح عن الأعراف الاجتماعية الراسخة، وخاصةً عندما يكون متجذراً في الالتزام بالوصايا الإلهية، غالباً ما يُثير انزعاجاً لدى الآخرين. وغالباً ما يتجلى هذا الانزعاج في صورة نقد أو سخرية أو معارضة صريحة، وخاصةً في الأوساط الاجتماعية الحميمة كالعائلة والأصدقاء المقربين. وعادةً ما تكون ردود الفعل هذه أقل من مجرد تعليق على صحة إيمان المُعتنق، بل انعكاساً للتحدي المُتصور الذي يُشكّله على أنماط الحياة السائدة والقيم وتبرير الذات لدى مُتبعيه. ونتيجةً لذلك، غالباً ما يُقابل الالتزام الراسخ بالمبادئ الدينية، حتى وإن كان سليماً أخلاقياً وذا أساس روحي، بمقاومة اجتماعية كبيرة.

علاوة على ذلك، تمارس القوى الثقافية المعاصرة - بما في ذلك وسائل التواصل الاجتماعي، واتجاهات الموضة، والمعايير المجتمعية السائدة - ضغطاً كبيراً على الالتزام بالقيم الإسلامية. ويُصور الالتزام بالإسلام والترويج له أحياناً على أنهما عائقان أمام النجاح المادي، والقبول العام، والتقدير الاجتماعي. وتقاوم الصناعات والهيئات المؤسسية التي قد تخضع للنقد الأخلاقي الإسلامي بشدة أحياناً دمج مبادئه، مما يُثني عن الالتزام ويُسهّم في تهميش المُتمسكين به. وتُعدّ هذه المقاومة عاملاً مهماً في انتشار الخطابات المناهضة للإسلام، لا سيما عبر المنصات الرقمية حيث غالباً ما يُصاغ الخطاب العام لتقويض الالتزام الديني.

كثيراً ما يواجه أتباع الإسلام، الذين يدافعون عن الاعتدال في رغباتهم الشخصية والاستخدام المسؤول للنعم التي وهبهم إياها الله، مقاومة من أولئك الذين يُعطون الأولوية للاندفاع والانغماس في الملذات، إذ يُصورهم الإسلام في صورة حيوانية. وقد يسعى هؤلاء المنتقدون جاهدين لثني الآخرين عن اعتناق الدين، مُروجين بدلاً من ذلك لأسلوب حياة تحكمه الشهوات الجامحة. وكثيراً ما يُركز النقد على عناصر مُحددة من الممارسات الإسلامية، مثل قواعد اللباس المفروضة على النساء، كوسيلة لتقويض مصداقية الدين وأهميته. ومع ذلك يكشف التحليل الدقيق عن سطحية هذه الاعتراضات، التي تنبع في نهاية المطاف من انزعاج عميق من تأكيد الإسلام الجوهري على الانضباط والحياء وضبط النفس. فعلى سبيل المثال، يتناقض التدقيق المفرط الموجه إلى الزي الإسلامي تناقضاً حاداً مع القبول العام للزي الرسمي الإلزامي في مهن مثل إنفاذ القانون والخدمة

العسكرية والرعاية الصحية وبيئات الشركات. ويكشف هذا التناقض عن نقص في المنطق السليم في الحجج الأساسية. في نهاية المطاف، فإن المقاومة التي نواجهها ليست في المقام الأول رد فعل على الممارسات الخارجية نفسها، بل على المبادئ الإسلامية الأساسية وسلوك أتباعها المنضبط، الذي يتعارض تمامًا مع: سورة الحج، الآية 3. أنماط الحياة القائمة على الانغماس في الملذات

"ومن الناس من يجادل في الله بغير علم"

كما تشير هذه الآية، فإن مفتاح الثبات على طاعة الله تعالى في مواجهة هذا النقد هو اتباع التعاليم الإسلامية بالإيمان القويّ صفةً أساسيةً لكلّ مؤمن، وهو أساس طاعة الله. والعمل بها، حتى يكتسب المرء إيمانًا راسخًا تعالى الثابتة في جميع الأحوال، يسرًا كان أم عسرًا. فالفرد الذي يمتلك هذا اليقين الراسخ يحافظ على ثباته في عبادته، غير متأثر بتقلبات الحياة الدنيا. ويتغذى هذا الثبات الروحي بالتعلم الصادق والتطبيق العملي للأدلة والبراهين الجليلة الواردة في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة عن النبيّ الكريم محمد صلى الله عليه وسلم. فهذه المصادر الإلهية تُبين كيف أن طاعة الله تعالى الصادقة تُؤدّي إلى طمأنينة القلب وراحة البال في الدنيا والآخرة. وعلى العكس، فإنّ إهمال التعاليم الإسلامية يُؤدّي حتمًا إلى ضعف الإيمان. مثل هذا الشخص سريع التأثير بالشهوات الشخصية والإغراءات الدنيوية، وكثيرًا ما يعصي الله تعالى كلما تعارضت الهداية مع ميوله المباشرة. هذا النقص في الفهم العميق يمنعه من إدراك أن ضبط شهواته الدنيا والالتزام بالأوامر الإلهية هما السبيلان الحقيقيان للرضا والاستقرار في الحياة. لذلك، من الضروري أن يسعى كل مؤمن جاهدًا إلى اليقين بالإيمان من خلال الاجتهاد في تعلم المعرفة الإسلامية واستيعابها والعمل بها. هذه العملية ضرورية لتقوية القناة وتعميق الفهم وتحسين القلب من الشك والإغراء. الإيمان الحقيقي ليس مجرد إعلان لفظي؛ بل هو منهج حياة، يتجلى بالعمل الدؤوب والاستخدام المسؤول للنعم الإلهية بما يتوافق مع الرضا الإلهي، كما هو موضح في المصادر الإسلامية الأساسية. يتضمن هذا النهج الشامل تحقيق الانسجام الداخلي - حالة ذهنية وجسدية متوازنة - مع تحديد الأولويات الصحيحة في جميع جوانب الحياة. هذا الانسجام يجلب السلام في هذا العالم المؤقت ويضمن الهدوء الدائم في الحياة الأبدية القادمة، وهو الوعد المؤكد لأولئك الذين يظلون ثابتين في إيمانهم وطاعتهم.

كما حدّرت الآية ٢، فإن أحد الأسباب الرئيسية التي تدفع الناس إلى تبني موقف خاطئ، يسمحون فيه لشهواتهم الدنيوية بالسيطرة على سلوكهم، هو التقليد الأعمى للرأي السائد في مجتمعهم، الذي تسيطر عليه شياطين البشر، الذين لا هدف لهم سوى تحقيق رغباتهم وطموحاتهم الدنيوية مهما كلف الأمر. سورة الحج، الآية ٣

"ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد "

يجب على المرء الامتناع عن التقليد الأعمى، لأن الاتجاهات والسلوكيات السائدة في المجتمع غالبًا ما تؤدي إلى معصية الله تعالى .عندما يرى المرء الأغلبية تتجاهل التعاليم الإسلامية، فقد يغريه افتراض أن هذا السلوك صحيح، فيتبعه دون تفكير أو تمييز .ومع ذلك، فإن الحقيقة هي أن رأي الأغلبية ليس مقياسًا موثوقًا به لما هو صحيح .يُظهر التاريخ مرارًا كيف أن المعتقدات الشائعة - التي كانت تُعتبر حقائق لا يمكن إنكارها - ثبت بطلانها لاحقًا بأدلة وفهم جديدين، مثل الفكرة الخاطئة بأن الأرض مسطحة .لذلك من الضروري تجنب التصرف كالأنعام التي تتبع القطيع دون وعي، لأن هذا التقليد الجاهل غالبًا ما يؤدي إلى: سورة الأنعام، الآية 116 .أخطاء جسيمة في الأمور الدنيوية والروحية

وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يظنون

:وسورة الحج الآية 4

"وكتب على كل شيطان أنه من يتولاه فإنه يضلّه ويهديه إلى عذاب السعير"

بل ينبغي على الأفراد استخدام العقل والمنطق اللذين وهبهما الله تعالى لهم لتقييم كل مسألة بناءً على معرفة أصيلة ودليل قاطع، واتخاذ قرارات مدروسة حتى لو اختلفت هذه القرارات عن الآراء السائدة في المجتمع. يدين الإسلام بشدة التقليد الأعمى للآخرين - وخاصةً في مسائل الإيمان - ويأمر المؤمنين بتعلم التعاليم الإسلامية والعمل بها بفهم صحيح. سورة يوسف، الآية 108

"...قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني"

:سورة الحج، الآية 3

"ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد"

وتحصل هذه النتيجة أيضًا عندما يُطيع الإنسان الشيطان ويتبعه، ويُنتج له أن يُضللهم عن الله تعالى. سورة فاطر، الآية 5

"ولا يغرنك بالله الغرور..."

من أساليب الشيطان الماكرة في خداع الناس إيهامهم بأن الله تعالى غفور رحيم، -وأنه سيغفر لهم مهما كانت أعمالهم. هذا الشعور الزائف بالطمأنينة يقود إلى التمني، فيستمر الإنسان في معصيته ظاناً أنه سينال رحمة الله تعالى ومغفرته في الدارين. لتجنب الوقوع في هذا الاعتقاد الخاطئ عن الله تعالى، لا بد من دراسة أسمائه وصفاته الإلهية والتأمل فيها كما وردت في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. الفهم الصحيح لهذه الصفات يُعزز التوازن: فهو يغرس في النفس الأمل برحمته والخوف من عدله، مما يشجع على الطاعة الصادقة والانتفاع بنعمه على الوجه الصحيح، وفقاً للمبادئ الإسلامية. في المقابل، قد يؤدي الجهل بأسمائه وصفاته إلى معتقدات مشوهة تفتح باب المعصية. على سبيل المثال، من أدرك حقاً أن الله تعالى غفور رحيم، لن يعتبر ذلك رخصة له بالمعصية، بل سيسعى جاهداً لطاعته، آملاً أن تُقبل توبته الصادقة وجهوده. أما من أساء فهم طبيعة المغفرة الإلهية، فقد يستمر في المعصية، ظاناً خطأ أن المغفرة مضمونة مهما كانت أفعاله. وهكذا، فإن المعرفة الحقيقية بالله تعالى تحمي الإنسان من كيد الشيطان، وتغذي الإخلاص، وتضمن أن يكون الرجاء في رحمته دائماً مصحوباً بالالتزام بالطاعة.

بعد أن حذر الله تعالى الناس من أخذ يوم القيامة على محمل الجد بالاستعداد له عملياً، قدّم بعض الأدلة على البعث ليقوّي عزمهم على الاستعداد للحساب يوم القيامة. سورة الحج، الآية 5

أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإننا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة يا وغير مخلقة لنبين لكم. ونقيم في الأرحام من نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم. ومنكم من يتوفاه الموت ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكي لا يعلم من بعد علم شيئاً

إن قدرة الله تعالى على إحياء البشرية بعد الموت تتجلى أساساً في خلقه الأصلي. فبعد أن خلق البشر من العدم، وسيطر على كل مرحلة من مراحل حياتهم، بما في ذلك تحديد مصيرهم، لا شك أن الله تعالى قادر على إعادتهم من التراب والعظام. علاوة على ذلك، فإن إنكار البعث يوم القيامة يتناقض مع العديد من الأمثلة الملموسة على التجديد في جميع أنحاء العالم الطبيعي. ويتجلى مفهوم الإحياء باستمرار في دورات الأرض: فالله تعالى يُنزل المطر ليحيي الأرض القاحلة، كما ورد في سورة الحج، الآية 5

"وترى الأرض هامة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج..."

كما تنبت بذرة ميتة، فإن جسد الإنسان المدفون في الأرض يمكن أن يُعاد إلى الحياة، وسيعود. كما أن تغير الفصول يُظهر بوضوح البعث: فالأشجار التي تبدو ميتة في الشتاء تُبعث بأوراقها في الربيع. وحتى داخل الجسد، تحدث البعث باستمرار، حيث تموت الخلايا وتتكاثر باستمرار. وتُمثل دورة النوم واليقظة مثلاً آخر: سورة الزمر، الآية 42. يُشبه النوم موتاً بسيطاً، إذ تكون حواس النائم معطلة

الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى "أجل مسمى إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون"

إن عودة الروح إلى من قُدر لها أن تعيش هي فعل يومي لإحياء النائم. هذه الظواهر الطبيعية المستمرة تؤكد: المبدأ المذكور في سورة الحج، الآية 6

"ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير"

إن ضرورة يوم القيامة لا تتحقق بقدرة الخالق فحسب، بل أيضاً بمبدأ التوازن الأساسي الذي يحكم الكون بأسره. وتؤكد الملاحظة أن الله تعالى قد خلق الكون بدقة وتوازن لا تشوبهما شائبة. ويتجلى ذلك في أمثلة لا حصر لها: فالأرض تحافظ على مدار متوازن تماماً حول الشمس، مما يضمن صلاحيتها للسكنى؛ ودورة المياه تعمل بتوازن لا تشوبه شائبة؛ والأرض تمتلك قدرة مزدوجة متوازنة على تغذية البذور الدقيقة ودعم الهياكل الضخمة. كل هذا يشير إلى مُصمم يعمل بنظام مطلق ودقيق. وفي تناقض صارخ مع هذا النظام الكوني، غالباً ما تُحدث أفعال البشر خللاً أخلاقياً عميقاً. وكثيراً ما يشهد العالم مشهداً مُحبطاً لأفراد ظالمين، وطغاة يفلتون من المحاسبة والعدالة في هذه الحياة. وعلى النقيض من ذلك، فإن أولئك الذين يتعرضون للقمع

أو الذين يواجهون مشقة جسيمة، غالبًا ما لا ينالون كامل الجزاء على صبرهم ومعاناتهم واستقامتهم. المؤمنون المخلصون الذين يجتهدون في طاعة الله تعالى، غالبًا ما يواجهون تحديات دنيوية جسيمة، بينما قد يبدو أن من يخالفون جهازًا ينعمون برفاهية الحياة الدنيا وراحتها. ولأن الله تعالى قد وضع التوازن في الخلق، فلا بد أن يكون نظام الثواب والعقاب على أعمال البشر متوازنًا ومكتملاً. ولأن العدل التام والجزاء الكامل غائبان قطعًا عن هذه الدنيا الفانية، فلا بد أن يتحققا في يوم القيامة

مع أن الله تعالى يملك القدرة على توزيع الثواب والعقاب فورًا في هذه الحياة، إلا أن حكمة إلهية عميقة تكمن وراء هذا التأخير. ومن أهم أسباب ذلك إتاحة فرص مستمرة للتوبة الصادقة وتقويم السلوك لمن أخطأ. علاوة على ذلك، لا يُمنح المؤمنون جزائهم الكامل في هذه الحياة، لأن هذه الدنيا فانية بطبيعتها وليست جنة أبدية والأهم من ذلك، أن توقع الجزاء في المستقبل يُرسّخ جوهر الإيمان. فالإيمان بالغيب - وتحديدًا الجزاء والحساب الكاملين اللذين ينتظران المؤمن في الآخرة - هو العنصر الحيوي والمميز للإيمان الحقيقي. فلو كانت الجزاءات الكاملة مرئية ومدرّكة بالحواس الخمس في هذه الدنيا، لفقد الإيمان فضيلته الخاصة ومعياره الأساسي لليقين. وبالتالي، فإن الجمع القوي بين الخوف من العقاب الكامل والرجاء في الجزاء الكامل في الآخرة يُشكّل حافزًا قويًا ومستمرًا، يدفع الأفراد إلى الامتناع عن المعصية والتوجه إلى الأعمال الصالحة لكي يبدأ يوم القيامة هذا، يجب أولاً أن تنتهي جميع الأفعال البشرية، وهي حقيقة تستلزم بالضرورة نهاية هذا العالم المادي.

إن التأمل في هذه الأدلة العقلية والجسدية يُعمّق إيمان المؤمن بيوم القيامة، ويحثه على الاستعداد له بحسن استغلال النعم الممنوحة له، فيضمن بذلك راحة البال والتوفيق في الدنيا والآخرة، من خلال تحقيق حالة نفسية (سورة الجاثية، الآية ٢٢). وجسدية متوازنة، ومن خلال حسن توزيع كل شيء وكل شخص في حياته

"وخلق الله السموات والأرض لحكمة، لتُجزى كل نفس ما اكتسبت، وهم لا يُظلمون".

بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث ذلك من في القبور

بشكل عام، تتناول الآية الخامسة تطور الإنسان بالتفصيل، لكنها تذكر بإيجاز مدة حياته في الدنيا، مما يدل على السرعة الهائلة التي يمر بها، بغض النظر عن سن الموت. لذلك، يجب على المرء أن يسارع إلى استغلال الوقت الممنوح له قبل أن يصل إلى أجله المجهول، أي إلى الشيخوخة، حيث سيجاهد في طاعة الله تعالى بعد فقدانه رشده. سورة الحج، الآية 5

"ومنكم من يتوفاه الموت ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكي لا يعلم من بعد علم شيئاً"

في الواقع، أوصى النبي محمد صلى الله عليه وسلم في حديث ورد في جامع الترمذي، رقم 2306، بالمسارعة في الأعمال الصالحة قبل بلوغ مرحلة الشيخوخة. ينبغي للإنسان أن يستغل شبابه وقوة عقله قبل أن يدخل عليه الكبر. وهذا يشمل اكتساب العلم النافع والعمل به، واستخدام طاقاته العقلية والجسدية في طاعة الله تعالى وذلك بتنفيذ أوامره واجتناب نواهيه، ومواجهة القدر بالصبر على نهجه. وبذلك يضمن الإنسان أن تستغل النعم فيما يرضي الله تعالى. ومن غير الحكمة أن يؤجل الإنسان هذه المسؤولية ظاناً أنه يستطيع تكريس نفسه لتعلم العلم الشرعي وتطبيقه في حياته، فلا ضمان لعمره حتى يبلغ الشيخوخة. حتى لو فعلوا ذلك، فإن القدرة على التعلم تكون أصعب بكثير في السنوات اللاحقة، لأن السن الأمثل لاكتساب المعرفة وصقل الشخصية هو الشباب. علاوة على ذلك، حتى لو اكتسب المرء المعرفة في سن الشيخوخة، فغالباً ما يكون تطبيقها أصعب، لأن العادات تترسخ ويصبح التغيير أكثر صعوبة. لذلك، يجب ألا يُهدر المرء حيوية الشباب، بل ينبغي أن يغتنمها كفرصة فريدة للتعلم والعمل والإصلاح. ويؤكد على هذه الحاجة الملحة أن النبي محمدًا صلى الله عليه وسلم استعاذ من الشيخوخة في حديث ورد في صحيح البخاري، رقم 6390. ويدل دعاؤه على أن الشيخوخة ليست مجرد تدهور جسدي، بل هي أيضاً محنة روحية، ولذلك من الضروري الاستعداد قبل حلول هذه المرحلة. بإدراك طبيعة الشباب الزائلة وعدم يقين الحياة، يحفز الإنسان على التصرف بحزم. وبضمن استثمار قوته ووقته وفكره فيما ينفعه في الدنيا والآخرة

ولكن بما أن قبول حقيقة المحاسبة على الأعمال يتعارض مع رغبات الناس الدنيوية، فإن كثيرًا منهم يُصرّون على معارضة التعاليم الإسلامية رغم عدم وجود دليل يُؤيد موقفهم، سواءً دنيويًا أو دينيًا. سورة الحج، الآية 8:

"ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير "

بشكل عام، من المبادئ الأساسية للإسلام التي تفيد الأفراد في حياتهم الدنيوية والروحية أهمية الاستناد إلى الأدلة الواضحة والمعرفة السليمة. هذا المبدأ يُمكن الناس من اتخاذ قرارات مستنيرة، مما يسمح لهم بتجاوز تعقيدات الحياة بثقة وطمأنينة. في مسائل الإيمان، يُؤمر الأفراد بمواءمة أعمالهم مع تعاليم القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. من الضروري الامتناع عن الاعتماد على مصادر المعرفة الدينية الأخرى، لأنها قد تُبعد المرء عن الهداية الحقيقية. غالبًا ما تفتقر هذه المصادر البديلة إلى أساس متين، وغالبًا ما تكون نتيجة اختلاق بشري. وقد تناول هذا الأمر صراحةً حديثٌ مُسجلٌ في سنن أبي داود، رقم 4606 حيث حذر النبي محمد صلى الله عليه وسلم من أن أي أمر لا يستند إلى تعاليم القرآن الكريم وسنة النبي صلى الله عليه وسلم سيُرفض عند الله تعالى.

في الأمور الدنيوية أيضًا، من الضروري أن تستند المعرفة التي تُوجّه أفعال المرء إلى أدلة موثوقة. على سبيل المثال، ينبغي على الشخص استخدام الأدوية التي خضعت لدراسات دقيقة وأثبتت فعاليتها من خلال التجارب السريرية فقط، بدلًا من الاعتماد على علاجات غير مُجربة. هذا الاعتماد على الأدلة يضمن السلامة والوضوح والنجاح.

كما يُعدّ الشخص غير حكيم لاعتماده على معارف دنيوية تفتقر إلى دليل قاطع، كذلك يُعدّ مضلاً من يتجاهل تعاليم القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ويتبع مصادر دينية غير موثوقة. يُعرّض هذا الشخص نفسه للتضليل بمعتقدات غريبة تُغذّي سلوكيات خرافية ومخاوف غير منطقية، مما يخلق روابط غير منطقية بين الأفعال والنتائج. على سبيل المثال، قد يُمارس شخص ما ممارسات روحية أملاً في الحمل. مع أن هذه الممارسات لا علاقة لها بالولادة لا من منظور إسلامي ولا دنيوي.

إذا استمر المرء في تجاهل المعرفة المثبتة بالأدلة، فإنه يُخاطر بتكوين مفاهيم مُحرّفة عن الله تعالى وخلقه بما في ذلك الاعتقادات الباطلة في الكائنات الخارقة للطبيعة. هذه المفاهيم الخاطئة قد تُعرّض إيمانه للخطر، وتُفسد فهمه للواقع. لذلك، من الضروري تجنّب السلوك المضلل، وأن تُبنى جميع أفعاله على أدلة واضحة، سواءً في أمور الدين، بالالتزام بالقرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، أو في أمور الدنيا، بالاعتماد على الأدلة التجريبية كالبحت العلمي. بهذا التوازن فقط، يصون الإنسان إيمانه، ويحفظ عقله ويحقق السلام في الدنيا والآخرة، من خلال تحقيق حالة ذهنية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في حياته على النحو الصحيح.

سورة الحج، الآية 8

"ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير "

من العوامل المهمة التي تُسهم في هذا الموقف التمسك المطلق بالرأي السائد في المجتمع، والذي غالباً ما يُشكّله قادة ونخب مؤثرون تتعارض آراؤهم تماماً مع التعاليم الإسلامية، إذ لا يهدفون إلا إلى تحقيق طموحاتهم ورغباتهم الدنيوية. سورة الحج، الآيتان 9-10

عُنْفَهُ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خَزْيٌ وَنَذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ يَلْوِي
وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ

لذا، من الضروري التحذير من هذا التقليد الأعمى، فالاتجاهات والسلوكيات الاجتماعية السائدة غالبًا ما تؤدي إلى معصية الله تعالى. فعندما يرى المرء الأغلبية تتجاهل تعاليم الإسلام، فإنه يميل إلى افتراض أن هذا السلوك الشائع صحيح بطبيعته، مما يؤدي إلى تقليد غير مدروس. ومع ذلك، فإن الكم الهائل من الآراء الشائعة ليس مقياسًا موثوقًا به لتحديد الحقيقة أو الاستقامة الأخلاقية. فالتاريخ حافل بأمثلة على معتقدات شائعة - كانت مقبولة كحقائق لا جدال فيها - ثبت خطأها لاحقًا بظهور أدلة ومفاهيم جديدة، مثل الاعتقاد الخاطئ الشائع بأن الأرض مسطحة. لذلك، من الضروري تجنب النهج غير النقدي والقطيعي، لأن هذا التقليد: سورة الأنعام، الآية 116. غير المدروس هو طريق إلى أخطاء جسيمة في المجالين الدنيوي والديني

وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يظنون

بل يُؤمر الأفراد باستخدام العقل والمنطق اللذين أنعم الله تعالى عليهما بهما لتقييم كل مسألة تقييماً نقدياً قائماً على معرفة أصيلة ودليل قاطع. وتتطلب هذه العملية اتخاذ قرارات مدروسة وواعية، حتى لو خالفت وجهات النظر السائدة في المجتمع. يدين الإسلام بشدة التقليد الأعمى للآخرين، لا سيما في أصول الإيمان، ويأمر المؤمنين بتعلم التعاليم الإسلامية والعمل بها بفهم صحيح وتمييز رוחي. سورة يوسف، الآية 108

"...قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني"

بينما يدعو الإسلام الناس إلى ضبط شهواتهم الدنيوية وكبح جماحها، فإن من لا غاية لهم في الحياة إلا السعي وراء الملذات الحسية والانغماس في الملذات المادية غالبًا ما يجدون هذه التعاليم مسيئة. ولأن المبادئ الإسلامية تكشف عن الطبيعة الحيوانية للشهوة الجامحة، فإن هؤلاء الأفراد ينتقدون الإسلام أو يعارضونه - كثيرًا لتبرير أنماط حياتهم. وبالمثل، فإن الصناعات والأعمال التي تستفيد من استسلام الناس لغرائزهم كالتي تُبنى على الغرور أو الترفيه أو الإفراط - تسعى جاهدةً إلى تثبيط الالتزام بالتعاليم الإسلامية. هدفهم: هو ترسيخ ثقافة الغفلة، حيث يُهمل التأمل الروحي وضبط النفس الأخلاقي. سورة الحج، الآية 9

«...يُلَوِي عُنُقَهُ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ»

في مواجهة هذه الانتقادات والضغط، يجب على المرء أن يظل ثابتًا وثابتًا على طاعة الله تعالى. إن راحة البال الحقيقية والحماية من أذى الآخرين لا تأتي إلا بالإيمان الراسخ، حتى لو لم تظهر هذه النعم فورًا. من يسعى لإرضاء المجتمع على حساب معصية الله تعالى، لن يجد حماية إلهية ولا رضا حقيقيًا من الناس. إن استحسان المجتمع، وكذلك الصيحات الدنيوية كالموضة والثقافة ووسائل التواصل الاجتماعي، زائل وغير ثابت. على النقيض من ذلك، فإن من يداوم على استخدام نعمه وفقًا لهدى القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، يحقق الانسجام النفسي والجسدي. إنهم يعطون الأولوية الصحيحة لكل شيء وكل شخص في حياتهم، ونتيجة لذلك، يستعدون جيدًا للمحاسبة يوم القيامة. ول هؤلاء الأفراد، فإن الله تعالى يعدهم بمكافآت تفوق الخيال.

، على العكس من ذلك، فإن من يُصرّون على معصية الله تعالى، سعيًا وراء رضا الدنيا وشهواتها الجامحة، سيُسيئون استخدام النعم التي وهبت لهم لا محالة. في هذه الحياة، سيحرمهم إهمالهم من التوازن النفسي والجسدي، مما يدفعهم إلى إهمال أولوياتهم وعلاقاتهم. ستصبح عائلاتهم وأصدقائهم ووظائفهم وثرواتهم مصادر قلق وحزن. إذا استمروا على هذا المنوال، سيحملون الأبرياء - كأزواجهم أو أحبائهم - مسؤولية تعاستهم، وبقطع علاقاتهم بهم، سيفاقمون محنتهم. غالبًا ما تُفضي هذه الدوامة الانحدارية إلى الاكتئاب والإدمان، وحتى الميل الانتحاري. سورة الحج، الآية 9

"...فإن له في العالم عارًا..."

تتجلى هذه النتيجة لدى من يُصرّون على شهواتهم رغم نجاحهم الدنيوي - وخاصةً بين الأغنياء والمشاهير الذين غالبًا ما تُعاني حياتهم، وإن بدت برّاقة، من مشاكل نفسية حادة. ولأن هذا الموقف يمنعهم من الاستعداد - ليوم القيامة، فإن عقابهم في الآخرة سيكون أشد وأطول. سورة الحج، الآيتان 9-10

"ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد..."

بعد أن انتقد الله تعالى من يحاول إضلال الآخرين عن قبول تعاليم الإسلام والعمل بها، انتقد المسلمين الذين ضعف إيمانهم، فيرضون بالإسلام في الرخاء، ويغضبون على الله تعالى في الشدة. سورة الحج، الآية ١١

"...ومن الناس من يعبد الله على حرف، فإن أصابه خير اطمأن به، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه"

من المهم إدراك أن الله تعالى لم يعد الناس قط بقبول الإسلام وطاعته - باستخدام نعمه كما وردت في تعاليمه لينجوا من مصاعب الدنيا. لقد خُصصت هذه الحياة الدنيا دار ابتلاء، ولذلك لا بد أن يمر كل فرد باليسر - والشدة. هذه الظروف المتناوبة تُميز الصادق من الكاذب، وتوضح من يبقى على دين الله تعالى، ومن يبتعد - عند الابتلاء. ومع أن الابتلاءات عامة، إلا أن وعد الله تعالى هو أن من يطيعونه بإخلاص وباستمرار باستخدام نعمه بما يرضيه - سينعمون براحة البال في الدنيا والآخرة. هؤلاء الأفراد يحققون حالة من التوازن النفسي والبدني، ويتعلمون وضع كل شيء وكل شخص في مكانه الصحيح في حياتهم. هذا الانسجام الداخلي يُمكنهم من مواجهة تحديات الدنيا بصبر ووضوح ومرونة، مع الاستعداد الكافي للحساب يوم القيامة. لذا، من الخطأ الاعتقاد الجاهل بأن مجرد الإيمان بالله تعالى، أو حتى ممارسة الطاعة الظاهرة، يضمن تحوّل هذه الدنيا إلى جنة. فالجنة الحقيقية محفوظة للآخرة، بينما تبقى هذه الدنيا حقلًا للزراعة والاختبار. وكما يضطر

المزارع إلى تحمل عناء الزرع والسقي وحماية الزرع قبل أن يحصد، فكذا على الإنسان أن يتحمل ابتلاءات الحياة قبل أن ينال الجزاء الأبدي. وهكذا، فإن حكمة الابتلاء لا تكمن في حرمان الناس من الراحة، بل في تهذيب أخلاقهم، وتقوية إيمانهم، وتمييز الصابرين من الغافلين. ومن يدرك هذه الحقيقة لا ييأس في الشدة ولا يتكبر في الرخاء، بل يثبت على دينه، عالماً أن الجزاء الحقيقي يكمن في نيل راحة البال في الدنيا والآخرة. لا في اليسر أو النجاح الدنيوي.

، علاوة على ذلك، من جوانب الإيمان المهمة - وهي امتحانُ بحد ذاتها - أن الإنسان عندما يُطيع الله تعالى، مُستخدماً نعمه التي أنعم بها عليه على الوجه الذي يُرضيه، كما هو مُبين في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، لا يُضمن له دائماً أن يشهد منافع آنية أو ملموسة، كزيادة المال أو المكانة أو النعيم الدنيوي. غالباً ما تكون مكافآت الطاعة الحقيقية خفية، باطنية، تلمس في القلب الروحي، متمثلة في الطمأنينة والرضا وراحة البال. سورة النحل، الآية 97:

"من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون"

كثيراً ما يربط ضعيف الإيمان بين الفضل الإلهي والكسب المادي، متوقعاً من الله تعالى أن يرزقه نعماً ملموسة كالغنى والصحة والنجاح الاجتماعي مقابل طاعته. وعندما لا تتحقق هذه الآمال، يستغل الشيطان هذا الضعف، فيثنيهم عن الإيمان كلياً أو على الأقل عن المواظبة عليه. هذا اختبار روحي على كل إنسان أن يواجهه ويتغلب عليه. والنجاح في هذا الاختبار يكمن في تقوية إيمان المرء بالتعلم والتأمل والتطبيق الصادق لتعاليم الإسلام. ومع تعميق فهم المرء، يدرك أن النجاح الحقيقي لا يكمن في غنى الدنيا، بل في الاستقرار الداخلي، والقرب الإلهي، والثواب الأبدي.

، علاوة على ذلك، يُظهر المنطق السليم أن المنافع الحقيقية ليست ملموسة دائماً. راحة البال، والمرونة العاطفية والشعور بالهدف، كلها نعم غير ملموسة لا تُعوضها أي ثروة مادية. كثير من الناس الذين حققوا نجاحاً دنيوياً، كبيراً ما زالوا يشعرون بالفراغ الداخلي، ويرغبون في استبدال راحتهم المادية بسلام داخلي حقيقي. لذلك،

يجب ألا ينخدع المرء بتوقع مكاسب دنيوية كدليل على فضل الله، لأن هذا الموقف قد يؤدي إلى الإحباط: سورة الحج، الآية 11. والتدهور الروحي إذا لم تتحقق تلك المكاسب

ومن الناس من يعبد الله على حرف، فإن أصابه خير اطمأن به، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه، فقد "خسر الدنيا والآخرة، ذلك هو الخسران المبين

بل ينبغي الثبات على طاعة الله تعالى، مع العلم أن كل عمل خالص لوجهه - سواءً أكانت آثاره ظاهرة أم خفية - يُثمر نفعًا حقيقيًا في الدنيا والآخرة. من يسعى إلى النتائج الملموسة فقط يُخاطر بفقدان السكينة الروحية والثواب الأبدي، بينما من يعمل خالصًا لله تعالى، يضمن راحة البال في الدنيا والآخرة، من خلال تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في حياته على الوجه الصحيح

لكن من يغفل عن هذه الحقيقة، يُصرّ على معصية الله تعالى، مُسيءًا استخدام النعم التي وُهِبَتْ له، لا سيما في أوقات الشدة، حين تشتد الحاجة إلى إيمانه وصبره. فبدلاً من التقرب من الله تعالى، يسمح هؤلاء للمحن بأن تدفعهم إلى مزيد من الغفلة. فيقعون في حالة من عدم التوازن العقلي والجسدي، يفقدون فيها صفاءهم، واستقرارهم. يُسيئون ترتيب أولوياتهم، مُعطين أهمية مفرطة لما هو زائل، مُهملين ما هو أبدي. وبذلك يُسيئون ترتيب كل شيء وكل شخص في حياتهم، مُخلّين بالنظام الطبيعي الذي تُرسيه طاعة الله تعالى والأخطر من ذلك، أنهم لا يُعدّون أنفسهم جيداً للحساب يوم القيامة. هذا الإهمال يؤدي حتماً إلى التوتر والحيرة والصعوبة في الدنيا والآخرة. حتى لو تمتّعوا ظاهرياً ببعض الرفاهية الدنيوية، فإن هذه الرفاهية لا تُغني عنهم عن اضطرابهم الداخلي، ولا تُعوّضهم عن فقدان السلام الحقيقي. تُصبح حياتهم متسمة بعدم الاستقرار، فالراحة الدنيوية دون سند روحي هشة وزائلة. وهكذا، فإن من يتجاهل الهداية الإلهية يستبدل السكينة الدائمة بأوهام آنية، والتوفيق الأبدي بفترات عابرة. سورة الحج، الآية ١١

"خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين ..."

لكي ينجح الإنسان في اتباع السلوك الثابت اللازم للخضوع الدائم لله تعالى، من الضروري أن ينمي إيماناً روحياً راسخاً ويحافظ عليه . هذه القوة الإيمانية العميقة لا غنى عنها، فهي بمثابة المرساة الروحية التي تضمن للمؤمن ثباته على دينه في كل مرحلة من مراحل الحياة، بما في ذلك فترات الرخاء ولحظات الشدة . هذه القوة الروحية الدائمة لا تُكتسب عبثاً؛ بل تُصنع من خلال عملية منهجية من التعلم الدؤوب والتطبيق العملي الدؤوب للحكمة المستمدة من الأدلة القاطعة في القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة . هذه المصادر المقدسة تُفصّل بوضوح الآلية التي من خلالها يؤدي الخضوع الصادق والواعي لله تعالى في نهاية المطاف إلى طمأنينة داخلية عميقة ونجاح أكيد في الدنيا والآخرة . على النقيض من ذلك، فإن من يهمل في السعي وراء هذه المعرفة الجوهرية ويظل جاهلاً بتعاليم الدين، سيجد قناعاته حتمًا هشة وسهلة الاختراق . مثل هذا الشخص معرض بشدة للاستسلام لإغراء العصيان كلما تعارض أمر الله تعالى مع شهواته الشخصية الآنية أو رغباته الدنيوية العابرة . إن نقص بصيرته الروحية يمنعه من إدراك الحقيقة الجوهرية، وهي أن ضبط الشهوات الدنيوية والالتزام بالهداية الإلهية هما السبيل الوحيد الموثوق لتحقيق الاستقرار الحقيقي والرضا الدائم والسلام في جميع مناحي الحياة . وبالتالي، يصبح السعي وراء اليقين الراسخ في الإيمان واجباً أساسياً على كل مؤمن . ويتحقق ذلك من خلال التعمق في المعرفة الدينية والعيش وفقاً لها . هذا الالتزام يقوي عزيمة الفرد، ويضمن طاعة الله تعالى الراسخة في جميع الأحوال . وهذا يعني عملياً استغلال جميع النعم الممنوحة بعناية بما يتوافق مع مبادئ الدين، مما يؤدي إلى حياة متكاملة . ومن خلال هذا النهج المنضبط، يصل المؤمن إلى التوازن المطلوب في صحته العقلية والجسدية، ويضع أولويات صحيحة ومتناغمة، وبالتالي يضمن راحة البال والرضا النهائي في كلا العالمين .

:سورة الحج، الآية 11

"...ومن الناس من يعبد الله على حرف، فإن أصابه خير اطمأن به، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه "

من أهم ما يميز الإسلام عن سائر الأديان وفلسفات الحياة أنه ليس ديناً قائماً على المعاملات . ففي كثير من المعتقدات، يعبد الناس آلهتهم أو يؤدون العبادات لمجرد نيل منافع دنيوية، كالمال أو الجاه أو الأولاد . علاقتهم مع آلهتهم علاقة تبادل : فهم يبذلون إخلاصهم لنيل الرزق المادي . أما الإسلام، فيدعو البشرية إلى ما هو

أسمى وأسمى. فهو يدعو الناس إلى إدراك مكانتهم الحقيقية كخلق الله تعالى وعباده، وإلى تحقيق غايتهم الإلهية. ومع أن الإسلام يجلب نعمًا دنيوية لا تُحصى، كالسلام الداخلي وصفاء الذهن واتزان الحياة عند استخدام النعم وفقًا لتعاليمه، إلا أن هذه ليست الغاية النهائية، بل هي نتيجة طبيعية للإيمان الصادق والطاعة ليس هدف الإسلام إغواء الناس بالمكافآت المادية، بل إيقاظهم على الحقيقة والغاية والمسؤولية. يقدم الإسلام أدلة واضحة وعقلانية على حقيقته ويدعو جميع الناس إلى أن يعيشوا وجودًا ذا معنى يتمشى مع إرادة خالقهم، مما يؤدي إلى راحة البال في العالمين.

للأسف، يتبنى كثير من المسلمين اليوم، دون وعي، موقفًا معامليًا تجاه دينهم. فهم لا يفعلون الخير حبًا لله تعالى، ولا شعورًا بالواجب تجاهه، بل لمجرد نيل منافع دنيوية. على سبيل المثال، قد يتصدق المرء أو يدعو بدعاء لمجرد نيل ثروة أو نجاح أو ولد. وبذلك، يعاملون كنز الله تعالى كما لو كان سوقًا دنيويًا، تُقايس فيه الأعمال الصالحة بأهوائهم الشخصية. هذا النهج معيبٌ للغاية وخطيرٌ روحيًا، فالبشر لا يعرفون ما ينفعهم: سورة البقرة، الآية ٢١٦. حقًا وما يضرهم

"وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ..."

علاوة على ذلك، فإن الأعمال الدنيوية لا قيمة لها عند الله تعالى، فهو لا يقبل ولا يجازي إلا من أخلص عمله، ابتغاء مرضاته. وقد أكد على هذه الحقيقة حديث في جامع الترمذي، رقم 3154، يحذر من أن من يعمل بدوافع دنيوية لا ينال جزاءه عند الله تعالى في الآخرة.

في نهاية المطاف، من يتقرب إلى الله تعالى بعقلية معاملتية سيبتعد عنه حتمًا عندما لا تلبى رغباته الدنيوية سيضعف إيمانه، وسيبدأ في إساءة استخدام النعم التي وهبت له. يؤدي هذا الإساءة إلى حالة نفسية وجسدية غير متوازنة، وتشويش في الأولويات، وارتباطات خاطئة في الحياة. هؤلاء الأفراد لن يستعدوا للحساب يوم القيامة. فرغم لحظات الرفاهية أو المتعة العابرة، ستمتلئ حياتهم بالقلق وعدم الرضا والاضطراب. لن يجدوا سلامًا دائمًا في الدنيا ولا نجاحًا في الآخرة.

في الحقيقة، من يتعامل مع الإيمان معاملةً هو الخاسر الحقيقي - حتى لو بدا عليه النعيم الدنيوي - فقد استبدل (الكهف ، الآيتان ١٠٣-١٠٤ الرضا الأبدي بالوهم الزائل) .سورة

"قل هل ننبتكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا"

:وسورة الحج الآية 11

ومن الناس من يعبد الله على حرف، فإن أصابه خير اطمأن به، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه، فقد "خسر الدنيا والآخرة، ذلك هو الخسران المبين

:ثم يُذكر أمرٌ سلبيٌّ آخر يحدث عندما يواجه المسلم ضعيف الإيمان صعوبات .سورة الحج، الآية ١٢

«يدعو من دون الله ما لا يضره ولا ينفعه»

عندما يكون الشخص ضعيف الإيمان، فإنه يتجاهل بسهولة المصدرين الأصليين للهداية - القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم - ويلجأ بدلاً من ذلك إلى مصادر أخرى غير موثوقة من المعرفة الدينية في

محاولة لحل مشاكله الدنيوية وتحقيق رغباته. كلما زاد الاعتماد على هذه المصادر البديلة، حتى لو بدت أنها تشجع على العمل الصالح، قلَّ اعتماده على مصادر الهداية الحقيقية. هذا الإهمال التدريجي يؤدي حتماً إلى الضلال. ولهذا السبب، حذر النبي محمد صلى الله عليه وسلم في حديث موجود في سنن أبي داود، رقم 4606. من أن كل أمر لا يستند إلى القرآن الكريم وسنة النبي صلى الله عليه وسلم سيرفضه الله تعالى، علاوة على ذلك، كلما زاد اعتماد الشخص على مصادر أخرى من المعرفة الدينية، زاد احتمال تبنيه ممارسات تتعارض مباشرة مع تعاليم الإسلام. وهكذا بالضبط يُضل الشيطان الناس - خطوة بخطوة - حتى يبتعدوا عن الحق. على سبيل المثال، عند مواجهة الصعوبات، قد يُنصح الشخص بممارسة بعض التمارين الروحية التي تتعارض مع تعاليم الإسلام. وبسبب جهله واعتماده على مصادر غير موثوقة، قد يقع بسهولة في هذا الفخ. ومع مرور الوقت، قد يبدأ في الاعتقاد بمعتقدات عن الله تعالى والكون تتعارض مع التعاليم الإسلامية مثل الاعتقاد بأن الناس أو الكائنات الخارقة للطبيعة قادرة على التحكم في مصيره. لا تنشأ هذه المفاهيم إلا عندما تُستمد المعرفة من خارج المصدرين الموثوقين للهداية. سورة الحج، الآية ١٢

"هذا هو الخطأ الفادح ..."

سورة. بعض هذه الممارسات والمعتقدات الضالة قد يصل إلى حد الكفر الصريح، كممارسة السحر الأسود: البقرة، الآية ١٠٢

وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت ...
"... وما روت. وما يعلمان أحداً حتى يقولوا إنما نحن فتننة فلا تكفر

:وسورة الحج الآية 13

«يدعو من ضرره أقرب من نفعه فبئس الولي وبئس الشريك».

وهكذا، قد يفقد الإنسان إيمانه دون أن يشعر، لمجرد أنه اعتاد العمل بمصادر المعرفة الدينية غير القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. ولذلك، فإن البدع التي لا تستند إلى هذين المصدرين خطيرة (سورة البقرة، الآية ٢٠٨). للغاية، بل هي في الواقع خطوات على طريق الشيطان

يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين

:سورة الحج 2 الآيات 12-13

يدعو من دون الله ما لا يضره ولا ينفعه، وذلك هو الضلال الفادح، يدعو من ضرره أقرب من نفعه، فبئس الولي وبئس الشريك.

لذا، يجب على الأفراد تجنب هذه النتيجة السلبية بفعالية من خلال الالتزام الراسخ بدراسة وتطبيق التوجيهات الواردة في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم. هذا الثبات يضمن لهم الاستفادة المثلى من النعم العديدة التي أنعم الله عليهم بها. هذا السلوك الواعي أساسي لتحقيق حالة ذهنية وجسدية متناغمة، مما يُمكن الفرد من تنظيم أولوياته وعلاقاته في الحياة بشكل صحيح. والأهم من ذلك، أن هذا النهج الدؤوب يُمثل الاستعداد الأمثل للمساءلة الحتمية يوم القيامة. في نهاية المطاف، هذا السلوك الثابت والمبدئي هو ما يضمن راحة البال العميقة والدائمة في الدنيا والآخرة. سورة الحج، الآية 14

الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار، ويفعل الله ما يريد إن

من المهم ملاحظة أن التعاليم الإسلامية تُذكر الإيمان والعمل الصالح معاً، فكلاهما ضروري لضمان راحة البال في الدنيا والآخرة. لذا، يجب على المرء أن يُقرن إيمانه بالله تعالى بالأعمال، وإلا فلن ينال الجزاء يُمكن تشبيه الإيمان بشعلة رقيقة تتطلب عناية. الموعود. بل إن من يُقصر في ذلك قد يُغادر الدنيا دون إيمانه ورعاية مستمرتين. فكما أن النار، إذا فُقد وقودها، تضعف تدريجياً حتى تنطفئ، كذلك يضعف الإيمان إذا لم يُغذَّ بطاعة الله تعالى. إن حيوية الإيمان تتوقف على التغذية المستمرة - بالصلاة والتأمل والعمل الصالح. فإذا أهمل هذا الغذاء، خفت شعلة الإيمان، تاركة القلب عرضة للظلام والحيرة. وحسن استخدام نعم الله تعالى ومن يُدع هذا النور يخبو، يُخاطر بفقدان الهداية التي تُنير طريقه في الدنيا وتؤمن له النجاة في الآخرة. هذه الخسارة هي الأشد فتكاً، فبدون الإيمان، يُترك المرء بلا هدى أو استقرار أو أمل حقيقي. لذلك، فكما يحمي الحارس الحكيم النار من الريح ويضمن تزويدها بالوقود، كذلك يجب على الإنسان أن يصون إيمانه بتحصيله من التأثيرات الضارة وتقويته بالطاعة العملية. وبذلك، لا تدوم شعلة الإيمان فحسب، بل تزداد إشراقاً، مرشدة إياه بوضوح في كل محنة من محنته، مما يؤدي إلى راحة البال في الدنيا والآخرة، من خلال تحقيق حالة ذهنية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في حياته على النحو الصحيح

كما ذكر سابقاً، يدعو الإسلام الناس إلى ضبط شهواتهم الدنيوية، وتوجيههم نحو الحلال والنفع. أما من لا غرض لهم في الحياة إلا إشباع شهواتهم، فكثيراً ما يجدون هذه الرسالة مزعجة، لأنها تكشف عن الطبيعة الحيوانية للإسراف. ولذلك، يسارعون إلى انتقاد الإسلام، لا لنقص في تعاليمه، بل لأن مبادئه تكشف عن فراغ مساعيهم. إضافةً إلى ذلك، تزدهر شركات وصناعات بأكملها بتشجيع الناس على إطلاق العنان لشهواتهم دون حدود. وتستفيد هذه الشركات من الإفراط والتبعية، ولذلك ترى في الانضباط الذي يدعو إليه الإسلام تهديداً لمصالحها. ونتيجةً لذلك، يكافحون ضد التعاليم الإسلامية، ساعين إلى تطبيع الإسراف وثني الناس عن العيش وفق الهداية الإلهية. أمام هذه المعارضة، يُنذرهم الله تعالى بأنه بما أنهم لا يستطيعون التغلب على الهداية الإلهية، لأن مصدرها هو الله تعالى نفسه، فعليهم إما قبولها من أجل أنفسهم، أو قتل أنفسهم، لأنه لا يشترط قبولهم ولا طاعتهم. سورة الحج، الآية ١٥

ومن ظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بحبل إلى السقف ثم ليقطع فلينظر هل يذهب سعيه ما "يغيظه؟"

لذلك، من الضروري أن نفهم أن الله تعالى ليس بحاجة إلى طاعة الناس. إن عدم فهم هذه الحقيقة يمكن أن يؤدي إلى الغرور حيث يعتقد الفرد خطأً أنه يمنح نعمة الله تعالى أو الدين بالالتزام بالأوامر الإلهية. يشكل هذا الغرور خطرًا كبيرًا، لأنه يمكن أن يعيق الطاعة الحقيقية، وخاصة عندما تتعارض الرغبات الشخصية مع إرادة الله تعالى، مما يصرف الشخص عن الطريق الصحيح. وعلى العكس من ذلك، فإن أولئك الذين يحافظون على فهم أن إيمانهم وأعمال طاعتهم تخدم في النهاية مصلحتهم العميقة سيعززون بشكل طبيعي التواضع أمام الله تعالى. يغرس هذا المنظور تفانيًا ثابتًا للطاعة، يستمر في ظل الظروف الصعبة والمريحة في أوقات الشدة، يظهر الصبر، وفي أوقات الرخاء، يعبرون عن امتنان عميق. يتجلى الامتنان على مستويات متعددة: في النية، يعني القيام بالأعمال فقط لمرضاة الله تعالى. في القول، يتضمن الشكر بكلمة طيبة أو التزام الصمت الكريم؛ وفي العمل، يتطلب استغلال جميع النعم الممنوحة بما يتوافق تمامًا مع القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. الصبر يعني الامتناع عن الشكوى، لفظًا وجسدًا، مع المواظبة على طاعة الله تعالى، والتوكل التام على حكمته، والإقرار بأنه يُقدَّر دائمًا الأفضل في النهاية، حتى وإن لم: سورة البقرة، الآية ٢١٦. تظهر المصلحة فورًا

"وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ..."

وبالتالي، فإن من يُوازن سلوكه باستمرار مع هذا النهج المتوازن والمتواضع في جميع الظروف، سينال عونًا ورحمةً لا ينقطعان من الله تعالى. ويؤدي هذا إلى سلامٍ عميق في الدنيا والآخرة، يتحقق من خلال تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، وتحديد أولوياته بدقة، ووضع كل شيء وكل شخص في حياته، وهي حالة مُوضحة بشكلٍ رائع في رواية موجودة في صحيح مسلم، رقم 7500

:سورة الحج، الآية 15

ومن ظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمد يده إلى السماء ثم يقطع فلينظر هل يذهب سعيه ما "
 "يغيظه؟

،يمكن فهم هذه الآية أيضًا على أنها تعني أن تعاليم الإسلام، بما أنها تتحدى شهوات الناس الدنيوية الجامحة، سيستخدمون كل وسيلة ممكنة لقطع الوحي الإلهي ومنع تأثيره الإيجابي من تشكيل المجتمع. قد يحاولون تحريف رسالته، وقمع أتباعه، أو استبدال مبادئه بأيديولوجيات من -صنع الإنسان تُشرع الانغماس والمادية ومع ذلك، مهما كانت الموارد المتاحة لهم، فإن محاولاتهم ستفشل في النهاية، لأنهم لا يستطيعون التغلب على الله تعالى، ولا يمكنهم إطفاء الهداية التي أنعم بها على البشرية. ستظل الجهود البشرية والأنظمة البشرية دائمًا في ظل الهداية الإلهية، مما يضمن لكل من يسعى بصدق إلى الحقيقة أن يجدها ويكون قادرًا على العمل بها. ولأن صراعهم هو في الواقع صراع مع الله تعالى، فإنهم محكومون بالفشل. يشهد التاريخ نفسه على هذه الحقيقة: فقد نهضت وسقطت أعداد لا تُحصى من الأفراد والإمبراطوريات والقوى، ساعيةً إلى استئصال الإسلام من المجتمع بالسياسة والحرب والدعاية، بل وحتى في العصر الحديث، من خلال التلاعب بوسائل الإعلام والتأثير الثقافي. ومع ذلك، ظل الإسلام صامدًا، لا يهتز أمام هذه الجهود، وسيظل صامدًا إلى يوم القيامة. إن محاولاتهم عبثية كمحاولة إطفاء نور الشمس بالنفخ عليها، فنور الله تعالى لا يطفئه نفس بشر:
 سورة التوبة، الآية 32

يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون

:لقد وصلت تعاليم الإسلام إلى البشرية كاملةً، فلا عذر للجهل. سورة الحج، الآية ١٦

"وكذلك أنزلنا القرآن آيات بينات "

تقع على عاتق كل إنسان مسؤولية السعي إلى السلام في الدنيا والآخرة بقبول مبادئه وتطبيقها بإخلاص، وبهذا، سيحققون انسجامًا عقليًا وجسديًا، ويضعون أولوياتهم في جميع جوانب حياتهم على الوجه الصحيح ويستعدون للمحاسبة النهائية أمام الله تعالى يوم القيامة. وهكذا، فإن كفاح معارضي الإسلام إنما يُبرز صدقه وصموده. ويصبح عداؤهم شهادة على قوة الوحي الإلهي، فرغم قرون من المعارضة، لا يزال الإسلام ينتشر، مُهديا القلوب ومُغيرا المجتمعات. إن نور الله تعالى لا ينطفئ أبدًا، ومن يعتنقه سيجد النصر الأبدي: سورة الحج، الآية 16

"وكذلك أنزلنا القرآن آيات بينات وأن الله يهدي من يريد"

مهما بلغ تقدم أي مجتمع، ومهما اكتسب من معارف في مختلف المجالات، بما فيها الجوانب العقلية والجسدية والاجتماعية للحياة البشرية، يبقى من المستحيل على الإنسان صياغة قواعد سلوكية تتوافق تمامًا مع طبيعته البشرية، وقادرة على معالجة كل ظرف وحالة وسيناريو قد يواجهه الأفراد أو المجتمعات طوال وجودهم على الأرض. هذا المسعى مستحيل أساسًا، فالبشرية لا تزال في طور اكتشاف أبسط حقائق وجودها، مثل الوظائف المعقدة لمختلف مناطق الدماغ البشري. فإذا لم يتوصل الناس بعد إلى معرفة كاملة بتركيبهم الجسدي والعقلي، فكيف يسعهم أن يأملوا في وضع قواعد سلوكية سليمة تضمن الطمأنينة والعدل والوئام على المستويين الفردي والاجتماعي؟ الله تعالى وحده هو القادر على وضع هذه القواعد، فهو خالق كل شيء. علمه لا حدود له، يشمل الماضي والحاضر والمستقبل، بالإضافة إلى خفايا الخلق التي لا تزال عصية على الإدراك البشري. وهكذا، فهو وحده المستحق أن يمنح البشرية منهج سلوكٍ كاملٍ وشاملٍ وأبدي - منهجٌ يُميّز بوضوح الخير من الشر، والنافع من الضار، ويُسهّل بلوغ راحة البال في حياةٍ اكتنفها التوتر والارتباك. والتاريخ نفسه يشهد على هذه الحقيقة. فكلما طُبّق منهج السلوك الإلهي بصدق في حياة الأفراد والمجتمعات، أثمر بيئةً من الطمأنينة والعدل والسلام. وازدهرت المجتمعات، ليس فقط في الرخاء المادي، بل في الاستقامة الأخلاقية والتماسك الاجتماعي والاكتمال الروحي. وعلى العكس، عندما تخلى الناس عن الهداية الإلهية واتبعوا -الأنظمة التي صنعها الإنسان، وقعوا حتمًا في دوامات من الظلم والفساد والاضطراب، رغم ما حققوه من تقدم دنيوي. لذلك، يجب على الأفراد اعتناق منهج السلوك الإلهي الذي أُوحي إليهم، معتبرينه أنفعهم لرفاهيتهم -، حتى وإن تعارضت بعض عناصره مع رغباتهم الشخصية. كما يُقرّ المريض الحكيم بنصيحة الطبيب الماهر ويلتزم بها، مُدركًا أن وصف الدواء المُمر أو اتباع نظام غذائي صارم هو في نهاية

المطاف لصحته، فكَذلك يجب على الإنسان أن يُسلم أمره لله تعالى، إرشادًا منه .فبينما تكون رغبات الإنسان قصيرة -النظر، وغالبًا ما تكون مُدمرة للذات، فإن الحكمة الإلهية كاملة، أبدية، ودائمة في مصلحة الخلق

سورة الحج، الآية 16

"وكذلك أنزلنا القرآن آيات بينات "

يُعدّ القرآن الكريم أبلغ وأعمق وأزلي وحي أنزل على البشرية على الإطلاق .فتعبيراته لا تُضاهى في الجمال والعمق والدقة، بينما تُثقل معانيه بطريقة واضحة ومباشرة تخاطب العقل والقلب مباشرةً .كل آية من آيات القرآن الكريم متوازنة تمامًا - جليلة في اللغة، سليمة في البناء، بعيدة عن التقليد .لا يوجد كتاب آخر في الوجود يُضاهي بلاغته أو وضوح رسالته .وعلى عكس الكتب المقدسة وتعاليم الديانات الأخرى، فإن القرآن الكريم خالٍ تمامًا من التناقضات .فهو يُقدم الحقيقة المتسقة من البداية إلى النهاية .ويروي تاريخ الأمم السابقة بدقة وبصيرة ملحوظتين، على الرغم من أن النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم لم يكن متعلمًا في التاريخ، ولم يكن لديه إمكانية الوصول إلى السجلات التاريخية .يأمر القرآن الكريم بكل خير وينهى عن شروره سواءً أكانت تُفسد النفس أم تُزعزع المجتمع، ليعمّ العدل والسلام والأمن في كل بيت ومجتمع .لا يلجأ القرآن، الكريم إلى المبالغة أو الزيف أو الخيال الشعري .بخلاف الحكايات والقصص والأساطير التي يصنعها البشر فإن كل كلمة فيه متجذرة في الحقيقة والحكمة الإلهية .تحمل كل آية فيه فائدة عملية وهداية تُطبق في حياتنا اليومية .حتى مع تكرار القصة نفسها، فإنها لا تُكرر أبدًا؛ بل إن كل إعادة سرد تُقدم دروسًا ورؤى وحكمًا جديدة .بخلاف غيره من الكتب، لا يُرهق القرآن الكريم القارئ مهما تكرر تلاوته أو دراسته .يتجدد جماله وعمقه مع كل قراءة، مُلهمًا الرهبة والتأمل باستمرار .يُقدم القرآن الكريم وعودًا وتحذيرات، مدعومة بأدلة واضحة لا تُدحض .عندما يتحدث القرآن الكريم عن مفاهيم مجردة كالصبر والشكر والتواضع، فإنه يُقدم أيضًا سبلاً عملية وسهلة المنال لتطبيق هذه الفضائل .فهو لا يدعو الناس إلى مجرد طقوس أو نظريات، بل إلى حياة هادفة :إلى تحقيق غاية خلقهم بطاعة الله تعالى بإخلاص، واستخدام النعم التي وهبها لهم بما يرضيه بهذه الطاعة، ينال المرء راحة البال والنجاح في الدنيا والآخرة، محققًا حالة ذهنية وجسدية متوازنة، مع وضع كل شيء وكل شخص في حياته على الوجه الصحيح، ومستعدًا بصدق للمحاسبة يوم القيامة .يجعل القرآن الكريم الطريق المستقيم إلى الله تعالى واضحًا وجذابًا لكل من يسعى إلى السلام والنجاح الحقيقيين ولأنه يُخاطب جوهر الطبيعة البشرية، فإن رسالته خالدة، صالحة ومفيدة لكل جيل ومكان وظروف .إنه شفاء

لكل داء عاطفي وأخلاقي واجتماعي، بل وحتى اقتصادي، إذا فهم وطُبق بشكل صحيح. في كلماته الإلهية تكمن الحلول لكل مشكلة قد يواجهها فرد أو مجتمع. يشهد التاريخ نفسه أن المجتمعات التي طبقت تعاليمه بإخلاص حققت العدل والوحدة والرخاء والسلام. لقد مرت قرون على نزوله، ولم يُغيّر منه حرف واحد، فقد: سورة الحجر، الآية 9. ضمن الله تعالى حفظه بنفسه. لم يمتلك أي كتاب آخر في التاريخ هذه الحماية الإلهية:

"إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ"

علاوة على ذلك، لا يتناول القرآن الكريم القضايا السطحية في المجتمع فحسب، بل يتناول أيضًا الأسباب الجذرية للمشاكل الإنسانية، مقدمًا حلولًا عملية وشاملة. وبتصحيح هذه القضايا الجذرية، تُحل تلقائيًا المشاكل: الثانوية العديدة الناجمة عنها. سورة النحل، الآية 89

"...ونزلنا إليك الكتاب تبياناً لكل شيء..."

:وسورة الحج الآية 16

"وكذلك أنزلنا القرآن آيات بينات وأن الله يهدي من يريد "

القرآن الكريم إذن هو أعظم وأبقى معجزة من معجزات الله تعالى، أنزلها على خاتم رسله، النبي محمد صلى الله عليه وسلم. إلا أن من سعى إلى الحق بإخلاص وتواضع وطاعة، سينال ثماره حقًا. أما من انتقي منه ما

يوافق أهوائه، فلن يجد إلا الحيرة والضياع في الدنيا والآخرة، نتيجة اختلال توازنه النفسي والجسدي، وإضاعة كل شيء وكل شخص في حياته، وتقصيره في الاستعداد الكافي للحساب يوم القيامة). سورة الإسراء، الآية 82).

وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا

ولكن بما أن الله تعالى لا يُجبر الناس على الهداية، إذ يُبطل ذلك امتحان الدنيا، فإنه يُتيح لكل إنسان اختيار، (سورة الحج) طريقته في الحياة الدنيا، ويحاسبه في الدنيا والآخرة، فهو أعلم بنواياهم وأقوالهم وأفعالهم (الآية ١٧).

إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يحكم بينهم يوم القيامة " إن الله على كل شيء شهيد

لحثّ الناس على اتباع الصراط المستقيم، ذكر الله تعالى بعض الآيات التي تُبيّن وجوب طاعته وحده في كل حال. سورة الحج، الآية ١٨

ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدابة " ...وكثير من الناس

جميع المخلوقات، باستثناء البشر، قد انقادت لطاعة الله تعالى، فعاشت في حالة من التوازن والانسجام التام. يتجلى هذا الانسجام لكل من تأمل في النظام الطبيعي للكون: شروق الشمس وغروبها الدقيق، وأطوار القمر المُقاسة، والكواكب العديدة التي لا تُحصى والتي لا تزال ثابتة في مداراتها. كل عنصر من عناصر الخلق يؤدي دوره دون انحراف، وهذا النظام المثالي لا يتحقق إلا بخضوعها التام لأمر الله تعالى. في المقابل، لا يُراعى هذا الانسجام بين البشر باستمرار، فخلًا لسائر المخلوقات، مُنح الناس حرية الإرادة، وكثيرًا ما يختارون معصية الله تعالى. وعندما يبتعدون عن هدايته، ينشأ اختلال في حياتهم ومجتمعاتهم، متجلى في الفوضى والصراع والاضطراب. لذلك، إذا رغب المرء في بلوغ نفس الانسجام والتوازن الذي يشهده في الكون، فعليه أن يحذو حذو الخلق بطاعة الله تعالى بإخلاص في كل وقت. تتجلى هذه الطاعة بالاستخدام الصحيح للنعم التي مُنحت لهم وفقًا للقرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. وبهذا، سيحققون حالة من التوازن الداخلي والخارجي: حالة ذهنية وجسدية متناغمة، حيث يوضع كل جانب من جوانب الحياة في مكانه الصحيح. هذه الحياة القائمة على الطاعة لا تُهيئ الإنسان جيدًا للمحاسبة يوم القيامة فحسب، بل تمنحه أيضًا الطمأنينة في الدنيا والآخرة. فكما أن السماوات والأرض تستقيمان بالخضوع لأمر الله، كذلك لا يطمئن قلب الإنسان وحياته إلا بالاستسلام الصادق لله تعالى. سورة الحج، الآية 18

ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدابة " ...و كثير من الناس

ولكن بما أن طاعة الله تعالى تتعارض مع شهوات الناس الدنيوية، فإن كثيرًا منهم يُصرون على معصيته بإساءة استخدام النعم التي أنعم بها عليهم. ونتيجة لذلك، يقع هؤلاء الأفراد في حالة من عدم التوازن العقلي والبدني، ويفقدون وضوح أولوياتهم والمكانة الصحيحة للأشخاص والأشياء في حياتهم. وينحرف تركيزهم عن الهدف الحقيقي للوجود، ويتركهم غافلين عن محاسبتهم النهائية أمام الله تعالى يوم القيامة. سيؤدي هذا الغفلة حتمًا إلى اضطراب داخلي وقلق ومشقة في الدنيا والآخرة. حتى لو بدا أنهم يتمتعون ببعض وسائل الراحة أو الرفاهية الدنيوية، فإن هذه الملذات الزائلة لن تمنحهم أبدًا سلامًا دائمًا أو نجاحًا حقيقيًا عند الله تعالى. سورة الحج، الآية 18

"بل حقَّ على كثيرٍ العذابُ ومن يُهن الله فما له من مُكرِّمٍ إن الله يفعلُ ما يشاءُ..."

في نهاية المطاف، بما أن كل شيء في الوجود ملكٌ لله تعالى وسلطانه المطلق، فمن الضروري للأفراد الالتزام بأوامره. وكما قد يُعاقَب المرء على مخالفة قوانين بلد، فإن تجاهل أحكام الله تعالى التي وضعها الخالق سيؤدي حتمًا إلى مشقة في الدنيا وعواقب وخيمة في الآخرة. قد يختار المرء مغادرة بلد لا تروق له قوانينه، لكنه لا يستطيع الفرار من سلطان الله تعالى، لأن سلطانه يشمل الكون بأسره. ومع أن الأفراد قد يحاولون تغيير المعايير المجتمعية أو إعادة تعريف الأخلاق وفقًا لأهوائهم، إلا أنهم لا يستطيعون تعديل قوانين الله تعالى التي وضعها. وكما يُملّي صاحب المنزل القواعد داخل ممتلكاته، فإن الكون يحكمه الله تعالى وحده، الذي يُحدد قوانينه دون الحاجة إلى موافقة أو تصديق بشري. أحكامه لا تخضع للتعديل، ولا يمكن تجاوزها بإجماع بشري. لذا، فإن اتباع هذه التعاليم الإلهية ليس طاعةً فحسب، بل هو أيضًا مصلحةً شخصيةً وجماعية. ومن يدرك هذه الحقيقة سيسعى جاهدًا لامتنال أوامر الله تعالى، وسيسعى إلى استغلال النعم التي أنعم بها عليه بما يرضيه، كما ورد في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. هؤلاء يدركون أن الأوامر الإلهية ليست قيودًا تعسفية، بل هي حكمةٌ راسخة، تهدف إلى تعزيز الرفاه الشخصي والوثام -المجتمعي. من ناحيةٍ أخرى، يجب على من يسمحون لشهواتهم بالسيطرة ويتجاهلون التعاليم الإسلامية أن يكونوا مستعدين لمواجهة عواقب أفعالهم. لن يثنّيهم أي قدرٍ من الأعذار أو الاعتراضات أو الشكاوى عن عاقبة ما قدره الله تعالى. سورة الكهف، الآية 29

وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر. إنا أعتدنا للظالمين نارًا أحاط بهم سرادقها. وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمسح يشوي الوجوه. بئس الشراب وساءت مرقدته.

:وسورة الحج الآية 18

"بل حقٌّ على كثيرٍ العذابُ ومن يُهن الله فما له من مُكرِّمٍ إن الله يفعل ما يشاء..."

كما لا مفرّ من قوانين الدنيا دون عقاب، فكَذلك لا مفرّ من العدل الإلهي. لكن الفرق هو أن قوانين الدنيا، محدودة وناقصة، بينما قوانين الله تعالى كاملة، خالدة، وشاملة - .فالعقل هو من يستسلم طوعاً للهداية الإلهية، مُدركاً أن الحرية والطمأنينة الحقيقية لا تكمنان في مقاومة قوانين الله تعالى، بل في اعتناقها. وبهذا الاستسلام يضمن راحة البال في الدنيا والفلاح الأبدي في الآخرة، من خلال تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، ومن خلال حسن توزيع كل شيء وكل شخص في حياته.

على مر التاريخ، كلما مُنحت الهداية الإلهية للبشرية، أدى ذلك حتماً إلى نشوء فريقين. فريق قبل الأدلة الواضحة على الهداية الإلهية، ونتيجةً لذلك، نال راحة البال في الدنيا والآخرة، من خلال تحقيق حالة ذهنية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في مكانه الصحيح في حياتهم. ولكن عندما تحدث الهداية الإلهية رغبات وطموحات الفريق الآخر الدنيوية، قاوموا وانتقدوا وتحذروا الفريق الراشد. سورة الحج الآية 19.

...خصمان اختصما في ربهما هذان

- بشكل عام، غالباً ما يثير الأفراد الذين يتبنون بوعي أسلوب حياة يبتعد عن الأعراف المجتمعية السائدة وخاصةً تلك القائمة على الطاعة الصادقة لأوامر الله تعالى - انزعاجاً لدى أولئك الذين تُملي عليهم في المقام الأول رغباتهم الشخصية أو دوافعهم الدنيوية. يتجلى هذا الانزعاج الداخلي عادةً في صورة نقد أو سخريّة أو حتى عداء صريح، وقد يكون أشد وطأة داخل الدوائر الأقرب من العائلة والأصدقاء والزملاء. لا تُمثل هذه ردود الفعل بالضرورة اتهاماً لصدق المؤمن أو إيمانه، بل هي انعكاس للتحدي الذي يُشكله ثباته الأخلاقي على أنماط حياة الآخرين وقيمهم وتبريراتهم الذاتية. ونتيجةً لذلك، غالباً ما يُقابل الالتزام الراسخ بالتوجيه الإلهي بالمقاومة، حتى عندما يُجسد التميز الأخلاقي والنزاهة الروحية والرحمة الحقيقية.

في العصر الحديث، تمارس قوى مثل وسائل التواصل الاجتماعي والثقافة الشعبية والمعايير المجتمعية سريعة التغير تأثيراً هائلاً، مما يزيد من صعوبة التزام المؤمنين بالقيم الإسلامية والتعبير عنها علانية. أحياناً ما

تُصوّر طاعة الله تعالى وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم على أنها عائق أمام النجاح الدنيوي والمكانة الاجتماعية أو القبول العام. علاوة على ذلك، قد تُعارض العديد من المؤسسات والصناعات المعاصرة وخاصة تلك التي تحركها الأرباح المادية أو الأيديولوجيات المتساهلة - بشكل خفي أو علني دمج الأخلاق الإسلامية، مما يُهمّش أولئك الذين لا يزالون ملتزمين بها. وقد ساهمت هذه المعارضة بشكل كبير في تصاعد المشاعر المعادية للإسلام، وخاصة عبر المنصات الرقمية والإعلامية حيث تُشكّل الروايات عمدًا لتشويه صورة الإسلام وتثبيط الالتزام بمبادئه.

إن من يتبعون تعاليم الإسلام بإخلاص، ويُحكمون قبضتهم على شهواتهم، ويستغلون نعم الله تعالى بحكمة وامتنان، غالبًا ما يواجهون احتكاكًا من أشخاص يعيشون حياةً جامحة، ويستسلمون لنزوات تُعتبر حيوانية في الإطار الأخلاقي الإسلامي. قد يحاول هؤلاء الأفراد ثني الآخرين عن ممارسة الإسلام، مُشجعين بدلاً من ذلك على نمط حياة من الانغماس الجامح وإشباع الذات. وكثيرًا ما يُوجّه انتقادهم لممارسات إسلامية مُحددة - مثل قواعد اللباس المفروضة على النساء - ليس من باب القلق الحقيقي، بل كوسيلة لتقويض سلطة الدين نفسه وأهميته. ومع ذلك، يُدرك أصحاب البصيرة سطحية هذه الاعتراضات، مُدركين أنها نابعة من عدم ارتياح متأصل لدعوة الإسلام إلى الانضباط والحياء وضبط النفس. على سبيل المثال، غالبًا ما يخضع الزني الإسلامي لتدقيق مُبالغ فيه، بينما لا تُثير متطلبات اللباس المُماثلة في مهن مثل إنفاذ القانون والطب والتعليم والبيئات المؤسسية سوى القليل من النقد، إن وُجد. يكشف هذا التناقض عن المنطق الخاطئ والتحيز الكامن وراء هذه الحجج. في نهاية المطاف، لا تتبع المقاومة الموجهة للإسلام وأتباعه من الممارسات الظاهرية نفسها، بل من المبادئ التي تمثلها - مبادئ تتناقض تناقضًا صارخًا مع أنماط الحياة القائمة على الإفراط والتزلف والسعي وراء الملذات الزائلة. سورة الحج، الآية 19

...خصمان اختصما في ربهما هذان

، هذا التناقض الأخلاقي والروحي هو ما يثير المعارضة، إذ يُذكرنا مثال المؤمن المنضبط، في صمته وقوته بالغاية السامية، والمسؤولية أمام الله تعالى، وقيمة ضبط النفس الدائمة في عصر الغفلة. في مثل هذه الظروف الصعبة، تُصبح طاعة الله تعالى الراسخة ضرورة لا غنى عنها. فهي تُنمّي شعورًا عميقًا بالسلام الداخلي لدى الفرد، وتُشكّل درعًا يحميه من الضغوط الخارجية الضارة، حتى وإن لم تكن تلك الحماية ظاهرة للعيان ومن خلال هذا التمسك الراسخ، يتعلم المرء كيفية استخدام النعم الممنوحة له على الوجه الصحيح، مما يُعزز

التوازن النفسي والجسدي. تُسهّل هذه الطاعة تنظيم جميع جوانب الحياة تنظيمًا سليمًا، وتضمن الاستعداد الكافي للمساءلة يوم القيامة. وهكذا، فإن طاعة الله تعالى تتجاوز مجرد الواجب الروحي؛ فهي مصدر انسجام واستقرار في شؤون الدنيا، تُعزز السكينة في الدنيا، وتؤمن السلام الأبدي في الآخرة. وبالتالي، فإن أولئك الذين يظنون مصممين على إخلاصهم يتم توجيههم إلهيًا من خلال كل الظروف - سواء كانت من السهولة أو المحنة - وبالتالي تعزيز صفاءهم الداخلي وضمان مكافآت لا تعد ولا تحصى تتجاوز حدود الفهم الدنيوي.

في المقابل، فإن اختيار تجاهل أوامر الله تعالى، مُفضلاً طلب رضا الآخرين، يؤدي حتمًا إلى فقدان السلام الداخلي. تُشجّع هذه الأفعال على إساءة استخدام النعم، مما يؤدي إلى فوضى نفسية وجسدية، ويُفقد الفرد كل شيء وكل شخص في حياته. هذا المسار يُؤدّ حتمًا ضغوطًا وتحديات في هذه الحياة، بغض النظر عن أي رفاهية مادية قد يتمتعون بها. علاوة على ذلك، ولأن هذا الموقف يمنعهم من الاستعداد للمساءلة في الآخرة، فسواجهم صعوبات أكبر هناك، لأن الذي سيحاسبهم مطلع تمامًا على جميع نواياهم وأقوالهم وأفعالهم.

سورة الحج، الآيات 19-22:

،لكن الذين كفروا قطعوا لهم ثيابًا من نار، يُصب على رؤوسهم الحميم، يصهر به ما في بطونهم والجلود ...".
،ولهم مكابس من حديد، كلما أرادوا أن يخرجوا من النار من غم أعيدوا فيها، وذوقوا عذاب الحريق

من أهم أسباب وصف حقائق الآخرة - كيوم القيامة والجنة والنار - بتفاصيلها الدقيقة والمؤثرة في التعاليم الإسلامية، هو دحض المعتقدات الخاطئة التي رسخت لدى الأمم السابقة، والتي استخفت بهذه الحقائق، بل وسخرت منها. وقد نبع هذا التجاهل من تفاؤل وهمي وخداع للذات، إذ دأب الناس على تحدي أوامر الله تعالى، مُقنعين أنفسهم بأنهم سيحققون النجاة والسلام في الدنيا والآخرة. وقد اتخذت هذه الأوهام أشكالاً خادعة عديدة، كالاعتماد على شفاعة الصالح دون إصلاح النفس، أو الاعتقاد بأن الإقرار بالإيمان وحده يكفي للنجاة مهما كانت الأعمال، أو الاعتقاد بأن التوبة والندم واردة في يوم القيامة، أو توهم أن عذاب الآخرة خفيف لا يُقارن بفتن الدنيا. هذه الآمال الزائفة أضعفت اليقظة الروحية وشجعت على الغفلة. ولذلك، أنزل الله تعالى، بحكمته اللامتناهية، أوصافًا للآخرة في وضوح وتفصيل مذهلين، ليدرك البشر خطورتها، ويتركوا التهاون ويستعدوا بصدق للمساءلة. هذه الصورة الجليّة لا تهدف إلى زرع اليأس أو اليأس، بل إلى إيقاظ القلب من الغفلة وتذكيره بالحقيقة المطلقة. والغرض هو إلهام التوبة الصادقة والطاعة الراسخة لله تعالى، من خلال الاستخدام الواعي والصالح لنعمه - استخدامها فقط فيما يرضيه، كما هو مبين في القرآن الكريم وسنة النبي

محمد صلى الله عليه وسلم .باستيعاب هذه التعاليم، يُحمى الإنسان من مخاطر الأمل الزائف، ويُحفظ من الغفلة الروحية، ويُهدى إلى الإخلاص والتواضع والانضباط الأخلاقي .وبذلك، يستعدون استعدادًا جيدًا للقاء الله تعالى، وينالون رحمته والسلامة من عقابه، فيحققون بذلك النجاح الحقيقي والسلام في الدنيا والآخرة، من خلال تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، ووضع كل شيء وكل شخص في حياتهم على الوجه الصحيح :سورة الحج، الآية ٢٣

إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب " ولؤلؤ ولباسهم فيها حرير

كما ورد في التعاليم الإسلامية، يجب أن يُدعم إيمان المرء الباطن بالأعمال الصالحة الظاهرة لينال جزاء الطمأنينة في الدنيا والآخرة .ولذلك، وكما تشير الآية التالية، يجب على المرء أن يُدعم إيمانه الشفهي بالأعمال الصالحة من خلال تعلّم التعاليم الإسلامية والعمل بها) .سورة الحج، الآية ٢٤)

"...وهذوا إلى القول الطيب"

عند التأمل في القرآن الكريم، الذي يُعتبر عالميًا أسمى وأظهر كلام، يجد المرء أن الالتزام الحقيقي يتطلب من الفرد الوفاء بفروض مختلفة .هذه الفرائض أساسية لضمان أن يُقدّم الكتاب المقدس هداية كاملة، تُعين المرء على اجتياز جميع جوانب الحياة، من اليسر إلى العسر، مما يضمن في نهاية المطاف راحة البال في الدنيا والآخرة .الخطوة الأولى في هذا المسعى هي تلاوة النص بدقة واتباع .وهذا يتجاوز مجرد القراءة؛ فهو يتضمن ضمان صحة النطق والإيقاع، واعتبار الفعل نفسه عبادة .البعد الحاسم الثاني هو فهم تعاليمه مما يستلزم طلب العلم من مصدر موثوق ومعلم خبير .أما البعد الأخير والأعمق فهو تطبيق هذه التعاليم في الحياة اليومية، بنية خالصة خالصة لمرضاة الله تعالى .يُظهر المسلم المخلص هذا الالتزام بوضع توجهات القرآن الكريم فوق أهواء النفس التي تتعارض مع مبادئه .إن تهذيب النفس وأخلاقها وسلوكها بما يتوافق تمامًا مع القرآن الكريم يُعدّ أوضح انعكاس للتفاني الحقيقي له .هذا الالتزام العملي العميق يعكس حياة النبي

الكريم محمد صلى الله عليه وسلم المثالية، وهو تفانٍ مُلاحظ في أحاديث مثل حديث سنن أبي داود رقم يتطلب تكريم القرآن الكريم من الفرد الانخراط فيه بجدية، والسعي لفهم أوامره وحكمه وتطبيقها. 1342 بالكامل، حتى - وخاصةً - عندما تتعارض مع ميوله الشخصية. عندما يختار الفرد الالتزام فقط بأوامر أو نواهي أو توجيهات مختارة بناءً على ما يناسبه أو يوافق تفضيلاته، فإنه يكشف عن نقص جوهري في الأصالة تجاه الكتاب المقدس. هذا التقيد الانتقائي يمنع المؤمن من جني ثمار الحكمة الروحية والعملية العميقة: سورة الإسراء، الآية 82. التي يقدمها القرآن الكريم

.وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً

مع أن القرآن الكريم بلا شك مصدر شفاء وحلٍّ لمشاكل الدنيا، إلا أنه من الضروري ألا يقتصر دوره على هذه الوظيفة فحسب. يجب ألا يقع المرء في فخ تلاوته أو استخدام آياته لمعالجة قضايا الدنيا، فيتعامل مع القرآن الكريم كأداة تُستخدم عند الشدة ثم يُهمل جانباً عند زوال الشدة. إن الهدف الأسمى والأسمى للقرآن الكريم هو تقديم الهداية لعبور آمن وناجح إلى الآخرة. إن تجاهل هذا الهدف الأساسي واستخدام الكتاب المقدس فقط للمشاكل الدنيوية المؤقتة أمر غير لائق؛ فهو يتعارض مع المبادئ الكلية للعقيدة الإسلامية الأصيلة يُشَبَّه هذا النوع من السلوك بشراء سيارة فاخرة مزودة بالعديد من الميزات المتقدمة مع إهمال محركها عمداً - مما يجعل وظيفتها الأساسية عديمة الفائدة. يُظهر هذا النهج افتقاراً واضحاً للالتزام الحقيقي والشامل بطبيعته الإلهية وهدفه.

من اتخذ الموقف الصحيح هُدي إلى الصراط المستقيم الذي اختاره الله تعالى، والذي يؤدي إلى حياة كريمة من خلال تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل، في الدنيا والآخرة، قوامها راحة البال: سورة الحج، الآية ٢٤. شيء وكل شخص في مكانه الصحيح

"وهدوا إلى صراط الحميد"

سورة الحج، الآية 24

"وهدوا إلى القول الطيب وهدوا إلى صراط الحميد"

، هذه الآية مبنية للمجهول، دلالة على أن الهداية الحق لا تنال إلا برحمة الله تعالى وفضله .إلهام طلب الهداية ومعرفة الحق، والقدرة على العمل به، وفرص الثبات - كلها من الله تعالى وحده .وإدراك هذه الحقيقة يقي الإنسان من صفة الكبر المهلكة، التي تدفعه إلى نسب النجاح والصلاح إلى الجهد الشخصي بدلاً من العون الإلهي .كما أن الكبر، إذا لم يُكبح، قد يدفع الإنسان إلى الاعتقاد بأنه يُقدم الله تعالى معروفاً بطاعته، كأنه محتاج إلى عبادته .وهذا التفكير يُفسد صدق الإيمان ويُضعف الطاعة، لا سيما عندما تتعارض رغبات المرء مع أوامر الله تعالى .في المقابل، من يدرك أن الإيمان والعبادة والطاعة تُسهم في نهاية المطاف في ترقيته الروحية - وأن الحمد لله تعالى، سواء حمده خلقه أم لا - سيُنمي تواضعه أمامه بطبيعته .هذا التواضع يُبقيهم ثابتين على دينهم في السراء والضراء .في أوقات الشدة، يُظهرون الصبر، مُمتنعين عن الشكوى قولاً أو فعلاً، مُوقنين بأن الله تعالى يختار دائماً الأفضل، حتى وإن لم تتضح حكمته فوراً .سورة البقرة، الآية ٢١٦

"وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ..."

،في أوقات الرخاء والرخاء، يُظهرون الشكر ظاهراً وباطناً .فالشكر بالنية هو العمل خالصاً لوجه الله تعالى والشكر بالقول هو قول الخير أو اختيار الصمت عند الحاجة، والشكر بالعمل هو استخدام النعم بما ورد في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم

من يلتزم بهذا السلوك المتوازن - التواضع في السراء والثبات في الشدة - ينال عونًا ورحمةً وعطفاً لا ينقطع من الله تعالى. ونتيجةً لذلك، ينال طمأنينةً داخليةً، واستقرارًا في النفس والجسد، ونظرةً متناغمةً للحياة ويستطيع هذا الشخص تحديد أولوياته في جميع أموره وعلاقاته بدقة، مما يؤدي إلى الرضا في الدنيا والتوفيق الدائم في الآخرة. وقد ورد هذا الواقع بوضوح في حديثٍ في صحيح مسلم، رقم 7500، يؤكد أن الطمأنينة: سورة الحج، الآية 24. والرضا الحقيقيين ينبعان من انسجام القلب والعمل مع طاعة الله تعالى

"وهدوا إلى القول الطيب وهدوا إلى صراط الحميد"

يجب إذن إثبات الإيمان بالله تعالى، ولو بالقول فقط، باستمرار من خلال الجهد العملي. فالفرد، كما ذكر سابقًا، مُلزمٌ بالسعي الحثيث لمعرفة تعاليم الدين، ثم ترجمة هذه الحكمة إلى سلوكٍ صالح. إن عدم الحفاظ على هذه الوحدة الضرورية بين الإيمان والعمل ينطوي على خطرٍ جسيم، قد يؤدي إلى تآكل التزام المرء الروحي أو انهياره تمامًا. من الضروري إدراك أن الإيمان ليس حالةً ذهنيةً خاملة؛ بل هو بمثابة كائنٍ حيٍّ هَشٍّ - نبتةٌ، تحتاج إلى عنايةٍ وتغذيةٍ منتظمةٍ ودقيقةٍ لتزدهر وتستمر. وكما يحتاج النبتة النامية إلى مواردٍ لا غنى عنها كضوء الشمس والماء والتربة الخصبة، لمنعها من الذبول والموت، فإن الحياة الروحية للإنسان تتطلب تغذيةً مستمرةً من الطاعات والأعمال الفاضلة التي تُرضي الله تعالى. إن إهمال هذا الغذاء الروحي الأساسي يُضعف أسس الإيمان. إن الثمن النهائي لهذا الإهمال الروحي - موت الإيمان - يعتبر الخسارة الأعظم والأكثر مأساوية التي يمكن تخيلها.

لأن طاعة الله تعالى تتعارض مع رغبات الناس الدنيوية، فإن كثيرًا منهم إما أن ينصرفوا عن الإيمان كليًا أو يعجزوا عن ترجمة شهادتهم الشفهية إلى طاعات. والحقيقة هي أنه كلما تخطى شخص عن قواعد السلوك الإسلامية لصالح أنظمة وضعها الإنسان، فإن الدافع الأساسي هو السعي وراء الإشباع الشخصي، لأن كل إطار بديل ينبع في النهاية من الرغبة البشرية. هذه الأنظمة ليست محايدة أو موضوعية؛ بل صُممت لاستيعاب ميول الناس لا لتأديبهم. وغالبًا ما يكون أصحاب الثروة والمكانة والنفوذ هم الأكثر رسوخًا في هذه العقلية فهم يدركون أن القبول الصادق للإسلام يتطلب منهم الخضوع لنظام أخلاقي إلهي يضع حدودًا لانغماسهم ويكبح جماح اندفاعهم وراء الأهواء الضالة. ولهذا السبب، لا يقاومون الحقيقة فحسب، بل يسعون أيضًا إلى إقناع الآخرين باتباعهم، خوفًا من أن يؤدي الاعتراف بالسلطة الإلهية إلى إضعاف قوتهم وتقويض نفوذهم في المجتمع. يشهد التاريخ على هذا النمط: كان الأغنياء والأقوياء دائمًا أول من عارض الأنبياء عليهم

السلام، ليس لغياب الدليل على صدق رسالتهم، بل لأن الخضوع لها هدد طموحاتهم الدنيوية. لم يكن رفضهم يومًا مسألة شك فكري أو بحث جدي في صحة الإسلام؛ بل كان، ولا يزال، مسألة تشبث بالرغبة ورفض التخلي عن الرفاهية والامتيازات التي توفرها هذه الرغبات. وقد تصرف قادة غير المسلمين في مكة بهذه الطريقة، إذ سعوا جاهدين لثني الآخرين عن اعتناق الإسلام، خوفًا من فقدان نفوذهم الاجتماعي وقيادتهم مع ظهور الإسلام. بل وصل بهم الأمر إلى حد منع النبي محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم من دخول مكة لإتمام مناسك الحج، وهو أمر لا يحق لهم فعله، حتى وفقًا لعاداتهم وتقاليدهم الضالة). سورة (الحج، الآية 25، سورة الحج، الآية 22).

"...إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاشق فيه ومن خارجه "

في السنة السادسة من هجرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة، خرج مع أصحابه الكرام رضي الله عنهم، قاصدين زيارة الكعبة. إلا أن كفار مكة منعوهم من الدخول، وأجبروهم على النزول في الحديبية على أطراف المدينة. ولتوضيح نيته السلمية، أرسل النبي محمد صلى الله عليه وسلم خراش بن أمية رضي الله عنه سفيرًا له إلى أهل مكة. إلا أنه عند وصوله، هاجمه الكفار غدرا، وذبحوا ناقته، وكادوا أن يقتلوه. ولم ينجُ خراش رضي الله عنه إلا بتدخل حليس -وهو مبعوث من أهل مكة سبق أن زار النبي محمد صلى الله عليه وسلم- مع رجال قبيلته. عاد خراش رضي الله عنه سالمًا، ولكن على الرغم من هذا الانتهاك الخطير لحرمة المبعوثين الدبلوماسيين - وهو أمر مدان عالميًا حتى بين العرب - فإن النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم لم يتصرف بتهور أو ينتقم. وبدلاً من ذلك، قرر إرسال سفير آخر، وأظهر الصبر وضبط النفس والالتزام بالمفاوضات السلمية. أدى هذا الصبر الملحوظ في النهاية إلى توقيع صلح الحديبية. وكان من بين شروطه الشرط بأن المسلمين لن يكملوا زيارتهم في ذلك العام وأن يعودوا في العام التالي. وقد فرض قادة مكة هذا الشرط، على الرغم من أنه وفقًا لعاداتهم وتقاليدهم، لم يكن لديهم الحق الشرعي في منع الحجاج وقد نوقش هذا في الإمام ابن كثير، سيرة النبي، المجلد 3، صفحة 227 وفي من دخول الحرم الشريف: سورة الحج، الآية 25. الإمام محمد الصلابي، سيرة النبي الشريفة، المجلد 1، الصفحتين 1509-1510

"...إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاشق فيه ومن خارجه "

بشكل عام، تُبرز هذه الآية أن الإسلام، خلافًا للتقاليد الدينية الأخرى التي أدخلت تسلسلات هرمية من صنع الإنسان تمنح بعض الأفراد مكانة خاصة أو امتيازات ضمن دينهم، يقوم على المساواة والعدل المطلقين. ففي الإسلام، يُحدد الشرف والتميز الحقيقيان بمعيار إلهي واحد: مدى إخلاص المرء لطاعة الله تعالى. وتتجلى هذه الطاعة في الاستخدام الواعي والصالح لنعم الله تعالى، بما يرضيه، كما هو منصوص عليه في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. سورة الحجرات، الآية 13

"...إن أكرمكم عند الله أتقاكم..."

- هذا الإعلان الراسخ يُرسّخ الاستقامة - لا الثروة أو النسب أو العرق أو الجنس أو المكانة الاجتماعية كمقياس وحيد لقيمة الإنسان عند الله تعالى. جميع المعايير الدنيوية الأخرى المُستخدمة لرفعة الأفراد أو تحطيمهم لا معنى لها في الإطار الإسلامي، ويجب على الناس تجاهلها تمامًا. عندما يسمح المسلمون للتمييزات القائمة على العرق أو العرق أو الجنسية أو الطبقة الاجتماعية بتشكيل مواقفهم أو تفاعلاتهم، فإن ذلك يؤدي إلى العنصرية والانقسام والعنصرية - وهي مواقف مُدانة صراحةً في الإسلام، وتتعارض مع الوحدة والأخوة التي تُميّز المجتمع الإسلامي.

من الضروري أيضًا أن نتذكر أنه بما أن نية الإنسان الحقيقية تكمن في قلبه وتخفي عن الآخرين، فلا أحد يملك سلطة الحكم على روحانية الآخرين أو صدقهم. فالأعمال الظاهرة، وإن كانت مهمة، لا تعكس دائمًا: سورة النجم، الآية 32. باطنة الإيمان، فالله تعالى وحده يعلم ما في النفس - نواياها وأقوالها وأفعالها

"فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى"

لذلك، يجب على المرء أن يتجنب الادعاء بمكانته أو مكانة الآخرين، وأن يركز بدلاً من ذلك على تزكية النفس والتواضع والطاعة الراسخة لله تعالى. وبتمسكهم بهذا المبدأ الإلهي للمساواة والإخلاص، يحافظون على وحدة المجتمع، ويقضون على التعصب، ويجسدون روح الإسلام العالمية - دين يحترم جميع الناس والمخلوقات.

لما كان المسجد الحرام مكاناً مقدساً، فقد حذر الله تعالى من كل ممارسات تخرج عن ما ورد في مصدري الهدى: القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. سورة الحج، الآية ٢٥

"ومن يرد فيه ديناً غير الحق نذقه من عذاب أليم"

بشكل عام، كلما لجأ الإنسان إلى مصادر الهداية البديلة، حتى وإن كانت هذه المصادر تدعو ظاهرياً إلى الخير، قلّ التزامه بهاتين المسألتين. هذا الإهمال التدريجي يفتح باب الضلال حتماً. ولذلك، حذر النبي محمد صلى الله عليه وسلم في حديث رواه أبو داود، رقم 4606، من أن كل أمر لم يثبت في القرآن الكريم وأحاديثه فهو مرفوض عند الله تعالى. يكمن الخطر في أنه كلما كثر العمل بهذه المصادر غير الموثوقة، زاد احتمال اتباع ممارسات تتعارض مباشرةً مع تعاليم الإسلام. وهذه هي بالضبط الطريقة التي يخدع بها الشيطان الناس، إذ يقودهم خطوة بخطوة حتى يبتعدوا عن الحق. على سبيل المثال، عند مواجهة الشدائد، قد يُنصح الإنسان بممارسة بعض التمارين الروحية التي لا أساس لها في الإسلام. وبسبب الجهل والاعتماد على مصادر غير موثوقة، قد يقبل هذه الممارسات دون تردد. مع مرور الوقت، قد تُفسد هذه العادة فهمهم للإيمان لدرجة أنهم يبدؤون في الاعتقاد بالله تعالى والكون بما يتعارض مع التعاليم الإسلامية، مثل إسناد التحكم في القدر إلى البشر أو إلى مخلوقات خارقة للطبيعة. لا تنشأ هذه المفاهيم الخاطئة إلا عند طلب المعرفة من خارج مصدري الهداية الأصليين. بل إن بعض هذه الممارسات والمعتقدات قد يؤدي إلى الكفر الصريح، كما: سورة البقرة، الآية ١٠٢. في حالة السحر الأسود

"...وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت. وما يعلمان أحداً حتى يقولوا إنما نحن فتننة فلا تكفر

وهكذا، قد يفقد الإنسان إيمانه دون أن يشعر، لمجرد اعتياده اتباع مصادر المعرفة الدينية غير القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. ولذلك، تُعدّ البدع في الدين خطيرة للغاية: فهي ليست بدعة بريئة، بل هي في الواقع خطوات مدروسة على درب الشيطان، تُضِلّ الناس تدريجياً عن الحق (سورة البقرة، الآية ٢٠٨).

يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين

من يعتمد باستمرار على مصادر بديلة أو مشوهة للمعرفة الدينية، بدلاً من هدى الله تعالى، سيُسيء استخدام النعم التي وُهِبَتْ له حتمًا. فبدون الوضوح والتوازن الناتجين عن المعرفة الأصيلة، سيقع هذا الفرد في حالة من الارتباك الداخلي وعدم التوازن - عقليًا وجسديًا. سيغفل عن المكانة الصحيحة لكل شيء وكل شخص في حياته، موجهًا جهوده ومشاعره نحو ما لا قيمة له أو لا قيمة له عند الله تعالى. ونتيجة لذلك، سيفشل في الاستعداد الكافي للحساب النهائي يوم القيامة. سيتجلى هذا الاختلال الروحي والأخلاقي في صورة توتر وعدم استقرار ومشقة في الدنيا والآخرة. حتى لو بدا أنه يستمتع بلحظات من الراحة والثراء أو النجاح الدنيوي، فإن هذه الرفاهيات الزائلة لن تجلب له أي سلام أو رضا حقيقي (سورة الحج، الآية 25)

"سنذيقه من عذاب أليم..."

لا يمكن تحقيق الطمأنينة الحقيقية إلا من خلال طاعة الله تعالى، كما هو موضح في القرآن الكريم وأحاديث النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم - التوجيه الذي يغذي التوازن والغرض والنجاح الدائم في كلا

العالمين، من خلال الحصول على حالة عقلية وجسدية متوازنة ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص بشكل صحيح في حياتهم

بعد انتقاده لأفعال قادة غير المسلمين في مكة الذين منعوا المسلمين من الوصول إلى بيته، الكعبة، انتقدهم الله تعالى، وبالتالي أهل الكتاب، مذكراً إياهم بأن جدّهم النبي إبراهيم عليه السلام، الذي كانوا يفتخرون به، لم يكن مثلهم، بل كان يطيعونه بإخلاص في كل شيء. سورة الحج، الآية ٢٦

"وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت ألا تشرك بي شيئاً"

ادّعت كلتا الجماعتين الحفاظ على إرث النبي إبراهيم عليه السلام، لكنهما في الواقع كانتا تُقوّضانه وتُهينانه بأفعالهما. وبلغ تمردهما ذروته عندما رفضا الإسلام عمداً، مع إدراكهما التام لحقيقته. وقد عاش مشركو مكة مع النبي محمد عليه الصلاة والسلام أربعين عاماً قبل نبوته، وكانوا على يقين بأنه لم ينطق بكذب قط. سورة يونس، الآية 16

"لأنني عشت بينكم عمراً قبل ذلك. أفلا تعقلون؟..."

وعلاوة على ذلك، فإنهم باعتبارهم أساتذة اللغة العربية، لم يستطيعوا أن ينكروا أن القرآن الكريم فوق قدرة البشر، فبلاغته وعمقه لا يشبهان كلام أي مخلوق

كما كان مُسلِّماً به عالمياً، سواءً من قِبَل أهل الكتاب أو غير المسلمين في مكة، أن النبي محمداً صلى الله عليه وسلم لم يكن لديه وصول مباشر إلى الكتب السماوية السابقة. واتسمت حياته قبل النبوة بالبساطة والصدق والنزاهة، دون أي دراسة رسمية للوحي السابق. هذه الحقيقة وحدها تجعل من المستحيل الادعاء بأنه استمد رسالته من مصادر سابقة. بل إن القرآن الكريم نفسه يشهد على مصدره الإلهي من خلال معرفته العميقة بالكتب السابقة، وتصحيحه للتحريفات، وعرضه للحقائق الخالدة. وهذه الصفات لا يمكن أن تأتي إلا من الله تعالى، الذي علمه كامل وشامل. سورة العنكبوت، الآية 48

وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون

، علاوة على ذلك، عرف كثير من علماء أهل الكتاب القرآن الكريم على حقيقته، إذ كانوا على معرفة بمؤلفه الله تعالى. وأدركوا أن رسالته لا يمكن أن تكون من مخلوق. وقد تحدثت كتبهم المقدسة عن مجيء النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ووصفت رسالته والكتاب الذي سيأتي به. وهكذا، عندما صادفوا القرآن الكريم وجدوا فيه الآيات والحقائق التي علموهم توقعها، ولم ينكروا أنه استمرار وتأكيد لرسالة الله تعالى التي سبقته. لم يكن إدراكهم للكلمات نفسها فحسب، بل كان إدراكهم لصدق الإسلام ككل، فالقرآن الكريم والنبي محمد: سورة الأنعام، الآية 20. صلى الله عليه وسلم كانا معروفين لهم من خلال وحيهم

”...الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه«[القرآن الكريم [كما يعرفون أبناءهم»

:سورة البقرة، الآية 146

«الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم»

يجب على المسلمين الحذر الشديد من الوقوع في خطأ هاتين الطائفتين بالتباهي بانتمائهم للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، مع إهمال الاقتداء بطاعته الراسخة الصادقة لله تعالى. فالولاء الحقيقي له لا يتجلى بكلمات - الفخر فحسب، بل بالعمل الدؤوب الذي يعكس قدوته. وتقتضي هذه الطاعة توظيف كل نعمة من الله تعالى سواء أكانت ثروة أم صحة أم علمًا أم نفوذًا - فيما يرضيه. ويوضح القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم هذا الأمر، إذ يرشدان المؤمنين إلى استخدام هذه النعم بمسؤولية، بشكر وتواضع، بدلًا من إهدارها في غرائز الدنيا. وفي هذا يكمن شرف الانتماء إلى ملة النبي صلى الله عليه وسلم، وراحة البال في خلال تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، ووضع كل شيء وكل شخص في مكانه الدنيا والآخرة، من الصحيح.

:سورة الحج، الآية 26

"وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئاً وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود "

من الضروري أن نتذكر أن الآلهة الزائفة، كالأصنام، ليست وحدها التي قد يعبدّها الإنسان ويطيعها إلا الله تعالى. في الواقع، كل ما يُطاع في معصية الله تعالى - مثل وسائل التواصل الاجتماعي، والموضة، والثقافة :سورة التوبة، الآية 31. والناس - يُمثل ما يعبدّه الإنسان بصدق

"...اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله"

لم يُتخذ علماء أهل الكتاب ورجال الدين آلهةً بالمعنى الحرفي، بل أُطيعوا في معصية الله تعالى. وقد اعتُبرت هذه الطاعة في المعصية عبادةً، فالعبادة لا تقتصر على الركوع والسجود، بل تشمل الطاعة والخضوع. ويُبرز القرآن الكريم هذا المبدأ في علاقته بالشيطان نفسه. سورة يس، الآية 60

أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ

إن الغالبية العظمى من الناس لم ينخرطوا بوعي في عبادة الشيطان المباشرة، ومع ذلك يُوصفون بذلك لأنهم يطيعونه مخالفين الله تعالى. وهذا يدل على أن الطاعة، إذا ابتعدت عن الأمر الإلهي، تُصبح عبوديةً لأسياد زائفين. ولذلك، من الضروري تجنب الخضوع لأي تأثير يؤدي إلى معصية الله تعالى، لأن هذا الخضوع هو - بمثابة عبادة لتلك التأثيرات. وعندما يُصرّ المرء على المعصية، فإنه يقع حتمًا تحت سيطرة قوى أخرى سواء أفرادًا، أو وسائل تواصل اجتماعي، أو موضة، أو اتجاهات ثقافية، أو حتى أصحاب عمل. إن محاولة إرضاء هؤلاء الأسياد المتنافسين والظالمين لا تُؤد إلا القلق، لأن مطالبهم متضاربة ومتغيرة باستمرار. وكما يُكافح الموظف الذي يعمل تحت إشراف عدة مشرفين لتلبية توقعات متضاربة، فإن من يتخلّى عن عبودية الله تعالى يجد نفسه مثقلًا بأسياد لا حصر لهم، ويفقد الاستقرار وراحة البال. مع مرور الوقت، قد يؤدي هذا الوجود الممزق إلى اضطراب عاطفي وروحي عميق. قد يشعر هؤلاء الأفراد بالحزن والعزلة واليأس، إذ تفشل جهودهم الحثيثة لإرضاء أسياد الدنيا في تحقيق ما يصبون إليه. يتجلى هذا الواقع في حياة كثيرين ممن يسعون وراء الشهرة والتقدير الدنيوي، كالمشاهير، الذين غالبًا ما يُجسّدون فراغ هذا الطريق. علاوة على ذلك، فإن طاعة الآخرين في معصية الله تعالى لن تُجدي نفعًا في الآخرة. ولن تُساعدكم الجهات التي أسلم لها الناس عند حاجتهم. والحماية الوحيدة من هذا المصير هي التخلي عن جميع أشكال الطاعة المؤدية إلى المعصية، والتوكل على الله تعالى، مُستخدمين نعمه على النحو الذي نص عليه القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. في هذا تكمن الحرية الحقيقية والسلام والنجاح الأبدي، من خلال تحقيق حالة ذهنية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في حياتهم على النحو الصحيح

سورة الحج، الآية 26

"وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود"

إن تطهير بيوت الله تعالى يقتضي أن تبقى مراكز للهداية الحقّة، حيث يُشرح فيها القرآن الكريم وسنة النبي، محمد صلى الله عليه وسلم شرحًا وافيًا. ويتطلب ذلك التخلي عن جميع أشكال المعرفة الدينية الزائفة الأخرى ليدرك الناس مسؤولياتهم تجاه الله تعالى وتجاه بعضهم البعض. وبهذه الطريقة، يركز إيمانهم على الفهم، والمعرفة واليقين، لا على التقليد الأعمى للعادات الموروثة أو ممارسات الآباء. وعندما يترسخ هذا التعليم يصبح الإسلام أكثر من مجرد شعار أو هوية، بل يصبح منهج حياة متكاملًا يُشكل كل ظرف، يسرًا كان أم عسرًا، ويحكم أمور الدنيا والديانات. ولكن بدون هذا التعليم، يبقى الناس مع نظرة سطحية للإسلام، تُختزله إلى مجموعة من العادات والطقوس الثقافية. ومع مرور الوقت، يسهل التخلي عن هذه الممارسات واستبدالها بتوجهات ثقافية أخرى، مما يجرد الإسلام من دوره التحويلي ويترك صورًا فارغة. إن التطهير الحقيقي هو الذي يحفظ بيوت الله تعالى باعتبارها منارات المعرفة الإلهية، ويضمن استمرار الإسلام في هداية القلوب والحياة في كل عصر.

سورة الحج، الآية 26

"وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئًا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود"

تشير هذه الآية أيضًا إلى أن غاية بيت الله تعالى - الكعبة - هي إلهام وتسهيل إقامة الصلوات المفروضة وتحتل الصلوات المفروضة في التعاليم الإسلامية مكانة بالغة الأهمية، إذ يؤكد عليها مرارًا وتكرارًا بأنها الركن الأساسي الذي تدور حوله جميع الأعمال الصالحة. فبدون إقامتها على الوجه الصحيح، لا يمكن بلوغ الهداية، فهي صلة الوصل بين العبد والله تعالى، تُنمّي الانضباط الروحي والتواضع واليقظة الدائمة لوجوده. ويتطلب أداء الصلوات المفروضة على الوجه الصحيح مراعاة دقيقة لشروطها وآدابها الأساسية، وعلى رأسها أداء كل صلاة في وقتها المحدد. ويؤكد القرآن الكريم باستمرار على الأهمية العميقة لهذه الصلوات ويصوّرنا على أنها أعظم تجليات الإيمان الصادق والخضوع لله تعالى. وبتوزيعها على مدار اليوم، تضمن

بقاء قلب المؤمن متعلقًا بذكر الله تعالى، وواعيًا دائمًا بيوم القيامة. هذا الإيقاع من العبادة يُنمّي حالة من الوعي والمساءلة، ويُذكّر المؤمن بأن كل فعل وقول ونية ستُعرض عليه يومًا ما بين يدي الله تعالى. لذا، فإن الصلوات المفروضة ليست مجرد فريضة، بل هي الأساس الذي تُبنى عليه جميع الأعمال الصالحة. ومن خلال المواظبة عليها، يُهدى المؤمن إلى حياة صالحة، واتزان روحي، واستعداد للأخرة. يحمل كل ركن من أركان الصلاة معنى رمزيًا عميقًا يعكس جوانب ذلك اليوم العظيم - على سبيل المثال، الوقوف منتصبًا أثناء الصلاة يعكس الوضعية التي ستقف بها البشرية جمعاء بين يدي الله تعالى. سورة المطففين، الآيات 4-6

أَوَلَا يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُبْعَثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ

وبالمثل، عندما يؤدي المؤمن ركوعه في الصلاة، فإنه يُذكره تذكيرًا عميقًا بالعدد الهائل من الأفراد الذين سيُلامون وندمون يوم القيامة لرفضهم الركوع لله تعالى في حياتهم الدنيا. هذه اللفتة المتواضعة من الخضوع تدل على إقرارٍ بسلطان الله تعالى وجلاله المطلقين، في تناقض صارخ مع غطرسة وغفلة من أهملوا هذه: سورة المرسلات، الآية 48. الفريضة المقدسة

"وإذا قيل لهم اركعوا لم يركعوا"

هذه الحادثة تُعدّ تحذيرًا قويًا لمن لم يكن خضوعهم لأوامر الله تعالى مطلقًا في جميع مراحل حياتهم. إضافةً إلى ذلك، فإن سجود المؤمن في صلاته يُمثّل سابقةً قوية، تُذكر باليوم المُستقبلي الحتمي الذي سيُؤمر فيه - كل إنسان بالسجود لله تعالى. وبالتالي، فإن من أهمل هذا الفعل الجسدي المُلزم طوال حياته الفانية عمداً سورة القلم، الآيتان. كاشفًا عن رفضٍ شاملٍ لطاعته - سيجد نفسه عاجزًا عن أداء فعل السجود يوم القيامة 42-43:

يوم يشتد الأمر يدعون إلى السجود فيمنعون، وتخضع أعينهم، وتغشاهم الذل، وكانوا يدعون إلى السجود"
"وهم سالمون

في نهاية المطاف، يُذكرنا الركوع في الصلاة بموعد ركوع كل إنسان أمام الله تعالى يوم القيامة، وهو سلوكُ
(سورة الجاثية، الآية ٢٨) . يتسم بالخشوع والخشوع في انتظار إعلان حسابه الأخير

"وترى كل أمة جاثية، وكل أمة تُدعى إلى كتابها، اليوم تجزون ما كنتم تعملون"

من أدى صلاته المفروضة بتأملٍ واعٍ في هذه الجوانب، أقام صلاته على الوجه الصحيح . هذا التأمل العميق
يضمن ألا تقتصر طاعة المرء لله تعالى على الصلاة نفسها، بل يُرشد سلوكه ويهتدي به في الفترات الفاصلة
(سورة العنكبوت، الآية 45، سورة العنكبوت، الآية 29) . بين كل صلاة وأخرى

"...إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر"

، هذه الطاعة الشاملة لله تعالى مطلوبة، تُلزم الفرد باستغلال جميع النعم والقدرات الكامنة التي وهبه إياها الله
كما وردت في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم . بالمحافظة على هذا المستوى الثابت من
السلوك المبدئي، يُضمن الفرد بلوغ حالة عميقة ومتوازنة، تجمع بين السكينة النفسية والسلامة الجسدية . علاوة
على ذلك، يُمكنه هذا الانضباط من تقييم كل شخص وظروفه في حياته بدقة وتحديد أولوياتها وفقاً للحكمة
الإلهية، مما يُهيئه روحياً وعملياً للمحاسبة النهائية يوم القيامة . لذا، فإن هذا النمط من السلوك الصالح هو
الطريق الأساسي الذي يُفضي بطبيعة الحال إلى تحقيق راحة البال الحقيقية والدائمة في وجوده الدنيوي وحياته
الأبدية في الآخرة .

أمر النبي إبراهيم عليه السلام أيضاً بأداء فريضة الحج إخلاصاً لله تعالى، وهو ما غيَّره غير المسلمين في الجزيرة العربية بإدخال أعمال شركية، متباهين بأنهم حاملو لواءه .سورة الحج، الآيتان ٢٧-٢٨

وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا " ...اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام

في حديثٍ رواه البخاري (رقم ١٧٧٣)، قال النبي محمد صلى الله عليه وسلم: "إن جزاء الحج المبرور الجنة". وهذا الحديث وحده يُظهر الثقل الروحي العظيم لهذه العبادة، فهي ليست مجرد رحلة شعائر، بل رحلة تحول. فالحجّ المبارك يُذكر المسلمين برحيلهم الأخير من الدنيا، ويُهيئهم لرحلتهم الأخيرة إلى الآخرة

كما يترك الحاجُّ بيته وماله وتجارته وأهله وأصدقاءه ومكانته الاجتماعية لأداء مناسك الحج، فكَذلك يترك كلُّ إنسانٍ هذه الأشياء عند الموت. فالقبرُ ينزغُ عن المرء جميعَ تعلقاتِ الدنيا، فلا يبقى منه إلا العملُ رقيقاً وقد أكَّدَ على هذه الحقيقة حديثٌ في جامع الترمذي، رقمه ٢٣٧٩، يُعلِّمُ أنَّ العبدَ إذا وُضِعَ في قبره، فارقه أهله وماله، ولم يبقَ منه إلا عمله، خيراً كان أم شراً

عندما يؤدي المسلم فريضة الحج بهذا الوعي، فإنه يتقبلها بتواضع وإخلاص ووعي. يعود الحاج إلى بيته وقد تغيَّرت نفسه، ولم يعد يليه بريق الدنيا الزائل، بل يركز على الاستعداد للآخرة. سيسعى جاهداً لأداء أوامر الله تعالى، واجتناب نواهيه، ومواجهة مصاعب الحياة بالصبر، اقتداءً بالنبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم. وهذا يشمل أخذ ما يلزمه من الدنيا فقط، مع تجنب التبذير والإسراف والتبذير. وبذلك تُستغل كل نعمة على الوجه الذي يرضي الله تعالى

لا ينبغي أن يقتصر الحج على مجرد عطلة أو رحلة تسوق، لأن هذا يُفرغه من جوهره الحقيقي. بل يجب أن يكون تذكيرًا جليلاً بالرحلة الأخيرة إلى الآخرة - رحلة بلا عودة، بلا فرص ثانية، وبلا رفقاء سوى العمل. عندما يؤدي الحج بهذا الوعي، يُصبح ميدانًا قويًا لتدريب الروح، يُغرس فيها الانضباط والتواضع. والتخلي عن شهوات الدنيا.

في نهاية المطاف، من يؤدي الحج بهذه الطريقة سيجد أنه يُعيد ترتيب أولوياته، ويُقوّي إيمانه، ويُلهمه لعيش حياة طاعة وشكر. سيقوده حبه المقدس إلى الجنة، إذ سيدرك غايته الحقيقية: ليس مجرد أداء مناسك معينة. بل الاستعداد للدار الآخرة في حضرة الله تعالى.

لذا، فإن من يؤدي الحج حقًا لن يقتصر على طاعة الله تعالى في أيامه المباركة، بل سيجعلها معه في كل أحوال الحياة. سيسعى جاهداً لاستخدام كل نعمة مُنحت له وفقًا لهدى القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. وبذلك، سيحقق التوازن في عقله وجسده، ويضع كل أمر وكل علاقة في موضعها الصحيح ويعيش بوعي دائم بمحاسبته أمام الله تعالى يوم القيامة. سيجد هذا الشخص أن هذا النهج في الحياة يجلب له السكينة في الدنيا والأمن في الآخرة. سيطمئن قلبه، لأنه لن يكون بعد الآن عبدًا للإفراط في الدنيا أو سوء الأولويات، بل سيعيش في صفاء وشكر وهدف. يذكر الله تعالى، وطاعته الدائمة، ينالون أعظم النعم: راحة البال في الدنيا والآخرة، ورضوانه الخالد. سورة الحج، الآية ٢٨

"ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام"

:وقد حرم القرآن الكريم مرارًا أكل ما أهل لغير الله تعالى. سورة المائدة، الآية 3

«حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به»

إن أكل الحيوانات التي أُهبت لغير الله تعالى يؤدي إلى نوع من النجاسة الروحية التي قد تُضعف إيمان الإنسان تدريجيًا وتُفسده. ويعكس هذا الفعل سوء فهم خطير، وهو أن الكائنات أو القوى الأخرى تملك القدرة على جلب النفع أو دفع الضرر في الدنيا والآخرة. هذا الاعتقاد، وإن بدا خفيًا، إلا أنه يعكس أساس الشرك الذي ساد الأمم السابقة، وإذا تُرك دون رادع، فقد يُمِلّ المسلم إلى أخطاء مماثلة، حتى دون أن يدركها: صراحةً. سورة الزمر، الآية 39

ألا إن الله هو الدين الحنيف. والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى

تكشف هذه الآية عن زيف منطق من يشركون بالله تعالى بدعوى التقرب إليه. هذا الخداع للذات يُعزز الاعتماد على وسطاء للشفاعة والنجاة، مما يُضعف جوهر مبدأ وحدانية الله تعالى. عندما يُعلق الإنسان آماله على غير الله تعالى، فإنه يُخاطر بتكوين حالة من الرضا بالقدر، فيستمر في عصيان أوامره متوهمًا أن غيره سيشمل له المغفرة أو النجاح في الدنيا والآخرة. هذا الشعور الزائف بالأمان لا يؤدي إلا إلى المشقة والحيرة والضيق في الدنيا، وإلى الخسارة في الآخرة باختلال حالته النفسية والجسدية، وإضاعة كل شيء وكل شيء في حياته دون الاستعداد للحساب يوم القيامة. لذلك، تُشدد الآيات قيد المناقشة بشدة على ضرورة الإخلاص المطلق في الإيمان والعمل، وتوجيه جميع العبادات والنوايا والطاعات إلى الله تعالى وحده. على المؤمن أن يسعى لمرضاته وحده، دون الاكتراث بموافقة الآخرين أو اعترافهم. فمن عمل لغير الله تعالى لم يُجزه أجرًا كما حُذِرَ منه صراحةً في حديث في جامع الترمذي، رقم 3154. ولا سبيل للنجاة والسكينة إلا بالإخلاص لله تعالى، فهو وحده المتصرف في كل شيء، من نفعٍ وضِرٍّ في الدنيا والآخرة.

بخلاف الديانات الأخرى التي يُقدّم فيها أتباعها الطعام للآلهة، فينتهي الأمر بأكله من قبل قادتهم، يُبين الله تعالى أن لحوم الأضاحي الحيوانية تُفيد الناس لا الله. سورة الحج، الآية ٢٨

"...ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها "

:وسورة 51 الذاريات، الآيات 57-58

. لا أُرِيدُ مِنْهُمْ رِزْقًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمُتَسَدِّدِ

في الحقيقة، كل أمر أو نهى أو توجيه من الله تعالى هو لمصلحة البشرية وحدها، فهو غني تمامًا عن خلقه لا شيء من أفعال البشر يزيد في جلاله أو ينقص منه .بل إن شرائعه وأوامره الإلهية رحمة، صُممت خصيصًا لرعاية وحماية ورفعته من يلتزمون بها

مهما بلغ المجتمع من تقدم، ومهما بلغ من تقدم في العلم والتكنولوجيا، أو في فهم السلوك البشري - سواء أكان عقليًا أم عاطفيًا أم جسديًا - فإنه يظل عاجزًا تمامًا عن صياغة قواعد سلوك تتوافق تمامًا مع الطبيعة البشرية وتستوعب كل الظروف والأحوال الممكنة .المعرفة البشرية، وإن كانت في توسع مستمر، محدودة وعرضة للمراجعة .حتى في الأمور المتعلقة بالجسد والعقل البشريين، تستمر الاكتشافات في الظهور، كاشفة عن مدى قصور فهمنا .لذلك، من غير المعقول أن تتمكن البشرية، بمثل هذه البصيرة المحدودة، من وضع نظام أخلاقي أو اجتماعي لا تشوبه شائبة يضمن السلام الدائم والعدالة والتوازن على المستويين الفردي والمجتمعي .وحده الله تعالى يملك المعرفة الكاملة والكمال اللازمة للقيام بذلك، لأنه خالق كل شيء .علمه لا حدود له - يشمل الماضي والحاضر والمستقبل بأكمله، بما في ذلك الحقائق الغيبية التي تتجاوز الفهم البشري وهكذا، فإن الله تعالى وحده هو المؤهل لتزويد البشرية بمنهج شامل للسلوك - وهو معيار إلهي يُميز الخير من الشر، والنافع من الضار، ويُفضي إلى السلام الداخلي وسط تحديات الحياة الحتمية .والتاريخ يشهد على هذه الحقيقة بما لا يُنكر .فكلما طُبّق هذا المنهج الإلهي بصدق في حياة الأفراد والمجتمعات، أثمر مجتمعات تسودها الطمأنينة والعدل والوئام .أما إذا انحرفت البشرية عن هذا الهدى، فلا بد أن يعقبه الفساد الأخلاقي والظلم والاضطراب .ولذلك، يجب على المؤمنين أن يقبلوا الله تعالى بقلبٍ رحب، وأن يُدركوا أنه أنفع نظام

لسلامتهم الدنيوية والروحية - حتى وإن بدت بعض جوانبه مُخالفةً لرغباتهم الشخصية .وعليهم أن يتعاملوا مع الأوامر الإلهية كما يتعامل المريض الحكيم مع وصفة الطبيب الماهر :فيقبلون العلاج بثقة وامتنان مُدركين أنه مُصمَّم لشفائهم ومنفعتهم القصوى، حتى وإن كان مُرهقًا أو مُرهقًا .كذلك فإن طاعة الله تعالى قد تختبر ميول الإنسان في بعض الأحيان، لكنها في النهاية تؤدي إلى الصحة الروحية، والسلام الدائم، والنجاح في العالمين، من خلال الحصول على حالة ذهنية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في حياته بشكل صحيح .

ولأن الإسلام شريعة كاملة، فهو يشمل حقوق الله تعالى، وحقوق النفس، وحقوق العباد .سورة الحج، الآية ٢٨:

"ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير "

.عمومًا، يشمل أداء حقوق الإنسان تقديم سعادته المشروعة على سعادة الآخرين، ما دامت في حدود الله تعالى ،ومن اللافت للنظر كثرة اتهام الناس للآخرين بالأنانية، وهم في الحقيقة مذنبون بها .فالأنانية، في نظر هؤلاء تعني اختيار المرء سعادته عندما تتعارض مع رأي الآخرين أو تفضيلاتهم أو رضاهم .أما في الإسلام، فلا يُعد هذا أنانية إلا إذا انتهكت حقوق الآخرين في سبيل اختيار مشروع

يجب إدراك أنه في الأمور التي تهم الشخص بشكل مباشر - مثل اختيار الزوج - فإن اتخاذ قرار قانوني يجلب السعادة الشخصية ليس أنانية، حتى لو تعارض مع آراء أو رغبات الأقارب .في الحقيقة، تكمن الأنانية في أولئك الذين يطالبون الآخرين بالتضحية بسعادتهم من أجل التوافق مع آرائهم، حتى لو لم يكن الأمر يتعلق بهم بشكل مباشر .في مثل هذه الحالات، فإن النهج الصحيح هو مراعاة آراء الآخرين باحترام، ولكن في النهاية اختيار ما هو قانوني ومُرضٍ شخصيًا، طالما لم يتم انتهاك حقوق أي شخص .على العكس من ذلك ،إنه عمل من أعمال الصدق والإيثار عندما يمتنع المرء عن فرض رأيه في الأمور التي لا تهمه بشكل مباشر ،وبدلاً من ذلك يعطي الأولوية لسعادة الأكثر تضرراً، مثل الزوجين .إن الإصرار على رأي المرء الخاص

في مثل هذه المواقف هو الشكل الحقيقي للأنانية، لأنه يتجاهل رفاهية أولئك المعنيين بشكل مباشر. لسوء الحظ، هناك كثير من الناس الذين يجعلون الآخرين يشعرون بالذنب ظلماً من خلال اتهامهم بالأنانية، بينما في الواقع هم من يتصرفون بأنانية.

وختاماً، ما دام المرء يتجنب معصية الله تعالى، بما في ذلك انتهاك حقوق الآخرين، فله الحق في اختيار رأيه، وقراره وسعادته في الأمور التي تمسه مباشرة. وهذا ليس أنانية، بل هو أداء لحقه الشرعي. سورة الحج: الآية 28

"ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير "

في الوقت نفسه، وكما ذكر سابقاً، يجب عدم إهمال حقوق الآخرين. فمن الجهل الاعتقاد بأن الله تعالى لا يهتم إلا بحقوقه، كأداء الصلوات المفروضة، بينما يُهمل حقوق العباد. وهذا الموقف يُفضي إلى الظلم والفساد في البيوت والمجتمعات، إذ يظلم الناس بعضهم بعضاً ظانين أن أداء الفرائض الإلهية وحده كافٍ. والحقيقة أن من ظلم غيره سيُحاسِب يوم القيامة، وإن أفلت من الحساب في الدنيا. وكما جاء في حديث صحيح مسلم، رقم 6579، فإن من ظلم غيره سيُجبر على تسليم حسناته لمن ظلمهم، فإن نفدت حسناته، تحمل ذنوب من 6579، ظلمهم حتى يتم العدل. وقد تُفضي هذه النتيجة إلى دخول النار. لذا، فالنجاح الحقيقي يكمن في أداء حقوق الله تعالى وحقوق العباد. يضمن هذا التوازن راحة البال على المستوى الفردي، إذ يحقق الإنسان حالة نفسية وجسدية سليمة بوضع كل شيء وكل شخص في مكانه الصحيح. وفي الوقت نفسه، يُسهم في تحقيق العدالة والوئام في المجتمع، حيث يعيش الناس بإنصاف ورحمة ومحاسبة. وهكذا، يضمن المسلم النجاح في الدنيا والآخرة - بطاعة الله تعالى، وبالصدق والعدل مع خلقه.

سورة الحج، الآية 28

"ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير "

عمومًا، من الضروري إدراك أن كل ما يملكه الإنسان من مال أو جاه أو قدرة، قد وهبه الله تعالى له أمانةً وقرضًا، لا هبةً دائمة. والقرض بطبيعته واجبٌ رُدُّه إلى صاحبه. ويكون رُدُّه إلى الله تعالى باستغلال هذه النعم بما يرضيه، كما بينه القرآن الكريم وسنة رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم

وهكذا، فإن مساعدة المحتاجين إنما هي في الحقيقة سدادٌ لدين الله تعالى. وتذكُّر هذه الحقيقة يحفظ القلب من الكبر والتظاهر بالفضل، سواءً لله تعالى أو لمن يُساعد. بل إن الله تعالى هو الذي فضل المُعطي بمنحه المال، ومنحه فرصةً كريمةً لكسب الأجر الجزيل بالصدقة والخدمة. كذلك يُقدم المحتاج معروفًا عظيمًا للمُعطي بقبوله مساعدته، فلولاً المحتاجين، كيف ينال المُعطي ثواب الله تعالى والطهارة الموعودة في النصوص المقدسة؟

إن تذكُّر هذه الحقائق يقي الإنسان من الكبرياء الذي قد يُحبط ثواب أعماله الصالحة. فالعطاء الصادق يجب أن ينبع دائمًا من التواضع والشكر والرغبة في مرضاة الله تعالى وحده

علاوة على ذلك، فإن مساعدة المحتاجين تتجاوز بكثير مجرد المساعدة المالية، بل تشمل تلبية أي حاجة، مشروعة - نفسية أو بدنية أو اجتماعية - قد يحتاجها الإنسان. لذلك، لا يُستثنى أحد، مهما كانت حالته المادية من هذا الواجب النبيل. حتى الكلمة الطيبة، أو اللفتة المطمئنة، أو النصيحة الصادقة تُعدّ عونًا. وهكذا، يُسهم كل إنسان، كلُّ حسب طاقته، في إعلاء قيم الرحمة والتضامن والعدل - وهي صفات تعكس روح الإسلام الحقّة، وتؤدي إلى راحة البال في الدنيا والآخرة، من خلال تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، ومن خلال حسن توزيع كل شيء وكل شخص في حياته

بعد إتمام مناسك الحج، وكما يتطهر الحاج جسديًا، عليه أن يسعى جاهدًا لتطهير نفسه روحياً لتذكّره حياته
:سورة الحج، الآية ٢٩

"...ثم ليقضوا مناسكهم ولينتهي أمرهم "

هذه التطهيرات الروحية ليست حالة سلبية، بل هي عملية فعّالة لتعلم تعاليم الإسلام وتدبّرها وتطبيقها في الحياة اليومية. وهي تتطلب من المرء أن يتحلّى بالصفات النبيلة التي أثنى عليها الوحي، كالكرم والصبر والتواضع والشكر والرحمة، مع السعي بوعي إلى التخلي عن الصفات المذمومة فيه، كالكبر والحسد والجشع والكبرياء. ينتمية هذه الفضائل والتخلص من هذه الرذائل، يطهر القلب وترتقي الروح. هذا التهذيب الداخلي يؤدي بطبيعة الحال إلى الطمأنينة، لأن راحة البال ثمرة العيش في انسجام مع الهداية الإلهية. علاوة على ذلك، تضمن التطهيرات الروحية أن يستخدم الإنسان النعم الممنوحة له، سواء أكانت ثروة أم صحة أم علمًا أم نفوذًا، على النحو المنصوص عليه في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. هذا الاستخدام الواعي للنعم يمنع التبذير والإفراط وسوء الاستخدام، ويوجهها نحو الشكر والخدمة والطاعة. وبذلك، يُحقق الإنسان التوازن في حالتيه العقلية والجسدية، ويضع كل أمر وكل علاقة في مكانها الصحيح. هذا التوازن لا يصون شؤون دنياه فحسب، بل يُهيئه أيضًا للحساب يوم القيامة. هذه الحياة المُطهّرة تجلب معها جزاءً مضاعفًا: سَكينة في الدنيا ونجاة في الآخرة. ففي الدنيا، تختبر النفس المُطهّرة صفاءً ورضا وثباتًا في وجه المحن. وفي الآخرة، تجد السلام الأبدي والثواب عند الله تعالى. وهكذا، فإن الطهارة الروحية ليست مجرد تهذيب للذات، بل هي أساس النجاح في الدنيا والآخرة، لأنها تُحسّن من شخصية الإنسان، وتُوجّه نعمه نحو الصلاح، وتُؤمّن له راحة البال في الدنيا والآخرة.

:سورة الحج، الآية 29

"...ثم ليقضوا مناسكهم وليقضوا فجورهم وليوفوا نذورهم "

كما سبق أن ذكرنا، من الضروري فهم أن نذور الإنسان ونواياه يجب أن تكون دائماً مرتبطة بأمور الدين والصالح، لا بالشهوات الدنيوية أو المكاسب المادية. فلا ينبغي للإنسان أن يشترط في أعماله الصالحة الحصول على شيء دنيوي من الله تعالى، كأنه يتعامل مع كنز الله تعالى كسوق للتبادل. فهذا الموقف يُقوّض صدق العبادة، ويكشف عن سوء فهم للعلاقة بين الخالق وخليقته. ومن السمات المميزة التي تُميّز الإسلام عن سائر الأديان وأساليب الحياة أنه ليس ديناً قائماً على المعاملات. ففي العديد من المعتقدات، غالباً ما تؤدي العبادة كشكل من أشكال المساومة، حيث يعبد الأفراد آلهتهم أو معبوداتهم لمجرد الحصول على منافع دنيوية كالمال أو الجاه أو النسل. أما الإسلام، فيدعو البشرية إلى غاية أسمى بكثير: الاعتراف بمكانتهم الحقيقية. كخلق الله تعالى وعباده، وتحقيق غاية وجودهم من خلال عبادته وطاعته بإخلاص.

مع أن الإسلام يُحقق بالفعل فوائد دنيوية عديدة، كراحة البال، والانضباط الأخلاقي، والوئام المجتمعي، إلا أن هذه الفوائد ثانوية وليست غايته النهائية. فالغاية الحقيقية للإسلام هي التزكية الروحية والفوز الأبدي في الآخرة. ولذلك، لا يسعى الإسلام إلى استقطاب الناس بوعود الرخاء المادي، بل يُقدم حقيقته بأدلة دامغة، وبراهين عقلية، داعياً البشرية إلى عيش حياة كريمة هادفة، قائمة على الإخلاص لله تعالى. وللأسف، تبني كثير من المسلمين عقلية التعامل في تعاملهم مع الدين. فهم يؤدون العبادات أو الأعمال الصالحة طمعاً في عوائد دنيوية عاجلة، كالمال والأولاد والفرج من المحن. وبذلك، يتعاملون مع كنز الله تعالى كمتجر تُشترى فيه الرغبات المادية بالصلاة أو الدعاء. يجب التخلي عن هذه العقلية، لأن البشر غالباً ما يغفلون عن إدراك ما هو نافع لهم وما هو ضار لهم). سورة البقرة، الآية ٢١٦)

"وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ..."

علاوة على ذلك، فإن أي عمل صالح يؤدي لمجرد النفع الدنيوي لن يُجزى من الله تعالى، لأنه لا يقبل إلا الأعمال التي تُخلص له. وقد حُذِر من ذلك بوضوح في حديث موجود في جامع الترمذي، رقم 3154. من يتعامل مع الله تعالى معاملةً دنيويةً، سيتعثر حتماً في طاعته كلما لم تتحقق آماله الدنيوية. سيُسيء هذا الشخص استخدام النعم التي وهبت له، مما يؤدي إلى اختلال التوازن في حالته النفسية والجسدية. سيفقد وضوح

الهدف، ويُخطئ ترتيب أولوياته، ويفشل في الاستعداد الكافي لحسابه يوم القيامة. سيؤدي هذا الاضطراب الداخلي إلى التوتر والمشقة وعدم الرضا في كلا العالمين، حتى لو كان يتمتع ظاهريًا بلحظات من الراحة المادية. في النهاية، من يعبد الله تعالى لمجرد الكسب الدنيوي فقط هو الخاسر الحقيقي، لأنه لن يجد سلامًا دائمًا في هذه الدنيا ولا نجاحًا في الآخرة. سورة الحج، الآية 11

ومن الناس من يعبد الله على حرف، فإن أصابه خير اطمأن به، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه، فقد "خسر الدنيا والآخرة، ذلك هو الخسران المبين

:سورة الكهف، الآيات 103-104

"قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا"

إن الإيمان الحقيقي يقتضي عبادة الله تعالى بإخلاص وتوكل واستسلام، مع العلم بأن كل ما يمنحه أو يمنعهُ فهو حسب حكمته الكاملة ولصالح عباده في نهاية المطاف

:حول بيت الله تعالى، الكعبة المشرفة. سورة الحج، الآية ٢٩ ويجب على الحاج أيضًا إتمام مناسكه بالطواف

"ويطوفون حول البيت العتيق..."

هذا تذكيرٌ عميقٌ للحاج، قبل عودته إلى دياره، بأن جوهر وجوده الحقيقي يجب أن يكون دائماً طاعة الله تعالى. فكل نعمةٍ أنعم بها، وكل علاقةٍ أقامها، وكل ظرفٍ يواجهه، يجب أن يدور حول هذا المحور المركزي، للعبودية. عندما تصبح طاعة الله تعالى هي المبدأ الهادي للحياة، يحقق المرء تلقائياً التوازن في عقله وجسده إذ يتعلم وضع كل أمرٍ وكل فردٍ في مكانه الصحيح. هذا التوازن لا يُنظم شؤون الدنيا فحسب، بل يضمن أيضاً استعداد المرء الدائم للحساب النهائي يوم القيامة. بهذا السلوك، يصون الحاج إيمانه، ويحمي نعمه من سوء الاستخدام، ويزرع في نفسه الطمأنينة. هذا السلوك يؤدي إلى راحة البال في الدنيا، حيث يتحرر القلب من الحيرة وسوء الأولويات، ويؤدي إلى السلام في الآخرة، حيث يقف المؤمن بين يدي الله تعالى، في حياةٍ يحياها بطاعةٍ واعية. في هذا تكمن ثمرة الحج المباركة الباقية: تحوّل يدوم طويلاً بعد انتهاء الرحلة، يُشكّل حياة المؤمن بأكملها حول طاعة ربه. سورة الحج، الآية 30

...ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه ذلك

،ولإثبات أن الإسلام شريعة شاملة تُنظّم جميع جوانب الحياة، أشار الله تعالى مباشرةً، بعد ذكره مناسك الحج، سورة الحج، الآية 30. إلى الحلال والحرام في الآية نفسها

...ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه وأحل لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم ذلك

هذا الانتقال السلس من العبادات إلى شؤون الدنيا يُظهر أن الإسلام لا يقتصر على العبادات فحسب، بل يشمل كل موقف يمر به الإنسان وكل نعمة يتفاعل معها. لذا، من الجهل الاعتقاد بأن الله تعالى يهتم فقط بالواجبات الدينية، كالصلوات المفروضة، ويغفل عن أمور الدنيا. والحقيقة أن الله تعالى يسأل الناس عن كل ظرف يمرون به - دينياً كان أم دنيوياً - وكيف استجابوا له. لذلك، يجب على الناس السعي لتعلم تعاليم الإسلام

والعمل بها في جميع مناحي الحياة، مع ضمان توافق سلوكهم مع الهداية الإلهية. هذا النهج الشامل يضمن حالة نفسية وجسدية متناغمة، حيث يوضع كل شيء وكل شخص في حياتهم في مكانه الصحيح. كما يضمن استعدادهم التام للحساب يوم القيامة. هذا السلوك يؤدي إلى الطمأنينة في الدنيا والآخرة، لأنه يجلب النظام والوضوح والهدف إلى الحياة.

في المقابل، يجب تجنب اعتبار الإسلام ثوبًا يُلبس أو يُرمى حسب الأهواء الشخصية. فمن يتصرف بهذه الطريقة لا يعبد الله تعالى حقًا، بل يعبد أهوائه. سورة الفرقان، الآية 43)

"...أرأيت من اتخذ إلهه هواه"

من لا يطبق تعاليم الإسلام على أكمل وجه، سيُسيء استخدام النعم التي وُهِبَت له حتمًا. هذا الاستخدام الخاطئ، يؤدي إلى اختلال التوازن العقلي والبدني، إذ يُسيئون ترتيب أولوياتهم، ويُسيئون استخدام علاقاتهم ويُهملون مسؤولياتهم. سيجد هؤلاء أنفسهم غير مُستعدين للمحاسبة أمام الله تعالى، وسيُعانون من التوتر والحيرة والمشقة في الدنيا والآخرة، حتى وإن تمتعوا ببعض الرفاهية الدنيوية. لذا، يكمن النجاح الحقيقي في احترام الإسلام كمَنْهج حياة كامل، ودمج هدايته في كل عمل، وكل نعمة، وكل موقف، بحيث يدور وجود المرء بأكمله حول طاعة الله تعالى. هذا وحده يضمن راحة البال في الدنيا والفلاح الأبدي في الآخرة.

:سورة الحج، الآية 30

"...وأحل لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم..."

:وسورة المائدة الآية 3

حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموصومة والمرتدة والنطيحة وما"
"...أكل السبع إلا ما ذبحتم وما ذبح على النصب

أكدت الأبحاث العلمية الحديثة مخاطر تناول اللحوم المتعفنة والدم ولحم الخنزير، وهو ما يتوافق مع المحرمات الواردة في التعاليم الإسلامية. فاللحوم المتحللة بيئة خصبة لتكاثر البكتيريا الضارة. تُطلق هذه الكائنات الممرضة سموماً قد تُسبب تسمماً غذائياً حاداً، وفشلاً في وظائف الأعضاء، وحتى الوفاة، ولذلك تُحظر معايير سلامة الأغذية الحديثة تناول اللحوم الفاسدة أو المتحللة. كذلك، يُعد الدم بيئة مثالية لنمو البكتيريا، ويمكن أن ينقل الأمراض المعدية. تُحذر السلطات الصحية، بما في ذلك منظمة الصحة العالمية، من تناول منتجات الدم نظراً لخطر الإصابة ببعض أنواع العدوى. كما ثبت أن لحم الخنزير يحمل مخاطر صحية جسيمة، إذ يرتبط بالطفيليات، التي قد تُسبب تلفاً عصبياً، بل وحتى الوفاة إذا تُركت دون علاج. ويرتبط لحم الخنزير أيضاً بالعدوى البكتيرية، التي تُسبب أمراضاً معوية خطيرة. بالإضافة إلى ذلك، يحتوي لحم الخنزير على مستويات عالية من الدهون المشبعة والكوليسترول، مما يُسهم في الإصابة بأمراض القلب والأوعية الدموية، والسمنة، وسرطان القولون والمستقيم. حتى أن منظمة الصحة العالمية صنفت اللحوم المصنعة، وكثير منها يشمل لحم الخنزير، على أنها مسببة للسرطان لدى البشر، وخاصةً فيما يتعلق ببعض أنواع السرطان. تُثبت هذه النتائج أن المحرمات التي وردت في القرآن الكريم قبل أكثر من 1400 عام ليست تعسفية، بل هي بمثابة ضمانات لصحة الإنسان. فما حرمه الله تعالى أثبتته العلم الحديث مضر، مما يُثبت مرة أخرى حكمة الهداية الإلهية الخالدة.

إن تناول الحيوانات المُقدَّسة لغير الله تعالى يُدخل شكلاً من أشكال التلوث الروحي الذي يُقوّض إيمان الفرد ويُسيء إليه بشكل مُمنهج. هذا الفعل تحديداً يُفصح سوء فهم عميق للواقع - وتحديداً، الافتراض الخطير بأن الكائنات غير الله تعالى تمتلك أي قدرة مستقلة على جلب النفع أو دفع الضرر في هذه الحياة الدنيا أو في الآخرة. حتى عندما يكون هذا الموقف خفياً أو غير مقصود، فإنه يعكس جوهرية أساس عبادة الأصنام التي

أضَلَّتْ الأمم السابقة. إذا تُرك هذا الانحراف دون رادع، فإنه يُشكّل خطراً جسيماً يتمثل في ميل المسلم تدريجياً نحو تناقضات عقائدية مماثلة، حتى دون وعي. سورة الزمر، الآية 3

ألا إن الله هو الدين الحنيف. والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى

يُبرز هذا البيان الإلهي خداع الذات الكامن في نهجهم، والذي يُخفى وراءه تظاهر التقرب منه. يؤدي هذا المنطق الخاطئ إلى اعتماد غير مبرر على وسطاء نصبوا أنفسهم للشفاعة والخلاص النهائي، مما يُقوّض جوهر الحقيقة الجوهرية للوحدانية المطلقة - وحدانية الله تعالى الفريدة. عندما يبدأ الأفراد في الاعتماد على كيانات غير الله تعالى، تُصبح قلوبهم مرتبطة روحياً بآمال كاذبة، ويُخاطرون بتنمية روح الرضا عن مسؤولياتهم الإلهية. قد يُصرّون على تحدي الأوامر الإلهية، مُعتقدين اعتقاداً خاطئاً بأن فضل الشفيع أو مكانته الرفيعة سيضمن لهم في النهاية مغفرتهم أو نجاتهم في الدنيا والآخرة. هذا الضلال الروحي العميق لا يُنتج إلا الحيرة، والمشقة المفرطة، والضيق الداخلي في حياتهم الدنيا، والذي لا محالة يتبعه الفقد النهائي والندم، العميق يوم القيامة، نتيجةً لاختلال توازنهم النفسي والجسدي، وإضاعة كل شيء وكل شخص في حياتهم وعدم استعدادهم للحساب يوم القيامة. وبالتالي، تُشدد هذه التعاليم تأكيداً قاطعاً على ضرورة الإخلاص التام والتفاني الخالص، مُشترطاً توجيه كل عبادة، وكل نية، وكل تعبير عن طاعة لله تعالى وحده. الإيمان الحق يقتضي قطعاً بذل كل جهد لمرضاته وحده، دون أي طمع في ثواب الدنيا، أو رضا الناس، أو جزاء المعاملات من الآخرين. بل إن خطورة الانحراف عن هذا الطريق مُحذّرٌ منها بوضوح في حديث رواه الترمذي، رقم 3154، يُشير إلى أن من عمل صالحاً لغير الله تعالى لا جزاء له. إن النجاح النهائي، والسكينة العميقة، والنقاء، الروحي الحقيقي لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال الإخلاص الثابت، والطاعة الدائمة، والتفاني الخالص لله تعالى - مع الاعتراف والاعتراف بأنه وحده يمتلك السلطة العليا على منح كل شكل من أشكال النفع ودفع كل ضرر، سواء في هذه الحياة الدنيا أو في الحياة الآخرة.

وُضع تناول المحرمات إلى جانب الشرك بالله، لتأكيد أن الإسلام منظومة أخلاقية متكاملة، وعليه طاعة الله تعالى في جميع مناحي الحياة، سواء في الطعام أو الكسب المادي أو حقوق الناس أو شعائهم الدينية كالصلاة المفروضة. سورة الحج، الآية 30

"...وأحل لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الأصنام..."

إن من يلجأون إلى الأصنام الجامدة للعبادة والتكريم لا يفعلون ذلك عن قناعة حقيقية، بل لأنهم يرونها وسيلةً للظهور بمظهر الفضيلة في نظر المجتمع. في الواقع، تمنحهم هذه الممارسة حرية الانغماس في شهواتهم، الدنيوية، مُسيئين استخدام النعم التي وهبت لهم. ينبع سلوكهم من إدراكهم أن الصنم، لكونه بلا روح وعاجزاً لا يستطيع أن يفرض عليهم إطاراً أخلاقياً أو يُحاسِبهم. ونتيجةً لذلك، يبنون قواعد سلوكهم الخاصة - قواعد: سورة الأعراف، الآية 148. تتوافق مع رغباتهم وميولهم

واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجباً صورة له خوار أو لم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلاً "اتخذوه وكانوا ظالمين"

تُبين هذه الآية لاعقلانية عبادة الأصنام: إذ يستسلم الناس طوعاً لما لا يُنطق ولا يُهدي ولا يُفيد، لمجرد أنه يُمكنهم من العيش وفقاً لشهواتهم. لذا، فإن جوهر جميع أشكال عبادة الأصنام وقواعد السلوك البشري هو السعي وراء الشهوات الشخصية، مُتسترّاً بوهم الفضيلة. ظاهرياً، يحاول هؤلاء الأفراد خداع الآخرين ليعتقدوا أنهم ملتزمون بمعايير أخلاقية أعلى، لكنهم في الحقيقة، لا يفعلون سوى إشباع شهواتهم، كالحیوانات التي تُقاد بالغريزة لا بالعقل أو الوحي. وهكذا، فإن عبادة الأصنام - سواءً في شكل تماثيل مادية أو في شكل أيديولوجيات دنيوية وقواعد ذاتية الصنع - تُنزل البشر من مكانتهم المُشرّفة كعباد لله تعالى، إلى عبيد لشهواتهم. لا تُوجد الكرامة والفضيلة الحقيقيتان إلا في الخضوع للهداية الإلهية، التي تُحرر الروح من الضلال وتُوجّهها نحو السعادة الأبدية.

ولتأكيد أهمية فهم الإسلام والتعامل معه كنظام شامل يُؤثر على كل موقف يواجهه الإنسان، سواءً كان دنيوياً أو دينياً، ويؤثر على كل نعمة دنيوية يتفاعل معها مع الله تعالى، يُصنّف قول الزور جنباً إلى جنب مع الشرك: سورة الحج، الآية 30

"فاجتنبوا رجس الأصنام واجتنبوا قول الزور ..."

، عمومًا، يُمكن تقسيم الكلام إلى ثلاثة أقسام. القسم الأول هو الكلام السيء، ويشمل الكذب والغيبة والاستهزاء وكل ما يُضُرُّ أو يُنشر الفساد. يجب تجنّب هذا النوع من الكلام تمامًا، إذ يُضُرُّ بالقائل والسامع. القسم الثاني هو الكلام الطيب، وهو الصدق والحكمة والنصح والكلمة النافعة. يجب أن يكون هذا الكلام في وقته وبالطريقة الصحيحة، فهو يُعطي ويُهدى. القسم الثالث هو الكلام الفارغ، وهو الكلام الذي لا يُفيد شيئًا. مع أنه ليس إثْمًا في حد ذاته، إلا أنه مُحبط لأنه غالبًا ما يُفضي إلى كلام ضارّ ويُلهي الإنسان عن أعمال أكثر فائدة. يوم القيامة، يكون الكلام الفارغ مصدرًا للندم، إذ سيُدرِك الناس كم أضاعوا من الوقت والفرص على كلام لم يُجدِ نفعًا. لذلك، على الإنسان أن يقول خيرًا أو يصمت. وقد أكّد على هذا المبدأ حديثٌ في صحيح مسلم، رقم 176، عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم،

لذا، ينبغي على كل إنسان أن يزن كلامه بعناية، وأن يكون هادفًا، نافعًا، وبنّاء. وهكذا، يصبح اللسان وسيلةً للسكينة والثواب، لا سببًا للندم.

سورة الحج، الآية 30

"وتجنب التصريح بالكاذب ..."

"بحسب الحديث الوارد في جامع الترمذي، رقم 2299، أوضح النبي صلى الله عليه وسلم أن "قول الزور المذكور في هذه الآية يُقصد به شهادة الزور تحديدًا. وهو أن يشهد الشخص زورًا في مسألة شرعية عمدًا ليحصل على ما لا يملكه بغير حق، كملك غيره. ويشمل أيضًا معاونة غيره على هذا الظلم بشهادة الزور نيابة عنه.

من المهم ملاحظة أن هذا الحديث ينطبق على الاستيلاء على أموال الناس جميعًا، بغض النظر عن عقائدهم وستكون النتيجة واحدة حتى لو أطاع المرء الله تعالى في جوانب أخرى من حياته، مثل أداء الصلوات المفروضة. وللأسف، تنتشر هذه المعصية في العديد من المجتمعات، وخاصة في الأماكن التي يرفع فيها الأفراد دعاوى باطلة في المحاكم للاستيلاء على أموال أو ممتلكات لا تخصهم. ووفقًا لحديث موجود في صحيح البخاري، رقم 2654، فإن شهادة الزور تُعدّ من أكبر الكبائر. بل إن النبي محمدًا صلى الله عليه وسلم وضعها جنبًا إلى جنب مع الشرك وعقوق الوالدين. كما ربط الله تعالى شهادة الزور بالشرك في القرآن الكريم، سورة الحج، الآية 30

"فاجتنبوا رجز الأصنام واجتنبوا قول الزور ..."

التحذيرات من هذه المعصية شديدة للغاية. فقد ورد في سنن ابن ماجه، برقم 2373، حديثٌ يفيد بأن شاهد الزور الذي لا يتب لا يقوم يوم القيامة حتى يحشره الله تعالى في النار. وورد في صحيح مسلم، برقم 353 تحذيرٌ من أن من أخذ غصنًا صغيرًا بشهادة زورٍ ظلمًا، فإنه سيُلقي في النار. وشهادة الزور عزيمةٌ جدًا لأنها تجمع بين الذنوب الكثيرة، فهي تتضمن الكذب والظلم وانتهاك حقوق الآخرين. ولا يغفر الله تعالى مثل هذه الذنوب حتى يغفرها صاحبها. فإن لم يُغفر له، فحينئذٍ تنتقل إليه حسناته يوم القيامة، فإن استنفذها، تنتقل إليه سيئاته، كما هو مؤكد في صحيح مسلم، برقم 6579. وقد يؤدي هذا في النهاية إلى هلاكهم في النار ويتضاعف الإثم بشهادة الزور عن غيره لياخذ ما ليس له بغير حق، وهذا يخالف أمر الله تعالى في سورة المائدة، الآية ٢

"وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان"

علاوة على ذلك، فإن كل ما يُكتسب بشهادة الزور يُصبح محرماً. فإذا أنفقت هذه الأموال، ولو في صدقة، لم تُقبل، بل كُتبت إثمًا، كما ثبت في صحيح مسلم، رقم ٢٣٤٢. فالمال المكتسب بهذه الطريقة يُجرّد من البركة. ويصبح كل استعمال له سببًا للضرر لا للنفع.

ولذلك، فإن قول الصدق واجب على الجميع، سواءً في الأحاديث اليومية أو تحت القسم أمام القضاء. فالكذب بجميع أنواعه يؤدي إلى الإثم، والمداومة على الكذب تُكتب عند الله كذابًا كبيرًا، كما ورد في حديث في جامع الترمذي، رقم 1971. وليس من الصعب تخيل مصير من يحمل هذه الصفة يوم القيامة.

لذا، فالصدق ليس مجرد فضيلة، بل هو ضمان للعدالة والمجتمع والخلاص الأبدي. أما شهادة الزور، فهي طريقٌ إلى العار في الدنيا والهلاك في الآخرة.

لتجنب هذه النتيجة، يجب إخلاص طاعة الله تعالى في كل أمر، دنيويًا كان أم دينيًا، وفي كل نعمة تُصيبه: سورة الحج، الآية 31

«...مخلصًا لله لا مشركًا به شيئًا»

الإخلاص لله تعالى يقتضي أداء كل واجب فرضه - سواءً أوامر أو نواهي - لوجهه الكريم. وكما ورد في حديث صحيح البخاري، رقم ١، فإن جميع الأعمال تُحاسب على النية. فمن عمل صالحًا بغير إخلاص، لم ينل جزاءه في الدنيا والآخرة. بل إن حديثًا في جامع الترمذي، رقم ٣١٥٤، يُحذر من أن من لم يُخلص سيؤمر يوم القيامة أن يطلب جزاءه ممن عمل لأجلهم، وهو أمرٌ محال. وقد أوضح الله تعالى هذا المبدأ في سورة البينة، الآية ٥:

"وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ"

إن تقصير الإنسان في أداء واجباته تجاه الله تعالى دليل على عدم الإخلاص. والدواء هو التوبة الصادقة والاجتهاد المتجدد في أداء تلك الواجبات. ويجب أن نتذكر أيضًا أن الله تعالى لا يكلف نفسًا إلا وسعها، كما قال تعالى في سورة البقرة، الآية ٢٨٦:

"لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا"

الإخلاص الحقيقي هو إرضاء الله تعالى دائمًا على رغبات المرء ورغبات الآخرين. ينبغي للإنسان أن يُقدِّم أعماله لله تعالى على كل شيء. عليه أن يُحب الآخرين ويكره ذنوبهم لله تعالى، لا لأسباب شخصية. عندما يُساعد الآخرين أو يمتنع عن المعصية، فليكن ذلك خالصًا له. من تبنى هذه العقلية فقد اكتمل إيمانه، كما هو مثبت في حديث سنن أبي داود، رقم 4681

ومن جوانب الإخلاص أيضًا الثقة بأن قضاء الله تعالى خيرٌ دائمًا، وإن خفيت حكمته. كما يقول الله تعالى في سورة البقرة، الآية ٢١٦:

"وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ..."

الرضا بما يُرضي الله، والبغض لما لا يُرضيه، علامة على النفاق. الصادق الحق هو من ينفذ أوامر الله تعالى، ويتجنب نواهيه، ويواجه الأقدار بصبر، مُقتديًا بسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم في كل حال. (سورة الحج، الآية 31). و حال. هذا الشخص يُجسّد الصدق في أبهى صورهِ

«...مخلصًا لله لا مشرّكًا به شيئًا»

ولكن، لأن الإخلاص لله تعالى غالبًا ما يتعارض مع شهوات الدنيا، يُظهر كثير من الناس نفاقًا بتقديم طاعة غيره على أوامره، مُسيئين بذلك استخدام نعمه التي أنعم بها عليهم. من الضروري إدراك أن المعبودات الباطلة لا تقتصر على الأصنام الملموسة. في الواقع، أي شيء أو شخص يُطاع في مخالفة لله تعالى - مثل وسائل التواصل الاجتماعي، والموضة، والأعراف الثقافية، والأقران، والشخصيات المؤثرة - يُصبح في الواقع سيدًا وإلهًا على الفرد، مُحوّلًا إياه عن التعبد لله تعالى وحده. سورة التوبة، الآية 31

"...اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله"

،لم يُعبد علماء أهل الكتاب ومراجعهم آلهة حقيقيًا، بل كانوا يُطاعون في معصية الله تعالى. وكانت طاعتهم عند مخالفتها للأمر الإلهي، تُعتبر عبادة. وهذا يُوضح مبدأً أساسيًا: فالعبادة لا تقتصر على الأفعال الجسدية

الظاهرة كالركوع والسجود، بل تشمل الخضوع والطاعة وطاعته بالقلب والعمل. ويؤكد القرآن الكريم هذا المبدأ أكثر في إشارته إلى الشيطان. سورة يس، الآية 60

أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ

مع أن معظم الناس لا يعبدون الشيطان عمدًا، إلا أنهم يُوصفون بذلك لأنهم يطيعونه مخالفين لله تعالى. وهذا يدل على أن الطاعة، إذا انحرفت عن الهداية الإلهية، تُصبح عبوديةً لأسياد زائفين. ولذلك، من الضروري للأفراد مقاومة الخضوع للمؤثرات التي تؤدي إلى معصية الله تعالى. فعندما يُصرّ المرء على الخضوع لأسياد دنيويين أو غير شرعيين - سواء كانوا أشخاصًا أو تيارات أو إعلامًا أو ضغوطًا ثقافية - فإنه يقع تدريجيًا تحت سيطرة هذه القوى. إن محاولة تلبية مطالب متعددة، غالبًا ما تكون متضاربة، تُولد ارتباكًا وقلقًا وعدم استقرار، لأن توقعات هؤلاء الأسياد متضاربة ومتغيرة باستمرار. ويمكن تشبيه هذا بموظف يُجيب على عدة مشرفين بمطالب متناقضة: تلبية أحد التوقعات يؤدي حتمًا إلى فشل آخر. وبالمثل، فإن من يتخلى عن عبودية الله تعالى يجد نفسه محاصرًا بأسياد دنيويين لا حصر لهم، ويفقد التوازن وراحة البال. مع مرور الوقت، غالبًا ما يؤدي هذا الوجود المتصدّع والمتضارب إلى اضطراب عاطفي وروحي عميق. قد يعاني الأفراد من حزن وعزلة ويأس مستمر، إذ يفشل سعيهم الدؤوب وراء رضا الدنيا في تحقيق الرضا الحقيقي أو الهدف. تتجلى هذه الظاهرة في حياة المشاهير والمؤثرين وغيرهم ممن يسعون وراء الشهرة أو التقدير الاجتماعي؛ فرغم نجاحهم الظاهري، يجسد الكثير منهم فراغًا عميقًا وسخطًا، مما يُظهر عبثية طاعة أسياد الدنيا على الله تعالى، أسياد الدنيا الذين يسلبون راحة بالهم ولا يقدمون لهم أي خير. سورة الحج، الآية 31

"ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير"

علاوة على ذلك، فإن طاعة الآخرين في معصية الله تعالى لا تُجدي نفعًا في الآخرة. ففي يوم القيامة، لن تُقدّم الجهات أو التأثيرات التي اتبعتها أي عون.

وأخيرًا، فإن من يتجاهل أوامر الله تعالى، مُعطيًا الأولوية لرغبات أو إملاءات الآخرين، يُسيء استخدام النعم المُنعم بها. وفي هذه الدنيا، يُعيق هذا المزاج قدرته على تحقيق توازن نفسي وجسدي مُتناغم، ويُسبب له سوء تقدير كل شيء وكل شخص في حياته. ونتيجةً لذلك، تتحول جميع جوانب وجوده، سواءً أكانت عائلته أم صداقاته أم حياته المهنية أم ثروته المادية، حتمًا إلى مصادر قلق وضيق كبيرين. وإذا استمر هؤلاء الأفراد في عصيانهم، فسُيُحملون مسؤولية اضطرابهم الداخلي، ظلمًا، لأشخاصٍ في غير محلهم، كالزوج أو الزميل، وعندما يقطعون صلاتهم لاحقًا بهذه الشخصيات البريئة أو المُفيدة، فإن ذلك يُفاقم معاناتهم النفسية القائمة، وقد يتفاقم إلى أزمات نفسية حادة، تشمل الاكتئاب السريري، والاعتماد على المواد المُسببة للإدمان، وحتى ظهور أفكار انتحارية. يتضح هذا النمط المدمر عندما نلاحظ من يسيئون استخدام النعم التي أنعم الله عليهم بها، كغيرهم من الأثرياء والمشاهير، رغم ما يبدو من رفاهية الدنيا ورفاهيتها. ولأن حالهم يمنعهم من الاستعداد الكافي للحساب، فإن عاقبتهم يوم القيامة أشد وطأة بلا شك. وهكذا، فإن معصيتهم لله تعالى أبعدهم عن طريق الطمأنينة في الدنيا والآخرة). سورة الحج، الآية 31، سورة الحج، الآية 22)

"ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق "

بتأمل هذه الحقيقة، يُشجّع المرء على دراسة المؤثرات التي يتبعها، والتأكد من أن جميع الطاعات والخضوع، والإخلاص موجهة لله تعالى وحده. كل فعل امتثال وولاء ينبغي أن يُعزز صلته به، ويحفظ القلب من التشتت ويصون نعم الله تعالى، ويؤدي إلى راحة دائمة في الدنيا والآخرة، من خلال تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في حياته على النحو الصحيح. سورة الحج، الآية 32

"ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب "

لذا، يجب على الإنسان قبول تعاليم الإسلام والعمل بها لما فيه مصلحته، حتى لو تعارض ذلك مع رغباته الشخصية. وعليه أن يتعامل مع هذه التعاليم كما يتعامل المريض العاقل مع نصيحة طبيبه، مدركًا أن الأدوية

المُرّة الموصوفة والنظام الغذائي الصارم هي في نهاية المطاف لمصلحته. وكما يحقق المريض العافية الجسدية والنفسية باتباع إرشادات الطبيب العارف، فإن من يعتنق التعاليم الإسلامية ويطبقها بإخلاص سيحقق التوازن والاستقرار والرضا في الحياة. ذلك لأن الله تعالى وحده هو من يملك المعرفة الشاملة اللازمة لضمان بلوغ الفرد حالة نفسية وجسدية متوازنة، ويضع أولويات صحيحة لكل شيء وكل شخص في حياته. المعرفة البشرية - سواءً من خلال الطب أو علم النفس أو علم الاجتماع أو غيرها - تبقى محدودة بطبيعتها. فرغم البحوث والخبرات الواسعة، لا يستطيع المجتمع تقديم توجيه يضمن تجنب جميع أشكال التوتر أو يضمن التوزيع الصحيح لكل عنصر في حياة الإنسان، وذلك بسبب محدودية الخبرة، وضيق الأفق، والتحيزات المتأصلة. الله تعالى وحده يملك هذه المعرفة الكاملة، وقد أنعم بها على البشرية من خلال القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. وتتجلى حقيقة ذلك عند مقارنة حياة من يستغلون نعم الله وفقًا للإرشاد الإسلامي بغيرهم. فخلافاً للوصفات الطبية، حيث قد يتبع المرضى التعليمات دون فهم كامل للعلم الكامن فيها، يشجع الله تعالى على التأمل في تعاليم الإسلام ليدرك الناس حكمته وفائدتها وآثارها التحويلية. فهو لا يطلب الطاعة العمياء؛ بل يدعو الناس إلى اتباع هدايته بعقل منفتح وغير متحيز، وتقييم الأدلة والاعتراف: سورة يوسف، الآية 108. بحقيقتها

"...قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني"

علاوة على ذلك، فإن الله تعالى هو وحده المتصرف في قلوب الأفراد الروحية - دار الطمأنينة. فهو الذي يُحدد من يطمئن ومن لا يطمئن. سورة النجم، الآية 43

"وأنه هو الذي أضحك وأبكى"

من الواضح إذن أن الله تعالى لا يمنح راحة البال إلا لمن استخدم نعمه وفق المبادئ المبينة في التعاليم الإسلامية. وبذلك، يُوفق المرء بين أفعاله والحكمة الإلهية، ويشعر بالرضا الحقيقي، ويحقق الاستقرار

من خلال تحقيق حالة ذهنية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع والتوازن في حياتيهما الروحية والدينية
:سورة الحج، الآية 32 . كل شيء وكل شخص في مكانه الصحيح

"ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب "

جوهر تعظيم شعائر الله تعالى يكمن في عيش حياة طاعة :امتثال أوامره، واجتناب نواهيه، ومواجهة القدر
بالصبر على نهج النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم .وبذلك، يضمن الإنسان استخدام النعم الممنوحة له
على الوجه الصحيح، كما هو مبين في الهداية الإلهية .هذا النهج الواعي والمنضبط في الحياة يُمكنه من
تحقيق التوازن في حالته النفسية والجسدية، ووضع كل شيء وكل شخص في مكانه الصحيح .هذا النهج في
الحياة لا يصون شؤون دنياه فحسب، بل يُهيئه أيضًا للحساب يوم القيامة على الوجه الأمثل .عندما يُعظم
الإنسان شعائر الله تعالى، فإنه في الواقع يُعظم عظمته وسلطانه، مما يُضفي على وجوده صفاءً ونظامًا وهدفًا
هذا السلوك يؤدي في النهاية إلى راحة البال في الدنيا والآخرة :سكينة واستقرار في الدنيا، وسكينة أبدية في
:الآخرة .سورة الحج، الآية 32

"ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب "

علاوة على ذلك، فإن من أهم جوانب التقوى اجتناب بعض الأعمال المشروعة عمدًا عند وجود خطر من أن
:تؤدي إلى الحرام .سورة البقرة، الآية ١٨٧

"تلك حدود الله فلا تقربوها"

هنا، لا يحرم الله تعالى تجاوز حدوده فحسب، بل يأمر بتجنب الاقتراب منها أصلاً. ويتكرر هذا التوجيه في القرآن الكريم، مُبرِّزاً أهمية الحذر حتى في حدود المسموح. فعلى سبيل المثال، أمر الله تعالى النبي الكريم آدم عليه السلام ليس فقط بالامتناع عن الأكل من شجرة معينة في الجنة، بل أيضاً بعدم الاقتراب منها، مع أن الاقتراب منها ليس محرماً أصلاً. سورة الأعراف، الآية 19:

"و يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين"

توضح هذه الأمثلة أن مجرد مشروعية الفعل لا يجعله نافعا أو آمناً بالضرورة. قد يكون الاقتراب من حدود الله تعالى جائزاً، ولكنه ينطوي على مخاطرة كامنة، إذ غالباً ما يكون بمثابة الخطوة الأولى نحو التعدي. لذلك ينبغي تجنب بعض الممارسات المشروعة - وخاصةً الباطلة منها - لأنها غالباً ما تمهد الطريق إلى المحرمات على سبيل المثال، قد يؤدي الكلام الفارغ، وإن لم يكن إثماً في حد ذاته، بسهولة إلى النميمة أو القذف أو الكذب. وبالمثل، فإن الإنفاق المفرط أو المتهور للثروة، مع أنه جائز، قد يتحول إلى إسراف، وهو أمر مدان في القرآن الكريم. سورة الإسراء، الآية 27:

"إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفوراً"

تؤكد التجارب التاريخية والروحية أن معظم من ينحرفون عن الصواب يفعلون ذلك تدريجياً، من خلال عملية تدريجية. قد يلجأون في البداية إلى المحرمات دون الانخراط فيها مباشرة، لكن تكرار التعرض والإغراء والألفة قد يؤدي في النهاية إلى المشاركة الفعلية في المحرمات. على سبيل المثال، من يكثر من مخالطة شارب الخمر يكون أكثر عرضة للوقوع فيها من من يتجنبها تماماً. وقد أكد النبي محمد صلى الله عليه وسلم هذا المبدأ في حديث ورد في جامع الترمذي، رقم 2451، موضحاً أن التقوى الحقيقية لا تتحقق إلا باجتناب بعض المحرمات التي قد تؤدي إلى المعصية. بعبارة أخرى، فإن الثبات على نعم الله تعالى - وفقاً لهدى القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم - يتطلب اليقظة ليس فقط تجاه المحرمات، بل أيضاً

،تجاه المحرمات التي قد تشجع خفية على المعصية .هذه اليقظة تضمن للإنسان طاعة الله تعالى خالصة وحسن استغلال النعم، وعيش حياة قائمة على الاستقامة .وباجتناب الحلال الذي قد يؤدي إلى المفساد، يُعزز .سورة البقرة، الآية ١٨٧ .الإنسان انضباطه الروحي ويحمي صحته العقلية والجسدية

"كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ"

:وسورة النحل الآية 97

"من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون"

،من ناحية أخرى، فإن من يغفلون عن أهمية تجنب حدود الله تعالى، غالبًا ما ينغمسون في المساعي المشروعة وخاصةً التفاهة منها .هذا الانغماس يزيد من قابلية الوقوع في المحرمات، وسوء إدارة النعم، والإهمال الروحي .مع مرور الوقت، يؤدي هذا إلى اختلال التوازن في الصحة النفسية والجسدية، وسوء ترتيب الأولويات والعلاقات، وعدم الاستعداد الكافي للحساب يوم القيامة .حتى مع تجربة الملذات أو الترفيه الدنيوي فإنها زائلة ولا توفر الرضا الحقيقي .يتجلى هذا النمط في حياة من يُعطون الأولوية للثروة أو الرفاهية أو المكانة دون مراعاة الله تعالى، مما يدل على أن إهمال هدايته يؤدي حتمًا إلى التوتر والمشقة وعدم الاستقرار :سورة طه، الآيات ١٢٤-١٢٦ .في العالمين

ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد
"كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى"

بملاحظة هذه الحقائق، يُذكر المرء بأهمية اجتناب الحرام، بل والحذر من الحلال أيضاً، لا سيما إذا كان باطلاً أو مُشتتباً. هذا النهج الدقيق يضمن حسن استغلال النعم، ويقوي الطاعة الصادقة، ويعزز التوازن الروحي والعقلي والجسدي، ويقود المرء في نهاية المطاف إلى سلام دائم واكتمال في الدنيا والآخرة من خلال تحقيق حالة ذهنية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في حياته على النحو الصحيح.

سورة الحج، الآية 32

"ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب "

على الرغم من أن بعض الأماكن والأشياء تعتبر مقدسة في الإسلام، فمن المحزن أن كثيراً من الناس يُظهرون الاحترام والتكريم لبعض الأشياء التي حرّمها الله تعالى - مثل المكان - لكنهم يفشلون في إظهار الاحترام، لأمر أكثر أهمية، مثل حقوق الآخرين. على سبيل المثال، في حديث موجود في سنن ابن ماجه، رقم 3932 أعلن النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم أن حرمة دم المرء وماله أقدس عند الله تعالى من حرمة بيته في مكة المكرمة، الكعبة. تسلط هذه المقارنة الضوء على أنه في حين يجب احترام الأماكن المقدسة، فإن كرامة الناس وسلامتهم وحقوقهم لها وزن أكبر عند الله تعالى.

هذا الحديث، كغيره من الأحاديث، يُعلّمنا أن النجاح الحقيقي لا يتحقق إلا بأداء حقوق الله تعالى - كأداء الصلوات المفروضة - وحقوق إخواننا في الله. فأحدهما دون الآخر ناقص. يوم القيامة، سيتحقق العدل كاملاً. قد يُجبر الظالم على تسليم حسناته لضحاياه، فإن استنفذها، فقد يحمل ذنوب من ظلمهم، مما قد يؤدي إلى دخولهم النار. وقد حذر من ذلك حديث في صحيح مسلم، رقم 6579

بالإضافة إلى ذلك، فإن المؤمن الحقيقي هو من يمتنع عن إلحاق الأذى بالآخرين - سواء كان لفظيًا أو جسديًا أو ماليًا. وقد تأكد هذا المبدأ في حديث من سنن النسائي، رقم 4998. لذلك، من الضروري للناس التأكد من أن أفعالهم ولا أقوالهم لا تسبب ضررًا للآخرين، سواء بشكل مباشر أو غير مباشر. كما أن احترام ممتلكات الآخرين أمر ضروري بنفس القدر. يجب ألا يكتسب الشخص ما ينتمي إلى شخص آخر بشكل غير قانوني، حتى في الأمور التي تبدو بسيطة مثل النزاع القانوني. ويحذر حديث موجود في صحيح مسلم، رقم 353 من أن أي شخص يفعل ذلك قد يُدان بالنار، حتى لو أخذ شيئًا تافهًا مثل غصن. يُؤمر الناس باستخدام ممتلكات الآخرين فقط بإذنهم وردها بطريقة ترضي المالك. يجب على المرء أن يعامل ممتلكات الآخرين كما يحب أن يُعامل ممتلكاته.

وبالمثل، يجب صون شرف الآخرين. فالأفعال أو الأقوال التي تنتهك كرامة الناس، كالغيبة والنميمة والقذف، محرمة منعًا باتًا. بل يجب الدفاع عن شرف الآخرين، حاضرين كانوا أو غائبين، فإن ذلك يقيهم من النار. وقد ورد هذا التوجيه في حديث رواه الترمذي برقم ١٩٣١. ينبغي للإنسان أن يتحدث عن الآخرين كما يحب أن يُتحدث عن نفسه، إما بالخير وإما بالصمت.

وختامًا، ينبغي للإنسان أن يتجنب ظلم الآخرين - سواءً في أنفسهم أو أموالهم أو شرفهم - بمعاملتهم كما يحبون أن يُعاملوا. وكما يحب المرء لنفسه الحماية والاحترام والكرامة، فعليه أن يُقدمها للآخرين بالقول والفعل. هذا السلوك من سمات الإيمان الحق، كما ورد في حديث في جامع الترمذي، رقم 2515. فعندما يُحافظ الناس على هذا التوازن - تعظيم شعائر الله تعالى المقدسة مع حفظ حقوق خلقه - فإنهم يحققون الانسجام فيما بينهم ويساهمون في تحقيق العدل والسلام في المجتمع. هذا الاحترام المزدوج هو المقياس الحقيقي للتقوى.

ثم يواصل الله تعالى الحديث عن أحد أهم رموزه: الحج، مسلطًا الضوء على أن هذه المناسك تنفع الناس لا الله. سورة الحج، الآيتان 33-34

"...ولكم من الأنعام منافع إلى أجل مسمى ثم محلها عند البيت العتيق .ولكل أمة جعلنا منسكاً "

،بشكل عام، تعجز المجتمعات البشرية الأكثر تقدماً، والمجهزة بمعرفة واسعة في مجالات كالعقل والجسد تماماً عن وضع قواعد سلوك مثالية .يجب أن تتوافق هذه القواعد المثالية تماماً مع الطبيعة البشرية، وأن تُراعي كل موقف قد يواجهه الناس أو الجماعات على الأرض .هذه المهمة مستحيلة على البشرية، لأنهم ما زالوا يحاولون فهم أجزاء صغيرة من اللغز، مثل كيفية عمل أجزاء الدماغ المختلفة .إنهم بعيدون كل البعد عن الفهم الكامل اللازم لبناء نظام متكامل يضمن السلام والعدل للجميع .الكيان الوحيد القادر على توفير هذا المعيار الشامل والمثالي هو الله تعالى .بصفته الخالق المطلق، فإن علمه لا حدود له، يغطي كل ما حدث ويحدث وسيحدث .لذلك، فهو وحده المؤهل لمنح البشرية دليلاً - قانوناً إلهياً - يُميز بوضوح بين الصواب والخطأ، ويؤدي إلى راحة البال بدلاً من حياة مرهقة .ويؤكد التاريخ نفسه ذلك :عندما اتبع الناس هذا القانون الإلهي بنجاح، أدى ذلك باستمرار إلى زيادة ملحوظة في الطمأنينة والعدل والسلام في المجتمع .لذلك، يُطلب من الأفراد قبول هذه القاعدة الإلهية واتباعها، لأنها في نهاية المطاف خيرٌ لهم .وهذا صحيح حتى لو تعارضت بعض قواعدها مع رغباتهم الشخصية المباشرة .عليهم أن يتصرفوا كمريض عاقل يثق بأوامر طبيبه ويتبعها .ويقبلوا الحاجة إلى دواءٍ غير سار أو نظامٍ غذائيٍّ صارمٍ لعلمهم أن ذلك في مصلحتهم

:سورة الحج، الآية 34

"...ولكل أمة جعلنا منسكاً ليزكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام "

كما ذكرنا سابقاً، فإن تناول الإنسان لحوماً مخصصة لغير الله تعالى يُدخل عليه نوعاً من النجاسة الروحية التي تُضعف تدريجياً جوهر إيمانه وثقوّضه .ويوحى هذا الفعل بسوء فهم خطير لحقيقة الواقع، وتحديدًا الاعتقاد الخاطيء بأن الكائنات غير الله تعالى تمتلك أي قدرة مستقلة على جلب الخير أو دفع المصائب، سواءً في الدنيا أو الآخرة .وحتى عندما تكون هذه القناعات كامنة أو غير مدركة، يُقال إنها تعكس جوهر الشرك

الذي دفع حضارات عديدة في الماضي إلى الانحراف عن الصراط المستقيم. وإذا ظل هذا الانحراف دون تصحيح، فإنه يمتلك القدرة على توجيه المسلم خفية نحو هذه الأخطاء العقائدية الخطيرة نفسها، حتى لو لم:سورة الزمر، الآية 3. يُقرّ بها صراحةً

ألا إن الله هو الدين الحنيف. والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى

يكشف هذا البيان الإلهي عن خداع الذات العميق الكامن وراء هذا المنطق. غالبًا ما يدّعي من يرتكبون هذه الأفعال أن نواياهم صافية، وأنهم يسعون فقط إلى التقرب من الله تعالى، لكن في الحقيقة، تتعلّق قلوبهم بوسطاء كاذبين. هذا الاتكال في غير محله يُقوّض الإخلاص ويُفسد جوهر وحدانية الله تعالى. عندما يبدأ المرء بالاعتماد على أي شيء أو أي شخص سوى الله تعالى، يتشتت تركيزه الروحي. ويصبح أمله وخوفه، اللذين ينبغي أن يُوجّها إلى الخالق وحده، في غير محلهما في الخلق. ونتيجةً لذلك، قد يبدأون بتبرير أعمال العصيان متوهمين أن فضل أو شفاعته غيره سيضمن لهم المغفرة أو النجاح. هذه العقلية تُؤلّد الرضا والإهمال والانحلال الروحي. فبدلاً من السعي الصادق لطاعة الله تعالى وطلب مغفرته مباشرةً، يضع المرء ثقته في حماة وهميين لذلك، يُصاب أو وسطاء كاذبين. نتيجةً لذلك، يُصرّون على إساءة استخدام النعم التي أنعم بها عليهم. ونتيجةً الفرد باختلال في توازن صحته النفسية والجسدية. ويُسيء توزيع الأشخاص والأولويات في حياته، مُقصرين في إعداد العدة الكافية للحساب الذي ينتظرهم يوم القيامة. وهذا يؤدي إلى القلق والمشقة والتحديات في الدنيا فالقلب الذي يعتمد على غير الله. والآخر، بغض النظر عن أي راحة أو امتيازات دنيوية قد يمتلكونها مؤقتاً تعالى لا ينعم بسلام دائم، إذ يُصبح عبداً لأسياد لا يُحصى عددهم، كلّ منهم يطالب بالولاء، ولكنه لا يُقدّم أي أمان أو راحة حقيقية

لذلك، يؤكد القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، بكل وضوح، أن الإخلاص والعبادة الخالصة أساس الإيمان الحقيقي. فكل عبادة، وكل نية، وكل طاعة، يجب أن تكون خالصة لله تعالى. فكل عمل يُعمل به لمرضاة الآخرين، أو طلباً للشهرة، أو لكسب الدنيا، يبطل ثوابه عند الله. ويعزز هذا المبدأ حديث في جامع الترمذي، رقم 3154، يحذر من أن من عمل صالحاً لغير الله تعالى، فلا ثواب له

لا سبيل إلى النجاح الحقيقي، وراحة البال، والارتقاء الروحي إلا بالإخلاص التام والتوكل التام على الله تعالى. فهو وحده المتصرف في كل نفع وضرر، وفي كل نعمة وبلاء، في الدنيا والآخرة. من طهر إيمانه من كل شرك، وأخلص عبادته له، وجد قلبه مطمئنة في الدنيا والآخرة، بتوازن حالته النفسية والجسدية، وبوضع كل شيء وكل شخص في حياته على الوجه الصحيح.

في القرآن الكريم، جمع الله تعالى بين أمور الدنيا، كأكل الحلال وطاعته، ليثبت أن الإسلام منهج كامل يجب العمل به في كل أمر، دنيويًا كان أم دينيًا، وفي كل نعمة). سورة الحج، الآية 34)

"...ولكل أمة جعلنا منسجًا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام إنما إلهكم إله واحد فأسلموا له "

هذا يؤكد على وجوب نبذ العقلية الجاهلة التي تفترض أن الله تعالى لا يهتم إلا بالواجبات الدينية، كالصلوات المفروضة، ويسأل عنها بل على العكس، فإن الله تعالى يسأل كل إنسان عن كل موقف يمر به، سواء كان دنيويًا بحثًا أو دينيًا. لذا، يجب على الأفراد الحرص على التعمق في التعاليم الإسلامية والعمل بها بجد ليكون سلوكهم سليمًا في كل موقف. هذا الالتزام هو الضمان الوحيد لبلوغ حالة نفسية وجسدية متناغمة، وترتيب أولويات الناس والموارد في حياتهم، والاستعداد الكافي للحساب الجسيم يوم القيامة. هذا السلوك الشامل يضمن الطمأنينة في الدنيا والآخرة.

لذا، يجب الامتناع عن اعتبار الإسلام لباسًا خارجيًا، شيئًا يمكن ارتداؤه وخلعه وفقًا لأهوائه الشخصية. إن من يتبنى هذا السلوك المتقلب إنما يعبد أهوائه، بغض النظر عن أي ادعاءات دينية قد يدعيها. وهذا أمرٌ حذر: سورة الفرقان، الآية 43. منه القرآن الكريم بوضوح

"...أرأيت من اتخذ إلهه هواه"

إن عاقبة عدم تطبيق التعاليم الإسلامية في كل موقف هي سوء استخدام النعم التي وُهِبَت للإنسان .يؤدي هذا الإهمال إلى حالة نفسية وجسدية غير متوازنة، مما يؤدي إلى سوء ترتيب أولويات الحياة وعلاقاتها، ويترك الإنسان غير مستعد للمحاسبة يوم القيامة .في نهاية المطاف، سيتجلى هذا في حياة مليئة بالتوتر والصعوبات :والمشقة في الدنيا والآخرة، حتى لو تمتع المرء ببعض الرفاهية والرفاهيات الدنيوية .سورة الحج، الآية 34

"...لأن إلهكم إله واحد، فله أسلموا..."

،يُعَلِّم الإسلام البشرية أن من يستحق الطاعة المطلقة في كل حال هو خالقها ورافعها - الله تعالى .في جوهره يصبح كل من يطيعه الإنسان ويقتدي به في حياته موضع عبادته، حتى لو أنكر وجود أي إله ظاهريًا .خُلِق كل إنسان بدافع فطري لاتباع شيء ما والخضوع له - سواءً كان شخصًا آخر، أو اتجاهات مجتمعية، أو :سورة الفرقان، الآية 43 .موضة، أو ثقافة، أو حتى رغباته الخاصة .وقد عبّر القرآن الكريم عن هذه الحقيقة

"...أرأيت من اتخذ إلهه هواه"

إن من يختار المرء طاعته، أو ما يختاره، هو في الحقيقة ما يعبد .لذلك، يجب على المؤمن الحقيقي أن يُثَبِّت إيمانه الشفهي بعملٍ مُستمر، مُخلصًا لله تعالى في جميع الأحوال، حتى لو تعارض ذلك مع ميوله الشخصية أو توقعاته الاجتماعية .تتضمن هذه الطاعة استخدام كل نعمة أنعمها الله تعالى بما يرضيه، كما هو مُبين في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم .بهذا، يُحقّق الفرد التوازن - عقليًا وجسديًا وروحيًا - فيضع كل شيء وكل شخص في مكانه الصحيح في حياته، مُستعدًا جيدًا للحساب يوم القيامة .هذا السلوك - .يؤدي إلى راحة البال الحقيقية في الدنيا والآخرة

- في المقابل، من ينكر وحدانية الله تعالى، ويعبد غيره - سواءً أكانوا أشخاصًا أم شهوات أم أنظمة دنيوية، سيُسيء استخدام النعم التي وُهِبَتْ له لا محالة. ويؤدي هذا الإساءة إلى اختلال التوازن النفسي والجسدي واختلال ترتيب الأولويات والعلاقات، وعدم الاستعداد للمساءلة النهائية أمام الله تعالى. والنتيجة هي الضيق، سورة الحج. والحيرة والمشقة في الدنيا والآخرة، حتى وإن خدعته ملذات الدنيا الزائلة بشعور زائف بالنجاح:

الآية 34

"...لأن إلهكم إله واحد، فله أسلموا..."

،عندما يتأمل المرء بإخلاص في اتساع السماوات والأرض، ودقة القوانين الطبيعية، والتناغم بين الخلق يتضح أن هذا التوازن لا يمكن أن يُوجد إلا من قِبَل خالق واحد - الله تعالى. على سبيل المثال، تُبرهن المسافة المثالية بين الأرض والشمس على الدقة الإلهية؛ فأي تغيير طفيف سيجعل الحياة مستحيلة. وبالمثل، خُلِقَ الغلاف الجوي للأرض بتركيب مثالي لاستدامة الحياة. سورة البقرة، الآية ١٦٤

"...واختلاف الليل والنهار..."

إن دورة الليل والنهار المُقاسة بدقة، مع تباينها التدريجي عبر الفصول، تُبرهن على حكمة الله تعالى ورحمته العميقة. فكل تعاقب له غاية مُحددة، ويُمكن البشرية من جني أقصى فائدة مُمكنة منهما. فلو طالَت الأيام أكثر من اللازم، لتعب الناس وأثقل كاهلهم بالعمل المُتواصل، مما أدى إلى الإرهاق وتدهور الصحة. وعلى العكس، لو طالَت الليالي أكثر من اللازم، لفقد الأفراد الوقت الكافي للعمل وكسب الرزق وطلب العلم النافع من ناحية أخرى، لو قصرَت الليالي أكثر من اللازم، لحُرِم الجسم والعقل من الراحة الكافية، مما أدى إلى الضعف واختلال التوازن وسوء الصحة. هذا التوازن الدقيق بين العمل والراحة يُحافظ على الصحة البدنية والنفسية، ويُمكن الناس من أداء مسؤولياتهم الدنيوية والروحية في انسجام. وينطبق هذا التوازن الدقيق نفسه على الزراعة والعالم الطبيعي. إن تعاقب الليل والنهار، بنسبه المُحددة، يُنظم درجة الحرارة والرطوبة

والضوء - وهي عوامل أساسية لنمو المحاصيل وبقاء الحيوانات. وأي خلل في هذا التوازن من شأنه أن يؤدي إلى عواقب مدمرة على الحياة على الأرض، وإزعاج إمدادات الغذاء واستقرار النظم البيئية بأكملها.

عندما يتأمل المرء كيف تعمل هذه الدورات بسلاسة تامة دون انقطاع أو خطأ، يتضح أنها خاضعة لخالق واحد قدير. لا يمكن أن ينشأ التنسيق المتكامل لهذه الأنظمة الضخمة والمعقدة مصادفةً أو من خلال إرادة متضاربة لآلهة متعددة. وكما يؤكد القرآن الكريم، لو كان هناك أكثر من إله واحد، لسقط الكون في الفوضى والخراب. لذا، فإن التناغم المستمر بين الليل والنهار شهادة جلية وحية على وحدة الله تعالى وقدرته وحكمته المطلقة، فهو الذي يحافظ على النظام التام في جميع الخليقة. سورة الأنبياء، الآية 22

"وَلَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا"

سورة البقرة، الآية 164

"والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء "

عندما يتأمل المرء دورة الماء المتوازنة تمامًا، يُصبح ذلك دليلاً لا ينكر على حكمة الخالق وقدرته. يتبخر الماء من المحيطات والبحار الشاسعة بفعل حرارة الشمس، ويصعد إلى الغلاف الجوي، ثم يتكثف مُشكلاً غيوماً تُنتج في النهاية المطر. هذا المطر، الذي يبدأ حمضياً بفعل العمليات الجوية الطبيعية، يُنقى ويُعادل أثناء مروره عبر الجبال والتربة، مما يجعله صالحاً للاستهلاك البشري والحيواني. تعمل هذه العملية - باستمرار، مُحافِظةً على جميع أشكال الحياة على الأرض. لو حدث أدنى تغيير في هذه الدورة الدقيقة كغزارة أو قلة هطول الأمطار - لكانت العواقب وخيمة. فالأمطار الغزيرة ستؤدي إلى فيضانات مُدمرة، بينما سيؤدي نقص الأمطار إلى الجفاف والمجاعة. علاوة على ذلك، فإن وجود الملح في المحيطات يخدم غرضاً

حيويًا: فهو يمنع التحلل والتلوث من خلال تحييد الشوائب وبقايا الكائنات البحرية. لو كانت البحار عذبة لا مالحة، لسرعان ما تلوثت وعجزت عن احتضان الحياة البحرية. كما أن كثافة مياه البحر وتركيبها الفريدين مصممان بإتقان - كثيفة بما يكفي لحمل السفن الثقيلة حتى تطفو وتحمل البضائع لمسافات شاسعة، وفي الوقت نفسه متوازنة بحيث تزدهر الحياة فيها. لو اختل هذا التوازن قليلاً، لتوقفت السفن عن الإبحار، أو لم تعد الحياة البحرية قادرة على البقاء. حتى في العصر الحديث، لا يزال النقل البحري عصب التجارة العالمية مما يُظهر الأهمية المستمرة لهذا النظام الإلهي المُحافظ عليه. إن هذا التناغم والدقة يشهدان على كمال الله تعالى، الذي خلا خلقه من أي عيب أو خطأ

في المقابل، تُرجع نظرية التطور تنوع الحياة إلى الطفرات العشوائية، وهي عملية ناقصة وعمياء بطبيعتها. ومع ذلك، عندما نلاحظ الدقة المذهلة التي يتشكل بها كل نوع، بما يتلاءم تمامًا مع بيئته، يتضح أن هذا التصميم لا يمكن أن يكون وليد الصدفة. فكل مخلوق يُظهر بُعد نظر الخالق العليم وغايته

خذ الجمل مثلاً: فهو مُجهّز بمهارة للبقاء على قيد الحياة في الصحراء القاحلة. أرجله الطويلة تُبقي جسمه بعيداً عن الرمال الحارقة، ورموشه الكثيفة تحمي عينيه من الغبار، وسنامه يُخزّن الدهون ليُبقّيه على قيد الحياة لفترات طويلة دون طعام أو ماء. هذا التصميم ليس وليد الصدفة، بل هو حكمة إلهية: الآية 17

أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ؟

وبالمثل، تُقدم الماعز علامة أخرى على هذا الخلق الكامل. فمن داخل جسدها، بين الإفراز والدم، يخرج حليب نقيّ سليم، مُغذّي ولذيذ لمن يشربه. ولو كان في هذه العملية عيبٌ بسيط، لكان الحليب غير صالح للاستهلاك: سورة النحل، الآية 66

وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها من بين فرث ودم لبنًا خالصًا سائغًا للشاربين.

مُنح كل نوع من الكائنات الحية عمرًا ومعدل تكاثر محددين، يضمنان التوازن الدقيق للحياة على الأرض. هذا التنظيم الإلهي يمنع أي نوع من الهيمنة على الأنواع الأخرى أو إبادتها، محافظًا على الانسجام الذي يدعم النظام الطبيعي. على سبيل المثال، عمر الذبابة الشائعة قصير جدًا - عادةً ما بين ثلاثة وأربعة أسابيع ومع ذلك فهي قادرة على وضع ما يصل إلى خمسمائة بيضة خلال تلك الفترة. لو عاش الذباب لفترة أطول - مع الحفاظ على معدل التكاثر نفسه، لخرجت أعداده بسرعة عن السيطرة، مما يُخل بالنظم البيئية ويُسبب اختلالًا واسع النطاق. في المقابل، تتكاثر الكائنات ذات الأعمار الأطول بكثير، مثل الفيلة أو الحيتان، بوتيرة أقل بكثير، ولا تُنتج سوى عدد قليل من الأبناء خلال حياتها. يضمن هذا التوازن المثالي بقاء كل نوع ضمن حدوده المحددة، محافظًا على استقرار النظم البيئية للكوكب. لا يمكن أن تكون هذه الدقة نتيجة صدفة أو عمليات تطورية عمياء. فالطفرة العشوائية والانتقاء الطبيعي، بطبيعتهما، يفتقران إلى البصيرة اللازمة لخلق هذا التوازن المعقد والحفاظ عليه بين جميع الكائنات الحية. بل يشهد هذا التوازن على التصميم المدروس والحكمة اللامحدودة للخالق - الله تعالى - الذي قَدَّر لكل شيء قدرًا ونصيبًا. سورة البقرة، الآية ١٦٤

"...وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض..."

الرياح أيضًا جزء من هذا النظام المثالي، إذ تؤدي أغراضًا لا غنى عنها. فهي تُسهِّل تلقيح المحاصيل والنباتات والأشجار، مما يضمن استمرار الحياة وتوافر القوت للإنسان والحيوان. في العصور السابقة، كانت الرياح حيوية للسفر البحري، ودفع السفن عبر المحيطات الشاسعة - وهي وسيلة أساسية للتجارة والاستكشاف، لا تزال العمود الفقري للتجارة العالمية حتى اليوم. علاوة على ذلك، توزع الرياح السحب عبر المناطق موفرة الأمطار بدقة حيثما تكون ضرورية لاستمرار الحياة. يعمل هذا النظام بتوازن مثالي: فغياب الرياح تمامًا من شأنه أن يُشلَّ النظم البيئية ويوقف الدورات الطبيعية، بينما تؤدي الرياح الشديدة إلى الدمار والفوضى. ويحكم الاعتدال الإلهي نفسه هطول الأمطار. بقللة الأمطار تؤدي إلى الجفاف والمجاعة والموت؛ (المؤمنون، الآية 18، سورة 23 وكثرتها تجلب الفيضانات والدمار). سورة

"ولقد أنزلنا من السماء ماءً بقدرٍ فأسكناه في الأرض وإنا على ذهابٍ به لقادرون"

هذه الأنظمة الدقيقة - كلُّ منها مترابط، وكلُّ منها يعمل بدقة - لا يمكن أن تكون وليدة مصادفة. إنها آياتٌ من تصميم إلهي، دبّرَها من يملك زمام الأمور. كل هبة ريح، وكل قطرة مطر، وكل نفس حياة، تتبع أمره. من تأمل هذه الظواهر بصدق لا يمكنه أن ينكر منطقيًا وجود خالق واحد وسلطانه الأسمى - الله تعالى - الذي يحكم الكون بحكمةٍ تامةٍ وتوازنٍ وعدل. سورة الحج، الآية 34

"...لأن إلهكم إله واحد، فله أسلموا..."

من يقبل هذه الحقيقة التي لا تُنكر، سيدرك أن الله تعالى، بما أنه على علمٍ تامٍّ بكل شيء، فهو وحده القادر على وضع قواعد سلوكية تضمن راحة البال الحقيقية في الدنيا والآخرة. هذا التواضع يشجعهم على اتباع هدايته، بالاستخدام الصحيح للنعم التي أنعم الله عليهم بها كما وردت في التعاليم الإلهية. هذا يضمن لهم تحقيق التوازن في حالتهم النفسية والجسدية، مع وضع كل شيء وكل شخص في حياتهم في مكانه الصحيح. بهذا الاتزان، لا يكتفون بحفظ شؤون دنياهم، بل يُعدّون أنفسهم أيضًا على النحو المناسب للمحاسبة يوم القيامة. هذا السلوك يُنمّي الصفاء والنظام والسكينة، ويُحرّرهم من الحيرة وضياح الأولويات. لذلك، يجب على المرء أن يتقبّل هذه الحقيقة بتواضع من أجل نفسه، تمامًا كما يتقبّل المريض الحكيم نصيحة طبيبه بتواضع ويعمل بها، وهو يعلم أنها الأنسب له، على الرغم من وصف خطة علاجية له تتعارض مع رغباته، مثل: نظام غذائي صارم. سورة الحج، الآية 34

"وبشر المتواضعين..."

كما تشير الآية التالية، عندما يتعلم الإنسان تعاليم الإسلام ويعمل بها على النحو الصحيح، فإنه ينجو من فخ التمني - ذلك الوهم الخطير المتمثل في أنه قد يستمر في معصية الله تعالى، مع توقع سلامه ورحمته وبركاته: سورة الحج، الآية 35. في الدنيا والآخرة

"الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم"

تُبرز هذه الآية جوهر الإيمان الصادق، وهو القلب الذي يرتجف من خشوع الله تعالى ووعيه. لا يمكن لقلب، كهذا أن يرضى بالمعاصي أو الغفلات، لأن الإقرار الصادق بعظمته يوجب الطاعة والتواضع. في المقابل ينشأ التمني عندما يقسو قلب الإنسان ويفصل عن هذا الخشوع. قد يدّعي الإيمان مع إصراره على تجاهل الأوامر الإلهية، ظاناً أن رحمة الله تعالى ستستر عصيانه المتعمد. هذه الثقة الزائفة لا تنبع من الإيمان، بل من الغفلة وخداع النفس. أما الرجاء الحقيقي، فهو مختلف تماماً. فالرجاء الحقيقي يُلهم العمل، وهو يتضمن السعي الصادق في طاعة الله تعالى، مستخدماً نعمه التي أنعم بها عليه وفقاً لهدى القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. بعد أداء الواجبات على أكمل وجه، يلجأ المرء إلى الله تعالى بخشوع، راجين رحمته ومغفرته في الدنيا والآخرة. وقد وُضِّح حديثاً في جامع الترمذي، رقمه ٢٤٥٩، هذا الفرق الجوهرى بين الرجاء الصادق والتمني. لذا، على كلّ إنسان أن يفهم هذا الفرق ويُقدِّره. يجب أن يُغذّي الرجاء الصادق بربط الإيمان بالطاعة، مع تحصين نفسه من راحة التمني الزائفة. فهذا الأخير لا يُؤتي نفعاً في الدنيا ولا نجاةً في الآخرة، بينما يُفضي الرجاء الصادق - المتجذّر في الإيمان الصادق والعمل الصالح - إلى الرحمة الإلهية من خلال تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كلّ شيء، والسلام الداخلي والتوفيق الأبدي. وكلّ شخص في حياته على الوجه الصحيح.

الجزء التالي من الآية ٣٥ يوضح وجوب الاستمرار في طاعة الله تعالى، حتى في الأوقات العصيبة، فالشدائد مؤشر جيد على من يُخلص الله تعالى ومن لا يُخلص. سورة الحج، الآية ٣٥

"... والصابرين على ما أصابهم ..."

الصبر هو كَفَّ المرء عن الشكوى من المصائب، قولاً كان أو فعلاً، مع المواظبة على طاعة الله تعالى في جميع المحن. وهذه الطاعة تقتضي أن يستغلَّ الإنسان نعمه فيما يرضيه، كما بينه القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. وأساس الصبر العلم: فكلما تعلَّم الإنسان وعمل بتعاليم الإسلام، أدرك أن كل ما يقضيه الله تعالى هو في النهاية للخير، وإن خفيت عنه حكمته

إن الإيمان بهذه الحكم الخفية وطاعته في الشدة ركنٌ أساسي من أركان الإيمان. من السهل حمد الله في الرخاء، لكن الاختبار الحقيقي للإخلاص هو الاستمرار في حمده وطاعته في الشدة. وقصة النبي يوسف عليه السلام خير مثال. فقد فُصل عن والديه في صغره، وهُجر في بئر، وبيع عبداً، وسُجن ظلماً. ومع ذلك فقد هيأت له هذه المشقات لتحمل المسؤولية العظيمة لإنقاذ مصر من المجاعة. ولولا تلك المحن، لما استطاع: إنقاذ ملايين الأرواح. سورة البقرة، الآية ٢١٦

"وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ..."

دراسة التعاليم الإسلامية تُعين الإنسان على إدراك محنه. فبالتأمل في حياة أحاب الله تعالى الذين عانوا مصاعب أشد، يتعلم المرء الاستهانة بمصاعبه والثبات. وبالمثل، فإن مشاهدة الآخرين في زمننا هذا يواجهون مصاعب أشد تُلهمنا الامتنان والصبر

تُغرس التعاليم الإسلامية أيضاً فهماً للقدر: فكل أمر، يسراً كان أم عسراً، حتمي ومقدّر. فالشكوى مما لا حيلة فيه لا تُجدي نفعاً. بل الصبر يُحوّل البلاء إلى ثواب عظيم. سورة الزمر، الآية ١٠

"إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب"

وهكذا، يكون الإنسان أمام خيارين: إما أن يواجه أمراً لا مفر منه بصبرٍ فينال جزاءً لا يُحصى، أو أن يواجهه بفارغ الصبر فيخسر ما كان يمكن أن يكون له. وفي كلتا الحالتين، سيقع الأمر، لذا تقتضي الحكمة أن ينتفع: سورة الحديد، الآيتان ٢٢-٢٣. به في الدنيا والآخرة

أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير. لكي ما... لا تيأسوا مما فاتكم

،بهذا التأمل، يدرك المرء أيضاً أن ما يتمناه في الدنيا ليس دائماً هو الأفضل له. فالصبر إذن ليس صبراً سلبياً، بل هو توكل فاعل على الله تعالى، مقرون بطاعة راسخة. وهو يحول المشقة إلى وسيلة للنمو الروحي: سورة البقرة، الآية 216. ويقوي الإيمان، ويضمن ثواباً لا يُحصى في الآخرة

"وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ..."

،لكل إنسان أمثلة لا تُحصى في حياته تُثبت هذه الحقيقة. فكثيراً ما يتمنى المرء شيئاً، ظاناً أنه خيرٌ له فيجده مصدرًا للضغط والشقاء. وكذلك، كثيراً ما يكره المرء شيئاً، ظاناً أنه مضر، فيصبح مصدرًا للخير والنفع. من يُدرك هذه الحقيقة يكون أقلَّ صبراً على ما يُخالف رغبته، لأنه يُدرك أن ما قدره الله تعالى هو خيرٌ له في النهاية، وإن لم تتضح حكمته فوراً

كما يُنقى الذهب بالحرارة الشديدة، يكتسب الإنسان قوةً ذهنيةً وقوةً عقليةً من خلال تحمّل الصعاب .من اعتاد على الرخاء الدائم، غالبًا ما يواجه صعوباتٍ حتى في أبسط التحديات، كالخلافات الزوجية أو الضائقة المالية ومن خلال الابتلاءات، يُقوّي الله تعالى دواخل الإنسان ليتمكن من مواجهة مصاعب المستقبل بثباتٍ واستقرارٍ أكبر.

لكن الصبر لا يقتصر على أوقات الشدة، بل هو مطلوب في جميع الأحوال، حتى في الرخاء، كما جاء في الإسلام .فإذا رزق الإنسان الصحة أو المال أو الجاه، فعليه أن يتحلّى بالصبر، فيكفّ عن إساءة استخدام هذه النعم، ويوجهها إلى ما يرضي الله تعالى

للتجارب الدنيوية حكمٌ كثيرة، وتُرشدنا التعاليم الإسلامية إلى فهمها والصبر عليها .لذا، من الضروري أن يدرس الناس هذه التعاليم ويتعلموها ويعملوا بها ليُنمّوا الصبر في كل ظرف، وينالوا جزاءً عظيمًا في الدنيا والآخرة .ينبغي على المرء أن يتعامل مع التجارب كما يتعامل المريض الحكيم مع نصيحة الطبيب :حتى لو كان الدواء مرًا أو الحمية قاسية، فهو على ثقة بأن ذلك من أجل سلامته في نهاية المطاف

الصبر لا يعني السلبية أو التراخي، بل يشمل اتخاذ الخطوات المناسبة لمعالجة الموقف مع البقاء على طاعة الله تعالى .على سبيل المثال، يجب على الزوجة التي تتعرض للإساءة من زوجها أن تتخذ إجراءات لحماية نفسها وأطفالها، مثل الانفصال عنه .هذا ليس تناقضًا مع الصبر، بل هو تحقيق له، فالصبر الحقيقي ليس عذرًا لتحمل الظلم دون اللجوء إلى الحلول الشرعية .وبالمثل، فإن التعبير عن المشاعر بالبكاء لا يتعارض مع الصبر .بكى النبي يعقوب عليه السلام بكاءً شديدًا على حزنه حتى فقد بصره، ومع ذلك لم يوبخه الله تعالى على ذلك .سورة يوسف، الآية 84

" فتولى عنهم وقال يا أسفي على يوسف وابيضت عيناه من الحزن إنه كان كظلاماً"

.وقد بكى النبي محمد صلى الله عليه وسلم على ابنه إبراهيم عليه السلام كما في سنن أبي داود رقم 3126
ومما ينافي الصبر معصية الله تعالى بالقول أو الفعل، أما الحزن الطبيعي فهو من طبيعة الإنسان

من المهم أيضاً ملاحظة أن الصبر يجب أن يُظهر منذ بداية الشدة وأن يُحافظ عليه حتى رحيل الدنيا .وقد ورد هذا في حديث صحيح البخاري، رقم 1302 .إن إظهار الصبر بعد انقضاء المدة ليس صبراً حقيقياً، بل هو مجرد قبول، وهو أمرٌ واردٌ في نهاية المطاف لدى جميع الناس .ويتمثل الصبر الحقيقي في كف المرء لسانه وأفعاله عن علامات نفاد الصبر فوراً، والاستمرار على هذه الحالة حتى نهاية حياته .وإلا فإنه يُخاطر، بفقدان ثواب الصبر بالوقوع في السخط لاحقاً .وقد ورد هذا في الآية 35، حيث وردت كلمة الصبر اسماً مما يُمثل الثبات والثبات .وهكذا، لا يُصبح الصبر درعاً من اليأس فحسب، بل وسيلةً لتحويل المحن إلى فرص للنمو والثواب والقرب من الله تعالى .سورة الحج، الآية 35

"...والصابرين على ما أصابهم..."

وكما أن كلمة الصبر اسمٌ يدل على الدوام والثبات، فقد وردت إقامة الصلاة المفروضة بهذا المعنى، دلالةً على وجوب أدائها باستمرار لا على حسب الهوى .سورة الحج، الآية 35

"...والمقيمين على الصلاة دائماً..."

تحتل الصلاة المفروضة في التعاليم الإسلامية مكانةً بالغة الأهمية، فهي عبادةٌ عليا وركيزةٌ أساسيةٌ ترتكز عليها جميع الأعمال الصالحة. إنها سمة الإيمان، التي يؤكد عليها مرارًا وتكرارًا كأساسٍ لعلاقة المؤمن بخالقه. فبدون إقامتها على الوجه الصحيح، لا سبيل إلى الهداية الحقيقية، فهي صلة الوصل الروحية الجوهرية بين العبد وربّه تعالى. فهي تُنمّي التواصل والإخلاص وضبط النفس، وتُذكّر المؤمن باستمرارٍ باعتماده على الله تعالى ومحاسبته في الآخرة. ويتطلب أداء الصلاة المفروضة على الوجه الصحيح الالتزام الدقيق بشروطها وآدابها الأساسية، وعلى رأسها أداء كل صلاة في وقتها. وقد أكّد القرآن الكريم مرارًا وتكرارًا على حرمة هذه الأوقات، مُصوّرًا الصلاة على أنها أوضح دليلٍ على الخضوع الصادق، وأجلّ تعبيرٍ عن إخلاص القلب لله تعالى. بتوزيعها على مدار اليوم، تُنظّم الصلاة أوقات المؤمن، وتُرسّخ روتينه بالذكر، وتحميه من الغفلة. كل أذان يُذكّرنا بأن الحياة زائلة، وأن كل لحظة يجب أن تُعاش بوعي الله تعالى، واستعداد ليوم القيامة وهكذا، فإن الصلوات المفروضة ليست مجرد طقوس ظاهرية؛ بل هي ركن الإيمان، والأساس الذي تُبنى عليه جميع الأعمال الصالحة. ومن خلال المواظبة عليها، يُحقّق المؤمن الانسجام بين الجوانب الروحية والجسدية في الحياة، مُقوِّيًا عزمته الداخلية على مقاومة المعصية والثبات على الحق. يحمل كل ركن من أركان الصلاة رمزية عميقة تعكس حقائق الآخرة. فالوقوف منتصبًا يُجسّد الوضعية التي سيقف بها الخلق يومًا ما بين يدي الله تعالى، في انتظار حسابه. سورة المطففين، الآيات 4-6

أَوَلَا يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُبْعَثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ

وبالمثل، عندما ينحني المؤمن في الصلاة، يُصبح هذا الفعل انعكاسًا قويًا على تلك النفوس التي لا تُحصى التي ستواجه اللوم والندم العميق يوم القيامة لرفضها الانحناء لله تعالى في حياتهم الدنيا. تُجسّد هذه البادرة من التواصل اعترافًا بسلطان الله تعالى وجلاله، وتقف على النقيض تمامًا من غطرسة وغفلة من أهملوا هذا التعبير المقدس عن الخضوع. سورة المرسلات، الآية 48

"وإذا قيل لهم اركعوا لم يركعوا"

هذا الحدث يُمثل تحذيرًا عميقًا لمن كانت طاعتهم لأوامر الله تعالى ناقصة وغير متسقة طوال حياتهم. علاوة على ذلك، فإن سجود المؤمن في الصلاة يُذكرنا بشدة باليوم الحتمي الذي ستُؤمر فيه كل نفس بالسجود لله تعالى. في ذلك اليوم، سيجد من أهملوا هذا الخضوع الجوهري في حياتهم الدنيوية عمداً - كاشفين بذلك عن سورة القلم، الآيتان 42- . استخفافهم المستمر بأمره - أنفسهم عاجزين عن السجود له، مهما رغبوا في ذلك

43:

يوم يشتد الأمر يدعون إلى السجود فيمنعون، وتخضع أعينهم، وتغشاهم الذل، وكانوا يدعون إلى السجود"

"وهم سالمون

في نهاية المطاف، يُعدّ الركوع في الصلاة نذيرًا مهيبًا وعميقًا للوضعية التي ستتخذها كل نفس أمام الله تعالى يوم القيامة، وهي وضعية تتسم بالتواضع العميق والخشوع، بينما ينتظر كلُّ منهم إعلان مصيره الأبدي. (سورة الجاثية، الآية ٢٨)

"وترى كل أمة جاثية، وكل أمة تُدعى إلى كتابها، اليوم تجزون ما كنتم تعملون"

من أدّى صلاته بتأملٍ عميقٍ في هذه الأذكار الجليلة، أقام عبادته في أصدق صورها وأعماقها. هذا التأمل العميق يضمن أن تمتد طاعة الله تعالى إلى ما وراء حدود الصلاة نفسها، مُشكّلةً شخصية المرء ومُوجّهةً أفعاله في الفترات الفاصلة بين كل صلاة. سورة العنكبوت، الآية 45

"...إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر"

هذه الطاعة تتضمن حسن استغلال النعم الممنوحة لهم كما وردت في التعاليم الإسلامية .سورة الحج، الآية 35:

"والذين ينفقون مما رزقناهم ..."

بالالتزام الراسخ بهذه الطريقة المبدئية في الحياة، يصل المرء إلى حالة من الانسجام العميق، حيث تُغدَّى صفاء النفس وعافية الجسد .علاوة على ذلك، يُهيئ هذا الأسلوب المنضبط في الحياة الفرد لتقييم جميع الأشخاص والظروف في حياته وترتيبها وفقًا للحكمة الإلهية، وفي الوقت نفسه يُهيئ روحياً وعملياً للحساب الأخير يوم القيامة .وهكذا يُشكّل هذا النمط الدائم من الاستقامة الطريق الحقيقي والضروري المؤدي إلى راحة البال، في الدنيا والآخرة

:سورة الحج، الآية 35

"والذين ينفقون مما رزقناهم ..."

إن النعم الدنيوية التي وُهِبَت للناس هي في الحقيقة قرض من ربها - الله تعالى . هذه النعم، سواء كانت مالا أو صحة أو جاهاً أو وقتاً، ستعود إليه لا محالة، طوعاً أو كرهاً .فإن ردّها الإنسان طوعاً - مستخدماً إياها فيما يرضي الله تعالى - نال جزاءً وافراً في الدنيا والآخرة .أما إن استُعِيدت هذه النعم قهراً، كما في حالة الموت

دون أن يُستغلّها في طاعة الله تعالى، فإنها تُصبح مصدر ندم وثقل على صاحبها في الدنيا والآخرة. والطريقة الحقيقية الوحيدة لردّ هذا القرض الإلهي هي استخدام كل نعمة بما يتوافق مع هدي القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. هذا الاستخدام الواعي للنعم يُمثّل شكرًا حقيقيًا، لا يُعبّر عنه بالكلام فحسب، بل بالعمل الدؤوب. الشكر الحقيقي يفتح أبوابًا لمزيد من النعم الإلهية، إذ يعد الله تعالى الشاكرين بالزيادة، بينما: سورة إبراهيم، الآية 7. يخاطر الغافلون بفقدان راحتهم الدنيوية وسلامهم الروحي

لئن شكرتم لأزيدنكم

عندما يستغل الإنسان نعمه في طاعة الله تعالى، يشعر بالسكينة والاستقرار، لأن هذه الطاعة تؤدي بطبيعتها، إلى حالة متوازنة من الصحة النفسية والجسدية. تنتظم حياته، ويأخذ كل شيء وكل شخص مكانه الصحيح ويطمئن قلبه، مدركًا أنه يؤدي رسالته في عبادة الله تعالى. أما من يُسيء استخدام النعم التي وهبت له - طمعًا في ملذات الدنيا أو الشهرة أو الكسب الأناني - فسيشعر بالقلق والسخط، لأنه يسعى إلى التمسك بما هو في النهاية ملكٌ للغير. لذلك، يدرك العاقل أن كل رزق وموهبة وفرصة هي أمانة من الله تعالى، ليسخر في سبيله. وبإعادتهم هذه النعم طوعًا وبحسن استخدامها، لا يسددون دينهم فحسب، بل يضمنون أيضًا سلامًا من خلال تحقيق حالة متوازنة من الصحة النفسية والجسدية، ومن، ورضا ونجاحًا دائمين في الدنيا والآخرة. خلال وضع كل شيء وكل شخص في حياتهم على الوجه الصحيح.

بعد ذكر بعض صفات المخلصين له، يعود الله تعالى إلى جانب من الحج، مؤكدًا أن الإسلام منهج كامل في التعامل مع الله تعالى والناس، ويحقق لهم كل نفع. سورة الحج، الآية 36

"...والإبل والأنعام جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير "

لذلك، يجب على الإنسان أن يتجنب الاعتقاد الجاهل بأن الله تعالى مختص بالفرائض الدينية فقط، كالصلوات المفروضة. فالله تعالى يحاسب كل فرد على كل ما يمر به من ظروف، سواء كانت دنيوية أو دينية. لذا، من الضروري أن يفهم الإنسان التعاليم الإلهية ويعمل بها، ضامنًا استقامة سلوكه في كل موقف. لا ينبغي للإنسان أن يتعامل مع الإيمان كأنه ثوب يلبس ويخلع حسب الرغبة، وفقًا لأهوائه. فمن يتصرف بهذه الطريقة، فهو (سورة الفرقان، الآية 43). في الواقع يخدم أهوائه دون الله تعالى، مهما كان معتقده.

"...أرأيت من اتخذ إلهه هواه"

من يغفل عن تطبيق الهداية الإلهية في جميع مناحي حياته، يُسيء استخدام النعم الممنوحة له حتمًا. ونتيجةً لذلك، يُصاب باضطراب نفسي وجسدي، يُسيء ترتيب أولوياته وارتباطاته، ويُهمل الاستعداد الجيد للحساب يوم القيامة. هذا الإهمال يُسبب له ضيقًا وبلاءً ومشقة في الدنيا والآخرة، حتى وإن بدا في ظاهره أنه يتمتع ببعض ملذات الدنيا.

:سورة الحج، الآية 36

"والإبل والأنعام جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها حين تصطفون "

كما ذكرنا سابقًا، ذكر ذكر الله تعالى عند الذبح مرارًا لغرس الإخلاص في النفوس، فيُحسنون إلى الله تعالى في كل عمل صالح. وتحديدًا، يُدخل أكل الحيوانات المُقدَّسة لغير الله تعالى تلوًا روحياً خفيًا يدمر إيمان الإنسان تدريجيًا. يعكس هذا الفعل سوء فهم جوهرى للواقع، وهو الاعتقاد الخاطئ بأن أحدًا غير الله تعالى يملك القدرة على جلب النفع ودفع الضرر، سواء في هذه الحياة الدنيا الفانية أو في الآخرة الخالدة. حتى عندما تكون هذه المعتقدات غير واعية أو تبدو ثانوية، فإنها تُعيد إلى الأذهان الميول الوثنية التي أضلَّت أممًا كثيرة

،في الماضي .وإذا تُرك هذا الانحراف دون رادع، فقد يُوجّه المرء بهدوء نحو أخطاء إيمانية خطيرة مماثلة حتى دون إقرار صريح .سورة الزمر، الآية 39

ألا إن الله هو الدين الحنيف .والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى

يكشف هذا البيان الإلهي عن خداع الذات العميق الكامن وراء هذا المنطق .غالبًا ما يدّعي مرتكبو هذه الأفعال أن نواياهم صافية - وأنهم يسعون فقط إلى التقرب من الله تعالى - لكن في الحقيقة، تتعلّق قلوبهم بوسطاء كاذبين .هذا الاتكال في غير محله يُقوّض الإخلاص ويُفسد جوهر وحدانية الله تعالى .عندما يبدأ المرء بالاعتماد على أي شيء أو أي شخص سوى الله تعالى، ينقسم تركيزه الروحي .فيُوجّه الرجاء والخوف للذين ينبغي أن يُوجّها نحو الخالق وحده، نحو الخلق .وبالتالي، قد يُبرّرون أعمال العصيان، متوهمين أن فضل أو شفاعته غيرهم كفيلاً بجلب المغفرة أو النجاح .هذه العقلية تُؤلّد الرضا والإهمال والدمار الروحي فبدلاً من السعي الصادق لطاعة الله تعالى وطلب مغفرته مباشرةً، يضع المرء ثقته في حماة وهميين أو ونتيجةً .وسطاء كاذبين .هذا الانفصال عن العبودية الحقيقية يؤدي حتمًا إلى إساءة استخدام النعم الممنوحة لذلك، يقع الإنسان في حالة من عدم التوازن - نفسيًا وجسديًا - فيُخطئ في ترتيب أولوياته وعلاقاته وهدفه في الحياة .ولن يُعَدّ نفسه جيدًا لحسابه يوم القيامة، مما يؤدي إلى الحيرة والتوتر والمشقة في الدنيا والآخرة .وحتى لو تمتّع ظاهريًا ببعض الرفاهية الدنيوية، فسيظل في باطنه مضطربًا، مُثقلًا بالقلق، محرومًا من راحة البال الذي يعتمد على غير الله تعالى لا يمكن أن ينعم بسلام دائم، إذ يصبح الحقيقية .إضافةً إلى ذلك، فإن القلب ،عبدًا لأسياد لا يُحصى عددهم، كلٌّ منهم يطالب بالولاء دون أن يُقدّم له الأمان أو الراحة الحقيقية .ولذلك يُؤكّد القرآن الكريم وأحاديث النبي محمد صلى الله عليه وسلم، بكل وضوح، على أن الإخلاص والتفاني الخالص هما جوهر الإيمان الحقيقي .كل عبادة، وكل نية، وكل طاعة يجب أن تكون خالصة لله تعالى .كل عمل يُؤدى لإرضاء الآخرين، أو طلبًا للعرفان، أو لكسب منفعة دنيوية، يفقد قيمته الروحية عنده .ويعزز هذا المبدأ حديثٌ منشور في جامع الترمذي، رقمه 3154، يُحذر من أن من يعمل عملاً صالحًا لغير الله تعالى، لا ينال منه جزاءً .لا يتحقق النجاح الحقيقي، والسلام الداخلي، والارتقاء الروحي إلا بالإخلاص الراسخ والتوكل الكامل على الله تعالى .فهو وحده صاحب السلطة المطلقة على كل نفع وضرر، وعلى كل نعمة وبلاء، في الدنيا والآخرة .من طهر إيمانه من كل تعلّق، وأخلص عبادته له تمامًا، سيجد قلوبه مطمئنة في من خلال تحقيق حالة ذهنية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في ،الدنيا والآخرة حياته على الوجه الصحيح

سورة الحج، الآية 36

والإبل والأنعام جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها حين تصافف فإذا هي على " ...جنوبها فكلوا منها وأطعموا البائس والسائل

الإسلام، كنظام أخلاقي شامل، يشمل ثلاثة حقوق مترابطة: حق الله تعالى، وحق النفس، وحق الآخرين. كلٌّ منها أساسي، وإهمال أحدها يضرّ بالآخر لا محالة

تؤدي حقوق الله تعالى بحسن استخدام نعمه، وفقاً لأوامره ونواهيه. ويشمل ذلك العبادة والذكر والشكر والطاعة. عندما يوجه الإنسان حياته نحو مرضاة الله تعالى، فإنه يحقق الانسجام الداخلي، إذ تُهدى أعماله بحكمة إلهية لا بشهوات عابرة. وهذا يؤدي إلى راحة البال في الدنيا والآخرة، إذ يحافظ على توازنه النفسي والجسدي، ويُعطي الأولوية لكل شيء وكل شخص في حياته

يجب أيضاً احترام حقوق النفس. فالإنسان مؤتمن على جسده وعقله وروحه، وعليه أن يعتني بصحته، ويلبي احتياجاته، ويتخذ قرارات حياتية تحقق له الرضا، ما لم تكن معصية لله تعالى. وهذا يشمل وضع حدود مع الآخرين، حتى مع الأقارب، عندما تتعارض توقعاتهم مع الصواب. من يضحى براحته باستمرار لإرضاء الآخرين لن يجد السلام أبداً، فمطالب الناس لا تنتهي. بل سيزداد استياءً، لأن من يسعى لإرضائهم لن يرضوا تماماً. تتحقق السعادة الحقيقية عندما يحترم الإنسان حقوقه، إلى جانب حقوق الله تعالى وحقوق الآخرين، كما هو منصوص عليه في التعاليم الإسلامية، لا وفقاً لأهواء الناس. وأفضل سبيل لتحقيق حقوق الناس هو معاملتهم كما يحب أن يعاملوه. وقد لخص النبي صلى الله عليه وسلم هذا المبدأ في حديث صحيح البخاري رقم 13، حيث وصفه بأنه جوهر الإيمان الحقيقي. إن احترام كرامة الآخرين وممتلكاتهم وشرفهم، وضمان الإنصاف في التعامل، يعزز السلام والعدالة في المجتمع. وعندما يلتزم الأفراد بهذه الحقوق، تزدهر المجتمعات بالثقة والتعاطف والاستقرار

في الختام، إن الوفاء بهذه الحقوق الثلاثة - تجاه الله، وتجاه النفس، وتجاه الآخرين - يُنشئ نمط حياة متكاملًا ومتوازنًا. فهو يُغذي الطمأنينة الداخلية، ويُقوي الروابط الاجتماعية، ويضمن المحاسبة أمام الله تعالى يوم القيامة. فالإنسان الذي يُحقق هذه الحقوق الثلاثة لا ينعم بالسلام الداخلي فحسب، بل يُصبح مصدر سلام لمن حوله، مُجسّدًا روح الإسلام الحقيقية.

سورة الحج، الآية 36:

"...وأطعموا المسكين والساكن..."

بشكل عام، يجب على المرء إعطاء الأولوية لمساعدة الفئات الأكثر ضعفًا اجتماعيًا، كالأيتام والأرامل، حسب إمكانياتهم. في العصر الحديث، أصبحت كفالة الأيتام والأرامل في متناول الجميع، وغالبًا ما تتم عبر الإنترنت في دقائق، حيث تكلف المساهمات الشهرية في كثير من الأحيان أقل من فاتورة الهاتف العادية. تجاهل هذا الجانب الأساسي من الإسلام أمرٌ محرم، لأن دعم المحتاجين بنشاط يضمن استمرار الفضل الإلهي وبركاته. من الله تعالى في الدنيا والآخرة. وقد تأكدت أهمية هذا العمل في حديث موجود في صحيح مسلم، رقم 6853، وعلاوة على ذلك، ذكر النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم أن من يرعى اليتيم سيبلغ قربه في الجنة، كما ورد في حديث في صحيح البخاري، رقم 6005. وبالمثل، فإن رعاية المحتاجين، بما في ذلك الأرامل، تحمل مكافأة تعادل مكافأة من يصلي طوال الليل ويصوم كل يوم، كما أكدته صحيح البخاري، رقم 6006. بالنسبة لأولئك الذين يجدون صعوبة في أداء الأعمال الصالحة التطوعية، مثل صلاة الليل أو الصيام الإضافي، فإن مساعدة المحتاجين تقدم وسيلة قوية لكسب مكافأة هائلة بسهولة نسبية.

من الضروري أن نتذكر أن أي ثروة أو موارد يمتلكها الإنسان هي قرض من الله تعالى، وليست هبة. وكأي قرض، يجب أن تُرد في النهاية إلى صاحبها. والطريقة الصحيحة لسداد هذا القرض هي استخدام هذه النعم بما يرضي الله تعالى. فمساعدة المحتاجين إنما هي أداء لهذا الواجب، سداد دين لله تعالى. ويمنع هذا الإدراك الاعتقاد الخاطئ بأنه يُقدم معروفًا لله تعالى، أو حتى للمستفيد. في الواقع، أكرم الله تعالى المتبرع بمنحه بركات دنيوية، وأتاح له فرصة لكسب أجر عظيم من صدقته. وبالمثل، يستفيد المستفيد بقبول المساعدة، وإذا رفضها، فقد يضيع عليه الأجر. ويضمن هذا الفهم خلو أفعال المرء من الغرور أو النوايا الضالة، ويحفظ فضلها الروحي.

وأخيرًا، تشمل مساعدة المحتاجين تلبية أي حاجة مشروعة قد تكون لدى الشخص، سواء كانت معنوية أو بدنية أو مالية. فلا يجوز لأي شخص، مهما كانت موارده محدودة، أن يعذر نفسه شرعًا من مساعدة المحتاجين. هذه المسؤولية ليست اختيارية فحسب، بل هي مبدأ أساسي من مبادئ طاعة الله تعالى، ووسيلة ملموسة لتحقيق التوازن وراحة البال والأجر في الدنيا والآخرة.

بذكر أمثلة محددة، يلفت الله تعالى الانتباه إلى سبله العديدة في تسخير موارد الكون لخير البشرية. فالشمس والقمر يُنظمان الزمان والفصول والنمو، والأرض تُوفر الاستقرار والرزق، ودورة الماء تضمن الحياة والتجدد، وأنظمة أخرى لا تُحصى تعمل بتناغم تام لاستدامة الوجود البشري. كل هذه نعم مُنحت للناس ليعيشوا حياة طيبة في الدنيا، والتي بدورها تُهيئهم لحياة طيبة في الآخرة. ومع ذلك، فإن الله تعالى مُستقل تمامًا عن هذه النعم. فهو لا يجني شيئًا من هذا التسخير، ولا من شكر خلقه. بل إن الناس أنفسهم هم من خلال، يستفيدون من الشكر، إذ يُهذب أخلاقهم، ويزيد من نعمه، ويُقربهم من خالقهم، ويمنحهم راحة البال، سورة الحج. تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، ومن خلال حسن توزيع كل شيء وكل شخص في حياتهم،
:الآيتان 36-37

وكذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون. لن ينال الله لحمها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم. وكذلك..."
...سخرناها لكم لعلكم تكبرون الله على ما هداكم

ليس الشكر تعبيرًا واحدًا عن الشكر، بل هو حالة وجودية شاملة تشمل النية والقول والفعل. والشكر في النية يعني أن كل عمل يُنجز لوجه الله تعالى دون طلب ثناء أو استحسان من الآخرين. ويتجلى الشكر في القول بقول الحق واللفظ والذكر، أو بالصمت عند عدم وجود ما يقوله. ويتجلى الشكر في الفعل باستغلال النعم التي وهبت إليه - سواء أكانت ثروة أم صحة أم علمًا أم نفوذًا - بما يرضي الله تعالى، كما هو مبين في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. وعندما يُمارس الشكر في هذه الأبعاد الثلاثة، فإنه يُصبح قوة تحويلية. ويؤدي إلى زيادة النعم، كما وعد الله تعالى في سورة إبراهيم، الآية 7

لئن شكرتم لأزيدنكم

كما أنه يجلب راحة البال والنجاح في الدنيا والآخرة. فالشاكر يحقق التوازن النفسي والجسدي، راضيًا بما قدره الله تعالى له. ويتعلم أيضًا أن يضع كل شيء وكل شخص في حياته في مكانه الصحيح، متجنبًا الإفراط والإهمال وسوء الأولويات. وهكذا، يصبح الشكر درعًا يحمي من الغرور والطمع واليأس، ومفتاحًا للرضا والوئام والثواب الأبدي. إنه ليس مجرد رد فعل على النعم، بل هو أسلوب حياة يوفق بين القلب واللسان والجوارح، فينال المرء راحة البال في الدنيا والآخرة.

سورة الحج، الآية 37

...ولا دماءها ولكن يناله التقوى منكم لحومها

يُذكر الله تعالى الناس بأن الواجب الديني الحقيقي ينبع من التقوى، التي تقتضي المواظبة على استخدام النعم المُنعم بها وفقًا لتعاليم الإسلام في كلّ ظرفٍ يمرّون به. ولذلك، فإنّ الإسلام أشمل بكثير من مجرد أداء شعائر محدودة، كالنحر في الحجّ الشريف. من يتبنّى هذا النهج الشامل، مُؤاءمًا أفعاله مع الهداية الإلهية، سيحظى

براحة البال في الدنيا والآخرة، مُحَقِّقًا حالةً نفسيةً وجسديةً متوازنةً، ومُؤَضِّحًا كُلَّ شَيْءٍ وكلَّ شخصٍ في حياته على الوجه الصحيح.

على العكس من ذلك، فإن من يحصر إيمانه بالله تعالى في بعض العبادات الظاهرية، يُخاطر بإساءة استخدام النعم التي وَهَبَتْ له .يؤدي هذا التقييد إلى اختلال التوازن النفسي والجسدي، ويُضِلُّ أولوياته وعلاقاته ويمنعه من الاستعداد الكافي للحساب يوم القيامة .حتى وإن عايش نعيمًا دنيويًا مؤقتًا، فإن هذا النهج يُفْضِي في النهاية إلى التوتر والمشقة والصعوبات في الدنيا والآخرة، مُظْهِرًا أن الإيمان والتقوى الحقيقيين يتجاوزان بكثير مجرد أداء الشعائر الدينية .سورة الحج، الآية 37

...ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم لحومها

علاوة على ذلك، فإن من أهم جوانب التقوى اجتناب بعض الأعمال المشروعة عمدًا كلما خالطها خطر: سورة البقرة، الآية ١٨٧. الوقوع في الحرام

"تلك حدود الله فلا تقربوها"

تصف هذه الآية كيف أن الله تعالى يأمر المؤمنين بأكثر من مجرد الامتناع عن تجاوز حدوده؛ إذ يأمرهم بتجنب الاقتراب منها .ويتكرر مبدأ الحذر الوقائي هذا في القرآن الكريم، مؤكدًا على ضرورة الحيطة والحذر حتى في الأمور المباحة .فعلى سبيل المثال، وجه الله تعالى النبي الكريم آدم عليه السلام تحديدًا إلى الابتعاد عن شجرة معينة في الجنة، لا مجرد تجنب أكل ثمرها، مع أن الاقتراب منها لم يكن إثماً في الأصل .سورة الأعراف، الآية 19

"و يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين"

توضح هذه الأمثلة أن مجرد جواز فعل ما لا يضمن بالضرورة نفعه أو سلامته الروحية. فمع أن الاقتراب من حدود الله تعالى قد يكون مشروعاً، إلا أنه ينطوي على مخاطرة كامنة، وغالباً ما يكون بمثابة الخطوة الأولى نحو التعدي الفعلي. لذلك، ينبغي للمرء تجنب بعض الممارسات المشروعة - وخاصة تلك الباطلة أو المفرطة - لأنها غالباً ما تفتح الباب أمام المحرمات. على سبيل المثال، فإن الخوض في الكلام الفارغ، مع أنه ليس إثماً في حد ذاته، يمكن أن يتحول بسهولة إلى غيبة أو نميمة أو كذب. وبالمثل، فإن الإنفاق المتهور أو المفرط للثروة، مع أنه مشروع من الناحية النظرية، يمكن أن يتحول بسرعة إلى إسراف، وهو ما يدينه القرآن الكريم صراحةً. سورة الإسراء، الآية 27

"إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفوراً"

تؤكد كل من الملاحظة التاريخية والتجربة الروحية أن معظم الأفراد الذين ينحرفون عن طريق الصلاح يفعلون ذلك تدريجياً، من خلال عملية خطوة بخطوة. قد يبدأون بالتخليق بالقرب من الأفعال المحرمة دون ارتكابها، إلا أن التعرض المتكرر والألفة والإغراء يمكن أن يؤدي في النهاية إلى المشاركة النشطة في غير المشروع. على سبيل المثال، فإن الشخص الذي يرافق أولئك الذين يستهلكون الخمر يواجه احتمالاً أعلى بكثير للاستسلام للممارسة من الشخص الذي يتجنب هؤلاء الصحابة تماماً. وقد عزز النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم هذا المبدأ الحيوي في حديث مسجل في جامع الترمذي، رقم 2451، موضحاً أن التقوى الحقيقية لا يمكن بلوغها دون تجنب المتعمد لبعض الأفعال المشروعة التي تنطوي على إمكانية تؤدي إلى المعصية. وفي جوهر الأمر، فإن الثبات على الاستفادة من نعم الله تعالى - وفقاً لهدى القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم - يتطلب ليس فقط اليقظة ضد المحظورات، بل أيضاً ضد الأفعال المباحة التي قد تشجع خفية على المعصية.

هذه اليقظة تضمن للإنسان إخلاص العبادة لله تعالى، وحسن استغلال النعم الممنوحة له، وغرس حياة راسخة في الاستقامة. يتجنبه حتى الأعمال المشروعة التي قد تؤدي إلى الأذى الروحي، يُعزز الإنسان انضباطه. (النحل، الآية 97، الفصل 16 الشخصي ويصون سلامته العامة). سورة

"من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون"

على النقيض من ذلك، فإن من يتجاهلون ضرورة تجنب حدود الله تعالى، يقعون في كثير من الأحيان في الإفراط في الأنشطة المباحة، وخاصة تلك الباطلة. هذا التركيز المفرط يزيد من تعرضهم للمحرمات، ويؤدي إلى سوء إدارة النعم. ومع مرور الوقت، يؤثر هذا الخلل سلبيًا على صحتهم النفسية والجسدية، ويضعهم في غير موضعهم في الحياة والعلاقات، ويحول دون استعدادهم الجيد للحساب يوم القيامة. حتى عندما يختبر هؤلاء الأفراد ملذات الدنيا أو متعتها، فإن هذه الملذات مؤقتة ولا تحقق رضا حقيقيًا. يُلاحظ هذا النمط بوضوح في حياة من يسعون وراء الثروة أو الترف أو الجاه دون مراعاة الله تعالى، مما يدل على أن إهمال هدايته يُدخل حتمًا التوتر والصعوبة وعدم الاستقرار في الدنيا والآخرة. إن ملاحظة هذه الحقائق تُذكر المرء بأنه من الضروري ليس فقط تجنب الحرام، بل أيضًا توخي الحذر من الحلال، وخاصةً عندما يكون مُشتتًا أو، تافهًا. إن هذا النهج الواعي يضمن الاستخدام الصحيح للنعم التي منحها الإنسان، ويعزز الطاعة الصادقة ويزرع التوازن الروحي والعقلي والجسدي، وبالتالي يوجه الإنسان نحو السلام الحقيقي والدائم في الدنيا والآخرة.

:سورة الحج، الآية 37

"ولعلكم تكبرون الله على ما هداكم"

مهما بلغ تقدم الحضارة، ومهما اكتسبت من معرفة في مختلف المجالات - بما في ذلك دراسة الجسد والعقل البشريين - فلن تتمكن أبداً من وضع قواعد سلوكية تناسب تمامًا الطبيعة البشرية وقادرة على معالجة جميع الظروف والأحوال والسيناريوهات التي قد يواجهها الأفراد والمجتمعات طوال وجودهم على الأرض. ذلك لأن الفهم البشري دائماً ما يكون جزئياً ومتطوراً؛ وحتى اليوم، يواصل الناس اكتشاف رؤى جديدة في آليات عمل الدماغ البشري، ناهيك عن امتلاك المعرفة الشاملة اللازمة لإنشاء نظام متكامل يضمن العدالة والوئام وراحة البال للجميع. هذا الكمال لله تعالى وحده. بصفته خالق كل شيء، فإن علمه لا حدود له، يشمل الماضي والحاضر والمستقبل في كليته. هو وحده القادر على تزويد البشرية بقواعد سلوكية كاملة وخالية من الزمن - قواعد تميز بوضوح بين الصواب والخطأ، والنفع والضرر، وتوفر سبل تحقيق الطمأنينة في الدنيا، والفلاح الأبدي في الآخرة. والتاريخ نفسه يشهد على هذه الحقيقة. كلما طُبِّقَت قواعد السلوك الإلهي بصدق أثمرت مجتمعاتٍ تسودها العدالة والرحمة والاستقرار. وجد الأفراد السلام في أنفسهم، وازدهرت المجتمعات، بهداية الحكمة الإلهية. لذلك، يجب على الناس اعتناق قواعد السلوك الإلهي، وإدراك أنها أنفع سبيل لرفاهيتهم حتى لو تعارضت بعض جوانبها مع رغباتهم الشخصية. عليهم أن يتعاملوا معها كما يتعامل المريض الحكيم مع نصيحة الطبيب الماهر: يقبلون دواءً مؤراً أو نظاماً صارماً، لا لطبيعته، بل لأنه في نهاية المطاف لخيرهم من خلال تحقيق حالة نفسية وجسدية، وبالمثل، فإن طاعة الله تعالى تضمن السلام الدنيوي والخلاص الأبدي متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في حياتهم على النحو الصحيح. سورة الحج، الآية 37

"وبشر المحسنين"

من المهم أن نفهم أن الحديث المُفصّل عن الحج في الآيات السابقة لم يكن لشرح مناسكه فحسب، بل لتسليط الضوء على رسالة أعظم. كان دور النبي محمد صلى الله عليه وسلم إعادة مكة إلى حالتها الأصلية، كما أسسها جده النبي إبراهيم عليه السلام. تأسست مكة لتكون مركزاً أرضياً لعبادة الإله الواحد، الله تعالى، ولكن مع مرور الوقت أفسدها أهل المنطقة، الذين ملأوها بالوثنية والخرافات والممارسات الباطلة. لم تُدنس هذه التحريفات حرمة البيت الحرام فحسب، بل نشرت أيضاً الظلم والانحلال الأخلاقي في جميع أنحاء المجتمع. لم يكن هذا الترميم مهمة سلبية أو رمزية. لقد رفض قادة غير المسلمين في مكة بالفعل رسالة الإسلام، ليس لشكهم في صحتها، ولكن لخوفهم من فقدان سلطتهم وثروتهم ونفوذهم الاجتماعي. كان إنكارهم نابعاً من الغرور والمصلحة الذاتية، رغم اعترافهم بأمانة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وصدق رسالته. ولذلك كان النبي محمد صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام رضوان الله عليهم يستعدون للمواجهة الحتمية التي، ستقع لا محالة. لم يكن هذا صراعاً من أجل مكاسب دنيوية، بل كان نضالاً ضرورياً لإعادة بيت الله الحرام

الكعبة المشرفة، إلى مكانته الحقيقية كرمز عالمي لعبادة الله وحده. وهكذا، لم يكن الحج عبادة فحسب، بل تذكيرًا بالمهمة الأوسع: تطهير البيت الحرام من الفساد، وإعادة تأسيسه مركزًا للهداية الإلهية، وضمان بقائه منارة للحق والعدل للأجيال. وبذلك، كان النبي محمد صلى الله عليه وسلم يُكمل سيرة النبي إبراهيم عليه السلام، مُحييًا بذلك العهد الأصيل بالتوحيد والصلاح. سورة الحج، الآية 38

"...إن الله يدافع عن الذين آمنوا "

يَعِدُ اللهُ تَعَالَى بالنصرِ والتوفيقِ مَنْ يُؤَدِّي دَوْرَهُ كَمُؤْمِنِينَ حَقِيقِينَ، وذلك بطاعته خالصةً في كُلِّ حالٍ، مُستعينينَ بالنعْمِ التي وَهَبَتْ لَهُمْ وَفَقًا للهِدَايَةِ الإلهية. ويبقى هذا الوعدُ قائمًا لكلِّ مَنْ نهَضَ بِمَسْئُولِيَّتِهِ في العملِ كَمُؤْمِنِينَ :سورة آل عمران، الآية ١٣٩. حَقِيقِينَ

«فلا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين»

سورة الطلاق 65 الآية 2

"ومن يتق الله يجعل له مخرجا"

من الضروري إدراك أن العون الإلهي لا يتوافق بالضرورة مع رغبات الإنسان أو توقعاته الشخصية، بل هو ينبثق وفقًا لعلم الله تعالى اللامحدود وحكمته التامة. عون الله تعالى لا يُمنح اعتباطًا، ولا يُمنع عبثًا؛ بل

يُمنح في الوقت المناسب تمامًا وبالأشكال الأنسب لكل فرد. قد لا تتضح حكمة هذا العون فورًا، إلا أنه يعمل بدقة متناهية، مُوجِّهًا النتائج بما يخدم مصالح الإنسان في نهاية المطاف. هذا الواقع يُذكرنا بأن العون الإلهي لا ينبغي أن يُحكم عليه برغبات عابرة أو فهم بشري محدود. فما قد يبدو تأخيرًا أو محنة أو حرمانًا غالبًا ما يكون في الحقيقة شكلاً من أشكال الرحمة والهداية الخفية. بالتوكل على قضاء الله تعالى التام، يُنمّي الإنسان الصبر والتواضع والتوكل عليه، مما يُقوي إيمانه ويضمن له البقاء مستفيدًا من عونه في الدنيا والآخرة.

:سورة الحج، الآية 38

"...إن الله يدافع عن الذين آمنوا "

علاوة على ذلك، فإن عون الله تعالى موعودٌ للمؤمنين تحديدًا، لا للمسلمين. قد يُعرّف بعض الأفراد أنفسهم سورة. كمسلمين بسبب تأثير عائلي، مثل تربية الوالدين، لكنهم يفتقرون إلى فهمٍ صحيحٍ للتعاليم الإسلامية :الحجرات، الآية ١٤

"...قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم"

بسبب محدودية فهمهم، يُصاب هؤلاء الأفراد بضعف إيمان. وكثيرًا ما يتجلى ضعف الإيمان في معصية الله تعالى، من خلال إساءة استخدام النعم التي أنعم بها، وخاصةً عندما تتعارض أهوائهم الشخصية مع هدي الإسلام. وحتى لو أدوا الفرائض الأساسية ظاهريًا، فإن ضعفهم الباطن يقودهم إلى التقصير في الإخلاص :والثبات. سورة الحج، الآية 38

"إن الله لا يحب كل خوان كفور ..."

إن عواقب هذا الضعف وخيمة. سيعانون من حالة نفسية وجسدية غير متوازنة، إذ تختلط أولوياتهم ويضيعون كل شيء وكل شخص في حياتهم. فبدلاً من أن يعيشوا حياة صافية وهادئة، يقعون في الفوضى، عاجزين عن الاستعداد الكافي للحساب النهائي يوم القيامة. هذا الإهمال يؤدي حتماً إلى التوتر والمشقة والصعوبة في الدنيا والآخرة. حتى لو تمتعوا ببعض الرفاهية الدنيوية، فإن هذه الرفاهية لا تحميهم من القلق الداخلي، ولا تعوّضهم عن فقدان راحة البال الحقيقية. فبدون إيمان راسخ وحسن استغلال للنعم، تصبح الرفاهية الدنيوية خدعة بدلاً من أن تكون مصدرًا لخير دائم.

في المقابل، يعتقد المؤمن الإسلام من خلال المعرفة المستمدة من القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، فيؤمن إيماناً قوياً راسخاً. سورة الحجرات، الآية ١٥:

إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وأولئك هم الصادقون.

بفضل إيمانهم القوي، يظل المؤمن ثابتاً على طاعة الله تعالى، في السراء والضراء، وذلك بالصبر عند الشدائد والشكر عند الرخاء. الشكر بالنية هو العمل لمرضاة الله تعالى فقط. الشكر بالقول هو التكلم بإيجابية أو اختيار الصمت عند اللزوم. الشكر بالعمل هو استخدام النعم التي وهب المرء بما يرضي الله تعالى، وفقاً للقرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. هذه الممارسة تجلب المزيد من البركات والسكينة والنجاح في الدنيا والآخرة من خلال تعزيز حالة ذهنية وجسدية متوازنة ومواءمة جميع جوانب الحياة بشكل صحيح. سورة إبراهيم، الآية 7:

لئن شكرتم لأزيدنكم

أما الصبر، فيقتضي الامتناع عن الشكوى قولاً وفعلاً، مع الثبات على طاعة الله تعالى. وهو يستلزم الثقة بأنه يختار الأصلح دائماً، حتى وإن لم يكن واضحاً للعيان). سورة البقرة، الآية ٢١٦)

"وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ..."

وهكذا، فإن من أحسن العمل في جميع الأحوال ينال عون الله تعالى ورحمته الدائمة. وهذا التوجيه يُرسخ الطمأنينة في الدنيا والآخرة، ويُنمي الانسجام بين العقل والجسد، ويضمن توازن جميع جوانب الحياة. وقد أكد على هذا المبدأ حديث في صحيح مسلم، رقم 7500. سورة يونس، الآية 103

"كذلك كان حقاً علينا أن ننجي المؤمنين ..."

سورة الحج، الآية 38

"إن الله لا يحب كل خوان كفور ..."

تُسَلِّط هذه الآية الضوء على نقدٍ لاذعٍ لغير المسلمين في مكة، وبالتالي أهل الكتاب في المدينة، الذين ادّعوا الفخر بانتمائهم إلى النبي إبراهيم عليه السلام، لكنهم خانوا إرثه بمعصية الله تعالى ومخالفة سبيله. ادّعت كلتا المجموعتين التمسك بتراث النبي إبراهيم عليه السلام النبيل، لكن أفعالهما كشفت عن عكس ذلك، إذ أهانتُه، وقوّضتُه. بلغ تحديهم ذروته عندما رفضوا حقيقة الإسلام عمدًا، رغم إدراكهم التام لها. كان مشركو مكة الذين عاشوا مع النبي محمد صلى الله عليه وسلم أربعين عامًا قبل نبوته، يعلمون يقينًا أنه لم يكذب قط. سورة يونس، الآية 16:

"لأنني عشت بينكم عمرًا قبل ذلك. أفلا تعقلون؟..."

ولأنهم أساتذة اللغة العربية فإنهم لا يستطيعون أن ينكروا أن القرآن الكريم فوق تأليف البشر، وأن بلاغته وعمقه لا مثيل له عند أي مخلوق.

كان من المسلم به عالميًا، سواءً من أهل الكتاب أو غير المسلمين في مكة، أن النبي محمدًا صلى الله عليه وسلم لم يكن لديه أي اطلاع سابق على الكتب السماوية السابقة. واتسمت حياته قبل النبوة بالبساطة والصدق والنزاهة، دون دراسة رسمية للوحي السابق. وهذا وحده يجعل من المستحيل الادعاء بأنه استقى رسالته من مصادر سابقة. ويشهد القرآن الكريم نفسه على مصدره الإلهي من خلال معرفته العميقة بالكتب السابقة وتصحيح التحريفات، وعرض الحقائق الخالدة - وهي صفات لا يمكن أن تصدر إلا من الله تعالى. سورة العنكبوت، الآية 48.

وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون

علاوة على ذلك، عرف كثير من علماء أهل الكتاب القرآن الكريم على حقيقته، بعلمهم بالله تعالى مؤلفه وأدركوا أن رسالته لا يمكن أن تكون من مخلوق. وقد أنبأت كتبهم المقدسة بمجيء النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وضمّنت وصفاً لرسالته والكتاب الذي سيأتي به. وعندما صادفوا القرآن الكريم، رأوا فيه الآيات، والحقائق التي علموهم توقعها، مؤكدين أنه استمرارٌ ومتممٌ لرسالة الله تعالى. لم يكن إدراكهم للألفاظ مجرداً: سورة الأنعام، الآية ٢٠. بل صدق الإسلام برمته

”...الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه [القرآن الكريم] كما يعرفون أبناءهم»

سورة البقرة، الآية 146

«الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم»

على المسلمين أن يحذروا من الوقوع في خطأ هذه الطوائف التي افتخرت بنسبها أو ارتباطها بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم، ثم أهملت طاعته الصادقة الثابتة لله تعالى. فالإخلاص والولاء لا يُقاس بالأقوال أو الادعاءات فحسب، بل بالعمل الدؤوب الذي يُجسّد قدوته في كل جانب من جوانب الحياة. وهذا يستلزم استغلال كل نعمة أنعمها الله تعالى - سواء أكانت ثروة أم صحة أم علماً أم نفوذاً - بما يرضيه ويتوافق مع هدايته. يُقدّم القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم إطاراً شاملاً لهذا السلوك، مُبيّناً كيفية التصرف بمسؤولية وامتنان وتواضع، مع تجنّب الوقوع في فخاخ الكبرياء والغفلة. ومن يتبع هذه الهدى بإخلاص لا يُظهر إيمانه ظاهرياً فحسب، بل يُجسّده في خياراته اليومية وتفاعلاته وفي كيفية توظيفه للنعم. فالشرف الحقيقي يكمن في الطاعة الفعلية والتطبيق الواعي للهداية الإلهية، لا في التفاخر الفارغ أو الادعاءات السطحية بالانتماء. من يُكرّس أعماله ونواياه وموارده لطاعة الله تعالى، مُقتدياً بسيرة النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، يضمن رضا الله تعالى، ويضمن له أساساً من الاستقامة والصلاح في حياته الدنيا من خلال تحقيق حالة نفسية وجسدية، والروحانية. وهذا بدوره يؤدي إلى راحة البال في الدنيا والآخرة. متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في مكانه الصحيح.

بعد أن أشار النبي محمد صلى الله عليه وسلم إلى أن مهمة مكة المكرمة هي إعادة توحيد الله تعالى في الأرض، أذن للمسلمين بقتال من حاربوهم، بعد أن أمروا في البداية بالكف عن قتال ما عانوه من ظلم قادة. غير المسلمين في مكة. سورة الحج، الآية 39

أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنْ اللَّهُ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ

قبل الهجرة إلى المدينة، عندما اشتد عدا الكفار في مكة، بدأوا يوجهون عدوانهم نحو أضعف الصحابة رضوان الله عليهم. حتّى بعض الصحابة رضوان الله عليهم النبي محمد صلى الله عليه وسلم على السماح لهم بالقتال، لكنه أمرهم بالامتناع عن العنف والعفو عن ظالمهم. لم يكن هذا الأمر ضعفاً، بل حكمة إلهية متعمدة. المجلد الأول، صفحة ٤١٦ ، وقد ناقش الإمام محمد الصلابي ذلك في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم

من أهمّ حكم هذا الأمر تربية الصحابة، رضي الله عنهم، على الصبر والانضباط. فكانوا يُعَدُّون لقبول أوامر الله تعالى ورسوله الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، حتى لو خالفت تلك الأوامر غرائزهم وأهوائهم. وكان هذا التدريب أساسياً في صقلهم ليصبحوا أفراداً قادرين على حمل ثقل رسالة الإسلام لاحقاً بثبات ووحدة

لو قاتلوا في مكة، لكانت العواقب وخيمة. لكان زعماء قريش، من غير المسلمين في مكة، قد حصلوا على مبرر لشنّ المزيد من العنف، حتى ضد المسلمين الذين كانوا تحت حماية القبائل. وكان هذا ليحوّل رسالة الإسلام من نشر الدعوة عبر الوعظ إلى اعتبارها حركة صراع. كما كان القتال داخل المدينة المقدسة سيؤدي إلى قتل أبرياء لم يشاركوا مباشرة في العدوان، وهو أمرٌ كان ليناقض مبادئ العدل التي جاء الإسلام ليُرسِيها

علاوة على ذلك، كان القتال في تلك المرحلة سيُنهى مصير كثير من الكفار في النار، بينما أتاح الصبر فرصةً لرقّة القلوب. اعتنق بعضٌ من أشدّ خصوم الإسلام، كعمر بن الخطاب رضي الله عنه، الإيمانَ لاحقاً وأصبحوا من أشدّ المدافعين عنه. وبالمثل، لو قتل المسلمون أفراداً من قريش، لكان أقاربهم - الذين ربما كانوا ميالين إلى الإسلام - قد اندفعوا إلى الانتقام، مُغلّقين بذلك باب قبولهم الحق.

شجع الصبر أيضاً بعضاً من غير المسلمين ذوي النفوذ على حماية أقاربهم المسلمين بدافع الولاء القبلي. وكانت هذه الحماية ستُفقد لو حمل المسلمون السلاح. علاوة على ذلك، كان عدد المسلمين في تلك المرحلة المبكرة قليلاً. وكان القتال ليُضعف قوتهم، ويُضعف قدرتهم على نشر الدعوة في ربوع الجزيرة العربية.

ومن الحكمة أيضاً أن الامتناع عن العنف يمنع الدعاية الكاذبة. لو قاتل المسلمون، لاثّم النبي محمد صلى الله عليه وسلم بالسعي وراء السلطة والسلطة، كما لجأ كثير من قادة التاريخ الطامعين في الهيمنة إلى العنف وبضبط النفس، برهن النبي محمد صلى الله عليه وسلم أن رسالته لم تكن تتعلق بالسلطة الدنيوية، بل بالحق والهداية الإلهية.

كما عززت هذه الفترة من الصبر وحدة الصحابة رضي الله عنهم. فبتحملهم المشقة معاً دون انتقام، اكتسبوا الصمود والولاء والتضامن، وهي صفات أصبحت فيما بعد أساس نجاحهم عندما امتد الإسلام خارج مكة.

وهكذا، كان أمر الكف عن القتال في مكة مليئاً بالحكمة. فقد حفظ الأرواح، وحُمي رسالة الإسلام، وأتاح الوقت للحق أن ينتشر تدريجياً. لقد كانت استراتيجيةً إلهيةً ضمنت بقاء الأمة الإسلامية وازدهارها في نهاية المطاف، مُثبتةً أن الصبر في وجه العدوان قد يُحقق أحياناً نتائج أعظم بكثير من الرد الفوري.

ولكن بعد الهجرة إلى المدينة المنورة، ومع استمرار عدوان خصوم الإسلام - غير المسلمين في مكة - على النبي محمد صلى الله عليه وسلم، أذن الله تعالى للمسلمين بالقتال دفاعاً عن أنفسهم، ولإعادة السلام والعدل بإقامة دولة مكة دار توحيد الله تعالى في الأرض. سورة الحج، الآيتان 39-40

لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنْ اللَّهُ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ. الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا أَذْنُ رَبِّنَا اللَّهُ. وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْذَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا. وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ. إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ.

وقد تقدم الكلام على ذلك في كتاب الرحيق المختوم للإمام صفى الرحمن ص 200-201

من الضروري إدراك أنه لفهم معاني آيات القرآن الكريم وأحاديث النبي محمد صلى الله عليه وسلم فهماً دقيقاً، لا بد من دراستها في سياقها الصحيح. فلا يجوز تفسير آية أو حديث بمعزل عن سياق نزوله، أو تبرير أفعال دون دراسة ظروف نزوله. وفهم السياق فهماً صحيحاً، لا بد من تقييم الآيات والأحاديث ذات الصلة في ضوء حياة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وسلوكه. ومن خلال هذا النهج فقط يتضح لمن أو إلى ماذا تشير الآية أو الحديث.

علاوة على ذلك، لا يجوز للإنسان حمل السلاح ضد المعتدين الخارجيين إلا تحت سلطة حاكم شرعي، وبما يتوافق تماماً مع الأحكام الواردة في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. يجب على من يخوضون القتال أن يظلوا دائماً على حذر من الله تعالى، وأن يتجنبوا تجاوز هذه الحدود والأحكام. ومن القواعد الأساسية أن الحرب جائزة فقط ردّاً على العدوان، كما أكدته الآية الرئيسية قيد المناقشة؛ وبالتالي فإن الشروع في الأعمال العدائية في حالة السلم محرم. وتنص قاعدة أخرى على أنه عندما يكف العدو عن: سورة البقرة، الآية 193. عدوانه، يجب على من يقاتلون أيضاً الكف عن ذلك

"فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين ..."

:سورة النساء، الآية 90. إذا عبّر العدو عن رغبته في السلام، فلا بدّ من قبوله

"فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سببا ..."

القاعدة الثالثة هي عدم إيذاء المدنيين . علاوة على ذلك، نهى النبي محمد صلى الله عليه وسلم مرارًا عن إيذاء النساء والأطفال والشيوخ والمرضى والرهبان والنسك في الحرب . وقد أكدت أحاديث عديدة هذا التوجيه منها ما ورد في سنن أبي داود، رقم 2614، ومسنند أحمد، رقم 2728 . كما نهى الخليفة الأول، أبو بكر الصديق رضي الله عنه، عن قتل الأطفال والنساء والشيوخ، وإتلاف الأشجار المثمرة والأموال والمواشي . وقد ورد هذا التوجيه في مصنف ابن أبي شيبة، رقم 33121 . كما أكد الخليفة الثاني، عمر بن الخطاب رضي الله عنه، للجيش الإسلامية على أهمية عدم إيذاء غير المقاتلين، كالمزارعين، كما ورد في مصنف ابن أبي شيبة، رقم 33120 .

في حال نشوب صراع وشيك، يُؤمر المجتمع المسلم بالاستعداد التام قدر الإمكان . يهدف هذا الاستعداد أساسًا سورة الأنفال، الآيتان 60- . إلى ردع العدوان؛ ومع ذلك، إذا عبّر العدو عن رغبته في السلام، فيجب قبوله 61:

وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ... وإن جنحوا للسلم فاجنح لها ..."

سورة التوبة، الآيتان ١٢-١٣. أذن بقتال من ينكث عهده مع المسلمين

وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر، فإنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون. ألا تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول وهم بدأوكم أول مرة؟

نهى الإسلام عن مهاجمة من يفي بعهده. سورة التوبة، الآية ٧

"فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم. إن الله يحب المتقين"

لا مبرر لإكراه أي شخص على اعتناق الإسلام؛ فالقبول الحقيقي يجب أن ينبع من القلب، لا أن يُعبر عنه
:سورة البقرة، الآية ٢٥٦. باللسان أو يُظهر بالأفعال

"...لا إكراه في الدين"

:سورة الممتحنة، الآيتان 8-9. يجب على من هم في سلام مع المسلمين أن يُعاملوا دائماً بالعدل

لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم، إن الله يحب...المقسطين، إنما ينهاكم الله عن الذين يقاتلونكم في الدين "ومن يخرجكم من دياركم ويعاون على إخراجكم

الحرب مكروهة عند الله تعالى، ويجب إكراه المرء عليها وهو لا يريد لها. سورة البقرة، الآية ٢١٦

«كتب عليكم القتال وهو كره لكم»

كذلك حذر النبي محمد صلى الله عليه وسلم الناس من الخوض في الخلاف، وحثهم على طلب العون من الله تعالى. ولكن عند مواجهة عدو، عليهم الثبات، وهو مبدأ ورد في حديث في صحيح البخاري -، رقم 2966

،إن الهدف الحقيقي من هذه الآيات هو التأكيد على أنه لا يجوز استخدام القوة إلا عندما لا يمكن تجنبها وبالقدر الضروري للغاية، ودائماً ضمن الحدود التي حددها القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

،كما ذكر سابقاً، من الضروري تفسير أي آية أو حديث يتعلق بالقتال في سياقه الصحيح لفهم من ينطبق عليه ومتى، وأين. وللأسف، يُسيء كثير من الناس فهم هذه النصوص، سواءً عن جهل أو قصد. ومن الأمثلة البارزة على ذلك ما يُسمى بـ"آية السيف"، وهو وصف يُطلقه البعض على الرغم من عدم ورود كلمة: سورة التوبة، الآية 5. سيف "في القرآن الكريم"

"...فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد"

كما سبق شرحه، فإنّ الإذن بالحرب يقتصر على شروط محددة، ويتضمن أحكاماً للسلم. وبالدراسة الدقيقة للسياق التاريخي لهذه الآية والآيات المشابهة، يتبيّن أنها ليست قاعدة عامة لقتال جميع غير المسلمين، بل تخاطب فئة محددة من الناس، في زمان ومكان محددين.

تُوضّح الآيات المُحيطة بما يُسمى غالباً "آية السيف" مراراً وتكراراً أنّ المشركين المذكورين هم أولئك الذين نقضوا باستمرار معاهدات السلام مع النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وارتكبوا أعمال عدوان عنيفة على جماعة المؤمنين وحلفائهم. على سبيل المثال، تنص الآية التي تسبق آية السيف مباشرة، في سورة التوبة: الآية 4، على:

إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوا منكم شيئاً ولم يظهروا عليكم أحداً فأتموا عليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين

:ويأتي بعد ذلك أمر آخر في آية ذات صلة، سورة التوبة، الآية 7

كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم "فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين"

سورة التوبة، الآيات ٨- .وقد فصلَ الله ذنوب هؤلاء المشركين الذين أمروا بالقتال في آيات أخرى ذات صلة
١٠:

كيف وإن ظفروا بكم لا يرقوا فيكم ذمة ولا ذمة؟ يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون .اشترى
بآيات الله ثمنًا قليلًا وصدوا عن سبيله، إنهم ساء ما كانوا يعملون .لا يرقوا في مؤمن ذمة ولا ذمة، وأولئك
هم الفاسقون .

:وسورة التوبة 9 الآيات 12-13

وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر، فإنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون .ألا
...تقاتلون قومًا نكثوا أيمانهم وهمموا بإخراج الرسول وهم بدأوكم أول مرة

،نقض هؤلاء المشركون عهودهم مرارًا وتكرارًا، وتعاونوا مع غيرهم على أهل الإيمان .فبدأوا العداوة
وصدّوا الناس عن اعتناق الإسلام، وطردوا المسلمين من مكة والمسجد الحرام .وقد ذكرت تجاوزاتهم
.صراحةً ثماني مرات على الأقل في الآيات ذات الصلة

"في سورة التوبة، الآية ١٢، كما ذُكر سابقاً، يُنص على أن غرض قتال "أئمة الكفر" هو إجبارهم على "الكفّ" عن أعمالهم العدوانية. وتؤكد هذه الآيات، كغيرها من الآيات المتعلقة بهذا الموضوع، على ضرورة الالتزام بشروط صارمة أثناء الحرب، بما في ذلك مبدأ عدم قتال إلا من بدأ القتال

علاوة على ذلك، عُرضت على هؤلاء المشركين تحذيرات وتنازلات متكررة. مُنحوا مهلة أربعة أشهر :سورة التوبة، الآية ٢. وفرصة للسلام

"...فَسَيُرُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْصِيْنَ لِلّٰهِ

:وسورة التوبة الآية 5

"...فَإِذَا انْقَضَتِ الْأَشْهُرُ الْحَرَمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصِرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ"

مُنحت هذه المهلة ليتمكن المشركون إما من اعتناق الإسلام أو مغادرة شبه الجزيرة العربية بسلام. كما أمر النبي محمد صلى الله عليه وسلم بتوفير الحماية لمن يطلبها من هؤلاء المشركين، ليتمكن من سماع تعاليم :سورة التوبة، الآية 6. الإسلام دون خوف أو إكراه، أو مغادرة المنطقة سالمًا دون تهديد

وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون

كان الأمر في ما يُسمى بآية السيف بقتال هؤلاء المشركين وقتلهم لا يُطبّق إلا إذا بقوا في شبه الجزيرة العربية بعد فترة الهدنة التي استمرت أربعة أشهر دون اعتناق الإسلام. ومن الجدير بالذكر أن كثيراً من المشركين استغلوا هذه الهدنة واعتنقوا الإسلام. ونتيجةً لذلك، توقف القتال، ولم تُسفك دماءٌ في سياق آية السيف. وكان الغرض الرئيسي من هذه الآية هو ردع المشركين عن المزيد من العدوان، إما أن يعتنقوا الإسلام أو يغادروا شبه الجزيرة العربية بسلام.

وختاماً، فإن الآيات المحيطة وحياة النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم المباركة تضع آية السيف في سياقها الصحيح. فقد نزلت هذه الآيات خصيصاً لمواجهة ووقف الهجمات المتكررة التي يشنها بعض المشركين العدائين على جماعة المؤمنين. ولذلك، لا يمكن تطبيقها بشكل شامل على الآخرين خارج هذا السياق التاريخي.

:سورة الحج، الآية 40

"...ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا"

هذا يُسلط الضوء أيضاً على حقيقة عميقة: عندما يُترك عدوان وعنف من يسعون وراء طموحاتٍ دنيوية كالثروة والسلطة والسلطة دون مُجابهة، فإن مبادئ العدل والسلام ذاتها تُعرّض للخطر. هذه القيم العليا تقف دائماً في وجه الرغبات الأنانية لمن يسعون للهيمنة، لأن سعيهم للسيطرة مُتجذّر في الجشع والغطرسة لا في العدل والرحمة. إن لم تُكبح جماح هذه القوى، فإنها ستطغى حتماً على الحق، وتُسكت الحقيقة وتُدمر أسس العدل. لهذا السبب، من الخطأ الاعتقاد بأن القتال لا مبرر له أبداً. هذا العالم ليس الفردوس الأبدي حيث يحيا كل فردٍ طبيعياً في ظل العدل والسلام، بل هو مكان اختبار، حيث غالباً ما ينشأ القمع والفساد والاستبداد.

لذلك، في بعض الأحيان، يُصبح القتال المُسيطر عليه والمُصرّح به وسيلةً ضروريةً لحماية الأبرياء، والدفاع، عن الحق، والحفاظ على العدالة. وبدون ذلك، سينتشر القمع بلا رادع، ويترك الضعفاء بلا حماية. مع ذلك يجب أن نتذكر أن هذه ليست حال المسلمين الطبيعية. حالهم الطبيعي هو حالة السلام والرحمة والصبر. لا يُباح القتال إلا عندما يصبح لا مفر منه، وبعد استنفاد جميع الوسائل السلمية، وعندما يكون السبيل الوحيد لإعلاء المبادئ العليا. بهذه الطريقة، يُحقق الإسلام توازنًا: فهو لا يُمجّد العنف، ولا يتجاهل حقيقة الظلم. بل يُوفّر إطارًا يُحفظ فيه العدل والسلام، حتى لو تطلب ذلك كفاحًا. وهكذا، فإن القتال في الإسلام ليس أبدًا من أجل الفتح أو الهيمنة أو الكسب الدنيوي. إنه ملاذ أخير، يُلجأ إليه فقط لحماية الحق وحماية البشرية من الفساد، بإدراك هذا التوازن، يُدرك المرء أن الصبر والسلام يظلان الأساس، بينما الكفاح استثناءً تقتضيه الظروف،:سورة الحج، الآية 40. لضمان عدم انطفاء العدل والحق من على وجه الأرض

ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرًا..."
"...ولينصرن الله من ينصره

يستطيع الإنسان نصره دين الله تعالى بالثبات على طاعته في جميع الأوقات، مستخدمًا النعم التي أنعم الله عليه بها كما وردت في التعاليم الإسلامية. وفي المقابل، ينال راحة البال في الدنيا والآخرة، من خلال توازنه النفسي والجسدي، ومن خلال حسن توزيع كل شيء وكل شخص في حياته. وبما أن سلوكه يضمن حقوق الناس، فإنه يساهم في نشر العدل والسلام في مجتمعه). سورة الحج، الآية 40، سورة 22)

"...ولينصرن الله من ينصره..."

من الضروري أن نفهم أنه لا ينبغي للإنسان أن يظن أن طاعة الله تعالى أو اتباع الإسلام منه عليه. فهذا التفكير يُغذي الغرور، الذي قد يُفوّض الطاعة الحقيقية، لا سيما عندما تتعارض الأهواء الشخصية مع الأوامر الإلهية، فنُضَلَّ عن الصراط المستقيم. في المقابل، من يُدرك أن إيمانه وطاعته في نهاية المطاف يخدمان

،مصالحه الشخصية، يُنمّيان التواضع أمام الله تعالى، ويثبتان على دينهما في المحن واليسر .سورة الحج
الآية 40

"ولينصرون الله من ينصره، إن الله لقوي عزيز ..."

في الشدة يصبرون، وفي الرخاء يشكرون .ويتجلى الشكر في أوجه متعددة :بالنية، وهو العمل خالصًا لوجه
،الله تعالى، وبالقول، وهو الكلام الطيب أو الصمت، وبالفعل، وهو استخدام النعم التي أنعم الله بها على الإنسان
وفقًا للقرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم

الصبر، كذلك، يستلزم الكف عن الشكوى قولاً وفعلاً، والتمسك بطاعة الله تعالى، والثقة بأنه يختار دائماً
:الأفضل في النهاية، وإن لم يظهر ذلك فوراً .سورة البقرة، الآية ٢١٦

"وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ..."

من يُوافق سلوكه باستمرار مع هذا الفهم في جميع الأحوال - سواءً في الرخاء أو في المحن - سينال عونًا
وهدايةً ورحمةً من الله تعالى .هذا التأييد الإلهي يضمن له الحماية من العواقب الوخيمة لإساءة استخدام النعم
التي وُهِبَتْ له، ويُمكِّنه من خوض غمار الحياة بوضوح وحكمة واتزان .بالالتزام بالطاعة الصادقة، يُحقق
،توازنًا مُتناغمًا في حالتيه العقلية والجسدية، مما يسمح له بمواجهة التحديات بصبر، واغتنام الفرص بامتنان
واتخاذ قرارات تعكس البصيرة والرؤية الثاقبة .علاوة على ذلك، يُمكن هذا الاتساق المرء من تحديد أولوياته
بشكل صحيح ووضع كل شيء وكل شخص في حياته، مُرسياً النظام والهدف في علاقاته ومسؤولياته
واستخدامه للموارد .يبقى قلبه مُركّزاً على ما هو مهم حقاً، بعيداً عن التعلق بالملهيات الدنيوية العابرة، بينما
يكتسب عقله الهدوء اللازم للتأمل العميق واتخاذ القرارات .هذه الحالة المُهذَّبة من التوازن واليقظة لا تُغَيِّ

السلام الداخلي في الدنيا فحسب، بل تُهَيِّئ الفرد أيضًا للمحاسبة يوم القيامة، مما يضمن له عاقبة حسنة في الآخرة. وكما هو مُبَيَّن في حديث صحيح مسلم، رقم 7500، فإن إخلاص هذا الشخص وسلوكه الواعي يُؤدِّيَان إلى حياةٍ يسودها السكينة والثبات والرحمة الإلهية، مُظهرين الفوائد العميقة والشاملة للعيش في طاعة خالصة لله تعالى.

كما سبق أن ذكرنا، فإنَّ مقاومة عنف من يسعون جاهدين وراء الثروة والسلطة لا تهدف إلى تجسيد دوافعهم بل إلى إعادة العدل والسلام إلى المجتمع. ليس الهدف السعي وراء مكاسب دنيوية، بل حماية الحق، وحماية الأبرياء، وإعلاء شأن العدل. عندما يصبح القتال ضروريًا، يكون وسيلةً لإزالة الظلم والفساد، ليزدهر العدل، وليس أداةً للغزو أو الإثراء الشخصي. هذا التمييز جوهري، فلو كان الصراع مدفوعًا بنفس رغبات المعتدين لما أدى إلا إلى استمرار الظلم والفوضى. أما الصراع الذي أقره الله تعالى، فهو صراع مبدئي، متجذر في الإخلاص والطاعة. إنه تدبير مؤقت للحفاظ على القيم العليا للسلام والأمن والعدل، وضمان عدم هيمنة من يستغلون السلطة لأغراض أنانية على المجتمع. وبذلك يرتقي جهاد المؤمن فوق مطامع الدنيا، فغايته إقامة نظام عادل يُمكن الناس من العيش في وئام، وعبادة الله تعالى وطاعته بحرية، والاستعداد للآخرة. سورة الحج، الآية 41:

"...الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر "

تحتل الصلاة المفروضة في التعاليم الإسلامية مكانةً فريدةً وأساسيةً، إذ تُعتبر عبادةً عليا وركيزةً أساسيةً ترتكز عليها سائر الأعمال الصالحة. فهي سمة الإيمان، التي يُؤكد عليها مرارًا وتكرارًا كأساسٍ لاتصال المؤمن بخالقه. فبدون إقامتها على الوجه الصحيح، لا يمكن تحقيق الهداية الروحية الحقيقية، فهي الرابطة الروحية الجوهرية بين العبد وربّه تعالى. فهي تغرس في النفس التواضع والإخلاص وضبط النفس، وتُذكر المؤمن باستمرارٍ باعتماده على الله تعالى ومحاسبته يوم القيامة. ويتطلب أداء الصلاة المفروضة على الوجه الصحيح الالتزام الدقيق بشروطها وآدابها الأساسية، وأهمها أداء كل صلاة في وقتها المحدد. وقد أكد القرآن الكريم مرارًا وتكرارًا على حرمة هذه الأوقات، مُقدمًا الصلاة على أنها أوضح دليل على الخضوع الصادق وأجلى تعبير عن إخلاص القلب لله تعالى. بتوزيعها على مدار اليوم، تُنظّم الصلوات وقت المؤمن، وتُرسِّخ روتينه في الذكر، وتحميه من الغفلة. كل أذان يُمثّل تنبيهًا إلهيًا بأن الحياة فانية، وأن كل لحظة يجب أن تُعاش بوعي الله تعالى، واستعدادًا ليوم القيامة. وهكذا، فإن الصلوات المفروضة ليست مجرد مجموعة من الشعائر الظاهرية؛ إنها ركن الإيمان والأساس الذي تُبنى عليه جميع الأعمال الصالحة. ومن خلال المواظبة

عليها، يُحقق المؤمن الانسجام بين البعدين الروحي والجسدي للحياة، مُقَوِّيًا عزيمته الداخلية على مقاومة يحمل كل عنصر من عناصر الصلاة رمزية عميقة تعكس حقائق الآخرة .على .المعصية والثبات على الحق سبيل المثال، يُمثّل الوقوف منتصبًا الوضعية التي سيقف بها الخلق جميعًا يومًا ما بين يدي الله تعالى، منتظرين :سورة المطففين، الآيات 4-6 .حسابه بتواضع ومحاسبة

أَوَّلَا يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُبْعَثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ

وبالمثل، عندما يُؤدي المرء ركوعه في الصلاة، فإن هذه الحركة تُذكّر بقوةٍ بالعديد من النفوس التي ستُلاقي لومًا شديدًا وندمًا عميقًا يوم القيامة لرفضها الركوع لله تعالى في الدنيا .هذا التواضع المُتعمّد يدل على إدراك سلطانه وجلاله، ويتناقض تمامًا مع غطرسة وغفلة من أهملوا هذا التعبير المقدس عن الخضوع .سورة :المرسلات، الآية 48

"وإذا قيل لهم اركعوا لم يركعوا"

هذا تحذيرٌ خطيرٌ لكل من غلبت عليه أوامر الله تعالى في حياته .كما أن سجود المؤمن في الصلاة تذكيرٌ قويٌّ باليوم الحتمي الذي ستُؤمر فيه كل نفسٍ بالسجود لله تعالى .في ذلك اليوم، سيكتشف من أهملوا هذا الخضوع الجوهرى طوال حياتهم - كاشفين بذلك عن استخفافهم الدائم بأمره - أنهم عاجزون جسديًا عن السجود له، مهما رغبوا في ذلك .سورة القلم، الآيتان 42-43

يوم يشتد الأمر يدعون إلى السجود فيمنعون، وتخضع أعينهم، وتغشاهم الذل، وكانوا يدعون إلى السجود" وهم سالمون

الركوع في الصلاة يُمثّل نذيرًا مهيبًا وعميقًا للموقف الذي ستتخذه كل نفس أمام الله تعالى يوم القيامة، وهو موقفٌ يتسم بالتواضع العميق والخشوع المُقدّس، في انتظار إعلان مصيرها الأبدي. سورة الجاثية، الآية ٢٨

"وترى كل أمة جاثية، وكل أمة تُدعى إلى كتابها، اليوم تجزون ما كنتم تعملون"

بأداء الصلاة بتدبر، والتأمل في هذه الحقائق، يُرسّخ المرء العبادة في أعماق صورها. هذا المستوى العميق من التأمل يضمن أن تمتد طاعة الله تعالى إلى ما هو أبعد من سجادة الصلاة نفسها، فتؤثر تأثيرًا فعالًا في شخصية المرء، وتُوجّه سلوكه في الفترات الفاصلة بين كل عبادة. سورة العنكبوت، الآية 45

"...إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر"

:هذه الطاعة تتضمن حسن استغلال النعم الممنوحة، كما وردت في التعاليم الإسلامية. سورة الحج، الآية 41

"...وآتوا الزكاة..."

الزكاة المفروضة لا تُشكل إلا جزءًا يسيرًا من إجمالي أصول الفرد، ولا يُفرض دفعها إلا عند بلوغ حد أدنى مُحدد. ومن أهدافها الأساسية التذكير الدائم بأن الثروة التي يمتلكها المرء ليست ملكه الحقيقي. فلو كانت ملكًا له بالكامل، لكان له حرية إنفاقها دون قيد. بل إن الثروة من خلق الله تعالى ومنحها، فلا بد من استخدامها فيما يرضيه. في الواقع، كل نعمة يتمتع بها الفرد - سواء أكانت ثروة أم صحة أم علمًا أم منصبًا - هي مجرد قرض مُودع لديه، يجب رده في النهاية إلى صاحبه الحق، الله تعالى. وهذا السداد لا يكون برد النعمة نفسها بل بتوظيفها بما يرضيه، كما هو مبين في القرآن الكريم وأحاديث النبي محمد صلى الله عليه وسلم. فعندما يؤدي المرء هذه الأمانة، يتحول ماله إلى مصدر تطهير وحماية وثواب. من يغفل عن هذه الحقيقة الجوهرية ويتصرف كما لو كانت النعم الممنوحة له وحده، سيُسيء استخدامها حتمًا. وتحديدًا، من يمنع الصدقة المفروضة، ويعامل ماله كما لو كان ملكًا له وحده، سيُعاقب - كما يُحاسب من لم يُسدد دينًا دنيويًا. ويتجلى قسوة هذه المحاسبة جليًا في حديث وارد في صحيح البخاري، رقم 1403، يُحذر من أن من يُهمل صدقته المفروضة سيواجه يوم القيامة بثعبان سام كبير يحيط به ويلدغه باستمرار كنوع من العقاب. تُمثل هذه الصورة الصارخة تذكيرًا بالغ الأهمية بأن الثروة نعمة واختبار في آن واحد. فعندما تُستخدم على النحو الصحيح، تُعلي من شأن الإنسان روحياً، وتُقوي الروابط الاجتماعية، وتُؤمن له الثواب في الآخرة. أما إذا كدسها أو أساء استخدامها، فإنها تُصبح مصدرًا للندم والعذاب والخسارة في الدنيا والآخرة. لذا، يجب أن نتذكر دائمًا أن كل ما يُنفق في سبيل الله تعالى ليس استنزافًا، بل استثمار، يُدرّ عوائد تفوق بكثير ما تُقدّمه: سورة آل عمران، الآية ١٨٠. هذه الدنيا

ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خير لهم بل هو شر لهم، ستطُوق أعناقهم بما يبخلون"
"...يوم القيامة

في هذه الحياة، تصبح الثروة التي يمنعونها عنها الصدقة المفروضة مصدرًا للتوتر والشقاء. فبدلاً من أن توفر لهم الراحة والأمان، تدفعهم إلى إساءة استخدام النعم التي وهبت لهم. ونتيجةً لذلك، يقعون في حالة من عدم التوازن - نفسياً وجسدياً - فيُخطئون في ترتيب أولوياتهم، ويُسيئون تقدير علاقاتهم، ويُقصّرون في الاستعداد الكافي لحسابهم يوم القيامة. هذا الإهمال يؤدي إلى حيرة في هذه الحياة وخراب في الآخرة. حتى لو انغمسوا في بعض ملذات الدنيا ظاهرياً، فإنهم في باطنهم سيققون قلقين، مُثقلين بالقلق، محرومين من الرضا الحقيقي. ثروتهم، التي كان من الممكن أن تكون وسيلةً للتطهير والثواب، تتحول بدلاً من ذلك إلى سببٍ للضيق والتوتر والندم. في نهاية المطاف، بإهمالهم واجبه تجاه الله تعالى، يستبدلون السكينة الأبدية براحةً مؤقتة، والنجاح الدائم بوهيم زائل. سورة طه، الآيات ١٢٤-١٢٦:

ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد
"كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى

ثم يُذكر جانبٌ أساسيٌّ من إرساء العدل والسلام في المجتمع .سورة الحج، الآية 41

"وأمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر "

من الضروري ألا يتخلى الإنسان عن واجبه في الدعوة إلى الخير والنهي عن الشر، وأن يتم ذلك دائما بعلمٍ سليم وحكمةٍ ورفق .لا ينبغي للمرء أن يقع في الاعتقاد الخاطئ بأنه ما دام يعيش حياةً صالحةً، فلن يؤثر عليه سوء سلوك الآخرين .الطبيعة البشرية قابلة للتأثر، وكما تفسد التفاحة السليمة بين التفاحات الفاسدة، كذلك يمكن أن يتأثر الإنسان - خفيةً أو علناً - بفساد من حوله إذا لم يَقم بهذا الواجب .حتى عندما يغفل المجتمع ،يجب على الإنسان أن يستمر في نصيح أقرب الناس إليه، كعائلته ومن يعيّلهم .فسلوكلهم له التأثير الأكبر وفوق ذلك، فإن من واجب كل فرد أخلاقياً إرشاد من هم تحت رعايته .إن إهمال هذه المسؤولية يُعرّض المرء نفسه وأهل بيته للأذى .حتى لو تجاهل المرء نصيحته، فإنه يؤدي واجبه بالتذكير المستمر بلطفٍ واحترام، مدعوماً بعقلٍ سليمٍ ومعرفةٍ أصيلة .على النقيض من ذلك، فإن محاولة تصحيح الآخرين دون فهم .أو فعل ذلك بقسوة وسوء أدب، لا يؤدي إلا إلى ابتعاد الناس عن الصواب وإحداث ضرر أكبر للمجتمع ،وعندما تُؤدى هذه المسؤولية على الوجه الصحيح، فإنها تُصبح درعاً واقياً من التأثيرات السلبية للمجتمع .فعل النصح بحد ذاته وقاية، بغض النظر عما إذا كان الآخرون يقبلون ووسيلة حماية في نهاية المطاف .إن الإرشاد أم لا .سورة الأعراف، الآية 164

"وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قالوا مبرأة إلى ربكم ولعلمهم يتقون"

أما إذا انشغل الإنسان بنفسه، فلا يهتم إلا بسلوكه، متجاهلاً تصرفات الآخرين، فإنه يُعرّض نفسه تدريجيًا للتأثر بالفساد من حوله. ومع مرور الوقت، قد يؤدي هذا الإهمال إلى ضلاله. لذا، فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس مسؤولية جماعية فحسب، بل هو أيضًا ضمانة للفرد. فهو يحفظ الأمانة، ويقوي الأسرة، ويحمي المجتمع من الانحلال الأخلاقي. بأداء هذا الواجب بعلم وصبر ورفق، يضمن الناس بقاء الحق والصلاح، حتى في أوقات الغفلة الواسعة، ويضمنون لأنفسهم الحماية في الدنيا والمحاسبة في الآخرة.

:سورة الحج، الآية 41

"...الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر"

من، لذلك، وكما ذكرنا بالتفصيل، فإن من يؤدي هذه الواجبات المهمة سينعم براحة البال في الدنيا والآخرة، خلال توازنه النفسي والجسدي، وحسن توزيع كل شيء وكل شخص في حياته. وبإعماله حقوق الناس، سيساهم في نشر العدل والسلام في المجتمع.

،ولأن الله تعالى مطلع على نوايا العباد وأقوالهم وأفعالهم، فهو يعلم من يسلك السلوك الصحيح ومن لا يسلكه، ولذلك سيحاسب كل إنسان في الدنيا والآخرة. سورة الحج، الآية 41

"وإلى الله عاقبة الأمور"

ثم يُنذر الله تعالى قادة غير المسلمين في مكة، وبالتالي جميع الناس، تحذيرًا واضحًا من معارضة دينه لا قولًا ولا فعلًا. وقد أثبت التاريخ عاقبة هذا السلوك: فالأمم السابقة التي رفضت الهداية الإلهية، واستهزأت بأنبيائها الكرام عليهم السلام، وتمادت في غطرستها، هلكت أو خُزيت في النهاية. لم تحمها قوتها وثروتها ونفوذها من قضاء الله تعالى. هذا التذكير تحذيرٌ وعبرةٌ في آنٍ واحد. فمن قاوم الحقَّ غرورًا أو خوفًا من زوال منزلته الدنيوية، لن يُؤدِّي إلا إلى هلاكه، كما هلك من سبقوه. أما من استسلم للحقِّ واتبع الهداية الإلهية، فقد نال السلامة والسلام والتوفيق الأبدي. ومصيرُ الأجيال السابقة دليلٌ لا يُنكر على أن معارضة رسالة الله تعالى (سورة الحج، الآيات 42-46). لا تؤدي إلا إلى الهلاك، بينما الطاعة والتواضع تؤديان إلى النجاة.

وإن كذبوك فقد كذبت من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود. وقوم إبراهيم وقوم لوط. وأصحاب مدين. وكذب موسى فأمليت الذين كفروا ثم أخذتهم فما أشد عذابي. وكم أهلكنا من قرية وهي ظالمة فهي خربة ومن يئر مهجور... وقصر شامخ. أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها

عمومًا، إن فرج الله تعالى للناس، مُتِيحًا لهم فرصة إصلاح سلوكهم، هو فرج مؤقت، ويجب أخذه على محمل الجد قبل فوات الأوان. فلا ينبغي لمن أساء استخدام النعم التي وهبها الله إياها أن يظن أن غياب العقاب الفوري أو تقصيره في إدراكه يعني أن العقاب لن يأتي أبدًا. ففي هذه الدنيا، يمنع هذا الإهمال الإنسان من تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، ويؤدي إلى ضياع كل شيء وكل شخص في حياته. ونتيجةً لذلك، تصبح عناصر حياته - بما في ذلك الأسرة والأصدقاء والعمل والثروة - مصادر للتوتر والإحباط بدلًا من أن تكون مصدرًا للدعم والراحة. وإذا استمر الإنسان في معصية الله تعالى، فإنه غالبًا ما يُلقى باللوم على الآخرين في مصاعبه، مستهدفًا حتى أقرب الناس إليه، كالزوج أو الأصدقاء. وباستبعاد هؤلاء الطيبين من حياته، فإنه يُعمِّق اضطرابه النفسي والعاطفي، مما قد يؤدي إلى الاكتئاب وإدمان المخدرات، وحتى الأفكار الانتحارية. يتجلى هذا النمط في حياة كثيرين ممن يُسيئون استخدام النعم التي أنعم الله عليهم بها، بمن فيهم الأغنياء والمشاهير، الذين قد ينعمون بالرفاهية الدنيوية لكنهم يُعانون من مشاكل نفسية. ولأن سلوكهم يمنعم من الاستعداد للمحاسبة أمام الله تعالى، فإن عقابهم في الآخرة يكون شديدًا ودائمًا، يفوق بكثير أي ابتلاء يواجهونه في الدنيا. وهذا يؤكد أهمية استغلال الوقت والنعم التي أنعم الله بها على الإنسان في إصلاح سلوكه والعمل بهديه.

:سورة الحج، الآيتان 45-46

وكم من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خربة وبئر مهجورة وقصر شامخ أفلم يسيروا في الأرض فتكون " ...لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها

تُعدّ هذه الآيات تذكيرًا قويًا بعدم الانشغال التام بالحياة، حيث يقتصر اهتمام المرء على ظروفه الشخصية متجاهلاً الحقائق الكبرى المحيطة به. هذا المنظور الضيق يُعمي القلب، ويمنعه من إدراك الحكمة التي يمكن استخلاصها من التاريخ، والتجارب الشخصية، وتجارب الآخرين. إن التأمل في هذه الدروس من أنجع الطرق لصقل الشخصية، وتجنب الأخطاء المتكررة، وتحقيق السلام الداخلي الدائم - من خلال تعزيز التوازن في الحالتين النفسية والجسدية، وتحديد أولويات كل شيء وكل شخص في الحياة بشكل صحيح. على سبيل المثال فإن ملاحظة كيف يُسيء الأثرياء والمشاهير استخدام النعم التي نالوها - ليتغلب عليهم القلق والاكتئاب والإدمان، أو حتى الانتحار رغم ما يتمتعون به من راحة مادية - تُعلّمنا أن السكينة الحقيقية لا تُشتري بالثروة ولا تُضمن بالإفراط في الشهوات. وبالمثل، فإن مشاهدة معاناة المصابين بالمرض ينبغي أن تغرس في النفس شعورًا بالامتنان لصحتهم، وتُلهمهم على استخدامهم بشكل صحيح قبل أن تُفقد. لذا، يدعو الإسلام الناس إلى التفكير والتأمل، ويحثهم على تجاوز حدود أحوالهم الضيقة، واستخلاص الحكمة من العالم من حولهم. وبذلك، يغرسون في نفوسهم الامتنان والتواضع وحسن التدبير، مدركين أن كل ظرف - يسرًا كان أم عسرًا - يحمل في طياته دروسًا تهدف إلى تهذيب النفس، ونموها الروحي، ونيل رضا الله في الآخرة.

:سورة الحج، الآية 46

"...أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها "

من أهم أسباب عدم استفادة الناس مما يسمعون، بما في ذلك التعاليم الدينية أو الأخلاقية، عدم إنصاتهم الإنصات الصحيح. فالإنصات السليم ليس فعلاً سلبياً، بل يتطلب انتباهاً وتدبراً وإخلاصاً. الإنصات الصحيح يعني الانتباه جيداً للمعرفة المنقولة، وربطها بتجارب المرء السابقة، وتقييم كيفية تطبيقها في المواقف المستقبلية، ثم بذل جهد حقيقي لتطبيقها عملياً. عندما يُتبع هذا النهج في الإنصات، تُصبح المعرفة مُغيرة تُشكل السلوك والشخصية. أما إذا استمع المرء للكلمات دون تدبر أو تطبيق، فإن المعرفة تبقى سطحية ولا تُحدث تغييراً ذا معنى. ولهذا السبب، ورغم التوفر غير المسبوق للموارد والمحاضرات والكتابات الدينية في العصر الحديث، لا يلمس الكثيرون التحول الإيجابي الذي يُفترض أن تُلهمه هذه المعرفة. فالفائدة الحقيقية للمعرفة لا تكمن في وفرتها، بل في كيفية تلقيها واستيعابها والعمل بها. فبدون هذه العملية، تُصبح المعرفة معلومات بلا تأثير، تاركة الأفراد دون تغيير رغم التعرض المستمر لها. يأتي النمو الحقيقي عندما يكون الاستماع نشطاً ومدرّساً ويتبعه تنفيذ صادق.

غالبًا ما تتعارض طاعة الله تعالى مع رغبات الناس الدنيوية، ولذلك يغفل الكثيرون عن دروس التاريخ: سورة الحج، الآية 46. والتجربة والعالم من حولهم فيما يتعلق بأهمية هذه الطاعة

"فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور "

عندما تستحوذ على الإنسان شهواته الدنيوية، يفقد السيطرة على أفعاله تدريجياً ويصبح عبداً لها، متجاهلاً في كثير من الأحيان العواقب بعيدة المدى لسلوكه. يُشبه هذا مدمناً على المخدرات، يسيطر هوسه على قراراته، مما يدفعه لارتكاب أفعال خاطئة - كالسرقة أو الخيانة - غافلاً عن الضرر الناتج عنها. وبالمثل، قد يتفاقم السعي الجامح وراء الثروة أو المكانة الاجتماعية أو غيرها من المكاسب الدنيوية ليتحول إلى تعلق مُستهلك، يُملئ على الأفكار والسلوكيات والأحكام الأخلاقية. في مثل هذه الحالة، قد تُتجاهل حتى المعايير والالتزامات الأخلاقية الأساسية، مما يُفقد الإنسان بصيرته الروحية ويُفقد التوازن الأخلاقي. لذلك، من الضروري تنمية الانضباط الذاتي، وتنظيم الرغبات، وضمان أن تظل جميع المساعي مشروعة ومدرّسة. هذا الانضباط لا يحمي من الأفعال غير الأخلاقية فحسب، بل يحافظ أيضاً على السلامة العقلية والعاطفية والجسدية. بضبط الشهوات، يصبح الإنسان أكثر انسجاماً مع آيات الخلق، ودروس التاريخ، وهدى التعاليم الإسلامية. هذا الوعي يُعزز طاعة الله تعالى الصادقة والمستمرة، ويُمكنه من استغلال نعمه على الوجه الصحيح، والحفاظ على الانسجام في حياته الشخصية والاجتماعية، ووضع كل شيء وكل شخص في نصابه

الصحيح .علاوة على ذلك، يُعزز ضبط الشهوات القدرة على الصمود في وجه مصاعب الحياة .فالإنسان .المُهتدي بهذه الطريقة يُواجه التحديات بصبر وامتنان، دون استسلام للإفراط أو التخلي عن المسؤوليات .ويُطوّر نمط حياة متوازنًا يحميه من التوتر والاختلال الناتج عن الشهوات المُفرطة، ويضمن ألا تصبح العلاقات والثروة وغيرها من جوانب الحياة مصادر قلق أو تشتت .وفي نهاية المطاف، يُهيئ هذا الانضباط .الواعي الإنسان للمساءلة يوم القيامة، ويمنحه في الوقت نفسه السلام والوضوح والرضا في الدنيا والآخرة .ومن خلال إدارة الشهوات بعناية والالتزام الراسخ بالهداية الإلهية، يُحقق الإنسان التوازن الروحي والعملية .الحقيقي .

استخدم زعماء غير المسلمين في مكة، على غرار الأمم المتغطرسة التي سبقتهم، أساليب عديدة لثني الناس ،عن قبول الحق .ومن أشهر أساليبهم المطالبة ساخرين بإنزال العقاب الذي أنذروا به فورًا .فإذا لم ينزل فورًا .الحج، الآية 47، سورة 22 اتخذوا من هذا التأخير دليلًا على بطلان رسالة الإسلام .سورة

"ويستعجلونك بالعذاب "

لكن ما لم يدركوه هو أن تأخير العقوبة ليس ضعفًا أو ضلالًا، بل هو مظهر من مظاهر رحمة الله تعالى وحكمته .يمنح الله تعالى الناس مهلة ليتأملوا ويتوبوا ويصلحوا أحوالهم .هذا التأخير فرصة للإصلاح، وليس دليلًا على خلو الإنذار من المعنى .ومع ذلك، ينخدع كثيرون بهذه المهلة، ويظنونها دائمة .هذا الأمان الزائف :سورة الحج، الآية 47 .لا يشجعهم إلا على الاستمرار في المعصية، ضاربين بنعم الله عليهم

"ولن يخلف الله وعده، وإن يومًا عند ربك كآلف سنة مما تعدون ..."

يُذَكِّر هذا البيان البشرية بأن العدالة الإلهية لا تُقَيَّد بالإدراك البشري للزمن. فما يبدو للناس متأخرًا، هو في الواقع مُقَدَّرٌ تمامًا في علم الله تعالى وقدرته. وعده مؤكد، وعدله حتمي. من يُسيء استغلال فترة إجازته يُعاني في النهاية عواقب حتى في هذه الدنيا. تُضطرب حياتهم؛ يفقدون توازنهم العقلي والجسدي، ويُسيئون ترتيب أولوياتهم، ويُقَصِّرون في الاستعداد لمساءلتهم يوم القيامة. قد ينعمون بالثراء أو الترف في الظاهر: سورة الحج، الآية 48. لكنهم في باطنهم يُبتَلون بالتوتر والحيرة والقلق

وكم من قرية أخرجتهم وهي ظالمة ثم أخذتها وإلي المصير

، هذا النموذج درسٌ خالدٌ للأجيال. المهلة رحمة، لكنها ليست أبدية. من تاب منها وصلاح، نال السلامة والنجاة ومن أساء استخدامها لم يُعَجَلْ إلا بهلاكه. ومصير الأمم السابقة دليلٌ لا يُنكر: العدل الإلهي قد يتأخر، لكنه لا يُنكر. وهكذا، يُعَلِّم القرآن الكريم أن المهلة ليست تخليةً، بل امتحان. فهي تُفَرِّق بين من اتقى ورجع إلى ربه، وبين من استكبر وأصرَّ على الباطل. يرى العاقل في المهلة فرصةً للتغيير، بينما يُضيِّعها الغافلون حتى في نهاية المطاف، وبما أن المصير المحتوم والنهائي هو محاسبة المرء يوم القيامة. يأتيهم أمر الله تعالى، فإن كل فرد سيُحاسَب على خياراته: سواء أكان قد استغلَّ هذه الراحة الممنوحة له بحكمة بطاعة الله تعالى، فضمن بذلك راحة البال في الدنيا والآخرة، بتحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، وترتيب كل شيء وكل شخص في حياته على النحو الصحيح، أو أساء استغلال هذه الراحة الممنوحة له، فتعرض بالتالي للتوتر والمتاعب والصعوبات في الدنيا والآخرة، بسبب حالة نفسية وجسدية غير متوازنة وسوء توزيع كل شيء وكل شخص في حياته. سورة الحج، الآية 48

"وإلي المصير"

لذا، يجب على الإنسان قبول تعاليم الإسلام والعمل بها لمصلحته الخاصة، حتى لو خالفت رغباته. سورة الحج، الآية 49:

"قل يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين"

تجدر الإشارة إلى أن البشائر والإنذارات لا تُجدي نفعًا إلا إذا قُبِلت باستجابة عملية. فمن استجاب بنعم الله تعالى، على النحو المبين في تعاليم الإسلام، ينال راحة البال في الدنيا والآخرة. ويحقق هذا الإنسان توازنًا في صحته النفسية والجسدية، ويُنظم كل شيء وكل شخص في حياته على نحو سليم، فيعيش حياة صافية وهادئة، مُستعدًا للحساب يوم القيامة. أما من لم يستجب لهدي الإسلام - سواءً بالبشارة أو بالإنذار - فسيستمر، في إساءة استخدام النعم التي أنعم الله عليه بها. وهذا الاستخدام الخاطئ سيؤدي حتمًا إلى اختلال التوازن واضطراب العقل والجسد، وخطأ الأولويات، وإهمال الاستعداد للحساب. ونتيجة لذلك، سيواجه هذا الإنسان ضغوطًا ومصاعب في الدنيا والآخرة، حتى وإن كان محاطًا ببعض ملذات الدنيا. لن تحميهم راحتهم من القلق الداخلي، ولن تحميهم من عواقب إهمال الهداية الإلهية. فالفائدة الحقيقية، إذًا، لا تكمن في الاستماع فحسب، بل في الاستجابة بصدق وثبات.

لذا، ينبغي على المرء أن يتصرف كمريض عاقل يقبل نصيحة طبيبه ويتبعها، عالمًا أنها في النهاية لمصلحته الخاصة، حتى لو تضمنت الوصفة أدوية مُرة أو حمية غذائية صارمة. وكما أن هذا المريض، بالمشاورة، ينال في النهاية صحة بدنية ونفسية جيدة، فكذلك من يقبل تعاليم الإسلام ويعمل بها. والسبب واضح: أن الله تعالى هو الوحيد الذي يملك المعرفة الكاملة بكيفية تحقيق الإنسان للتوازن الحقيقي في عقله وجسده، وكيفية وضع كل شيء وكل شخص في حياته على النحو الصحيح. إن معرفة البشر، مهما تقدمت، ستظل محدودة. فرغم البحوث المكثفة في الحالات النفسية والجسدية للبشر، لا يستطيع المجتمع تقديم حلول لكل تحدٍّ يواجهه الفرد ولا يمكن للنصيحة البشرية أن تحمي الإنسان من جميع أشكال التوتر، ولا تضمن له ترتيب أولوياته وعلاقاته على النحو الصحيح دائمًا. ويعود ذلك إلى القيود الطبيعية للمعرفة البشرية، والخبرة، وبعد النظر، والتحييزات التي تؤثر حتمًا على الحكم البشري. الله تعالى وحده هو صاحب العلم النافع، وقد أنزله على البشرية من خلال القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. تتجلى هذه الحقيقة عندما يلاحظ المرء الفرق بين من يستغلون نعمهم وفقًا للتعاليم الإسلامية ومن لا يستغلونها. فالأولون يعيشون بوضوح وتوازن وهدف بينما غالبًا ما يُسيء الآخرون استخدام نعمهم، مما يؤدي إلى الارتباك وعدم التوازن. ومن المثير للاهتمام أنه في معظم الحالات، لا يفهم المرضى تمامًا علم الأدوية الموصوفة لهم، ومع ذلك يتقنون بطبيبتهم ويتبعون العلاج. ومع ذلك، فإن الله تعالى لا يطلب من الناس اتباع هدايته بشكل أعمى، بل يدعوهم إلى التأمل في تعاليم الإسلام، وملاحظة حكمته، والتعرف على صدقه من خلال الأدلة الواضحة والنتائج العملية. وهذا يتطلب من الشخص أن يتعامل مع تعاليم الإسلام بعقل منفتح وغير متحيز. حينها فقط يمكنهم إدراك التناعم

العميق بين الهداية الإلهية وخير الإنسان، وعندها فقط سيستفيدون حقًا من المعرفة التي أنزلها الله تعالى
سورة يوسف، الآية ١٢: ١٠٨. لنجاحهم في الدنيا والآخرة

"...قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني"

بالإضافة إلى ذلك، بما أن الله تعالى هو وحده المسيطر على قلوب الناس الروحية - دار الطمأنينة - فهو وحده
الذي يقرر من ينالها ومن يُحرم منها. سورة النجم، الآية 43

"وأنه هو الذي أضحك وأبكى"

ومن الواضح أن الله تعالى لا يمنح الطمأنينة إلا لمن استغلّ نعمه على الوجه الصحيح، كما هو مبين في هدي
القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. سورة الحج، الآية 50

آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم والذين

توضح هذه الآية أيضًا أن الله تعالى لا يطلب الكمال من أحد، ولا يتوقعه منه، بل يتوقع من الناس السعي
بصدق وإخلاص في طاعته، مستخدمين النعم التي أنعم الله عليهم بها كما وردت في التعاليم الإسلامية. ومن
اتبع هذه النعم يُغفر له ما وقع منه من الذنوب ما لم يُصر عليها، لأن ذلك ينافي السعي في طاعة الله تعالى
(سورة الحج، الآية 50)

"لهم مغفرة ورزق كريم ..."

الرزق الكريم المذكور في هذه الآية يشمل أعظم نعمة دنيوية يمكن للإنسان أن ينالها :راحة البال .من الضروري إدراك أن جميع الممتلكات والإنجازات الدنيوية - سواء أكانت شهرة أم ثروة أم سلطة أم عائلة أم أصدقاء أم مهنة - لا قيمة لها إلا إذا صاحبها راحة بال .فبدون راحة البال، تصبح هذه الأشياء التي يسعى الناس إليها غالبًا مصدرًا للتوتر والقلق والمشقة، في الدنيا والآخرة .تتجلى هذه الحقيقة عندما نتأمل حياة الأثرياء والمشاهير .فرغم تمتعهم بالرفاهية والنفوذ والإعجاب، لا يزال الكثير منهم يعاني من اضطراب داخلي واضطرابات نفسية .نجاحهم الظاهري لا يحميهم من القلق، ولا يوفر لهم الرضا الذي ينشدونه .وهذا يدل على أن راحة البال لا تكمن في كثرة الممتلكات، بل في حسن استخدام النعم وفقًا للهداية الإلهية .لذا، فإن راحة البال الحقيقية هي الأساس الذي تكتسب عليه جميع النعم الأخرى معنى .بدونها، تُصبح الثروة عبئًا والسلطة مصدرًا للخوف، وحتى العائلة والأصدقاء قد يصبحون مصدرًا للضيق .ومع ذلك، فيها، حتى أبسط النعم تُنعم بالامتنان والتوازن والانسجام .هذا الرزق - راحة البال - هو ما يرتقي بالحياة في الدنيا ويُهيئ من خلال تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء، الإنسان للنجاح الأبدي في الآخرة .وكل شخص في حياته على النحو الصحيح

لكن، بما أن طاعة الله تعالى غالبًا ما تتعارض مع رغبات الناس وطموحاتهم الدنيوية، فإن الكثيرين يستمرون في معصيته بإساءة استخدام النعم التي أنعم بها عليهم .إن سعيهم وراء الملذات الدنيوية والكسب المادي يعميهم عن الغاية الأسمى من هذه النعم، ويبعدهم عن السلام والرضا الحقيقيين .ونتيجة لذلك، يصابون بحالة نفسية وجسدية غير متوازنة، ويفقدون القدرة على وضع كل شيء وكل شخص في مكانه الصحيح في حياتهم .وتتشوه أولوياتهم - فيُقدِّرون ما لا قيمة له ويهملون ما هو مهم حقًا .ونتيجة لذلك، يفشلون في الاستعداد الكافي لحسابهم يوم القيامة .يتجلى هذا الخلل الروحي والعاطفي في حياتهم اليومية على شكل توتر دائم وعدم رضا وصراع .حتى لو تظاهروا بالتمتع بملذات الدنيا ورفاهيتها، تبقى قلوبهم قلقة وعقولهم مضطربة .لا يجتمع السلام الحقيقي مع معصية الله تعالى، لأن الانسجام الداخلي محفوظ لمن يعيش وفق مشيئته .لذلك فإن أولئك الذين يستغلون النعم في الغرور الدنيوي سيجدون أن ثروتهم ونجاحهم لا يؤديان إلا إلى تعميق فراغهم الداخلي، وإثقال كاهلهم في الدنيا والآخرة

علاوة على ذلك، ولأن تعاليم الإسلام تدعو الناس إلى ضبط شهواتهم الدنيوية والتحكم فيها، فإن أولئك الذين لا غرض لهم في الحياة سوى إشباع هذه الشهوات غالبًا ما يردون بالعداء والنقد. تكشف مبادئ الإسلام حقيقة سلوكهم، كاشفةً كيف أن التساهل المفرط يُخضع الإنسان لغرائزه الدنيئة بدلًا من العقل والهدف الأسمى، مما يجعله يبدو حيوانيًا في طبيعته. بدلًا من التأمل والإصلاح، يختارون السخرية ممن يسعون إلى ضبط النفس والنمو الروحي، إذ يُذكرونهم بضعفهم الأخلاقي وانعدام سيطرتهم. علاوة على ذلك، تستفيد صناعات وشركات بأكملها من التساهل المفرط في الشهوات، سواء من خلال تعزيز الجشع أو الشهوة أو الإدمان أو المادية. هذه الكيانات، خوفًا من تراجع الربح والنفوذ، تُعارض بشدة القيم الإسلامية التي تُشجع على الاعتدال والرضا والانضباط الأخلاقي. من خلال وسائل الإعلام والترفيه والتسويق، يسعون إلى تطبيع السلوك المفرط وتمجيده، وتشجيع الناس على الابتعاد عن الهداية الإلهية وخدمة أهوائهم. سيتضاعف عقاب هؤلاء، إذ لم يضلوا أنفسهم فحسب، بل أصبحوا أدوات ضلال للآخرين. وسعيهم لإطفاء نور الإسلام في مجتمعاتهم وإبعاد الآخرين عن طريق الحق، إنما يرتكبون ظلمًا جسيمًا في حق أنفسهم وفي حق البشرية جمعاء. قد تبدو معارضتهم قوية في الدنيا، لكنهم في الحقيقة يُعجلون بهلاكهم في الآخرة، حيث يُنزع عنهم نفوذهم وغطرستهم، ليوافقوا عواقب عصيانهم لله تعالى. سورة الحج، الآية 51

«ومن سعى في آياتنا ليعجز عنها أولئك أصحاب الجحيم»

من أهم أسباب معارضة الأفراد للتعاليم الإسلامية ميلهم إلى التقليد الأعمى للأغلبية واتباع الرأي السائد في المجتمع. غالبًا ما يؤدي هذا التقليد غير النقدي إلى معصية الله تعالى، لأن سلوك الأغلبية غالبًا ما يتعارض مع الهداية الإلهية. عندما يلاحظ الناس إهمالًا واسع النطاق للتعاليم الإسلامية، قد يفترضون أن الأغلبية على صواب، ونتيجة لذلك، يتبعونها دون تفكير أو تمييز. في الواقع، لا يتوافق رأي الأغلبية دائمًا مع الحقيقة. يقدم التاريخ نفسه أمثلة عديدة على معتقدات شائعة ثبت لاحقًا بطلانها، مثل الاعتقاد الخاطئ الشائع سابقًا بأن الأرض مسطحة. لهذا السبب، من الضروري تجنب السلوك كالأنعام، والتقليد الأعمى للجماهير دون تفكير. غالبًا ما يؤدي هذا السلوك إلى خيارات مضللة، ليس فقط في الأمور الروحية، بل أيضًا في شؤون الدنيا. سورة الأنعام، الآية 116

وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يظنون

بدلاً من اتباع الأغلبية دون تفكير، يُدعى الأفراد إلى استخدام المنطق والعقل اللذين أنعم الله عليهما بهما. ينبغي تقييم كل ظرف على أساس المعرفة والدليل، مما يسمح باتخاذ القرارات ببصيرة، حتى لو خالفت تلك، القرارات التوجهات الاجتماعية السائدة. ينتقد الإسلام بشدة التقليد الأعمى في أمور الدين لهذا السبب تحديداً، ويشجع المؤمنين على التعلم والتأمل والعمل بتعاليم الإسلام بفهم. سورة يوسف، الآية 108

"...قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني"

وهكذا، فإن طريق الحق لا يُحدّد بالكثرة أو الشعبية، بل بالعلم والتدبر والتمسك بالهدى الإلهي. من يعمل ببصيرة يصون نفسه من الضلال، ومن يتبع الأكثرية دون تفكير يُعرّض نفسه للضلال في أمور الدنيا والدين.

في الحقيقة، كل من يبتعد عن منهج الإسلام، ويتبع أنظمة من صنع البشر، إنما يفعل ذلك لسبب رئيسي واحد: إشباع رغباته الدنيوية. جميع مناهج السلوك التي وضعها البشر، مهما بدت راقية أو مثقفة، تنبع في نهاية المطاف من رغبات الناس وتحيزاتهم وفهمهم المحدود. إنها مصممة لخدمة طموحات دنيوية لا غاية إلهية. مُقدمة راحتهم الشخصية وسلطتهم ومكاسبهم المادية على النزاهة الأخلاقية والمسؤولية الروحية. غالباً ما يكون الأغنياء والأقوياء الأكثر رسوخاً في هذه العقلية. إنهم يدركون أن قبول حقيقة الإسلام بصدق يتطلب منهم الخضوع لسلطة أخلاقية عليا - سلطة تضع حدوداً واضحة لكيفية استخدام الثروة والسلطة والنفوذ. هذا الخضوع سيحد حتماً من قدرتهم على التصرف وفقاً لأهوائهم واستغلال الآخرين لمصالحهم الشخصية. وهكذا، بدلاً من التواضع أمام الله تعالى، يختارون الحفاظ على امتيازاتهم الدنيوية بمعارضة هدايته. بدافع الخوف من فقدان سيطرتهم ومكانتهم، يسعى هؤلاء الأفراد في كثير من الأحيان إلى التأثير على الآخرين وتشجيعهم على تبني نفس الأيديولوجيات الأنانية. ومن خلال ثروتهم ونفوذهم وسيطرتهم على السرديات المجتمعية، يحاولون إعادة تشكيل القيم الأخلاقية بحيث تصبح الرغبة الجامحة هي القاعدة ويتم رفض التوجيه الإلهي باعتباره مقيداً أو قديماً. ويشهد التاريخ بوضوح على هذا النمط. غالباً ما كان الأثرياء والأقوياء أول

من رفض وعارض الأنبياء عليهم السلام - ليس لأنهم يفتقرون إلى دليل على الحقيقة، ولكن لأن الاعتراف بها يعني التنازل عن سلطتهم للعدالة الأخلاقية والاجتماعية التي تقتضيها الشريعة الإلهية. لم تتبع معارضتهم من شك فكري بل من الغطرسة والتعلق بالانغماس في الملذات الدنيوية. في النهاية، يعمل تحديهم كتذكير بأن الكفر غالبًا ما يكون أقل من سوء فهم وأكثر من اختيار متعمد لإعطاء الأولوية للرغبة على الحقيقة.

لما كان الأنبياء عليهم السلام حريصين على هداية الآخرين، راجين أن ينال الناس راحة البال في الدنيا والآخرة، وأن ينجو من العذاب، سعى الشيطان إلى استغلال هذا الحرص النبيل. وحاول إقناعهم بتقديم تنازلات صغيرة، تبدو تافهة، في تعاليم الإسلام، خفية بما يكفي كي لا تبدو إثمًا، لكنها كافية لتشويه نقاء الرسالة الإلهية وسلامتها. سورة الحج، الآية 52

"...وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمُومِهِ "

على سبيل المثال، كان النبي محمد صلى الله عليه وسلم حريصًا على هداية الناس، راغبًا في أن يعتنقوا الإسلام لمصلحتهم وسعادتهم الأبدية. شمل رحمته الجميع، لكنه كان حريصًا بشكل خاص على أن يقبل قادة، غير المسلمين الحقيقة، مدركًا أن تأثيرهم قد يدفع الكثير من أتباعهم إلى فعل الشيء نفسه. في إحدى المرات أبدى أشراف مكة استعدادهم للتحدث مع النبي محمد صلى الله عليه وسلم بشأن الإسلام. لكنهم اشترطوا لهذا اللقاء: طلبوا عزل أصحابه الفقراء والمساكين، رضوان الله عليهم، لأنهم لم يرغبوا في الجلوس معهم عندها. وحرصًا منه على قبولهم المحتمل للإسلام، فكر النبي محمد صلى الله عليه وسلم في طلبهم للحظة: أنزل الله تعالى الآيات التالية: سورة الأنعام، الآيات 52-54

ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه. ليس عليك منهم شيء وليس عليهم مما لك من شيء. فإن طردتهم إذا كنت من الظالمين. وكذلك فتننا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله علينا؟ أليس الله بأعلم بالشاكرين. وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءًا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فإنه غفور رحيم.

وقد تقدم هذا في أسباب النزول للإمام الواحدى 6: 52 ص 76

ونزلت الآية التالية لاحقاً تشجيعاً للنبي محمد صلى الله عليه وسلم على مصاحبة أصحابه رضي الله عنهم في
:سورة الكهف، الآية ٢٨. كل وقت

واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة
الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً

أسباب النزول للإمام الواحدى ج 18: 28 ص 123

لقد أوضح الله تعالى أن التنازل عن تعاليم الإسلام، حتى في أصغر الأمور، أمرٌ مرفوض. فتنازل واحد، وإن لم يكن في حد ذاته إثماً، إلا أنه غالباً ما يفتح الباب أمام تنازلات أخرى، قد تؤدي مع مرور الوقت إلى الإثم مباشرةً. ولذلك، يُؤمر المؤمن بالثبات على تعاليم الإسلام دون تحريف أو تغيير. فبالالتزام الراسخ بالهدى الإلهي وحده تُهدم جميع أشكال الضلال ويُثبت القلب على الصراط المستقيم. هذا الثبات يحفظ الإنسان من الاضطراب والاضطراب، ويُمكنه من بلوغ راحة البال الحقيقية في الدنيا والآخرة. وبالتمسك بتعاليم الإسلام يحقق الإنسان التوازن النفسي والبدني، ويتعلم أن يضع كل شيء وكل شخص في حياته وفقاً لميزانه الصحيح وهكذا، فإن التنازل في أمور الإيمان ليس بالأمر الهين، بل هو خطوة خطيرة قد تُضعف تدريجياً يقين الإنسان وسلوكه. إن السلامة الحقيقية تكمن في الالتزام الراسخ بهدى الله تعالى، الذي وحده يضمن الوضوح والالتزان: سورة الحج، الآية 52. والسكينة الدائمة في الدنيا والفلاح الأبدي في الآخرة

"فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته وكان الله عليماً حكيماً ..."

لذلك، يجب التمسك بمصدري الهداية - القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم - في جميع الأوقات، دون تحريف أو تفريط. فهذان المصدران يضمنان الإطار الكامل والكامل للعقيدة والعبادة والسلوك، ويحفظان الإنسان من الوقوع فريسة لمكائد الشيطان. وأي محاولة للبحث عن مصادر بديلة للمعرفة الدينية قديمة كانت أم حديثة، تفتح باب الضلال لا محالة. يستغل الشيطان هذا الفضول بمكر، فيغري الناس بالعمل، بتعاليم تعدهم بمنافع دنيوية أو اختصارات روحية، لكنها في النهاية تبعدهم عن طاعة الله تعالى. سورة الحج: الآية 53

"ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن الظالمين لفي شقاق بعيد "

بما أنه لا يحدث شيء في الكون إلا بإذن الله تعالى، فقد نُسبت النتيجة إليه، ولكن من الواضح من هذه الآية أن هذه النتيجة هي نتيجة مباشرة لأفعال الشخص نفسه عندما يسعى ظلاً وراء رغباته الدنيوية في معصية زاد عمل الشخص بناءً الله تعالى، وذلك من خلال العمل على مصادر بديلة للمعرفة الدينية. في الواقع، كلما على الأفكار أو العادات أو الممارسات الروحية التي تنشأ من خارج المصدرين الأصليين، حتى لو بدت فاضلة في الظاهر، كلما ابتعد عن الهداية الحقيقية. يؤدي هذا الانفصال التدريجي إلى تحول خفي ولكنه خطير - فالأعمال الصالحة التي تتم وفقاً للتعاليم المشوهة تفقد قيمتها الروحية وقد تتحول حتى إلى أعمال عسيان. ولهذا السبب، حذر النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم في حديث موجود في سنن أبي داود رقم 4606، من أن أي أمر لا يتجذر في مصدري الهداية سيرفضه الله تعالى. ويسلط هذا البيان الضوء على أن الإخلاص وحده لا يكفي؛ يجب أن تكون الأفعال مبنية على الحقيقة. علاوة على ذلك، عندما يعتمد الناس على مصادر غير موثوقة للمعرفة الدينية، يصبحون أهدافاً سهلة للخداع، وخاصة في أوقات الشدة. في مثل هذه اللحظات، يتلاعب بهم الشيطان ليتبعوا ممارسات تتعارض مع تعاليم الإسلام. على سبيل المثال، قد يُنصحون بممارسة "تمارين روحية" تتحدى أسس العقيدة الإسلامية، أو بالاستعانة بقوى غير الله تعالى تدريجياً، قد يبدأون في اعتناق معتقدات تتعارض مع جوهر رسالة القرآن الكريم - مثل افتراض أن الناس أو الأولياء أو الكائنات الخارقة للطبيعة لديهم القدرة على المصير أو يمكنهم التأثير بشكل مستقل على النتائج

يمكن أن يتفاقم هذا الفهم الفاسد إلى الكفر الصريح، كما يتضح من أولئك الذين يمارسون أعمالاً محرمة مثل
:سورة البقرة، الآية 102. السحر الأسود

وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت...
"...وमारوت. وما يعلمان أحداً حتى يقولوا إنما نحن فتننة فلا تكفر

هذه الآية بمثابة تحذير عميق: قد يفقد الإنسان إيمانه تدريجياً ودون وعي، لمجرد اعتياده على اتباع أفكار
دينية غير مشروعة. كل انحراف طفيف عن التعاليم الأصلية للقرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه
وسلم، يقربه خطوة إلى طريق الشيطان. فالعمل بالبدع الدينية - مهما بدت بريئة أو جذابة - هو في النهاية
اتباع لنهج الشيطان، الذي يُضل الناس شيئاً فشيئاً حتى ينقطعوا تماماً عن نور الهداية. سورة البقرة، الآية
208:

يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين

:وسورة الحج الآية 53

"ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن الظالمين لفي شقاق بعيد "

لتحصين النفس من كيد الشيطان، لا بد من تطهير القلب الروحي وتطهيره بتنمية إيمان راسخ وقوي. فهذا الإيمان ضروري للثبات على طاعة الله تعالى في كل أحواله، في السراء والضراء. وينمو هذا الإيمان الراسخ بفهم وتطبيق الآيات والتعاليم الواضحة في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. فهذه المصادر الإلهية تُثبت أن طاعة الله تعالى هي سبيل السلام والرضا في الدنيا والفلاح الأبدي في الآخرة. أما من يفتقر إلى معرفة المبادئ الإسلامية، فيضعف إيمانه حتمًا، مما يجعله عرضة للانحراف عن الطاعة، لا سيما عندما تتعارض أهوائه الشخصية مع الهداية الإلهية. هذا النقص في الفهم يُعميهم عن حقيقة أن التخلي عن شهواتهم لاتباع أوامر الله تعالى هو مفتاح السكينة الدائمة في الدنيا والآخرة. لذلك، من الضروري أن يُعزز الأفراد إيمانهم بالسعي وراء المعرفة الإسلامية، والأهم من ذلك، تطبيقها باستمرار. وبذلك، يضمنون ثبات طاعتهم لله تعالى في جميع الأوقات. تتضمن هذه العملية حسن استغلال النعم التي وهبت لهم وفقًا للتعاليم الإسلامية مما يؤدي بدوره إلى حالة نفسية وجسدية متوازنة وتنظيم سليم لجميع جوانب حياتهم. وهكذا، يكون الإيمان القوي درعًا من مكائد الشيطان وأساسًا لحياة صفاء وتوازن وسلام، يهدي المرء بثقة إلى راحة البال في الدنيا والنجاة في الآخرة.

بالإضافة إلى ذلك، عندما يتعلم الشخص التعاليم الإسلامية ويعمل بها بإخلاص، فإنه سينمي الصفات الإيجابية التي تؤكد عليها - مثل الكرم والصبر والتواضع والشكر - مع تجنب الصفات السلبية التي يُحذر منها، بما في ذلك الحسد والجشع والغرور والكبرياء. هذه العملية تطهر القلب الروحي تدريجيًا، مما يخلق حالة داخلية من الطمأنينة والصفاء. ومع تطهير القلب، تعكس كلمات الشخص ونواياه وأفعاله بشكل طبيعي الخير والنزاهة بما يتماشى مع التوجيه الأخلاقي للإسلام. وقد تم تسليط الضوء على هذا المبدأ في حديث موجود في صحيح البخاري، رقم 52، والذي يؤكد أن القلب السليم ينتج أقوالًا وأفعالًا صالحة. يمتد التأثير المضاعف لهذا التحول إلى ما وراء البعد الروحي. عندما تتماشى الأفعال والأقوال مع الفضيلة، فإن الشخص يختبر راحة بال متزايدة، ورفاهية عقلية وجسدية متوازنة، وحياة متناغمة يتم فيها وضع الأشخاص والمسؤوليات والممتلكات بشكل صحيح. بهذه الطريقة، لا يُغذي الالتزام بالتعاليم الإسلامية النمو الروحي فحسب، بل يؤمن أيضًا حياة: سورة الحج، الآية 52. مستقرة ومرضية، ويُهيئ الفرد للنجاح والسكينة في الدنيا والآخرة.

"فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته وكان الله عليماً حكيماً..."

عمومًا، مهما بلغ تقدم أي مجتمع، ومهما بلغ من المعرفة في مختلف التخصصات - بما في ذلك فهم الجوانب العقلية والجسدية للإنسان - يبقى من المستحيل تمامًا على البشرية وضع قواعد سلوك تتوافق تمامًا مع الطبيعة البشرية، وقادرة على معالجة جميع الظروف والأحوال والسيناريوهات التي قد يواجهها الأفراد أو المجتمعات طوال وجودهم على الأرض. ينشأ هذا القيد لأن المعرفة البشرية ناقصة بطبيعتها، وفي تطور مستمر. يواصل الناس اكتشافات جديدة حتى في أبسط عناصر طبيعتهم، مثل وظائف الدماغ البشري أو تعقيدات السلوك العاطفي والاجتماعي. لذا، من غير المعقول أن تتمكن كائنات محدودة، لا تزال تتعلم عن نفسها، من وضع نظام أخلاقي أو اجتماعي معصوم من الخطأ يضمن الانسجام والعدل والسلام. وحده الله تعالى يملك المعرفة والحكمة المطلقة اللازمتين لوضع قواعد سلوك كاملة وشاملة كهذه. وبصفته خالق كل شيء، فإن علمه يشمل الماضي والحاضر والمستقبل، والظاهر والباطن. تُراعي توجيهاته كل موقف وتجربة إنسانية ممكنة، ضامنةً الحفاظ على التوازن بين الرفاهية الروحية والعقلية والجسدية. لذلك، فإن القانون الإلهي الذي كشفه القرآن الكريم وأحاديث النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم هو المعيار الوحيد القادر على التمييز بين الصواب والخطأ، والنفع من الضرر، وإرشاد الناس إلى راحة البال الحقيقية وسط اضطراب الحياة الدنيا. وتؤكد الأدلة التاريخية بوضوح هذه الحقيقة. كلما طُبّق التوجيه الإلهي بإخلاص داخل المجتمع، أدى ذلك إلى ازدهار العدالة والرحمة والتوازن المجتمعي. عاش الناس بهدف وانسجام، وبُنيت علاقاتهم على الإنصاف والاحترام المتبادل. في المقابل، كلما اعتمدت البشرية فقط على الأنظمة التي صنعها الإنسان، أدى ذلك إلى اختلال التوازن والقمع والانحلال الأخلاقي - أعراض أساس معيب متجذر في الرغبة البشرية بدلاً من الحكمة الإلهية. لذلك، يجب على كل إنسان أن يتقبل قواعد السلوك الإلهي رحمةً ونعمةً من الله تعالى، مُدركًا أنها وحدها تضمن له العافية التامة، حتى وإن بدت بعض الأوامر مُخالفةً لرغباته الشخصية. وعليهم أن يتعاملوا مع الوصايا الإلهية كما يتبع المريض الحكيم نصيحة الطبيب الماهر - مُدركين أن العلاج قد يكون صعبًا أو مُرهقًا، مع الثقة بأنه يُؤدي إلى الشفاء والصحة المُستدامة. وبالمثل، فإن من يتبع إرشاد الله تعالى بإخلاص من خلال تحقيق حالة نفسية وجسدية، وتواضع، سيُحقق في النهاية السلام والتوازن والنجاح في الدنيا والآخرة: سورة الحج، الآية 54. مُتوازنة، ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في حياته على النحو الصحيح

وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخضع له قلوبهم وإن الله لهاد الذين آمنوا إلى صراط "مستقيم"

ولكن بما أن طاعة الله تعالى غالبًا ما تتعارض مع شهوات الأفراد الدنيوية، فإن حكمهم غالبًا ما يُحجب برغبة سورة . في ملذات الدنيا. وهذا يمنع الكثيرين من فهم التعاليم الإسلامية وقبولها وتطبيقها على نحو حقيقي: الحج، الآية 55

«...ولا يزال الذين كفروا في شك منه »

. عندما تغمر الإنسان شهوات الدنيا، يفقد السيطرة على خياراته وأفعاله، ويصبح عبدًا لرغبة الإشباع الدائمة. في هذه الحالة، لا يعود يُفكر في العواقب بعيدة المدى لسلوكه، سواءً أكانت أخلاقية أم روحية أم حتى جسدية. يمكن تشبيه هذه الحالة بحالة مدمن المخدرات، الذي يدفعه إدمانه إلى سلوك هدام. قد يلجأ مثل هذا الشخص إلى السرقة أو الخداع لإشباع شهواته، غافلاً عن الأذى الذي يلحقه بنفسه وبالأخرين. وبالمثل، عندما يستهلك قلب الفرد شهوات دنيوية مفرطة - كالسعي الدؤوب وراء الثروة أو المكانة أو السلطة - تُصبح هذه الشهوات إدمانًا يُسيطر على عقله ويُملي عليه سلوكه. هذا الإدمان على الشهوات يُخدر الضمير تدريجيًا، ويُشوّه إدراك ونتيجة لذلك، يُصرّ هؤلاء المرء للصواب والخطأ، ويؤدي إلى قرارات متهورة تُضر بالجسد والروح الأفراد على معصية الله تعالى، مُستغلين النعم التي وهبت لهم باستمرار. يمنعهم سلوكهم من تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، ويدفعهم إلى إهمال كل شيء وكل شخص في حياتهم. ونتيجة لذلك، فإن ما كان يُفترض أن يكون مصدر راحة - كالعائلة والأصدقاء والعمل والثروة - يصبح مصدرًا للتوتر والقلق وعدم وعندما يُصرون على هذه الحالة من الإهمال، يبدأون في توجيه اللوم على تعاستهم للآخرين، كالزوج. الرضا أو الأبناء أو الزملاء، مُغفلين أن السبب الجذري يكمن في عصيانهم وإساءة استخدامهم للنعم الإلهية. ومع إبعادهم هؤلاء الأشخاص الطيبين والداعمين عن حياتهم، يتعمق فراغهم الداخلي، مُفاقمًا قلقهم وعدم استقرارهم النفسي. ومع مرور الوقت، قد تُؤدي هذه الدوامة المتدهورة إلى ضائقة نفسية شديدة، واكتئاب وإدمان، وحتى ميول انتحارية، إذ يبحثون بيأس عن الرضا في كل مكان خاطئ. تتجلى هذه النتيجة جليةً في حياة الكثيرين ممن يُصرون على إساءة استخدام النعم - وخاصةً بين الأغنياء والمشاهير - الذين غالبًا ما يُعانون، على الرغم من مظاهر الرفاهية والنجاح الظاهرية، من مشاكل نفسية حادة. ثروتهم وشهرتهم ونفوذهم، بدلًا من أن تجلب لهم السكينة، تصبح أدوات لبؤسهم. يخلط هؤلاء بين اللذة العارضة والقناعة الحقيقية، ليجدوا أن الانغماس في الدنيا لا يسد فراغ القلب المنصرف عن الله تعالى. ولأن هذا الموقف يمنعهم من الاستعداد للحساب يوم القيامة، فإن عذابهم في الآخرة سيكون أشد وطأة. هناك، ستتلاشى أو هام النعيم الدنيوي، وسيواجهون حقيقة خياراتهم - فقد استبدلوا السكينة الأبدية بلذة زائلة. سورة الحج، الآية 55

"ولا يزال الذين كفروا في شك منه حتى تأتيتهم الساعة بغتة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم "

من العوامل المهمة التي تُسهم في تردد الفرد في اعتناق التعاليم الإسلامية والعمل بها، التمسك المطلق بالأعراف المجتمعية السائدة. وكثيراً ما تُشكّل هذه الأعراف شريحةً قويةً ومؤثرةً من المجتمع تُعطي الأولوية، لتحقيق طموحاتها وشهواتها الدنيوية. ومن الضروري أن يتجنب المرء هذا النوع من التماهي غير النقدي، لأن السلوك الشائع بين العامة غالباً ما يدفعه نحو أفعالٍ تُشكّل معصيةً لله تعالى. فعندما يرى المرء أن غالبية الناس تُخالف المبادئ الإسلامية، قد يستنتج خطأً أن سلوك الأغلبية هذا صحيحٌ بالضرورة، مما يدفعه إلى اتباعها دون تفكيرٍ دقيقٍ أو تفكيرٍ نقدي. ومع ذلك، فإن رأي الأغلبية ليس صحيحاً بطبيعته. فقد أظهرت السوابق التاريخية بوضوح حالاتٍ ثبت فيها لاحقاً بطلان معتقداتٍ شائعةٍ أو إجماعٍ شعبي، مثل الفكرة السائدة سابقاً بأن الأرض مسطحة، بأدلةٍ ورؤى جديدة. لذلك، من الضروري أن يتجنب الأفراد سلوك القطيع الطائش باتباع الرأي السائد باستمرار، لأن هذا الميل غالباً ما يؤدي إلى سوء تقدير واختيارات خاطئة في أمور الدنيا: سورة الأنعام، الآية ١١٦. والدين

وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يظنون

بدلاً من التقليد الأعمى للآخرين، يُنصح الناس بالاستعانة بما لديهم من عقلٍ وحكمة لتقييم كل موقفٍ بناءً على المعرفة والدليل الواضح. هذا التقييم الدقيق يُمكنهم من اتخاذ قراراتٍ مدروسة، حتى لو انحرفت تلك القرارات بشكلٍ حادٍّ عما يقبله الجمهور. في الواقع، ينتقد الإسلام بشدة التقليد الأعمى في مسائل الإيمان لهذا السبب: تحديداً، مما يُشجع المسلمين على فهم حقيقيٍ للتعاليم الإسلامية قبل تطبيقها. سورة يوسف، الآية 108

"...قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني"

:سورة الحج، الآية 55

«...ولا يزال الذين كفروا في شك منه »

بالنسبة للمسلمين، قد يدفع ضعف الإيمان المرء إلى الشك في أن العمل بتعاليم الإسلام يجلب راحة البال في الدنيا والآخرة. ونتيجة لذلك، قد يُصرّ هذا الفرد على معصية الله تعالى، مُسيءًا استخدام النعم التي وُهِبَتْ له مع أنه يُصرّ على الإيمان به لفظيًا. ونتيجة لذلك، سيعاني من حالة نفسية وجسدية غير متوازنة، ويُسيئ تقدير كل شيء وكل شخص في حياته، ويفشل في الاستعداد جيدًا للحساب يوم القيامة. سيؤدي هذا حتمًا إلى التوتر سورة الحج، الآية. والمشقة والصعوبة في الدنيا والآخرة، حتى لو كان يتمتع ظاهريًا ببعض الرفاهية الدنيوية 55:

"حتى تأتيهم الساعة بغتة أو يأتهم عذاب يوم عقيم"

لمنع هذه النتيجة المدمرة، يجب على المرء أن يبني إيمانًا قويًا ويحافظ عليه. إن الإيمان الراسخ والثابت ضروري للبقاء ثابتًا في طاعة الله تعالى، في كل أحواله، سواء في السراء والضراء. هذا الإيمان بمثابة مرساة، تمنع الإنسان من الانجراف وراء عواصف الفتن أو المخاوف أو الشهوات الدنيوية. هذا الإيمان الراسخ لا يتحقق بمجرد الكلمات أو المعتقدات الموروثة، بل بفهم واعٍ، واستيعاب، وتطبيق التوجيهات الواضحة الواردة في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. من خلال هذه التعاليم الإلهية يتعلم المرء أن الطاعة الحقيقية لله تعالى تؤدي إلى سلام دائم ورضا ونجاح في الدنيا والآخرة. يتضح أن السكينة الحقيقية لا تكمن في ملذات الدنيا الزائلة، بل في مواعمة إرادته مع طاعة الله تعالى. على النقيض من ذلك، فإن من يجهلون مبادئ الإسلام أو يهتمون دراستها وتطبيقها سيمتلكون حتمًا إيمانًا ضعيفًا وغير ثابت وهؤلاء الأفراد أكثر عرضة للتعثّر عندما تتعارض رغباتهم الشخصية مع الهداية الإلهية، مما يسمح للإغراءات والملهيات الدنيوية بتشويش حكمهم. هذا النقص في الفهم الروحي يعميهم عن الحقيقة - وهي أن التخلي عن الرغبات في سبيل الله تعالى ليس خسارة، بل هو الطريق الأسنى للحرية والوئام والسلام الداخلي. المؤمن الحقيقي يدرك أن كل أمر من أوامر الله تعالى مستمد من حكمة ورحمة إلهيتين، يهدف إلى تحقيق التوازن للفرد والمجتمع. لذلك، يجب على الأفراد السعي الجاد لتقوية إيمانهم من خلال السعي وراء المعرفة الدينية الأصيلة والممارسة المستمرة. وهذا يتطلب التأمل في القرآن الكريم بانتظام، والتعلم من أحاديث النبي

محمد صلى الله عليه وسلم، وتطبيق هذه الدروس في حياتهم اليومية .عندما يُقَوَّى الإيمان بهذه الطريقة يتمكن الإنسان من استغلال النعم التي وُهِبَتْ له - كالمال والصحة والوقت والنفوذ - على الوجه الذي يرضي الله تعالى .ونتيجةً لذلك، يحقق توازنًا في الحالة النفسية والجسدية، ويُرتَّب مسؤولياته على الوجه الأمثل فيجد راحة البال في الدنيا والآخرة .وبما أن سلوكه يضمن له الاستعداد العملي للحساب يوم القيامة، فإنه ينال راحة البال والجزاء الأبدي في الآخرة أيضًا .سورة الحج، الآية 56

"إن الملك يومئذ لله يحكم بينهم فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات ففي جنات النعيم "

ومع ذلك، وكما حدّثت الآية التالية، فإنّ من ضعف إيمانه، فيصيرّ على معصية الله تعالى، لأنّ التعاليم .سورة الحج، الآية 57 .الإسلامية تتعارض مع رغباته الدنيوية، يُعرّض نفسه للرحيل عن الدنيا بغير إيمانه

كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك لهم عذاب مهين والذين

يُشَبَّه الإيمان بشعلةٍ رقيقةٍ تتطلب عنايةً واهتمامًا دائمين .فكما تخبر النار تدريجيًا حتى تخدم في النهاية إذا فقد وقودها، كذلك يضعف الإيمان ويواجه خطر الانطفاء إذا لم يُغذَّ باستمرارٍ بالطاعة والتأمل والإخلاص لله تعالى .يأتي هذا الغذاء من تعلم التعاليم الإسلامية والعمل بها، مما يضمن حسن استخدام النعم الممنوحة .إن إهمال هذه التربية الروحية يجعل الإنسان عرضة للحيرة والضلال، وهيمنة الشهوات الدنيوية، التي قد تحجب بسهولة طريق الصلاح .فبدون نور الإيمان المُستدام، يفقد الإنسان بوصلته الداخلية التي تُوجّه أفعاله وأفكاره وقراراته، مما يجعله عرضة للتوتر والقلق والزلات الأخلاقية .وكما تُضفي النار الدفء والنور، وتُثير ما حولها، وتجعل الحياة آمنةً ومُيسرةً، يُنير الإيمان القلب، ويمنحه صفاءً ومرونةً وراحة بال .إن فقدان هذا النور من أعظم الخسائر التي قد يتعرض لها الإنسان، إذ يحرمه ليس فقط من الهداية في الدنيا، بل أيضًا من الاستعداد للحساب الأبدي في الآخرة .ويتطلب الحفاظ على الإيمان، في جوهره، يقظةً وتغذيةً روحيةً منتظمةً ومواءمةً دائمةً بين أفعال المرء وتعاليم القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم .وبهذا، تبقى شعلة الإيمان ساطعةً، تحفظ القلب، وتهدي العقل، وتُمكنه من حياةٍ متوازنةٍ هادئةٍ، وهادئةٍ في الدنيا والآخرة

من خلال تحقيق حالة ذهنية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في حياته على الوجه الصحيح.

من طاعة الله تعالى وإثبات الإيمان به، وخاصةً صحابة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، الهجرة من مكة إلى المدينة. ولما كان ترك الأهل والأصدقاء مسعىً خطيرًا وشاقًا، فقد شجعهم الله تعالى بتذكيرهم بأنهم ما داموا مخلصين لله تعالى، فسيفلحون، إما بوصولهم إلى المدينة المنورة ونصرة الإسلام، أو يموتون في الطريق. وينالون الجنة، وهي دار خير من أي دار يهاجرون إليها على هذه الأرض. سورة الحج، الآيتان 58-59.

والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقًا حسنًا، وإن الله لهو خير الرازقين، وليدخلنهم مدخلًا يرضونه، وإن الله عليم حلِيم.

ضمرة، رضي الله عنه، رجلًا غنيًا أعمى من مكة، أسلم. ورغم إعفائه من فريضة الهجرة إلى المدينة المنورة، لإعاقته، عزم على القيام بهذه الرحلة طلبًا للأجر والرفقة بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم. ولكن مع الأسف، توفي في هذه الهجرة، فنزلت الآية التالية في حقه تقديرًا لنيته الصادقة وجهده. سورة النساء، الآية ١٠٠.

ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرًا وسعة. ومن يخرج من بيته مهاجرًا إلى الله ورسوله».

«ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله. وكان الله غفورًا رحِيمًا

حياة الصحابة للإمام محمد الكاندهلوي، المجلد الأول، ص 365-367.

من المهم أن يعلم الإنسان أن الله تعالى لم يُكلفه بمثل هذا القدر من المشقة التي واجهها النبي محمد صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام رضي الله عنهم .ومن أبرز الأمثلة على ذلك هجرتهم من مكة إلى المدينة، حيث تركوا عائلاتهم وبيوتهم وأعمالهم، وسافروا إلى بلاد الغربة خالسين لوجه الله تعالى

بالمقارنة، فإنّ ابتلاءات الناس اليوم أخفّ بكثير من ابتلاءات السلف الصالح .ولذلك، ينبغي للإنسان أن يغرس في نفسه الشكر، مُدرِّكاً أنه لا يُطلب منه إلاّ توضحيات يسيرة، كالقيام من النوم لأداء صلاة الفجر، أو التبرّع بجزء من ماله لأداء فريضة الزكاة .والله تعالى لا يأمرهم بترك بيوتهم وأهلهم في سبيله .ولكن هذا الشكر لا ينبغي أن يكون نظرياً، بل يجب أن يُجسّد عملياً بالاستعانة بالنعم الممنوحة كما وردت في التعاليم الإسلامية

علاوة على ذلك، عندما يواجه المرء صعوبات، عليه أن يتذكر الابتلاءات الجسيمة التي واجهها السلف الصالح وكيف تغلبوا عليها بثباتهم على طاعة الله تعالى .هذه الطاعة كانت في تنفيذ أوامره واجتناب نواهيه والصبر على الأقدار .هذا التأمل يقوي القلب، إذ يذكر المرء بأن أحب الناس إلى الله تعالى هم من صبروا على أشد المحن .بل إن حديثاً في سنن ابن ماجه، رقم 4023، يؤكد أن الأنبياء عليهم السلام ابتلوا بأشدّ البلاء، وهم بلا شك أحب الناس إلى الله تعالى .لذلك، فمن اتخذ ثبات السلف الصالح وصبرهم، يُرجى أن يُحشر معهم في الآخرة، ويشاركهم ثوابهم وشرفهم الأبدي .هذا المنظور يُحوّل المصاعب الحاضرة إلى فرص للنمو والشكر والقرب من الله تعالى

لما عارض قادة غير المسلمين في مكة الإسلام بشدة، مارسوا ظلمًا شديدًا على المسلمين المقيمين فيها، وسعوا إلى منع الراغبين في الهجرة إلى المدينة من ذلك .وقد خلق هذا العداء حالةً واجه فيها المسلمون الأوائل خطرًا جسديًا وعرقلة اجتماعية، مما جعل الهجرة مسعىً شاقًا ومحفوفًا بالمخاطر .وردًا على هذا الظلم، منح سورة .الله تعالى المسلمين الإذن بالدفاع عن أنفسهم إذا تعرضوا للظلم أو الاعتداء أثناء محاولتهم الهجرة :الحج، الآية 60

"ذلك ومن عاقب بمثل الذي أودى به "

من الأمثلة البارزة على هذا المبدأ عملياً قصة شعيب رضي الله عنه .فعندما قرر الهجرة، حاول زعماء مكة منعه، بحجة أنه وصل المدينة في البداية فقيراً، لكنه أصبح ثرياً بفضل الفرص التي أتاحت له .وأصرّوا على أنه لا ينبغي السماح له بالخروج، بعد أن استفاد من مكة .ردّا على ذلك، عرض شعيب رضي الله عنه جميع ثروته التي دفنها في المدينة، إما فديةً لتأمين مرور آمن، أو تسوية الأمر بالقتال .وافق أهل مكة على السماح له بالخروج مقابل ثروته .وعند وصوله إلى المدينة، أقرّ النبي محمد صلى الله عليه وسلم بأفعال شعيب، وأشار إلى أن تجارته كانت مربحة للغاية، ليس فقط من الناحية الدنيوية، بل من حيث المكافآت الروحية والصمود الذي أظهرته .تُبرز هذه الحادثة أهمية الصبر والتوكل على الله تعالى، ومبدأ الدفاع عن النفس والحق عند مواجهة الظلم .كما يُبين كيف أن التوكل الصادق على الله تعالى في الظروف الصعبة يُفضي إلى منافع دنيوية وروحية، مُعزّزاً بذلك الدرس الأوسع بأن الإيمان والعمل الحكيم يضمنان الحماية :وفي هذا الصدد، أنزل الله تعالى سورة البقرة، الآية ٢٠٧ .والتوازن والثواب في نهاية المطاف

"ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد"

وقد تقدم ذلك في تفسير ابن كثير، المجلد الأول، ص 580

:كفل الله تعالى للمسلمين نصرته إذا ما آذاهم غير المسلمين في هجرتهم .سورة الحج، الآية 60

"ذلك ومن يقابل بمثل الذي أودى به ثم ظلم فلينصره الله "

لكن من المهم أن نفهم أن العون الإلهي لا يتوافق بالضرورة مع رغبات الإنسان أو توقعاته الشخصية، بل يُمنح وفقًا لعلم الله تعالى اللامحدود وحكمته التامة. عون الله تعالى لا يأتي اعتباطًا، ولا يتأخر أبدًا دون قصد بل يُمنح في الوقت المناسب تمامًا وبالصورة الأنسب لكل فرد. غالبًا ما لا تتضح حكمة هذا العون فورًا، إلا: سورة البقرة، الآية ٢١٦. أنه يعمل بدقة متناهية، مُدبِّرًا نتائج تخدم في نهاية المطاف مصالح الإنسان

"وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ..."

هذه الحقيقة تُذكِّرنا بأن العون الإلهي لا يُقاس بالأمني العابرة أو الفهم البشري المحدود. فما قد يبدو تأخيرًا أو مشقة أو حتى خسارة، غالبًا ما يكون رحمةً خفية، وهديً يحمي الإنسان ويرعاه ويُهيئه لخيرٍ عظيم في الدنيا والآخرة. بالتوكل على قضاء الله وقدره، يُنمّي الإنسان الصبر والتواضع والتوكل عليه. هذه الثقة لا تُقوّي إيمانهم فحسب، بل تضمن لهم أيضًا استمرار دعمه لهم، مما يُمكنهم من مواجهة تحديات الحياة بمرونة وتوازن وراحة بال من خلال تحقيق حالة ذهنية وجسدية متوازنة، وتحديد أولويات كل شيء وكل شخص في حياتهم بشكل صحيح.

سورة الحج، الآية 60

"ذلك ومن يقابل بمثل الذي أودى به ثم ظلم فلينصره الله"

الإسلام، كمنهج حياة متوازن وعادل، يسمح للأفراد بالدفاع عن أنفسهم بالرد على الأذى بما يتناسب، عمومًا مع ما عانوه. يضمن هذا المبدأ إقامة العدل دون إفراط. ومع ذلك، وكما هو موضح في نهاية الآية 60

يصعب للغاية على الإنسان أن يردّ دون تجاوز. ولذلك، فإن السبيل الأسمى هو الصبر، وتجاوز أخطاء الآخرين، والعفو. كانت هذه هي السنة النبوية الشريفة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، وهي وسيلة يغفر بها الله تعالى ذنوب عباده. سورة الحج، الآية 60

"ومن يقابل بمثل ما أودى به ثم ظلم فلينصره الله إن الله كان عفواً غفوراً"

وسورة النور الآية 22:

"...وليعفوا وليصفحوا، ألا تحبون أن يغفر الله لكم..."

لذا، فالتسامح ليس صفةً نبيلةً فحسب، بل هو أيضاً صفةً مُغيّرة. فهو قادرٌ على تليين القلوب وتغيير شخصيات الآخرين إيجابياً، وهو أحد مقاصد الإسلام الجوهرية. في المقابل، لا يُوجج الانتقام إلا العداء، ويُطيل أمد دورات الغضب والعداء.

في الواقع، من اعتاد على رفض المسامحة، وتمسك بالحق، حتى في أصغر الأمور، يُعرّض نفسه لخطر فقدان رحمة الله تعالى. فبدلاً من التغاضي عن عيوبه، قد يجد نفسه مسؤولاً عن كل زلة صغيرة. علاوة على ذلك، فإنّ التمسك بالحق يسلب راحة البال، فالانشغال الدائم بالمظالم يُؤدّ قلقاً داخلياً. يتعلم العفو والتسامح يُحرّر المرء قلبه من الهموم التافهة، فينال السكينة والتوازن.

في الوقت نفسه، لا يعني هذا التعليم ألا يدافع الإنسان عن نفسه أبدًا عندما يتجاوز الآخرون الحدود. فالإسلام يُعلّم التواضع، لا الضعف. وحتى مع العفو، فإنه لا يقتضي ثقة عمياء أو استمرار العلاقات الاجتماعية كما كانت في السابق. ففعل ذلك قد يُعرّض المرء للأذى المتكرر. بل ينبغي العفو لله تعالى، مع توخي الحكمة والحذر في التعاملات المستقبلية. وهكذا تُؤدى حقوق الآخرين، وتُكسر دائرة العداوة، ويحصل الفرد على النعيم والأجر في الدنيا والآخرة.

لذا، فالمسامحة ليست ضعفًا، بل قوة. فهي تُعلي من شأن الإنسان، وتُكسبه المغفرة الإلهية، وتُعيد إليه السكينة، مع تمكينه من التصرف بكرامة وعدل وحكمة.

يُذَكِّر الله تعالى الناس بأنه كما يُدبّر شؤون الكون، فهو قادرٌ على عون عبده المُطيع في شدائده وحاجاته:
سورة الحج، الآية 61

"...ذلك بأن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل "

كما أن الله تعالى يُحوّل الليل نهارًا بحكمةٍ وقدرٍ تامتين، فهو قادرٌ تمامًا على تحويل أحلك الظروف وأشدّها إلى يسرٍ وفرجٍ وسكينة. فالشدة تُشبه الليل في غموضه وثقله، واليسر يُشبه النهار في صفائه وإشراقه وراحته. إن من يُبدّل دورات الخلق دون عناءٍ يستطيع، بأمرٍ واحد، أن يُحوّل حال المرء من ضيقٍ إلى سكينة. هذه الحقيقة تُذكّرنا بأن لا بلاءٌ يدوم، ولا صعوبةٌ تُبعد عن رحمة الله تعالى. وكما أن الليل لا يدوم، بل يُفسح الطريق لا محالة لنور النهار، فكذلك كل ضيقٍ يُفرج في النهاية لمن صبر وثبت وخضع لله تعالى. وهكذا يتعلم المرء التوكل عليه، عالمًا بأن حكمته تُدبّر الأمور، وأن قضائه يُؤتي نفعًا دائمًا، وإن لم يظهر ذلك فورًا.

علاوة على ذلك، فإنَّ اتّزان الليل والنهار وتفاوت أطوالهما على مدار العام يُمكنُ الناس من تحقيق أقصى استفادة منهما. فلو طالت الأيام، لتعب الناس من طول ساعات العمل. ولو طالت الليالي، لما توقّر لهم الوقت الكافي لكسب رزقهم وسائر الأمور النافعة، كالمعرفة. ولو قصرت الليالي، لما استطاعوا الراحة الكافية لنيل الصحة المثلى. كما أنَّ تغيّر طول الليل والنهار سيؤثر سلبيًا على المحاصيل، مما سيؤثر سلبيًا على رزق الناس والدواب. إنّ كون الليل والنهار، إلى جانب الأنظمة الكونية المتوازنة الأخرى، تعمل بانسجام تامّ، دليلٌ واضحٌ على وحدانية الله تعالى، إذ إنّ تعدد الآلهة قد يُريد أمورًا مختلفة، ممّا يُؤدي إلى فوضى في الكون (سورة الأنبياء، الآية ٢٢)

"وَلَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا"

إن من بيده أمر الكون كله ويديره وحده، يستطيع أن يُعين عبده المُطيع بسهولة. ولأن الله تعالى يعلم تمامًا ما يُعانيه عبده المُطيع من مصاعب، فهو قادرٌ على مساعدتهم (سورة الحج، الآية 61، سورة 22)

"وأن الله سميع بصير ..."

سورة الطلاق 65 الآية 2

"ومن يتق الله يجعل له مخرجاً"

ومع ذلك، ينبغي على الأفراد إدراك أن العون الإلهي لا يعمل وفقًا لأهوائهم أو بصيرتهم المحدودة، بل يتماشى تمامًا مع حكمة الله تعالى الكاملة ومعرفته اللامحدودة. عون الله تعالى ليس عشوائيًا ولا متأخرًا عبثًا؛ بل يُقدم بدقة في الوقت والكيفية الأنسب للمستفيد. ومع أن الحكمة المطلقة وراء هذا العون قد لا تتضح فورًا إلا أنه يعمل بدقة متناهية، ويرسم نتائجها بما يخدم مصالح الإنسان على المدى البعيد. يؤكد هذا الواقع ضرورة تجنب الحكم على العون الإلهي بناءً على رغبات آنية أو تفكير بشري محدود. غالبًا ما يكون التأخير أو البلاء أو النكسة شكلاً من أشكال الرحمة أو الهداية الخفية. بالاستسلام التام لحكم الله تعالى التام، يكتسب الناس صفات أساسية كالصبر والتواضع والتوكل الكامل عليه. هذا الاستسلام لا يعزز إيمانهم فحسب، بل يضمن أيضًا استمرارهم في تلقي دعمه ونعمه الدائمة، في الدنيا والآخرة.

لذا، يجب على المرء أن يستعين بالله تعالى وحده، فلا شيء آخر، كوسائل التواصل الاجتماعي أو الموضة أو الثقافة، قادر على توفير التوجيه أو الدعم اللازمين لراحة البال في الدنيا والآخرة، من خلال تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، ووضع كل شيء وكل شخص في حياته على الوجه الصحيح. سورة الحج، الآية 62:

"ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير "

من الضروري إدراك أن العبادة والطاعة لغير الله تعالى لا تقتصر على الآلهة الباطلة الملموسة، كالأصنام في الحقيقة، أي عنصر يطيعه الإنسان مُخالفًا لله تعالى - سواء كان مُلهياتٍ عصريةً كوسائل التواصل الاجتماعي، أو مفاهيم عابرة كالموضة، أو أعرافاً سائدة كالثقافة، أو حتى أشخاصاً آخرين - يُشير في النهاية: سورة التوبة، الآية 31. إلى ما يعبده ذلك الإنسان حقًا

"...اتخذوا أبحارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله"

لم يُعبد علماء أهل الكتاب وزعمائهم الدينيون كآلهة حقيقية، بل كان أتباعهم يُطيعونهم حتى لو خالفت توجيهاتهم أوامر الله تعالى. وهكذا اعتُبر هذا الامتثال في المعصية عبادةً، إذ يتجاوز مفهوم العبادة مجرد الأفعال الجسدية كالركوع والسجود ليشمل الخضوع والانقياد. ويتضح هذا المبدأ الأساسي من خلال حديث: سورة يس، الآية 60. القرآن الكريم عن الشيطان نفسه

أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ

الغالبية العظمى من الناس لا يعبدون الشيطان عمدًا، ومع ذلك يُوصفون بذلك لأنهم يطيعونه مخالفين الله تعالى. وهذا يُبرز حقيقة عميقة: الطاعة، حين تُصرف عن الأمر الإلهي، تُصبح عبوديةً لأسياد زائفين، ولذلك، لا بدّ من مقاومة الخضوع لأي تأثير يُفرض على معصية الله تعالى، لأن هذا الخضوع، في جوهره - هو عبادة لتلك التأثيرات ذاتها. وعندما يُصرّ المرء على المعصية، فإنه يقع حتمًا تحت سيطرة قوى أخرى سواء أفرادًا، أو وسائل تواصل اجتماعي، أو موضة، أو اتجاهات ثقافية، أو حتى أصحاب عمل. إن محاولة إرضاء هؤلاء الأسياد المتنافسين والظالمين لا تُؤدّ إلا القلق، لأن مطالبهم متضاربة ومتغيرة باستمرار. وكما يُكافح الموظف الذي يعمل تحت إشراف مُتعدد لتلبية توقعات مُتناقضة، فإن من يتخلّى عن عبودية الله تعالى يجد نفسه مُثقلًا بأسياد لا يُحصى عددهم، ويفقد الاستقرار وراحة البال. مع مرور الوقت، يؤدي هذا الوجود الممزق إلى اضطراب عاطفي وروحي عميق. قد يشعر هؤلاء الأفراد بالحزن والعزلة واليأس، إذ تفشل جهودهم الحثيثة لإرضاء أسيادهم الدنيويين في تحقيق ما يصبون إليه. تتجلى هذه الحقيقة جليّةً في حياة كثيرين ممن يسعون وراء الشهرة والتقدير الدنيوي، كالمشاهير، الذين غالبًا ما يجسدون فراغ هذا الطريق وقلقه رغم نجاحهم الظاهري. علاوة على ذلك، فإن طاعة الآخرين في معصية الله تعالى لن تنفعهم في الآخرة. فالذين أسلموا لهم أنفسهم لن يهبوا لهم العون عند الحاجة. في ذلك اليوم، سيترك كل إنسان لمواجهة عواقب اختياراته، وسيتبرأ الأسياد الكذبة ممن اتبعوهم. والحماية الوحيدة من هذا المصير هي التخلي عن جميع أشكال الطاعة المؤدية إلى المعصية، والتفرغ لله تعالى. ويتجلى هذا التفاني في استخدام نعمه على النحو الذي نص عليه القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. في هذا تكمن الحرية الحقيقية، فعبودية الله تعالى تُحرّر الإنسان من ظلم أسياد الدنيا الكثيرين. وفي هذه العبودية يجد الإنسان السلام الدائم، والتوازن النفسي والجسدي، والقدرة على وضع كل شيء وكل شخص في حياته على الوجه الصحيح. (سورة الحج، الآية 62)

"ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير "

،ثم ينتقل الله تعالى إلى بيان الآيات الدالة على وحدانيته، ومن ثم وجوب طاعته في كل حال .سورة الحج
:الآية 63

...تر أن الله أنزل من السماء ماءً فتصبح الأرض مخضرة ألم

عندما يتأمل المرء دورة الماء المتوازنة تمامًا، يُصبح ذلك دليلاً واضحاً لا لبس فيه على وجود الخالق وحكمته .يتبخر الماء من المحيطات والبحار الشاسعة، ويصعد إلى الغلاف الجوي، ويتكثف مُشكِلاً المطر يكون هذا المطر، في حالته الأولية، معتدل الحموضة، ولكن عندما ينزل على الجبال، تُعادله المعادن الموجودة داخل هذه التكوينات الشاهقة، مما يجعله صالحاً للاستهلاك واستدامة الحياة .يعمل هذا النظام الخالي من العيوب بتناغم تام، وحتى أدنى تغيير في تصميمه من شأنه أن يُسفر عن عواقب وخيمة على جميع الكائنات الحية على الأرض .يخدم الملح في المحيطات غرضاً رائعاً آخر، فهو يحافظ على نقاء الماء بمنع تحلل الكائنات البحرية الميتة من تلوّثه .بدون هذا الضمان الطبيعي، ستلوث البحار، وتنقرض الحياة البحرية وسرعان ما يمتد فساد المحيطات إلى اليابسة، مما يجعل الحياة لا تُطاق .علاوة على ذلك، يتميز تركيب مياه البحر بتوازن فريد يسمح للحياة البحرية بالازدهار تحت سطحه وللسفن الضخمة بالإبحار عليه .لو اختل هذا التوازن قليلاً، لَدَعَمَ الحياة البحرية على حساب قدرتها على الطفو، أو سمح للسفن بالطفو مع استحالة الحياة البحرية - ولا يمكن لكلتا الوظيفتين الأساسيتين أن تتعايشا .ويمتد هذا التوازن المعقد أيضاً إلى هطول الأمطار .فقلة الأمطار تؤدي إلى الجفاف والمجاعة، بينما تتسبب الأمطار الغزيرة في فيضانات مدمرة .ومع ذلك، وبفضل حكمة إلهية، تستمر دورة المياه في العمل بدقة مذهلة، محافظةً على التوازن الدقيق الضروري للحياة .حتى في العصر الحديث، ورغم التقدم التكنولوجي الهائل، لا يزال النقل البحري الوسيلة الأكثر كفاءة واعتماداً لنقل البضائع عبر العالم - مما يُظهر اعتماد البشرية المستمر على هذا النظام الإلهي المُدبّر .هذا التناغم التام في دورة المياه دليلٌ عميق على علم الله تعالى ورحمته وقدرته اللامحدودة، الذي يحفظ الخلق :سورة المؤمنون، الآية 18 .بدقة لا تشوبها شائبة

"ولقد أنزلنا من السماء ماءً بقدرٍ فأسكناه في الأرض وإنا على ذهابٍ به لقادرون"

:وسورة الحج الآية 63

"إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ..."

:سورة الحج، الآية 63

"...ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً فتصبح الأرض مخضرة "

كما يُحيي الله تعالى الأرضَ القاحلةَ بمطرٍ مُحيٍّ، يُحيي القلبَ الروحيَّ الميتَ بالوحي الإلهي. فعندما يُطهَّر الإنسان قلبه بهذا الوحي، مُتَّبِعًا الصفاتِ الفاضلةَ التي يُشجِّعُ عليها، كالكرم والصبر والتواضع والشكر والرحمة، مُحاولًا بوعيٍ التخلي عن الصفاتِ المُدْمِرَةِ التي يُدينها، كالكبر والحسد والجشع والكبرياء، فإنه ينال راحة البال بطبيعته. بل إِنَّ التمسُّكَ الدائمَ بالصفاتِ الإيجابيةِ يُغذِّي السكينةَ والوئامَ الداخليين. علاوةً على ذلك، يضمنُ التطهيرُ الروحيُّ أن يستخدمَ الإنسانُ النعمَ التي وُهِبَتْ له، سواءً أكانت ثروةً أم صحةً أم علمًا أم نفوذًا، على الوجهِ المُبين في التعاليم الإلهية. هذا الاستخدامُ الواعي للنعم يمنعُ التبذيرَ والإفراطَ وسوءَ الاستخدام، بل يُوجِّهُها إلى الشكر والخدمة والطاعة الصادقة. ومن خلال هذا الانسجام، يُحقِّقُ الفردُ التوازنَ في الحالتين النفسية والجسدية، مُوضِعًا كُلَّ أمرٍ وكلِّ علاقةٍ في نصابها الصحيح. هذا التوازن لا يصون دنيا الإنسان فحسب، بل يُهيئُه أيضًا للحساب يوم القيامة. وتركيزُ القلب والنفس ثمرًا ثوابًا مزدوجًا: سكينة في الدنيا ونجاة في الآخرة. ففي الدنيا، تنعم النفس الطاهرة بالصفاء والرضا والثبات على المحن، وفي الآخرة

تجد السكينة والثواب الأبدي عند الله تعالى . وهكذا، فإن التزكية الروحية تتجاوز مجرد تهذيب النفس، بل هي أساس النجاح الحقيقي في الدنيا والآخرة، إذ تُحسِّن من شخصية الفرد، وتُهديه إلى الصلاح، وتُرسخ له راحة بال دائمة في الدنيا والآخرة.

ومع ذلك، يجب أن يُفهم بوضوح أن قبول التوجيه الإلهي والعمل به لا يفيد إلا الشخص نفسه . إن طاعة أي فرد أو معصيته لا تؤثر بأي شكل من الأشكال على عظمة الله تعالى أو جلاله أو مكانته اللانهائية . فهو مستقل تمامًا عن خلقه، بريء من أي حاجة أو نقص . إن إدراك هذه الحقيقة ضروري، لأنه يمنع الشخص من الوقوع في الغرور - الفكرة الخاطئة بأنه بطاعة الله تعالى أو باتباع التعاليم الإسلامية، فإنهم يقدمون له معروفًا بطريقة ما . مثل هذا الموقف مضلل للغاية ومدمر روحيًا، لأنه يفسد نية المرء ويضعف الإخلاص . يمكن لهذا الغرور بسهولة أن يعيق الطاعة الحقيقية، وخاصة عندما تتعارض الرغبات الشخصية أو الطموحات الدنيوية مع الوصايا الإلهية . سيختار الشخص المتكبر أنانيته على الحقيقة، وبالتالي ينحرف عن الطريق المستقيم دون أن يدرك ذلك . في المقابل، من يدرك حقًا أن إيمانه وعبادته وطاعته هي لمصلحته الخاصة - وسيلة لبلوغ السلام الداخلي والسمو الروحي والنجاح الأبدي - سيُنمِّي تواضعًا وثباتًا أمام الله تعالى . هؤلاء الأفراد يُحافظون على الطاعة في جميع الأحوال : صبورين واثقين في أوقات الشدة، شاكرين ومتواضعين في أوقات الرخاء . يصبح إيمانهم مصدرًا للتوازن والاستقرار، مما يُمكنهم من اجتياز محن الحياة برضا وعزيمة . في نهاية المطاف، يرفعهم هذا التواضع والوعي في المرتبة، ويقربهم من رحمة الله تعالى ودعمه في الدنيا والآخرة . سورة الحج، الآية 64

ما في السماوات وما في الأرض وإن الله لهو الغني الحميد له .

بما أن كل شيء في الوجود ملكٌ لله تعالى وسلطانه المطلق، فمن الضروري أن يلتزم الأفراد بأوامره . وكما أن من يخالف قوانين بلدٍ ما يُعاقب، فإن تجاهل أحكام الله تعالى التي وضعها الخالق يؤدي حتمًا إلى عذاب في الدنيا وعقاب في الآخرة . قد يختار المرء مغادرة بلدٍ لا تروق له قوانينه، لكن لا مفر من سلطان الله تعالى، لأن سلطانه يشمل الكون بأسره . ومع أن الناس قد يحاولون تغيير المعايير الاجتماعية وإعادة تعريف الأخلاق وفقًا لأهوائهم، إلا أنهم لا يستطيعون تعديل أحكام الله تعالى التي وضعها . وكما أن صاحب المنزل يُملئ القواعد داخل ممتلكاته، فإن الكون يحكمه الله تعالى وحده، الذي يضع قوانينه دون الحاجة إلى موافقة أو تصديق بشري . ولهذا السبب، فإن طاعة هذه الأحكام الإلهية ليست مجرد فرض، بل هي أيضًا مصدرٌ

لمنافع شخصية عظيمة. من يدرك هذه الحقيقة حقاً سيسعى جاهداً لامتنثال أوامر الله تعالى، وسيسعى لاستخدام النعم التي وهبت له بما يرضيه، كما هو مبين في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. هؤلاء يدركون أن الأوامر والنواهي الإلهية ليست قيوداً تعسفية، بل هي حكمة، مُصمَّمة لتعزيز الرفاه الشخصي وانسجام المجتمع. من ناحية أخرى، يجب على من يسمحون لشهواتهم بالهيمنة ويتجاهلون التعاليم الإسلامية أن يكونوا مستعدين لمواجهة عواقب أفعالهم. لن يحميهم أي قدر من الأعذار أو الاعتراضات أو الشكاوى، من العواقب التي قدّرها الله تعالى. في هذه الحياة، سيختبرون الخلل والاضطراب والمشقة، وفي الآخرة: سورة الكهف، الآية 29. سيواجهون المحاسبة الكاملة

وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر. إنا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها. وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمسح يشوي الوجوه. بئس الشراب وساءت مرقدته

فالنجاح الحقيقي يكمن في إدراك سلطان الله تعالى، والخضوع لهدايته، والعيش وفق شريعته. فهذا السبيل وحده يضمن راحة البال، والتوازن النفسي والجسدي، والسعادة الأبدية في الآخرة، من خلال تحقيق التوازن النفسي والجسدي، وحسن توزيع كل شيء وكل شخص في حياته

ثم يُذكر الله تعالى البشر كيف دبّر كل شيء على الأرض ليحصلوا على رزقٍ طيبٍ وسليم، فيعيشوا حياةً هانئةً في الدنيا، مما يُسهّل عليهم حياةً هانئةً في الآخرة). سورة الحج، الآية 65)

"...ألم تروا أن الله سخر لكم ما في الأرض "

يُعدّ الموقع الدقيق للشمس بالنسبة للأرض دليلاً واضحاً على تصميم مدروس، إذ إن أي ،على سبيل المثال اختلاف طفيف في المسافة - سواءً أقرب أو أبعد - سيجعل الكوكب غير صالح للسكن .وبالمثل، فإن تكوين الأرض بحد ذاته قد أوجد غلافاً جوياً متوازناً ونقياً تماماً يُمكن الحياة من الازدهار

يضمن التزامن المثالي بين الليل والنهار، إلى جانب تفاوت طولهما السنوي، حصول البشرية على أقصى استفادة .فإذا طالت الأيام أكثر من اللازم، سيُنْهَك الأفراد من ساعات العمل الطويلة؛ وعلى العكس، إذا طالت الليالي أكثر من اللازم، فلن يكون لديهم الوقت الكافي لكسب الرزق والسعي وراء المساعي الأساسية كإكتساب المعرفة .كما أن تقصير طول الليل سيمنع الراحة الكافية اللازمة للصحة المثلى .كما أن تغيير طول الليل ،والنهار سيؤثر سلباً على المحاصيل، مما يُلحق الضرر بمعيشة كل من الإنسان والحيوان .سورة الأنبياء: الآية 22

"وَلَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا"

،إن مراقبة دورة الماء المتوازنة بدقة تُشير بقوة إلى وجود خالق .يُسحب الماء من البحار بالتبخّر، ثم يصعد ثم يتكثف مُشكلاً المطر، الذي يكون في حالته الأولية حمضياً في الغالب .يهطل هذا المطر على الجبال، التي تؤدي دوراً حاسماً في معادلة حموضته، مما يجعل الماء نقياً وصالحاً للاستخدام البشري والحيواني على حد سواء .أي خلل في هذه الآلية المُحكمة ذاتية التنظيم من شأنه أن يُعجل بكارثة لجميع أشكال الحياة على الأرض .علاوة على ذلك، فإن ملوحة البحر بحد ذاتها هي ما يحميه من التلوث من خلال معادلة المواد العضوية لأحياء البحر الميت .إذا تعرض المحيط للخطر، ستهلك الحياة البحرية، وستُهدد الشواطئ الناتجة .في النهاية الحياة الأرضية أيضاً .خصائص مياه المحيط مُعايرة بدقة لتحقيق غرضين مُتناقضين ظاهرياً السماح للحياة البحرية المتنوعة بالازدهار في أعماقها، وفي الوقت نفسه توفير طفو كافٍ للسفن الضخمة لعبور سطحها .إن أي تغيير طفيف في تركيب الماء من شأنه أن يسمح بازدهار الحياة المائية أو النقل البحري، ولكنه لا يسمح بتشغيلهما معاً في آن واحد، مما يؤكد ضرورة هذا التوازن الدقيق .هذا التوازن ،المثالي أساسي للحياة، ويتجلى ذلك في أن النقل البحري لا يزال الوسيلة السائدة للتجارة العالمية .سورة الحج: الآية 65

"...والسفن التي تجري في البحر بأمره..."

يمتد هذا التوازن ليشمل سكان العالم، إذ خُصص لكل نوع عمر محدد يمنع أي نوع من تحقيق هيمنة مطلقة على سبيل المثال، تتمتع أنواع مثل الذباب بدورة حياة قصيرة جدًا - تتراوح بين ثلاثة وأربعة أسابيع تقريبًا لكنها تعوّض ذلك بإنتاج عدد كبير من المواليد، يصل إلى 500 بيضة لو طُور عمرها، لأصبحت أعدادها - غير متناسبة وقادرة على التفوق على جميع الأنواع الأخرى. على العكس من ذلك، عادةً ما تُنتج المخلوقات ذات الأعمار الأطول بكثير مواليدًا قليلة جدًا، وهي آلية تُخفّض أعدادها بشكل طبيعي. يُؤكّد أن هذا التوازن الشامل والمعقد والمثالي طوال الخلق لا يمكن أن يُعزى إلى مجرد الصدفة أو يُفسّر بشكل كافٍ بعملية التطور وحدها.

:سورة الحج، الآية 65

"...ألم تروا أن الله سخر لكم ما في الأرض"

من الطبيعي أن يُعتبر الشخص الذي يوفر للآخرين حتى بطريقة محدودة - مثل توفير المأوى أو تلبية جزء من احتياجاتهم - مستحقًا للشكر. إذا كان هذا هو الحال مع المحسنين من البشر، فمن العدل والإنصاف أن يُظهر الشكر لله تعالى، الذي منح كل نعمة في الكون للبشرية. يتم التعبير عن الشكر بعدة طرق. مع النية يعني ذلك أن أفعال المرء تتم فقط لإرضاء الله تعالى. إذا تم القيام بالأعمال بدوافع أخرى، مثل طلب الثناء أو التقدير، فلن يكافأ عليها. يوجد حديث موجود في جامع الترمذي، رقم 3154، يحذر من ذلك. ومن الدلالة الواضحة على النية الصادقة أن الشخص لا يتوقع التقدير أو التعويض من الآخرين. يتضمن الشكر باللسان التحدث بكلمات الخير أو اختيار الصمت عندما لا يكون الكلام مفيدًا. الشكر العملي يقتضي استخدام النعم الممنوحة فيما يرضي الله تعالى، كما بينه القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. وهذا الشكر يؤدي إلى زيادة النعم، كما وعد الله تعالى في سورة إبراهيم، الآية 7

لئن شكرتم لأزيدنكم

ويجلب هذا الامتنان أيضاً راحة البال في كلا العالمين، مما يمكن الشخص من تحقيق التوازن في حالته العقلية والجسدية ووضع كل شيء وكل شخص في حياته بشكل صحيح.

علاوة على ذلك، وكما أنه من الطبيعي أن يُملئ مالك الشيء كيفية استخدامه، فإن الله تعالى - الذي خلق كل شيء في الوجود وملكه ودبره - له وحده الحق في تحديد ما يجب وما لا يجب أن يحدث في الكون. لذا، فمن الإنصاف والمنطق أن يُطيعه الناس، فهو وحده المالك الحقيقي لكل شيء، بما في ذلك أنفسهم.

علاوة على ذلك، عندما يُقرض شخص ما شيئاً لآخر، فمن الإنصاف أن يستخدمه المُقرض وفقاً لرغبة صاحبه. وبالمثل، فإن كل نعمة أنعمها الله تعالى في الدنيا هي قرض، وليست هبةً دائمة. وكما هو الحال في القروض الدنيوية، يجب سداد هذه النعم - ليس بردها عيئاً، بل باستخدامها فيما يُرضي الله تعالى. على النقيض: سورة الأعراف، الآية 43. من ذلك، فإن بركات الجنة هي عطايا، وبالتالي يمكن التمتع بها بحرية دون قيود.

"وقيل لهم: تلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون..."

لذا، يجب على الإنسان ألا يخلط بين نعيم الدنيا الزائل، الذي هو أمانة وقرض، وعطايا الجنة الأبدية. إن إدراك هذا التمييز يُلهم التواضع والطاعة والشكر، ويضمن استخدام نعم الدنيا بمسؤولية، مع تغذية الأمل بالتمتع غير المحدود بعطايا الآخرة الباقية.

على الرغم من جحود الأفراد، فإن الله تعالى يُرزقهم ويُسخر لهم الأرض والسموات، مع أن كثيرًا منهم: سورة الحج، الآية 65. يستحقون العقاب

"ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، إن الله بالناس لرءوف رحيم..."

لكن يجب أن يُدرك المرء أن مهلة الله تعالى للناس مؤقتة، إذ سيأتي يومٌ لا محالة يأمر فيه الله تعالى بخراب السموات والأرض، وسيقوم يوم القيامة ليحاسب كل إنسان على نيّاته وأقواله وأفعاله. فلا ينبغي الشك في البعث، فالذي يحيي ويميت قادرٌ على بعثهم لمحاسبتهم). سورة الحج، الآية 66، سورة 22)

"وهو الذي أحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم"

،إن إنكار إمكانية بعث الإنسان يوم القيامة اعتقادٌ عجيب، فعلامات البعث ظاهرةٌ في نظام الحياة الطبيعي، تتكرر يوميًا، وفصولًا، وفي جسد كل إنسان. يُحيي الله تعالى الأرض القاحلة بالمطر، فتنبت البذور الميتة. مُوفرةً بذلك قوتًا للخلقة. وبالمثل، يُحيي الإنسان، كما تُنبت البذرة، مدفونةً في الأرض، فيُعيدها إلى الحياة وتشهد دورة الفصول أيضًا على هذه الحقيقة: ففي الشتاء، تبدو الأشجار هامدةً بتساقط أوراقها، لكنها في الربيع والصيف تعود إلى كامل حيويتها. حتى داخل جسم الإنسان، تموت الخلايا وتُستبدل باستمرار، في عملية تجديد مستمرة. دورة النوم واليقظة مثالٌ صارخٌ آخر، إذ يُوصف النوم بأنه شقيق الموت. أثناء النوم، تنقطع الحواس، فيعيد الله تعالى الروح إلى الجسد إذا قدر الله استمرار الحياة. سورة الزمر، الآية 42

الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى "أجل مسمى إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون"

بالإضافة إلى هذه الأمثلة، فإن يوم القيامة ضرورة، فالتوازن سمة مميزة للخلق. فالأرض في وضع مثالي بالنسبة للشمس، ودورة المياه مُحكمة لاستدامة الحياة، والأرض مصممة للسماح بظهور البراعم الهشة وتحمل ثقل الأبنية الضخمة. تشهد هذه الأمثلة على حكمة الخالق وتوازنه. ومع ذلك، يتجلى الخلل في أفعال البشر فكثيرًا ما يفلت الظالمون من العدالة، بينما يتحمل المظلومون المشقة دون أن ينالوا جزاءهم المستحق. ومن يطيعون الله تعالى بإخلاص، كثيرًا ما يواجهون المحن والصعوبات، بينما قد يبدو من يعصيه في حالة من الرخاء والرفاهية. وبما أن التوازن قانون كوني وضعه الله تعالى، فلا بد من موازنة العدل في أفعال البشر. ولأن هذا لا يتحقق تمامًا في هذا العالم، فلا بد أن يحدث في عالم آخر - يوم القيامة

كان الله تعالى ليختار الثواب والعقاب كامليين في هذه الحياة، لكن حكمته تقضي بغير ذلك. فهو يمنح فرصًا، متكررة للتوبة والإصلاح، ويؤخر العقاب كاملاً ليعود الناس إليه. وكذلك يحرم الثواب الكامل على الصالحين. لأن الدنيا ليست جنة. الإيمان بحد ذاته يُعرّف بالإيمان بالغيب، والوعد بالثواب في الآخرة من ثواب الإيمان. لو كان الثواب والعقاب ظاهرًا وفوريًا، لفقد الإيمان ميزته

علاوة على ذلك، فإن الخوف من العقاب النهائي والأمل في الثواب الأبدي يُشكلان دافعين قويين، يُشجعان الأفراد على تجنب المعاصي وفعل الصالحات. ولكن لكي يبدأ يوم القيامة، لا بد أن تنتهي أعمال جميع الناس أولاً. وهذا يستلزم انتهاء العالم المادي، إذ لا يُصدر الحكم إلا بختم الأعمال. وهكذا، فإن نهاية العالم مقدمة حتمية ليوم القيامة.

إن التأمل في هذه الحقائق يُعزز الإيمان بحقيقة البعث والحساب، ويُلهم الإنسان للاستعداد لذلك اليوم باستخدام النعم التي وُهِبَتْ له وفقاً للقرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. وبذلك، ينعم براحة البال، من خلال تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في حياته على الوجه (سورة الجاثية، الآية ٢٢). الصحيح

"وخلق الله السموات والأرض لحكمة، لتُجزى كل نفس ما اكتسبت، وهم لا يُظلمون"

ولكن بما أن طاعة الله تعالى غالباً ما تتعارض مع رغبات الناس الدنيوية، فإن كثيرًا منهم يغفلون عن شكره، على تسخير الدنيا لمصلحتهم، ويصرون على معصيته بإساءة استخدام النعم التي أنعم بها عليهم. سورة الحج: الآية 66

"إن الإنسان كَفُورٌ..."

في هذا العالم، يحرم هذا الموقف الإنسان من تحقيق حالة ذهنية وجسدية متوازنة، إذ يُخلّ بالتناغم والنظام اللذين تُرسيهما طاعة الله تعالى في القلب والعقل. تُشوّه أولوياتهم، مما يدفعهم إلى إهمال كل شيء وكل شخص في حياتهم. ونتيجةً لذلك، تتحول الأشياء التي كانت تُفترض أن تُجلب لهم الراحة والاستقرار كعائلاتهم وأصدقائهم وعملهم وثروتهم - إلى مصادر قلق وضيق. وتصبح النعم التي كانوا يتمتعون بها أعباءً ثقيلة، إذ يُجرّدهم سوء استخدامها من السكينة التي تُصاحب الامتنان والهدف الصحيح. إذا استمرّوا في المعصية، فبدلاً من التأمل في عيوبهم، سيبدأون بإلقاء اللوم على الآخرين. وقد يُحملون أزواجهم أو أقاربهم أو زملاءهم مسؤولية اضطرابهم الداخلي، غافلين عن أن السبب الحقيقي يكمن في انقطاعهم عن الهداية الإلهية. وكثيراً ما يؤدي هذا اللوم في غير محله إلى توتر العلاقات والعزلة العاطفية. عندما يقطعون علاقاتهم مع الأشخاص المخلصين وحسن النية في حياتهم، يتعمق شعورهم بالوحدة وعدم الاستقرار، مما يدفعهم إلى دوامات سلوكية مدمرة. في كثير من هذه الحالات، يتجلى هذا التدهور الروحي والعاطفي ظاهرياً في شكل أزمات صحية نفسية، مثل القلق المزمن والاكتئاب وإدمان المخدرات، وحتى الميول الانتحارية. تظهر هذه

الأعراض لدى أولئك الذين يستمرون في إساءة استخدام النعم التي مُنحت لهم - وخاصة بين الأغنياء والمشاهير، الذين، على الرغم من نجاحهم وترفعهم الظاهري، غالبًا ما يعانون من مشاكل صحية نفسية حادة تفشل ملذاتهم الدنيوية في ملء الفراغ الروحي الناتج عن معصية الله تعالى. في نهاية المطاف، لا تجلب هذه الحالة من الغفلة البؤس في هذه الدنيا الفانية فحسب، بل تمنعهم أيضًا من الاستعداد لمساءلتهم النهائية يوم القيامة. هناك، سيواجهون العقوبة الأعظم والأبدية لغرورهم ونكرانهم للجميل - عقاب أشد بكثير من أي معاناة واجهوها في الحياة.

ولمنع هذه النتيجة، مَنَّ الله تعالى على الأفراد عبر التاريخ بهداية إلهية صُممت لتوصلهم إلى الطمأنينة في الدنيا والآخرة، على الصعيدين الفردي والاجتماعي، عند تطبيقها في جميع جوانب حياتهم، دنيوية كانت أم دينية. سورة الحج، الآية 67

"...ولكل أمة جعلنا منها جبارا " الذي ينبغي عليهم أن يقوموا به "

الحقيقة الجوهرية هي أنه مهما بلغت الحضارة الإنسانية من تقدم فكري أو تكنولوجي، فإنها ستظل عاجزة عن صياغة نظام أخلاقي واجتماعي متكامل وشامل، يتوافق تمامًا مع الطبيعة البشرية، ويعالج جميع الظروف التي قد تواجهها الأفراد والمجتمعات على مر العصور. حتى مع التقدم الهائل في مجالات مثل علم النفس - وعلم الأعصاب والأخلاق، لا تزال البشرية لا تكشف إلا عن شذرات من حقيقة الوجود البشري الهائلة أشبه بفحص أجزاء معزولة من الدماغ مع جهل تام بكامل وظائفه. ولأن المعرفة البشرية محدودة وفي تطور مستمر، يستحيل على الناس إنشاء نظام يضمن السلام الدائم والعدالة والوئام للجميع. الله تعالى وحده يملك المعرفة والحكمة اللامحدودتين اللازمتين لتوفير هذه الهداية الكاملة. بصفته خالق كل شيء، فهو يدرك تمامًا كل جانب من جوانب الطبيعة البشرية - نقاط قوتها ونقاط ضعفها ورغباتها وميولها - ويملك معرفة كاملة بالماضي والحاضر والمستقبل. لذا، فهو وحده المؤهل لوضع شريعة إلهية تُميز الحق من الباطل، والعدل من الظلم، والنفع من الضرر. وعندما تُطبّق هذه الهدى الإلهي بصدق، فإنها تُؤدّ سلامًا داخليًا حقيقيًا وتوازنًا اجتماعيًا، وتحرّر الناس من الاضطراب والاضطراب الناتج عن الخطأ البشري والرغبة والتناقض. والتاريخ، نفسه يشهد على هذه الحقيقة. فكلما التزم الأفراد والمجتمعات بالشريعة الإلهية التي أنزلها الله تعالى بأمانة اختبروا العدل والرحمة والوحدة والطمأنينة على نطاق واسع. وعلى العكس، فكلما تخلّوا عن الهدى الإلهي واعتمدوا على أيديولوجيات بشرية متجذرة في محدودية التفكير والأهداف الأنانية، تبع ذلك لا محالة الفساد

وعدم المساواة والانحطاط الأخلاقي. لذا، يجب على كل إنسان أن يدرك أن الشريعة الإلهية ليست قيدًا، بل هي رحمة عميقة، صُممت لحفظ كرامة الإنسان، وحماية رفاهيته، وإرشاده إلى السلام في الدنيا والفلاح الأبدي في الآخرة. حتى لو بدت بعض الأوامر مُتحديةً أو مُخالفةً للترغبات المُلحة، يجب تقبلها بيقين بأنَّ الله تعالى أعلم بما هو خيرٌ لخلقه. العاقل كالمريض الذي يثق بخبرة طبيبه: وإن كان الدواء مُرًا والعلاج، صعبًا، فإنه يتقبله بصبرٍ، عالمًا بأنه يُؤدِّي إلى الشفاء والشفاء. كذلك من يتوكَّل على الله تعالى ويخضع له يجد التوازن وراحة البال والرضا في الدنيا والآخرة، من خلال تحقيق حالةٍ نفسيةٍ وجسديةٍ متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء وكل شخصٍ في حياته على الوجه الصحيح.

من يتأمل بعقل منفتح وموضوعي الفرق الشاسع بين نتائج اتباع الهداية الإلهية وقواعد السلوك التي وضعها البشر، سيدرك أن الأنظمة التي وضعها البشر لا يمكنها أبدًا منافسة الهداية الإلهية أو استبدالها بأي شكل من الأشكال. سورة الحج، الآية 67

"... فلا يناد عونك في الأمر ..."

لذلك، ينبغي على المرء أن يتمسك بالهداية الإلهية، عالمًا أنها وحدها كفيلة براحة البال في الدنيا والآخرة من خلال تحقيق حالة ذهنية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في مكانه الصحيح في حياته. إضافةً إلى ذلك، فإن هذا الموقف المتمثل في القيادة بالقُدوة سيشجع الآخرين على فعل الشيء نفسه). سورة الحج، الآية 67، سورة الحج، سورة 22)

"وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ عَلَىٰ هَدًى مُّسْتَقِيمٍ ..."

القيادة بالقُدوة تتطلب أولاً تعلم تعاليم الإسلام ثم العمل بها ليعرف الآخرون صدقها قولاً وفعلاً. فبارساء هذا الأساس فقط، يُمكن نقل القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم إلى الجيل التالي بفعالية، بما يُمكنهم من فهم الإسلام من خلال الأدلة الواضحة لا التقليد الأعمى. وهذا النهج يضمن ثباتهم على تعاليم الإسلام طوال حياتهم. ومن المؤسف أن يُبدي كثير من الآباء حرصاً كبيراً على نقل المعارف الدنيوية لأبنائهم المعارف التي قد تُؤدي إلى النجاح المادي - لكنهم يُهملون مسؤوليتهم في توفير التعليم الديني. وبدلاً من - ذلك، كثيراً ما يُفوضون هذا الواجب للآخرين، مع أن من واجبهم تعليم أبنائهم أصول الإسلام مباشرةً. ومع أن تشجيع طلب المعارف الدنيوية أمرٌ محمود، إلا أنه يجب ألا يكون على حساب التعليم الديني. إن إرسال الأطفال إلى المساجد لمجرد تعلم تلاوة القرآن الكريم دون فهم معانيه لا يكفي. يجب على الشاب اعتناق الإسلام بناءً على الأدلة، لا على الميراث الثقافي أو التقليد الأعمى. وإلا، فمع تقدمهم في السن، قد يرون الإسلام مجرد هوية ثقافية يمكن التخلي عنها. على النقيض من ذلك، عندما يُقبل الإسلام بالدليل، يُفهم على أنه منهج حياة شامل يُنظم كل موقف، ويُرشد إلى حسن استغلال كل نعمة من الله تعالى. ولا يتحقق هذا إلا عندما يتولى كبار السن في الأسرة، وخاصة الوالدين، مسؤولية تعليم البراهين الواضحة على صدق الإسلام وهذا بدوره لا يتحقق إلا عندما يكون هؤلاء الكبار قدوة حسنة، فيتعلمون تعاليم الإسلام ويطبقونها ويعملون بها في حياتهم. وبهذه الطريقة، يُربى الجيل القادم على الإيمان والإخلاص والثبات، مما يضمن الحفاظ على الإيمان وترسيخه على مر الزمان.

في الحقيقة، كل من يبتعد عن منهج الله تعالى، ويتبنى أنظمة أخلاقية وحكومية من صنع البشر، إنما يفعل ذلك سعياً وراء رغباته الدنيوية. جميع هذه الأنظمة البديلة، مهما بدت متطورة أو جذابة، متجذرة في جوهرها في الميول والرغبات البشرية لا في الحكمة الإلهية. إنها مصممة لخدمة مصالح شخصية أو جماعية - غالباً مصالح أصحاب النفوذ والسلطة - بدلاً من إعلاء شأن العدالة أو توجيه البشرية نحو السلام والتوازن الحقيقيين. غالباً ما يكون الأثرياء والأقوياء، على وجه الخصوص، الأكثر رسوخاً في هذه العقلية. إنهم يدركون أن اعتناق منهج الله بإخلاص يتطلب منهم التخلي عن الممارسات غير الأخلاقية، وكبح جماح طموحاتهم، والعيش ضمن الحدود الأخلاقية التي وضعها الله تعالى. وهذا، في نظرهم، من شأنه أن يهدد سلطتهم وثروتهم ونفوذهم. ونتيجة لذلك، يقاومون الحقيقة ويشجعون الآخرين بنشاط على اتباعهم، مما يجعل العصيان والانغماس في ملذات الدنيا أمراً طبيعياً. إن معارضتهم للتعاليم الإلهية لا تنبع من رفض فكري حقيقي، بل من الخوف - الخوف من فقدان السيطرة والهيبة والقدرة على التصرف وفقاً لرغباتهم الخاصة وقد تكرر هذا النمط عبر التاريخ. فكثيراً ما كانت النخب الغنية والشخصيات المؤثرة في كل عصر أول من رفض وعارض الأنبياء عليهم السلام. ولم يكن عداءهم بسبب نقص الأدلة التي تدعم حقيقة الوحي الإلهي. لأنهم غالباً ما أدركوه في قلوبهم - بل لأن قبوله كان يتطلب التواضع وضبط النفس والخضوع لسلطة أعلى. لذا، كان تمردهم دفاعاً عن أنانيتهم ورغباتهم، وليس سعياً صادقاً وراء الحقيقة. يوضح هذا السلوك الخالد حقيقة روحية عميقة: إن عصيان الله تعالى نادراً ما يكون فكرياً بطبيعته - بل هو أخلاقي وعاطفي. يرفض الناس التوجيه الإلهي ليس لأنه يفتقر إلى الوضوح، ولكن لأنه يتحدى رغباتهم الأنانية. الإيمان الحقيقي

يقتضي كبح جماح النفس، والخضوع للحكمة الإلهية، وقبول أن السعادة المطلقة لا تكمن في إشباع جميع الرغبات، بل في العيش وفق النظام الأخلاقي والروحي الذي وضعه الخالق. من يفشل في ذلك قد ينال قوة أو متعة مؤقتة، لكنه في النهاية يفقد راحة البال والتوازن والنجاح الأبدي الذي لا يأتي إلا من طاعة الله تعالى. ولأن الله تعالى يعلم حقيقة نيتهم في معارضة الهداية الإلهية، فإنه سيحاسبهم في الدنيا والآخرة على ذلك: سورة الحج، الآيتان 68-69

"وإن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون، الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون "

،سبقت الإشارة إلى قدرة الله تعالى على إحياء البشرية ومحاسبتها. أما الجانب الجوهري الآخر لهذه المحاسبة: سورة الحج، الآية 70. فهو العلم التام بنواياهم وأقوالهم وأفعالهم، وهي معرفة لا يملكها إلا الله تعالى

ألم تعلم أن الله يعلم ما في السموات والأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير

كما ذكرنا سابقًا، بما أن اتباع الهداية الإلهية غالبًا ما يتعارض مع رغبات الناس الدنيوية، فإن كثيرًا منهم يُصرّون على اتباع قواعد سلوكية وضعها البشر، لا تستند إلى علم أو دليل، بل هي متجذرة في رغبات دنيوية. سورة الحج، الآية 71

"ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم"

،من أهم أسباب وقوع الناس في هذا الموقف ميلهم إلى التبعية العمياء للآراء والسلوكيات السائدة في المجتمع والتي غالبًا ما تُشكلها وتُسيطر عليها النخبة التي يتمثل هدفها الرئيسي في إشباع رغباتها وطموحاتها الدنيوية يجب الحذر من اتباع الآخرين دون تفكير، لأن سلوك الأغلبية في المجتمع غالبًا ما يؤدي إلى معصية الله تعالى .عندما يلاحظ المرء تجاهل الأغلبية للتعاليم الإسلامية، قد يظن أن سلوك الأغلبية صحيح بطبيعته ويتبعه دون تفكير .لكن الحقيقة هي أن رأي الأغلبية ليس دائمًا موثوقًا به .وقد أثبت التاريخ ذلك مرارًا وتكرارًا، حيث ثبت لاحقًا بطلان معتقدات شائعة - على سبيل المثال، الاعتقاد السائد سابقًا بأن الأرض مسطحة .إن الخضوع العمياء للأغلبية، دون تحليل أو فهم، أشبه بالسير كالأنعام، مما يؤدي إلى خيارات :سورة الأنعام، الآية 116 .مضللة في الأمور الدنيوية والروحية

وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يظنون

بدلاً من ذلك، ينبغي على الأفراد توظيف ما وُهبَ لهم من عقلٍ وحكمةٍ لتقييم كل موقفٍ بناءً على المعرفة والدليل .وينبغي أن تُسترشد القرارات بتفكيرٍ دقيق، حتى لو تعارضت مع آراء الأغلبية السائدة .يضمن هذا النهج أن يتصرف الشخص بوعي، لا مجرد التقليد، وبالتالي يتخذ القرارات الصائبة في الأمور الدنيوية والدينية .ينهى الإسلام بشدة عن التقليد الأعمى في أمور الإيمان، ويشجع كل شخص على تعلم التعاليم الإسلامية والعمل بها بفهمٍ وتدبرٍ وإخلاص .هذا الانخراط الواعي يضمن السلامة الروحية والمسؤولية :الشخصية .سورة يوسف، الآية 108

"...قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني"

إذا استمر المرء في اتباع الآخرين دون وعي، فسيُسيء استخدام النعم التي وُهِبَت له حتمًا .فبدلاً من توظيفها فيما يُرضي الله تعالى، يُبَدِّدها في سعيه وراء نزعات زائلة وممارسات ضالة .ويؤدي هذا الإساءة إلى حالة من عدم التوازن، عقليًا وجسديًا، إذ يفشل في تحديد أولويات الناس والمسؤوليات في حياته بشكل صحيح وهذا الإهمال يمنعه من الاستعداد الكافي للمساءلة يوم القيامة، حيث تُسأل كل نعمة .وحتى لو بدا عليه التمتع

ببعض الرفاهية الدنيوية، فإن الحقيقة هي أن حالته الداخلية ستشوّه بالتوتر والحيرة والصعوبة في كلا العالمين.
ولا تُعوّض ملذات الدنيا عن فقدان راحة البال الناتجة عن إهمال الهداية الإلهية. سورة الحج، الآية 71

"وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ..."

يُحذّر الله تعالى مُطيعيه من أن تعاليم الإسلام تُناقض شهوات الناس، فيُعاملها كثيرٌ منهم على أنها أمرٌ غير طبيعيٍّ وغير مألوفٍ ليثني الآخرين عن قبولها والعمل بها. سورة الحج، الآية 72

"وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات عرفت في وجوه الذين كفروا غرابة"

- بشكل عام، غالبًا ما يثير الأفراد الذين يتبنون بوعي أسلوب حياة يبتعد عن الأعراف المجتمعية السائدة وخاصة تلك المتجذرة في الطاعة الصادقة لأوامر الله تعالى - انزعاجًا لدى أولئك الذين تحكم رغباتهم الشخصية أو طموحاتهم الدنيوية في المقام الأول. وغالبًا ما يتجلى هذا الانزعاج في شكل نقد أو سخرية أو حتى عداء صريح، وغالبًا ما يكون أكثر حدة داخل الدوائر الأقرب من العائلة والأصدقاء والزملاء. لا تعكس ردود الفعل هذه بالضرورة أي نقص في صدق أو إيمان الشخص الملتزم بالتوجيه الإلهي؛ بل تكشف عن التحدي الذي يشكله الانضباط الأخلاقي والروحي الراسخ على أنماط حياة الآخرين وقيمهم وتبريراتهم الذاتية ونتيجة لذلك، غالبًا ما يُقابل الالتزام المستمر بالتوجيه الإلهي بالمقاومة، حتى عندما يجسد التميز الأخلاقي والنزاهة الروحية والرحمة الحقيقية.

في العصر الحديث، تمارس قوى مثل وسائل التواصل الاجتماعي والثقافة الشعبية والمعايير المجتمعية المتغيرة بسرعة تأثيرًا هائلًا، مما يجعل من الصعب بشكل متزايد على المؤمنين التمسك بتعاليم الله تعالى وأحاديث النبي محمد صلى الله عليه وسلم والتعبير عنها علانية. يُصوّر أحيانًا طاعة التوجيه الإلهي على

أنها عائق أمام النجاح الدنيوي أو المكانة الاجتماعية أو القبول العام .علاوة على ذلك، قد تثبط العديد من - المؤسسات والصناعات المعاصرة - وخاصة تلك التي تحركها الأرباح المادية أو الأيديولوجيات المتساهلة بشكل خفي أو علني دمج الأخلاق الإسلامية، مما يؤدي إلى تهميش أولئك الذين لا يزالون ملتزمين بها .وقد ساهمت هذه المعارضة بشكل كبير في تصاعد المشاعر المعادية للإسلام، وخاصة عبر المنصات الرقمية والإعلامية، حيث غالبًا ما يتم التلاعب بالروايات لتشويه صورة الإسلام وتثبيط الالتزام بمبادئه

،إن من يتبعون التعاليم الإسلامية بإخلاص، مُعتدلين في شهواتهم، مُستعنيين بنعم الله تعالى بحكمة وامتنان كثيراً ما يواجهون احتكاكات من أشخاص يعيشون حياةً مُطلقة، مُستسلمين لنزوات تُعتبر حيوانية في الإطار الأخلاقي الإسلامي .قد يحاول هؤلاء الأفراد ثني الآخرين عن ممارسة الإسلام، مُروجين بدلاً من ذلك لأسلوب حياةٍ من الانغماس الجامح وإشباع الذات .غالباً ما يُوجه انتقادهم لممارساتٍ مُحددة، مثل قواعد اللباس المفروضة على النساء، ليس من باب القلق الحقيقي، بل كوسيلةٍ لتقويض سلطة الدين وأهميته .إلا أن أصحاب البصيرة يُدركون بسهولة سطحية هذه الاعتراضات، مُدركين أنها نابعة من عدم الارتياح لدعوة الإسلام إلى الانضباط والحياء وضبط النفس .على سبيل المثال، كثيراً ما يخضع الزي الإسلامي لتدقيق مُبالغ فيه، بينما تُثير متطلبات اللباس المُماثلة في مهنٍ مثل إنفاذ القانون، والطب، والتعليم، والبيئات المؤسسية انتقاداتٍ قليلةٍ أو معدومة .هذا التناقض يكشف عن المنطق الخاطئ والتحيز الكامن وراء هذه الاعتراضات في نهاية المطاف، لا تتبع المقاومة الموجهة للإسلام وأتباعه من الممارسات الظاهرية نفسها، بل من المبادئ التي تُجسدها - مبادئ تتناقض تناقضاً صارخاً مع أنماط الحياة القائمة على الإفراط والتساهل والسعي وراء الملذات الزائلة .هذا التناقض الأخلاقي والروحي تحديداً هو ما يثير المعارضة، إذ إن مثال المؤمن المنضبط يُذكرنا تذكيراً صامتاً وقوياً بالغاية الأسمى، والمحاسبة أمام الله تعالى، وقيمة ضبط النفس الدائمة في عصر الغفلة .سورة الحج، الآية 72

"وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات عرفت في وجوه الذين كفروا غرابة "

في الواقع، رد فعلهم غريب ومدهش، لأن التوجيه الإلهي متوافق تماماً مع الفطرة البشرية .فأئي قانون سلوكي يتعارض مع الفطرة البشرية سيشعر المرء حتماً بأنه غريب، مما يُسبب اضطراباً نفسياً وجسدياً عند محاولة اتباعه .في المقابل، صُممت التعاليم الإسلامية لتنسجم مع جوهر الإنسان، مما يجعله يشعر بأنه مألوف بطبيعته، ومُهيئ بطبيعته للتوازن العقلي والجسدي .يتجلى هذا الشعور بالتوافق بشكل خاص لدى من يعتنقون

الإسلام بعد اتباع دين أو نظام حياة آخر. يُفيد العديد من المهتدين أنه حتى دون دراسة مُعمّقة، فإن مبادئ الإسلام تتردد في أعماقهم، كما لو كانوا يُعيدون اكتشاف حقائق محفورة في قلوبهم. لا يفرض الإسلام إطارًا، مُصطنعًا على البشر؛ بل يُعيدهم إلى حالتهم الطبيعية، الحالة التي خلق الله تعالى الناس عليها. ومع ذلك غالبًا ما تُفرض أنظمة أخرى قواعد وقوانين تتعارض مع الفطرة البشرية، مما يُنتج صراعًا داخليًا واختلالًا في التوازن وسخطًا. ومع ذلك، قد يظل هذا التناغم مخفيًا ما لم يُقارب المرء التعاليم الإسلامية بعقلية منفتحة وغير متحيزة. فالتحيز أو الغرور أو التمسك الأعمى بالتقاليد الموروثة قد يحجب إدراك التوافق الطبيعي بين الوحي الإلهي والفطرة البشرية. ومع ذلك، عندما يُقارب المرء هداية الإسلام بصدق، فإنها لا تبدو عبثًا أو قيدًا. بل تعمل كقوة إصلاحية - توازن القلب، وتزرع السكينة، وتوجه الأفراد نحو هدفهم الحقيقي في الحياة وبهذا المعنى، تعمل الإرشاد الإلهي كمرآة وبوصلة في آن واحد: مرآة تعكس الحقيقة الفطرية الموجودة بالفعل في النفس البشرية، وبوصلة توجهها نحو راحة البال في كلا العالمين. باتباع هذه الإرشاد، يحقق الأفراد حالة ذهنية وجسدية متوازنة، ويضعون أولويات صحيحة لكل شيء وكل شخص في حياتهم. ويزرعون في نهاية المطاف وجودًا متناغمًا يتماشى مع إرادة الله تعالى.

عندما تفشل أشكال النقد الخفية - كالنظرات أو الملاحظات أو التثبيط السلبي - في إثناء الشخص عن طاعة الله تعالى، فإن أولئك الذين تُهددهم التعاليم الإسلامية رغباتهم الدنيوية غالبًا ما يُصعدون استنكارهم. وقد يتجلى ذلك في معارضة أكثر مباشرة وفعالية، بما في ذلك الهجمات اللفظية والضغط الاجتماعي، أو حتى محاولات منع الفرد من ممارسة دينه. هذه ردود الفعل هي نتيجة طبيعية لمواجهة الرغبات والمصالح الراسخة التي تتعارض مع التوجيه الإلهي، حيث غالبًا ما يكون الناس غير مستعدين للتخلي عن وسائل الراحة أو الامتيازات أو السلطة التي قد تتعارض مع المبادئ الإسلامية. سورة الحج، الآية 72

"...يكادون أن يطيقوا الذين يتلون عليهم آياتنا ..."

من يُصرّ على سلوكه الحيواني، رافضًا الاعتراف بالقواعد الأخلاقية العليا التي تُميّز البشر عن الحيوانات، والعمل بها، سيقع حتمًا في اختلال التوازن. يُسيء هذا الشخص استخدام نعمه، ويُسيء ترتيب أولوياته ويُقصر في إعطاء كل شيء وكل شخص في حياته مكانه الصحيح. يُؤدي هذا الإهمال إلى حالة نفسية وجسدية غير متوازنة، ويجرده من الانسجام والاستقرار الداخليين. حتى لو بدا أنه يتمتع ببعض الكماليات الدنيوية فإن واقعه الداخلي سيكون مُحاطًا بالتوتر والقلق والصعوبة. إن رفضه تعالى على الشهوات الحيوانية يمنعه

من الاستعداد للحساب النهائي يوم القيامة .ونتيجة لذلك، سيكون عقابه في الآخرة أشد بكثير، لأنه أضاع هبة العقل والمسؤولية الأخلاقية الفريدة التي تسمو بالإنسانية فوق الشهوات الدنيوية .سورة الحج، الآية 72

"قُلْ فَأَنبِئُكُمْ بِشَرِّ مِمَّنْ ذَٰلِكَ النَّارُ الَّتِي وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ..."

لتجنب هذه النتيجة، ضرب الله تعالى مثالاً يُبين بوضوح كيف أن قواعد السلوك البشري، المتجذرة في شهوات الدنيا، لا تُوفّر راحة بال حقيقية ولا نجاحاً في الدنيا والآخرة .سورة الحج، الآية 73

"يا أيها الناس ضرب لكم مثلاً "

،أهم ما يجب فهمه هو أن الإسلام، بخلاف العديد من الأديان والفلسفات الأخرى، هو منهج حياة شامل للجميع بغض النظر عن العرق أو الجنس أو الوضع الاجتماعي أو الخلفية .هذه الشمولية تُبرز القيمة الجوهرية للمساواة في الإسلام .فمكانة الإنسان الحقيقية لا تُقاس إلا بطاعته الصادقة لله تعالى، وكيفية استخدامه للنعم التي وَهَبَتْ له بما يُرضيه، كما هو مبين في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم .سورة الحجرات، الآية 13

"...إن أكرمكم عند الله أتقاكم..."

لا يُعتد بأي معيار دنيوي - كالثروة أو النسب أو العرق أو الجنس أو الطبقة الاجتماعية - في تحديد قيمة الشخص. إن إعطاء الأولوية لهذه الفروقات السطحية يؤدي إلى الكبرياء والتمييز والانقسام داخل المجتمع مما يُقوّض الوحدة التي يسعى الإسلام إلى إرسالها. علاوة على ذلك، ولأن النوايا كامنة في القلب وخفية عن الإدراك البشري، فلا يمكن لأحد أن يُقيّم بدقة صدق الآخرين أو مكانتهم الأخلاقية. لذلك، يجب على الأفراد الامتناع عن ادعاء التفوق على الآخرين أو اعتبار أنفسهم أكثر فضلاً، فالله تعالى وحده هو الذي يعلم نوايا الجميع وأقوالهم وأفعالهم. سورة النجم، الآية 32

"فلا تزكّوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى"

هذا المبدأ يشجع على التواضع ومحاسبة النفس والمساءلة، ويذكر الأفراد بأن النبل والشرف الحقيقيين لا ينبعان من المظهر الخارجي أو التقدير المجتمعي، بل من السلوك القويم والطاعة الصادقة وغرس حسن الخلق. بالالتزام بهذا الفهم، يُرسخ الناس مجتمعاً قائماً على العدل والوحدة والنزاهة الروحية، حيث يُقدّر كل فرد وفقاً لإخلاصه لله تعالى والتزامه بالعيش وفقاً لهديته.

:سورة الحج، الآية 73

أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له يا

علاوة على ذلك، تُذكر هذه الآية بأن الانتفاع الحقيقي بتعاليم الإسلام يتطلب الإنصات الصحيح. فالإنصات الصحيح ليس فعلاً سلبياً، بل عملية فعّالة تتضمن تلقي المعرفة الإسلامية باهتمام، والتأمل فيها في ضوء تجارب الماضي، وتقييم كيفية تطبيقها في المواقف المستقبلية، ثم السعي الجاد لتطبيقها. ولا يمكن للإنسان أن يستفيد حقاً من المعرفة التي يكتسبها إلا من خلال هذا الانخراط المتعمد. فمجرد الاستماع إلى التعاليم

الإسلامية دون تأمل أو تطبيق لن يحدث تغييرًا ذا معنى في السلوك. وهذا أحد الأسباب الرئيسية التي تجعل الكثيرين، على الرغم من توفر المعرفة الإسلامية بشكل غير مسبوق في العصر الحديث، يفشلون في تجربة تحول حقيقي. فالمعارف التي لا تُستوعب وتُعمل بها تبقى سطحية، ولا تُحدث تأثيرًا يُذكر على الشخصية أو السلوك. لذا، فإن مفتاح الاستفادة من المعرفة الإسلامية لا يكمن في وفرة المعلومات المتاحة، بل في جودة الانشغال بها - الإنصات بصدق، والتأمل بعمق، والعمل بعزيمة. ويضمن هذا النهج أن تصبح المعرفة مصدرًا للتوجيه والإصلاح والتغيير الدائم، وليس مجرد مجموعة من الكلمات

:سورة الحج، الآية 73

أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له، إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له، وإن يا...يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه

إن قواعد السلوك التي وضعها البشر في معصية الله تعالى - سواء كانت نابعة من اتجاهات وسائل التواصل الاجتماعي أو الموضوعة أو التوقعات الثقافية - لا يمكن أن تُحقق فائدة حقيقية أو راحة بال دائمة في الدنيا والآخرة. فهي ببساطة لا تمتلك القوة أو التأثير أو المعرفة اللازمة لتحقيق هذه النتيجة. إن الله تعالى هو الوحيد الذي يملك المعرفة الكاملة بالطبيعة البشرية، والذي وحده قادر على توجيه الإنسان إلى حالة ذهنية وجسدية متوازنة، مع وضع كل شيء وكل شخص في حياته على النحو الصحيح. ورغم الكم الهائل من الأبحاث التي أجراها المجتمع في السلوك البشري وعلم النفس والرفاهية، إلا أن معرفته لا تزال محدودة. فهي لا تستطيع معالجة كل تحدٍ قد يواجهه الإنسان، ولا تستطيع حمايته من جميع أشكال التوتر والمصاعب وكثيرًا ما تتشكل النصيحة البشرية من خلال التحيزات، وقصر النظر، وضيق الخبرة، مما يعني أنها ستظل دائمًا قاصرة عن تقديم التوجيه الشامل. ولهذا السبب، يجد أولئك الذين يعتمدون فقط على الأنظمة التي وضعها البشر أنفسهم حتمًا في حالة من عدم الاستقرار، حتى وإن بدوا ناجحين ظاهريًا. على النقيض من ذلك، فإن هداية الله تعالى متجذرة في الحكمة والمعرفة التامة، المصممة بما ينسجم مع فطرة الإنسان. إنها قوية، وتقوي من يعمل بها، وتمكنه من البقاء ثابتًا وصامدًا في وجه محن الحياة. أولئك الذين يعيشون وفقًا للهداية الإلهية يجدون صفاءً في أولوياتهم، واستقرارًا في عواطفهم، وسكينة في قلوبهم. من ناحية أخرى، فإن قواعد السلوك التي وضعها الإنسان لا تركز على الحقيقة الدائمة بل على الرغبات البشرية، وهي ضعيفة ومتقلبة ودائمة التغير. وبالتالي، فإن من يتبعها يصبح ضعيفًا، وينهار تحت وطأة ضغوط الحياة. يمكن توضيح هذه الحقيقة

بمثال شخصين وقعا في عاصفة عنيفة. أحدهما يلجأ إلى قلعة حصينة منيعة، بينما يحتتمي الآخر في كوخ من القش هش. لا يتطلب الأمر ذكاءً كبيراً لتمييز من سيصمد أمام العاصفة بنجاح. كذلك من لجأ إلى هداية الله تعالى وجد القوة والاستقرار والسكينة، بينما من اعتمد على ملاذ الشهوات البشرية الهش سيتعثر ويفشل لا:سورة الحج، الآية 73. محالة في كلا العالمين

"ضعيف هو الذي يطارده ويطارد..."

وهكذا، فإن الأمن الحقيقي وراحة البال لا يكمنان في تغيير أنماط المجتمع، بل في هداية الله تعالى الدائمة والثابتة. ومن يدرك هذه الحقيقة ويعمل بها يكون محصناً من عواصف الحياة، ومستعداً للنجاح الأبدي في الآخرة، من خلال تحقيق حالة ذهنية وجسدية متوازنة، ومن خلال حسن توزيع كل شيء وكل شخص في حياته).سورة الحج، الآية 74)

"ولم يقدرها الله حق قدره، إن الله لقوي عزيز"

لذلك، يجب على الإنسان اعتناق التعاليم الإسلامية والعمل بها لما فيه مصلحته، حتى لو تعارض ذلك مع رغباته أو ميوله الشخصية. وينبغي التعامل مع هذه الطاعة بنفس الحكمة والثقة التي يتعامل بها المريض الذي يتبع إرشادات الطبيب الماهر. قد تُوصف للمريض أدوية مُرة، أو قيود غذائية صارمة، أو علاجات مُرهقة، ومع ذلك يمتثل تماماً، مُدركاً أن تعليمات الطبيب تهدف إلى استعادة صحته والحفاظ عليها. وبالمثل عندما يخضع الإنسان لهداية الله تعالى، ويُطبّق تعاليمه في جميع جوانب الحياة - الروحية والأخلاقية والعملية فإنه يضع ثقته في حكمة تفوق فهمه المحدود بكثير. وكما أن المريض في نهاية المطاف ينال العافية الجسدية - والنفسية من خلال الالتزام الدؤوب بالنصائح الطبية، فإن من يتبع التعاليم الإسلامية بإخلاص سيحقق حالة نفسية وجسدية متوازنة، وإعطاء الأولوية لجميع جوانب الحياة، وراحة بال دائمة في الدنيا والآخرة.

على الرغم من الأدلة الواضحة التي لا يمكن إنكارها في التعاليم الإسلامية، فإن العديد من قادة غير المسلمين في مكة المكرمة، وكذلك العديد من أهل الكتاب المقيمين في المدينة المنورة، رفضوا الإسلام حسداً للنبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم. لم يتمكنوا من تحمل ارتفاع مكانته والحقيقة التي نقلها، ولم ينبع رفضهم من نقص الأدلة، بل من ارتباطاتهم الشخصية وطموحاتهم. والأهم من ذلك، أن النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم لم يكن لديه دراسة رسمية للكتب السماوية السابقة - وهي حقيقة أقر بها هؤلاء الأفراد أنفسهم لذلك، لم يكن بإمكانه معرفة التفاصيل الدقيقة المذكورة في القرآن الكريم إلا إذا أوحيت إليه مباشرة من الله: سورة آل عمران، الآية 44. تعالى، من خلال الوحي الإلهي

ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك، وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم، وما كنت لديهم إذ يختصمون

علاوة على ذلك، أقرّ كثير من علماء أهل الكتاب بصدق الإسلام اعترافاً واضحاً لمعرفتهم بمؤلفه، الله تعالى. كما أقرّوا بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم، واعتبروا القرآن الكريم استمراراً وتأكيذاً لرسالة الله تعالى التي أنبأت بها كتبهم. وكان إقرارهم هذا مستمداً من العلم والعقل، إذ رأوا في الإسلام تحقيقاً لما أنزل سابقاً، مؤكدين أن مصدره لا يمكن أن يكون إلا إلهياً. سورة الأنعام، الآية 20

«...الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه» [القرآن الكريم] كما يعرفون أبناءهم»

:وسورة البقرة، الآية 146

«الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم»

كان أهل الكتاب يحسدون النبي محمدًا صلى الله عليه وسلم، لأنه من نسل النبي إسماعيل عليه السلام، لا من نسل أخيه النبي إسحاق عليه السلام، الذي ينحدرون منه. وقد ارتبطت هويتهم الدينية بمفهوم النسب، الذي اعتقدوا أنه يمنحهم الأفضلية على سائر البشر. وكان قبول نبيٍّ من نسلٍ آخر، صلى الله عليه وسلم، سيحطم هذا الشعور المُصطنع بالتفوق، ويُقوّض الهيبة الزائفة التي بنوها حول النسب.

وبالمثل، أدرك غير المسلمين في مكة، وهم أساتذة اللغة العربية، أن القرآن الكريم لا يمكن أن يكون كلام مخلوق. فبلاغته وعمقه وأسلوبه الفريد تفوق قدرة البشر. علاوة على ذلك، فقد عاشوا مع النبي محمد صلى سورة الله عليه وسلم أربعين عامًا قبل نبوته. عرفوا شخصيته معرفةً دقيقة، وأدركوا تمامًا أنه ليس بكاذبًا. يونس، الآية 16:

"لأنني عشت بينكم عمرًا قبل ذلك. أفلا تعقلون؟..."

ومع ذلك، ورغم هذه المعرفة، لم يستطع أشراف مكة قبوله. فقد أعمى كبرياؤهم وأطماعهم الدنيوية أبصارهم. لم يطبقوا فكرة اتباع رجل، مع أنه من أشرف القبائل، نشأ يتيمًا فقيرًا بلا ثروة ولا سلطان دنيوي. وقد حسدهم توقعهم للقيادة والسيطرة والكسب المادي على النبي محمد صلى الله عليه وسلم حين أُعطي النبوة ورُقي إلى مقام القيادة الحقة والتفوق على الخلق أجمعين. ولذلك، لم يكن رفضهم نابغًا من نقص الأدلة أو الوضوح، بل من الكبر والغيرة والخوف من فقدان مكانتهم الدنيوية.

ولذلك، ذكّر الله تعالى قادة غير المسلمين في مكة وأهل الكتاب بأنه لما قسم كل شيء في هذا الكون، كالنبوة فلا ينبغي لهم أن يمنعه حسدهم للنبي محمد صلى الله عليه وسلم من قبول تعاليم الإسلام والعمل بها. سورة الحج، الآية 75

«...إن الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس»

عمومًا، الحسد من كبائر الذنوب التي يجب اجتنابها بأي ثمن. ويُعتبر من الكبائر لأن الحاسد في الحقيقة يتحدى قدر الله تعالى. فباستياءه من النعم الممنوحة للآخرين، يتصرف كأن الله تعالى قد أخطأ في توزيع الرزق والنعم. وهذا السلوك لا يُدمر الروح فحسب، بل يُفسد الأعمال الصالحة أيضًا. وقد حذر من هذا الخطر صراحةً في حديث سنن ابن ماجه، رقم 4210

.هناك نوع من الحسد المباح، وهو أن يتمنى المرء نيل نعمة مماثلة لغيره دون أن يتمنى فوات ما وهب له. وحتى هذا النوع من الحسد لا يكون إلا محمودًا في الدين ومذمومًا في الدنيا. وقد أوضح النبي صلى الله عليه وسلم في حديث صحيح مسلم رقم 1896 أن الحسد المباح نوعان: حسد من أحسن استعمال علمه وعلمه وحسد من اكتسب مالا حلالًا وأنفقه فيما يرضي الله تعالى.

لتجنب الوقوع في الحسد الآثم، يجب على المرء أولاً أن يدرك أنه تحدّ مباشر لحكمة الله تعالى. عليه أن سورة البقرة، الآية. يدرك حقيقة أن الله تعالى يُعطي كل إنسان ما هو خير له، حتى وإن لم يدرك ذلك فورًا ٢١٦:

"وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ..."

بدلاً من حسد الآخرين، ينبغي على المرء أن يُركز على استخدام نعمه بما يُرضي الله تعالى، كما هو مبين في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. هذا النهج يُفضي إلى زيادة البركات وراحة البال من خلال تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص، في الدنيا والآخرة: سورة إبراهيم، الآية 7. في حياته على الوجه الصحيح

لئن شكرتم لأزيدنكم

. على النقيض من ذلك، يُصرف الحسد الإنسان عن طاعة الله تعالى، فيُسيء استخدام النعم التي أنعم بها عليه، ونتيجةً لذلك، يُعاني من حالة نفسية وجسدية غير متوازنة، ويُسيء تقدير كل شيء وكل شخص في حياته ويُقصر في الاستعداد الكافي للحساب يوم القيامة. وهذا يُسبب له التوتر والضيق والصعوبات في الدنيا والآخرة، حتى وإن بدا عليه بعض النعيم. سورة طه، الآيات ١٢٤-١٢٦

ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد "كنت بصيراً قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى

. أما المحسود، فعليه أن يصبر على أذى الحاسد لفظياً أو جسدياً، وأن يدافع عن نفسه في حدود الإسلام فقط. الصبر الحقيقي هو الامتناع عن الشكوى قولاً وفعلاً، مع الاستمرار في استخدام النعم في طاعة الله تعالى. هذا هو السبيل العملي للاستعاذة به من أذى الحسد، كما ورد في سورة الفلق، الآيتان 1 و5

"قل أعوذ برب الفلق...ومن شر حاسد إذا حسد"

بهذه الطريقة، يحمي الله تعالى عباده من أذى الحسد، حتى وإن لم تظهر لهم هذه الحماية فوراً. وتستند حمايته إلى حكمته وعلمه اللامحدودين، اللذين يفوقان فهم البشر المحدود بكثير. وهكذا، يطمئن المرء بأنه باجتناب الحسد، والشكر، واللجوء إلى الله تعالى، ينال راحة البال، والاستقرار النفسي والبدني، والتوفيق في الدنيا وجسدية متوازنة، ومن خلال حسن توزيع كل شيء وكل شخص في والآخرة، من خلال تحقيق حالة نفسية: سورة الحج، الآيتان 75-76 . حياته

"...إن الله سميع بصير، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم..."

ولأن الله تعالى عليم بكل شيء، فإنه سيحاسب كل إنسان على نيّاته وأقواله وأفعاله في الدنيا والآخرة. سورة الحج، الآية 76:

"والى الله ترجع الأمور"

لذا، يجب على المرء أن يستعد للمساءلة بالتركيز على حسن استغلال النعم التي وُهِبَتْ له كما وردت في التعاليم الإسلامية، بدلاً من النظر إلى نعم الآخرين. سورة الحج، الآية 77

يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون

عندما يخاطب الله تعالى المؤمنين في القرآن الكريم، غالبًا ما يُربط دعوته بضرورة تحقيق إيمانهم اللفظي ذلك أن مجرد التصريح بالإيمان دون عمل مُقابل له لا قيمة له في الإسلام. فالإيمان الحقيقي لا يقتصر على الأقوال، بل يجب أن يتجلى في أفعال تعكس الطاعة والإخلاص والولاء. فالأعمال دليل ملموس على إيمان المرء، وهو الدليل الذي ينال به المؤمن الثواب والرحمة في الدنيا والآخرة. وكما أن الشجرة المثمرة لا تُفتر بثمن إلا بثمرها، فكذلك الإيمان لا يُكتسب معناه إلا بالأعمال الصالحة. فالشجرة العقيمة، مهما بدت، لا تُقدم نفعًا حقيقيًا؛ وكذلك الإيمان الخالي من الأعمال الصالحة لا يُعلي شأن المؤمن ولا يُعلي شأنه. وهكذا، فإن دعوة القرآن للمؤمنين هي تذكير وتحذير في آن واحد: أن يُحوّلوا شهادتهم اللفظية إلى واقع ملموس، ضامنين أن إيمانهم ليس ادعاءً فارغًا، بل مصدر هداية وقوة ونفع لهم وللآخرين. وهكذا يُشكّل الإيمان والعمل معًا الصورة الكاملة للإسلام، مما يؤدي إلى التوازن وراحة البال والتوفيق الأبدي. وفي هذا السياق، يدعو الله تعالى المؤمنين إلى إقامة الصلاة المفروضة، فهي الركن الأساسي الذي تدور عليه جميع الأعمال الصالحة. (سورة الحج، الآية 77)

"...يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم"

تحتل الصلاة المفروضة في التعاليم الإسلامية مكانةً رفيعةً وجليلةً، فهي عبادةٌ عليا وركيزةٌ أساسيةٌ تُبنى عليها سائر الأعمال الصالحة. إنها تُمثل جوهر الإيمان، وتؤكد مرارًا على أنها أساس علاقة العبد بخالقه فبدون إقامتها على الوجه الصحيح، لا ينال المرء هدايةً روحيةً حقيقيةً، فهي صلةٌ روحيةٌ أساسيةٌ بين العبد وربّه تعالى. فهي تُنمّي التواضع والإخلاص وضبط النفس، وتُذكّر الفرد باستمرارٍ باعتماده على الله تعالى ومحاسبته يوم القيامة. ويتطلب أداء الصلاة المفروضة على الوجه الصحيح الالتزام الدقيق بشروطها وآدابها، الأساسية، وعلى رأسها أداء كل صلاة في وقتها. وقد أكّد القرآن الكريم مرارًا على حرمة هذه الأوقات مُصوّرًا الصلاة على أنها أوضح دليل على الخضوع الصادق، وأجلّ تعبير عن إخلاص القلب لله تعالى بتوزيعها على مدار اليوم، تُنظّم الصلاة وقت الإنسان، وتُرسّخ روتينه بالذكر وتحميه من الغفلة. كل أذان لذا، فإن يُذكرنا بأن الحياة فانية، وأن كل لحظة يجب أن تُعاش بذكر الله تعالى، واستعدادًا ليوم القيامة الصلوات المفروضة ليست مجرد حركات خارجية؛ بل هي أساس الإيمان وأساس كل عمل صالح. بالمداومة عليها، يُحقّق الإنسان الانسجام بين حياته الروحية والجسدية، مما يُقوّي عزمه الداخلي على مقاومة المعصية والثبات على الاستقامة. في بنية الصلاة، تحمل كل حركة دلالة عميقة، تعكس حقائق الآخرة. على سبيل المثال، يعكس مجرد الوقوف منتصبًا الوضعية التي سيتخذها جميع المخلوقات عند الوقوف بين يدي الله (سورة المطففين، الآيات 4-6). تعالى للحساب

أَوَّلَا يَنْظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُبْعَثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ

وبالمثل، عندما ينحني الإنسان في الصلاة، فإن هذه الحركة تُمثل تأملاً عميقاً في النفوس التي لا تُحصى التي، سورة المرسلات. ستواجه عتاباً شديداً وندماً عميقاً يوم القيامة لرفضها الركوع لله تعالى في حياتها الدنيا:
الآية 48

"وإذا قيل لهم اركعوا لم يركعوا"

هذه الآية تُمثل تحذيراً شديداً لمن اتَّسمت طاعتهم لأوامر الله تعالى بالتذبذب والانتقائية في حياتهم. علاوة على ذلك، فإنَّ سجود المصلِّي تذكيراً قوياً باليوم الحتمي الذي ستُؤمر فيه كلُّ نفس بالسجود لله تعالى. في ذلك اليوم، سيجد من أهملوا عمداً هذا الخضوع الجوهري في حياتهم الدنيوية - كاشفين بذلك عن استخفافهم بالمعتاد بأوامره - أنفسهم عاجزين عن السجود، مهما رغبوا في ذلك. سورة القلم، الآيتان 42-43

يوم يشتد الأمر يدعون إلى السجود فيمنعون، وتخضع أعينهم، وتغشاهم الظل، وكانوا يدعون إلى السجود"
"وهم سالمون

في نهاية المطاف، يُعدُّ الركوع في الصلاة نذيراً مهيباً ومهيئاً للوضعية التي ستتخذها كل نفس أمام الله تعالى يوم القيامة، وهي وضعية تتسم بالتواضع العميق والخضوع المُبجل في انتظار القضاء النهائي لمصيرها:
سورة الجاثية، الآية ٢٨. الأبدى

"وترى كل أمة جائثة، وكل أمة تُدعى إلى كتابها، اليوم تجزون ما كنتم تعملون"

من أدّى صلاته بتدبيرٍ واعيٍ لهذه الحقائق العميقة، ارتقى بعبادته إلى أصدق صورها وأجلّها. هذا العمق في الوعي يضمن أن تمتدّ طاعة الله تعالى إلى ما وراء لحظات الصلاة نفسها، متغلّغَةً في سلوك الفرد ومرشدةً: سورة العنكبوت، الآية 45. أفعاله بين كل عبادة

"...إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر"

هذه الطاعة التامة لله تعالى ضرورية. فهي تقتضي من الإنسان استغلال كل نعمة أنعم بها عليه كما وردت في التعاليم الإسلامية. سورة الحج، الآية 77

"...اعبد ربك وافعل الخير..."

كما ذكرنا، من الضروري إدراك أن عبادة الله تعالى تتجاوز بكثير مجرد الطقوس الدينية، كالصلوات المفروضة. فالعبادة الحقّة تشمل طاعته في كل حال وفي كل نعمة أنعم بها، كما هو مبين في القرآن الكريم، وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. فالإيمان المقتصر على القلب دون عمل لا قيمة له في الإسلام، فالطاعة أمر محسوس لا بد من إثباته بالأعمال الصالحة التي تُبذل خالصةً لله تعالى. ومن يعمل بدوافع خفية

طمعًا في الشهرة أو الكسب الدنيوي، فلن يُجزيه الله. وقد أكد على هذه الحقيقة حديثُ في جامع الترمذي، رقم 3154.

طاعة الله تعالى تقتضي أيضًا تحقيق أبعاد القرآن الكريم المختلفة. أولها تلاوته بدقة وانتظام، مع حفظ كلماته بعناية. ثانيها فهم تعاليمه من مصادر موثوقة ومعلمين، مع ضمان فهم المرء لها بشكل صحيح. ثالثها، وهو الأهم، هو تطبيق تعاليمه بنية صادقة لمرضاة الله تعالى. يضع المسلم المخلص هداية القرآن الكريم فوق أهوائه الشخصية، وينمي شخصيته وفقًا لمبادئه. كان هذا هو مثال النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم الذي وُصف سلوكه بأنه تجسيد للقرآن الكريم، كما ورد في حديث من سنن أبي داود، رقم 1342. لتكريم القرآن الكريم حقًا، يجب على المرء أن يتعامل معه بجدية، وأن يسعى جاهدًا لفهم تعاليمه وتطبيقها بكاملها بغض النظر عما إذا كانت تتماشى مع الميول الشخصية. الانتقائية في التمسك - أي اختيار الأوامر أو النواهي التي تناسب ذوق المرء - تكشف عن نقص في الإخلاص، وتمنعه من الاستفادة الكاملة من حكمته العميقة: سورة الإسراء، الآية 82

وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً

من الضروري أيضًا الإقرار بأن القرآن الكريم، وإن كان يقدم حلولاً لمصاعب الدنيا، إلا أن غايته لا تقتصر على هذا الدور. فلا ينبغي اعتباره مجرد أداة تُتلى في أوقات الشدة، ثم تُترك جانبًا عند إيجاد الفرج. غايته الأسمى هي هداية البشرية إلى راحة البال في الدنيا والآخرة. إن تجاهل هذا الهدف الأساسي وتوظيفه فقط في شؤون الدنيا وشهواتها هو إساءة استخدامه، تمامًا كما لو اشترى سيارةً بمواصفات متعددة لكنها بلا محرك، مما يجعلها عاجزة عن تحقيق غايتها الحقيقية. يكشف هذا النهج عن نقص في الالتزام الحقيقي بالقرآن الكريم. في المقابل، من يلتزم به بإخلاص - بتلاوة وفهم وتطبيق تعاليمه باستمرار - سيجده مصدرًا للشفاء، والرحمة والقوة والهداية في جميع جوانب الحياة، يقودهم إلى السلام في الدنيا والنجاح الأبدي في الآخرة. من خلال تحقيق حالة ذهنية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في مكانه الصحيح: سورة الحج، الآية 77

"واعبد ربك وافعل الخير لعلك تفلح"

:سورة الحج، الآية 77

"...وافعل الخير..."

لأن الأمر بالمعروف لم يُقيد بنوع معين، فلا عذر لأحد في إهماله. فقد أنعم الله تعالى على كل فرد، كثرت نعمه وقلّت، وعلى كل فرد أن يستغلها في طاعته كما بينها الهدى الإلهي. وللأسف، يتخذ بعض الناس صفةً واهيةً تمنعهم من التقدم في الصلاح: فيقارنون أحوالهم بأحوال من يبدو لهم أيسر سبيلاً، ثم يتخذون هذه المقارنة ذريعةً لتقصيرهم في طاعة الله. فمثلاً، قد يبزر العامل بدوام كامل تقصيره في طاعة الله تعالى بمقارنة نفسه بعامل بدوام جزئي، مدعيًا أن الأخير لديه وقت فراغ أكبر للعبادة والعمل الصالح. وبالمثل، قد يمتنع محدود الدخل عن الصدقة ناظرًا إلى من هم أكثر ثراءً، معتبرًا أن الأغنياء أسهل عطاءً. قد تريح هذه الأعذار الضمير مؤقتًا، لكنها لا تُجدي نفعًا في الدنيا والآخرة.

الله تعالى لا يُلزم الناس بالعمل بقدر غيرهم، إنما يُلزمهم بالعمل بقدر أنفسهم. فالعامل المتفرغ يُخصّص ما يملك من وقت فراغ لطاعة الله تعالى، ولو كان أقل من العامل الجزئي. ولا دخل لعمل الجزئي في محاسبة المتفرغ. وكذلك الحال بالنسبة لذي الغنى المحدود، فيتصدق بقدر طاقته، ولو كان أقل بكثير مما يستطيع الأغنياء، فإن الله تعالى يُحاسب كل إنسان على ما عمله، لا على ما صنعه غيره.

ينطبق هذا المبدأ على جميع جوانب الحياة. فلا يُتوقع من الشخص محدود المعرفة أن يُعلّم بمستوى الباحث، بل يُتوقع منه أن يعمل بما يعرفه وأن يُشارك القليل الذي يستطيعه. ولا يُتوقع من الشخص محدود الصحة أو

القوة أن يقوم بنفس أعمال الشخص القوي جسديًا، بل يُتوقع منه أن يجتهد في حدود قدراته. وفي جميع الأحوال، ليس المعيار هو المقارنة بالآخرين، بل الإخلاص والاجتهاد وفقًا لقدرات الفرد.

لذا، يجب على الناس التخلي عن هذه الأعدار الواهية والتركيز على طاعة الله تعالى، مستغلين نعمه كما وردت في التعاليم الإسلامية. فبذلك يجدون القوة والتوازن وراحة البال، ويستعدون جيدًا للحساب يوم القيامة. فالنجاح الحقيقي لا يكمن في مقارنة النفس بالآخرين، بل في السعي الصادق بكل ما يهيئه الله تعالى من موارد وفرص. هذه العقلية تحوّل حتى الأعمال الصغيرة إلى عبادات عظيمة، بينما الأعدار لا تؤدي إلا إلى الجمود. سورة الحج، الآية 78. والضياع

"...وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ"

في حديثٍ ورد في صحيح مسلم، رقم 159، قدّم النبي محمد صلى الله عليه وسلم نصيحةً موجزةً وعميقةً. فقد أوصى الناس بإعلان إيمانهم بالله تعالى بصدق، ثم الثبات عليه. هذه العبارة، وإن كانت موجزةً، إلا أنها تُجسّد جوهر الإيمان، فالإيمان ليس مجرد كلام، بل التزامٌ مدى الحياة، يجب إثباته بالعمل الدؤوب والإخلاص

الثبات على الإيمان يعني السعي لطاعة الله تعالى في جميع مناحي الحياة. ويتطلب ذلك أداء الفرائض المتعلقة به، كالصلاة والصيام والذكر، وما يتعلق بالناس، كالصدق والإحسان والعدل وأداء الأمانة. كما يتضمن اجتناب المحرمات، سواء كانت معاصي سرية بين العبد وبين الله تعالى، أو ما يضر الآخرين. ويتطلب الثبات (سورة البقرة)، أيضًا الصبر على الأقدار، والثقة بأن قضاء الله تعالى خير دائمًا، وإن ظاهره خلاف ذلك (الآية ٢١٦).

"وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ..."

لا يتحقق الثبات الحقيقي إلا باتباع نهج النبي محمد صلى الله عليه وسلم، فهو التجسيد الحي للقرآن الكريم
:سورة آل عمران، الآية 31

"قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم"

من الاستقامة اجتناب الشرك الأكبر والأصغر. الشرك الأكبر هو عبادة أي شيء مع الله تعالى، والشرك الأصغر هو فعل الخيرات بقصد الرياء أو طلب رضا الناس. وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك في حديث سنن ابن ماجه رقم 3989. ومن أركان الاستقامة إخلاص العمل لله تعالى وحده

الاستقامة تعني أيضاً إدراك أن طاعة الله تعالى مقدمة على رضا النفس أو رضا الآخرين. فإذا عصى الله تعالى إشباعاً لهواه أو نيلاً لرضا الناس، فعليه أن يتذكر أن لا هواه ولا الناس سيحمله من عقاب الله تعالى. ومن يطيع الله تعالى بإخلاص يجد حمايته في كل أحواله، وإن لم تظهر هذه الحماية فوراً

الثبات لا يعني بلوغ الكمال، فالبشر معرضون للخطأ، بل يعني السعي للثبات على الحق، والتوبة الصادقة
:(الفصل 41، الآية 6) . عند التقصير، والاستمرار في الطاعة

"...فاستقموا إليه واستغفروه ..."

،وقد نصح النبي محمد صلى الله عليه وسلم بمحو الخطايا بالعمل الصالح، كما في جامع الترمذي، رقم ١٩٨٧
وذكرهم في موطأ مالك، الكتاب الثاني، الحديث ٣٧، بالسعي إلى الثبات وإن لم يبلغوه كاملاً. فالمطلوب ليس
الكمال، بل الاجتهاد الصادق في حدود ما وهبه الله تعالى لكل ذي حق حقه

ومن المهم أيضاً إدراك أن الثبات في الأعمال الخارجية لا يمكن تحقيقه دون تطهير القلب أولاً. وكما علم
النبي محمد صلى الله عليه وسلم في سنن ابن ماجه رقم 3984، فإن أعضاء الجسد لن تعمل بشكل صالح
إلا إذا كان القلب نقياً. يأتي تطهير القلب من خلال تعلم والعمل بالقرآن الكريم وأحاديث النبي محمد صلى
الله عليه وسلم. ينتج القلب النقي كلاماً نقياً، ولهذا السبب فإن التحكم في اللسان جزء أساسي من الثبات. أكد
النبي محمد صلى الله عليه وسلم على ذلك في جامع الترمذي رقم 2407، معلناً أنه بدون حراسة اللسان، لا
يمكن طاعة الله تعالى الحقيقية

وأخيراً، إذا حدث أي خلل في ثبات المرء، فالعلاج هو التوبة الصادقة إلى الله تعالى، وطلب العفو من الناس
إن انتهكت حقوقهم. وهكذا، فإن الثبات ليس حالة ثابتة، بل هو رحلة مستمرة من السعي والتقشير والتوبة
والعودة إلى العمل. هذا الالتزام المستمر هو ما يُعرّف الإيمان الحقيقي، ويضمن راحة البال في الدنيا والفلاح
الأبدي في الآخرة، من خلال تحقيق حالة ذهنية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص
:سورة الأحقاف، الآية 13. في حياته على الوجه الصحيح

"إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون"

:سورة الحج، الآية 78

"وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَدَاؤُكُمْ"

لما كرم الله تعالى المسلمين بمسؤولية تمثيله في الأرض، فعليهم أداء هذه المسؤولية بإخلاص واجتهاد. وهذا لا يتطلب فقط تعلم تعاليم الإسلام، بل أيضاً تجسيدها في حياتهم اليومية، بحيث تعكس أفعالهم وأقوالهم حقيقة الدين وجماله. وبهذه الطريقة، يُعرض على غير المسلمين وإخوانهم المسلمين تعاليم الإسلام الصحيحة من خلال أمثلة حية لا مجرد أقوال جوفاء. عندما يقصر المسلمون في تمثيل الله تعالى تمثيلاً صحيحاً، تكون العواقب وخيمة. فسوء سلوكهم يثني الآخرين عن اعتناق التعاليم الإسلامية أو العمل بها، ويفتح الباب أمام انتقاد الله تعالى والقرآن الكريم ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم. يقع اللوم على من أهملوا واجبه وسُحاسبون على هذا التقصير في الدنيا والآخرة. لذا، فإن مسؤولية التمثيل ليست بالأمر الهين، بل هي أمانة تتطلب الإخلاص والثبات والتواضع. على كل مسلم أن يتذكر أن سلوكه ليس انعكاساً لذاته فحسب، بل هو أيضاً انعكاس للدين الذي يدعي اتباعه. وبسعيه للعيش وفقاً للقرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، فإنه يصون محاسبته، ويصبح مصدر هداية وإلهام للآخرين.

سورة البقرة، الآية ٢٨٦. بين الله تعالى أنه لا يكلف نفساً إلا وسعها وقد

»... لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا

:سورة الحج الآية 78

"وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ"

هذا المبدأ يُسقط كل عذرٍ قد يلجأ إليه المرء لتبرير تقصيره في واجباته. لا يمكن لأي مسلم أن يدّعي أن واجب تمثيل الله تعالى أمام العالم الخارجي، أو غيره من الواجبات التي أمر بأدائها تجاهه وتجاه الناس، يفوق طاقته. فكل أمرٍ قد فُصل على قدر الإنسان، ولذلك فإن كل فرد مسؤول مسؤولية كاملة عن استجابته له. من الضروري التخلي عن التهاون والكسل في ادعاء بذل الجهد، بينما في الواقع لا يبذله بإخلاص. لو كان المرء يسعى بصدقٍ بما وهبه الله تعالى من وسائل وإمكانات، لأدى الواجبات المنتظرة منه بلا شك. إن ادعاء بذل الجهد دون بذل حقيقي ليس إلا خداعاً للنفس، ووسيلةً لتهذئة الضمير مع الاستمرار في التقصير. لذلك، يجب على المرء أن يتبنى الموقف الصحيح: موقف الإخلاص والعزيمة والمساءلة. عليهم أن يدركوا أن الأعداء لا تُقبل لا في الدنيا ولا في الآخرة، فالله تعالى يعلم حقيقة كل قلب ومقدار كل جهد. يوم القيامة، لن يختبئ أحد وراء ادعاءات العجز أو المقارنة بالآخرين، فكل شخص سيُحاسب على حسب إمكانياته وفرصه. فالعاقل إذن هو من يدرك هذه الحقيقة ويسعى جاهداً لأداء واجباته بما أُتيحت له من قوة ووقت وموارد. وبذلك، لا يقي نفسه من اللوم فحسب، بل ينال أيضاً راحة البال والتوازن في الدنيا والنجاح الأبدي في الآخرة، من خلال تحقيق حالة ذهنية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في حياته على الوجه الصحيح.

ثم يُذكر الله تعالى أحفاد النبي إبراهيم عليه السلام، غير المسلمين في مكة وأهل الكتاب في المدينة، وبالتالي البشرية جمعاء، بأن يُودوا إرث آبائهم على الوجه الصحيح، بقبول الإسلام والعمل به). سورة الحج، الآية (78).

...أبيكم إبراهيم، هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا الوحي ملة

في الواقع، ادّعت كلتا الفئتين - عبدة أوثان مكة وأهل الكتاب في المدينة - التمسك بالإرث النبيل للنبي إبراهيم عليه السلام، مع أن أفعالهما تناقضت بوضوح مع سنته وتعاليمه. وبلغ عصيانهما ذروته عندما رفضا الإسلام، رغم إقرارهما بصدقه. لقد عاش عبدة أوثان مكة مع النبي محمد عليه الصلاة والسلام أربعين عاماً قبل نبوته، وشهدوا صدقه ونزاهته وكرم خلقه، فأيقنوا يقيناً أنه ليس بكاذب. سورة يونس، الآية 16

"لأنني عشت بينكم عمرًا قبل ذلك. أفلا تعقلون؟..."

علاوة على ذلك، وبصفتهم أساتذة في اللغة العربية، فقد أدركوا تمامًا أن القرآن الكريم لا يمكن أن يكون كلام بشر، فبلاغته وعمقه وقوته تفوق قدرة أي مخلوق. ومن المهم أيضًا أن نتذكر أن النبي محمدًا صلى الله عليه وسلم لم يكن له أي تفاعل مباشر مع الكتب السماوية السابقة، وهي حقيقة أقر بها أهل الكتاب وغير المسلمين في مكة. لم يدرس هذه الكتب قط، ولم يتعلمها من أحدٍ على دراية بها. اتسمت حياته قبل النبوة بالبساطة والأمانة والانقطاع التام عن المساعي العلمية أو الأدبية. وهذا الواقع يؤكد أيضًا أن الله تعالى هو مصدر القرآن الكريم. إن عمق محتواه، وسرده الدقيق للآيات السابقة، وتصحيحه للتحريفات، وعرضه للحقائق الكونية، كلها تُثبت أنه لا يمكن أن يكون إلا من عند الله تعالى، الذي أحاط علمه بكل شيء. سورة العنكبوت، الآية 48.

وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون

علاوة على ذلك، أقرّ علماء أهل الكتاب بالقرآن الكريم كحقيقة إلهية لمعرفتهم بمؤلفه، الله تعالى. كما أقرّوا بصدق الإسلام، إذ ورد ذكر كلٍّ من القرآن الكريم والنبي محمد صلى الله عليه وسلم بوضوح في كتبهم. (سورة الأنعام، الآية ٢٠)

"...الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه» [القرآن الكريم] كما يعرفون أبناءهم»

:وسورة البقرة، الآية 146

«الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم»

لذلك، يجب على المسلمين ألا يقعوا في نفس خطأ هاتين المجموعتين - التظاهر بالفخر باتباع النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، مع إهمال اتباعه عملياً في طاعته الدائمة والصادقة لله تعالى. إن الحب الحقيقي والولاء للنبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم لا يتجلى من خلال الادعاءات الفارغة أو الهوية الثقافية، بل من خلال الالتزام الصادق بتعاليمه. وهذا يعني استخدام كل نعمة مُنحت بطريقة ترضي الله تعالى، كما هو موضح في القرآن الكريم وأحاديث النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم. من خلال هذه الطاعة، يُكرم المرء الإرث الحقيقي للنبي الكريم إبراهيم وخاتم الرسل محمد صلى الله عليه وسلم، عليهما السلام.

بما أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم سيشهد لأُمته يوم القيامة، فمن الضروري أن يتبنى كل مسلم الموقف الصحيح حتى تكون شهادته لصالحهم لا عليهم. سورة الحج، الآية 78

"...ليكون الرسول عليكم شهيداً..."

:سورة الفرقان، الآية 30

"وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً "

هذه الآية موجهة تحديدًا للمسلمين، فهم الأمة التي أقرت بالقرآن الكريم واعتنفته. أما غير المسلمين، فلم يقبلوا هدايته، فلا يمكن وصفهم بالتخلي عنه. لذا، فإن التحذير شديد على من يدعون الإيمان ويتجاهلون الكتاب الذي يدعون اتباعه. إن عاقبة أي مسلم يشهد عليه النبي محمد صلى الله عليه وسلم في ذلك اليوم وخيمة وواضحة.

لهذا السبب، لا يكفي مجرد إعلان الإيمان لفظيًا، بل يجب دعم هذا الإعلان بالطاعة الدائمة، مستغلين نعم الله تعالى بما يتوافق مع تعاليم الإسلام. فالإيمان دون عمل ليس إلا كلامًا فارغًا، والكلام وحده لا ينقذ صاحبه من المساءلة. على المؤمن أن يسعى جاهدًا للعيش وفقًا للقرآن الكريم، وأن يجسد هدايته في العبادة والأخلاق والمعاملات، وأن يقاوم إغراء اعتباره كتابًا يُتلى في أوقات الشدة ويُهمَل في الحياة اليومية.

لا يمكن للمرء أن يأمل شفاعة النبي محمد صلى الله عليه وسلم إلا إذا اقترن الإيمان بالعمل الصادق. وانتظار شفاعته مع إهمال الطاعة خداع للنفس، فالشفاعة فضلٌ للمجتهدين، وليست ضمانًا للغافلين. وهكذا يدرك العاقل أن نجاته مرهونة بتوفيق أقواله مع أفعاله، وظاهره مع إخلاص باطنه، وحياته مع تعاليم الإسلام. وهكذا يُهَيئ نفسه لليوم الذي تكون فيه شهادة النبي محمد صلى الله عليه وسلم إما شرفًا عظيمًا أو خسارة فادحة.

كما ذكرنا سابقًا، من الواجبات الأساسية لكل من يتبع الإسلام أن يُظهره للناس جميعًا تمثيلًا دقيقًا من خلال أفعاله وسلوكه وتصرفاته. وتتجاوز هذه المسؤولية مجرد الأقوال أو ادعاءات الإيمان؛ إذ تتطلب من الأفراد تطبيق تعاليم الإسلام عمليًا في كل جانب من جوانب حياتهم - في تعاملاتهم وأخلاقهم وسلوكهم الاجتماعي. ويُعدّ المثال الجماعي لهؤلاء الأفراد شاهدًا حيًا على الحق والحكمة والرحمة الكامنة في الهداية الإلهية. ويؤكد القرآن الكريم أن أتباع الإسلام سيشهدون على الأمم الأخرى، ويشهدون على تبليغهم رسالة الحق. لذلك، إذا لم يُعَنَّ من يدعون اتباع الإسلام بتعاليمه وتجسيدها، فلن يكون لهم عذرٌ أمام الله تعالى، عندما تُعلن الأمم: الأخرى يوم القيامة أنها لم تُهدى إلى الهداية الصحيحة. سورة الحج، الآية 78

"...وتكونوا شهداء على الناس "

تُبرز هذه المسؤولية الجسيمة ضرورة الإخلاص والثبات في الإيمان .يجب على كل شخص أن يتأكد من توافق أقواله مع أفعاله، وأن يعكس سلوكه جمال التعاليم الإلهية وتوازنها .عندما يعيش الأفراد وفقاً لهذه المبادئ، فإنهم لا يعززون إيمانهم فحسب، بل يكونون أيضاً منارةً للآخرين .وعلى العكس، فإن عدم القيام بذلك لا يقلل من مكانتهم فحسب، بل يُشوّه أيضاً الرسالة التي يدعون الالتزام بها، مما يؤدي إلى المساءلة أمام الله تعالى لإهمال هذا الواجب المقدس .وقد حذّر الله تعالى من التقصير في هذا الواجب بتشجيع المسلمين على إقامة ركني الإسلام الأساسيين، اللذين تدور حولهما جميع الأعمال الصالحة .سورة الحج، الآية 78

"...فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ..."

يُسلّط القرآن الكريم الضوء باستمرار على الأهمية البالغة للصلوات المفروضة، مُقدّماً إياها كأبرز تجلٍ لإيمان الإنسان بالله تعالى .تُؤدّي هذه الصلوات على مدار اليوم، لتكون بمثابة تذكير دائم بيوم القيامة، مُغذّيةً في القلب وعياً دائماً بالمسؤولية النهائية .ومن خلال هذا الإيقاع المنتظم للعبادة، تُبنى حياة المؤمن على التذكير والتواضع واليقظة الروحية .وعليه، فإن الصلوات المفروضة ليست فقط ركيزة الإيمان الأساسية، بل هي أيضاً الأساس الذي تُبنى عليه جميع الأعمال الصالحة .فهي تُهدي المؤمن إلى حياةٍ تحكمها مراقبة الله تعالى - والاستعداد الصادق للآخرة .في الواقع، كل حركة في الصلاة ترمز إلى بُعدٍ من أبعاد ذلك اليوم العظيم ،على سبيل المثال، يُمثّل الوقوف المُنتصب الوضع الذي سيقف فيه البشر جميعاً يوماً ما بين يدي الله تعالى ،مُنتظرين حسابه .سورة المطففين، الآيات 4-6

أَوَلَا يَنْظُرُونَ أَنَّهُمْ مُبْعَثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ يَوْمَ يَعْلَمُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ

وبالمثل، عندما يُركع الإنسان في صلاته، فإن هذه الحركة تُذكّره تذكيرًا عميقًا بالعدد الهائل من الناس الذين سيُلامون يوم القيامة على رفضهم الركوع لله تعالى في حياتهم الدنيا. سورة المرسلات، الآية 48

"وإذا قيل لهم اركعوا لم يركعوا"

هذا الفعل يؤكد تحذير الله تعالى لمن قصروا في طاعته تعالى في جميع مناحي حياتهم. وهو بمثابة تذكير جليل بأن الإيمان الحقيقي ليس جزئيًا أو انتقائيًا، بل هو استسلام تام لمشيئته في جميع الأمور. علاوة على ذلك، عندما يسجد المؤمن في الصلاة، فإن هذه الوضعية المقدسة تستحضر ذكرى اليوم الذي سيُؤمر فيه الناس جميعًا بالسجود لله تعالى. في ذلك اليوم، سيجد أولئك الذين أهملوا هذا الفعل في وجودهم الدنيوي - مظهرين بذلك عدم رغبتهم في طاعته في جميع الأحوال- أنفسهم غير قادرين على السجود، رغم رغبتهم العارمة في ذلك. سورة القلم، الآيتان 42-43

يوم يشتد الأمر يدعون إلى السجود فيمنعون، وتخضع أعينهم، وتغشاهم الظل، وكانوا يدعون إلى السجود" وهم سالمون

،وأخيرًا، يُعدّ الركوع في الصلاة تذكيرًا جليلاً بالوضعية التي سيتخذها كل فرد حتمًا أمام الله تعالى يوم القيامة ،وهي وضعية تتسم بالتواضع العميق، والخشوع، والخشوع في انتظار إعلان مصيره الأبدي). سورة الجاثية (الآية ٢٨).

".وترى كل أمة جاثية، وكل أمة تُدعى إلى كتابها، اليوم تجزون ما كنتم تعملون"

من يؤدي صلاته بتأمل عميق في هذه الأذكار العميقة، يُرَسِّخها في صورتها الحقيقية. هذا التأمل العميق يضمن أن تتجاوز طاعته لله تعالى حدود الصلاة نفسها، مُشكِّلةً شخصيته، ومُهدِّبةً سلوكه، ومُرشدةً خياراته: سورة العنكبوت، الآية 45. في الفترات الفاصلة بين كل عبادة

"...إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر"

هذه الطاعة تقتضي أن يستغل الإنسان النعم الممنوحة له فيما يرضي الله تعالى، وفقًا لهدى القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. سورة الحج، الآية 78

"...وآتوا الزكاة..."

الصدقة المفروضة لا تُشكّل إلا جزءًا صغيرًا من ثروة المرء، ولا تُستحق إلا عند بلوغ حد أدنى مُحدد. ومع ذلك، فإن أهميتها الروحية والاجتماعية هائلة. ومن أهدافها الأساسية تذكير المؤمن بأن ماله ليس ملكًا مطلقًا بل أمانة - نعمة خلقها الله تعالى ووهبها له، وهو مسؤول عنها. لو كانت ملكًا له حقًا، لكان له كامل الحرية في التصرف فيها كما يشاء؛ ولكن لأنها أمانة إلهية، فيجب إنفاقها وفقًا لرضاه وأوامره. وفي الحقيقة، فإن كل نعمة - سواء أكانت ثروة أم صحة أم عقلًا أم نفوذًا - هي قرض من الله تعالى، مُودع لدى كل فرد لفترة محدودة. ولا يعني سداد هذه الأمانة رد النعمة نفسها، بل استخدامها بطرق تتماشى مع الرضا الإلهي. وعندما يؤدي المرء هذه الأمانة، يصبح ماله مصدرًا للتطهير والحماية والمكافأة. وعلى العكس من ذلك، فإن من يفشل في إدراك هذا الواقع - تكديس أو إساءة استخدام ثروته كما لو كانت ملكه وحده - فإنه في نهاية المطاف يؤدي نفسه

يُحذّر تارك الصدقة الواجبة من عواقب وخيمة، لأن هذا الإهمال يُعدّ كفرًا وظلمًا. وقد أوضح النبي محمد صلى الله عليه وسلم هذا الأمر جليًا في حديثٍ واردٍ في صحيح البخاري ، رقم 1403، حيث ذكر أن من تارك الصدقة الواجبة سيُواجه يوم القيامة بثعبانٍ سامٍ كبيرٍ يلتفُّ حوله ويلدغه باستمرار عقابًا له. تُمثّل هذه: سورة آل عمران، الآية 180. الصورة الصارخة تحذيرًا جليلاً: فالمال نعمةٌ واختبارٌ في آنٍ واحد

ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خير لهم بل هو شرّ لهم، ستطوّق أعناقهم بما يبخلون"
"...يوم القيامة

عند استخدامه بشكل صحيح، يرتقي بالإنسان روحياً، ويقوي روابط الرحمة في المجتمع، ويضمن ثواباً عظيماً في الآخرة. أما عند اكتنازه أو إساءة استخدامه، فإنه يصبح مصدر عذاب وخسارة

حتى في هذه الدنيا، لا يجلب المال الممنوح ظلماً أو المنفق بتهور سلاماً. إنه يؤلّد القلق والطمع وعدم الرضا - الدائم، ويحرم النفس من السكينة. بدلاً من أن يكون مصدر أمان وراحة، يُصبح مصدرًا لاختلال التوازن يُقلق القلب، ويُشوّش الحكم، ويُفسد الأولويات. يُسيء هؤلاء الأفراد استخدام النعم التي مُنحت لهم، فلا يُعدّون أنفسهم جيداً لحسابهم يوم القيامة. فمع أنهم قد ينعمون ظاهرياً بالرفاهية الدنيوية، إلا أنهم في باطنهم يُثقلهم، القلق والسخط. وفي نهاية المطاف، بإهمالهم واجباتهم تجاه الله تعالى، يُبدّلون السلام الأبدي بلذة زائلة: سورة طه، الآيات ١٢٤-١٢٦. والنجاح الدائم بوجه خادع

ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد
"كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى

إن الرخاء الحقيقي لا يكمن في كثرة المال، بل في استعماله في وجه الشر، في الشكر والكرم والطاعة لله تعالى.

عندما يُرسّخ الإنسان الركنتين الأساسيتين اللذين تدور عليهما جميع الأعمال الصالحة - الصلاة المفروضة والزكاة المفروضة - فإنه يُرسّخ أساس طاعة الله تعالى الحقيقية والمستمرة. سورة الحج، الآية 78

"...فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله..."

تُربط الصلوات المفروضة الإنسان بخالقه مباشرةً، وتذكّره دائماً بعظمته ورحمته وسلطانه على كل شيء ومن خلالها، يُحافظ الإنسان على وعيه الروحي وانضباطه وتواضعه، ضامناً بقاء قلبه نقيّاً مُركّزاً على الهداية الإلهية في مختلف ظروف الحياة.

وبالمثل، تُنمّي الصدقة الواجبة الرحمة والكرم والمسؤولية الاجتماعية. فهي تُنقي المال من الجشع والأنانية - وتُساعد المحتاجين، مُقوّيةً بذلك أواصر الجماعة والعدل. عندما يُقام هذان الركنان على الوجه الصحيح الصلاة كعمل يُكَمِّل العلاقة بين العبد وربّه تعالى، والصدقة كعمل يُكَمِّل علاقته بالآخرين - يتكامل إطار العبادة وحسن الخلق تلقائياً. ومن خلال هذا التوازن، يتعلم الفرد عبادة الله تعالى عبادةً صحيحة في جميع الأحوال - في السراء والضراء، في الرخاء والشدة - ضامناً أن يكون كل عملٍ مُوجَّهاً بالإيمان والرحمة والإخلاص. وهكذا، يُصبح إقامة الصلاة والصدقة مفتاحاً لتحقيق الانسجام بين مسؤوليات المرء الروحية والأخلاقية والاجتماعية، مما يُفضي في نهاية المطاف إلى حياةٍ يسودها السلام الداخلي والقبول الإلهي، من خلال تحقيق حالةٍ ذهنيةٍ وجسديةٍ متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء وكل شخصٍ في حياته على الوجه الصحيح. سورة الحج، الآية 78

"واعتصموا بالله هو مولاكم، فنعم المولى، ونعم النصير "

لذا يجب على الشخص اعتناق التعاليم الإسلامية والعمل بها لمصلحته الخاصة، حتى عندما يتعارض ذلك مع رغباته الشخصية. يجب أن يكون نهجهم مشابهاً لنهج المريض الحكيم الذي يتبع نصيحة الطبيب الطبية. مدركاً أن الأدوية المرة والنظام الغذائي الصارم، على الرغم من عدم ملاءمتها، إلا أنهما في النهاية لصالحه. وبالمثل، فإن الشخص الذي يتبع التوجيه الإسلامي سيحقق حالة ذهنية وجسدية متوازنة ويعطي الأولوية بشكل صحيح لكل شيء وكل شخص في حياته. هذا لأن الله تعالى وحده يمتلك المعرفة الشاملة اللازمة لهداية الشخص نحو هذا التوازن. المجتمع البشري، على الرغم من كل أبحاثه العلمية وخبرته في الصحة العقلية والجسدية، لا يمكنه تحقيق نفس النتيجة. إن النصائح التي يقدمها المجتمع محدودة بطبيعتها، مقيدة بالمعرفة المحدودة والخبرة والبصيرة والتحيزات الشخصية. لا يمكنها منع جميع أشكال التوتر، ولا يمكنها ضمان أن يضع الشخص علاقاته ومسؤولياته وموارده في سياقها الصحيح. الله تعالى وحده يملك هذه المعرفة الكاملة وقد جعلها في متناول البشرية من خلال القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. تتجلى آثار اتباع التوجيه الإسلامي أو إهماله في حياة الناس. فكما قد يثق المريض بالطبيب دون فهم كامل للعلم الكامن وراء وصفته الطبية، فإن البشر مدعوون إلى التأمل في التعاليم الإسلامية لإدراك حقيقتها العميقة. الله تعالى لا يطلب الطاعة العمياء؛ بل يشجع الناس على اتباع توجيهاته بعقل منفتح وغير متحيز، مما يسمح لهم بتمييز الحقيقة من الأدلة الواضحة. سورة يوسف، الآية 108

"...قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني"

علاوة على ذلك، بما أن الله تعالى هو وحده المتصرف في القلوب الروحانية - دار الطمأنينة - فهو وحده: سورة النجم، الآية 43. الذي يقرر من ينالها

"وأنه هو الذي أضحك وأبكى"

من الواضح إذن أن راحة البال لا تُمنح إلا لمن أحسن استخدام نعم الله تعالى، وفقًا لتعاليم الإسلام. بالعمل بهذه الهداية، لا يُوفق الإنسان بين حياته وحكمة الله فحسب، بل يضمن أيضًا الطمأنينة في حياته الروحية من خلال تحقيق حالة ذهنية وجسدية متوازنة، ومن خلال حسن توزيع كل شيء وكل شخص في، والدنيوية حياته. سورة النحل، الآية 97

"من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون"

.الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾

الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾

وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾

وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾

وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾

إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ
مَلُومِينَ ﴿٦﴾

فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾

وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾

وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾

أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾

الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾

ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١٣﴾

ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا
الْمُضْغَةَ عِظًا فَكَسَوْنَا الْعِظَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ
فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾

ثُمَّ إِنَّا كُنَّا بِكُمْ بِعَدَدِ ذَلِكُمْ لَمِيتُونَ ﴿١٥﴾

ثُمَّ إِنَّا كُنَّا يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾

وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ
غَافِلِينَ ﴿١٧﴾

وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَتْهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ
لَقَادِرُونَ ﴿١٨﴾

فَأَنشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ تَحْتِهَا أَنْهَارٌ وَأَعْنَبٍ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا
تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾

وَشَجَرَةٍ تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبِغٍ لِلَّذِينَ كَلِمَةٍ ﴿٢٠﴾

وَلِإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لِيُذَكِّرَ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ أَنَّكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ
كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾

وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾

فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾

إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فترَبَّصُوا بِهِ ۚ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾

قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَبُونَ ﴿٢٦﴾

فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَوَحِّينَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَاطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا ۖ إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾

فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٨﴾

وقُلْ رَبِّ انزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾

ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ۖ آخَرِينَ ﴿٣١﴾

فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾

وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِلقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾

وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِرُونَ ﴿٣٤﴾

أَيَعِدْكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا أَنَّكُمْ تُخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾

﴿٣٦﴾ هَيَّاتَ هَيَّاتَ لِمَا تُوْعَدُونَ

إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾

إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾

قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ ﴿٣٩﴾

قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لِّيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ﴿٤٠﴾

فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُشَاءً فَبَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾

ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ ﴿٤٢﴾

مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَخِرُونَ ﴿٤٣﴾

ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا كُلًّا مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ
بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾

ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٤٥﴾

إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾

فَقَالُوا أَنْتُمْ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عِيدُونَ ﴿٤٧﴾

فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾

وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَءَاوَيْنَهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ
وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾

يَتَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّهَا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ
عَلِيمٌ ﴿٥١﴾

وَلِإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿٥٢﴾

فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾

فَذَرَهُمْ فِي غَمَرَاتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾

أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾

نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾

إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾

وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾

وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾

وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتَاوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾

أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾

وَلَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾

بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمَرٍ مِّنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَلٌ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ﴿٦٣﴾

حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْعَرُونَ ﴿٦٤﴾

لَا تَجْعَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنْصَرُونَ ﴿٦٥﴾

قَدْ كَانَتْ آيَاتِي عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ ﴿٦٦﴾

مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سِمِرَاتِهِمْ جُرُونَ ﴿٦٧﴾

أَفَلَمْ يَذَّبُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾

أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٦٩﴾

أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُم لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٠﴾

وَلَوْ أَتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧١﴾

أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَجَ رَيْكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ ﴿٧٢﴾

وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾

وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَبُّونَ ﴿٧٤﴾

﴿٧٥﴾ وَلَوْ رَحَّمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلْجُودُ فِي طَغْيِنَاهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾

وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَنْضَرَعُونَ ﴿٧٦﴾

حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾

وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾

وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾

وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾

بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالِ الْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾

قَالُوا أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾

لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ
الْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾

قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾

سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾

قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾

سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نُنْقِطُ ﴿٨٧﴾

قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ
إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾

سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنِّي تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾

بَلْ أَتَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩٠﴾

مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ
بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهُ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿٩١﴾

عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾

قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيْنِي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾

رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٩٤﴾

وَإِنَّا عَلَى أَنْ نُرِيكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَدِيرُونَ ﴿٩٥﴾

أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾

وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾

وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾

حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾

لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾

فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٠١﴾

فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾

وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾

تَلَفَحَ وَجُوهُهُمْ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١٠٤﴾

أَلَمْ تَكُنْ أَتَىٰ تُنَلِّىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾

قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾

رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾

قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ ﴿١٠٨﴾

إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا
وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٠٩﴾

فَاتَّخَذَ تَمُوهُمْ سِحْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوَكُم ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ
تَضَحَكُونَ ﴿١١٠﴾

إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١١﴾

قُلْ كَمْ لَيْسَتْكُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾

قَالُوا لَيْسَ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْئَلِ الْعَادِينَ ﴿١١٣﴾

قُلْ إِنْ لَيْسَتْكُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾

أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾

فَتَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ
الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾

وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ
رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾

وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١١٨﴾

مناقشة الآيات من 1 إلى 118 من 118

يبدأ هذا السورة بإعلان النجاح لمن يقبل تعاليم الإسلام ويعمل بها .سورة المؤمنين، الآية ١

"لقد أفلح المؤمنون"

أول ما يجب إدراكه هو أن النصر الحقيقي قد وُعدَ به المؤمنون، وليس فقط من يُظهرون أنفسهم مسلمين لذا، من الضروري إدراك الفرق بين الأمرين والسعي إلى أعلى مراتب المؤمن، لينال نصيبه من النجاح في الدنيا والآخرة .قد يعتنق المسلم الإسلام، عمومًا، بفضل روابط عائلية أو ميراث ثقافي، كوالديه، ولكنه يبقى :دون معرفة أو قناعة إسلامية راسخة .سورة الحجرات، الآية 14

"...قالت الأعراب أمانا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم"

هؤلاء الأفراد، لقلة علمهم، غالبًا ما يكون لديهم ضعف إيمان .يتجلى هذا الضعف في ميلهم إلى معصية الله تعالى، وخاصةً عندما تتعارض رغباتهم مع تعاليم الإسلام، حتى لو أدوا الواجبات ظاهريًا .في المقابل، يُسلم المؤمن بناءً على علم مستقى من القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم .هذه المعرفة تُقوي إيمانهم، وتُمكنهم من الثبات على الطاعة .سورة الحجرات، الآية 15

إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وأولئك هم الصادقون.

قوة إيمانهم تُمكنهم من الثبات في جميع الأحوال. ففي أوقات الشدة، يُظهرون الصبر، مُمتنعين عن الشكوى، قولاً وفعلاً، مُوقنين بأن الله تعالى يُقدّر الخير دائماً، وإن خفي عنهم. وفي أوقات الرخاء، يُظهرون الشكر الذي يتجلى في ثلاثة أبعاد: في النية، بالعمل خالصاً لوجه الله تعالى؛ وفي القول، بالقول الإيجابي أو الصمت؛ وفي العمل، باستخدام نعمهم بما يُرضي الله كما هو مُبين في التعاليم الإسلامية. سورة إبراهيم، الآية 7

لئن شكرتم لأزيدنكم

علاوة على ذلك، فإن الصبر يتضمن كَفَّ النفس عن الشكوى قولاً أو فعلاً، مع الثبات على طاعة الله تعالى: سورة البقرة، الآية ٢١٦. وهو مبني على اليقين بأنه يختار لهم الخير دائماً، وإن لم يظهر ذلك جلياً

"وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ..."

من يتحلى بهذه الصفات - الشكر في اليسر والصبر في الشدة - يجد نفسه في ظل عون الله تعالى ورحمته الدائمة. هذا العون الإلهي يزرع الطمأنينة في الدنيا والآخرة، ويمنح حالة نفسية وجسدية متوازنة، ويُمكن المرء من وضع كل شيء وكل شخص في مكانه الصحيح. وقد أكد هذا الواقع حديثاً في صحيح مسلم، رقم 7500. وهكذا، فإن طريق النجاح الحقيقي لا يكمن في مجرد التماهي اللفظي مع الإسلام، بل في السعي إلى 7500 سورة. أن يصبح المرء مؤمناً راسخ الإيمان بالعلم، وهادي العمل بالإخلاص، وثابت القلب على كل حال: المؤمنون، الآية 1

"لقد أفلح المؤمنون"

كما ذكرنا سابقًا، يبدأ نجاح الإنسان في الدنيا، ويؤدي في النهاية إلى النعيم الأبدي في الجنة. إلا أن هذه النتيجة - تتوقف على تحويل إيمان المرء بالله تعالى إلى عمل دؤوب. وهذا يعني حسن استغلال النعم الممنوحة له كالمال والصحة والعقل والوقت - على الوجه الذي نصت عليه التعاليم الإسلامية. فعندما يعيش الإنسان وفقًا لهذه التوجيهات الإلهية، يحقق انسجامًا داخليًا، ويحقق حالة ذهنية وجسدية متوازنة، ويضع كل شيء وكل شخص في حياته في مكانه الصحيح. وهذا لا يُهيئه للحساب يوم القيامة فحسب، بل يمنحه أيضًا راحة بال دائمة في الدنيا. إن تحقيق راحة البال في الدنيا والجنة في الآخرة هو أسمى صور النجاح. لذلك، من الضروري إدراك أن الممتلكات والإنجازات الدنيوية - كالشهرة والثروة والسلطة والأسرة والأصدقاء والمهنة الناجحة - لا قيمة لها بدون راحة داخلية. فيبدون راحة البال، تصبح هذه النعم أعباءً، تزيد من توتر المرء: وسخطه ومعاناته في الدنيا والآخرة. يتجلى هذا الواقع جليًا عند ملاحظة حال كثير من الأغنياء والمشاهير: فرغم تمتعهم بالفراخ المادية، غالبًا ما يعانون من القلق والوحدة واليأس. لذا، فإن الرضا الحقيقي لا يأتي مما يملكه المرء، بل من العيش في انسجام مع هدى الله تعالى، الذي يغذي الروح ويطمئن القلب ويؤدي إلى: سورة المؤمنون، الآية 1. السكينة الدائمة

"لقد أفلح المؤمنون"

من المهم أيضًا إدراك أن من أركان الإيمان، وهو بحد ذاته امتحان، إدراك أن طاعة الله تعالى لا تضمن منافع آنية أو ملموسة في الدنيا. فعندما يستغل الإنسان النعم التي أنعم بها عليه بما يرضي الله تعالى، كما هو مبين في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، قد لا يكون الجزاء دائمًا في صورة مكاسب مادية كالثروة أو الجاه أو الصحة، بل غالبًا ما تكون المنافع خفية وباطنية وروحية، كحصول راحة البال وطمأنينة القلب والشعور بالاستقرار الداخلي. سورة النحل، الآية 97

"من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون"

أما ضعيف الإيمان، فكثيرًا ما يلتمس من الله تعالى منافع ملموسة، كالصحة الجيدة، أو المسكن المريح، أو النجاح المهني. فإذا لم تُضمن هذه المنافع، استغل الشيطان قلة صبره وقلة فهمه، فإما أن يترك الإيمان كليًا أو أن يُهمل العمل به. وهذا في حد ذاته امتحان، لا بد من اجتيازه بتقوية الإيمان بالعلم والعمل به. فمع العلم اليقين، ومع اليقين إدراك أن طاعة الله تعالى تجلب منافع لا تُحصى في الدنيا والآخرة، وإن لم تكن ظاهرة دائمًا في الواقع.

يُلمي المنطق السليم أيضًا أن النفع الحقيقي ليس دائمًا ملموسًا. فمن يملك ثروات الدنيا ونفوذها قد يظل قلقًا وبائسًا، بينما من لا يملك إلا القليل من المال قد ينعم بالسكينة والرضا. بل إن الكثيرين يبادلون طوعًا ممتلكاتهم الدنيوية بنعمة راحة البال والرفاهية المعنوية. لذلك، لا ينبغي أن ينخدع المرء بتوقع منافع ملموسة من الله تعالى وكأنها مضمونة. ففعل ذلك يُعرّضه لخطر الإحباط، مما قد يدفعه بعيدًا عن الطاعة عندما لا تُلبى، (سورة الحج، الآية 11، سورة الحج) . رغباته الدنيوية. وهذا الموقف يؤدي إلى الخسارة في الدنيا والآخرة (الآية 22).

ومن الناس من يعبد الله على حرف، فإن أصابه خير اطمأن به، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه، فقد "خسر الدنيا والآخرة، ذلك هو الخسران المبين".

،فالعاقل هو من أطاع الله تعالى بإخلاص، راغبًا في مرضاته على الدنيا. يدرك أن أعظم الثواب في الآخرة وأن أثمر عطاء في الدنيا هو طمأنينة القلب وقوة الثبات. وهذا المنظور يجعل الطاعة مصدر نفع دائم، مهما كانت أحوال المرء المادية.

سورة المؤمنون، الآية 1

"لقد أفلح المؤمنون"

من المهم أن نفهم أن من لا يُعزز إيمانه لفظيًا بالأفعال يكون في خطر كبير من فقدانه، وبالتالي يُصاب بأعظم يُمكن تشبيه الإيمان بنور هش يجب الحفاظ عليه بعناية. فكما أن الشعلة تخبو. خسارة في الدنيا والآخرة وتنطفئ في النهاية إذا لم تُزود بالوقود، فإن الإيمان أيضًا يضعف وقد ينطفئ إذا لم يُغذَّ باستمرار بطاعة الله تعالى. إن العبادات والذكر والصبر والشكر هي القوت الذي يُبقي هذا النور حيًا ومُشرقًا. فإذا أهملت هذه الأمور، بدأ النور يخفت، تاركًا القلب عُرضة للظلام. إن فقدان الإيمان أعظم الخسارة، لأنه النور الهادي، الذي يُنير الطريق عبر محن الحياة ويوجه المرء نحو النجاح الأبدي. وبدونه، يُترك المرء تائهًا بلا هدف محرومًا من الصفاء والسلام والهدف الحقيقي. ولذلك، يُشدّد القرآن الكريم وأحاديث النبي محمد صلى الله عليه وسلم على المواظبة على الأعمال الصالحة، حتى لو كانت قليلة، لأنها تُبقي جذوة الإيمان متقدة. ولذلك يُعامل العاقل إيمانه كأثمن ما يملك، فيحفظه بيقظة ويرعاه يوميًا. ويُدرك أنه بمجرد انطفاء جذوة الإيمان، فإن إعادتها أصعب بكثير من الحفاظ عليها. وبرعايتها بالأعمال الصالحة، وبالاستفادة الصحيحة من النعم التي وهبت له كما وردت في التعاليم الإسلامية، يضمن قوة إيمانه، ونور طريقه، وطمأنينة قلبه في الدنيا والآخرة. من خلال تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، ومن خلال حسن توزيع كل شيء وكل شخص في حياته. وقد أشارت الآيات التالية إلى ذلك عند مناقشة صفات المؤمنين، مما يُوضح أن الإيمان الحقيقي يتضمن إعلان الإيمان بالله تعالى، مقرونًا بالأعمال الصالحة والصفات الحسنة. سورة المؤمنون، الآية 2

"الذين هم في صلاتهم خاشعون"

يُشدّد الإسلام مرارًا على إقامة الصلوات المفروضة، فهي الركن الأساسي الذي تقوم عليه جميع الأعمال الصالحة. فهي أساس علاقة الإنسان بالله تعالى، وقدرته على الثبات على الحق. إلا أن الصلاة الحقيقية ليست

مجرد سلسلة من الحركات الجسدية، بل هي تأمل عميق وتواضع يربط المصلي بحقيقة الآخرة. ولا يتأتى هذا التواضع إلا بإدراك المرء كيف ترمز كل مرحلة من مراحل الصلاة إلى جوانب يوم القيامة، مذكّرةً إياه بمسؤوليته النهائية. ولذلك، تُوزَّع الصلوات الخمس يوميًا على مدار اليوم بدلًا من أن تُؤدى معًا. فكل صلاة تُتيح فرصة متجددة للتوقف والتأمل وإعادة تنظيم الأعمال بما يتوافق مع الهداية الإلهية. وعندما يقف الإنسان (سورة). منتصبًا في الصلاة، عليه أن يتذكر أن هذا يعكس موقف جميع الناس أمام الله تعالى يوم القيامة (المطففين، الآيات 4-6).

"أَوَلَا يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُبْعَثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ، يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ "

عند ركوعهم، يُذكرهم ذلك بمن سيُلام يوم القيامة على رفضهم الركوع لله تعالى في الدنيا، سواءً جسديًا في الصلاة أو خضوعًا لأوامره. سورة المرسلات، الآية 48

"وإذا قيل لهم اركعوا لم يركعوا"

عندما يسجدون، وهو أدنى موضع أمام خالقهم، يُذكرهم ذلك بمن سيُدعون للسجود يومئذٍ، لكنهم سيعجزون: عن ذلك لأنهم رفضوا السجود الحقيقي - قولاً وفعلاً وطاعةً - في حياتهم الدنيا. سورة القلم، الآيتان 42-43

يوم يشتد الأمر يدعون إلى السجود فيمنعون، وتخشع أعينهم، وتغشاهم الظل، وكانوا يدعون إلى السجود "وهم سالمون"

وعندما يجلسون على ركبهم، فإنه يرمز إلى حالة جلوس الناس جميعًا بين يدي الله تعالى، في انتظار جزاء أعمالهم. سورة الجاثية، الآية ٢٨:

"وترى كل أمة جاثية، وكل أمة تُدعى إلى كتابها، اليوم تجزون ما كنتم تعملون"

عندما يُصلي المرء بهذا الوعي - مُدركًا أن كل حركة تُذكره بوقوفه بين يدي الله تعالى - تُصبح صلاته حياةً، وذات معنى. هذا العمق في التأمل يضمن تحقيق الصلاة لغايتها: تنمية الطاعة الخشوعية، وضبط النفس والاستقامة الأخلاقية بين الصلوات. سورة العنكبوت، الآية 45:

"...إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر"

هذه الصلاة تُغيّر قلب الإنسان وسلوكه، وتهديه إلى استغلال كل نعمة مُنحت له - الوقت، والمال، والصحة، والعقل - بما يُرضي الله تعالى، كما هو مبين في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. وهكذا لا تُصبح الصلاة عبادة فحسب، بل تذكيرًا مستمرًا يُرسّخ حياة المرء على البر والإخلاص والاستعداد للحياة الأبدية. ثم تُناقش جوانب طاعة الله تعالى بين الصلوات المفروضة. سورة المؤمنون، الآية 3:

"والذين هم عن الباطل معرضون"

مع أن الباطل لا يُصنّف معصية، إلا أنه يُنصح بتجنبه لأنه قد يؤدي إلى الذنوب .على سبيل المثال، الكلام الفارغ، الذي لا يُعتبر معصية، غالبًا ما يؤدي إلى ذنوب كالغيبة والكذب .إنفاق المال على الباطل غالبًا ما يؤدي إلى التبذير، وهو معصية .سورة الإسراء، الآية 27

"إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفوراً"

إن الغالبية العظمى ممن وقعوا في الضلال لم يقعوا فيه دفعة واحدة، بل تدرجوا في ذلك .فقد لجأوا في البداية، إلى المحرمات دون الانخراط فيها مباشرة، ولكن مع مرور الوقت، ومن خلال التعرض المتكرر والإغراء انجروا في النهاية إلى ارتكاب تلك الأفعال ذاتها .على سبيل المثال، من يرافق من يشربون الخمر بانتظام يكون أكثر عرضة للانخراط فيها في النهاية من من يتجنبها تمامًا .وهذا يوضح التطور الدقيق والخطير من مجرد القرب من المعصية إلى الانغماس فيها .وقد حذر النبي محمد صلى الله عليه وسلم من هذا الموقف بالذات في حديث موجود في جامع الترمذي، رقم 2451 .ونصح بأنه لا يمكن للمرء أن يبلغ التقوى الحقيقية أي أنه لا يمكنه الثبات على استخدام النعم التي وهبها الله إياها على النحو الصحيح، كما هو موضح في - التعاليم الإسلامية - حتى يترك حتى بعض الأشياء الحلال خوفًا من أن تؤدي به إلى الحرام .إن هذه القاعدة تسلط الضوء على أهمية الحذر، لأن ما يبدأ بالتساهل في المباحات، وخاصة في الباطل، قد يؤدي تدريجياً إلى تآكل العزيمة وفتح باب المعصية

لذا، فإن العاقل لا يحرص فقط على اجتناب ما حرم الله تعالى صراحةً، بل يحرص أيضًا على ضبط النفس في بعض الأمور الحلال، وخاصةً الباطلة .وبذلك، يحفظ نفسه من الوقوع في الحرام، ويثبت على طاعة الله تعالى .هذه الطاعة تتضمن استخدام كل نعمة على الوجه الذي يرضيه، كما هو مبين في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم .هذا النهج في الحياة هو جوهر الاستقامة، ويؤدي إلى راحة البال في الدنيا والآخرة من خلال تنمية حالة ذهنية وجسدية متوازنة، وضمان وضع كل شيء وكل شخص في حياة المرء :سورة النحل، الآية 97 .في مكانه الصحيح

"من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون"

،من ناحية أخرى، فإن من لا يدرك أهمية الابتعاد عن حدود الله تعالى، غالبًا ما يُفرط في الأمور الحلال وخاصةً في المطاعم العبثية. هذا الانغماس يزيد من احتمال الوقوع في الحرام، ويؤدي إلى إساءة استخدام النعم. والنتيجة ليست حرية أو رضا، بل توترًا ومشقةً واختلالًا في كلا العالمين. هؤلاء يُسيئون ترتيب أولوياتهم، ويُسيئون استخدام مواردهم، ويفشلون في الاستعداد للحساب يوم القيامة، حتى لو عاشوا لحظات تسلية عابرة. هذا الواقع واضحٌ في حياة كثيرين ممن يعيشون في رفاهية ورخاء، لكنهم يُعانون من مشاكل. سورة طه، الآيات ١٢٤-١٢٦. نفسية.

ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد
"كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى

والحقيقة أن طريق الاعتدال والحذر هو طريق الحكمة، فإنه يحفظ الإيمان، ويحفظ النعم، ويضمن سير الحياة في طاعة الله تعالى.

ثم يُذكر ركنٌ أساسيٌّ آخر من أركان الإسلام تدور حوله الأعمال الصالحة. سورة المؤمنون، الآية 4

«والذين هم للزكاة حافظون»

لا تُمثل الصدقة المفروضة إلا جزءًا صغيرًا من ثروة الإنسان الإجمالية، ولا تُفرض إلا عند امتلاكه حدًا أدنى مُحددًا. ورغم ضآلة نسبتها ظاهريًا، إلا أن أهميتها الروحية والأخلاقية بالغة. ومن مقاصدها الأساسية تذكير الفرد بأن الثروة التي يملكها ليست ملكه المطلقة. فلو كانت ملكًا له بالكامل، لكان له مطلق الحرية في إنفاقها كيفما يشاء. بل إن جميع الثروات خلقها الله تعالى، ومنحها، وحافظ عليها، وجعلها بين يدي الناس اختبارًا ومسؤولية. كل نعمة يتمتع بها الإنسان - سواء أكانت ثروة أم صحة أم ذكاء أم مكانة اجتماعية - هي، في الحقيقة أمانة وقرض من الله تعالى. ويجب رد هذه الأمانة في نهاية المطاف، لا يرد النعمة المادية نفسها بل باستغلالها فيما يرضيه، كما هو مبين في القرآن الكريم وأحاديث النبي محمد صلى الله عليه وسلم. وعندما يؤدي المرء هذه الأمانة، تصبح ثروته وسيلةً للتطهير والحماية والارتقاء الروحي. فهو يطهر قلوبهم من الجشع، ويقوي شعورهم بالتعاطف، ويساعد على ترسيخ العدالة والرحمة داخل المجتمع.

ومع ذلك، فإن من يغفل عن هذه الحقيقة ويتصرف كما لو أن النعم ملكٌ له وحده، سيُسيء استخدامها حتمًا، فيبدأ في اعتبار الثروة مصدرًا للقوة لا أداة للخدمة، وتعلقه بها يُفسد القلب والعقل. وعلى وجه الخصوص فإن من يمنع الصدقة المفروضة - متعاملًا مع ثروته كما لو كانت ملكًا له وحده - سيواجه عواقب وخيمة وكما يُحاسب من يرفض سداد القرض في المحاكم الدنيوية، فكذا سيواجه محاسبة إلهية في الآخرة. ويتجلى قسوة هذه العقوبة بوضوح في حديث ورد في صحيح البخاري، رقم 1403، والذي يُحذر من أن من يُهمل الصدقة المفروضة سيواجه يوم القيامة ثعبانًا سامًا كبيرًا يلتف حوله، ويلدغه مرارًا كدليل على جشعه ونكرانه، سورة آل عمران. للجميل. تُعتبر هذه الصورة المرعبة تذكرة قويًا بأن الثروة نعمة واختبار في آن واحد: الآية 180

ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خير لهم بل هو شر لهم، ستطُوق أعناقهم بما يبخلون"
"...يوم القيامة

عندما تُستخدم الثروة بشكل صحيح، فإنها ترتقي بالإنسان روحياً، وتُظهر روحه، وتكسبه مكافأة كبيرة في كما أنها تغذي الانسجام داخل المجتمع، حيث تعزز أعمال. الآخرة، وتؤدي إلى راحة البال في كلا العالمين الخير روابط الرحمة والرعاية المتبادلة بين الناس. ولكن عندما يتم اكتنازها أو إساءة استخدامها، تصبح الثروة مصدرًا للندم والتوتر والدمار في كلا العالمين. حتى في هذا العالم، تصبح الثروة نفسها التي يمتنعون عنها عن الصدقة الإلزامية سببًا للقلق والبؤس. وبدلاً من أن تجلب لهم السلام والراحة، فإنها تثقل كاهلهم

برغبات لا نهاية لها ومخاوف من الخسارة. يؤدي تعلقهم بالامتلاكات المادية إلى إساءة استخدام النعم، وتشويه الأولويات، وحالة غير متوازنة - عقليًا وجسديًا. إنهم يسيئون استخدام العلاقات، ويستغلون الفرص، ويفشلون في الاستعداد لحسابهم يوم القيامة. وعلى الرغم من أنهم قد يبدو ناجحين ظاهريًا، إلا أنهم في الداخل يعانون من القلق وعدم الرضا. أموالهم، التي كان من الممكن أن تكون مصدر تزكية وثواب أبدي، أصبحت مصدر عذاب وندامة. وفي نهاية المطاف، بمنعهم حق الآخرين ومعصيتهم لله تعالى، يستبدلون السكينة الأبدية بلذة زائلة، والربح الدائم بوهم زائل. لذا، على العاقل أن يتذكر دائمًا أن كل ما يُنفق في سبيل الله تعالى ليس خسارة، بل استثمار يضمن عوائد تتجاوز حدود الدنيا، ويضمن راحة البال في الدنيا والنجاح الأبدي في من خلال تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، ومن خلال حسن توزيع كل شيء وكل شخص في، الآخرة حياتهم.

سورة المؤمنون، الآية 4

«والذين هم للزكاة حافظون»

تحمل كلمة "الصدقة" في طياتها معنى عميقاً يتجاوز مجرد بذل المال، بل تعني أيضاً تطهير النفس. وهذا التطهير ليس حالة تلقائية، بل هو عملية فاعلة ومدرسة من التعلم والتدبر وتطبيق تعاليم الإسلام في جميع مناحي الحياة. ويتطلب ذلك من الإنسان أن يتحلى بالصفات النبيلة التي أثنى عليها الوحي، كالكرم والصبر، والتواضع والشكر والرحمة، وأن يسعى في الوقت نفسه إلى إزالة الصفات المفسدة التي نهى الله تعالى عنها كالكبر والحسد والطمع والكبرياء. فبتنمية هذه الفضائل وترك هذه الرذائل، يطهر القلب وترتقي الروح. وهذا التهذيب الداخلي يُنتج طمأنينة طبيعية، لأن راحة البال ثمرة العيش في انسجام مع الهداية الإلهية. كما تضمن الطهارة الروحية أن يستغل الإنسان النعم التي وهبت له - سواء أكانت ثروة أم صحة أم علمًا أم نفوذاً - على الوجه الذي شرعه الله تعالى وسنة رسوله الكريم محمد صلى الله عليه وسلم. وبذلك، يمنع الإسراف والإفراط وسوء الاستخدام، ويوجهها نحو الشكر والخدمة والطاعة. ومن خلال هذا الاستخدام الواعي للنعم، يحقق الإنسان التوازن في حالتيه العقلية والجسدية، ويضع كل أمر وكل علاقة في مكانها الصحيح. هذا التوازن لا يصون شؤونه الدنيوية فحسب، بل يُهيئه أيضاً للحساب يوم القيامة. لذا، فإن حياة الطهارة تجلب معها ثواباً مزدوجاً: سكينة في الدنيا ونجاة في الآخرة. ففي هذه الحياة، تنعم النفس الطاهرة بالصفاء والرضا والثبات في وجه المحن، بينما تجد في الآخرة السلام الأبدي والجزاء عند الله تعالى. وهكذا، فإن التطهير الروحي ليس

، مجرد شكل من أشكال تهذيب الذات، بل هو أساس النجاح في كلا المجالين .فهو يُغيّر شخصية الإنسان خلال ويوجّه نعمه نحو البر، ويضمن له راحة البال في الدنيا، ويضمن له النجاح الأبدي في الآخرة، من تحقيق حالة ذهنية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في حياته على النحو الصحيح.

،ثم يُلفت الله تعالى الانتباه إلى مبدأ أساسي من مبادئ السلوك الاجتماعي، وهو أساس استقرار الحياة الأسرية وبالتالي استقرار المجتمع ككل .فعندما يتفاعل أفراد الأسرة فيما بينهم على أساس الاحترام والرحمة وأداء الحقوق، يصبح المنزل ملاذًا للسكينة والأمان . وهذه البيوت تُنشئ مجتمعات متماسكة ومنسجمة، فالقيم التي تُغرس في الأسرة تُنقل إلى المجتمع بأسره .سورة المؤمنون، الآيات 5-7

والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون

قبل استكشاف الطرق التي يمكن من خلالها حماية أنفسنا من العلاقات غير الشرعية، من الضروري أن نفهم لماذا تم حظر العلاقات خارج إطار الزواج في الإسلام

يأمر الله تعالى بالزواج ويحرم العلاقات غير الشرعية .عندما لا يكون الزوجان مخلصين لبعضهما البعض كما في الزواج، فإن أي محنة حقيقية يواجهانها ستؤدي إلى ضائقة نفسية أكبر، لأنهما يفشلان في دعم بعضهما البعض بشكل صحيح .إن الدخول في علاقات متعددة والخروج منها طوال الحياة له تأثير ضار على الصحة النفسية .لذلك، ليس من المستغرب أن ينتهي الأمر بمن ينفصلون عن شركائهم غالبًا بطلب المشورة النفسية ويعانون من اضطرابات نفسية، مثل الاكتئاب، أكثر من أولئك الذين يتجنبون مثل هذه العلاقات .علاوة على ذلك، يجد الأفراد المعروفون في المجتمع بتعدد علاقاتهم صعوبة متزايدة في العثور على شريك مناسب يفي بحقوقهم .هذا لأن من انخرط في علاقات متعددة غالبًا ما يطور شخصية مهملة وغير مرغوب فيها، وهو ما يتجنبه بطبيعة الحال من يسعى إلى التزام صادق ودائم، كالزواج .وهذا يزيد من الضائقة النفسية لمن لديهم تاريخ من هذا القبيل

في العلاقات العابرة، نادرًا ما يتبنى الزوجان نفس النظرة؛ فغالبًا ما يأخذ أحد الشريكين العلاقة على محمل الجد، ربما أملًا في التزام طويل الأمد، بينما لا يشاطره الآخر هذه النظرة. وعندما يتضح هذا الاختلاف في المواقف، فإنه يُسبب صدمة عاطفية دائمة للطرف الأكثر إخلاصًا. في المقابل، يبدأ الأزواج علاقتهم بتفاهم متبادل على الالتزام مدى الحياة، ويُخلصون لبعضهم البعض في كل موقف - سواء كان مُخطئًا له أو غير مُتوقع، مثل إنجاب الأطفال. ونادرًا ما نجد هذا المستوى من التفاني في العلاقات العادية.

إن الارتباط بعلاقة قبل الزواج قد يوهم الشخص بأنه يفهم شريكه تمامًا. ونتيجةً لذلك، غالبًا ما يشتكي الزوجان عند الزواج من أن شريكهما قد "تغير". "في الحقيقة، لم يتغير الشخص نفسه؛ بل إن مسؤوليات الزواج وضغوطه غيّرت العلاقة بينهما. وهذا سبب شائع للخلافات الزوجية بين من كانوا معًا قبل الزواج حتى من يعيشون معًا قبل الزواج يواجهون المشكلة نفسها. علاوة على ذلك، من المعروف أن أي مشكلة بين الشريكين تؤثر بشدة على جميع جوانب الحياة الأخرى. على سبيل المثال، يتخلى العديد من الشباب عن دراستهم بمجرد أنهم لا يستطيعون تحمل رؤية شريكهم السابق يوميًا. ولأن الزواج يمثل رابطًا والتزامًا عميقين، فإن الأزواج المتزوجين أقل عرضة للانفصال بسبب أمور تافهة تُنهى عادةً العلاقات العابرة.

لا ينبغي أن ينخدع المرء بالمظهر الخارجي للعلاقة غير الشرعية، معتقدًا أنها غير ضارة للزوجين أو للمجتمع. فنظرًا لمحدودية المعرفة وقصر النظر، وتأثر الناس غالبًا بالعواطف، فقد يفترضون خطأ أن العلاقات خارج إطار الزواج غير ضارة، ويغفلون عن الضرر الخفي الكامن وراءها. ولن يُشجع الشخص المتورط في علاقة غير شرعية إلا على اتخاذ المزيد من الخطوات الخاطئة مع شريكه مع مرور الوقت. ولأن السيطرة على المشاعر أصبحت أمرًا طبيعيًا في معظم المجتمعات، أصبح من السهل على الزوجين غير المتزوجين الوقوع في هذه الأفعال الجسيمة. وهذا بدوره يؤدي إلى العديد من المشاكل الأخرى للأفراد والمجتمع، مثل الحمل غير المرغوب فيه وتجاهل الكبائر الأخرى. وحتى لو لم يرتكب الشخص المتورط في علاقة غير شرعية أي كبائر أخرى، فقد تُشوّه عواطفه حكمه، مما يدفعه إلى الزواج من شريكه دون إدراك عدم توافقهما الحقيقي. كما ذكر سابقًا، تُغيّر تحديات الزواج ومسؤولياته - كالوفاء بحقوق الزوج والأبناء - مسار العلاقة، مما يؤدي غالبًا إلى خلافات. وهذا يُفسر اتهام الأزواج الذين كانوا معًا قبل الزواج لبعضهم البعض بالتغيير بعد الزواج. فبغض النظر عن مقدار الوقت الذي يقضيه المرء مع شريكه قبل

، الزواج، لا يُمكنهما أبدًا إدراك شخصيته بعمق كما يفعل الزوجان. فالعيوب الخفية تظهر حتمًا بعد الزواج مما يؤدي غالبًا إلى مزيد من المشاكل الزوجية

من الحقائق المهمة، وإن كانت تُغفل غالبًا، أن من يُصلح شريكًا لا يكون بالضرورة زوجًا أو والدًا صالحًا فالصفات المطلوبة لهذه الأدوار مختلفة تمامًا. فبسبب التعلق العاطفي، قد يُهمل المرء أهمية اختيار زوج صالح، يُؤدي حقوقه ويتجنب إيذاءه، حتى في حالة الغضب. أما من يفتقر إلى التقوى، فسيُقصّر في أداء هذه الحقوق، وسيُسيء إلى زوجته وأولاده، وخاصةً عند الغضب. وكثيرًا ما يتجاهل أصحاب العلاقات غير الشرعية هذه النقطة الجوهرية، فيتزوجون من شريك حياتهم بدافع العاطفة لا الإيمان والخلق. فالحب والعاطفة يُعميان المرء عن عيوب محبوبه، كما حدّر من ذلك حديثٌ في سنن أبي داود، رقم 5130

علاوة على ذلك، فإن من يتبنى طبعًا غير صالح ويقيم علاقات متعددة سيجذب أشخاصًا غير صالحين. مماثلين. هؤلاء الأفراد يسعون فقط لإشباع رغباتهم ولن يحترموا أو يوفوا بحقوق شريكهم - حتى لو تزوجوا كلما نشأت خلافات، يلجؤون بسهولة إلى الإساءة اللفظية، وغالبًا ما يقارنون شريكهم بعاهرة بسبب بذاءة الماضي. حتى لو أعقب ذلك اعتذارات، فإن هذه الإهانات تترك ندوبًا عاطفية يمكن أن تكون أكثر ضررًا من الأذى الجسدي. أولئك الذين يجذبون رفقاء غير صالحين بسبب طبيعتهم غير الأخلاقية هم أيضًا أكثر عرضة للتعرض للإساءة الجسدية. عندما تتلاشى الصفات السطحية التي جذبت في البداية شريكًا غير صالح مثل الجمال - غالبًا ما يبحثون عن شخص آخر. يفسر هذا السلوك سبب شيوع العلاقات خارج نطاق الزواج - بين غير الصالحين. إنهم يعاملون شريكهم أو زوجهم كما يعامل المرء سيارة - مستعملة لفترة ثم تم استبدالها الضرر العاطفي الذي يسببه هذا هائل. إذا أنجب هذان الزوجان أطفالًا، فإن المشكلة تتضاعف. عندما يغضب هؤلاء الأطفال من والديهم، قد ينهالون عليهم بالشتائم، وخاصةً الأم، مشبهين إياهم ببائعة هوى بسبب سلوكياتهم السابقة. الألم النفسي الناتج عن إهانة الطفل يكاد يكون من المستحيل التعافي منه. على العكس يجذب الشخص المتواضع رفقاء متواضعين، أشخاصًا يحترمون حقوق بعضهم البعض ويؤدونها. حتى في حال حدوث خلافات، يُتجاهل أي إهانات بسهولة، لأنهما يعلمان أنها زائفة. كذلك، يميل أطفالهم إلى إظهار الاحترام لكلا الوالدين بفضل القدوة الحسنة التي تُقدم لهم

إضافةً إلى ذلك، يُضيف أي طفل يُولد عن غير قصد من علاقات غير شرعية كهذه ضغوطًا إضافية، وغالبًا ما يؤدي إلى الانفصال، لعدم رغبة أيٍّ من الوالدين في تحمّل المسؤولية. هذا يترك الطفل في منزل مُفكك

دون دعم كلا الوالدين، مما يؤدي عادةً إلى مشاكل اجتماعية أوسع نطاقاً. من المعروف أن معظم الشباب المتورطين في الجريمة أو العصابات أو الذين يُستغلّهم المُفترسون غالباً ما ينحدرون من أسر مُفككة. تربية الطفل صعبة حتى عندما يكون الطفل مرغوباً فيه - فكم تكون أصعب إذا كان الطفل غير مقصود؟ غالباً ما يؤدي هذا إلى الإهمال، والضغط النفسي، أو التخلي عن الطفل للحضانة أو التبني، مما يُسبب في معظم الحالات ضرراً نفسياً دائماً ويزيد من احتمالية تضليل الطفل.

لا يُمكن فهم كل هذه العواقب السلبية للعلاقات غير الشرعية فهماً كاملاً من قِبل من تحكمهم العاطفة أو الجهل، حتى لو بدت هذه العلاقات غير ضارة. فالانخراط فيها أشبه بتناول وجبة تبدو لذيذة ولكنها ممزوجة بسُمٍّ خفي. ولأن هذا السم خفي، يجب على المرء أن يثق بنصيحة من يعلم بوجوده ويتجنبها، حتى لو كان ذلك يتعارض مع رغباته. ولأن الله تعالى وحده يملك المعرفة الكاملة - بما في ذلك معرفة الأضرار الخفية في بعض الأفعال والعلاقات - فيجب قبول إرشاداته واتباعها، حتى عندما تتعارض مع رغبات المرء. وهذا يشبه المريض الحكيم الذي يتبع نصيحة طبيبه، ويتحمل الدواء المر والانضباط الصارم، عالماً أنه يؤدي إلى الصحة. وبالمثل، فإن من يقبل التعاليم الإسلامية ويعمل بها ينال العافية العقلية والجسدية الحقيقية.

الله تعالى وحده يملك المعرفة الكاملة اللازمة للحفاظ على توازن العقل والجسم. ورغم البحوث المكثفة، يبقى فهم المجتمع للحالة الإنسانية ناقصاً، ولا يمكنه أبداً تقديم حلول شاملة لكل صعوبة أو مصدر ضيق. المعرفة البشرية والخبرة والبصيرة محدودة. الله تعالى وحده يملك المعرفة الكاملة، التي أنزلها برحمته من خلال القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. تتجلى هذه الحقيقة عند مقارنة من يعيشون وفقاً للهداية الإلهية - مستغلين نعم الله - بمن لا يفعلون.

لقد قضى الله تعالى على هذه المشاكل الكثيرة من جذورها بتحريم العلاقات غير الشرعية وتشجيع الزواج، حيث يخلص الزوجان لبعضهما البعض ولأبنائهما. وبتناوله مسائل الزواج والطلاق والأرامل والأبناء في القرآن الكريم، وقر الله تعالى مفتاح نجاح المجتمع. فعندما يُؤدّي أفراد الأسرة - سواء كانوا مجتمعين أو منفصلين - حقوق بعضهم البعض ويُؤسسون بيتاً مستقراً وحميماً، يُؤثّر ذلك إيجاباً على المجتمع. وعلى العكس، عندما تُقصر الأسرة في الحفاظ على هذه الحقوق، يُؤدّي ذلك إلى آثار سلبية تُعمّم المجتمع.

على مر التاريخ، طرح العديد من المفكرين حلولاً للمشاكل التي تواجه الأفراد والمجتمعات. إلا أن حلولهم تقتصر على الجوانب السطحية، مما يجعل فوائدها محدودة. في المقابل، يعالج الله تعالى الأسباب الجذرية. التي تؤثر على الفرد والمجتمع، مبيناً بذلك جميع الأمور ليتمكن الناس من تحقيق النجاح في الدنيا والآخرة: سورة النحل، الآية 89

"ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة"

ولكن لا يدرك الحكمة العميقة في آيات الله تعالى إلا من استخدم عقله استخداماً صحيحاً. سورة البقرة، الآية ٢٤٢:

كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ

ينبغي على الناس اتخاذ الاحتياطات اللازمة لتجنب الوقوع في علاقات غير شرعية. ومن أولى الخطوات تعلم غض البصر. وهذا لا يعني التحديق الدائم في الأرض، بل تجنب النظر حوله دون داعٍ، وخاصة في الأماكن العامة. وعليهم الامتناع عن التحديق في الآخرين واحترام الجنس الآخر. فكما لا يحب المرء أن ينظر الآخرون إلى أخته أو ابنته، فلا ينبغي له التحديق في أخوات وبنات الآخرين. سورة النور، الآية 30.

"...قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم"

ينبغي على المرء، قدر الإمكان، تجنب الخلوة بشخص من الجنس الآخر إلا إذا كانت بينهما قرابة تحرم الزواج. وقد أوصى النبي محمد صلى الله عليه وسلم بهذا الاحتياط في حديث ورد في صحيح البخاري، رقم ١٨٦٢.

من الضمانات الأخرى الالتزام بالاحتشام في اللباس والسلوك. فالاحتشام يمنع لفت الانتباه دون داعٍ، بينما يمنع السلوك المتواضع اتخاذ الخطوات الأولى التي قد تؤدي إلى علاقات غير مشروعة، كالحديث غير الضروري مع الجنس الآخر.

إن فهم فضل تجنب العلاقات غير الشرعية يُعدّ حمايةً قوية. فقد ضمن النبي محمد صلى الله عليه وسلم الجنة لمن حفظ لسانه وعفته، كما ورد في حديث في جامع الترمذي برقم ٢٤٠٨

في الوقت نفسه، يُعدّ الخوف من عقوبة العلاقات غير الشرعية رادعًا آخر. فعلى سبيل المثال، يزول الإيمان عن من يزني، كما ثبت في حديث سنن أبي داود رقم 4690. فينبغي أن يخشى المرء أن يزول إيمانه، فقد لا يعود.

في الواقع، العلاقات المحرمة غير ضرورية، فالإسلام يشرع الزواج كوسيلة مشروعة ومباركة لإشباع الشهوات الفطرية. ولمن لا يستطيع الزواج، يُشرع الصيام لضبط شهواته وأفعاله. وقد أوصى بذلك النبي محمد صلى الله عليه وسلم في حديث صحيح مسلم رقم 3398

،باتباع هذه التدابير - غض البصر، وتجنب الخلوة، والاحتشام في اللباس والسلوك، وتقدير نعمة العفاف والخوف من عواقب المعصية، واتباع سبيل الزواج الشرعي - يصون الإنسان كرامته، ويحفظ دينه، ويضمن سورة المؤمنون، الآيات 5-7. راحة باله في الدنيا والآخرة.

والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون.

عبارة "ما ملكت يمينك" إلى العبيد، وهي حقيقة كانت سائدة في العالم وقت نزول الوحي. ولأن أسر الأسرى في المعارك والحروب كان ممارسة شائعة، لم يكن بإمكان الإسلام تحريمه صراحةً دون أن يلحق ضرراً بالغاً بالمسلمين. فلو حُرِّم المسلمون وحدهم من أسرهم، لزاد عدد عبيدهم، بينما قلَّ عدد أعدائهم. بل تبنى الإسلام نهجاً تدريجياً وتحولياً: فحسَّن أولاً وضع العبيد، ضامناً معاملتهم بكرامة ورحمة، ثم وضع تدابير، تُفضي في النهاية إلى القضاء على الرق كما كان يُمارس آنذاك. حثَّ الله تعالى على حسن معاملة العبيد، بحيث يُعاملون معاملة أفراد الأسرة. أمر النبي محمد صلى الله عليه وسلم بإطعام العبيد مما يأكله أسيادهم وإلباسهم ما يلبسون، وعدم تكليفهم بأعمال لا تطاق. بل أمر أسيادهم بمساعدتهم في واجباتهم. وقد تأكد ذلك في حديث صحيح مسلم، رقم 4313. وفي الوقت نفسه، شجع الإسلام على عتق الرقاب باعتباره من أفضل الأعمال، ووعد بأجر عظيم. فعلى سبيل المثال، وُعدَّ من أعتق رقبة لله تعالى بالعتق من النار، كما ورد في حديث جامع الترمذي، رقم 1541. علاوة على ذلك، جعل الإسلام عتق الرقاب أول كفارة لبعض الذنوب: المثال سورة المجادلة، الآية 3 على سبيل

والذين يظهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ذلكم توعظون به والله خبير بما تعملون

عندما طُبِّقَت هذه التعاليم، عومل العبيد في المجتمع الإسلامي باحترام ورحمة وإنصاف، وأصبحوا في كثير من الأحيان بمثابة أفراد من الأسرة. ومع مرور الوقت، أدى هذا النظام، إلى جانب التشجيع المتكرر على

تحرير العبيد، إلى القضاء تدريجيًا على العبودية كما كانت تُمارس على نطاق واسع. وللأسف، فبينما اختفت مؤسسة العبودية بصورتها التقليدية، لا تزال أشكال جديدة من العبودية موجودة في أجزاء من العالم، مثل الاستغلال المالي والقمع الاقتصادي. لذلك، يجب على المسلمين اليوم أن يلعبوا دورهم في القضاء على هذه الأشكال الحديثة من العبودية، كلٌّ حسب إمكانياته - سواءً من خلال الدعم المالي أو الدعوة أو الإصلاح الاجتماعي - مُواصلين بذلك إرث العدل والرحمة والتحرير الذي أرساه الإسلام.

بما أن الإسلام شريعة شاملة، فهو يشمل أمورًا دنيوية ودينية. سورة المؤمنون، الآية 8

"والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون"

من الضروري إدراك أن الإسلام لا يقتصر على العبادات، بل يشمل كل جانب من جوانب الحياة، دنيوية كانت أم دينية. فكل تفاعل وقرار وظرف يقع ضمن نطاق الهداية الإلهية. والافتراض بأن الله تعالى سيسأل الناس فقط عن واجباتهم الدينية، كالصلوات المفروضة، متجاهلاً سلوكهم في أمور الدنيا، هو سوء فهم خطير. فالله تعالى سيحاسب الناس على كل موقف يمرون به، سواءً في العبادة أو المعاملات أو التعاملات اليومية. ولذلك، يجب على المرء أن يسعى جاهداً لتعلم التعاليم الإسلامية والعمل بها في جميع الأحوال، مع ضمان توافق سلوكه مع الهداية الإلهية. هذه الطاعة الشاملة تضمن توازناً متناغماً بين الحالتين النفسية والجسدية مما يسمح للإنسان بوضع كل شيء وكل شخص في مكانه الصحيح. وهذا السلوك لا يُهيئهم جيداً لمسؤولياتهم. يوم القيامة فحسب، بل يمنحهم أيضاً الطمأنينة في الدنيا والآخرة.

لا ينبغي أن يُعامل الإسلام كلباس يُلبس أو يُخلع حسب الأهواء الشخصية. فذلك عبادة للهوى دون الله تعالى. (سورة الفرقان، الآية 43).

"...أرأيت من اتخذ إلهه هواه"

من يقصر في تطبيق تعاليم الإسلام باستمرار، سيُسيء استخدام النعم التي وُهِبَتْ له حتمًا. هذا الاستخدام الخاطئ يُؤدّي إلى اختلال التوازن، حيث تُساء ترتيب الأولويات، وتُساء إدارة العلاقات، وتُهمل المسؤوليات والنتيجة حياة مليئة بالضغط والتحديات والمصاعب في الدنيا والآخرة، حتى وإن كانوا يتمتعون ظاهريًا ببعض الرفاهية الدنيوية.

فالنجاح الحقيقي يكمن في دمج الإسلام في كل موقف، دنيويًا كان أم دينيًا، حتى تصبح حياة المرء طاعةً وشكرًا واستعدادًا للمساءلة النهائية أمام الله تعالى. سورة المؤمنون، الآية 8

"والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون"

في حديثٍ ورد في صحيح البخاري، برقم ٢٧٤٩، وصف النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث علاماتٍ للنفاق ومع أن هذه الصفات لا تُفقد الإنسان إيمانه، إلا أنه من الضروري اجتنابها، لأن الاستمرار عليها قد يُحشر مع المنافقين يوم القيامة. ويؤكد هذا التحذير حديثٌ ورد في سنن أبي داود، برقم ٤٠٣١

أول هذه الصفات هي الكذب. عندما يتحدث المنافق، فإنه يكذب، وهذا يشير إلى الكذب المعتاد. الكذب محرم بجميع أشكاله - سواء كان كذبًا يبدو غير مؤذٍ، أو كذبًا يُقال على سبيل المزاح، أو كذبًا يُقال للأطفال. لعن النبي محمد صلى الله عليه وسلم من كذب ليضحك الناس ثلاث مرات، كما هو مسجل في حديث موجود في جامع الترمذي، رقم 2315. وبالمثل، فإن الكذب على الأطفال هو أيضًا إثم، كما أكدته سنن أبي داود، رقم 4991. مثل هذا السلوك ضار بشكل خاص، لأنه يعلم الأطفال أن الكذب مقبول، وبالتالي يصبح إثمًا في 4991. تربيتهم. لا يُسمح بالكذب إلا في ظروف نادرة وشديدة، مثل حماية حياة شخص بريء

تكمّن خطورة الكذب في أنه يفتح بابًا لذنوب أخرى. ووفقًا لحديث ورد في جامع الترمذي، رقم 1971، فإن الكذب يؤدي إلى ذنوب كالغيبة والاستهزاء بالآخرين، ويقود صاحبه في النهاية إلى أبواب جهنم. وعندما يصبح الكذب عادة، يكتب الله تعالى صاحبه كذابًا عظيمًا، وتكون عواقب ذلك يوم القيامة ظاهرة. علاوة على ذلك، يحرم الكذب صاحبه من صحبة الملائكة. وقد أوضح النبي محمد صلى الله عليه وسلم أن الرائحة الكريهة التي تنبعث من فم الكذاب تجعل الملائكة ينصرفون عنه ميلاً، كما هو مؤكد في جامع الترمذي، رقم 1972. كما أن الإصرار على الكذب يفسد النفس، ويفسد النية، فلا تُخلص الأعمال لله تعالى، بل لدوافع. 1972. أخرى، فيحرم صاحبها من الأجر. كما أنه يُفسد الأعمال الظاهرة، إذ يسهل ارتكاب المعاصي الجسدية مع اعتياد اللسان على الكذب. فالكذب ليس عيبًا هيئًا، بل هو عيبٌ مُهلك يُهدم الإيمان، ويُفسد الأخلاق، ويُبعد الإنسان عن الله تعالى وملائكته ورحمته. اجتنابه ضروريٌ لحفظ الإيمان والإخلاص، وللغفران في الدارين.

الصفة التالية للنفاق المذكورة في الحديث السابق هي خيانة الأمانة. وهذا يشمل جميع الأمانات التي يملكها الإنسان، سواءً تلك التي ائتمن الله تعالى عليها، أو التي ائتمن عليها الناس. فكل نعمة، سواءً كانت ثروة أو صحة أو علمًا أو نفوذًا، هي في الحقيقة أمانة من الله تعالى. والسبيل الوحيد لأداء هذه الأمانات هو استخدامها، فيما يرضيه، كما هو مبين في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. وهذا هو جوهر الشكر ويؤدي إلى زيادة النعم وراحة البال في الدنيا والآخرة، من خلال تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، ومن خلال حسن توزيع كل شيء وكل شخص في حياته. سورة إبراهيم، الآية 7:

"وَإِذ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ"

للأمانات بين الناس أهمية بالغة. فإذا أُؤتمن أحدهم على ممتلكات غيره، فلا يجوز له إساءة استخدامها، بل استخدامها وفقًا لرغبات صاحبها. ومن أعظم الأمانات حفظ الأحاديث الخاصة، إلا إذا كان هناك سبب واضح ومفيد لإفشائها. وللأسف، غالبًا ما تُهمل هذه الأمانة، ومع ذلك يجب على المرء أن يعامل أمانات الآخرين بالطريقة التي يرغب أن تُعامل بها أماناته. وتشمل الأمانة أيضًا من هم تحت رعايته، مثل المعالين. فعلى سبيل المثال، يُؤتمن الوالد على تربية أبنائه، وعليه أن يسعى جاهدًا للوفاء بهذه الأمانة من خلال تشجيعهم

على تعلم وفهم والعمل بتعاليم القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. إن إهمال هذه المسؤوليات خيانة للأمانة وعلامة نفاق.

آخر علامات النفاق المذكورة في الحديث السابق هو إخلاف الوعد. أعظم وعدٍ قطعه الإنسان هو وعد الله تعالى، حين رضي به رباً وإلهاً. هذا العهد يستلزم الوفاء بأوامره، واجتناب نواهيه، ومواجهة القدر بالصبر. عملاً بسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. كما يجب الوفاء بالوعود التي تُقطع للناس، إلا لعذرٍ مقبول وينطبق هذا بشكل خاص على الوعود التي تُقطع للأطفال، فإن إخلافها يُرسخ الأخلاق السيئة ويُعلمهم أن الغش جائز. وفي حديثٍ في صحيح البخاري، رقم 2227، يُعلن الله تعالى أنه على من وعد الله ثم أخلفه بغير عذر. من ظلمه الله تعالى يوم القيامة فلا يُفلح. ولذلك، فالأسلم تجنّب الوعود غير الضرورية. ولكن إذا عُقد وعدٌ مشروع، فعليه السعي بإخلاصٍ وعزمٍ على الوفاء به. وبذلك يصونون أنفسهم من النفاق، ويحفظون أمانتهم، وينالون رضا الله تعالى في الدنيا والآخرة.

كما ذكرنا سابقاً، بما أن الصلوات المفروضة هي الركن الأساسي الذي تركز عليه جميع الأعمال الصالحة وتُعدّ تذكيراً دائماً بالمحاسبة يوم القيامة، فقد أُعيد ذكر إقامتها. ولا سبيل إلى راحة البال الحقيقية في الدنيا والآخرة إلا بها). سورة المؤمنون، الآية 9، سورة 23)

"والذين هم على صلاتهم يحافظون"

ورد في جامع الترمذي، برقم ٢١٣، حديثٌ يُسلط الضوء على لحظةٍ فارقةٍ في رحلة النبي محمد صلى الله عليه وسلم إلى السماء: وهي إهداء الصلاة المفروضة. وتُبرز هذه النعمة الفريدة، كونها الفريضة الوحيدة التي أنزلت بهذه الطريقة، بينما نزلت بقية التعاليم الإلهية على الأرض، الأهمية القصوى لإقامتها والمحافظة عليها.

في البداية، فُرضت خمسون صلاةً يوميًا، وبشفاعة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وبناءً على نصيحة النبي موسى عليه السلام، خُفِّضَ هذا العدد تدريجيًا إلى خمس. يُظهر هذا التدرج حكمةً بالغة: فلو بقي الفرض عند خمسين، لما ترك مجالًا كافيًا لغير ذلك من الطاعات والتأمل والمسؤوليات الدنيوية. الدرس واضح: يجب أن تدور حياة المسلم حول الصلوات المفروضة، لا أن يحاول التوفيق بين الواجبات الدينية وحياة تُملئها عليه المصلحة الشخصية فقط. فالصلوات ليست مجرد طقوس، بل هي المبدأ الذي تُبنى عليه حياة متوازنة مؤمنة، كما تُشير الصلوات المفروضة إلى التعلق بالله تعالى، مع الحفاظ على انفصالٍ مُحكمٍ عن الدنيا. أثناء الصلاة، يمتنع المسلم عن الكلام والطعام والانخراط في الأنشطة الشرعية المعتادة، مُجسِّدًا بذلك الإخلاص والتركيز اللازمين لتنفيذ أوامر الله تعالى. هذا التجرد ليس غاية في حد ذاته، بل وسيلة لتقوية الصلة الروحية مع مواجهة مسؤوليات الحياة اليومية وتحدياتها بصبر وطاعة. وندكرنا التكليف الأصلي بخمسين صلاة يومية بمركزية هذه الصلة: طاعة الله تعالى أولى بها، وسائر الأمور مرتبةٌ وفق التوجيه الإلهي. ليس الهدف الحقيقي للبشرية هو السعي وراء ملذات الدنيا الزائلة الزائلة، بل اتخاذها جسرًا نحو الحياة الأبدية في الآخرة. تُذكر الصلوات المفروضة - وظروف نزولها - المسلمين بأن الدنيا فانية، وأنها مجرد وسيلة للوصول إلى الآخرة وبتنظيم حياة المرء حول الصلوات والالتزام بتعاليم الإسلام، يستطيع المرء عبور هذا الجسر بنجاح، محققًا من خلال تحقيق حالة ذهنية وجسدية متوازنة، ومن خلال، السلام في الدنيا والآخرة، ومحققًا غايته الأسمى. وضع كل شيء وكل شخص في حياته على الوجه الصحيح.

علاوة على ذلك، تؤكد التعاليم الإسلامية بوضوح تام على أن الإيمان الحقيقي لا يكتمل إلا بإقامة الصلاة المفروضة. ففي حديث ورد في جامع الترمذي، رقم 2618، حذر النبي محمد صلى الله عليه وسلم من أن ترك الصلاة هو الحد الفاصل بين الإيمان والكفر. وذلك لأن الصلاة ليست مجرد طقس، بل هي شريان الحياة، للإيمان. فعندما تُؤدى بإخلاص ومداومة، تكون بمثابة تذكير دائم بيوم القيامة، يُبقي القلب متيقظًا للمساءلة. أما من يهمل الصلاة المفروضة، فإنه يفقد هذا الوعي تدريجيًا. ويُهَيِّئ النفس عمليًا للقاء الله تعالى المحتوم فبدون التذكير اليومي بالمساءلة، يكون أكثر عرضة لإساءة استخدام النعم التي مُنحت له، والوقوع في الغفلة وعدم التوازن. يؤدي هذا الإهمال إلى اضطراب في الحالتين النفسية والجسدية، مما يدفعه إلى سوء ترتيب الأولويات، وسوء استخدام العلاقات، وعدم الاستعداد الكافي للحساب الأخير. حتى لو كانوا يتمتعون ببعض الرفاهيات الدنيوية، فإن حياتهم ستكون مليئة بالتوتر الداخلي، وعدم الاستقرار، والصعوبات في كلا العالمين.

علاوة على ذلك، فإن ترك الصلاة يقطع الصلة الجوهرية بين الإقرار بالإيمان لفظيًا والعمل الذي يدعمه. فالإيمان ليس مجرد قول باللسان، بل هو واقع حيّ يتطلب تغذية بالطاعة. فبدون الصلاة، ينهار أساس هذه

الطاعة، ويعرض الإنسان لخطر كبير يتمثل في فقدان إيمانه كلياً. يشبه الإيمان النبتة: لا تنبت إلا إذا غداها ضوء الشمس والماء والرعاية. وكما أن النبتة التي تُحرم من الغذاء تذبل وتموت، كذلك يضعف الإيمان وقد يهلك إذا لم يُغذَّ بالطاعات، وفي مقدمتها الصلاة المفروضة. الصلاة ماء الروح ونورها، فبدونها يُصبح القلب قاحلاً، وقد ينطفئ نور الإيمان. وهذه أعظم الخسائر: أن يضيع جوهر الإيمان بالإهمال. ولذلك، فإن إقامة الصلاة المفروضة ليست مجرد واجب من بين واجبات كثيرة، بل هي الأساس الذي تركز عليه جميع الأعمال وذلك بتحقيق الصالحة. إنه حصن الإيمان، وجنة الغفلة، ومفتاح الطمأنينة في الدنيا والنجاة في الآخرة: التوازن النفسي والبدني، وحسن توزيع كل شيء وكل شخص في حياته. سورة المؤمنون، الآيتان ١٠-١١

أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيه خالدون

من الضروري إدراك الفرق الجوهرى بين النعم الممنوحة في الدنيا والنعم الموعودة في الجنة. يُبين القرآن الكريم أن أهل الإيمان سيرثون الجنة، أي يُمنحون ملكيتها كاملة كهبة من الله تعالى. ولأنها هبة حقيقية، فهم أحرار في التمتع بها دون قيود، يفعلون فيها ما يشاؤون. على النقيض من ذلك، فإن نعم الدنيا - سواء أكانت ثروة أم صحة أم علماً أم نفوذاً - ليست هبات، بل هي قروض. الهبة تعني الملكية، بينما القرض لا بد أن يُردَّ إلى صاحبه الحقيقي، وهو الله تعالى. والسبيل الوحيد لردِّ هذه النعم على الوجه الصحيح هو استخدامها فيما يرضيه، كما هو مبين في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. فعندما تُستغل النعم بشكر وطاعة، تُصبح مصدراً للزيادة والسكينة والتوازن النفسي والجسدي. إنها تُعين الإنسان على وضع كل شيء، سورة إبراهيم. وكل شخص في مكانه الصحيح، مما يضمن له الانسجام في هذه الحياة والاستعداد للآخرة: الآية 7

لئن شكرتم لأزيدنكم

لكن هذه النعم لا بد أن تعود إلى الله تعالى، طوعاً أو كرهاً. فإن عادت طوعاً - بطاعة واعية وشكر وخدمة فإنها تُصبح سبباً لثواب عظيم. أما إن عادت قهراً، كما في حال إساءة استخدامها عند الموت، فإنها تتحول -

إلى عبء، يجلب الندم والمساءلة في الدنيا والآخرة. لذلك، من الضروري فهم الفرق بين الهبة والقرض. فنعم الدنيا أمانات مؤقتة، بينما نعم الجنة عطايا أبدية. وإدراك هذا التمييز يشجع الإنسان على حسن استغلال نعم الدنيا بتواضع ومسؤولية، حتى تتحول إلى كنوز خالدة في الآخرة.

ليمنع الإنسان من الغرور والاعتقاد الخاطيء بأنه يحسن إلى الله تعالى بطاعته، يُذكر الله تعالى البشرية بأصلها: المتواضع. سورة المؤمنون، الآيتان ١٢-١٣

خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ولقد

هذا الغرور قد يعيق طاعة الإنسان الصادقة لله تعالى، لا سيما عندما تتعارض رغباته مع أوامره، فتضله عن الصراط المستقيم. في المقابل، من يدرك أن إيمانه وطاعته ينفعانه في النهاية، يتواضع لله تعالى، ويحافظ على إخلاصه في أوقات الشدة والرخاء. في الشدة، يصبر، وفي الرخاء، يشكر. وللشكر أشكال متعددة: شكر النية، وهو القيام بالأعمال لمرضاة الله تعالى فقط؛ والشكر بالقول، وقد يكون بالكلمة الطيبة أو حتى بالصمت؛ والشكر بالأفعال، وهو الانتفاع بالنعم الممنوحة وفقاً للقرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وبالمثل، يشمل الصبر الامتناع عن الشكوى قولاً وفعلًا، مع المواظبة على طاعة الله تعالى، مع الإيمان. (سورة البقرة، الآية ٢١٦). الراسخ بأنه يختار دائماً ما هو خير للعبد، حتى وإن لم يكن ذلك واضحاً للعيان.

"وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ..."

وبالتالي، فإن من يلتزم بهذه المبادئ في جميع الأحوال ينال عوناً ورحمةً من الله تعالى. وهذا يؤدي إلى شعور عميق بالسكينة في الدنيا والآخرة، يتحقق من خلال حالة نفسية وجسدية متوازنة، وترتيب كل شيء وكل شخص في حياته على النحو الصحيح - وهو أمرٌ يؤكد حديثٌ في صحيح مسلم، رقم 7500. هذا الالتزام

الدائم لا يحمي الفرد من الاضطرابات الداخلية فحسب، بل يضمن أيضاً أن تسير حياته بأكملها في انسجام مع الهداية الإلهية، مما يجلب طمأنينة دائمة واكتمالاً روحياً.

بالإضافة إلى ذلك، بما أن الله تعالى هو الخالق والمصوّر والمربي لكل إنسان، فهو وحده المستحق للطاعة :سورة المؤمنون، الآيات ١٢-١٤. المطلقة في كل وقت

ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين، ثم خلقنا النطفة علقة، فخلقنا العلقة مضغة، فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً، ثم أنشأناه خلقاً آخر، فتبارك الله أحسن الخالقين

، هو الذي خلق الإنسان من العدم، وصوّره في أحسن صورة، ويرزقه بنعم لا تُحصى .كل نفس، وكل رزق وكل لحظة من الحياة تجلّ مباشرة لعنايته ورحمته .لذا، فمن العدل والحكمة أن تُخصّص الطاعة له وحده فطاعة غيره في معصية الله تعالى تُنسي الإنسان مصدر وجوده ورزقه .على النقيض من ذلك، عندما يخضع الإنسان لأوامره ويتجنب نواهيه، فإنه يُوفّق نفسه إلى غاية خلقه .هذه الطاعة ليست عبئاً، بل هي شرف ،لأنها تُعلي الإنسان فوق مجرد الشهوات وتجعله في انسجام مع الحكمة الإلهية .وهكذا، فإن إدراك الله تعالى الخالق والمصوّر والمربي الأوحد، يقتضي أن تُعاش حياته في طاعة دائمة له، من خلال الاستخدام الصحيح لكل نعمة أنعم بها عليه، كما هو مبين في التعاليم الإسلامية .هذا هو الطريق الذي يضمن الكرامة في الدنيا من خلال الحصول على حالة ذهنية وجسدية متوازنة ووضع كل شيء وكل ،والنجاح الأبدي في الآخرة . شخص في حياته بشكل صحيح

ليس الله تعالى هو من يخلق الإنسان ويربيه فحسب، بل هو وحده المتصرف في جميع شؤون، بما في ذلك موته .سورة المؤمنون، الآية ١٥

"ثم إنكم بعد ذلك لتموتون"

من المهم إدراك أنه بينما يُفصّل القرآن الكريم مراحل تكوين الجنين في رحم الأم، فإن ذكر عمر الإنسان في الدنيا قصيرٌ نسبياً. هذا التباين يُبرز زائل الحياة الدنيا وزوالها. وسواءً عاش الإنسان عقوداً طويلة أو قصيرة فإن الحياة تمضي سريعاً دون توقف. هذا الاختصار يُذكّر الناس بضرورة الاستعداد للآخرة واستغلال الوقت المحدود الممنوح لهم فيما يرضي الله تعالى.

من أعظم العوائق التي تمنع الإنسان من استغلال وقته القصير في الدنيا تعلقه بالأمل الكاذب بطول العمر. وهذه صفة مذمومة، إذ تدفعه إلى تقديم جمع المال على الاستعداد للآخرة. يكفي تأمل بسيط في روتينه اليومي لكشف هذه الحقيقة: كم من يومه العادي يُقضى في مشاغل الدنيا مقارنةً بالاستعداد للآخرة؟ إن الأمل الكاذب بطول العمر من أشد أسلحة الشيطان فتكاً. فبإقناعه الناس بأن لديهم متسعاً من الوقت، يغريهم بتأجيل التوبة والإصلاح والعمل الصالح. وفي أغلب الأحيان، لا يأتي "المستقبل القريب" الذي يعول عليه، ويدركهم الموت قبل أن يستعدوا له كما ينبغي. كما أن هذا الأمل الكاذب يؤدي إلى اكتناز الثروات والتعلق بالامتلاكات المادية ويقنع الناس أنفسهم بوجوب الادخار بإسراف للشيخوخة، خوفاً من فقدان سندهم. وينسون أن الرب الذي رزقهم في شبابهم سيرزقهم في شيخوختهم. في الواقع، كان الرزق مقدراً لكل نفس قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف عام، كما هو مؤكد في حديث موجود في صحيح مسلم، رقم 6748. ومن المدهش أن يقضي الإنسان أربعين عاماً في الادخار للتقاعد، الذي نادراً ما يستمر أكثر من عشرين عاماً، ومع ذلك يفشل في الاستعداد بنفس التفاني للآخرة الأبدية.

لا يُنتهي الإسلام عن الاستعداد لحاجات الدنيا. فلا حرج في الادخار للمستقبل القريب، بشرط أن تكون الآخرة هي الأولوية. تكمن المشكلة عندما يعيش الناس كأنهم لن يموتوا أبداً، وكأن حياتهم الدنيا خالدة. حتى لو وُعدوا بحياة أبدية على الأرض، فلن يتمكنوا من جمع أكثر مما يسمح به دوران الليل والنهار. كم من الناس ماتوا قبل أوانهم، وكم من الناس من اتقوا الموت حقاً؟

في الواقع، من أعظم الآلام التي يعانيتها الإنسان عند الموت أو في الآخرة الندم على تأخير الاستعداد .سورة
:المنافقون، الآيتان ١٠-١١

وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكون
من الصالحين ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون

إن تقديم الدنيا الفانية على الآخرة الخالدة كمثّل من ينفق وقته وماله على بيتٍ سيسكنه قليلاً، ويهمل بيته الذي
سيسكنه للأبد .هذا سلوكٌ غير حكيم

لذا، ينبغي للإنسان أن يعمل لدنياه وآخرته، مع إدراك واضح أن الموت حتميٌّ، وأن مستقبل هذه الدنيا غير
مؤكد .ويجب أن يُقدّم الاستعداد للموت وما يليه، وذلك بالاستفادة من النعم الممنوحة كما وردت في التعاليم
من خلال تحقيق حالة نفسية وجسدية ،الإسلامية، فهو الاستعداد الوحيد الذي يضمن النجاح في الدنيا والآخرة
.متوازنة، ومن خلال حسن توزيع كل شيء وكل شخص في حياته

بعد أن ثبت أن الله تعالى خلق البشر من العدم، وله السلطة المطلقة على حياتهم وموتهم، فمن الطبيعي أن
يكون له القدرة على إحياءهم بعد أن عادوا تراباً وعظاماً .وكما أوجدتهم أولاً، فإن أمره وحده كافٍ لإحيائهم
،مُظهرًا سيطرته التامة على جميع جوانب الخلق، ومؤكداً على يقين المحاسبة يوم القيامة .سورة المؤمنون
:الآية ١٦

«ثم إنكم يوم القيامة تُبعثون»

إن إنكار إمكانية البعث يوم القيامة موقفٌ غريبٌ حقاً، فعلامات البعث متأصلةٌ في جوهر الخلق، وتتكرر في حياتنا اليومية. يُحيي الله تعالى الأرضَ القاحلة بالمطر، فتنبت البذور الميتة حياةً ورزقاً للخلق. وبالمثل يُحيي الإنسان - المدفون في الأرض كالبذرة - فيعيده إلى الحياة للحساب. ويشهد تقلب الفصول أيضاً على البعث. ففي الشتاء، تبدو الأشجار هامدةً بتساقط أوراقها، لكنها في الربيع تعود إلى إزهارها الكامل. أما داخل جسم الإنسان نفسه، فالبعث عمليةٌ مستمرة: تموت الخلايا وتُستبدل، متجددةً الحياة باستمرار. حتى دورة النوم: سورة الزمر، الآية 42. واليقظة تذكيرٌ يومي، فالنوم يُشبه الموت، واليقظة عودةً إلى الحياة.

الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى "أجل مسمى إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون"

وراء هذه العلامات، يوم القيامة ضرورة. فالكون يمتلئ بالتوازن: يُعد الأرض التام عن الشمس، ودقة دورة الماء، وتوازن الأرض الفريد بين ليونة وقوة. ومع ذلك، تبقى أفعال البشر مختلفة. فكثيراً ما يفلت الظالمون من العدالة، بينما يتكبد المظلومون المشقة دون جزاء كامل. من أطاع الله تعالى بإخلاص، قد يواجهون البلاء وينالون القليل من الجزاء في هذه الدنيا، بينما ينعم المخالفون بالرخاء والرفاهية. ولأن الله تعالى قد أرسى التوازن في جميع الخلائق، فلا بد من عدالة أفعال البشر. وبما أن هذا التوازن لا يتحقق في هذه الدنيا، فلا بد أن يتحقق في دنيا أخرى - يوم القيامة.

الله تعالى قادر على الثواب أو العقاب كاملاً في هذه الحياة الدنيا، لكن حكمته تقضي بغير ذلك. فهو يمنح فرصاً متكررة للتوبة والإصلاح، ويؤخر الجزاء الكامل إلى الآخرة. هذه الدنيا ليست جنة، والجزاء الكامل محفوظ للآخرة. الإيمان بالغيب - الثقة بالثواب والعقاب الموعود في الآخرة - سمة مميزة للإيمان الحقيقي. لو كان الجزاء الكامل ظاهراً في هذه الدنيا، لفقد الإيمان ميزته.

علاوة على ذلك، فإن الخوف من العقاب النهائي والأمل في الثواب الأبدي يُشكلان دافعين قويين، يشجعان الناس على تجنب المعصية والسعي في البر. ولكن لكي يبدأ يوم الجزاء، لا بد أن ينتهي هذا العالم المادي. لأنه لا يُصدر الحكم إلا بعد انتهاء جميع الأعمال. وهكذا، فإن نهاية العالم أمر لا مفر منه.

إن التأمل في هذه الحقائق يُقوّي الإيمان بيوم القيامة، ويُلهم الاستعداد له. يكمن هذا الاستعداد في استخدام نعم الله تعالى على الوجه الذي يرضيه، كما هو مبين في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم من خلال تحقيق حالة نفسية وجسدية، هذا السلوك يُجلب راحة البال في الدنيا، والتوفيق الأبدي في الآخرة (السورة 45، سورة). متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في حياته على الوجه الصحيح (الجاثية، الآية 22).

"وخلق الله السموات والأرض لحكمة، لتُجزى كل نفس ما اكتسبت، وهم لا يُظلمون".

:وسورة المؤمنون، الآية 16

«ثم إنكم يوم القيامة تُبعثون»

ثم يُلفت الله تعالى الانتباه إلى الآيات المنتشرة في أرجاء الكون، والتي تخدم أغراضًا متعددة. فهذه الآيات لا تُظهر فقط قدرته الفائقة على إحياء الناس ومحاسبتهم على أعمالهم، بل تُشير بوضوح أيضًا إلى أنه وحده جدير بالطاعة في كل حال. فكل جانب من جوانب الخلق - من الكون الواسع إلى أدق تفاصيل الحياة - تحت إمرته وتدبيره، مما يُعزز حقيقة أن كل سلطان وحكمة ورزق ينبع منه في نهاية المطاف. إن مراعاة هذه الآيات تشجع على التأمل والتواضع والخضوع التام لمشيئته. سورة المؤمنون، الآية 17

"ولقد خلقنا فوقكم سبع سماوات طباقا "

:وسورة الرعد الآية 2

"الله الذي رفع السماء بغير عمد ترونها"

عند تشييد أي مبنى، حتى لو كان بسيطاً، فإن التخطيط الدقيق والوضع الدقيق للهيكل كالأعمدة ضروريان لضمان متانته وسلامته. فبدون تصميم مدروس، سينهار المبنى أو يصبح غير آمن. فإذا كان هذا هو الحال بالنسبة لشيء محدود ومؤقت كالبناء الذي صنعه الإنسان، فكيف يُمكن للمرء أن يدّعي منطقياً أن السماوات والأرض الشاسعة والمعقدة وُجدت بالصدفة؟ لو كان خلقها صدفة، لظهرت عليها عيوب وعدم استقرار واختلال في التوازن لا محالة. ومع ذلك، فإن ما نراه هو كونٌ في غاية الدقة والتناغم والنظام - دليل واضح على التخطيط المدروس للخالق، الله تعالى. علاوة على ذلك، يُظهر كمال الكون استحالة تعدد الآلهة في مسؤولية خلقه. فلو كان هناك أكثر من إله، لكلٍ منهم إرادة ورغبة مستقلة، لكان الصراع والفوضى أمراً لا مفر منه، لأن كلاً منهم سيسعى لفرض أمره. سورة الأنبياء، الآية 22

"وَلَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا"

يشهد التوازن المتكامل للكون - مدارات الكواكب، ودورات الطبيعة، وقوانين الفيزياء - على وحدة خالقه الله تعالى وحده هو الذي يُحافظ على هذا النظام الكامل، وتتجلى وحدانيته في انسجام خلقه. يُمثل هذا التشبيه بالبناء تذكيرًا بسيطًا وعميقًا: إذا كانت الأعمال البشرية تتطلب تخطيطًا وذكاءً، فكم بالحري الكون، الذي يتجاوز حجمه وتعقيدته كل ما يمكن للإنسان بناؤه. ليس كماله وليد الصدفة، بل هو الدليل القاطع على الخالق الواحد الحكيم.

ليس الله تعالى يملك القدرة الخلاقة على إحياء الموتى ومحاسبتهم على أعمالهم فحسب، بل لديه أيضًا علم تام ونقي بنوايا كل إنسان وأفعاله. هذه المعرفة الشاملة، مقترنة بقدرته وسلطانه المطلقين، تشمل كل ما يلزم لإقامة يوم القيامة بعدل ودقة تامتين. لا يغيب عن علمه تفصيل، مما يضمن محاسبة كل فرد بإنصاف: سورة المؤمنون، الآية 17. وفقًا لسلوكه وحالته الداخلية

"وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ"

عندما يتأمل المرء دورة المياه المتوازنة تمامًا، فإنه يُصبح دليلًا واضحًا على حكمة الخالق سبحانه وتعالى. وتدبيره. يتبخر الماء من البحار، ويرتفع في الغلاف الجوي، ثم يتكثف في السحب، لينزل في النهاية مطرًا. هذا المطر، على الرغم من حمضيته الطبيعية، تُعادلها الجبال ليصبح مناسبًا للحياة البشرية والحيوانية والنباتية. ولو حدث أدنى تغيير في هذا التوازن الدقيق، لنتج عنه دمار لجميع الكائنات الحية على الأرض والمحيطات نفسها شهادة أخرى على التصميم الإلهي. فالملاح فيها يمنع تحلل الكائنات الميتة من تلويث المياه. ولولا هذا التنقية الطبيعية، لما استطاعت الحياة البحرية البقاء، وامتد فساد المحيطات إلى اليابسة، مُدمرًا الحياة تمامًا. علاوة على ذلك، فإن تركيب مياه البحر متوازن بدقة لدرجة أنه يسمح للحياة البحرية بالازدهار فيه وللسفن الثقيلة بالإبحار على سطحه. لو تغيرت خصائص الماء ولو قليلًا، لما أمكن وجود سوى إحدى هاتين الوظيفتين - إما ازدهار الحياة البحرية أو مياه صالحة للملاحة - ولكن ليس كليهما في آن واحد. ومن اللافت للنظر أنه حتى في العصر الحديث، لا يزال النقل البحري هو الوسيلة الأكثر استخدامًا لنقل البضائع عبر العالم، مما يُظهر أهمية هذا التوازن للحضارة الإنسانية. كما أن كمية المطر نفسها مُقاسة بدقة. فقلة المطر تُؤدي إلى الجفاف والمجاعة، بينما تُسبب غزارة المطر فيضانات مُدمرة. يضمن التنظيم الدقيق لهطول الأمطار استمرار الحياة والزراعة وقوتها. ولا يُمكن أن يكون هذا التناغم والدقة وليد الصدفة. فدورة الماء

سورة .والمحيطات وهطول الأمطار كلها تشهد على وجود خالقٍ صمّم الكون بحكمة وتوازن وهدف
المؤمنون، الآية 18

"...ولقد أنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكنناه في الأرض"

مع أن الناس كثيراً ما يُظهرون جحودهم بمعصية الله تعالى، وإساءة استخدام نعمه التي أنعم بها عليهم، فإنه
لا يزال يُرزق ويُرزق جميع خلقه برحمته وكرمه اللامحدودين .سورة المؤمنون، الآيات ١٨-٢٠

وإنا على ذهابه لقادرون .فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون .وشجرة "
تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وطعام للأكليين

لقد صُممت الأرض بطريقةٍ تُحافظ على الحياة وتُوفر أنواعاً لا تُحصى من الرزق للخلقة .ومن أبرز الأمثلة
على ذلك عملية منح الحياة للبذرة الميتة .فمهما بلغ تقدم المعرفة البشرية، فإن شرارة الحياة التي تُحوّل البذرة
الميتة إلى نبتة حية تبقى خارجة عن سيطرة الإنسان .وهذا الواقع يُشير مباشرةً إلى قدرة الخالق وإرادته، الله
:تعالى .سورة الرعد، الآية 4

و في الأرض قطع متجاورات و جنات من أعناب و زرع و نخيل متعدد من أصل و غير أصل يسقى بماء "
...واحد و بفضل بعضهم على بعض في الثمر

تُسلط هذه الآية الضوء على حقيقة عميقة: حتى مع تقارب الأرض، وتشابه التربة، وتشابه مصدر الماء، تختلف الثمار المُنتجة في الطعم والجودة والفائدة. لا يُمكن تفسير هذا الاختلاف بالعوامل الزراعية أو البيئية فحسب، بل هو فعلٌ مقصودٌ من الإرادة الإلهية، يُذكّر الناس بأن القرار النهائي بيد الله تعالى. حتى داخل الشجرة الواحدة، لا تتطابق ثمارها في الجودة أو الحلاوة. تُبيّن هذه الحقيقة الدقيقة، وإن كانت لا تُنكر أن عمليات النمو والرزق ليست عشوائية، ولا تُملّيها بالكامل الجهود البشرية، بل هي مُحكومة بحكمة الخالق وتدبيره، الذي يُوزّع نعمه كما يشاء. تُذكّر هذه التأملات الناس باعتمادهم على الله تعالى، وتُشجّعهم على شكر تنوع الرزق الذي وضعه تحت تصرفهم. كما أنها تُمثّل درساً في التواضع: فبينما قد يزرع البشر ويسقون ويحصدون، فإن السيطرة الحقيقية على الحياة والنمو والجودة تقع فوق أيديهم، في يد من يحفظ الخلق. أجمعين.

تُرجع نظرية التطور تنوع الحياة إلى الطفرات العشوائية، وهي عملية عمياء وغير كاملة بطبيعتها. ومع ذلك، فإن ملاحظة التصميم الدقيق لكل نوع، والملائم تمامًا لبيئته، تكشف أن هذا التعقيد لا يمكن أن ينشأ مصادفة. كل مخلوق يعكس بُعد نظر وهدف خالق عليم. تأمل الجمل: إنه مُهيأ بخبرة للبقاء على قيد الحياة في الصحراء القاسية. أرجله الطويلة تُبقيه مرتفعاً عن الرمال الحارقة، ورموشه الكثيفة تحمي عينيه من الغبار، وسنامه يخزن الدهون، مما يُبقيه على قيد الحياة لفترات طويلة دون طعام أو ماء. من الواضح أن هذا التصميم هو نتاج حكمة إلهية. سورة الغاشية، الآية 17

أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ؟

وبالمثل، تُقدّم الماعز مثلاً آخر على الخلق الكامل. فمن جسدها، بين الإفراز والدم، يخرج حليب نقيٍّ مغذٍّ صحيٍّ ولذيذ. حتى أدنى عيب في هذه العملية يجعل الحليب غير صالح للاستهلاك. سورة النحل، الآية 66

وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها من بين فرث ودم لبنًا خالصًا سائغًا للشاربين.

:وسورة المؤمنون، الآية 21

"...وإن لكم في الأنعام عبرة نسقيكم مما في بطونها"

لقد وهب الله تعالى للناس موارد رزق لا تُحصى، وكثير منها مرتبطٌ مباشرةً بنعمه التي أنعم بها على الخلق ومن هذه النعم الأنعام وغيرها من الحيوانات، التي لا تُعدّ مصدر رزق فحسب، بل مصدر بهجة وجمال لأصحابها، وفي الوقت نفسه تُقوّي الاقتصاد وتضمن استقرار المجتمع. سورة النحل، الآية 6

"ولكم فيها جمال حين تدخلونها وحين تخرجونها"

لا تُسلّط هذه الآية الضوء على المنفعة المادية للحيوانات فحسب، بل تُسلّط الضوء أيضًا على الرضا الجمالي، والعاطفي الذي تُقدّمه للناس. فوجودها يُذكّر بالكرم الإلهي، إذ تُوفّر الطعام واللباس والفرص الاقتصادية كما تُجسّد جمال خلق الله تعالى. إضافةً إلى ذلك، جعل الله تعالى الحيوانات وسيلةً للسفر، مُمكنةً الناس من الوصول إلى بلادٍ بعيدةٍ للتجارة والاستكشاف، بل وحتى الترفيه. ورغم تطوّر وسائل النقل الحديثة، لا تزال هناك مناطق من العالم لا يُمكن الوصول إليها إلا من خلال النقل الحيواني. في مثل هذه الأماكن، لا تزال، سورة النحل. الحيوانات تلعب دورًا حيويًا في ربط الناس بالموارد الطبيعية واستدامة الاقتصادات المحلية: الآية 7

"ويحملون أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربك لرءوف رحيم"

:سورة المؤمنون 23 الآيات 21-22

وإن لكم في الأنعام لعبرة، نسقيكم مما في بطونها، ولكم فيها منافع كثيرة، ومنها تأكلون، وعليها وعلى الفلك تحملون.

هذا التوازن بين الرزق والجمال والنفع يُظهر رحمة الله تعالى الشاملة. فهو لم يكتفِ بتوفير الاحتياجات الأساسية للناس، بل سهّل أيضاً التجارة والسفر والتبادل الثقافي بفضل نعمة الحيوانات. إن التأمل في هذا يُلهم الامتنان والاعتراف بأن كل مصدر للدخل وكل فرصة للرخاء تنبع منه وحده في نهاية المطاف.

علاوة على ذلك، خُصّص لكل نوع عمر ومعدل تكاثر محددين في الخلق، مما يضمن الحفاظ على التوازن الدقيق للحياة على الأرض. هذا التنظيم الإلهي يمنع أي نوع من السيطرة على الآخرين أو إبادتهم، محافظاً على الانسجام الذي يدعم النظام الطبيعي. على سبيل المثال، تعيش الذبابة الشائعة من ثلاثة إلى أربعة أسابيع فقط، ومع ذلك يمكنها وضع ما يصل إلى خمسمائة بيضة؛ لو كان عمرها أطول بنفس معدل التكاثر، لأصبحت أعدادها بسرعة غير قابلة للإدارة، مما يُخل بالنظم البيئية. على العكس من ذلك، تتكاثر الحيوانات المعمرة مثل الفيلة والحيتان، بوتيرة أقل بكثير، ولا تنتج سوى عدد قليل من الأبناء خلال حياتها. هذا التوازن الدقيق يُبقي كل نوع ضمن حدوده الطبيعية، محافظاً على الاستقرار البيئي. لا يمكن أن ينشأ هذا الكمال من الصدفة أو العمليات التطورية العمياء. فالطفرة العشوائية والانتقاء الطبيعي، بطبيعتهما، يفتقران إلى البصيرة اللازمة لإرساء هذا التوازن المعقد واستدامته. بل إن هذا التوازن يعكس التصميم المدروس والحكمة اللامتناهية للخالق - الله تعالى - الذي قدّر لكل شيء مقداراً وتناسباً.

:سورة المؤمنون، الآية 22

"وعليها وعلى الفلك تُحملون "

لقد خلقت مياه المحيطات والبحار بتوازنٍ رائعٍ يُحافظ على الحياة تحت سطحها وعلى النشاط البشري عليها. تركيبها مُناسبٌ تمامًا لازدهار الكائنات البحرية، وفي الوقت نفسه يسمح للسفن الثقيلة بالطفو والإبحار عبرها. لو اختل هذا التوازن ولو قليلاً، لانهار هذا التوازن: فإما أن تزدهر الحياة البحرية وتغرق السفن، أو أن تبحر السفن وتنفى النظم البيئية البحرية. إن تعايشهما معاً بسلاسة دليلٌ واضحٌ على تصميمٍ مُحكمٍ وضبطٍ دقيقٍ من الله تعالى. حتى في العصر الحديث، ومع كل التقدم التكنولوجي، لا يزال النقل البحري الوسيلة الأكثر استخداماً لنقل البضائع عبر العالم. يؤكد هذا الاعتماد على المحيطات أهمية المحيطات، ليس فقط للتوازن البيئي، بل أيضاً للحضارة الإنسانية والاستقرار الاقتصادي. هذا الكمال لا يمكن أن يكون نتيجةً للصدفة أو المصادفة بل هو شهادةٌ على حكمة الخالق الذي قدّر القدر والتناسب في كل شيء. إن المحيطات، بدورها المزدوج في دعم الحياة وتمكين التجارة العالمية، تذكر الناس باعتمادهم على الله تعالى، وضرورة استخدام نعمه بالشكر والمسؤولية.

علاوة على ذلك، فإن من يُعين غيره، ولو بقدرٍ محدود - كتوفير المأوى أو قضاء جزء من حاجته - يُعَدّ بطبيعته مستحقاً للشكر. وإذا كان هذا صحيحاً في حق المحسنين من البشر، فمن الأجدر أن يُظهر الشكر لله تعالى، الذي وهب البشرية كل نعمة في الكون. ويتجلى الشكر في صورٍ متعددة. فالنية تعني أن يكون العمل خالصاً لوجه الله تعالى، أما إذا كان العمل بدوافع أخرى، كطلب المدح أو التقدير، فلا جزاء له. وقد ورد في جامع الترمذي، رقم 3154، حديثٌ يُحذّر من ذلك. ومن علامات صدق النية عدم انتظار التقدير أو الجزاء من الآخرين. فالشكر باللسان هو قول الخير أو السكوت عند عدم نفع الكلام. أما الشكر بالعمل فهو استخدام النعم فيما يرضي الله تعالى، كما ورد في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. وهذا الشكر يؤدي إلى زيادة النعم، كما وعد الله تعالى في سورة إبراهيم الآية 7:

لئن شكرتم لأزيدنكم

ويجلب هذا الامتتان أيضاً راحة البال في كلا العالمين، مما يمكن الشخص من تحقيق الانسجام في حالته العقلية والجسدية ووضع كل شيء وكل شخص في حياته بشكل صحيح.

وكما أن من الطبيعي أن يُملئ مالك الشيء كيفية استخدامه، فإن الله تعالى - الذي خلق كل شيء وملكه ورزقه له وحده الحق في تحديد ما يجب وما لا يجب أن يحدث في الكون. لذا، فمن الإنصاف والمنطق أن يُطيعه - الناس، فهو وحده المالك الحقيقي لكل شيء، بما في ذلك ذواتهم.

كذلك، عندما يُقرض شخص ما شيئاً لآخر، فمن الإنصاف أن يستخدمه المُقرض وفقاً لرغبة صاحبه. وكذلك، فإن كل نعمة من الله تعالى في الدنيا هي قرض، وليست هبةً دائمة. وكما هو الحال في القروض الدنيوية، يجب سداد هذه النعم - ليس بردها عيناً، بل باستخدامها فيما يُرضي الله تعالى. أما بركات الجنة فهي عطايا: سورة الأعراف، الآية 43. ولذلك يُمكن التمتع بها بحرية دون قيود.

"وقيل لهم: تلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون ..."

لذلك، لا ينبغي للإنسان أن يخلط بين النعم الدنيوية الزائلة، التي هي مجرد مسؤولية مفوضة وقرض، وبين مكافآت الجنة الدائمة. إن فهم هذا الفرق الجوهرى يُنمّي التواضع والطاعة والشكر، ويدفعه إلى استخدام الهبات الدنيوية بمسؤولية، وفي الوقت نفسه يُغذّي التطلع إلى نعيم الآخرة الأبدي الذي لا حدود له.

بعد أن أبرز القرآن الكريم آياتٍ في الخلق تدل على وحدانية الله تعالى، وتأكيدِه على أنه وحده المستحق للطاعة في كل ظرف، لجأ إلى أحداث تاريخية. هذه الروايات ليست مجرد قصص من الماضي، بل هي دروسٌ حيةٌ للناس أجمعين. من خلالها، يُظهر الله تعالى التباين الصارخ بين عاقبة من أطاعه بإخلاص، ومن فالأُمم التي استجابت لدعوة أنبيائها الكرام عليهم السلام بإيمانٍ وخضوعٍ نالت. أعرض عنه بغياً ومعصية السلامة والبركة والشرف في الدنيا، إلى جانب الفوز الأبدي في الآخرة. أما من رفض الحق، واستهزأ بأنبيائه الكرام عليهم السلام، وأصرَّ على معصيته، فقد لاقى الذل والهلاك والعقاب. هذه الروايات تُذكرنا بأن العدل الإلهي لا يقتصر على الآخرة فحسب، بل يتجلى أيضاً في صعود الأُمم وسقوطها عبر التاريخ. يتأمل هذه الأحداث، يُشجّع الناس على إدراك أن أحكام الله تعالى ثابتة. وكما جلبت الطاعة الرخاء، وجلبت المعصية الخراب للأُمم السابقة، فإن المبادئ نفسها تنطبق اليوم. لذا، تُقوِّي هذه الدروس التاريخية الإيمان، وتغرس التواضع، وتُلهم الأفراد لمواءمة حياتهم مع الهداية الإلهية، وضمان عدم تكرار أخطاء من سبقهم. سورة: المؤمنون، الآية ٢٣

"ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون "

يُعلِّم الإسلام أن من يستحق الطاعة المطلقة غير المشروطة في كل حال هو الخالق والرزاق، الله تعالى. في الواقع، كل ما يطيعه الإنسان باستمرار ويقتدي به في حياته يصبح موضع عبادته، حتى لو أنكر وجود أي إله ظاهرياً. خُلِق الإنسان بفطرة تميل إلى اتباع شيء ما والخضوع له، سواء كان ذلك الآخرين، أو وسائل التواصل الاجتماعي، أو الموضة، أو الثقافة، أو الثروة، أو حتى رغباته الخاصة. سورة الفرقان، الآية 43

"...أرأيت من اتخذ إلهه هواه"

توضح هذه الآية أن العبادة لا تقتصر على الأقوال أو الطقوس، بل تتجلى في الطاعة والانقياد. إن طاعة الشهوات، أو الانقياد الأعمى لمؤثرات الدنيا، هي في الواقع عبادة لها. لذلك، يجب على من يؤمن أن يُقرن أقواله بالعمل الصادق. الإيمان الحقيقي يقتضي طاعة الله تعالى فوق كل اعتبار، في كل ظرف. وهذا يعني

استخدام النعم التي أنعم بها - كالمال والصحة والعلم والنفوذ - بما يرضيه، كما هو مبين في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. عندما يعيش الإنسان على هذا النحو، فإنه يحقق التوازن في حالته النفسية والجسدية، ويضع كل شيء وكل شخص في مكانه الصحيح. هذه الطاعة تُهيئ جيدًا للحساب يوم: سورة النحل، الآية 97. القيامة، وتمنحه راحة البال في الدنيا، وتوفيقًا أبدًا في الآخرة

"من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون"

على النقيض من ذلك، فإن من ينكر توحيد الله تعالى، ويعبد غيره - سواءً أكانت رغبات أم نزعات أم مؤثرات دنيوية - سيُسيء استخدام النعم التي وُهِبَتْ له لا محالة. يؤدي هذا الإساءة إلى اختلال التوازن والارتباك وسوء ترتيب الأولويات. فمثل هذا الشخص لا يُعَدّ نفسه للمحاسبة أمام الله تعالى، فيُعاني من التوتر والضيق سورة طه، الآيات ١٢٤ - والصعوبة في الدنيا والآخرة، حتى وإن كان يتمتع ظاهريًا ببعض الرفاهية الدنيوية ١٢٦:

ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد "كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى

باختصار، الطاعة أصدق مقياس للعبادة. من وجّه طاعته لله تعالى نال الاتزان والسكينة والأجر الأبدي. ومن وجّهها إلى غيره ولو بغير علم، فقد خسر. سورة المؤمنون، الآية ٢٣

"ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون "

من الضروري إدراك أن عبادة الله تعالى تتجاوز مجرد أداء العبادات كالصلوات المفروضة. فالعبادة الحقيقية تشمل طاعته في كل حال وفي كل نعمة أنعم بها، على النحو الذي نص عليه القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. فالطاعة ليست مجرد إيمان راسخ في القلب، بل يجب أن تتجلى في أعمال ملموسة خالصة لوجه الله تعالى. فمن عمل صالحاً بدافع أناني أو دنيوي فلن يجد جزاءً عند الله تعالى، كما ورد في حديث في جامع الترمذي برقم 3154.

طاعة الله تعالى تقتضي الوفاء بالقرآن الكريم، وذلك بثلاثة أوجه رئيسية: أولاً: تلاوته تلاوة صحيحة ومتواتية؛ ثانياً: فهم معانيه من مصادر موثوقة؛ ثالثاً: تطبيق تعاليمه بنية صادقة. يُعلي المؤمن المخلص هدي القرآن الكريم على الأهواء الشخصية التي تُخالفه، مُشكلاً شخصيته وفقاً لمعايير الإلهية. وهذا يُجسّد مثال النبي محمد صلى الله عليه وسلم، الذي وُصفت شخصيته بأنها تجسيد للقرآن الكريم، كما ورد في حديث في سنن أبي داود، رقم 1342. إن إكرام القرآن الكريم حقاً يعني التعامل معه بجدية، والسعي لفهم أوامره ونواهيه واستيعابها والعمل بها دون أن تُملي عليه أهواؤه طاعةً انتقائية. من اختار اتباع أجزاء منه فقط وتجاهل ما، سورة الإسراء. سواها، فهو يُظهر نفاقاً، ويحرم نفسه بذلك من الحكمة والرحمة الكاملتين اللتين يُتيحهما الآية 82:

وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً

علاوة على ذلك، مع أن القرآن الكريم يُقدّم بالفعل الهداية والنجاة من تحديات الدنيا، إلا أن غايته الأساسية أعظم بكثير، وهي قيادة البشرية بسلام إلى الخلاص الأبدي. لذا، لا ينبغي اختزاله في مجرد علاج لمصاعب الدنيا، واستخدامه فقط عند مواجهة الشدائد ثم إهماله بعد ذلك. هذا السلوك يعكس فهماً سطحياً للإيمان. إنه أشبه بشراء سيارة فاخرة بدون محرك، تبدو كاملة في ظاهرها، لكنها عاجزة عن تحقيق غايتها الحقيقية.

في الواقع، كل من ينبذ شريعة الله تعالى، ويتبنى بدلاً منها أنظمة وضعها البشر، إنما يفعل ذلك إشباعاً لغرائزه الدنيوية. ذلك أن جميع الشرائع التي وضعها البشر متجذرة في جوهرها في ميولهم وطموحاتهم ومصالحهم الذاتية. بخلاف الشريعة الإلهية، القائمة على الحكمة والعدل والرحمة، فإن الأنظمة التي وضعها البشر تتشكل وفقاً لرغبات واضعيتها. وغالباً ما يكون الأغنياء والأقوياء الأكثر رسوخاً في هذه العقلية. فهم يدركون أن قبول حقيقة الإسلام يتطلب منهم الخضوع لإطار أخلاقي أسمى، إطار يضع حدوداً لسعيهم وراء رغباتهم الجامحة. وهذا الخضوع من شأنه أن يحد من استغلالهم للآخرين، وإفراطهم في الانغماس، وإساءة استخدامهم للسلطة. وخوفاً من فقدان نفوذهم وامتيازاتهم، فإنهم لا يرفضون الحقيقة فحسب، بل يشجعون الآخرين بنشاط على اتباع نهجهم. وبذلك، يسعون إلى الحفاظ على مكانتهم الدنيوية، حتى على حساب سلامتهم الأبدية. وهذا النمط ليس بجديد. تاريخياً، كان أول من عارض الأنبياء عليهم السلام غالباً صفوة المجتمع، الذين خشوا أن يُضعف اعتناقهم للهداية الإلهية سلطتهم ويكشف ظلمهم. لم يكن رفضهم قائماً على نقص الأدلة أو وضوح حقيقة الرسالة، إذ كانت آيات الله تعالى ظاهرة أمامهم، بل كان نابعاً من الكبر والكبرياء والرغبة في الاستمرار في العيش وفقاً لأهوائهم. لذا، نادراً ما يكون رفض الهداية الإلهية خلافاً فكرياً حول الحق والباطل، بل هو في الغالب مسألة قلبية، رفضاً لكبح جماح النفس والخضوع لسلطان الخالق. سورة المؤمنون، الآية ٢٤

"...فقال الملأ من الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يغلب عليكم "

، عندما يختار المرء سلوك طريق مختلف عن أقرانه، وخاصةً طريقاً قائماً على الإيمان وطاعة الله تعالى فإنه غالباً ما يُقلق من حوله. ذلك أن هذا الخيار قد يكشف عن قصور قرارات الآخرين، لا سيما عندما تكون هذه القرارات مدفوعةً بأهواء شخصية لا بإرشاد إلهي. ونتيجةً لذلك، كثيراً ما يُوجّه النقد إلى من يتمسكون بإيمانهم، حتى من أفراد أسرهم أحياناً.

،بالإضافة إلى هذا الضغط الشخصي، تُمارس تأثيرات مجتمعية أوسع نطاقاً - مثل وسائل التواصل الاجتماعي واتجاهات الموضة، والأعراف الثقافية - ضغطاً هائلاً على من يُدافعون عن القيم الإسلامية. غالباً ما يُنظر إلى الترويج للإسلام على أنه عائق أمام طموحات الثروة والمكانة الاجتماعية والحرية المطلقة. وتقاوم الصناعات التي ينتقدها الإسلام، وخاصة تلك القائمة على الإفراط والاستغلال، بطبيعتها دمج المبادئ الإسلامية. وتُغذي هذه المقاومة المشاعر المعادية للإسلام السائدة في الخطاب العام والمنصات الإلكترونية.

غالبًا ما يُقابل من يسعون للعيش وفقًا للتعاليم الإسلامية، التي تُشدد على الاعتدال وضبط النفس والتمتع، المسؤول بالنعم، بالعداء من الأفراد الذين يُفرطون في ذلك. هؤلاء الأفراد، الذين يتصرفون دون ضبط للنفس، يسارعون إلى رفض دعوة الإسلام إلى الانضباط باعتبارها تقييدية، مع أنها في الواقع ضمانة لكرامة الإنسان يحاولون ثني الآخرين عن قبول الإسلام أو تثبيط المؤمنين عن ممارسته، مما يجذبهم بدلاً من ذلك إلى نمط حياة من الرغبات الجامحة. ومن الأساليب الشائعة استهداف جوانب محددة من الإسلام، مثل قواعد اللباس للمرأة، في محاولة لتقويض جاذبيته. ومع ذلك، يمكن للمراقبين الفطنين بسهولة أن يروا من خلال سطحية هذه الانتقادات. على سبيل المثال، بينما يعترض النقاد على الحياء الإسلامي، فإنهم لا يطبقون نفس التدقيق، على المهن الأخرى التي تتطلب أيضًا قواعد لباس صارمة - مثل إنفاذ القانون، والجيش، والرعاية الصحية والتعليم، والأعمال التجارية. يكشف هذا النقد الانتقائي عن ضعف حججهم، ويكشف أن معارضتهم لا تتعلق في الحقيقة باللباس، بل بإصرار الإسلام على ضبط النفس والحدود الأخلاقية. في نهاية المطاف، إن مبادئ الإسلام ذاتها - دعوته إلى الاعتدال، وتشديده على المساءلة، وسلوك أتباعه المنضبط - هي التي تثير هذه المعارضة. يلجأ من لا يطمئنون إلى هذه القيم إلى النقد بكل الطرق الممكنة، لكن حججهم تبقى سطحية.

كما ذكر سابقًا، دأب قادة المناقشين على مر التاريخ على استخدام أساليب متنوعة لمنع الآخرين من اعتناق الإسلام - دين جميع الأنبياء عليهم السلام. لم يكن رفضهم نابغًا من نقص الأدلة، فعلايات الحق جلية، بل خوفًا من فقدان نفوذهم الاجتماعي وسلطتهم وقيادتهم. ومن أساليبهم المتكررة التشكيك في نوايا الأنبياء عليهم سورة المؤمنون، الآية 24. السلام باتهامهم بالسعي وراء مكاسب دنيوية، كالمال والسلطة والجاه.

"...فقال الملأ من الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يغلب عليكم "

إلا أن هذه الاتهامات كانت باطلة وسخيفة. لم يسع الأنبياء عليهم السلام قط إلى منفعة مادية، ولم يطلبوا من قومهم ثروة أو سلطة أو جزاءً دنيويًا. كانت مهمتهم الوحيدة هي هداية البشرية إلى راحة البال في الدنيا، والفوز الأبدي في الآخرة. لقد تحملوا المشقة والاضطهاد والرفض، ومع ذلك ظلوا ثابتين على دعوتهم مدفوعين فقط بإخلاصهم ورحمتهم بالبشرية. يكشف هذا النمط التاريخي عن حقيقتين مهمتين: أولاً، أن

معارضة الهداية الإلهية غالبًا ما تنبع من الغطرسة والخوف من فقدان الامتياز الدنيوي؛ وثانيًا، أن نقاء رسالة الأنبياء عليهم السلام يتجلى في رفضهم السعي إلى أي مكسب شخصي. تقف حياتهم شاهدًا على أن رسالتهم كانت من عند الله تعالى، وليست اختلاقًا لمنفعة دنيوية.

ولما ثبت عدم جدوى هذا التكتيك - إذ أدرك الشرفاء والمنصفون من كل جيل صدق نبيهم الكريم صلى الله عليه وسلم ونزاهته وإخلاصه - لجأ قادة الكفار المتغطرسون إلى استراتيجية أخرى لثني الناس عن قبول ،سورة المؤمنون، الآية ٢٤) .رسالة الحق .فبدأوا يشككون في طبيعة نبيهم الكريم صلى الله عليه وسلم (سورة ٢٣).

"...ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفوق عليكم ولو شاء الله لأنزل ملائكة..."

لكن هذه الحجة واهية للغاية .فدور النبي الكريم، عليه السلام، مُصمَّمٌ خصيصًا للبشرية .لذا، من غير المنطقي أن يُرسل الله تعالى ملائكةً رسلاً لهداية البشر .فالغرض الأساسي من النبي الكريم، عليه السلام، هو أن يكون قدوةً عمليةً للآخرين، وأن يُظهر من خلال التجربة البشرية كيفية العيش وفقًا للهداية الإلهية .فالملائكة، على عكس البشر، لا يعانون الجوع أو التعب أو الانفعالات أو الصراعات اليومية التي تُميز الحياة البشرية .فلو كان النبي، عليه السلام، ملائكةً، لادّعى الناس استحالة اتباعه، مُتخذين ذلك ذريعةً أمام الله تعالى يوم القيامة وهكذا، حتى لو أرسل الله تعالى ملاكا نبيًا، لكان عليه أن يُحوّله إلى صورة بشرية حتى يتمكن الناس من التواصل معه واتباع هدايته بشكل واقعي .لذا، من غير المعقول أن يستغرب غير المؤمنين اختيار إنسانٍ لإيصال رسالة الحق .أليس من الطبيعي أن يُرسل رسول بشري لهداية البشر؟ فإذا كان الناس تائهين في الضلال بعيدين عن الحق، فما هو العجيب حقًا؟ أن يرسل لهم خالقهم وربهم من يهديهم، أو يتركهم يتمسكون بالضلال؟ بل إن رد فعل من ينكر هذه الحقيقة هو العجيب حقًا.

:سورة المؤمنون، الآية 24

"...ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفوق عليكم ولو شاء الله لآنزل ملائكة..."

قد تُشير هذه الآية أيضًا إلى أن الأفراد ربما طلبوا إثبات العوالم الغيبية، كالملائكة، كشرطٍ لتصديق نبيهم وهذا موقفٌ حمق، فالإيمان له قيمته الحقيقية عندما يكون مبنياً على الإيمان. الكريم صلى الله عليه وسلم ومع ذلك، فالإيمان ببعض الحقائق الغيبية دون اشتراط المشاهدة المباشرة بالحواس الخمس، كرؤية الله تعالى، بالغيب ليس بلا دليل. فآيات الله تعالى كثيرة في السموات والأرض. وكما أن وجود لوحة يدل على رسام فإن وجود خلقٍ مُحكمٍ مُحكم يدل بلا شك على خالق. علاوةً على ذلك، في أمور الدنيا، يُسلم الناس ويعتمدون على أشياء لا تُحصى لا يدركونها مباشرةً. على سبيل المثال، يتناول كثيرون الأدوية دون فهم أو إدراك لكيفية عملها في الجسم، ومع ذلك يثقون بآثارها. فإذا وُضعت هذه الثقة في أمور الدنيا، فكم بالحري أن تُوضع في الخالق، الذي تتجلى آياته في كل مكان. إن شريعة الإسلام الإلهية مبنية على الأدلة والعقل والمنطق السليم. ومع ذلك، فمن باب التصميم، ترتبط بعض جوانبها بالغيب، فهذا ما يُكسب الإيمان قيمته الحقيقية. فلو كُشف الغيب تمامًا - أي لو ظهرت الملائكة، أو انكشفت حقائق الآخرة - لما كان الإيمان اختياراً، بل إكراهاً في هذه الحالة، يفقد الإيمان قيمته، إذ لا اختبار للإخلاص، ولا امتحان للدين، ولا فرصة للطاعة في وجه الفتن.

هنا يكمن اختبار الحياة تحديداً: هل يقبل المرء الحقيقة رغم عدم إدراكها مباشرةً، وهل يُطيع الله تعالى بإخلاص بعد قبولها، مع امتلاكه القوة والحرية على المعصية؟ ولذلك، لطالما ستر الله تعالى الحقيقة المطلقة لم يكشفها قط لدرجة تُجبر الناس على الإيمان. ولو فعل ذلك، لفقدت غاية الوجود البشري - امتحان الإيمان، والطاعة - معناها. لذا، لا ينبغي للناس انتظار الله تعالى أو ملائكته ليظهروا أمامهم دليلاً. لو حدث ذلك لكانت نهاية الاختبار، ونهاية الاختيار، وبداية الحساب. لا معنى للإيمان والطاعة إلا ما دام الرفض ممكناً. وحين تنكشف الحقيقة تمامًا، يكون وقت الاختبار قد انتهى، ويبدأ يوم القيامة.

من الأساليب المتكررة التي اتبعتها قادة الرافضين عبر التاريخ الضغط على الناس للتوافق مع رأي الأغلبية وأسلوب الحياة السائد في مجتمعهم. كانوا يزعمون أن اتباع دين أجدادهم، أو اتباع عادات الأغلبية، أسلم وأكثر احتراماً من اعتناق الحقيقة التي جاء بها الأنبياء عليهم السلام. في الواقع، لم يكن هذا الاحتكام إلى

رأي الأغلبية سوى أداة تلاعب، صُممت للحفاظ على سلطة النخبة التي كان هدفها الوحيد هو السعي وراء
:سورة المؤمنون، الآية 24. رغباتها وطموحاتها الدنيوية دون رادع

"ولم نسمع بهذا في آبائنا "

يجب الحذر من الوقوع في فخ التقليد الأعمى، فسلوك الأغلبية في المجتمع غالبًا ما يؤدي إلى معصية الله تعالى .فعندما يرى الناس الأغلبية تُهمل التعاليم الإسلامية، قد يظنون أن الأغلبية على صواب، فيتبعونها دون تفكير .لكن الحقيقة هي أن رأي الأغلبية لا يتوافق دائمًا مع الواقع .والتاريخ نفسه يُقدم أمثلة لا تُحصى من الضروري تجنب .على معتقدات شائعة ثبتَ بطلانها لاحقًا، مثل الفكرة السائدة سابقًا بأن الأرض مسطحة سورة .اتباع الأغلبية كالأنعام، لأن هذا التقليد غالبًا ما يؤدي إلى الخطأ والضلال في أمور الدنيا والدين .الأنعام، الآية ١١٦.

وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يظنون

بل يُؤمر الأفراد باستخدام العقل والتعقل اللذين أنعم الله تعالى عليهما .وينبغي تقييم كل ظرف بعناية، بناءً على المعرفة والدليل وهدى الوحي .وحتى لو أدى ذلك إلى قرارات تخالف الآراء السائدة لدى الأغلبية، فإن هذا الاستقلال الفكري جدير بالثناء عندما يكون متجذرًا في الحقيقة .ولهذا السبب، ينتقد الإسلام بشدة التقليد الأعمى :سورة يوسف، الآية 108 .في الأمور الدينية .يجب أن يقوم الإيمان على الفهم، لا على التقليد الجاهل

"...قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني"

هنا، يُؤمر النبي محمد صلى الله عليه وسلم بأن يُعلن أن دعوته إلى الله تعالى مبنية على بصيرة ومعرفة وتدبر وفهم. هذا هو النموذج لجميع الناس: أن يتعلموا الإسلام ويتدبروه ويعملوا به بوعي ويقين، لا باتباع العوام.

على مر التاريخ، لم يقتصر قادة المنافقين على التشكيك في رسالة الأنبياء عليهم السلام، بل ذهبوا إلى حد مهاجمة شخصياتهم. ومن أكثر الاتهامات شيوعاً التي وُجّهت إليهم الجنون أو المس. هذا على الرغم من سورة. أن الأنبياء عليهم السلام كانوا معروفين لدى قومهم بأنهم أذكى وأمانة وأصلح الناس في مجتمعاتهم. المؤمنون، الآية 25

"...إنه ليس إلا رجلاً مصاباً بالجنون "

لم تتبع هذه الاتهامات من شكٍّ حقيقي، بل من يأسٍ مُلحّ. أدرك القادة أن رسالة الأنبياء عليهم السلام تُهدد سلطتهم واثرواتهم ونفوذهم على المجتمع. وعجزوا عن دحض حقيقة الرسالة نفسها - لما كانت مُدعّمة بالدلائل الواضحة والحكمة والثبات - فلجأوا إلى القذف، أملاً في النيل من مصداقية النبي عليه السلام. ومما يُثير السخرية في هذه الاتهامات أن الأفراد أنفسهم الذين عُرفوا بالثقة، والذين كانوا يُعتمد عليهم لحكمتهم وإنصافهم، والذين أظهروا صفاءً فكرياً لا مثيل له، وُصِموا فجأةً بالجنون في اللحظة التي أعلنوا فيها توحيد الله تعالى، ودعوا إلى العدل والمحاسبة. وهذا التناقض بحد ذاته يكشف زيف هذه التهمة

في الواقع، كان من أساليب قادة الرافضين تشجيع أتباعهم على التمسك بمنهجهم الموروث، حتى في وجه الأدلة الواضحة على الهداية الإلهية. كانوا يحثون شعوبهم على "الصبر" على التمسك بالباطل، مُصوِّرين هذا العناد على أنه ولاء للتقاليد أو قوة شخصية. في الواقع، لم يكن هذا الصبر المزعوم سوى عناد على الباطل، مدفوعاً برغبة القادة في الحفاظ على نفوذهم ومنع انتشار الحق. سورة المؤمنون، الآية 25

"فانتظروا بشأنه بعض الوقت ..."

كانت هذه النصيحة بالغة الخطورة، لأن من تمسك بالضلال خاطر بختم مصيره بالكفر. إن الإصرار على رفض الحقيقة، رغم وضوحها، وضعهم في خطر شديد من العقاب الإلهي. والأسوأ من ذلك، أن الكثيرين سيموتون في حالة الإنكار تلك، وهي الخسارة النهائية - التضحية بالنجاح الأبدي من أجل التعلقات الدنيوية وقد حذر القرآن الكريم مرارًا وتكرارًا من هذا الشعور الزائف بالأمن. فالصبر الحقيقي ليس في الزائلة مقاومة الهداية الإلهية بعناد، بل في تحمل المشقة في طاعة الله تعالى، والثبات على الحق حتى لو كان غير محبوب أو صعبًا. أما الصبر الذي روج له القادة الكافرون فكان عكس ذلك تمامًا: دعوة إلى مقاومة الحق ويعمل هذا النمط التاريخي بمثابة تذكير بأن على الناس أن يكونوا حذرين من. والبقاء مرتاحين في الخطأ. الأصوات التي تشجعهم على تأخير أو مقاومة الهداية الإلهية تحت ستار الولاء أو التقاليد أو الكبرياء الثقافي النجاح الحقيقي يكمن في إدراك الحقيقة حين تتجلى، واعتناقها بصدق، والصبر على العيش بها، لا في التمسك بالباطل حتى يأتيه العقاب أو الموت. سورة المؤمنون، الآيتان ٢٦-٢٧

نوح [رب انصروني بما كذبوني. فأوحينا إليه أن اصنع الفلك ببصرنا ووحينا، فإذا جاء أمرنا وفاض التنور] فأدخل في الفلك من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق إليه أمره. ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون.

من المهم أن نلاحظ أن من نجوا من آل النبي نوح عليه السلام هم من أطاعوا الله تعالى مثله. حتى زوجته: سورة التحريم، الآية ١٠. التي لم تحدّ حذوه بتجاهلها الهداية الإلهية، لاقت نفس مصير قومها الكافرين

ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم " .يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلين

هذا المثال يُذكرنا تذكيراً عميقاً بأن الخلاص لا يُحدّد بالنسب العائلي أو المكانة الاجتماعية أو الصلات الشخصية .الله تعالى هو الحاكم الأعلى والعاقل تماماً، الذي يُقيّم كل فرد بناءً على إيمانه ونواياه وأقواله وأفعاله، لا على نسبه أو صلاته .إن افتراض أن الميراث النبيل أو القرب من البرّ يمكن أن يحمي المرء من سورة الجاثية، الآية 21 .المساءلة هو افتراضٌ للتحيز والظلم من جانب الله تعالى، وهي فكرةٌ باطلةٌ تماماً

أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون

لذا، يجب على المرء أن يتخلى عن الوهم الخطير بأنه يمكنه تحدي الله تعالى، مع الاعتماد على مكانة الآخرين أو شفاعتهم لإنقاذهم من العقاب يوم القيامة .هذا المفهوم الخاطئ نفسه ضلل العديد من الأمم السابقة وللأسف، لا يزال بعض الناس اليوم يحملون أملاً كاذباً مماثلاً - معتقدين أن النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم سيشفع نيابة عنهم بغض النظر عن أفعالهم .في حين أن شفاعته النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم مؤكدة بالفعل في الروايات الصحيحة، مثل الحديث الموجود في سنن ابن ماجه، رقم 4308، فمن الصحيح أيضاً أن بعض الأفراد سيدخلون الجحيم لا محالة بسبب عصيانهم المستمر .إن مجرد التفكير في قضاء لحظة واحدة في الجحيم أمر مرعب، ولا يترك مجالاً للرضا أو التفكير في التمني

علاوة على ذلك، فإنّ هذا التغافل والاستحقاق يُسيء إلى شفاعته النبي محمد صلى الله عليه وسلم .ومن يُصرّ على هذا النهج قد يُحرم من شفاعته تماماً، بل والأسوأ من ذلك، قد يجده شاهداً عليهم يوم القيامة) .سورة (الفرقان، الآية 30

"وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا "

.هذه الآية تُشير تحديدًا إلى الأمة الإسلامية، فهم وحدهم من آمن بالقرآن الكريم وآمن به باعتباره وحيا إلهيا أما غير المسلمين، فلم يُعتنقوا هدايته قط، فلا يُوصفون بالتخلي عنه .لذا، فإن التحذير الوارد في هذه الآية ينطبق على من يعتنق الإسلام ويتجاهل تعاليمه .إن مصير أي مسلم يشهد عليه النبي محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة بديهي وبالغ الخطورة

لذا، لا بدّ من استبدال التمني بالإيمان الصادق والعمل الصالح .يجب على المرء أن يغرس في نفسه أملا صادقا برحمة الله تعالى، وذلك باتّباع أوامره واغتنام كل نعمة أنعم بها عليه، وفقاً لهدى القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم .هذا هو الطريق الوحيد الذي يؤدي إلى النجاة، وراحة البال الحقيقية، والتوفيق من خلال تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في حياته،الأبدي على الوجه الصحيح .

علاوة على ذلك، مع أن الله تعالى يمنح كل إنسان مهلة لإصلاح سلوكه والعودة إلى الصلاح، إلا أن هذه :سورة المؤمنون، الآية ٢٧ .المهلة مؤقتة دائماً، ولا ينبغي أبداً اعتبارها موافقة أو إهمالاً

"ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون ..."

توضح هذه الآية أن الله تعالى قد يؤخر عقاب الظالمين، لكن عدالته لا تغيب، بل هي مؤجلة إلى أجلٍ يُحدده هو وحده .هذا التأخير رحمة، تُتيح للناس فرصة للتوبة وتقويم سلوكهم .لكن عندما يُصرّون على معصيتهم

ويُسيئون استخدام النعم التي مُنحوا إياها، تصبح العواقب حتمية. لذلك، لا ينبغي للإنسان أن يظنّ أنه سينجو تمامًا لمجرد أنه لم يُواجه العقاب بعد - أو لم يُدركه. إن غياب العقاب الفوري لا يدل على رضا الله، بل غالبًا ما يُشير إلى اختبارٍ للتواضع والوعي. في الواقع، من يُصرّ على إساءة استخدام النعم التي مُنحوا إياها يُعاني من عقابٍ أخفّ وأعمق في هذه الدنيا. يتدهور سلامه الداخلي، مما يؤدي إلى حالةٍ نفسيةٍ وجسديةٍ غير متوازنة. يفقد وضوح غايته، ويُسيئ ترتيب أولوياته، ويُخفق في تحديد المكان الصحيح لكل شيء وكل شخص في حياته. نتيجةً لذلك، تتحول الأشياء التي كان من المفترض أن تكون مصدرًا للراحة والاستقرار كالعائلة والأصدقاء والعمل والثروة - إلى مصادر للتوتر والقلق. يدفعهم إدراكهم المضطرب إلى إلقاء اللوم على عوامل خارجية أو أشخاص أبرياء، كزوجاتهم أو أحبائهم، في تعاستهم. وعندما ينقطعون عن هذه العلاقات، يزدادون عزلةً، ويغرقون في ارتباكٍ وضيقٍ نفسيٍّ وعدم استقرارٍ عاطفيٍّ. ومع مرور الوقت، قد تتجلى هذه الدوامة المتدهورة في الاكتئاب وإدمان المخدرات، بل وحتى الميل الانتحاري. تتجلى هذه النتيجة عند ملاحظة أولئك الذين يُسيئون استخدام نعمهم باستمرار، وخاصةً بين الأثرياء وأصحاب النفوذ. فرغم تمتعهم برفاهية دنيوية ظاهرة، يعيش الكثير منهم في اضطرابٍ داخليٍّ وفراغٍ روحيٍّ - وهي علامة واضحة على أن النجاح المادي لا يُغني عن الطاعة الإلهية أو الرضا الروحي. في نهاية المطاف، لا يعاني هؤلاء الناس في الدنيا فحسب، بل يفشلون أيضًا في الاستعداد لمحاسبتهم في الآخرة. سيؤدي إهمالهم إلى عقابٍ أشدّ بكثير في الآخرة، عقابٌ يُضاهي كل ضيقٍ دنيوي. لذلك يجب على كل إنسان أن يتذكر أن مهلة الله تعالى ليست علامة على إهماله، بل هي فرصة للتوبة والإصلاح وإعادة تنظيم حياته وفق أوامره قبل أن تغلق تلك النافذة إلى الأبد.

من أدرك هذه الحقيقة حقًا، واستغلّ فرج الله الممنوح له في هذه الدنيا بحكمة، سيبقى ثابتًا على طاعة الله تعالى. سيستخدمون النعم التي أنعم الله عليهم بها على النحو الذي نصّت عليه التعاليم الإسلامية، مُدركين أن كل هبة أمانة، وكل فرصة مسؤولية. وبذلك، سيحققون التوازن في حالتهم النفسية والجسدية، ويضعون كل شيء وكل شخص في مكانه الصحيح. هذا التناغم في الأولويات يضمن لهم العيش بوضوح وهدف، مع الاستعداد الكافي للحساب النهائي يوم القيامة. هذه الحياة، المتجذرة في الطاعة والشكر، تؤدي بطبيعة الحال إلى راحة البال في الدنيا وسكينة أبدية في الآخرة. علاوة على ذلك، فإن من يعيشون بهذه الطريقة لا يُتركون وحدهم في مواجهة تحديات الحياة، بل يُمنحون عون الله تعالى ودعّمه في كل ظرف. بعونه، يستطيعون تجاوز الصعاب، وتحمل المحن بصبر، والنجاح في أمور الدنيا والدين. يصبح توكلهم عليه مصدر قوتهم، وثقتهم به تضمن لهم عدم غلبة أي مشقة. في جوهر الأمر، من يستغل راحته في طاعة الله تعالى، يضمن لنفسه حياةً، سورة المؤمنون. يسودها التوازن والسلام والتوفيق الإلهي، وهي صفاتٌ تؤدي إلى النجاح في الدنيا والآخرة،
الآيتان ٢٨-٢٩:

وإذا استويت أنت ومن معك في الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين وقل رب أنزلني نزلاً"
"مباركاً وأنت خير المنزلين

:سورة الطلاق 65 الآية 2

"ومن يتق الله يجعل له مخرجاً"

من المهم إدراك أن العون الإلهي لا يتوافق بالضرورة مع رغبات الإنسان أو توقعاته الشخصية، بل يتجلى وفقاً لعلم الله تعالى اللامحدود وحكمته التامة . عون الله تعالى لا يأتي عشوائياً ولا يُمنع دون سبب، بل يُقدم دائماً في الوقت المناسب وبالطريقة التي تجلب أعظم المنافع . ومع أن حكمته قد لا تتجلى دائماً فوراً، إلا أنها تعمل بدقة متناهية، موجّهة الأحداث نحو نتائج تخدم مصالح الإنسان على أكمل وجه . هذا الفهم يُذكرنا بألا نقيس العون الإلهي من خلال منظور الرغبات اللحظية أو الإدراك المحدود . فما قد يبدو تأخيراً أو مشقة أو حرماناً غالباً ما يكون في الواقع شكلاً خفياً من الرحمة والتوجيه . بالتوكل على تدبير الله تعالى الكامل، يكتسب الإنسان الصبر والتواضع والتوكل الصادق عليه - وهي صفات تضمن استمرار عونه في الدنيا والآخرة

:سورة المؤمنون، الآية 29

"وقل رب أنزلني منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين "

من أهمّ منهج التعامل الصحيح مع أيّ موقف التأمل فيه واستخلاص العبر التي تُحسّن سلوك الإنسان مع الله تعالى ومع الناس. وبهذا، يتجنب الإنسان تكرار أخطاء الماضي، وينمو في الحكمة والطاعة. وهذا يضمن استخدام نعم الله تعالى على الوجه الذي حددته التعاليم الإسلامية، مما يؤدي إلى التوازن النفسي والبدني ويضع كل شيء وكل شخص في مكانه الصحيح. كما أنّ الاستفادة من التجارب تُحسّن سلوك الإنسان مع الآخرين، وتضمن إحقاق حقوقهم، وانتشار العدل والسلام في البيت والمجتمع.

من الجوانب المهمة في تجاوز الماضي تجنّب التمسك بالحقّد أو المراجعة تجاه الآخرين على أخطائهم. فبينما يجب على المرء اتخاذ خطوات عملية لحماية نفسه من الأذى في المستقبل حتى لا يتكرر التاريخ، عليه أيضاً سورة النور، الآية. أن يسعى للتخلص من المشاعر السلبية والعفو لله تعالى. فالففو سبيلٌ لنيل الرحمة الإلهية ٢٢:

"...وليعفوا وليصفحوا، ألا تحبون أن يغفر الله لكم..."

إن مسامحة الآخرين تفتح باب مسامحة الذات، وتلين القلب، وتسمح للإنسان بالمضي قدماً دون عبء الضغائن.

وأخيراً، عند الخروج من موقف ما، يجب على المرء أن يخرج منه ليس جسدياً فحسب، بل عقلياً وعاطفياً أيضاً. فالبقاء في أسر الماضي - سواءً بالشوق إلى ما فات أو باستعادة ذكريات مصاعب الماضي - يؤلّد جحوداً وقلة صبر. يتطلب التقدم الحقيقي تقبّل أن الحياة رحلةٌ من مراحل، كلّ منها قدره الله تعالى لخير، عباده. من يقاوم هذا الواقع يقع في السخط، بينما من يتقبله يتعلم دروساً قيّمة، ويقوي علاقته بالله تعالى ويُحسّن تعامله مع الناس. مثل هذا الشخص ينظر إلى المستقبل بإيجابية، واثقاً بأن الله تعالى لا يختار إلا الأفضل في كل حال. باعتناق هذه الصفات - التعلم، والتسامح، والمضي قدماً - يضمن المرء استمراره في استخدام نعم الله تعالى على النحو الصحيح، مما يؤدي إلى راحة البال في العالمين من خلال التوازن الداخلي والانسجام في علاقاته.

بعد وصف النتائج المتباينة لمن أطاع الله تعالى بإخلاص، ومن أصرّ على معصيته، يدعو القرآن الكريم
:سورة المؤمنون، الآية 30. الناس جميعًا إلى التفكير واتباع نهج الصواب

"إن في ذلك لآيات "

هذه العبارة الموجزة، وإن كانت عميقة، تُذكّر بأن أحداث التاريخ، ومحن الأفراد، وتجارب الأمم ليست
صدفة، بل هي آياتٌ زاخرةٌ بالحكمة لمن يرغب في التأمل. وهي تُحذّر من الانشغال بالنفس، حيث يقتصر
، التركيز على الظروف الشخصية، متجاهلاً الحقائق الكبرى المحيطة به. فهذا المنظور الضيق يُعمي القلب
ويمنعه من إدراك الدروس الكامنة في العالم، وبالتالي يُفوّت فرص النمو والتّهديب. إن التأمل في هذه الآيات
من أنجع الوسائل لتنمية الشخصية السليمة، وتجنب الأخطاء المتكررة، وتحقيق السلام الداخلي الدائم. فهو
يُعزز التوازن النفسي والجسدي، ويُمكن الإنسان من تحديد أولوياته بدقة، لكل شيء ولكل شخص في حياته
على سبيل المثال، إن ملاحظة كيف يُسيء الأثرياء والمشاهير استخدام نعمهم - ليُصابوا بالقلق والاكتئاب
، والإدمان، أو حتى بالانتحار رغم ما لديهم من راحة مادية - تُبين أن السكينة الحقيقية لا تُشتري بالثروة
ولا تُؤمّن بالانغماس في الشهوات. وبالمثل، فإن مشاهدة معاناة المصابين بالمرض تغرس في النفس الامتنان
لصحتهم، وتُلهمهم على استخدامها على النحو الصحيح قبل أن تُفقد. ولذلك، يدعو الإسلام الناس إلى
، اليقظة والتأمل، ويحثهم على تجاوز حدود ظروفهم الضيقة، واستخلاص الحكمة من العالم من حولهم. وبذلك
يُنمّون الامتنان والتواضع ونظرة ثاقبة، مُدركين أن كل ظرف - سواء كان يسرًا أم عسرًا - يحمل في طياته
.دروسًا تهدف إلى تهذيب الأخلاق، والنمو الروحي، والنجاح في الدنيا والآخرة

يُذكّر الله تعالى الناس أيضًا بأن الحياة في هذه الدنيا ليست ديمومةً أو وجودًا بلا هدف، بل هي امتحانٌ عميقٌ
امتحانٌ لمعرفة مدى استغلالهم للنعم التي أنعم بها عليهم على الوجه الذي حددته التعاليم الإلهية. كلُّ فردٍ -
مؤتمنٌ على أنواعٍ مُختلفةٍ من الثروة والصحة والمعرفة والنفوذ والفرص، وكلُّ ذلك يُمثل مقياسًا لإخلاصه
:وطاعته لله تعالى. سورة المؤمنون، الآية 30

"وإننا لمختبرون"

والتاريخ شاهدٌ على هذه الحقيقة، يشهد لمن اجتازوا هذا الامتحان بنجاح، ممن وظّفوا نعمهم فيما يرضي الله تعالى، وكيف نالوا بفضلِه راحة البال الحقيقية في الدنيا والآخرة. قادتهم طاعتهم إلى حالة نفسية وجسدية متوازنة، مكّنتهم من وضع كل شيء وكل شخص في حياتهم على الوجه الصحيح وفقًا للحكمة الإلهية. عاش هؤلاء الأفراد في رضا وهدف ووضوح، ورحلوا عن الدنيا مطمئنين، مستعدين للحساب يوم القيامة.

في المقابل، يُسجل التاريخ أيضًا مصير من رسبوا في هذا الامتحان، أولئك الذين أساءوا استخدام النعم التي مُنحت لهم، ساعيين وراء شهواتهم وملذات الدنيا متحدين الهداية الإلهية. أدى ذلك بهم إلى فوضى داخلية وعدم استقرار، إذ فقدوا توازنهم الداخلي ورتبوا أولوياتهم في حياتهم. أصبحت عائلاتهم وثرواتهم وإنجازاتهم مصادر صراع وقلق بدلًا من السلام والاكتمال. بتجاهلهم لهداية الله تعالى، لم يحرّموا أنفسهم من السكينة الروحية في الدنيا فحسب، بل فشلوا أيضًا في الاستعداد للحساب الأبدي في الآخرة.

لذا، يجب أن يُدرك المرء أن امتحان الحياة ليس لمصلحة الله تعالى، فهو غنيٌّ عن كل حاجة، بل لمصلحته. فكل لحظة، وكل خيار، وكل نعمة تُمثّل فرصةً للارتقاء نحو السلام والنجاح، أو الوقوع في الحيرة والضياغ. لذا، يتبنّى العاقل الموقف الصحيح - موقف الشكر والتواضع والطاعة - مُدركًا أن نجاحه الأسمى يكمن في جعل كل نعمة وسيلةً للتقرب إلى الله تعالى، والاستعداد للحياة الأبدية.

ولكن، لأن طاعة الله تعالى غالبًا ما تتعارض مع شهوات الدنيا، فقد أهمل كثير من الناس دروس التاريخ. وتجاهلوا الأمثلة من حولهم. بل استمروا في اتباع أنظمة صنعها البشر لتلبية طموحاتهم ورغباتهم المادية. سورة المؤمنون، الآية 31:

"ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين"

ومع ذلك، لم ينقطع الله تعالى عن رحمته وهدايته للبشرية. فقد أرسل أنبياءه الكرام، عليهم السلام، على مر العصور ليذكروا الناس بغايتهم الحقيقية، ألا وهي النجاح في امتحان الحياة ببلوغ راحة البال في الدنيا والآخرة وتحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، وحسن توزيع كل شيء وكل شخص في حياتهم. سورة المؤمنون، الآية 32:

"و أرسلنا فيهم رسولا منهم"

اختير الأنبياء عليهم السلام من بين الأمم التي أرسلوا إليها. عاشوا حياتهم كلها بين قومهم قبل النبوة، فعرفتهم، أممهم معرفة وثيقة، عرفت أخلاقهم وسلوكهم وصدقهم ونزاهتهم. وكان هذا وحده سبباً كافياً لقبول رسالتهم، إذ كانوا معروفين سلفاً بأنهم خير قومهم أخلاقاً وأمانة. من الطبيعي أن يتردد الناس في الوثوق بالغريب، ولكن ليس من يتردد في الوثوق بمن عاش حياته مكشوفة أمامهم، خالية من الغش والفساد. سورة المؤمنون الآية 32:

"ولقد أرسلنا فيهم رسولا منهم أن اعبدا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون"

يُفَرِّد الإسلام بأن الطاعة المطلقة غير المشروطة حقٌّ خالصٌ للخالق الرازق - الله تعالى. بمعنى عميق، فإن ما يطيعه الفرد باستمرارٍ لتوجيه حياته يصبح في جوهره موضع عبادته، بغض النظر عن أي إنكارٍ ظاهريٍّ للإخلاص لإله. تمتلك البشرية دافعاً فطرياً للخضوع لشيءٍ ما واتباعه في حياتها، سواءً كان ذلك أشخاصاً: سورة الفرقان، الآية 43. آخرين، أو اتجاهاتٍ ثقافية، أو ثروة مادية، أو ما تُمليه رغباتها الخاصة:

"...أرأيت من اتخذ إلهه هواه"

توضح هذه الآية أن مفهوم العبادة يتجاوز مجرد الأقوال أو أداء الطقوس؛ بل يتجلى بوضوح من خلال الطاعة والانقياد. إن الاستسلام للأهواء الشخصية أو اتباع المؤثرات الدنيوية الزائلة دون نقاش هو في الواقع شكل من أشكال العبادة. لذلك، يجب على من يؤمن أن يثبت أقواله بالأعمال الصادقة. الإيمان الحقيقي يوجب طاعة الله تعالى فوق كل شيء، في كل ظرف. وهذا يتطلب من المؤمنين أن يستغلوا النعم التي وهبهم الله إياها - كالصحة والمال والعلم والنفوذ - بما يرضيه، وفقاً للقرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. بتدبير الحياة بهذه الطريقة، يحقق الفرد التوازن في دنياه ودنياه، ويعطي الأولوية الصحيحة لكل شيء ولكل شخص. هذه الطاعة التامة تُهيئه للحساب أمام الله تعالى، وتضمن له السكينة في الدنيا والفلاح الأبدى في الآخرة. سورة النحل، الآية 97

"من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون"

، على النقيض من ذلك، فإن من ينكرون وحدانية الله تعالى، وينشغلون بملذات الدنيا أو شهواتهم الجامحة يُسيئون استخدام الموارد والفرص المتاحة لهم حتمًا. هذا المسار يؤدي إلى الارتباك والاختلال وتشويه الأولويات. هؤلاء الأفراد يتجاهلون مسؤوليتهم النهائية أمام الله تعالى، وبالتالي يواجهون صعوبات واضطرابات داخلية في كلا العالمين، حتى لو حافظوا على مظهر الرفاهية المادية. سورة طه، الآيات ١٢٤-١٢٦:

ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد
"كنت بصيرا قال كذلك أنتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى"

إذا وجّه المرء طاعته المطلقة لله تعالى، فإنه يحقق الطمأنينة لانسجام حياته مع غايتها، في نهاية المطاف الإلهية، ويختبر التوازن لأن كل شيء وُضع في سياقه الصحيح، ويحصل على مكافأة أبدية لأنه أوفى بعهده، مع خالقه. على العكس من ذلك، فإن كل من يوجّه طاعته المطلقة إلى أمور أخرى - مثل رغبته الخاصة أو ميوله الدنيوية، أو السلطة، أو الثروة - يستسلم لمصادر مؤقتة، ومعيبة، وغير قادرة على توفير الاستقرار، الدائم أو الرضا التام. هذا المسار يؤدي حتمًا إلى الخسارة والاختلال، في الدنيا والآخرة. سورة المؤمنون: الآية 32

"ولقد أرسلنا فيهم رسولاً منهم أن اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون "

عبادة الله تعالى شاملة، تتجاوز مجرد أداء الشعائر كالصلوات المفروضة. تتجلى العبادة الحقّة بطاعته في جميع مناحي الحياة، واستغلال كل نعمة - سواء أكانت ثروة أم صحة أم علمًا - كما أمر بها، وفقًا لهدى القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. ليست الطاعة مسألة قلبية فحسب، بل يجب أن تتحقق، بالعمل الصادق الذي يبتغي به رضا الله تعالى. من كان دافعه الكسب الدنيوي أو الشهرة، فلن ينال جزاءه كما أكد على ذلك حديث في جامع الترمذي، رقم 3154. تتطلب هذه الطاعة الصادقة انخراطًا كاملاً وفعالاً في القرآن الكريم، والذي يشمل ثلاثة عناصر أساسية: تلاوته تلاوة صحيحة ومتواصلة، والسعي لفهم معانيه من مصادر موثوقة، وتطبيق تعاليمه بإخلاص في الحياة. الإنسان المخلص يُعلي من شأن القرآن الكريم على حساب رغباته الشخصية، ويُشكل شخصيته وفقًا لمبادئه. هذا الالتزام يُجسّد المثال الأسمى للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، الذي وُصفت شخصيته بأنه تجسيدٌ للقرآن الكريم، كما ورد في حديث في سنن أبي داود، رقم 1342. ولتكرام القرآن الكريم، يجب على المرء أن يُعمله بكلّيته، وأن يسعى لفهمه واستيعابه والعمل به. 1342 دون أن يُفضي التفضيل الشخصي إلى طاعة انتقائية. إن من يختار اتباع أجزاء معينة من الكتاب المقدس فقط، ويتجاهل أجزاء أخرى، يُظهر نفاقًا جوهريًا، ويحرم نفسه من حكمة القرآن الكريم الكاملة ورحمته: سورة الإسراء، الآية 82. الشاملة

وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً

في حين أن القرآن الكريم يُقدم بلا شك إرشادات للتغلب على تحديات الدنيا، فإن غرضه الحقيقي أهم بكثير قيادة البشرية إلى راحة البال في كلا العالمين. لذلك لا ينبغي للمرء أن يختزل القرآن الكريم إلى فائدة مؤقتة كتاب لا يُستشار إلا في فترات الشدة ثم يُهمل لاحقًا. ويجادلون بأن هذا الانخراط الانتقائي يدل على فهم - سطحي للإيمان. يشبه هذا امتلاك سيارة تتمتع بكل ميزة فاخرة ولكنها تفتقر تمامًا إلى محرك. في حين قد تبدو كاملة ووظيفية في الظاهر، إلا أنها في النهاية غير قادرة على أداء وظيفتها الأساسية. وبالمثل، فإن التعامل مع القرآن الكريم كأداة مجردة لإدارة الأزمات يعني أن المرء يفقد القوة الروحية الأساسية اللازمة من خلال الحصول، لدفع حياته نحو هدفها النهائي المتمثل في توجيه المرء إلى راحة البال في كلا العالمين على حالة ذهنية وجسدية متوازنة ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في حياته بشكل صحيح.

في الحقيقة، كل من يُعرض عن منهج الله تعالى، ويعتنق أنظمةً وضعها البشر، إنما يفعل ذلك رغبةً في إشباع رغبات دنيوية. ذلك أن كل قانون بشري يتشكل في نهاية المطاف بطموح الإنسان وتفضيلاته ومصالحه الذاتية. بخلاف الشريعة الإلهية - القائمة على الحكمة الكاملة والعدل والرحمة - فإن الأنظمة البشرية نتاج فهم خاطئ ورغبات شخصية. غالبًا ما يكون أصحاب الثروة والسلطة الأكثر مقاومةً للهداية الإلهية. إنهم يدركون أن قبول الحقيقة سيُلزمهم بالخضوع لسلطة أخلاقية عليا - سلطة تضع حدودًا أخلاقية لجشعهم وانغماسهم وإساءة استخدام نفوذهم. الخضوع لمثل هذا الإطار يتطلب منهم إعلاء شأن العدالة والتخلي عن الممارسات الأنانية. خوفًا من فقدان امتيازاتهم وسيطرتهم، يرفضون الحقيقة، وفي كثير من الأحيان يسعون إلى تضليل الآخرين، وبالتالي ضمان أتباع يُعززون فسادهم. وهم بذلك يحاولون الحفاظ على راحة دنيوية زائلة، مُضحين بخلاصهم الأبدي. وقد شُهد بهذا السلوك عبر التاريخ. كان أول من عارض الأنبياء عليهم السلام، في كثير من الأحيان، النخب الاجتماعية - أولئك الذين اعتمدت قوتهم ومكانتهم على استمرار الظلم والانحلال الأخلاقي. لم يكن إنكارهم نابعًا من نقص الأدلة أو الشك في صحة الرسالة؛ فأيات الله تعالى واضحة لا تُنكر. بل إن معارضتهم نابعة من الكبر والكبرياء، ورفض الخضوع للحق، وعدم الرغبة في كبح جماح أهوائهم. لذا، نادرًا ما يكون رفض الهداية الإلهية مسألة عقلية أو دليلية. إنه، في جوهره، فشل روحي وأخلاقي - رفض واعٍ للخضوع لسلطة الخالق، مدفوعًا بسعي وراء الشهوات الجامحة وحب الجاه الدنيوي. سورة المؤمنون، الآية 33

"...وقال الملائكة من قومهم الذين كفروا وكذبوا بقاء الآخرة وقد أترفناهم في الحياة الدنيا ما هذا إلا بشر مثلكم "

أول ما يجب فهمه في هذه الآية هو تحذيرها من أنه كلما سيطر على المرء شهواته الدنيوية، تجاهل حقيقة محاسبته في الآخرة ورفضها. إن قبول هذه المحاسبة والاستعداد لها يتطلبان ضبط النفس، مما يمنعه بدوره من تحقيق رغباته وطموحاته الجامحة. عندما تستحوذ الشهوات الدنيوية على الإنسان، يفقد السيطرة على أفعاله، ولا يندفع إلا بدافع إشباعها، متجاهلاً في كثير من الأحيان العواقب الوخيمة المترتبة عليها. يمكن تشبيه هذه الحالة بحالة مدمن المخدرات، الذي يشوش شغفه بالمخدرات على حكمه ويدفعه إلى سلوك هدام بل قد يرتكب أفعالاً خاطئة، كالسرقة، غافلاً عن الضرر الذي يسببه لنفسه وللآخرين، لأن إيمانه قد جرده من ضبط نفسه. وبالمثل، يمكن أن يصبح التعلق المفرط بالثروة أو المكانة أو ملذات الدنيا الأخرى إيماناً يتحكم في حياة الإنسان، ويقوده إلى أفعال غير أخلاقية، وفي النهاية إلى الهلاك. لذا، من الضروري أن يتعلم الإنسان كيفية إدارة رغباته، والسعي وراء الحلال فقط، باعتدال. فالرغبات في حد ذاتها ليست مُدانة، ولكن إذا تُركت دون ضوابط فإنها تُفسد الشخصية، وتُدمر العلاقات، بل وتضر بالصحة النفسية والجسدية. وبإبقائها ضمن حدودها الصحيحة، يصون الإنسان سلامته الدنيوية وحالته الروحية. يجب على كل فرد أن يدرك أن النعم الدنيوية ليست غايات في حد ذاتها، بل هي ابتلاء من الله تعالى. والسؤال الحقيقي هو: هل سيُستغل هذا الفضل على الوجه الصحيح، كما هو مبين في التوجيه الإلهي، أم أنه سيصبح مُشتتات تُبعد الإنسان عن غايته الأسمى؟ للنجاح في هذا الاختبار، يجب على المرء ألا يسمح لشهوات الدنيا بالسيطرة، بل أن يستخدم كل نعمة كوسيلة من خلال تحقيق حالة نفسية وجسدية، للتقرب من الحق، فيضمن بذلك راحة البال في الدنيا والنجاح في الآخرة. متوازنة، ووضع كل شيء وكل شخص في حياته على الوجه الصحيح.

عندما يختار المرء اتباع طريق قائم على الإيمان وطاعة الله تعالى، بدلاً من اتباع نهج الأغلبية، فإن قراره غالباً ما يُقلق من حوله. ذلك أن هذا الاختيار يُذكره بتقصير الآخرين في مساعيهم، خاصةً عندما تكون هذه المساعي مدفوعةً بالشهوات أو الكبرياء أو الطموح الدنيوي بدلاً من الهداية الإلهية. ونتيجةً لذلك، غالباً ما يواجه الصامدون على إيمانهم النقد والسخرية والتهميش، حتى من أقرب أفراد عائلاتهم وأصدقائهم.

خارج الدوائر الشخصية، تُقاوم الضغوط المجتمعية الأوسع نطاق هذا التحدي. فالثقافة الحديثة - التي تشكلها وسائل التواصل الاجتماعي والترفيه والاستهلاك والاتجاهات السائدة - غالباً ما تُمجّد الترف والثناء وإشباع الذات. في بيئة كهذه، يُنظر إلى الالتزام بالمبادئ الإلهية على أنه عتيق أو مُقيد. ولذلك، تُقاوم الصناعات والأيديولوجيات القائمة على الإفراط والاستغلال دعوة الإسلام إلى الاعتدال والتواضع والانضباط الأخلاقي.

وبطبيعة الحال، تُعارض هذه القوى الترويج للقيم الإسلامية، إذ تراها عائقاً أمام الربح والحرية المطلقة. ومن ثم، تنتشر المشاعر المعادية للإسلام على نطاق واسع، وتتجلى في الصور المشوهة والروايات المتحيزة والنقد الانتقائي.

من يسعى بصدق للعيش وفقاً للتعاليم الإلهية، التي تُشدد على ضبط النفس والتوازن والشكر، غالباً ما يُقابل بالعداء من قِبَل من يعتبرون الانضباط قيئاً. كثيراً ما يُصنّف المنغمسون في الترف منهج الحياة الإسلامي بأنه مُقيّد، غافلين عن أنه في الحقيقة سبيلٌ للحرية الداخلية والحماية من الأذى. ولثني الآخرين عن اعتناق الإسلام أو مُمارسته، يلجأ هؤلاء النقاد إلى التحريف - مُهاجمين مبادئه بشكلٍ مُجرأ أماً في إضعاف صورته العامة. ومن الأمثلة الشائعة النقد المُوجّه إلى الحياء الإسلامي، وخاصةً في لباس المرأة. فكثيراً ما يُصوّرهُ المُنتقدون على أنه قيّدٌ مُجحف، ومع ذلك لا يُبدون أي اعتراض عندما تُطبّق مهنٌ أخرى - كالجيش والطب وإنفاذ القانون والأعمال - قواعد لباسها الصارمة. هذا التناقض يُفصح سطحية حججهم. لذا، فإن القضية الحقيقية ليست الحياء بحد ذاته، بل إصرار الإسلام على الانضباط الأخلاقي وضبط النفس - وهي قيمٌ تُناقض ثقافة الرغبة المطلقة. في نهاية المطاف، تتبع معارضة الإسلام من عدم ارتياحه لمبادئه في الاعتدال والمساءلة والخضوع للخالق. ويحاول من لا يقتنع بهذه القيم تشويه سمعتها بكل الطرق، لكن اعتراضاتهم تفنقر إلى العمق والصدق.

يشهد التاريخ على هذا النمط نفسه. فالقادة والنخب الذين رفضوا رسائل الأنبياء عليهم السلام لم يفعلوا ذلك، لغموض الحقيقة، بل خشوا فقدان سلطتهم وامتيازهم ونفوذهم على الآخرين. وللحفاظ على سلطتهم الدنيوية سعوا إلى تقويض مصداقية الأنبياء عليهم السلام بطرق مختلفة. على سبيل المثال، شككوا في طبيعة نبينهم عليه السلام البشرية، مشيرين بذلك إلى أن النبي عليه السلام ينبغي أن يكون مخلوقاً خارقاً ذا قدرات. سورة المؤمنين، الآيتان 33-34

"ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون ويشرب مما تشربون وإن أطعتم بشراً مثلكم إنكم إذاً لخاسرون..."

إن دور النبي الكريم، عليه السلام، مُصمَّمٌ للبشرية تحديداً، ولذلك لا يليق أن تُنسب هذه المكانة إلى كائنات كالملائكة. فالغرض الأساسي من النبي الكريم، عليه السلام، هو أن يكون قدوةً عمليةً حيةً للناس، يُظهر لهم كيفية التصرف في كل جانب من جوانب الحياة، سواءً في العبادة أو الأسرة أو المجتمع أو النضال الشخصي. لو كان النبي الكريم، عليه السلام، ملائكةً، لما استطاع الناس أن يقتدوا به، فالملائكة لا يذوقون التعب ولا الجوع ولا الفتن ولا المشقة. فهم لا يخضعون لنفس التجارب والقيود التي تُحدد الحياة البشرية. وهذا من شأنه أن يجعل من المستحيل على الناس أن يروا كيف يُمكن تطبيق الهداية الإلهية في ظروفهم الخاصة. بل قد يُقدم ذلك عذراً أمام الله تعالى يوم القيامة، إذ قد يُجادل الناس بأنه لا يُمكن توقع منهم الاقتداء بمن لم يُواجه صعوبات الوجود البشري قط. باختياره الأنبياء عليهم السلام من بين البشر، ضمن الله تعالى أن تتجسد هدايته على نحو يفهمه الناس ويتفاعلون معه ويطبقونه عملياً. وتشهد حياتهم على أن الطاعة والصبر والاستقامة ممكنة في الطبيعة البشرية، وأنه لا يمكن لأحد أن يدعي أن طريق الإيمان بعيد المنال. وتُظهر هذه الحكمة أن النبوة لا تقتصر على تبليغ الوحي فحسب، بل تشمل أيضاً عيشه، ليكون للبشرية نموذج واضح وقابل للتحقيق.

:سورة المؤمنون، الآيات 33 إلى 34

"ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون ويشرب مما تشربون وإن أطعتم بشراً مثلكم إنكم إذا لخاسرون..."

عموماً، من الضروري تقدير السلوك الفاضل لمن يجتهدون بصدق في طاعة الله تعالى، محسنين استغلال النعم الممنوحة لهم على الوجه المبين في التعاليم الإسلامية. فمراقبة هؤلاء الأفراد مصدر إلهام وتوجيه، عملي، يُمكن المرء من التحلي بأخلاقهم الحميدة وتقوية إيمانه. ومع ذلك، عند التأمل في حياة الصالحين، يجب الحذر من طرفين متعارضين قد يؤديان إلى الضلال

أول هذه التجاوزات هو التقليل من شأن الصالحين، ومنهم الأنبياء عليهم السلام، ظناً منهم أن ذلك يُعظم عظمة الله تعالى. والحقيقة أن هذا الموقف نابع من الجهل، ويؤدي إلى قلة احترام خطيرة لمن اصطفاهم الله

تعالى وكرمهم فعندما يُقَصَّر المرء في تقدير عظمة الصالحين، يفقد القدرة على التعلم منهم. ويستحيل الاقتداء بمن لا يُحترم ولا يُعتبر قدوة حسنة. وهكذا، فإن التقليل من شأن الصالحين يؤدي إلى ركود روحي، ويُضعف الارتباط بالهداية الإلهية.

أما التطرف الثاني فهو رفع الصالحين فوق حدود القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. هذا الموقف، وإن كان غالبًا مدفوعًا بالحب أو الإعجاب، قد يدفع الناس إلى اعتبار الصالحين ملائكة أو مخلوقات خارقة للطبيعة، لا بشرًا ناضلوا وصبروا ونجحوا بعون الله تعالى. فعندما يُنظر إلى الصالحين على أنهم فوق طاقة البشر، يصبح قدوتهم بعيدة المنال، وبدلاً من السعي لتقليدهم، يكتفي الناس بمديحهم بالكلام فقط. هذا التبجيل في غير محله قد يؤدي إلى وهم أن التعبير عن الإعجاب كافٍ للنجاح الروحي، حتى وإن لم يتبع المرء الصالحين في أفعالهم وسلوكهم.

الحقيقة تكمن في الحفاظ على التوازن. يجب إكرام الصالحين واحترامهم دون مبالغة، مع الاعتراف برفعة منزلتهم التي منحها الله تعالى، مع إدراك أنهم بشرٌ نالوا العظمة بالإخلاص والطاعة والثبات. هذا المنظور المتوازن يغرس الحب والتحفيز، وينمي التبجيل الذي يُلهم التقليد لا الإعجاب السلبي. مع أن بلوغ مرتبة النبي محمد صلى الله عليه وسلم أو غيره من عظماء الإيمان قد يفوق قدرة المرء، إلا أن كل إنسان قادر على السعي نحو تحقيق إمكاناته من خلال تجسيد فضائل الصدق والصبر والتواضع والإخلاص التي اتسم بها الصالحون.

باختصار، يجب تجنب كلا الطرفين: لا استخفاف بالصالحين ولا تأليههم. فالنهج الصحيح هو اعتبارهم عبادًا مكرمين لله تعالى، جديرين بالاحترام والمحبة والاقتداء. وبذلك، يفتح الإنسان باب النمو الشخصي والتوازن والرقى الروحي، سائرًا على درب الفضيلة الذي قاد الصالحين إلى السلام والنجاح في الدنيا والآخرة.

"وإن أطعتم مثلكم إنكم إذاً لخاسرون "

من اللافت للنظر، على مر التاريخ، سعي قادة المجتمع ونخبته باستمرار إلى تقويض الهداية الإلهية بالتشكيك، في طبيعة نبيّ كريم، عليه السلام. وجادلوا بأن نبيّاً كريماً، عليه السلام، يأكل وينام ويعيش كما يأكل الناس لا يمكن أن يكون من اختيار الله تعالى. وبذلك، حاولوا النيل من مصداقية الأنبياء، عليهم السلام، مع أن إنسانيتهم هي ما جعلهم قدوة حسنة ومثالاً يُحتذى به. ومما يزيد هذا التناقض لفتاً للانتباه أن هؤلاء القادة أنفسهم طالبوا أنفسهم بالطاعة المطلقة. توقعوا من الناس اتباع عاداتهم، والتمسك بسلطانهم، والخضوع، لأهوائهم دون تردد، حتى وإن كانت دوافعهم الدنيوية ومصالحهم الذاتية دافعة لهم لا الحق والعدل. وهكذا - رفضوا هداية من جسّدوا الإخلاص والنزاهة والحكمة الإلهية، ورفعوا من شأن أنفسهم - رغم عيوبهم كرموزٍ تُطاع دون نقاش. يكشف هذا النمط الدافع الحقيقي وراء معارضتهم: لم يكن شكاً مُبرّراً، بل خوفاً من فقدان السيطرة على الناس. بتشويهم سمعة الأنبياء عليهم السلام، سعوا إلى الحفاظ على سلطتهم. إلا أن التاريخ يُظهر أن جهودهم باءت بالفشل في نهاية المطاف، لأن الحقيقة الإلهية باقية بينما السلطة الدنيوية تتلاشى.

من أهم أسباب طاعة الناس وتقليدهم للأفراد غير المناسبين هو اتباعهم الأعمى للآراء والسلوكيات السائدة في مجتمعهم. ينشأ هذا الميل إلى التقليد عندما يفترض المرء أن ما تفعله الأغلبية يجب أن يكون صحيحاً بطبيعته. ومع ذلك، فإن القرآن الكريم يُحذر مراراً وتكراراً من هذا التقليد الأعمى، لأن غالبية الناس غالباً ما تضل عن سبيل طاعة الله تعالى. عندما يرى الأفراد المجتمع بأسره يُهمل التعاليم الإسلامية، قد يشعرون. بضغط للتقليد، مُخطئين في اعتبار الشعبية حقيقة. ومع ذلك، فإن الحقيقة لا تُحدد بالأرقام بل بالتوجيه الإلهي. يُثبت التاريخ نفسه أن رأي الأغلبية غالباً ما يكون خاطئاً. العديد من المعتقدات الراسخة - مثل الاعتقاد السائد سابقاً بأن الأرض مسطحة - ثبت بطلانها لاحقاً مع ظهور أدلة ومعارف جديدة. هذا يُذكرنا بأن التقليد الأعمى، قد يؤدي إلى الخطأ في الأمور الدنيوية والروحية. إن التصرف دون تفكير أو فهم أشبه بالتصرف كالقطيع: سورة الأنعام، الآية 116. تُقاد بالغريزة والعادة بدلاً من العقل والبصيرة

وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يظنون

لذلك، من الضروري أن يستخدم كل فرد العقل والمنطق اللذين أنعم الله تعالى عليهما بهما لتقييم خياراته بناءً على معرفة سليمة ودليل قاطع. هذا النهج المدروس يُمكن المرء من اتخاذ قرارات تتماشى مع الحقيقة، حتى لو تعارضت مع الآراء السائدة في المجتمع. في الواقع، تُدين التعاليم الإسلامية بشدة التقليد الأعمى، وخاصةً في مسائل الإيمان والسلوك. فالإنسان مسؤول عن أفعاله، ولا يمكنه تبرير عصيانه بزعم أنه اتبع الآخرين فحسب. بل يشجع الإسلام جميع الناس على طلب العلم، والتأمل العميق، والتصرف بفهم واقتناع. فبهذا فقط يُمكن للمرء أن يتجنب مصادمات التقليد الضال، وأن يظل ثابتاً على طريق الحق. وهكذا، فإن الحكمة الحقيقية لا تكمن في اتباع ما هو شائع، بل في اتباع الصواب. قد تتغير معايير المجتمع، لكن الهداية الإلهية تبقى ثابتة - سورة يوسف، الآية 108. فهي المعيار النهائي الذي يجب على المرء أن يقيس به معتقداته وسلوكه وقيمه.

"...قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني"

،من الأساليب الأخرى التي استخدمها قادة غير المسلمين عبر الأجيال، لثني الناس عن قبول التعاليم الإلهية: التشكيك في حقيقة البعث ويوم القيامة. سورة المؤمنون، الآيات 35-37

أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابًا وعظامًا ستُخرجون؟ فأين ما توعدون؟ ما الحياة إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا . وما نحن بمبعوثين

من الضروري أن نفهم أن الناس عندما يواجهون أفكارًا أو مبادئ تتحدى رغباتهم، غالبًا ما يلجأون إلى المبالغة كوسيلة للرفض. بتحريفهم لمفهوم ما وتقديمه على أنه متطرف أو غير معقول، فإنهم يختلقون ذريعة لرفضه تمامًا. يتيح لهم هذا التكتيك النفسي الحفاظ على راحتهم ومواصلة التصرف بطرق تُرضي رغباتهم الدنيا، دون مواجهة مشقة إصلاح الذات. على سبيل المثال، قد يُنصح الشخص الذي يُسيء معاملة الآخرين

،باستمرار - كأفراد عائلته مثلاً - باللطف والصبر والاحترام. بدلاً من التأمل في هذه النصيحة والسعي للتحسين قد يُبالغون في دلالاتها، مدّعين أنها تتطلب كمالاً مستحيلًا، كما لو كان عليهم أن يصبحوا ملائكة وخالين تمامًا من العيوب. ولأن هذا الكمال بعيد المنال، فإنهم يُعلنون عدم جدوى النصيحة ويستمرّون في سلوكهم كما كانوا، من قبل. في الحقيقة، لم تكن النصيحة تدعو أبدًا إلى الكمال، بل إلى الجهد الصادق وضبط النفس. برفضها يتهربون من مسؤولية أفعالهم ويُعيقون نموهم الأخلاقي والروحي. يؤدي هذا الرفض للمساءلة إلى عواقب وخيمة. فهو يمنع الأفراد من بناء شخصية قوية ويشجع على إساءة استخدام نعم الله تعالى. ونتيجة لذلك تصبح حالتهم الداخلية مضطربة: حيث تضع الأولويات، وتتدهور العلاقات، ويختفي راحة البال. ومهما بلغوا من الثروة أو الراحة الدنيوية، فإن هؤلاء الناس يعانون حتمًا من التوتر وعدم الرضا والاضطراب، عقليًا وجسديًا. والأخطر من ذلك، أنهم يتجنّب المساءلة، يفشلون أيضًا في دعم حقوق الآخرين. وهذا الإهمال يعزز الظلم والاستياء والفساد داخل المجتمع. وفي نهاية المطاف، فإن أولئك الذين يصرون على هذا النحو لا يضرّون مجتمعاتهم فحسب، بل يعرضون أيضًا مكانتهم أمام الله تعالى للخطر. وفي يوم القيامة، سيجدون أنفسهم غير مستعدين، لأنهم قضوا حياتهم في تبرير أخطائهم بدلًا من تصحيحها. إن النجاح الحقيقي يكمن في الفحص الذاتي الصادق، والتواضع، والاستعداد لتحمل المسؤولية عن سلوك الإنسان - وهي الصفات التي من خلال الحصول على حالة عقلية وجسدية متوازنة، تؤدي إلى التوازن والاستقامة والهدوء في كلا العالمين. ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص بشكل صحيح في حياتهم.

علاوة على ذلك، فإن إنكار حقيقة البعث والحساب يوم القيامة موقفٌ غريبٌ ومُضللٌ، فعلامات البعث جليّةٌ في الخليقة، ونلمسها في حياتنا اليومية. يُحيي الله تعالى الأرضَ القاحلة بالمطر، فتنبت البذور النائمة، وتنمو وتُوفر القوت لجميع الكائنات الحية. وبالمثل، يُعاد البشر - المدفونون في الأرض كالنبور - إلى الحياة للحساب. ويُظهر تغير الفصول هذا المبدأ أيضًا: ففي الشتاء، تبدو الأشجار هادمةً بتساقط أوراقها، لكنها في الربيع تُزهر من جديد. حتى داخل جسم الإنسان، تحدث القيامة باستمرار على المستوى الخلوي: تموت الخلايا القديمة وتُستبدل، مُجدّدة الحياة. دورة النوم واليقظة مظهرٌ يوميٌّ آخر، فالنوم يُشبه موتًا مؤقتًا، واليقظة تُجسّد الإحياء. سورة الزمر، الآية 42

الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى "أجل مسمى إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون"

وراء هذه العلامات، تتجلى ضرورة يوم القيامة. فالكون نفسه متوازن بدقة متناهية: فالأرض تحافظ على مسافة مثالية من الشمس، ودورة الماء تعمل بدقة متناهية، والأرض تجمع بين الصلابة واللين لدعم الحياة ومع ذلك، تبقى أفعال البشر غير متوازنة. فكثيراً ما يفلت الظالمون من العدالة في هذه الدنيا، بينما يتكبد المظلومون المعاناة دون جزاء كامل. من أطاع الله تعالى بإخلاص قد يواجه البلاء والمشقة، بينما ينعم المخالفون بالرخاء والرفاهية. ولأن الله تعالى قد أرسى التوازن في الخلق، فلا بد من تحقيق العدل في أعمال البشر. ولأن العدل الكامل لا يتحقق دائماً في الدنيا، فلا بد أن يتحقق في الآخرة.

الله تعالى قادر على أن يُنزل الثواب أو العقاب كاملاً في هذه الحياة الدنيا، لكن حكمته تُملّي غير ذلك. فهو يُتيح فرصاً مُتكررة للتوبة والإصلاح، مُوجِلاً الجزاء الكامل إلى الآخرة. هذه الحياة الدنيا اختبارٌ مؤقت وليست جنة، والجزاء والثواب النهائيان مُخصصان للآخرة. الإيمان بالغيب - الثقة بالجزاء الموعود في الآخرة - سمةٌ مُميزة للإيمان الحقيقي. فلو ظهر الثواب أو العقاب الكامل في هذه الدنيا، لفقد الإيمان معناه الفريد.

علاوةً على ذلك، فإن الخوف من العقاب النهائي والأمل في الثواب الأبدي يُشكّلان دافعين قويين، يُشجعان على التمسك بالصلاح وتجنب المعصية. ولكن لكي يبدأ يوم القيامة، لا بد أن ينتهي هذا العالم المادي، لأن الحساب يقتضي توقف جميع الأعمال الدنيوية. وبالتالي، فإن نهاية العالم أمرٌ لا مفر منه.

إن التأمل في هذه الحقائق يُعزز الإيمان بيوم القيامة ويُلهِم الاستعداد له. ويتمثل هذا الاستعداد في استخدام نعم الله تعالى على الوجه الذي يرضيه، كما هو مبين في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم من خلال تحقيق حالة نفسية وجسدية، وهذا السلوك يُجلب راحة البال في الدنيا والتوفيق الأبدي في الآخرة سورة الجاثية، الآية 22، سورة). متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في مكانه الصحيح (المائدة، الآية 45).

"وخلق الله السموات والأرض لحكمة، لتُجزى كل نفس ما اكتسبت، وهم لا يُظلمون".

:سورة المؤمنون، الآية 37

"إن الحياة ليست إلا حياتنا الدنيا، نموت ونحيا ولكننا لن نبعث "

الحقيقة هي أنه بدون يوم القيامة والآخرة، ستُجرد الحياة في هذه الدنيا من معناها وغايتها النهائية. كل شيء في هذا الوجود الدنيوي مؤقت وغير كامل. مهما اكتسب الإنسان - سواء أكان ثروة أم سلطة أم معرفة أم رفقة - فسينفصل عنها لا محالة، إما بمرور الزمن البطيء أو بيقين الموت. لو كان الوجود محصوراً في هذا العالم الزائل فقط، لاختصر كل سعي بشري في السعي وراء ما سينقرض في النهاية، فلا يخلف وراءه شيئاً ذا قيمة باقية. إن يقين يوم القيامة والآخرة هو ما يرتقي بالحياة إلى ما وراء هذه الدورة من المكاسب المؤقتة والخسائر الحتمية. توفر هذه الحقائق هدفاً أسمى وأكمل وأبدياً نطمح إليه. إنها تحول كل عمل وتضحية ولحظة صبر إلى شيء ذي أهمية أبدية. بدونها، لن يكون الوجود أكثر من سعي وراء ملذات زائلة، تنتهي بالفراغ. معهم، تصبح الحياة رحلة هادفة، حيث كل محنة اختبار، وكل نعمة أمانة، وكل جهد استثمار في نجاح دائم. يضمن وعد المساءلة أن العدالة ستسود في النهاية، وأن الخير لن يضيع، وأن الظلم لن يبقى دون رد. إنه يطمئن القلب بأن النضال ليس عبثاً، بل هو خطوات نحو الثواب الأبدي. وبهذه الطريقة، فإن الإيمان بيوم القيامة والآخرة يعطي معنى للمعاناة، وتوجيهاً للجهد، وديمومة لقيم مثل الحقيقة والصبر والرحمة، وهكذا، فإن الآخرة ليست مجرد امتداد للحياة - إنها الأساس الذي يمنح هذه الحياة التماسك والهدف. وبدونها سيكون الوجود بلا هدف؛ ومعها، تصبح كل لحظة فرصة للسعي نحو ما هو أبدي.

ولكن لما كان الاستعداد للحساب الآخرة بطاعة الله تعالى يخالف رغبات الناس وأهوائهم الدنيوية، فإن كثيراً منهم ينكرون التعاليم الإلهية ويتجاهلون، رغم وجود الأدلة الواضحة على ذلك. سورة المؤمنون، الآية 38

"إن هو إلا رجل افترى على الله الكذب وما نحن له بمؤمنين "

في مواجهة هذه المعارضة، يجب الثبات على طاعة الله تعالى، وتجنب التبعية العمياء لمن يُصرّ على اتباع شهواته الدنيوية. وأفضل سبيل لتحقيق ذلك هو الإيمان القوي .سورة المؤمنون، الآية 39

"قال رب انصرني بما كذبوني "

الإيمان الراسخ والمتين هو أساس الالتزام بطاعة الله تعالى في كل أحواله، في السراء والضراء. هذا الإيمان لا ينشأ صدفة، بل يتغذى بالدراسة المتأنية والتأمل والتطبيق العملي لهدى القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. توضح هذه المصادر أن طاعة الله تعالى هي سبيل الطمأنينة والرضا في الدنيا والآخرة. عندما يفتقر المرء إلى فهم هذه المبادئ، يبقى إيمانه هشاً سهل الزعزعة. في مثل هذه الحالة، يكون أكثر عرضة للتخلي عن الطاعة عندما تتعارض رغباته الشخصية مع التوجيه الإلهي. هذا الضعف يعمي أبصاره، عن حقيقة أن التخلي عن رغباته لصالح اتباع أوامر الله تعالى ليس قيداً، بل هو مفتاح الطمأنينة الدائمة. لذلك، من الضروري أن يقوي المرء إيمانه بطلب العلم والعمل به. ينمو الإيمان عندما يُدعم بالفهم والتجربة المعاشة، لا بالأقوال فحسب. فباستخدام النعم التي وهبَ للإنسان على النحو الذي نصّت عليه التعاليم الإسلامية، يُحقّق التوازن في عقله وجسده، ويتعلّم وضع كل شيء وكل شخص في مكانه الصحيح. وهكذا، يُصبح الإيمان القويّ نوراً ومصدر استقرار، يُمكن الإنسان من مقاومة إغراءات الرغبات الدنيوية، ويعيش حياة تحقيق حالة ذهنية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل مليئة بالامتنان والانضباط وراحة البال، من خلال شيء وكل شخص في حياته على النحو الصحيح.

من يُصرّ على اتباع شهوات الدنيا، مُسيءً بذلك استخدام النعم المُنعم بها، لا ينبغي أن يظنّ أن هذه الفرجة المؤقتة تُعفيه من الحساب. فهذه الفرجة ليست فرجاً دائماً، بل هي فرصة محدودة يمنحها الله تعالى للتأمل وإصلاح النفس وتقويم أفعاله بما يتوافق مع أوامره. سورة المؤمنون، الآية 40

"قَالَ لَيَصِيَّبَنَّ بَعْدَ قَلِيلٍ نَادِمِينَ"

في الواقع، لهذا الانغماس المستمر في المعصية عواقب فورية في هذا العالم. فهو يُعطل قدرة الشخص على الحفاظ على حالة ذهنية وجسدية متوازنة، ويؤدي إلى سوء ترتيب أولوياته وعلاقاته ومسؤولياته. فالعائلة والأصدقاء والوظيفة والثروة -وهي مصادر راحة عادة- تصبح مصادر للتوتر والإحباط. وكثيراً ما يُسيء أولئك الذين يستمرون في المعصية عزو سبب صعوباتهم إلى الآخرين، كالزوج أو الزملاء، بدلاً من إدراك أن جذر تحدياتهم يكمن في خياراتهم الخاصة. وعندما يُستبعد الأشخاص الطيبون من حياتهم، تتفاقم العواقب وغالباً ما تتجلى في اضطرابات نفسية واكتئاب وإدمان أو حتى ميول انتحارية. ويتجلى هذا النمط بين أولئك الذين يتمتعون بالوفرة المادية لكنهم يفشلون في استخدام نعمهم بما يرضي الله تعالى. فرغم الرفاهيات الدنيوية تظل حياتهم الداخلية غير متوازنة وملينة بالضيق. علاوة على ذلك، ولأن تركيزهم على ملذات الدنيا يمنعهم من الاستعداد العملي لمحاسبتهم يوم القيامة، فإن عواقبهم في الآخرة ستكون أشد وطأة. سورة المؤمنون الآية ٤١:

"فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ هَشِيمًا ثُمَّ بَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ "

إن ملذاتهم الآنية في هذه الحياة تفوق خسارتهم الباقية في الآخرة، مما يدل على أن السلام الحقيقي والتوازن والنجاح لا يمكن العثور عليهما إلا بالطاعة الصادقة لله تعالى والاستخدام الصحيح للنعم التي أنعم بها

:سورة المؤمنون، الآية 40

"قَالَ لَيَصِيبَنَّ بَعْدَ قَلِيلٍ نَادِمِينَ"

يمكن فهم الندم على أنه ينقسم إلى قسمين رئيسيين. الأول هو الندم على أمور دنيوية، كعدم الزواج، أو الإنجاب، أو تفويت فرص معينة. هذه الأنواع من الندم، أيًا كان شكلها، لا تدوم أبدًا. قد تنتهي بتحقيق رغبة المرء، أو تغيير نظرته، أو حتى الموت. وهي بطبيعتها مؤقتة، فأطول مدة لها هي الموت. كما أنها ليست ذات أهمية كبيرة، فرغم أنها قد تسبب الحزن أو الإحباط، إلا أنها لا تؤدي إلى عذاب شديد أو عقاب. علاوة على ذلك، تزول هذه الندمات تمامًا إذا دخل المرء الجنة برحمة الله تعالى.

أما النوع الثاني فهو ندم الآخرة، وهو أشد وأطول أمدًا، إذ إن مدة القبر ويوم القيامة تتجاوز بكثير مدة الحياة الدنيا. ولا تنتهي هذه الندمات إلا بدخول الجنة، وقد لا يحدث هذا للبعض، أو قد يحدث بعد زمن طويل لا يُصدق. سورة الحج، الآية 47

"وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون"

هذه الندمات بالغة الأهمية، فقد تؤدي إلى عذاب شديد وعذاب في الآخرة. لذا، ينبغي للإنسان أن يُمعن النظر ويُحسن إلى نفسه بالسعي لإزالة ما قد يُصيبه من ندم في القبر ويوم القيامة، قبل أن يُشغل نفسه بندم الدنيا. الزائل). سورة الفجر، الآيتان ٢٣-٢٤)

"وعرضت جهنم يومئذ، يومئذ يتذكر الإنسان، فأنى له الذكر؟ قال يا ليتني قدمت لحياتي "

:سورة المؤمنون، الآية 41

"فأخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم هشيماً ثم بعداً للقوم الظالمين "

هذه العبارة الموجزة، وإن كانت ذات مغزى، تُدكَر القارئ بأن أحداث التاريخ، والتحديات التي يواجهها الأفراد، وتجارب أمم بأكملها ليست محض مصادفات، بل تحمل في طياتها حكمة عميقة لمن يتوقف للتأمل تُحذّر من الانغلاق على الذات في الحياة، حيث يُركز المرء على ظروفه الشخصية فقط، متجاهلاً الحقائق، الأوسع التي تحيط به. ويوضح أن ضيق الأفق هذا يُغَيِّم القلب، ويمنعه من إدراك الدروس الكامنة في العالم وبالتالي يُضَيِّع فرص النمو والرفي الشخصي. إن التأمل في هذه العلامات وسيلة فعّالة للإنسان لتنمية شخصيته، السليمة، وتجنب الأخطاء المتكررة، وتحقيق سلام داخلي دائم. كما أنها تُعزز الانسجام النفسي والجسدي وتُمكن الفرد من إعطاء الأهمية المناسبة للأشخاص والأشياء في حياته. على سبيل المثال، فإن مراقبة الأثرياء، أو المشاهير الذين يُسيئون استخدام النعم التي مُنحت لهم - ومع ذلك يُعانون من القلق والاكتئاب والإدمان أو حتى يُقدمون على الانتحار رغم الوفرة المادية - تُبين أن السكينة الحقيقية لا تُشتري أو تُكتسب بالتساهل المفرط. وبالمثل، فإن رؤية مصاعب من يعانون من المرض تُلهم المرء الامتنان لصحته، وتُحفّزه على الحفاظ عليها بعناية قبل أن تُفقد. يشجع الإسلام على اليقظة والتأمل، ويحثّ الأفراد على النظر إلى ما وراء حدود التجارب الشخصية الضيقة، واستخلاص الدروس من العالم من حولهم. وبذلك، يُنمّي الإنسان التواصل والامتنان، ورؤية الأمور من منظورٍ ثاقب، مُدركاً أن كل ظرف -سواءً كان مريحاً أم صعباً- يحمل في طياته من خلال تحقيق، إرشاداً يهدف إلى تعزيز النمو الأخلاقي، والتهذيب الروحي، وراحة البال في كلا العالمين. حالة ذهنية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في حياته على النحو الصحيح.

ولكن بما أن الخضوع لله تعالى غالباً ما يتعارض مع الشهوات الدنيوية، فقد تجاهل الكثيرون دروس التاريخ سورة. وقصص الآخرين. بل أصرّوا على اتباع أنظمة وضعها البشر تخدم طموحاتهم وتُشبع شهواتهم المادية: المؤمنون، الآية 42

"ثم أنشأنا من بعدهم قرناً آخرين"

يُذَكِّرُ الله تعالى الناس جميعاً بأن الحياة الدنيا فانية، وأن عليهم استغلال هذه الدنيا المحدودة بالحسنى في استخدام النعم الموكولة إليهم، كما بينها التوجيه الإلهي. وبذلك، يضمن الإنسان راحة البال في الدنيا والآخرة، ويحقق التوازن في حالته النفسية والجسدية، ويضع كل شيء وكل شخص في مكانه الصحيح. سورة المؤمنون، الآية 43:

«لا تسبق أمة أجلها ولا هم باقين بعده»

،الوقت نعمة لا تُشتري، حتى بالباطل ، وما إن يغيب عن الإنسان حتى يعود .هذه حقيقةٌ مُسلّمٌ بها عالمياً بغض النظر عن العقيدة، إلا أن كثيراً من الناس يُقَصِّرون في تقدير الوقت المُتاح لهم واستغلاله على الوجه الأمثل .من الأفكار الشائعة تأجيل الاستعداد للآخرة إلى "الغد" .لكن مع مرور كل يوم، يُؤجل هذا الغد، وفي كثير من الأحيان لا يأتي أبداً .بالنسبة للبعض، لا يأتي الإدراك إلا في لحظة الموت، حين يكون الأوان قد فات للتحرك .أما من يصل إلى هذا "الغد" في حياته، فقد يبدأ في ارتياد دور العبادة في أواخر عمره، ولكن بعد تكريس الكثير من طاقته للعالم، قد تبقى قلوبهم وألسنتهم مُعلقة بالدنيا .قد تكون أجسادهم حاضرة في المساجد، لكن دواخلهم مُشتتة ومنشغلة .غالباً ما يُكافح هؤلاء الأفراد لتعلم التعاليم الإلهية والعمل بها بسبب العادات والعقليات التي تشكلت على مدى حياة من التركيز على الدنيا .علاوة على ذلك، مع مرور الوقت تزداد المسؤوليات عادةً - كالزواج وتربية الأطفال وإعالة الأسرة .لذا، فإن تأجيل الاستعداد للآخرة حتى يصبح المرء "أكثر توفراً" هو أمر مضلل .لا تدعو الهداية الإلهية الناس إلى ترك الدنيا، بل إلى استغلال وقتهم استغلالاً صحيحاً :أن يأخذوا من الدنيا ما يلزم للوفاء بالمسؤوليات دون إسراف أو هدر، وأن يكرسوا - ما تبقى من جهودهم للتحضير للآخرة الأبدية .وهذا يعني تقليل الوقت الذي يُقضى في المساعي العبثية الأشياء التي لا تعود بالنفع في هذا العالم أو الآخرة - واستثمار الوقت والموارد بدلاً من ذلك في أعمال تعود بالنفع في كلا العالمين .هذا هو الاستخدام الصحيح للوقت .السؤال الذي يبقى هو كم من الناس يمكن أن يقولوا بصدق إنهم يكرسون معظم جهودهم للتحضير للآخرة الأبدية، بدلاً من تجميل حياتهم الدنيوية الفانية دون داعٍ .

لتحفيز الناس على استغلال أوقاتهم الممنوحة لهم في هذه الدنيا، واصل الله تعالى رحمته وهدايته. وعلى مر العصور، أرسل أنبياءه الكرام، عليهم السلام، ليذكروا البشرية بغايتهم الأسمى: اجتياز اختبار الحياة وتحقيق السكينة في الدنيا والآخرة. وتتحقق هذه السكينة بالحفاظ على التوازن في الصحة النفسية والجسدية، وتنظيم كل شيء وكل شخص في الحياة على النحو الصحيح. سورة المؤمنون، الآية 44

"ثم أرسلنا رسلنا تتابعا"

لأن طاعة الله تعالى غالبًا ما تتعارض مع شهوات الناس الدنيوية، فيصرّ كثيرون على معصيته، مُسيئين استخدام نعمه التي أنعم بها عليهم، كما فعلت الأجيال السابقة. سورة المؤمنون، الآية ٤٤

"...كلما جاء أمة رسولها كذبوه "

هذا السلوك يُخلّ بتوازنهم العقلي والجسدي، ويُفقدتهم ترتيب أولوياتهم وعلاقاتهم، ويمنعهم من الاستعداد الكافي للحساب يوم القيامة. وبالتالي، حتى وإن تمتعوا بملذات الدنيا، فإنهم يُعانون من التوتر والمشقة والصعوبات في الدنيا والآخرة. ويغلب على ملذاتهم الأنية اختلال التوازن والندم الدائم، مما يُبرز أن الرضا والتوفيق الحقيقيين ينبعان من استخدام النعم فيما يُرضي الله تعالى. سورة المؤمنون، الآية 44

"فأتبعناهم وجعلناهم أحاديث فبعدا لقوم لا يؤمنون ..."

بشكل عام، من الضروري للإنسان أن يظل منتبهاً في حياته اليومية، وأن يتجنب الانشغال المفرط بشؤونه الدنيوية، لأن الانشغال المفرط قد يؤدي إلى الغفلة عما يجري من حوله والدروس المستفادة مما حدث. إن تنمية هذا الوعي أمر بالغ الأهمية، إذ يقوي الإيمان ويساعد على دوام طاعة الله تعالى، وذلك باستغلال النعم الممنوحة فيما يرضيه، كما هو مبين في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. فعلى سبيل المثال، عندما يصادف المرء مريضاً، لا ينبغي له أن يكتفي بمساعدته بكل الوسائل المتاحة - حتى لو اقتصر الأمر على الدعاء الصادق - بل عليه أيضاً أن يتأمل في صحته. عليه أن يدرك أن الصحة الجيدة مؤقتة، وقد تزول بالمرض أو الشيخوخة أو الموت. ينبغي أن يُلهمه هذا التأمل على شكر النعم التي يتمتع بها حالياً، ويحفزه على استغلال صحته في أمور الدنيا والدين بما يرضي الله تعالى.

وبالمثل، عند رؤية وفاة شخص ثري، لا ينبغي للمرء أن يكتفي بالحزن على المتوفى أو عائلته، بل أن يدرك حتمية فناءه. عليه أن يدرك أنه كما فصل الغني في النهاية عن الثروة والشهرة والعائلة في القبر، فإنه سيواجه القبر وحيداً، لا ترافقه إلا أعماله. هذا الوعي يجب أن يدفعه للاستعداد للأخرة وعيش حياة وفق الهداية الإلهية.

من ينتهج هذا النهج التأملي والمراقب، يقوي إيمانه باستمرار، ويعمق طاعته لله تعالى، ويحسن سلوكه معه، من خلال تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، ومع خلقه. وهذا يؤدي إلى راحة البال في الدنيا والآخرة، ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في حياته على الوجه الصحيح.

ثم يلجأ الله تعالى إلى رواية تاريخية أخرى ليحث الناس على اتباع الصراط المستقيم في حياتهم، فيجذبهم بذلك العواقب الوخيمة التي حلت بمن عصى الله في الماضي. سورة المؤمنون، الآيتان ٤٥-٤٦

"ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا وسلطان مبين إلى فرعون وملئه فاستكبروا وكانوا قوماً يعلون"

لكن بما أن طاعة الله تعالى تتعارض مع رغبات الناس الدنيوية، فإن الكثيرين منهم يرفضونها أو يتجاهلونها يتجاهل الأفراد قواعد السلوك الإسلامية الشاملة ويميلون بدلاً حتى لو ادّعوا الإيمان به. في الواقع، عندما من ذلك إلى الأنظمة التي وضعها الإنسان، فإن الدافع الكامن وراء ذلك غالباً ما يكون إشباع رغباتهم الدنيوية هذه الأطر البديلة، كونها من ابتكار الإنسان، متجذرة بطبيعتها في الرغبات المتغيرة والإشباع الفوري الذي يسعى إليه الناس. لذلك، فإن اختيار الالتزام بها غالباً ما يمثل إعطاء أولوية واعية للشهوات الشخصية العابرة وكثيراً ما يتفاقم هذا الميل بين الأثرياء وأصحاب النفوذ. قد يجد هؤلاء الأفراد. على المبادئ الإلهية الدائمة أنفسهم أكثر انغماساً في الأنظمة غير الإسلامية لأنهم يعتقدون أن اعتناق حقيقة الإسلام يستلزم الالتزام بإطار أخلاقي واضح المعالم. هذا القيد الإلهي، الذي يفرض المساواة والاعتدال، سيمنعهم حتماً من السعي وراء رغباتهم الجامحة والضالة وتراكم السلطة الدنيوية المفرطة. في جوهره، يُغذي إدراكهم أن الخضوع للشريعة الإسلامية سيفرض قيوداً على سلوكهم - لا سيما تعاملاتهم المالية ونفوذهم الاجتماعي وانغماسهم الشخصي مقاومتهم. ونتيجةً لذلك، ولحماية مصالحهم الذاتية ونفوذهم وسلطتهم، غالباً ما يشجع الأقوياء الآخرين - بنشاط على اتباع نهجهم، محافظين بذلك على الوضع الراهن الدنيوي أو الوضع الذي صنعه الإنسان. يُقدّم هذا النمط من السلوك فهماً أعمق للرفض والمعارضة التاريخيين اللذين واجههما الأنبياء عليهم السلام. فمنذ بداية الوحي، كان القادة والنخب الراسخون من أوائل من رفضوا رسالة الهداية الإلهية، خوفاً من إعادة هيكلة المجتمع والقيود الشخصية التي ستفرضها حقيقة الإسلام على تسلسلهم الهرمي وامتيازاتهم القائمة. والأهم من ذلك، أن هذه المقاومة لا تستند غالباً إلى تقييم عقلائي لمدى صحة الإسلام، مدعوماً بأدلة دامغة، بل تنبع أساساً من الدافع الإنساني البسيط، وإن كان عميقاً، لإشباع رغبات المرء وتأمين مكانته الدنيوية، بغض النظر عن التكلفة الروحية. سورة المؤمنون، الآيات 45 إلى 47

أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا وسلطان مبين إلى فرعون وملئه فاستكبروا وكانوا قوماً عتاة، قالوا ثم أنؤمن لرجلين مثلنا وقومهما لنا عبيد.

من اللافت للنظر كيف يمكن للناس أن يتبنوا موقفاً متعجباً تجاه التوجيه الإلهي، مفترضين أن، بشكل عام قواعد سلوكهم هي الأعلى، رغم افتقارهم إلى المعرفة والخبرة اللازمين لتصميم نظام يعالج جميع قضايا الحياة. لا يستطيع أي إنسان أن يضع إطاراً يضمن راحة البال من خلال الموازنة بين الحالتين النفسية والجسدية، ووضع كل شيء وكل شخص في مكانه الصحيح. في الواقع، يلجأ كثير من الناس - بمن فيهم

أولئك الذين يتماهون مع الإيمان - إلى مصادر دنيوية مثل خبراء المساعدة الذاتية وعلماء النفس والمستشارين النفسيين بحثًا عن الراحة من التوتر والقلق والاكتئاب. وبينما قد تكون بعض النصائح التي يتلقونها مفيدة، لا سيما عندما تتوافق مع التعاليم الإلهية، إلا أن معظمها يبقى محدودًا. وذلك لأن المعرفة البشرية مقيدة دائمًا بعوامل لا حصر لها. على سبيل المثال، يقتصر فهم المستشار النفسي على ما يختار مرضاه مشاركته، مما يترك العديد من المشاعر والتجارب غير المعلنة مخفية. ويخضع الباحثون أيضًا لحدود عيناتهم، التي تتأثر بالعمر، والعرق، والانتماء العرقي، والطبقة الاجتماعية، والدين، ومتغيرات أخرى.

علاوة على ذلك، يحمل البشر حتمًا تحيزات لا شعورية تُشكّلها تجاربهم الشخصية. قد يميل المستشار إلى وجهات نظر معينة بسبب علاقاته أو خلفيته. على سبيل المثال، قد يتفهم المستشار الذكوري عقلية الرجال بسهولة أكبر، أو قد يُسقط شخصًا مرّ بزواجٍ عصيب تلك التجارب على مرضاه دون وعي. هذه التحيزات حتمية، فكل شخص يتشكل بماضيه ويتأثر بعقله الباطن.

الوحيد القادر على مساعدة الإنسان على تحسين صحته النفسية بشكل كامل وحقيقي هو من هو منزّه تمامًا عن التحيز، والذي تشمل معرفته كل عاطفة وفكر وسلوك يمكن أن يمر به الإنسان. هو وحده يعلم علاج كل: سورة الملك، الآية ١٤. صراع نفسي، ولا يخطئ أبدًا في التشخيص أو العلاج

"أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ"

لذلك، إذا رغب الإنسان بصدق في علاج صراعاته الداخلية، فعليه أن يلتزم بذلك من الله تعالى، بتعلم القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم والعمل بهما. فباتباع هذا النهج، تُفَيِّده الجوانب النافعة من العلوم الدنيوية الموازية للهداية الإلهية، ولكن كمكمل للمصدر الأسمى للشفاء والسلام، من خلال تحقيق حالة نفسية، وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في حياته على الوجه الصحيح. سورة الأنبياء، الآية 10:

لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون

لأن طاعة الله تعالى غالباً ما تتعارض مع شهوات الدنيا، يُصرّ كثير من الناس على المعصية بإساءة استخدام النعم التي أنعم الله عليهم بها. يؤدي هذا السلوك إلى اختلال التوازن النفسي والجسدي، ويُفقد ترويض أولوياتهم وعلاقاتهم في حياتهم، ويمنعهم من الاستعداد الكافي للحساب يوم القيامة. ونتيجةً لذلك، يُعانون من التوتر والصعوبات والاضطراب في الدنيا والآخرة، حتى وإن تمتعوا ببعض النعيم. باتباعهم هذا النهج، ينتهي بهم الأمر إلى محاكاة غطرسة وضلال من سبقوهم، مُكررين أخطاء الأجيال السابقة التي قصرت في استخدام النعم). سورة المؤمنون، الآية 48)

"فكذبوهم فكانوا من الهالكين"

لحماية البشرية من الوقوع في فخ الشهوات الأنانية الجامحة وما ينتج عنها من انحلال أخلاقي، أنزل الله تعالى الوحي الإلهي باستمرار على مر التاريخ. هذا السيل المتواصل من الهداية، الذي نُقل عبر الأنبياء عليهم السلام، هو الترياق للفساد الكامن في الأنظمة البشرية المحض. بإرسال هذا الوحي، يزود الخالق البشرية بإطار أخلاقي موضوعي يتجاوز الأهواء المتغيرة والمصالح الشخصية لأي عصر أو نخبة، مما يهيئ لها طريقاً ثابتاً نحو الصلاح والتوازن المجتمعي. سورة المؤمنون، الآية 49

ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون

عمومًا، مهما بلغ تقدم أي مجتمع، ومهما اكتسب من معرفة في مختلف المجالات - بما في ذلك دراسة الجسد والعقل البشريين - فلن يتمكن أبدًا من وضع قواعد سلوكية تناسب الطبيعة البشرية تمامًا وقادرة على معالجة جميع الظروف والأوضاع والسيناريوهات المحتملة التي قد يواجهها الأفراد أو المجتمعات. ذلك لأن الفهم البشري محدود دائمًا وفي تطور مستمر. وحتى اليوم، يواصل الناس اكتشاف جوانب جديدة من وجودهم مثل وظائف أجزاء مختلفة من الدماغ. إذا ظلت معرفة أمر جوهري كهذا في الحياة ناقصة، فمن المستحيل على البشرية أن تصمم نظامًا متكاملًا يضمن العدل والتوازن والطمأنينة للأفراد والمجتمعات. الله تعالى وحده قادر على توفير مثل هذه القواعد السلوكية. بصفته خالق كل شيء، فإن علمه مطلق وغير محدود، يشمل الماضي والحاضر والمستقبل في كليته. هو وحده القادر على وضع معيار يميز بوضوح بين الخير والشر والنفع والضرر، ويهدي الناس إلى راحة البال بدلًا من حياة مليئة بالتوتر والارتباك. يؤكد التاريخ نفسه هذه الحقيقة. فكلما طبقت شريعة الله بصدق، أحلت الانسجام والعدل والسلام في المجتمع. واستقر الأفراد، وازدهرت المجتمعات في رخاء أخلاقي وروحي. ولذلك، ينبغي على الإنسان أن يعتنق شريعة الله تعالى مُدركًا أنها أنفع لصحته، حتى وإن تعارضت بعض جوانبها مع رغباته الشخصية. فالحكمة أشبه بمريض يثق بنصيحة طبيب ماهر: حتى لو كان الدواء مُرًا أو كان النظام الغذائي قاسيًا، فإنه يقبلها عالمًا أنها في النهاية، لخيره. وبالمثل، قد تُغيّر الهداية الإلهية ميول المرء، لكن هذا النظام تحديدًا هو ما يُفضي إلى التوازن الداخلي من خلال تحقيق حالة ذهنية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل، ونفس سليمة، ونجاح دائم في الآخرة شيء وكل شخص في حياته على النحو الصحيح.

لم يكتفِ الله تعالى بأن أنزل الوحي الإلهي بهدي البشرية، بل بيّن آياتٍ جليةً في الكون كله، وأظهرها من خلال معجزاتٍ جلية. هذه الظواهر دلائل قاطعة على وحدانيته المطلقة. وهكذا، فإن دليل الخالق، بالنسبة للباحثين عن الحقيقة، لا يكمن في الوحي الإلهي فحسب، بل في التصميم الجلي والظواهر الخارقة للعادة في سورة المؤمنين، الآية 50. الكون نفسه

"وجعلنا ابن مريم وأمه آية "

،إن انتشار المعتقدات الباطلة حول النبي عيسى عليه السلام نشأ من ثلاثة أسباب رئيسية: مولده المعجز والمعجزات التي صنعها، ومعجازه إلى السماء وهو حي

،يؤكد القرآن الكريم على معجزة ولادة النبي عيسى عليه السلام، ويُقدّمها دليلاً على قدرة الله تعالى المطلقة
:سورة آل عمران، الآية 47. لا دليلاً على الألوهية

قالت مريم رضي الله عنها :يا رب أنى يكون لي ولد ولم يمسنني بشر؟ قال :كذلك الله يخلق ما يشاء، وإذا
.قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون

كما خلق الله تعالى النبي عيسى عليه السلام بلا أب، فكذلك خلق النبي آدم عليه السلام بلا أب ولا أم .فعدم
:الأب ليس دليلاً على الألوهية .سورة آل عمران، الآية ٥٩

"إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون"

لذا، فمن غير المنطقي أن يدّعي المسيحيون ألوهية النبي عيسى عليه السلام لكونه بلا أب، بينما لا ينسبون لها
إلى النبي آدم عليه السلام الذي لم يكن له أب ولا أم .فالمنطق، عند تطبيقه على نحو سليم، يدحض اعتقادهم
بوضوح.

معجزات النبي عيسى عليه السلام مؤكدة أيضاً في القرآن الكريم، إلا أن الآيات توضح صراحةً أن هذه
:سورة آل عمران، الآية 49. المعجزات لم تحدث إلا بإذن الله تعالى

واجعل عيسى عليه السلام رسولاً إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تآكلون وما تدخرون في بيوتكم...

لو كان النبي عيسى عليه السلام إلهاً، لما احتاج إلى إذن الله تعالى للقيام بهذه الأفعال. بل إن النصارى أنفسهم يُفَرِّون بأن أنبياء آخرين، مثل النبي موسى عليه السلام، قد صنعوا معجزات أيضاً، لكنهم لا يدعون الألوهية لها. وهذا التناقض يكشف عن ضعف حجّتهم

كذلك فإن صعود النبي عيسى عليه السلام إلى السماء لا يدل على ألوهيته، بل على قدرة الله تعالى الذي رفعه: سورة آل عمران، الآية ٥٥. بأمره

"...إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا"

يُخبر القرآن الكريم المسيحيين أن النبي عيسى عليه السلام لم يُصلب كما يعتقدون، بل إن من شُوهد على سورة النساء، الآيتان ١٥٧-١٥٨. الصليب كان شبيهاً به، مع أن الله تعالى قد رفعه إلى السماء قبل ذلك

وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً ولكن رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً

هذا الاعتقاد بالصلب يتناقض مع ادعائهم بالألوهية. فالموجود الإلهي لا يمكن أن يختبر الموت، لأن الموت يعني التبعية والحدودية، وهما صفتان لا تجتمعان مع الألوهية. علاوة على ذلك، كان كلُّ من النبي عيسى، (سورة المائدة) . عليه السلام وأمه مريم رضي الله عنها يعيشان على الطعام، مما يدل على خلقهما وتبعيتهما (الآية 75).

ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صدوقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يُضلون

،الأكل والاعتماد على القوت ينفيان الاكتفاء الذاتي، وهو صفة أساسية من صفات الألوهية. كذلك الملائكة وإن لم يأكلوا، فهم أيضاً يُرزقون من الله تعالى بطرق أخرى، ولذلك ليسوا من أهل الألوهية. جميع المخلوقات ستموت؛ وهذا وحده كافٍ لدحض أي ادعاء للألوهية

بالإضافة إلى ذلك، يُشبه الطفل البيولوجي الحقيقي والديه إلى حد ما. ومع ذلك، فإن النبي عيسى عليه السلام لا يشترك في أي صفات مع الله تعالى. فقد خُلِقَ وعُيِّنَ وسيُبعث ويُبعث - كسائر البشر. والله تعالى لا يحتاج (سورة الإسراء، الآية ١١١) . إلى ذرية ولا صحبة ولا وارث

"...الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الدنل"

أدخل الرومان الذين اعتنقوا المسيحية الاعتقاد بالألوهية النبي عيسى عليه السلام، مستمدين هذه المفاهيم من تقاليدهم الوثنية السابقة. وبذلك، ربطوا نبياً كريماً مباركاً عليه السلام بأساطير وخرافات مثل زيوس وهرقل

وأودين .ومع ذلك، يكفي قدر ضئيل من العقل للاعتراف بأن الكائن المخلوق، الذي يُعيله غيره، والمعرض للموت، لا يمكن أن يكون إلهيًا، لأن هذه الصفات تتناقض مع جوهر الألوهية

على الرغم من كثرة الأدلة التي تُثبت أن النبي عيسى عليه السلام كان رسول الله تعالى، إلا أن كثيرًا من المسيحيين يتمسكون بمعتقداتهم الباطلة عنه .ومن أهم أسباب هذا الإصرار التقليد الأعمى لأسلافهم .فهذا التقليد يمنع الإنسان من تقييم الحقائق والأدلة، ومن التشكيك في المعتقدات والافتراضات التي ورثها .وهذا الموقف يتناقض مع تعاليم الإسلام والعقل السليم، فالبشر خُلِقوا بعقل وفهم، لا ليتبعوا غيرهم دون تفكير ،ولذلك، يُعد التقليد الأعمى من أهم أسباب الضلال .لذا، يجب على المرء تجنبه، واستخدام العقل بدلًا منه وموازنة المعرفة والأدلة بدقة في كل أمر - سواء كان دنيويًا أو روحيًا - قبل التوصل إلى نتيجة .حتى في الإسلام، يُنهى عن التقليد الأعمى، لأن الله تعالى يريد من الناس اعتناق التعاليم الإلهية وفهمها والعمل بها :من خلال المعرفة والتأمل، لا مجرد تقليد الآخرين دون تفكير .سورة يوسف، الآية 108

"...قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني"

من الأسباب الرئيسية الأخرى لاستمرار كثير من المسيحيين في معتقداتهم الخاطئة عن النبي عيسى عليه السلام، رغم الدلائل الواضحة على كونه رسول الله تعالى، هو رغبتهم في إشباع مطامعهم الدنيوية .فبعض العقائد المسيحية تعد بالخلاص في الدنيا والآخرة لكل من يعتنق المسيحية، بغض النظر عن أفعاله .وهذا المفهوم يسمح للأفراد بالسعي وراء رغباتهم الدنيوية بحرية مع ضمان الخلاص النهائي .ولذلك، يتمسكون بهذه المعتقدات، إذ إن همهم الأول هو إشباع ملذات الدنيا، لا الالتزام بمبادئ أخلاقية سامية تدعو إلى الاستخدام السليم والمسؤول لنعم الله تعالى

علاوة على ذلك، يُعدّ القرآن الكريم مُنقّيًا للكتب السماوية السابقة .فهو يُؤكّد التعاليم الأصلية غير المُحرّفة التي بقيت فيها، ويُصحّح التحريفات والاعتقادات المُفترى عليها من قِبَل علماء مُضللين على مرّ العصور

ومن سُبُل تحقيق ذلك الإشارة إلى أمورٍ مألوفة لدى علماء أهل الكتاب. وبذلك، أكّد القرآن الكريم أنه من عند: سورة المؤمنون، الآية 50. الله تعالى - الذي أنزل كتبهم - مُؤكِّدًا بذلك استمرارية الوحي الإلهي وصحته

"وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآييناهما إلى صعيد ذي جبل ذي ماء جار "

هذه الآية لا تُؤكد فقط الحدث الإعجازي لمريم وابنها عليهما السلام، بل تُنسجم أيضًا مع المعرفة الموجودة أصلاً لدى أهل الكتاب، مُعززةً بذلك صدق القرآن الكريم باعتباره وحياً إلهياً. وفي الوقت نفسه، تُنقي فهمهم بتقديم الرواية الصحيحة، خالية من المبالغة أو التحريف، وتضعها في إطار الهداية الإلهية الأوسع.

يُبيّن الله تعالى دائماً أن شريعته التي أنزلها للبشرية كاملة وشاملة، تُغطي جميع جوانب الحياة - دنيوية كانت أم روحية - وتُرشد إلى حسن استغلال كل نعمة. ولتأكيد ذلك، كثيراً ما يُقرن بين الأمور المادية والدينية: سورة المؤمنون، الآية 51

"...قال الله تعالى: يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً"

هنا، يقترن الأمر بتناول الطيبات الحلال بالأمر بالعمل الصالح، مما يُظهر أن الهداية الإلهية تُنظّم كلاً من الحاجات المادية والواجبات الروحية. لذا، يجب على المرء أن يتجنب الاعتقاد الخاطئ بأن الله تعالى لا يهتم إلا بالفرائض الدينية كالصلاة، مُغفلاً عن أمور الدنيا. والحقيقة أن كل أمر - سواءً كان متعلقاً بالعبادة أو الأهل أو المال أو المعاملات اليومية - سيكون محلاً للمساءلة يوم القيامة. لذلك، يجب على المرء أن يسعى جاهداً لتعلم وتطبيق التعاليم الإلهية في جميع الأحوال، والتأكد من أن سلوكه سليم في كل ظرف. هذا النهج يُحقق الانسجام بين العقل والجسد، ويُمكّن الإنسان من وضع كل شيء وكل شخص في مكانه الصحيح، مع الاستعداد الكافي للمساءلة النهائية. هذا الاتساق يُفضي إلى الطمأنينة في الدنيا والآخرة. في المقابل، فإن

التعامل مع الإسلام كملايس - تلبس عند الحاجة وتُرمى عند تعارضها مع الشهوات - ليس إلا عبادة للهوى.
سورة الفرقان، الآية 43

"...أرأيت من اتخذ إلهه هواه"

من يغفل عن الهداية الإلهية في كل أحواله، سيُسيئ استخدام النعم التي وهبت له حتمًا. هذا الاستخدام الخاطئ يُؤدي إلى اختلال التوازن، وسوء ترتيب الأولويات، وعدم الاستعداد الكافي للآخرة. حتى وإن تمتعوا ببعض الرفاهية الدنيوية، فسواجهمون في النهاية ضغوطًا ومشقات وخسارة في الدنيا والآخرة. (سورة المؤمنون، الآية 51).

"...[قال الله] يا أيها الرسل كلوا من الطيبات حلالات"

ولإبراز عظمة هذا الأمر، يخاطب الله تعالى رسله الكرام، عليهم السلام، مباشرةً، بينما يُخاطب أتباعهم بشكل غير مباشر. ولا تُبرز هذه الطريقة في المخاطبة عظمة الأمر فحسب، بل تُبرز أيضًا أهمية القيادة بالقدوة. فقد أمر الأنبياء الكرام، عليهم السلام، أولاً لتكون حياتهم دلائل حية على الهداية الإلهية. وتعني القيادة بالقدوة تعلم تعاليم الإسلام والعمل بها، بحيث يشهد الآخرون صدق الإيمان قولاً وفعلاً. ولا يُنقل القرآن الكريم وسنة النبي محمد، صلى الله عليه وسلم، إلى الجيل التالي بفعالية إلا بترسيخ هذا المبدأ. ويجب تعليم الشباب اعتناق الإسلام على أساس الأدلة الواضحة والفهم، لا التقليد الأعمى. وهذا ما يضمن ثباتهم على تعاليم الإسلام طوال حياتهم. للأسف، كثيراً ما يُلاحظ أن كثيراً من الآباء يحرصون على تعليم أبنائهم تعليمًا دنيوياً يُفضي إلى النجاح المادي، لكنهم يُهملون مسؤوليتهم في تعليمهم ديناً سليماً. بل يُوكلون هذا الواجب لغيرهم، مع أن من واجبهم تعليم أبنائهم أصول الإسلام مباشرةً. وإن كان تشجيع طلب العلم الدنيوي أمراً محموداً، إلا أنه لا ينبغي أن يكون على حساب التعليم الديني. إن إرسال الأطفال إلى المساجد لمجرد تعلم تلاوة القرآن الكريم دون فهم معانيه لا يكفي. يجب أن يكون الشاب قادراً على قبول الإسلام بالدليل واليقين، لا بالعادات والتقاليد. وإلا، فمع تقدمهم في السن، قد ينظرون إلى الإسلام كهوية ثقافية يمكن التخلي عنها، وليس كمنهج حياة شامل.

عندما يُعتنق الإسلام بالدليل، تتضح حقيقته، ويُفهم كمنهج حياة شامل يُنظم كل موقف، ويُرشد إلى حسن استغلال كل نعمة. ولا يتحقق ذلك إلا عندما يُعلّم الكبار - وخاصة الآباء - أبناءهم دلائل الإسلام ودلالته وهذا بدوره لا يتأتى إلا عندما يكون هؤلاء الشيوخ قدوة حسنة، فيتعلمون تعاليم الإسلام ويعملون بها في سورة المؤمنين، الآية. حياتهم. وهكذا، لا يرث الجيل القادم المعرفة فحسب، بل الإيمان والإخلاص والثبات 51.

"...[قال الله] يا أيها الرسل كلوا من الطيبات حلالاً"

يجب على الإنسان أولاً التأكد من حلال ماله، وتجنب كل ما يُشتبه أو يُحرّم. فالمال المكتسب من غير حلال يُفسد جميع الأعمال، ويُحبط العمل الصالح. وقد بيّن هذا المبدأ حديثاً في صحيح مسلم، رقم 2342. وكما أن أساس الإيمان الباطن هو النية، فإن أساسه الظاهري هو اكتساب المال الحلال والانتفاع به. فإذا كان هذا الأساس سليماً، كان الإنسان حراً في الإنفاق على نفسه وعلى من يعولهم، بشرط ألا يكون ذلك بإسراف أو إفراط أو إسراف.

إلى جانب ذلك، يجب على الشخص أن يسعى لكسب واستهلاك ما هو نقي وصحي. أوصى النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم في حديث موجود في جامع الترمذي، رقم 2380، بأنه يجب على المرء أن يملأ ثلث المعدة طعاماً وثلثاً للشراب وثلثاً للتنفس. ويتحقق هذا التوازن على أفضل وجه بالتوقف قبل الوصول إلى الشبع، مما يسمح أيضاً للشخص بتناول وجبة أخرى إذا دُعي، دون لفت الانتباه إلى أنه قد أكل بالفعل. يؤدي الإفراط في تناول الطعام والاستهلاك غير الصحي إلى العديد من المشاكل العقلية والجسدية، في حين أن النظام الغذائي المتوازن والصحي، كما هو منصوص عليه في الإسلام، يساهم بشكل كبير في تحقيق الانسجام بين العقل والجسم، مما يؤدي بدوره إلى راحة البال. وعلى العكس من ذلك، فإن أولئك الذين يستهلكون ما هو غير قانوني أو ينغمسون في الإفراط سيعانون حتماً من اختلال التوازن، مما يؤدي إلى أمراض جسدية ونفسية.

، علاوة على ذلك، بما أن الله تعالى هو خالق الكون وما فيه، فهو وحده يعلم يقينًا ما ينفع الناس وما يضرهم حتى وإن لم يكن ذلك واضحًا لهم فورًا. فعلى سبيل المثال، لم تُكتشف أضرار الكحول على الجسم والعقل إلا في الآونة الأخيرة من خلال الأبحاث العلمية، ومع ذلك فقد حرمها الله تعالى منذ أكثر من 1400 عام

عمومًا، المحرمات في الإسلام قليلة، وهي فقط ما يغلب ضرره على أي نفع مُتصوّر. قبل تحريم الخمر: البقرة، الآية ٢١٩ والميسر، أوضح الله تعالى هذا المبدأ في سورة

«...يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس»

وهكذا، فإن المحرمات في الإسلام ليست اعتباطية، بل هي مصممة لمصلحة الناس فقط. الله تعالى غني عن الحاجة، فلا ينفعه طاعة الناس، ولا يضره معصيتهم. الأحكام كلها لمصلحة البشرية، وهداياها نحو التوازن والصحة والنجاح النهائي. سورة الممتحنة، الآية 6

"ومن تولى فإن الله هو الغني الحميد"

علاوةً على ذلك، يجب على المرء ألا يتأكد فقط من أن ما يكسبه حلال، بل أن يُنفقه على الوجه الصحيح وفقًا لتوجيهات التعاليم الإسلامية. سورة المؤمنون، الآية 51

"...كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً"

تؤكد هذه الآية على أن الرزق الحلال ينبغي اكتسابه وإنفاقه بالمعروف والنافع، فكلاهما أساسي للنمو الروحي والنزاهة الأخلاقية. عندما يراعي الإنسان هذا التوازن، فإنه ينعم بصحة نفسية وجسدية، ويضع أولوياته في كل شيء وكل شخص في حياته على الوجه الصحيح، ويستعد بفعالية للمحاسبة يوم القيامة. هذا السلوك الواعي يؤدي إلى راحة البال والقلب في الدنيا، وسكينة أبدية في الآخرة.

بالإضافة إلى ذلك، بما أن الآية لم تُحدد أعمالاً صالحة مُحددة، فلا عذر لأحد في إهمالها. فالأمر واسع وشامل يُغطي كل نوع من البر الذي يُمكن القيام به بالنعم المُمنوحة. وسواء أُعطي الشخص نعمًا كثيرة أو قليلة، فإنه لا يزال مسؤولاً عن استخدامها على النحو الصحيح كما هو مُبين في التعاليم الإسلامية. وهكذا، فإن نطاق الأعمال الصالحة لا يقتصر على مجموعة مختارة من الأعمال، بل يمتد إلى كل ظرف يُمكن فيه للشخص استخدام موارده وقدراته وفرصه في طاعة الله تعالى. تضمن هذه الشمولية أن يكون جميع الناس، بغض النظر عن وضعهم، قادرين على العمل بالأمر وسيُحاسِبون على كيفية استخدامهم لما أُوكل إليهم.

ولأن الله تعالى مطلع على نوايا العبد وأقواله وأفعاله، فإنه سيحاسب كل إنسان في الدنيا والآخرة. سورة المؤمنون، الآية ٥١:

"إني بما تعملون عليم..."

سلامته، يجب على الإنسان اعتناق التعاليم الإسلامية والعيش وفقًا لها، حتى لو تعارضت مع لذلك، من أجل رغباته الشخصية. يُشبه هذا مريضًا يتبع نصيحة طبيب ماهر بحكمة. فرغم مرارة الدواء وضيق خطة العلاج، إلا أنه يتحملها، عالمًا أنها تؤدي إلى الشفاء والقوة. وبالمثل، فإن من يقبل التوجيه الإلهي ويطبقه الله تعالى وحده. حتى لو تحدى ميوله، يصل في النهاية إلى التوازن والاستقرار والسلام النفسي والجسدي

هو الذي يملك المعرفة الكاملة بالطبيعة البشرية واحتياجاتها . هو وحده يعلم ما يجلب الانسجام الداخلي وما يؤدي إلى الحيرة والضيق . الفهم البشري، مهما بلغ من التقدم، يبقى ناقصًا ومحدودًا . ورغم كثرة الأبحاث لا يستطيع الناس حل كل مشكلة يواجهونها، ولا يستطيعون التخلص من كل شكل من أشكال الألم النفسي أو الجسدي . وكثيرًا ما تقصر نصائحهم، متأثرة بالتحيز الشخصي، وضيق الأفق، وتقلب الآراء . أما علم الله تعالى، فهو مطلق لا غبار عليه . من رحمته، أنزل مبادئ العافية الحقيقية في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم . توفر هذه التعاليم النظام الكامل الوحيد لتحقيق حياة متوازنة روحياً وعقلياً وجسدياً : تتضح هذه الحقيقة لكل من يلاحظ التباين بين من يستغلون نعمهم وفقاً للهداية الإلهية ومن لا يفعلون ذلك فالأولون يتمتعون بالسكينة والهداية، بينما يعاني الآخرون من اختلال التوازن والاضطراب الداخلي . غالبًا ما يتبع المريض تعليمات الطبيب دون فهم كامل للمنطق الطبي الكامن وراءها . ومع ذلك، فإن الله تعالى لا يطلب من الناس اتباع تعاليمه دون وعي، بل يشجعهم على التأمل والملاحظة والتعقل، حتى يتمكنوا من إدراك الحكمة الكامنة في الهداية الإلهية ورؤية آثارها المفيدة في حياتهم . سورة يوسف، الآية 108

"...قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني"

،سورة النجم . الطمأنينة الحقيقية تأتي من الله تعالى فقط، فهو وحده المتصرف في قلوب العباد، دار الطمأنينة :الآية 43

"وأنه هو الذي أضحك وأبكى"

لذا، فإن السلام الحقيقي والاستقرار الداخلي هما منحة ينعم بها الله تعالى على من أحسن استخدام نعمه وعاش وفقاً لتعاليمه . أما من يسعى للسلام في مكان آخر، فسيظل يبحث عنه دون أن يجده . لذا، يجب على المرء أن يقتدي عملياً بسير الأنبياء عليهم السلام وأتباعهم الصالحين، ليشتركوا في راحة البال التي حققوها في الدنيا من خلال تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في حياتهم ،والآخرة :سورة المؤمنون، الآية 52 . على النحو الصحيح

وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون

يُعَلِّمُ الإسلام أن المستحق الوحيد للطاعة المطلقة غير المشروطة هو الخالق والرزاق، الله تعالى. في الواقع - أيًا كان أو أي شخص يختاره الإنسان ليطيعه ويتخذه قدوةً له في حياته، يصبح في الواقع موضع عبادته حتى لو أنكر الإيمان بأي إله ظاهريًا. وذلك لأن الطاعة تعكس عبودية، وعندما تُوجَّه هذه العبودية لغير الله تعالى، فإنها تُشكِّل عبادة في غير محلها. يميل البشر بطبيعتهم إلى التبعية والخضوع لشيء ما؛ فبعضهم يوجه هذا الخضوع نحو الآخرين، بينما يوجهه آخرون نحو وسائل التواصل الاجتماعي، أو الموضة، أو العادات الثقافية، أو الرغبات الشخصية. سورة الفرقان، الآية 43

"...أرأيت من اتخذ إلهه هواه"

لذا، يجب على المرء أن يضمن أن يكون إعلان إيمانه الشفهي مُثبتًا بالعمل الدؤوب، وذلك بإعطاء الأولوية لأوامر الله تعالى في جميع الأحوال. وتتطلب الطاعة الحقيقية استخدام النعم الممنوحة له بما يتوافق مع رضوان الله تعالى، كما هو منصوص عليه في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة عن النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم. عندما يبني المرء حياته على هذا الأساس، فإنه يحقق التوازن في عقله وجسده، ويضع كل شيء وكل شخص في مكانه الصحيح. وبذلك، فإنه يُعد نفسه للمساءلة النهائية يوم القيامة. وهذا السلوك يحقق الغرض الحقيقي من الإيمان ويؤدي إلى السلام الداخلي في هذه الدنيا والفلاح الأبدي في الآخرة. سورة النحل، الآية 97

"من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون"

في المقابل، من ينكر وحدانية الله تعالى، ويوجه طاعته وإخلاصه نحو أي شيء آخر، سيُسيء استخدام النعم التي وهبت له لا محالة. يؤدي هذا الضلال إلى اختلال التوازن، مما يُعيق سلامته النفسية والجسدية. تُشوّه أولوياته، فينشغل بالدنيا ويهمل ما يستحق اهتمامه حقًا. ونتيجة لذلك، سيواجه يوم القيامة غير مُستعد. يُؤلّد هذا الإهمال القلق والمشقة والشدائد في الدنيا والآخرة، حتى لو تمتع مؤقتًا ببعض الرفاهية الدنيوية. فبدون الرحمة الإلهية والهداية الحقة، لا يمكن لأي قدر من اللذات الزائلة أن يحمي الإنسان من الضيق الداخلي في هذه الحياة أو من الحساب الشديد الذي ينتظره في الآخرة. سورة طه، الآيات ١٢٤-١٢٦

ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد
"كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى

:وسورة المؤمنون، الآية 52

"وأنا ربكم فاحشون "

بما أن الله تعالى هو وحده خالق الحياة والموت ومدبر كل الوجود، فهو وحده المستحق للطاعة حقًا. حتى في الأمور الدنيوية، عندما يقدم شخص ما مساعدة لشخص آخر - مثل المأوى أو المساعدة - يُعتبر مستحقًا للشكر. فكم بالحري، إذن، يستحق الله تعالى الشكر، وقد وهب كل نعمة في الكون للبشرية؟ من العدل واللياقة أن نظهر له الامتنان. يتجلى الامتنان في ثلاث طرق أساسية. أولاً، من خلال النية: يجب أن يؤدي المرء أعماله فقط طلبًا لمرضاة الله تعالى. لن يُكافأ أي عمل يتم القيام به بدوافع أخرى، كما هو موضح في حديث من جامع الترمذي، رقم 3154. ومن علامات النية الصادقة أن الشخص لا يتوقع أي تقدير أو مكافأة من الآخرين. ثانيًا، يتم التعبير عن الامتنان باللسان - من خلال الكلام السليم والصادق والمفيد، مع تجنب الكلمات الباطلة أو الضارة. ثالثًا، يتجلى الشكر بالأعمال، أي باستعمال نعم الله تعالى على الوجه الذي يرضيه، كما بينه القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. فعندما يُقام الشكر بالنية والقول والعمل، فإنه يُزيد

من النعم، ويُعزز السكينة، ويُنمّي استقرار القلب. كما يُمكن الإنسان من تحقيق التوازن في صحته النفسية والجسدية، ووضع كل شيء وكل شخص في مكانه الصحيح في الحياة، مما يُفضي في نهاية المطاف إلى النجاح في الدنيا والآخرة. سورة إبراهيم، الآية 7

لئن شكرتم لأزيدنكم

من الطبيعي والمتعارف عليه أن لمالك الشيء حق التصرف فيه كما يشاء. وكما أن الله تعالى هو الخالق والمالك والرازق لكل ما هو موجود - بما في ذلك كل إنسان - فهو وحده من يملك حق تقرير ما يجري في الخليقة. وعليه، فمن العدل والعقل أن يطيعوا الله تعالى، مُدركين سلطانه المطلق على الكون أجمع، بما في ذلك أنفسهم. وبالمثل، عندما يُقرض شخص ما شيئاً لآخر، فمن حق المُستعير أن يستخدمه وفقاً لتعليمات مالكة. وبالمثل، فإن كل نعمة يمنحها الله تعالى في هذه الدنيا ليست ملكاً دائماً، بل هي قرض يُؤتمن عليه الإنسان. وكأي قرض دنيوي، يجب ردها - لا برد النعمة نفسها، بل باستخدامها فيما يُرضي الله تعالى، كما هو مبين في القرآن الكريم وأحاديث النبي محمد صلى الله عليه وسلم. أما بركات الجنة، فهي ليست قروصاً مؤقتة، بل هي عطايا أبدية. بمجرد منحها، تصبح ملكاً للمؤمن تماماً، بلا حدود، ويمكن التمتع بها دون قيود. هذا التمييز يُذكر الناس بأن نعيم الدنيا أمانة يجب التعامل معها بمسؤولية، بينما جزاء الآخرة الأبدي هو كرم: سورة الأعراف، الآية 43. الله تعالى اللامحدود

"وقيل لهم: تلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون..."

لذا، يجب على الناس ألا يخلطوا بين نعيم الدنيا الزائل - الذي هو أمانة وامتحان - ونعم الجنة الباقية. فالنعيم الدنيوي مؤقت ومؤتمن عليه إلى أجلٍ محدود، بينما ثواب الآخرة باقٍ لا يزول. فهم هذا التمييز يُجنّب التعلق المفرط بالملذات الزائلة، ويهدي القلب إلى طلب نعيم الجنة الباقي، باستعمال نعيم الدنيا الذي أنعم الله به عليه. وفق هدي الإسلام

علاوة على ذلك، يُعدّ الوحي الإلهي ضماناً لكل جانب من جوانب الحياة البشرية. فهو يضمن للإنسان أداء حقوق الله تعالى، فينال بذلك السلام الداخلي من خلال حالة نفسية وجسدية متوازنة، ووضع كل شيء وكل شخص في مكانه الصحيح. وفي الوقت نفسه، يضمن للإنسان أداء حقوق الآخرين، وهو أساس السلام والعدل والوحدة في المجتمع. فعندما يُفقد هذا التوازن، ينشأ الشقاق - غالباً ما يكون مدفوعاً بالسعي وراء القيادة والثروة والنفوذ الاجتماعي. سورة المؤمنون، الآية 53

"ولكن الناس فرقوا أمرهم بينهم شيعا كل حزب بما لديهم فرحون"

تُبرز هذه الآية كيف أن التفرقة في الدين لا تتبع من إخلاص صادق، بل من طموح أناني. قد يُحرّف العلماء الساعون للسلطة التعاليم الإلهية عمداً لتشكيل جماعاتهم الخاصة، وكسب الأتباع والنفوذ. هذا السلوك يُؤدّد العداوة بين أتباعهم الجاهلاء، ويمنعهم من أداء حقوق بعضهم البعض كما أمر الله تعالى. والنتيجة هي الفساد، والظلم وإساءة استخدام النعم. أولئك الذين يتبعون هذا الضلال يعانون من عدم الاستقرار النفسي والبدني ويخطئون في ترتيب أولوياتهم في الحياة، ويهملون الاستعداد للحساب يوم القيامة. حتى لو تمتعوا برفاهية دنيوية مؤقتة، فسيواجهون في النهاية مشقة وخسارة في الدنيا والآخرة.

أما من يُضلّون الناس، فأَيُّ ثروةٍ أو نفوذٍ يكتسبونه سيصبح في النهاية مصدرَ قلقٍ وحزنٍ وعذاب. وقد حدّر النبي الكريم محمدٌ صلى الله عليه وسلم من جهنم في حديثٍ واردٍ في سنن ابن ماجه، رقم 253. كما حدّر من يُضلّ الناس من تبعات أتباعه، كما حدّر في حديثٍ من جامع الترمذي، رقم 2674

لهذا السبب، يجب على الإنسان ألا يتبع الآخرين دون تفكير، حتى في أمور الدين. وقد أُدين التقليد الأعمى، فليس من المفترض أن يتصرف الأفراد كالخراف. بل يجب عليهم استخدام ما وُهب لهم من عقل وفطنة وموازنة نصائح الآخرين بعناية قبل قبولها أو رفضها. في الأمور الدنيوية والدينية، ينبغي أن تستند القرارات إلى المعرفة والدليل. فهذا هو السبيل الوحيد لضمان خيارات سليمة في الحياة. أما في الإسلام، فيجب على

الإنسان أن يسعى جاهداً لتعلم وتطبيق تعاليم القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ليميز بين الصواب والخطأ. سورة يوسف، الآية 108

"...قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني"

لذا، لا ينبغي للإنسان أن يُحرّف التعاليم الإلهية لمصالحه الشخصية، ولا أن يتبع الآخرين دون وعي. بل عليه أن يتعلم ويتدبر ويعمل بالهداية الحقة، متذكراً دائماً محاسناته أمام الله تعالى يوم القيامة. هذا الوعي الدائم من، هو الضمانة ضد الغرور والضلال والانقسام، وهو السبيل الوحيد للسلام الحقيقي في الدنيا والآخرة خلال تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في حياته على الوجه الصحيح.

:سورة المؤمنون، الآية 53

"ولكن الناس فرقوا أمرهم بينهم شيعا كل حزب بما لديهم فرحون"

،ظهرت هذه المشكلة نفسها عندما توقف الناس عن طلب المعرفة والعيش وفقاً للتعاليم الإسلامية بمفردهم ووضعوا بدلاً من ذلك ثقة لا لبس فيها في الشخصيات الروحية التي صورت نفسها كوسطاء بين الناس والله تعالى. سعى العديد من هؤلاء الذين يُطلق عليهم القادة الروحيون إلى تحقيق طموحات دنيوية - مثل الهيبة والثروة والسلطة - تحت عباءة التدين. وللأسف، تبنى البعض في المجتمع الإسلامي أنماطاً مماثلة، حيث بذلوا جهوداً ووقتاً وموارد كبيرة في السعي وراء أفراد يُعتبرون متدينين بشكل استثنائي أو متفوقين روحياً. بدأوا يفترضون أن هؤلاء الشخصيات يتمتعون بقرب خاص من الله تعالى - مثل الكثير من المسؤولين المتميزين في بلاط الملك. في هذا الإطار المضلل، سعى الناس إلى كسب ود هذه الشخصيات من خلال

،الهدايا السخية والتفاني المبالغ فيه وإظهار التبجيل، على أمل أن يتوسطوا نيابة عنهم أمام الله تعالى .وبذلك حوّلوا هؤلاء البشر، دون قصد، إلى مجرد وسطاء بينهم وبين خالقهم، وهو مفهوم يتعارض جوهرياً مع جوهر تعاليم الإسلام .لم يتخذ الأنبياء عليهم السلام وسطاء لمصالح دنيوية، ولم يطلبوا عطايا أو قرابين شخصية مقابل هدايتهم .كانت مهمتهم إنارة درب السلام الداخلي الحقيقي والنجاح في الدنيا والآخرة .دعوا الناس إلى انسجام العقول والأجساد، وحسن التدبير في شؤون الدنيا، والسعي الصادق لمرضاة الله تعالى وبينما يشجع الإسلام على طلب العلم من معلمين أكفاء صالحين، ويأمر بمعاملتهم باحترام، فإنه لا يجيز الاعتقاد بأن علاقة المرء بالله تعالى تتوقف على رضا أو وساطة أي شخص .إن القرب الحقيقي من الله تعالى ينبع من العبادة المباشرة، والإخلاص القلبى، والطاعة الراسخة لهدايته، لا من الخضوع لسلطة بشرية معصومة من الخطأ .الله تعالى وحده هو صاحب العلم والقدرة والملك على الخلق، فلا يحتاج إلى وسطاء أو ممثلين للتواصل مع عباده .ويؤكد القرآن الكريم هذه الحقيقة مراراً، مذكراً كل إنسان بأن له منفذاً مباشراً إلى ربه في جميع أمور الرحمة والمغفرة والهداية .وعندما يستوعب المسلمون هذا المبدأ ويعملون به، فإنهم يحمون أنفسهم من الضلال، ويحافظون على طهارة عبادتهم، ويضمنون إخلاص عبادتهم، القائم على علاقتهم بالله تعالى وحده، غير المفسد بالهيات الدنيوية أو التبجيل في غير محله .على سبيل المثال، سورة البقرة: الآية ١٨٦

"...وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان"

:سورة غافر الآية 60

"وقال ربكم ادعوني أستجب لكم"

:سورة البقرة، الآية 255

"...من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ..."

مع أن الشفاعة ستقع يوم القيامة - بإذن الله تعالى وقضائه - إلا أنه لا ينبغي الاستهزاء بها .إن الاستهزاء بهذه الرحمة العظيمة يُعرّض صاحبه لخطر الحرمان منها تمامًا .غالبًا ما ينبع هذا الشعور من شعور زائف بالأمان :إذ يتجاهل الأفراد استخدام النعم التي أنعم بها الله عليهم وفقًا لأوامره، ويظنون أن الآخرين - كأفراد الأسرة أو الشخصيات الجليلة أو المعلمين الروحيين - سيضمنون خلاصهم .هذا الافتراض خاطئ للغاية ومحفوف بالمخاطر الروحية .الشفاعة ليست استحقاقًا؛ إنها شرف يمنحه الله تعالى لمن يختاره .لا يمكن أن تُغني عن الإهمال المُستمر أو العصيان أو رفض أداء الواجبات .إن الاعتماد على شفاعة الآخرين فقط مع تجاهل المسؤولية الشخصية هو سوء فهم جسيم للعدالة الإلهية والرحمة .في الحقيقة، من يستهين بمفهوم الشفاعة أو يسخر منه يعرض نفسه لعواقب وخيمة .وقد يشهد النبي محمد صلى الله عليه وسلم على هؤلاء .يوم القيامة، مؤكدًا خطورة غفلتهم) .سورة الفرقان، الآية 30)

"وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا "

هذه الآية موجهة تحديدًا للمسلمين، فهم وحدهم من أقرّوا بهدي القرآن الكريم وقبلوه .أما غير المسلمين، فلا يمكن وصفهم بالتخلي عنه لعدم اعتناقهم تعاليمه .ولذلك، فإن أي مسلم يشهد عليه النبي محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة، ستكون عواقبه وخيمة وواضحة

من الضروري أن نفهم أنه حتى عند قبول الشفاعة، فإنها لا تضمن بالضرورة الخلاص التام من الجحيم على الأكثر، قد تخفف من شدة العذاب أو مدته .ومع ذلك، فإن أقصر لحظة في الجحيم تُمثل عذابًا يفوق إدراك البشر .لذا، فإن الاعتماد على الشفاعة مع العيش في إهمال وعصيان هو ضرب من الضلال

إن رجاء الشفاعة الحقيقي لا بد أن يقترن بالسعي الصادق، مستخدمًا بركات الله تعالى، وفقًا لهدى القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. ولا يصبح رجاء الشفاعة حقيقيًا وذا معنى إلا عندما يجمع المرء بين الإيمان والطاعة والتوبة والتواضع. فالشفاعة في نهاية المطاف ليست استحقاقًا، بل رحمة من الله تعالى. إن إدراك هذه الحقيقة يغرس في النفس أملًا راسخًا ومسؤولية جادة، مما يحفز كل إنسان على عيش حياة تليق برحمة الله يوم القيامة.

مع أن كل فرقة إسلامية تُعلن حبها وتبجيلها وولائها للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، إلا أن الحقيقة هي أنه بريء تمامًا ممن يُعرضون عن مصدري الهداية الأصليين: القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. فلا يمكن ادعاء الطاعة الحقيقية له مع التخلي عن مصدري الهداية أو معارضتهما في آن واحد. وقد حذر القرآن الكريم مرارًا وتكرارًا من يُنشئون أو ينضمون إلى فرق تُدخل ممارسات ومعتقدات وعادات غير: سورة المؤمنون، الآية 54. متجذرة في الوحي

"فأتركهم في حيرتهم إلى حين "

توضح هذه الآية أن المُصرِّين على التفرقة والبدع يُتركون في حيرتهم التي فرضوها على أنفسهم، مُستمتعِينَ بحالتهم المؤقتة حتى تنكشف حقيقة ضلالهم. إن الإصرار على هذه المعارضة للهداية الإلهية قد يُفضي في (سورة الفرقان) . النهاية إلى أشد أنواع البراءة :شهادة النبي محمد صلى الله عليه وسلم عليهم يوم القيامة (الآية 30).

"وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا "

، هذه الشهادة موجهة للمسلمين تحديداً، فهم الأمة الوحيدة التي أقرت بالقرآن الكريم واعتنقته. أما غير المسلمين فلم يقبلوه قط، فلا يمكن وصفهم بالتخلي عنه. إن عاقبة أي مسلم يشهد عليه النبي محمد صلى الله عليه وسلم في ذلك اليوم بديهية: الذل والخسران والعقاب.

لتجنب هذا المصير، يجب على الإنسان الامتناع عن إنشاء الطوائف أو الانضمام إليها، وأن يُكرّس نفسه بدلاً من ذلك لفهم والعمل بهما منبَعِي الهداية: القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. كلما التزم المرء بهما، ازداد ولاءه لله تعالى، لا للأفراد أو الجماعات. عندما يكون الولاء في غير محله - سواء لعالم أو قائد أو فصيل - يصبح من المحتم تجاهل التعاليم الإلهية كلما تعارضت مع آراء أو عادات تلك الجماعة. يؤدي هذا الولاء في غير محله إلى إساءة استخدام النعم، مما يؤدي إلى اختلال التوازن في العقل والجسد الشخص في هذه الحالة يُسيء ترتيب أولوياته، ويُسيء استخدام علاقاته، ويفشل في الاستعداد الكافي للمحاسبة يوم القيامة. حتى لو تمتع برفاهية دنيوية مؤقتة، ستُطبع حياته في النهاية بالتوتر والمشقة والخسارة في الدنيا والآخرة.

لذا، فإن السلامة الحقيقية تكمن في التمسك بالراسخ بالقرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. هذا من خلال تحقيق حالة ذهنية وجسدية متوازنة، ووضع كل شيء وكل شخص السبيل وحده يضمن راحة البال مع ضمان الاستعداد للحياة الأبدية. فبالتمسك بهذين المصدرين فقط، يمكن، في حياتهم على الوجه الصحيح للإنسان أن يتجاوز الطائفية، ويتجنب الولاء الأعمى للشخصيات، ويثبت على الصراط المستقيم الذي يؤدي إلى النجاح في الدنيا والآخرة.

لكن من اتخذ موقفاً خاطئاً، وجعل ولاءه للناس أو لجماعة دينية، فلا ينبغي أن ينخدع باعتقاده أن ما يُمنح له من الدنيا علامة محبة إلهية. سورة المؤمنون، الآيتان ٥٥-٥٦

ما نمدّهم به من أموال وأولاد أنعجل لهم في الخيرات بل لا يشعرون أيحسبون

في الواقع، يُنعم الله تعالى على الناس بنعم الدنيا اختبارًا لإيمانهم وسلوكهم وأولوياتهم. من يُؤلّي نفسه للناس أو الجماعات أو التعلقات الدنيوية - بدلاً منه - يُخاطر بالفشل في هذا الاختبار بإساءة استخدام النعم التي وُهِبَتْ له. يُؤدّي هذا الموقف إلى اختلال التوازن في الصحة النفسية والجسدية، ويُشوّه طريقة تعاملهم مع كل شيء وكل شخص في حياتهم. فالأشياء التي يُفترض أن تُجلب لهم الراحة والاكتمال - كالعائلة والأصدقاء والعمل والثروة والمكانة - قد تُصبح مصادر للتوتر والقلق والصراع. عندما يُصرّ الأفراد على معصية الله تعالى، غالبًا ما يُخطئون في تحديد أسباب صعوباتهم، فيلقون باللوم على من هم صالحون حقًا أو يعتمدون على حلول دنيوية مؤقتة. يقطع العلاقات الداعمة أو إهمال المسؤوليات، يُفاقمون معاناتهم، والتي قد تتفاقم إلى مشاكل نفسية خطيرة، بما في ذلك الاكتئاب والإدمان، وحتى أفكار إيذاء النفس. يتجلى هذا النمط لدى من يظنون، رغم توفيقهم أو ثرائهم الدنيوي، قلقين وغير راضين ومضطربين داخليًا. علاوة على ذلك، فإنهم يتركّزهم على شهواتهم الدنيوية وإهمالهم هدي الله تعالى، يفشلون في الاستعداد للحساب النهائي يوم القيامة. وهكذا، فإن إساءة استخدامهم للنعم لا تضرهم في الدنيا فحسب، بل تزيد من وطأة العواقب في الآخرة.

في المقابل، يُظهر أصحاب الموقف القويم - المُتمسكين بولائهم لله تعالى في كل حين - ذلك من خلال التعلم المستمر والالتزام بهدي القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. هؤلاء الأفراد يُنمّون تقوى حقيقية، تتميز بوعي وخوف من عواقب معصية الله تعالى. إنهم يحمون أنفسهم من إساءة وضع ولائهم للأفراد أو الجماعات، مُدركين أن الولاء النهائي يعود فقط إلى خالقهم. من خلال هذا الثبات، ينالون الصفاء الروحي والحماية الإلهية، مما يضمن أن تظل أعمالهم مُسترشدة بالصدق والإخلاص بدلاً من التأثيرات الاجتماعية: أو الدنيوية. سورة المؤمنون، الآية 57

"إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون "

بالمداومة على تعلم التعاليم الإسلامية والعمل بها، يكتسب إيمانًا قويًا. سورة المؤمنون، الآية ٥٨

"والذين هم بآيات ربهم يؤمنون"

الإيمان القوي ضروري، فهو يُرسّخ الإنسان في طاعة الله تعالى في جميع الأحوال، سواءً في السراء والضراء. في المقابل، يضعف إيمان من يجهلون تعاليم الإسلام، فتتأثر أهواؤهم بسهولة. وكثيراً ما يعصي هؤلاء الله تعالى، لأنهم لا يدركون أن الرضا الحقيقي وراحة البال - في الدنيا والآخرة - ينبعان من نبذ الأهواء الشخصية واتباع هدايته. لذلك، لا بدّ من طلب اليقين في الإيمان من خلال معرفة الإسلام والعمل به. هذه العملية تُقوّي القناعة وتُهيئ الإنسان للثبات على طاعة الله تعالى في جميع الأوقات. سورة المؤمنون الآية 59.

"والذين لا يشركون بربهم شيئاً"

من المهم إدراك أن الآلهة الزائفة لا تقتصر على الأصنام الجامدة المصنوعة من الحجر أو الخشب. في الحقيقة، كل ما يطيعه الإنسان في معصية الله تعالى، يصبح في الواقع موضع عبادة. قد يشمل ذلك وسائل التواصل الاجتماعي، والموضة، والاتجاهات الثقافية، والثروة، أو حتى أشخاصاً آخرين. سورة التوبة، الآية 31:

"...اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله"

لم يُعبد علماء ورهبان أهل الكتاب آلهةً حرفياً، بل كانوا يُتبعون ويُطاعون فيما يُخالف أوامر الله تعالى. وحُكم على هذه الطاعة الباطلة بأنها عبادة. وينطبق المبدأ نفسه على الشيطان. سورة يس، الآية 60

أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ

الغالبية العظمى من الناس لا يعبدون الشيطان عمدًا، ومع ذلك يُتهمون بعبادته لأنهم يطيعونه مخالفين الله تعالى. وهذا يدل على أن العبادة لا تقتصر على طقوس العبادة، بل تشمل أيضًا الطاعة والولاء والانقياد لذلك، يجب الحذر من أي تأثير يؤدي إلى معصية الله تعالى. فالاستمرار في هذا السلوك يؤدي حتمًا إلى العبودية لـ "أسياد" متعددين - سواء كانوا أفرادًا أو أصحاب عمل أو توقعات ثقافية أو ضغوطًا اجتماعية. إن محاولة إرضاء هؤلاء الأسياد المتنافسين والظالمين لا تُنتج إلا التوتر والصراع الداخلي، لأن مطالبهم متضاربة ومتغيرة باستمرار. وكما يكافح الموظف الذي يعمل تحت إشراف عدة مشرفين لتلبية توقعات الجميع، فإن من يتخلون عن عبودية الله تعالى سيجدون أنفسهم مثقلين بولاءات متضاربة، مما يُفقدتهم راحة بالهم في نهاية المطاف. ومع مرور الوقت، قد يؤدي هذا الخلل إلى الحزن والعزلة واليأس. كثيرٌ ممن يسعون وراء الشهرة الدنيوية - كالمشاهير - يُصبحون أمثلةً صارخةً على هذا الواقع، إذ غالبًا ما يُسبب لهم سعيهم وراء الشهرة والثروة والقبول مشاكلَ نفسية. ورغم نجاحهم الظاهري، فإنهم غالبًا ما يُعانون من القلق والاكتئاب والفراغ، مُظهرين أن طاعة "أسياد" الدنيا لا تُحقق سلامًا دائمًا. علاوةً على ذلك، فإن طاعة غيرهم في معصية الله تعالى لن تُجدي نفعًا في الآخرة. ولن تُساعدهم تلك الكيانات نفسها - سواء أكانت أشخاصًا أم توجهات أم رغبات - عند حاجتهم إلى الله تعالى. في ذلك اليوم، سيترك كلُّ إنسانٍ وحيدًا مع أعماله، ولن تزيده الولاءات في غير محلها إلا ندمًا.

السبيل الوحيد للاستقرار الحقيقي والوضوح والسلام هو التخلي عن الطاعة المؤدية إلى المعصية، والتفرغ لله تعالى، مستخدمًا نعمه على الوجه الذي شرعه. هذا يضمن التوازن العقلي والبدني، ووضوح الأولويات، والاستعداد ليوم القيامة، مع الحماية من عبث خدمة الأسياد الكاذبين في الدنيا والآخرة. سورة المؤمنون الآية 59.

"والذين لا يشركون ربهم شيئاً"

عندما يتبنى الإنسان الموقف الصحيح، فإنه يظل ثابتاً على طاعة الله تعالى، مستخدماً النعم التي أنعم بها عليه على النحو الذي حددته التعاليم الإسلامية. هذا الموقف يحميه من الكبر - تلك العقلية الخطيرة التي يتصرف بها المرء كما لو أنه يقدم معروفاً لله تعالى بطاعته. في الواقع، فإن الكبر يفسد الإخلاص ويمنع الاستسلام الحقيقي، وخاصة عندما تتعارض الرغبات الشخصية مع الأوامر الإلهية. هذا الشعور الزائف بالتفوق يمكن أن يصرف الشخص بسهولة عن الصراط المستقيم. في المقابل، فإن أولئك الذين يدركون أن الإيمان والطاعة يخدمان في النهاية مصلحتهم الخاصة يزرعون التواضع أمام الله تعالى. إنهم يدركون أن كل عبادة وكل تضحية وكل عمل صالح هو لخلاصهم، وليس لمصلحة الله تعالى، لأنه غني عن كل حاجة. هذا الوعي يحافظ على ثباتهم في تفانيهم في أوقات الشدة والرخاء. إنهم يدركون مسؤوليتهم، مدركين أن مجرد نية خاطئة، أو سورة المؤمنون، الآية 60. كلمة طائشة، أو فعل خاطئ قد يؤدي إلى هلاكهم إن لم يُصحَّح.

والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجة أنهم إلى ربهم راجعون

تُبرز هذه الآية توازن الرجاء والخوف الذي يُحدد الموقف الصحيح. قد يؤدي المرء أفعالاً صالحة ويؤدي فرائضه، لكن قلبه يبقى خائفاً - ليس يأساً، بل تواضعاً وإدراكاً لعظم مسؤولية الوقوف بين يدي ربه. خوفه ليس من ضياع الجهد، بل من تقصيره في الإخلاص أو صفاء النية. لذا، فإن الموقف الصحيح هو التواضع والشكر واليقظة. إنه إدراك أن الطاعة ليست منة لله تعالى، بل هي رحمة وفرصة للعبد. هذا الموقف يضمن من يتبنى هذا الموقف النبيل. التوازن في الحياة، ويقوي المثابرة، ويهيئ الإنسان للحساب الأخير يوم القيامة. يبقى ثابتاً على طاعة الله تعالى، مستخدماً نعمه التي أنعم بها عليه على الوجه الذي حددته التعاليم الإسلامية: سورة المؤمنون، الآية 61. الله تعالى

"...إن الذين يسارعون في الخيرات "

بينما يندفع الكثيرون نحو تحقيق رغباتهم الدنيوية، سواءً أكانت آثمة أم باطلة أم زائلة، يُدرك هؤلاء أن النجاح الحقيقي وراحة البال الدائمة في الدنيا والآخرة لا يتحققان إلا بحسن استغلال النعم، حتى لو تطلب ذلك منهم مقاومة شهواتهم الشخصية. لا ينصب تركيزهم على المكاسب الآنية، بل على المكافآت الأبدية. وهكذا، بينما يتنافس الآخرون على ممتلكات الدنيا كالثروة والمكانة والممتلكات، يتنافسون هم على فعل الخيرات، أعمال: تبقى بعد فناء الدنيا وزوالها في الدنيا والآخرة. يتابع الله تعالى في الآية نفسها. سورة المؤمنون، الآية 61

"وهم فيها سابقون ..."

هذا يعني أنهم لا يكتفون بالأعمال الصالحة، بل يسعون للتفوق، متجاوزين غيرهم في البر والإخلاص والثبات. ليس تنافسهم على التقدير الزائل، بل على القبول الأبدي. ونتيجةً لهذا الموقف، يحققون التوازن في عقولهم وأجسادهم، ويضعون كل شيء وكل شخص في مكانه الصحيح. وتصبح حياتهم منظمة وهادفة ويستعدون استعدادًا كافيًا للحساب يوم القيامة. وهذا السلوك يؤدي بطبيعة الحال إلى الطمأنينة وراحة البال. في الدنيا والآخرة: سكون في الدنيا وفلاح دائم في الآخرة.

:سورة المؤمنون، الآية 61

«أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون»

من أعظم العوائق التي تمنع الإنسان من الإسراع في الخيرات هو الأمل الكاذب بطول العمر. هذا الموقف مذمومٌ للغاية، فهو في حد ذاته العقل الذي يدفع الناس إلى تقديم جمع متاع الدنيا على الاستعداد للآخرة. يكفي تأمل بسيط في روتين الإنسان اليومي لكشف هذه الحقيقة: كم من الساعات الأربع والعشرين المتوسطة تُقضى في مساعي الدنيا، وكم تُكرّس بصدق للآخرة؟ الأمل الكاذب بطول العمر من أشد أسلحة الشيطان فعالية.

عندما يقنع المرء نفسه بأنه سيعيش سنوات طويلة، فإنه يؤجل التوبة والإصلاح والاستعداد للآخرة، ظانًا أن له وقتًا لاحقًا. ومع ذلك، في معظم الحالات، لا يأتي "الآخر" أبدًا، ويدركه الموت قبل أن يكون قد استعد جيدًا. هذا الأمل في غير محله أيضًا يؤخر التوبة الصادقة والسعي لتحسين الأخلاق. إنه يشجع على اكتناز الثروة والممتلكات، حيث يُخدع الناس بالاعتقاد بأنهم سيحتاجون إليها لحياة طويلة على الأرض. يخيفهم الشيطان باحتمال الضعف في الشيخوخة، ويهمس لهم أنه يجب عليهم تأمين مستقبلهم من خلال تخزين الثروة ناسين أن الرب نفسه الذي رزقهم في شبابهم سيرزقهم في شيخوختهم. في الواقع، تم تقدير الرزق لكل نفس قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف عام، كما أكد حديث موجود في صحيح مسلم، رقم 6748 ومن المدهش حقًا أن الشخص قد يكرس أربعين عامًا من حياته للادخار للتقاعد، والذي نادرًا ما يستمر لأكثر من عشرين عامًا، ومع ذلك يفشل في الاستعداد بنفس الجدية للآخرة الأبدية. على الرغم من اعترافهم بالسنتهم بأن الموت يمكن أن يأتي في أي لحظة، يعيش الكثيرون كما لو أنهم لن يموتوا أبدًا. حتى لو وُعدوا بالحياة الأبدية على الأرض، فلن يكونوا قادرين على السعي بجد لجمع الثروات الدنيوية، لأن دورة الليل والنهار تحد بالفعل من قدرتهم. كم من الناس ماتوا قبل الموعد المتوقع، وكم من الناس يأخذون بعين الاعتبار رحيلهم؟

علاوة على ذلك، فإن من أعظم الآلام التي يعانيها الإنسان عند الموت - أو في أي مرحلة من مراحل الآخرة:
الندم على تأخير الاستعداد. سورة المنافقون، الآيتان ١٠-١١ -

وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكون من الصالحين ولن يؤخر الله نفسًا إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون.

لا يُحرّم الإسلام الاستعداد للحاجات الدنيوية، فلا بأس بالادخار للمستقبل القريب، لكن الآخرة يجب أن تبقى هي الأولوية دائمًا. لكن تقديم الدنيا الفانية على الآخرة الخالدة كمثّل من يُنفق وقته وماله على بيتٍ لن يسكنه إلا مؤقتًا، مُهملاً بيته الذي سيعيش فيه للأبد. مثل هذا الشخص يُوصف بالحمق.

لذا، فبينما ينبغي العمل للدنيا والآخرة، يجب أن نتذكر أن الموت محقق، وإن كان زمانه ومكانه وظروفه مجهولة. فالاستعداد له، ولما يليه، يجب أن يكون دائماً مقدماً على الاستعداد لمستقبل دنيوي قد لا يأتي أبداً. العاقل هو من يعتبر كل يوم فرصة جديدة للتقرب من الله تعالى، ولا يسمح أبداً لوهم الآمال الطويلة أن يسلبه توفيقه الأبدي. يتحقق ذلك عندما يُحسن المرء استخدام النعم التي وُهِبَتْ له كما هو مبين في التعاليم الإسلامية من خلال تحقيق حالة ذهنية وجسدية متوازنة، ومن وهذا بدوره يؤدي إلى راحة البال في الدنيا والآخرة. خلال وضع كل شيء وكل شخص في حياته على النحو الصحيح.

سورة المؤمنون، الآية 61

«أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون»

.علاوة على ذلك، وبما أن الأعمال الصالحة المذكورة في هذه الآية قد خُددت، فلا عذر لأحدٍ في استغلالها. يكفي أن يُحسن المرء استغلال النعم التي وُهِبَتْ له كما وردت في التعاليم الإسلامية، سواءً أكانت دنيوية أم الناس قد تبنوا عقلية ضعيفة مُحبطة تمنعهم من التحسن والتقدم نحو الصلاح. فكثيراً ما لا. للأسف، كثيرٌ من يُقارنون أحوالهم بأحوال من يبدو أنهم يعيشون حياةً أيسر، مُتخذين ذلك ذريعةً لإهمال واجباتهم تجاه الله تعالى. فبدلاً من السعي لتنفيذ أوامره واجتناب نواهيه ومواجهة القدر بالصبر - كما ورد في تعاليم النبي محمد صلى الله عليه وسلم - يُبررون تقصيرهم بهذه المقارنة. فعلى سبيل المثال، قد يبرر العامل بدوام كامل تقصيره في طاعة الله تعالى بمقارنة نفسه بمن هو أخف عليه، مُدعيًا أن الأخير لديه وقتٌ أطول للعبادة أو العمل الصالح. كذلك، قد يمتنع ذو الإمكانات المالية المحدودة عن التصديق، مُعتقداً أن الأغنياء فقط هم من يستطيعون الكرم. قد تُريح هذه الأعذار النفس مؤقتاً، لكنها لا تُفيد لا في الدنيا ولا في الآخرة.

الله تعالى لا ينتظر من الناس أن يعملوا وفق إمكانيات غيرهم، بل ينتظر منهم أن يعملوا بإخلاص وطاعةً وفقاً لإمكاناتهم وقدراتهم. فالشخص الذي يعمل ساعات طويلة يستطيع أن يُخصّص ما لديه من وقت فراغ لأعمال الخير، حتى لو كان ذلك الوقت أقل من وقت غيره. وبالمثل، يستطيع ذو المال المحدود أن يتصدق

بما يتناسب مع ما يملك، حتى لو كان أقل بكثير مما يتصدق به الغني. المهم هو الإخلاص والاجتهاد في حدود استطاعته، لا المقارنة أو اختلاق الأعذار.

لذا، يجب على الناس التخلي عن هذه الأعذار الواهية، والتركيز على أداء واجباتهم تجاه الله تعالى، وفقاً لإمكاناتهم. ولأن الله تعالى لا يُحمّل أحداً مسؤولية أو واجباً لا يطيقه، فلا عذر لأحدٍ إذا قصر في طاعة الله تعالى في كل حال بحسن استغلال نعمه. سورة المؤمنون، الآية 62

"ولا نكلف نفساً إلا وسعها"

لذلك، لا يبقى للناس أي عذر مقبول إن قصروا في طاعة الله تعالى بإخلاص. ويصبح ادعاء "بذل قصارى جهد المرء" بلا معنى عندما يتضح عدم بذل أي جهد حقيقي. فلو كان المرء يسعى بإخلاص، لأدى الواجبات الموكلة إليه حتماً، فإن الله تعالى لا يُكلف نفساً فوق طاقتها. وما ينقص غالباً ليس القدرة، بل حسن الخلق والعزيمة. لذا، يجب على المرء أن يتخلى عن عقلية الكسل والرضا، وأن يتبنى بدلاً من ذلك حسن التصرف بالمسؤولية والإخلاص والتواضع. ويجب أن يدرك أنه سيُحاسَب في الدنيا والآخرة، وأن الأعذار لا تُقبل يوم القيامة. فكل عمل، صغيراً كان أم كبيراً، سيُكتب بدقة متناهية، لا مجال للإنكار أو التبرير. سورة المؤمنون الآية 62.

"وعندنا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون"

هذه الآية تذكير قوي بأن سجل الأعمال نزيه لا تشوبه شائبة. إنها تتحدث بصدق، أي أنها تعكس الواقع كما حدث تماماً - دون مبالغة أو نقص أو خطأ. لن يُظلم أحدٌ، لأن كل عمل سيُوزن بالعدل الكامل. لذا، فإن سبيل السلامة يكمن في إخلاص الجهد. يجب على المرء أن يجتهد بأقصى ما يستطيع، لا بالقول فقط، بل بالعمل.

الدُّوب .يجبُ أن يتذكَّر أنَّ الأعذارَ والتسويفَ والمحاولاتِ الضعيفةَ لن تُجدي نفعًا عندَ الوقوفِ بينَ يدي
،سورة النجم .ربِّه .بل المهمُّ هو ما إذا كان قد عاشَ بموقفٍ صحيحٍ :موقفِ الطاعةِ والتواضعِ والمساءلةِ
:الآية 39

"وأن ليس للإنسان إلا ما سعى"

لما كانت طاعة الله تعالى وواقع المحاسبة على الأعمال تتعارض مع شهوات الدنيا وأطماعها، اختار كثير
من الناس التماذي في المعصية .فأساءوا استخدام النعم التي وهبها لهم، ساعيين وراء ملذات زائلة، مهملين
،مسؤولياتهم الأبدية .والنتيجة الحتمية لهذا السلوك هي اختلال التوازن :إذ تتقلب حالتهم النفسية والجسدية
،وتضيع أولوياتهم، ويفشلون في الاستعداد الكافي للحساب يوم القيامة .وحتى لو تمتعوا برفاهية دنيوية مؤقتة
:فإن حياتهم مليئة بالتوتر والحيرة والصعوبة في الدنيا والآخرة .سورة المؤمنون، الآية 63

"...ولكن قلوبهم في حيرة من هذا"

:وتستمر الآية في توضيح سبب هذا الالتباس .سورة المؤمنون، الآية 63

"ولهم أعمالٌ غير ما كانوا يعملون..."

هذا يدل على أن قلوبهم مشتتة ومنشغلة بشؤون الدنيا، مما يحرمهم من التركيز على الأعمال المهمة حقًا. ينبع هذا السلوك الغريب والمتناقض من استغراقهم في رغبات تُغيم على حكمهم. فعندما يُستعبد المرء لشهواته، الدنيوية، يفقد السيطرة على أفعاله. فبدلاً من التصرف بعقلانية وبصيرة، يندفع فقط بدافع إشباع تلك الرغبات بغض النظر عن العواقب. تُشبه هذه الحالة حالة مدمن المخدرات، الذي يُجبره إدمانه على سلوك مُدمر. قد يرتكب مثل هذا الشخص جرائم، كالسرقة، غافلاً عن الأذى الذي يلحقه بنفسه وبالآخرين، لأن حكمه قد غُمس تماماً. وبالمثل، يُمكن أن يُصبح التعلق المفرط بالثروة أو المكانة أو غيرها من المساعي الدنيوية إدماناً يُسيطر على سلوك الشخص. فعندما تشتد الرغبات دون رادع، فإنها تستعبد القلب وتُملِي على المرء أفعاله، مما يؤدي إلى الفساد الأخلاقي والظلم وإيذاء الجسد والعقل. الحل يكمن في تعلم إدارة الشهوات والسعي وراء الحلال فقط، بتوازن وضبط. الإسلام لا يدعو إلى القضاء على الشهوات الفطرية، بل إلى ضبطها في حدود الله تعالى. وبذلك بقي الإنسان نفسه من عواقب الإفراط المدمرة، ويحفظ صحته النفسية والجسدية ويصون آخرته. باختصار، القلب المُستعبد لشهوات الدنيا يبقى في حيرة، بينما القلب المُستسلم لله تعالى يجد من خلال تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، ومن خلال حسن توزيع كل شيء، الصفاء والتوازن والسكينة. وكل شخص في حياته.

إذا لم يتخلص المرء من إدمانه على شهوات الدنيا، فإنه سيستمر في معصية الله تعالى. في هذه الدنيا، سيمنعه سلوكه من تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، وسيؤدي به إلى إضاعة كل شيء وكل شخص في حياته ونتيجة لذلك، سيصبح كل شيء في حياته، مثل عائلته وأصدقائه وعمله وثروته، مصدر توتر له. إذا استمر في معصية الله تعالى، فسيلوم الأشياء والأشخاص غير المناسبين في حياته، مثل شريك حياته، على توتره عندما يقطع هؤلاء الأشخاص الطيبين من حياته، سيزيد ذلك من اضطراباته النفسية حتى يغرق في الاكتئاب وإدمان المخدرات وحتى الميول الانتحارية. تتجلى هذه النتيجة جليّةً عند رؤية من يُصرّون على إساءة استخدام النعم التي وهبت لهم، كالأغنياء والمشاهير، حتى لو كانوا يتمتعون برفاهية الدنيا. وكما منعهم سلوكهم من الاستعداد للحساب يوم القيامة، فإن عقابهم في الآخرة سيكون أشد بكثير. سورة المؤمنون، الآيات 64 إلى 65:

حتى إذا أخذنا أغنياءهم بالعذاب إذا هم يستغيثون فلا تستغيثوا اليوم إنكم منا لا تنصرون

كثيراً ما يُنتقد الميسورون في التعاليم الإسلامية لكونهم أكثر ميلاً لرفض الهداية الإلهية. فحصلهم على الثروة والرفاه غالباً ما يُعزز تعلقهم بالشهوات الدنيوية، مما يجعلهم يقاومون الانضباط وضبط النفس اللذين يفرضهما الإسلام. علاوة على ذلك، ولأن الإسلام يتحدى النفوذ والسلطة الجائرة، فقد كان الأثرياء والأقوياء تاريخياً أكثر عدوانية في معارضته، خوفاً من فقدان هيمنتهم الاجتماعية. سورة المؤمنون، الآيتان 66-67

تُتلى عليكم، فكنتم على أعقابكم منقلبين، مستكبرين عنها، عابسين في الليل، ناطقين بالسوء آياتي

على النقيض من ذلك، فإن من تقلّ لديهم ممتلكات الدنيا يكونون أقلّ انشغالاً بالملذات المادية، ويكونون عمومًا أكثر تقبلاً للهداية الإلهية، إذ لا تُثقل قلوبهم شهوات الدنيا بنفس القدر. ولذلك، فإنّ من أنجع السبل لتجنّب هيمنة الشهوات الدنيوية اتباع حياة بسيطة. وقد أكّد النبيّ الكريم محمد صلى الله عليه وسلم على هذا المبدأ في حديثٍ ورد في سنن ابن ماجه، رقم 4118، حيث أشار إلى أنّ البساطة من الإيمان

لا يدعو الإسلام الناس إلى التخلي عن كل مال أو شهوات مشروعة، بل يُعلّمهم الاعتدال والتوازن: أن يعيشوا حياة بسيطة في جميع جوانب الحياة - المأكل والملبس والسكن والتجارة - حتى يتوفر لديهم الوقت والطاقة والوضوح للاستعداد للآخرة على النحو المناسب. يتضمن هذا الاستعداد تنفيذ أوامر الله تعالى، والامتناع عن نواهيهِ، ومواجهة القدر بالصبر، عملاً بسنة النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم. الحياة البسيطة تعني، السعي لتلبية احتياجات الفرد وحاجات من يعيلهم دون إفراط أو تبذير أو إسراف. كلما اعتنق المرء البساطة سهل عليه استخدام النعم بما يرضي الله تعالى. هذا النمط من الحياة يؤدي إلى السلام والتوازن والنجاح في من خلال تحقيق حالة ذهنية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في، الدنيا والآخرة. سورة النحل، الآية 97. حياتهم على النحو الصحيح

"من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون"

الحياة البسيطة تُخفف التوتر والقلق، فقلة التعلق بالدنيا تعني قلة المشتتات والهموم. وهذا يُتيح للإنسان التركيز أكثر على الآخرة، فينال راحة البال والجسد والروح. على العكس، كلما ازدادت حياة الإنسان تعقيدًا وانغماسًا، ازداد التوتر والصعوبة التي يواجهها، وقلّت قدرته على السعي نحو الآخرة. انشغالات الدنيا لا تنتهي، والسعي وراءها دون رادع يمنع السكينة الحقيقية. البساطة لا تجلب اليسر في الدنيا فحسب، بل تضمن أيضًا حسابًا سهلًا يوم القيامة. أما حياة الانغماس في الملذات فتؤدي إلى حياة مرهقة وحساب قاسٍ وصعب في الآخرة. وقد أشار النبي محمد صلى الله عليه وسلم إلى ذلك في حديث صحيح البخاري، رقم 103، الذي يُعلم أن كلما اشتد الحساب، زاد احتمال العقاب.

في جوهرها، البساطة ليست حرمانًا، بل تحرر. فهي تُحرر القلب من أعباء لا داعي لها، وتُمكن المرء من استخدام النعم بمسؤولية، وتضمن تركيزًا على ما هو مهم حقًا: السلام في هذا العالم والاستعداد للحياة الأبدية القادمة.

:سورة المؤمنون، الآيات 66 إلى 67

تُتلى عليكم، فكنتم على أعقابكم منقلبين، مستكبرين عنها، عابسين في الليل، ناطقين بالسوء آياتي

عندما يختار المرء سلوك درب الإيمان والطاعة لله تعالى، بدلًا من اتباع عادات الأغلبية السائدة، غالبًا ما يُفلق هذا الاختيار من حوله. ويكون هذا القرار بمثابة مرآة ساطعة، تعكس قصور مساعي الآخرين، لا سيما عندما تكون هذه المساعي مدفوعة بالشهوات أو الكبرياء أو الطموح الدنيوي بدلًا من الهداية الإلهية. ونتيجةً لذلك، كثيرًا ما يواجه الثبات على الحق انتقادًا أو سخريةً أو حتى غربةً، أحيانًا من أقرب أقرانهم وأصدقائهم. وهذا ما كان عليه حال الصالحين عبر التاريخ: نراهم تكشف تقصير من حولهم

- خارج حدود العلاقات الشخصية، يشدد ضغط التوافق على نطاق مجتمعي . غالبًا ما تُجدد الثقافة الحديثة التي تُغذيها المادية ووسائل التواصل الاجتماعي والترفيه والاستهلاك - الترف والرفاهية وإشباع الذات . في بيئة كهذه، يُصور الالتزام بالمبادئ الإلهية على أنه عتيق، أو مُقيّد، أو حتى رجعي . إن رسالة الإسلام التي تدعو إلى الاعتدال والتواضع والانضباط الأخلاقي، تُشكّل تحديًا مباشرًا للأنظمة القائمة على الإفراط والشهوة والربح . لذلك، ليس من المُستغرب أن يرى المُستفيدون من الترف المُفرط في القيم الإسلامية عائقًا أمام نفوذهم . وهذا يؤدي إلى انتشار مشاعر معادية للإسلام خفيةً وعلنيةً، تُعبّر عنها صورٌ مُشوّهة، وروايات مُتحيزة، ونقدٌ انتقائي

غالبًا ما يُوصف من يسعون بصدق للعيش وفقًا للتعاليم الإلهية - التي تُعلي من شأن ضبط النفس والشكر والتوازن - بأنهم ضيقو الأفق أو متطرفون من قِبل من يساوون بين الحرية والتساهل . لكن في الحقيقة، هم من يُستعبدون لشهواتهم، بينما يختبر الشخص المنضبط حرية داخلية بالسيطرة عليها . لذا، غالبًا ما ينبع نقد الإسلام ليس من التفكير الموضوعي، بل من شعور داخلي بعدم الارتياح للمساءلة الأخلاقية . يرى من يرغبون في البقاء بلا قيود في سلوكهم أن الشريعة الإلهية تُشكل تهديدًا لاستقلاليتهم المفترضة . ويتجلى هذا بشكل خاص في كيفية التعامل مع الاحتشام الإسلامي، وخاصةً في ملابس النساء . يُسارع النقاد إلى وصف اللباس المحتشم بأنه قمعي أو عتيق، متجاهلين أن كل مؤسسة تقريبًا - عسكرية، أو طبية، أو إدارية، أو قضائية - تُطبق قواعد لباس صارمة دون أي جدل . يكشف تناقض هذه الحجج أن الاعتراض الحقيقي ليس على الاحتشام نفسه، بل على إصرار الإسلام على الضبط الأخلاقي وغايته . إن المجتمع المبني على التحفيز المستمر والحرية المطلقة يقاوم بطبيعته قواعد الحياة التي تدعو إلى التواضع والتأمل وضبط النفس . وفي نهاية المطاف، تنبع معارضة الإسلام من عدم الارتياح لمبادئه في الاعتدال والمساءلة والخضوع للخالق . فهذه القيم تُواجه الأنا وتتحدى وهم الاستقلال المطلق . ويحاول من تُفلقهم هذه الحقائق تقويضها بكل الطرق الممكنة - من خلال السخرية والتحريف والنقد الانتقائي - لكن اعتراضاتهم تفتقر إلى الصدق والموضوعية . سورة المؤمنون، الآيتان 66-67

تُتلى عليكم، فكنتم على أعقابكم منقلبين، مستكبرين عنها، عابسين في الليل، ناطقين بالسوء آياتي

ورغم هذه المعارضة، فإن الصامدين على إيمانهم يجدون عزّة عند الله تعالى، وسكينةً في قلوبهم، لأن ثباتهم يُقرّبهم من الحق الخالد الذي لا يُقهر. سورة المؤمنون، الآية 68

«أفلم يتدبروا القرآن»

مهما بلغ مجتمع من تقدم، ومهما تراكم من معرفة في مختلف المجالات - بما فيها تلك المتعلقة بالأبعاد العقلية والجسدية للبشر - سيظلّ دومًا فوق طاقته على وضع قواعد سلوكية كاملة لا تشوبها شائبة، تتوافق تمامًا مع الطبيعة البشرية، وتستوعب كل موقف وحالة وظرف قد يواجهه الأفراد أو المجتمعات طوال وجودهم على الأرض. هذا المسعى مستحيلٌ أساسًا. حتى اليوم، ومع كل التقدم الذي أحرزته البشرية، لا تزال تظهر اكتشافات جديدة حول آليات عمل الجسم والعقل البشريين، مثل الوظائف المعقدة للدماغ. إذا لم يفهم الناس بعدُ تركيبهم الجسدي والنفسي تمامًا، فكيف لهم إذاً أن يأملوا في إنشاء إطار أخلاقي واجتماعي قادر على ضمان السلام الدائم والعدالة والتوازن؟ الله تعالى وحده يملك القدرة والمعرفة لإنجاز هذه المهمة. بصفته خالق كل شيء، فإن علمه يشمل كل جانب من جوانب الخلق - الماضي والحاضر والمستقبل - دون حدود أو خطأ. هو وحده يعلم ما ينفع خلقه ويضرهم في كل أحوالهم. ولذلك، فهو وحده المؤهل لتزويد البشرية بمنهج شامل لا تشوبه شائبة: منهج يُميز بوضوح بين الخير والشر، والنفع والضرر، والعدل والظلم؛ منهج يُهدي الأفراد والمجتمعات إلى الطمأنينة بدلًا من التوتر والفوضى. والتاريخ يشهد على هذه الحقيقة. فكلما طبّق هذا المنهج الإلهي بصدق في حياة الأفراد والمجتمعات، كانت النتائج انسجامًا واستقرارًا وعدلاً وازدهرت المجتمعات القائمة على الهداية الإلهية ليس فقط في التقدم المادي، بل في التهذيب الأخلاقي والسكينة الداخلية. أما عندما انحرفت البشرية عن هذا المنهج الإلهي واستبدلته بأنظمة من صنع البشر، فكانت النتيجة اضطرابًا وفسادًا واضطرابًا مستمرًا. لذا، يجب على العاقل أن يدرك أن المنهج الإلهي الذي أنزله الله تعالى ليس قيدًا على الحرية، بل هو ضمان للنفس، يضمن سلامتها وتوازنها. حتى لو تعارضت بعض التعاليم مع رغبات المرء الشخصية، فهي في الحقيقة رحمة، كالدواء المر الذي يصفه الطبيب الرحيم. فالمريض الذي يثق بطبيبه يتناول الدواء ويتبع النظام الموصوف، عالمًا بأن الانزعاج المؤقت سيؤدي إلى صحة دائمة وبالمثل، فإن من يقبل إرشاد الله تعالى ويعمل به، سيجد النعيم الأبدي في الدنيا والآخرة - حياة يسودها السلام والنظام والوضوح في الدنيا، ورضا أبدي في الآخرة. سورة المؤمنون، الآية 68

«أفلم يتدبروا القرآن»

يُعدّ القرآن الكريم أبلغَ وحيٍّ أنزلَ على البشرية، لا مثيل له بلغته معصومة، وبنيتة معجزة، ومعانيه واضحةٌ وحكمةٌ تامة. لا يُضاهيه في بلاغته وعمقه واتساقه أيُّ كتابٍ آخر. إنه خالٍ تمامًا من التناقضات، وهي ميزةٌ تُميّزه عن جميع الكتب المقدسة الأخرى والأعمال البشرية. يروي القرآن الكريم تاريخ الأمم السابقة بدقةٍ وفهمٍ مُلفتين، مع أن النبي محمدًا صلى الله عليه وسلم لم يتلقَ تعليمًا رسميًا في التاريخ أو الأدب. هذه الروايات ليست مجرد قصص، بل دروسٌ خالدة، صُمّمت لإيقاظ التدبّر وإرشاد الناس إلى الصلاح والإصلاح. كلُّ أمرٍ في القرآن الكريم يأمر بالمعروف، وكلُّ نهْيٍ يحمي من المفسد، مُعالجًا شؤون الفرد والجماعة على حدٍّ سواء. من خلال هدايته الشاملة، يُرسي القرآن الكريم أسس العدل والوئام والسلام في القلوب والبيوت والمجتمعات. بخلاف الشعر البشري والأساطير والخرافات التي تعتمد على المبالغة والزيف، فإن القرآن الكريم خالٍ تمامًا من الخطأ والتلفيق. لكل آية من آياته غرض عميق وقيمة عملية. حتى عندما تُذكر الحادثة نفسها مرارًا وتكرارًا، يُبرز القرآن الكريم دروسًا ووجهات نظر مميزة، مما يُعمق فهم المرء وتقديره مع كل تلاوة. إنه كتاب لا ينفك يُلهم - مهما تكررت قراءته أو سماعه، تبقى معانيه حاضرة دائمًا، لا تُمل. ينقل القرآن الكريم وعودًا وتحذيرات مدعومة بأدلة واضحة لا تُنكر. عندما يتحدث عن فضائل مجردة كالصبر والشكر والتواضع، فإنه يُقدم على الفور طرقًا بسيطة وعملية للناس لتطبيقها في حياتهم اليومية. تدعو رسالته المركزية الناس إلى تحقيق الهدف الحقيقي من خلقهم: طاعة الله تعالى بإخلاص، باستخدام النعم التي وهبها لهم بما يرضيه. وبذلك، ينالون راحة البال الحقيقية والنجاح في الدنيا والآخرة، بتحقيق التوازن في حالتهم النفسية والجسدية، ووضع كل شيء في حياتهم على الوجه الصحيح، والاستعداد للمحاسبة يوم القيامة. يُبين القرآن الكريم الصراط المستقيم - الطريق المؤدي إلى السلام والصلاح والنجاح الأبدي - جليًا وجذابًا لكل من يسعى بصدق إلى الحقيقة. ولأنه يُخاطب فطرة الإنسان، فإن هدايته تتجاوز الزمان والمكان، وتظل صالحة لكل فرد ومجتمع وجيل. وعندما يُفهم القرآن الكريم ويُعمل به فهمًا صحيحًا، فإنه يُصبح شفاءً لكل شكل من أشكال الضيق - الروحي والعاطفي والاجتماعي والاقتصادي. فهو يُقدم حلولًا شاملة لكل مشكلة قد يواجهها فرد أو مجتمع، إذ يُحدد الأسباب الجذرية للفساد والاختلال، ويُقدم علاجات عملية تُعيد العدل والوئام والرضا. ويشهد التاريخ نفسه على هذه الحقيقة. فكلما طبقت الشعوب أو المجتمعات تعاليم القرآن الكريم بإخلاص وفهم، ساد السلام والرخاء والقوة المعنوية. لقد مرّت قرون، ولم يتغيّر حرفٌ واحدٌ من القرآن الكريم، تحقيقًا أبدئيًا للوعد الإلهي الذي قطعه الله تعالى. لم يُحفظ أي كتابٍ آخر في التاريخ بمثل هذا الكمال: سورة الحجر، الآية 9

"إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ"

علاوة على ذلك، عالج الله تعالى المشكلات الجذرية في المجتمعات البشرية، ووفر سبل إصلاحها. وبإصلاح المشكلات الجذرية، تُحل تلقائيًا مشكلات ثانوية لا حصر لها. وهكذا، يُمثل القرآن الكريم دليلاً شاملاً للنجاح في الدنيا والآخرة. سورة النحل، الآية 89

"...ونزلنا إليك الكتاب تبياناً لكل شيء..."

وهكذا، فإن القرآن الكريم هو أعظم وأبقى معجزة أنزلها الله تعالى على خاتم أنبيائه محمد صلى الله عليه وسلم. إلا أن نوره الإلهي لا يناله إلا من بحث عنه بصدق وعمل به. أما من انتقي منه أو سمح لأهوائه أن تُملي عليه فهمه، فلن يجد إلا الخسران والندم، في الدنيا والآخرة. سورة الإسراء، الآية 82)

وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً

ثم يذكر الله تعالى سبباً رئيسياً من أسباب الضلال: التقليد الأعمى للرأي السائد في المجتمع، الذي تسيطر عليه طبقة النخبة التي لا هم لها سوى تحقيق رغباتها وأمانيتها الدنيوية. سورة المؤمنون، الآية 68

أم جاءهم ما لم يأت آباءهم القرآن

يجب عدم الوقوع في فخ التقليد الأعمى، فسلوك الأغلبية غالبًا ما يكون طريقًا بعيدًا عن طاعة الله تعالى ،عندما يرى الناس أن معظم المجتمع يتجاهل أو يتجاهل التوجيه الإلهي، قد يفترضون أن الأغلبية على حق فيقلدونهم دون تفكير. لكن الحقيقة هي أن الأغلبية ليست دائمًا على الحق. التاريخ نفسه يُظهر ذلك: أفكار لا تُحصى قبلتها الجماهير، ثم ثبت خطئها مع تقدم المعرفة - على سبيل المثال، الاعتقاد السائد، وإن كان خاطئًا بأن الأرض مسطحة. لهذا السبب، يُحذر الإسلام من التقليد الجاهل. إن اتباع الحشد دون تفكير هو سلوك كالقطيع، تُساق بلا هدف أو فهم. غالبًا ما يؤدي هذا التقليد الأعمى إلى خيارات مضللة، سواء في أمور الدنيا. سورة الأنعام، الآية 116. أو في أمور الإيمان.

وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يظنون

توضح هذه الآية أن الأغلبية غالبًا ما تتصرف بناءً على الظنون والأهواء والتخمينات بدلاً من الحق. إن اتباعهم دون تمحيص هو خطر الضلال بدلاً من ذلك، يجب على المرء استخدام المنطق والعقل اللذين منحهما الله تعالى إياهما. يجب أن يُوزن كل أمر بعناية، بناءً على المعرفة والدليل، بحيث تُتخذ القرارات بوضوح وفهم - حتى لو كان ذلك يعني الابتعاد عن الأغلبية. لهذا السبب، يُدين الإسلام بشدة التقليد الأعمى في الأمور الدينية. ويدعو الناس إلى عدم اتباع التقاليد أو العادات دون تفكير، بل إلى تعلم وفهم والعمل بالقرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ببصيرة. عندها فقط تكون الطاعة صادقة، وقائمة على. سورة يوسف، الآية 108. الحق، ومحمية من أخطاء التقليد الأعمى

"...قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني"

ثم يوبخ الله تعالى غير المسلمين في مكة الذين عاشوا مع النبي محمد صلى الله عليه وسلم أربعين عامًا قبل نبوته، عرفوه خلالها عن قربٍ على أنه أخلصهم وأصدقهم وأخلصهم وأصلحهم، فلما بلغهم رسالة الإسلام (سورة المؤمنون، الآية 69). أنكروه كأنه غريب

لم يعرفوا رسولهم فهم يتعاملون معه كالغرباء أم

من المفهوم أن يتردد المرء في قبول ادعاء النبوة من غريب مجهول السيرة والخلق. إلا أن أهل مكة لم يكن لديهم مثل هذا العذر. فقد شهدوا النبي محمدًا صلى الله عليه وسلم طوال حياته، بل انتمنوه على أموالهم وخلافاتهم نزاهةً. لذا، لم يكن رفضهم جهلاً بخلقه، بل غرورًا وكبرياءً وتعلقًا بدنياهم. علاوة على ذلك، لم يكن للنبي محمد صلى الله عليه وسلم أي تفاعل سابق مع كتب الأمم السابقة. وقد أقرّ أهل الكتاب وغير المسلمين في مكة بأنه لم يدرس هذه الكتب أو يتعامل معها. وهذا يجعل من المستحيل الادعاء بأنه استقى رسالته من الكتب السابقة. بل هو شهادة قوية على المصدر الإلهي للقرآن الكريم، الذي يحتوي على علم وحكمة وهدى تفوق بكثير ما يمكن أن يصل إليه رجل أمي عاش في شبه الجزيرة العربية في القرن السابع. سورة العنكبوت، الآية 48، السورة 29

وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون

وهكذا، لم يكن رفضهم نابغًا من نقص الأدلة، بل عنادهم ورفضهم التخلي عن تقاليدهم وامتيازاتهم الباطلة. وكان ينبغي أن تكون معرفتهم بشخصيته، إلى جانب إعجاز القرآن الكريم، دليلًا كافيًا على نبوته. لذا، فإن إنكارهم لم يُعمّق ذنبهم وكشف قسوة قلوبهم.

بالإضافة إلى ذلك، ولأن أهل مكة كانوا على معرفة وثيقة بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم، فإن اتهاماتهم له بالجنون كانت باطلة تمامًا. فقد عاشوا معه عقودًا، يشهدون على صدقه ونزاهته وحكمته وأخلاقه الرفيعة. وكما ذكر الإمام ابن كثير في كتابه "سيرة النبي"، المجلد الأول، الصفحات 168 و173 و180، فقد كان معروفًا بينهم بالصدق والأمانة، وهي ألقاب لا تتفق مع تهمة الجنون. ومع ذلك، عندما أعلن رسالة الإسلام، لجأوا إلى القذف لتشويه سمعته خوفًا من فقدان نفوذهم الاجتماعي وقيادتهم مع ظهور الإسلام، مع علمهم. سورة المؤمنون، الآية 70. التام بأن حياته كانت خالية من أي أثر للاضطراب أو العار.

... "أم يقولون فيه جنون؟ "

كل من ينحرف عن قواعد السلوك التي وضعها الإسلام، ويعتق -أنظمةً من صنع الإنسان، إنما، في الواقع يفعل ذلك لإشباع شهواته الدنيوية. جميع القواعد البديلة تنبع في نهاية المطاف من أهواء البشر وميولهم لا من الحكمة الإلهية. غالبًا ما يكون الأغنياء والأقوياء هم الأكثر رسوخًا في هذه العقلية، إذ يدركون أن قبول حقيقة الإسلام يتطلب منهم الخضوع لإطار أخلاقي أسمى - إطار يقيد سعيهم وراء شهواتهم الجامحة ويحد من إساءة استخدام نفوذهم. ولذلك، فهم لا يرفضون الهداية الإلهية فحسب، بل يسعون أيضًا إلى استمالة الآخرين لاتباع طريقهم، خوفًا من أن يؤدي انتشار الإسلام إلى تقويض سلطتهم وامتيازاتهم. ويشهد التاريخ أن هذا هو سبب كون الأغنياء وأصحاب النفوذ دائمًا أول من عارض الأنبياء عليهم السلام. لم يكن رفضهم قائمًا على نقص الأدلة أو الوضوح، بل على تصميمهم على الحفاظ على نفوذهم الدنيوي وانغماسهم فيه. (المؤمنون، الآية 70، سورة 23 سورة).

"بل جاءهم بالحق ولكن أكثرهم للحق كارهون"

توضح هذه الآية أن معارضة النبي محمد صلى الله عليه وسلم لم تكن نابعة من شك في صدق رسالته، بل نابعة من بغضهم للحق نفسه، لأنه يقتضي التواضع والانقياد والخضوع، وهي صفات تُناقض الكبر والطمع والسعي وراء الشهوات الدنيوية. لذا، فإن رفض الهداية الإلهية ليس مسألة عقل أو دليل، بل هو شهوة.

نتيجةً للأهواء والطموحات الدنيوية - التي يتحداها الإسلام مباشرةً - يعارض الناس الإسلام بطرقٍ مختلفةٍ تبعًا لظروفهم. فمن يُقوّض انتشار الإسلام سبل عيشهم أو صناعاتهم، كالمُستفيدين من الكحول أو غيرها من التجارة المحرمة، يُعلنون رفضهم له، ويكرّسون ثرواتهم ونفوذهم لمقاومة الإسلام ومعارضة المسلمين.

وآخرون، ممن يرغبون ببساطة في العيش في ملذاتٍ محرمة، يرفضون الإسلام أيضاً، وإن لم يُوظَّفوا مواردُهم بالضرورة في معارضةٍ فعلية. وهناك أيضاً من يُعلنون إيمانهم بالإسلام شفهيًا، لكنهم لا يعملون بتعاليمه، لأن الطاعة تتعارض مع رغباتهم الشخصية. ويذهب البعض إلى أبعد من ذلك، مُمارسين الإسلام بانتقائية، مُختارين الأوامر التي يتبعونها والتي يتجاهلون، بناءً على ما يُناسب ميولهم الدنيوية. وفي كل الأحوال، السبب الأساسي واحد: تغليب الشهوات الدنيوية على الهداية الإلهية. والنتيجة الحتمية لهذا السلوك هي إساءة استخدام نعم الله تعالى. بدلاً من أن تُتخذ هذه النعم وسيلةً للتقرب إليه، تصبح أدواتٍ للغفلة والمعصية وهذا يؤدي إلى اختلال التوازن العقلي والبدني، إذ يُسيء هؤلاء الأفراد وضع كل شيء وكل شخص في حياتهم، مُقصرين في إعطاء كل ذي حق حقه. والأهم من ذلك، يُهملون الاستعداد الكافي لحسابهم يوم القيامة فحتى لو تمتعوا برفاهية دنيوية آنية، فإن حياتهم مليئة بالتوتر والصراع الداخلي والصعوبات. ولا يُؤمن لهم سعيهم وراء الملذات الزائلة سلامًا دائمًا، فالسكينة الحقيقية لا تُوجد إلا في امتثال المرء لأوامر الله تعالى وبسعيهم وراء الشهوات، يُضحون باستقرارهم الدنيوي ونجاحهم الأبدي.

عندما يستسلم الناس لرغباتهم وأطماعهم الدنيوية، فإن موقفهم يمنعهم حتمًا من أداء حقوق الآخرين على النحو الذي أمر به الله تعالى. وفي كثير من الأحيان، لا يمكن تحقيق رغباتهم دون انتهاك حقوق الآخرين فيرتكبون الظلم طوعًا لإرضاء أنفسهم. ولا يقتصر هذا السلوك على الفرد، بل ينتشر إلى الخارج، مساهمًا: وقد حذرت الآية التالية من هذه النتيجة. سورة المؤمنون، الآية 71. في انتشار الظلم والفساد في المجتمع

"ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن "

تُسلط هذه الآية الضوء على حقيقة عميقة: لو انصاعت الحقيقة الإلهية لأهواء البشر، لانهار نظام الخلق بأكمله. فالسماوات والأرض قائمتان بحكمة إلهية وتوازنٍ وعدل. ولو حُكمتا برغبات -الناس المتضاربة والمتغيرة باستمرار، لَحَلَّت الفوضى والخراب حتمًا. وبالمثل، عندما يتخلى الأفراد أو المجتمعات عن الهداية الإلهية ويتبعون رغباتهم دون رادع، فإنهم يُخلّون بتوازن العدل والأخلاق والرحمة. والنتيجة هي الظلم وعدم المساواة والفساد - وهي ظروفٌ تضرّ بالظالم والمظلوم على حدٍ سواء. وحتى لو تمتع هؤلاء الناس برفاهية دنيوية مؤقتة، فإن حياتهم تتسم بالقلق والصراع وعدم التوازن، لأن الرغبات لا تُشبع أبدًا، والظلم يُولد دائمًا عدم الاستقرار. وهكذا، تُعدّ هذه الآية تحذيرًا وتذكيرًا في أن واحد: لا يتحقق الاستقرار الحقيقي والعدل

والوئام - سواءً في الكون أو في المجتمع البشري - إلا بخضوع الناس للحق الذي أنزله الله تعالى، بدلاً من محاولة تشكيل الحق بما يتماشى مع أهوائهم. سورة المؤمنون، الآية 71

"ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن "

من المهم أيضاً أن نفهم أن مصطلح الشهوات في التعاليم الإسلامية لا يشير فقط إلى الميول الشريرة أو المحرمة، بل أيضاً إلى الشهوات الباطلة - تلك الميول التي تبدو بريئة أو تافهة، والتي تُلهي القلب والعقل عن طاعة الله تعالى. ولذلك يشجع الإسلام الناس أحياناً على الامتناع حتى عن بعض الأعمال المشروعة، خشية أن يقودهم هذا الانغماس تدريجياً إلى الحرام. وقد أكد الله تعالى هذا المبدأ بوضوح في القرآن الكريم. سورة البقرة، الآية ١٨٧:

"تلك حدود الله فلا تقربوها"

من الجدير بالذكر أن الله تعالى لم يأمر الناس بمجرد عدم تجاوز حدوده، بل أمرهم بعدم الاقتراب منها. وهذا التمييز يُبرز الحكمة الإلهية، وهي الوقاية قبل الفساد. فباجتناب سبل المعصية، يُحفظ من الوقوع فيها. وقد أكد القرآن الكريم على هذا المبدأ باستمرار. فعلى سبيل المثال، أمر الله تعالى النبي الكريم آدم عليه السلام، سورة الأعراف. ليس فقط بالامتناع عن أكل ثمرة شجرة معينة في الجنة، بل بتجنب الاقتراب منها تماماً:

الآية 19

"و يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين"

يُظهر هذا التوجيه أن حتى الأفعال المشروعة أو المحايدة قد تُصبح خطرة إذا قادت الإنسان إلى حدود الله تعالى .والحكمة لا تكمن فقط في اجتناب المعصية، بل في صون النفس من كل ما قد يؤدي إليها .وهناك أمثلة عملية لا تُحصى على هذا المبدأ .فالأمر المشروع، عند الإفراط فيه أو دون وعي، غالبًا ما يُصبح مدخلًا إلى الحرام .فالكلام الفارغ، على سبيل المثال - وإن لم يكن إثمًا في حد ذاته - قد يُفضي بسهولة إلى كلام مؤذي كالقيل والقال والغيبة والكذب .وبالمثل، فإن الإنفاق الباطل أو المُفرط، وإن كان جائزًا، غالبًا ما :سورة الإسراء، الآية 27 .يُفضي إلى التبذير، وهو أمر مُدان في القرآن الكريم

"إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفوراً"

،نادرًا ما تكون عملية التدهور الروحي مفاجئة .فمعظم من يقعون في المعصية أو الضلال يفعلون ذلك تدريجيًا ،فيبدأون بالمحرمات دون الوقوع فيها، حتى يُضعف التعود عليها مع مرور الوقت حذرهم، فيقعون في النهاية في الفعل نفسه .على سبيل المثال، قد يمتنع من يخالط مدمنًا على الخمر في البداية، لكن تواجهه الدائم يزيد من احتمالية الوقوع فيه لاحقًا .وقد حذر النبي محمد صلى الله عليه وسلم من هذه العملية الدقيقة والخطيرة ففي حديث ورد في جامع الترمذي، رقم 2451، نبه إلى أن المرء لا يبلغ التقوى الحقيقية - أي الثبات على استخدام النعم التي وهبت له على الوجه الصحيح كما هو مبين في التعاليم الإسلامية - إلا إذا ترك طوعًا بعض الحلال خوفًا من الوقوع في الحرام .هذا الضبط ليس حرمانًا، بل حكمة .إنه شكل من أشكال البصيرة الروحية التي تحمي الإيمان وتحفظ راحة البال .لذلك، لا ينبغي للمرء أن يتجنب الحرام فحسب، بل عليه أيضًا أن يتوخى الحذر من الممارسات المشروعة، وخاصةً الباطلة، التي قد تجره إلى المعصية .هذا التوازن الدقيق يضمن الثبات على طاعة الله تعالى، ويقتضي استخدام كل نعمة على الوجه الذي نص عليه القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم .هذا العيش المنضبط هو جوهر الاستقامة، فهو يُغذي حالة نفسية وجسدية متوازنة، ويساعد على وضع كل شيء وكل شخص في حياته على الوجه الصحيح، ويمنح في نهاية المطاف راحة البال والنجاح في الدنيا والآخرة

على النقيض من ذلك، فإن من يتجاهلون حكمة اجتناب حدود الله تعالى، يميلون إلى الإفراط في الملذات الحلال والسعي العبثي .هذا الإفراط يُضعف الانضباط الروحي، ويطمس الحدود الأخلاقية، ويزيد من احتمال

ارتكاب المحرمات. ونتيجةً لذلك، يُسيئون استخدام النعم التي وُهبَت لهم، مما يؤدي إلى اختلال التوازن الداخلي، واضطراب المشاعر، واختلال الأولويات. وتصبح علاقاتهم وثرواتهم وطموحاتهم مصادر للتوتر بدلاً من الراحة. ومع أنهم قد يمرون بلحظات عابرة من المتعة، إلا أنهم في النهاية يفقدون راحة البال في هذه الدنيا ويفشلون في الاستعداد للحساب يوم القيامة. ويتجلى هذا النمط بوضوح عندما يُلاحظ المرء أولئك الذين يُفرطون في الملذات الدنيوية، كالأثرياء وأصحاب النفوذ. فرغم وفرتهم، غالبًا ما يعانون من القلق، والسخط وانعدام السلام الداخلي - دليل واضح على أن الإفراط، حتى في الأمور الحلال، لا يؤدي إلى الرضا: سورة طه، الآيات 124-126. بل إلى الضيق الروحي والنفسي

ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد "كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى

لذلك فإن الرضا الحقيقي لا يكمن في مقدار ما يملكه الإنسان أو يتمتع به، بل في كيفية استخدام النعم التي منحها الله تعالى بإخلاص وحكمة

بخلاف جميع -قواعد السلوك البشري، التي تتشكل حتمًا بفعل رغبات الإنسان وحدوده، أنزل الله تعالى قواعد سلوكية تناسب تمامًا طبيعة الإنسان. صُممت هذه البنية الإلهية لتمكين الناس من تحقيق الاستقرار النفسي والجسدي، مع ضمان وضع كل شيء وكل شخص في حياتهم في مكانه الصحيح. لا يمكن تحقيق هذه النتيجة سورة المؤمنون، الآية. من خلال أنظمة بشرية، لأنها متجذرة في الميول الدنيوية وتقلبات الآراء البشرية

71.

"بل جنناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون ..."

لذا، تُعدّ تعاليم الإسلام تذكيرًا خالدًا لجميع الناس، تنسجم بسلاسة مع الفطرة التي فطر الله تعالى البشر عليها. فأئى سلوكٍ يتعارض مع هذه الفطرة سيبدو غريبًا عليهم، مُسببًا صراعًا داخليًا واختلالًا في التوازن عند اتباعه. في المقابل، تبدو تعاليم الإسلام مألوفةً بطبيعتها، مُغذيةً الاستقرار النفسي والجسدي. ويتجلى هذا الشعور بالألفة بشكلٍ خاص لدى من اعتنقوا الإسلام بعد أن عاشوا في ظلّ أنظمةٍ عقائديةٍ أخرى. ويشهد كثيرٌ من المُهتدين أنه حتى دون دراسةٍ مُعمّقةٍ سابقة، فإن مبادئ الإسلام تتردد في أعماقهم، كما لو كانوا يُعيدون اكتشاف شيءٍ مكتوبٍ مُسبقًا في قلوبهم. وذلك لأن الإسلام لا يفرض إطارًا مُصطنعًا على البشر؛ بل يُعيدهم إلى حالتهم الأصلية من النقاء والتوازن. أما الأنظمة الأخرى، فكثيرًا ما تفرض قواعد سلوكٍ غريبةً عن الفطرة البشرية. قد تبدو جذابةً لبعض الوقت، لكنها في النهاية تؤدي إلى السخط واختلال التوازن والاضطراب الداخلي. قد لا يدرك الجميع انسجام الإسلام مع الفطرة البشرية، فالتعصب والغرور والتعلق الأعمى بالتقاليد الموروثة قد يحجب القلب عن إدراك هذه الحقيقة. ومع ذلك، فعندما نتعامل مع الهداية الإلهية بصدق وانفتاح، فإنها لا تكون عبئًا، بل رحمة - تذكيرًا يعيد التوازن، ويزرع السكينة، ويوجه البشرية نحو غايتها الحقيقية. وهكذا، يعمل الوحي كمرآة وبوصلة في آنٍ واحد: مرآة تعكس الحقيقة الفطرية الكامنة في النفس البشرية، وبوصلة تهدي الإنسان إلى راحة البال في الدنيا والفلاح الأبدي في الآخرة، بتمكينه من تحقيق التوازن في حالته العقلية والجسدية، وتعليمه وضع كل شيء وكل شخص في مكانه الصحيح.

ثم يوبخ الله تعالى من يرفضون الهداية الإلهية أو يتجاهلونّها، مذكّرًا إياهم بأنه لا هو ولا رسوله الكريم محمد صلى الله عليه وسلم ولا رسالة الإسلام يستفيدون من إيصال هذه التعاليم إلى البشرية. بل إن الخسارة في سورة المؤمنون، الآية . الواقع تقع بالكامل على عاتق من يعارضون. وقد أبرز القرآن الكريم هذه الحقيقة

72:

"أم تطلبون منهم أجرًا؟"

بهذه الآية، يُبين الله تعالى أن النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم لم يبتغ جزاءً دنيويًا ولا منفعةً في تبليغه الرسالة الإلهية، بل كانت رسالته خالصةً لله تعالى ولصالح البشرية. لذا، فإنّ تمام نفع القرآن الكريم وتعاليم الإسلام محفوظٌ لمن تقبلها وعمل بها بإخلاص. وبذلك، ينال راحة البال والرضا في الدنيا والآخرة، من خلال تحقيق حالةٍ نفسيةٍ وجسديةٍ متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء وكل شخصٍ في حياته على الوجه الصحيح وفقًا للحكمة الإلهية. إن فهم هذه الحقيقة ضروري، لأن عدم القيام بذلك قد يؤدي إلى شكلٍ خفيٍّ ولكنه خطير

من الغرور .قد يبدأ البعض بالشعور بأنهم يُحسنون إلى الله تعالى باتباع أوامره أو أداء عباداته أو ممارسة البر . هذا الموقف الخاطئ يُعمي القلب، ويقود المرء إلى الكبرياء والغرور . هذا الغرور قد يُضعف الإخلاص ،تدريجياً ويحول دون الطاعة الحقيقية، خاصةً عندما تتعارض رغبات المرء مع أوامر الله تعالى .عندها .يصبح إيمانه مشروطاً، ويبدأ أساسه الروحي بالتآكل

في المقابل، من يدرك أن إيمانه وطاعته لا ينفعان إلا نفسه، يتواضع لله تعالى تواضعاً حقيقياً .يدرك أن كل عمل صالح يرفعه، لا الله تعالى، فهو غني عنه . هذا الفهم يُثبّت قلوبهم على طريق الحق في السراء والضراء في الشدة، يُظهرون الصبر والمثابرة، عالمين أن لكل محنة حكمة وثواباً .وفي الرخاء والرخاء، يُعربون عن الامتنان، مُدركين أن كل نعمة مصدرها الله تعالى وحده . هؤلاء يعيشون في صفاء وسكينة، لأنهم وازنوا غايتهم بالمشيئة الإلهية .طاعتهم لا تنبع من الكبرياء أو خوف السمعة، بل من الحب والتواضع، وإدراك أن من خلال تحقيق حالة ،الله تعالى قد كرمهم بعبادته . وهكذا يجدون راحة بال دائمة ونجاحاً في الدنيا والآخرة .ذهنية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في حياتهم على الوجه الصحيح

يُشير الله تعالى إلى صدق النبي محمد صلى الله عليه وسلم، الذي لم يبتغ من رسالته شيئاً دنيوياً أو منفعةً (سورة المؤمنون، الآيتان) .شخصية، بل كان هدفه الوحيد إرضاء الله تعالى وإيصال الرسالة التي أنيطت به (72-73).

تسألهم أجراً فتواب ربك خير وهو خير الرازقين وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم أم

تُبرز هذه الآية أن النبي محمداً صلى الله عليه وسلم لم يدعُ الناس إلى الإسلام طلباً للمال أو الجاه أو الشهرة لم يطلب أجراً، ولم يطلب جزاءً دنيوياً .كان إخلاصه مطلقاً، وتوكله كلياً على الله تعالى، خير الرازقين .هذه الصفة من الإخلاص ليست سمة من سمات النبوة فحسب، بل هي أيضاً مبدأ أساسي لكل إنسان .لن يُقبل أي عمل يؤدي لغير رضى الله تعالى، مهما بدا مؤثراً .إذا فسدت النية برغبة في المدح أو التقدير أو منفعة دنيوية، فقد العمل قيمته عند الله .وقد حذّر من هذه الحقيقة حديث في جامع الترمذي، رقم 3154، يوضح أن

من عمل لغير الله تعالى، لن يجد جزاءً عنده، لا في الدنيا ولا في الآخرة. وبالتالي، فإن الإخلاص أساس جميع العبادات والأعمال الصالحة. فهو يُحوّل الأعمال العادية إلى عبادات، ويضمن قبول جهود المرء، ومكافأتها. فبدون الإخلاص، تضع أعظم الأعمال الظاهرة. لذا، يجب على المرء أن يُنقّي نيته باستمرار. مُذكّرًا نفسه بأن الجزاء الحقيقي عند الله تعالى، وأنه وحده الرزاق والمجازي.

لقد جسّد النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم أسمى درجات الإخلاص، وأدّى رسالته الإلهية بأمانةٍ تامةٍ بنقل تعاليم الإسلام إلى البشرية جمعاء. لم يكتفِ بتبليغ الرسالة، بل جسّد بها بخلقه النبيل، فكان قدوةً يُحتذى بها. لقد بيّن، بأقواله وأفعاله وسلوكه، كيف نعيش حياةً قوامها الإخلاص والعدل والرحمة والإخلاص لله تعالى، تاركًا وراءه قدوةً خالدةً لكل من يسعى إلى الهداية والفلاح في الدنيا والآخرة. سورة المؤمنون، الآية 73:

"وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم"

الإسلام هو الصراط المستقيم الوحيد الذي يقود إلى راحة البال الحقيقية في الدنيا والآخرة. ذلك لأن الله تعالى هو الوحيد الذي يملك المعرفة الكاملة اللازمة لضمان توازن الإنسان في حالته النفسية والجسدية، والذي يعلمه كيفية وضع كل شيء وكل شخص في حياته على الوجه الصحيح. المعرفة البشرية، مهما تقدمت، ستبقى محدودة. فرغم قرون من البحث في أحوال البشر، لا يستطيع المجتمع تقديم حلول لكل تحدٍّ يواجهه الإنسان فنصائحه لا تحمي الإنسان من جميع أشكال التوتر، ولا تضمن له إعطاء كل شيء وكل شخص مكانه الصحيح في الحياة. ويعود ذلك إلى محدودية المعرفة البشرية، والخبرة، وبعد النظر، والتحييزات التي تُشكل حتمًا أحكام البشر. الله تعالى وحده يملك المعرفة الكاملة، وقد أنزلها على البشرية في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. وتتضح حقيقة هذا عندما نلاحظ الفرق بين من يستخدم نعمه وفقًا لتعاليم الإسلام ومن لا يفعل. يجد الأولون التوازن والوضوح والسكينة، بينما غالبًا ما يعاني الثانيون من الارتباك وعدم التوازن وعدم الرضا، حتى لو بدوا ناجحين ظاهريًا. لا يطلب الله تعالى من الناس اتباع الإسلام دون وعي، بل يدعوهم إلى التأمل في تعاليمه، وملاحظة آثارها، والتعرف على صدقها من خلال الأدلة الواضحة. ليس الإسلام نظامًا يتطلب طاعة جاهلة؛ إنه تذكير إلهي يخاطب القلب والعقل. لهذا السبب، يتطلب التعمق في الإسلام عقلًا منفتحًا وغير متحيز. يمكن للتعصب أو الغرور أو التعلق الأعمى بالتقاليد الموروثة أن يحجب القلب عن إدراك الانسجام بين الوحي والطبيعة البشرية. ولكن عندما نقرب منه بصدق، تكشف تعاليم الإسلام عن

نفسها كمصدر للرحمة والتوازن والسكينة .إنها تعيد الإنسان إلى حالته الطبيعية، وتهديه إلى راحة البال في من خلال تحقيق حالة ذهنية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء ،الدنيا والنجاح الأبدي في الآخرة :سورة يوسف، الآية 108 . وكل شخص في حياته بشكل صحيح

"...قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني"

لكن لأن طاعة الله تعالى والاستعداد للحساب يوم القيامة يتعارضان مع شهوات الدنيا، يجد الكثيرون ذلك مُرهقًا ومُرهقًا .فبدلاً من السعي للتغلب على هذا الصراع الداخلي، يلجؤون إلى قواعد سلوكية وضعها البشر :تُبَرر وتُمكنهم من تحقيق شهواتهم .الله تعالى .سورة المؤمنون، الآية 74

"ولكن الذين لا يؤمنون بالآخرة هم عن سواء السبيل"

تُبرز هذه الآية أن أصل الانحراف يكمن في عدم ارتياح الناس للمحاسبة الإلهية .فعندما يتعارض التفكير في الآخرة والمسؤولية أمام الله تعالى مع طموحاتهم الدنيوية، ينحرفون عن الحق ويبتكرون قواعد سلوكية تناسب أهوائهم .ومع ذلك، فرغم أن النفس تشعر بالقلق بطبيعتها عند كبح جماح شهواتها، إلا أنه ينبغي على الإنسان أن يتصرف بحكمة المريض الذي يقبل نصيحة طبيبه ويتبعها .قد يتعارض العلاج الموصوف أو النظام الغذائي الصارم مع رغباته ويسبب له ضيقاً مؤقتاً، لكنه يتحمله عالماً بأنه يؤدي إلى الشفاء والعافية الدائمة وبالمثل، فإن من يقبل ويعمل بتعاليم القرآن الكريم وهدى النبي محمد صلى الله عليه وسلم، سيحظى بسلام ونجاح دائمين في الدنيا والآخرة .وبتوفيق أفعاله مع الحكمة الإلهية، يحقق انسجاماً حقيقياً - حالة ذهنية وجسدية متوازنة - ويضع كل شيء وكل شخص في حياته وفقاً لهدفه الصحيح .ورغم أن هذه العملية قد تتعارض في بعض الأحيان مع رغباتهم الدنيوية، إلا أنها تؤدي في النهاية إلى صفاء القلب، ووضوح الهدف وراحة البال، في الدنيا والآخرة

ثم يلفت الله تعالى الانتباه إلى جحود الناس الشديد .ولو رفع عنهم كل بلاءٍ وشقاء، محوِّلاً الدنيا إلى جنة، (سورة المؤمنون) .لأَصْرَ كثيرون على معصيتهم وغفلتهم وإساءة استخدامهم للنعم التي أنعم الله عليهم بها (الآية 75).

"وَلَوْ رَحَّمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا عَنْهُمْ مَا بِهِمْ مِنَ الْبَرِّ لَظَلُّوا عَلَى طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ "

،تكشف هذه الآية أن جحود النعمة لا ينبع من قلة النعم، بل من فسادها .فعندما تُعْمِي القلوب بالكبر والشهوة ،تُصْبِح الكثرة نفسها سبباً للمعاصي بدلاً من أن تكون وسيلةً للتقرب إلى الله تعالى، ومن ثمَّ راحة البال

إن مفتاح النجاح وراحة البال في الدنيا والآخرة يكمن في شكر الله تعالى شكراً صادقاً على نعمه الكثيرة والمتواصلة .لا يقتصر الشكر على عبارات المديح، بل يشمل الوجود كله .الشكر بالنية هو العمل لمرضاة الله تعالى فقط .الشكر بالقول هو التلفظ بالخير والنفع والصدق فقط، أو اختيار الصمت عند عدم جدوى الكلام الشكر بالعمل هو استخدام كل نعمة - كالوقت والمال والقوة والعلم - بما يرضي الله تعالى، كما بينه القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم .هذا الشكر يجلب نعمًا مستمرة ويؤدي إلى السكينة والاستقرار راحة البال في الدنيا والآخرة .فهو يسمح للإنسان بتحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، ووضع كل شيء - :سورة إبراهيم، الآية 7 .وكل شخص في حياته وفقاً للحكمة الإلهية

لئن شكرتم لأزيدنكم

ومن خلال الامتنان يجد الإنسان الرضا الحقيقي ويعزز علاقته بخالقه، ويحول كل لحظة سواء كانت سهلة أو صعبة إلى خطوة أقرب إلى السلام الدائم والنجاح.

على مر التاريخ، هدانا الله تعالى إلى اتباع المنهج القويم، بما فيه نفعنا ونجاتنا، بوسائل شتى. ومن رحمته الواسعة، يُكثر الله تعالى من نعمه الدنيوية، مُشجّعًا إياه على شكرها واستعمالها كما ورد في القرآن الكريم، وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. فالشكر، إذا أُخلص في العمل الصالح، يُقَرِّب الإنسان إلى الله تعالى. ويُطْمئن قلبه وحياته.

ومع ذلك، عندما يُصرّ الإنسان على جوده بإساءة استخدام النعم التي وُهِبَتْ له، مستخدمًا إياها فيما لا يرضي الله تعالى، فإنه برحمته اللامتناهية لا يُسلِّمه فورًا لعواقب اختياراته الحتمية، بل يُواصل هدايته. يسامحه له بتجربة فترات من الشدة والاختبار. هذه الصعوبات تُعدّ تذكيرًا إلهيًا وفرصًا للتأمل والإصلاح. سورة المؤمنون، الآية 76

"وأخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما تواضعوا"

هذه الاختبارات ليست عقابًا، بل رحمة - نداءات رقيقة من الخالق، تحثّ خلقه على الرجوع إليه بتواضع وطاعة. ومع ذلك، عندما يغفل الناس، رافضين الاعتراف بأخطائهم أو تصحيح سلوكهم، فإنهم يُصرّون على اتباع شهواتهم الدنيوية، ويستمرّون في إساءة استخدام النعم التي وُهِبَتْ لهم. تبدأ شهواتهم بإملاء أولوياتهم فتُبْعِدُهم عن الهداية الإلهية، وتحرمهم من حالة ذهنية وجسدية متوازنة. هذا الاختلال يُسبِّب لهم سوء تقدير كل شيء وكل شخص في حياتهم. تفقد علاقاتهم ومسؤولياتهم وممتلكاتهم مكانتها ومعناها الصحيح، مما يؤدي إلى فوضى عاطفية واضطراب روحي. العائلة والأصدقاء والعمل والثروة - التي كان من الممكن أن تكون جميعها مصادر راحة - تصبح تدريجيًا أعباءً تُغْذِّي قلقهم وسخطهم. بدلًا من إدراك أن عصيانهم وإساءة استخدامهم للنعم هما السبب الجذري لضيقهم، يلتفتون إلى الخارج ويحاولون إلقاء اللوم على الآخرين. قد يُحمَلون أزواجهم أو عائلاتهم أو ظروف حياتهم مسؤولية تعاستهم، وعندها غالبًا ما يقطعون علاقاتهم بمن

يهتمون بهم حقًا. تُعمّق هذه الدورة المُدمّرة اضطرابهم الداخلي وتؤدي إلى مزيد من عدم الاستقرار - والذي يتجلى في الاكتئاب والإرهاق العاطفي والإدمان على المخدرات، بل وحتى الميول الانتحارية. تتجلى هذه النتائج المأساوية لدى كثيرين ممن يُسيئون استخدام النعم التي مُنحت لهم، وخاصةً بين الأغنياء والمشاهير. فرغم امتلاكهم كل ما هو مُترف مادي وامتياز اجتماعي، إلا أنهم يُعانون من مشاكل نفسية حادة. يُذكرهم هذا الفراغ بشدّة بأنّ أيّ ثروة أو شهرة أو متعة لا تُغني عن السكينة التي تأتي من طاعة الله تعالى. وفي نهاية المطاف، بما أن غرورهم وغفلتهم يمنعهم من الاستعداد لمُحاسبتهُم أمام الله تعالى يوم القيامة، فإنّ معاناتهم في الآخرة ستكون أشدّ بكثير من الضيق المؤقت الذي عانوه في الدنيا). سورة المؤمنون، الآية 77)

"حتى إذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد إذا هم فيه مبلسون "

لذا، فإن النجاح الحقيقي لا يكمن في السعي وراء الشهوات الدنيوية الزائلة، بل في الاعتراف بأخطائنا بتواضع، وإصلاح سلوكنا، واستخدام كل نعمة وفق هدى الله تعالى. هذا الطريق وحده يؤدي إلى السلام الدائم، والاكتمال الروحي، والنجاح في الدنيا والآخرة، من خلال تحقيق حالة ذهنية وجسدية متوازنة، ووضع كل شيء وكل شخص في حياتنا على الوجه الصحيح.

سورة المؤمنون، الآية. لقد وهب الله تعالى للناس قدراتٍ متنوعةً ليميزوا بين عاقبة طاعته وعاقبة معصيته
78:

"...وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة "

ومع ذلك، فإن مجرد امتلاك هذه القدرات لا يكفي. فالاستماع وحده لا يُفيد الإنسان إلا إذا كان موجّهًا نحو المعرفة النافعة، وخاصةً الإرشاد الديني. وللاستفادة الحقيقية من التعاليم الإسلامية، يجب على الإنسان

الإنصات بانتباه، والتأمل في تجاربه الخاصة، ودراسة كيفية تطبيق الإرشاد في حياته، ثم العمل به بجدية فبدون هذا التأمل والعمل، لن يُغير مجرد الاستماع إلى المعرفة الإسلامية السلوك. وهذا يُفسر لماذا، على الرغم من توافر المعرفة الإسلامية بشكل غير مسبوق اليوم، لا يزال الكثيرون يفشلون في تحقيق تغيير شخصي ذي معنى.

وهب الله تعالى الإنسان أيضاً قدرة الإبصار والفهم. تُمكن هذه القدرة الإنسان من ملاحظة العالم، والتعلم من أحوال الآخرين، والتفكير في التاريخ. سورة المؤمنون، الآية 78

"وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار"

بملاحظة تجارب الآخرين، يمكن للناس أن يتعمقوا في سلوكياتهم. على سبيل المثال، إن مشاهدة حياة الأثرياء، أو المشاهير الذين يُسيئون استخدام نعم الله تعالى، مما يؤدي إلى التوتر، واضطرابات الصحة النفسية والإدمان، أو حتى الميل الانتحارية رغم الراحة أو الرفاهية المؤقتة، تُعدّ بمثابة تحذير. تُعلّمنا هذه الملاحظات أن راحة البال الحقيقية لا تأتي من الممتلكات المادية أو إشباع جميع الرغبات الدنيوية. وبالمثل، فإن رؤية شخص يعاني من اعتلال الصحة تشجع على الامتنان لسلامته، وتحفزه على استغلالها على النحو الأمثل قبل زوالها. تُنمّي هذه القدرات اليقظة، وتُثبّت الانشغال بالذات، وتُلهم الأفراد على البقاء على دراية بالعالم خارج نطاق اهتماماتهم المباشرة.

: وقد منّ الله تعالى على الإنسان بقدرات عاطفية أساسية لنجاحه في الحياة. سورة المؤمنون، الآية 78

"...وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة"

يُقرّ الإسلام بضرورة التعبير عن المشاعر، كالحزن في أوقات الشدة. فالتعبير عن المشاعر جائز وطبيعي بشرط أن يبقى ضمن حدود الله تعالى. فالتطرف في المشاعر - كالحزن الشديد أو الكبرياء - قد يؤدي إلى سلوك آثم، كما هو موضح في سورة الحديد، الآية ٢٣

لِكَيْ لَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ

إن الحفاظ على حالة نفسية متوازنة يُمكن الإنسان من تجاوز التحديات بنجاح، وبنال السلام والثواب والبركات في الدنيا والآخرة. وباستخدام هذه القدرات بحكمة - من خلال التأمل والملاحظة والتعبير العاطفي المدروس يمكن للمرء أن يحقق حالة نفسية وجسدية متوازنة، وأن يضع كل شيء وكل شخص في حياته في مكانه - الصحيح، وبالتالي يحقق راحة البال في الدنيا والآخرة. ولكن من يفشل في استخدام هذه القدرات بشكل : صحيح، فإنه سيُسيء استخدام النعم التي مُنحت له لا محالة. سورة المؤمنون، الآية 78

"أنت لست ممتناً على الإطلاق..."

نتيجةً لذلك، ستُختل صحتهم النفسية والجسدية، وسيُعانون من صعوبة تحديد أولوياتهم، مُسيئين توزيع الأشخاص والمسؤوليات والموارد في حياتهم. سيُقَصِّرون عن الاستعداد الكافي لحسابهم يوم القيامة، مما يجعلهم عُرضةً للندم والمشقة. حتى لو تمتعوا بملذات الدنيا الزائلة، فإن هذه الملذات لن تمنع عنهم الضغوط والصعوبات والاضطرابات التي تنشأ عن حياةٍ في معصية الله تعالى. سيظلّ السلام والرضا الحقيقيان بعيدَي المال لمن يُهمل مسؤولياته الروحية، لأن متعتهم في هذه الدنيا ستكون في نهاية المطاف سطحيةً وزائلةً.

سواءً أحسن الإنسان استخدامَ نعم الله تعالى وملكاته، أو أساء استخدامها في معصيته، فإنه يبقى تحت قضائه، المطلق. فهو الذي خلقه، وبسطه في الأرض، وائتمنه على نعمٍ لا تُحصى. ومع ذلك، مهما كانت حالته، سيُحشر كلُّ بين يديه للمحاسبة يوم لا مفرّ منه). سورة المؤمنون، الآية 79)

"وهو الذي ذرأكم في الأرض وإليه تحشرون"

هذا الجمع ليس بمعزل عن قدرته، فهو وحده المتصرف في الحياة والموت. فالذي يُوجد الإنسان من العدم: قادرٌ لا محالة على إحيائه بعد أن يكون ترابًا وعظامًا. سورة المؤمنون، الآية 80

"وهو الذي يحيي ويميت"

علاوة على ذلك، فإن تعاقب الليل والنهار، ودقة ترتيب السماوات، وتناغم الكون، كلها تشهد على كمال تدبيره. فإذا كان هو الذي يُدبّر الكون الشاسع بدقة متناهية، فكيف يصعب عليه إحياء إنسان صغير؟ (سورة المؤمنون، الآية 80).

"وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون"

إن إنكار إمكانية البعث يوم القيامة ادعاءً عجيب، ف نماذج البعث تُعرض باستمرار أمام أعين البشر في نظام الخلق الطبيعي. يُحيي الله تعالى الأرض القاحلة بالمطر، فتنبت البذور الميتة حياةً ورزقاً لخلقه. وكذلك يُحيي الإنسان المدفون في الأرض، كما يُحيي البذرة الهامدة تحت التراب. وتشهد دورة الفصول أيضاً على هذه الحقيقة: ففي الشتاء تبدو الأشجار هامدةً بتساقط أوراقها، لكنها في الربيع والصيف تعود إلى كامل حيويتها والبعث جليّ في جسد الإنسان نفسه، حيث تموت الخلايا باستمرار وتُستبدل، مُحافضةً على الحياة من خلال عملية تجديد مستمرة. وبالمثل، فإن دورة النوم واليقظة اليومية تُذكرنا بالموت والبعث. فالنوم يقطع الحواس: سورة الزمر، الآية 42. مُشبهًا الموت، والله تعالى يُعيد الروح إلى الجسد إذا كُتب له الحياة في ذلك اليوم

الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى "أجل مسمى إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون"

وراء هذه العلامات، يوم القيامة ضرورة، فالكون نفسه يشهد على التوازن والنظام. فالأرض في وضع مثالي بالنسبة للشمس، ودورة المياه مُضبوطة بدقة لدعم الحياة، والتربة خُلقت بقدرة مزدوجة تسمح للبراعم الهشة، بالظهور مع دعم هياكل ضخمة. أينما نظر المرء، يتجلى التوازن جلياً. ومع ذلك، في الشؤون الإنسانية يكون الخلل صارخاً. فكثيراً ما يفلت الظالمون من العقاب، بينما يتكبد المظلومون المعاناة دون أن ينالوا جزاءهم المستحق. يواجه كثير من المؤمنين الصادقين المشقة ولا ينالون إلا جزءاً من جزائهم في هذه الدنيا بينما غالباً ما ينعم من يعصون الله تعالى بالرخاء الدنيوي. وكما يحكم التوازن العالم الطبيعي، يجب أن يحكم - العدل أعمال البشر. وبما أن هذا التوازن لا يتحقق بالكامل في هذه الحياة، فلا بد من إقامته في عالم آخر يوم القيامة

كان بإمكان الله تعالى أن يُكمل الثواب أو العقاب في هذه الدنيا، لكن حكمته تقتضي بغير ذلك. فهو يُتيح فرصاً متكررة للتوبة والإصلاح، مُؤخِّراً العقاب الكامل. وكذلك يحرم المؤمنين الثواب الكامل، لأن الدنيا ليست جنة. الإيمان يقتضي الإيمان بالغيب، وهذا الثواب والعقاب الغيباني هما ما يُعطيان الإيمان قيمته الحقيقية

بالإضافة إلى ذلك، فإن الخوف من العقاب النهائي والأمل في الثواب الأبدي يعملان كدوافع قوية، تشجع المؤمنين على تجنب الخطيئة والسعي في البر. لكي يأتي يوم القيامة، يجب أن تنتهي أعمال جميع الناس أولاً مما يعني أن هذا العالم المادي يجب أن ينتهي. عندها فقط ستُحاسب كل نفس بعدل كامل. هذا التأمل يعزز الإيمان بحقيقة يوم القيامة ويلهم الاستعداد له باستخدام بركات الله تعالى، وفقاً للقرآن الكريم وأحاديث النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم. بهذه الطريقة، يضمن الشخص راحة البال في هذه الدنيا والنجاح في من خلال الحصول على حالة ذهنية وجسدية متوازنة ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في، الآخرة: الفصل 45 سورة الجاثية، الآية 22. حياته بشكل صحيح

"وخلق الله السموات والأرض لحكمة، لتُجزى كل نفس ما اكتسبت، وهم لا يُظلمون".

على الرغم من كثرة الدلائل التي تشير بوضوح إلى إمكانية يوم القيامة وضرورته، اختار الناس على مر التاريخ إنكاره. لم يكن إنكارهم قط بسبب نقص الأدلة، فالأدلة ظاهرة في الخلق والوحي والعقل. بل إن السبب الحقيقي يكمن في عدم رغبتهم في الاستعداد له، لأن الاستعداد يتطلب كبح الشهوات، وترك المعصية، والعيش بمسؤولية. إن القلب المستعبد للأطماع الدنيوية يجد مفهوم البعث والحساب مزعجاً للغاية، لأنه يهدد نمط الحياة الذي يتمسك به. إن قبول حقيقة يوم القيامة يعني الاعتراف بالحدود، وكبح الغطرسة، والاستسلام للسلطة الإلهية. وهكذا، يصبح الإنكار ملجأً مناسباً، وليس استنتاجاً فكرياً. وقد تكرر هذا النمط عبر الأجيال رفض الحقيقة ليس لغموضها، بل لتناقضها مع أهواء النفس. في الواقع، إن رفض الإيمان بيوم القيامة هو في حد ذاته شهادة على ضرورته، فبدونه، ستبقى مظالم هذا العالم قائمة، وسيبقى التوازن الذي يحكم الخليقة كلها ناقصاً. سورة المؤمنون، الآيات 81-83. ناقصاً

بل يقولون كما قال الأولون، قالوا إذا متنا وكنا تراباً وعظاماً، أإننا لمبعوثون؟ لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل، إن هذا إلا أساطير الأولين

علاوة على ذلك، تُسلط هذه الآيات الضوء على سبب رئيسي آخر يدفع الكثيرين إلى رفض الهداية الإلهية يجب على المرء . وإنكار حقيقة يوم القيامة، ألا وهو التقليد الأعمى للأعراف الاجتماعية السائدة والرأي العام أن يحذر من هذه العادة، لأن اتباع الأكثرية دون تدبر غالباً ما يؤدي إلى معصية الله تعالى . عندما يلاحظ المرء أن معظم من حوله يهملون أو يرفضون التعاليم الإسلامية، فقد يظن أن هذا السلوك مقبول أو حتى صحيح، فيتبعهم دون تفكير أو تأمل . لكن الحقيقة هي أن رأي الأكثرية ليس بالضرورة صحيحاً . يقدم التاريخ أمثلة لا تُحصى على معتقدات شائعة ثبت خطئها لاحقاً عند مواجهتها بمعارف وأدلة جديدة، مثل الاعتقاد الخاطئ بأن الأرض مسطحة، والذي كان شائعاً في السابق . وهذا يُظهر خطر السماح للافتراضات الجماعية بأن تُملي على المرء نظراته للعالم . لذلك، من الضروري تجنب التصرف كالقطيع الذي يتبع القطيع دون توجيه أو فهم . إن التقليد الأعمى، سواء في الأمور الدنيوية أو الروحية، لا يؤدي إلا إلى الحيرة والضلال :سورة الأنعام، الآية 116 . والندم

وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يظنون

بدلاً من الاستسلام للاتجاهات والافتراضات المجتمعية، يجب على الأفراد استخدام العقل والمنطق اللذين أنعم الله عليهما بهما . يجب عليهم تقييم كل موقف من خلال عدسة المعرفة السليمة والفهم والدليل، حتى لو كان ذلك يعني معارضة آراء الأغلبية . لهذا السبب بالذات، ينهى الإسلام باستمرار عن التقليد الأعمى للآخرين في مسائل الإيمان . بل يدعو الناس إلى التعلم والتأمل والعمل بتعاليم القرآن الكريم وأحاديث النبي محمد صلى الله عليه وسلم، بفهم وإخلاص . فقط من خلال القيام بذلك يمكن للمرء أن يظل ثابتاً على الحق وينال راحة البال في كلا العالمين، من خلال تحقيق حالة ذهنية وجسدية متوازنة ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في :الفصل 12 يوسف، الآية 108 . حياته بشكل صحيح

"...قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني"

:سورة المؤمنون، الآية 82

"قالوا إذا متنا وكنا ترابًا وعظامًا أإنا لمبعوثون"

من الشائع بين الراغبين في تجاهل حقيقة تتعارض مع رغباتهم، تحريفها أو المبالغة فيها حتى تبدو غير معقولة أو مستحيلة، مبررين بذلك رفضهم. بتوسيع نطاق مبدأ ما إلى حد السخافة، يوهمون الناس بأنه غير عملي، بينما هو في الحقيقة ممكن التحقيق وذو نفع كبير. على سبيل المثال، عندما يُنصح بعض الأفراد بإظهار اللطف والاحترام لأقاربهم، يبررون سوء سلوكهم بزعم أن هذه النصيحة تتطلب الكمال، وأنهم يجب أن يصبحوا بلا عيب، كالملائكة، دون أن يظهروا أدنى ذرة من الانزعاج أو الضعف. ولأن الكمال المطلق بعيد المنال، فإنهم يرفضون النصيحة جملةً وتفصيلاً باعتبارها غير واقعية. وبذلك، يتهربون بسهولة من مسؤولية إصلاح أنفسهم، ويصرون على سوء سلوكهم. هذا الموقف مدمر روحياً، لأنه يعيق المساءلة الأخلاقية، التي هي أساس النمو والرفق. عندما يرفض الأفراد الاعتراف بأخطائهم، يركنون في غرورهم ويستغلون نعم الله تعالى، ويشوهون بوصلتهم الأخلاقية. يؤدي هذا الإهمال إلى اختلال التوازن الداخلي والاضطراب، إذ تُساء ترتيب الأولويات وتتدهور العلاقات. والأخطر من ذلك، أن هذا الإهمال يترك الإنسان غير مستعد للمساءلة النهائية يوم القيامة. فحتى لو تمتع بملذات الدنيا، فإن إنكاره للمسؤولية يجلب عليه القلق والسخط والشقاء في الدنيا، ويُهدد نجاته الأبدية في الآخرة. علاوة على ذلك، فإن التهرب من المساءلة يحول دون إحقاق حقوق الآخرين، ويعزز الفساد والظلم والانهيار الأخلاقي في المجتمع. فالصلاح الحقيقي لا يتطلب الكمال، بل الإخلاص والجهد والتواضع. فعندما يُقر الإنسان بنقاط ضعفه ويسعى بصدق للتحسين، فإنه ينسجم مع الهداية الإلهية، ويصون نعمته، ويستعد للسلام الدائم في الدنيا والآخرة.

مع أن غير المسلمين في مكة أقرّوا بقدرة الله تعالى الخالقة وسلطانه، إلا أنهم ظلّوا يشركون به في العبادة وينكرون حقيقة البعث. هذا التناقض يُبرز تناقض معتقداتهم: فقد أقرّوا بأن الله تعالى خلقهم من العدم - وهو فعل أعظم بكثير من إعادة خلقهم بعد الموت - لكنهم رفضوا الإيمان بقدرته على إعادة الحياة. لم يكن إنكارهم نابغاً من نقص في الأدلة أو الفهم، بل من كِبَرٍ ورغبة في التهرب من حساب أعمالهم في الآخرة. سورة المؤمنون، الآيات 84-89

قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تتفكرون قل من رب السماوات السبع ورب "العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم "تعلمون سيقولون لله قل فكيف تضلون

عندما يتأمل المرء خلق السماوات والأرض وما فيها من أنظمة متوازنة لا حصر لها، يتضح له أن هناك خالقًا واحدًا هو الذي يديم الكون. إن بُعد الشمس التام عن الأرض دليل واضح، فلو كانت الأرض أقرب أو أبعد قليلًا، لما أمكن الحياة. وبالمثل، خُلق الغلاف الجوي في حالة متوازنة ونقية، مما يسمح للحياة بالازدهار (على الأرض). سورة البقرة، الآية ١٦٤)

"...واختلاف الليل والنهار ..."

إن إلتقان أوقات الليل والنهار وتفاوت أطوالهما على مدار العام يُمكن الناس من جني أقصى نفع منهما. فلو طالت الأيام، لتعب الناس من طول ساعات العمل. ولو طالت الليالي، لما توافر لهم الوقت الكافي لكسب رزقهم وسائر الأمور النافعة، كالمعرفة. ولو قصرت الليالي، لما استطاعوا الراحة الكافية لنيل الصحة المثلى. كما أن تغير طول الليل والنهار سيؤثر على المحاصيل، مما سيؤثر سلبيًا على رزق الناس والدواب. إن كون الليل والنهار، وغيرهما من الأنظمة الكونية المتوازنة، تعمل بانسجام تام، دليل واضح على وحدانية الله (سورة الأنبياء، الآية ٢٢). ٢٢).

"وَلَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا"

:وسورة المؤمنون، الآية 91

من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولبغى بعضهم على بعض غلبة، تعالى الله عما الله يصفون

سورة البقرة، الآية 164

"والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء "

دورة المياه مثالاً آخر مُلفتاً على التصميم الإلهي. يتبخر الماء من البحار، ثم يرتفع، ويتكثف مُشكلاً مطراً ورغم أن مياه الأمطار حمضية بطبيعتها، إلا أن الجبال تُعادلها، مما يجعلها صالحة للاستخدام البشري والحيواني. يمنع الملح في البحار التلوث الناتج عن الكائنات الميتة، مما يضمن ازدهار الحياة البحرية، ويمنع المحيطات من أن تُصبح مصدر فساد للحياة على اليابسة. علاوةً على ذلك، فإن تركيب الماء يسمح للحياة البحرية بالازدهار، ولل سفن الثقيلة بالإبحار عليه. لو اختل هذا التوازن، لفقدت إحدى هذه الوظائف. وحتى اليوم، لا يزال النقل البحري الوسيلة الأكثر استخداماً لنقل البضائع حول العالم، مما يُظهر أهمية هذا التوازن للحضارة الإنسانية.

يتجلى كمال الخلق أيضاً في تصميم الكائنات الحية. فالتطور، كونه عملية طفرة، بطبيعته غير كامل وعشوائي ومع ذلك، عندما نلاحظ الأنواع العديدة، نجد أنها متكيفة تماماً مع بيئاتها. فالجمل، على سبيل المثال، يتكيف بشكل فريد مع الحياة الصحراوية، إذ يستطيع تحمل الحرارة الشديدة والبقاء لفترات طويلة دون ماء. سورة الغاشية، الآية 17:

أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ؟

كذلك تُنتج الماعز حليبًا نقيًا، مُنفصلًا تمامًا عن الشوائب في جسمها. ولو لم يكن هذا الفصل دقيقًا، لكان الحليب: غير صالح للشرب. سورة النحل، الآية 66

.وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها من بين فرث ودم لبنًا خالصًا سائغًا للشاربين

حتى أعمار الأنواع متوازنة تمامًا للحفاظ على النظام. فالذباب، على سبيل المثال، لا يعيش سوى بضعة أسابيع، لكنه يضع مئات البيض. لو كان عمره أطول، لطغى على الأنواع الأخرى وأخلّ بتوازن الحياة. على النقيض من ذلك، فإن الكائنات ذات الأعمار الطويلة لا تُنتج سوى عدد قليل من النسل، مما يضمن بقاء أعدادها معتدلة. لا يمكن تفسير هذه الدقة بالصدفة أو الطفرة العمياء. سورة البقرة، الآية ١٦٤

"...وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض..."

،الرياح من بين آيات الحكمة الإلهية وتوازن الخلق التي لا تُحصى. فهي تؤدي وظائف متعددة لا غنى عنها كل منها يُديم الحياة على الأرض. تُمكن الرياح من التلقيح، مما يسمح للمحاصيل والنباتات والأشجار بالتكاثر وتوفير الغذاء للبشر والحيوانات. كما تلعب دورًا حيويًا في حمل السحب الممطرة إلى مناطق محددة، مما يضمن وصول الماء إلى الأماكن الأكثر حاجة إليه. لولا هذه الحركة، لما استمرت الحياة على الأرض تاريخيًا، كانت الرياح أساسية للسفر البحري، مما مكّن السفن من عبور المحيطات الشاسعة وربط الأراضي البعيدة. وحتى اليوم، لا يزال النقل البحري الوسيلة الرئيسية لنقل البضائع عبر العالم، ولا تزال الرياح تؤدي

دورها في الحفاظ على هذا التوازن. نظام الرياح مُحكم القياس. لو لم تكن هناك رياح، لسقطت الأرض في حالة من الفوضى، حيث ستذبل المحاصيل، وسيتوقف هطول الأمطار، وسيصبح الغلاف الجوي بلا حياة، من ناحية أخرى، إذا كانت الرياح قوية جدًا أو ثابتة، لكانت ستدمر الأرض، وتقتلع الأشجار، وتدمر المنازل وتجعل الحياة لا تُطاق. لذا، فإن توازن الرياح دليلٌ واضح على رحمة الله تعالى ودقته. والمطر أيضًا محكومٌ بهذا التوازن المثالي نفسه. فقلة المطر تؤدي إلى الجفاف والمجاعة، مما يحرم الخلق من قوت يومهم. أما كثرة المطر فتؤدي إلى الفيضانات والدمار. إن نزول المطر باعتدال، بالكمية المناسبة وفي الوقت المناسب - من أعظم نعم الله تعالى، والتي لولاها لما استمرت الحياة على الأرض. وعندما يتأمل المرء هذه الأنظمة الرياح والمطر وترباطها - يتضح له أنها ليست عشوائية أو عرضية. بل هي هادفة ومتوازنة ومضبوطة: سورة المؤمنون، الآية 18. بدقة، مما يدل على وحدانية الخالق الذي يديم كل شيء بحكمة ورحمة

"ولقد أنزلنا من السماء ماءً بقدرٍ فأسكناه في الأرض وإنا على ذهابٍ به لقادرون"

من يتأمل بصدق في الأنظمة الكونية المتوازنة تمامًا، لا يمكنه إنكار وجود خالق واحد يُدبر كل شيء بحكمة، وقدرة. من بُعد الأرض الدقيق عن الشمس، إلى تعاقب الليل والنهار، إلى التوازن الدقيق لدورة الماء والرياح، يشهد كل جانب من جوانب الخلق على النظام والتناغم والهدف. لا يمكن أن ينشأ هذا الكمال من قبيل الصدفة ولا يمكن أن تحافظ عليه قوى متنافسة متعددة، لأن ذلك سيؤدي إلى الفوضى والخراب. إن التوازن الملحوظ في السماوات والأرض، وفي تصميم الكائنات الحية، وفي دورات الحياة، كلها تشير إلى وحدانية الله تعالى فهو وحده يملك المعرفة والقدرة والإرادة لخلق الكون وصيانته وتوجيهه. إن إنكار هذه الحقيقة ليس مسألة منطق أو دليل، بل هو غرور ورغبة. وهكذا، يصبح التأمل في الخلق عبادة، لأنه يقود القلب والعقل إلى إدراك الخالق، والخضوع لسلطانه، والتعرف على آياته. وكما يذكرنا القرآن الكريم مراراً وتكراراً، فإن هذه العلامات ليست خفية، بل هي ظاهرة لمن يتفكر ويتأمل ويقترّب بصدق.

بالإضافة إلى ذلك، فإن الشخص الذي يوفر حتى جزءاً من احتياجات شخص آخر، مثل الطعام أو الملابس أو المسكن، يُعتبر بطبيعة الحال مستحقاً للشكر. فكم أعظم حق الله تعالى في أن يُشكر، فقد منح كل نعمة في الكون ويحافظ على كل جانب من جوانب الحياة البشرية. ومن العدل واللياقة أن يُظهر الناس له الامتنان في المقابل. يتجلى الامتنان الحقيقي في ثلاثة أبعاد. الامتنان بالنية يعني أن المرء يتصرف فقط من أجل إرضاء الله تعالى. أي عمل يتم بدوافع أخرى - مثل طلب الثناء أو التقدير أو الكسب الدنيوي - لن يكافئه عليه. وقد

تم التأكيد على هذه الحقيقة في حديث موجود في جامع الترمذي، رقم 3154. ومن الدلالة الواضحة على صدق النية أن الشخص لا يتوقع التقدير أو التعويض من الآخرين. الشكر باللسان هو قول الخير أو السكوت أما الشكر بالعمل فهو استخدام النعم فيما يرضي الله تعالى، كما بينه القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. وهذا الشكر يؤدي إلى زيادة النعم، كما وعد الله تعالى في سورة إبراهيم، الآية 7

لئن شكرتم لأزيدنكم

لا تقتصر هذه الزيادة على النعم المادية، بل تشمل السكينة الداخلية، وتوازن العقل والجسد، والقدرة على وضع كل شيء وكل شخص في مكانه الصحيح. علاوة على ذلك، وكما أنه من الطبيعي أن يتصرف المالك في ممتلكاته كيفما يشاء، فإن الله تعالى، بصفته خالق الكون ومالكه وحافظه، له وحده الحق في تقرير ما يجب وما لا يجب أن يحدث فيه. لذا، من العدل والحكمة أن يطيعه الناس، لأنهم ملكه. بالإضافة إلى ذلك عندما يُقرض شخص ما شيئاً لآخر، فمن العدل أن يستخدمه المُقرض وفقاً لرغبة صاحبه. كذلك، فإن بركات الدنيا ليست عطايا، بل هي قروض من الله تعالى. يجب سداد هذه القروض باستخدامها فيما يرضيه. أما: سورة الأعراف، الآية 43. بركات الجنة فهي عطايا حقيقية، تُمنح للمؤمنين مجاناً، ليتمتعوا بها دون قيود

"وقيل لهم: تلك الجنة التي أورتتموها بما كنتم تعملون..."

لذا، من الضروري ألا يخلط الناس بين نعيم الدنيا الزائل، وهو أمانة وقرض، ونعيم الجنة الأبدي، وهو هبات إن إدراك هذا التمييز يُنمّي التواضع والمسؤولية والشكر الصادق، ويضمن حسن استغلال النعم الدنيوية والسعي لنيل عطايا الآخرة الباقية.

:سورة المؤمنون، الآيات 88 إلى 89

"قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار منه إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل فكيف تخذعون"

من أهم الأسباب التي دفعت العرب غير المسلمين إلى الشرك بالله - رغم إقرارهم بقدرة الله تعالى ووجوده، ميلهم إلى نسب نقائص البشر إليه، كالتعب. ونتيجةً لذلك، رأوا الله تعالى من منظور ملوك الدنيا. فالملك - العاجز عن إدارة شؤون مملكته بمفرده، يعتمد على أعوانه ووزرائه وولاته لإدارة مختلف مناطق مملكته. متأثرين بهذا التشبيه الخاطئ، افترض كثيرٌ منهم أن الله تعالى لا بد أن يحتاج إلى وسطاء لإدارة الكون. ونتيجةً لذلك، بدأوا يعبدون كائنات أخرى، كالملائكة، معتقدين أن ذلك سيقربهم من الله تعالى ويكسب رضوانه. وقد ترسخ هذا المفهوم الخاطئ نفسه، للأسف، لدى بعض المسلمين أيضًا. يُكرّس هؤلاء الأفراد وقتهم، وثروتهم وطاقاتهم للبحث عن مَنْ يُعتبرون رُقياءً روحانيًا، مُعتقدين أن لهم مكانة خاصة عند الله تعالى، كما يحظى الحاكم برضا الملك. يأملون أن يُرضوا هذه الشخصيات الروحانية بالهدايا، أو التبجيل المُبالغ فيه، أو مظاهر التفاني العاطفية، في نيل الشفاعة والرحمة الإلهية من خلالهم. وبذلك، يُرسّخون، دون قصد هؤلاء الأفراد وسطاء أو حُرّاسًا بينهم وبين الله تعالى، وهو مفهوم يُناقض تمامًا أساس العقيدة الإسلامية. لم يكن الأنبياء عليهم السلام وسطاء أو حُرّاسًا قط. كانت مهمتهم المقدسة هداية البشرية نحو نيل راحة البال في الدنيا والآخرة. لم يدعوا الناس إلى عبادتهم أو تبجيلهم، ولم يطلبوا أي جزاء شخصي أو ثناء أو ربح مادي. مقابل تبليغ الحقيقة. بل وجَّهوا كل انتباههم وإخلاصهم وامتنانهم إلى الله تعالى وحده.

لذا، ينبغي للمسلم أن يطلب العلم الشرعي من أساتذة وعلماء أكفاء، وأن يُظهر لهم الاحترام والتقدير اللازمين لخدماتهم. ولكن، لا ينبغي أن يتجاوز هذا الاحترام حدود التبجيل إلى عبادة، ولا ينبغي أن يعتقد المرء أن التقرب إلى الله تعالى لا يتحقق إلا من خلالهم. فالله تعالى وحده هو صاحب السيطرة الكاملة والسلطة المطلقة على الكون. فهو يعلم كل ما يحدث فيه، وعلمه وقدرته لا يحددهما زمان ولا مكان ولا واسطة. يسمع دعاء كل فرد مباشرة، ويستجيب لمن يشاء. ولذلك، لا يحتاج إلى شفيع أو معين بينه وبين خلقه - وهي حقيقة: على سبيل المثال، سورة البقرة، الآية 186. مؤكدة بوضوح وتكرار في القرآن الكريم

"...وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان"

:سورة غافر الآية 60

"وقال ربكم ادعوني أستجب لكم"

:سورة البقرة، الآية 255

"...من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه..."

علاوة على ذلك، مع أن الشفاعة ستقع يوم القيامة - بإذن الله تعالى - فمن الضروري ألا يُعامل واقعها باستهزاء أو تهاون. ففعل ذلك يُعرّض صاحبه لخطر الحرمان من هذه الرحمة الرحيمة. وكثيراً ما يفعل من يسخرون من مفهوم الشفاعة ذلك بدافع شعور زائف بالأمان: فهم يُهملون استخدام النعم الممنوحة لهم وفقاً للمبادئ الإسلامية، ومع ذلك يظنون أن النجاة ستُضمن لهم من خلال تدخل الآخرين، سواءً أكانوا أقارب أو أولياء أو شخصيات روحية. وهذا الموقف ليس مُضللاً فحسب، بل خطير أيضاً. بل إن من يسخر أو يتخلى، عن روح الشفاعة الحقيقية قد يجد النبي محمد صلى الله عليه وسلم يشهد عليه يوم القيامة. سورة الفرقان الآية 30.

"وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً"

هذه الآية تُخص المسلمين تحديدًا، فهم الأمة الوحيدة التي أقرّت بالقرآن الكريم واعتنقته .-لا يُمكن وصف غير المسلمين بتركه، إذ لم يقبلوه أصلًا. لذا، يُوجّه هذا التحذير لمن يُهمل القرآن الكريم في المجتمع الإسلامي اعتقادًا أو عملًا. إن عاقبة أي مسلم يشهد عليه النبي محمد صلى الله عليه وسلم في ذلك اليوم بديهية -ومرعبة

حتى في حالات قبول الشفاعة، فإن التهاون في هذا العالم قد لا يمنع من دخول النار؛ بل قد يخفف على الأكثر من شدة أو مدة العقوبة. يجب أن نتذكر أن حتى أقصر لحظة في الجحيم لا تُطاق بما لا يتصور. لذلك، يجب أن يقرن الرجاء الحقيقي بالشفاعة دائمًا بجهد صادق: السعي إلى استخدام نعمة المرء وفقًا لهدى القرآن الكريم وتعاليم النبي محمد صلى الله عليه وسلم. فقط عندما يجمع المرء بين الرجاء في الشفاعة والطاعة الفعلية وإخلاص النية، يمكنه أن يأمل بحق في هذه الرحمة. وحتى في هذه الحالة، يجب أن نتذكر أن الشفاعة ليست ضمانًا مستقلًا - بل تخضع تمامًا لموافقة الله تعالى، الذي يأذن بها وحده

في الواقع، إن من تخلى عن النظام الإلهي الذي وضعه الله تعالى، مفضلًا الأنظمة التي وضعها البشر، إنما يفعل ذلك في المقام الأول لإشباع رغبات دنيوية. فكل قانون سلوكي يبتدعه البشر ينبع من ميول شخصية وتحيزات وفهم محدود. وعلى عكس الشريعة الإلهية التي أنزلها الله تعالى - والتي تقوم على المعرفة الكاملة والحكمة والعدل - فإن القوانين البشرية تتشكل من خلال المصلحة الذاتية والطموح المادي. إن أصحاب الثروة والسلطة غالبًا ما يكونون الأكثر مقاومة للحقيقة الإلهية. إنهم يدركون أن اعتناق الإسلام بصدق يتطلب منهم الخضوع لنظام أخلاقي يتطلب التواضع والعدل وضبط النفس - وهي مبادئ تتعارض مع تعلقهم بالرفاهية والسيطرة والهيمنة الاجتماعية. لذا، فإن إنكارهم للحقيقة لا ينبع من الجهل أو الحيرة، بل من الغطرسة وعدم الرغبة في التخلي عن استقلاليتهم المزعومة. وللحفاظ على نفوذهم، غالبًا ما يعمل هؤلاء الأفراد على نشر أيديولوجيات تبرر الانغماس في الملذات والانحلال الأخلاقي ورفض التوجيه الإلهي. إنهم يسعون إلى إبقاء الآخرين مقيدين بنفس الأوهام التي تُغذي سلطتهم، خوفًا من أن يُهدد التمسك الواسع بالتعاليم الإلهية البنى الفاسدة التي تعتمد عليها سلطتهم. وقد تكرر هذا النمط عبر التاريخ: فكثيرًا ما كان أصحاب الامتيازات الدنيوية أول من رفض الأنبياء عليهم السلام - ليس بسبب الشك في رسالتهم، بل لأن الخضوع الإلهي سيُزيل شعورهم الزائف بالتفوق والاستقلال. في نهاية المطاف، نادرًا ما يكون عدم الإيمان بالوحي الإلهي خلًا فكريًا؛ بل هو تمرد أخلاقي وروحي. أولئك الذين ينكرون الإسلام يفعلون ذلك للحفاظ على حياة خالية من المساءلة الإلهية، مفضلين الرضا الدنيوي الزائل على السلام والنجاح الأبدي. سورة المؤمنون

الآية 90

"بل جئناهم بالحق وإنهم لكاذبون "

نتيجةً لسيطرة شهواتهم الدنيوية، ابتكر الناس على مر التاريخ قواعد سلوك تُشرع تحقيق تلك الشهوات ذاتها فبدلاً من الخضوع للهداية الإلهية، بنوا أنظمةً تُبرر الإهمال والتساهل، مُتجنبين بذلك المساءلة. ومن الأمثلة على ذلك بعض العقائد المسيحية التي تزعم أن مجرد الإيمان بها يضمن الخلاص في الدنيا والآخرة بغض النظر عن أفعال المرء. هذه العقيدة، وإن كانت تُريح الغافلين، إلا أنها تُسقط مسؤولية السعي إلى البر والطاعة. فهي تُتيح للأفراد الانغماس في شهواتهم مع توقع الجزاء الأبدي، وهي فكرة تُناقض العقل والعدل. سورة المؤمنون، الآية 91، سورة 23

"...لم يتخذ الله ولداً "

إن ظهور واستمرار الاعتقادات الباطلة حول النبي عيسى عليه السلام يعود إلى ثلاثة عوامل رئيسية: مولده الخارق للعادة، والمعجزات التي أجراها بإذن الله تعالى، ومعجازه إلى السماء وهو حي.

يُقرّ القرآن الكريم بإعجاز ميلاده، ولكنه يفعل ذلك لتأكيد قدرة الله تعالى اللامحدودة ومشيتته العليا، وليس: سورة آل عمران، الآية 47. لمنح الألوهية للنبي الكريم عيسى عليه السلام

قالت مريم رضي الله عنها :يا رب أنى يكون لي ولد ولم يمسنني بشر؟ قال :كذلك الله يخلق ما يشاء، وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون.

،كما خلق الله تعالى النبي عيسى عليه السلام من دون أب، خلق آدم عليه السلام من دون أحد الوالدين. لذا فإن عدم وجود الأب ليس دليلاً على الألوهية، بل هو دليل على قدرة الله الخلاق الفائقة، التي تتجاوز قوانين :سورة آل عمران، الآية 59. الطبيعة العادية

"إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون"

،لذا، فمن غير المنطقي أن ينسب المسيحيون الألوهية إلى النبي عيسى عليه السلام لميلاده من غير أب ،ويمتنعون عن منحها للنبي آدم عليه السلام الذي خُلق من غير أب وأم. وبتطبيق العقل على الوجه الصحيح يتضح هذا التناقض، ويبطل زعمهم

علاوة على ذلك، بينما يُقرّ القرآن الكريم بمعجزات النبي عيسى عليه السلام، فإنه يُؤكّد في الوقت نفسه أن كل واحدة من هذه المعجزات حدثت بإذن الله تعالى وحده. كانت تجليات للقدرة الإلهية، وليست أدلة على :سورة آل عمران، الآية 49. الألوهية الشخصية

واجعل عيسى عليه السلام رسولاً إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تاكلون وما...تدخرون في بيوتكم

لو كان النبي عيسى عليه السلام إلهاً حقاً، لما احتاج إلى إذن الله تعالى ليُجري معجزاته. فارتباط معجزاته بالرضا الإلهي دليل قاطع على عبوديته لله تعالى. بل إن المسيحيين أنفسهم يُقرّون بأن أنبياء آخرين - مثل النبي موسى عليه السلام - أجروا معجزات عظيمة، لكنهم لا يُنسبون إليها الألوهية. وهذا التناقض الواضح يُظهر هشاشة حجّتهم

كذلك فإن معراج النبي عيسى عليه السلام إلى السماء ليس دليلاً على الألوهية، بل هو تجلّ لقدرة الله تعالى: سورة آل عمران، الآية 55. ومشيتته المطلقة، الذي رفعه بأمره وحفظه من كيد أعدائه

"...إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا"

يوضح القرآن الكريم للمسيحيين أن النبي عيسى عليه السلام لم يُصلب كما يزعمون، بل شُبّه به شخص آخر وصُلب مكانه. وعندئذٍ، كان الله تعالى قد رفع النبي عيسى عليه السلام إلى السماء، دافعاً إياه عن مكائد: سورة النساء، الآيتان ١٥٧-١٥٨. أعدائه، ومكرّماً إياه كأحد رسله المختارين عليه السلام

وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً ولكن رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً

هذا المفهوم للصلب يتعارض مع ادعاء الألوهية. فالموجود الإلهي الحق لا يموت، لأن الموت يعني الاعتماد على الله والحد، وهما صفتان لا تتوافقان مع الألوهية. علاوة على ذلك، اعتمد كل من النبي عيسى عليه السلام (سورة المائدة، الآية 75). وأمه مريم رضي الله عنها على الرزق، مما يؤكد طبيعتهما الخلقية والتبعية

ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صدوقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يُضلون

كذلك الملائكة، وإن كانوا لا يأكلون الطعام، فإن الله تعالى يرزقهم بطرق أخرى، وبالتالي ليسوا إلهيين. جميع المخلوقات معرضة للموت، وهذا وحده يدحض أي ادعاء للألوهية

علاوة على ذلك، فإن الطفل البيولوجي الحقيقي يعكس صفات والديه، ومع ذلك فإن النبي عيسى عليه السلام لا يشترك في أي صفة من صفات الله تعالى. فقد خُلِقَ ورُزِقَ وسيُبعث ويُبعث كسائر البشر. والله تعالى لا: سورة الإسراء، الآية ١١١. يحتاج إلى ذرية ولا رفقة ولا وارث

"...الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الدن"

عندما اعتنق الرومان المسيحية، أدخلوا مفهوم ألوهية النبي عيسى عليه السلام، مستعيرين بذلك أفكاراً من معتقداتهم الوثنية السابقة. وبذلك، ربطوا بين النبي الكريم المبارك عليه السلام وشخصيات أسطورية مثل - زيوس وهرقل وأودين. ومع ذلك، يُثبت العقل وحده أن الكائن المخلوق - الذي يُعيله غيره ويخضع للموت - لا يمكن أن يتسم بالألوهية، لأن هذه الصفات تتنافى مع طبيعة الكائن الإلهي

على الرغم من الأدلة الواضحة التي تؤكد أن النبي عيسى عليه السلام كان رسول الله تعالى، إلا أن كثيرًا من المسيحيين لا يزالون يعتقدون به اعتقادات خاطئة. ومن أهم أسباب ذلك التقليد الأعمى للأجيال السابقة الذي يمنع الأفراد من التدقيق في الأدلة أو التشكيك في المعتقدات الموروثة. تتعارض هذه الممارسة مع التعاليم الإسلامية والفطرة السليمة، فالبشر مُنْتَحَبُونَ بالعقل والقدرة على التمييز، لا مجرد اتباع الآخرين دون تفكير. لذا، يُعد التقليد الأعمى سببًا رئيسيًا للضلال. لذلك، يجب على الناس تجنبه، وممارسة العقل بدلًا منه، وتقييم المعرفة والدليل في كل أمر - سواء كان دنيويًا أو روحيًا - قبل إصدار الأحكام. حتى في الإسلام، يُنهي عن التقليد غير المدروس؛ إذ يأمر الله تعالى بفهم تعاليمه وقبولها والعمل بها من خلال التأمل والمعرفة. لا مجرد تكرار أفعال الآخرين. سورة يوسف، الآية 108

"...قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني"

آخر لاستمرار كثير من المسيحيين في الاعتقاد الخاطئ بالنبي الكريم عيسى كما ذكرنا سابقًا، هناك سبب مهم عليه السلام، رغم الدلائل القاطعة على كونه رسول الله تعالى، وهو سعيهم وراء شهواتهم الدنيوية. تؤكد بعض التعاليم المسيحية على أن النجاة في الدنيا والآخرة مضمونة بمجرد الإيمان بالمسيحية، بغض النظر عن أفعال المرء. هذا المفهوم يُتيح للأفراد الانغماس في طموحاتهم الدنيوية بشعور من الأمان بشأن مصيرهم المحتوم. ونتيجة لذلك، يتمسكون بهذه المعتقدات، مُقَدِّمِينَ الإشباع الشخصي على الخضوع لإطار أخلاقي: سورة المؤمنون، الآيتان 90-91. أسمى يؤكد على الاستخدام المسؤول والسليم لنعم الله تعالى

"...بل جنناهم بالحق وإنهم لكاذبون ما اتخذ الله ولدا"

على مر التاريخ، كلما خضعت شهوات الدنيا لسيطرة الناس، وضعوا قواعد سلوكية تُشرع، كما ذكر سابقًا تحقيقها بدلًا من الخضوع للهداية الإلهية من الله تعالى، بنوا أنظمة تُبرر الإهمال والتساهل والتهرب من المحاسبة. لم تنبع هذه الأطر التي وضعها البشر من سعي صادق وراء الحقيقة، بل من عزم على العيش

ومن أمثلة ذلك، كما ذكر سابقًا، اختلاق الآلهة على أمل كاذب بأن دون قيود مع الحفاظ على مظهر الفضيلة:
تشفع عند الله تعالى .سورة المؤمنون، الآية 91

"...ولم يكن معه إله قط "

لم تكن عبادة الأصنام الجامدة عبادةً خالصةً، بل وسيلةً مُلائمةً للظهور بمظهرٍ مُتدينٍ في نظر المجتمع، مع الاحتفاظ بحرية إساءة استخدام النعم .كان من صاغوا هذه الآلهة يُدركون أن هذه الأشياء الجامدة لا يُمكن أن تفرض عليهم إطارًا أخلاقيًا .فبتجليلهم للآلهة العاجزة، تحرروا من التزامات الشريعة الإلهية، ووضعوا بدلاً: سورة الأعراف، الآية 148 .من ذلك قواعد سلوك خاصة بهم تتماشى مع رغباتهم

واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلًا صورة له خوار أو لم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلاً "
"اتخذوه وكانوا ظالمين

جوهر جميع أشكال عبادة الأصنام وقواعد -السلوك البشري واحد :السعي وراء الشهوات الشخصية تحت ستار الفضيلة .قد يُظهر هؤلاء الأفراد أنفسهم ظاهريًا كمتبعين لمعايير أخلاقية أسمى، لكنهم في الواقع ،ببساطة يطاردون شهواتهم الدنيوية، كالحیوانات التي لا تحركها إلا الغريزة .بتخليهم عن الهداية الإلهية يخدعون الآخرين وأنفسهم، ويفقدون التوازن والكرامة والمسؤولية التي لا تأتي إلا من خلال الخضوع لله تعالى .هذا النمط ليس مقتصرًا على الماضي .ففي كل عصر، سعى الناس إلى بناء أيديولوجيات وفلسفات وأنماط حياة تبرر الانغماس في الملذات، مُخفين إياها بدعوى الأخلاق أو التقدم .سواء من خلال عبادة الأصنام في العصور القديمة أو قواعد السلوك الدنيوية في العصر الحديث، يبقى الدافع الأساسي واحدًا :التهرب من المسؤولية أمام الخالق مع الاستمرار في إشباع الشهوات .ومع ذلك، مهما بدت هذه الأنظمة متطورة، فإنها لا تُقدم هداية حقيقية، لأنها متجذرة في الشهوات لا في الوعي

يُفَتِّدُ الله تعالى فكرة تعدد الآلهة تمامًا بالرجوع إلى العقل والملاحظة. فلو كان هناك أكثر من إله واحد، لسعى كلٌّ منهم إلى التسلط على ما خلقه، ولنشأ الصراع بينهم حتمًا. ولأدى تنافس الإرادات والأوامر إلى الفوضى، الآية 91، سورة المؤمنون ، والتنافس والفوضى، مما جعل استقرار الكون مستحيلًا). سورة المؤمنون (سورة 23).

"...[لو كان]ذهب كل إله بما خلق، ولسعى بعضهم إلى بعض ..."

ومع ذلك، فإن ما يُرى في السماوات والأرض هو نقيض الفوضى تمامًا. فشروق الشمس وغروبها، وأطوار القمر، وتعاقب الليل والنهار، وتعاقب الفصول، وتوازن دورة الماء، والرياح، والسحب، وأنظمة أخرى لا تُحصى، تعمل جميعها في انسجام تام. كلٌّ منها يسير في مساره المُحدد دون انحراف، مُلبّيًا احتياجات الخلق، ومُحافظًا على الحياة بدقة. هذا النظام المُحكم يشهد على وحدانية الله تعالى. فالكون لا تُحكمه قوى مُتنافسة، بل خالق واحد ورازق يُدبّر كل شيء بحكمة. وانسجام الخلق في حد ذاته دليل على أنه لا إله إلا الله تعالى وأنه وحده المستحق للعبادة والطاعة. بل كلما تأمل المرء في النظام الطبيعي، أدرك أنه لا يُمكن الحفاظ على هذا التوازن إذا تعدد الآلهة. حتى داخل المجتمع البشري، عندما يُحاول قائدان متساويان في السلطة حكم شعب واحد، ينشأ الصراع والانقسام حتمًا. فكيف إذن يُمكن للسماوات والأرض الفسيحة، بنظمها التي لا تُحصى، أن تحافظ على هذا التوازن المثالي إذا كان هناك أكثر من خالق واحد؟ إن غياب الفوضى بحد ذاته دليل على الوحدة الإلهية. وهكذا، فإن انسجام الخلق ليس دليلًا على وجود الله تعالى فحسب، بل هو أيضاً دليل على وحدانيته. إنه تذكير بأنه وحده صاحب القدرة والعلم والسلطان المطلق، وأن جميع العبادة والشكر والطاعة يجب أن تُوجه إليه وحده. سورة المؤمنون، الآيتان 91-92

"سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ، عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ..."

طاعة الله تعالى غالبًا ما تتطلب من الإنسان كبح جماح شهواته الدنيوية، ولذلك يُصرّ كثيرون على معصيته مُسيئين استخدام النعم التي أنعم بها عليهم. ومع ذلك، يُحذّر الله تعالى الناس من الاغترار برحمته في الدنيا هذا التأخير في العقاب ليس علامة رضا، بل فرصة للتوبة والإصلاح. في النهاية، سيُحاسِب كل فرد على أفعاله، عاجلاً أم آجلاً في الآخرة. سورة المؤمنون، الآيات 93-95

قل ربِّ إن أريتنى ما يوعدون، ربِّ فلا تجعلني مع القوم الظالمين، وإنا على أن نريك ما نعدهم لقادرون

لا ينبغي لمن يُسيء استخدام النعم التي وُهِبَتْ له أن يظنَّ أبداً أن غياب العقاب الفوري يعني سلامته، لذلك في الواقع، يمنعه إهماله من تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، ويدفعه إلى إساءة استخدام كل شيء وكل شخص في حياته. ونتيجةً لذلك، تصبح الأشياء التي يُفترض أن تُشعره بالراحة - العائلة والأصدقاء عندما يُصرّ هؤلاء الأفراد على العصيان، غالبًا ما يُسيئون. والعمل والثروة - مصادر للتوتر والاضطراب توجيه اللوم، مُحمّلين الآخرين - مثل الزوج أو الزوجة أو الأبناء - مسؤولية اضطرابهم الداخلي. وباستبعادهم للتأثيرات الإيجابية من حياتهم، فإنهم يُعمّقون اضطرابهم، حتى ينحدروا إلى أنماط مُدمّرة كالاكتئاب وإدمان المخدرات، وحتى الميول الانتحارية. تتجلى هذه النتيجة المأساوية عندما يُسيء المرء استخدام النعم التي وُهِبَتْ له، بمن فيهم الأغنياء والمشاهير. فرغم ترفهم الدنيوي، يُعاني الكثيرون من الفراغ الداخلي والاضطراب، لأن النعم دون امتنان وطاعة تُصبح نقمةً لا هبة. والأخطر من ذلك، أن إهمالهم يمنعهم من الاستعداد للحساب يوم القيامة. فالعقاب الذي ينتظرهم في الآخرة أشد بكثير من أي عذاب واجهوه في الدنيا. فهو أبدي لا مفر منه. ثم يتبين أن ما ظنوه أمانًا، إنما هو اختبارٌ لم يدركوه.

من استغلَّ هبة الله تعالى في إصلاح سلوكه والثبات على طاعته، بحسن استغلاله للنعم التي وهبه إياها، ينال راحة البال الحقيقية في الدنيا والآخرة. ويتجلى ذلك في حالة نفسية وجسدية متوازنة، وتناغم تام بين كل شيء وكل شخص في حياته.

لذا يُعَلِّمُ الإسلام أن ضبط الشهوات الدنيوية ضروريٌّ للنجاح والسكينة. يحقّ لمن همّهم الوحيد إشباع شهواتهم الشخصية أن ينتقدوا ويعارضوا من يطيعون الله تعالى، إذ يكشف الإسلام عن الطبيعة الجامحة والحيوانية للشهوات الجامحة. علاوةً على ذلك، فإنّ الشركات والصناعات التي تستفيد من الانغماس والإشباع المفرط تُشجّع الناس بنشاط على تجاهل التعاليم الإسلامية، إذ إنّ الالتزام بالهداية الإلهية سيحدّ من نفوذها وأرباحها في مواجهة هذه الانتقادات والضغوط المجتمعية، يجب على المرء أن يظلّ ثابتاً على طاعة الله تعالى، واثقاً بأنّه سيمنحه راحة البال الحقيقية والحماية من مضارّ الناس، حتى وإن لم تكن هذه الحماية ظاهرةً للعيان. سورة المؤمنون، الآية 96

"ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون"

- في المقابل، من يسعى لإرضاء المجتمع معصية الله تعالى، لن يجد حمايةً أو رضاءً يدوم. فالقبول الدنيوي عبر وسائل التواصل الاجتماعي، والموضة، والصيحات، والقبول الثقافي - زائلٌ لا يُعتمد عليه. ولا يُغني عن الهداية الإلهية أيُّ قدرٍ من الاهتمام أو الثناء. ما دام الإنسان ثابتاً على طاعة الله تعالى، مُستعيناً بالنعمة المُنزلة عليه وفقاً للتعاليم الإسلامية، فإنه سيحقق التوازن النفسي والبدني، ويُرتّب علاقاته ومسؤولياته على النحو الصحيح، ويسير في حياته بسلام ووضوح.

عندما يُنتقد المرء لطاعته لله تعالى، فإن من أساليب الشيطان وأعوانه الماكرة الضغط عليه، علاوة على ذلك لترك الطاعة والانقياد للأغلبية، لينجو من السخرية والنقد والعزلة الاجتماعية. هذا امتحانٌ أبدي، فطريق: سورة المؤمنون، الآيتان 97-98. الحق كان دائماً أضيق وأصعب من طريق الهوى

"وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك ربّي أن يحضرون "

يُذَكِّر هذا الدعاء الإنسان بأنّ الوقاية من هذه الوسواس لا تتمّ بالقوّة الذاتية وحدها، بل باللجوء إلى الله تعالى الذي وحده قادرٌ على حماية القلب من الفساد. وفي مواجهة هذه الوسواس، يتطلّب الثبات على الطاعة إيماناً قوياً. والإيمان القوي لا غنى عنه، فهو يضمن الثبات في كلّ ظرف، سواءً في أوقات الرخاء التي قد تُغريك فيها ملاذات الدنيا بالغفلة، أو في أوقات الشدّة التي قد تدفعك فيها الشدّة إلى اليأس. ويُزرع الإيمان القوي بتعلّم الأدلّة والبراهين الواضحة الموجودة في القرآن الكريم وأحاديث النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم فهذه المصادر تُنير حقيقة أنّ الطاعة الصادقة لله تعالى هي الطريق الحقيقي إلى راحة البال في الدنيا. ثمّ يتقوى بالعمل بهذه المعرفة بإخلاص، فلا يكون الإيمان مجردَ نظرية بل مُعاشاً ومُجسّداً. على النقيض من ذلك، من يجهل تعاليم الإسلام سيضعف إيمانه حتّى سيقع هذا الشخص بسهولة في المعصية كلما تعارضت رغباته، لأنّه يفشل في إدراك أن كبت رغباته وطاعته لله تعالى هو مفتاح الطمأنينة الداخلية والنجاح الدائم لذلك، يجب السعي وراء اليقين الإيماني من خلال التعلم والممارسة المستمرة. وهذا يعني استخدام كل نعمة المال والصحة والأسرة والوقت والعقل - بطرق تتوافق مع التوجيه الإلهي. عندما تُستغل النعم بشكل - صحيح، فإنّها تصبح مصدراً للتوازن، مما يسمح للشخص بتحقيق الاستقرار النفسي والجسدي، ووضع كل شيء وكل شخص في مكانه الصحيح في حياته. بهذه الطريقة، لا يقاوم الشخص وسواس الشيطان فحسب بل يحول أيضاً المحن إلى فرص للنمو، وتحقيق راحة البال في هذه الدنيا والسعادة الأبدية في الآخرة.

لكن عندما يفتقر المرء إلى الإيمان الراسخ، ويخضع لضغوط المجتمع أو خوف النقد، فإنّه يُخاطر بالتخلي عن هدي الإسلام. وبذلك، يُخالف الله تعالى، مُسيء استخدام النعم التي وُهِبَت له. هذا السلوك يُؤدي حتّى إلى اختلال التوازن الداخلي - النفسي والجسدي - إذ تُشوّه أولوياته، ويُقصر في تقدير الناس والأمر في حياته ونتيجةً لذلك، سيظلّ غير مُستعدّ للحساب النهائي يوم القيامة. فمع أنّه قد ينعم ببعض النعيم الدنيوي، إلا أن حياته ستمتلئ بالقلق والمشقة والاضطراب، لأن السلام الحقيقي لا يجتمع مع الغفلة الروحية. إن إهماله للحساب الإلهي في الدنيا سيؤدي إلى عذابٍ شديد في الآخرة - عذابٍ أعظم بكثير من أي معاناة قد يواجهها في الحياة الدنيا. بمجرد حلول الموت، تنقطع فرصة الإصلاح والعمل الصالح تماماً. الحياة الدنيا هي الوقت الوحيد المُتاح للتوبة والتأمل والعمل الصالح. وبعد انقضاء هذه المدة، لا يغير الندم ولا التضرع من قدر المرء أمام الله تعالى. سورة المؤمنون، الآيتان 99-100

إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعوني لعلي أعمل صالحاً فيما تركت كلا إنها كلمة يقولها ومن خلفهم حتى برزخ إلى يوم يبعثون

،ينبغي للإنسان أن يُدرك أن الندم ينقسم إلى قسمين :الأول ندم مرتبط بأمور دنيوية، كالزواج، أو الإنجاب أو تفويت فرص مُعينة في الحياة .هذه الندمات، مهما بلغت شدتها، مؤقتة .إما أن تزول بتحقيق رغبة، أو بتغيير منظورها، أو بالموت .وإن استمرت حتى الموت، فإنها تبقى محدودة، فلا تُؤدي إلى عذاب ولا عقاب .بل على الأكثر تُسبب حزنًا أو سخطًا، ولكن بمجرد دخول الإنسان الجنة برحمة الله تعالى، تزول تمامًا

أما النوع الثاني، فهو أشد وطأة :ندم الآخرة .وهي ندم يحس به الإنسان في قبره ويوم القيامة، ندم على إضاعة الوقت، وضياع فرص العبادة، وعدم استغلال النعم في طاعة الله تعالى .بخلاف ندم الدنيا، فهذه الندمات طويلة الأمد، لأن مدة القبر ويوم القيامة أطول بكثير من مدة الدنيا) .سورة الحج، الآية 47)

"وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون"

لا تنتهي هذه الندمات إلا بدخول الجنة، وقد يتأخر دخول البعض مدةً طويلةً لا تُحصى، أو قد لا يحدث إطلاقًا .وهذه الندمات ليست دائمة فحسب، بل لها عواقب وخيمة، فقد تؤدي إلى عذابٍ شديدٍ في الآخرة

لذا، ينبغي للإنسان أن يتأمل هذه الحقيقة مليًا .إن الإحسان الحقيقي للنفس لا يكمن في درء الندمات الدنيوية العارضة، بل في السعي جاهدًا لتجنب الندمات الأبدية في الآخرة .ويتحقق ذلك باستغلال الوقت والصحة .والمال والفرص في طاعة الله تعالى، والاستعداد للآخرة .(سورة المؤمنون، الآيتان 99-100)

إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعوني لعلي أعمل صالحًا فيما تركت كلا إنها كلمة يقولها ومن خلفهم حتى برزخ إلى يوم يبعثون

لذا، يُقدّم العاقل على الاهتمام بنوازع الدنيا الزائلة إزالة حسرة الآخرة، وذلك بطاعة الله تعالى في كل حال، وحسن استغلال نعمه كما وردت في التعاليم الإسلامية. وبذلك، يضمن راحة البال في الدنيا، ووضوح الهدف تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، وحسن توزيع كل شيء وكل والتوفيق الأبدي في الآخرة، من خلال شخص في حياته.

علاوة على ذلك، يجب على الإنسان أن يحذر من الوقوع في الأوهام، فيصر على معصية الله تعالى، ويظن: سورة المؤمنون، الآية ١٠١. زورًا أن غيره سيضمن له النجاة

"فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون "

تُذكر هذه الآية بشدة بأنه في يوم القيامة، لن تُوفّر أي روابط دنيوية أو اجتماعية أو علاقات شخصية أي حماية أو شفاعة إلا بإذن صريح من الله تعالى. ومع أن الشفاعة ستحدث بالفعل في ذلك اليوم، إلا أنها تُمنح بمشيئته وحده، ويجب ألا يُساء فهمها على أنها ضمان لمن يُصرّ على الإهمال أو العصيان. إن التعامل مع مفهوم الشفاعة باستهزاء أو تهاون أو تهاون قد يؤدي إلى حرمان من هذه الرحمة الإلهية تمامًا. كثير ممن يسخرون من الشفاعة يفعلون ذلك بدافع شعور زائف بالأمان، معتقدين أن الآخرين - سواء كانوا أفرادًا من العائلة أو شخصيات روحية أو أشخاصًا موثّرين - يمكنهم إعفائهم من مسؤوليتهم بينما يستمرون في إهمال النعم التي أنعم الله عليهم بها. هذا الموقف يعكس غطرسةً وغفلةً، إذ يتجاهل التوجيه الواضح بأن النجاة مشروطة بالطاعة الصادقة، والعمل الصالح، وحسن استغلال القدرات والنعم، وفقًا للقرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. بل إن من يستهين بالشفاعة قد يجد أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم يشهد عليه (يوم القيامة). سورة الفرقان، الآية 30)

"وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا "

، هذا التحذير موجةً تحديداً للمسلمين، فهم الأمة التي تلقت القرآن الكريم وأقرت به واعتنقته .أما غير المسلمين فلم يقبلوا رسالته الإلهية، فلا يمكن القول إنهم تخلوا عنه .إن عواقب أي مسلم يتجاهل القرآن الكريم ويعتمد على الأوهام أو الشفاعة المفترضة للآخرين وخيمة لا مفر منها

لذلك، يجب على الإنسان أن يدرك أن المساءلة أمام الله تعالى شخصية لا مفر منها .لا يمكن الاستعانة بغيره .أو افتراض النجاة؛ بل يتحقق فقط بالإيمان الصادق والطاعة الراسخة والاستخدام الصحيح لنعم الله تعالى .إن فهم هذا المبدأ يغرس التواضع واليقظة والمبادرة في الحياة، مما يضمن العمل وفقاً للهداية الإلهية بدلاً من الاعتماد على الآمال الكاذبة أو الحماية المزعومة من الآخرين .سورة المؤمنون، الآية 102

"ومن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون "

،أما من يتخذ موقفاً ضالاً بالإصرار على معصية الله تعالى، ويأمل ظناً كاذباً بأن غيره سيضمن نجاته :سورة المؤمنون، الآية ١٠٣ .فسيواجه محاسبة قاسية وصعبة يوم القيامة

«ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون فيها »

علاوة على ذلك، تُعدّ هذه الآية تحذيرًا عميقًا بأن مجرد التصريح بالإيمان بالله تعالى لا يكفي إن لم يُدعم، ويُقوّى بالأعمال الصالحة. فالإيمان ليس ملكًا ثابتًا لا يمسه شيء مهما كانت أفعال المرء؛ بل هو ديناميكي، قابل للنمو والزوال. ويمكن تشبيهه بشعلة رقيقة تتطلب عناية مستمرة. فكما أن النار، مهما بلغت من التوهج ستخمد في النهاية إذا حُرمت من وقودها، كذلك يضعف الإيمان ويتعرض للانطفاء إن لم يُدعم بالأعمال الصالحة. إن إهمال هذا الغذاء الروحي يُعرّض الإنسان لخطر جسيم يتمثل في فقدان النور الذي يُرشده عبر محن الدنيا وظلمات الآخرة. وهذه الخسارة هي الأشد تدميرًا، فبدون الإيمان، يُترك الإنسان بلا هدى، بلا حماية، بلا أمل في النجاة). سورة المؤمنون، الآية ١٠٤)

"تُحرق وجوههم النار وهم فيها مستبشرون "

،من أهم أسباب وصف الآخرة - ولا سيما يوم القيامة والنار - بتفاصيلها الدقيقة والعميقة في التعاليم الإسلامية، تفنيد المعتقدات الباطلة التي اعتنقتها الأمم السابقة. فقد استخفّ كثير منهم بهذه الحقائق، واعتبروها بعيدة المنال، بل وسخروا منها. وكان موقفهم الراض نابعًا من التمني: فقد أصرّوا على معصية الله تعالى، مُقنعين أنفسهم بأنهم سينالون النجاة في الدنيا والآخرة. واتّخذت هذه الافتراضات الباطلة أشكالًا متعددة. فاعتمد بعضهم على شفاعة الصالحين دون بذل أي جهد شخصي لإصلاح ذاتهم. واعتقد آخرون أن مجرد النطق بالإيمان يكفي للنجاة، مهما كانت أعمالهم. وافترض بعضهم أن الاعتذار والتوبة ستقبلان تلقائيًا يوم القيامة حتى لو عاشوا حياة غفلة. وتصور آخرون أن عذاب الآخرة لن يكون أشدّ من مشاق الدنيا. كلّ من هذه المفاهيم أوحى بشعور زائف بالأمان، وشجّع على التهاون والانغماس في المعاصي. ولإزالة هذه المفاهيم الخاطئة، يُقدّم القرآن الكريم وأحاديث النبي محمد صلى الله عليه وسلم حقائق الآخرة بعبارات واضحة لا هواده فيها. سورة الحج، الآية 22

يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم "بسكارى ولكن عذاب الله شديد

تتنقل هذه الآية هول يوم القيامة وثقله، حين تعجز حتى أعمق الروابط الفطرية والغرائز البشرية. لا تهدف هذه الصور الحية إلى بث اليأس، بل إلى إيقاظ القلوب، وتبديد الآمال الزائفة، والتأكيد على جدية المسألة الشخصية. الهدف هو إلهام الطاعة الصادقة لله تعالى، وذلك باستخدام نعمه بما يرضيه، كما هو مبين في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. عندما يُعتقد الإنسان هذه التعاليم بصدق، يُحمى من التهاون، ويُصان من الأوهام، ويُهدى إلى حياة تتسم بالإخلاص والتواضع والشعور العميق بالمسؤولية وبذلك، يُهيئ نفسه للآخرة بنشاط، ويضمن الحماية من العقاب، ويحقق النجاح في الدنيا والآخرة، من خلال تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في مكانه الصحيح.

إذا لم يُدرك المرء خطورة يوم القيامة وحسابه الحتمي أمام الله تعالى، واتخذ موقفًا من الرضا والغفلة، فإن المعصية ستنتبعه بطبيعة الحال. سيُسيء هذا الشخص استخدام النعم التي وُهِبَتْ له، فيعتبرها أدواتٍ للانغماس لا أماناتٍ تُستخدَم في الطاعة. هذا الإساءة لا تمر دون عواقب، بل تُخلّ بالتوازن الطبيعي لحياته، مما يؤدي إلى حالة نفسية وجسدية غير مستقرة. يبدأ في إساءة ترتيب أولوياته، مُعطيًا أهميةً مفرطةً لما هو زائل مُهملاً ما هو أبدي، وبذلك يُسيء ترتيب كل شيء وكل شخص في حياته. يتجلى هذا الخلل حتمًا في التوتر والصراع والصعوبات، حتى لو بدا ظاهريًا أنه يتمتع بالرفاهية الدنيوية. لا يمكن للثروة أو المكانة أو الراحة أن تحميه من الاضطراب الداخلي الذي ينشأ عند إساءة استخدام النعم. بدلاً من أن تكون مصادر للسكينة، تصبح الأسرة والأصدقاء والعمل والممتلكات أعباءً وأسبابًا للقلق. والأخطر من ذلك، أن هذا التهاون يمنعهم من الاستعداد لمحاسبتهم النهائية. يعيشون كما لو أن هناك دائمًا وقتًا للإصلاح، لكن الموت يأتي فجأة، ويوم القيامة لا يُنَّجِ أي فرصة ثانية. وعندما يقفون أخيرًا بين يدي الله تعالى، سيجدون أنفسهم غير مستعدين، بلا أعذار، وبلا: سورة المؤمنون، الآيات 105-108. فرص لإصلاح ماضيهم

ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون؟ قالوا ربنا غلبتنا شقاوتنا وكنا قوما ضالين، ربنا أخرجنا منها»
«وإن عدنا إنا لظالمون، قال اذللون فيها ولا تكلمون

لذا، فإن الخطر الحقيقي للتهاون لا يقتصر على فقدان السلام في الدنيا فحسب، بل يشمل أيضًا فقدان النجاة في الآخرة. لذا، يتفكر العاقل في هذه الحقائق، ويستغل النعم التي وُهِبَتْ له استغلالًا صحيحًا، ويستعد ليوم لا ينفع فيه أحدٌ نفسًا، ويلقى فيه كلُّ جزاء أعماله.

في هذا العالم، من الشائع أن يُمنح الشخص الذي يفشل في مهمة أو نشاط معين فرصة ثانية. أحيانًا تكون هذه الفرصة الثانية مباشرة، مثل إعادة امتحان أو اختبار قيادة فاشل. وأحيانًا أخرى تكون غير مباشرة، مثل منح المطلق فرصة للزواج مرة أخرى. يمتد مفهوم الفرص الثانية هذا حتى إلى الأمور الدينية. فكل إنسان على سبيل المثال، يمر بـ"شقيقة الموت": النوم. ثم يُمنح معظمهم فرصة أخرى للحياة عندما يستيقظون، ومع هذه الحياة المتجددة تأتي فرصة أخرى لطاعة الله تعالى بإخلاص. سورة الزمر، الآية 42:

الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى "أجل مسمى إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون"

ومع ذلك، فإن تكرار هذه التجربة للفرص الثانية قد يُرسخ لدى الإنسان افتراضًا خطيرًا: أنه كما يُمنح مرارًا وتكرارًا فرصًا لتصحيح أخطائه في الدنيا، فإنه سيُمنح أيضًا فرصة أخرى يوم القيامة إذا لم يُجهّز نفسه جيدًا هذا وهمٌ خفيٌ وخدعةٌ من الشيطان. إنه دقيقٌ لدرجة أن المرء قد يعيش عمليًا بهذه الطريقة دون أن يُدرك ذلك، مُفترضًا لا شعوريًا أن الآخرة ستحاكي أنماط هذه الدنيا.

لكن الحقيقة هي أن يوم القيامة لا يُتيح فرصة ثانية. فبمجرد رحيل المرء عن هذه الدنيا، يُختم سجله، وتُختم أعماله - خيرًا كان أم شرًا - . ولن تُتاح له فرصة للعودة أو الإصلاح أو التكفير. ولذلك، فإن أفضل سبيل لمقاومة هذا الوهم هو تقوية الإيمان. ولا يُقوى الإيمان إلا بتعلم القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم والعمل بهما. تُثير هذه المعرفة حقيقة أن الآخرة دار جزاء لا إصلاح، وأن الاستعداد يجب أن يكون من الآن في هذه الحياة الزائلة. وبلا استمرار في استخدام النعم التي وهبَ المرء بما يُرضي الله تعالى، سورة المؤمنون، الآيتان. يقي المرء نفسه من التهاون ويضمن استعداده العملي ليوم القيامة في كل وقت ١٠٧-١٠٨.

ربنا أخرجنا منها فإن عدنا إنا لظالمون قال اهينوا فيها ولا تكلمون

من يدرك حقيقة استحالة وجود فرص ثانية في الآخرة، يستغلّ الفرص المتاحة في هذه الحياة على أكمل وجه بالثبات على طاعة الله تعالى. ويفعلون ذلك بحسن استغلال نعمه عليهم، كما هو مبين في التعاليم الإسلامية وبهذا السلوك، يحققون حالة نفسية وجسدية متوازنة، ويضعون أولوياتهم ويضعون كل شيء وكل شخص في حياتهم على الوجه الصحيح، ويستعدون جيدًا للحساب يوم القيامة. هذا السلوك يؤدي بطبيعة الحال إلى: سورة المؤمنون، الآية ١٠٩. راحة بال حقيقية في الدنيا والآخرة

"إنه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنة فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين "

تؤكد هذه الآية أيضًا أن الله تعالى لا يطلب الكمال من عباده، بل يُقدّره الاجتهاد الصادق والتواضع والتوبة. فما دام الإنسان يسعى بصدق في طاعته ويتوب توبة نصوحًا من أي تقصير أو ذنوب، فإنه مضمون له رحمته ومغفرته في الدارين. والتوبة الصادقة تتضمن الشعور بالندم على أفعال المرء، وطلب المغفرة من الله تعالى، وعند الاقتضاء، من كل مظلوم، شريطة ألا يُسبب ذلك مزيدًا من الضرر. كما تتطلب التزامًا راسخًا بتجنب تكرار الأخطاء نفسها أو ما شابهها، واستعادة أي حقوق انتهكة - سواء كانت لله تعالى أو لغيره. وبعد التوبة الصادقة، يجب على المرء أن يواصل بجد في طاعة الله تعالى، مستخدمًا نعمه التي أنعم بها على الوجه الذي يرضيه، كما هو مبين في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. يضمن من خلال الحصول على حالة، هذا المسار النمو الروحي والهدوء الداخلي والنجاح الدائم في كلا العالمين. عقلية وجسدية متوازنة ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص بشكل صحيح في حياتهم

في جميع أنحاء التعاليم الإسلامية، يُذكّر الناس مرارًا وتكرارًا بأن الثبات على طاعة الله تعالى سيجلب لا محالة انتقاد الآخرين. وذلك لأن أوامر الله تعالى تتحدى مباشرة السعي وراء الشهوات الدنيوية والطموحات الجامحة. أولئك الذين يرغبون في الانغماس بحرية في أهوائهم يجدون انضباط الشريعة الإلهية مقيدًا، وبالتالي يعارضونه. علاوة على ذلك، تزدهر شركات وصناعات بأكملها من خلال تشجيع الناس على إطلاق العنان

لشهواتهم دون قيود .هذه الصناعات، سواء في مجال الترفيه أو الموضة أو غيرها، تقاوم بطبيعة الحال التعاليم الإسلامية، لأن هذه التعاليم تدعو إلى الاعتدال والمساءلة وضبط النفس .في مواجهة هذا النقد والمعارضة، يجب على المرء أن يظل ثابتاً على طاعة الله تعالى .ويتحقق هذا الثبات بحسن استخدام النعم التي أنعم بها - المال والصحة والعقل والأسرة والوقت - بما يرضيه .عندما يفعل الإنسان ذلك، يمنحه الله تعالى راحة البال ويحميه من مساوئ الناس، حتى وإن لم تظهر هذه الحماية فوراً .بالطاعة، يصل الإنسان إلى حالة من التوازن النفسي والجسدي، ويتعلم أن يضع كل شيء وكل شخص في مكانه الصحيح في حياته يصبح هذا التوازن الداخلي درعاً ومصدر قوة، مما يُمكنه من تحمل النقد دون تردد .والأهم من ذلك، أن ثباته يُهيئه للمحاسبة يوم القيامة .في ذلك اليوم، عندما لا يملك النقاد والصناع الدنيويون أي قوة، يُكافئه الله تعالى بنعم ونعيم لا يُحصى - مكافآت تفوق بكثير أي مشقة أو نقد قد يحتمله في هذه الدنيا الفانية .وهكذا يُدرك العاقل أن النقد في هذه الدنيا زائل، لكن ثواب الطاعة الثابتة أبدي .إن الثبات على طريق الله تعالى ،ليس مفتاح السلام في الدنيا فحسب، بل هو أيضاً بوابة إلى نجاح لا يُصدق في الآخرة .سورة المؤمنون :الآيات 109 إلى 111

إنه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين .فاتخذتهم هزواً حتى " .أنسوك ذكرى وكنت منهم تضحك .إني جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم المفلحون

علاوة على ذلك، تُذكّرنا هذه الآيات بشدة ألا ينشغل الناس بشؤون الآخرين لدرجة إهمال مسؤولياتهم تجاه - الله تعالى وتجاه الخلق .فمن الممكن أن يُركز المرء على إرشاد الآخرين - كأبنائه أو عائلته أو مجتمعه لدرجة أنه يفشل في تعديل سلوكه وشخصيته .في هذه الحالة، يُشبهون شمعة تُنير للآخرين بينما تستهلك نفسها، فتحترق في النهاية .كما قد ينشأ الإهمال عندما يتبع المرء رأي الأغلبية في المجتمع بشكل أعمى فكثيراً ما تسخر الأغلبية وتنتقد من يكبحون شهواتهم الدنيوية ويبقون ثابتين على طاعة الله تعالى .وعندما ينغمس المرء في تقليد هذه المواقف، فإنه يفقد القدرة على التأمل في التعاليم الإسلامية بعقل منفتح وغير متحيز .هذا يمنعهم من إدراك الفوائد العميقة التي يقدمها الإسلام :راحة البال في الدنيا والآخرة من خلال حالة ذهنية وجسدية متوازنة، والتوزيع الصحيح لكل شيء وكل شخص في حياة المرء، وإرساء العدل والوئام في المجتمع من خلال الوفاء بحقوق الناس .بتجاهل هذه الفوائد، يُصرّ هؤلاء الأفراد على إساءة استخدام النعم التي مُنحت لهم .والنتيجة هي حياة غير متوازنة، حيث تُخطئ الأولويات، وتتوتر العلاقات، ويفقد الاستقرار الداخلي .يؤدي هذا الخلل إلى التوتر والصراع والصعوبات في الدنيا والآخرة، حتى لو بدا أنهم يتمتعون برفاهيات دنيوية .والأخطر من ذلك، أن غفلتهم تمنعهم من الاستعداد الكافي لحسابهم يوم القيامة .سورة المؤمنون، الآية 110

"ولكنك اتخذتهم هزوا حتى أنسوك ذكري وكنت منهم تضحك"

ولإبراز أهمية الاهتمام بشؤون النفس ليطمئن قلبه ويستعد للحساب يوم القيامة، يُحذر الله تعالى الناس من قصر أجلهم في الدنيا. سورة المؤمنون، الآيات ١١٢-١١٤

قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فاسأل الذين يعدون قال إن لبثتم إلا قليلا لو كنتم تعلمون

إنها بالفعل صفة مذمومة للغاية، لأنها تكمن. لذلك، يجب على المرء تجنب التعلق بالأمل الكاذب بطول العمر في صميم سبب إعطاء الإنسان الأولوية لجمع الدنيا وإهمال الاستعداد للآخرة. -يكفي تأمل بسيط في متوسط أربع وعشرين ساعة من عمر الإنسان لكشف هذه الحقيقة: كم من هذا الوقت يُخصص للدنيا، وكم يُخصص للحياة الأبدية؟ إن الأمل الكاذب بطول العمر من أقوى أسلحة الشيطان لتضليل الناس. فعندما يُقنع المرء نفسه بأنه سيعيش طويلاً، يُؤجل الاستعداد للآخرة، معتقداً خطأ أنه قادر على الإصلاح في المستقبل القريب. ومع ذلك، في معظم الحالات، لا يأتي هذا "المستقبل القريب" أبداً، ويدركه الموت قبل أن يُجهز نفسه جيداً. كما يُسبب هذا الأمل الكاذب تأخير التوبة الصادقة والسعي لتحسين الأخلاق. ويُشجع على اكتناز الثروات والممتلكات، إذ يُقنع الناس أنفسهم بأنهم سيحتاجون إليها لحياتهم الطويلة المُتخيلة على الأرض. يُخيفهم الشيطان بأفكار الفقر في الكبر، ويهمس لهم بضرورة تأمين مستقبلهم بادخار المال، ناسين أن الله تعالى الذي رزقهم في شبابهم سيرزقهم في شيخوختهم. بل إن رزق الخلق قد قُدِّر قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف عام، كما ورد في حديث صحيح مسلم رقم 6748. ومن العجيب أن يُنفق الإنسان أربعين عاماً من عمره مدخراً للتقاعد، الذي نادراً ما يتجاوز عشرين عاماً، ثم لا يُعدّ نفسه للآخرة الخالدة.

لا يُحرّم الإسلام الاستعداد للدنيا .ولا حرج في الادخار للمستقبل القريب، بشرط أن تبقى الآخرة هي الأولوية ومع ذلك، يعيش كثيرون كأنهم لن يموتوا أبدًا، وكأن حياتهم الدنيا لا نهاية لها .حتى لو وُعدوا بالحياة الأبدية في الدنيا، لما استطاعوا السعيَ بجهدٍ أكبر لجمع المزيد من المال، لأن حدود الليل والنهار ستظلّ تُقيّدُهم .كم من الناس ماتوا قبل الأوان، وكم من الناس يتعظون من هذه الحقيقة؟

،في الحقيقة، إن من أعظم الآلام التي يشعر بها الإنسان عند الموت، أو في أي مرحلة من مراحل الآخرة :الندم على تأخير الاستعداد .سورة المنافقون، الآيتان ١٠-١١

وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين ولن يؤخر الله نفسًا إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون

يُصنّف المرءُ أحمقًا إن أنفقَ وقتًا ومالًا أكثر على منزلٍ لن يسكنه إلا قليلًا، مُهملاً منزلًا سيسكنه طويلًا .هذا مثالٌ دقيقٌ على تفضيل الدنيا على الآخرة .لذا، فبينما ينبغي للإنسان أن يعمل للدنيا والآخرة، عليه أن يتذكر أن الموت لا يأتي في وقتٍ أو حالٍ أو عمرٍ معلوم .مجيئه مؤكد، لكن لحظته خفية .لذا، فإن الاستعداد للموت وما يليه يجب أن يُقدّم دائمًا على الاستعداد لمستقبلٍ دنيويٍّ قد لا يأتي أبدًا .سورة المؤمنون، الآية ١١٤

"قال ما لبثتم إلا قليلا لو كنتم تعلمون "

يحذر الله تعالى الناس من تجاهل علامات الآخرة الواضحة والمحاسبة، فإن ذلك لا يؤدي إلا إلى عدم الاستعداد .لها، والنقد الشديد، والندم يوم لا ينفع الندم .سورة المؤمنون، الآية ١١٥

"أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون"

إن غياب يوم القيامة والآخرة يجرد الحياة من معناها العميق وغايتها الأسمى. كل شيء في هذه الدنيا زائل ومعيب بطبيعته. وبغض النظر عما قد يناله الإنسان - ثروة أو نفوذاً أو معرفةً أو علاقات - فإن الانفصال عن هذه الأشياء أمرٌ لا مفر منه، سواءً بمرور الزمن البطيء أو يقين الموت. لو اقتصر الوجود على هذا العالم الزائل، لما كان الجهد البشري أكثر من سعي وراء ما هو آتٍ لا محالة، لا يترك وراءه شيئاً ذا قيمة باقية. إن يقين يوم القيامة والآخرة هو ما يسمو بالحياة فوق دائرة الإنجازات العارضة والخسارة الحتمية. هذه الحقائق الأبدية تُقدم هدفاً أسمى وأكمل وأبدي. إنها تُحوّل كل فعل وتضحية ولحظة تحمل إلى شيء ذي أهمية دائمة. بدون هذا الإيمان، تصبح الحياة سعيًا وراء ملذات زائلة، تنتهي بالفراغ. ومعه، تصبح الحياة رحلةً هادفة - كل محنة امتحان، وكل نعمة أمانة، وكل جهد استثمارٌ هادفٌ في النجاح الأبدي. إن وعد المساءلة يضمن تحقيق العدالة في نهاية المطاف: لن يضيع عمل صالح دون جزاء، ولن يبقى خطأ دون معالجة. إنه يبعث الطمأنينة في القلب، مؤكداً أن النضال ليس عبثاً، بل هو جزء من رحلة أعظم نحو الثواب الأبدي. وهكذا، فإن الإيمان بيوم القيامة والآخرة يُضفي معنى على المعاناة، ويوجه الجهود نحو أهداف أسمى، ويدعم قيماً كالصدق والصبر والرحمة. فالآخرة ليست مجرد استمرار للحياة، بل هي الأساس الذي يمنحها التماسك والتوجيه والمعنى الحقيقي. فبدونها، يفقد الوجود مرساه؛ ومعها، تصبح كل لحظة فرصة للبحث عما يبقى: سورة المؤمنون، الآية ١١٥. حقاً:

"أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون"

علاوة على ذلك، فإن يوم القيامة حقيقة لا مفر منها. يكشف التأمل العميق في الكون عن علامات لا تُحصى على التوازن والدقة والتصميم الهادف، وكلها تشير إلى هذه الحقيقة. فالأرض، على سبيل المثال، تقع على مسافة مُقاسة تماماً من الشمس - فكلما اقتربت احترقت الحياة، وكلما ابتعدت تجمدت. دورة الماء مُنظمة بدقة: تُطلق المحيطات البخار، ويكثفه الغلاف الجوي، ويهطل المطر بكميات كافية لدعم الحياة. حتى الأرض خُلقت بتوازن - لينة بما يكفي لاختراق براعم هشة، وقوية بما يكفي لتحمل وزن الهياكل الشاهقة. وتمتد الأمثلة إلى أبعد من ذلك بكثير. تعاقب الليل والنهار مُتوازن تماماً: فالليل يُوفر الراحة والتعافي، بينما يسمح

النهار بالعمل والنشاط. يتكون الغلاف الجوي من غازات بنسب مُحددة - أكسجين كافٍ للتنفس، وثنائي أكسيد الكربون كافٍ لحياة النباتات، ونيتروجين لتثبيت الخليلط. أي تغيير طفيف في هذا التوازن سيجعل الأرض، غير صالحة للسكن. جسم الإنسان بحد ذاته نموذجٌ مصغرٌ للتوازن: فالقلب ينبض بإيقاعٍ منتظمٍ لتوزيع الدم والكلية تُصَفِّي الفضلات بدقةٍ مُحكمة، والجهاز المناعي يستجيب بدقةٍ لحماية الحياة. حتى مدارات الكواكب وحركة النجوم مُنتظمةٌ في تناغم، كلٌّ منها يسير في مساره دون تصادم، كما يُعلن الله تعالى في القرآن الكريم. هذه الأمثلة التي لا تُحصى تشهد ليس فقط على وجود خالق، بل أيضًا على إقامته الانسجام والنظام في الخلق:

سورة الرحمن، الآيتان 7-8

"والسما رفعها ووضع الميزان ألا تطغوا في الميزان"

سورة المؤمنون، الآية 116

«فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ»

كما يحكم التوازن العالم الطبيعي، فلا بد أن يحكم أيضًا النظام الأخلاقي للأفعال البشرية. وبما أن العدالة الكاملة لا تتحقق دائمًا في هذه الحياة الدنيا - حيث قد يفلت الظالم من العقاب وقد لا ينال المظلوم جزائه المستحق - فلا بد من وجود عالم آخر يُعاد فيه هذا التوازن. هذا العالم هو الآخرة، وذروته يوم القيامة.

كان بإمكان الله تعالى أن يُنزل الثواب والعقاب كاملين في هذه الدنيا. ومع ذلك، بحكمته، يمنح الناس فرصًا، متكررة للتوبة والإصلاح. إنه يحرم الصالحين هنا الثواب الكامل لأن هذه الدنيا ليست جنة. علاوة على ذلك، فإن الإيمان بالغيب - وخاصةً بالثواب والعقاب الأبدي في الآخرة - جانبٌ مُميزٌ للإيمان. الإيمان ذو معنى تحديدًا لأنه يتطلب الإيمان بحقائق تتجاوز حدود الحواس. لو كان الجزاء كله ظاهرًا في هذه الحياة، لفقد

الإيمان ميزته. وهكذا، فإن الخوف من عقاب الآخرة، مقترنًا بالرجاء في ثوابها الأبدي، يدفع الإنسان إلى اجتناب المعاصي والسعي في الأعمال الصالحة. ولكن لكي يأتي يوم الجزاء هذا، لا بد أن تنتهي الدنيا. لا يُوزع الثواب والعقاب إلا بعد انتهاء أعمال الناس جميعًا. وهذا يستلزم زوال النظام الدنيوي، ممهدًا الطريق للحياة الأبدية القادمة.

إن التأمل في هذه الحقائق يُعزز اليقين بيوم القيامة، ويلهم الإنسان للاستعداد لها باستثمار نعمه فيما يرضي الله تعالى، كما هو مبين في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. وبذلك، ينال راحة البال في من خلال تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، ومن خلال حسن توزيع، الدنيا، والتوفيق الأبدي في الآخرة. كل شيء وكل شخص في حياته. (سورة الجاثية، الآية ٢٢)

"وخلق الله السموات والأرض لحكمة، لتُجزى كل نفس ما اكتسبت، وهم لا يُظلمون".

،سورة المؤمنون. يُعَلِّم الإسلام البشرية أن من يجب عليهم طاعته في كل حال هو خالقهم ورازقهم، الله تعالى. الآية ١١٦.

«فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ»

في الحقيقة، كل من يختاره الإنسان ليطيعه ويقتدي به في حياته هو في الواقع من يعبد، حتى لو أنكر ظاهريًا الإيمان بأي إله. خُلِقَ البشر بدافع فطري لاتباع شيء ما والخضوع له. قد يكون هذا الهدف بالنسبة للبعض هو الآخرين، أو اتجاهات مواقع التواصل الاجتماعي، أو الموضة، أو الأعراف الثقافية، أو حتى رغباتهم: سورة الفرقان، الآية 43. الجامعة

"...أرأيت من اتخذ إلهه هواه"

توضح هذه الآية أن العبادة لا تقتصر على شعائر الصلاة أو السجود، بل هي طاعة وولاء وإخلاص. فكل ما يُحكم قرارات الإنسان، ويُشكل أولوياته، ويُملّي سلوكه، هو في جوهره ما يعبده. ولذلك، يجب على المسلمين ألا يكون إعلان إيمانهم اللفظي مجرد كلام فارغ، بل أن يكون مدعوماً بعمل صادق. فالإيمان الحقيقي يقتضي طاعة الله تعالى فوق كل اعتبار، وفي كل ظرف، وفوق كل تأثير مُنافس. وتتجلى هذه الطاعة في استخدام النعم التي أنعم بها - كالمال والصحة والعقل والأهل والوقت - بما يُرضيه، كما هو مبين في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. فعندما يعيش الإنسان على هذا النحو، يُحقق التوازن، في حالته النفسية والجسدية، ويضع كل شيء وكل شخص في مكانه الصحيح في حياته. وفي الوقت نفسه، يُهيئ نفسه جيداً للحساب يوم القيامة. هذه الحياة تؤدي إلى راحة البال في الدنيا، وتوفيق أبدي في الآخرة. (النحل، الآية ٩٧، الفصل ١٦ سورة)

"من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون"

على النقيض من ذلك، فإن من ينكر وحدانية الله تعالى، ويوجه طاعته وإخلاصه إلى أمور أخرى - سواءً أكانت رغبات أم أشخاصاً أم أنظمة دنيوية - سيُسِيء استخدام النعم التي وُهِبَتْ له لا محالة. يؤدي هذا الإساءة إلى اختلال التوازن: إذ تصبح حالته النفسية والجسدية مضطربة، وتُضعِف أولوياته، ويفشل في الاستعداد للحساب يوم القيامة. حتى لو بدا عليه النعيم، فإن حياته ستنتسم بالتوتر والصراع والفراغ الداخلي، وستكون آخرته خسارةً وندامة. سورة التوبة، الآية 82

"فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون"

وسورة طه، الآيات 124-126

ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد
"كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى

وهكذا، فإنّ مقياس العبادة الحقيقي ليس في الأقوال فحسب، بل في الطاعة الدائمة. فمن وجّه حياته إلى الله تعالى، نال السكينة والطمأنينة والرضا في الدنيا والآخرة، ومن وجّهها إلى غيره، لم يجد إلا الاضطراب والضيق والندم الشديد. سورة المؤمنون، الآية ١١٧

"ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون "

،من الضروري إدراك أن الآلهة الزائفة لا تقتصر على الأصنام أو التماثيل التي يعبدها الناس مادياً. في الواقع، كل ما يطيعه المرء أو يُقدّمه على أمر الله تعالى، يصبح في جوهره معبوداً له. وهذا يشمل المؤثرات الحديثة مثل وسائل التواصل الاجتماعي، والثقافة، والموضة، والثروة، والمكانة الاجتماعية، والأيديولوجيات، وحتى الآخرين. كلما سمح المرء لهذه الأمور بأن تُثلي عليه سلوكه مُتحدّياً الله تعالى، فإنه، عن علم أو بغير علم، يرفعه إلى مقام العبادة الذي يخصه وحده. سورة التوبة، الآية 31

"...اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله"

لم يكن علماء أهل الكتاب وزعمائهم يُعبدون ماديًا، بل كانوا يُطاعون في معصية الله تعالى. وأتت آراؤهم، وأحكامهم طاعةً عمياء، حتى لو خالفت الوحي الإلهي، واعتُبرت هذه الطاعة في غير محلها عبادةً. وهكذا فإن العبادة في الإسلام لا تقتصر على الصلاة أو السجود، بل تشمل أيضًا الخضوع والطاعة. وقد أكدت آية سورة يس، الآية 60. أخرى من القرآن الكريم على هذا المفهوم في حديثها عن الشيطان:

أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ

معظم الناس لا يعبدون الشيطان عمدًا، ولكن باتباعهم غواياته وتجاهلهم أوامر الله تعالى، فإنهم يطيعونه فعليًا، وهو ما يُعتبر عبادة. وهذا يكشف أن العبادة ليست مجرد فعل ظاهري، بل هي انعكاس لولاء القلب الصادق. لذلك، يجب على المرء أن يكون شديد الحذر من طاعة أي مؤثر أو شخص أو نظام يؤدي إلى معصية الله تعالى. إن الاستمرار في هذا السلوك سيؤدي حتمًا إلى العبودية لأسياد الدنيا - كالناس والتوجهات والمهن والرغبات - كلٌ منهم يطالب بالولاء والجهد دون أن يُرضي نفسه. وكما أن الموظف الذي يخدم عدة مشرفين يُرهق نفسه في محاولة إرضائهم جميعًا، فإن من يُعرض عن عبودية الله تعالى يُثقله الصراع الدائم لتلبية مطالب الدنيا المتضاربة. هذا الصراع الداخلي يسلب الإنسان راحة البال والاستقرار النفسي. سيشعرون بالقلق والتوتر وعدم الرضا، مهما بلغوا من أهداف دنيوية. ومع مرور الوقت، غالبًا ما يؤدي هذا الخلل إلى الحزن والاكتئاب، بل وحتى إلى سلوكيات هدامة كتعاطي المخدرات أو الميول الانتحارية. هذه النتائج واضحة في جميع أنحاء المجتمع الحديث، وخاصة بين من يمتلكون الشهرة والثروة لكنهم يظلون في حالة من الفراغ الروحي. علاوة على ذلك، فإن أولئك "الأسياد" الدنيويين الذين يفضلهم المرء على الله تعالى، لن ينفعوه يوم القيامة. لن يشفعوا لهم، ولن يدافعوا عنهم، ولن يشاركوا في حملهم. طاعتهم لهم لن تؤدي إلا إلى الندم والخسارة. سورة المؤمنون، الآية 117

"ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون"

لذلك، يتخلّى العاقل عن جميع أشكال الطاعة التي تتعارض مع الأوامر الإلهية، ويكرس نفسه بالكامل لعبودية الله تعالى. وباستخدام نعم الله تعالى، وفقًا لهدي القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، يحقق الإنسان حالة نفسية وجسدية متوازنة. ويضع كل شيء وكل شخص في حياته على الوجه الصحيح، ويختبر السلام الداخلي الحقيقي والنجاح في الدنيا والآخرة. سورة المؤمنون، الآية ١١٨، سورة ٢٣)

"وقل ربي اغفر وارحم وأنت خير الراحمين"

كما تشير هذه الآية، فإن باب التوبة والإصلاح مفتوح ما دام الإنسان حيًا. لذا، عليه أن ينتهزه قبل أن ينفد التوبة الصادقة تتضمن الشعور بالذنب، وطلب مغفرة الله تعالى، ومغفرة. أجله ويصل إلى الآخرة غير مستعد كل من ظلم، ما لم يُفَض ذلك إلى مزيد من المتاعب. ويجب على المرء أن يعاهد نفسه بصدق على عدم العودة إلى مثل هذه المعصية أو ما شابهها، وأن يُصلي على أي حقوق انتهكت تجاه الله تعالى والعباد. وعليه أن يستمر في طاعة الله تعالى بإخلاص، مستخدمًا نعمه التي أنعم بها عليه كما هو مبين في التعاليم الإسلامية. سورة المؤمنون، الآية ١١٨

"وقل ربي اغفر وارحم وأنت خير الراحمين"

علاوة على ذلك، تُبرز هذه الآية الأهمية البالغة للإخلاص للآخرين، فالدعاء بالمغفرة والرحمة لا يقتصر على الذات، بل هو عام يشمل جميع الناس. تُعلّم هذه العمومية أنه لا يمكن للمرء أن يكون صادقًا مع الله تعالى، ويتجاهل الإخلاص لخلقه. يُعد الإخلاص للآخرين مبدأً أساسيًا في الإسلام، وقد أكد عليه النبي محمد صلى الله عليه وسلم مرارًا. في حديث ورد في صحيح مسلم، رقم 196، وُصف الإخلاص بأنه واجب شامل تجاه الله، وكتابه، ورسوله، وأئمة المسلمين، وعامة الناس. ويُظهر إدراجه مع هذه الواجبات الأساسية ثقله وأهميته. علاوة على ذلك، في حديث ورد في صحيح البخاري، رقم 57، ذُكر الإخلاص للآخرين في سياق اثنين من أعظم أركان الإسلام: الصلاة المفروضة والصدقة المفروضة. يؤكد هذا الترتيب أن الإخلاص ليس

فضيلة ثانوية، بل سمة مميزة للإيمان الحقيقي. يتجلى الإخلاص في أشكال عديدة. فهو يشمل مساعدة الآخرين وفقًا لإمكانيات المرء - سواء من خلال الدعم المالي أو المعونة المادية أو التشجيع المعنوي. كما يتطلب الامتناع عن إلحاق الأذى بالآخرين أو بممتلكاتهم، سواء كان لفظيًا أو جسديًا. في الواقع، هذا هو التعريف الحقيقي للمسلم والمؤمن، كما هو موضح في الحديث الموجود في سنن النسائي، رقم 4998. ومن أبسط الطرق وأعمقها لتنمية الإخلاص معاملة الآخرين بالطريقة التي يحب المرء أن يعامل بها. يتضمن هذا المبدأ المتجذر في كل من العقل والوحي، الإنصاف والرحمة والتعاطف في جميع التفاعلات. عندما يجسد الشخص الإخلاص بهذه الطريقة، فإنه لا يؤدي واجبًا تجاه الآخرين فحسب، بل يعزز أيضًا إيمانه، لأن الإخلاص للخلق لا ينفصل عن الإخلاص للخالق.

:سورة المؤمنون، الآية 118

"وقل ربي اغفر وارحم وأنت خير الراحمين"

تُعلم هذه الآية أيضًا أن الرحمة والمغفرة للآخرين وسيلة مباشرة لنيل رحمة الله تعالى ومغفرته. الإسلام، في جوهره، منهج حياة بسيط وعملي، ومن مبادئه الأساسية أن معاملة المرء للآخرين هي معاملة الله تعالى له: من يتعلم العفو والتغاضي عن أخطاء الآخرين يُغفر له ويُغفر له. سورة النور، الآية ٢٢

"...وليغفوا وليصفحوا، ألا تحبون أن يغفر الله لكم..."

،ومع ذلك، من المهم التمييز بين العفو والثقة العمياء. يشجع الإسلام الناس على العفو عن الآخرين لله تعالى ولكنه لا يلزمهم بوضع أنفسهم في مواقف يُؤذون فيها أنفسهم مرارًا وتكرارًا. على الإنسان أن يتخذ الخطوات

اللازمة لحماية نفسه من الظلم مرة أخرى، مع الحفاظ على الرحمة والعفو وحسن الخلق بما يتماشى مع تعاليم الإسلام.

تؤكد أحاديث النبي محمد صلى الله عليه وسلم على أهمية نيل الرحمة الإلهية من خلال رحمته بالآخرين ففي حديث في سنن أبي داود، رقم 4893، يُنصَح بأن من عاون غيره في أمور نافعة دينوية أو دينية، سواءً بالمعونة المالية أو المعنوية أو الجسدية، نصره الله تعالى في الدارين. ويشير الحديث نفسه أيضًا إلى أن من ستر عيوب الآخرين ستر الله تعالى عيوبه.

يمكن تلخيص الأمر ببساطة: من عامل الآخرين بلطف واحترام وإخلاص، وفقًا لتعاليم الإسلام، سيُعامل بالمثل من الله تعالى. وعلى العكس، فإن من أساء معاملة الآخرين سيُعامل بالمثل من الله تعالى، حتى لو أدى واجباته ظاهريًا كالصلاة. وذلك لأن النجاح الحقيقي يتطلب الوفاء بالواجبين: واجبات الله تعالى، وواجبات خلقه. ومن أسهل سبل نيل الرحمة الإلهية أن تُعامل الآخرين بالطريقة التي تُحب أن تُعامل بها. وهذا المبدأ عالمي، فهو ينطبق على جميع الناس بغض النظر عن دينهم، بل ويمتد إلى جميع المخلوقات.

وأخيرًا، يجب أن نتذكر أن اللطف والرحمة لا يُقدَّران عند الله تعالى إلا إذا أخلصا لوجهه الكريم. أما إذا كانا، لعلم دنيوي أو منفعة شخصية أو لأي غرض آخر غير رضوانه، فقد حُطَّ أجرهما. إن أساس جميع الأعمال وهكذا، لا بل وأساس الإسلام نفسه، هو النية. وقد أكد ذلك الحديث المشهور في صحيح البخاري، رقم ١، تُصبح الرحمة والمغفرة والإخلاص للآخرين فضائل اجتماعية فحسب، بل عبادات تُقَرِّب العبد إلى الله تعالى. وتُنال رحمته في الدنيا والآخرة.

:سورة المؤمنون، الآيات 117 إلى 118

ومن يدع مع الله إليها آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون .وقل ربي اغفر وارحم "

"وأنت خير الراحمين

في الختام، يجب على الإنسان قبول تعاليم الإسلام والعمل بها لما فيه مصلحته، حتى لو بدت هذه التعاليم متعارضة مع رغباته الشخصية .فالعاقل أشبه بمريض، رغم وصف دواء مُر وحمية غذائية صارمة، يقبل نصيحة الطبيب عالمًا أنها في نهاية المطاف لسلامته .وكما ينال هذا المريض في النهاية صحة جيدة، فكذلك من يعتنق هداية الله تعالى ويعيش بها، ينال التوازن والسلام والنجاح في الدنيا والآخرة .ذلك لأن الله تعالى وحده هو الذي يملك المعرفة الكاملة اللازمة لضمان سلامة العقل والجسد، ووضع كل شيء وكل شخص في حياته في موضعه الصحيح .المعرفة البشرية، على الرغم من قرون من البحث والتقدم، لا تزال محدودة فهي لا تستطيع حل كل صعوبة قد يواجهها الإنسان، ولا تحميه من كل أشكال التوتر، ولا تمنحه الحكمة اللازمة لتحديد أولويات كل جانب من جوانب الحياة بشكل صحيح .فالنصيحة البشرية مقيدة بالتجربة وبعد النظر والتحيز .على النقيض من ذلك، فإن الله تعالى مُطلق العنان، وقد وهب البشرية هداية كاملة في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم .تتجلى هذه الحقيقة عندما يُلاحظ المرء الفرق بين من يستخدم النعم التي وُهِبت له وفقًا للتعاليم الإسلامية ومن لا يفعل .فالأولون ينالون الاستقرار والسلام الداخلي، بينما غالبًا ما يُعاني الآخرون من عدم التوازن والاضطراب، حتى وإن كانوا يتمتعون ظاهريًا برفاهية الدنيا بخلاف المرضى الذين غالبًا ما يثقون بأطبائهم دون فهم علم وصفاتهم، فإن الله تعالى لا يدعو الناس إلى الإيمان الأعمى .بل يدعوهم إلى التأمل في تعاليم الإسلام، والتعرف على صدقها من خلال الأدلة الواضحة سورة .ورؤية آثارها الإيجابية في حياتهم .لكن هذا يتطلب التعامل مع الإسلام بعقل منفتح وغير متحيز .يوسف، الآية 108

"...قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني"

علاوة على ذلك، فإن راحة البال في حد ذاتها ليست أمرًا يمكن صنعه بمجهود بشري وحده، بل هي هبة من عند الله تعالى، الذي وحده يتولى أمر القلوب الروحية - دار راحة البال .سورة النجم، الآية 43

"وأنه هو الذي أضحك وأبكى"

من الواضح إذن أن الله تعالى لا يمنح راحة البال الحقيقية إلا لمن يستغل نعمه على النحو الذي حددته التعاليم الإسلامية. فهؤلاء لا يحققون التوازن والسكينة في الدنيا فحسب، بل يُعَدُّون أنفسهم أيضاً للنجاح الأبدي في الآخرة (سورة النحل، الآية 97)

"من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون"

.الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾

الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيَشْهَدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾

الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾

وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا يَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةٌ أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾

إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾

وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَدُوا أَحَدِهِمْ أَرْبَعَ
شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾

وَالْخَمِيسَةَ أَنْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٧﴾

وَيَذَرُوهَا عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ
الْكَاذِبِينَ ﴿٨﴾

وَالْخَمِيسَةَ أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٩﴾

وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾

إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالِإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ
لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ
عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾

لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا
إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾

لَّوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ
عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾

وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا
أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾

إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِالْإِسْنَةِ كُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ
وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾

وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَنَكَ هَذَا
بِهَتِّنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾

يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾

وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾

إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾

وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٢٠﴾

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطَوَاتِ
الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ
وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ
عَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾

وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى
وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا
تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢﴾

إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾

يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾

يَوْمَ يَدْرِيهِمْ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾

الْخَيْثُثُ لِلْخَيْثِثِينَ وَالْخَيْثُوثُ لِلْخَيْثِثِ وَالطَّيِّبُ لِلطَّيِّبِينَ
وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ
وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾

يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى
تَسْتَأْذِنُوا وَتَسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ
تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾

فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ
لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾

لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَعٌ لَّكُمْ
وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾

قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ
أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾

وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا
يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى
جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ
أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ
أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا
مَلَكَتْ أَيْمَنُهُنَّ أَوِ التَّبِيعَاتِ غَيْرِ أُولِي الْأَرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوْ
الطِّفْلِ الذِّكَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ
بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا
أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾

وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا
فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾

وَلَيْسَتْ غَفِيرٌ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَالَّذِينَ
يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ
خَيْرًا ۚ وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي ءَاتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَّتَكُمْ
عَلَى الْبَغَاءِ إِنْ أَرَدْتَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُمْ
فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِمْ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٣﴾

وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ ءَايَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا لِّلَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ
وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾

❖ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُوفٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ
 الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ
 مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ
 تَمْسَسْهُ نَارُ نُورٍ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ
 اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾

فِي بُيُوتٍ أُذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا
 بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾

رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ
 يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾

لِيَجْزِيَ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ
 يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾

وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا
 جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ
 الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾

أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ
 سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَكْدُهُ لَمْ يَكْدِرنَهَا وَمَنْ
 لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴿٤٠﴾

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّاتٍ كُلِّ
 قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾

وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ، ثُمَّ يُجْعَلُهُ رُكَّامًا فَتَرَى
الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ، وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ
بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ، عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقُهُ يَذْهَبُ
يَا الْأَبْصَرَ ﴿٤٣﴾

يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٤﴾

وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ ۖ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى
رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾

لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ
مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾

وَيَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّنْ
بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾

وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾

وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾

أَفِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ أَمْ آرْتَابُوا ۚ أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ ۚ بَلْ
أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾

إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥٢﴾

﴿٥٣﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾

قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَاسُ الْمُبِينِ ﴿٥٤﴾

وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾

وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾

لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَهُمُ النَّارُ وَلَيْئَسَ الْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَعِذْنَ كُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَنُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ
يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ
مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ
عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى
بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾

وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَعِذْنَ كَمَا اسْتَعِذْنَ الَّذِينَ
مِن قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ
حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾

وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ
أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ
خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾

لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ
حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِّنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ
ءَابَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ
أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ
بُيُوتِ أَخَوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ
مَفَاتِحُهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن
تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى
أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ
يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ ؕ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ
جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ ؕ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ
يُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ ؕ فَإِذَا أَسْتَأْذِنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأُذِنَ
لِمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللّٰهُ إِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ
رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾

لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ؕ قَدْ
يَعْلَمُ اللّٰهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا ؕ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ
يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ؕ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾

أَلَا إِنَّ لِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ ؕ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ
وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا ؕ وَاللّٰهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٤﴾

مناقشة الآيات من ١ إلى ٦٤ من سورة البقرة

،تبدأ هذه السورة ببيان وجوب العمل بما ورد فيها، وبالتالي بما ورد في القرآن الكريم كاملاً. سورة النور
:الآية ١

سورة أنزلناها وجعلناها فريضة

مهما بلغ تقدم الحضارة، ومهما اكتسبت من معرفة في مختلف المجالات - بما في ذلك علوم الجسد والعقل والمجتمع - سيظل من المستحيل على الإنسان وضع قواعد سلوكية تتوافق تمامًا مع طبيعته البشرية وقادرة على معالجة كل ظرف وحالة وسيناريو قد يواجهه الأفراد أو المجتمعات طوال وجودهم على الأرض. ذلك أن المعرفة البشرية محدودة بطبيعتها وفي تطور مستمر. وحتى اليوم، لا تزال البشرية تكتشف رؤى جديدة، في أبسط جوانب وجودها، مثل وظائف الدماغ البشري. فإذا لم يتقن الناس بعد معرفتهم الكاملة بأنفسهم فكيف يمكنهم أن يأملوا في إقامة نظام متكامل يضمن العدل والتوازن والسكينة للجميع؟ هذا المسعى مستحيل أساساً على الخلق، ولكنه ليس مستحيلاً على الخالق. وحده الله تعالى يملك المعرفة اللامحدودة اللازمة لتوفير مثل هذا النظام. علمه يشمل الماضي والحاضر والمستقبل، بالإضافة إلى الحقائق الخفية التي تبقى خارج نطاق الإدراك البشري. فهو وحده المؤهل لمنح البشرية ميثاقاً كاملاً للسلوك - معياراً إلهياً يميز بوضوح بين الحق والباطل، والخير والشر، والنفع والضرر. سورة النور، الآية ١

"وأنزل فيه آيات بينات لعلكم تتفكرون ..."

لم يُصمَّم هذا النظام لتنظيم السلوك الخارجي فحسب، بل لتنمية طمأنينة القلب أيضًا، مما يُمكن الناس من بلوغ راحة البال في عالم يسوده التوتر والصراع وعدم اليقين. والتاريخ نفسه شاهدٌ على هذه الحقيقة. فكلما طُبِّقَ، هذا النظام الإلهي بصدق - سواءً في حياة الأفراد أو في المجتمعات - أثمر نتائج باهرة: طمأنينة في القلوب وعدل في الحكم، ورحمة في المعاملات، ووثاق بين المجتمعات. لقد رفع هذا النظام الضعيف، وكبح جماح القوي، وأرسى العدل بطريقة لم يستطع أي نظام بشري أن يُحاكيها. ولذلك، يجب على الأفراد اعتناق التوجيه الإلهي الذي أنزله الله تعالى، مُدركين أنه أنفع سبيل لسلامتهم، حتى وإن تعارضت بعض جوانبه مع رغباتهم الشخصية. فالعقل أشبه بالمريض الذي، رغم وصف دواء مُر وحمية غذائية صارمة له، يقبل نصيحة طبيبه عالمًا أنها في نهاية المطاف لصحته وبقائه. كذلك، من يقبل هداية الله تعالى ويعمل بها، ينال التوازن والسلام من خلال تحقيق حالة ذهنية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في، والنجاح الأبدي حتى لو تطلب ذلك انضباطًا وتضحية وصبرًا. مع أن المرضى، في أغلب، حياته على الوجه الصحيح الأحيان، لا يدركون علم الأدوية الموصوف لهم، فيضعون ثقتهم الكاملة بأطبائهم، إلا أن الله تعالى يدعو الناس إلى تأمل أعمق وأكثر وعيًا. بخلاف من يتبعون الخبرة البشرية دون فهم كامل، لا يأمر الله تعالى الناس باتباع، تعاليم الإسلام دون وعي، بل يشجعهم على أعمال عقولهم، والتأمل العميق في آياته في أنفسهم، وفي الخلق وفي تعاليم القرآن الكريم، ليدركوا حقيقة الإسلام من خلال المنطق الواضح والدليل القاطع. وهذا يدل على رحمة الله تعالى وحكمته، فهو يدعو الناس إلى الإيمان بالفهم لا بالإكراه. يريد الله أن يُدرك الناس بوعيه ما في هدايته من انسجام وعدلٍ وخير، وأن يُلاحظوا كيف أن طاعة أوامره تجلب السلام والتوازن والنجاح في حياتهم، دنيا وآخره. ولكن هذا الإدراك لا يتحقق إلا عندما يتعامل المرء مع تعاليم الإسلام بإخلاصٍ وتواضعٍ وقلبٍ منفتحٍ، خالٍ من التحيز والكبرياء والأفكار المسبقة. ومن يتبنى هذا الموقف سيشهد الحكمة العميقة في كل أمرٍ ونهٍ من الله تعالى، وسيجد أن الإيمان الحقيقي يتوافق تمامًا مع العقل والعدل وفطرة الإنسان: سورة يوسف، الآية 108. الإنسان

"...قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني"

:سورة النور 24 الآية 1

أنزلناها وفرضناها وأنزلنا فيها آيات لعلكم تتفكرون سورة

عمومًا، الأمور التي حُرِّمت في الإسلام قليلة جدًا مقارنةً بالعدد الهائل من الأمور المُباحة. ما يجمع هذه المحرمات هو قاعدة واضحة: إنها مُحَرَّمَةٌ فقط لأن ضررها يفوق أي مصلحة مُتَصَوِّرة. وقد سُلِّط الضوء ، على هذه القاعدة صراحةً قبل تحريم الخمر والميسر، عندما أنزل الله تعالى أنه وإن كان فيهما بعض المنافع ، فإن ضررهما أعظم بكثير. وهذه الحقيقة واضحة لمن تدبرها بعقل سليم. سورة البقرة، الآية ٢١٩

«...يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس»

من هذا يتبين أن أحكام الإسلام ليست قيودًا تعسفية، بل هي ضماناتٌ رحيمةٌ لحماية الناس من الأذى. وهي وُضعت لمصلحة الإنسان فقط، لا لأن الله تعالى يجني شيئًا من طاعة البشر، ولا لأنه يتألم من معصيتهم. فكماله كامل، وهو مُستغْنٍ تمامًا عن الخلق). سورة الممتحنة، الآية 6)

"ومن تولى فإن الله هو الغني الحميد"

لذا، يجب على الناس قبول تعاليم الإسلام والعمل بها من أجل أنفسهم. وهذا يعني استخدام النعم التي وُهِبَتْ لهم - كالمال والصحة والعقل والوقت - بما يرضي الله تعالى، كما هو مبين في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. وبذلك، ينال الإنسان راحة البال والنجاح في الدنيا والآخرة: فيحقق حالة نفسية النحل ، الآية وجسدية متوازنة، ويتعلم وضع كل شيء وكل شخص في مكانه الصحيح في حياته). سورة (الفصل 16، 97

"من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون"

من ناحية أخرى، فإن من يرفضون هذا التوجيه سيُسيئون استخدام النعم التي مُنحوا إياها حتمًا. وستكون النتيجة اختلال التوازن: ستُصبح حالتهم النفسية والجسدية مضطربة، وأولوياتهم في غير محلها، ويُهمل استعدادهم ليوم القيامة. وحتى لو تمتعوا ظاهريًا ببعض الرفاهية الدنيوية، فستُحاط حياتهم بالتوتر والصراع والصعوبات في كلا العالمين. سورة التوبة، الآية 82

"فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون"

:وسورة طه، الآيات 124-126

ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد
"كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى

باختصار، ليست الشرائع الإلهية أعباء، بل هي رحمة صُممت لحماية الناس ورفعهم وإرشادهم نحو الانسجام في الدنيا والآخرة. يدرك العاقل أن طاعة الله تعالى ليست قيدًا، بل هي تحرر: فهي تُحررهم من ظلم أهوائهم ومن أذى الأنظمة الضالة، وتقودهم إلى التوازن والوضوح والسلام. سورة النور، الآية ١

"وأنزل فيه آيات بينات لعلكم تتفكرون ... "

بشكل عام، فإن تعبيرات القرآن الكريم لا مثيل لها، ومعانيه منقولة بطريقة واضحة ومباشرة. كلماته وآياته - بليغة للغاية، ولا يمكن لأي كتاب آخر أن ينافس أسلوبه أو يتجاوز عمقه. إنه خالٍ تمامًا من التناقضات وهو أمر موجود في جميع الكتب المقدسة والتعاليم الأخرى خارج الإسلام. يروي القرآن الكريم تاريخ الأمم السابقة بالتفصيل، على الرغم من حقيقة أن النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم لم يتلق تعليمًا رسميًا في التاريخ. وهذا في حد ذاته علامة على أصله الإلهي. يأمر القرآن الكريم بكل شكل من أشكال الخير وينهى عن كل شكل من أشكال الشر - سواء كانت هذه الأمور تؤثر على الفرد أو تمتد إلى المجتمع الأوسع - حتى ينتشر العدل والأمن والسلام في كل منزل ومجتمع. وعلى عكس الشعر والأساطير والخرافات، يتجنب القرآن الكريم المبالغة أو الباطل أو التلفيق. كل آية مفيدة ويمكن تطبيقها عمليًا على حياة المرء. حتى عندما تتكرر القصة نفسها، فهي ليست زائدة عن الحاجة أبدًا؛ بل إن كل رواية تُسلط الضوء على دروس جديدة وهامة بخلاف أي كتاب آخر، لا يرهق القرآن الكريم القارئ أبدًا، مهما تكررت دراسته. يُقدّم القرآن الكريم وعودًا وتحذيرات، مدعومة دائمًا بأدلة دامغة وواضحة. وعندما يُناقش مفاهيم قد تبدو مُجرّدة - كالصبر والشكر والتواضع - فإنه يُقدّم أساليب بسيطة وعملية لتطبيقها في الحياة اليومية. إنه يدعو الناس إلى تحقيق غاية خلقهم: طاعة الله تعالى بإخلاص، باستخدام النعم التي وهبوا بها بما يُرضيه. وبذلك، يضمن الإنسان راحة البال والنجاح في الدنيا والآخرة - مُحققًا التوازن في حالته النفسية والجسدية، مُعيدًا كل شيء وكل شخص إلى مكانه الصحيح، مُستعدًا استعدادًا كافيًا للمحاسبة يوم القيامة. يُبين القرآن الكريم الصراط المستقيم جليًا، وجذابًا لكل من يسعى بصدق إلى راحة البال والنجاح الحقيقي. ولأنه يُخاطب فطرة البشر، فإن هدايته خالدة مُناسبة لكل إنسان، وكل مكان، وكل جيل. إنه علاجٌ للصعوبات النفسية والاجتماعية والاقتصادية، بل وحتى الجسدية، إذا ما فهم وطُبّق تطبيقًا صحيحًا. يُقدّم حلولًا لكل مشكلة قد يواجهها الفرد أو المجتمع. يشهد التاريخ نفسه أنه كلما طُبقت المجتمعات تعاليم القرآن الكريم بإخلاص، ازدهرت بالعدل والرخاء والوئام. مرّت قرون، ولم يُغيّر منه حرفٌ واحد، فقد وعد الله تعالى بحفظه. لا يوجد كتابٌ آخر في التاريخ يمتلك هذه الميزة: سورة الحجر، الآية 9. الفريدة

"إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ"

.علاوة على ذلك، يعالج القرآن الكريم جذور المشكلات في الأفراد والمجتمعات، ويقدم حلولاً عملية لها. وبتصحيح الجذور، تُحل تلقائياً فروع المشكلات العديدة الناجمة عنها. وهكذا، يُعالج القرآن الكريم كل ما يحتاجه الفرد والمجتمع لتحقيق النجاح في الدنيا والآخرة. سورة النحل، الآية 89

"...ونزلنا إليك الكتاب تبلياناً لكل شيء..."

:وسورة النور 24 الآية 1

"وأنزل فيه آيات بينات لعلكم تتفكرون..."

هذه أعظم وأبقى معجزة أنعم بها على خاتم الأنبياء، محمد صلى الله عليه وسلم. ومع ذلك، لا ينال نورها إلا من سعى إليها بصدق وعمل بها. أما من اتبع أهوائه، أو انتقى منها جهلاً، فسيخسر الدنيا والآخرة. سورة (الإسراء، الآية 82).

.وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً

من الضروري إدراك أن الإسلام ليس نظاماً جزئياً أو مجزأً، بل هو منظومة سلوك متكاملة تهدف إلى إرشاد الناس نحو راحة البال في كلا العالمين. على المستوى الفردي، يُعزز الإسلام التوازن في الحالة النفسية والجسدية، ويُعلم الإنسان أن يضع كل شيء وكل شخص في مكانه الصحيح في حياته. وعلى المستوى

المجتمعي، يُرسخ الإسلام راحة البال من خلال ضمان إحفاق حقوق الآخرين، وتحقيق العدالة، وإزالة العوامل الضارة التي تُخلّ بالوئام - حتى وإن لم يُدرك الناس دائماً الحكمة الكامنة وراء أساليب الإسلام لتحقيق هذه النتائج. ولذلك، فإن ميثاق السلوك الإسلامي يشمل كل موقف قد يواجهه الإنسان، سواءً كان دنيوياً أو دينياً، ويحكم كل نعمة يتفاعل معها. لذلك، من الخطأ الاعتقاد الجاهل بأن الله تعالى لا يهتم إلا بالواجبات الدينية كالصلوات المفروضة. في الواقع، فإن الله تعالى يسأل الناس عن كل ظرف يمرون به، سواءً كان متعلقاً بالعبادة أو التعامل مع الآخرين أو الانتفاع بنعمهم. لذا، من الضروري لكل إنسان أن يتعلم التعاليم الإسلامية، ويعمل بها ليتمكن من التصرف الصحيح في كل موقف. وبذلك، يصل إلى حالة نفسية وجسدية متناغمة ويضع كل شيء وكل شخص في حياته على الوجه الصحيح، ويستعد جيداً للحساب يوم القيامة. هذا السلوك الشامل يؤدي في النهاية إلى الطمأنينة في الدنيا والآخرة. لذلك، يجب على المرء أن يتجنب اعتبار الإسلام ثوباً يمكن ارتداؤه وخلعه وفقاً للأهواء الشخصية. من يتصرف بهذه الطريقة، في الحقيقة، يعبد أهوائه، حتى: سورة الفرقان، الآية 43. لو ادعى خلاف ذلك في الظاهر

"...أرأيت من اتخذ إلهه هواه"

من يغفل عن التعاليم الإسلامية في كل حال، سيُسيء استخدام النعم التي وُهِبَتْ له حتماً. ونتيجةً لذلك، سيقع في اختلال التوازن: ستُضطرب حالته النفسية والجسدية، وتُضلّ أولوياته، ويُهمَل استعداده ليوم القيامة سيؤدي هذا الوضع إلى ضغوط وتحديات وصعوبات في الدنيا والآخرة، حتى وإن كان يتمتع ظاهرياً ببعض الرفاهية الدنيوية.

باختصار، الإسلام ليس أسلوب حياة انتقائياً، بل هو إطار شامل للنجاح. ولا يمكن للإنسان والمجتمع بأكمله تحقيق التوازن الحقيقي وراحة البال والرخاء الأبدي إلا بتبنيه بالكامل في جميع جوانب الحياة. وقد نوقش هذا الإطار الشامل في القرآن الكريم، وخاصةً في هذه السورة. سورة النور، الآية ٢

المرأة [غير المتزوجة [أو الرجل [غير المتزوج [إذا ثبتت إدانتها بالجماع فاجلدوا كل واحد منهما مائة " ...جلدة

لفهم تحريم العلاقات خارج إطار الزواج، لا بد من التأمل ملياً في عواقبها الوخيمة على المستوى الفردي والمجتمعي. لقد أمر الله تعالى الناس بالزواج، وحرّم العلاقات غير الشرعية. هذا الأمر ليس اعتباطياً، بل هو نابع من حكمة سامية تصون سلامة الفرد النفسية والعقلية والروحية. عندما لا يكون الزوجان مخلصين لبعضهما البعض، كما هو الحال في الزواج، فإن أي صعوبة حقيقية يواجهانها غالباً ما تُسبب اضطراباً عاطفياً أكبر. بافتقارهما إلى الشعور بالواجب والالتزام الذي يُضفيه الزواج، غالباً ما يفشلان في دعم بعضهما البعض كما ينبغي في أوقات الشدة. إن الدخول في علاقات متعددة والخروج منها طوال حياة المرء يترك حتماً ندوباً عاطفية دائمة، مما يؤدي إلى مشاعر عدم الاستقرار والفراغ الداخلي. لذلك، ليس من المستغرب أن يلجأ الكثير ممن يعانون من الانفصالات المتكررة إلى الاستشارة النفسية، ويعانون من الاكتئاب والاضطرابات النفسية الأخرى بشكل أكثر تكراراً من أولئك الذين يتجنبون مثل هذه العلاقات.

علاوة على ذلك، غالباً ما يجد من يُعرفون في المجتمع بتعدد علاقاتهم صعوبة في استقطاب شريك حياة مخلص يُلبي حقوقهم. ويرجع ذلك إلى أن الانخراط المُعتاد في مثل هذه العلاقات يُعزز شخصيةً مُنحلةً وغير موثوقة، وهي سماتٌ يراها الباحثون عن التزامٍ مدى الحياة غير مرغوبة. ونتيجةً لذلك، تُفاقم إخفاقاتهم العاطفية المتكررة محنتهم.

تفتقر العلاقات غير الشرعية أيضاً إلى توافق الأهداف على المدى الطويل. في كثير من الأحيان، يرغب أحد الشريكين في الالتزام، بينما يسعى الآخر إلى رفقة مؤقتة فحسب. عندما يتضح هذا التباين، فإنه يؤدي إلى دمار عاطفي لمن استثمر قلبه بعمق. على النقيض من ذلك، يبدأ الزوجان علاقتهما على أساس من الالتزام المتبادل والنية المشتركة. يدعم كل منهما الآخر في جميع تغيرات الحياة - سواء كانت مخططة أو غير متوقعة، مثل ولادة الأطفال. نادراً ما نجد هذا الشعور بالاستقرار والإخلاص في العلاقات خارج إطار الزواج.

علاوة على ذلك، تُوهم العلاقة غير الشرعية الشخص بأنه يعرف شريكه تمامًا. وعندما يتزوج، غالبًا ما يشنكي من تغير شريكه. في الواقع، لم يتغير الشخص، بل كشفت مسؤوليات الزواج وضغوطه الجديدة جوانب من شخصيته لم تكن ظاهرة من قبل. ولهذا السبب، غالبًا ما تواجه العلاقات التي بدأت بشكل غير شرعي توترًا زواجًا أكبر. حتى العيش المشترك قبل الزواج لا يمنع هذه النتيجة.

من المعروف أيضًا أن الاضطراب العاطفي في العلاقات يؤثر على جميع جوانب الحياة. على سبيل المثال، يتخلل العديد من الشباب عن تعليمهم أو مسيرتهم المهنية لمجرد عدم قدرتهم على مواجهة رؤية شريكهم السابق. في المقابل، يكون الزوجان، المرتبطان بالتزام مقدس، أقل عرضة بكثير لقطع علاقتهما بسبب مثل هذه الأمور العابرة.

ومع ذلك، لا ينبغي أن ينخدع المرء بالمظهر الخارجي للعلاقات غير الشرعية، مفترضًا أنها غير ضارة. فالإدراك البشري محدود ومشوّش بالعاطفة، مما يدفع الناس إلى تجاهل الضرر الخفي في الأفعال التي تتعارض مع التوجيه الإلهي. سينجذب الشخص في مثل هذه العلاقة حتمًا نحو المزيد من العصيان، إذ يصعب كبح المشاعر والرغبات. ومع مرور الوقت، غالبًا ما يؤدي هذا إلى خطايا مثل الزنا - وهو فعل مُسَلَّم به في العديد من المجتمعات ولكنه مُدمر من الناحيتين الأخلاقية والاجتماعية. تؤدي العلاقة الحميمة غير الشرعية إلى مشاكل عديدة، بما في ذلك الحمل غير المرغوب فيه، وتفكك الأسرة، وتهوين الخطايا الجسيمة الأخرى حتى لو تجنب الشخص المخالفات الجسيمة في علاقة غير شرعية، فإن تعلقه العاطفي يُعَيِّم حكمه. قد يتزوج من شخص غير مناسب لمجرد مشاعر قوية، متجاهلاً أهمية التقوى والتوافق. ونتيجة لذلك، يُكافح لاحقًا، تحت وطأة المسؤوليات، مما يؤدي إلى الصراع والندم. إن مشاعر الحب قد تعمي الإنسان عن عيوب شريكه. وهو تحذير ورد في حديث موجود في سنن أبي داود، رقم 5130

علاوة على ذلك، يجذب من يعيشون حياة غير أخلاقية آخرين ذوي شخصية مماثلة. يستغل الأفراد غير المتدينين بعضهم البعض لإشباع رغباتهم الشخصية بدلًا من الاحترام المتبادل. غالبًا ما تتسم هذه العلاقات بالإساءة اللفظية والإذلال والندوب العاطفية التي تبقى لفترة طويلة بعد الاعتذار. في كثير من الحالات، تتطور هذه العلاقات إلى إيذاء جسدي. عندما يذبل الجمال أو الشباب، يبحث الشريك غير المتدين عن شريك آخر. معتبرًا العلاقات كماليات يمكن الاستغناء عنها. يؤدي هذا السلوك إلى صدمة عاطفية عميقة وعدم استقرار تستمر دورة الأذى للجيل التالي. غالبًا ما ينشأ الأطفال المولودون خارج إطار الزواج أو في علاقات غير

مستقرة في أسر مفككة دون دعم مستمر من كلا الوالدين. تؤكد الإحصاءات والملاحظات على حد سواء أن العديد من الشباب الذين يجذبون إلى الجريمة أو العصابات أو الاستغلال يأتون من مثل هذه البيئات. إن تربية الأطفال في منزل مستقر ومحب أمرٌ صعب حتى عندما يكونون مرغوبين - فكم يكون الأمر أصعب عندما لا يكونون كذلك؟ غالبًا ما يدفع العبء العاطفي الآباء والأمهات المنفردين إلى التخلي عن أطفالهم من أجل الكفالة أو التبني، مما يزيد من خطر تعرض الطفل للأذى العاطفي والاجتماعي.

كل هذه النتائج المدمرة أشبه بالسم الخفي في وجبة تبدو شهية. فمجرد عدم رؤية السم لا يجعله غير ضار وبالمثل، قد تبدو العلاقات غير الشرعية جذابة، لكنها تنطوي على ضرر خفي لا يعلمه إلا الله تعالى. وهكذا يثق العاقل بأمره، كما يثق المريض العاقل بنصيحة طبيبه، فيقبل الدواء المر والحميات الغذائية المقيدة عالمًا، أنها تؤدي إلى صحة دائمة. إن العمل بهدي الله تعالى يضمن السكينة والتوازن في الحالة النفسية والجسدية بينما اتباع الفهم المحدود يجلب ضررًا لا مفر منه. المعرفة البشرية، على الرغم من تقدمها، لا تزال محدودة جدًا عن حل جميع المشكلات الأخلاقية والعاطفية. لا يمكن للناس أبدًا التنبؤ بجميع عواقب أفعالهم. الله تعالى وحده هو الذي يملك المعرفة الكاملة اللازمة لهداية البشرية نحو الرفاهية الحقيقية، وقد كشف عن هذه المعرفة في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. وتظهر هذه الحقيقة بوضوح عند مقارنة السلام والوئام بين من يعيشون بالهداية الإلهية وبين الضيق والاضطراب بين من لا يعيشون بها.

لقد حلّ الله تعالى، بحكمته اللامتناهية، مشاكل مجتمعية لا تُحصى بمعالجة جذورها، مُحَرِّمًا العلاقات غير الشرعية، ومُشجِّعًا على الزواج، ذلك الاتحاد المقدس القائم على الإخلاص والمسؤولية والإخلاص. ومن خلال هدايته للزواج والطلاق والأرامل وتربية الأبناء، منح البشرية مفتاح بناء أسر مستقرة، تُشكّل بدورها أساسًا لمجتمع سليم. فعندما يُؤدّي أفراد الأسرة - سواء كانوا مُجتمعين أو مُنفصلين - حقوق بعضهم البعض ويُوفّرون بيئةً موهّلةً لأطفالهم، يستفيد المجتمع بأسره من هذا الاستقرار. في المقابل، عندما تتفكك الروابط الأسرية، ينتشر الإهمال والشقاق في المجتمع، مُؤدّيًا إلى ضررٍ واسع النطاق. لقد اقترح العديد من المفكرين عبر التاريخ حلولًا لقضايا مجتمعية، لكن جهودهم غالبًا ما تُعالج أعراضًا سطحية فقط. أما الله تعالى، فيُحلّ سورة النحل، الآية. هذه المشاكل باستهداف جذورها، مُصحّحًا الأساس الأخلاقي والروحي للأفراد والأسر

89:

"ونزلنا عليك الكتاب تبيانًا لكل شيء وهدى ورحمة"

ولكن من استخدم العقل والبصيرة التي وهبها الله تعالى له، سيدرك الحكمة العميقة الكامنة في كلماته. سورة النور، الآية ١

"وأنزل فيه آيات بينات لعلكم تتفكرون ..."

الإسلام دين عملي وواقعي يُقرّ تمامًا بطبيعة الإنسان. ولذلك، تُقدّم قواعده السلوكية إرشادًا ليس فقط لمن يسعى للعيش وفقًا لتعاليمه، بل أيضًا لمن يُقصر، غالبًا لتعارض الأوامر الإلهية مع شهواتهم الدنيوية. في مسائل المعصية التي تُصيب الفرد بالدرجة الأولى، لم يُشرّع أي عقاب قانوني - من النوع الذي لا يُمكن تطبيقه إلا من قبل حكومة إسلامية. هذا لأن كل شخص مُنح حرية اختيار مساره في الحياة. فإن اختار إيذاء نفسه بالمعصية، فسيتحمل عواقب اختياره في الدنيا والآخرة. من يُصرّ على معصية الله تعالى، سيُسيء استخدام النعم التي وُهِبَت له لا محالة. هذا الإساءة تؤدي إلى اختلال التوازن: تُصبح حالته النفسية والجسدية مضطربة، وتُضعف أولوياته، ويُقصر في الاستعداد الكافي للحساب يوم القيامة. وهذا يُنتج عنه ضغوطًا ومشقات وصعوبات في الدنيا والآخرة، حتى وإن كان يتمتع ظاهريًا ببعض مُتَع الدنيا.

على النقيض من ذلك، لا تُفرض العقوبات الشرعية إلا عندما يكون للذنوب أثرٌ مباشرٌ وضارٌّ على المجتمع ككل - كالزنا - وعندما لا يردع التعاليم الإسلامية أو الفطرة السليمة مرتكبيها عن ارتكاب المخالفات العامة: سورة النور، الآية ٢٤

والفاجرة فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما شفقة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم
"...الآخر"

هذا الأمر موجه إلى الجهات الحكومية، المكلفة بتنفيذ هذه العقوبات. وحتى في هذه الحالة، لا يُلزمون بذلك إلا إذا وصلتهم القضية وثبتت بما لا يدع مجالاً للشك. فإذا كتم الجناة ذنبهم وتابوا إلى الله تعالى توبةً نصوحاً، غفر الله لهم. وقد حرم الإسلام الاعتراف بالذنوب علانيةً للسلطات، كما ورد في حديث سنن أبي داود رقم 4419.

مع أن الإسلام يتعامل مع الزنا بصرامة، إلا أن شروط الإثبات لتطبيق العقوبة الشرعية صارمة لدرجة أن إثباتها يكاد يكون مستحيلاً. ولهذا السبب، نادراً ما طبقت العقوبات الشرعية على هذه الخطايا في بدايات الدولة الإسلامية. سورة النساء، الآية 15

«...واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا »

احتمال وجود أربعة شهود عدلٍ وموثوقٍ يشهدون على مثل هذا الفعل ضئيلٌ للغاية. علاوةً على ذلك، فإن من يتهم آخر بالزنا دون تقديم هذا الدليل سيُعاقب شرعاً. وهذا رادعٌ قويٌّ ضدّ الاتهامات الباطلة. سورة النور، الآية 4:

والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون

تُظهر طبقات الرحمة هذه أن مقصد الشريعة الإسلامية ليس فضح المخالفين أو إذلالهم، بل ردعهم عن ارتكاب المعصية، وحماية المجتمع، وتشجيعهم على التوبة. يُحثُّ من يرتكب معصية على كتمانها، والتوبة الصادقة

،وطلب رحمة الله تعالى .ولا يُلزم -بالإبلاغ عن نفسه للسلطات .وهكذا، يوازن الإسلام بين العدل والرحمة ،والمحاسبة والعفو، والردع وإتاحة فرصة الإصلاح الصادق

،الإسلام، كدينٍ متوازن، يُعلّم الرحمة النابعة من الحكمة، لا الضعف .ولا يجيز التنازل عن التعاليم الإلهية :حتى لو كان هذا التنازل نابعًا مما يبدو أنه نية حسنة .سورة النور، الآية ٢

والفاجرة فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما شفقة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم " ...الآخر

تُبيّن هذه الآية أن الرحمة لا ينبغي أن تُطغى على العدل أو على شريعة الله .فالبشر، بطبيعتهم، غالبًا ما تُقادهم العاطفة وضيق الأفق .وقد يسمحون للشفقة أو الغضب أو التفضيل الشخصي بأن تُغيّم حكمهم، حتى في الأمور التي لها عواقب وخيمة على المجتمع بأسره .ولذلك، لا يُمكن للناس الاعتماد على عواطفهم وحدها عند اتخاذ قرارات بالغة الأهمية .بل عليهم أن يُدعّموا إيمانهم بالله تعالى وإيمانهم بالمحاسبة يوم القيامة بتنحية الآراء الشخصية جانبًا - وهي آراء غالبًا ما تُشكّلها العاطفة أو الجهل أو التحيز .وعليهم، بدلاً من ذلك، أن يُطبّقوا شريعة الله الكاملة والنزيهة والعادلة التي أنزلها من أحاط علمه بكل شيء :الماضي والحاضر والمستقبل وبهذا وحده يُمكن للأفراد والمجتمعات ضمان إحقاق العدل، وممارسة الرحمة في محلها، والحفاظ على ،سورة النور .التوازن .هذا هو جوهر هداية الإسلام :رحمة بلا ظلم، ورحمة بلا مساومة، وعدل بلا قسوة :الآية 2

والفاجرة فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما شفقة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم " ...الآخر

بشكل عام، تُذكر هذه الآية بأهمية تجنب الأعمال الخاطئة، حتى وإن بدت نية حسنة. يُدرك معظم الناس أهمية النية، فهي أساس جميع الأعمال في الإسلام. بل إن الله تعالى يحكم على الأعمال بالنية، كما ورد في الحديث المشهور في صحيح البخاري، رقم 1. ومع ذلك، غالبًا ما يُغفل جانب مهم: النية الحسنة وحدها لا تكفي. فلكي تُقبل النية، يجب أن يصاحبها عمل صالح ومشروع. وإلا، تصبح النية باطلة. على سبيل المثال لا يجوز للمرء أن يسرق من الأغنياء ليعطي الفقراء. حتى وإن كانت النية هي مساعدة المحتاجين في سبيل الله تعالى، فإن العمل يبقى محرّمًا وبالتالي غير مقبول. يشترط الإسلام أن تكون النية والعمل سليمين وصادقين ومتوافقين مع التوجيه الإلهي.

للأسف، غالبًا ما يُهمل هذا المبدأ عند التعامل مع الآخرين. ينصح الكثيرون الآخرين بأفعال معينة دون دراسة متأنية للعواقب أو لمدى خدمة النصيحة لمصلحتهم. بدلاً من التروي والتدبر، يعتمدون فقط على حسن نيتهم ويواصلون العمل.

لنأخذ مثالاً أحد الوالدين الذي يشجع ابنه على الزواج من قريب أو صديق للعائلة لمجرد صلة القرابة بين العائلتين. فبينما تكون نية الوالدين حسنة بلا شك - فهما يرغبان في سعادة ابنهما واستقراره - قد لا يكون هذا التصرف صادقاً أو حكيماً إذا كان الزوج/الزوجة غير مناسب. في هذه الحالة، فإن اعتماد الوالدين على حسن النية وحده يمنعهم من التصرف بإخلاص تجاه ابنهم، كما يقتضي الإسلام. لا شك في محبة الوالدين. ولكن المحبة وحسن النية يجب أن يكونا مبنيين على المعرفة والحكمة والتدبر.

مثال آخر هو أن يسعى شخصٌ ما لتعلم العلم الشرعي والعمل به، ثم يواجه انتقاداتٍ من أقرابه. قد يعتقد كلٌ منهم أنه يتصرف بحسن نية، لكن تقصيرهم في تقدير الموقف يُعميهم عن حقيقة أن الشخص يسعى إلى أمرٍ محمود. باعتمادهم على نيتهم فقط، دون تفكير أو علم، فإنهم يمنعون قريبتهم عن الخير دون قصد.

لذا، فإن النية الطيبة لا تكفي وحدها، بل يجب أن تُدعم بعمل سليم وصادق ومدرّوس. ولذلك يُقال غالبًا: طريق النار مفروش بالنوايا الطيبة. "يُخطئ الناس في تقدير أنفسهم والآخرين عندما يظنون أن النية وحدها"

،كفيلة بالخير .وأصل هذا السلوك هو الجهل .والعلاج هو طلب العلم والتأمل العميق والعمل بالهدى الإسلامي بحيث تلتقي النية الطيبة بالأفعال المشروعة والحكمة والمفيدة .وهكذا، يُحافظ الإسلام على التوازن :النية مع العمل، والرحمة مع الحكمة، والإخلاص مع المعرفة .فقط عندما تجتمع هذه العناصر، يُمكن للإنسان أن يحقق النجاح الحقيقي في الدنيا والآخرة

إن العقوبات الشرعية التي أقرها الإسلام، والتي تطبقها الحكومة الإسلامية، ليست إجراءات تعسفية، بل هي رادعة لحماية المجتمع من الفساد والضرر المستشري .ولذلك أمر الله تعالى بإقامة مثل هذه العقوبات على .(سورة النور، الآية ٢٤) .الآخرين

"وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين ..."

،الحكمة من هذا الأمر جلية .فهو لا يقصد به تشجيع الناس على لعن المذنبين أو الاستهزاء بهم أو إذلالهم ،لأن هذا السلوك يتناقض مع الأخلاق النبيلة المتوقعة من المؤمن الصادق .بل إن الغرض منه ذو شقين .أولاً يُمثل رادعاً قوياً للمشاهدين .فبمشاهدة عواقب المعصية، يُذكرون بمسؤوليتهم أمام الله تعالى، ويثبتون عن الوقوع في نفس المعصية .إن الطابع العلني للعقوبة يُعزز جسامة الجريمة ويُقوي عزم الآخرين على تجنبها ،ثانياً، يُتيح للمؤمنين الصادقين فرصة لإظهار الرحمة في صورتها الصحيحة .فبدلاً من الاستخفاف بالمذنبين ،يُشجعون على مواساتهم، وتذكيرهم برحمة الله تعالى الواسعة، وحثهم على التوبة الصادقة .وبهذه الطريقة لا يُصبح العقاب وسيلةً للعدل فحسب، بل أيضاً سبيلاً للإصلاح والتجديد الروحي للمذنب .وهكذا، فإن هذا الأمر مُفيد لجميع الأطراف المعنية .يتلقى الناظرون درساً يُقوّي إيمانهم ويردعهم عن المعصية .ويُمنح المذنبون فرصةً للتأمل والتوبة والإصلاح، مدركين أن باب الرحمة لا يزال مفتوحاً .ويُصان المجتمع بأسره من انتشار الفساد، إذ يُقام العدل جلياً وتُعزّز حرمة الشريعة الإلهية .وهكذا تتضح حكمة الإسلام :فالعدل لا يُطبّق أبداً بدافع القسوة أو الانتقام، بل لهدف أسمى هو الإصلاح والتوبة وحفظ السلام والأخلاق والوئام في المجتمع .إنه نظام يوازن بين الحزم والرحمة، والردع والشفقة، والمحاسبة وفرصة الخلاص

كما ذكرنا سابقاً، يكمن أساس المجتمع العادل والمسالمة في بناء منزل مستقر ومتناغم، تؤدي فيه حقوق جميع الأفراد على أكمل وجه. ينعكس هذا الاستقرار الداخلي على الخارج، مُعززاً الحب والعدل والإنصاف والسلام في جميع أنحاء المجتمع. ولتحقيق ذلك، لا يشجع الإسلام الزواج ويحرم العلاقات غير الشرعية فحسب، بل، يأمر الناس أيضاً باختيار أزواجهم بحكمة - أولئك الذين يحافظون على حقوقهم وحقوق الآخرين في الأسرة: سورة النور، الآية 3. بمن فيهم أطفالهم

"الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة ولا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين "

من المهم توضيح أن الزناة المذكورين في هذه الآية هم أولئك الذين يصرون على الذنب دون ندم أو توبة أو أي علامة على الإصلاح. وهذا لا ينطبق على أولئك الذين تابوا بصدق من أخطاء الماضي، لأن الله تعالى، يقبل التوبة الصادقة ويغير حال أولئك الذين يعودون إليه. ومع ذلك، فإن أولئك الذين يصرون على الزنا وكذلك أولئك الذين يرفضون أو يهملون مدونة السلوك الإسلامية، يطورون حتماً شخصية تمنعهم من فهم أو أداء حقوق زوجهم وأطفالهم وأقاربهم. وهذا أحد أسباب تركيز الإسلام الشديد على اختيار الزوج المناسب في الواقع، في حديث موجود في صحيح البخاري، رقم 5090، أوضح النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم أن الشخص يتزوج لأربعة أسباب: المال، والنسب، والجمال، والتقوى. واختتم بتحذير المرء من الزواج من أجل التقوى، وإلا فسيكون خاسراً

حكمة هذا الحديث عميقة. الصفات الثلاث الأولى - الثروة والنسب والجمال - زائلة وغير كاملة. قد توفر سعادة مؤقتة، لكنها في النهاية تصبح أعباء، لأنها مرتبطة بالعالم المادي وليس بمصدر النجاح الأبدي، ألا وهو الإيمان. الثروة لا تضمن السعادة؛ في الواقع، غالباً ما تُظهر حياة الأغنياء والمشاهير أن الوفرة المادية يمكن أن تتعايش مع عدم الرضا العميق. الزواج من أجل النسب هو أيضاً غير حكيم، لأن النسب النبيل لا يضمن نبيل الشخصية، وإذا فشل الزواج، فقد يؤدي ذلك إلى تدمير الرابطة بين العائلات. أما الجمال، أو ما يُعادل غالباً بالحب الرومانسي، فهو عاطفة عابرة تتغير مع الوقت والمزاج والظروف. التاريخ مليء بأمثلة لأزواج ادعوا ذات مرة أنهم مغرمون بشدة ثم أصبحوا فيما بعد يحتقرون بعضهم البعض

مع ذلك، لا يُشير هذا الحديث إلى أن الثروة والجاذبية لا علاقة لهما بالأمر. من المهم أن يكون الزوج قادرًا على إعالة الأسرة ماليًا، والجاذبية المتبادلة جزء طبيعي وصحي من الزواج. بل يُعَلِّم الحديث أن هذه الصفات لا ينبغي أن تكون الدافع الرئيسي أو النهائي للزواج. يجب أن يكون الأساس هو التقوى.

التقوى هي امتثال أوامر الله تعالى، واجتناب نواهيه، ومواجهة القدر بالصبر، اقتداءً بسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. باختصار، من يتقي الله تعالى يُحسن معاملة زوجته في السراء والضراء. أما الكافر فيسيء معاملة زوجته عند غضبها، بل حتى في السراء والضراء، يُقَصِّر في حقوقها جهلاً وأنانية. وهذا من أسباب ازدياد الخلافات الأسرية، بل والعنف، بين المسلمين في الآونة الأخيرة.

الإنسان التقى، بعلمه، يهتم بأداء حقوق الآخرين - كزوجته مثلاً - أكثر من اهتمامه بالمطالبة بحقوقه. فهو يدرك أن الله تعالى سيسأله: هل أدبتم حقوق الآخرين؟ لا: هل أدوا حقوقهم؟ (سورة فاطر، الآية ٢٨)

"...إنما يخشى الله من عباده العلماء..."

ومع ذلك، غالبًا ما ينشغل غير المتدينين بحقوقهم المتصورة، والتي يتشكل الكثير منها من الثقافة أو الموضة أو الخيال الشخصي بدلاً من الإسلام. ونتيجة لذلك، لا يرضون أبدًا، حتى لو أدى زوجه حقوقهم وفقًا للتعاليم الإسلامية. وهذا هو سبب ارتباط الجهل بالإسلام ارتباطًا وثيقًا بالخلافات الزوجية والطلاق. ولهذا السبب، يجب على كل من يرغب في الزواج أن يسعى أولاً إلى معرفة مسؤولياته: الحقوق التي يدين بها لزوجته والحقوق الواجبة له، والطريقة الصحيحة للتعامل مع زوجته في مختلف المواقف. وبدون هذه المعرفة، يقع العديد من الأزواج في خلافات، ويطالبون بأشياء غير إلزامية ويتجاهلون المطلوب حقًا. وهكذا، فإن المعرفة كونها أصل التقوى - هي أساس الزواج السليم والمستقر والناجح -

"...الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة، ولا ينكحها إلا زان أو مشرك "

كما ذكر سابقاً، فإن من يتبنى شخصية غير متقية ويسعى وراء شركاء متعددين سيجذب حتماً إلى حياته آخرين ذوي طباع مُماثلة. نادراً ما يكون هؤلاء الأفراد صادقين؛ فاهتمامهم الأساسي هو تحقيق رغباتهم الخاصة. ونتيجةً لذلك، لا يحترمون حقوق شريكهم ولا يُدافعون عنها، حتى في إطار رابطة الزواج. وعندما تنشأ خلافات، يسارعون إلى اللجوء إلى الإساءة اللفظية، وغالباً ما يُستغلون سلوكيات الطرف الآخر غير المحتشمة السابقة كسلاح لمقارنته بعاهرة. وحتى لو اعتذروا لاحقاً، يكون الضرر قد وقع بالفعل. تترك هذه الكلمات ندوباً عاطفية عميقة لا تلتئم بسهولة، وفي كثير من الحالات، قد تكون هذه الجروح أكثر ضرراً على الصحة النفسية والعاطفية للشخص من الأذى الجسدي. علاوةً على ذلك، فإن من يُحيطون أنفسهم برفاق غير مُتقين بسبب طباعهم المُنحرفة هم أكثر عُرضةً بكثير للإساءة الجسدية على يد شريكهم أو زوجهم. علاقاتهم - مبنية على أسس سطحية، وحالما تتلاشى الصفات الخارجية التي جذبت الشريك غير المتدين في البداية كالجمال والجاذبية والثراء - سيسعون للبحث عن شريك آخر. وهذا أحد الأسباب الرئيسية لشيوع العلاقات خارج نطاق الزواج بين غير المتدينين. فهم يعاملون زوجاتهم كما يعاملون ممتلكاتهم: يستخدمونها لفترة ثم يتخلصون منها أو "يُحسنونها". إن الدمار العاطفي الناجم عن هذه الخيانة هائل، ويترك جروحاً يصعب شفاؤها، وغالباً ما يُدمر الثقة التي تجمع العائلات. لا يقتصر ضرر هذا السلوك على الزوجين أنفسهما. فإذا كان لديهما أطفال، فإن عواقب أسلوب حياتهم غير المتدين غالباً ما تمتد إلى الجيل التالي. في لحظات الغضب، قد يوجه إليهما حتى أطفالهما إهانات لفظية - وخاصةً إلى الأم - مستغلين سلوكها غير المحتشم في الماضي كسلاح ضدها. إن ألم التعرض للإساءة من قبل أحد أبنائه بهذه الطريقة عميق ويترك ندوباً عاطفية يصعب للغاية التعافي منها. إنه يُقوّض رابطة الاحترام الطبيعية بين الوالدين والطفل، ويؤدّد دوامة من المرارة داخل الأسرة. على النقيض من ذلك، فإن من يتبنى شخصية متواضعة ومستقيمة يجذب إلى حياته أشخاصاً ذوي فضيلة مماثلة. سيحترم الزوج أو الشريك المتواضع حقوقه ويؤديها، وأي إهانة لفظية تُوجّه إليه لن يكون لها أي وزن، لأن الجميع يدركون أن مثل هذه الاتهامات باطلة. علاقتهم مبنية على الصدق والثقة والاحترام المتبادل. إذا رُزق هذان الزوجان بأطفال، فمن المرجح أن يُظهر هؤلاء الأطفال الاحترام لكلا الوالدين، مُدركين استقامة شخصيتهما وصدق سلوكهما. وبهذه الطريقة، لا يحمي التواضع الفرد فحسب، بل يُقوّي أيضاً وحدة الأسرة ويُنشئ جيلاً قادمًا أكثر صحة واحتراماً.

وهكذا، فإن الاختيار بين الكفر والحياء ليس مسألة شخصية فحسب، بل يُشكل جودة علاقات المرء، واستقرار أسرته، والنسيج الأخلاقي للأجيال القادمة. فالكفر يُؤلّد عدم الاستقرار والخيانة والأذى العاطفي، بينما يُعزز الحياء الاحترام والثقة والوئام الدائم. سورة النور، الآية 3

"الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة ولا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين "

كما ذكرنا سابقاً، حفاظاً على كرامة الأبرياء وشرفهم، وخاصة النساء، فرض الإسلام عقوبة قانونية صارمة: سورة النور، الآية 4. على من يتهم الآخرين بالزنا دون دليل يُعتد به

"والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة "

يُسلّط هذا الحكم الضوء على خطورة القذف والاتهام الكاذب. فهو ليس مجرد اعتداء شخصي، بل جريمة قد تُدمّر السمعة والأسر والمجتمعات بأسرها. ولذلك، لا تقتصر العقوبة على الجلد العلني. بل يُشوّه سمعة المدّعين بمنعهم نهائياً من الشهادة في أي قضية قانونية، مما يُصمّمهم بعدم الأمانة

"ولا تقبل منهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون ..."

هذا العقاب المزدوج - الجسدي والاجتماعي - رادعٌ وحامٍ للمجتمع. فهو يضمن التفكير ملياً قبل توجيه الاتهامات، ويحفظ كرامة الأبرياء من التشهير المتهور. ومع ذلك، وكما هو الحال في جميع الأمور في الإسلام، فإن باب الرحمة لا يُغلق أبداً. يُعقب الله تعالى هذا التحذير الصارم مباشرةً بفتح بابٍ للخلاص. سورة: النور، الآية 5

"إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم"

التوبة الصادقة ليست مجرد نطقٍ بالكلمات، بل هي انعطافٌ عميقٌ للقلب وإصلاحٌ واعيٌ للسلوك. تبدأ بندم صادقٍ، أي الشعور بالندم العميق والأسف على الذنب المرتكب، وإدراك أن معصية الله تعالى خيانةٌ لنعمه، الكثيرة. ثم يتبع هذا الندم طلبُ المغفرة من الله تعالى بتواضع وإخلاص، وإن أمكن، طلب العفو ممن ظلم شريطة ألا يُسبب ذلك مزيداً من الضرر أو الصعوبة. كما تتطلب التوبة الصادقة عزماً راسخاً وصادقاً على عدم العودة إلى نفس الذنب، أو إلى ما يشبهه. ويجب أن يُصاحب هذا العزم خطواتٌ عمليةٌ للابتعاد عن الأسباب والبيئات التي أدت إلى الذنب في المقام الأول. بالإضافة إلى ذلك، يجب على المرء أن يسعى جاهداً لاستعادة أي حقوق انتهكت - سواء كانت ملكاً لله تعالى، مثل أعمال العبادة المهملة، أو ملكاً للناس، مثل المال والعرض والأمانة التي أخذت بغير حق، ما دام ذلك لا يزيد الوضع سوءاً. وأخيراً، لا تكتمل التوبة الصادقة إلا بالطاعة الدائمة. يجب على المرء أن يستمر في العيش وفقاً لتعاليم الإسلام، مستخدماً نعم الله تعالى التي أنعم بها عليه على النحو الذي يرضيه. وهذا يشمل أداء الواجبات، والامتناع عن المحرمات، والسعي لتجسيد الأخلاق الكريمة التي علمها النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم. وبهذه الطريقة، لا تصبح التوبة وسيلةً لمحو الذنوب الماضية فحسب، بل أيضاً طريقاً للتجديد الروحي، والإصلاح الأخلاقي، وتوثيق العلاقة مع الله تعالى. إنها تحوّل الذنب إلى نمو، والضعف إلى قوة، والخطيئة إلى خطوة نحو مزيد من الإخلاص والثبات.

وهكذا يوازن الإسلام بين العدل والرحمة. فمن جهة، يصون كرامة الفرد والمجتمع بصرامة بمعاينة القذف. ومن جهة أخرى، يتيح لكل مذنّب فرصة إصلاح نفسه وبناء شخصيته والعودة إلى رحمة الله تعالى.

سورة النور، الآية 4

"والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة "

من المهم إدراك أنه على الرغم من أن هذه الآية تنطبق على الأبرياء من الرجال والنساء على حد سواء، إلا أنها لم تذكر صراحةً إلا النساء. وذلك لأن النساء في الواقع أكثر عرضة لاتهامات باطلة بالزنا. وفي الوقت نفسه، تُبرز الآية الرعاية والحماية الخاصة التي يوليها الإسلام للمرأة، لا سيما في عصر كانت فيه من أكثر فئات المجتمع اضطهادًا.

بشكل عام، قبل ظهور الإسلام، وحتى في بعض أنحاء العالم اليوم، كانت المرأة تُعامل كممتلكات مادية لا كبشر. كانت تُشتري وتُباع كالأنعام، محرومة من حقوقها في كل مناحي الحياة، ومُجردة من استقلاليتها. لم يكن للمرأة أن ترث الثروة؛ بل كانت تُورث كما لو كانت مُلكًا. إذا امتلكت شيئًا، فلا يحق لها التصرف فيه إلا وفقًا لرغبات أقاربها الذكور، بينما ينفقون ثروتها بحرية كما يحلو لهم. لم تكن لها سلطة مُعترف بها لمناقشة هذا الظلم. في بعض المجتمعات، وخاصة في أوروبا، لم تكن المرأة تُعتبر إنسانًا كاملًا. كانت تُعتبر مساوية للحيوانات، مُستبعدة من الدين، وغير صالحة للعبادة. حتى أن البعض اعتقد أن المرأة كائنات بلا روح. في شبه الجزيرة العربية، انتشرت عادة دفن البنات حديثات الولادة أحياء، إذ كانت الفتيات يُنظر إليهن على أنهن مصدر عار وعبء مالي. في ثقافات أخرى، كانت الأرامل يُعدمن، لأنهن لا يستحقن العيش بدون أزواجهن. في العديد من المجتمعات، كان الاعتقاد السائد هو أن الغرض الوحيد من المرأة هو خدمة الرجل، في ظل هذه الظروف القاسية والمهينة، غيّر الله تعالى، من خلال النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم وضع المرأة. علّم الإسلام البشرية احترام جميع الناس، وكرّس العدل والإنصاف في القانون، وجعل الرجال، مسؤولين عن إحقاق حقوق المرأة كما هي مسؤولة عن إحقاق حقوق الرجال. أعلنت المرأة حرة ومستقلة ومُنحت حق التصرف في حياتها وممتلكاتها واختياراتها. لا يجوز لأحد إجبارها على الزواج. إذا أُجبرت على ذلك رغماً عنها، فلها الحق في فسخ الزواج. لا يملك الرجل التصرف في مال المرأة دون إذنها. لا يجوز إجبار الأرملة أو المطلقة على أي عمل لا ترغب فيه. مُنحت المرأة نصيباً من الميراث، تماماً كالرجل وإن اختلفت النسب باختلاف مسؤولياتهما داخل الأسرة. هذا ليس ظلمًا، بل عدل، لأنه يعكس توازن الواجبات المالية المُلقاة على عاتق الرجل والمرأة في الشريعة الإسلامية. علاوة على ذلك، فإن الإنفاق على المرأة وحسن معاملتها عبادة من عبادات الله تعالى. وهكذا، رفع الإسلام مكانة المرأة من كونها مجرد ممتلكات إلى

تكريمها كفرد مستقل له حقوق ومسؤوليات وكرامة. لذا، من اللافت للنظر أن بعض من يزعمون مناصرة حقوق المرأة ينتقدون الإسلام في العصر الحديث، بينما في الواقع، أرسى الإسلام حقوق المرأة وحافظ عليها منذ أكثر من أربعة عشر قرناً - قبل أن تُصوّر هذه الحقوق في أجزاء أخرى من العالم بوقت طويل. لم يمنح الإسلام المرأة اعترافاً رمزياً فحسب، بل منحها حقوقاً عملية وقابلة للتنفيذ غيرت حياتها وضمنت كرامتها لجميع الأجيال.

لقد وضع الإسلام، بحكمته، شروطاً لتطبيق حد الزنا الشرعي بشروط يكاد يكون من المستحيل تحقيقها. وذلك، لأنه يشترط أربعة شهود عدلٍ وثوقٍ برؤية الفعل المعاشر نفسه. وهذا الشرط يجعل تحقيقه شبه مستحيل مما يحمي الناس من الاتهامات الباطلة ويصون كرامة الأفراد. ومع ذلك، في الحالة الاستثنائية التي يكتشف: سورة النور، الآيتان 6-7. فيها الشخص زنا زوجته، فقد وُضع دليلٌ منفصلٌ لمعالجة هذه المسألة الحساسة

والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهود إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين

، هذه العملية، المعروفة باللعن المتبادل، تُمكن الزوج من الإدلاء بشهادة يمين على صحة ادعائه. ومع ذلك، ولتجنب الظلم والاتهام الكاذب، تُمنح الزوجة حق الدفاع عن نفسها. سورة النور، الآيتان 8-9.

ولكن يدفع عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين، والخامسة أن غضب الله عليها إن كان "من الصادقين".

في هذه العملية، تُسوّى المسألة دون الحاجة إلى شهود خارجيين. فبدلاً من مجرد منح الفرد الطلاق من شريكه الخائن، تتيح له هذه الطريقة معالجة مظلمته بكرامة وهدوء، مما يُمكنه من المضي قدماً في حياته

والتخلص من أي استياء متراكم. ثم يُفصل الزوجان بطلاق بائن، مما يسمح لكليهما بمواصلة حياتهما دون وصمة عار مجتمعية. ويُترك أمر الأمر لله تعالى، الذي وحده يعلم الحق، والذي سيحاسب كل ذي حق على أعماله يوم القيامة.

يُجسد هذا الحكم توازن الإسلام: فهو من جهة يحمي المجتمع من انتشار الفساد والاتهامات الباطلة، ومن جهة أخرى يصون كرامة الأفراد بضمان عدم معاقبة أحد دون دليل قاطع. كما يُتيح سبيلاً كريماً للانفصال بين الزوجين، ضامناً عدم بقاء أي منهما في فخ زواج مُسمّم بالريبة وانعدام الثقة.

مع أن الزنا جريمةٌ جسيمةٌ وخطيئةٌ لا تُرتكب بحق الزوج المُخدوع فحسب، بل بحق الله تعالى، الذي قدس رباط الزواج، إلا أن الله تعالى لا يُعاقب الناس على ذنوبهم فوراً، بل يدعوهم إلى التوبة الصادقة، ويعدّهم بالمغفرة والرحمة). سورة النور، الآية ١٠)

"ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله هو التواب الحكيم"

لذا، يجب على المرء أن ينتهز هذه الهبة الممنوحة له في هذه الدنيا بالتوبة الصادقة وإصلاح سلوكه، فهذه الهبة ليست أبدية. وتأخير العقوبة ليس دليلاً على رضا الله تعالى، بل هو رحمة وفرصة للإصلاح. ولا ينبغي لمن أساء استخدام النعم الممنوحة له أن يظن أنه سيفلت من الحساب لأنه لم يُعاقب بعد - أو لأنه لا يعرف شكل عقوبته. فغياب المشقة الظاهرة ليس دليلاً على السلامة، بل قد يكون بداية تدهور روعي خفي يتجلى تدريجياً. وفي هذه الحياة، سيمنع هذا الموقف المرء حتماً من تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة. وسيؤدي سوء استخدامهم للنعم والمعصية إلى ضياع أولوياتهم، وخطئهم بين ما يستحق الحب والوقت والاهتمام ونتيجة لذلك، سيتحول كل جانب من جوانب حياتهم - الأسرة والأصدقاء والعمل والمال - إلى مصدر قلق وضيق بدلاً من أن يكون مصدر سلام واكتمال. عندما يستمر المرء على هذا النهج رافضاً التوبة وتصحيح مساره، فإنه يبدأ بإلقاء اللوم على الأشياء والأشخاص الخطأ في تعاسته. قد يرى في زوجته أو أطفاله أو زملاءه سبباً لتوتره، فيقصي هؤلاء الأشخاص الطيبين والداعمين من حياته. ومع ذلك، فإن هذا لا يُعمّق إلا

،يأسه ويتركه معزولاً روحياً وعاطفياً .ونتيجة لذلك، غالباً ما يقع في اضطرابات نفسية - اكتئاب وإدمان وفي الحالات الشديدة، حتى ميول انتحارية - معتقداً أن الوسائل الدنيوية قادرة على ملء الفراغ الروحي الذي خلقه بنفسه .تتجلى هذه النتيجة بشكل مؤلم في كثير من الذين يُصرّون على إساءة استخدام النعم التي مُنحت لهم، مثل الأغنياء والمشاهير .فرغم ما يبدو عليهم من رفاهيات ونجاحات مادية، غالباً ما تكون قلوبهم مضطربة، وعلاقاتهم متوترة، وحياتهم مليئة بالقلق .لا تُغنيهم ملاذاتهم الدنيوية عن عواقب الإهمال الروحي ولأن هذا التقصير منعهم من الاستعداد للحساب يوم القيامة، فإن عقابهم في الآخرة أشد وأبقى .ولن تعود الرحمة التي وُهبَت لهم في الدنيا متاحة، وستضيع فرصة التوبة

لذا، يجب على المرء أن يتوب توبةً نصوحاً ويُصلح سلوكه قبل فوات الأوان .فالتوبة الصادقة ليست مجرد نطقٍ بالكلمات، بل هي تحولٌ قلبيٌّ يبدأ من داخل النفس .تبدأ بندمٍ صادقٍ وشعورٍ عميقٍ بالأسف على معصية الله تعالى .ويجب أن يتبع هذا الندم الصادق طلبٌ حثيثٌ للمغفرة - من الله تعالى ومن كلِّ من ظلم، شريطة ألا يُسبب ذلك مزيداً من الضرر أو الفتنة .كما تتطلب التوبة الصادقة عزماً راسخاً وصادقاً على الامتناع عن - تكرار نفس الذنب أو ما شابهه في المستقبل .ويجب أن يصاحبها سعيٌّ صادقٌ لاستعادة أيِّ حقوقٍ انتهكت سواءً كانت حقوق الله تعالى، كإهمال العبادات، أو حقوق الآخرين، كالظلم والغيبة والخديعة .ومع ذلك، لا تنتهي التوبة بطلب المغفرة؛ بل يجب أن تُعدَّى بالطاعة الدائمة لله تعالى .يتحقق ذلك بالاستخدام الصحيح للنعم التي أنعم بها الله - كالوقت والمال والصحة والعلاقات - وفقاً للتعاليم الإسلامية .ومن خلال هذا الإخلاص المستمر، لا يمحو الإنسان ذنوب الماضي فحسب، بل يضع أيضاً أسس السلام الداخلي والنمو الروحي والنجاح من خلال تحقيق حالة ذهنية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء وكل ،الدائم في الدنيا والآخرة سورة النور، الآية 10 . شخص في حياته على الوجه الصحيح

"ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله هو التواب الحكيم"

عموماً، يتجلى فضل الله تعالى ورحمته في شريعته الكاملة والعادلة التي أنعم بها على البشرية .تُمكن هذه الإرشادات الإلهية البشر من بلوغ الطمأنينة على المستوى الفردي، بتحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة وتعلم وضع كل شيء وكل شخص في حياتهم في مكانه الصحيح .كما تُرسي السلام والعدل على المستوى المجتمعي، بضمان إحقاق حقوق الناس والقضاء على الممارسات الضارة .ذلك لأن الله تعالى هو الوحيد الذي يملك المعرفة الكاملة اللازمة لتحقيق هذا التوازن .فهو وحده يعلم حقيقة الإنسان، ظاهراً وباطناً، وهو

وحده من يدرك ما يؤدي إلى التناغم وما يؤدي إلى الفساد. في المقابل، تبقى معرفة البشر بالحالات النفسية والجسدية، رغم قرون من البحث والدراسة، محدودة وناقصة. فالنصيحة البشرية، مهما كانت حسنة النية، لا يمكنها حل كل مشكلة قد يواجهها الإنسان في حياته. لا يحميهم من جميع أشكال الإجهاد النفسي والجسدي ولا يضمن لهم ترتيب أولوياتهم وترتيب كل شيء وكل شخص في حياتهم بشكل صحيح. ويرجع ذلك إلى محدودية المعرفة البشرية والخبرة والبصيرة والتحيزات التي تُشكل حتمًا أحكامهم. الله تعالى وحده هو صاحب العلم الكامل، ومن رحمته أنعم على البشرية بهذا الهداية في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. لا تُقدم هذه المصادر الشرائع والأحكام فحسب، بل تُقدم أيضًا إطارًا شاملاً للحياة - يشمل الإيمان والعبادة والأخلاق والحياة الأسرية والسلوك الاجتماعي والحكم. تتجلى حقيقة هذا عندما يُراقب المرء حياة من استخدموا النعم التي وهبت لهم وفقًا للتعاليم الإسلامية مقارنةً بمن لم يفعلوا. من عاش وفقًا للهداية الإلهية وجد الاستقرار والوضوح والسلام، بينما غالبًا ما يقع من أهملها في الحيرة وعدم التوازن وعدم الرضا، على الرغم من النجاح الدنيوي. وهكذا فإن رحمة الله تعالى لا تقتصر على منح الحياة والرزق فحسب، بل تشمل أيضًا توفير السلوك الكامل الذي يضمن سلامة الفرد والمجتمع في الدنيا والآخرة.

،بما أن الطريقة التي نوقشت سابقًا في حالة ضبط الزوج/الزوجة زانيًا تتضمن الإدلاء بالشهادة في المحكمة فإن الإسلام يحذر مرارًا من شهادة الزور، لأنها تؤدي إلى الهلاك في الدنيا والآخرة. وفي حديث ورد في صحيح البخاري، رقم 2673، حذر النبي محمد صلى الله عليه وسلم من شهد زورًا ليأخذ مال غيره بغير حق، فإنه يلقي الله تعالى وهو عليه غضبان.

من المهم ملاحظة أن هذا الحكم ينطبق على الاستيلاء على أموال الناس جميعًا، بغض النظر عن عقائدهم ولا ينقص من جسامته الإثم حتى لو أطاع شاهد الزور الله تعالى ظاهريًا في جوانب أخرى من حياته، كأداء الصلوات المفروضة. وللأسف، لا تزال هذه الجريمة منتشرة على نطاق واسع، لا سيما في بعض الدول النامية، حيث يرفع المسلمون دعاوى زور في المحاكم للاستيلاء على ثروات أو أراضي أو ممتلكات لا تخصهم. ووفقًا لحديث ورد في صحيح البخاري، رقم 2654، تُعدّ شهادة الزور من أكبر الكبائر، وتُضاف إلى الشرك وعقوق الوالدين. سورة الحج، الآية 30

"فاجتنبوا رجس الأصنام واجتنبوا قول الزور ..."

التحذير من هذه المعصية شديد. فقد ورد في سنن ابن ماجه، برقم ٢٣٧٣، حديثٌ يفيد بأن من لم يتب من شهادة الزور توبةً صادقةً، لا تزول درجته يوم القيامة حتى يحشره الله تعالى في النار. وفي صحيح مسلم برقم ٣٥٣، حديثٌ يؤكد أن شاهد الزور، حتى لو أخذ غصنًا صغيرًا بغير حق، فإنه يُلقى في النار.

تكمُن خطورة شهادة الزور في أنها تشمل ذنوبًا متعددة. فهي كذب، وظلم للمتهم، وخيانة للأمانة. ولن يغفر الله تعالى مثل هذه الذنب حتى يغفر له المجني عليه. فإن لم يغفر له، فحينئذٍ تُنقل إليه أعمال شاهد الزور يوم القيامة، وإن لزم الأمر، تُحمل عليه ذنوبه حتى يقوم العدل. وقد يؤدي هذا إلى قذف شاهد الزور في النار كما ورد في حديث صحيح مسلم، رقم 6579. ويزداد الإثم إذا شهد المرء على غيره زورًا ليأخذ ما ليس له بغير حق. وهذا السلوك يتناقض تمامًا مع أمر القرآن الكريم. سورة المائدة، الآية 2

"وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان"

علاوة على ذلك، فإن كل ما يُكتسب بشهادة الزور يُصبح محرّمًا. فإذا أنفقت هذه الأموال - حتى في الصدقة لم يقبلها الله تعالى، بل كُتبت إثمًا. وقد ثبت ذلك في حديث صحيح مسلم رقم 2342. بل إن كل استخدام - للأموال المحرمة يُسلب البركة ويُصبح مصدرًا للإثم

ولذلك، فإن قول الصدق واجب على كل إنسان في كل وقت، سواءً في حديث عابر أو تحت القسم في المحكمة. فالكذب، مهما كان نوعه، يؤدي إلى الإثم، والإثم يؤدي إلى النار. ومن يُصر على الكذب، يكتبه الله تعالى كذابًا مُعتادًا. ولا يحتاج عالمٌ إلى فهم مصير من يُكذّب الله يوم القيامة. وقد حذر من ذلك حديثٌ في جامع الترمذي، رقم 1971

،باختصار، شهادة الزور ليست ذنبًا واحدًا، بل هي بابٌ لذنوبٍ كثيرةٍ أخرى :الكذب، والظلم، والخيانة والاستهلاك غير المشروع .إنها تُهدم الثقة في المجتمع، وتُفسد العدل، وتُثير غضب الله تعالى .لذا، يجب على المؤمن أن يحفظ لسانه، وأن يُحافظ على الصدق، وأن يتذكر أن كل كلمة تُقال ستُحاسب عليها عند من يعلم كل شيء.

في السنة السادسة من هجرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة، انطلق هو وأصحابه الكرام رضي الله عنهم في غزوة لبني المصطلق .ورافقته في هذه الرحلة زوجته المباركة عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنهما .وكان من عادات النساء في السفر أن يجلسن داخل مقصورة صغيرة مغطاة تُنبت على الجمل بإحكام .ولما توقف الجيش للراحة، غادرت عائشة رضي الله عنها المخيم لقضاء حاجتها .وعند عودتها، لاحظت فقدان عقدها، فعادت تبحث عنه .وبعد أن وجدته وعادت إلى المخيم، اكتشفت أن الجيش قد انصرف .وقد ظن القائمون على رفع مقصورتها على الجمل أنها بداخلها، لخفة وزنها وعدم ملاحظة غيابها وبقيت عائشة رضي الله عنها في الموقع تنتظر بفارغ الصبر عودة من يأخذها .وبعد ذلك بقليل، مر صحابي يُدعى صفوان بن مُعطل ، رضي الله عنه .كان قد كُلف بالسفر خلف الجيش لاستعادة أي ممتلكات قد تكون تركت وراءه .ولما تعرف على عائشة، رضي الله عنها - لأنه رآها قبل نزول أمر الحجاب - اقترب باحترام شديد وعرض عليها جملة لتركبه، بينما كان يقوده سيرًا على الأقدام .وعندما لحقوا بالجيش، شهد بعض الناس وصولهم معًا وانتهزوا الفرصة لنشر الشائعات الخبيثة .بدأ المنافقون، الذين كانوا حريصين دائمًا على زرع الفتنة بين المؤمنين، في نشر الافتراء على عائشة، رضي الله عنها .انتشرت الشائعة بسرعة في جميع أنحاء المدينة المنورة، مما أثار قلق الكثير من الناس .حتى أن بعض الصحابة، رضي الله عنهم، كرروا دون علم ما سمعوه، مما زاد من تأجيج الشائعات .

عند عودتها إلى المدينة المنورة، مرضت عائشة رضي الله عنها وطريحة الفراش .وخلال مرضها، لم تكن على علم بما انتشر من افتراءاتٍ في المدينة، بل حتى وصلت إلى عائلتها .كل ما لاحظته هو أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم بدا أكثر تحفظًا من المعتاد، مع أنه ظل يعاملها بلطفه وأدبه المعهود .

ولما طال بها المرض، استأذنت في بيت والديها للشفاء. وهناك، علمت بالأمر، فسألت أمها عن سبب إخفائها عنه.طمأنتها أمها، ونصحتها ألا تحزن، فإن الناس كثيراً ما يسيءون إلى من أنعم الله عليهم بنعمه.

خطب النبي محمد صلى الله عليه وسلم الناس علانيةً، متسائلاً عن سبب إشاعتهم عن أهل بيته وعن الصحابي صفوان بن المعطل رضي الله عنهما. أثرت كلماته في نفوس الصحابة رضي الله عنهم تأثراً عميقاً، وملأتهم حزنًا وغضباً. ومع ذلك، ومع تكتم المنافقون على كفرهم، كان من الصعب تحديد المحرضين الحقيقيين. ودفع التوتر حتى المؤمنين الصادقين إلى الجدل فيما بينهم.

من بين من شاركوا في نشر الافتراء حمنة، أخت زينب بنت جحش رضي الله عنها، إحدى زوجات النبي صلى الله عليه وسلم. وحرصاً منها على إعلاء شأن أختها عند النبي صلى الله عليه وسلم، سعت حمنة إلى ذلك. إلا أن زينب بنت جحش رضي الله عنها لم تقل إلا خيراً عن عائشة رضي الله عنها.

مع تفاقم الوضع، استشار النبي محمد صلى الله عليه وسلم اثنين من أقرب صحابته، علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد رضي الله عنهما. فأشاد كلاهما بعائشة رضي الله عنها، مؤكدين على حسن خلقها. حتى أنهما استشهدا بخادمة كانت تسكن في البيت، فأكدت هي الأخرى أن عائشة رضي الله عنها كانت دائماً على تمام الصلاح.

عندما بلغ الافتراء ذروته، زار النبي محمد صلى الله عليه وسلم عائشة رضي الله عنها، وذكرها بأن من تاب توبة نصوحة غفر الله له ذنبه. عند سماع هذه الكلمات، توقفت عائشة رضي الله عنها عن البكاء والتفتت إلى والديها، راجية أن يدافعا عنها. احتراماً للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، التزما الصمت. ثم أعلنت أنها لن تعترف أبداً بشيء لم تفعله، وأن ملاذها الوحيد هو الصبر - تماماً كما صبر النبي يعقوب عند مفارقة ابنه النبي يوسف عليهما السلام. قبل أن يتمكن النبي محمد صلى الله عليه وسلم من القيام من مقعده، نزل عليه الوحي الإلهي. أنزل الله تعالى الآيات من ١١ إلى ٢٦ من سورة النور، التي أعلنت براءة عائشة رضي الله

عنها وشرفها، وأدانت بشدة من بدأ أو رَوَّج لهذا الافتراء .وردت هذه الحادثة في صحيح البخاري، الحديث :سورة النور، الآية ١١ .رقم ٤٧٥٠

"...إن الذين جاءوا بالإفك الكبير"

أول ما يجب إدراكه هو أن الشخص لن يكون مدفوعًا لتجنب الغيبة والنميمة إلا عندما يدرك حقًا خطورة هذه الخطايا .في حديث موجود في صحيح مسلم، رقم 6593، أوضح النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم معناها بوضوح .الغيبة هي أن ينتقد شخص آخر في غيابه بطريقة من شأنها أن تغضبه، حتى لو كان القول صحيحًا .من ناحية أخرى، فإن القذف يشبه الغيبة ولكنه ينطوي على كلمات كاذبة .على الرغم من أن هذه الخطايا غالبًا ما تُرتكب من خلال الكلام، إلا أنها يمكن أن تُرتكب أيضًا من خلال الإيماءات أو سورة . التلميحات أو حتى إشارات اليد .يعتبر كلاهما من الكبائر، ويقارن القرآن الكريم الغيبة بأبشع الأعمال :الحجرات، الآية 12

"...ولا تجسسوا ولا يغتاب بعضكم بعضًا، أحب أحكم أن يأكل لحم أخيه ميتًا؟ إنكم تكرهون"

هذه الصورة الحية تُبيِّن بشاعة الغيبة، وتُشَبِّهها بأكل لحم أخيك ميتًا .ومن المهم أيضًا إدراك أن هذه الذنوب أشدَّ خطورة من كثير من الذنوب التي تُرتكب في حق الله تعالى مباشرةً .ذلك أن الذنوب بين العبد وبين الله تعالى قد تُغفر إذا تاب توبةً نصوحًا .أما الغيبة والقذف، فهما من حقوق الآخرين، ولن يغفرهما الله تعالى حتى يغفر المُغتَاب .فإن لم يُغفر، فعندئذٍ تُنْقَل حسنات المُغتَاب أو القاذف إلى المُغتَاب يوم القيامة .فإن استنفدت حسنات المُغتَاب، فُرض عليه ذنوب المُغتَاب حتى يقوم العدل .وقد يؤدي هذا إلى دخول المُغتَاب أو القاذف في النار .وقد ثبت هذا المبدأ في حديث صحيح مسلم، رقم 6579

مع ذلك، هناك حالات محدودة تُباح فيها الغيبة. منها التحذير وحماية الغير من الأذى، أو عند تقديم شكوى إلى طرف ثالث، كما في القضايا القانونية. وما عدا هذه الاستثناءات، تبقى الغيبة إثماً عظيماً

لتجنب الوقوع في الغيبة والنميمة، ينبغي على المرء أولاً أن يتعرف على عواقبها الوخيمة. ثانياً، عليه ألا ينطق إلا بالكلمات التي يرتاح لقولها للشخص المعني مباشرة، عالماً أنها لا تُسيء إليه. ثالثاً، عليه ألا يتحدث عن الآخرين إلا بما يرضيه. باختصار، ينبغي على المرء أن يُعامل شرف الآخرين كما يُحب أن يُعامل شرفه. وأخيراً، ينبغي على المرء أن يُركز على تصحيح عيوبه. فعندما يتم ذلك بإخلاص، فإنه يمنعه بطبيعة الحال من الخوض في عيوب الآخرين. ومن الحكمة أيضاً تجنب مصاحبة الغيبة والنميمة، لأن هؤلاء الأفراد مثيرو شغب، وسيُغيرون ألسنتهم عاجلاً أم آجلاً ضد من يخالطهم. ينبغي على المرء، كلما أمكن، أن يُذكر الآخرين بلطف بخطورة هذه الذنوب، شريطة أن يكون في مأمن من الأذى بفعله. وينبغي ألا يُصدقوا النميمة أبداً، لأن غالبيتها إما كاذبة أو ممزوجة بالكاذب. بدلاً من ذلك، يجب عليهم الدفاع عن شرف الآخرين في غيابهم، تماماً كما يرغبون في أن يدافع الآخرون عن أنفسهم. من يتصرف بهذه الطريقة سيحميه الله تعالى من النار، كما هو منصوص عليه في حديث موجود في جامع الترمذي، رقم 1931. يجب على الشخص أن يتجاهل الغيبة ولا يسمح لها أبداً بالتأثير على سلوكه تجاه الآخرين. بدلاً من ذلك، يجب أن يستمر في أداء حقوق الآخرين وفقاً لتعاليم الإسلام. وأخيراً، يجب ألا ينخدع المرء بحقيقة أن الغيبة والنميمة أصبحت أمراً طبيعياً في المجتمع. لن تخفف خطايا الآخرين أبداً من شدة خطايا المرء في نظر الله تعالى، ولا يمكن أن يبرر ظلم الآخرين ارتكاب المزيد من الخطايا. هذا موقف أحق لن يقبله حتى القاضي الدنيوي أبداً. كيف يمكن إذن أن يتوقع الشخص من الله تعالى - قاضي القضاة - أن يقبله؟

:سورة النور، الآية 11

"...إن الذين جاءوا بالإفك الكبير فرقة منكم"

الدرس التالي المستفاد من الآيات التي برأت عائشة رضي الله عنها هو خطورة سوء الصحبة .فالإنسان لا محالة يتأثر بمن يخالطهم، خيرًا كان أم شرًا .قد يكون هذا التأثير واضحًا ومباشرًا، أو خفيًا وتدرجيًا، لكنه يترك أثره دائمًا .وقد أكد هذا الواقع حديث في سنن أبي داود، رقم 4833، يُبرز الأثر العميق للصحبة ولذلك، فإن من أحاط نفسه بالصالحين والصادقين سيجد قلبه مائلًا إلى الإخلاص والطاعة والاستقامة على عبادة الله تعالى .وسيدكره أصحابه بواجباته، ويشجعونه على استغلال نعمه، ويلهمه الاستعداد ليوم القيامة .

على العكس من ذلك، فإن من يخالط الضالين سيتبنى حتمًا صفاتهم وسلوكياتهم، وسينجزون إلى المعصية كما انجز بعض الصحابة رضي الله عنهم إلى نشر القذف بسبب مصاحبتهم للمناققين .وبوجه عام، فإن اتباع السلوك الخاطئ يؤدي دائمًا إلى إساءة استخدام النعم التي أنعم الله بها عليهم .ويؤدي هذا الفساد في الشخصية إلى حالة من الاختلال - عقلياً وروحياً وحتى جسدياً .ويفقد هؤلاء الناس وضوح أولوياتهم، ويضعون كل شيء وكل شخص في حياتهم في غير موضعه .ويهملون محاسبتهم النهائية أمام الله تعالى، ويبحثون بدلاً من ذلك عن ملذات زائلة أو مُثل عليا مضللة .وعاقبة هذا الطريق حتمية :التوتر والمشقة والاضطراب في الدنيا ،والآخرة .وحتى لو تمتعوا بالرفاهية المادية، فإنها لا تحجب عنهم الفراغ الداخلي، والعلاقات المتصدعة وثقل المعصية .وعلى النقيض من ذلك، فإن من يختار الرفقة الصالحة يضمن راحة البال، والتوازن في الحياة، والاستعداد للنجاح الأبدي .

:وهكذا، فإن الآيات التي برأت عائشة رضي الله عنها لم تدافع عن شرفها فحسب، بل أنت أيضاً بهدية خالدة :حافظوا على الصحبة، فإنها تُشكّل إيمانكم وأخلاقكم ومصيركم .سورة النور، الآية ١١

"...إن الذين جاءوا بالباطل عصابة منكم لا تحسبوه شرًا لكم بل هو خير لكم "

يُذكر الله تعالى الناس بأن كل محنة تواجههم، سواء كانت اتهامات باطلة، أو مشقة بدنية، أو معنوية، ليست بضارة عليهم حقًا، ما داموا صبورين وراضين به .وإن لم يدركوا حكمة محنتهم، فقد تكون في الواقع سببًا للرفعة والبركة .ومن أبرز الأمثلة على ذلك حادثة القذف على عائشة رضي الله عنها .فما بدا في ظاهره

محنة مؤلمة، أصبح في حقيقته سبباً لرفع شأنها، ونيل جزاء عظيم على صبرها، وإعلان براءتها وطهارتها في آخر آيات القرآن الكريم التي ستنتلى إلى يوم القيامة

وبصورة أعم، علّم النبي محمد صلى الله عليه وسلم أنه لا يصيب أحداً من الناس أذىً جسدياً كشوكة أو نفسية كالكرب والحزن إلا غفر الله له ذنوبه. ويؤكد ذلك حديث في الأدب المفرد للإمام البخاري، رقم 492

هذا يشير إلى تكفير الذنوب الصغيرة، لأن الكبائر تتطلب توبة صادقة. وشرط هذه الكفارة هو صبر الإنسان من بداية الابتلاء إلى نهاية حياته. يعتقد كثير من الناس خطأً أنه يمكنهم الشكوى في البداية ثم يظهرون الصبر لاحقاً. لكن هذا ليس صبراً حقيقياً؛ بل هو مجرد قبول يأتي بشكل طبيعي بمرور الوقت. الصبر الحقيقي هو الكف عن الشكوى والعصيان في بداية الابتلاء. وقد ورد ذلك في حديث موجود في سنن النسائي، رقم علاوة على ذلك، يجب الحفاظ على الصبر باستمرار، لأن الشخص قد يتراجع عن أجره بالانزلاق. 1870 إلى نفاذ الصبر لاحقاً

لذا، ينبغي للإنسان أن يتذكر أن محو صغائر ذنوبه في الدنيا خيرٌ من أن يأتي يوم القيامة مثقلاً بها. إلى جانب الصبر، عليه أن يداوم على التوبة والعمل الصالح، حتى تُمحى ذنوبه ويُطهر سجله. وعند الشدائد: سورة الزمر، الآية 10. عليه أن يصبر، راجياً مغفرة ذنوبه ومضاعفة أجره بلا حساب

"إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب"

من واجه كل ضيق بصبر، متجنباً الشكوى واليأس والمعصية قولاً وفعلاً، وقرّن ذلك بتوبة نصوح، غُفر له صغيره وكبيره. والتوبة الصادقة تقتضي الندم الصادق، والاستغفار من الله تعالى، ومن المظلومين، إن

أمكن دون ضرر، والعزم الراسخ على عدم العودة إلى الذنب، ورد الحقوق المغتصبة لله وللعباد، والمحافظة على طاعة الله تعالى.

من واجه الشدائد بالصبر واليسر بالشكر، مستخدمًا النعم التي وهبه إياها بما يرضي الله تعالى، سيجد السكينة والنجاح في كل ظرف. سيحقق التوازن في حالته النفسية والجسدية، ووضوحًا في وضع كل شيء وكل: سورة النحل، الآية 97. شخص في مكانه الصحيح، وفي النهاية، الفوز الأبدي في الآخرة

"من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون"

سورة النور، الآية 11

"...إن الذين جاءوا بالباطل عصابة منكم لا تحسبوه شرًا لكم بل هو خير لكم "

رغم ما مرّت به عائشة رضي الله عنها من تجربة صادمة، إلا أن الآيات التي نزلت في دفاعها تحت الناس على النظر دائمًا إلى أحداث حياتهم - ما لم تكن نتيجة مباشرة لذنوبهم - بنظرة إيجابية. وهذا يُعلّمنا أن تبني عقلية إيجابية أداة فعالة في تخطّي الصعاب. فهو يُمكن المرء من البقاء على طاعة الله تعالى، بالاستمرار في استخدام نعمه التي أنعم بها على الوجه الذي يُرضيه، كما هو مُبيّن في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. كلما واجه المرء محنةً، عليه أن يشكر الله على أنها لم تُؤثر على إيمانه، ففقدان الإيمان أعظم الخسائر بكثير. إذا كانت المحنة دنيويةً، فعليه أن يشكر الله على أنها لم تُؤثر على إيمانه، ففقدان الإيمان أعظم الخسائر بدلًا من التركيز على الحزن اللحظي الذي يُصاحب المحنة، عليه أن يُركّز على النتيجة النهائية - الجزاء الجزيل الذي ينتظر من يُظهر الصبر في سبيل الله تعالى. عندما يفقد الإنسان بعض النعم، فعليه أن يتأمل في النعم الكثيرة التي لا تزال لديه. ينبغي مواجهة كل محنة بتذكر الحقيقة القرآنية بأن وراء المحن حكمًا خفية

قد لا تظهر للوهلة الأولى. فما يبدو ضارًا قد يكون في الحقيقة منفعة، وما يبدو مرغوبًا قد يكون في الحقيقة ضارًا. سورة البقرة، الآية ٢١٦

"وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ..."

في الختام، ينبغي للإنسان أن يتأمل في هذه الحقائق ليُنمّي لديه عقلية إيجابية. هذه النظرة عنصر أساسي في مواجهة تحديات الحياة، وتحويلها إلى فرص للنمو والتطهير والمكافأة. وبذلك، يُطلق العنان لنعم لا تُحصى في الدنيا والآخرة. لذا، فالكأس ليست نصف فارغة، بل نصف ممتلئة، مليئة بالحكمة الإلهية والرحمة.

يُحذّر الله تعالى من لوم الآخرين لتبرير ذنوبهم، فهو لا يقبله أبدًا. فكلّ إنسان مسؤول عن نواياه وأقواله: سورة النور، الآية ١١. وأفعاله، ولا عذر يعفيه من عواقب سلوكه

"... لكل نفس منهم ما اكتسبت من الإثم ..."

توضح هذه الآية أن على كل إنسان أن يتحمل وزر أعماله. لذلك، يجب على المرء تجنب تبني موقف هدام بإلقاء اللوم على الآخرين في هذه الدنيا. من يرفض تحمل مسؤولية أفعاله لن يُحسن من نفسه أبدًا. بل سيستمر في إساءة استخدام النعم التي وُهِبَتْ له، مما يؤدي إلى حالة من الاختلال - عقليًا وروحيًا وجسديًا. مثل هذا الشخص سيُسيء ترتيب أولوياته، ويُسيء استخدام علاقاته، ويفشل في الاستعداد للمحاسبة أمام الله تعالى يوم القيامة. إن نتيجة هذا الإهمال حتمية: التوتر والمشقة والاضطراب في الدنيا والآخرة، بغض النظر عن أي ثروة مادية أو ملذات دنيوية قد يمتلكها. علاوة على ذلك، فإن عدم تحمل المسؤولية يمنع المرء من أداء حقوق الآخرين. هذا الإهمال لا يضر الأفراد فحسب، بل ينشر الفساد والظلم في المجتمع. إن لوم الآخرين على

ذنوبهم لن يقبله الله تعالى، لا في الدنيا ولا في الآخرة. في الواقع، يُبين الله جُلَّ وعلا أنَّ حتى مُحاولات إلقاء
:سورة إبراهيم، الآية ٢٢. اللوم على الشيطان سترَفَضَ

وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فخنثتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا"
"...أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم

تُسَلِّط هذه الآية الضوء على حقيقة عميقة: مع أن الشيطان سيُحاسب على ذنوبه، إلا أن أحدًا لن يستطيع
تحميله ذنبه. فهو لا يملك القدرة على إغواء الناس. دوره يقتصر على الدعوة والهمس والإغراء. من قبل
:دعوته طوعًا وسلك سبيله، فلا يلومن إلا نفسه

وهكذا، فإن رسالة القرآن واضحة: المحاسبة شخصية لا مفر منها. طريق النجاة لا يكمن في الأعذار أو
:اللوم، بل في التوبة الصادقة والإصلاح، والاختيار الواعي لاستخدام النعم في طاعة الله تعالى

كما حذّر الله تعالى من يُضِلّ الآخرين بتشجيعهم على المعصية. فمع أن كل من يقبل هذا الضلال ويعمل به
سيُحاسب على أفعاله، فإن من بدأه أو شجعه سيتحمل نصيبًا متساويًا من العيب. وينطبق هذا حتى لو كان
الضلال بسيطًا كنصح أو تلميح إلى ارتكاب شخص آخر لمعصية. وقد حذّر النبي محمد صلى الله عليه وسلم
:بشدة من هذا في حديث ورد في جامع الترمذي، رقم 2674، سورة النور، الآية 11

"ومن تولى كثرت له عذابه عظيم"

يُظهر هذا المبدأ العواقب الوخيمة لتأثير المرء. فكلمة تشجيع واحدة على المعصية قد تُضاعف ذنبًا لا تُحصى، فكل من سلك هذا الطريق يُضيق يُضيف إلى عبء من أضلّه أولاً. وكما أن من دل على الخير له نصيب من الثواب، فإن من دل على الشر له نصيب من العقاب. إن خطر إضلال الآخرين مزدوج: فهو لا يُفسد النفس فحسب، بل يُنشر الفساد في المجتمع أيضًا. فمن يُسيّر المعصية بأقواله أو أفعاله يُصبح مصدر أذى للآخرين، ويمنعهم من استغلال نعمه فيما يُرضي الله تعالى. وفي يوم القيامة، سيجد مثل هذا الشخص سجله مُثقلًا ليس فقط بذنوبه، بل أيضًا بذنوب من أثار عليهم. ينبغي أن تُلهم هذه الحقيقة كل إنسان حذرًا شديدًا يجب على المرء أن يُنتبه لكلامه ونصائحه، وحتى تشجيعه العابر، لنلا يُصبح وسيلةً لتضليل الآخرين. بل ينبغي لهم أن يجتهدوا في أن يكونوا مصدرًا للهداية والإلهام والخير، حتى يكون تأثيرهم سببًا للثواب لا للندامة.

كما ذكرنا سابقًا، عند عودتها إلى المدينة المنورة، مرضت عائشة رضي الله عنها، فلزمت بيتها. وخلال هذه الفترة، لم تكن على علمٍ بالافتراء الذي بدأ ينتشر في المدينة، وهو إشاعةٌ وصلت إلى عائلتها وسببت لهم ضيقًا بالغًا. التغيير الوحيد الذي لاحظته هو أن النبي محمدًا صلى الله عليه وسلم بدا أكثر تحفظًا تجاهها. ومع ذلك، ورغم هذا التباعد الطفيف، ظلّ محافظًا على طبعه النبيل، يعاملها بنفس اللطف والاحترام والسلوك النبيل الذي لطالما ميّز تعاملاته. وقد وردت هذه الحادثة في حديثٍ واردٍ في صحيح البخاري، رقم 4750.

كان سبب هذا الضبط العاطفي نابغًا من حكمة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ورحمته. فقد كان يخشى أن تشعر إن تكلم معها بصراحة مفرطة أن هناك خطبًا ما. وإن اكتشفت الافتراء قبل أوانه، فسيزيد ذلك من تفاقم مرضها وضيقها. فالزوج، في نهاية المطاف، يستطيع غالبًا أن يلاحظ حتى أدق التغييرات في شريكه مهما حرص على إخفائها. وحرصًا على سلامتها -، سعى النبي محمد صلى الله عليه وسلم إلى حمايتها من ألم الاتهامات الباطلة بالحد من تفاعلاته، مع الحفاظ على سلوكه المثالي. تُبرز هذه الحادثة حساسية النبي محمد صلى الله عليه وسلم الاستثنائية وذكاءه العاطفي. فقد وازن بين حزنه وثقل المحنة وواجبه في حماية عائشة رضي الله عنها من الأذى غير الضروري. ويُظهر سلوكه أن الرعاية الحقيقية للزوج لا تتجلى فقط بالموودة والقرب، بل أيضًا بالحكمة وضبط النفس والقدرة على حمايتها من الألم عندما تقتضي الظروف ذلك. وبهذه الطريقة، قدم الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم مثالًا خالدًا في رعاية الزوجة، مثالًا يعلم الصبر والرفق وأهمية الحفاظ على كرامة الشريك ورفاهيته العاطفية، حتى في أصعب المحن.

كان هذا هو النهج نفسه الذي اتبعته أم عائشة رضي الله عنها، التي اختارت هي الأخرى عدم إخبار ابنتها بالافتراء، حرصاً منها على سلامتها - .خشيت أن يؤدي كشف الأمر إلى تفاقم مرض ابنتها وحزنها .وبدلاً من ذلك، سعت إلى مواساة عائشة رضي الله عنها، بتذكيرها بأن الناس كثيراً ما يتحدثون عن المنعم عليهم فالحسد واللغو من ردود الفعل الشائعة على نعم الله تعالى .وقد وردت هذه الحادثة في حديث موجود في صحيح البخاري، رقم 4750 .يدل هذا الرد على حكمة وحساسية أم عائشة رضي الله عنهما .فبدلاً من أن تُثقل كاهل ابنتها بثقل الشائعات المغرضة، طمأننتها ووضحت لها وجهة نظرها، وعلمتها أن كونها موضوعاً لكلام الناس ليس بالضرورة علامة على الشعور بالذنب، ولكنه غالباً ما يكون انعكاساً للنعم والشرف الذي مُنح المرء .بهذه الطريقة، لم تكتفِ بحماية ابنتها من ألم لا داعي له، بل غرست فيها درساً في الصبر والصمود والتوكل على الله تعالى .تسلط هذه الحلقة الضوء على مبدأ مهم :أحياناً يكون الصمت والطمأنينة الرقيقة أنفع من المواجهة المباشرة للواقع المؤلم، لا سيما عندما يُظهر الله تعالى الحقيقة في النهاية .كما تُبين دور الأسرة في توفير الحماية العاطفية والمنظور الروحي في أوقات المحن .

ثم عاب الله تعالى بشدة على بعض الصحابة رضي الله عنهم عدم حسن ظنهم بمن تورط في القذف .سورة النور، الآية ١٢

"...فلولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً "

ومن المثير للاهتمام أن الكلمة المستخدمة في التعاليم القرآنية والنبوية للتفكير الإيجابي في الآخرين تشير حرفياً إلى الذات .وهذا يدل على مبدأ عميق :يجب على الشخص أن يعامل الآخرين بالطريقة التي يحب أن يعاملوا بها .وهذا في الواقع يوصف بأنه علامة على الإيمان الحقيقي في حديث موجود في صحيح البخاري رقم 13 .ويعلم الحديث أيضاً أن إيمان الشخص لن يكتمل حتى يكره للآخرين ما يكره لنفسه .ويتعزز هذا المبدأ في حديث آخر موجود في صحيح مسلم رقم 6586، والذي يشبه جماعة المؤمنين بالجسد الواحد - إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد .ويشمل هذا التعاطف المتبادل حب وكرهية للآخرين ما يحبه المرء ويكرهه لنفسه .ولا يمكن للشخص أن يصل إلى هذه المكانة النبيلة إلا عندما يطهر قلبه من الصفات المدمرة مثل الحسد .فالصفات الشريرة مثل الحسد تدفع الشخص دائماً إلى الرغبة في الأفضل لنفسه على حساب

الآخرين. وهكذا، فإن الحديث الشريف في حقيقته دعوة إلى تطهير القلب بالتحلي بالأخلاق الحميدة، كالعفو والكرم والرحمة، والتخلص من الأخلاق المؤذية، كالحسد والضغينة. ولا يتحقق هذا التطهير إلا بتعلم القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم والعمل بهما. ومن المهم أيضاً إدراك أن حُسن الظن بالآخرين لا ينقص من فضله. فحزينة الله تعالى لا حدود لها، فلا داعي للأناية أو الجشع. وحُسن الظن بالآخرين يشمل السعي لدعمهم بكل ما يستطيع، سواءً بالمساعدة المالية أو التشجيع المعنوي أو المساعدة العملية، كما يتمنى المرء أن يُسند في وقت حاجته. ويجب إظهار هذا الحب بالأفعال لا بالأقوال فقط. وحتى عندما ينصح المرء الآخرين عن الخطأ أو يُقدم لهم التصحيح، فعليه أن يفعل ذلك برفق ولطف، كما يتمنى أن ينصحه الآخرون.

يُسلط الحديث السابق الضوء أيضاً على أهمية التخلص من الحسد، وهو أن يتمنى المرء امتلاك نعمة لا تُنال إلا بزوالها عن غيره. هذا الموقف يُخالف مباشرةً التوزيع الإلهي للنعم التي اختارها الله تعالى. ولذلك، يُعدّ الحسد من كبائر الذنوب التي تُفسد الأعمال الصالحة، كما حذّر من ذلك حديث في سنن أبي داود، رقم 4903، فإذا رغب المرء في النعم الحلال التي يملكها غيره، فعليه أن يدعو الله تعالى أن يُعطيه مثلها أو ما يُماثلها. دون أن يتمنى زوال نعمته عن غيره. هذا النوع من التطلع جائز، بل مُحمود، عندما يُوجّه إلى أمور الدين "في الواقع، يُشير حديث في صحيح مسلم، رقم 1896، إلى أنه لا ينبغي أن يشعر المرء بنوعٍ من "الحسد إلا تجاه نوعين من الناس: الغني الذي يُحسن استعمال ماله، والعالم الذي يُفقد نفسه والآخرين

ينبغي للإنسان ألا يتمنى للآخرين نعيم الدنيا الحلال فحسب، بل أن يتمنى لهم أيضاً نعيم الدنيا والآخرة. فعندما يتمنى المرء ذلك للآخرين بصدق، فإنه يحفزهم بطبيعة الحال على بذل المزيد من الجهد في طاعة الله تعالى. وذلك بتنفيذ أوامره، واجتناب نواهيه، ومواجهة القدر بالصبر، عملاً بسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. سورة المطففين، الآية 26. وقد حث القرآن الكريم على هذا النوع من التنافس الشريف:

"فليتنافس المتنافسون على هذا..."

هذا التشجيع يُلهم الإنسان أيضًا للتأمل في نفسه، وتحديد عيوبه وتصحيحها. وعندما يجتمع هذان العنصران من، السعي في طاعة الله تعالى، وتركيز النفس - يؤديان إلى النجاح الحقيقي وراحة البال في الدنيا والآخرة - خلال تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في حياته على الوجه الصحيح.

لذلك، لا ينبغي للإنسان أن يكتفي بالقول بأنه يحب للآخرين ما يحب لنفسه، بل عليه أن يُظهر ذلك بالأفعال. ويُرجى من يُظهر اهتمامًا صادقًا بالآخرين بهذه الطريقة أن ينال عناية الله تعالى ورحمته في الدنيا والآخرة. وقد دلّ على ذلك حديثٌ في جامع الترمذي، رقم 1930

:سورة النور، الآية 12

"...فلولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا "

في حديثٍ ورد في سنن أبي داود، رقم 4993، نصح النبي محمد صلى الله عليه وسلم بأن حسن الظن بالآخرين من عبادة الله تعالى بمعنى آخر، حسن الظن بالناس من طاعة الله تعالى. وكثيرًا ما يؤدي تفسير الأمور تفسيرًا سلبيًا إلى ذنوبٍ جسيمة، كالغيبة والقذف والريبة. لذا، ينبغي على المرء أن يسعى، قدر الإمكان، إلى تفسير أقوال وأفعال الآخرين تفسيرًا إيجابيًا، معطيًا إياهم فرصةً للشك. وللأسف، عندما يتبنى الناس عقلية سلبية، تمتد آثارها إلى خارج الأسرة، فتشمل المجتمع بأسره، بل وتمتد إلى مستوى الأمم، ويشهد التاريخ على كمّ هائل من الصراعات والحروب التي اندلعت من مجرد افتراضات وشكوك. وبالمثل فإن الغالبية العظمى من الفضائح التي تُداول في وسائل الإعلام مبنية على التكهنات لا على الحقائق. حتى أن الأنظمة القانونية في بعض البلدان قد اتخذت من الريبة أساسًا للتصرف، مما أدى إلى الظلم وانعدام الثقة

على المستوى الشخصي، تُفسد هذه العقلية العلاقات. فمن يُسيء للآخرين باستمرار، يعتقد أن كل كلمة أو فعل يُوجه إليهم هو إهانة خفية. هذا يمنعهم من قبول النصيحة الصادقة، إذ يعتبرونها استهزاءً، ويمنعهم من تقديمها، إذ يفترضون أنها ستُجاهل. ويمتنع آخرون بدورهم عن تقديم النصيحة لهم، خشية أن تؤدي إلى الجدل والعداء. هذه الدورة تُؤد المرارة والاستياء والانقسام.

من المهم أن نفهم أنه حتى لو شكَّ المرء في أن شخصاً آخر يتحدث عنه بسوء، فعليه قبول النصيحة إذا كانت مبنية على القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. ولا تنقص من صدق النصيحة افتراضات المرء حول نوايا المتكلم.

إن الإصرار على تفسير الأمور بطريقة سلبية يؤدي أيضاً إلى حالات نفسية هدامة، مثل جنون العظمة فالشخص المصاب بجنون العظمة يشك باستمرار في نوايا الآخرين السيئة، مما قد يُدمر العلاقات، وخاصةً داخل الأسرة والزواج. في المقابل، يُغذي السعي لتفسير الأمور بإيجابية عقلية سليمة. فالنظرة الإيجابية تؤدي إلى علاقات أقوى، ومشاعر أصح، ووحدة أكبر. أما النظرة السلبية فتدفع الشخص إلى التفكير والتصرف بقسوة تجاه الآخرين، حتى وإن كان سلوكهم جيداً. وهذا يمنعه من أداء حقوق الآخرين التي أمر بها الله تعالى: سورة الحجرات، الآية ١٢

...يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم

وهكذا فإن تنمية العقلية الإيجابية ليست مجرد مسألة تتعلق بالرفاهية الشخصية؛ بل هي عمل من أعمال العبادات، وضمان للمجتمع، ووسيلة للوفاء بحقوق الآخرين.

في الواقع، وكما يُشير استمرار الآية ١٢، يُؤمر الإنسان بأن يُحسن الظن بالآخرين، فينبذ أي ادعاء سلبي عنهم، حتى لو ثبتت صحته لاحقًا. سورة النور، الآية ١٢

"وقالوا هذا إفك مبين..."

تُرسى هذه الآية مبدأً راسخًا: الموقف الأساسي للإنسان هو الدفاع عن شرف الآخرين ورفض الشكوك والقذف. الاستثناء الوحيد لهذه القاعدة هو وجود أدلة واضحة لا يمكن إنكارها، مثل ارتكاب الشخص للمعصية علانيةً وبلا خجل. وحتى في مثل هذه الحالات، فإن النهج الأكثر أمانًا والأكثر فضيلة هو التزام الصمت بدلاً من التحدث بسوء عنهم، لأن التحدث بشكل سلبي يمكن أن يؤدي بسهولة إلى خطايا مثل النميمة والغيبة. وقد أشار إلى ذلك حديث موجود في صحيح مسلم، رقم 176. عندما تكون هناك حاجة إلى تحذير الآخرين من السلوك الضار، يمكن القيام بذلك دون ذكر الأسماء. كانت هذه هي الممارسة النبيلة للنبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، الذي كان يصحح وينتقد الأفعال الخاطئة بشكل عام، دون فضح الفرد. وبهذه الطريقة، تم نقل الدرس، ولكن تم الحفاظ على كرامة الشخص. ومن أمثلة هذه الطريقة الجميلة حديثٌ في صحيح البخاري رقمه 6979. يُعلّم هذا النهج أن ذكر السلوك السلبي دون ذكر اسم صاحبه كافٍ عادةً لهداية الآخرين ودفع الضرر. فهو يُجنّب الإذلال غير المبرر، ويصون شرف الأفراد، ويُرسخ ثقافة الرحمة والإصلاح بدلاً من ثقافة اللوم والكشف.

للحفاظ على شرف الناس وكرامتهم، أرسى الإسلام مبدأً صارمًا بشأن الاتهامات العلنية: لا يجوز الادعاء بالفجور دون دليل قاطع لا يقبل الجدل. في حالة ادعاء الزنا أو الزنا، تُعرّف هذه الشهادة بشهادة أربعة شهود عدلٍ وأمانة. فإن لم يُقدّم هذا الدليل، يُدان المُدّعي، عند الله تعالى، بالكذب، حتى لو اعتقد شخصيًا صحة ادعائه. القانون واضح: إما أن يُقدّم المرء الأدلة اللازمة لإثبات اتهامه، أو يلتزم الصمت. سورة النور، الآية 13.

"لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء فإذا لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون"

يعكس هذا الحكم رحمة الإسلام وحكمته العميقة. فحتى في حال ارتكاب المرء لذنوب، يستتر الله تعالى عيبه ويمنع الآخرين من فضحه علناً. وبذلك تُحفظ كرامته وشرفه، ويُمنح فرصة التوبة سرّاً وبصدق. أما الإذلال العلني، في المقابل، فكثيراً ما يُقسي القلب، ويُوجج الحقد، ويُقلل من احتمال التوبة. لذا، فالستر ليس إنكاراً للعدالة، بل هو وسيلة لتشجيع الإصلاح، وحماية المجتمع من الفضيحة، وإعلاء لمبدأ أن الله تعالى وحده هو من يعلم خفايا العباد.

علاوة على ذلك، يُعدّ هذا المبدأ رادعاً قوياً ضدّ القذف والنميمة. فهو يضمن عدم تسرّع الناس في نشر الشائعات أو الاتهامات، مما قد يُدمّر السمعة والأسر والمجتمعات. وبموجب هذا المعيار الراسخ للإثبات، يحمي الإسلام الأفراد من الادعاءات الكاذبة ويقي المجتمع من الفوضى وانعدام الثقة اللذين يُولّدهما القذف: سورة النور، الآية 14

فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمستكم فيما أصبتم فيه عذاب عظيم ولولا

وهكذا، فإن اشتراط أربعة شهود ليس مجرد إجراء قانوني شكلي، بل هو ضمان إلهي لكرامة الإنسان، وتذكير بخطورة اتهام الآخرين، ودعوة للمذنبين إلى التوبة سرّاً بدلاً من أن يُهانوا علناً. وهو يُظهر توازن الإسلام عدلٌ ممزوجٌ بالرحمة، ومحاسبة مقرونة بالشفقة

ثم يُذكر الله تعالى الناس جميعاً برحمته الواسعة وصبره وحلمه. فرغم أخطائهم ومعاصيهم المتكررة، فإنه لا سورة النور، الآية ١٤. يُعاقبهم فوراً على أفعالهم، بل يمنحهم وقتاً وفرصة للتأمل والإصلاح وتقويم سلوكهم

فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمستكم فيما أصبتم فيه عذاب عظيم ولولا

،من خلال هذه الآية، يؤكد الله تعالى أن فضله ورحمته يحميان الناس من العواقب المباشرة لأثامهم. ومع ذلك لا ينبغي أن يندفع من يُصرّ على إساءة استخدام النعم الممنوحة له بغياب العقاب الظاهر. إن تأخير العقاب ليس علامة على الرضا أو الحصانة، بل هو اختبار إضافي للشكر والتواضع. عندما يتبنى الشخص موقفًا من الغرور والإهمال - ويستمر في إساءة استخدام النعم الإلهية وعصيان أوامر الله تعالى - يصبح سلوكه سببًا لاضطراب داخلي. يفقد هؤلاء الأفراد تدريجيًا توازنهم في حالتهم العقلية والجسدية. وهذا يقودهم إلى سوء ترتيب أولوياتهم، وتقليل قيمة العلاقات، وإساءة استخدام الموارد. وبالتالي، تصبح النعم نفسها المخصصة لراحتهم ونجاحهم - مثل العائلة والأصدقاء والعمل والثروة - مصادر للقلق والتوتر وعدم الرضا بمرور الوقت، يمكن أن يتعمق هذا الخلل الروحي والنفسي. بدلاً من إدراك أن عصيانهم هو السبب الجذري لضيقهم، يبدأون بإلقاء اللوم على عوامل خارجية وأشخاص أبرياء، مثل أزواجهم أو زملائهم أو أصدقائهم وبتجاهلهم للتأثيرات الإيجابية في حياتهم، يزداد عزلتهم ويصبحون عرضة لاضطراب عاطفي حاد. قد يتجلى هذا في الاكتئاب أو الإدمان أو حتى الأفكار الانتحارية. تتجلى هذه النتيجة المأساوية لدى كثيرين ممن يسيئون استخدام النعم التي وهبت لهم باستمرار، بمن فيهم أولئك الذين يبدون ناجحين ظاهريًا - الأغنياء وأصحاب النفوذ والمشاهير. فرغم وفرتهم المادية، غالبًا ما يعانون من فراغ داخلي واضطراب. لا تجلب لهم ثروتهم ومكانتهم السلام الحقيقي، لأنهم فقدوا صلّتهم بمصدر كل النعم - الله تعالى. في النهاية، فإن أولئك الذين يتجاهلون رحمته ويصرّون على المعصية لا يدمرون سلامهم واستقرارهم في الدنيا فحسب، بل يُهيئون لأنفسهم أيضًا عقابًا أشد في الآخرة. ينبغي أن يُنظر إلى هذه المهلة الممنوحة لهم في هذه الحياة على أنها فرصة للتوبة والإصلاح، لا علامة على الإهمال الإلهي. فعندما يحين وقت الحساب يوم القيامة، سيدركون أن تأخير العقاب كان في الواقع مظهرًا من مظاهر رحمة الله تعالى، وهي رحمة لم يدركوها للأسف

،كما أن الله تعالى يوبخ من شاركوا في الافتراء على عائشة رضي الله عنها، ليس فقط على اختلاق الأكاذيب بل أيضًا على نقلها إلى الآخرين. وحتى لو لم يكن قصدهم الإضرار، فإن تكرار الادعاءات غير المثبتة مُدان: سورة النور، الآية ١٥

"...إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم "

تُسلط هذه الآية الضوء على مبدأ عميق: فالإنسان مسؤولٌ ليس فقط عن الكذب المتعمد، بل أيضًا عن الكلام، غير الدقيق. فتكرار الكلام دون علم، ولو عرضًا، يُسهم في انتشاره. وفي حالة القذف، يُضخم هذا الضرر ويُشوّه السمعة، ويُوجج الانقسام داخل المجتمع. وكما ذكر سابقًا، لا ينبغي للمرء أبدًا مناقشة الأمور السلبية عن شخص آخر مع الآخرين، حتى لو لم تكن نيته خبيثة. للكلمات قوة، وبمجرد التلفظ بها، يمكن أن تُشجّع على الشك والنميمة والغيبة. فما يبدأ كتعليق يبدو غير مؤذٍ قد يتطور بسرعة إلى فسادٍ واسع النطاق في القلوب والعلاقات. وحكمة هذا التعليم واضحة: الصمت في وجه الادعاءات غير المؤثقة خيرٌ من الكلام الذي ينشر الأذى. فبضبط اللسان، لا يحمي المرء كرامة الآخرين فحسب، بل يحمي روحه أيضًا من الإثم. وبهذه الطريقة، يحمي الإسلام الأفراد والمجتمع من الآثار المدمرة للكلمات غير الدقيقة.

سورة يرتبط هذا التعليم ارتباطًا مباشرًا بمبدأ مهم آخر ناقشه القرآن الكريم، وهو نشر الأخبار دون تحقق:
الحجرات، الآية 6

أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين يا

تُرسي هذه الآية قاعدةً خالدةً: يجب التحقق من المعلومات قبل نشرها. يُمكن للمرء أن يتخيل بسهولة مدى صعوبة السيطرة على هذا في عصر وسائل التواصل الاجتماعي، حيث تنتشر الأخبار والشائعات والآراء على الفور في جميع أنحاء العالم. ومع ذلك، ففي مثل هذه الأوقات تحديدًا، تُصبح هذه الوصية الإلهية أكثر إلحاحًا. يجب على الشخص ألا يُرسل أو يُشارك المعلومات أبدًا - حتى لو كان يعتقد أنه يُساعد الآخرين دون التأكد أولاً من أنها تأتي من مصدر موثوق ودقيق. ومع أن الآية تذكر تحديدًا "العاصي" الذي ينقل الأخبار، إلا أن المبدأ ينطبق عالميًا. وسواء كان المصدر موثوقًا أم لا، فإن المسؤولية تقع على عاتق من ينشر المعلومات. وكما تُحذر الآية، قد يعتقد الشخص أنه يُفيد الآخرين، ولكن بنشره معلومات غير مُتحققة قد يُسبب في الواقع ضررًا - عاطفيًا أو اجتماعيًا أو حتى جسديًا.

للأسف، يغفل كثير من الناس عن هذا الأمر، ويعتادون على إعادة توجيه الرسائل والفيديوهات والمقالات عبر النصوص ووسائل التواصل الاجتماعي دون أي محاولة للتحقق منها. وهذا خطيرٌ خاصةً عندما تتعلق المعلومات بأمور دينية. في هذه الحالات، يتضاعف الضرر، إذ قد يُحاسب المرء ليس فقط على تضليل الآخرين، بل أيضاً على ما يرتكبه من ذنوب نتيجةً للمعلومات المغلوطة التي ينشرها. وهذا ما يؤكد حديثُ في صحيح مسلم، رقم 2351، يُحذر من أن من أضلَّ الآخرين عليه نصيبٌ من إثمهم.

علاوة على ذلك، في ظل التوتر العالمي وانتشار المعلومات المضللة، لا يؤدي نشر الأخبار غير الموثوقة إلا إلى تفاقم الخوف والقلق والانقسام. وقد يلحق الضرر بالعلاقات داخل المجتمعات، بل ويُعمّق الخلافات بين مختلف فئات الناس. ويتناقض هذا السلوك بشكل مباشر مع تعاليم الإسلام التي تدعو إلى الوحدة والعدل والرحمة.

لذا، ينبغي للإنسان أن يتذكر أن الله تعالى لن يسأله يوم القيامة عن سبب امتناعه عن نشر معلومات غير مؤكدة، بل سيسأله حتماً إن كان قد نشرها - صدقاً أم كذباً. لذا، فإن العاقل والحذر لا يُشارك إلا ما هو موثق وموثوق، ويترك ما هو غير مؤكد، عالماً بأنه لن يُحاسب على ما اختار عدم نشره. هذا المبدأ ليس فقط حمايةً للنفس، بل هو أيضاً حمايةً للمجتمع ككل. يكف اللسان واليد عن نشر معلومات غير مؤكدة، يحفظ المرء الثقة، ويدفع الضرر، ويُحقق الأمر الإلهي بالحكمة والمسؤولية.

:سورة النور، الآية 15

"...إذ تلقونه بالسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم "

من بين من تورطوا في نشر الافتراء حمنة، أخت زينب بنت جحش رضي الله عنها، الزوجة الكريمة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم. شاركت حمنة في نشر الباطل اعتقادًا منها أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم سيحب أختها أكثر من عائشة رضي الله عنها. ومع ذلك، وعلى النقيض تمامًا، دأبت زينب بنت جحش على الإشادة بعائشة رضي الله عنها، ولم تنطق بكلمة سوء. وقد وردت هذه الحادثة في حديث صحيح البخاري رقم 4750.

الدرس الأول المستفاد من هذه الحادثة هو أن على المرء أن يدرك أنه لا يمكن أن ينفع غيره حقًا بمعصية الله تعالى. فأي منفعة دنيوية يكتسبها المرء بوسائل خاطئة - سواء لنفسه أو للآخرين - ستتحول في النهاية إلى مصدر حزن وندم وعقاب في الدنيا والآخرة. ولا يمكن إظهار الولاء والدعم الحقيقيين إلا بمساعدة الآخرين فيما يرضي الله تعالى، لأن أي شيء آخر هو خيانة متخفية في زي المساعدة. ولا يقل أهمية عن ذلك مبدأ الاهتمام بشؤون المرء الخاصة. فمن يفشل في تبني هذا الموقف سيهدر حتمًا أثمن موارده - الوقت والثروة والممتلكات والفرص - يمكن استعادتها، لكن الوقت الضائع لا يمكن استعادته أبدًا. يوم القيامة، سينظر الناس بندم عميق إلى الساعات التي أهدرت في الكلام والأنشطة التافهة، بينما كان بإمكانهم كسب الثواب بالأعمال الصالحة. حتى لو لم تكن بعض الكلمات التي تُقال في أمور لا تعني الإنسان إثماً في حد ذاتها، إلا أنها تُمثل إضاعة لوقت ثمين كان من الممكن استغلاله على نحو أكثر فائدة. ولذلك، صرّح النبي محمد صلى الله عليه وسلم في حديث ورد في سنن ابن ماجه، رقم 3976، أنه لا يكمل الإسلام حتى يدع ما لا يعنيه ويُعرّف الكلام فيما لا يعني بأنه الكلام الذي إذا تركه لم يُثر إثماً ولا ضرراً. في الواقع، حتى عندما يتعلق الأمر بشخص ما، يجب ألا يتحدث فيه إلا في الوقت والمكان المناسبين. غالبًا ما يؤدي تجاهل هذا المبدأ إلى صراع غير ضروري وأذى وندم. يُعد طرح الأسئلة حول أمور لا تعني المرء مشكلة شائعة أخرى في المجتمع. كثيرًا ما يتدخل الناس في شؤون الآخرين الخاصة، مما يُجبرهم على مواقف غير مريحة - إما للكذب، أو للتهرب من السؤال بالخداع، أو للصمت بطريقة قد تبدو فضة. أما الشخص المراعي لمشاعر الآخرين، فيتجنب هذا السلوك ويقتصر بحثه على الأمور ذات الصلة الحقيقية. من يُكرّس حديثه لما لا يعنيه سيُحرم حتمًا من الحديث عما يهمه حقًا. وعلى العكس، من يُركز جهوده على ما هو مفيد وهام لن يجد وقتًا للكلام الفارغ أو المُتطفل. هؤلاء هم الناجحون، لأنهم استخدموا ألسنتهم ووقتهم وطاقاتهم على النحو الصحيح. لو تأمل المرء بصدق في الجدالات والخلافات التي مر بها، لأدرك أن معظمها كان بسبب حديث شخص ما عما لا يعنيه. فكم من خلافات وعلاقات مُقطّعة وساعات ضائعة يُمكن تجنبها لو امتنع الناس ببساطة عن هذه العادة المُدمرة؟

يُحذّر الله تعالى الناس من خطورة كلامهم وما قد يُلحقونه من ضرر جسيم بأنفسهم، علاوة على ذلك بالمعصية، وبالأخرين، بالإيذاء. فكلماتٌ قليلةٌ طائشةٌ كفيلاً بتدمير سمعة المرء وشرفه، مما قد يؤثر على حياته بأكملها، كقدرته على إيجاد زوجٍ صالحٍ أو الحفاظ على كرامته في مجتمعه. ولذلك يُولي الإسلام أهميةً سورة النور، الآية 15. بالغةً للكلام الذي ينطق به الإنسان

"إذ تلقونه بالسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم "

تُبرز هذه الآية أن ما قد يراه الناس كلاماً تافهًا قد يكون في الحقيقة أمراً خطيراً عند الله تعالى. وقد أكد النبي محمد صلى الله عليه وسلم على ذلك في عدة أحاديث. ففي حديث منشور في جامع الترمذي، رقم 2616 حذر من أن السبب الرئيسي لدخول الناس النار هو كلامهم. وفي حديث آخر منشور في جامع الترمذي، رقم 2314. أوضح أن كلمة سيئة واحدة قد تُدخل المرء النار يوم القيامة،

لذا، يُمكن فهم الكلام على نطاق واسع على ثلاثة أقسام. الأول هو الكلام السيء، وهو آثم ومضر ومدمر ويجب اجتنابه تماماً. الثاني هو الكلام الفارغ، وهو ليس آثماً في حد ذاته، ولكنه يُضيع وقتاً ثميناً، وغالباً ما يكون بمثابة الخطوة الأولى نحو الكلام المعصية. لذلك، من الأفضل اجتنابه. الثالث هو الكلام الطيب، وهو صادق ونافع ومرضي لله تعالى، وينبغي أن يكون هذا عادة المؤمن الدائمة. ومن هذا المنظور، يجب إزالة ثلثي -ما يتناقله الناس من حياتهم، وترك الكلام الطيب فقط

للإفراط في الكلام مخاطر أخرى. فمن كثر الكلام قلّما يجد وقتاً للصمت والتأمل، ومع ذلك فالصمت ضروري لمحاسبة النفس، وهو ما يحث على التوبة ويحفز على العمل الصالح. فبدونه يُحرم المرء من تحسين خلقه. كما أن كثرة الكلام تؤدي إلى الخوض في أمور لا تعنيه، مما يسبب حتماً مشاكل لنفسه وللآخرين، كتفكك العلاقات والخلافات غير الضرورية. وقد حذر النبي محمد صلى الله عليه وسلم في حديث ورد في جامع الترمذي (رقم 2317) (من أن اجتناب ما لا يعنيه من فضل الإيمان. علاوة على ذلك، غالباً ما يؤدي كثرة الكلام إلى الجدل والخلاف، مما يُسبب التوتر والشقاق. في المقابل، فإن اجتناب الكلام الفارغ

والخبيث يجلب السلام للمتكلم ومن حوله .ومن مخاطر كثرة الكلام أيضًا أنه غالبًا ما يدور حول التسلية واللهو، مما يُنشئ عقلية تنفر من النقاشات الجادة، مثل تلك التي تتناول الموت والآخرة .هذا الموقف يمنع الإنسان من الاستعداد جيدًا للحياة الآخرة، مما يؤدي إلى الندم وربما العقاب .يمكن تجنب كل هذه الأضرار ببساطة إذا كف المرء لسانه عن الكلام الباطل والباطل، واستخدمه في الخير فقط .من يتبنى هذا النظام سينجو ،من مصائب لا تُحصى في الدنيا ومن عقاب الآخرة .وهكذا، لا يصبح الصمت ضعفًا، بل حكمة؛ لا خسارة :بل خلاص .سورة النور، الآية ١٦

"وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهِ سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ "

:سورة النور، الآية 15

"ويحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم ..."

.لتجنب هذه النتيجة المدمرة، يجب على المرء أن يضمن أن كل ما يقوله ويفعله يُقاس بمعيار الإسلام الثابت .هذا الإطار الإلهي، الذي كُشف عنه في القرآن الكريم وتجسد في سنن النبي محمد صلى الله عليه وسلم، هو المقياس الحقيقي الوحيد للصواب والخطأ .إذا أهمل المرء هذا المبدأ الحيوي، فسيبدأ حتمًا في الحكم على أقواله وأفعاله وفقًا لمعايير زائفة وغير ثابتة - مثل اتجاهات وسائل التواصل الاجتماعي العابرة، وضغوط الموضة، والعادات الثقافية، أو تيارات الرأي العام المتغيرة .هذه المعايير ليست غير موثوقة فحسب، بل خطيرة أيضًا، لأنها تتغير مع الزمن والظروف، وغالبًا ما تُبعد الناس عن الحق والعدل .ومن الأمثلة الواضحة على ذلك انتشار الغيبة .فقد أصبحت شائعة في العديد من المجتمعات لدرجة أنها تُعامل كخطأ بسيط، مع أنها في الواقع تُعتبر من الكبائر في الإسلام .وهذا يوضح خطورة قياس الأفعال بالقبول الاجتماعي بدلًا من أوامر الله تعالى .ما يُسلِّمه المجتمع قد يُدينه الإسلام؛ وما يُستهين به قد يُعده الله تعالى إثماً عظيمًا .من لم يُقَسِّم أقواله وأفعاله وفقًا لمعايير الإسلام، سيُسَيء استخدام النعم التي وهبت له، كلسانه .ولن يقتصر هذا الإساءة على أقواله، بل سيمتد إلى حياته كلها .سيجد نفسه في حالة من عدم التوازن - عقليًا وروحيًا وجسديًا .سيُسيئ

ترتيب أولوياته، ويُسيء استخدام علاقاته، ولن يُعَدَّ استعدادًا كافيًا لحسابه يوم القيامة. نتيجة هذا الإهمال هي التوتر والمشقة والصعوبة في الدنيا والآخرة. حتى لو تمتع هذا الشخص ببعض الرفاهية الدنيوية، فلن تحميه هذه من اضطرابه الداخلي أو من عواقب أفعاله في الآخرة. لا يمكن تحقيق السلام والتوازن والنجاح الحقيقي إلا عندما يُقَيَّم المرء حياته باستمرار وفقًا للمعيار الإلهي للإسلام، الذي يُوقِّر الوضوح والاستقرار والهدف في كل جانب من جوانب الوجود.

أما في الكلام، فمعيار الإسلام واضح. يجب على الإنسان اجتناب ما لا يعنيه، وعليه الامتناع عن التكلم بسوء، سورة النور. عن الآخرين إلا إذا كانت هناك مصلحة ظاهرة لا ريب فيها، كتحذير الناس من ضرر محقق:

الآية ١٦:

"وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهِ سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ "

تُرسي هذه الآية الرد الصحيح عند سماع شيء سلبي عن شخص آخر: الرفض الفوري للدعاء، إلى جانب تمجيد الله تعالى. واللافت للنظر بشكل خاص هو أن تمجيد الله تعالى في القرآن الكريم مخصص عمومًا لأخطر الأمور، مثل الكفر به، بما في ذلك نسبة الولد إليه زورًا. ومع ذلك، في هذه الآية، يُستخدم التعبير نفسه في سياق القذف ضد إنسان. يُظهر هذا الاختيار المتعمد للغة الخطورة الهائلة للتحدث بسوء عن الآخرين في نظر الله تعالى. وعلى الرغم من أن القذف ليس كفرًا، إلا أنه يُعامل بنفس القدر في هذه الآية، مما يُظهر أن إهانة شخص آخر ظلمًا هو انتهاك خطير للنظام الأخلاقي الذي وضعه الله تعالى. مثل هذا السلوك يُفسد المجتمع، ويدمر الثقة، ويلحق جروحًا قد لا تلتئم أبدًا. لذلك، يُؤمر الإنسان بتقديس أعراض الآخرين، وكفّ لسانه عن الكلام الفارغ أو المؤذي، والرد على الإشاعات والانتهاكات لا بالفضول أو التكرار، بل بالرفض والإجلال لله تعالى. وبذلك تُحفظ كرامة الأفراد، وتُصان وحدة الجماعة، ويُصان المتحدث نفسه من إثم عظيم:

عند الله. سورة النور، الآية ١٦

"وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهِ سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ "

في حديثٍ ورد في جامع الترمذي، رقم 2317، نصح النبي محمد صلى الله عليه وسلم بأنه لا يُكمل الإسلام حتى يجتنب ما لا يعنيه. يتضمن هذا الحديث مبدأً شاملاً ينطبق على كل جانب من جوانب الحياة، يشمل القول والفعل. فعلى من أراد إكمال إيمانه أن يجتنب ما لا يعنيه، قولاً كان أو فعلاً، وأن ينشغل بما يعنيه. إن ما يعني الإنسان حقاً هو مسؤولياته الدينية والدنيوية، التي يجب أن يؤدّيها بجدية وفقاً لتعاليم الإسلام، ابتغاء مرضاة الله تعالى. ومن المهمّ التنويه إلى أن الإيمان لا يكتمل باجتناب الأمور تبعاً للهوى أو الهوى، بل باجتناب ما أمر الإسلام باجتنابه. وهذا يعني السعي إلى أداء جميع الواجبات، والامتناع عن المعاصي والاجتناب عن المكروهات، بل حتى الامتناع عن الإفراط في استخدام الأشياء المباحة التي لا داعي لها. إن بلوغ هذا المستوى من الانضباط من سمات فضل الإيمان، كما ورد في حديث صحيح مسلم رقم 99. وهو أن يعبد العبد الله تعالى كأنه يراه، أو على الأقل يعلم أنه يراه ويطلع على كل خاطره وفعله. وهذا العلم يحث على ترك المعاصي والمسارة إلى الخيرات. ومن لم يتجنب ما لا يعنيه، لم يبلغ هذا المستوى من الفضل.

يتعلق جانب رئيسي من هذا التعليم بالكلام. فغالبية المعاصي تقع عندما يتفوه الإنسان بكلمات لا تعنيه، كالغيبة والقذف واللغو. أما اللغو فهو كلام قد لا يكون محرماً في ذاته، ولكنه لا فائدة منه، وبالتالي فهو خارج عن نطاق الإنسان. وكما أكد حديث في صحيح البخاري، رقم 2408، فإن اللغو مكروه عند الله تعالى. وقد نشأ عدد لا يُحصى من الخلافات والنزاعات، بل وحتى الأذى الجسدي، لمجرد أن أحدهم تكلم في أمور لا تعنيه وتفرقت الأسر، وانقطعت الزيجات، لأن الأفراد لم يهتموا بشؤونهم الخاصة. ولذلك، بيّن الله تعالى في القرآن: سورة النساء، الآية 114. الكريم أنواع الكلام النافع حقاً.

لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء رضوان الله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً

وقد حذر النبي محمد صلى الله عليه وسلم من أن الكلام الذي لا يعني الإنسان سيكون السبب الرئيسي لدخول النار. وقد ورد ذلك في حديث في جامع الترمذي برقم 2616. وفي حديث آخر في جامع الترمذي برقم أشار إلى أن الكلام كله يُحسب على الإنسان إلا إذا كان في أمر بمعروف أو نهي عن منكر أو ذكر، 2412

لله تعالى .وهذا يعني أن سائر الكلام لا قيمة له، إذ لا يعود بنفع .ولا يقتصر النصح على الأمور الدينية، بل يشمل كل ما ينفع في الدنيا، كالعمل أو المسؤوليات

لذا، ينبغي للإنسان أن يحرص على اجتناب ما لا يعنيه، قولاً وفعلاً، ليكتمل إيمانه .وباختصار، من انشغل ،بما لا يعنيه، لا بد أن يفشل فيما يعنيه .ومن انشغل بما يهمله، لا يجد وقتاً يضيعه فيما لا يعنيه .وهذا الشخص .برحمة الله تعالى، يُفلح في الدارين

وأخيراً، من يُركز على ما يعنيه يُنجز واجباته الدينية والدنيوية النافعة، فينال راحة البال .ومن أعظم أسباب التوتر انشغال الإنسان بما لا يعنيه، إذ يمنعه ذلك من أداء واجباته الحقيقية .فالإنسان بحسن سلوكه لا يؤدي واجباته فحسب، بل يضمن أيضاً توفير وقت كافٍ للراحة والتمتع بالحلال .وهكذا، يحقق التوازن والسلام الداخلي والكمال الإيماني، من خلال حالة نفسية وجسدية متوازنة، ومن خلال توزيع كل شيء وكل شخص في حياته توزيعاً صحيحاً

بعد أن أنكر الله تعالى بشدة على من شاركوا في قذف عائشة رضي الله عنها، وجه تحذيراً شديداً للناس أجمعين، مبيّناً أن القذف والنميمة ونشر الأكاذيب أفعالٌ تُنافي أخلاق المؤمن الحق، ومن يُصر على ذلك .(سورة النور، الآية ١٧) .مع ادعائه الإيمان، يُثبت بأفعاله بطلان ادعائه

«يحذركم الله أن تعودوا لمثله إن كنتم مؤمنين»

تُسلط هذه الآية الضوء على المبدأ الجوهري، وهو أن الإيمان ليس مجرد إعلان لفظي، بل يجب دعمه وإثباته بالعمل الدؤوب .فالأقوال وحدها لا تكفي إذا ناقضها السلوك .بل كما تُحذّر هذه الآية، فإن من لا يُوازن بين أفعاله ودعواه الإيمانية يُعرض نفسه لخطرٍ كبيرٍ بفقدانه كلياً .يُمكن تشبيه الإيمان بشعلةٍ رقيقةٍ تحتاج إلى

عناية دائمة. فكما تنطفئ النار بفقدان وقودها، كذلك يضعف الإيمان وقد ينطفئ في النهاية إذا لم يُغذى بالطاعة والذكر والعمل الصالح. إن إهمال هذا الغذاء الروحي يُعرّض الإنسان لخطر فقدان النور الذي يُرشده في الحياة. وهذه الخسارة هي الأشدّ تدميرًا، لأنها تحرم النفس من صلتها بالله تعالى، وتتركها عرضةً للظلام والحيرة واليأس. لذا، تُعدّ هذه الآية تحذيرًا وتذكيرًا في آنٍ واحد: يجب على المرء أن يحفظ لسانه، ويضبط أفعاله، وأن يُغذي إيمانه باستمرارٍ بالطاعة. حينها فقط، سوف تتوافق تصريحاتهم اللفظية عن الإيمان مع حقيقة سلوكهم، مما يضمن أن يظل إيمانهم قويًا وحيويًا ودائمًا.

:سورة النور، الآية 17

«يحذركم الله أن تعودوا لمثله إن كنتم مؤمنين»

من الجدير بالذكر أيضًا أن الإيمان بالله تعالى، في هذا السياق، قد ارتبط بأمر دنيوي في ظاهره - وهو النسيئة بدلًا من عبادات مباشرة كالصلاة. لهذا الارتباط دلالة عميقة، إذ يُبرز مبدأً أساسيًا: أن تعاليم الإسلام تُشكل -، منظومة سلوكية شاملة وكاملة تُنظم جميع جوانب الحياة. ولا تقتصر على العبادات أو الطقوس الدينية فحسب بل تشمل جميع التفاعلات والسلوكيات والقرارات الإنسانية - سواءً بدت دنيوية أو دينية. لذا، يجب تجنب الاعتقاد الجاهل والضيق الأفق بأن الله تعالى لا يهتم إلا بالفروض الدينية كالصلوات الخمس أو صيام رمضان. فمع أن هذه أركان الإيمان، إلا أنها لا تُمثل إلا جزءًا من إطار روحي أوسع. فالله تعالى يُحاسب الناس على كل موقف يواجهونه، سواءً كان عبادة أو تعاملًا اجتماعيًا أو تعاملًا تجاريًا أو علاقات شخصية لكل فعل ورد فعل وزن أخلاقي وعاقبة روحية. لهذا السبب، يجب على الإنسان أن يسعى جاهدًا لتعلم تعاليم الإسلام والعمل بها بشمولية، حتى يبقى سلوكه مستقيمًا في جميع الأحوال. يضمن هذا النهج المتوازن انسجامًا في أحواله العقلية والعاطفية والجسدية، ويسمح له بوضع كل شيء وكل شخص في مكانه الصحيح - تقديرًا للعائلة والأصدقاء والمسؤوليات الدنيوية وفقًا للهداية الإلهية - وفي الوقت نفسه إعداد نفسه للمساءلة النهائية. يوم القيامة. عندما يتحقق هذا التوازن، تكون النتيجة طمأنينة داخلية، واستقرارًا خارجيًا، وسلامًا في العالمين على النقيض من ذلك، فإن أولئك الذين يتعاملون مع الإسلام كملاسل - يرتدون عند الراحة ويخلعونها عند تعارضها مع رغباتهم - يقوضون إيمانهم وسلامتهم الروحية. هذا السلوك لا يعكس إيمانًا حقيقيًا، بل عبادة للذات، لأن أفعالهم تملئها الأهواء لا الأوامر الإلهية. سورة الفرقان، الآية 43

"...أرأيت من اتخذ إلهه هواه"

هذه الآية تذكيرٌ خالدٌ بأن أعظم خطرٍ على الإيمان لا يكمن في الكفر فحسب، بل في تسلط الشهوات على السلطة الإلهية. فعندما يفشل المرء في تطبيق تعاليم الإسلام في جميع جوانب الحياة، فإنه يُسيء استخدام النعم التي وهبت له حتمًا. وتؤدي أولوياته الخاطئة وأفعاله المتضاربة إلى فقدان التوازن الداخلي - عقليًا وعاطفيًا وجسديًا. ونتيجةً لذلك، يُسيء توزيع الثقة، ويُسيء استخدام الموارد، ويُسيء معاملة من حوله. هذا السلوك يمنع الاستعداد الجيد ليوم القيامة، ويخلق ضغوطًا ومصاعب وعدم استقرار مستمرين، في الدنيا والآخرة. وحتى لو بدا أن هؤلاء الأفراد يتمتعون ببعض الرفاهية الدنيوية، فإنهم يظلون محرومين من الرضا والسلام الحقيقيين، لأن السكينة لا تُنال إلا بطاعة الله تعالى المستمرة في جميع الأمور - الدنيوية والدينية. على حد سواء.

لذا، يجب على الإنسان أن يتقبل تعاليم الإسلام ويعمل بها بإخلاص لما فيه مصلحته، حتى لو تعارضت تلك التعاليم مع رغباته الشخصية. عليه أن يتصرف كمريض عاقل يتبع طوعًا نصيحة طبيب موثوق، عالمًا أن هذه الإرشادات مُعدة لسلامته - حتى لو تضمنت أدوية مرّة ونظامًا غذائيًا صارمًا. وكما يحقق هذا المريض العاقل في نهاية المطاف الصحة الجسدية والنفسية من خلال الانضباط والثقة بخبرة طبيبه، كذلك سيحقق من يتقبل التعاليم الإسلامية ويطبقها التوازن الحقيقي والسلام والاستقرار في حياته. ذلك أن الله تعالى هو الوحيد الذي يملك المعرفة التامة والكاملة بما يضمن انسجام الإنسان العقلي والجسدي والروحي. فهو وحده من يدرك التصميم المعقد للإنسان والتوازن الدقيق اللازم لسلامته الداخلية والخارجية. في المقابل، تظل المعرفة البشرية على الرغم من قرون من البحث والتقدم العلمي - جزئية ومحدودة وقابلة للخطأ. إن فهم المجتمع للطبيعة - البشرية وعلم النفس والصحة لا يمكن أن يكون شاملاً بما يكفي لمواجهة كل تحدٍّ يواجهه الإنسان. فالنصيحة البشرية، مهما كانت حسنة النية، مقيدة بخبرة محدودة، وبصيرة محدودة، وتحيزات متأصلة. فهي لا تضمن التحرر من الضغوط النفسية والجسدية، ولا تضمن أن يضع الإنسان كل شيء وكل شخص في حياته في توازن سليم. الله تعالى وحده يملك المعرفة الكاملة والخالدة اللازمة لنجاح الإنسان في الدنيا والآخرة. ومن رحمته اللامتناهية، أنزل هذه المعرفة على البشرية من خلال القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. سورة النور، الآية 18

"ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم"

إن التباين بين من يتبعون التعاليم الإسلامية ومن لا يتبعونها يُبرز هذه الحقيقة. فمن يُوفقون سلوكهم مع الهداية الإلهية يتمتعون عمومًا بسلام داخلي أكبر، وضبط نفس، ووضوح في الهدف، بينما غالبًا ما يُعاني من يهملون هذه التعاليم من الارتباك وعدم التوازن وعدم الرضا، حتى في ظل النجاح الدنيوي. ومن المثير للاهتمام أن معظم المرضى لا يفهمون تمامًا علم الأدوية الموصوفة لهم، ومع ذلك يتقنون بخبرة طبيبهم ويتبعون التعليمات بإخلاص. في المقابل، لا يأمر الله تعالى بالطاعة العمياء، بل يدعو الناس إلى التأمل العميق في تعاليمه وإدراك حكمته من خلال الأدلة الواضحة، والفوائد الملموسة، والانسجام الذي تُضيفه على حياة الفرد ومجتمعه. ومع ذلك، فإن هذا التأمل يتطلب الإخلاص والتواضع وعقلًا منفتحًا غير متحيز. فقط عندما يتعامل الإنسان مع تعاليم الإسلام بإنصاف وتدبر، يمكنه أن يدرك حقيقة الهداية الإلهية وكمالها، الهداية التي وحدها، من خلال تحقيق حالة ذهنية وجسدية متوازنة، تؤدي إلى الطمأنينة والتوازن والنجاح في الدنيا والآخرة، سورة يوسف، الآية 108. ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في حياته على الوجه الصحيح

"...قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني"

عمومًا، عندما يختار الفرد مسارًا مختلفًا عن مسار أقرانه، غالبًا ما يثير ذلك مشاعر عدم الكفاءة لدى الآخرين. تجاه خياراتهم الخاصة، وخاصةً عندما تكون هذه الخيارات نابعة من رغبات شخصية لا من طاعة الله تعالى. وقد يتجلى هذا الشعور بعدم الارتياح في انتقادات موجهة إلى الثبات على إيمانهم، وغالبًا ما ينشأ هذا النقد حتى من داخل الأسرة نفسها.

إضافةً إلى ذلك، تُمارس المؤثرات المجتمعية، كوسائل التواصل الاجتماعي، واتجاهات الموضة، والأعراف الثقافية، ضغطًا مستمرًا على المُتمسكين بالقيم الإسلامية. وكثيرًا ما يُنظر إلى الترويج العام للإسلام على أنه عائق أمام طموحات الساعين وراء الثروة والمكانة الاجتماعية والشهرة الدنيوية. ومن الطبيعي أن تُقاوم

الصناعات التي ينتقدها الإسلام - سواءً لإفراطها أو فسادها أو استغلالها - تطبيق المبادئ الإسلامية، وتُثني المسلمين عن ممارسة شعائرهم الدينية. وتُسهم هذه المقاومة بشكل كبير في ترسيخ -المشاعر المعادية للإسلام المنتشرة على مختلف المنصات، وخاصةً في عالم وسائل التواصل الاجتماعي

علاوة على ذلك، غالبًا ما يُقابل من يسعون جاهدين للالتزام بالتعاليم الإسلامية، التي تدعو إلى الاعتدال في الشهوات الشخصية والتمتع بالنعم بمسؤولية، بعداء من المُفرطين. هؤلاء الأفراد يتصرفون وفقًا لدوافعهم دون قيود، وهو سلوك يُشبهه الإسلام بالانغماس الحيواني. وكثيرًا ما يحاولون ثني الآخرين عن اعتناق الإسلام وثني المسلمين عن ممارسة دينهم، ساعين بدلًا من ذلك إلى استدراجهم إلى نمط حياة تُحدده الشهوات الجامحة. ومن استراتيجياتهم الشائعة استهداف جوانب مُحددة من الإسلام، مثل قواعد اللباس للمرأة، في محاولة لتقويض جاذبيته. ومع ذلك، يُمكن للمراقب المُتنبصر أن يُدرك بسهولة سطحية هذه الانتقادات، التي لا تتبع من اعتراض مُبرر، بل من ازدراء لتأكيد الإسلام على -الانضباط الذاتي. على سبيل المثال غالبًا ما يُركز النقد على قواعد اللباس الإسلامية للنساء، بينما يلتزمون الصمت بشأن قواعد اللباس الصارمة المفروضة في مهن أخرى مُحترمة، مثل إنفاذ القانون، والجيش، والرعاية الصحية، والتعليم، والأعمال التجارية. يكشف هذا النقد الانتقائي عن هشاشة حججهم وتناقضها. في نهاية المطاف، ليست الممارسات الظاهرية وحدها ما يثير هذه المعارضة، بل مبادئ الإسلام الجوهرية نفسها - مبادئ تدعو إلى ضبط النفس والانضباط والمحاسبة أمام الله تعالى. إن السلوك المنضبط للمؤمنين الصادقين يُذكرنا بهذه المبادئ، وهذا التذكير هو ما يثير العداوة. ولذلك، يسعى منتقدو الإسلام إلى مهاجمته بكل الطرق الممكنة، ليس لضعف سورة النور، الآية 19. تعاليمه، بل لقوة رؤيته الأخلاقية ووضوحها

"...إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا"

من تجاهل أوامر الله تعالى سعيًا وراء رضا الآخرين، فقد راحته لا محالة. هذا السلوك يؤدي إلى إساءة استخدام النعم الإلهية، مما يؤدي إلى حالة من الفوضى النفسية والجسدية. تُفقد الأولويات مكانها، وتُساء إدارة العلاقات، ويبقى الفرد غير مُستعدٍّ للمحاسبة أمام الله تعالى. هذا الإهمال يُجلب التوتر والضييق والصعوبة في الدنيا والآخرة، بغض النظر عن الرفاهية المادية التي قد يتمتع بها مؤقتًا. سورة النور، الآية 19

"...إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة "

لذا، يجب على المرء أن يظل ملتزمًا بالتزامًا راسخًا بطاعة الله تعالى. فهذا التفاني يمنح المؤمن السكينة ويقيه من آثار الآخرين السلبية، حتى وإن لم تظهر هذه الحماية فورًا. إن الإخلاص لله تعالى يضمن استخدام النعم الممنوحة له على الوجه الصحيح والشكر. ومن خلال هذه الممارسة، يصل المرء إلى حالة ذهنية وجسدية متناغمة، تمكنه من تنظيم عناصر حياته المختلفة بوضوح وتوازن، مع الاستعداد أيضًا للمحاسبة يوم القيامة. هذه الطاعة الثابتة تُعزز السكينة في الدنيا والآخرة، وتهدئ الفرد في كل موقف - سواء في اليسر أو العسر. وتُعزز راحة البال وتضمن له ثوابًا لا ينضب في الدنيا والآخرة -

للحفاظ على عزم ثابت، من الضروري للإنسان أن يُنمّي إيمانًا راسخًا. فالإيمان الراسخ والمرن هو أساس طاعة الله تعالى الدائمة في كل حال، سواء في السراء والضراء. ويُنمّي هذا الإيمان الراسخ بفهم وتطبيق التوجيهات الواضحة الواردة في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. تُبَيّن هذه التعاليم أن طاعة الله تعالى الحقيقية هي مصدر الطمأنينة في الدنيا والنجاة في الآخرة. سورة النور، الآية 19

"وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ..."

على النقيض من ذلك، فإن من يجهلون مبادئ الإسلام لديهم إيمان هش، مما يجعلهم عرضة للانحراف عن الطاعة، وخاصة عندما تتعارض رغباتهم الشخصية مع التوجيه الإلهي. هذا النقص في المعرفة يُغيم فهمهم لحقيقة جوهرية: إن الاستسلام لأوامر الله تعالى هو السبيل الوحيد للسلام الدائم في العالمين. لذلك، من الضروري لكل فرد أن يعزز إيمانه بالسعي وراء المعرفة الإسلامية وتطبيقها العملي. وبذلك، يضمنون استمرار طاعتهم لله تعالى، واستخدام نعمهم وفقًا للتعاليم الإلهية، وعيش حياتهم في توازن - عقليًا وجسديًا وروحيًا، من خلال تحقيق حالة ذهنية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في حياتهم بشكل صحيح. سورة النور، الآية 20

"ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤوف رحيم"

في هذه الآية، يُشير الله تعالى إلى رحمته الواسعة وصبره وحلمه على خلقه. فرغم كثرة زلات الناس وإصرارهم على المعصية، فإنه لا يُعجل عقابهم. بل يمنحهم، من باب الرحمة الإلهية، مهلةً للتأمل في أفعالهم وإصلاح سلوكهم وطلب المغفرة. فبرحمته يُعفى الناس من العواقب الوشيكة لذنوبهم. ومع ذلك، فإن من يُسيء استخدام هذه النعم ويُفسر غياب العقاب على أنه رضى إلهي يقع في ضلال. إن تأخير الجزاء ليس دليلاً على اللامبالاة أو الرضا، بل هو اختبارٌ لتواضع المرء وامتنانه وإخلاصه. فعندما يُقابل المرء الصبر الإلهي بالغطرسة والإهمال، مُستغلاً النعم المُنعمَة عليه باستمرار، فإنه يُسبب هلاكه. إن تمرده على النظام الإلهي يُخلّ بتناغم عالمه الداخلي، مما يؤدي إلى عدم استقرار عقله وجسده. مع تفاقم هذا الخلل، يُشوّه إدراكهم - فيغفلون عن أولوياتهم، ويُسيئون إدارة علاقاتهم، ويُسيئون استخدام الموارد. وتتحول النعم التي كانت من المفترض أن تكون مصادر راحة ونجاح - كالعائلة والرفقة والرزق - إلى أسباب للقلق والإحباط والاضطراب. وبدلاً من إدراك أن عصيانهم هو المصدر الحقيقي للضيق، يبدأون في إلقاء اللوم على الآخرين كزوجهم أو زملاء العمل أو الأصدقاء - مما يزيد من عزلتهم عن التأثيرات الإيجابية في حياتهم. وتُولد - هذه العزلة العاطفية تدريجياً اضطراباً أكبر، قد يتجلى في حزن عميق أو تبعية أو يأس. وهذه الحالة المأساوية ليست نادرة بين أولئك الذين يُسيئون استخدام النعم التي مُنحت لهم باستمرار، بمن فيهم الأفراد الذين يبدوون مزدهرين ظاهرياً. ويُعاني الكثير من الأثرياء أو ذوي النفوذ أو المشاهير من مشاكل نفسية حادة، لأنهم فقدوا صلتهم بواهب النعم الحقيقي - الله تعالى. لا تُغنيهم كثرتهم، فالسكينة لا تتحقق إلا بالقلوب المُستقرّة بذكر الله وطاعته. في نهاية المطاف، من يغفل عن رحمة الله ويُصرّ على معصيته يهلك نفسه في الدنيا ويُعَدّ نفسه لعقاب أعظم في الآخرة. إن تأخير العدل الإلهي ليس إهمالاً، بل هو مظهر من مظاهر الرحمة، يُتيح لكل إنسان فرصة للتوبة والإصلاح والرجوع. ولكن عندما يحين وقت الحساب يوم القيامة، سيُدركون أخيراً أن تأجيل العقاب لم يكن علامة رضا، بل رحمةً لم يُقدّروها حق قدرها للأسف.

عندما يدعو الله تعالى المؤمنين في القرآن الكريم، غالباً ما يرتبط دعوته بتحقيق إيمانهم اللفظي. ذلك لأن مجرد التصريح بالإيمان دون عمل مُقابل له لا قيمة له في الإسلام. فالإيمان الحقيقي لا يقتصر على الأقوال بل يجب إثباته بالأعمال التي تعكس الطاعة والإخلاص. فالأعمال دليلٌ على إيمان المرء، وبها ينال المؤمن الثواب والرحمة في الدنيا والآخرة. ويمكن تشبيه العلاقة بين الإيمان والعمل بعلاقة شجرة مثمرة - فالشجرة

التي لا تُثمر لا تُثمر إلا قليلاً، مهما كان مظهرها. وبالمثل، فإن الإيمان الذي لا يُثمر عملاً صالحاً يكون محدود الفائدة. فكما تُقاس قيمة الشجرة بثمرها، تُقاس قيمة الإيمان بالأعمال الصالحة التي تُلهمها. ولا يُحقق في الإيمان غايته الحقيقية ويعود بالنفع على صاحبه والمجتمع بأسره إلا عندما يُثمر طاعةً وعبادةً وخدمةً هذه الحالة، يدعو الله تعالى المؤمنين إلى تعزيز إيمانهم اللفظي به بالعمل بالشرعية الإلهية التي أنزلها عليهم في جميع جوانب حياتهم، دنيوية كانت أم دينية. وبذلك يتجنبون فخ الشيطان العظيم، الذي يسعى لتضليل الناس بتشجيعهم إما على رفض الشرعية الإلهية جملةً وتفصيلاً أو على اتباع ما يناسب أهوائهم الشخصية: سورة النور، الآية ٢١. فقط

...أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر يا

توضح هذه الآية أنه لا ينبغي للمرء أن يتبنى موقفاً جاهلاً بافتراض أن الله تعالى لا يهتم إلا بالواجبات الدينية كالصلوات المفروضة، متجاهلاً جوانب الحياة الأخرى. بل إن الله تعالى سيسأل كل فرد عن كل موقف يمر به، سواءً كان دنيوياً أو دينياً. ولذلك، من الضروري أن يتعلموا التعاليم الإسلامية ويعملوا بها ليكون سلوكهم سليماً في كل ظرف. وبذلك، سيحققون حالة نفسية وجسدية منسجمة، ويضعون كل شيء وكل شخص في حياتهم في مكانه الصحيح، ويستعدون جيداً للحساب يوم القيامة. هذه الطاعة الشاملة تؤدي إلى الطمأنينة في الدنيا والآخرة. لذلك، لا ينبغي أن يُعامل الإسلام كثوب يُلبس ويُخلع حسب الأهواء. من يتصرف بهذه الطريقة، في الحقيقة، يعبد أهوائه، حتى لو ادعى خلاف ذلك). سورة الفرقان، الآية 43)

"...أرأيت من اتخذ إلهه هواه"

من لم يعمل بتعاليم الإسلام في جميع الأحوال، سيُسيء استخدام النعم التي وُهِبَتْ له حتماً. ونتيجةً لذلك، سيقع في حالة من عدم التوازن، عقلياً وجسدياً. سيُسيئ ترتيب أولوياته، ويُسيء إدارة علاقاته، ويُهمل استعداداته ليوم القيامة. سيؤدي هذا الإهمال إلى ضغوط وتحديات ومصاعب في الدنيا والآخرة، حتى لو تمتع ببعض الرفاهية الدنيوية. على النقيض من ذلك، فإن من يُطبّق قواعد السلوك الإلهي في جميع جوانب الحياة سيجد

الاستقرار والوضوح والسلام. سيُستغلّ نعمه على النحو الصحيح، وسيؤدّى واجباته، وسيُحفظ إيمانه. سيُهدى هذا الشخص في اليسر والعسر على حد سواء، وبرحمة الله تعالى، سيفلح في الدنيا والآخرة. سورة النور: الآية 21

...أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر يا

من الأساليب الرئيسية التي يستخدمها الشيطان لتضليل الناس تشجيعهم على اتباع رأي الأغلبية في مجتمعهم في أغلب الأحيان، تُشكّل هذه الأغلبية وتسيطر عليها طبقة النخبة، التي يتمثل هدفها الرئيسي في تحقيق رغباتها وطموحاتها الدنيوية مهما كلف الأمر. لذا، فإن اتباع الآخرين دون تفكير يُعدّ طريقاً خطيراً، لأن سلوك الأغلبية غالباً ما يؤدي إلى معصية الله تعالى. عندما يرى المرء أن غالبية المجتمع تُهمل التعاليم الإسلامية، فقد يظن أن سلوك الأغلبية صحيح، فيتبعها دون تفكير أو تمحيص. لكن في الحقيقة، ليس رأي الأغلبية صحيحاً دائماً. والتاريخ نفسه يشهد على ذلك، حيث -ثبت لاحقاً بطلان العديد من المعتقدات الشائعة مع ظهور أدلة ومعارف جديدة - مثل الاعتقاد السائد سابقاً، وإن كان خاطئاً، بأن الأرض مسطحة. لهذا السبب، من الضروري الامتناع عن التصرف كالقطيع، والتوافق دون تفكير مع رأي الأغلبية. غالباً ما يؤدي: سورة الأنعام، الآية 116. هذا السلوك إلى خيارات خاطئة في الأمور الدنيوية والدينية

وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يظنون

بدلاً من التقليد الأعمى، يُؤمر الأفراد باستخدام العقل والمنطق اللذين أنعم الله عليهما بهما. يجب عليهم تقييم كل ظرف بناءً على المعرفة والدليل، واتخاذ قرارات مستنيرة حتى لو خالفت هذه القرارات آراء الأغلبية لهذا السبب تحديداً، ينتقد الإسلام بشدة التقليد الأعمى في الأمور الدينية، ويدعو المسلمين إلى تعلم التعاليم. (يوسف، الآية 108، سورة 12 الإسلامية والعمل بها ببصيرة وفهم). سورة

"...قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني"

وهكذا، فإن طريق الحق لا يُحدّد بالعدد، بل بالمعرفة والدليل والهداية الإلهية. فالمطلوب من المرء أن يتجاوز ضغوط التقليد، وأن يفكر بوضوح، وأن يعمل ببصيرة، فيصون إيمانه ويضمن له النجاح في الدنيا والآخرة.

:سورة النور، الآية 21

...أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر يا

من الأساليب الرئيسية التي يستخدمها الشيطان لتضليل الناس تشجيعهم على العمل بمصادر المعرفة الدينية سورة البقرة، الآية. غير المصدرين الأصليين للهداية: القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم
٢٠٨:

يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين

كلما اعتمد الإنسان على مصادر أخرى للمعرفة الدينية، حتى وإن بدت هذه المصادر مُفضية إلى الخير، قلّ اعتماده على المصدرين الأصليين للهداية. هذا الإهمال التدريجي يُفضي حتمًا إلى الضلال. ولذلك، حدّر

النبي محمد صلى الله عليه وسلم في حديثٍ واردٍ في سنن أبي داود، رقم 4606، من أن كل أمرٍ لا ينبع من هذين المصدرين للهداية سيُرفض عند الله تعالى. علاوةً على ذلك، كلما اعتمد الإنسان على مصادر أخرى زاد احتمال تبنيه ممارساتٍ ومعتقداتٍ تُخالف تعاليم الإسلام. وهكذا يُضلّ الشيطان الناس تدريجياً. على سبيل المثال، عندما يواجه الإنسان صعوبات، قد يُنصح بممارسة بعض التمارين الروحية التي تُخالف تعاليم الإسلام. إذا كان هذا الشخص جاهلاً ومعتاداً على اتباع مصادر أخرى للمعرفة الدينية، فسيقع بسهولة في هذا الفخ. قد يبدوون بممارسات تتعارض مع الإسلام مباشرةً، وينتهي بهم الأمر إلى اعتناق معتقدات خاطئة تماماً عن الله تعالى والكون، كالاعتقاد بأن الناس أو الكائنات الخارقة للطبيعة تتحكم في مصيرهم. ولأن معرفتهم مستقاة من خارج المصدرين الأصليين، فإنهم يصبحون عرضة لهذا الفساد. بعض هذه الممارسات والمعتقدات الضالة يُرقى إلى مستوى الكفر الصريح، كممارسة السحر الأسود. سورة البقرة، الآية ١٠٢

وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت و...
"...وما روت. وما يعلمان أحداً حتى يقولوا إنما نحن فتننة فلا تكفر

،وهكذا، قد يفقد المسلم إيمانه دون أن يدري، لمجرد اعتياده العمل بمصادر أخرى للمعرفة الدينية. ولذلك تُعتبر البدع في الدين التي لا تستند إلى القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ضللاً. ولا يصون إيمانه، وبقي نفسه من الضلال، ويبقى على الصراط المستقيم إلا بالتمسك بهذين المصدرين الأصليين للهداية.

،لتجنب اتباع سبيل الشيطان، وبالتالي حماية النفس من العواقب الوخيمة لاختلال التوازن النفسي والجسدي واختلال القيم والأشخاص والأولويات في الحياة، وعدم الاستعداد الكافي للحساب يوم القيامة، من الله تعالى على البشرية بمنهج شامل وكامل ونزيه. هذا التوجيه الإلهي يُنقّي النوايا والأقوال والأفعال، ويقودها إلى: سورة النور، الآية ٢١. السلام الداخلي، والتوازن النفسي والجسدي، والتنظيم السليم لجميع جوانب حياتها

"ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبداً ولكن الله يزكي من يشاء "

مهما بلغ تقدم أي مجتمع، ومهما تراكم من معارف واسعة في مختلف التخصصات، بما فيها تلك المتعلقة بعلم النفس البشري وعلم وظائف الأعضاء والسلوك، فإنه سيظل عاجزاً عن صياغة قواعد سلوك تتوافق تماماً مع الطبيعة البشرية في مجملها. إن فهم البشرية لذاتها ناقصٌ دائماً؛ فكل جيل يبني على شذرات من الاكتشافات. وحتى في العصر الحديث، يواصل العلماء اكتشاف رؤى جديدة حول آليات عمل العقل والجسد البشري. لذا، من غير المعقول أن يتمكن العقل البشري المحدود من تصميم نظام أخلاقي واجتماعي لا تشوبه شائبة يضمن الطمأنينة الدائمة والعدالة والوئام على المستويين الفردي والجماعي. الله تعالى وحده هو من يملك الحكمة والمعرفة اللامحدودتين اللازمتين لتوفير مثل هذه القواعد السلوكية. وبصفته خالق كل شيء فإن علمه يشمل الماضي والحاضر والمستقبل في مجملها. هو وحده من يُدرك كل جانب من جوانب الوجود الإنساني - الجسدي والعقلي والعاطفي والروحي - وبالتالي، فهو وحده القادر على وضع منهج حياة يضمن التوازن والتناغم والسلام. شريعته الإلهية معيارٌ واضحٌ يُميز الحق من الباطل، والفضيلة من الرذيلة والمصلحة من المفسدة. سورة النور، الآية ٢١

"والله سميع عليم"

يشهد التاريخ على هذه الحقيقة بما لا ينكر. فكلما طُبِّقت الهداية الإلهية بصدق في حياة الأفراد والمجتمعات أثمرت سلاماً وعدلاً واستقراراً لا مثيل لهما. ولم ينعم من عاش وفق المبادئ الإلهية بالسكينة الشخصية فحسب، بل بالانسجام الجماعي أيضاً، حيث سادت الرحمة والعدل والاستقامة. لذلك، يجب على الأفراد أن يقبلوا ويلتزموا بتعاليم الله تعالى، إيماناً منهم بأنها الوسيلة المثلى لتحقيق الرفاه والنجاح. حتى عندما تتحدى بعض الوصايا رغباتهم أو ميولهم الشخصية، يجب أن يدركوا أن الهداية الإلهية - كوصفة طبيب ماهر وحنون - هي دائماً في مصلحتهم. وكما يتحمل المريض الحكيم الدواء المر ويلتزم بنظام صارم يعلم أنه يؤدي إلى الصحة والشفاء، كذلك يجب على الإنسان أن يستسلم للإرادة الإلهية بإيمان وثقة. فبهذا الاستسلام فقط يمكن للمرء أن ينال النقاء والتوازن والسلام الدائم في العالمين، من خلال تحقيق حالة ذهنية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في حياته على النحو الصحيح.

بعد أن برأ الله تعالى عائشة رضي الله عنها من التهم الباطلة، -أعلن والدها أبو بكر الصديق رضي الله عنه أنه لن يُعيل قريبه الذي شارك في نشر الافتراء. فأنزل الله تعالى سورة النور، الآية ٢٢، حاثًا إياه - وبالتالي جميع الناس - على العفو عن أخطاء الآخرين والتغاضي عنها:

"ولا يأتل أولو النعمة منكم والسعة أن يؤتوا ذوي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا " "وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم

عند سماع هذا الأمر الإلهي، تراجع أبو بكر، رضي الله عنه، عن تصريحه فورًا، واستأنف مساعدته المالية لقريبه. وتُعد هذه الحادثة، الواردة في حديث في جامع الترمذي، رقم 3180، مثالًا خالداً على التواضع والطاعة والاستعداد للتسامح في سبيل الله تعالى.

تُسلط هذه الحلقة الضوء على درس عميقٍ لكلِّ إنسان. يأملُ الناسُ جميعًا أن يغفرَ الله تعالى ذنوبهم يومَ القيامة لكنَّ كثيرًا من هؤلاء الأفراد أنفسهم يُقَصِّرون في إظهار هذا اللطف للآخرين. فكثيرًا ما يتمسكون بأخطاء الناس الماضية ويستخدمونها كأسلحةٍ ضدَّهم. وهذا لا يُشيرُ إلى الأخطاء التي لا تزالُ تُؤثِّرُ على الحاضر أو المستقبل - كحادثِ سيارةٍ يُخلفُ ضحيةً معوفاً بشكلٍ دائمٍ، وهو أمرٌ لا يُمكنُ التغاضي عنه بسهولةٍ، بل يُشيرُ إلى الأخطاء التي لا تُؤثِّرُ سلبيًا، كالإهانة اللفظية أو لحظة الضعف. ومع أنَّ هذه الحوادث تتلاشى مع مرور الوقت، يُصِرُّ البعضُ على إحيائها كلما ساحت الفرصة.

هذا السلوك ضارٌّ للغاية، روحياً واجتماعياً. إنه يعكس فشلاً في إدراك أن البشر ليسوا ملائكة وأنهم سيرتكبون أخطاءً. على أقل تقدير، يجب على الشخص الذي يأمل أن يغفر الله تعالى أخطائه أن يكون مستعداً للتغاضي عن أخطاء الآخرين في الماضي. أولئك الذين يرفضون القيام بذلك سيجدون علاقاتهم متصدعة، فلا علاقة تخلو من الخلافات والأخطاء. غالبًا ما ينتهي الأمر بمثل هؤلاء الأفراد بالعزلة، لأن قسوتهم تدفع الآخرين بعيداً. ومن المفارقات أنهم يحتقرون الوحدة لكنهم يتبنون موقفاً يضمنها. وهذا يتحدى المنطق والحس السليم. كل شخص يرغب في أن يكون محبوباً ومحترماً في الحياة وأن يُذكر بمودة بعد الموت، لكن هذا الموقف

يُنتج عكس ذلك: يمل الناس منهم في الحياة، وبعد رحيلهم لا يُذكرون إلا من باب العادة، لا من باب الحب الحقيقي.

إن نسيان الماضي لا يتطلب لطفًا مفرطًا أو ألفة مُجبرة. على أقل تقدير، يُمكن الحفاظ على الاحترام واللياقة وفقًا لتعاليم الإسلام. هذا لا يُكلف شيئًا ولا يتطلب جهدًا يُذكر. يتجاوز أخطاء الآخرين الماضية، قد يأمل المرء أن يتجاوز الله تعالى عن أخطائه يوم القيامة.

مع ذلك، من المهم التمييز بين العفو والثقة العمياء. يحث الإسلام على العفو لله تعالى، ويأمر أيضًا بالحكمة والحذر. على الإنسان أن يتخذ الخطوات اللازمة لحماية نفسه من الظلم مرة أخرى. وهذا يعني تعديل سلوكه، لمنع تكرار التاريخ، مع الاستمرار في معاملة الآخرين بالاحترام والإنصاف اللذين يقتضيهما الإسلام. وهكذا يتوازن العفو مع الحكمة، وتجتمع الرحمة مع العدل.

كما ذكرنا سابقًا، لا يجوز للناس اتهام الآخرين - رجالًا كانوا أم نساءً - بالذنوب إلا إذا كانت هذه الاتهامات مدعومة بأدلة واضحة وموثوقة. ومع ذلك، فقد خص الله تعالى النساء في القرآن الكريم بالذكر في هذا الصدد: سورة النور، الآية ٢٣. تكريمًا لهن وحمايتهن، مع أن الحكم ينطبق على الجنسين على حد سواء.

"إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم"

تُظهر هذه الآية خطورة قذف المرأة، مُبرزةً أن هذا الفعل لا يُجلب لعنةً إلهيةً في الدنيا فحسب، بل يُعرض صاحبه لعقابٍ شديدٍ في الآخرة. إن كرامة المرأة مُقدّسةٌ في الإسلام، لدرجة أن القرآن الكريم وأحاديث النبي محمد صلى الله عليه وسلم تُنذر مرارًا وتكرارًا بانتهاكها بأي شكلٍ من الأشكال. في الواقع، إن من أشدّ الكبائر تدميرًا، كما أكّده حديثٌ في صحيح البخاري، رقمه 2766، هو اتهام امرأةٍ بريئةٍ عفيفةٍ بالزنا. فهذا الاتهام

لا يُؤذي الفرد فحسب، بل يُزعزع استقرار الأسر، ويُلحق الضرر بالمجتمعات، وينشر الفساد في المجتمع. تكمن خطورة هذه الخطيئة في أنها تُهدّد أساس الثقة والشرف والكرامة التي تُبنى عليها العلاقات الإنسانية ومن خلال تأكيد الإسلام على هذه المسألة بهذه القوة، يسعى إلى صون شرف المرأة، والحفاظ على الانسجام الاجتماعي، وحماية النسيج الأخلاقي للمجتمع. عندما تُنتهك كرامة الإنسان بالقذف، فإن جرحه غالبًا ما يكون أعمق من أي جرح جسدي، إذ يُشوّه السمعة، ويُعزل الأفراد، ويُثير انقسامات قد تدوم مدى الحياة. ولذلك يُساوي الإسلام بين حماية العرض وحماية النفس والمال، جاعلاً إياه من أهم أولويات الدين. وقد ورد ذلك في صحيح البخاري، رقم 67 حديث.

وهكذا يُذكر كل إنسان بأن للكلمات وزناً عظيماً. فالحديث دون دليل ليس بالأمر الهين، بل هو إنتمٍ عظيمٌ يستوجب لعنة الله تعالى. ومن يكتُم لسانه عن هذه الاتهامات، لا يحمي الآخرين فحسب، بل يصون كرامته أمام الله تعالى يوم القيامة. وهكذا، يصبح الحفاظ على الكرامة مسؤوليةً شخصيةً وواجبًا جماعيًا، مما يضمن السلام والثقة والوئام في المجتمع.

سورة النور، الآية 23

"إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم"

وفي حديث موجود في صحيح مسلم برقم 290 حذر النبي صلى الله عليه وسلم من نمام لا يدخل الجنة.

هذا يُشير إلى من ينشر النميّة - صادقةً كانت أم كاذبةً - حين تُفضي إلى الفتنة، وزعزعة الثقة، وتصدع العلاقات. هذا السلوك صفةٌ شريرة، لأنه يُجسّد عمل الشيطان، الذي يسعى دائماً إلى زرع الفرقة بين الناس.

النميمة ونقلها ليسا من أفعال الحديث البريئة، بل هما أدوات هدامة تُفسد الأسر والصدقات والمجتمعات.
سورة الهمزة، الآية 104

"ويل لكل غماز وقذف"

كيف يتوقع المرء من الله تعالى أن يحل مشاكله وينعم عليه إذا كان محاصرًا بلعناته بسبب هذا السلوك؟ لا يجوز نقل الأخبار السيئة عن الآخرين إلا إذا كان ذلك بصدق لتحذير الناس من ضرر أو خطر حقيقي. لذا يجب على كل إنسان عدم الالتفات إلى النمام -، لأنه لا يمكن الوثوق به أو تصديقه. سورة الحجرات، الآية 6:

...يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة

تؤكد هذه الآية على الأهمية الحيوية للتحقق قبل التصرف بناءً على المعلومات. إن التصرف بسرعة بناءً على كلمات غير مؤكدة هو دعوة للظلم والندم والضرر الذي لا يمكن إصلاحه في كثير من الأحيان. لذلك فإن الشخص الحكيم يتوقف ويفكر ويتحقق قبل قبول أو نشر ما يسمعه. وقد تجسد هذا المبدأ في النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، خلال حادثة القذف. فقد خاطب علناً أهل المدينة المنورة، متسائلاً عن سبب قيامهم بالنميمة ونشر الأكاذيب عن عائلته وعن الصحابي صفوان بن المعطل، رضي الله عنهم جميعاً. وقد وردت هذه الحادثة في حديث موجود في صحيح البخاري، رقم 4750. يوضح سلوك النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم أنه لم يكن لديه شك في زوجته أو صاحبه، رضي الله عنهما. بدلاً من ذلك، أظهر مبدأ إعطاء الآخرين فائدة الشك ما لم يكن هناك دليل واضح لا يمكن إنكاره ضدهم. يُعلمنا مثاله ألا نسمح للشائعات بأن تُملئ علينا مشاعرنا أو أفعالنا، لأن ذلك يُفتح الباب أمام آثام أخرى كثيرة - الغيبة والنميمة والتجسس وهدم الثقة والعلاقات. حكمة هذا التوجيه خالدة. فالشائعات، إن لم تُكبح، تنتشر كالنار في الهشيم، فتُهلك السمعة وتُمزق العائلات والمجتمعات. في المقابل، يُحافظ التثبت وضبط النفس على الكرامة، ويحمي العلاقات، ويُعلي من شأن العدل. وقد بيّن النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم أن القوة الحقيقية لا تكمن

في ردّ الفعل على كل كلمة تُقال، بل في التحلّي بالصبر والفتنة والإنصاف. وهكذا، يتضح الدرس :يجب على المرء أن يُبني أحكامه وأفعاله على الحقيقة والدليل فقط .وأي شيء أقل من ذلك يُعرّضه للظلم في الدنيا والمساءلة في الآخرة

عن الاستمرار في هذه العادة المهلكة، ويحثه على التوبة النمام علاوة على ذلك، ينبغي للإنسان أن ينهى الصادقة .وفي الوقت نفسه، لا ينبغي للإنسان أن يضمر السوء لمن قيل عنه إنه تكلم عنه بسوء .سورة الحجرات، الآية ١٢

...يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم

سورة .تُعلم هذه الآية نفسها أيضاً أنه لا ينبغي محاولة إثبات كلام النمام أو دحضه بالتجسس على الآخرين :الحجرات، الآية ١٢

"...ولا تجسسوا"

يجب ألا يكرر الشخص المعلومات التي قيلت له، ولا ينبغي له أن يذكر . النمام بدلاً من ذلك، يجب تجاهل إلى ما هو أبعد النميمة تمتد مخاطر . بالنميمة للآخرين، لأنه إذا فعل ذلك فإنه يصبح هو نفسه مذنباً النمام من الفرد .إنها تسم أجواء المجتمعات بأكملها، وتخلق الشك والعداء والانقسام .إنها تقوض الثقة، التي هي أساس جميع العلاقات الصحية .فبدون الثقة، تنهار الأسر، وتتلاشى الصداقات، وتضعف المجتمعات .في الذين تجادلوا فيما بينهم حول من كان ،الواقع، لوحظ هذا حتى بين بعض الصحابة، رضوان الله عليهم مسؤولاً عن هذا الافتراء حيث كانوا في غاية الضيق لمشاهدة محنة النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم

لأن هؤلاء الأفراد لا يمكن أن يكونوا ، النمامين وصحبة النميمة لهذا السبب، يجب على الناس تجنب وعائلته جديرين بالثقة أو الصحبة حتى يتوبوا توبة صادقة

،في نهاية المطاف، يُعدّ ضبط النفس من أعظم ضمانات السلام، الشخصي والاجتماعي .فبرفض نشر النميمة والتحقق من المعلومات قبل التصرف بناءً عليها، وتشجيع الآخرين على تركها -، لا يحمي الإنسان كرامته .فحسب، بل يُسهم أيضًا في الحفاظ على اللئام والعدل والرحمة في المجتمع

لكن من يغفل عن النميمة سيواجه يومًا ما أبشع العواقب .يوم القيامة، ستنهض أعضاء أجسادهم التي استُخدمت لارتكاب هذه المعصية لتشهد عليهم .سيشهد على جرائمهم اللسان الذي أساء للآخرين بالنميمة والقليل والقال ستتكلم الأيدي التي استُخدمت لتشويه السمعة على صاحبها .ستشهد أيضًا الأقدام التي حملتها من مكان إلى :سورة النور، الآيتان ٢٤-٢٥ . آخر لنشر الشائعات والاتهامات

تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون، يومئذ يوفيههم الله أجورهم، ويعلمون أن الله هو يوم الحق المبين

في ذلك اليوم، لن يكون الإنكار ممكنًا، لأن الشهادة لن تأتي من الآخرين بل من الأعضاء نفسها .فالجسد الذي أسيء استخدامه في هذه الدنيا سيصبح أصدق شاهد في الآخرة .لتجنب هذه النتيجة المدمرة، يجب على الشخص أن يحفظ أعضائه من جميع أشكال الخطيئة .ووفقًا لحديث موجود في جامع الترمذي، رقم 2407 فإن أفضل طريقة لتحقيق ذلك هي تطهير الكلام .عندما يكون اللسان نقيًا، يتبعه سائر الجسد في الطهارة ،والخير، ولكن عندما يكون اللسان فاسدًا، يستجيب سائر الجسد بالفساد والشر .فاللسان إذن هو قائد الجسد :وانضباطه يحدد حال الإنسان كله .وهذا أيضًا مدعوم بالآية التالية .سورة النور، الآية 26

...والأشرار للكلام الخبيث. والكلام الطيب للأخيار، والطيبون للكلام الطيب، للأشرار

يمكن فهم الكلام في حد ذاته على ثلاثة أقسام رئيسية. الأول هو الكلام السيء، والذي يشمل القذف والكذب والشنائم والنميمة. يجب تجنب هذا تمامًا، لأنه لا يجلب إلا الضرر في هذه الدنيا والعقاب في الآخرة. الثاني هو الكلام الجيد، والذي يشمل كلمات الصدق والطف والتشجيع وذكر الله تعالى. يجب أن تُقال هذه الكلمات في الوقت المناسب وبالطريقة الصحيحة، لأنها ترفع من شأن كل من المتكلم والمستمع. الثالث هو الكلام الفارغ، وهو ليس إثماً ولا فضيلة ولكنه في النهاية لا طائل منه. على الرغم من أن الكلام الفارغ ليس إثماً في حد ذاته، إلا أنه غالباً ما يؤدي إلى كلام سيء، مثل الكذب والغيبة، وسيكون مصدر ندم يوم القيامة عندما يدرك الشخص مقدار الوقت والفرصة التي أهدرت على كلمات لا تحمل أي فائدة. ولذلك، أوصى النبي محمد صلى الله عليه وسلم في حديث صحيح مسلم رقم 176 بأن يقول الإنسان خيراً أو يصمت. فالصمت، إن درء الضرر، ليس ضعفاً، بل حكمة. والكلام الطيب، إن صدق، من أعظم الأعمال. فبحفظ اللسان، يحفظ الإنسان جسده كله. وبحفظ اللسان، يحفظ الإنسان عرضه، وعلاقته، ثم منزلته عند الله تعالى.

عندما يتبنى الإنسان الموقف الصحيح بضبط لسانه وضبط أفعاله، فإنه يضمن استخدام نعم الله تعالى كما هو منصوص عليه في التعاليم الإسلامية. هذا الجهد الواعي يؤدي إلى راحة البال في العالمين، لأنه يُنتج حالة من التوازن - عقلياً وجسدياً وروحياً. بوضع كل شيء وكل شخص في حياته وفقاً للهداية الإلهية، فإنه يحقق الانسجام في نفسه وفي علاقاته مع الآخرين. كما أن هذا السلام الداخلي بمثابة درع يحميه من الاتهامات الباطلة والانتقادات الجائرة من الناس. فمن عاش بصدق يعلم أن من يجب إرضاءه في النهاية هو الله تعالى فهو وحده يعلم حقيقة كل أمر، وهو وحده من سيجازي كل إنسان حسب أعماله. وهكذا يتحرر المؤمن من عبء السعي الدائم لرضا الآخرين، ويجد بدلاً من ذلك الطمأنينة في يقين العدالة الإلهية. سورة النور، الآية ٢٦:

"أولئك [الصالحون] بُرئوا مما يقولون [أي النقاد]، ولهم مغفرة ورزق كريم..."

هذه الآية تذكيرٌ بأن كرامة الصابرين على الحق محفوظةٌ عند الله تعالى، وإن شوّه الناس سمعتهم. فبراءتهم لا تثبت في الدنيا فحسب، بل تُعلن يوم القيامة، حين يُزال الباطل. فهم ينتظرون مغفرة ذنوبهم ورزقًا كريمًا في الدنيا راحةً بالاً، وفي الآخرة نعيمًا لا يُحصى

لذا، فإن سبيل السلام الحقيقي ليس في الرد على كل منتقد، أو الدفاع عن النفس ضد كل ادعاء باطل، بل في الإخلاص، وحفظ اللسان، واستعمال النعمة في طاعة الله تعالى. وبذلك ينال الإنسان السكينة الداخلية والثواب الأبدي.

علاوةً على ذلك، يُمكن فهم الآية التالية أيضًا على أنها تحذيرٌ عميقٌ من أن الإنسان يُعرّف بمصاحبته، فكلُّ سورة النور، الآية. فردٍ يتبنّى حتمًا الصفات الأخلاقية والعاطفية - سواءً أكانت جيدةً أم سيئةً - لمن يصاحبهم
٢٦:

النساء الخبيثات للرجال الخبيثين، والرجال الخبيثون للنساء الخبيثات. والنساء الطيبات للطيبين، والرجال "الطيبون للطيبات"

تُبرز هذه الآية أن الصحبة ليست مسألة محايدة، بل تؤثر تأثيرًا عميقًا في شخصية المرء وسلوكه ومصيره النهائي. فالأشخاص الذين يختار المرء مصاحبتهم يُشكلون عالمه الداخلي، ويُعززون معتقداته وعاداته، ويهدونه إلى الصلاح أو يُضلونه. ويزداد هذا المبدأ تأكيدًا في رواية موجودة في سنن أبي داود، رقم 4833 حيث أوضح النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم أن المرء يُعرّف بصحبته. فكما أن العطر يعلق بمن يجلس مع العطار، والسخام يتخلل من يقضي وقتًا بجوار الحداد، كذلك تنعكس أخلاق المرء على تأثير رفاقه فمن يحيط نفسه بال صالحين والصادقين والأتقياء، سيجد بطبيعة الحال أن قلوبهم تميل إلى الإخلاص والتواضع وطاعة الله تعالى. يصبح أصحابهم مرايا للفضيلة، يُذكرونهم بواجباتهم، ويشجعونهم على استغلال نعمهم على الوجه الأمثل، ويُلهمونهم للاستعداد ليوم القيامة. في صحبةٍ مُلهمة، يُحفظ الإنسان من الغفلة، ويُهدى إلى التوازن الروحي والعاطفي، ويُقوى إيمانه وسلوكه. وتتميّز حياتهم بالتناغم والحكمة ووضوح الهدف

على النقيض من ذلك، فإن من يخالطون الغافلين والفاستدين يعرضون أنفسهم للانحلال الأخلاقي. فتصبح أفكارهم وأقوالهم وسلوكهم انعكاساً لأفكار رفاقهم الضالين. وكما يُظهر التاريخ، فإن حتى الأفراد المخلصين، وحسني النية قد يتعثرون تحت تأثير رفقة السوء، تمامًا كما انحرف بعض الصحابة، رضوان الله عليهم مؤقتاً بفعل المنافقين في واقعة الافتراء. وهذا بمثابة تذكير دائم بأن البيئة التي يختارها المرء إما أن ترفعه أو تدمره. إن اتباع رفاق السوء والسلوكيات الفاسدة يؤدي حتماً إلى إساءة استخدام نعم الله تعالى. فيقسو القلب، ويتشوه الإدراك، وتضيع الأولويات. هذا الفساد الداخلي يُنتج اختلالاً عقلياً وروحياً، بل وحتى جسدياً. يبدأ هؤلاء الأفراد في النظر إلى الناس والممتلكات من خلال عدسة المصلحة الذاتية بدلاً من الامتنان والغاية. يغفلون عن محاسبتهم أمام الله تعالى، ساعيين وراء الملذات الزائلة والأوهام الدنيوية، غافلين عن الحقائق الأبدية. عاقبة هذا الطريق حتمية: اضطراب داخلي، واضطراب نفسي، وضيق في الدنيا والآخرة. قد تُلهيهم الرفاهية المادية مؤقتاً، لكنها لا تسد فراغ قلوبهم. تتوتر العلاقات، ويتلاشى السلام، ويلقي ثقل المعصية بظلاله على كل جانب من جوانب حياتهم.

في المقابل، من يختار الصحبة الصالحة يُرسّخ أساساً للسلام الدائم والتوازن والرضا. فيصبح أصدقائه مصدر هداية وقوة وسلوان، يُذكّرونه بالحق حين ينسونه، ويُعزّونه في لحظات ضعفهم، ويسيرون معه في رحلته نحو رحمة الله تعالى ومغفرته. هذه الصحبة تُحوّل حياة الإنسان إلى حياة غايتها السكينة والطمأنينة، وتُنبّهه لتحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، ومن خلال حسن توزيع على درب النجاح في الدنيا والآخرة، من خلال كل شيء وكل شخص في حياته.

عندما يختار المرء أن يُحيط نفسه بصحبة صالحة، ويتعد عن أولئك الذين يُؤذيهم تأثيرهم، فإنه سيواجه حتماً انتقادات هؤلاء. وكثيراً ما يستاء المتخلفون من التغيير، فيسخرون أو يُدينون من اختار طريق الصلاح. ومع ذلك، لا ينبغي أن يُنْهِيهم هذا النقد. فما داموا مُتمسكين باختيارهم للرفقة الصالحة، ومُستمرين على طاعة الله تعالى، مُستخدمين النعم التي وُهِبَتْ لهم وفقاً للتعاليم الإسلامية، فسinalون راحة البال في الدنيا والآخرة. وتتبع هذه الراحة من تحقيق حالة ذهنية وجسدية وروحية متوازنة، ومن حسن تدبير كل شيء وكل شخص في حياتهم وفقاً للهداية الإلهية. هذا التوازن يحميهم من لسعة النقد، لأنهم يُدركون أن من يُعْتَدُّ به حقاً هو الله تعالى. فهو يعلم صدق نواياهم وأفعالهم، وهو وحده من يُجازيهم على ذلك. سورة النور، الآية ٢٦

"أولئك [الصالحون] بُرئوا مما يقولون [أي النقاد]، ولهم مغفرة ورزق كريم..."

وهكذا، فإن طريق الصحبة الصالحة، وإن كان قد يثير انتقاداتٍ من أصواتٍ ضالة، إلا أنه يؤدي في النهاية إلى السكينة والتوازن والتوفيق الأبدي. ويتلاشى لوم الآخرين أمام ما وعد الله تعالى به من مغفرةٍ وثوابٍ كريمٍ في الدنيا والآخرة، من راحةٍ ونعيمٍ لا يُحصى.

سورة النور، الآية 26

النساء الخبيثات للرجال الخبيثين، والرجال الخبيثون للنساء الخبيثات. والنساء الطيبات للطيبين، والرجال "...الطيبون للطيبات

، من أساسيات الصحبة الصالحة طلب النصيحة من أهلها. فعندما اشتدت وطأة الافتراء في المدينة المنورة دعا النبي محمد صلى الله عليه وسلم اثنين من صحابته المقربين، علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد رضي الله عنهما، واستشارهما. قدّم علي رضي الله عنه النصيحة الصادقة، موضحاً له الحلول الممكنة، وأشاد الصحابيَّان بعائشة رضي الله عنها. بل طلبا شهادة أخرى من شاهدة، وهي جارية كانت تخدم في بيت النبي صلى الله عليه وسلم، ولم تُقرّ إلا بالخير لعائشة رضي الله عنها. وقد وردت هذه الحادثة في حديث صحيح البخاري، رقم 4750. ومن هذا المثال، يُستفاد أن النصيحة من الحكمة، ولكن يجب توخي الحذر. وينبغي للإنسان أن يتجنب عادة مشاركة مشاكله مع الكثيرين. عندما تُشارك الصعوبات بإفراط، غالباً ما يتحول طلب النصيحة إلى مجرد شكوى، وهذا دليل على نفاد الصبر. علاوة على ذلك، فإن استشارة الكثير من الناس تؤدي إلى الحيرة، لأن النصائح التي يتلقاها المرء ستكون متنوعة حتمًا، مما يجعل المرء أكثر حيرة. من ذي قبل. على النقيض من ذلك، فإن استشارة القليل من الحكماء والموثوقين تعزز اليقين وتوفر الوضوح كما أن تكرار مشاكل المرء باستمرار يضخمها في الذهن، ويجعلها تبدو أكبر مما هي عليه في الواقع، وهذا

قد يصرف المرء عن واجباته الأخرى، مما يؤدي إلى مزيد من نفاذ الصبر وعدم التوازن. لذلك، ينبغي على المرء أن يكون انتقائيًا في من يستشير به بشأن صعوباته. سورة النحل، الآية 43

"فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون..."

تُذكر هذه الآية الناس باستشارة أهل العلم. فمشورة الجاهل لا تؤدي إلا إلى مزيد من الضرر والحيرة. وكما أن استشارة ميكانيكي سيارات في أمور الصحة من الحماسة، فإن استشارة من يفتقر إلى المعرفة بالأمر المطروح، وخاصةً فيما يتعلق بالتعاليم الإسلامية، من الضلال أيضًا.

علاوة على ذلك، ينبغي على المرء ألا يُشارك مشاكله إلا من يخاف الله تعالى، لأن هؤلاء لن ينصحوا الآخرين بمعصية الله تعالى. أما من لا يخاف الله تعالى ولا يطيعونه، فقد يمتلكون علمًا وخبرة دنيوية، لكنهم يميلون إلى تقديم نصائح تؤدي إلى المعصية، مما يزيد المشكلة سوءًا. في الواقع، إن من يخاف الله تعالى هم أصحاب المعرفة الحقيقية، وهذه المعرفة وحدها هي التي تُهدي الآخرين في محنتهم. سورة فاطر، الآية 28

"إنما يخشى الله من عباده العلماء"

وهكذا، فإن موقف النبي محمد صلى الله عليه وسلم في حادثة القذف يُظهر أهمية استشارة نخبة من أهل العلم والورع. فهذا النهج لا يحفظ الكرامة والصبر فحسب، بل يضمن أيضًا أن تكون النصيحة مبنية على الإخلاص والحكمة وطاعته تعالى.

سورة النور، الآية 26

"أولئك [الصالحون] [بُرتوا مما يقولون] [أي النقاد]، ولهم مغفرة ورزق كريم..."

عندما اشتدت وطأة الافتراء في المدينة المنورة، زار النبي محمد صلى الله عليه وسلم عائشة رضي الله عنها برفق ورحمة. ذكّر لها بأن الله تعالى يغفر لمن تاب إليه توبة نصوحة. وما إن سمعت عائشة رضي الله عنها هذه الكلمات المطمئنة حتى كفت عن البكاء. ونظرت إلى والديها، راجية أن يدافعا عنها أمام النبي صلى الله عليه وسلم، لكنهما صمتا من شدة حبهما له واحترامهما له وتبجيلهما له. وإذا أدركت عائشة رضي الله عنها، وطأة الموقف، ردت بشجاعة وثبات. وأعلنت أنها لن تعترف بما لم تفعله، وأن خيارها الوحيد هو الصبر كما صبر النبي يعقوب عليه السلام على فقد ابنه الحبيب، النبي يوسف عليه السلام. وقد ورد تفصيل هذه الحادثة في حديث صحيح البخاري برقم 4750.

من الضروري ملاحظة أن النبي محمدًا صلى الله عليه وسلم لم يتهم عائشة رضي الله عنها قط بأي خطأ. بل على العكس، دافع علنًا عن شرفها. ومع ذلك، وبصفته النبي صلى الله عليه وسلم، كان عليه أداء واجبه بتذكيرها بأهمية التوبة إن شعرت بحاجتها إليها. كان بإمكان عائشة رضي الله عنها أن تستسلم بسهولة للغضب والإحباط من صمت من حولها، لكنها بدلاً من ذلك أظهرت رباطة جأش وصبرًا ملحوظين. وقد حفظ ضبطها لنفسها الثواب الروحي العظيم الذي ستحظى به لاحقًا.

أكد النبي محمد صلى الله عليه وسلم على فضل ضبط النفس في حديث ورد في صحيح البخاري رقم 6116، حيث نصح بتجنب الغضب. هذا لا يعني أنه لا ينبغي للمرء أن يغضب أبدًا، فالغضب عاطفة إنسانية فطرية، حتى عند الأنبياء عليهم السلام. في حالات نادرة ومبررة، مثل الدفاع عن النفس أو الوقوف في وجه الظلم - يمكن أن يخدم الغضب غرضًا بناءً. المعنى الحقيقي لهذا الحديث هو أنه يجب على المرء ضبط غضبه حتى

لا يؤدي به إلى معصية الله تعالى. وقد تجسد هذا المبدأ تمامًا في الأنبياء عليهم السلام، الذين لم يسمحوا لغضبهم أبدًا بتجاوز حدود الهداية الإلهية.

إن ضبط الغضب من أعظم المكارم الأخلاقية التي يسعى الإنسان إليها، فهو يؤدي إلى خير لا يُحصى، ويمنع شرًا كثيرًا. لذا، فإن هذا الحديث أمرٌ بغرس الأخلاق النبيلة - كالصبر والتواضع وضبط النفس - التي تُمكن الإنسان من كبت غضبه. فلا ينبغي للإنسان أن يتصرف وفقًا لغضبه، بل أن يُجاهد نفسه لكبته في سبيل الله: سورة آل عمران، الآية ١٣٤. تعالى

"والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين"

تُقدم التعاليم الإسلامية أساليب عملية للسيطرة على الغضب. ولأن الغضب مرتبط بالشیطان وغالبًا ما يكون مستوحى منه، فقد ورد في صحيح البخاري، رقم 3282، حديثٌ يُنصح فيه الشخص الغاضب بالاستعاذة بالله تعالى من الشيطان. وفي حديثٍ آخر في جامع الترمذي، رقم 2191، يُؤمر الشخص الغاضب بالتشبث بالأرض - وهو ما فسره العلماء على أنه السجود أو الانحناء جسديًا لتقليل العدوان. ويدعم ذلك حديثٌ في سنن أبي داود، رقم 4782، يُشير إلى أن اتخاذ وضعية جسدية سلبية عند الغضب يساعد على منع الانفجارات المؤذية. علاوةً على ذلك، في سنن أبي داود، رقم 4784، نصح النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم الشخص الغاضب بالوضوء، لأن الماء يُبرد حرارة الغضب بشكل طبيعي. واتباع ذلك بالصلاة يُعزز ضبط النفس ويجلب مكافأة روحية كبيرة.

لضبط الكلام، الصمت خير علاج عند الغضب. هذا ما فعلته عائشة رضي الله عنها، التي التزمت الصمت عند غضبها في الحادثة التي ذكرناها آنفًا. فالكلام في الغضب غالبًا ما يلحق جروحًا أعمق من الأذى الجسدي. لقد دُمّرت علاقات لا تُحصى بسبب كلمات طائشة في لحظات الغضب. ويحذر الحديث الوارد في سنن ابن ماجه، رقمه 3970، من أن كلمة سيئة واحدة قد تُدخل صاحبها النار يوم القيامة.

وصف النبي محمد صلى الله عليه وسلم من يكظم غيظه بأنه قويٌّ حقًّا، لا في قوته البدنية، بل في قدرته على نفسه. هذا مذكور في صحيح البخاري، رقم 6114. وبالمثل، ورد في سنن أبي داود، رقم 4778، أن من كظم غيظه لله تعالى امتلأ قلبه بالطمأنينة والإيمان الصادق. هذا هو "القلب السليم" المشار إليه في القرآن: سورة الشعراء، الآيتان 88-89. الكريم

"قلب " نقي يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب "

الغضب، إذا ما حُكم عليه وضبط، فهو محمود. فهو دفاع طبيعي ضد الإضرار بالدين والعرض والمال، إذا ما عيّر عنه في حدود الإسلام. كان النبي محمد صلى الله عليه وسلم يغضب لله تعالى فقط، لا لأمر شخصي. وقد تُبَيَّنَت هذه الصفة الكريمة في صحيح مسلم، رقم 6050. وكان خلقه، كما ورد في صحيح مسلم، رقم تجسيدًا للقرآن الكريم، أي أنه كان يرضى بما يرضي الله تعالى، ويغضب بما يغضبه، 1739

بل إن البغض لله تعالى يعد من إكمال الإيمان، كما في سنن أبي داود رقم 4681. وهكذا فإن الإسلام لا يأمر باستئصال الغضب نهائياً -وهو أمر مستحيل- بل بتنظيمه وضبطه وفق الحدود الإلهية

ومع ذلك، حتى الغضب في سبيل الله تعالى لا ينبغي أن يؤدي إلى تجاوز حدود العدل. وقد ورد في سنن أبي داود، رقم 4901، حديثٌ يُحذّر من عابِدٍ أعلن في غضبه أن الله لن يغفر لمذنبٍ ما. ونتيجةً لذلك، غفر الله تعالى للمذنب، وحكم على المتكبر بالجحيم. تُوضّح هذه الحادثة خطر السماح للغضب، حتى وإن كان مبرراً بأن يتحول إلى استعلاء على الذات أو حكم على الآخرين. في الحقيقة، تتبع جذور كل شرٍّ من أربعة دوافع غير مُقَيَّدة: الرغبة، والخوف، والطمع، والغضب. لذلك، فإن من يتعلم ضبط غضبه وفقاً للإرشاد الإسلامي يزيل ربع الشر من شخصيته وحياته

في الختام، من الضروري لكل إنسان أن يضبط غضبه حتى لا يدفعه إلى قول أو فعل يندم عليه لاحقاً - في الدنيا والآخرة. من يتعلم ضبط غضبه لا ينال محبة الله والمغفرة فحسب، بل ينال أيضاً السلام الداخلي، وقوة الشخصية، وصفاء القلب السليم، وهو نجاته يوم القيامة.

بعد أن بلغ الاضطراب والاضطراب ذروتها في المدينة المنورة، نزل الفرج والعدل الإلهي على عائشة رضي الله عنها. وقبل أن يتمكن النبي صلى الله عليه وسلم من النهوض من جلسته بعد أن تكلم عن الافتراء أنزل الله تعالى آيات برأت عائشة رضي الله عنها وأكرمتها إكراماً عظيماً، ودانت بشدة من بدأوا الباطل ونشروه. وقد ورد ذلك في حديث صحيح البخاري، رقم 4750

تُعدّ هذه الحادثة درساً خالداً في الإيمان والكرامة والعناية الإلهية. كان صبر عائشة رضي الله عنها وثباتها في وجه التهمة الباطلة سبباً لشرفها العظيم ومكانتها الرفيعة في الدنيا والآخرة.

الصبر عموماً هو تجنّب الشكوى من المصائب قولاً أو فعلاً، مع الإخلاص في طاعة الله تعالى طوال المحنة. هذه الطاعة تتضمن استخدام النعم فيما يرضيه، كما هو مبين في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. أساس الصبر الحقيقي هو التعلم والعمل به. كلما تعلم الإنسان وطبق تعاليم الإسلام، أدرك أن ما يقضيه الله تعالى هو في النهاية للخير، حتى وإن خفيت عنه هذه الحكمة. سورة البقرة، الآية ٢١٦

"وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ..."

ومن الأمثلة على هذه الحقيقة قصة النبي يوسف عليه السلام، الذي فُصل عن والديه في صغره، وهُجر في بئر، وبيع عبداً، وسُجن ظلماً. ومع ذلك، علّمت كل هذه الأحداث دروساً، وأعدت للمهمة العظيمة المتمثلة في إنقاذ شعب مصر من المجاعة. ولولا تحمّله تلك المشاق، لما استطاع إنقاذ أرواح لا تُحصى.

الإيمان بهذا المبدأ والتمسك به عند البلاء علامة إيمان حقيقية. فكثيراً ما يكون تسبيح الله تعالى في الرخاء أسهل، لكن الاختبار الحقيقي يكمن في تسبيحه وطاعته عند الشدة.

إن دراسة تعاليم الإسلام تُمكن المرء من مقارنة مصاعبه بمصاعب غيره ممن كانوا أحب إلى الله تعالى ومع ذلك عانوا مصاعب أشد. هذا التأمل يُعين المرء على اعتبار محنة صغيرة وسهلة، مما يُعزز عزمه على الصبر. وبالمثل، فإن رؤية الآخرين في زمنه ممن يواجهون مصاعب أشد تُلهمه التواضع والشكر.

يُعلم الإسلام أيضاً أهمية إدراك القدر. فكل أمر - سواء أكان يسراً أم عسراً - مكتوب ومقدّر. والشكوى مما لا حيلة له لا تُجدي نفعاً، بل تحرم المرء من الثواب الجزيل الموعود به للصبر. سورة الزمر، الآية ١٠

"إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب"

إذن، الإنسان أمام خيارين: إما أن يواجه أمراً لا مفر منه بصبر وينال ثواباً لا يُحصى، أو أن يواجهه بصبر ويخسر ثواباً كان من الممكن أن يناله. في كلتا الحالتين، سيقع الأمر، فالحكمة في الصبر ونيل النفع في الدنيا. سورة الحديد، الآيتان ٢٢-٢٣. والآخره

أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير. لكي ما... لا تيأسوا مما فاتكم

علاوة على ذلك، تُمكن دراسة التعاليم الإسلامية المرء من فهم أنه ليس كل ما يتمناه المرء خيرًا حقًا، وليس: سورة البقرة، الآية ٢١٦. كل ما يكرهه شرًا. الله تعالى أعلم بالخير، بينما الفهم البشري محدود

"وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ..."

لقد مرَّ كلُّ منَّا بلحظاتٍ جلب فيها ما تمنى مشقةً، وأتى ما خاف منه خيرًا لم يكن يتوقعه. من يُدرك هذه الحقيقة يبقى صبورًا راضيًا حتى لو خالفت الأحداث رغباته الشخصية

كما يُنقى الذهب بالحرارة الشديدة، يُصقل الإنسان ويُقوّى بالتجارب. من اعتاد حياةً هانئةً غالبًا ما يجد نفسه هشًّا نفسيًّا وعاطفيًّا عند مواجهة التحديات، بينما يكتسب من يختبرون الصعوبات القدرة على الصمود والتوازن. ومن خلال هذه التجارب، يُقوّي الله تعالى قلب الإنسان ويُهيئه لمسؤوليات أكبر في الحياة

،الصبر مطلوب في كل الأحوال، حتى في الرخاء. فعندما يُنعم المرء بالراحة أو الثروة أو الصحة الجيدة عليه أن يتحلّى بالصبر ليتجنب إساءة استخدام تلك النعم. وبهذا المعنى، يحمي الصبر من اليأس في الشدة والغرور في الرخاء

يجب أن يُفهم أيضًا أن الصبر لا يعني التقاعس، بل يشمل اتخاذ خطوات مشروعة وحكيمة لتحسين وضع المرء .على سبيل المثال، يجب على الزوجة التي يُسيء زوجها معاملتها أن تتخذ الإجراءات المناسبة لحماية نفسها وأولادها، كالانفصال عنه عند الضرورة .هذا التصرف لا يتعارض مع الصبر، بل يتعارض معه التقاعس مع استمرار الأذى .وبالمثل، فإن إظهار المشاعر - كالبكاء أو التعبير عن الحزن - لا يتعارض مع الصبر .لقد بكى النبي يعقوب عليه السلام بكاءً شديدًا على فراق ابنه حتى فقد بصره، ومع ذلك لم يُعَاتبه الله .تعالى على ذلك .سورة يوسف، الآية 84

"فتولى عنهم وقال يا أسفي على يوسف وابيضت عيناه من الحزن إنه كان كظاماً "

كذلك بكى النبي محمد صلى الله عليه وسلم عند وفاة ابنه إبراهيم رضي الله عنه، كما ورد في حديث سنن أبي داود رقم 3126 .وهذه الدموع وهذه المشاعر من فطرة الإنسان، وهي من مظاهر الرحمة، وليست من علامات نفاذ الصبر .وما ينافي الصبر هو معصية الله تعالى بالقول أو الفعل، كالشكوى من قضائه

يبدأ الصبر الحقيقي من أول لحظة للشدائد، ويجب المحافظة عليه حتى رحيل الدنيا .وقد دلّ على ذلك حديث في صحيح البخاري، رقم 1302 .الصبر بعد انقضاء الأجل ليس صبرًا حقيقيًا، بل هو مجرد قبول طبيعي لذا، يجب على الإنسان ضبط أقواله وأفعاله منذ أول لحظة للشدائد، والمحافظة على ذلك حتى الممات، ففعل واحد من قلة الصبر في الحياة قد يُفقد المرء ثواب الصبر العظيم

في الواقع، الصبر لا يمحي المشاعر، بل يُهذبها .يُحوّل الحزن إلى قوة، والشكوى إلى شكر، والمشقة إلى سُمُوً رُوحِي .الصبر ليس مجرد انتظار، بل هو ثبات على الحق في كل ظرف، واثقًا بأن الله تعالى لا يُحْمَلُ نفسًا فوق طاقتها، ويُجازي كل لحظة ثبات بسلام في الدنيا وتوفيق أبدي في الآخرة، بتوازن نفسي وجسدي، وبوضع كل شيء وكل شخص في حياته على الوجه الصحيح

بعد تأكّيده على أهمية الصحبة الصالحة، يُواصل الله تعالى توجيهاته بشأن التفاعل والسلوك الاجتماعي الأوسع
:سورة النور، الآية ٢٧

...يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها

عندما يخاطب الله تعالى المؤمنين في القرآن الكريم، تتجاوز دعوته مجرد الشكليات؛ إنها دعوة لهم لإظهار إيمانهم اللفظي من خلال العمل. إن ادعاء الإيمان دون عمل مماثل لا قيمة له عند الله تعالى. لا يبلغ الإيمان قيمته الحقيقية إلا بثمرته الصالحة، كما لا تنفع الشجرة إلا بثمرتها. في هذه الآية، يُذكر الله تعالى البشرية بأن شريعة الله شاملة لجميع جوانب الحياة، دينية كانت أم دنيوية. لا يُفرق الإسلام بين العبادات، كالصلاة والمعاملات الاجتماعية اليومية، كزيارة الآخرين. كل فعل وموقف مُحاط بهدى الشريعة الإلهية. لذلك، يجب على المرء أن يتجنب الفكرة الجاهلة بأن الله تعالى معني فقط بالواجبات الدينية، كالصلوات الخمس، مُهملاً السلوك الاجتماعي أو الأخلاقي. في الواقع، سيحاسب الله تعالى كل فرد على كل ما يمر به من أمور دينية ودنيوية، لأن كل لحظة من لحظات الحياة فرصة للتصرف وفقاً للحكمة الإلهية. لذا، ينبغي على الإنسان أن يسعى جاهداً لتعلم وتطبيق تعاليم الإسلام في كل ظرف لضمان صواب أفعاله وتوازنها وهدفها. هذا السعي يؤدي إلى انسجام حالته النفسية والجسدية، ويُمكنه من توزيع كل شيء وكل شخص في مكانه المناسب. ويُهيئه جيداً لمسؤولياته يوم القيامة. ثمر هذا النهج الشامل هو السلام الداخلي والطمأنينة في الدنيا والآخرة. لذا، يجب الحذر من اعتبار الإسلام ثوباً يُلبس ويُخلع بناءً على الأهواء والرغبات الشخصية. من يتصرف بهذه الطريقة، في الحقيقة، يعبد أهوائه دون الله تعالى، حتى وإن زعم غير ذلك. ويتضح هذا الأمر أكثر في
:سورة الفرقان، الآية 43

"...أرأيت من اتخذ إلهه هواه"

من يقصر في تطبيق قواعد السلوك الإلهي - في حياته الخاصة والعامة - سيُسِيء استخدام النعم الممنوحة له لا محالة. يؤدي هذا الإساءة إلى اختلال التوازن النفسي والجسدي، مما يفقده توازنه في أولوياته وعلاقاته وقيمه. ونتيجة لذلك، يعيش في حالة من الحيرة وعدم الرضا، غير مُستَعِدٍّ على الإطلاق للحساب النهائي يوم القيامة. حتى وإن بدا عليه النعيم الدنيوي، فإن دواخله تبقى قلقة ومُثْقَلَة. لا سبيل إلى النجاح والسكينة إلا بالاستسلام التام لهداية الله تعالى الكاملة والشاملة، هداية تشمل كل لحظة وكل فعل من أفعال الحياة.

سورة النور، الآية 27

...أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا بها يا

تُمثل الحياة الأسرية أحد أكثر جوانب الوجود الإنساني خصوصيةً وحساسية. ولذلك، لا يجوز دخول منزل غيره دون إذن مسبق، حتى لو كان من أقربائه المقربين أو أصدقائه الموثوق بهم. حرمة المنزل حقٌ يجب صيانتها، إذ يُعنى فيه الناس بشؤونهم الشخصية وأسرهم وشؤونهم الخاصة. واقتحام هذا المكان دون موافقة هو استخفافٌ باللياقة وكرامة الساكنين فيه. وفي العصر الحديث، أصبح التمسك بهذه الآداب أسهل، إذ يُمكن الاتصال بالأسرة مُسبقاً لترتيب موعد مناسب ومناسب للزيارة. هذا التصرف البسيط من الاحترام يُمكن الأسرة من الاستعداد، وإتمام شؤونها الخاصة، واستقبال ضيوفها براحة وطمأنينة. وبهذه الطريقة، تتحول الزيارة إلى مصدر بركة وراحة وسعادة متبادلة، بدلاً من أن تكون مصدر إزعاج أو عبء. وللأسف، كثيراً ما يُهمل هذا الآداب. يصل كثير من الناس، بمن فيهم من يحرصون على الواجبات الدينية والاجتماعية، إلى منازل الآخرين دون سابق إنذار، متوقعين استقبالهم واستضافتهم. وقد يُخطر آخرون ببضع دقائق فقط قبل وصولهم، مما يُجبر المضيف عملياً على استضافتهم، حتى لو كانوا منشغلين بمسؤوليات مُلحة. هذا السلوك يُتجاهل قدسية الحياة الأسرية ويُسبب ضغطاً لا داعي له على الآخرين. يكمن الاعتبار الحقيقي في إدراك أن لكل أسرة إيقاعها وواجباتها وشؤونها الخاصة. إن احترام هذه الحدود ليس مجرد مسألة مجاملة اجتماعية، بل هو انعكاس للإيمان وحسن الخلق والاحترام المتبادل. من خلال طلب الإذن وترتيب الزيارات بعناية يحافظ الشخص على كرامة المضيف، ويصون خصوصية الأسرة، ويضمن أن يصبح التجمع نفسه مصدراً للبركة والراحة وكرم الضيافة الحقيقي.

بالإضافة إلى ذلك، وكما هو مذكور في الآية ٢٧، يجب على المرء أن يتحلّى بالسلوك الصحيح عند زيارة شخص ما. سورة النور، الآية ٢٧

...أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها يا

تحية السلام في الإسلام ليست مجرد تعبير لفظي، بل التزامٌ يجب الوفاء به من خلال السلوك الصحيح. ويُحقق المرء هذه التحية على الوجه الصحيح بضمان انعكاس السلام في القول والفعل، وتجنب الأذى اللفظي والجسدي للآخرين وممتلكاتهم. ووفقاً لحديث ورد في سنن النسائي، رقم 4998، فإن هذا هو في الواقع تعريف المؤمن الحقيقي. لذا، من النفاق أن يُلقى أحدهم السلام على آخر بينما يُؤذيه في الوقت نفسه بالقول أو الفعل، لأن هذا السلوك يُنافي غاية التحية. وبناءً على ذلك، يصبح من الضروري على المرء مراعاة آداب وشروط زيارة الآخرين كما هو موضح في تعاليم الإسلام، حتى تصبح زيارته مصدر ثواب لا نقمة. يجب على الضيوف تجنب تجاوز مدة إقامتهم، مما يُسبب متاعب للمضيف وأسرته. وكما ذكرنا سابقاً، من السهل في العصر الحديث الاتصال بالأسرة مُسبقاً لترتيب وقت مناسب، مع ضمان أن تكون الزيارة مريحة ومُراعية. خلال الزيارات، يجب على الأفراد أيضاً حفظ ألسنتهم وأفعالهم، وتجنب المعاصي كالقيل والقال والغيبة والنميمة. ينبغي أن تكون الأحاديث هادفة، تدور حول أمور نافعة في الدنيا والآخرة. فعندما تُجرى الزيارات بهذه الطريقة فقط، فإنها تُؤتي ثمارها الموعودة في أحاديث النبي محمد صلى الله عليه وسلم. وإذا أهملت هذه الآداب، فقد لا تُؤتي الزيارة أي ثواب، بل قد تُفضي في بعض الحالات إلى الإثم، حسب سلوك الضيف وللأسف، يحرص كثير من الناس على القيام بالزيارة الظاهرة، وهي عمل صالح، لكنهم يُقصرّون في الوفاء. سورة النساء، الآية 114. بشروطها.

لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء رضوان الله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً

تُبرز هذه الآية أن المجالس والأحاديث الخاصة لا تُحمد إلا إذا كانت موجهة نحو الخير أو المصالحة أو الحث على العمل الصالح. وعندما تُقام الزيارات بهذه النية، فإنها تُصبح سبباً للرضا الإلهي والأجر العظيم. سورة:النور، الآية ٢٧:

يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم ولعلكم تتقون

وقد أكد الله تعالى على أهمية احترام حرمة بيوت الناس بمنع الدخول إليها بغير إذن، حتى مع الظن بخلوها. سورة النور، الآية ٢٨:

"فإن لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم"

،تُسلط هذه الآية الضوء على مبدأ عدم انتهاك خصوصية المنزل. قد يخطئ المرء بسهولة في مثل هذه الأمور فقد يظن أنه لا يوجد أحد بالداخل، بينما في الواقع، لم يسمع أهل المنزل صوت الضيف على الباب، أو قد يكون تعمد عدم الردّ لعدم ملائمة الوقت للزيارات. يُعدّ الدخول دون إذن في مثل هذه الحالات خيانةً للثقة واستخفافاً بكرامة المنزل. الاستثناء الوحيد الواضح لهذه القاعدة هو حالات الطوارئ الحقيقية، حيث يكون الدخول الفوري ضرورياً للحفاظ على الحياة أو منع وقوع ضرر جسيم. على سبيل المثال، قد يُطلب من رجال الشرطة أو رجال الإطفاء أو المسعفين دخول منزل دون إذن، حتى لو شكوا في خلوه، وذلك لحماية سلامة ساكنيه. يُظهر هذا التعليم التوازن في الآداب الإسلامية: من جهة، الاحترام التام للخصوصية والحدود الشخصية، ومن جهة أخرى، السماح باستثناءات حيث تقتضي الضرورة والرحمة اتخاذ إجراء عاجل. ويذكر الناس بأن حماية شرف وكرامة الآخرين جزء أساسي من الإيمان، وأن حتى الأفعال التي تبدو صغيرة، مثل انتظار الإذن قبل الدخول، لها وزن كبير عند الله تعالى.

مع أن العديد من الثقافات والمجتمعات قد تستهجن عادة رفض الضيوف، إلا أن الإسلام يُقرّها تمامًا، إذ قد سورة النور يجد أفراد الأسرة أنفسهم في مواقف يكون فيها استقبال الزوار أمرًا غير لائق على الإطلاق: الآية ٢٨

"...وإذا قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم "

تُبرز هذه الآية أن أمر العودة دون الدخول ليس مسألة تفضيل اجتماعي، بل هو أمر مباشر من الله تعالى لذلك، لا يحق للإنسان أن يشعر بالإهانة أو الانزعاج إذا طُلب منه المغادرة. وأيُّ إشارةٍ إلى الاستياء أو الضيق تجاه المُضيف في مثل هذه الحالة، هي في الواقع معصيةٌ لأمر الله تعالى. سورة النور، الآية ٢٨

"والله عليم بما تعملون"

يوضح هذا التذكير أن الله تعالى مطلع على نوايا كل فرد وردود أفعاله. حتى أدق مشاعر الانزعاج أو الكبرياء في مثل هذه الظروف تُسجل وتُحاسب عليها. علاوة على ذلك، يمكن تجنب هذه النتيجة عمومًا إذا امتنع الناس عن الوصول دون سابق إنذار. وكما ذكرنا سابقًا، أصبح من السهل في العصر الحديث الاتصال بالأسرة مسبقًا وترتيب وقت مناسب للزيارة. هذا لا يمنع الإزعاج فحسب، بل يضمن أيضًا الترحيب بالزيارة وتصبح مصدر بركة لكل من المضيف والضيف. وبالتالي، فإن آداب طلب الإذن وقبول إمكانية الرفض، ليست مجرد مجاملة اجتماعية، بل أمر إلهي. إنها تحمي حرمة الحياة الأسرية، وتحافظ على الاحترام المتبادل. وتظهر قلوب الناس بتعليم التواضع والصبر وطاعة الله تعالى.

الإسلام، كونه دينًا قائمًا على المنطق والتوازن واليسر، يُفَرِّق بين الأماكن الخاصة والعامة التي يدخلها الناس ويخرجون منها في حياتهم اليومية. فيُسمح بدخول المحلات والأسواق وغيرها من الأماكن المخصصة. سورة النور، الآية 30. للخدمات العامة دون إذن مسبق

"...لا جناح عليكم أن تدخلوا بيوتاً غير مسكونة فيها خدمة لكم "

توضح هذه الآية أن آداب الاستئذان تنطبق تحديدًا على المساكن الخاصة، حيث تُصان الحياة الأسرية والأمور الشخصية. في المقابل، تُستثنى الأماكن المخصصة للاستخدام العام من هذا الشرط، إذ إن غرضها الأساسي هو خدمة احتياجات المجتمع. يعكس هذا التمييز واقعية وحكمة التعاليم الإسلامية، التي لا تفرض أي مشقة لا داعي لها، بل تُقدم توجيهات منطقية وعملية. بعد بيان آداب زيارة الآخرين ودخول البيوت، يربط الله تعالى هذا الأمر الديني بطاعته مباشرة، مُذكرًا الناس بأن حتى الأعمال التي تبدو دنيوية مرتبطة بالإيمان: سورة النور، الآية ٢٩

"والله يعلم ما تبدون وما تكتمون "

هذا التذكير يرتقي بالنقاش من آداب السلوك الاجتماعي إلى المسألة الروحية. فهو يُعلِّم أن كل فعل - سواء دخول منزل، أو زيارة عائلة، أو دخول مكان عام - يقع تحت نظر الله تعالى. لا يخفى عليه شيء، سواء كان سلوكًا ظاهرًا أو نية باطنة. وهكذا، يُذكر المؤمن بأن تطبيق قواعد السلوك الإسلامي في حياته اليومية ليس مجرد مسألة مجاملة اجتماعية، بل هو طاعة لله تعالى. هذا الارتباط بين أمور الدنيا والطاعة الإلهية يُبرز مبدأً جوهريًا من مبادئ الإسلام: الإيمان لا يقتصر على العبادة، بل يمتد إلى كل جانب من جوانب الحياة. حتى طريقة دخول المرء إلى منزل أو سوق تُصبح انعكاسًا لعلاقته بالله تعالى، وفرصة لنيل رضوانه.

ثم يُولي الله تعالى اهتمامه لجوانب أخرى من التفاعل الاجتماعي. فالتواصل الاجتماعي جزء لا يتجزأ من حياة الإنسان، وعندما يُمارس وفقًا للأداب الإلهية، يُصبح وسيلةً لإرساء العدل والوئام والسلام في المجتمع، فمن خلال الأخلاق الحميدة والإخلاص والاحترام، تُعزز التجمعات الاجتماعية الروابط، وتُثَمِّي الرحمة وتُهيئ بيئةً يزدهر فيها العدل والتعاقد. ومع ذلك، عندما يُمارس دون انضباط أو التزام بالأداب التي نص عليها الإسلام، فقد يُصبح سريعًا مصدرًا للأذى. وقد يُفضي التفاعل غير المسؤول إلى معاصٍ كالقيل والقال والغيبة والنميمة، وقد يُسبب انقساماتٍ داخل العائلات، ويُشوّه السمعة، ويفتح بابًا للحسد والظلم والفساد المُنتشر في المجتمع. وما كان ينبغي أن يكون وسيلةً للوحدة والراحة، قد يُصبح، إذا أُسيء استخدامه، سببًا للشقاق والدمار. فالسلوك الاجتماعي ليس أمرًا هينًا، بل هو انعكاسٌ لطاعة المرء لله تعالى. بمراعاة آداب الكلام والتجمعات والعلاقات، لا يصون الإنسان شخصيته فحسب، بل يصون أيضًا استقرار -المجتمع وسلامته. سورة النور، الآية 30

يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون للمؤمنين

قبل أن نستعرض الوسائل المختلفة لحماية النفس من العلاقات غير الشرعية، من الضروري أولاً أن نفهم لماذا يحرم الإسلام العلاقات خارج إطار الزواج

أمر الله تعالى الناس بالزواج وحرّم العلاقات غير الشرعية. هذا الأمر ليس اعتباطيًا، بل هو نابع من حكمة سامية تصون السلامة العاطفية والنفسية والروحية. عندما لا يكون الزوجان مخلصين لبعضهما البعض كما هو الحال في الزواج، فإن أي صعوبة حقيقية يواجهانها غالبًا ما تُسبب اضطرابًا عاطفيًا أكبر. ونظرًا لافتقارهما إلى الشعور بالواجب والالتزام الذي يُضيفه الزواج، غالبًا ما يفشلان في دعم بعضهما البعض في أوقات الشدة. إن الدخول في علاقات متعددة والخروج منها طوال الحياة يترك ندوبًا عاطفية دائمة، مما يؤدي إلى مشاعر عدم الاستقرار والفراغ الداخلي. لذلك، ليس من المستغرب أن يلجأ الكثير ممن يمرون بتجارب انفصال متكررة إلى الاستشارة النفسية ويعانون من الاكتئاب واضطرابات نفسية أخرى أكثر بكثير من أولئك الذين يتجنبون مثل هذه العلاقات. علاوة على ذلك، غالبًا ما يجد من يُعرفون في المجتمع بتعدد علاقاتهم صعوبة في جذب شريك مخلص يُفي بحقوقهم. وذلك لأن الانخراط المُعتاد في مثل هذه العلاقات يُعزز شخصية مُداعية وغير موثوقة، وهي سمات يجدها من يسعون إلى التزام مدى الحياة غير مرغوب فيها بطبيعة الحال. ونتيجة لذلك، فإن إخفاقاتهم العاطفية المتكررة لا تؤدي إلا إلى تعميق محنتهم

تفتقر العلاقات غير الشرعية أيضًا إلى توافق الأهداف على المدى الطويل. في كثير من الأحيان، يرغب أحد الشريكين في الالتزام، بينما يسعى الآخر إلى رفقة مؤقتة فحسب. عندما يتضح هذا التباين، فإنه يؤدي إلى دمار عاطفي لمن استثمر قلبه بعمق. على النقيض من ذلك، يبدأ الزوجان علاقتهما على أساس من الالتزام المتبادل والنية المشتركة. يدعم كل منهما الآخر في جميع تغيرات الحياة - سواء كانت مخططة أو غير متوقعة، مثل ولادة الأطفال. نادرًا ما نجد هذا الشعور بالاستقرار والإخلاص في العلاقات خارج إطار الزواج.

علاوة على ذلك، تُوهم العلاقة غير الشرعية الشخص بأنه يعرف شريكه تمامًا. وعندما يتزوج، غالبًا ما يشنكي من تغير شريكه. في الواقع، لم يتغير الشخص؛ بل تكشف مسؤوليات الزواج وضغوطه الجديدة جوانب من شخصيته لم تكن معروفة من قبل. ولهذا السبب غالبًا ما تواجه العلاقات التي تبدأ بشكل غير شرعي توترًا زواجيًا أكبر. حتى العيش المشترك قبل الزواج لا يمنع هذه النتيجة. ومن المعروف أيضًا أن الاضطراب العاطفي في العلاقة يؤثر على كل جانب من جوانب الحياة. على سبيل المثال، يتخلى العديد من الشباب عن تعليمهم أو حياتهم المهنية لمجرد أنهم لا يستطيعون تحمل رؤية شريك سابق. في المقابل، يكون الزوجان المتزوجان، المرتبطان بالالتزام مقدس، أقل عرضة بكثير لحل رابطتهما بسبب مثل هذه القضايا العابرة.

ومع ذلك، لا ينبغي أن يندفع المرء بالمظهر الخارجي للعلاقات غير الشرعية، مفترضًا أنها غير ضارة. فالإدراك البشري محدود ومشوّش بالعواطف، مما يدفع الناس إلى إغفال الضرر الخفي الكامن في الأفعال التي تتعارض مع التوجيه الإلهي. وسيُجرّ الشخص في مثل هذه العلاقة حتمًا إلى مزيد من المعصية، إذ يصعب كبح جماح العواطف والرغبات. ومع مرور الوقت، غالبًا ما يؤدي هذا إلى خطايا كالزنا - وهو فعل مُسلّم به في العديد من المجتمعات ولكنه مُدمّر من الناحيتين الأخلاقية والاجتماعية. وتُفضي العلاقة الحميمة غير الشرعية إلى مشاكل عديدة، منها الحمل غير المرغوب فيه، وتفكك الأسرة، والتقليل من شأن الخطايا الجسيمة الأخرى.

حتى لو تجنب الشخص المخالفات الجسيمة في علاقة غير شرعية، فإن تعلقه العاطفي يُشوّش على حكمه. قد يتزوج من شخص غير مناسب لمجرد مشاعر قوية، متجاهلاً أهمية التقوى والتوافق. ونتيجةً لذلك، يُكابِد لاحقاً تحت وطأة المسؤوليات، مما يؤدي إلى الخلاف والندم. قد تُعمي مشاعر الحب المرء عن عيوب شريكه. وهو تحذيرٌ ورد في حديثٍ واردٍ في سنن أبي داود، رقم 5130 -

علاوة على ذلك، يجذب من يعيشون حياةً غير أخلاقية آخرين ذوي شخصية مماثلة. يستغل الأفراد غير المتدينين بعضهم البعض لإشباع رغباتهم الشخصية بدلاً من الاحترام المتبادل. غالباً ما تتسم هذه العلاقات بالإساءة اللفظية والإذلال والندوب العاطفية التي تبقى لفترة طويلة بعد الاعتذار. في كثير من الحالات، تتطور هذه العلاقات إلى إيذاء جسدي. عندما يذبل الجمال أو الشباب، يبحث الشريك غير المتدين عن شريك آخر. معتبراً العلاقات كمالياتٍ يمكن الاستغناء عنها. يؤدي هذا السلوك إلى صدمة عاطفية عميقة وعدم استقرار. تستمر دورة الأذى للجيل التالي. غالباً ما ينشأ الأطفال المولودون خارج إطار الزواج أو في علاقات غير مستقرة في أسر مفككة دون دعم مستمر من كلا الوالدين. تؤكد الإحصاءات والملاحظات على حد سواء أن العديد من الشباب الذين ينجذبون إلى الجريمة أو العصابات أو الاستغلال يأتون من مثل هذه البيئات. إن تربية الأطفال في منزل مستقر ومحب أمرٌ صعب حتى عندما يكونون مرغوبين - فكم يكون الأمر أصعب عندما لا يكونون كذلك؟ غالباً ما يدفع العبء العاطفي الآباء والأمهات العازبين إلى التخلي عن أطفالهم من أجل الكفالة أو التبني، مما يزيد من خطر تعرض الطفل للأذى العاطفي والاجتماعي.

كل هذه النتائج المدمرة أشبه بسُمٍ مُخبأ في وجبة تبدو شهية. فمجرد عدم رؤية السم لا يجعله غير ضار. وبالمثل، قد تبدو العلاقات غير الشرعية جذابة، لكنها تنطوي على ضرر خفي لا يدركه إلا الله تعالى. وهكذا يثق العاقل بأمره، كما يثق المريض العاقل بنصيحة طبيبه - فيقبل دواءً مُراً أو حميات غذائية مُقيّدة، عالماً أنها تؤدي إلى صحة دائمة. إن العمل بهدي الله تعالى يضمن السكينة والتوازن في الحالة النفسية والجسدية بينما اتباع الفهم المحدود يجلب ضرراً لا مفر منه. المعرفة البشرية، على الرغم من تقدمها، لا تزال محدودة جداً عن حل جميع المشكلات الأخلاقية والعاطفية. لا يمكن للناس أبداً التنبؤ بجميع عواقب أفعالهم. الله تعالى وحده هو الذي يملك المعرفة الكاملة اللازمة لهداية البشرية نحو الرفاهية الحقيقية، وقد كشف عن هذه المعرفة في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. وتظهر هذه الحقيقة بوضوح عند مقارنة السلام والوئام بين من يعيشون بالهداية الإلهية وبين الضيق والاضطراب بين من لا يعيشون بها.

لقد حلَّ الله تعالى، بحكمته اللامتناهية، مشاكل مجتمعية لا تُحصى بمعالجة جذورها، مُحَرِّمًا العلاقات غير الشرعية، ومُشجِّعًا على الزواج، ذلك الاتحاد المقدس القائم على الإخلاص والمسؤولية والإخلاص. ومن خلال هدايته للزواج والطلاق والأرامل وتربية الأبناء، منح البشرية مفتاح بناء أسر مستقرة، تُشكِّل بدورها أساسًا لمجتمع سليم. فعندما يُؤدِّي أفراد الأسرة - سواءً كانوا مُجتمعين أو مُنفصلين - حقوق بعضهم البعض ويُوفِّرون بيئةً مُؤهَّلةً لأطفالهم، يستفيد المجتمع بأسره من هذا الاستقرار. في المقابل، عندما تتفكَّك الروابط الأسرية، ينتشر الإهمال والشقاق في المجتمع، مُؤدِّيًا إلى ضررٍ واسع النطاق. لقد اقترح العديد من المفكرين عبر التاريخ حلولاً لقضايا مجتمعية، لكن جهودهم غالبًا ما تُعالج أعراضًا سطحية فقط. أما الله تعالى، فيُحلِّ سورة النحل، الآية. هذه المشاكل باستهداف جذورها، مُصحِّحًا الأساس الأخلاقي والروحي للأفراد والأسر

89:

"ونزلنا عليك الكتاب تبيانًا لكل شيء وهدى ورحمة"

ولكن من استخدم العقل والبصيرة التي وهبها الله تعالى له، سيدرك الحكمة العميقة الكامنة في كلماته. سورة النور، الآية ١:

"وأنزل فيه آيات بينات لعلكم تتفكرون ..."

،وقد وقرَّ الله تعالى وسائل واضحة وعملية لحماية النفس من الوقوع في علاقات غير شرعية. هذه الوسائل من خلال تحقيق، عند تطبيقها بإخلاص، تصون الإيمان والكرامة، وتعزز الاستقرار النفسي والسلام الداخلي حالة نفسية وجسدية متوازنة، ومن خلال حسن توزيع كل شيء وكل شخص في حياته. سورة النور، الآية

30:

"...قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم "

:وسورة النور 24 الآية 31

"وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن"

تُرسى هذه الآيات خط الدفاع الأول ضد الفتنة. فالنظر بوابة القلب، فإذا ترك دون رقابة، أثار الشهوة، والتي، غالباً ما تتطور إلى فعل معصية. وقد حذّر النبي محمد صلى الله عليه وسلم في حديث ورد في صحيح مسلم رقم 6753، من أن زنا العين هو النظر. ويوضح هذا القول العميق أن المعصية لا تبدأ بالعمل الجسدي فحسب، بل غالباً ما تتبع من العين التي تُغذي القلب والعقل بصور تُثير الميول المحرمة. لذا، فإن غض البصر ليس مجرد اجتناب للمعصية الجسدية، بل هو تحصين للقلب من الفساد. بغض البصر، يُطهر الإنسان نفسه، ويُنمي الحياء الداخلي، ويُقوّي درع ضبط النفس. هذا النظام يُنمي التواصل، ويُكبح الغرور، ويمنع الخيال من الضلال. علاوة على ذلك، فإن غض البصر تدريب للإرادة. يُعلّم الإنسان تقديم طاعة الله تعالى على الشهوات العابرة، مما يُعزز الوعي الروحي. فبضبط البصر يطمئن القلب، وبصفاء القلب يقوى الاتصال بالله تعالى ويخلص. وهكذا، فإن أمر غض البصر ليس قيداً، بل هو حماية، يحفظ الكرامة والشرف والطهارة. ويضمن سلامة الفرد والمجتمع من عواقب الشهوات الجامحة.

تؤكد التعاليم الإسلامية على أن حتى التفاعل الخاص بين الرجال والنساء، حتى لو كان بنوايا حسنة ظاهرياً، قد يفتح باباً للفتنة. لذلك، ينبغي تجنب التواصل غير الضروري، لا سيما في الأماكن المنعزلة أو الخاصة سواءً وجهاً لوجه أو عبر الوسائل الحديثة كالرسائل الخاصة ومواقع التواصل الاجتماعي. وقد حذّر النبي محمد صلى الله عليه وسلم في حديث ورد في جامع الترمذي، رقم 2165، من أنه لا يخلون رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما. ويوضح هذا التحذير الخالد أن العزلة، مهما كان شكلها، تخلق بيئة تُثير فيها الشهوات. وتُضعف فيها القيود. وقد وسّعت التكنولوجيا الحديثة نطاق العزلة إلى ما هو أبعد من المساحات المادية فالمحادثات الخاصة التي تُجرى عبر الإنترنت، وإن كانت تبدو غير ضارة ظاهرياً، إلا أنها قد تُعزز تدريجياً

التعلق العاطفي، وتُضعف الانضباط الروحي، وتُفضي إلى علاقة حميمة غير لائقة. وما يبدأ كتواصل عابر قد يؤدي، مع مرور الوقت، إلى تآكل الحدود وجر الأفراد إلى مواقف تُناقض الهداية الإلهية. والحكمة من هذا التعليم واضحة: الوقاية أيسر بكثير من العلاج. باجتنب الأسباب التي قد تُشعل الشهوة، يحفظ الإنسان كرامته، ويصون صفاءه، ويحمي قلبه من الفساد قبل أن يقع في المعصية. وهذا النهج الاستباقي يعكس رحمة الله تعالى، الذي هداية البشرية لا بتحريم المعصية فحسب، بل بسدّ أبوابها أيضًا.

. علاوة على ذلك، يأمر الله تعالى الرجال والنساء بالاحتشام، ليس في الملبس فحسب، بل في السلوك أيضًا.
سورة النور، الآيتان 30-31:

قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يفعلون. وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو أبناء إخوانهن أو أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن

يعمل الحياء كدرع واقٍ يحمي الأفراد من الاهتمام غير اللائق ويمنع نوع الانجذاب الذي غالبًا ما يؤدي إلى الانحطاط الأخلاقي. وصف النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم الحياء بأنه جزء لا يتجزأ من الإيمان كما هو مسجل في حديث موجود في صحيح البخاري رقم 24. هذا الوصف يرتقي بالحياء من كونه فضيلة اجتماعية فحسب إلى كونه صفة مميزة للنزاهة الروحية. عندما يتبنى الشخص الحياء - سواء ظاهريًا في الملبس أو باطنيًا في السلوك - فإنه يصون كرامته ويساهم أيضًا في الحفاظ على النقاء الأخلاقي داخل المجتمع. الحياء يكبح الغطرسة ويكبح الرغبات غير اللائقة ويغذي التواضع، مما يعزز بيئة من الاحترام، واللياقة. إنه يضمن أن تظل التفاعلات الاجتماعية سليمة وخالية من الفساد ومواتية للثقة. علاوة على ذلك لا يقتصر الحياء على المظهر وحده، بل يمتد إلى الكلام والسلوك وحتى الفكر. يتجنب الشخص المتواضع التباهي، ويتجنب الكلام البذيء أو المؤذي، ويتصرف بلطف وضبط. وهكذا، يصبح التواضع صفةً شاملةً تُشكل الشخصية، وتحمي العلاقات، وتعزز النسيج الأخلاقي للمجتمع. وهكذا، يكون التواضع ضمانًا شخصيةً وضرورةً اجتماعيةً في آنٍ واحد. وبتجسيده، لا يحمي الشخص نفسه من الأذى فحسب، بل يُحافظ أيضًا على الكرامة الجماعية للمجتمع، ويضمن السلام والاحترام والوضوح الأخلاقي.

أوصى النبي محمد صلى الله عليه وسلم بالصيام علاجًا عمليًا لمن يكفحون لكبح جماح شهواتهم. وقد ورد ، هذا التوجيه في حديث صحيح البخاري رقم 5066. فالصيام تهذيب للنفس، يُضعف شوكة الشهوات الدنيوية ويُكبح جماح النزوات التي غالبًا ما تُفْضي إلى المعصية. فمن خلال الصيام، يتعلم الإنسان الصبر وضبط النفس وزيادة -الوعي بالله تعالى. وبالامتناع طواعيةً عن الملذات الحلال كالطعام والشراب، يُعزز الفرد قدرته على مقاومة المغريات المحرمة. هذا التدريب الروحي يُقلل من احتمالية الوقوع في علاقات مؤذية أو سلوكيات غير أخلاقية، إذ يُصبح القلب أكثر انسجامًا مع الطاعة، والعقل أكثر وعيًا بالمسؤولية أمام الله تعالى. وهكذا، لا يكون الصيام عبادة فحسب، بل هو أيضًا درع يحمي الإنسان من مخاطر الشهوات الجامحة. ويهديه إلى النقاء والاستقرار والقوة المعنوية.

بالإضافة إلى ذلك، وكما سبق، ينبغي على المرء أن يختار بعناية رفاقًا يجسدون قيمًا كالعفة والحياء وطاعة الله تعالى، لأن هذه الصحبة تقوي العزيمة الأخلاقية وتنمي الفضيلة. فالرفاق الصالحون مصدر تشجيع في أوقات الضعف، إذ يذكرون المرء بالمبادئ العليا ويرشدونه إلى السلوك القويم. وعلى العكس من ذلك، فإن معاشرة من يسيئون إلى الأخلاق الحميدة تُضعف تدريجيًا الحساسية الروحية. فالتعرض المستمر للسلوك الفاسد يُضعف القلب، فيبدو المعصية تافهة والفضيلة ثقيلة. ومع مرور الوقت، يمكن لهذه الصحبة أن تجذب المرء بعيدًا عن الطاعة وتقوده إلى الغفلة والهلاك. وقد حذر من هذا الواقع صراحةً في حديث موجود في سنن أبي داود، رقم 4833، والذي يُبرز التأثير العميق للرفقة على الشخصية والمصير. أصدقاء الشخص ورفاقه ليسوا محايدين؛ فهم إما يرفعون حاله بتقريبه إلى الصلاح أو يحطون من شأنه بجره إلى المعصية. لذا، فإن اختيار الرفاق ليس أمرًا هينًا، بل عامل حاسم في تشكيل مسار المرء الروحي. فبإحاطة المرء بمن يُقدِّرون النقاء والتواضع والإخلاص، يصون إيمانه، ويقوي عزمته، ويضمن أن يبقى طريقه متوافقًا مع رضى الله تعالى.

،لمن يملك القدرة المادية، شرع الزواج كوسيلة لكبح جماح الشهوة بتوفير منفذ شرعي كريم. سورة النور
:الآية 32

"...وانكحوا غير المتزوجين منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم "

الزواج ليس مجرد ترتيب اجتماعي، بل هو عبادة تُلبى الاحتياجات الجسدية والنفسية على نحو يُرضي الله تعالى. وقد حثّ النبي محمد صلى الله عليه وسلم على الزواج في الوقت المناسب، وحذّر من التأخير غير المبرر، لأن العزوبية الطويلة تزيد من خطر الفتنة وتُضعف العزيمة. وقد أشار إلى ذلك حديثٌ في صحيح البخاري، رقم 5066. ومع ذلك، فإن الزواج الناجح لا يُبنى فقط على الانجذاب الجسدي أو العاطفة العابرة بل يكمن أساسه الحقيقي في التقوى والإخلاص والوفاء المشترك. وقد أكّد حديثٌ في صحيح البخاري، رقم 5090 على هذا المبدأ، والذي ينصح بتقديم الإيمان والصلاح على كل اعتبار آخر. فعندما يضع كلا الشريكين التقوى في مركز قرارهما، يتعزز اتحادهما بالإخلاص والإخلاص المتبادل. ويصبح هذا الزواج مصدرًا للوئام الدائم والاستقرار والحماية من الخطيئة. فهو يُنمي الصحبة المتجدّرة في الإيمان، ويضمن أداء المسؤوليات بنزاهة، ويحوّل المنزل إلى ملاذٍ للسكينة والبركة. وهكذا، لا يُلبى الزواج احتياجات الفرد فحسب، بل يُسهم أيضًا في رفاه -المجتمع، فالأسر المتينة تُشكّل أساسًا لمجتمع عادل وأخلاقي

في نهاية المطاف، من أقوى وسائل التحكم في الشهوة تذكر المساءلة. سورة النور، الآية 30

يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون للمؤمنين

من أقوى روادع المعصية إدراك أن كل إنسان سيقف بين يدي الله تعالى يوم القيامة. وقد وصف النبي محمد صلى الله عليه وسلم في حديث ورد في صحيح البخاري رقم 6806 أحد الأصناف السبعة الذين يظلمهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله. وهذا الشرف مُخصّص لمن يكفون عن الزنا إجلالاً له، مُبَيّنين أن القوة الحقيقية تكمن في مقاومة الفتن طلباً للرضا الإلهي. إنّ التذكير الدائم بالموت والحساب يُكبح جماح الشهوات ويُطهر النية. ويُذكّر الإنسان بأنّ كلّ خواطرٍ خفية، وكلّ نظرة خفية، وكلّ فعلٍ خفيٍّ معلومٌ لله تعالى، وإن خفيّ عن الناس. هذا الوعي يُغرس التواضع، ويُغذي الإخلاص، ويُقوّي العزم على اجتناب المعصية. هذا الوعي يُحوّل الحياة اليومية إلى استعدادٍ للأخرة. بتذكر حتمية الوقوف بين يدي الله تعالى، يتعلم الإنسان أن

يزن كل عمل بعناية، وأن يترك الملذات الزائلة التي تُدْعَم، وأن يسعى إلى الأعمال التي تُؤتي ثمارها الباقية وهكذا، لا يُصبح تذكُّر المساءلة درعاً من الفتن فحسب، بل مصدرًا للسلام الداخلي أيضًا، من خلال تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في حياته على النحو الصحيح

كما هو مبين في ختام الآية ٣١، فإن الله تعالى لا يطلب الكمال من الناس، ولا يتوقع منهم السلامة من الخطأ (سورة النور). بل يأمرهم بالسعي الصادق إلى طاعته في جميع مناحي حياتهم، والرجوع إليه عند التقصير (الآية ٣١).

"...وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا..."

تُبرز هذه الآية أن التوقع الحقيقي ليس الكمال، بل الإخلاص - استخدام نعم الله تعالى على النحو الذي حددته التعاليم الإسلامية، والتوبة الصادقة عند ارتكاب الذنوب. من يتبنى هذه العقلية قد وُعد بالمغفرة والتوفيق وراحة البال في الدنيا والآخرة. مثل هذا الشخص يحقق التوازن النفسي والجسدي بوضع كل شيء وكل: سورة النور، الآية 31. شخص في مكانه الصحيح في الحياة

"وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون..."

التوبة الصادقة ليست مجرد نطقٍ بالفاظ، بل هي عمليةٌ تتضمن عدة عناصر أساسية. فهي تتطلب ندمًا صادقًا على الذنب المرتكب، وطلبًا لمغفرة الله تعالى، وطلب العفو من كل من ظلم إن أمكن، شريطة ألا يؤدي ذلك إلى مزيد من الأذى أو المتاعب. كما تتطلب عزماً راسخاً وصادقاً على عدم تكرار الذنب نفسه. أو ما شابهه في المستقبل. علاوةً على ذلك، تتطلب إصلاح أي حقوقٍ انتهكت، سواءً كانت لله تعالى أو للناس، وتكتمل التوبة الصادقة بالاستمرار في طاعة الله تعالى بإخلاص، واستخدام نعمه على الوجه الصحيح

والسعي للعيش وفقاً لهديته. وهكذا، لا تصبح التوبة وسيلةً لمحو أخطاء الماضي فحسب، بل أيضاً سبيلاً إلى التجديد الروحي والسكينة الداخلية والنجاح الدائم.

كما ذكرنا سابقاً، يُعدّ الزواج من أنجع السبل لمقاومة إغراء إشباع الشهوات، فهو منفذٌ شرعيٌّ كريم
:سورة النور، الآية 32

"...وانكحوا غير المتزوجين منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم "

في هذه الآية، يُنسب البرّ تحديداً إلى العبيد، إذ كانوا غالباً أقلّ حياءً في ذلك العصر. ولذلك، نُصح الناس بالزواج من العبيد الصالحين فقط حفاظاً على حرمة زواجهم. مع ذلك، لا يعني هذا جواز الزواج من غير الكافر. بل على العكس، أوضح النبي محمد صلى الله عليه وسلم في حديثٍ ورد في صحيح البخاري، رقم أن الزواج لأربعة أسباب: المال، والنسب، والجمال، والتقوى. وختم حديثه بتحذير من الزواج من 5090، أجل التقوى، وإلاّ خسر.

،من المهم إدراك أن الصفات الثلاث الأولى المذكورة في هذا الحديث زائلة وناقصة. قد تُضفي سعادةً مؤقتة لكنها في النهاية تُصبح عبئاً ثقيلاً، لارتباطها بالدنيا المادية بدلاً من مصدر النجاح الحقيقي والدائم - الإيمان. الثروة لا تضمن الرضا؛ بل غالباً ما يكون الأغنياء من بين أكثر الناس استياءً. النسب لا يضمن حسن الخلق أو نجاح الزواج، وعندما تفشل هذه العلاقات، غالباً ما تُلحق الضرر بالروابط الأسرية. الجمال، أو الحب القائم على الانجذاب الجسدي فقط، غير مستقر بنفس القدر، إذ يتلاشى مع الزمن ويتقلب بتقلب المزاج التاريخ مليء بأمثلة لأزواج ادعوا يوماً ما أنهم مغرمون جداً بالحب، ثم تحولوا لاحقاً إلى احتقار بعضهم البعض.

مع ذلك، لا يقتضي هذا الحديث الزواج من فقير أو غير جذاب. فالاستقرار المالي ضروري لإعالة الأسرة والانجذاب المتبادل عنصر أساسي في الزواج السليم. بل يُعَلِّم الحديث أن هذه الصفات لا ينبغي أن تكون الدافع الرئيسي أو النهائي للزواج. فالتقوى هي الأساس الحقيقي للزواج الناجح. فالمتدين ينفذ أوامر الله تعالى ويتجنب نواهيه، ويواجه المصير بصبر، مُقْتَدِيًا بسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. ومثل هذا الشخص يُعامل زوجته بلطف وإنصاف في السراء والضراء. في المقابل، غالبًا ما يُسيء من يفتقرون إلى التقوى معاملة أزواجهم عند الغضب، وحتى في أوقات الرخاء قد يُقَصِّرون في أداء حقوق زوجاتهم جهلاً. وهذا أحد سورة فاطر، الآية 28. أسباب ازدياد الخلافات والعنف الأسري في الآونة الأخيرة

"...إنما يخشى الله من عباده العلماء..."

يهتم المتدين بأداء حقوق الآخرين، كالزوج مثلاً، أكثر من اهتمامه بالمطالبة بحقوقه. فهو يدرك أن الله تعالى سيسأله عن أدائهم لحقوق الآخرين، لا عن أدائهم لها. أما الكافر، فينشغل بالحقوق التي تُحددتها الثقافة أو الموضة أو الشهوات الشخصية، لا بالإسلام. ونادرًا ما يرضى هؤلاء، حتى لو أدى الزوج واجباته وفقًا للتعاليم الإسلامية. ولذلك، يرتبط الجهل بالإسلام ارتباطًا وثيقًا بانتهيار الزواج والطلاق

لذلك، ينبغي على كل من يرغب في الزواج أن يكتسب أولاً معرفةً بمسؤولياته، أي فهم حقوق الزوج/الزوجة، وواجباته، وحسن التعامل معهما في مختلف الظروف. فالجهل بهذا الجانب يؤدي إلى مطالب غير واقعية وخلافات لا داعي لها، وربما إلى الانفصال. فالعلم، وهو أصل التقوى، هو أساس الزواج السليم الناجح

سورة النور، الآية 32

"...وانكحوا غير المتزوجين منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم "

بشكل عام، ولأن ممارسة أسر الأسرى في المعارك والحروب كانت شائعة في جميع أنحاء العالم، لم يُحرّمها الإسلام صراحةً، لأن ذلك كان سيُضع المسلمين في موقف حرج مقارنةً بأعدائهم. فلو حُرّم عليهم الأسرى وأُبيح لغيرهم، لكانت النتيجة -تزايداً مستمراً في عدد الأسرى داخل المجتمع الإسلامي، بينما كان الطرف الآخر سيُجنّبهم هذه العواقب. بل اتخذ الإسلام نهجاً تدريجياً وحكيماً: فحسّن أولاً أحوال الأسرى وضمن معاملتهم بكرامة ورحمة، ثم وضع تدابير تُفضي في نهاية المطاف إلى القضاء على الرق كما كان يُمارس آنذاك. حتّى الله تعالى على حسن معاملة الأسرى، بحيث يُعاملون معاملة أفراد الأسرة. أمر النبي محمد صلى الله عليه وسلم بإطعامهم من طعام أسيادهم، وإلباسهم من ثيابهم، وعدم تكليفهم بأعباء ثقيلة. بل أمر أسيادهم بمساعدتهم في واجباتهم. ورد هذا في حديث صحيح مسلم، رقم 4313. وفي الوقت نفسه، شجع الإسلام على عتق الرقاب باعتباره من أفضل الأعمال، ووعد بثواب عظيم لمن فعل ذلك. فعلى سبيل المثال وُعد من أعتق رقبة لله تعالى بالعتق من النار، كما ورد في حديث جامع الترمذي، رقم 1541. علاوة على ذلك، جعل الإسلام عتق الرقاب كفارة لبعض الذنوب، رابطاً بذلك التطهير الروحي بالإصلاح الاجتماعي على سبيل المثال، سورة المجادلة، الآية 3

والذين يظهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ذلكم توعظون به والله خبير بما تعملون

عند تطبيق هذه التعاليم، عومل الأسرى بكرامة ورحمة، وكثيراً ما اندمجوا في الأسر كأفراد. ومع مرور الوقت، أدى هذا النظام، إلى جانب التشجيع المتكرر على تحرير العبيد، إلى القضاء تدريجياً على العبودية. كما كانت تُمارس على نطاق واسع

للأسف، لا تزال العبودية بأشكالها المختلفة قائمة في بعض أنحاء العالم، كالاستغلال المالي والقمع الممنهج لذلك، يجب على الناس اليوم مواصلة الرسالة النبوية في القضاء على جميع أشكال العبودية، كلّ حسب إمكانياته، سواءً من خلال الدعم المالي أو الدعوة أو الإصلاح الاجتماعي. وبذلك، فهم يُحافظون على روح الإسلام الذي يسعى إلى تحقيق العدل والكرامة والحرية للجميع

مع أن الإسلام يُحمّل الزوج مسؤولية الأسرة المالية، إلا أنه لا ينبغي أن يثنيه خوف الفقر عن الزواج. بل يُؤمر بالسعي في الرزق الحلال بحسب استطاعته، واثقًا تمامًا بأن الله تعالى قد قدر رزقه ورزق زوجته وأولاده قبل خلق السماوات والأرض بأكثر من خمسين ألف عام. وقد تأكد هذا الواقع في حديث صحيح مسلم، رقم 6748. لذلك، لا ينبغي أن يكون خوف الضائقة المالية عائقًا أمام الزواج، شريطة أن يجد المرء سورة النور، الآية 32. زوجًا مناسبًا، كما سبق بيانه

وانكحوا غير المتزوجين منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله" واسع عليهم

تُبرز هذه الآية أن الرزق بيد الله تعالى، وأن الفقر لا ينبغي أن يُنظر إليه كعائق دائم. بل إن الزواج بحد ذاته فالزواج ليس وقايةً من الفتن. وسيلةٌ يُنعم الله تعالى من خلالها بنعمه، إذ يُوسع الرزق على من توكل عليه فحسب، بل هو أيضًا إيمانًا بالعناية الإلهية. فبعقد الزواج بصدقٍ وتوكلٍ على الله تعالى، يُعزز الإنسان ثقته به، ويُحقق سننًا نبيلة، ويفتح بابًا للغنى الروحي والمادي

يُؤمر العاجزون عن الزواج - سواءً لضيق ذات اليد أو لعدم عثورهم على الزوج المناسب - بالعفة وتجنب جميع أشكال العلاقات غير الشرعية. هذا لحماية أنفسهم من عواقب الفساد العديدة، التي سبق تفصيلها بدلاً من ذلك، عليهم اتباع الخطوات الموضحة سابقًا للحفاظ على عفتهم، والصبر انتظرًا لفضل الله تعالى سيرزقهم الله في الوقت المناسب أسباب الزواج ويرزقهم الزوج المناسب الذي يعينهم على طاعته. بهذا الصبر والتوكل على الله تعالى، ينالون راحة البال في الدنيا والآخرة، محققين التوازن في حالتهم النفسية والجسدية، وموفقين في حياتهم وفق التوجيه الإلهي. سورة النور، الآية 33

"...وَلَيْسْتَغْفِرَ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ "

تُبرز هذه الآية أن العفة ليست مجرد قيد مؤقت، بل هي عبادة وتوكل على العناية الإلهية. فبثبات الإنسان على ذلك، يصون كرامته، ويقوي عزمته، ويهيئ نفسه لبركات الزواج حين يقضي الله تعالى بها.

كما ذكرنا سابقاً، قدّم الإسلام تدابير عملية عظيمة للقضاء على الرق، منها جعل تحرير الرق كفارة لبعض الذنوب. إضافةً إلى ذلك، شجع الله تعالى المسلمين على السماح لعيبيدهم بشراء حريتهم من خلال عقود. كما أمر مالكي العبيد بالتساهل في هذه العملية بالمساهمة من أموالهم الخاصة وتقديم الدعم المالي حتى بعد التحرير، ليتمكن الفرد المُعتق من بدء حياته الجديدة بكرامة واستقرار. سورة النور، الآية 33

"...والذين يبتغون ميثاقاً ممن ملكت أيمانكم فتعاقدا معهم إن علمتم فيهم خيراً وآتوهم من مال الله الذي آتاكم"

في هذه الآية، يُذكر الله تعالى الناس بأن ما يملكونه من مال وأصول ليس ملكاً لهم حقاً، بل هو ملكٌ له وحده. إنها أمانةٌ للبشر كقرضٍ لا هبةٍ دائمة. يجب ردّ القرض إلى صاحبه الشرعي، وطريقة ردّ القرض الذي منحه الله تعالى هي استخدامه فيما يرضيه. وهكذا، فعندما يُساعد الشخص المحتاجين، فهو لا يُقدّم معروفاً لله تعالى، ولا حتى للمستفيد؛ بل هو يُسدّد ديناً مستحقاً لربه. إن إدراك هذه الحقيقة يمنع التكبر وجحود الجميل في الحقيقة، إن الله تعالى هو الذي فضّل المُعطي بمنحه بركاتٍ دنيوية في المقام الأول، وبمنحه فرصة كسب مكافآتٍ جسيمة من خلال أعمال الكرم. كذلك يُحسن المحتاج إلى المانح بقبول مساعدته، فبدون المحسنين كيف ينال المرء الجزاء الموعود في التعاليم الإلهية؟ إن تذكر هذه النقاط يحمي الإنسان من إضاعة ثوابه بالكبرياء أو الاستعلاء، بل يُنمي التواضع والشكر والإخلاص، ويضمن أن تكون أعمال الخير خالصة لوجه الله تعالى، لا من أجل الشهرة.

ويؤكد الله تعالى على حسن معاملة العبيد بتحريمه القاطع لاستغلالهم في الكسب المادي غير الأخلاقي أو
:سورة النور، الآية 33. الفاحش

"...ولا تَكْرهوا فتيتاكم على البغاء إن أردن تحصننا ابتغاء عرض الحياة الدنيا "

تبرز هذه الآية عدل الإسلام ورحمته، الذي لم يقتصر على تحسين أحوال العبيد فحسب، بل سعى أيضاً إلى حماية كرامتهم وشرفهم. أغلق الإسلام باب إحدى أكثر الممارسات إهانةً في ذلك الوقت، مُذكِّراً الناس بأن الربح الدنيوي لا يُبرر انتهاك عفة الآخرين أو إنسانيتهم. علاوة على ذلك، فإن الإسلام دين عدل وتوازن فهو يُقرّ بأن من يُكره على ارتكاب المعصية دون إرادته لا يُحاسب أمام الله تعالى. بل يقع عبء المعصية بالكامل على من أجبره على ذلك، وسيُحاسب على أفعاله في الدنيا والآخرة. يعكس هذا المبدأ عدالة الإسلام الأوسع: فالمحاسبة مرتبطة بالنية والاختيار. والإكراه يُسقط المسؤولية عن المظلوم ويُلقِيها على الظالم. سورة النور، الآية 33

"ومن يكرههم فإن الله من بعد إكراههم لغفور رحيم "

وبهذه الطريقة فإن الإسلام لا يحمي الضعفاء من الاستغلال فحسب، بل يحذر الأقوياء أيضاً من أن إساءة استخدامهم للسلطة سوف تؤدي إلى عواقب وخيمة.

من يتأمل بصدق، بعيداً عن التحيز والتعصب، يدرك حتماً أن التعاليم الواردة في هذه السورة - بل في القرآن الكريم بأكمله - تتجاوز كل قواعد السلوك البشري. إن هداية الله تعالى لا تقتصر على مُثُلٍ مجردة، بل تُوفر إطاراً شاملاً يوصل الأفراد إلى راحة البال في الدنيا والآخرة. فهي تُحقق التوازن في الحالة النفسية والجسدية، وتُعلّم الناس وضع كل شيء وكل شخص في حياتهم على الوجه الصحيح، وتضمن انتشار العدل

والوئام في المجتمع. ويتحقق ذلك من خلال إحقاق حقوق الآخرين، والقضاء على الفساد، وإزالة أسباب الظلم
:سورة النور، الآية 34

"ولقد أنزلنا إليك آياتٍ مبيناتٍ "

تُبرز هذه الآية أن القرآن الكريم ليس مجموعة أقوال غامضة، بل هو كتاب وضوح وبرهان وهداية. تعاليمه خالدة، تُلبّي احتياجات الأفراد والمجتمعات في كل العصور. مهما بلغ تقدم الحضارة، ومهما اكتسبت من معارف في مختلف المجالات - بما في ذلك الطب وعلم النفس وعلوم الجسد والعقل - يبقى من المستحيل على الإنسان أن يضع ميثاقًا للسلوك يتوافق تمامًا مع طبيعته البشرية، وقادرًا على معالجة كل ظرف وحالة وسيناريو قد يواجهه الأفراد أو المجتمعات. تواصل البشرية اكتشاف رؤى جديدة حتى في وجودها، مثل وظائف الدماغ البشري، إلا أنها لا تزال بعيدة عن إدراك حقيقة الطبيعة البشرية كاملة. فكيف يُمكنها إذاً أن تُنشئ نظامًا متكاملًا يضمن الطمأنينة والعدل والوئام على المستويين الفردي والاجتماعي؟ الله تعالى وحده هو من يملك المعرفة والسلطة لوضع مثل هذا الميثاق. فهو خالق كل شيء، وعلمه لا حدود له، يُحيط بالماضي والحاضر والمستقبل في كل شيء. هو وحده المؤهل لتزويد البشرية بقواعد سلوك تُميّز بوضوح الخير من الشر، والنفع من الضرر، وتُرشد الناس إلى الطمأنينة في عالم يسوده التوتر والاضطراب وعدم اليقين. والتاريخ نفسه يشهد على هذه الحقيقة. فكلما طُبِّقت قواعد السلوك الإلهي بأمانة في حياة الأفراد والمجتمعات، أثمرت الطمأنينة والعدل والسلام. وازدهرت المجتمعات، وتوطدت الأسر، ووجد الأفراد غايةً وكرامةً. وعلى العكس، عندما أهملت التوجيهات الإلهية، انتشر الفساد والظلم والفوضى. سورة النور، الآية 34:

"...وأمثال من الذين خلوا من قبلكم ..."

لذا، على الناس أن يتقبلوا هدى الله تعالى، مدركين أنه أنفع لهم -، حتى لو تعارضت بعض جوانبه مع ميولهم أو رغباتهم الشخصية. عليهم أن يتعاملوا مع الهداية الإلهية كما يتعامل المريض الحكيم مع نصيحة الطبيب

الماهر، متقبلين حتى الدواء المر والحمية الصارمة، عالمين أنها في النهاية موصوفة لصحتهم ونفعهم الدائم وبالمثل، قد تبدو أوامر الله تعالى صعبة أحياناً على النفس البشرية، لكنها في الحقيقة طريق الحرية الحقيقية وهكذا، فإن من يخشى عواقب إساءة استخدام نعم الله تعالى، سيظل. والكرامة والنجاح في الدنيا والآخرة، حذرًا ويقظًا. إنهم يدركون أن الغفلة تؤدي إلى اختلال التوازن النفسي والجسدي، وإلى سوء ترتيب الأولويات وإلى إهمال الحقوق، ووضع الناس والممتلكات في غير محلها. والأهم من ذلك، أنهم يدركون أن هذا الإهمال ولذلك، ينبغي للحكماء أن ينتبهوا للهداية الإلهية. سورة. يؤدي إلى عدم الاستعداد للحساب النهائي يوم القيامة: النور، الآية ٣٤

"وَمَذْكُرَةٌ لِلَّذِينَ يَخْشَوْنَ"

إنهم يقبلون ويطبّقون قواعد السلوك الإسلامي، حتى لو تعارضت مع ميولهم الشخصية أو رغباتهم الدنيوية ويعلمون أن راحة البال الحقيقية، في الدنيا والآخرة، تكمن في طاعة الله تعالى وحده. فبضبط شهواتهم وتوفير حياتهم مع أوامره، يحققون التوازن والوضوح والسكينة، بينما يبقى من يتبعون أهوائهم في قلق واضطراب وهكذا، فإن قواعد السلوك الإسلامي ليست قيدًا، بل رحمة، تحمي الأفراد من الهلاك -وتهديهم إلى الطريق الوحيد الذي يضمن لهم النجاح الدائم

سورة النور، الآية 34

أنزلنا إليك الآيات من كل بيّنات ومثلا من الذين خلوا من قبلك وموعظة للمتقين ولقد

إن تعبيرات القرآن الكريم فريدة تمامًا، لا مثيل لها في أي تأليف بشري. تُنقل معانيه بوضوح ودقة، بينما تجسد كلماته وآياته مستوى من البلاغة لا يمكن لأي كتاب آخر أن ينافسها. إنه خالٍ تمامًا من التناقض - وهي

سمة غائبة عن جميع الكتب المقدسة والأنظمة الأخرى التي تم وضعها خارج الإسلام. يروي القرآن الكريم تاريخ الأمم السابقة بالتفصيل، على الرغم من حقيقة أن النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم لم يتلق تعليمًا رسميًا في التاريخ. وهذا وحده يقف كدليل واضح على أصله الإلهي. يأمر القرآن الكريم بكل شكل من أشكال الفضيلة ويحرم كل شكل من أشكال الرذيلة، سواء كانت هذه الأمور تتعلق بالأفراد أو تمتد إلى المجتمع الأوسع. الغرض منه هو إقامة العدل والأمن والسلام في كل منزل ومجتمع. على عكس الشعر والأساطير أو الخرافات، فإن القرآن الكريم خالٍ من المبالغة والزيف والاختلاق. كل آية لها غرض وفائدة وقابلة للتطبيق العملي في الحياة. حتى عندما يتم تكرار قصة، فإنها لا تكون زائدة عن الحاجة أبدًا؛ كل رواية تكشف عن دروس ورؤى جديدة. بخلاف أي كتاب آخر، لا يُرهق القرآن الكريم قارئه أبدًا، مهما تكررت دراسته فحكمته لا تنتضب. يقدم القرآن الكريم وعودًا وتحذيرات، مدعومة دائمًا بأدلة واضحة لا تقبل الجدل. عندما يتناول صفات قد تبدو مجردة - مثل الصبر والشكر والتواضع - فإنه يوفر أساليب عملية لتجسيدها في الحياة اليومية. إنه يدعو البشرية إلى تحقيق غاية الخلق: طاعة الله تعالى بإخلاص، باستخدام نعمه على النحو الذي يرضيه. وبذلك، يضمن الإنسان راحة البال والنجاح في الدنيا والآخرة - محققًا التوازن في حالته العقلية والجسدية، ووضع كل شيء وكل شخص في مكانه الصحيح، والاستعداد للمساءلة يوم القيامة. يجعل القرآن الكريم الصراط المستقيم واضحًا وجذابًا لكل من يسعى بصدق إلى الحقيقة والسكينة. ولأنه يتناول جوهر الطبيعة البشرية، فإن هدايته خالدة، ومناسبة لكل شخص، وكل مكان، وكل جيل. إنه علاج للصعوبات النفسية والاجتماعية والاقتصادية، بل وحتى الجسدية، إذا فهم وطُبّق تطبيقًا صحيحًا. فهو يُقدّم حلولًا لكل مشكلة قد يواجهها الفرد أو المجتمع. سورة النور، الآية 34

"ولقد أنزلنا إليك آياتٍ مبيناتٍ "

يشهد التاريخ نفسه أنه كلما طُبِّقت تعاليم القرآن الكريم بصدق، ازدهرت المجتمعات بالعدل والرخاء والوئام.
سورة النور، الآية 34

"...وأمثال من الذين خلوا من قبلكم ..."

لقد مرّت قرون، ولم يُغيّر حرف واحد من القرآن الكريم، فقد وعد الله تعالى بحفظه. لا يوجد كتاب آخر في سورة الحجر، الآية 9. التاريخ يتحلّى بهذه الصفة الفريدة

"إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ"

. علاوة على ذلك، يتناول القرآن الكريم جذور المشكلات لدى الأفراد والمجتمعات، ويقدم حلولاً عملية لها. وبتصحيح الجذور، تُحل تلقائياً فروع المشكلات العديدة الناجمة عنها. سورة النحل، الآية 89

"...ونزلنا إليك الكتاب تبيانا لكل شيء..."

هذه أعظم وأبقى معجزة أنعم بها على خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم. ومع ذلك، لا ينال نورها إلا من بحث عن الحق وعمل به بإخلاص. أما من اتبع أهوائه، أو انتقي منه بعضاً دون اتباعه، فسيخسر الدنيا والآخرة). سورة الإسراء، الآية 82)

.وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا

:وسورة النور الآية 34

"وموعظة للمتقين..."

:سورة النور، الآية 34

"...وأمثال من الذين خلوا من قبلكم..."

هذا يُذكّر البشرية بأن مجرى التاريخ، ومحن الأفراد، والتجارب الجماعية للأمم، ليست وليدة الصدفة. فكل حدث هو آية مدروسة، غنية بالحكمة، وضعها الله تعالى لمن أراد التأمل والتفكير. فالحياة، بكل تعقيداتها بمثابة فصل دراسي واسع للتعليم الإلهي، حيث كل نجاح وكل مصيبة تحمل دروساً تُرشد المتأمل إلى البصيرة والنمو. لذا تُحذّر الآية من اتباع نهج أنانيّ وغافل في الحياة، نهجٌ يحصر فيه الإنسان اهتمامه في شؤونه الشخصية، ويتجاهل الحقائق الكبرى المحيطة به. هذا المنظور المحدود يحجب القلب عن إدراك المعاني العميقة الكامنة في الخلق. وعندما يُصاب القلب بالعمى بهذه الطريقة، فإنه يعجز عن استخلاص الحكمة من آيات الله تعالى، وبالتالي يفقد فرصة النمو الروحي والأخلاقي والعقلي. إن التأمل الحقيقي يُليّن القلب ويُنيره مما يؤدي إلى صفاء الهدف وتوازن المشاعر. يُمكن الإنسان من فهم تجاربه في سياقها، وإيجاد معنى في اليسر والشدة، والحفاظ على التوازن في حالته النفسية والجسدية. من خلال التأمل الصادق، يتعلم المرء أن يُعطي كل شيء وكل شخص في الحياة مكانه الصحيح، وبالتالي يُحقق الانسجام بين المسؤوليات الدنيوية والتطلعات الروحية. على سبيل المثال، عندما يتأمل المرء في حال من يملكون ثروة طائلة وشهرة لكنهم يُسيئون استخدام نعمهم، يتضح أن الرخاء المادي وحده لا يضمن راحة البال. فرغم ثرائهم، يُغلب على كثيرين القلق والإدمان واليأس. تكشف معاناتهم أن الانغماس في الشهوات دون قيود لا يؤدي إلا إلى الفراغ على العكس من ذلك، فإن التأمل في من يُثقل كاهلهم المرض يُثير الامتنان في الأصحاء، ويُلهمهم على تقدير عافيتهم واستخدامها فيما يُرضي الله تعالى قبل أن تُسلب. لذلك يدعو الإسلام الناس إلى العيش بوعي وفطنة، إلى السمو فوق ضيق ظروفهم الشخصية واستخلاص الحكمة من كل مشهد من مشاهد الحياة. كل لحظة - سواءً كانت مليئة بالراحة أو بالمشقة، تحمل رسالةً تهدف إلى تعزيز التواضع والامتنان والرفق الروحي.

:سورة النور، الآية ٣٤

"وَمَذْكُرَةٌ لِلَّذِينَ يَخْشَوْنَ"

من يخشى عواقب إهمال الهداية الإلهية، يلجأ بطبيعة الحال إلى نورها، فيرشده في كل قرار يتخذه. هذا النور يهديه إلى الصراط المستقيم، ويضمن له استخدام نعم الله تعالى وفقاً لتعاليمه. وهكذا، يحقق التوازن في حالته النفسية والجسدية، ويضع كل شيء وكل شخص في مكانه الصحيح، ويستعد جيداً للحساب يوم القيامة. هذا السلوك يؤدي إلى راحة البال في الدنيا والآخرة، إذ تُنير حياته بالهداية الإلهية كما تُنير السموات والأرض: سورة النور، الآية 35. بقدره الله تعالى

"...الله نور السماوات والأرض"

ثم يضرب الله تعالى مثلاً من أعمق الأمثال في القرآن الكريم لوصف طبيعة هدايته. فيشبهه نوره بمشكاة فيها: سورة النور، الآية 35. مصباح

مثل نوره كمشكاة فيها مصباح، المصباح في زجاجة، الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة... "زيتونة لا شرقية ولا غربية، يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار، نور على نور

يحمل هذا المثل معانٍ متعددة. فالمحراب يمثل القلب البشري، المخلوق لاستقبال النور الإلهي وعكسه. والمصباح يرمز إلى الإيمان الذي يتوهج بنور الوحي الإلهي. والزجاج يمثل النقاء والوضوح، يحمي اللهب ويعظم بريقه، كما تعظم الروح الطاهرة أثر الهداية الإلهية. أما شجرة الزيتون، التي لا توصف بأنها شرقية ولا غربية، فترمز إلى العالمية والتوازن، فالوحي الإلهي يتجاوز الحدود الثقافية والجغرافية والزمانية. أما

الزيت، المكرر لدرجة أنه يكاد يتوهج دون نار، فيرمز إلى الفطرة الفطرية في كل إنسان - وهي الاستعداد لإدراك الحقيقة. وعندما يلمس الوحي هذه النزعة الفطرية، تكون النتيجة "نورًا على نور"، أي امتزاج الوحي (سورة الأعراف، الآية 172). الإلهي بالنفس المؤمنة التي شهدت يومًا بربوبية الله تعالى في العهد الأزلي

"وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا "

بهذا النور، يُمنح المؤمن القدرة على التمييز بين الخير والشر، وبين سبيل الطمأنينة وسبيل الشقاء، وبين النافع والضار. هذا الوضوح يُمكنه من اتخاذ القرارات الصائبة في كل ظرف، وتجنب التأثيرات الضارة واستغلال كل نعمة على الوجه الصحيح، ووضع كل شيء وكل شخص في مكانه الصحيح. وهكذا، يصبح: سورة النور، الآية 35. هذا النور سبيله إلى راحة البال في الدنيا والآخرة

"...يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ..."

يُسلط هذا المثل الضوء أيضًا على حدود المعرفة البشرية. فرغم كل التقدم في علم النفس والطب وعلوم الجسد والعقل البشريين، لا يستطيع البشر تصميم نظام خالٍ من العيوب يضمن التوازن والسلام والعدالة، فالنصيحة البشرية مقيدة بخبرة محدودة وبصيرة محدودة وتحيز. فهي لا تحمي الإنسان من كلّ أنواع التوتر ولا تضمن وضع كلّ شيء وكلّ شخص في مكانه الصحيح. الله تعالى وحده يملك المعرفة الكاملة، وقد وهبه للبشرية سبيل الوصول إليها من خلال القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. هدايته هي النور الوحيد الذي يُنير درب الحياة حقًا، ويؤدي إلى النجاح في الدنيا والآخرة. سورة النور، الآية 35

"والله بكل شيء عليم"

يدعو الإسلام باستمرار كل فرد، مهما كان مستوى علمه أو تحصيله العلمي، إلى التدبر في القرآن الكريم
:سورة النور، الآية 35

"ويضرب الله الأمثال للناس "

:وسورة ص 38 الآية 29

«كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب»

:وسورة النحل الآية 44

"بالبينات والأحكام، وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم، ولعلمهم يتفكرون"

تُظهر هذه الآيات أن التدبر في القرآن الكريم ليس حكرًا على العلماء وحدهم، بل هو مسؤولية وامتياز لجميع المؤمنين. وبالتالي، فإن فكرة أن العلماء وحدهم هم من يمكنهم تأمل معانيه فكرة مضللة وتتعارض مع جوهر التعاليم الإسلامية. وفي الوقت نفسه، يجب أن يُفهم أن هذا لا يمنح من ليس لديهم تدريب علمي سلطة تفسير

الآيات أو استنباط الأحكام الشرعية بشكل مستقل، لأن مثل هذه المحاولات قد تؤدي إلى الخطأ والضلال وبدلاً من ذلك، فإن التدبر المتوقع من الشخص العادي يتعلق بتلك الجوانب الواضحة والمباشرة من القرآن الكريم - مثل تشجيع الصفات النبيلة مثل الصبر والشكر والتواضع والصدق، وإدانة الصفات السلبية مثل من، التكبر والجشع والظلم. هذه الدروس في متناول الجميع وتعمل كدليل لتحقيق راحة البال في كلا العالمين خلال الحصول على حالة ذهنية وجسدية متوازنة ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في حياتهم بشكل ينبغي تناول المسائل الأكثر تعقيداً، وخاصةً تلك المتعلقة بالفقه الإسلامي، بالاستعانة بترجماتٍ . صحيح موثوقةٍ وشروحٍ موثوقة، وتوجيهاتٍ من علماء أكفاء. فعندما يتفاعل عامة الناس مع القرآن الكريم من خلال ترجماتٍ وشروحٍ موثوقة، تمتلئ قلوبهم بتعظيم الله تعالى، ويقوى إيمانهم بإدراكهم للأدلة والبراهين الواضحة التي يحتويها. هذا التأمل يُنمي رغبةً صادقةً في طاعته، ويضمن لهم الاستعداد للحساب يوم القيامة باستخدام نعمه التي أنعم بها عليهم بما يتوافق مع أوامره. إن أنجع سبيل لتحقيق هذا الفهم هو التعلم على يد عالم، لأن هذا التوجيه يضمن الوضوح، ويمنع سوء الفهم، ويسمح للمتعلم بطرح الأسئلة وتلقي التفسيرات السليمة. ومع ذلك، حتى في هذا السياق، يبقى التأمل الشخصي ضرورياً، إذ يجب استيعاب المعرفة وتطبيقها في الحياة اليومية لتؤتي ثمارها. وإذا تعذرت الدراسة المباشرة على يد عالم، فعليه اللجوء إلى التفسيرات الموثوقة للقرآن الكريم، وطلب التوضيح من العلماء كلما نشأ لبس. وبهذا يستفيد كل مؤمن من نور القرآن الكريم، فيستمد منه الهداية، والقوة، وراحة البال.

عندما يقبل الإنسان الهداية الإلهية ويعمل بها، فإنه يتحد نور الوحي بالنور الباطن الذي أودعه الله تعالى في سورة. النفس البشرية. هذا الاتحاد لا يقتصر على الفرد وحده، بل يشع إلى الخارج، مُنيراً بيته ومن فيه. النور، الآية 36

«في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال»

لا تُعلو هذه البيوت بجدرانها أو ممتلكاتها المادية، بل بذكر الله تعالى، وطاعة أهلها. فعندما يكون رب الأسرة قدوة حسنة، مُبيناً عملياً كيفية طاعة الله تعالى، تتجلى آثار هذه الطاعة الإيجابية - راحة البال، والتوازن النفسي والجسدي، وترتيب الأولويات في الحياة ترتيباً صحيحاً. هذه الثمار الجلية للإيمان تشجع سائر أفراد الأسرة على السير على نفس النهج. فعندما يُطيع أفراد الأسرة الله تعالى جماعياً في كل ظرف - سواء في أمور العبادة أو في معاملات الدنيا، صباحاً ومساءً - فإنهم يضمنون راحة البال على المستوى الفردي،

،ويُرسّخون العدل والوئام في بيوتهم .يؤدي كل فرد حقوق الآخر كما هو منصوص عليه في التعاليم الإسلامية ويصبح البيت ملاذًا للمحبة والاحترام والسكينة .فالبيت المبني على هذه الأسس يصبح منارةً للمجتمع .إن السلام والعدل اللذين يزرعان في الأسرة يمتدان إلى الخارج، مؤثرين في الجيران والمجتمعات، وفي نهاية المطاف في المجتمع الأوسع .يعلمنا الإسلام أن إصلاح العالم يبدأ بإصلاح الأسرة .لا يمكن للمجتمع أن يحقق العدل والوئام إلا إذا قامت بيوته أولاً على طاعة الله تعالى وأداء الحقوق المتبادلة .وهكذا، فإن نور الهداية الإلهية، عندما يحتضنه المنزل، يحوله إلى مكان يُذكر فيه الله تعالى، حيث يُسبح اسمه ليلاً ونهاراً، حيث تُحفظ نعمه وتُضاعف .من هذه البيوت، ينتشر السلام والعدل إلى الخارج كأشعة النور، حتى يلمس المجتمع بأكمله .وبهذه الطريقة، يصبح المنزل بذرة إصلاح المجتمع، وتصبح طاعة الأسرة الواحدة لله تعالى وسيلة لإضاءة العالم من حولهم .

إنَّ الْمُقْتَدِينَ بِالْمَثَلِ لَا يَفْتَصِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَوْ أَهْلِ بَيْتِهِمْ فَحَسْبُ، بَلْ يُوسِّعُونَ نَوْرَ الْهَدَايَةِ الْإِلَهِيَّةِ بِتَرْدِيدِ سُورَةِ النُّورِ، الْآيَةِ ٣٦ .بيوت الله تعالى، المساجد

«في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال»

.بارتياد المساجد، ينشر المؤمنون الخير ويتجاوزون حدود عائلاتهم، وينشرون نوراً في المجتمع الأوسع ،يصبح المسجد مركزاً للتعاون -في كل خير، ومكاناً لتعلم الهداية الإلهية وتجسيدها والعمل بها .بين جدرانه يُذكر الناس بغايتهم العليا، ويُشجعون على تهذيب أخلاقهم، ويلهمون للعيش حياةً تضمن راحة البال في الدنيا والآخرة - من خلال تحقيق التوازن في حالتهم النفسية والجسدية، ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في حياتهم على النحو الصحيح .كما يلعب المسجد دوراً حيوياً في إعداد المسلمين لأداء واجبهم في تمثيل الإسلام تمثيلاً صحيحاً للعالم الخارجي .فهو ينمي صفات الإخلاص والتواضع والعدل والرحمة، وهي أساسية لتقديم الصورة الحقيقية للإسلام .عندما يحافظ المؤمنون على صلة قوية بالمسجد، فإنهم يغرسون هذه الصفات ،ويصبحون نماذج حية للهداية الإلهية .ويصبح سلوكهم حينها شكلاً من أشكال نشر التعاليم الصحيحة للإسلام ودعوة الآخرين - مسلمين وغير مسلمين على حد سواء - في صمت لتقدير جمال الإسلام واحتضانه .ومع ذلك، عندما يهمل المرء المسجد، فإنه يحرم نفسه من نور الهداية الإلهية .وبدون هذا الارتباط، فإنه يفشل في تنمية الصفات اللازمة لتمثيل الإسلام بأمانة .إن تقصيرهم في السلوك، عندما يلاحظه الآخرون، يمكن أن يثني كل من غير المسلمين عن اعتبار الإسلام والمسلمين عن العمل بتعاليمه .وهذا الإهمال ليس بالأمر

الهيّن، فكل مسلم يتحمل مسؤولية تمثيل الإسلام تمثيلاً صحيحاً. والتقصير في هذا الواجب سبب للمساءلة أمام الله تعالى في الدنيا والآخرة. وهكذا، فإن المسجد ليس مجرد مبنى للعبادة؛ بل هو القلب النابض للمجتمع الإسلامي، ومصدر نور يقوي الأفراد، ويوحد الأسر، ويصلح المجتمعات. إن الحفاظ على صلة حية به هو ضمان لبقاء حياة المرء منيرة بالهداية الإلهية. سورة النور، الآية 36

«في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال»

كما تشير هذه الآية، فإن المساجد ليست مجرد أماكن للعبادة، بل هي أيضاً ملاذ آمن للمؤمن، لا سيما في أوقات الشدة والضيق. ومن تعظيم الله تعالى تجنّب نسب الصفات السلبية إليه أو لومه على المصائب التي يواجهها المرء، فكل ابتلاء له حكمة تامة. بل يُذكر المرء داخل المسجد بأن المصائب فرص للنمو والترقية والارتقاء في الدرجات. يوفر المسجد ملاذاً يجد فيه المضطرون الدعم الروحي والعملية. إنه مكان تُنقل فيه المعرفة، حيث يقوي ذكر الله تعالى القلب، وحيث تُقدّم صحبة المؤمنين التشجيع والتضامن. في هذه البيئة، يُذكر من يواجه المشقة بالثبات على طاعة الله تعالى، واستخدام النعم التي وهبت له على الوجه الصحيح كما هو موضح في التعاليم الإسلامية. بالارتباط بالمسجد، يتعلم المرء تحمل المحن دون استسلام لليأس أو جحود. فبدلاً من اعتبار المصائب مصائب، يتعلم اعتبارها قضاءً من الله تعالى، يجب مواجهته بالصبر والثقة والتوكل عليه. وهكذا، لا يصبح المسجد مكاناً للصلاة فحسب، بل مركزاً للصمود، يغذي قوة الإيمان التي تُمكن المؤمن من مواجهة تحديات الحياة بكرامة وراحة بال.

عندما يتلقى المرء الهداية الصحيحة من مصادر المعرفة الموثوقة، وخاصةً من خلال المساجد، فإنه يُمكنه: سورة النور، الآية 37. من أداء واجباته الدينية والدنيوية دون أن تُشغله هموم الدنيا عن طاعة الله تعالى

لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة رجال

تُبرز هذه الآية أن المؤمنين الحقيقيين لا يسمحون لمطالب التجارة أو الثروة أو المساعي الدنيوية بتحويلهم عن هدفهم الأسمى. وتبقى قلوبهم راسخة في طاعة الله تعالى، حتى وهم ينخرطون في ضرورات الحياة. إن طاعة الله تعالى لا تقتصر على النطق بكلمات الحمد، على الرغم من أن هذه العبارات شريفة ومميزة. بل إنها تشمل كل لحظة وكل نفس من وجود الشخص. المستوى الأول من الذكر داخلي وصامت: وهو ذكر الله تعالى في القلب بتصحيح النية باستمرار، والتأكد من أن كل عمل يتم لمرضاته فقط. المستوى الثاني هو الذكر باللسان: النطق بالكلمات التي ترضي الله تعالى، والامتناع عن الكلام الضار أو الباطل. كما ورد في حديث صحيح مسلم، رقم 176، فإن الصمت عند عدم وجود خير هو في حد ذاته عمل فاضل، ومن ثم فهو شكل من أشكال التذكر. ومع ذلك، فإن أعلى مراتب التذكر وأكثرها فعالية هي من خلال الجوارح - أي من خلال العمل. ويتحقق ذلك من خلال تنفيذ أوامر الله تعالى، والامتناع عن نواهيه، ومواجهة القدر بالصبر، وفقاً لأحاديث النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم. في هذا المستوى، يتجسد التذكر في كل جانب من جوانب الحياة. يستخدم المؤمن النعم التي وهبت له بطرق ترضي الله تعالى، وبالتالي يحول الأعمال العادية إلى أعمال عبادة. ومع ذلك، فإن هذا يتطلب اكتساب المعرفة الإسلامية الصحيحة والعزم على العمل بها، لأن المعرفة هي أصل كل خير وأساس النجاح في العالمين. من اقتصر على المستويين الأولين من الذكر أجزي على قدر نيته، ولكن إيمانه وتقواه لا يتعمقان إلا إذا ارتقى إلى المستوى الثالث وهو الأعلى. إنما يتقوى ارتباط المؤمن بالله تعالى حقاً عندما يعم الذكر القلب واللسان والجوارح.

من خلال تحقيق حالة ذهنية، من حقق هذه المراتب الثلاث، وُعد براحة البال والجسد في الدنيا والآخرة فتُصبح حياته منسجمة، وألوياته . وجسدية متوازنة، ومن خلال حسن توزيع كل شيء وكل شخص في حياته، مرتبة ترتيباً صحيحاً، ونفسه راضية، لأنه يعيش في وعي دائم بربه. هذا الشخص يجسد حقيقة الذكر الإلهي: سورة الرعد، الآية 28. ومن خلاله ينال السكينة والنجاح اللذين ينشدهما كل إنسان.

"ألا بذكر الله تطمئن القلوب"

"من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون"

ثم ذكر الأركان الأساسية التي تُبنى عليها جميع الأعمال الصالحة، فهي أقوى مظاهر ذكر الله تعالى وطاعته:
سورة النور، الآية 37

رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة

إقام الصلاة المفروضة لا يقتصر على مجرد أدائها ظاهراً؛ بل يتطلب الوفاء بها بجميع شروطها وآدابها وحضورها الروحي، وعلى رأسها أداء كل صلاة في وقتها. وقد أكد القرآن الكريم مراراً على إقامتها، فهي أهم شهادة عملية على إيمان المرء بالله تعالى. فالصلوات اليومية، المنتشرة على مدار اليوم واللييلة، بمثابة تذكير دائم بيوم القيامة، تُهيئ المؤمن عملياً لذلك الحدث العظيم. كل مرحلة من مراحل الصلاة تعكس مشهداً، من الآخرة. فعندما يقف المصلي منتصباً، فإنه يتذكر اللحظة التي يقف فيها البشر جميعاً بين يدي الله تعالى، من سورة المطففين، الآيات 4-6. ينتظرون حسابهم

"أَوَلَا يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُبْعَثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ، يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ"

عندما يسجد المرء، فإنه يُذكره بمن سيُلام يوم القيامة على رفضه السجود لله تعالى في حياته الدنيا. لم يكن هذا الرفض مجرد إهمالٍ للركوع، بل كان أيضاً رفضاً للخضوع لأوامره في جميع مناحي الحياة. سورة:
المرسلات، الآية 48

"وإذا قيل لهم اركعوا لم يركعوا"

عندما يسجد العبد، فإنه يستذكر مشهد الآخرة حين يُدعى الناس للسجود لله تعالى. من لم يسجد سجودًا صادقًا في الدنيا - جسدًا وطاعةً لأوامره - سيجد نفسه عاجزًا عن ذلك يومئذ. سورة القلم، الآيتان 42-43

يوم يشتد الأمر يدعون إلى السجود فيمنعون، وتخضع أعينهم، وتغشاهم الظل، وكانوا يدعون إلى السجود"
"وهم سالمون"

عندما يجلس المصلي على ركبتيه في الصلاة، فإنه يذكره بالوضع الذي ستُجمع فيه كل أمة بين يدي الله تعالى يوم القيامة، ينتظرون كتابهم في خوف وترقب. سورة الجاثية، الآية ٢٨

".وترى كل أمة جاثية، وكل أمة تُدعى إلى كتابها، اليوم تجزون ما كنتم تعملون"

وهكذا، عندما يُصلي المرء مُستحضرًا هذه الحقائق، تُقام صلاته على الوجه الصحيح، ظاهرًا وباطنًا. تُغيّر هذه الصلاة المؤمن، وتضمن له البقاء على طاعة الله تعالى، حتى بين أوقات الصلاة. سورة العنكبوت، الآية 45.

"...إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر"

إضافةً إلى ذلك، تُلفت الآية 37 الانتباه أيضاً إلى أهمية صلاة الجماعة في المساجد، كما تفعل آيات وأحاديث أخرى. سورة البقرة، الآية 43:

"واركعوا مع الراكعين..."

بناءً على هذه الآيات، بالإضافة إلى أحاديث النبي محمد صلى الله عليه وسلم العديدة، أعلن العديد من العلماء، الموثوقين أن حضور صلاة الجماعة واجب على الرجال القادرين. على سبيل المثال، ورد في سنن أبي داود رقم 550، أن الصحابة رضي الله عنهم اعتبروا من تخلف عن صلاة الجماعة في المسجد منافقين. بل إن النبي صلى الله عليه وسلم حذر من أنه فُكر في حرق بيوت من تخلف عن صلاة الجماعة في المسجد بدون عذر. وقد أكد هذا التحذير الشديد حديث في صحيح مسلم، رقم 1482. لذلك، ينبغي لمن كان في وضع يسمح - له بأداء هذا العمل المهم ألا يغفل عنه. وينبغي ألا يخدعوا أنفسهم بالاعتقاد بأن الأعمال الصالحة الأخرى مثل مساعدة أسرهم في أعمال المنزل - يمكن أن تحل محل وجوب حضور المسجد للصلاة. مع أن خدمة الأهل من السنن النبيلة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، كما ورد في حديث صحيح البخاري رقم 676، إلا أنه من الضروري عدم إعادة ترتيب أولويات سننه وفقاً للأهواء الشخصية. فمن فعل ذلك لم يكن قدوته، بل كان يتبع أهوائه، حتى لو كان الفعل نفسه حسن الظاهر. ويوضح الحديث نفسه أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم كان إذا حان وقت الصلاة المفروضة، يترك أعماله المنزلية ويتوجه إلى المسجد. وهذا يُظهر التوازن الصحيح: فمع أن خدمة الأهل فضيلة، إلا أنه لا ينبغي أبداً اتخاذها ذريعة لإهمال الفريضة الكبرى، وهي صلاة الجماعة. وبهذه الطريقة، تُنسّق سنن النبي محمد صلى الله عليه وسلم بدلاً من إعادة ترتيبها بشكل سورة النور، الآية 37. انتقائي، مما يضمن أداء المرء لواجباته بالترتيب والروح الصحيحين

رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة

تتجلى الطاعة، التي تُؤمّنُها الصلوات المفروضة، في حسن استغلال نعم الله تعالى. وهذا الاستغلال يعني، توظيفها فيما يرضيه، كما هو مبين في القرآن الكريم وسنة النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم. وهكذا، تتجاوز الصلاة مجرد طقس؛ فهي بمثابة تدريب شامل للنفس، يُهيئ الإنسان للقاء ربه.

يأتي بعد الأمر بإقامة الصلاة أمرٌ بإيتاء الزكاة، فكلاهما مترابطان لا ينفصلان. فالصلاة تُطهّر النفس، بينما الزكاة تُطهّر المال. والزكاة لا تُشكّل إلا جزءاً يسيراً من ثروة الإنسان، ولا تُطلب إلا عند امتلاكه حداً أدنى محدّداً. ومع ذلك، فإنّ غايتها عميقة: فهي تُذكّر الإنسان بأنّ ما في حوزته ليس ملكاً له حقاً. فلو كان ملكاً له بالكامل، لكان حرّاً في إنفاقه كيفما شاء. بل إنّ الثروة خلقها الله تعالى، وورّعها، ومنحها، فلا بدّ من استخدامها بما يُرضيه. وفي الحقيقة، كلّ نعمةٍ ينعم بها الإنسان - سواءً أكانت ثروةً أم صحةً أم علماً أم منصباً - ما هي إلاّ قرضٌ مؤتمنٌ عليه، يجب ردّه في النهاية إلى صاحبه الحقّ، الله تعالى. وهذا الردّ لا يكون برّد النعمة نفسها، بل باستغلالها فيما يُرضيه. عندما يؤدي الشخص هذه الأمانة، تصبح ثروته وسيلةً للتطهير والحماية والمكافأة. ولكن من يفشل في إدراك هذه الحقيقة، ويتصرف بدلاً من ذلك كما لو أنّ النعم التي مُنحت له، تنتمي إليه وحده، سيسيء استخدامها حتماً. وعلى وجه الخصوص، فإن من يحجب الصدقة المفروضة ويعامل ثروته كما لو كانت ملكاً له وحده، سيواجه عقوبة شديدة - تماماً كما يُحاسِب من يفشل في سداد قرض دنيوي. يتضح مدى خطورة هذه المسؤولية في حديث موجود في صحيح البخاري ، رقم 1403 والذي يحذر من أن الشخص الذي يهمل في صدقته المفروضة سيواجه يوم القيامة ثعباناً ساماً كبيراً يلتف حوله ويلدغه باستمرار كشكل من أشكال العقاب. هذه الصورة الصارخة ليست مجرد رمزية ولكنها تذكير حي بأن الثروة نعمة واختبار في نفس الوقت. عندما تُستخدم الثروة بشكل صحيح، فإنها ترتقي بالشخص روحياً وتقوي روابط المجتمع وتضمن المكافأة في الآخرة. لكن عند اكتنازه أو إساءة استخدامه، يصبح: سورة آل عمران، الآية ١٨٠. مصدرًا للندم والعذاب والخسارة في الدنيا والآخرة

ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خير لهم بل هو شرّ لهم، سَتُطَوَّقُ أعناقهم بما يبخلون"
"...يوم القيامة

لذلك يجب على الإنسان أن يتذكر دائماً أن كل نعمة دنيوية ينفقها في سبيل الله تعالى ليست خسارة بل هي استثمار، استثمار يعطي عوائد أعظم بكثير من أي شيء يمكن أن تقدمه هذه الدنيا.

حتى في هذه الدنيا، تُصبح الأموال التي تُمنع عنها الصدقة مصدرًا للتوتر والشقاء. فبدلاً من أن تجلب الراحة والأمان، تدفع الإنسان نحو الجشع والقلق وإساءة استخدام النعم. فيقع مثل هذا الإنسان في حالة من عدم التوازن - نفسياً وجسدياً - فيُخطئ في ترتيب أولوياته، ويُسيء تقدير علاقاته، ويُقصر في الاستعداد الكافي لحسابه يوم القيامة. قد يبدو ظاهرياً أنه ينعم بالرفاهية الدنيوية، لكنه في باطنه يبقى قلقاً، مُثقلًا بالقلق، محروماً من الرضا الحقيقي. ثروته، التي كان من الممكن أن تكون وسيلة للتطهير والثواب، تُصبح بدلاً من ذلك سبباً للضييق والتوتر والندم. في نهاية المطاف، بإهمالهم واجبهم تجاه الله تعالى، يستبدلون السكينة الأبدية براحة: سورة طه، الآيات ١٢٤-١٢٦. زائلة، والنجاح الدائم بوجه مؤقت

ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد "كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى

لذا، لا ينظر العاقل إلى المال كغاية في حد ذاته، بل كأمانة ووسيلة للتقرب إلى الله تعالى، باستخدامه فيما: سورة النور، الآية 37. يضمن راحة البال في الدنيا والآخرة

رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة

من المهم إدراك أن هذه الآية لا تعني أن الصالحين يتركون السعي وراء الرزق الحلال، بل تؤكد أنهم يسعون جاهدين لكسب الحلال، حتى يتمكنوا من قضاء حوائجهم وحاجات عيالهم. وفي الوقت نفسه، لا يسمحون لهذا النضال بأن يصرفهم عن طاعة الله تعالى في أي لحظة. ويظلون على وعي بأن كل نعمة يمتلكونها يجب

استخدامها وفقاً لهديته كما هو موضح في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم في الواقع، في حديث موجود في صحيح البخاري، رقم 2072، أعلن النبي محمد صلى الله عليه وسلم أنه ما أكل أحد شيئاً خيراً من كسب يده. لذلك من الضروري ألا يخلط المرء بين الكسل والتوكل على الله تعالى للأسف، يهجر بعض الأفراد المهن المشروعة، ويعتمدون على الإعانات الاجتماعية، ويقضون أيامهم في المساجد متعثرين، مدّعين أنهم يتوكلون على الله تعالى في رزقهم. هذا ليس توكلاً على الإطلاق، بل هو مجرد كسل، وهو ما يخالف تعاليم الإسلام. التوكل الحقيقي على الله تعالى في الرزق هو استخدام الأسباب التي خلقها - كالقوة البدنية والمهارات والفرص - لتحقيق الرزق الحلال، ثم التوكل على الله تعالى فيرزقهم من خلالها. وليس المقصود من التوكل على الله تعالى ترك الأسباب التي خلقها، فيضيع نفعها، والله تعالى لا يخلق شيئاً عبثاً. بل المقصود من التوكل هو منع الإنسان من طلب الرزق بطرق مشبوهة أو غير مشروعة يجب على الإنسان أن يعتقد اعتقاداً راسخاً أن رزقه -بما في ذلك المال- قد قُدر له قبل خلق السماوات والأرض بأكثر من خمسين ألف عام، كما هو مؤكد في حديث موجود في صحيح مسلم، رقم 6748. ولا يمكن تغيير هذا التوزيع تحت أي ظرف من الظروف. واجب الشخص هو السعي للحصول على نصيبه من خلال الوسائل المشروعة، وهو طريق الأنبياء الكرام، عليهم السلام، كما هو مبين في الحديث الموجود في صحيح البخاري، رقم 2072. وبالتالي، فإن استخدام الوسائل التي يوفرها الله تعالى هو في حد ذاته جانب من الثقة به، لأنه خلق تلك الوسائل لهذا الغرض بالذات. يجب ألا يقع الشخص في الكسل وهو يدّعي الاعتماد على الله تعالى، بالاعتماد على المنافع الاجتماعية عندما يكون لديه القدرة على كسب الرزق المشروع من خلال جهوده الخاصة والوسائل التي منحها له.

وأخيراً، فإن فهم هذا المبدأ والعمل به يشجع الإنسان على الاستغناء عن الاعتماد على الآخرين - سواء الحكومة أو الأقارب أو المجتمع ككل - في رزقه، بل عليه أن يستخدم ما رزقه الله تعالى، وفقاً لشرعه، مع إيمان تام بأن رزقه سيصل إليه. وبذلك يُظهر ثقة حقيقية بالله تعالى، جامعاً بين الجهد والتوكل، والعمل من خلال تحقيق، والإيمان. وهذا التوازن يضمن الكرامة -والاكتفاء الذاتي وراحة البال في الدنيا والآخرة حالة نفسية وجسدية متوازنة، ومن خلال حسن توزيع كل شيء وكل شخص في حياته.

:سورة النور، الآيات 36-37

في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة

يُذكر الرجال تحديدًا في هذا السياق لأن الحثّ الشديد على أداء الصلوات المفروضة جماعةً، كما أكّدت عليه التعاليم الإسلامية، مُوجّه إليهم لا إلى النساء. بل إنّ الله تعالى قد أولى النساء عنايةً خاصة، فزادهنّ أجرًا على صلاتهن في بيوتهنّ. وقد ورد ذلك في حديث في سنن أبي داود، رقم 567. وفي الوقت نفسه، يُوضّح هذا الحديث أيضًا أنّه لا ينبغي للرجال منع النساء من ارتياد المساجد إن أردنّ ذلك. ومع ذلك، إذا أرادت المرأة نيل أجرٍ أعظم والتقرب إلى الله تعالى، فيُشجّع على صلاتها في بيتها، حيث تُقدّر عبادتها تقديرًا أعلى.

عمومًا، من المهم أن نتذكر أن الشرف والتفوق الحقيقيين عند الله تعالى لا يُحدّدان بالجنس أو الثروة أو المكانة الاجتماعية، بل بالتقوى. سورة الحجرات، الآية ١٣

"...إن أكرمكم عند الله أتقاكم..."

ويتحقق هذا النبيل عندما يسعى الشخص إلى تنفيذ أوامر الله تعالى، والامتناع عن نواهيه، ومواجهة القدر بالصبر، وفقًا لأحاديث النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم. ومن المؤسف أن الشيطان قد خدع الكثيرين، في نقاشات لا نهاية لها حول وضع المرأة مقارنة بالرجل، مما صرف انتباههم عن المقياس الحقيقي للتفوق. وهو التقوى. لقد منح الإسلام، في الواقع، المرأة شرفًا وكرامة لا مثيل لها من قبل أي نظام أو مؤسسة أخرى على سبيل المثال، وُصفت الجنة - المكافأة النهائية - بأنها تقع تحت أقدام المرء من الأم، كما أكده حديث موجود في سنن النسائي، رقم 3106. وفي حديث آخر موجود في جامع الترمذي، رقم 3895، أعلن النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم أن أفضل رجل هو الذي يعامل زوجته بأحسن طريقة. هذه الأمثلة وغيرها الكثير تُبرز مكانة المرأة الرفيعة في الإسلام، لا بمقارنتها بالرجال، بل بما أُنيطت به من أدوار ومسؤوليات فريدة. لذا، فالمهم هو ألا تُشغل المرأة نفسها بمنافسة الرجال أو قياس قيمتها بهم، فهذا ليس ما يُريده الله تعالى. بل عليها أن تسعى إلى التقوى، فإنها إن حققتها تفوقت على كل من هو أقل منها تقوى، رجلاً كان أو

امرأة. هذا هو معيار التقوى الحقيقي، وهو ينطبق على الرجال والنساء على حد سواء. والتاريخ يشهد على هذه الحقيقة. فعندما يُتأمل المرء حياة نساء عظيمات في الماضي، يجد أنهن لم يُبذرن طاقتهن في جدال حول الحقوق أو مقارنات بالرجال، بل ركزن على التقوى والمعرفة وخدمة الله تعالى. ونتيجة لذلك، تفوقن على الغالبية العظمى من رجال ونساء عصرهن. حتى لو مُنحت نساء اليوم كل حق دنيوي ترغب فيه، فإن هذا وحده لا يجعلها متفوقة على غيرها. لا يُتَوَقَّرُ التفوق إلا بالتقوى، كما يتضح في حياة مَنْ ينشدون حريات الدنيا، لكنهم في قلقٍ وسخطٍ وبعيدين عن الكرامة الحقيقية. ستتضح هذه الحقيقة جليةً في الآخرة، حين تُزال الأوهام ويبقى التقوى مقياساً للقيمة. لذا، فمن أراد التفوق على الآخرين، فعليه ألا يسعى إليه بالجدال والمناظرة، بل بالسعي إلى التقوى، فهذا وحده يُحدِّدُ النبلَ الحقيقي عند الله تعالى.

:سورة النور، الآية 37

لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة رجال

كما يشير الجزء التالي من هذه الآية، فإن أصحاب السلوك القويم يتميزون بجديتهم في محاسبة الآخرة. فهم لا يقعون في فخ التمني، إذ يدركون عظمة يوم القيامة). سورة النور، الآية 37)

"يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار..."

تُبرز هذه الآية أن البر الحقيقي لا ينفصل عن الوعي العميق بيوم القيامة، حيث يسود الخوف كل قلب وتخضع الأبصار. هذا الوعي يمنع الإنسان من خداع نفسه بالأمال الكاذبة ويدفعه إلى العيش بإخلاص وانضباط. إن التفكير التمني هو أن يُصر الإنسان على معصية الله تعالى، مع استمرار توقع رحمته ومغفرته في الدنيا والآخرة. هذا الموقف ليس أكثر من -خداع للنفس وليس له قيمة في الإسلام. على النقيض من ذلك، فإن الأمل

الحقيقي هو أن يسعى الإنسان في طاعة الله تعالى - مستخدمًا النعم التي مُنحت له بطرق مرضية له، كما هو موضح في القرآن الكريم وأحاديث النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم - ثم يأمل في رحمته ومغفرته في الدنيا والآخرة. وقد وضّح الحديث في جامع الترمذي، رقم 2459، الفرق بين هذين الموقفين، موضحًا أن الرجاء الصادق مرتبط دائمًا بالجهد والطاعة، بينما الرجاء الكاذب منفصل عن العمل، وبالتالي لا قيمة له فالرجاء الصادق يُلهم الإنسان للعمل والتوبة والإصلاح، بينما يُغرقه التمني في الرضا والإهمال. لذا، من الضروري لكل إنسان أن يدرك هذا الفرق، وأن يحرص على تنبيه الرجاء الصادق في رحمة الله تعالى ومغفرته، مع تجنب وهم التمني. فالرجاء الصادق وحده، القائم على الطاعة والسعي الصادق، ينفع الإنسان في الدنيا والآخرة. أما التمني، من ناحية أخرى، فلن يحميه من الإثم في الدنيا ولا يُنجيه من الحساب في الآخرة. باختصار، الصالحون هم من يجمعون بين خوف الحساب والرجاء في الرحمة الإلهية، مُوازنين بين حالتهم الداخلية بين الرهبة والثقة. هذا التوازن يدفعهم إلى الإخلاص في العمل، وحسن استغلال النعم، وبذلك، يضمن الإنسان التوازن في حالته النفسية والجسدية. والاستعداد ليوم تتقلب فيه القلوب والأبصار، ويضمن أن كل شيء وكل شخص في حياته في موضعه الصحيح وفق هدي الله تعالى. هذا الترتيب الواعي للأولويات يُمكنهم من الاستعداد الكافي للمساءلة يوم القيامة، حيث يُوزن كل عمل بدقة. هذا السلوك لا يجلب الانضباط الخارجي فحسب، بل يُنمّي أيضًا السكينة الداخلية، مما يؤدي إلى راحة البال الحقيقية في الدنيا: سورة النور، الآية 38. وسلام دائم في الآخرة

حساب ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير

ويحذر الله تعالى أيضًا من عادة التمني المهلكة، حيث يُصرّ الإنسان على المعصية معتقدًا زورًا أنه سينال: سورة النور، الآية 39. النجاة في الآخرة من خلال الأعذار، أو -التوبة اللحظية، أو شفاعة الآخرين

ولكن الذين كفروا أعمالهم كسراب أبّار مضطربة منخفضة يحسبها الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد " ...الله عنده

هذه الصورة المؤثرة تُصوّر خواء الآمال الزائفة. فكما يُخدع المسافر العطشان بالسراب، فيظنه ماءً، كذلك يُخدع من يتمسك بالأعداء وهو يُصرّ على معصيته. فإذا جاء يوم القيامة، لم يجد في أعماله منفعةً إلا وجود الله تعالى الذي سيحاسبه حساباً كاملاً. ولذلك، يجب ترك جميع أشكال التمني، لأنها تُشجع الإنسان على إساءة استخدام النعم المُنحت له والإصرار على المعصية. في هذه الدنيا، يمنعهم هذا الموقف من تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، مما يدفعهم إلى إهمال أولوياتهم وإساءة استخدام علاقاتهم. ونتيجةً لذلك، تصبح الأشياء التي يُفترض أن تُشعرهم بالراحة - كالعائلة والأصدقاء والعمل والثروة - مصادر للتوتر والاضطراب. إذا استمروا على هذا المنوال، فسيبدأون حتمًا بإلقاء اللوم على الأشخاص والظروف غير المناسبة لتعاستهم، بل ويوجهون إحباطهم نحو الأبرياء، كزوجاتهم أو أحبائهم. إن استبعاد هؤلاء الطيبين من حياتهم لا يزيد إلا من بؤسهم، مما يؤدي إلى مزيد من الاختلال، وفي كثير من الحالات، إلى سلوكيات هدامة كاليأس وإدمان المخدرات وغيرها من الميول الضارة. تتجلى هذه النتيجة بشكل مأساوي في حياة الكثيرين ممن يُصرون على إساءة استخدام النعم التي مُنحت لهم - كالأثرياء والمشاهير - الذين، على الرغم من تمتعهم بالرفاهية الدنيوية، غالبًا ما يظلون قلقين وساخطين وبعيدين عن راحة البال الحقيقية. وكما حرمهم موقفهم من السلام في الدنيا، فإنه سيمنعهم أيضًا من الاستعداد لمساءلتهم يوم القيامة. لذا، سيكون عقابهم في الآخرة أشد بكثير. سورة النور، الآية 39.

"فمن لم يجده إلا وجد الله عنده فوفاه دينه والله سريع الحساب"

هذا تذكير قويٌّ بأنَّ الأعذار والآمال الضالة والتوكل الكاذب لا تُغني عن أحدٍ يومئذٍ. فالطاعة الصادقة القائمة على حسن استعمال نعم الله تعالى هي وحدها التي تُفضي إلى النجاة والسلام الدائم في العالمين.

علاوة على ذلك، ولأن هذه الآية تشير مباشرةً إلى الكفر، فإنها تُمثل تحذيرًا واضحًا وقويًا من أن التمني، إن لم يُكبح، قد يدفع المرء تدريجيًا نحو الكفر نفسه. وينشأ هذا الخطر عندما يفشل المرء في دعم إعلان إيمانه الشفهي بأفعال ثابتة وصادقة وصالحة. في الواقع، يمكن تشبيه الإيمان بشعلة رقيقة تتطلب رعاية وتغذية مستمرة. فكما أن النار تنطفئ لا محالة إذا حُرمت من الوقود، كذلك يضعف الإيمان وقد ينطفئ في النهاية إذا لم يُدعم بالأعمال المنتظمة للطاعة والذكر والإخلاص لله تعالى. إن إهمال هذا الغذاء الروحي يعرض الإنسان لخطر فقدان النور الذي يهديه في الحياة، وهذه الخسارة هي الأشد تدميرًا على الإطلاق. فبدون هذا النور، يُترك الإنسان في الظلام، غُرصة للحيرة والضلال واليأس. في الواقع، إن عدم دعم الإيمان بالأعمال

الصالحة ليس مجرد إهمال، بل هو علامة نفاق، وهو ما أشار إليه كثير من المفسرين في هذه الآية. فالمنافق وهكذا، تُذكر هذه الآية بأن الإيمان يُظهر إيمانه ظاهراً، لكن أفعاله تكشف عن نفاقه، فنتركه جامداً روحياً لا يُحفظ بالأقوال وحدها، بل يجب تغذيته بالطاعة، وحمايته بالإخلاص، وتقويته بالأعمال الصالحة، المتواصلة. فبدون ذلك، يُخاطر الإيمان بالتلاشي إلى نفاق، ويخاطر النفاق بالكفر). سورة النور، الآية 39 (سورة النور، الآية 24).

ولكن الذين كفروا أعمالهم كسراب بأرض منخفضة يحسبه الظمان ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً إلا وجد "الله عنده فوفاه دينه والله سريع الحساب

يُعلن المنافق إيمانه بالله تعالى ظاهراً، ومع ذلك تبقى نيته وأقواله وأفعاله فاسدة. ونتيجة لذلك، حتى عندما يقوم بأعمال صالحة ظاهرية، مثل الصلاة، لا يحصل على أي ثواب منها، لأن هدفه لم يكن إرضاء الله تعالى أبداً. أي عمل لا يؤدي بإخلاص لوجه الله لن يؤدي إلى ثواب في الدنيا والآخرة. وقد حذر من ذلك صراحةً في حديث موجود في جامع الترمذي، رقم 3154. مثل هذا الشخص غير الصادق يخدع نفسه بالاعتقاد بأنه، سينال ثواباً من الله تعالى، على الرغم من نفاقه - تماماً كما ينخدع المسافر العطشان بسراب في الصحراء ويتخيل أنه ماء، ثم لا يجد شيئاً عند وصوله. هذا - الوهم الذاتي قاتل روحياً، لأنه يعمي الشخص عن حالته الحقيقية حتى فوات الأوان. لذلك يجب على المرء تجنب هذا الخداع بأي ثمن. لا يحرمهم هذا من ثواب الآخرة فحسب، بل يسلبهم أيضاً راحة البال في الدنيا. وسيُسيئون استخدام النعم التي وهبوا بها، مما يؤدي إلى اضطراب نفسي وجسدي. وسيُسيئون ترتيب أولوياتهم، وسيُسيئون استخدام علاقاتهم، ويحملون الآخرين مسؤولية اضطرابهم الداخلي. وهذا سيدخل التوتر والصراع والصعوبات على حياتهم، حتى وإن كانوا يتمتعون ظاهرياً ببعض الرفاهية الدنيوية. ولأنهم لم يُعدّوا أنفسهم للحساب في الآخرة، سيُتركون في النهاية خاليي الوفاض أمام الله تعالى. وستُحبط أعمالهم التي ظنّوا أنها تُفيدهم كالسراب، فلا يبقى لهم إلا الندم. يومئذٍ سيجدون الله تعالى أمامهم، سريع الحساب، وسيُجزون على ما كسبوا. لذا، تُعدّ هذه الآية تذكيراً قوياً بأن الإيمان لا يُحفظ بالكلام وحده، بل يجب أن يُغذى بالإخلاص والطاعة والعمل الصالح. بدون هذا، يُخشى أن: سورة النور، الآية 39. يتحول الإيمان إلى نفاق، ويخشى أن ينتهي النفاق بالكفر

مثل أعمالهم كسراب بأرض ضحلة يحسبه الظمان ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه "... "الله عنده فوفاه دينه والله سريع الحساب

بعد وصف المنافق، يتوجه الله تعالى إلى من يجحد نور الهداية الإلهية جهراً، لا لنقص في أدلة صدقه، بل لتعارضه مع أهواءه الدنيوية. سورة النور، الآية 40

"...أو كظلمات في بحر لجج يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض"

، تُصوّر هذه الصورة القوية حال من يرفضون الهداية. تُمثّل "طبقات الظلام" التأثير الطاعني لشهوات الدنيا التي تُغَيِّم حكمهم وتُسيطر على أفعالهم. عندما تُستهلك المرء هذه الشهوات، يفقد سيطرته على نفسه، ويدفعه دافعٌ مُلِحٌ لإشباع شهواته، بغض النظر عن العواقب. يُمكن تشبيه هذه الحالة بحالة المُدمن. فكما يُستعبد مُدمن المخدرات بإدمانه - غافلاً عن الضرر الذي يُسببه، مُستعداً حتى لارتكاب أفعالٍ خاطئة كالسرقة سعياً وراء جرعه التالية - كذلك يُفقد المُستعبد بشهوات الدنيا صفاء فكره وضبطه الأخلاقي. يُصبح سعيهم وراء الثروة أو المكانة أو اللذة إدماناً يُسيطر على سلوكهم، ويجعلهم غير قادرين على التمييز بين ما يُفيدهم وما يُدمّرهم لهذا السبب، من الضروري أن يتعلم المرء إدارة شهواته، والسعي فقط إلى ما هو مشروع، والقيام بذلك باعتدال. عندما تُترك الشهوات دون رادع، فإنها تؤدي حتماً إلى الفساد والظلم والأذى - النفسي والجسدي ومن يرفض الهداية الإلهية يُترك تائهاً في الظلام، عاجزاً عن رؤية الطريق المؤدي إلى راحة البال، بل يتعثر في دروب لا تؤدي إلا إلى الضيق. مثل هذا الشخص يُسيء استخدام النعم التي مُنحت له، ويقع في اختلال التوازن في جميع جوانب الحياة. تصبح حالته العقلية والجسدية مضطربة، وأولوياته في غير محلها، وتُساءل إدارة علاقاته. تصبح الأسرة والأصدقاء والعمل والثروة - وهي النعم التي من المفترض أن تجلب الراحة مصادر للتوتر والصراع. حتى لو تمتعوا ظاهرياً بالرفاهية الدنيوية، فإنهم في باطنهم يظلون قلقين وساخطين ولأنهم يفشلون في الاستعداد لحسابهم يوم القيامة، فإن عقابهم في الآخرة سيكون أشد بكثير. ومع ذلك، حتى في هذا الظلام، فإن الله تعالى لا يتخلّى عن الناس. يُبقي نور الروح الباطني قائماً، نفس الروح التي وقفت

:سورة النور، الآية ٤٠. بين يديه يوماً وشهدت بوحدانيته

"...أو كظلمات في بحر لجج يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض"

وسورة الأعراف الآية 172

"وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا "

وسورة النور، الآية 40

"...وإذا أخرج يده لم يكاد يراها"

يرمز هذا النور الباطن إلى القدرة على التوبة والقبول والعمل بالهداية الإلهية .وهو دليل على رحمة الله تعالى، فإنه لا يتخلّى عن خلقه ما داموا أحياءً قادرين على الرجوع إليه .ومع ذلك، إذا أصرّ المرء على اتباع شهوات الدنيا وأساء استخدام النعم التي وهبّت له، فلن يُجدي هذا النور الباطن نفعًا .ومع أنه قادر على هدايته إلى راحة البال في العالمين - من خلال توازن العقل والجسد، ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في حياته على النحو الصحيح - إلا أنه سيبقى مهملاً، تاركًا إياه تائهًا في ظلمات .وهكذا، تُعَلِّم الآية أن رفض الهداية الإلهية ليس مجرد خطأ فكري، بل هو فشل أخلاقي وروحي .إن استسلام الروح للشهوة هو ما يُعْمِي القلب، ويُفسد العقل، ويؤدي في النهاية إلى الهلاك في العالمين

يختم الله تعالى مثل النور بتذكير البشرية بأن الاستنارة الحقيقية - النور الذي يهدي الإنسان إلى راحة البال في الدنيا والآخرة، ويُمكنه من تحقيق التوازن في حالته العقلية والجسدية، ويُمكنه من وضع كل شيء وكل شخص في حياته على الوجه الصحيح - لا يمكن الحصول عليها إلا منه وحده. سورة النور، الآية 40

"ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور"

تُرسى هذه الآية مبدأً خالداً: مهما بلغ مجتمعٌ من تقدم، ومهما اكتسب من معرفة في مختلف المجالات - بما في ذلك علوم العقل والجسد والسلوك - فإنه يبقى عاجزاً تماماً عن صياغة قواعد سلوك تتوافق تماماً مع الطبيعة البشرية وتنطبق عالمياً على كل ظرف وحالة وسيناريو قد يواجهه الأفراد أو المجتمعات طوال وجودهم على الأرض. إن هذا المسعى يتجاوز القدرة البشرية، فالبشرية لا تزال تكتشف رؤى جديدة حتى في أبسط جوانب وجودها، مثل وظائف الدماغ البشري وتعقيدات العلاقات الإنسانية. إذا لم يستطع الناس فهم أنفسهم تماماً، فكيف يمكنهم أبداً وضع نظام لا تشوبه شائبة يضمن العدالة والتوازن والطمأنينة للجميع؟ الله، تعالى وحده هو من يملك المعرفة والحكمة اللازمتين لهذه المهمة، فهو خالق كل شيء. علمه لا حدود له يشمل الماضي والحاضر والمستقبل بأكمله. فهو وحده المستحق أن يُهيئ للبشرية منهجاً يُميز الحق من الباطل، والخير من الشر، والنفع من الضرر. والتاريخ يشهد على ذلك. فكلما طُبّق المنهج الإلهي بصدق في حياة الأفراد والمجتمعات، أثمر الطمأنينة والعدل والسلام. وتوطدت الأسر، وازدهرت المجتمعات، وشعر الأفراد بالرضا - ليس بفضل براعة البشر، بل لانقيادهم لهداية خالقهم. لذلك، على كل فرد أن يعتنق المنهج الإلهي الذي أنعم به عليه، مُدركاً أنه الأنسب لصحته، -حتى لو تعارضت بعض عناصره مع رغباته الشخصية. فالعاقِل يُدرك أن الهداية الإلهية كوصفة طبيب ماهر. فكما يرضى المريض بالدواء المُر أو الحمية الصارمة لعلمه أنها ستُعِيد إليه صحته في النهاية، فكذلك على المؤمن أن يتقبل أوامر الله تعالى ويلتزم بها، حتى وإن خالفت ميوله. وبذلك يُظهرون ثقتهم بمن علمه كامل وحكمته لا تشوبها شائبة. وباستسلامهم لهدايته يضمنون لأنفسهم راحة البال في الدنيا والتوفيق الأبدي في الآخرة

بعد أن ذكر الله تعالى بعض عواقب الطاعة والمعصية، أشار إلى آيات خلقه الدالة على وجوب طاعته في: سورة النور، الآية ٤١. كل حال

"...ألم تر أن الله يسبحه من في السموات والأرض "

هذا التسبيح الكوني هو أساس طاعة الخلق التامة له .كل عنصر من عناصر الكون، من المجرات الشاسعة إلى أصغر الجسيمات، يعمل بتناغم تام لأنه يخضع لأمر الله تعالى .يتجلى هذا التناغم في شروق الشمس وغروبها، وأطوار القمر الدقيقة، والنجوم والكواكب العديدة التي تبقى ثابتة في مداراتها، وتوازن الأنظمة الطبيعية التي تدعم الحياة على الأرض، مثل الجاذبية .سورة النور، الآية 41

"والطير سابات ..."

كلُّ من هذه الظواهر يعكس خضوعاً للنظام الإلهي، ويشكلان معاً سيمفونية طاعةٍ تحافظ على استقرار الكون .سورة النور، الآية ٤١

"...كُلُّ قَدْ عَرَفَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَتَهُ ..."

في المقابل، لا يُراعى هذا الانسجام بين البشر باستمرار .فعلى عكس سائر المخلوقات، يقاوم كثير من البشر الخضوع لله تعالى، ويتبعون أهوائهم .هذا التمرد يُخلّ بتوازن حياتهم، ويؤدي إلى الارتباك والصراع والاضطراب .فبينما تُسبِّح السماوات والأرض خالقهما بطاعة تامة، غالبًا ما يغفل البشر عن أن سلامهم واستقرارهم يعتمدان على ذلك .لذلك، إذا رغب المرء في تحقيق الانسجام والتوازن الذي يلمسه في الكون في حياته، فعليه أن يُحاكي سائر الخلق بطاعة الله تعالى بإخلاص في كل وقت .تتطلب هذه الطاعة استخدام النعم التي وُهِبَتْ لهم على النحو الذي حددته التعاليم الإسلامية .وبذلك، يُنسجمون مع النظام الطبيعي الذي

وضعه خالقهم. وثمرة هذا الانسجام عميقة. فالإنسان الذي يُخضع نفسه لله تعالى، يُحقق الانسجام في داخله عقلياً وجسدياً وروحياً. ويستطيع أن يضع كل شيء وكل شخص في حياته في مكانه الصحيح، متجنباً - فوضى الأولويات الخاطئة. والأهم من ذلك كله، أنهم يُعدّون أنفسهم جيداً للحساب يوم القيامة، حين يُوزَن كل عملٍ بدقة. وهذا السلوك يؤدي حتماً إلى الطمأنينة في الدنيا والآخرة. ففي الدنيا يُجلب الطمأنينة والاستقرار والرضا، وفي الآخرة يُؤمن النجاح الأبدي. وكما أن السماوات والأرض تجدان نظامهما في خضوعهما لله تعالى، فكذلك يجد الإنسان النظام والتوازن والسلام الحقيقيين في طاعته الصادقة.

كما تشير الآية ٤١، فإن من أهم جوانب تسبيح الله تعالى تجنب نسب أي شيء سلبى إليه، كالصعاب والابتلاءات التي تُقضى بحكمته الكاملة. ويتطلب التسبيح الحقيقي تبني عقلية إيجابية، وإدراك أن لكل قضاء حكمة ونفعاً خفيين، حتى وإن لم يتضح ذلك جلياً. إن ترسيخ هذه العقلية أمرٌ أساسي، إذ يُمكن الإنسان من مواجهة تحديات الحياة مع الثبات على طاعة الله تعالى. وتتجلى هذه الطاعة في استخدام النعم التي أنعم بها على الوجه الذي يرضيه، كما هو مبين في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. فكلما واجهت المؤمن مصاعب، عليه أن يُذكر نفسه بأن الوضع كان يمكن أن يكون أسوأ بكثير. وإذا كانت المحنة دنيوية فعليه أن يشكر الله على ثبات إيمانه، فهو أثنى ما يملك. بدلاً من التركيز على الحزن اللحظي الذي يصاحب التحدي، عليهم التركيز على الثواب الأبدي الموعود لمن صبر في سبيل الله تعالى. عندما يفقد المرء نعمة ما، عليه أن يتأمل في النعم التي لا تُحصى والتي لا تزال باقية. عليه في كل محنة أن يتذكر آية من القرآن الكريم تُذكره بالحكم الخفية في الصعوبات والاختبارات، حكم قد لا تُرى حينها. وهكذا، يكون الوضع الذي: سورة البقرة، الآية ٢١٦. يواجهه، في الحقيقة، أفضل مما كان يتمناه.

"وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ..."

وختاماً، فإن التأمل في هذه الحقائق يُسهم في تنمية عقلية إيجابية، وهي ضرورية لتمجيد الله تعالى على الوجه الصحيح، بتجنب خطأ نسب النتائج السلبية إليه. وينبغي أن نتذكر أن الكأس ليست نصف فارغة، بل هي نصف ممتلئة.

بما أن الله تعالى على علم تام وكامل بكل شيء، فلا يخفى عليه شيء. فهو يعلم بدقة من من البشر ينضم إلى، سائر الخلق في طاعته، فينالون بذلك السكينة والطمأنينة في الدنيا والآخرة. كما يعلم من يُعرض عن الطاعة فيُخلّ بتوازن حياته، ويُسيء استخدام النعم التي وُهِبَتْ له. فهو لاء لا مفرّ لهم من المحاسبة، لأن الله تعالى سيُحاسِب كلَّ إنسان مسؤولية كاملة عن اختياراته وأفعاله. سورة النور، الآية 41

"والله عليم بما يفعلون"

في نهاية المطاف، بما أن كل شيء في الوجود خاضع لملكية الله تعالى المطلقة وسلطانه، فمن الضروري للأفراد الالتزام بأوامره. سورة النور، الآية ٤٢

...والله ملك السماوات والأرض

تُذكّر هذه الآية البشرية بأنه كما قد يُعاقَب المرء على مخالفة قوانين بلد، فإن تجاهل الأنظمة الإلهية التي وضعها الخالق سيؤدي حتمًا إلى عواقب في الدنيا والآخرة. قد يختار الشخص مغادرة بلد لا تروق له قوانينه لكنه لا يستطيع الفرار من حكم الله تعالى، لأن سيادته تمتد إلى الكون بأسره. وبالمثل، بينما قد يحاول الأفراد تغيير المعايير المجتمعية لتناسب رغباتهم، لا يمكنهم تعديل القوانين الإلهية التي وضعها الله تعالى. يوضح تشبيه صاحب المنزل هذه الحقيقة: فكما أن صاحب المنزل يُملّي القواعد داخل ممتلكاته، فإن الكون يحكمه الله تعالى، الذي وحده يحدد قوانينه دون الحاجة إلى موافقة بشرية. لذلك، فإن اتباع هذه الأنظمة الإلهية ليس مجرد واجب، بل هو أيضًا منفعة شخصية. من يدرك هذه الحقيقة سيسعى جاهدًا لامتثال أوامر الله تعالى وسيسعى لاستخدام النعم التي وُهِبَتْ له بما يرضيه، كما ورد في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. يُعرض على الأفراد خياران: إما أن يتدبروا ويفهموا حكمة أوامر الله تعالى ونواهيها، مُدركين أن هذه التعليمات الإلهية وُضعت لتعزيز الرفاه الشخصي والاجتماعي - أو قد يستسلمون لشهواتهم ويتجاهلون التعاليم الإسلامية، خادعين أنفسهم بالظن أنهم يستطيعون النجاة من العواقب. ومع ذلك، يجب على من يتجاهل المبادئ الإلهية أن يكون مستعدًا لمواجهة عواقب أفعاله، سواء في هذه الدنيا - من اختلال التوازن

،سورة النور .والاضطراب والمشقة - أو في الآخرة، حيث لا اعتراض ولا شكوى سيحميهم من المساءلة
الآية 42

"وإلى الله المصير"

هذا التذكير الأخير يُوضّح أن كل رحلة، مهما كانت، تنتهي بالعودة إلى الله تعالى .من عاش في طاعة الله وجد السلام والثواب، ومن عاش في معصية الله وجد العدل .فالعاقل من أدرك سلطان الله تعالى، واستعد لعودته الحتمية بالعيش وفق هديه

يوصل الله تعالى توجيهه انتباه البشر إلى آيات خلقه، التي تشهد كل منها بوحدانيتها وسلطانه المطلق على كل شيء، فيحثّ الناس على طاعته في كل ظرف .سورة النور، الآية 43

...ألم تر أن الله يسوق سحبًا ثم يونسه ثم يجعله ركامًا فترى الودق يخرج من خلاله

عندما يتأمل المرء دورة الماء المتوازنة تمامًا، يُصبح ذلك دليلًا واضحًا على حكمة الخالق .يتبخر ماء البحار والمحيطات، ويرتفع في الغلاف الجوي، ويتكثف في السحب، التي تُطلق بدورها المطر .هذا المطر، على الرغم من حمضيته الطبيعية، يُنقى عندما ينزل على الجبال، مما يضمن ملاءمته للاستخدام البشري والحيواني .لو اختل هذا التوازن الدقيق ولو قليلًا، لآدى ذلك إلى دمار الحياة على الأرض .المحيطات نفسها تُظهر حكمة إلهية أيضًا .فالمالح فيها يمنع تحلل الكائنات الميتة من تلويث المياه .لولا هذا الحفظ، لما نجا الماء، ولطغى فساد البحار في النهاية على الحياة على اليابسة أيضًا .علاوة على ذلك، صُمم تركيب الماء الفريد بحيث يحافظ على الحياة البحرية ويسمح في الوقت نفسه للسفن الثقيلة بالطفو على سطحه .لو اختلفت خصائصه ولو قليلًا، لازدهرت الحياة البحرية أو أبحرت السفن، ولكن ليس كليهما معًا .ومع ذلك، فقد خلق

الله تعالى الماء في توازن مثالي، مما يُمكنهما من التعايش. حتى يومنا هذا، لا يزال النقل البحري هو الوسيلة الأكثر استخدامًا لنقل البضائع عبر العالم، مما يُظهر ضرورة هذا التوازن الإلهي. كما يُقاس المطر نفسه بدقة. فقلة المطر تُؤدي إلى الجفاف والمجاعة، بينما تُسبب غزارة المطر الفيضانات والدمار. لذا، فإن (سورة النور، الآية 43، سورة 24). توازن هطول الأمطار ضروري لبقاء الحياة على الأرض.

"وينزل من السماء من الجبال من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء"

للجبال أيضًا دورٌ حيويٌّ في هذا النظام. فهي بمثابة خزاناتٍ مائية، تحفظ مياه الأمطار وتُنقيها لاستخدامها في الزراعة والشرب واستدامة الحياة. منها تتدفق الأنهار والجداول، موزعةً بشكلٍ استراتيجيٍّ عبر الأرض لتوفير إمداداتٍ ثابتةٍ من المياه العذبة للناس والحيوانات والمحاصيل.

كما ذكرنا سابقًا، مع أن جوانب الطبيعة قد تُسبب أحيانًا ضررًا للناس، إلا أن الله تعالى يحميهم من هذا الضرر، بل ويمنحهم منافع لا تُحصى من خلقه. ويتجلى ذلك جليًا في مثال سُحب المطر، التي تحمل -الماء المُحيي للأرض، ولكنها غالبًا ما تكون مصحوبة بالبرق، وهي قوة قد تُهلك البشر بسهولة إن لم تُكبحها: سورة النور، الآية 43. الرحمة الإلهية

"يكاد برقها أن يخطف البصر ..."

تُسلط هذه الآية الضوء على عظمة الظواهر الطبيعية وخطرها المُحتمل، مُذكِّرة كل إنسان بأن حتى القوى التي يعتمد عليها في البقاء هي في نهاية المطاف تحت سيطرة الله تعالى. فلو رفع حمايته، لكانت العناصر التي تُحافظ على الحياة نفسها مصدر دمار. ومع ذلك، فإنه برحمته يسمح للناس بالاستفادة من المطر والسحب وتوازن النظام الطبيعي، بينما يحميهم من القوة الكاملة لمخاطره. وهكذا، يُذكّر الإنسان بالنظر إلى كل جانب

من جوانب الخلق بتواضع وامتنان. فالمطر الذي يُغذي المحاصيل، والسحب التي تُظلل الأرض، وحتى البرق الذي يُنير السماء، كلها آيات من القدرة والحكمة الإلهية. إنها تُثبت أن الله تعالى يُدبر كل تفصيل من تفاصيل الوجود، وأن السلامة والنفع الحقيقيين لا يمكن إيجادهما إلا في طاعته.

إنَّ التعاقب الدقيق للأيام والليالي، مع اختلاف أطوالها على مدار العام، قد رُسِمَ بدقةٍ فائقةٍ ليستفيد الناس منها: سورة النور، الآية ٤٤. أقصى استفادةٍ ممكنة

”...يُخَفِّفُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ“

إذا طالت الأيام، لتعب الناس وتعبوا من ساعات العمل والنشاط الطويلة. وإذا طالت الليالي، لحُرم الناس من الوقت الكافي لكسب رزقهم، وطلب العلم، والانخراط في مساعٍ نافعة أخرى. وعلى العكس، إذا قصرت الليالي، لعجز الناس عن الحصول على الراحة اللازمة للحفاظ على الصحة والقوة وشفاء الذهن. هذا التوازن ليس ضروريًا لسلامة الإنسان فحسب، بل أيضًا للطبيعة. فأي تغيير في طول النهار والليل من شأنه أن يُعطّل نمو المحاصيل، مما يؤثر سلبيًا على توفير الغذاء للإنسان والحيوان. لذا، فإن التنظيم الدقيق للوقت رحمة من الله تعالى، ودليل على كمال حكمته. إن كون النهار والليل، وغيرهما من الأنظمة الكونية المتوازنة تعمل في تناغم تام، دليل واضح على وحدانية الله تعالى. فلو وُجدت آلهة متعددة، كلٌّ منها يسعى إلى نتائج مختلفة، لوقعت السماوات والأرض حتمًا في الفوضى والاضطراب. سورة الأنبياء، الآية 22

”وَلَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا“

وهكذا، فإن انسجام الكون ليس صدفة، بل هو تدبير مقصود، انعكاسٌ للوحدة الإلهية وسلطانها. وكما أن السماوات والأرض تحافظان على توازنهما بخضوعهما لأمر الله تعالى، فكذلك ينبغي على الناس أن يسعوا

،إلى التوازن في حياتهم بطاعته .وبذلك، ينسجمون مع النظام الطبيعي للخلق، ويضمنون راحة البال في الدنيا ويستعدون للنجاح الأبدي في الآخرة، من خلال تحقيق حالة ذهنية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل :سورة النور، الآية 44 .شيء وكل شخص في مكانه الصحيح

"إن في ذلك لعبرة لأولي الأبالباب ..."

:سورة النور، الآية 45

"...وخلق الله كل دابة من ماء "

هذه الحقيقة، التي كُشِفَ عنها في القرآن الكريم، لم تُؤكِّد إلا بالاكشاف العلمي بعد قرون عديدة، في وقتٍ كانت فيه هذه المعرفة بعيدة كل البعد عن متناول الفهم البشري .لذا، لا تُمثِّل الآية بيانًا واقعيًا فحسب، بل تُمثِّل أيضًا دلالة عميقة على وجود الله تعالى وحكمته وقدرته .تُذَكِّر البشرية بأنَّ أساس الحياة هو الماء، وأنَّ كلَّ كائن حيٍّ - سواءً أكان إنسانًا أم حيوانًا أم نباتًا - يعتمد عليه في البقاء .يُبرهن هذا الاعتماد الكوني على أنَّ الخليقة ليست -مكتفية بذاتها، بل تعتمد كليًا على رزق الله تعالى المُستمر .وكما ذُكر سابقًا، فإنَّ تناغم دورة الماء - التبخر، والتكثف، وهطول الأمطار، والامتصاص - دقيقٌ للغاية لدرجة أنَّ أدنى تغييرٍ فيه كفيلٌ بتدمير الحياة على الأرض .هذا التوازن الدقيق دليلٌ واضحٌ على تصميمٍ مُتعمَّد، وليس صدفةً أو مُصادفةً .لذا، تُمثِّل الآية دحضًا للإلحاد والشرك على حدٍّ سواء .إذا كانت الحياة نفسها تنبع من الماء، وكان الماء خارجًا عن إرادة الإنسان، فإن الإيمان بخالق هو الاستنتاج العقلي الوحيد .علاوة على ذلك، فإن كمال هذا النظام ينفي إمكانية تعدد الآلهة، إذ لا يمكن لمثل هذه الوحدة والنظام أن يوجد وسط إرادات متضاربة .وقد أكد العلم الحديث ما أعلنه الوحي منذ زمن بعيد :أن جسم الإنسان يتكون في معظمه من الماء، وأن الماء لا غنى عنه لوظائف الخلايا واستمرار الحياة .هذا التوافق بين الوحي والواقع الملموس يُظهر حقيقة القرآن الكريم الخالدة .فكما أن الماء يُغذي الحياة الجسدية، فإن الوحي الإلهي يُغذي الحياة الروحية؛ وبدونه، تنبل الروح كما يفنى الجسد بدون ماء .وهكذا، فإن الآية ليست مجرد وصف لأصل الحياة، بل هي دلالة تشير

مباشرة إلى وجود الله تعالى وحكمته وسلطانه. إنها تدعو كل إنسان إلى التفكير، وترك الكفر، والاعتراف بأن من خلق الحياة من الماء هو وحده المستحق للعبادة والطاعة. إن الذي يغذي الجسد بالماء هو نفسه الذي يغذي الروح بالوحي، والابتعاد عن كل منهما دعوة للهلاك.

نظرية التطور هي عملية طفرة، إلا أن الطفرة بطبيعتها ناقصة وغير مستقرة وعرضة للخطأ. لكن عندما يراقب المرء الأنواع العديدة التي تسكن الأرض، فإنه لا يجد نقصاً، بل دقة وتوازناً ملحوظين. لقد صُنِعَ كل نوع بطريقة تجعله يزدهر في بيئته التي يعيش فيها، مظهرًا الغاية والتصميم لا الصدفة والصدفة. سورة النور، الآية 45:

"...ومنهم من يمشي على بطنه، ومنهم من يمشي على رجلين، ومنهم من يمشي على أربع، يخلق الله ما يشاء"

تأملوا في الجمل، ذلك الكائن الفريد الذي صُمم لتحمل حرارة الصحراء الحارقة، وللبقاء لفترات طويلة دون ماء. فجسمه مهيأ تمامًا لحياة الصحراء، مما يُمكنه من أن يكون وسيلة نقل وإمداد أساسية في بعض أقسى مناخات الأرض). سورة الغاشية، الآية 17)

أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ؟

وبالمثل، خُلِقَت الماعز بدقة متناهية. ففي جسمها، تُفصل الشوائب عن الحليب الذي تُنتجه، مما يضمن بقاء الحليب نقيًا ومغذيًا ولذيذاً. ولولا هذا الفصل، لكان الحليب غير صالح للشرب. سورة النحل، الآية 66

وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها من بين فرث ودم لبنًا خالصًا سائغًا للشاربين.

يتجلى توازن الخلق أيضًا في أعمار الأنواع المختلفة وقدراتها التكاثرية. فقد مُنح كل نوع منها فترة حياة محددة ومعدل تكاثر محدد يمنع نوعًا واحدًا من التفوق على البقية. فالذباب، على سبيل المثال، لا يعيش سوى ثلاثة إلى أربعة أسابيع، ولكنه يضع مئات البيض. ولو كان عمره أطول، لسرعان ما أصبح عدده غير متناسب، مما يطغى على المخلوقات الأخرى ويخل بتوازن الحياة على الأرض. في المقابل، تُمنح الحيوانات ذات الأعمار الطويلة القدرة على إنجاب عدد قليل من النسل، مما يضمن بقاء أعدادها معتدلة. لا يمكن تفسير هذا التوازن الدقيق، الملحوظ في جميع أشكال الحياة، بأنه مجرد صدفة، ولا يمكن لعملية الطفرات العشوائية سورة النور، الآية 45. أن تفسر هذه الدقة. بل هو دليل واضح على إرادة الخالق وحكمته وقدرته

"يخلق الله ما يشاء، إن الله على كل شيء قدير..."

وهكذا، فإن تنوع الحياة، وتكيفها التام مع البيئة، والتوازن الذي يحافظ عليها، كلها دلائل لا شك فيها على الحكمة الإلهية. إنها تُذكر البشرية بأن الخلق غاية لا عشوائية، وأن من خلقه بهذا الكمال هو وحده المستحق للطاعة والعبادة. إن التأمل في هذه الدلائل يعني إدراك أن الحياة ليست وليدة صدفة عمياء، بل هي نتاج تصميم مدروس، وأن انسجام الخلق يدل مباشرة على وحدانية الله تعالى.

لذا، يجب على الإنسان أن يُخلص في طاعة الله تعالى، وذلك بحسن استخدام نعمه كما وردت في التعاليم الإسلامية. سورة النور، الآية ٤٦:

"...لقد أنزلنا آيات بينات "

تؤكد هذه الآية أن القرآن الكريم ليس مجرد عبارات مبهمه أو غامضة، بل هو وحيٌ جليلٌ وواضحٌ وشاملٌ تتجاوز رسالته حدود الزمان والظروف، مُلبيةً الاحتياجات الأخلاقية والاجتماعية والروحية لكل جيل. مهما تقدمت الحضارة الإنسانية - سواءً في التكنولوجيا أو الطب أو علم النفس أو دراسة العقل والجسد - فإنها، تظل عاجزةً عن صياغة نظام أخلاقي سليم ينسجم تمامًا مع الطبيعة البشرية. المعرفة البشرية، رغم تقدمها لا تزال تكشف عن جوانب جديدة من الوجود، لكنها لا تستطيع استيعاب جوهر الطبيعة البشرية كاملاً. إذا لم يستطع الناس فهم أنفسهم تمامًا، فكيف يمكنهم وضع نظام حياة مثالي يضمن السلام الداخلي والوئام الاجتماعي والعدالة للجميع؟ الله تعالى وحده، خالق البشرية وكل ما هو موجود، يمتلك المعرفة والحكمة اللامحدودتين اللازمتين لهداية البشرية نحو الكمال الحقيقي. علمه يشمل الماضي والحاضر والمستقبل بلا حدود، وشرائعه مُلائمة تمامًا لاحتياجات الإنسان في كل عصر. لذلك، يُميز التشريع الإلهي الذي أنزله الله بوضوح بين الحق والباطل، والخير والشر، والنفع والضرر. إنه يهدي الناس إلى السكينة والاستقرار في عالمٍ غالبًا ما يسوده الاضطراب والارتباك والريبة الأخلاقية. والتاريخ شاهدٌ لا يُنكر على هذه الحقيقة. فكلما طُبّق التوجيه الإلهي بصدق - سواءً في السلوك الشخصي أو الحياة الأسرية أو النظام الاجتماعي - حلّ الطمأنينة والعدل والرخاء. وتوطدت الأسر، وازدهرت المجتمعات، وعاش الأفراد في عزة وكرامة. ومع ذلك، عندما أعرض الناس عن الوحي الإلهي، انتشر الفساد والظلم، مما أدى إلى القلق والصراع والانحلال الاجتماعي. لذا، يجب على كل إنسان أن يتقبل إرشاد الله تعالى بتواضع وثقة، مُدركًا أنه وُضع لخيره في نهاية المطاف - حتى لو تعارضت بعض التعاليم مع رغباته الشخصية أو توجهاته الاجتماعية. ينبغي للمرء أن يتعامل مع الوصايا الإلهية كما يتعامل المريض الحكيم مع نصيحة الطبيب الخبير: يتقبل الدواء المر والنظام المنضبط، مُدركًا أن كليهما أساسيان لصحة دائمة. كذلك، وإن بدت أوامر الله تعالى صعبة على النفس، فهي في الحقيقة وسيلةٌ لبلوغ الحرية الحقيقية، والكرامة، والتوازن، والنجاح - في الدنيا والآخرة: سورة النور، الآية ٤٦. بتوفيق القلب والعقل والجسد في تناغم تام بفضل إرشاد الخالق

"والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم"

:سورة النور، الآية 46

"...لقد أنزلنا آيات بينات "

إن تعبيرات القرآن الكريم فريدة من نوعها، لا مثيل لها في أي تأليف بشري. تُثقل معانيه بوضوح ودقة تامتين، بينما تتمتع كلماته وآياته بعمق من البلاغة والجمال يفوق التقليد. إنه خالٍ تمامًا من التناقض - وهي سمة غائبة عن جميع الكتب والأنظمة الأخرى التي أنتجها العقل البشري. يروي القرآن الكريم تاريخ الأمم السابقة بالتفصيل، مع أن النبي محمدًا صلى الله عليه وسلم لم يتلقَ تعليمًا رسميًا في التاريخ أو الأدب. وهذا وحده دليل واضح لا يقبل الجدل على أصله الإلهي. يأمر القرآن الكريم بكل شكل من أشكال الفضيلة وينهى عن كل شكل من أشكال الرذيلة، سواء كانت تتعلق بالأفراد أو تمتد إلى المجتمع الأوسع. هدفه هو إرساء العدل والأمن والسلام في كل منزل ومجتمع وأمة. بخلاف الشعر والأساطير والخرافات، فإن القرآن الكريم خالٍ من المبالغة والزيف والاختلاق. كل آية فيه هادفة ومفيدة وقابلة للتطبيق في الحياة اليومية. حتى مع تكرار القصة، لا تُكرر أبدًا - فكل إعادة تكشف عن حكمة جديدة وبصيرة أعمق. بخلاف أي كتاب آخر لا يُملّ القرآن الكريم قارئه أبدًا، مهما تكررت قراءته، فحكيمته لا تنتضب وتُتغشّ ذهن. يُقدّم القرآن الكريم وعودًا وتحذيرات مدعومة بأدلة واضحة لا تُنكر. وعندما يُناقش فضائل قد تبدو مُجرّدة - كالصبر والشكر والتواضع - فإنه يُقدّم وسائل عملية لغرسها في النفس. إنه يدعو البشرية إلى تحقيق غاية الخلق: طاعة الله تعالى بإخلاص، باستخدام نعمه على النحو الذي يُرضيه. بهذه الطاعة، ينال الإنسان راحة البال، والتوفيق، في الدنيا والآخرة، والتناغم في حالته النفسية والجسدية - مُعيدًا كل شيء وكل شخص إلى مكانه الصحيح مُستعدًا للمحاسبة يوم القيامة. يُبين القرآن الكريم الصراط المستقيم بوضوح وجاذبية لكل من يسعى بصدق إلى الحقيقة والسكينة. لأنه يُخاطب جوهر الطبيعة البشرية، فإن هدايته تبقى خالدة، ومناسبة لكل إنسان، وكل مكان، وكل جيل. إنها علاج للصعوبات العاطفية والاجتماعية والاقتصادية، بل وحتى الجسدية - إذا فُهمت وطُبقت بشكل صحيح. إنها تُقدم حلولاً شاملة لكل مشكلة قد يواجهها الفرد أو المجتمع. سورة النور، الآية

46:

مُستقيم لقد أنزلنا آياتٍ مُفصلاتٍ والله يهدي من يشاء إلى صراطٍ

يشهد التاريخ نفسه أنه كلما طُبِّقَت تعاليم القرآن الكريم بصدق، ازدهرت المجتمعات في عدل ورخاء ووثام
مرت قرون، ولم يُحرَف حرف واحد من القرآن الكريم، فقد وعد الله تعالى بحفظه. لم يمتلك أي كتاب آخر
:في تاريخ البشرية هذه الحماية الإلهية. سورة الحجر، الآية 9

"إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ"

علاوة على ذلك، يعالج القرآن الكريم جذور الفساد في الأفراد والمجتمعات، مقدّمًا علاجات عملية تعيد التوازن
و:الصالح. وبمعالجة جذوره، يحل تلقائيًا فروغًا لا تُحصى من المشاكل الناجمة عنه. سورة النحل، الآية 89

"...ونزلنا إليك الكتاب تبياناً لكل شيء..."

،هذه أعظم وأبقى معجزة أنعم الله بها على خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم. وكما حدّرت الآية التالية
فإن نورها الإلهي لا ينال إلا من سعى بصدق إلى الحق وعمل به. أما من اتبع أهوائه أو انحاز إلى هدايته
غافلاً عن تمامها، فسيخسر في الدنيا والآخرة). سورة الإسراء، الآية 82)

.وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً

:وسورة النور، الآية 47

"ولكنهم يقولون آمنا بالله وبالرسل وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك "

لذا، يجب على الإنسان أن يحذر من النفاق، حيث لا يُدعم إعلانه اللفظي بالإيمان بأفعال. فالإيمان ليس مجرد نطق باللسان، بل هو حقيقة لا بد من إثباتها من خلال الاستخدام الصحيح لنعم الله تعالى، وفقاً لهدى القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. إن إهمال هذه المسؤولية يُدخل الخلل في حياة المرء، ويؤدي إلى حالة من سوء ترتيب الأولويات، وتبديد النعم، وسوء إدارة العلاقات. هذا الإهمال يؤدي حتماً إلى اضطراب داخلي وتوتر وصعوبات في الدنيا والآخرة. أولئك الذين يُصرّون على هذه العقلية النفاقية قد يكون مصيرهم مصير المنافقين الأوائل، الذين أظهروا الإيمان ظاهراً لكنهم لم يُجسّدوه باطناً، ورحلوا عن الدنيا. سورة النور، الآية 47. بغير إيمان حقيقي

"وأولئك ليسوا بالمؤمنين..."

من الضروري إدراك أن الإيمان ليس مجرد ملكية ثابتة، بل هو واقع حيّ يتطلب رعايةً وتغذيةً مستمرتين. يُشَبَّه الإيمان بالنبته: يجب سقيها بالطاعات، وتقويتها بالذكر، وحمايتها من أعشاب المعصية والنفاق. فكما أن النبتة التي تُحرم من نور الشمس والغذاء تذبل وتموت، فكذلك إيمان الإنسان قد يذبل إن لم يُعزَّز بالأعمال الصالحة. يؤكد هذا التشبيه على الحقيقة العميقة، وهي أن الإيمان لا يحيا بالكلام وحده، بل يجب تنميته بالشكر، والطاعة والإخلاص، وحمايته من الفساد والإهمال. إن التخلي عن هذه النشأة يُعرّض الإنسان لخسارة فادحة، ألا وهي فقدان الإيمان نفسه، الذي لا تُعوّضه ثروة ولا سلطة ولا متاع دنيوي. لذا، فالعاقل هو من يُعنى بإيمانه باستمرار، فيُغذّيه بالأعمال الصالحة، ويُقوّيه بالتأمل والذكر، ويُصان من سموم النفاق والغفلة. وبذلك، فإنهم يسمحون لإيمانهم بأن يزدهر مثل نبات صحي، فيجلب الظل والثمرة والجمال إلى حياتهم في هذا العالم والمكافأة الأبدية في الآخرة.

كما ذكرنا سابقاً، من علامات النفاق الواضحة والخطيرة عدم استجابة الشخص لتعاليم الإسلام إلا إذا توافقت مع رغباته الشخصية، ثم ينصرف عنها عندما تتعارض الهداية الإلهية مع ميوله. فهؤلاء يتعاملون مع أوامر: سورة النور، الآيتان 48-49. الله تعالى على أنها مشروطة، فلا يطيعونها إلا لما فيه مصلحتهم

"وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون فإن كان لهم الحق يأتوه طوعاً "

يكشف هذا الموقف أن ولاءهم ليس لله تعالى، بل لأنفسهم. يتعاملون مع الإسلام كلباس، يلبسونه وقت راحتهم، ويخلعوناه عندما يتعارض مع رغباتهم. في الحقيقة، هؤلاء لا يعبدون الله تعالى، بل أهوائهم (سورة الفرقان 43). الآية 43

"...أرأيت من اتخذ إلهه هواه"

عندما تسيطر الشهوات الدنيوية على القلب، فإنها تُفسده وتُسممه، فتدفع الإنسان إلى التلاعب بالإيمان بما: سورة النور، الآية 50. يُناسب شهواته بدلاً من ضبطها بما يتوافق مع الهداية الإلهية

"...هل في قلوبهم مرض؟ "

عندما يُصبح المرء عبداً لشهواته، يفقد السيطرة على أفعاله. لم يعد سلوكه مُوجَّهاً بالعقل أو الوحي، بل بالسعي الدؤوب وراء الإشباع. هذه الحالة تُشبه حالة المدمن، الذي يُقاد بالإكراه بغض النظر عن الضرر

الذي يُسببه. وكما قد يلجأ مدمن المخدرات إلى السرقة أو السلوك المُدمّر وهو أعمى عن الخراب الذي يُلحقه بنفسه، فكذلك من استعبده المال أو المكانة أو اللذة يُصبح غافلاً عن دمار روحه. فالرغبة الجامحة تتحول بسهولة إلى إدمان. لذلك، من الضروري ضبط الشهوات، والسعي في الحلال فقط، والقيام بذلك باعتدال فالتوازن يحمي الإنسان من الوقوع في الفجور والفساد، وحتى الأذى الجسدي والنفسي. وقد حدد الله تعالى السبب الجذري لهذا الفساد: ضعف الإيمان. سورة النور، الآية 50

"... أم شكوا؟ ..."

أساس ضعف الإيمان هو الجهل بالتعاليم الإلهية. فمثل هذا الإنسان يعصي الله تعالى كلما تعارضت أوامره مع أهوائه، غافلاً عن أن راحة البال الحقيقية تكمن في الطاعة لا في التفريط. بل قد يقنعه ضعف إيمانه بأن القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ظالمتان، فيتجاهلهما مع إيمانه. سورة النور، الآية 50

"... أم يَخَافُونَ أَنْ يَحْيَاهُمُ اللَّهُ أَوْ رَسُولُهُ..."

في الواقع، ليس العدل الإلهي هو العيب، بل قلوبهم. بإصرارهم على المعصية، يُسيئون استخدام النعم التي مُنحت لهم. سورة النور، الآية ٥٠

"بل أولئك هم الظالمون..."

، عواقب هذا النفاق وخيمة في الدنيا والآخرة. ففي هذه الحياة الدنيا، يمنعهم من تحقيق التوازن النفسي والبدني ويؤدي بهم إلى ضياع أولوياتهم وعلاقاتهم. فالعائلة والأصدقاء والعمل والثروة - التي كان من الممكن أن تكون مصدر راحة - تتحول إلى مصادر للتوتر والصراع. يلقون باللوم على الأشخاص والظروف غير المناسبة، بل ويقطعون علاقاتهم بمن يطمنون لهم الخير، مثل أزواجهم، مما يزيد من بؤسهم. غالبًا ما تؤدي هذه الدوامة إلى عدم الاستقرار النفسي، والعادات المدمرة، واليأس. تتجلى هذه النتيجة عندما نلاحظ أولئك الذين يُصرّون على إساءة استخدام النعم التي مُنحت لهم، مثل الأغنياء والمشاهير. فرغم ترفهم الدنيوي، يُعاني الكثيرون من مشاكل نفسية حادة. ويمنعهم إهمالهم للهداية الإلهية من الاستعداد للمساءلة النهائية. وبالتالي فإن عقابهم في الآخرة سيكون أشد بكثير من الاضطراب الذي عانوه في الدنيا.

:سورة النور، الآية ٥١. بعد وصف حال المنافقين، يقارن الله تعالى حالهم بحال المؤمن الصادق

"...إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا "

تُسلط هذه الآية الضوء على صفة المؤمن الأساسية: الطاعة المطلقة لله تعالى ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم. ومن الجدير بالذكر أن هذا الموقف يُنسب إلى المؤمن تحديدًا، وليس إلى المسلم وحده. وهذا التمييز بالغ الأهمية. فقد يقبل المسلم الإسلام بحكم عائلته أو ثقافته أو هويته الاجتماعية، دون معرفة عميقة أو قناعة راسخة. وقد يُسلم هؤلاء ظاهريًا، لكنهم في باطنهم يفتقرون إلى قوة الإيمان التي تُلزمهم بالطاعة الراسخة. :سورة الحجرات، الآية 14

"...قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم"

وهكذا، فبينما قد يؤدي المسلمون واجباتهم الأساسية، فإن قلة علمهم ويقينهم غالباً ما تجعلهم ضعفاء الإيمان. ضعف الإيمان يجعلهم عرضة للعصيان، لا سيما عندما تتعارض رغباتهم مع الهداية الإلهية. وقد يسيئون استخدام النعم التي وهبوا بها، فلا يدركون أن راحة البال الحقيقية تكمن في مواعمة حياتهم مع أوامر الله تعالى. في المقابل، يقبل المؤمن الإسلام على علم وفهم مستمدة من القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. هذه المعرفة تقوي إيمانهم، وتمكنهم من الثبات على الطاعة: سورة الحجرات، الآية 15.

إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وأولئك هم الصادقون.

بفضل إيمانهم القوي، يُحافظ المؤمنون على إخلاصهم لله تعالى في جميع الأحوال. فيُظهرون الشكر في أوقات الرخاء، وفي أوقات الشدة، يُظهرون الصبر. يُعبر عن الشكر في النية بالعمل لإرضاء الله تعالى فقط، دون طلب اعتراف دنيوي. ويُعبر عنه في الكلام بذكر الله، والتحدث بإيجابية، أو اختيار الصمت على الكلام المؤذي. ويُعبر عنه في العمل باستخدام النعم بطرق تُرضي الله تعالى، كما هو موضح في القرآن الكريم وتعاليم النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم. تؤدي ممارسة الشكر هذه إلى مزيد من النعم والسكينة من خلال تحقيق حالة ذهنية وجسدية متوازنة ومن خلال وضع كل شيء، والنجاح في كل من الدنيا والآخرة: وكل شخص في حياتهم بشكل صحيح. سورة إبراهيم، الآية 7.

لئن شكرتم لأزيدنكم

أما الصبر، فيقتضي الامتناع عن الشكوى قولاً وفعلاً، مع الثبات على طاعة الله تعالى. وهو نابع من اليقين (سورة البقرة، الآية ٢١٦). بأن الله تعالى يختار الأصلح دائماً، حتى وإن لم يكن واضحاً للعيان.

"وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ..."

:سورة النور، الآية 51

"...إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا"

وهكذا، فإن المؤمن الحق هو من يستجيب لله تعالى ورسوله الكريم محمد صلى الله عليه وسلم بطاعة عملية لا تردد فيها في كل حال. وهؤلاء ينالون عون الله تعالى ورحمته الدائمة، التي تزرع السكينة في الدنيا، والآخره بمنحهم انسجاماً في العقل والجسد، وحسن تنظيم حياتهم. ويؤكد هذا المبدأ حديثٌ في صحيح مسلم
:سورة النور، الآية 51. رقم 7500

"وأولئك هم الناجحون..."

،بهذه الطريقة، يُبين القرآن الكريم بوضوح بين النفاق، الذي ينبع من ضعف الإيمان -والمصلحة الذاتية والإيمان الحقيقي، الذي يرتكز على المعرفة والطاعة والشكر والصبر. فالنفاق يُؤدي إلى اختلال التوازن من خلال، والتوتر والخسارة الفادحة، بينما الإيمان الحقيقي يُفضي إلى الانسجام والسكينة والنجاح الأبدي. تحقيق حالة ذهنية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في الحياة على النحو الصحيح
:سورة النور، الآية 52

"ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتق فأولئك هم الفائزون"

علاوة على ذلك، فإن من أركان التقوى ليس فقط اجتناب ما حرم الله تعالى، بل أيضاً ضبط النفس في بعض الأمور المشروعة عند وجود خطر الوقوع فيها تدريجياً في الحرام. سورة البقرة، الآية ١٨٧

"تلك حدود الله فلا تقربوها"

من المهم أن الله تعالى لم يحرم تجاوز حدوده فحسب، بل حذر من الاقتراب منها. يُعلّمنا هذا التمييز أن السلامة الحقيقية لا تكمن في الامتناع عن المعصية فحسب، بل في اجتناب الطرق المؤدية إليها أيضاً. وتتجلى حكمة هذا المبدأ في جميع آيات القرآن الكريم. فعلى سبيل المثال، عندما خاطب الله تعالى النبي الكريم آدم عليه السلام في الجنة، لم ينهه عن أكل ثمرة الشجرة فحسب، بل أمره ألا يقترب منها. سورة الأعراف، الآية 19

"و يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين"

يُظهر هذا المثال أن تجاوز حدود الله تعالى، حتى في الأمور المباحة ظاهرياً، قد يُفضي في النهاية إلى التعدي. ولذلك، تقتضي الحكمة اجتناب بعض الأمور المباحة حين يُحتمل أن تُصبح مدخلاً إلى الحرام. وهناك حالات كثيرة تؤدي فيها الأفعال المباحة، وإن كانت باطلة، تدريجياً إلى الإثم. فالقول الباطل، على سبيل المثال، ليس مُحرمًا في حد ذاته، ولكنه غالباً ما يُصبح موطئاً للغيبة والكذب والقذف. وبالمثل، فإن إنفاق وهو إثم. سورة، المال باطلاً، وإن لم يكن إثمًا في بدايته، إلا أنه غالباً ما يُفضي إلى الإسراف والتبذير

الإسراء، الآية 27

"إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا"

،نادرًا ما يكون طريق الضلال مفاجئًا، بل هو عملية تدريجية .كثيرٌ ممن وقعوا في الخطيئة فعلوا ذلك تدريجيًا بدءًا من الاقتراب من الشبهات أو التفاهات، ثم الاعتياد عليها، وأخيرًا الانغماس في الحرام الواضح .على سبيل المثال، من يلزم من يشرب الخمر بانتظام، حتى لو امتنع هو نفسه في البداية، يكون أكثر عرضة للوقوع في المعصية في النهاية من من يتجنبها تمامًا .وقد أكد النبي محمد صلى الله عليه وسلم على مبدأ الحذر والحيلة .ففي حديث ورد في جامع الترمذي، رقم 2451، نصح بأنه لا يمكن للإنسان أن يبلغ التقوى الحقيقية حتى يترك بعض الحلال خوفًا من أن يفضي إلى الحرام .بعبارة أخرى، فإن الثبات على نعم الله تعالى لا يقتضي فقط اجتناب الحرام، بل أيضًا ضبط النفس فيما هو مباح إذا كان يشكل خطرًا على الإيمان .لذا، فإن المتقين حقًا هم من يحرصون ليس فقط على اجتناب الحرام، بل أيضًا على الابتعاد عن بعض الأمور الحلال الباطلة .وبذلك، يثبتون على طاعة الله تعالى، ويحرصون على استخدام نعمهم وفقًا للقرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم .هذا هو جوهر الاستقامة، الذي يجلب راحة البال في الدنيا والآخرة، ويعزز حالة ذهنية وجسدية متوازنة، ويضمن وضع كل شيء وكل شخص في حياة المرء في مكانه الصحيح) .سورة (النحل ، الآية 97، الفصل 16

"من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون"

على النقيض من ذلك، فإن من لا يدرك أهمية عدم الاقتراب من حدود الله تعالى، يُفرط في الحلال، وخاصةً في المطاعم العبثية .هذا الإفراط يزيد من احتمال الوقوع في الحرام، ويؤدي إلى إساءة استخدام النعم .هذا الإساءة تؤدي حتمًا إلى التوتر واختلال التوازن والمشقة في الدنيا والآخرة .إنه يُخلل بالصحة النفسية والجسدية -، ويُسبب اضطرابًا في العلاقات الشخصية، ويمنع الاستعداد الجيد للحساب يوم القيامة .حتى لو عاش هؤلاء الأفراد لحظات عابرة من الترفيه أو الترف، فإن حياتهم تبقى جوفاء وغير مستقرة .يتضح هذا الواقع عندما يُراقب المرء حياة أولئك الذين يُفرطون في الملذات الحلال دون رادع، مثل الأغنياء والمشاهير، الذين على الرغم من وفرة ملذات الدنيا لديهم، غالبًا ما يُعانون من اضطراب داخلي وعدم استقرار .ويأس .سورة طه، الآيات ١٢٤-١٢٦:

ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد
"كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى

ثم يعود الله تعالى ليكشف عن صفة أخرى من صفات النفاق التي يجب اجتنابها بأي ثمن. فإذا أقدم من يُظهر
إيمانه بالله تعالى على هذا السلوك، فإنه يُخاطر بحشره مع المنافقين في الآخرة. وذلك لأن النبي محمدًا صلى
الله عليه وسلم، كما حدّر في رواية في سنن أبي داود، رقم 4031، أن كل فرد سيُحسب في النهاية ممن
يُقلّدهم. وهكذا، فإن تقليد المنافقين قولًا أو فعلًا ليس بالأمر الهين، بل هو سبيلٌ إلى صحبتهم في الآخرة
(سورة النور، الآية 53).

"...وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجن"

يسارع المنافقون إلى الحلف والفصاحة في الكلام عن استعدادهم لطاعة الله تعالى. يدّعون أنهم مستعدون
للتضحية بوقتهم وأموالهم وطاقاتهم في سبيله. لكن هذه الادعاءات جوفاء، لأنها لا تستند إلى أفعال. إنهم
بارعون في الكلام، لكن أفعالهم تكشف عن نفاقهم. يذكرون الآخرين بمدى حبهم لله تعالى ورسوله الكريم
محمد صلى الله عليه وسلم، لكنهم لا يكرسون أنفسهم لتعلم القرآن الكريم أو سنن النبي الكريم محمد صلى
الله عليه وسلم أو العمل بها. بدلاً من ذلك، يبددون وقتهم وطاقاتهم في مساعي عبثية وغير ضرورية. يجدون
فرصًا لا حصر لها للانغماس في اللهو واللغو واللهو الدنيوي، ومع ذلك يزعمون أنه ليس لديهم وقت لدراسة
القرآن الكريم أو التأمل في معانيه أو تطبيق هدايته في حياتهم. يتباهون بانتمائهم لمنهج النبي محمد صلى الله
عليه وسلم، ولكنهم لجهلهم بحياته وتعاليمه، يخلطون بين العادات والتقاليد الثقافية والممارسات الموروثة
وتقاليده. لذا، فإن ادعاءاتهم بالحب والطاعة باطلة، فكما أوضح الله تعالى في تكملة الآية ٥٣، فإن الطاعة
الحقيقية لا تثبت بالإيمان أو القول، بل بالعمل المتواصل). سورة النور، الآية ٥٣)

"...قُلْ لَا تَخْلِفُوا إِنَّ الطَّاعَةَ مَعْرُوفَةٌ..."

تُرسي هذه الآية مبدأً خالداً: إن محبة الله تعالى ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم وطاعة هما لا تُقاس بالأقوال، بل بصدق العمل. قد يُخدع المنافق بكلامه، لكنه لا يُخدع الله تعالى، العليم بالحقيقة في كل قلب. من لم يتعلم التعاليم الإسلامية ويعمل بها لا يملك طاعة حقيقية ولا حباً أصيلاً. يدفعه نفاقه إلى الإصرار على إساءة استخدام النعم التي وهبت له، وهذا يؤدي حتماً إلى اختلال التوازن في العقل والجسد. يُسيئون ترتيب أولوياتهم، ويُسيئون استخدام علاقاتهم، ويُفسدون حياتهم. حتى لو تمتعوا بلحظات من الرفاهية الدنيوية، فإن نفاقهم يضمن أن تكون حياتهم مليئة بالتوتر والمتاعب والصعوبات. يصبح ثروتهم مصدر قلق، وعلاقاتهم مصدر صراع، وراحتهم مصدر فراغ. والأخطر من ذلك، أن نفاقهم يمنعهم من الاستعداد الكافي للحساب يوم القيامة. ففي ذلك اليوم لا تُقبل أعذار، ولا تُجدي توبة، لأن الله تعالى كان دائماً على علم تام بنواياهم. وزيف أقوالهم عن الحب والاحترام). سورة النور، الآية ٥٣)

"إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ..."

هذه الآية تذكيرٌ قويٌّ بأن الإيمان ليس قولاً، بل فعل. يخدع المنافق الناس بكلامه، لكنه لا يخدع الله تعالى. المؤمنون الحقيقيون لا يتميزون بما يدّعون، بل بأسلوب حياتهم. يتجلى صدقهم في طاعتهم الدائمة، وفي حسن استخدامهم للنعم التي أنعم الله عليهم بها، وفي استعدادهم للتضحية بشهواتهم في سبيله. الدرس واضح. لا قيمة لكلمات الحب والإخلاص الجوفاء دون عمل. يقسم المنافق ويدّعي، أما المؤمن فيُظهر صدقه بالطاعة. يُبدد المنافق نعمه في مساعي باطلة، بينما يستغلها المؤمن بما يُرضي الله تعالى. يعيش المنافق في اضطراب، واضطراب، بينما يجد المؤمن السكينة والوئام في العالمين، من خلال تحقيق حالة ذهنية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في حياته على النحو الصحيح. وبينما يواجه المنافق الذل يوم القيامة، فإن المؤمن سوف يكرم برحمة الله تعالى وتأييده.

لذا، من الضروري أن يقبل الإنسان تعاليم الإسلام ويعمل بها لمصلحته الخاصة، حتى لو بدت تلك التعاليم متعارضة مع ميوله ورغباته الشخصية. سورة النور، الآية ٥٤

"قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول"

يتعامل العاقل مع التوجيه الإلهي كما يتعامل المريض مع نصيحة الطبيب الماهر. فالمريض الذي يثق بطبيبه يقبل الأدوية المرّة ويلتزم بنظام غذائي صارم، ليس لأنها مريحة، بل لأنه يعلم أن هذا النظام ضروري لشفائه وصحته على المدى الطويل - وبالمثل، فإن من يقبل تعاليم الإسلام ويعمل بها، حتى لو بدت صعبة أو مخالفة لرغباته، سيصل في النهاية إلى العافية الحقيقية. وكما ينال المريض الصحة الجسدية بطاعة نصيحة الطبيب كذلك ينال توازن العقل والجسد بطاعة الله تعالى. ذلك لأن الله تعالى وحده هو الذي يملك المعرفة الكاملة اللازمة لضمان انسجام الإنسان مع نفسه وتنظيم كل شيء وكل شخص في حياته على النحو الصحيح. المعرفة البشرية، مهما تقدمت، تبقى محدودة. فرغم قرون من البحث في أحوال البشر، لا يستطيع المجتمع تقديم حلول لكل تحدٍ قد يواجهه. ولا تستطيع النصيحة البشرية أن تحمي الإنسان من كل أشكال التوتر النفسي والجسدي، ولا تضمن له أن يضع أولوياته وعلاقاته ونعمه في مكانها الصحيح. إن الفهم البشري محدودٌ ببصيرة محدودة، وتحيز شخصي، وتجربة ناقصة. والله تعالى وحده يملك المعرفة الكاملة، وقد وهبه للبشرية من خلال القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

لم تكن مهمة النبي محمد صلى الله عليه وسلم إكراه الناس على الطاعة. بل كان واجبه تبليغ رسالة الله تعالى بوضوح، وشرح تعاليم الإسلام، وتقديم نفسه قدوة حسنة للبشرية. فإذا رفض الناس هذا الهدى لتعارضه مع (سورة النور، الآية ٥٤). شهواتهم الدنيوية، فلن يُحاسب على ضلالهم.

"وإن تولوا فإنما عليه ما كلف به"

ينطبق هذا المبدأ على كل من يدعو إلى الصلاح . على كل فرد واجب التمييز بين النصيحة الصادقة والنصيحة الخاطئة، وتذكير الآخرين بالحق، وحثهم على الفضيلة . إلا أن هذه المسؤولية لا تشمل إجبار الآخرين على اتباع الصراط المستقيم . إن افتراض القدرة على إملاء خيارات الآخرين هو دعوة إلى الإحباط وخيبة الأمل الدائمين عندما يُصرّ الناس على أخطائهم . وقد يؤدي هذا الحزن إلى اليأس إذا لم يُدرك المرء أن دوره هو التوجيه لا السيطرة . سورة الغاشية، الآيتان 21-22

"فذكر إنما أنت مذكر، لست عليهم بمسيطر"

:وسورة النور الآية 54

"وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ"

إن من يطلب الهداية بحق هم من يقبلها . إنهم من يدركون أن الله تعالى لا يُكلف نفساً ما لا طاقة لها به، ولا يضعها في مأزق لا تقوى عليه . هؤلاء يدركون أن السلام في الدنيا والآخرة يتطلب ثمناً : كبح جماح شهوات الدنيا . ويدركون أن إشباع كل رغبة لا يجلب الرضا الدائم . تتجلى هذه الحقيقة عندما نتأمل حياة الأغنياء سورة النور، الآية . والمشاهير، الذين رغم وفرة رفاهيتهم غالباً ما يظلون قلقين ومضطربين وغير مكثفين

54:

"وعليكم ما حملتم به وإن تطيعوا تهتدوا "

فالعاقل هو من يثبت على طاعة الله تعالى، مستخدماً النعم التي أنعم بها عليه، على النحو المبين في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. فبهذه الطاعة، يحقق التوازن النفسي والبدني، ويرتب علاقاته وممتلكاته في نصابها الصحيح، ويستعد جيداً للحساب يوم القيامة. وهذا السلوك يؤدي إلى راحة البال الحقيقية في الدنيا، والفوز الأبدي في الآخرة.

بما أن الله تعالى هو وحده المتصرف في الكون بأسره والمتصرف في شؤونه، فهو الذي يمنح القوة والاستقرار والسلطان لمن استقام على طاعته. وعندما يلتزم المجتمع بأوامره، فإنه يعينهم على ترسيخ قواعد السلوك الإسلامي في حياتهم ومجتمعاتهم. وبهذه الطريقة، لا يقود التوجيه الإسلامي الفرد إلى راحة البال في الدنيا والآخرة فحسب، بل يضمن أيضاً، عند تطبيقه الصحيح، انتشار العدل والوئام والسلام في المجتمع. هذا ليس ادعاءً نظرياً، بل هو واقع أثبتته التاريخ، فكلما التزمت المجتمعات بتعاليم الإسلام بصدق، ازدهرت في عدلٍ: سورة النور، الآية 55. وعلمٍ وازدهار

الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الله...الذي ارتضى لهم

ومع ذلك، ولأن الإسلام يدعو الناس إلى ضبط شهواتهم الدنيوية، فإن من لا هدف لهم في الحياة إلا إشباع شهواتهم سينتقدونه لا محالة. فتعاليم الإسلام تكشف الطبيعة الحيوانية للشهوة الجامحة، وهذا الكشف يثير الاستياء. علاوة على ذلك، تستفيد صناعات وشركات بأكملها من تشجيع الناس على إطلاق العنان لشهواتهم دون رادع. ولذلك، ستسعى هذه القوى ضد الإسلام، سعياً لثني الناس عن العمل بتعاليمه، لأن الإسلام يهدد أرباحهم ويقوض نفوذهم. وفي مواجهة هذا النقد والمعارضة، يُؤمر المسلمون بالثبات على طاعة الله تعالى ويؤكد لهم أنه سيمنحهم راحة البال والحماية من أذى الآخرين، حتى وإن لم تظهر هذه الحماية فوراً. سورة النور، الآية 55:

"...وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا..."

لكن هذا التمكين الإلهي والأمن لا يُمنح لمن يُعلن إيمانه بالسنته فحسب، بل هو مُخصص لمن يُؤيد أقواله بالعمل. سورة آل عمران، الآية ١٣٩

«فلا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين»

وسورة النور الآية 55

"...[لأنهم] يعبدونني لا يشركون بي شيئا..."

من الضروري إدراك أن عبادة الله تعالى تتجاوز مجرد الطقوس الدينية كالصلوات المفروضة. فالعبادة الحقة تقتضي طاعته في كل حال وفي كل نعمة أنعم بها، كما هو مبين في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. والطاعة ليست إيماناً مجرداً راسخاً في القلب، بل هي حقيقة ملموسة تتجلى في الأعمال الصادقة لله تعالى. ومن يعمل بدوافع خفية، طمعاً في الشهرة أو الكسب الدنيوي، فلن يُجزيه الله. وقد أكدت رواية في جامع الترمذي -، رقم 3154، هذا المبدأ. كما تقتضي طاعة الله تعالى التعمق في القرآن الكريم ولهذا التعمق أبعاد عدة. أولها تلاوته بدقة وانتظام، مع إعطائه حقه من الاحترام. وثانيها السعي لفهم تعاليمه من خلال مصادر موثوقة ومعلمين مؤهلين. البعد الثالث والأهم هو تطبيق تعاليمه في الحياة اليومية بقصد إرضاء الله تعالى. فالمخلص يُعلي من شأن القرآن الكريم فوق أهوائه، حتى لو تعارضت هذه الأهواء معه. إن بناء الشخصية وفقاً للقرآن الكريم هو إظهار التزام حقيقي به. كان هذا مثال النبي محمد صلى الله عليه وسلم، الذي وُصفت شخصيته بأنها تجسيد حي للقرآن الكريم، كما ورد في رواية في سنن أبي داود، رقم 1342. ومن الجوانب الأساسية لتكريم القرآن الكريم الانخراط فيه بجدية، والسعي لفهم جميع تعاليمه. 1342

وتطبيقها، بغض النظر عما إذا كانت تتوافق مع الميول الشخصية .إن من يلتزمون بشكل انتقائي ببعض الأوامر أو النواهي، متجاهلين غيرها، يُظهرون عدم إخلاص تجاهه .وهذا النهج يمنعهم من الاستفادة الكاملة :سورة الإسراء، الآية 82 .من حكمته العميقة

.وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا

في نهاية المطاف، لا بدّ من الاعتراف بأنّ القرآن الكريم، وإن كان يُقدّم حلولاً لمصاعب الدنيا، فإنّ غايته لا تقتصر على هذا الدور .فلا ينبغي للإنسان أن يتعامل معه كمجرّد أداة يُتلى في أوقات الشدّة، ثمّ يُهمّش بعد أن تُخفّف عنه هموم الدنيا .إنّ الغاية الأسمى للقرآن الكريم هي هداية البشر إلى النجاة وعبور آمن إلى الآخرة إنّ تجاهل هذا الهدف الأساسي واستخدامه فقط للراحة المؤقتة هو إساءة استخدامه، وهذا السلوك يُناقض مبادئ الإخلاص .يُشبه هذا السلوك من يشتري سيارةً مُجهزة بالعديد من الميزات ولكن بدون محرّك :مُبهرّة ظاهرياً ولكن في نهاية المطاف عديمة الفائدة .وبالمثل، فإنّ أولئك الذين لا يتعاملون مع القرآن الكريم كدليلٍ شاملٍ للحياة يُظهرون نقصاً في الالتزام الحقيقي به، ويحرمون أنفسهم من قدرته التحويلية

:سورة النور، الآية 55

"...[لأنهم] يعبدونني لا يشركون بي شيئاً..."

من الضروري أن نتذكر أن الآلهة الزائفة، كالأصنام المنحوتة، ليست وحدها ما قد يعبد الإنسان من دون الله تعالى .في الواقع، كل ما يُطاع مخالفاً لأوامره يصبح في الواقع معبوداً .وهذا يشمل المؤثرات الحديثة كوسائل التواصل الاجتماعي، والموضة، والاتجاهات الثقافية، والثروة، وحتى الآخرين .عندما يسمح الإنسان

لهذه المؤثرات بأن تُملَى عليه خياراته خلَاقًا لإرادة الله تعالى، فإنه في الحقيقة يُخضعها لها كأرباب .سورة التوبة، الآية 31

"...اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله"

،لم يُعبد علماء أهل الكتاب وزعماءهم الدينيون آلهةً حرفيًا، بل كانوا يُطاعون فيما يخالف أوامر الله تعالى وكانت هذه الطاعة الباطلة تُعتبر عبادةً .وينطبق المبدأ نفسه في القرآن الكريم على الشيطان .سورة يس، الآية 60:

أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ

الغالبية العظمى من الناس لم يعبدوا الشيطان قط، ومع ذلك يُتهمون بعبادته لأنهم أطاعوه في معصية الله تعالى .وهذا يدل على أن العبادة لا تقتصر على السجود الجسدي أو الشعائر، بل هي في الطاعة أيضًا .من أطاع غيره في معصية الله تعالى فقد اتخذه سيّدًا .لذلك، من الضروري الامتناع عن طاعة أي تأثير يبعد المرء عن أوامر الله تعالى .إذا استمر المرء في المعصية، فسيصبح حتمًا خاضعًا لأسياد آخرين - سواء كانوا أفرادًا، أو وسائل تواصل اجتماعي، أو موضة، أو ضغوطًا ثقافية، أو أصحاب عمل .إن محاولة إرضاء هؤلاء الأسياد المتعديدين والظالمين لا تؤدي إلا إلى التوتر والإرهاق، إذ يستحيل إرضائهم جميعًا .مطالبهم متضاربة، ومعاييرهم -متغيرة باستمرار، وتوقعاتهم مستحيلة .كما يكافح الموظف تحت إشراف عدة مشرفين لإرضاء كل منهم وينتهي به الأمر غارقًا في همومه، كذلك من تخلى عن عبودية الله تعالى، تتقلبه مطالب، أسياده الدنيوية المتضاربة، مضحيًا في نهاية المطاف براحة باله .ومع مرور الوقت، يُفسد هذا العبء القلب فيقع هؤلاء في الحزن والعزلة واليأس .ويتركهم سعيهم الدائم لإرضاء غرائز الدنيا خاليين، وعندما تفشل جهودهم في تحقيق الرضا الذي يسعون إليه، قد ينزلقون إلى الاكتئاب أو الأفكار الهدامة .تتجلى هذه الحقيقة عندما نتأمل حياة المشاهير والشخصيات العامة الذين، رغم الثروة والشهرة، غالبًا ما يعانون من اضطراب داخلي وعدم استقرار ويأس .لقد تركهم عبوديتهم لتوقعات الآخرين قلقين وغير راضين، فلا سيد دنيوي

يستطيع أبداً أن يوفر لهم الراحة التي تأتي من عبودية الله تعالى . علاوة على ذلك، فإن طاعة الآخرين في - معصية الله تعالى لن تُجدي نفعاً في الآخرة . أولئك الذين خدموهم - سواءً كانوا أناساً أو تيارات أو أهواءً - لن ينصروهم يوم القيامة . ولن يزيدهم ولاءهم في غير محله إلا ندمًا، إذ سيتبرأ منهم من أطاعوهم ويتخلى عنهم في أشد أوقاتهم حاجةً إليهم . سورة النور، الآية ٥٥

"فمن كفر بعد ذلك فأولئك هم المفسدون ..."

إن السبيل الوحيد للحرية والسلام الحقيقيين هو التخلي عن كل ما يؤدي إلى معصية الله تعالى، والانقياد . لأوامره . وهذا يعني استخدام نعمه على النحو المبين في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم . وبذلك، يتحرر الإنسان من ظلم أسياد الدنيا الكثيرين، ويجد السكينة في خدمة من يستحق الطاعة وحده . هذا من خلال تحقيق ، هو جوهر العبادة، وهو السبيل الوحيد لنيل راحة البال في الدنيا والفلاح الأبدي في الآخرة . حالة نفسية وجسدية متوازنة، ومن خلال حسن توزيع كل شيء وكل شخص في حياته .

سورة النور، الآية 55

"يعبدونني لا يشركون بي شيئاً فمن كفر بعد ذلك فأولئك هم المفسدون ..."

من المهم إدراك أن هذا التحذير موجه للمسلمين أنفسهم، إذ يبدأ بذكر الإيمان وينتهي بالكفر . هذا التدرج يُذكرنا بشدة بأنه إذا لم يُدعم المسلمون إيمانهم بالله تعالى بالعمل الدؤوب، فقد يُغادرون هذه الدنيا وقد فقدوا إيمانهم . لا يكمن الخطر في غياب الإعلان، بل في غياب الأعمال التي تُحيي هذا الإعلان وتُضفي عليه جوهرًا . يُمكن تشبيه الإيمان بشعلة رقيقة، هشة لكنها مُضيئة، تتطلب عناية مُستمرة . فكما أن النار لا تستمر في الاشتعال دون وقود، كذلك الإيمان يضعف وينطفئ في النهاية إن لم يُحافظ عليه بالطاعة والذكر والعمل

الصالح. فالشعلة التي تُترك دون عناية سوف تتلاشى وتتلاشى في النهاية في الظلام. وبالمثل، فإن القلب الذي يُهمل غذاء الإيمان بالعمل يُخاطر بفقدان النور الذي يُرشده. هذه الخسارة ليست بالهينة، بل هي أشد الخسائر تدميرًا. إن فقدان الثروة أو الصحة أو الرفقة أمرٌ مؤلم، لكن فقدان الإيمان هو فقدان مفتاح الخلاص الأبدي. فبدون الإيمان، يبقى الإنسان تائهًا في ظلمات روحية، عرضة لكل إغراء، عاجزًا عن إيجاد السلام الحقيقي في الدنيا والآخرة.

لذلك، وكما تشير الآية التالية، من الضروري دعم إعلان الإيمان بالله تعالى شفهيًا بعملٍ مُخلصٍ مُستمر: سورة النور، الآية ٥٦

الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون وأقيموا

الصلاة المفروضة والزكاة المفروضة ركنان أساسيان ترتكز عليهما جميع الأعمال الصالحة، وهما من أقوى مظاهر التذكار والطاعة لله تعالى. إلا أن إقامتها تتجاوز مجرد أداء حركاتها الظاهرية، بل تتطلب أداءها بجميع شروطها وآدابها وحضورها الروحي، وعلى رأسها أداء كل صلاة في وقتها. وقد أكد القرآن الكريم مرارًا على إقامتها، فهي أهم شهادة عملية على إيمان المرء بالله تعالى. فالصلوات اليومية، الممتدة على مدار اليوم واللييلة، بمثابة تذكير دائم بيوم القيامة، تُهيئ الإنسان عمليًا لذلك الحدث الجلل. كل مرحلة من مراحل الصلاة تعكس مشهدًا من الآخرة. فعندما يقف المصلي منتصبًا، فإنه يتذكر اللحظة التي يقف فيها البشر جميعًا (سورة المطففين، الآيات 4-6). بين يدي الله تعالى، ينتظرون جزاءهم

"أَوَلَا يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُبْعَثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ، يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ "

عندما يركع المصلي، فإنه يُذكره بمن سيُلام يوم القيامة على رفضه السجود لله تعالى في حياته الدنيا. لم يكن هذا الرفض مجرد إهمالٍ للركوع، بل كان أيضًا رفضًا للخضوع لأوامره في جميع مناحي الحياة. سورة: المرسلات، الآية 48

"وإذا قيل لهم اركعوا لم يركعوا"

على الساجد أن يتذكر دعوة الناس جميعًا للسجود لله تعالى يوم القيامة. والأهم من ذلك، أن من لم يُؤدِّ هذا سورة. العمل بإخلاص في الدنيا - ظاهرًا وباطنًا - سيجد نفسه محرومًا من ذلك عند حلول ذلك اليوم الحتمي. القلم، الآيتان 42-43

يوم يشتد الأمر يدعون إلى السجود فيمنعون، وتخضع أعينهم، وتغشاهم الظل، وكانوا يدعون إلى السجود" وهم سالمون

عندما يجلس المصلي على ركبتيه في الصلاة، فإنه يذكره بالوضع الذي ستُجمع فيه كل أمة بين يدي الله تعالى يوم القيامة، ينتظرون كتابهم في خوف وترقب. سورة الجاثية، الآية ٢٨

".وترى كل أمة جاثية، وكل أمة تُدعى إلى كتابها، اليوم تجزون ما كنتم تعملون"

وهكذا، عندما يُصلي الإنسان مُستلهمًا هذه الحقائق، تُقام صلاته على الوجه الصحيح، ظاهرًا وباطنًا. هذه الصلاة ليست طقسًا جوفاء، بل هي فعلٌ هَدَامٌ يُهْدَبُ القلب ويُهْدَبُ الروح. وهي تضمن للمصلي طاعة الله تعالى، حتى بين أوقات الصلاة، فالصلاة نفسها تُصبح سترًا من المعصية). سورة العنكبوت، الآية 45)

"...إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر"

:سورة النور، الآية 56

.وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون

في الممارسة الإسلامية، يرتبط أمر إقامة الصلاة والزكاة ارتباطًا وثيقًا. ويُعتبر هذان الفعلان ركنين أساسيين في بناء إيمان الإنسان ودوره في المجتمع. فبينما تُهذب الصلاة روح الإنسان وتُنقيها، تُنقى الصدقة ثروته المادية. فمن خلال الصلاة، يُنمي المرء صفات كالتواضع والإخلاص ودوام ذكر الله تعالى. وفي الوقت نفسه، يُنمي الصدقة الكرم والرحمة والشعور بالمسؤولية تجاه الآخرين. ومع أن الصدقة تُمثل جزءًا صغيرًا من إجمالي ثروة الإنسان، ولا تُستحق إلا بشروط مُحددة، إلا أن درسها بالغ الأهمية. فهي تُذكّرنا دائمًا بأن ملكية الثروة ليست ملكًا للفرد في نهاية المطاف. فلو كانوا أصحابها الحقيقيين، لأنفقوها دون قيد أو شرط. بل إن الثروة - مع كل نعمة أخرى كالصحة والعلم والجاه - هي هبة من الله تعالى، وهي أمانة في عنقه ويجب استخدامها بما يرضيه. إن التبرع الخيري المطلوب هو في جوهره جزء من سداد هذا القرض، ولا يُستخدم برد النعمة ماديًا، بل بتوزيعها وفقًا لإرادة صاحبها. عندما يُوفي المرء بهذه الأمانة، تتحول ثروته إلى مصدر تطهير روحي، وحماية إلهية، ومكافأة مستقبلية. ومع ذلك، فإن من يغفل عن هذه الحقيقة ويتصرف كما لو كانت نعمته ملكًا له وحده، يكون عرضة لإساءة استخدامها. وتحديدًا، فإن من يمنع الصدقة المفروضة يعامل مال الله تعالى كما لو كان ملكًا خاصًا، ويواجه محاسبة شديدة - أشبه بعقاب التخلف عن سداد قرض كبير. ويتجلى هذا بوضوح في حديث من صحيح البخاري، رقم 1403، الذي يُحذر من أن من يُهمل صدقته سيُقابل يوم القيامة بثعبان سام، يلتف حوله ويلدغه باستمرار عقابًا له. تؤكد هذه الصورة القوية أن الثروة

نعمة واختبار حاسم في آن واحد. إن استخدام المال بالشكل الصحيح يؤدي إلى السمو الروحي، ويقوي أواصر المجتمع، ويضمن الثواب الأبدي. أما اكتنازه أو إساءة استخدامه، فيؤدي إلى الندم والعذاب والخسارة في الدنيا والآخرة. لذلك، ينبغي للإنسان أن يدرك دائماً أن كل إنفاق في سبيل الله تعالى ليس نفقة، بل هو استثمار: سورة آل عمران، الآية ١٨٠. مضمون يُدرّ عوائد تفوق بكثير ما يمكن أن تقدمه الدنيا

ولا يحسبن الذين ييخلون بما آتاهم الله من فضله هو خير لهم بل هو شر لهم، ستطوّق أعناقهم بما ييخلون"
"...يوم القيامة

حتى في هذه الدنيا، تُصبح الثروة التي تُمنع عنها الصدقة مصدرًا غير متوقع للتوتر والبؤس. فبدلاً من أن تجلب الراحة والأمان، تدفع الثروة نفسها الإنسان نحو الجشع والقلق المُعمّم، وإساءة استخدام النعم التي نالها يقع مثل هذا الفرد في حالة من اختلال التوازن العميق - عقلياً وجسدياً - فيُخطئ في ترتيب أولوياته، ويُسيء تقدير علاقاته، ويُقصّر في الاستعداد الكافي لحسابه يوم القيامة. قد يبدو ظاهرياً أنه ينعم بالرفاهية الدنيوية لكنه في باطنه يبقى قلقاً، مُثقلًا بالقلق الدائم، محروماً من الرضا الحقيقي بثروته، التي كانت تحمل في طياتها القدرة على أن تكون وسيلة للتطهير والثواب، تُصبح بدلاً من ذلك سبباً للمشقة والضيق والندم العميق في نهاية المطاف، بإهمالهم واجبههم تجاه الله تعالى، يستبدلون السكينة الأبدية براحة زائلة، والنجاح الدائم بوهم مؤقت. لذا، لا ينظر العاقل إلى الثروة كغاية في حد ذاتها، بل كأمانة مقدسة ووسيلة للتقرب إلى الله تعالى، وذلك بضمان استخدامها بما يضمن راحة البال في الدنيا والآخرة. فبهذا الأسلوب، لا يعود المال عبئاً. سورة طه، الآيات ١٢٤-١٢٦. ثقيلًا، بل يصبح جسراً يربط الحياة الدنيا بالحياة الآخرة

ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد
"كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى

عندما يُحافظ على ركني العمل الصالح - الصلاة المفروضة والصدقة المفروضة - يُشجع الإنسان بطبيعة الحال على استغلال النعم التي وُهِبَتْ له على الوجه الصحيح، كما هو مبين في التعاليم الإسلامية، اقتداءً بسورة النور، الآية 56. بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم

الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول وأقيموا

توضح هذه الآية أن طاعة النبي محمد صلى الله عليه وسلم مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بإتمام الصلاة والصدقة وهذه الطاعة ليست طاعة عابرة، بل تتطلب السعي في تحصيل العلم والعمل بسُنَّته. وهذه السنن تشمل: إخلاصه لله تعالى في العبادة، وأخلاقه الكريمة تجاه الخلق. سورة القلم، الآية 4

"وإنك لعلی خلق عظیم"

،والطاعة تقتضي قبول أوامره ونواهيه في كل وقت، دون تردد أو تهاون. وقد فرض الله ذلك، سورة الحشر، الآية 7:

"وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا..."

ثم إن الطاعة تعني تقديم أثره على فعل أو رأي غيره، فإن جميع الطرق إلى الله تعالى مغلقة إلا طريق النبي محمد صلى الله عليه وسلم. سورة آل عمران، الآية 31

"...قل [النبي محمد صلى الله عليه وسلم [إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم"

تشمل الطاعة الحقبة محبة كل من ناصره في حياته وبعد وفاته، سواء كانوا من آله الطاهرين أو أصحابه الكرام رضي الله عنهم أجمعين. ومناصرة من سار على نهجه وسار على نهجه واجب على من أراد نصحه كما تقتضي الطاعة محبة من أحبه وبغض من ينتقده، مهما كانت صلة القرابة الشخصية به. ويلخص هذا المبدأ في حديث في صحيح البخاري، رقم 16، يفيد بأنه لا يتحقق الإيمان إلا إذا أحب الله تعالى ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم أكثر من جميع الخلق. ولكن هذا الحب لا يقتصر على القول، بل يتجلى بالأفعال إن نصحه يعني احترامه ومحبته واتباعه عملاً. ولكن هذا لا يمكن أن يتم دون الاطلاع على سيرته الطيبة وتعاليمه. فكيف يمكن للمرء أن يحترم ويحب ويتبع من لا يعرفه حقاً؟ وهكذا، فإن من يدعي محبة النبي محمد صلى الله عليه وسلم واحترامه، ثم يغفل عن اتباعه عملياً، يكون نكيراً في ادعائه. فالمحبة الحقيقية تتجلى بالطاعة، والاحترام الحقيقي يتجلى بالافتداء. إن دراسة سيرته، واستيعاب تعاليمه، وتجسيد شخصيته النبيلة هي السبيل الوحيد لإظهار الإخلاص له. وهكذا، لا تكون الصلاة والصدقة واجبات معزولة، بل بوابات وهذا يضمن. تقود المرء إلى حقيقة أعظم، وهي اتباع النبي محمد صلى الله عليه وسلم في جميع مناحي الحياة له استخدام النعم الممنوحة له على الوجه الصحيح، كما هو مبين في التعاليم الإسلامية. وبذلك، يصل إلى حالة نفسية وجسدية متوازنة، ويضع كل شيء وكل شخص في حياته على الوجه الصحيح، ويستعد جيداً (سورة). للحساب يوم القيامة. وهذا السلوك يؤدي في النهاية إلى راحة البال والرضا الحقيقي في الدنيا والآخرة (النور، الآية 56).

الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون وأقيموا

كما حذرت الآية التالية، فإن اختيار المرء طريقاً مختلفاً عن طريق أقرانه غالباً ما يؤثر مشاعر القلق أو عدم الكفاءة لدى الآخرين، لا سيما أولئك الذين تدور حياتهم حول الشهوات الشخصية بدلاً من طاعة الله تعالى، وكثيراً ما يتجلى هذا الانزعاج الداخلي في صورة انتقاد أو سخرية موجهة إلى الثبات على إيمانهم. وأحياناً

قد ينشأ هذا الاعتراض حتى من عائلة المرء، كاشفًا كيف يمكن للحق والباطل أن يفرقا القلوب، حتى بين أقرب الناس.

،في عالمنا اليوم، لا هودة في قوى التوافق الاجتماعي. منصات التواصل الاجتماعي، والموضة المتغيرة والاتجاهات الثقافية، تضغط باستمرار على الأفراد للتخلي عن بوصلتهم الأخلاقية سعيًا وراء القبول والإعجاب. في هذا المناخ، غالبًا ما يُصوّر من يسعون إلى التمسك بالقيم الإسلامية على أنهم عقبات أمام التقدم أو الحرية. أحيانًا ما تُقابل التعبيرات العلنية عن الإيمان بالريبة أو العداء، لا سيما عندما تتحدى مصالح الصناعات القائمة على الجشع والتساهل والاستغلال. مبادئ الإسلام - التي تدعو إلى الاعتدال والعدل والمسؤولية - تُهدد هذه الأنظمة، التي بدورها تُعزز المشاعر المعادية للإسلام عبر مختلف وسائل الإعلام. والفضاءات الاجتماعية.

من يتبعون التعاليم الإسلامية بإخلاص، ويكبحون شهواتهم، ويستغلون نعيم الدنيا باعتدال، غالبًا ما يواجهون مقاومة ممن يفضلون الترف دون قيود. هؤلاء الأفراد يتصرفون وفقًا لكل دافع، ويختزلون الحياة إلى إشباع الشهوات والأهواء - وهي حالة يشبهها القرآن الكريم بالوجود الحيواني. يحاولون ثني الآخرين عن ممارسة الإسلام، ويغريهم بدلًا من ذلك بأنماط حياة تتسم بالإفراط والإهمال. ومن أساليبهم المتكررة السخرية من رموز الإيمان الظاهرة - وأبرزها اللباس المحتشم المفروض على النساء - في محاولة لتقويض مصداقية الإسلام وجاذبيته. ومع ذلك، فإن من يتأمل مليًا سيدرك سطحية هذه الانتقادات. فهي لا تنبع من اعتراض منطقي، بل من نفور عميق من الانضباط الذاتي وضبط النفس الأخلاقي. ويتضح التناقض عندما نلاحظ أن العديد من هؤلاء النقاد يقبلون، بل ويُعجبون، بقواعد اللباس الصارمة في مهن مثل إنفاذ القانون والجيش، والرعاية الصحية، والتعليم، والمؤسسات التجارية - ومع ذلك فهم لا يعترضون إلا عندما يُلبس اللباس المحتشم بدافع من قناعة دينية. تكشف هذه المعايير المزدوجة عن هشاشة حججهم والتحيز الكامن وراءها. في نهاية المطاف، ما يثير المعارضة ليس التعبير الخارجي عن الإيمان نفسه، بل جوهر الإسلام نفسه - دعوته الثابتة إلى الانضباط الأخلاقي والمساءلة والتوازن. إن رباطة جأش أولئك الذين يعيشون وفقًا لهذه المبادئ وإخلاصهم يقفان كشهادة صامته لكنها قوية على حقيقة الإسلام. يكشف سلوكهم عن خواء حياة مدفوعة بالشهوة الجامحة ويذكر الآخرين بواجبهم المهمل أمام الله تعالى. هذا التذكير هو ما يغذي العداء لأن أولئك الذين لا يرغبون في مواجهة ضمائرهم يجدون انزعاجًا في وجود إيمان حقيقي. وبالتالي، فإن النقد المستمر للإسلام لا ينبع من أي ضعف في تعاليمه، بل من قوة لا تلين ونقاء ووضوح رؤيته الأخلاقية.

غالبًا ما يبدو معارضو الهداية الإلهية أقوياء ظاهريًا، يمتلكون الثروة والنفوذ والهيمنة الاجتماعية. قد يبدو للناظر العادي أنهم متفوقون، وكأن مواردهم تمنحهم السيطرة على المجتمع. ومع ذلك، مهما ضخامة مواردهم أو إصرارهم على بذل الجهود، فلن ينجحوا أبدًا في محو نور الهداية الإلهية. لا يستطيعون التغلب على الله تعالى، ولا يمكنهم إبطال الهداية التي أنعم بها على البشرية. -ستتغلب حقيقة الوحي على قواعد سلوكهم التي وضعها البشر، مهما بدت معقدة أو جذابة. وهذا يضمن أن كل من يسعى بصدق إلى الهداية الصحيحة سيجدها: سورة النور، الآية 57. دائمًا متاحة ومحفوظة وفي المتناول

تحسبن الذين كفروا معطي الأرض ولا

إن جهادهم ليس ضد البشر فحسب، بل ضد الله تعالى، ولذلك فهو محكوم عليه بالفشل. والتاريخ نفسه يشهد على هذه الحقيقة. فعلى مر القرون، نهضت وسقطت أعداد لا تُحصى من الأفراد والإمبراطوريات والمنظمات، والصناعات، كلٌ منها يحاول بطريقته إسكات الإسلام أو استئصاله. لقد استخدموا السياسة والحرب والدعاية وفي العصر الحديث، أدوات الإعلام والتأثير الثقافي. ومع ذلك، ورغم جهودهم، صمد الإسلام، وسيبقى صامدًا إلى يوم القيامة. إن محاولاتهم عبثية كمحاولة إطفاء نور الشمس بالنفخ فيه. سورة التوبة، الآية 32

يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون

:سورة النور، الآية 57

"ومأواهم النار وبئس المصير"

لقد اكتملت تعاليم الإسلام، وأُكملت، وعُرضت على البشرية بكاملها. لا يبقى شيءٌ خفيًا، أو ناقصًا، أو بعيد المنال. وتقع الآن على عاتق كل فرد مسؤولية اختيار اعتناق هذا الهدى. من يلتزم بتعاليمه ويطبقها في حياته يجد السكينة في الدنيا والآخرة. وبذلك، يحقق توازنًا عقليًا وجسديًا متناغمًا، مُرتبًا أولويات علاقاته ومسؤولياته ونعمه على الوجه الصحيح، مُهيئًا نفسه جيدًا للمحاسبة يوم القيامة. في المقابل، قد يحظى من يرفضون الهداية الإلهية مُتبنّين أيديولوجيات دنيوية بتأثير مؤقت، لكن جهودهم ستُفلح في النهاية، تاركين لهم الندم في الدنيا والعقاب في الآخرة. لن يحميهم ثروتهم وسلطانهم ونفوذهم من عدل الله تعالى. لذا، لا يقيس العاقل الحق بالهيمنة الظاهرة للناس، بل بكلمة الله تعالى الخالدة، التي لا تهتزّ مع صعود الأمم وسقوطها.

بعد تأكيده على أهمية طاعة الله تعالى، كإقامة الصلاة المفروضة وإيتاء الزكاة، يُشير الله تعالى مرة أخرى إلى مسائل تتعلق بالتعامل الاجتماعي وآدابه. سورة النور، الآية 58

...أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات يا

يُبرز هذا التحول شمولية شريعة الله، التي تُنظّم جميع مناحي الحياة البشرية، دينية كانت أم دنيوية. وانطلاق الآية من دعوة المؤمنين دليلٌ واضح على ذلك. وهذا يُذكرنا تذكيرًا قويًا بأن الإسلام لا يقتصر على العبادات التي تُؤدى في المساجد، بل هو نظام شامل يُنظّم السلوك والعلاقات والمسؤوليات الأخلاقية في كل سياق. لذا، يجب تجنّب الاعتقاد الخاطئ بأن الله تعالى لا يُعنى إلا بالعبادات كالصلاة والصيام والصدقة، مُغفلًا بذلك تعاملات المرء وأخلاقه وسلوكه الاجتماعي. في الواقع، كل كلمة تُقال، وكل فعل يُفعل، وكل تفاعل مع الآخرين سيُحاسَب عليه. سيسأل الله تعالى كل إنسان عن سلوكه في كل ظرف - في البيت، وفي العلن، وحتى في السر - لأن هدايته تشمل جميع جوانب الوجود. لهذا السبب، من الضروري أن يتعلم الأفراد تعاليم الإسلام ويستوعبوها ويعملوا بها، حتى يعكس سلوكهم في كل موقف المبادئ الواردة في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. فعندما يعيش المرء بهذه الطريقة، فإنه يُنشئ توازنًا متناغمًا بين ذاته الباطنة والخارجية، محققًا استقرارًا عقليًا وعاطفيًا وجسديًا. كما يتعلم ترتيب أولويات كل شيء وكل شخص في حياته بشكل صحيح، مُؤدّيًا مسؤولياته تجاه الخالق وتجاه الخلق، مُستعدًا على نحو كافٍ للحساب النهائي يوم

القيامة . هذا التطبيق الشامل للإسلام يؤدي إلى الطمأنينة والرضا في الدنيا والآخرة . في المقابل، فإن من - يتعامل مع الإسلام كلباس - يرتديه فقط عند الحاجة ويضعه جانباً عندما يتعارض مع رغباته الشخصية يُظهر تناقضاً خطيراً . هذا السلوك لا يعكس إخلاصاً حقيقياً، بل شكلاً من أشكال عبادة الذات . إن ادعاءهم الظاهري بالإيمان ينافيه استسلامهم الباطن للشهوة . سورة الفرقان، الآية 43

"...أرأيت من اتخذ إلهه هواه"

من يفشل في تطبيق تعاليم الإسلام على نطاق واسع في حياته، سيُسيئ استخدام النعم الممنوحة له لا محالة . ستُصبح أقواله وأفعاله وخياراته غير متوافقة مع الحكمة الإلهية، مما يؤدي إلى ارتباك واضطراب في عالمه ،الباطني والخارجي . بمرور الوقت، يتجلى هذا الخلل في عدم استقرار عقلي وعاطفي، واختلال في الأولويات وفراغ روحي . سيكافحون لإيجاد السلام والوضوح، على الرغم من مظاهر الراحة أو النجاح الظاهرية . إن نهجهم غير المتوازن في الحياة يحرمهم من الرضا الحقيقي والاستعداد للقاء الله تعالى في نهاية المطاف . في نهاية المطاف، فقط من خلال الطاعة الدائمة - المتجسدة في كل من العبادات والسلوك الاجتماعي - يمكن للمرء أن يحقق الانسجام الحقيقي وراحة البال والرضا في الدنيا والآخرة . لذا، فإن مدونة السلوك الإلهي ليست عبئاً، بل رحمة تحمي المرء من الفوضى وتهديه إلى وجود دائم وهادف، متجذر في التوازن والحق . سورة النور، الآية 58

"...يا أيها الذين آمنوا فليتقوا الله الذين ملكت أيمانكم"

عموماً، تشير عبارة "ما ملكت أيمانكم" إلى العبيد أو أسرى الحرب . خلال القرون الأولى، كان أخذ الأسرى بعد المعارك أمراً شائعاً، متجذراً في الحضارات، سواء الرومانية أو الفارسية أو القبلية . لذلك، لم يُلغ الإسلام هذه الممارسة فوراً، لأن ذلك كان سيُعرض المؤمنين لخسارة استراتيجية بالغة . فلو كان الأسرى محرماً عليهم، ومباحاً لأعدائهم، لكان ذلك قد أدى إلى تزايد أعداد الأسرى داخل المجتمع الإسلامي، بينما استمرت القوى المعادية في استعبادهم دون رادع . بدلاً من ذلك، اتخذ الإسلام نهجاً تدريجياً وحكيماً للإصلاح . بدأ

بتغيير وضع الأسرى، فأصبحوا بشرًا، وصانوا كرامتهم، ومنحهم حقوقًا لم يسبق لها مثيل في أي مجتمع آخر في ذلك الوقت. ومن خلال الوحي الإلهي ونهج النبي محمد صلى الله عليه وسلم، قدّم الإسلام مبادئ ستؤدي في نهاية المطاف إلى إلغاء العبودية بشكل كامل، أخلاقيًا واجتماعيًا، كما كانت تُعرف. أمر الله تعالى المؤمنين بمعاملة الأسرى بأقصى درجات الرأفة والإنصاف، حتى أصبحوا أهل بيت لا متاعًا. وأمر النبي محمد صلى الله عليه وسلم بإطعامهم ما يأكله أسيادهم، وإلباسهم ما يلبسون، وعدم تكليفهم بما لا يطيقون. بل، أمر أسيادهم بمساعدتهم في واجباتهم. ورد هذا الأمر في حديث صحيح مسلم، رقم 4313. وفي الوقت نفسه، شجع الإسلام بشدة على تحرير العبيد باعتباره من أفضل الأعمال، وربطه مباشرة بالثواب الروحي والتطهير. ومن أعتق رقبة خالصة لله تعالى، وُعدّ بالعتق من النار، كما ورد في حديث جامع الترمذي، رقم 1541. علاوة على ذلك، جعل القرآن الكريم تحرير العبيد كفارةً لمختلف الذنوب، جامعًا بذلك بين المساءلة الأخلاقية والإصلاح الاجتماعي. على سبيل المثال، في سورة المجادلة 58، الآية 3

والذين يظهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ذلكم توعظون به والله خبير بما تعملون

مع تطبيق هذه التعاليم، تحسنت حالة الأسرى تحسنًا ملحوظًا. عوملوا بكرامة، وكثيرًا ما أصبحوا أفرادًا موثوقين في الأسرة، بل ارتقوا أحيانًا إلى مناصب شرف ونفوذ. على مر الأجيال، أدى التشجيع المستمر على تحرير العبيد - إلى جانب تحريم إعادة الاستعباد والارتقاء الأخلاقي بالتححرر - إلى زوال العبودية تدريجيًا من المجتمعات التي جسدت المبادئ الإسلامية بصدق.

ومع ذلك، فبينما اندثرت مظاهر العبودية إلى حد كبير، لا تزال روحها الكامنة، للأسف، قائمة في العصر الحديث بأشكال مختلفة، كالاستغلال المالي، والعمل القسري، والقمع الممنهج. ولا تزال هذه المظاهر المعاصرة للعبودية تحرم الناس من حقوقهم الأساسية وكرامتهم. لذلك، يجب على من يسعى للعيش وفقًا لتعاليم الإسلام أن يواصل رسالته النبوية في التحرير، مكافئًا جميع أشكال الاستغلال والظلم كلٌّ حسب طاقته. وسواءً من خلال الدعم المالي، أو الدعوة الاجتماعية، أو التعليم، أو الإصلاح، فهم يتمسكون بمبادئ الإسلام النبيلة، التي تسعى إلى إرساء العدل والرحمة والحرية للبشرية جمعاء.

سورة النور، الآية 58

يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم في ثلاث ساعات من قبل صلاة " ...الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم

من أهم جوانب الحياء - وهي صفة أساسية أكدت عليها التعاليم الإسلامية - احترام الخصوصية .فالحياء ليس مجرد لباس أو كلام خارجي؛ بل هو مبدأ شامل يحكم كيفية تفاعل الأفراد مع بعضهم البعض في جميع مناحي الحياة .يكمن جوهره في الاعتراف بحق كل إنسان في الكرامة والمساحة الشخصية والحماية من الانكشاف غير الضروري .وعندما يُهمل هذا الاحترام للخصوصية أو يُستبعد من المجتمع، فإنه يفتح الباب حتمًا أمام سلوكيات سافرة، كالزنا والفحش وغيرها من أشكال الانحلال الأخلاقي .إن المجتمع الذي يتجاهل الحدود بين الأفراد، وخاصة داخل المنزل، يُضعف تدريجيًا الضمانات التي تحفظ العفة والسلوك الأخلاقي .والإسلام كونه منهج حياة عمليًا ومتوازنًا وواقعيًا، يتخذ خطوات استباقية لحماية خصوصية الأفراد، وبالتالي حماية وتعزيز حياء الجميع .فهو لا يترك الحياء مجرد فكرة غامضة، بل يترجمه إلى توجيهات واضحة وعملية يمكن تطبيقها في الحياة اليومية .وهذه الآية خير مثال على هذه الحماية .يُؤمر من اعتادوا على حرية الحركة داخل المنزل - كالأطفال الذين لم يبلغوا سن الرشد، والعبيد في السياق التاريخي - بطلب الإذن قبل الدخول في ثلاثة أوقات محددة من اليوم :قبل صلاة الفجر، وعند استراحة الظهر، وبعد صلاة العشاء .هذه هي الأوقات التي يُرجَّح فيها احتياج الناس إلى الخصوصية، كتغيير الملابس، أو الراحة، أو أداء العبادات الشخصية .بتحديد هذه الأوقات، يُقرّ الإسلام بإيقاع الحياة اليومية الطبيعي والأوقات التي تشتد فيها الحاجة إلى الخصوصية .وفي الوقت نفسه، يتجنب فرض قيود غير ضرورية من شأنها أن تُعقّد الحياة الأسرية بحكمته، يُدرك الإسلام أن طلب الإذن باستمرار من شأنه أن يُسبّب مشقة ويُعطّل التدفق الطبيعي للتفاعل ،سورة النور .الأسري .لذلك، يُسمح لأفراد الأسرة بالتحرك بحرية خارج هذه الأوقات الثلاثة دون استئذان .الآية 58

لا جناح عليكم ولا عليهم فيما وراء ذلك إنهم يطوفون بينكم بعضكم من بعض كذلك يبين الله لكم الآيات..."
والله عليم حكيم

يُظهر هذا التوازن عمق التعاليم الإسلامية وواقعيّتها العملية. فمن جهة، تُصان الخصوصية، وتحمي المجتمع من تآكل الحياء والآثام الناجمة عن التفاعل الاجتماعي غير المنضبط. ومن جهة أخرى، لا يُعطّل التدفق الطبيعي للحياة الأسرية والتواصل الاجتماعي الضروري. وهذه الحكمة سمة مميزة للتشريع الإلهي، الذي يُوفق دائماً بين الاحتياجات الإنسانية والضمانات الروحية. كما يُبرز هذا التعليم طبيعة -الإسلام التطلعية. فهو لا ينتظر ظهور مشاكل كالحياء أو الفجور ليُعالجها؛ بل يُرسي تدابير وقائية تُغلق أبواب مثل هذه السلوكيات، قبل أن تتجذر. ومن خلال غرس احترام الخصوصية حتى في الأطفال، يُغذي الإسلام الحياء منذ الصغر، ويضمن أن يصبح جزءاً طبيعياً من شخصيتهم مع نموهم. سورة النور، الآية 59

"...وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم"

بهذه الطريقة، يصبح المنزل نفسه ساحةً للتدريب على الانضباط الأخلاقي، حيث تُحترم الحدود وتُصان الكرامة. سورة النور، الآية ٥٩

"كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ"

عند التأمل في هذا، يُدرك المرء أنه مهما بلغ المجتمع من تقدم، ومهما اكتسب من معرفة في مختلف المجالات بما في ذلك علم النفس وعلم الاجتماع، أو حتى في تعقيدات الدماغ البشري - يبقى من المستحيل على - الإنسان صياغة مدونة سلوك تتوافق تماماً مع طبيعته البشرية وتتنطبق على جميع الظروف. المعرفة البشرية جزئية، دائمة -التغير، ومحدودة بالزمن والمنظور. حتى أكثر الأبحاث تقدماً لا يمكنها توقع كل سيناريو أو تقديم إطار عمل متكامل يضمن العدالة والتوازن والسلام للأفراد والمجتمعات. الله تعالى وحده يملك المعرفة اللامحدودة اللازمة لوضع مثل هذه المدونة. بصفته خالق كل شيء، فإن علمه يشمل الماضي والحاضر

والمستقبل في مجملها . هو وحده المؤهل لوضع معيار يميز بوضوح بين الخير والشر ، والنفع والضرر ، ويؤدي إلى راحة البال في عالم يسوده التوتر والريبة . والتاريخ نفسه يشهد على هذه الحقيقة . فكلما طُبقت مدونة السلوك الإلهي بصدق ، ازدهرت المجتمعات في طمأنينة وعدل ووثاق . وتوطدت أواصر الأسر ، وتوحدت المجتمعات ، ووجد الأفراد التوازن في حياتهم الباطنية والخارجية . وفي المقابل ، عندما أهملت الهداية الإلهية انتشر الفساد والظلم والاضطراب لا محالة . لذا ، يجب على الأفراد اعتناق قواعد السلوك الإلهي التي أنعم الله بها عليهم ، مُدركين أنها الأنسب لسلامتهم ، حتى لو تعارضت بعض عناصرها مع رغباتهم الشخصية وعليهم أن يتصرفوا كمريض حكيم يثق بنصيحة طبيب ماهر . فمهما كان الدواء الموصوف مُرًا والنظام الغذائي قاسيًا ، فإن المريض يقبله ، عالمًا أنه في نهاية المطاف لصحته وبقائه . وبالمثل ، فإن من يقبل الهداية الإلهية ويعمل بها - حتى لو خالفت ميوله - يضمن لنفسه الرفاهية الحقيقية في الدنيا والفلاح الأبدي في الآخرة .

يوصل الله تعالى توجيهاته المنطقية والرحيمة والواقعية بمعالجة الظروف الخاصة للنساء المسنات اللواتي لم يعد لديهن رغبة أو أمل في الزواج . فيمنحنهن رخصةً : إذ يُسمح لهن بخلع ثيابهن الخارجية ، لأن تغيير الملابس باستمرار قد يصبح مرهقًا ، لا سيما في سن الشيخوخة . يعكس هذا الإعفاء مراعاة الله لاحتياجات :سورة النور، الآية 60 . الإنسان وحدوده

"...والمحيضات اللاتي لا يرغبن في نكاح فلا جناح عليهن أن يضعن ثيابهن ولا يتبرجن زينتهن "

تُسلط هذه الآية الضوء على مبدأ مُتكرر في التعاليم الإسلامية : الله تعالى يُرخص في حالاتٍ مُحددة ، مُراعياً الظروف المُخففة . ومع ذلك ، إلى جانب هذه الرخص ، كثيرًا ما يدعو الإنسان إلى السعي نحو أعلى درجات الطاعة ، فالسعي نحو الإتيان يضمن ثوابًا أعظم وراحة بال أعمق في الدنيا والآخرة . باختيار ضبط النفس حتى مع السماح بالرخص ، يُعزّز الإنسان انضباطه الروحي ، ويُحقّق التوازن في عقله وجسده ، ويتعلّم وضع :سورة النور، الآية 60 . كل شيء وكل شخص في حياته في نصابه الصحيح

"...وأن يستنكفوا خير لهم ..."

هذا التمييز بين المباح والأفضل سمة من سمات الحكمة الإلهية. فالإسلام لا يفرض مشقة لا داعي لها، بل يشجع الإنسان على تجاوز الحد الأدنى من المتطلبات واتباع طريق التفوق. هذا السعي ليس لمصلحة الله تعالى - فهو غني عن الحاجة - بل لمصلحة الفرد، إذ يُنمّي القوة الداخلية والكرامة والقرب منه. علاوة على ذلك، يُذكّر الله تعالى بأنه مطلعٌ تمامًا على نوايا العباد وأقوالهم وأفعالهم. فهو يعلم من يعمل بتنازلاته بإخلاص. ومن يستغلها للمصلحة أو الدوافع الدنيوية. لا يخفى عليه شيء، ولذلك سيُحاسِب كل إنسان في الدنيا والآخرة. سورة النور، الآية 60

"والله سميع عليم"

هذه الخاتمة راحةٌ وتحذيرٌ في آنٍ واحد. راحةٌ، لأن الله تعالى يسمعُ صدقَ نوايا مَنْ تصرفوا في حدودِ عطائه لحاجةٍ حقيقية. تحذيرٌ، لأنه يعلمُ متى تُساء التنازلاتُ أو متى يُتركُ الحياءُ بحجةِ الضرورة. وهكذا، يُدعى الإنسانُ إلى الإخلاص والتوازن واليقظة في كلِّ عملٍ، مُدركًا أن الله تعالى هو الشاهدُ النهائيُّ على كلِّ شيء.

لأن الإسلام منهج حياة يُلبّي احتياجات جميع الناس، فإنه يُشجّع باستمرار على إِبلاء اهتمام خاص ومعاملة رحيمة لمن يُنظر إليهم على أنهم محرومون في المجتمع، كذوي الإعاقة والمرضى والفئات الضعيفة اجتماعيًا. سورة النور، الآية 61

ليس على الأعمى حرج ولا على الأعمى حرج ولا على المريض حرج ولا عليكم أن تأكلوا من بيوتكم أو " بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت إخوة أبيكم أو بيوت خالات أبيكم ...أو بيوت إخوة أمهاتكم أو بيوت خالات أمهاتكم أو ما ملكت مفاتيحه أو ما صاحبكم

هذه الآية دليلٌ واضحٌ على رقة الله تعالى تجاه احتياجات البشر المتنوعة. فخلافاً -للأنظمة التي صنعها الإنسان، والتي غالباً ما تغفل عن المستضعفين، يُهدي الله تعالى إلى هدىً يضمن عدم إهمال أي فرد أو نسيانه. في كثير من المجتمعات، غالباً ما يُغفل المحرومون - سواءً بسبب المرض أو الإعاقة أو الفقر أو الضعف الاجتماعي. أحياناً يكون هذا الإهمال متعمداً، نابغاً من الأنانية أو التحيز، وأحياناً أخرى يكون نتيجةً للغفلة واللامبالاة. لكن النتيجة واحدة: تُهمل احتياجاتهم، الجسدية والنفسية، مما يجعلهم عُرضةً للعزلة وما يصاحبها من أضرار كثيرة. قد يؤدي هذا الإهمال إلى الوحدة واليأس، بل وحتى إلى تآكل الكرامة، حيث يُترك من هم في أمس الحاجة إلى الرحمة دون سند. إلا أن الإسلام يُغلق باب هذا الإهمال بحزم. فهو لا يسمح بتهميش المحرومين في المجتمع، بل يُرسخ حقوقهم بوضوح ويأمر الآخرين باحترامهم. يشجع الإسلام الناس على إشراكهم في الحياة الاجتماعية، ومعاملتهم بكرامة، ومساعدتهم حسب إمكانياتهم. ولا يقتصر هذا الدعم على الدعم المالي، بل يمتد إلى الرفقة والرعاية العاطفية، وضمان عدم إقصائهم عن دماء المجتمع، وبهذه الطريقة، لا يحمي الإسلام رفاههم المادي فحسب، بل أيضاً شعورهم بالانتماء وقيمة الذات. وبذلك، يحول الإسلام فعل مساعدة الضعفاء إلى عبادة. ولا يُصوّر تقديم اللطف والدعم للمحتاجين على أنه عبء بل كفرصة - فرصة للتقرب إلى الله تعالى وكسب رضوانه. وفي مقابل هذه الرحمة، يعد الله بأجر وفير، في الدنيا والآخرة. وهكذا، فإن من يرفع المحرومين في الواقع يرفع نفسه، لأنه ينال الرحمة الإلهية والحماية والتوفيق الأبدي.

لذلك، يجب على الشخص التأكد من مساعدة أولئك الذين يُعتبرون ضعفاء اجتماعياً في المجتمع، مثل الأيتام والأرامل، حسب طاقتهم. في العصر الحديث، أصبح هذا الأمر سهلاً بشكل ملحوظ. يمكن ترتيب كفالة الأيتام والأرامل عبر الإنترنت في غضون دقائق، وغالباً ما تكون التكلفة أقل مما ينفقه الكثيرون على فاتورة الهاتف الشهرية. لذلك فإن إهمال هذا الجزء الحيوي من الإسلام أمر لا يُغتفر، لأنه وسيلة لضمان استمرار دعم الله تعالى في العالمين. وقد أكد هذا المبدأ في حديث موجود في صحيح مسلم، رقم 6853. وقد أكد النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم على هذا الواجب. ونصح بأن من يكفل اليتيم سيُمنح قربته في الجنة. وقد ورد هذا في حديث موجود في صحيح البخاري، رقم 6005. كما أعلن أيضاً أن من يدعم المحتاج، مثل الأرملة، سيُكَافأ كما لو أنه قضى كل ليلة في الصلاة وكل يوم في الصيام، كما أكد حديث موجود في صحيح البخاري رقم 6006. وبالتالي، بالنسبة للشخص الذي يجد صعوبة في الحفاظ على أعمال العبادة التطوعية، مثل صلاة الليل أو الصيام الإضافي، فإن هذا المسار يوفر فرصة لنيل نفس المكافأة بسهولة نسبية، وفي الوقت نفسه رفع الآخرين.

من المهم أيضاً أن نتذكر أن كل ما يملكه الإنسان - سواء أكان ثروة أم صحة أم علماً أم نفوذاً - قد وهبه الله تعالى له أمانةً وقرضاً، لا هبةً مطلقة. فالقرض يجب رده إلى صاحبه. ولا يكون ردّ هذا القرض الإلهي برد النعمة نفسها، بل باستعمالها فيما يرضي الله تعالى. لذا، فعندما يُعين المرء المحتاجين، فهو لا يُقدّم معروفاً لله تعالى، ولا حتى لمن يُساعده، بل يُوفي ديناً لخالقه. في الحقيقة، لقد منّ الله تعالى عليهم مرتين: أولاً، بمنحهم بركات دنيوية، وثانياً، بمنحهم فرصة نيل الأجر العظيم من خلال مشاركتهم تلك النعم. وبالمثل يكون المحتاج قد منّ على المانح بقبول مساعدته، فلو رفض كل محتاج المساعدة، فكيف ينال الآخرون الأجر الموعود في التعاليم الإلهية؟ إن تذكر هذه الحقائق يمنع الإنسان من إهدار مكافأته باتخاذ موقف متعطرس أو متعالي.

وأخيراً، لا تقتصر مساعدة المحتاجين على الدعم المالي، بل تشمل تلبية أي حاجة مشروعة قد يحتاجها الإنسان، سواء كانت عاطفية أو بدنية أو اجتماعية. فالكلمة الطيبة، والأذن الصاغية، ويد العون، لا تقل قيمة عن المساعدة المادية. لذلك، لا يمكن لأي شخص، مهما قلّت ثروته، أن يتخلّى عن هذا المبدأ. لكل فرد ما يقدمه، والإسلام يدعو كل فرد إلى المساهمة حسب استطاعته، ضامناً ألا يُهمل أحد أو يُنسى.

ولأن الإسلام منهج حياة واقعي وعملي للغاية، فإنه يُراعي ظروف الناس الطبيعية ومتطلباتهم المتنوعة ويراعي وجود أوقات لا يكون فيها التواصل الاجتماعي ممكناً أو حتى مناسباً، كأن يكون الشخص منشغلاً بعمله أو منخرطاً في الدراسة أو مُثقلًا بالمسؤوليات. في مثل هذه الحالات، لا يفرض الإسلام مشقةً أو ذنباً: سورة النور، الآية 61. لا داعي لهما، بل يُنتج اليسر والمرونة

"...لا جناح عليكم أن تآكلوا جميعاً أو منفردين "

تُبرز هذه الآية توازن الشريعة الإلهية. فبينما يُشجع الإسلام على التفاعل الاجتماعي، وكرم الضيافة، وتقوية الروابط من خلال مشاركة الطعام، فإنه يُقرّ أيضاً باختلاف الظروف. قد يحتاج المرء أحياناً إلى تناول

الطعام منفرداً بسبب العمل، أو السفر، أو لحاجات شخصية، ولا إثم عليه ولا لوم في ذلك. وهكذا، يُزيل الإسلام الضغط غير المبرر، ويمنع الناس من الشعور بالتقصير في أداء الواجب الديني لمجرد عدم قدرتهم على الانضمام إلى الآخرين. وفي الوقت نفسه، تُذكر الآية الناس ببراعة بأهمية النية. وسواءً تناولوا الطعام، معاً أو بشكل منفصل، فإن الأهم هو شكر الله تعالى، وتجنب التبذير، أو التفريط في حقوق الآخرين. وهكذا، يُوفر الإسلام إطاراً عملياً وواقعياً: فهو يسمح بالمرونة في الحياة اليومية، مع ضمان بقاء التواضع، والشكر ومراعاة الآخرين في صميمه.

يُذكر الله تعالى الناس بأن تفاعلاتهم الاجتماعية ينبغي أن تُوجَّه بالقصد النبيل المتمثل في نشر السلام والخير: سورة النور، الآية 61. في المجتمع

"... فإذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة ..."

يُظهر هذا الأمر أن تحية السلام ليست مجرد عادة ثقافية أو عبارة مهذبة، بل هي عبادة إلهية. إنها تحية تحمل معنى عميقاً، إذ تدعو إلى الأمان والرحمة والسكينة لمن يستقبلها. وُصفت بأنها تحية من الله تعالى، وهي هدية، من الخالق لعباده، تهدف إلى تعزيز الوئام والأخوة في المجتمع. ولإتمام هذه التحية على الوجه الصحيح يجب على الشخص أن يتجاوز النطق بالكلمات. يجب أن يجسد السلام الذي يدعو إليه بضمن سلامة الآخرين من أذنبهم اللفظي والجسدي، وأن يُعامل الناس وممتلكاتهم بكرامة واحترام. هذا، في الواقع، هو تعريف المسلم والمؤمن الحقيقي، كما أكدته رواية موجودة في سنن النسائي، رقم 4998. لذلك، من النفاق أن يُلقي شخص ما السلام ظاهراً بينما يُضمّر في باطنه سوء أو يتبعه بأقوال وأفعال مؤذية. هذا السلوك يُفرغ التحية من معناها ويُناقض غرضها. فالتحية تهدف إلى بناء الثقة وحسن النية، لا إلى إخفاء العداوة أو النفاق. وعندما تُنفذ تحية السلام الإسلامية بصدق، فإنها تُصبح أساساً لإحقاق حقوق الآخرين. فهي تُشجع الناس على مساعدة بعضهم بعضاً حسب الحاجة، وإظهار اللطف في تعاملاتهم، وإحقاق العدل في تعاملاتهم. وهكذا فإن تحية السلام ليست مجرد فعل مجاملة شخصي، بل مبدأ اجتماعي يُقوي الروابط، ويُزيل العداوة، وينشر: سورة النور، الآية 61. الطمأنينة في المجتمع. إنها تُحوّل اللقاءات العادية إلى فرص لبناء الوحدة والتراحم

"كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ..."

الإسلام، كنظام سلوكي شامل وكامل، يُقدِّم توجيهات تُعالج البعدين الفردي والجماعي للحياة البشرية. ويُقرّ بأن الرفاه الحقيقي -لا يتحقق بالتركيز على جانب واحد وإهمال الجانب الآخر. على المستوى الفردي، يُنمّي الإسلام راحة البال من خلال رعاية حالة ذهنية وجسدية متوازنة، مُعلِّمًا الإنسان أن يضع كل شيء وكل شخص في حياته في مكانه الصحيح. هذا التوازن يُمكن الإنسان من العيش بوضوح وانضباط وهدف، مُتجنبًا الفوضى التي تنشأ عند سوء إدارة الرغبات أو العلاقات أو المسؤوليات. على المستوى المجتمعي، يُرسي الإسلام مبادئ تضمن العدل والأمن والوئام، بحيث تُلبّي حقوق جميع الناس وينتشر السلام في جميع أنحاء المجتمع. المجتمع الذي يُهمل العدل يقع حتمًا في الفساد والاضطراب، بينما المجتمع الذي يتمسك بالهدى الإلهي يصبح مكانًا للاستقرار والرحمة والرخاء. لهذا السبب، يُشجّع الناس على الاتحاد عند التعامل مع الأمور التي تؤثر على المجتمع الأوسع. من خلال التكاتف، يتمكنون من التداول والتشاور واتخاذ القرارات التي تتوافق مع التعاليم الإلهية. هذه القرارات تصون رفاهية الجميع، وتمنع الظلم، وتضمن عدم إهمال أي فئة. هذه المسؤولية الجماعية ليست مجرد توصية اجتماعية، بل واجب ديني، يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالإيمان نفسه. سورة النور، الآية 62

،الذين آمنوا بالله ورسوله، وإذا اجتمعوا عليه على أمرٍ تعاهدوه عليه، لم يذهبوا إليه حتى يستأذنوه المؤمنون... إن الذين يستأذنونك هم الذين يؤمنون بالله ورسوله

تُبيّن هذه الآية أن الإيمان بالله تعالى وبالنبي محمد صلى الله عليه وسلم لا يقتصر على العبادة الخاصة أو الولاء الشخصي، بل يمتد إلى المشاركة الفعّالة في شؤون المجتمع، مُظهرًا الالتزام بالصالح العام واحترام القيادة والنظام. إن التغيب عن هذه المسؤوليات دون عذر مقبول هو إهمال لجانب حيوي من الإيمان وإضعاف لأواصر المجتمع. لذلك يربط الإسلام قوة إيمان المرء باستعداده للانخراط في شؤون المجتمع، لأن الإيمان ليس مسألة قلب فحسب، بل هو أيضًا مسألة عمل ومسؤولية. لذلك، من المؤسف أن يتحد المسلمون أحيانًا لمناقشة قضايا لا تؤثر إلا على مجتمعهم، بينما يهملون الانخراط مع المجتمعات الأخرى في أمور تؤثر على المجتمع ككل. هذا الميل نحو العزلة يتناقض مع روح الإسلام، الذي يدعو إلى الانخراط والحوار والتعاون مع أتباع الثقافات والأديان الأخرى سعيًا لتحقيق العدالة والسلام. لا يشجع الإسلام على عقلية ضيقة ومنعزلة تحصر الاهتمام بجماعة الفرد؛ بل إنه يأمر المسلمين بأن يكونوا مصدر نفع للبشرية جمعاء. وقد وُصف

النبي محمد صلى الله عليه وسلم بأنه رحمة للعالمين، ومن المتوقع أن يعكس أتباعه تلك الرحمة من خلال العمل من أجل تحسين جميع الناس، وليس فقط أنفسهم. ومن خلال العمل مع الآخرين في الشواغل المشتركة سواء كانت الفقر أو الظلم أو التعليم أو الرعاية الصحية أو البيئة - يجسد المسلمون الرحمة الشاملة التي - أرسل الإسلام لإرسائها. وبذلك، فإنهم لا يؤدون واجبهم تجاه الله تعالى فحسب، بل يُظهرون أيضًا الأهمية الخالدة للتعاليم الإسلامية في مواجهة تحديات كل عصر. كما يمنع هذا الانخراط المسلمين من أن يُنظر إليهم على أنهم منفصلون أو مهتمون بأنانيتهم، ويُظهرهم بدلاً من ذلك كمساهمين نشطين في الصالح العام. وبهذه الطريقة، يضمن الإسلام ألا يقتصر الإيمان على الطقوس فقط، بل يُعاش في الخدمة والمسؤولية والسعي لتحقيق العدالة للجميع. من يصلي ويصوم ويتجاهل احتياجات مجتمعه، لم يؤدِّ إلا جزءًا من واجبه، ومن يجمع بين العبادة والمسؤولية الاجتماعية يجسّد الرؤية الشاملة للإسلام. ولذلك، يدعو الإسلام كل إنسان إلى السعي لتحقيق التوازن: تطهير نفسه بالعبادة والانضباط، وتحسين دنياه بالعدل والرحمة والتعاون.

مع أن الاعتذار عن المشاركة في شؤون المجتمع أمرٌ مقبولٌ عند وجود عذرٍ مشروعٍ ومناسب، إلا أن الإسلام يشجع الناس على تخصيص وقتٍ لهذه المسؤوليات كلما أمكن. ذلك لأن القضايا الجماعية ليست مجرد شؤونٍ إدارية، بل هي أمورٌ تصون حقوق المجتمع وأمنه وتناغمه. وإهمالها دون ضرورةٍ يُضعف أواصر الوحدة ويُضعف قوة المجتمع ككل. وفي الوقت نفسه، يُظهر الإسلام توازنه ورحمته بإدراكه أن هناك حالاتٍ قد يعجز فيها الأفراد عن المشاركة لأسبابٍ شخصية أو صحية أو ظروفٍ ملحةٍ أخرى. وفي مثل هذه الحالات أذن الله تعالى لهم بالاعتذار. ومع ذلك، تتجلى رحمة الله تعالى، فقد أمر النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم بالاستغفار لمن استأذن في الغياب. وهذا يدل على أنه وإن كان غيابهم مُعذرًا، إلا أن مشاركتهم تُعتبر قيّمة، وأن عدم مشاركتهم يستوجب العفو الإلهي. سورة النور، الآية 62

"فإذا استأذنتك لبعض أمرهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله إن الله غفور رحيم..."

تُسلط هذه الآية الضوء على درسين مهمين. أولاً، تُؤكد على جسامه المسؤوليات الجماعية، فلا يجوز التغاضي عنها بسهولة، بل بمبررٍ وجيه. ثانيًا، تُبين رحمة الله تعالى الواسعة، الذي يغفر لمن لا يستطيع المشاركة شريطة أن يُعالج الأمر بإخلاص وتواضع. لذا، فبينما يجوز الاعتذار عند الضرورة، فإن السعي للحضور والمشاركة في شؤون المجتمع أفضل وأجر. فبذلك، لا يُؤدّي الإنسان واجبه تجاه مجتمعه فحسب، بل يُقوّي

إيمانه أيضًا، فالمشاركة الفاعلة في الشؤون الجماعية دليل على الإخلاص والالتزام بالله تعالى ورسوله الكريم محمد صلى الله عليه وسلم.

استخدم المنافقون في المدينة المنورة أساليب عديدة لإضعاف الأمة الإسلامية وزرع الفتنة. تنوعت أساليبهم وخبيثتهم. ومن الأمثلة الشائعة، التي سبق ذكرها في هذا الفصل، افتراءهم الدنيء على زوجة النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، عائشة رضي الله عنها. لم يكن هذا الفعل المشين مقصودًا به المساس بشرف أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم فحسب، بل زعزعة ثقة المؤمنين بقائدهم أيضًا. ومن الأساليب الأخرى التي استخدمها المنافقون التشكيك في مكانة النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم الفريدة، بصفته خليفة الله تعالى المختار على الأرض. لم يكن مكانته قائدًا عاديًا يمكن مناقشة سلطته أو تجاهلها؛ بل كانت طاعته فرضًا إلهيًا. في كل ظرف. سورة النور، الآية 51

"إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون "

:سورة النساء الآية 80

«ومن يطع الرسول فقد أطاع الله»

تُثبت هذه الآية أن طاعة النبي محمد صلى الله عليه وسلم هي في الواقع طاعة لله تعالى، لأن النبي محمد صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى بل يبلغ ما أوحى إليه فقط. وبالتالي فإن التشكيك في سلطته هو تشكيك في سلطة الله تعالى نفسه. ولهذا السبب، ذكر الله تعالى المسلمين مرارًا وتكرارًا في جميع أنحاء القرآن، الكريم بمكانة النبي محمد صلى الله عليه وسلم الرفيعة والفريدة. وقد أمروا بمعاملته بأقصى درجات الاحترام لأن الاحترام هو أساس الطاعة والتقليد. فبدون الاحترام، لا يمكن لأحد أن يتبع الآخر حقًا، ولا يمكن لأحد

أن يتبنى مثاله بإخلاص. وقد أدرك المنافقون وأعداء الإسلام، سواء في المدينة المنورة أو عبر التاريخ، هذه الحقيقة. كان هدفهم النهائي هو زعزعة هيبة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، بفقدان الهيبة ترعزعت (سورة النور، الآية 63). الطاعة، وبفقدان الطاعة ترعزع النظام الإلهي

«لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً»

تؤكد هذه الآية أن النبي محمدًا صلى الله عليه وسلم لم يكن يُخاطب بالطريقة العفوية التي يُخاطب بها أحدٌ من الأقران أو الصحابة. كانت مكانته فريدة، ودوره كرسول الله تعالى يقتضي التبجيل في القول والفعل والسلوك. وبإعلاء الله تعالى لأسلوب مخاطبته، ضمن للأمة الحفاظ على الاحترام اللازم لاتباعه بإخلاص وهكذا، لم تكن محاولات المنافقين للنيل من النبي محمد صلى الله عليه وسلم مجرد هجمات شخصية، بل كانت محاولات مدروسة لإضعاف أساس الإيمان. بفقدان الاحترام، تُصبح الطاعة جوفاء، وبدون طاعة، لا يمكن تطبيق هدي الله تعالى. لذلك يُصر الإسلام على تكريم النبي محمد صلى الله عليه وسلم بكل الطرق. ففي تكريمه يكمن مفتاح الطاعة، وفي الطاعة يكمن الطريق إلى الله تعالى.

،عمومًا، من الضروري إدراك وتقدير السلوك الفاضل لمن يجتهدون بإخلاص في اتباع أوامر الله تعالى مستخدمين النعم الممنوحة لهم على النحو الذي حددته التعاليم الإسلامية. إن التأمل في أخلاقهم الحميدة، والافتداء بها يُمكن المرء من تنمية النضج الروحي والانضباط الأخلاقي والتوازن في الحياة. ومع ذلك من الضروري في هذا الصدد تجنب طرفين متعارضين غالبًا ما يؤديان إلى سوء الفهم والضلال

التطرف الأول هو انتقاص من شأن الصالحين، ومنهم الأنبياء عليهم السلام، جهلاً أو حرصاً على غير هدى يظن البعض خطأ أن انتقاصهم من قدر الصالحين إنما هو تعظيمٌ لعظمة الله تعالى. لكن هذا التصور يؤدي إلى عكس ذلك تماماً، إذ يجرد الصالحين من التبجيل الذي يدعو إلى التقليد، ويفصلهم عن النماذج الأخلاقية والروحية التي قدّمها الله تعالى هدايةً للبشرية. يستحيل تقليد من لا يحترمهم ولا يقدرهم

أما الطرف الثاني فيقع في الطرف الآخر، وهو تعظيم الصالحين بما يتجاوز حدود القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. هذه المبالغة تُحوّلهم إلى شخصيات سامية وديوية لدرجة يصعب معها الاقتداء بهم. فعندما يُنظر إلى الصالحين على أنهم ملائكة لا نماذج بشرية، يصبح تقليدهم مستحيلًا. وكثيراً ما يُفضي هذا التعظيم المُضلل إلى مجرد مدح لفظي وتبجيل عاطفي، بدلاً من محاكاة عملية صادقة. وقد يُكثر الناس من الحديث عن عظمة الصالحين، مُتجاهلين صبرهم وتواضعهم ورحمتهم وإخلاصهم - وهي صفات وُجدت للعيش، لا للإعجاب بها فحسب. ومع أنه من الصحيح أنه لا يمكن لأحد أن يبلغ منزلة النبي محمد صلى الله عليه وسلم الفريدة والمُشرقة، إلا أن كل فرد يستطيع - بل يجب عليه - أن يسعى جاهداً لتجسيد الصفات النبيلة التي جسدها. إن الهدف من معرفة فضائل الصالحين ليس مجرد الاحتفال بها، بل التعلم منها، حتى يهذب الإنسان سلوكه، ويقوي صلته بالله تعالى.

لذا، لا بدّ من تحقيق التوازن، وتوقير الصالحين حقّهم، وفقاً لهدي القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، دون مبالغة أو إهمال. هذا المنظور المتوازن يُغذّي احترام الصالحين ومحبتهم مع الحفاظ على أهميّة قدوتهم العملية. ومن خلال ذلك، يُلهم المرء لاتباع نهجهم بإخلاص، مُنمّيًا في نفسه نور الإيمان والتواضع والثبات الذي أنار حياتهم.

يُصدر الله تعالى تحذيرًا صارمًا لا هوادة فيه لمن يتعمدون تجنب الاستماع والطاعة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم. ويُبين أنه مطلع تمامًا على نواياهم الباطنة، وأقوالهم الظاهرة، وأفعالهم الخفية. ولن يحجبهم أي (سورة النور، الآية 63). عذر، مهما كان مُقنعًا، عن علمه أو عدله.

"قد يعلم الله المنسلين منكم، فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم مصيبة أو يصيبهم عذاب أليم".

تكشف هذه الآية عن سلوك المنافقين الذين يتهربون من مسؤولياتهم بهدوء، متخفين وراء الآخرين أو يختلقون الأعذار، ظانين أنهم سيفلتون من العقاب. ومع ذلك، يُذكرهم الله تعالى أنه لا يخفى عليه شيء. قد تخذع

أعذارهم الناس، لكنهم لا يخدعون خالقهم . على المسلمين الذين لا يُثبتون إيمانهم ومحبتهم للنبي محمد صلى الله عليه وسلم أن يتوبوا ويصلحوا أنفسهم قبل أن يواجهوا عواقب النفاق . في هذه الدنيا، يحرمهم سلوكهم من السلام الداخلي، ويمنعهم من تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة . يُسيئون ترتيب أولوياتهم، فيعتبرون النعم أعباءً، ويحولون العلاقات إلى مصادر للصراع . حتى الأشياء التي يُفترض أن تُريحهم - العائلة والأصدقاء والعمل والثروة - تُصبح أسبابًا للتوتر والقلق . إذا استمروا في المعصية، سيُحملون الآخرين مسؤولية قلعهم . قد يتهمون زوجاتهم أو أبنائهم أو ظروفهم، مُقصرين بذلك الأشخاص الطيبين من حياتهم . ومع ذلك فإن هذا لا يؤدي إلا إلى تعميق اضطرابهم، مما يؤدي إلى مزيد من عدم الاستقرار . وكثيرًا ما يقع هؤلاء الأشخاص في دوامة من الاضطرابات النفسية، والاكتئاب، وإدمان المخدرات، وحتى الميل الانتحارية وتتجلى هذه النتيجة بشكل مأساوي في أولئك الذين يسيئون استخدام النعم التي وهبت لهم، مثل الأغنياء والمشاهير، الذين على الرغم من تمتعهم بالرفاهية الدنيوية، إلا أنهم يعانون من الفراغ واليأس . ولكن الأسوأ من ذلك بكثير هو العقاب الذي ينتظرهم في الآخرة . فغفلتهم في الدنيا تمنعهم من الاستعداد للحساب يوم :سورة النور، الآية 63 . القيامة، وستكون مصيبة الآخرة أشد وطأة عليهم

"فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم مصيبة أو يصيبهم عذاب أليم ..."

الخطر لا يقتصر على خسارة الدنيا، بل يشمل خسارة الإيمان نفسه . فمن لم يُدعم إعلانه اللفظي بطاعة صادقة، فقد يُغادر هذه الدنيا بلا إيمان، كما فعل منافقو المدينة . يُشبّه الإيمان بشعلة رقيقة :تحتاج إلى رعاية دائمة وحماية وغذاء . وكما تنطفئ النار بفقدان وقودها، كذلك يضعف الإيمان وقد ينطفئ إن لم يُحافظ عليه بالطاعة المتواصلة . إن إهمال هذا الغذاء الروحي يُعرّض الإنسان لخطر فقدان النور الذي يهديه . وهذه الخسارة هي الأشد فتكًا، فبدون الإيمان يُترك الإنسان في ظلمات الدنيا ويُهمَل في الآخرة . ولذلك يدعو الله تعالى الناس إلى اليقظة والإخلاص والطاعة، مُذكّرًا إياهم بأن نجاتهم تكمن في اتباع أوامر النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وفي إشعال شعلة الإيمان حتى تشرق بنورها لحظة رجوعهم إلى ربهم .

في نهاية المطاف، بما أن الخلق كله لله تعالى، ويبقى تحت سيطرته وسلطانه التامين، فعلى كل إنسان أن يُدرك أنه مُقيّد بأحكامه . سواء أقرّ بذلك أم لا، فهو يعيش في ظل سلطانه، ووجوده خاضع لقضائه .سورة النور، الآية 64 .

"...إِنَّ اللَّهَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ "

كما لا يمكن للمواطن أن يعيش في بلد يتجاهل قوانينه دون أن يواجه عواقب، كذلك لا يمكن لأحد أن يعيش في عالم الله تعالى، متجاهلاً أوامره دون أن يواجه عواقب في الدنيا والآخرة. قد يحاول المرء الفرار من قوانين حكومة ما بمغادرة حدودها، ولكن لا يوجد مكان في الوجود لا تنطبق عليه سلطة الله تعالى. سلطانه يمتد على السموات والأرض، على ما يرى وما لا يرى، على الحياة والموت. وبالمثل، بينما قد يُغير البشر قوانين مجتمعاتهم أو يُلغونها، فلن يتمكنوا أبداً من تغيير قوانين الله تعالى الأبدية. أحكامه مطلقة، ثابتة، عادلة، تماماً، لا تتأثر بتغيرات آراء الناس. ولتوضيح ذلك أكثر: كما أن لصاحب المنزل الحق في وضع قوانينه حتى لو اعترض الضيوف، كذلك الله تعالى، بصفته خالق الكون ومالكه، الحق الوحيد في وضع قوانينه. سواءً رضي الناس بهذه القواعد أم لا، فهذا أمرٌ غير ذي صلة، فالملكية تُعطي السلطة. الكون ملكٌ له، ولذلك فإن أحكامه مُلزِمة. رفضها ليس حرية، بل هو تمردٌ على من يديم الحياة. ولذلك، فإن اتباع أحكام الله تعالى ليس إلزاماً فحسب، بل هو حكمةٌ ومصلحةٌ ذاتيةٌ أيضاً - . من يدرك هذه الحقيقة سيخضع لأوامره ويسعى لطاعته مستخدماً النعم التي وهبت له بما يرضيه. هذه الأحكام ليست اعتباطية؛ بل هي مُبينةٌ في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وهي مُصممةٌ لحماية كرامة الإنسان، وحفظ العدل، وإرشاد الناس إلى السلام في العالمين. أمام الإنسان طريقان: إما أن يسعى لتعلم الحكمة الكامنة وراء أوامر الله تعالى ونواهيه، مُتأملاً في فائدتها للفرد والمجتمع، وكيف تؤدي إلى راحة البال، وتوازن الجسد، وتناغم الحياة. أو يمكنهم اختيار عبادة أهوائهم، رافضين تعاليم الإسلام، متبعين شهوات النفس الزائلة. الطريق الأول يؤدي إلى الصفاء والاستقرار والنجاح الأبدي؛ أما الطريق الثاني فيؤدي إلى الاضطراب والاضطراب، ثم إلى الهلاك. على من يخالف أحكام الله تعالى أن يُعِدَّ نفسه لمواجهة عواقب اختياره في الدنيا والآخرة. ففي هذه الدنيا، سيجد أن المعصية تجلب الفوضى والقلق وعدم الرضا، مهما بلغ من الثروة أو النفوذ. وفي الآخرة سيواجهون عدل الله تعالى، حيث لا ينجيهم أي اعتراض أو احتجاج أو شكوى. فكما لا يمكن للإنسان أن يتنزع بالجهل أو التمرد للنجاة من قوانين بلده، فكذلك لا عذر له أمام رب العالمين. سورة النور، الآية 64

"يَعْلَمُ مَا تَقُومُونَ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيَنْبِتُهُمْ بِمَا كَسَبُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ..."

فالعاقل هو من يُدرك مكانته كعبد لله تعالى، ويسلك وفق أوامره. سيجد أن الطاعة تجلب الصفاء والاستقرار والسكينة، بينما المعصية لا تجلب إلا الاضطراب والاضطراب، ثم الهلاك. إن العيش في انسجام مع النظام من خلال، الإلهي هو العيش في انسجام مع فطرته، لأن النفس خُلقت لتجد الراحة في خضوعها لخالقها. تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، ومن خلال حسن توزيع كل شيء وكل شخص في حياتها.

لذا، يجب على الإنسان قبول تعاليم الإسلام والعمل بها لما فيه مصلحته، حتى لو بدت تلك التعاليم متعارضة مع ميوله أو رغباته الشخصية. يدرك الحكماء أن الرغبات غالبًا ما تكون قصيرة -النظر، مدفوعة بالاندفاع والعاطفة، بينما الهداية الإلهية متجذرة في المعرفة التامة والبصيرة. لذا، يجب على المرء أن يتصرف كمريض عاقل، فرغم كراهيته لمرارة الدواء أو قيود الحمية الغذائية الصارمة، إلا أنه يقبل ويتبع نصيحة طبيبه، عالمًا أنها في نهاية المطاف لسلامته - وكما يحقق هذا المريض في النهاية صحة نفسية وجسدية جيدة من خلال الانضباط والثقة بخبرة الطبيب، كذلك سيقبل من يقبل تعاليم الإسلام ويعمل بها التوازن، والسلام والرفاهية الحقيقية. وذلك لأن من يملك المعرفة الكاملة بالطبيعة البشرية - احتياجاتها الجسدية وصراعاتها العقلية، وتطلعاتها الروحية - هو الله تعالى. هو وحده يعلم كيف يضمن للإنسان حالة متوازنة من العقل والجسد، وكيف يضع كل شيء وكل شخص في حياته في نصابه الصحيح. المعرفة البشرية، مهما بلغت من التقدم، تبقى جزئية ومحدودة. فرغم قرون من البحث، لا يستطيع المجتمع حل كل مشكلة قد يواجهها الإنسان في حياته. النصيحة البشرية لا تحمي الإنسان من كل أشكال التوتر، ولا تضمن له تحديد أولوياته بدقة في العلاقات والمسؤوليات والرغبات. البشر مقيدون ببصيرة محدودة، وتحيزات، وعدم القدرة على رؤية الغيب. أما الله تعالى، فهو منزّه عن كل هذه القيود. علمه كامل، وحكمته لا تشوبها شائبة، وقد أنزل الهداية على البشرية في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. تتجلى حقيقة هذا عندما يلاحظ المرء الفرق بين من يستخدم النعم التي وهبها إياها وفقًا للتعاليم الإسلامية ومن لا يفعل. من يعيش على الهداية الإلهية يجد الاستقرار والصفاء والسكينة، حتى في أوقات الشدة، بينما من يُسيء استخدام النعم التي وهبت له يجد نفسه قلقًا وغير راضٍ ومُثقلًا، حتى وإن ظَهَرَ له النجاح ظاهريًا. لا تُعوّض الثروة والشهرة والسلطة عن غياب السلام الداخلي، والتاريخ حافل بأمثلة لمن امتلكوا رفاهية الدنيا ثم استحوذ عليهم اليأس. تجدر الإشارة إلى أن المرضى، في أغلب الأحيان، لا يفهمون علم الأدوية الموصوفة لهم. يثقون بطبيبهم ثقة عمياء واثقين بأن علمه يفوق علمهم. مع ذلك، لا يطلب الله تعالى من عباده ثقة عمياء، بل يدعوهم إلى التأمل في تعاليم الإسلام، وملاحظة حكمته، والتعرف على صدقه من خلال الأدلة الواضحة. يريد أن يرى الناس بأنفسهم كيف يُفيد هدايته حياتهم، فرديًا وجماعيًا. لكن هذا يتطلب التعامل مع تعاليم الإسلام بعقل منفتح وغير: سورة يوسف، الآية 108. متحيز، بعيدًا عن التكبر والتحيز

"...قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني"

تُبرز هذه الآية أن الدعوة إلى الله تعالى لا تقوم على التقليد الأعمى، بل على البصيرة والتأمل والفهم. الإسلام دين العقل والدليل، وتعاليمه تدعو الناس إلى إدراك التناغم بين الهداية الإلهية وصلاح الإنسان - . ولأن الله تعالى هو وحده المتصرف في قلوب الناس - دار الطمأنينة - فهو وحده الذي يُقرر من يطمئن ومن لا يطمئن
:سورة النجم، الآية 43

"وأنه هو الذي أضحك وأبكى"

وهكذا، فإن طريق الطمأنينة الحقيقية - روحًا وجسدًا ونفسًا - لا يكمن إلا في التسليم لله تعالى، والعيش وفق هديه. وكما يُشفى المريض باتباع نصيحة الطبيب، فإن من يتبع الهداية الإلهية يُشفى من أمراض القلب والعقل تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل ويجد راحة البال في الدنيا والآخرة، من خلال
:سورة النحل، الآية 97 . شيء وكل شخص في حياته على الوجه الصحيح

"من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون"

.الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾

الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ
شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرَهُ نَقْدِيرًا ﴿٢﴾

وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا
يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا
نُشُورًا ﴿٣﴾

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ
ءَاخِرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾

وَقَالُوا أَأَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ أَكُتِبَ هَافِيًا تُمَلَّى عَلَيْهِ
بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾

قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ
غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٦﴾

وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ
لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ، نَذِيرًا ﴿٧﴾

أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ، جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ
الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿٨﴾

أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَل فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ
سَبِيلًا ﴿٩﴾

تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾

بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾

إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾

وَإِذَا أَلْقَاوْا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾

لَا نَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾

قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ
جَزَاءٌ وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾

لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا
مَسْئُولًا ﴿١٦﴾

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ ۖ أَنْتُمْ
أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿١٧﴾

قَالُوا سُبْحَنَكَ مَا كَانَ يُنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ
وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَعَآبَاءَ هُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا
بُورًا ﴿١٨﴾

فَقَدْ كَذَّبَكُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا
نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِم مِّنْكُمْ نُدِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾

وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ
الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ ۚ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ
فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۚ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾

❖ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَكُوتُ ۖ أَوْ نَرَىٰ
رَبَّنَا ۖ لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾

يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا
مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾

وَقَدْ مَنَّا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴿٢٣﴾

أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾

وَيَوْمَ تَشْقُقُ السَّمَاءُ بِالْغَمِّمْ وَنُزِّلُ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا ﴿٢٥﴾

الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾

وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ
سَبِيلًا ﴿٢٧﴾

يَنُوبُ لَنِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾

لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ
لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾

وَقَالَ الرَّسُولُ يَرْبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا
وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ۖ كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا

وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾

الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا
وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ
وَزِيرًا ﴿٣٥﴾

فَقُلْنَا أَذْهَبًا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايَتِنَا فَدَمَرْنَاهُمْ
تَدْمِيرًا

وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ
ءَايَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾

وَعَادَاوِثْمُودَ وَأَصْحَبَ الرِّسِّ وَقُرُونَابِينَ ذَلِكَ كَثِيرٌ

وَكُلًّا ضَرَبْنَاهُ الْأَمْثَلِ ۖ وَكُلًّا تَبَرْنَا تَنْبِيرًا ۖ

وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا مَطَرًا سَوِيًّا أَفَلَمْ يَكُونُوا
يَرْوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾

وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُوكَ إِلَّا هُزُوءًا ۖ أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ
رَسُولًا ﴿٤١﴾

إِن كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا
وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حَيْثُ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾

أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ۚ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾

أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِن هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ
بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾

أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِئًا ثُمَّ جَعَلْنَا
الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾

ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾

وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ
نُشُورًا ﴿٤٧﴾

وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۚ وَأَنْزَلْنَا مِنَ
السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾

لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَمًا وَنَاسِيًّا

كَثِيرًا ﴿٤٩﴾

وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾

وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴿٥١﴾

فَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾

﴿٥٣﴾ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ

وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾

وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ

قَدِيرًا ﴿٥٤﴾

وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى

رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾

قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ

سَبِيلًا ﴿٥٧﴾

وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ
بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾

الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى
عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَأَلْ بِهِ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا
وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴿٦٠﴾

نَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا
مُنِيرًا ﴿٦١﴾

وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنۢ أَرَادَ أَنۢ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ
شُكُورًا ﴿٦٢﴾

وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ
الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾

وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَمًا ﴿٦٤﴾

وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا
كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾

إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾

وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾

وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾

يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾

إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٠﴾

وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾

وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾

وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾

وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ
أَعْيُنٍ وَاجْعَلْ لَنَا لِمُنَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾

أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً
وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾

خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾

قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ
لِزَامًا ﴿٧٧﴾

مناقشة الآيات من ١ إلى ٧٧ من سورة المائدة

يُفتتح هذا السورة بتذكير الناس جميعاً بأن الله تعالى مُباركٌ بفطرته، ولذلك فإن كل ما يفعله ويقضيه ويختاره لخلقه مُباركٌ، حتى وإن كانت حكمته الكامنة وراء اختياراته خفيةً عن إدراك البشر. سورة الفرقان، الآية 1

"...طوبى له"

هذه العبارة الموجزة، وإن كانت عميقة، تُثبت أن الكمال والخير والخير الدائم من الله تعالى وحده. أفعاله ليست اعتباطية، وقضاؤه ليس بلا غاية. ما قد يبدو مُراً أو مُرهقاً للبشر، هو في الحقيقة مُفعمة بالحكمة والرحمة الإلهية. سورة البقرة، الآية ٢١٦

"وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ..."

تُذكر هذه الآية البشرية بمحدودية منظورها. فكثيراً ما يحكم البشر على الأمور بمظاهرها، بينما الله تعالى يرى الحقيقة كاملةً - ماضياً وحاضراً ومستقبلاً. قد يكون ما يكرهه الإنسان هو في الواقع سبب نموه وتزكيته وخلاصه، بينما قد يخفي ما يشتهيهِ ضرراً أو فساداً أو دماراً. تتجلى بركة اختيارات الله تعالى في جوهر خلقه. فقد خُلِقَ الكون بإتقان ليقدم للبشرية منافع لا تُحصى. فتناوب الليل والنهار، وتعاقب الفصول، وهطول الأمطار الذي يُحيي الأرض، ودورة الماء التي تُديم الحياة، وتوازن النظم البيئية، وتناغم الأجرام السماوية كلها تشهد على حكمة الله ورحمته. كل عنصر من عناصر الخلق ليس وظيفياً فحسب، بل هادفاً، دليلاً على كمال الله تعالى، وتذكيراً بأن تدبيره دائماً لخير عباده.

من أدرك نعمة الله تعالى الكامنة وأفعاله، أدرك أن النعم الحقيقية في الدنيا والآخرة لا تُنال إلا بطاعته. وهذه الطاعة تقتضي أن يستغل الإنسان نعمه - كالصحة والمال والأهل والعقل والوقت - على الوجه المبين في التعاليم الإسلامية. وبهذا يحقق التوازن في حالته النفسية والجسدية، ويُرَتَّب أولوياته في كل شيء وكل شخص في حياته، ويستعد جيدًا للحساب يوم القيامة. هذا السلوك يؤدي إلى راحة البال في الدنيا والآخرة. ففي الدنيا، يمنح صفاءً واستقرارًا ورضا، حتى في خضم المحن. وفي الآخرة، يضمن راحةً وفرحًا أبديين في حضرة الله تعالى. أما من لم يدرك نعمة أقدار الله تعالى، وأساء استخدام نعمه، فسيجد نفسه مضطربًا، وغير متزن، وغير مستعد للحساب النهائي. وهكذا، فإن الحكماء هم من يستسلمون لإرادة الله تعالى، واثقين بأن اختياراته مباركة دائمًا، حتى وإن خفَّت حكمتهم. يعيشون على يقين بأن الطاعة سبيلٌ للسلام، وأن كل نعمة إذا أحسن استخدامها، تُصبح وسيلةً للتقرب من مصدر كل نعمة. إن إدراك هذه الحقيقة يعني العيش بامتنان وتواضع وثقة، والاستعداد للسلام الأبدي الذي ينتظر من يوفقون حياتهم للهداية الإلهية.

لكي يعيش الإنسان في طاعة الله تعالى، مصدر النعم، لم يترك البشرية سائبة أو تعتمد على تفكيرها المحدود بل أنزل الفرقان - القرآن الكريم - الذي يُعدّ المعيار النهائي الذي يُميّز به الحق من الباطل، والمصلحة من: سورة الفرقان، الآية 1. المفسدة

”تبارك الذي نزل الفرقان“

، هذا الوحي الإلهي هو أعظم رحمة، فبدونه يضل الناس في حيرة من أمرهم وضلالهم. مهما بلغ تقدم الحضارة ومهما بلغت من اكتشافات في العلوم والطب وعلم النفس والفلسفة، فلن تتمكن أبدًا من وضع قواعد سلوكية سليمة وشاملة وملائمة تمامًا للطبيعة البشرية. المعرفة البشرية دائمًا ما تكون جزئية ومتطورة. وحتى اليوم ومع كل تقدم الأبحاث الحديثة، لا يزال الناس يكتشفون حقائق أساسية عن أنفسهم - مثل وظائف الدماغ البشري، وتعقيدات العواطف، ودقائق السلوك الاجتماعي. إذا كانت البشرية تكافح لفهم مكوناتها الداخلية تمامًا، فكيف يمكنها أن تأمل في تشريع نظام يضمن العدل والسلام والتوازن في كل زمان ومكان؟ الله تعالى، وحده يملك هذه المعرفة، فهو خالق كل شيء. علمه يشمل الماضي والحاضر والمستقبل، المرئي والغيب، الفرد والجماعة. هو وحده يعلم ما يجلب النفع الحقيقي وما يسبب الضرر الدائم. لهذا السبب، فهو وحده

المؤهل لتزويد الناس بقواعد سلوك عالمية، خالدة، ومنسجمة تمامًا مع الفطرة البشرية. هذه القواعد - القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم - تُهدي إلى طمأنينة القلب، وتوازن الجسد، وعدل المجتمع. والتاريخ يشهد على هذه الحقيقة. فكلما طبقت هذه القواعد الإلهية بصدق، غيّرت الأفراد والمجتمعات فأصبحت المجتمعات التي كانت غارقة في الجهل والقمع والانقسام نماذج للعدل والرحمة والوحدة. لم يكن هذا التحول نتيجة فلسفة بشرية أو حكم دنيوي، بل ثمرة مباشرة للعيش بهداية الله تعالى. لهذا السبب، كل إنسان مدعو إلى اعتناق قواعد السلوك الإلهية، مدركًا أنها الأنسب لرفاهيته، -حتى لو تعارضت بعض الأوامر مع رغباته الشخصية. يجب على الإنسان أن يفهم أن التعليمات الإلهية ليست قيودًا تُثقل كاهله، بل وصفات طبية تُشفيه. ينبغي عليهم أن يتصرفوا كمريض عاقل يقبل نصيحة الطبيب، حتى لو كان العلاج دواءً مُرًا أو نظامًا غذائيًا صارمًا. فالمريض يتحمل ألمًا مؤقتًا من أجل صحة دائمة؛ وبالمثل، فإن من يستسلم للهداية الإلهية ينال سلامًا دائمًا في الدنيا وفلاحًا أبديًا في الآخرة.

سورة الفرقان، الآية ١. ثم يُشير الله تعالى إلى أعلى مستوى يمكن أن يصل إليه الخلق:

”...تبارك الذي نزل الفرقان على عبده“

تُبرز هذه الآية أن أعلى مقام يمكن أن يبلغه أي مخلوق هو أن يُعترف به كعبد حقيقي لله تعالى. ولو كان هناك لقب أو منزلة أعظم، لسمّى الله تعالى بها النبي محمدًا صلى الله عليه وسلم. لكنه اختار لقب العبد، رافعًا بذلك العبودية فوق كل شرف آخر. وتعزز هذه الحقيقة أحاديث النبي محمد صلى الله عليه وسلم. ففي حديث ورد في صحيح مسلم، رقم 851، أشار النبي محمد صلى الله عليه وسلم إلى نفسه بأنه عبد الله تعالى قبل إعلان رسالته. ويُظهر هذا الأمر المتعمد أن العبودية هي الأساس الذي يقوم عليه كل شرف آخر. ومن هنا يتجلى درس واضح لكل إنسان: إذا رغب في النجاح النهائي وأعلى المراتب في الدنيا والآخرة، فعليه أن يسعى ليكون عبدًا حقيقيًا لله تعالى. لا تُنال هذه المكانة الرفيعة إلا باتباع خطى أعظم عباد الله تعالى، وهو سورة آل عمران، الآية 31. النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم. فلا سبيل إلى العبودية إلا باتباعه.

"قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم"

من يقبل عبوديته لله تعالى، لا يعيش سعيًا وراء ملذات زائلة، ولا يسعى وراء رضا الناس أو توجهات المجتمع، كوسائل التواصل الاجتماعي والموضة والثقافة. بل غايته الدائمة هي رضا مولاه الله تعالى. تتجلى هذه العبودية عمليًا عندما يستغل الإنسان النعم التي وهبت له على النحو المبين في التعاليم الإسلامية، لا وفقًا لأهوائه الجامحة. فالعبد الحق لله تعالى لا يطلب رضا الآخرين، بل يتمنى من الناس السعي لرضا الله تعالى وأخيرًا، يُدرك العبد أن كل ما يملكه - بما في ذلك ماله وعائلته ومواهبه، بل حتى حياته - قد خلقه الله تعالى ووهبها له. ونتيجة لذلك، يُدرك أن هذه النعم ليست ملكًا له في الحقيقة، بل هي أمانة في رعايته. لذا، يجب استخدامها على الوجه الصحيح، وفقًا لهدى القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. وهكذا، لا تصبح العبودية مجرد لقب، بل واقعًا ملموسًا: حياة تواضع وشكر وطاعة، تُفضي إلى شرف حقيقي في الدنيا وفلاح أبدي في الآخرة. إنها أسمى مطمح لكل إنسان، فلا يُضاهي أي لقب أو إنجاز أو تقدير دنيوي لقب "عبد الله تعالى".

كان من أهم أدوار الأنبياء عليهم السلام تحذير قومهم من عواقب تجاهل الهداية الإلهية، ومن ثم إساءة: سورة الفرقان، الآية 1. استخدام نعم الله تعالى التي أنعم بها عليهم

"هو الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا..."

لذا، لم تكن مهمة الأنبياء عليهم السلام مجرد التبشير بالثواب، بل التحذير من مخاطر المعصية أيضًا. وكلا الجانبين - الترغيب والترهيب - أساسيان، فهما يوقظان قلب الإنسان ويهديانه إلى طريق الحق

أول ما يجب إدراكه هو أن البشارة والإنذار لا تنفع إلا بالعمل بها. فمجرد الإقرار دون عمل لا يكفي. لذا فإن من استجاب عملياً مستغلاً نعم الله تعالى عليه - كما وردت في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم - ينال راحة البال في الدنيا والآخرة. تتبع هذه الراحة من تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة ومن وضع كل شيء وكل شخص في حياته في نصابه الصحيح. فمثل هذا الإنسان يعيش في صفاء وانضباط. وهدف، ويستعد جيداً للحساب يوم القيامة

في المقابل، من لم يستجب عملياً للإنذارات والبشارة الواردة في الهداية الإلهية، استمر في إساءة استخدام النعم التي وهبت له. ونتيجة لذلك، سيقع في اختلال التوازن، عقلياً وجسدياً. سيُسبى ترتيب أولوياته، مُعطياً أهمية زائدة للزائل مُهملاً ما هو أبدي. سيُفَصِّر في تنظيم علاقاته ومسؤولياته ورغباته، وسيُهمل الاستعداد الجيد للمحاسبة النهائية أمام الله تعالى. ونتيجة لذلك، سيواجه هذا الشخص ضغوطاً ومصاعب وصعوبات في الدنيا والآخرة. حتى لو تمتع ظاهرياً ببعض الكماليات الدنيوية - الثروة أو الجاه أو النفوذ - فلن تُحقّق له الرضا الحقيقي. بل سُنْصِبح نعمه مصدر قلق واضطراب، إذ يُساء استخدامها وتُفصل عن غايتها الإلهية. وفي الآخرة، ستكون العواقب وخيمة، إذ سيواجه عدل الله تعالى لتجاهله هدايته رغم تحذيره

وهكذا، فإن دور الأنبياء عليهم السلام كمنذرين هو رحمة بحد ذاته، إذ يُتيح للناس فرصة للتأمل وإصلاح أنفسهم وتقويم حياتهم قبل فوات الأوان. والعاقِل هو من ينتبه لهذه التحذيرات، ويعمل بهديه، ويستغل بركاتهم، بما يؤدي إلى السلام والتوازن والتوفيق الأبدي، إذ لا مفرّ له من قدرة الله تعالى وسلطانه. (سورة الفرقان، الآية ٢٥)

«...الذي له ملك السماوات والأرض»

بما أن الخلق كله لله تعالى، وتحت سيطرته المطلقة وسلطانه، فإن كل إنسان يخضع في نهاية المطاف لشرائعه. لا مفر من هذه الحقيقة. فكما أن المواطن الذي يتجاهل قوانين حكومته يواجه عواقب حتمية، فكذلك، يواجه المرء عواقب في الدنيا والآخرة إذا تجاهل قوانين رب الكون. قد يغادر المرء بلدًا إذا لم تعجبه قوانينه

ولكن لا يوجد مكان في الوجود لا ينطبق عليه حكم الله تعالى. فسيادته تمتد إلى السماوات والأرض، إلى الحياة والموت، إلى ما يُرى وما لا يُرى. وبالمثل، فبينما قد يغير الناس قوانين مجتمعاتهم أو يلغونها، لن يتمكنوا أبداً من تغيير قوانين الله تعالى الأبدية. فأحكامه ثابتة، عادلة تماماً، ولا تتأثر برأي أو رغبة بشرية تأمل أيضاً في مثال البيت: لصاحبه الحق في وضع قواعده، حتى لو اعترض الضيوف. كذلك الكون ملكٌ لله تعالى، وهو وحده من يُحدد أحكامه. قبول الناس لها من عدمه أمرٌ لا يُعتمد به، فالملكية تُعطي السلطة. رفض أحكامه ليس حرية، بل تمردٌ على من يديم الوجود. ولذلك، فإن اتباع أوامر الله تعالى ليس واجباً فحسب، بل هو أيضاً حكمةٌ ومصلحةٌ ذاتية - . من يدرك هذه الحقيقة سيسعى إلى طاعته باستخدام نعمه بما يرضيه، كما هو مبين في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. كل إنسان أمام خيارين: إما أن يسعى إلى فهم حكمة أوامر الله تعالى ونواهيه، مُدركاً ما فيها من نفعٍ للفرد والمجتمع، وكيف تُؤدي إلى راحة البال والجسد في الدنيا والآخرة. أو أن يختار اتباع أهوائه، رافضاً الهداية الإلهية. الطريق الأول يُفضي إلى الوضوح والتوازن والتوفيق الأبدي؛ والثاني يُفضي إلى الحيرة والاضطراب، ثم إلى الهلاك. على من خالف أحكام الله تعالى أن يُعَدّ نفسه لعواقب اختياره في الدنيا والآخرة. ففي هذه الدنيا، يُجلب المعصية اضطراباً وقلقاً وسخطاً، مهما بلغ من الغنى أو الجاه. وفي الآخرة، سيواجه عدل الله تعالى، حيث لا ينجيهم احتجاج ولا عذر ولا شكوى. وهكذا، فإن العاقل هو من يُدرك مكانته كعبد لله تعالى، ويعيش وفقاً لأوامره. فيجد أن الطاعة تجلب الصفاء والاستقرار والسكينة، بينما المعصية لا تجلب إلا الاضطراب والدمار. إن العيش في وئام مع الشريعة الإلهية هو العيش في وئام مع النفس، لأن النفس خُلقت لتجد الراحة في الخضوع لخالقها.

بشكل عام، كثير من غير -المسلمين الذين آمنوا بالله تعالى، نسبوا إليه مع ذلك عيوباً بشرية، كالتعب والعجز والرغبة في الإنجاب. وبذلك، قللوا من شأن الخالق إلى درجة الملك الدنيوي. فالملك، بمحدودية سلطته وقدرته، لا يستطيع إدارة شؤون مملكته وحده، ولذلك يُعيّن مساعدين أو ولاة أو وزراء لمساعدته في إدارة مملكته. وبناءً على هذا التشبيه الخاطئ، بدأ كثير من هؤلاء الأفراد يعبدون باطلا كيانات أخرى - كالملائكة معتقدين أنهم بإرضاء هؤلاء الوسطاء المزعومين، يمكنهم نيل رضا الله تعالى. وقد دحض الله تعالى هذه - الفكرة في القرآن الكريم. سورة الفرقان، الآية 2

"ومن لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك"

للأسف، تبنى البعض في المجتمع الإسلامي هذا المفهوم الخاطئ نفسه. يُكرّس هؤلاء الأفراد وقتهم وجهدهم ومواردهم للبحث عن شخصيات روحية يعتقدون أنها تتمتع بعلاقة فريدة وحصرية بالله تعالى، كما يرتبط الحاكم بالملك ارتباطاً فريداً. هدفهم هو إرضاء هذه الشخصيات ليتمكنوا من التوسط لهم، بتقديم الهدايا ومظاهر الاحترام المبالغ فيها، أو حتى أعمال العبادة. وبهذه الطريقة، يُعاملون كحراس بين الناس والله تعالى. هذه الممارسة تتناقض جوهرياً مع جوهر التعاليم الإسلامية. لم يكن الأنبياء عليهم السلام حراساً قط. كان دورهم هو إنارة الطريق إلى الله تعالى، وبيان سبل نيل رضاه. لم يطلبوا من الناس جزاءً أو هبة أو عبودية قط. بل وجهوا كل الإخلاص والعبادة لله تعالى وحده. لذلك، فبينما ينبغي للإنسان أن يتعلم العلم الشرعي من معلمين أكفاء وأن يُظهر لهم الاحترام الذي يستحقونه، يجب ألا يعتقد أبداً أن هؤلاء الأفراد يُعبدون أو يُعاملون كوسطاء لله تعالى. فالسيطرة الكاملة على الكون له وحده، وهو على علم تام بكل ما يجري فيه. ولا سورة البقرة، الآية. يحتاج إلى وسطاء بينه وبين البشر. وقد وردت هذه الحقيقة صراحةً في القرآن الكريم ١٨٦:

"...وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان"

:وسورة غافر الآية 60

"وقال ربكم ادعوني أستجب لكم"

صحيح أن الشفاعة ستقع يوم القيامة، ولكن بإذن الله تعالى فقط. ومع ذلك، من الأهمية بمكان ألا يُعامل هذا الواقع باستهزاء أو تهاون. فالاعتماد على الشفاعة مع إهمال المسؤوليات الشخصية هو إساءة استخدام لنعم الله تعالى. وغالباً ما ينبع هذا الإهمال من شعور زائف بالأمان، حيث يتجاهل الشخص التوجيه الإلهي ويظل يتوقع الخلاص من خلال تدخل الآخرين، سواء أكانوا أقارب أو أولياء أو شخصيات روحية. في الواقع، من يسخر أو يتخلى عن الغرض الحقيقي من الشفاعة قد يجد أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم يشهد عليه يوم سورة الفرقان، الآية 30. القيامة

"وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا"

هذه الآية خاصة بالمسلمين، فهم الأمة التي أقرت بالقرآن الكريم واعتنقته. أما غير -المسلمين، فلا يمكن وصفهم بالتخلي عنه لعدم قبولهم له. إن عاقبة من يشهد عليه النبي محمد صلى الله عليه وسلم في ذلك اليوم وخيمة.

حتى في حالات الشفاعة، فإن التهاون في هذه الحياة لا يمنع دخول النار، بل قد يخفف من شدتها. ويجب أن يفهم جلياً أن حتى أقصر تجربة في النار لا تُطاق. لذلك، يجب أن يقترن الرجاء الصادق بالشفاعة دائماً بجهد جاد، أي بالاستخدام الفعال والمخلص للنعم الممنوحة، وفقاً لهدى القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. عندها فقط يمكن للمرء أن يأمل بالشفاعة يوم القيامة، مع علمه أن الله تعالى وحده هو الذي يأذن بها.

:سورة الفرقان، الآية 2

"...ومن لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك "

بشكل عام، من أسباب انتشار المعتقدات الباطلة حول النبي عيسى عليه السلام ميلاده المعجز، والمعجزات الخارقة التي صنعها، وعروجه إلى السماء وهو حي. وقد أكد القرآن الكريم ميلاده المعجز، ووصفه بأنه دليل على قدرة الله تعالى المطلقة. سورة آل عمران، الآية 47

قالت مريم رضي الله عنها :يا رب أنى يكون لي ولد ولم يمسنني بشر؟ قال :كذلك الله يخلق ما يشاء، وإذا قضى أمرًا فإنما يقول له كن فيكون.

خلق الله تعالى النبي عيسى عليه السلام بلا أب، كما خلق آدم عليه السلام بلا أم ولا أب. وهذا يدل على قدرة الله تعالى الخلاقة اللامحدودة، ولا يدل على الألوهية إطلاقاً. سورة آل عمران، الآية 59

"إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون"

و: سورة الفرقان، الآية 2

"وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا"

من اللافت للنظر أن المسيحيين يعتبرون النبي عيسى عليه السلام إلهاً لمجرد أنه وُلد بلا أب، بينما لا ينسبون الألوهية إلى النبي آدم عليه السلام الذي لم يكن له أب ولا أم. وحسب اجتهادهم، فإن النبي آدم عليه السلام

أحقّ بالألوهية، لكنهم لا يؤكدون ذلك. ومن الغريب أن يُطبّق المنطق والعقل في حالتين، ويُهمل في حال أخرى.

يؤكد القرآن الكريم أيضاً معجزات النبي عيسى عليه السلام، ولكنه يوضح أنه لم يُجرها إلا بمشيئة الله تعالى: سورة آل عمران، الآية 49. وإذنه. ولو كان إلهاً لما احتاج إلى هذا الإذن

واجعل عيسى عليه السلام رسولاً إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأبرئ الأكمنة والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما...تدخرون في بيوتكم

حتى المسيحيون يُقرّون بمعجزاتِ لأنبياءِ آخرين، عليهم السلام، كالنبي موسى عليه السلام، إلا أنهم لا يُنسبون إليهم الألوهية. لذا، لا يمكن أن تُبرّر المعجزات الألوهية منطقياً

علاوة على ذلك، فإن صعود النبي عيسى عليه السلام إلى السماء حياً يُظهر قدرة الله تعالى المطلقة. لم يصعد: سورة آل عمران، الآية 55. النبي عيسى عليه السلام بقدرته الذاتية، بل رفعه الله تعالى

"...إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا"

خلافًا للاعتقاد المسيحي، ينص القرآن الكريم صراحةً على أن النبي عيسى عليه السلام لم يُصلب، بل شُبّه به :غيره، مع أنه قد رفعه الله تعالى إلى السماء .سورة النساء، الآيتان ١٥٧-١٥٨

وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينًا ولكن رفعه الله إليه وكان الله عزيزًا حكيمًا

إن ادعاء المسيحيين أن النبي عيسى عليه السلام قد صُلب - أي قُتل - هو في حد ذاته ادعاء متناقض، إذ لا يمكن لموجود إلهي حق أن يختبر الموت .فإذا كان الموت قادرًا على إدراك كائن ما، فلا يمكن أن يكون هذا الكائن إلهيًا .وبالتالي، فإن إيمانهم بموته يدحض بالضرورة ادعائهم بألوهيته

الكائن الإلهي، بطبيعته، مُسْتَقِلٌّ بذاته .أي كائنٍ يعتمد على غيره في رزقه لا يُمكن أن يكون إلهيًا .كان كلُّ (سورة المائدة) .من النبي عيسى عليه السلام وأمه مريم رضي الله عنها يعتمدان على الله تعالى في رزقهما .(الآية 75)

ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صدوقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يُضلون

.حتى الملائكة، الذين لا يأكلون الطعام، ليسوا إلهيين، فهم أيضًا مخلوقات يرزقها الله تعالى على طريقتهما .وكونهم مخلوقين وفنائهم في النهاية كافٍ لنفي أي فكرة عن الألوهية

يشترك الطفل البيولوجي بطبيعته في صفات والديه .ومع ذلك، فإن النبي عيسى عليه السلام لا يشترك مع الله تعالى في أي صفات إلهية .فصفاته - الخلق، والاعتماد على الرزق، والفناء، والبعث - بشرية تمامًا .علاوة على ذلك، فإن أسباب رغبة الناس في الذرية - كالسعي وراء الرزق، أو الميراث، أو الصحة - لا تنطبق :سورة الإسراء، الآية ١١١ .على الله تعالى

"...الحمد لله الذي لم يتخذ ولدًا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الدن"

أدخل مفهوم ألوهية النبي عيسى عليه السلام لاحقًا على يد الرومان الذين اعتنقوا المسيحية .وقد دمجوا عناصر من معتقداتهم الوثنية السابقة، فدمجوا أساطير إلهية كأساطير زيوس وهرقل وأودين مع الصورة النبيلة للنبي الكريم عليه السلام .ويكفي قليل من التأمل ليكشف أن الكائن المخلوق، التابع، والفاني، لا يمكن أن يكون إلهيًا، لأن هذه الصفات تتناقض مع جوهر الألوهية

مع أن الأدلة القاطعة على أن النبي عيسى عليه السلام كان رسول الله تعالى واضحة وقاطعة، إلا أن كثيرًا من المسيحيين لا يزالون متمسكين بمعتقداتهم الخاطئة عنه .ومن أهم أسباب هذا التصور الخاطئ المستمر التقليد الأعمى لأسلافهم .فهذا التقليد يمنع الأفراد من التدقيق في المعرفة والأدلة، كما يثنيهم عن التشكيك في المعتقدات والافتراضات الموروثة عن أسلافهم .وهذا النهج غير المدروس يتناقض مع العقل وتعاليم الإسلام فالإنسان خلقوا بعقل وقدرة على التمييز بين الحق والباطل، بخلاف البهائم التي تتبع الغريزة فقط .لذلك، يجب على المرء تجنب الوقوع في فخ التقليد الأعمى، فهو من أهم أسباب الضلال .وبدلاً من ذلك، يجب على الناس استخدام عقولهم وتقييم الأدلة واتخاذ قرارات مستنيرة في جميع الأمور - سواء كانت دنيوية أو دينية .ينتهي عن التقليد الأعمى حتى في المجتمع الإسلامي، لأن الله تعالى يأمر الناس بفهم الحق وقبوله والعمل به عن :سورة يوسف، الآية ١٠٨ .بصيرة وفهم، لا لمجرد أن الآخرين يفعلون ذلك

"...قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني"

من الأسباب المهمة الأخرى التي تدفع الكثير من المسيحيين إلى التمسك بمعتقدات خاطئة عن النبي عيسى عليه السلام، رغم وجود أدلة قاطعة على عكس ذلك، السعي وراء الشهوات الدنيوية. بعض العقائد المسيحية تُعدُّ بالخلاص في الدنيا والآخرة لمجرد اعتناقها المسيحية، بغض النظر عن أفعال المرء. تُعطي هذه التعاليم شعورًا زائفًا بالأمان، فتسمح للأفراد بالانغماس في ملذات الدنيا معتقدين أنهم مضمونون بالخلاص. ونتيجةً لذلك، يتمسك الكثيرون بهذه المعتقدات ليس عن قناعة صادقة أو فهم منطقي، بل لأنها تتوافق مع رغباتهم فهم يفضلون الراحة والانغماس على المساءلة وضبط النفس. يعكس هذا الموقف تفضيلًا للراحة المؤقتة على الالتزام بمعيار أخلاقي وروحي أسمى - معيار يتطلب الشكر والانضباط والاستخدام الصحيح لنعم الله تعالى، مع ذلك، فإن الإيمان الحقيقي ليس مجرد إعلان لفظي أو اعتقاد متوارث، بل هو إدراك واعي للحق والخضوع للهداية الإلهية، والسعي للعيش وفقًا له. ومن خلال هذا الفهم فقط يمكن للمرء أن يهرب من ظلام التقليد الأعمى وخداع الرغبات الدنيوية، ويحقق النجاح الحقيقي في كلا العالمين.

سورة الفرقان، الآية 2

"...ولم يكن له شريك في الملك "

من المهم إدراك أن الأصنام ليست الآلهة الزائفة الوحيدة التي قد يعبدّها الإنسان. في الواقع، كل ما يُطاع في تحدّ لله تعالى - سواءً كان ذلك مواقع التواصل الاجتماعي، أو الموضة، أو التوجهات الثقافية، أو حتى غيرهم: يُصبح عمليًا موضع عبادة. سورة التوبة، الآية 31 -

"...اتخذوا أبحارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله"

لم يكن علماء أهل الكتاب ورهبانهم يُعبدون حرفيًا، بل كانوا يُتبعون ويُطاعون فيما يُخالف أوامر الله تعالى سورة يس، الآية. وقد حُكم على هذه الطاعة في غير محلها بأنها عبادة. وينطبق المبدأ نفسه على الشيطان
60:

أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ

،أكثر الناس لم يعبدوا الشيطان قط، ومع ذلك يُتَّهمون بعبادته لأنهم أطاعوه في معصية الله تعالى. وهكذا. فالعبادة لا تقتصر على الشعائر، بل تمتد إلى الطاعة. من أطاع غيره في معصية الله تعالى، فقد اتخذهُ سيدًا لذلك، يجب على المرء أن يتجنب الخضوع لأي تأثير يبعده عن الله تعالى، وإلا فسيصبح حتمًا عبدًا لقوى أخرى - سواءً أكانت أفرادًا، أو وسائل تواصل اجتماعي، أو موضوعة، أو ثقافة، أو أصحاب عمل. إن محاولة إرضاء أسياد متعددين ومتعارضين لا تؤدي إلا إلى التوتر والإرهاق، إذ يستحيل تلبية مطالبهم -المتغيرة باستمرار. وكما يكافح الموظف الذي يعمل تحت إشراف عدة مشرفين لإرضائهم جميعًا، فكذلك من يتخلى، عن عبودية الله تعالى، يثقله عدد لا يحصى من أسياد الدنيا، فيفقد في النهاية راحة باله. ومع مرور الوقت قد يعاني هؤلاء الأفراد من الحزن والعزلة واليأس. إن جهودهم لإرضاء أصحاب النفوذ الدنيوي ستفشل في تحقيق الرضا الذي يسعون إليه، وقد يؤدي ذلك إلى عواقب وخيمة كالاكتئاب وإدمان المخدرات، بل وحتى الأفكار الانتحارية. تتجلى هذه الحقيقة في حياة كثيرين ممن يسعون وراء الشهرة والثروة، لكنهم يظلون قلقين وغير راضين. علاوة على ذلك، فإن طاعة غيرهم في معصية الله تعالى لن تُجدي نفعًا في الآخرة. أولئك الذين اتبعهم الناس لن يهبوا لهم العون، بل سيتبرأون منهم. وقد حذر القرآن الكريم مرارًا من أن السادة الكذبة سيتخلون عن أتباعهم عند حلول المساءلة. سورة الفرقان، الآية 3

واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا "حياة ولا نشورا"

لتجنب هذه النتيجة، يجب على الإنسان ترك كل ما يؤدي إلى معصية الله تعالى، والتفرغ لطاعته وحده ويتحقق ذلك باستعمال النعم الممنوحة له على النحو المبين في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. وبذلك يجد الحرية الحقيقية والاستقرار وراحة البال في الدنيا، والفلاح الأبدي في الآخرة

لذلك، يجب على الإنسان قبول التعاليم الإسلامية والعمل بها لمصلحته الشخصية، حتى عندما تتعارض هذه التعاليم مع رغباته الشخصية. عليه أن يتصرف كمريض عاقل يتبع نصيحة طبيب ماهر، مدرِّكاً أن هذه النصيحة - وإن تضمنت دواءً مُراً وحميةً صارمة - هي في نهاية المطاف لسلامته. وكما ينال هذا المريض صحةً بدنيةً ونفسيةً جيدةً بالالتزام المنضبط بالنصائح الطبية، كذلك سيبلغ من يتبع تعاليم الإسلام بإخلاص التوازن والتناغم والسكينة الداخلية. ذلك لأن الله تعالى هو الوحيد الذي يملك المعرفة اللازمة للإنسان ليلبغ حالة نفسية وجسدية سليمة، وليضع كل شيء وكل شخص في حياته في موضعه الصحيح. إن المعرفة الجماعية للمجتمع - على الرغم من أبحاثه الواسعة وتقدمه الواضح - تظل محدودة وغير كاملة. فالبشر المقيدون بالتحيز وقلة الخبرة وضيق الفهم، لا يستطيعون تقديم حلول شاملة لجميع التحديات التي يواجهها الإنسان. لا يمكنها منع كل شكل من أشكال الضيق أو الخلل، ولا يمكنها توجيه الإنسان لوضع كل جانب من جوانب حياته في مكانه الصحيح. الله تعالى وحده هو الذي يملك المعرفة الكاملة والكاملة بالطبيعة البشرية ومن رحمته الواسعة، أنزل هذا الهداية للبشرية من خلال القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. سورة الفرقان، الآية 2

"وخلق كل شيء فقدره تقديراً"

تتجلى حقيقة هذا الأمر جليةً عند ملاحظة الفرق بين من يستغلون نعمهم وفقاً للتعاليم الإسلامية ومن لا يستغلونها. فالأولون ينعمون بسلامٍ ونقاءٍ حقيقيين، بينما يواجه الثانويون، رغم الرفاهية المادية، ارتباكاً داخلياً وعدم رضا. ومن المثير للاهتمام أنه حتى في أمور الدنيا، يثق الناس بسهولة بالخبراء كالأطباء، رغم عدم فهمهم للعلم الكامن وراء العلاجات الموصوفة لهم. ومع ذلك، فإن الله تعالى لا يطلب هذه الثقة العمياء. بل يدعو الناس إلى التأمل في تعاليم الإسلام، وملاحظة حكمته، والتعرف على حقيقته من خلال الأدلة الواضحة والنتائج الملموسة. ويشجع على التأمل حتى يركز الإيمان على الفهم لا على مجرد التقليد. ولكن، لكي نشهد هذه الحقيقة، يجب على المرء أن يتعامل مع تعاليم الإسلام بعقلٍ منفتحٍ وموضوعي، بعيداً عن الأفكار المسبقة: سورة يوسف، الآية 108. والأهواء الشخصية

"...قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني"

علاوة على ذلك، يجب أن نتذكر أن راحة البال في نهاية المطاف تكمن في يد الله تعالى، الذي هو وحده المتصرف في قلوب الناس. سورة النجم، الآية 43

"وأنه هو الذي أضحك وأبكى"

فالطمأنينة الحقيقية لا تُنال بالمال أو الجاه أو النعيم، بل بطاعة الله تعالى وحسن استغلال نعمه. ومن عاش على نهج الإسلام، رزقه الله تعالى صفاء القلب، إذ نسق حياته وفق نظامه وحكمته.

:سورة الفرقان، الآية 2

"وخلق كل شيء فقدره تقديرا"

عندما يتأمل الإنسان في خلق السماوات والأرض، وفي الأنظمة المتوازنة فيها، يتبين له أن لا إله إلا هو الذي خلق الكون، وحافظه، وحكمه. كل جانب من جوانب الخلق يدل على وحدانيته وحكمته. على سبيل المثال

بُعد الشمس الدقيق عن الأرض دليل واضح. لو كانت الشمس أقرب قليلاً، لكانت الأرض محروقة وغير صالحة للسكن؛ ولو كانت أبعد، لكانت الأرض متجمدة وبلا حياة. وبالمثل، خُلقت الأرض بغلاف جوي متوازن ونقي، مُهيأً تماماً لازدهار الحياة. سورة البقرة، الآية ١٦٤

"...واختلاف الليل والنهار ..."

إن تعاقب الليل والنهار، واختلاف طوليهِما على مدار العام، دليلٌ آخر على الحكمة الإلهية. فالتوازن بينهما يُمكن الناس من جني أقصى المنافع. فإذا طالت الأيام، أنهك الناس من العمل والتعرض لفترات طويلة. وإذا طالت الليالي، لم يجد الناس الوقت الكافي لكسب رزقهم، وطلب العلم، والوفاء بمسؤولياتهم. وإذا قصرت الليالي، حُرِم الناس من الراحة الكافية، مما يؤدي إلى تدهور الصحة والضعف. علاوة على ذلك، فإن أي خلل في توازن الليل والنهار سيؤثر على الزراعة، مما سيضرّ بدوره بمؤن الناس والحيوان. إن عمل هذه الأنظمة بتناغم تام يُظهر وحدانية الله تعالى. فلو تعدد الآلهة، لكلٍ منهم إرادته ورغبته، لسادت الفوضى في الكون). سورة الأنبياء، الآية ٢٢)

"وَلَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا"

:سورة البقرة، الآية 164

"والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء "

دورة الماء بحد ذاتها شهادة على التصميم الإلهي. يتبخر الماء من البحار، ويرتفع، ويتكثف متحولاً إلى مطر هذا المطر، على الرغم من حمضيته الطبيعية، ينتقى عند مروره فوق الجبال، مما يضمن ملاءمته للحياة البشرية والحيوانية والنباتية. لو تغيّر هذا النظام، لجلب دماراً على الأرض. المحيطات أيضاً متوازنة تماماً الملح فيها يمنع تحلل الكائنات الميتة من تلويث المياه. لو سُمح للبحار بالتلوث، لهلكت الحياة البحرية، وامتد فساد المحيطات إلى اليابسة. علاوة على ذلك، فإن تركيب الماء يُحافظ على الحياة البحرية، وفي الوقت نفسه يسمح للسفن الثقيلة بالطفو ونقل البضائع عبر العالم. لو تغيّرت خصائصه ولو قليلاً، لكانت الحياة البحرية إما مزدهرة لكن السفن لا تستطيع الإبحار، أو أن السفن تستطيع الإبحار لكن الحياة البحرية تهلك. كلتا النتيجتين ستُخلّ بالتوازن الدقيق الضروري لبقاء الإنسان. حتى في العصر الحديث، لا يزال النقل البحري هو الوسيلة الأكثر استخداماً لنقل البضائع عبر العالم، مما يؤكد الأهمية المستمرة لهذا التوازن. يشهد انسجام دورة الماء والبحار والغلاف الجوي على حكمة الخالق. لذا، عندما يتأمل المرء السماوات والأرض وتعاقب الليل والنهار، ودورة الماء والبحار، يتوصل إلى نتيجة حتمية: هذه الأنظمة المتوازنة تماماً لا يمكن أن تكون إلا من خلق الله تعالى، الواحد الأحد لا شريك له. وحدانيته متأصلة في جوهر الخلق، وكل عنصر من عناصر الكون يشير إليه.

التطور عملية طفرة، إلا أن الطفرة بطبيعتها غير كاملة وعشوائية. عند التأمل في الأنواع العديدة التي تسكن الأرض، يتضح أنها لم تنشأ من نقص، بل خُلقت في حالة من التوازن والدقة، كلٌ منها مُلائم تماماً لبيئته. خذ الجمل، على سبيل المثال، فقد خُلِق بتكيفات رائعة تُمكنه من تحمّل الحرارة الشديدة والبقاء لفترات طويلة دون ماء. جسمه مُصمّم لحياة الصحراء: أقدام عريضة للمشي على الرمال، ورموش طويلة للحماية من. سورة الغاشية، الآية 17. الغبار، وقدرة على تخزين الطاقة في سنامه

أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ؟

وبالمثل، خُلقت الماعز بحيث تكون الشوائب في جسمها منفصلة تماماً عن الحليب الذي تُنتجه. ولو اختلطت هذه المواد، لكان الحليب غير صالح للشرب. ومع ذلك، فقد صمّم الله تعالى هذه العملية بحيث يخرج حليب: نقيّ مغذٍّ صالح للاستهلاك البشري. سورة النحل، الآية 66

وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها من بين فرث ودم لبنًا خالصًا سائغًا للشاربين.

من علامات الحكمة الإلهية الأخرى توازن أعمار الأنواع وتكاثرها. فقد مُنح كل كائن حيّ مدة حياة محددة ومعدل تكاثر محدد يمنع نوعًا واحدًا من التفوق على غيره. على سبيل المثال، لا يعيش الذباب سوى ثلاثة إلى أربعة أسابيع، لكنه يضع مئات البيض. لو كان عمره أطول، لتكاثرت أعداده بشكل لا يمكن السيطرة عليه، مُهيمنًا على الأنواع الأخرى ومُخلًا بتوازن الحياة. على النقيض من ذلك، فإن الكائنات ذات الأعمار الطويلة، كالأفيال والحيتان، لا تُنتج سوى عدد قليل من الأبناء، مما يضمن بقاء أعدادها معتدلة. هذا التوازن يحافظ على تنوع الحياة واستقرارها على الأرض. لا يمكن أن يكون هذا التناغم نتاجًا للصدفة أو الصدفة العمياء. كما لا يمكن لعملية الطفرة العشوائية والانتقاء الطبيعي أن تُفسر تمامًا التوازن الدقيق الذي يحكم العالم الطبيعي. إن الدقة التي صُمم بها كل نوع، والطريقة التي تتكامل بها أعمارهم وقدراته التكاثرية، وكيفية تكيفه مع بيئته، كلها تشير إلى خلق مُدبر من الله تعالى. إن العالم الطبيعي، عند تأمله، يُصبح كتابًا ضخماً: سورة البقرة، الآية ١٦٤. من الآيات، كل صفحة فيه تشهد على حكمة الخالق وقدرته ووحدانيته.

"...وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض..."

تلعب الرياح دورًا لا غنى عنه في استمرار الحياة على الأرض. فهي ضرورية لتلقيح النباتات، مما يُمكن المحاصيل والنباتات والأشجار من التكاثر، وبالتالي ضمان استمرار إمدادات الغذاء للإنسان والحيوان. في العصور القديمة، كانت الرياح حيوية أيضًا للسفر البحري، حيث كانت تحمل السفن عبر المحيطات الشاسعة وحتى اليوم، لا يزال النقل البحري الوسيلة الرئيسية لنقل البضائع عبر العالم، والرياح هي التي جعلت هذه الرحلات ممكنة تاريخيًا. علاوة على ذلك، تُعد الرياح ضرورية لنقل -السحب الحاملة للمطر إلى مناطق محددة، وتوصيل المياه إلى الأراضي والمخلوقات التي لا تستطيع البقاء على قيد الحياة بدونها. نظام الرياح، متوازن تمامًا: فلو لم تكن هناك رياح، لانهار النظام الطبيعي في فوضى؛ ولكن إذا كانت الرياح شديدة للغاية فإنها ستجلب أيضًا الدمار والفوضى. المطر أيضًا جزء من هذا التوازن الدقيق. فقلة المطر تؤدي إلى الجفاف

سورة المؤمنين، الآية 18، سورة) .والمجاعة والمشقة، بينما كثرة المطر تسبب الفيضانات والدمار (المؤمنون، الآية 23).

"ولقد أنزلنا من السماء ماءً بقدرٍ فأسكناه في الأرض وإنا على ذهابٍ به لقادرون"

لا يمكن أن تكون هذه الأنظمة الدقيقة وليدة الصدفة .فتناغم الرياح، ودورات المطر، وتوازن الطبيعة، كلها تشهد على وجود خالق يحكم بعلم وحكمة وقدره .ومن يتأمل هذه الآيات بصدق لا يمكنه أن ينكر منطقياً وجود خالق واحد يديم كل شيء ويديره) .سورة الفرقان، الآية ٢٥)

"وخلق كل شيء فقدره تقديراً"

- عندما يوفر شخص ما لشخص آخر حتى بطريقة محدودة - مثل توفير المأوى أو تلبية جزء من احتياجاته يُعتبر من الطبيعي والعدل إظهار الامتنان له .فكم أعظم حق الشكر المستحق لله تعالى الذي منح كل نعمة في الكون للناس .ومن العدل واللياقة أن يعبروا عن شكرهم له في كل جانب من جوانب حياتهم .يبدأ الامتنان بالنية .الامتنان الحقيقي بالقلب يعني أن الشخص يعمل فقط لإرضاء الله تعالى .إذا كانت أفعال المرء مدفوعة بالاعتراف الدنيوي أو الثناء أو المكافأة، فلن يكافئه الله تعالى .وقد تم التحذير من ذلك بوضوح في رواية موجودة في جامع الترمذي، رقم 3154 .ومن العلامات الإيجابية على النية الصادقة أن الشخص لا يتوقع التقدير أو السداد من الآخرين، بل يكتفي بمعرفة أن الله تعالى مطلع على أعماله .ويتجلى الامتنان أيضاً من خلال اللسان .يتضمن ذلك التلفظ بكلمات الخير والذكر والثناء، أو اختيار الصمت عند تضرر الكلام .بالإضافة إلى ذلك، يُعبر عن الشكر بالعمل، أي باستخدام النعم التي وُهِبَت للإنسان بما يرضي الله تعالى، كما هو مبين في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم .يؤدي هذا الشكر إلى زيادة النعم، وفي نهاية المطاف من خلال تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء ،إلى راحة البال في الدنيا والآخرة :سورة إبراهيم، الآية 7 . وكل شخص في مكانه الصحيح في الحياة

لئن شكرتم لأزيدنكم

، علاوة على ذلك، من المسلم به عمومًا أن من حق الإنسان، عندما يمتلك شيئًا، أن يتصرف فيه كما يشاء، حتى لو اعترض عليه الآخرون. كذلك، بما أن الله تعالى خلق كل شيء في الكون، بما في ذلك الإنسان ويملكه، فهو وحده من يملك حق تقرير ما يحدث فيه. لذا، فمن العدل والمنطق أن يُطيعه الناس، فهو المالك الحقيقي لكل شيء.

وبالمثل، عندما يُقرض شخصٌ ما شيئًا لآخر، فمن الإنصاف أن يستخدمه المُقرض وفقًا لرغبة صاحبه. لقد منح الله تعالى كل نعمة يملكها الإنسان قرضًا، لا هبةً دائمة. وكما هو الحال في القروض الدنيوية، يجب سداد هذه الأمانة. والطريقة الوحيدة لسدادها هي استخدام هذه النعم فيما يرضي الله تعالى. على النقيض من ذلك، سورة الأعراف. فإن بركات الجنة هبات، وليست قروضًا. في الجنة، يتمتع الناس بها كما يشاؤون دون قيود:

الآية 43:

"وقيل لهم: تلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون..."

لذا، لا ينبغي للإنسان أن يخلط بين نعيم الدنيا، وهي قروض مؤقتة، وعطايا الجنة، وهي أبدية لا حصر لها. ينبغي استغلال نعيم الدنيا بمسؤولية، طاعةً لله تعالى، بينما ينال نعيم الآخرة بسخاء جزاءً على الأعمال الصالحة.

على الرغم من كثرة الأدلة الواضحة على وحدانية الله تعالى وضرورة طاعته، إلا أن كثيرًا من الناس ما زالوا يرفضون الهداية الإلهية أو يتجاهلون لها. ويحدث هذا حتى بين من يُعلنون إيمانهم بالله تعالى، فعندما تتعارض تعاليم الإسلام مع شهواتهم الدنيوية، يبتعدون عنها بل يتبنون -قواعد سلوكية من صنع البشر تُمكنهم من إتباع أهوائهم دون قيود، مع أنها تفتقر إلى الدليل أو اليقين أو المصلحة العليا. سورة الفرقان، الآية 3

واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا يملكون موتاً ولا
"حياة ولا نشوراً"

هذه -الأنظمة التي صنعها الإنسان تشجع الناس على الاستمرار في المعصية بإساءة استخدام نعم الله تعالى التي أنعم بها عليهم. في هذه الدنيا، يمنعهم هذا الموقف من تحقيق التوازن النفسي والجسدي، ويدفعهم إلى إهمال أولوياتهم، فيعطون أهمية مفرطة لشهوات زائلة، ويهملون مسؤولياتهم الأبدية. ونتيجة لذلك، يصبح كل جانب من جوانب حياتهم - العائلة والأصدقاء والعمل والثروة - مصدرًا للتوتر بدلاً من الراحة. وعندما يُصرّون على المعصية، يبدأون باللقاء اللوم على الأشخاص والظروف غير المناسبة لقلقهم. وقد يهتمون زوجاتهم أو عائلاتهم أو زملاءهم بأنهم سبب توترهم، وبذلك يستبعدون من هم في الواقع مصدر خير في حياتهم. وهذا لا يؤدي إلا إلى تعميق اختلال توازنهم، مما يؤدي إلى مزيد من عدم الاستقرار واليأس. ومع مرور الوقت، قد يقع هؤلاء الأفراد في أنماط هدامة، بما في ذلك الاكتئاب وإدمان المخدرات، وحتى الأفكار الانتحارية. هذه النتيجة ليست نظرية؛ إنها ظاهرة في حياة من يسيئون استخدام النعم، كالأثرياء والمشاهير على الرغم من ثرواتهم وشهرتهم ورفاهيتهم الدنيوية، يعيش الكثيرون حياةً يسودها الاضطراب وعدم الرضا والفراغ. نجاحهم الظاهري يخفي فراغًا داخليًا، لأنهم أعرضوا عن الهداية التي وحدها تجلب السلام. والأسوأ من ذلك، أن إهمالهم للهداية الإلهية يمنعهم من الاستعداد للحساب النهائي يوم القيامة. في الآخرة، سيكون عقابهم أعظم بكثير من التوتر والمشقة التي عانوها في هذه الدنيا. فبينما تنتهي معاناة الدنيا في النهاية، فإن عواقب رفض الله تعالى وإساءة استخدام نعمه ستستمر إلى الأبد. وهكذا، فإن الشخص العاقل هو من يدرك أن -الأنظمة التي صنعها الإنسان لا يمكن أن توفر السلام أو العدالة الحقيقية. فقط من خلال الاستسلام لهداية الله تعالى واستخدام نعمه بالطريقة التي رسمها، يمكن للإنسان تحقيق التوازن في هذه الحياة والخلص في الآخرة.

في الحقيقة، كل من ينبذ شريعة الله تعالى، ويتبنى -أنظمةً وضعها البشر، إنما يفعل ذلك إشباعاً لرغباته الدنيوية. ذلك أن جميع الشرائع التي وضعها البشر متجذرة في نهاية المطاف في ميولهم وطموحاتهم ومصالحهم الذاتية - بخلاف الشريعة الإلهية، القائمة على الحكمة والعدل والرحمة، فإن الأنظمة التي وضعها البشر تتشكل برغبات وقيود واضعها. وغالباً ما يكون الأغنياء والأقوياء هم الأكثر رسوخاً في هذه العقلية فهم يدركون أن قبول حقيقة الإسلام يتطلب منهم الخضوع لإطار أخلاقي أسمى - إطار يضع حدوداً لسعيهم، وراء رغباتهم الجامحة. وهذا الخضوع من شأنه أن يحد من استغلالهم للآخرين، وإفراطهم في الانغماس وإساءة استخدامهم للسلطة. وخوفاً من فقدان نفوذهم وامتيازاتهم، فإنهم لا يرفضون الحقيقة فحسب، بل يشجعون الآخرين بنشاط على اتباع نهجهم. وبذلك، يسعون إلى الحفاظ على مكانتهم الدنيوية، حتى على حساب سلامتهم الأبدية - وهذا النمط ليس جديداً. تاريخياً، كان أول من عارض الأنبياء عليهم السلام غالباً صفوة المجتمع، ممن خشوا أن يُضعف اعتناقهم للهداية الإلهية سلطانهم ويكشف ظلمهم. لم يكن رفضهم لقلة الأدلة أو عدم الوضوح، آيات الله تعالى كانت جلية أمامهم، بل كان نابغاً من الكبر والكبرياء ورفض كبح جماح أهوائهم. لذا، نادراً ما يكون رفض الهداية الإلهية جدلاً فكرياً حول الحق والباطل، بل غالباً ما يكون مسألة قلبية، رفضاً للخضوع لسلطان الخالق والعيش ضمن حدوده.

نتيجةً لهذه العقلية، لجأ الناس عبر التاريخ إلى أساليب متنوعة لمعارضة انتشار الإسلام، دين جميع الأنبياء عليهم السلام. على سبيل المثال، -ادّعى زعماء غير المسلمين في مكة زوراً أن القرآن الكريم من تأليف النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وأنه مدعوم من آخرين، وذلك لتشويه سمعته وحماية مصالحهم الدنيوية. سورة الفرقان، الآية 4

"وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون "

كان هذا ادعاءً باطلاً وغير منطقي بأن النبي محمد صلى الله عليه وسلم هو مؤلف القرآن الكريم. فقد عاش، سورة يونس. أهل مكة معه أربعين عاماً قبل نبوته، وعرفوه معرفةً دقيقة، ولم يتهموا قط بالكذب أو الخداع. الآية 16:

"لأنني عشت بينكم عمراً قبل ذلك. أفلا تعقلون؟..."

علاوة على ذلك، لم يكن للنبي محمد صلى الله عليه وسلم أيُّ تفاعل مع الكتب السماوية السابقة. وهذا ما أقرَّ به أهل الكتاب وغير -المسلمين في مكة. لم يكن يُعرف عنه أنه يقرأ ولا يكتب، ولم يدرس تعاليم الوحي سورة. السابقة المحرفة أو الأصلية. وهذه الحقيقة بحد ذاتها دليل قاطع على المصدر الإلهي للقرآن الكريم العنكبوت، الآية 48، سورة العنكبوت، السورة 29

وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون

غير -المسلمين في مكة، المعروفين بإتقانهم للغة العربية، يدركون أيضاً أن القرآن الكريم لا يمكن أن يكون كلام بشر، سواءً كان كلام النبي محمد صلى الله عليه وسلم أو غيره. كانوا يفتخرون ببلاغتهم ويعتبرون أنفسهم من أفضل الخطباء. لو كان القرآن الكريم من تأليف بشر، لكان بإمكانهم إسكات رسالته بإنتاج شيء مماثل. ومع ذلك، ورغم مهارتهم، فشلوا في مواجهة هذا التحدي. سورة البقرة، الآية 23

"وإن كنتم في شك مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا أنصاركم من دون الله إن كنتم صادقين"

حتى لو صيغت جملةً بدت رشيقةً وإيقاعية، فإنها ستعجز حتماً عن بلوغ عمق القرآن الكريم. لن يضاهي رؤاه العميقة في الطبيعة البشرية وعلم النفس والطباع. لن يبلغ وضوحه، الذي يسمح حتى لمن لم يتلقَ تعليمًا رسميًا بفهم تعاليمه وتطبيقها في الحياة اليومية. ولن يعبر عن الحقائق المجردة بأسلوبٍ بسيطٍ وعمليٍّ وعالميٍّ يتحدث القرآن الكريم مباشرةً إلى جوهر الطبيعة البشرية. يتجاوز هدايته الزمان والثقافات والظروف، مقدماً حلولاً ومبادئ لا تزال صالحةً اليوم كما كانت في زمن الوحي. لا تُضاهي آيةً من القرآن الكريم في هذا الصدد، ولن تنجح أي محاولة أبداً. هذا الإعجاز بحد ذاته دليلٌ قاطعٌ على أصله الإلهي

يتميز القرآن الكريم ببلاغته، ومعانيه المنقولة بدقة متناهية. وتجسد آياته بلاغة تفوق كل أشكال، بشكل عام الكلام والكتابة الأخرى. بخلاف الكتب المقدسة الأخرى والتعاليم البشرية، التي غالباً ما تحتوي على تناقضات وتضاربات، فإن القرآن الكريم خالٍ تماماً من الخطأ. فهو يروي تاريخ الأمم السابقة بتفصيل، مع أن النبي يأمر القرآن الكريم بكل ما هو نافع وينهي عن كل. محمداً صلى الله عليه وسلم لم يَتَلَقَّ تعليمًا تاريخيًا رسميًا. ما هو ضار. ويخاطب الفرد والمجتمع على حد سواء، مُرسِّحاً العدل والوئام والسلام في الأسر والمجتمعات ويتجنب المبالغة والزيف والخرافة، على عكس الشعر والخرافات. بكل آية هادفة وعملية وواقعية. حتى مع تكرار القصة نفسها، تُستخلص دروس جديدة، مما يضمن ألا تصبح رسالته رتيبة أبداً، بل تبقى جديدة وذات معنى مع كل تلاوة. يُقدِّم القرآن الكريم وعوداً وتحذيرات، مدعومة بأدلة دامغة لا تُنكر. وعندما يتحدث عن مفاهيم قد تبدو مُجرّدة، كالصبر والشكر والتواضع، يُقدِّم أساليب عملية لتطبيقها في الحياة اليومية. يدعو القرآن الكريم الناس إلى إدراك غايتهم الحقيقية: إخلاص طاعة الله تعالى، مُستخدمين النعم التي أنعم الله عليهم بها بما يُرضيه. وبهذا، ينالون السلام والفلاح في الدنيا والآخرة، مُحققين التوازن في أحوالهم العقلية والجسدية، مُعvidين كل شيء إلى نصابه. يُوضِّح القرآن الكريم الصراط المستقيم، ويجعله جذاباً لمن يسعون بصدق إلى السلام والفلاح في الدنيا والآخرة. إنَّ هدايته، المُتجذِّرة في جوهر الفطرة البشرية، خالدة ونافعة للجميع. عندما يُفهم ويُطبَّق على النحو الصحيح، يُقدِّم حلولاً للتحديات العاطفية والمالية والجسدية، مُقدِّماً إجاباتٍ لكلِّ صعوبةٍ تواجه الأفراد والمجتمعات. ويشهد التاريخ نفسه بأنَّ المجتمعات التي التزمت بتعاليمه بصدقٍ جنت ثمار حكمته الشاملة والخالدة. من اللافت للنظر أنه لم يُغيَّر حرف واحد من القرآن الكريم على مرَّ القرون. وذلك لأن الله تعالى وعد بحفظه. لا يوجد نصٌّ آخر في تاريخ البشرية يمتلك هذه الخاصية الفريدة: والاستثنائية. سورة الحجر، الآية 9

"إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ"

علاوة على ذلك، عالج الله تعالى التحديات الأساسية التي تواجه كل مجتمع، وقدم لها حلولاً فعّالة. وبحل هذه القضايا الجوهرية، مُنعت أو خُفِّفت مشاكل ثانوية لا تُحصى. وهذا يُظهر كيف يُقدِّم القرآن الكريم توجيهًا شاملاً في جميع الأمور الأساسية اللازمة لرخاء الأفراد والمجتمعات، وضماناً للنجاح في الدنيا والنجاة في: سورة النحل، الآية 89. الآخرة

"...ونزلنا إليك الكتاب تبياناً لكل شيء..."

هذه أعظم وأبقى معجزة مُنحت للرسول الخاتم، النبي محمد صلى الله عليه وسلم. إلا أن نفعها مقصور على من سعى بصدق إلى الحق والتزم به. أما من سمح لأهوائه بالهيمنة، فأخذ بعضاً من القرآن الكريم وتجاهل (سورة الإسراء، الآية 82). بعضه الآخر، فسيخسر في الدنيا والآخرة

وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً

القرآن الكريم ليس مجرد كتاب يُتلى، بل هو منهج حياة كامل وشامل. بلاغته لا مثيل لها، وشكله محفوظ دون تحريف، وهده شامل، وفوائده خالدة. إنه مصدر الشفاء والرحمة والتوفيق لمن اتبعه بإخلاص وتواضع وخضوع. أما من رفض تعاليمه، أو أهمل العمل بها رغم إيمانه بها، فقد قصر في تكريم القرآن الكريم كما (سورة الفرقان، الآية 4، سورة 25)

"ولكنهم ظلموا وكذبوا"

إن تجاهل القرآن الكريم مع ادعاء الإيمان هو مناقض لشهادة المرء نفسه. إنه إقرار بالحق باللسان وإنكار له في العمل. وهذا ليس مجرد قصور في المعرفة بل قصور في الإخلاص، لأن القيمة الحقيقية للقرآن الكريم لا تكمن في تلاوته فحسب، بل في تطبيقه أيضاً. لقد أنزل القرآن الكريم رحمةً وتذكيراً وهدايةً إلى الصراط المستقيم. والإعراض عنه هو إعراض عن غاية الخلق: العيش في طاعة الله تعالى، واستخدام نعمه بما

،يرضيه .أولئك الذين يهملونه سيجدون أنهم لم يظلموا إلا أنفسهم، لأن القرآن الكريم يبقى محفوظاً، متعالياً
لا يضر .الخسارة لا تقع إلا على أولئك الذين يفشلون في اعتناقه بالكامل

أدرك قادة غير المسلمين في مكة أن اتهام النبي محمد صلى الله عليه وسلم بأنه مؤلف القرآن الكريم باطلٌ واضح، فلجأوا إلى تكتيكٍ مختلف .سعوا إلى ثني الناس عن الاهتمام بالقرآن الكريم برفضه باعتباره مجرد مجموعة من القصص الفارغة التي أُمليت على النبي محمد صلى الله عليه وسلم .سورة الفرقان، الآية 5

"وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تُملى عليه بكرة وأصيلا "

هذا الاتهام، الذي أطلقه زعماء غير -المسلمين في مكة، كان باطلاً وغير منطقي .كانوا يعلمون أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم رجل صادق وأمين، ومع ذلك، في غطرستهم، رفضوا القرآن الكريم واعتبروه مجرد حكايات .في الواقع، فإن القرآن الكريم لا يشبه أي كتاب آخر، سواء كان دينياً أو دنيوياً .عندما يروي الله تعالى أحداث الماضي، فإنه لا يتضمن سوى التفاصيل الضرورية للهداية .ليس الغرض إشباع الفضول أو تقديم سجلات تاريخية شاملة، بل تسليط الضوء على الدروس التي تؤدي إلى الصلاح والتوازن وراحة البال في العالمين .لهذا السبب، غالباً ما تُحذف تواريخ أو أسماء أو مواقع محددة إذا لم تساهم في التعاليم الأخلاقية أو الروحية المقصودة .هذه إحدى الصفات الإعجازية للقرآن الكريم :كل كلمة لها غرض، وكل عبارة موجهة للهداية، ولا تتضمن أي معلومات زائدة .لذلك، فإن قصص القرآن الكريم فريدة من نوعها ،تُروى بطريقة تفيد جميع الناس، بغض النظر عن الزمان أو المكان أو الظروف .حتى عندما تُكرر القصة فهي ليست مجرد تكرار .كل إعادة سرد تُبرز أبعاداً جديدة للمعنى، وتلفت الانتباه إلى دروس مختلفة ذات أهمية .وهذا يضمن أن تظل رسالة القرآن الكريم جديدة ومهمة ولا تنضب، بغض النظر عن عدد مرات تلاوتها .وبالتالي، فإن اتهام القرآن الكريم بأنه مجموعة من "أساطير الأمم السابقة" هو اتهام سخيف .بخلاف كتب القصص أو الأساطير أو الخرافات، فإن القرآن الكريم هو مدونة سلوك عملية .إنه يوفر إرشادات تمكن الأفراد من تحقيق راحة البال من خلال تحقيق التوازن في حالاتهم العقلية والجسدية، ومن خلال تنظيم كل شيء وكل شخص في حياتهم بشكل صحيح .وفي الوقت نفسه، يضع مبادئ تنشر العدل والرحمة والوئام داخل المجتمع .وبهذه الطريقة، فإن القرآن الكريم ليس مجرد تذكير بالماضي ولكنه أيضاً دليل حي للحاضر والمستقبل .إن رواياته ليست للتسلية، بل للتحويل - تشكيل الأفراد إلى عباد لله تعالى، وبناء مجتمعات قائمة على الحق والعدل والسلام .

ثم يُنذر الله تعالى بشدة قادة غير -المسلمين في مكة، ومن بعدهم كل من يتبنى موقفهم، بأنه على كل شيء قدير .لا يخفى عليه شيء في السموات ولا في الأرض .فهو يعلم حقيقة دوافعهم الكاذبة ضد النبي محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن الكريم .لم تكن ادعاءاتهم نابعة من شك أو لبس حقيقيين، بل من غطرسة وكبرياء :سورة الفرقان، الآية 6 .ورغبة في حماية مكانتهم الدنيوية

"قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ "

تكشف هذه الآية زيف افتراءاتهم .فقد حاولوا اعتبار القرآن الكريم خرافاتٍ مُفتعلة، إلا أن الله تعالى يُذكّرهم ،بأن وحيه من عند من يملك علماً كاملاً بكل حقيقة خفية .بخلاف البشر، الذين تكون معرفتهم جزئية ومحدودة فإن الله تعالى يعلم أسرار الخلق، وغيبات السموات والأرض، ونوايا كل قلب .والمعنى واضح :إذا كان القرآن الكريم صادراً من عند من يعلم الأسرار، فلا يمكن أن يكون باطلاً .فحقيقته مضمونة بمصدر وحيه نفسه .وفي الوقت نفسه، تُعدّ هذه الآية بمثابة تحذير لجميع الناس بأن الله تعالى مطلع على أحوالهم الباطنة ،قد تُخدع الادعاءات الباطلة والأعذار والتظاهرات الآخرين، لكنها لا تُخدع من يعلم ما في النفس .وبالتالي ،فإن رفض القرآن الكريم ليس قصوراً فكرياً، بل فشلاً أخلاقياً .ومن أنكره مع علمه بحقيقته فإنما يظلم نفسه فإنه لا يستطيع أن يغيب عن علم الله تعالى، ولا يستطيع أن يكتُم مقاصده عنه

بدلاً من معاقبة قادة غير -المسلمين في مكة فوراً على غطرستهم واتهاماتهم الباطلة، دعاهم الله تعالى، برحمته اللامتناهية، إلى التوبة والإصلاح - لمصلحتهم .هذا هو النموذج الثابت للرحمة الإلهية :يُؤجل العقاب، بينما :سورة الفرقان، الآية 6 .يبقى باب المغفرة مفتوحاً

". إنه كان غفوراً رحيماً ..."

ومع ذلك، يجب أن يُفهم أن هذه الراحة ليست دائمة. إن تأخير العقاب ليس علامة على الرضا، ولا يعني أن المسألة لن تأتي أبدًا. بل هو اختبار، يمنح الناس فرصة للتأمل والتوبة والإصلاح قبل الحساب الحتمي. يجب ألا يندفع أولئك الذين أساءوا استخدام النعم التي مُنحت لهم بالاعتقاد بأنهم سيفلتون تمامًا لأنهم لم يُعاقبوا بعد - أو لأنهم فشلوا في إدراك الأشكال الدقيقة للعقاب الموجودة بالفعل في حياتهم. في هذا العالم، يمنع هذا الموقف الشخص من تحقيق التوازن في حالته العقلية والجسدية. إنه يدفعه إلى إساءة ترتيب الأولويات، مع إعطاء أهمية غير مستحقة لرغبات عابرة مع إهمال المسؤوليات الأبدية. ونتيجة لذلك، يصبح كل جانب من جوانب حياتهم - الأسرة والأصدقاء والعمل والثروة - مصدرًا للتوتر بدلاً من الراحة. إذا استمروا في العصيان، فإنهم يبدأون في إلقاء اللوم على الأشخاص والظروف غير المناسبة لاضطرابهم. قد يتهمون أزواجهم أو عائلاتهم أو زملاءهم بأنهم سبب توترهم، وبذلك يستبعدون من يُمثلون مصدر خير حقيقي في حياتهم. هذا لا يُفقم إلا اختلال توازنهم، مما يؤدي إلى مزيد من عدم الاستقرار واليأس. مع مرور الوقت، قد يقع هؤلاء الأفراد في أنماط هدامة، بما في ذلك الاكتئاب وإدمان المخدرات، وحتى الأفكار الانتحارية. هذه النتيجة ليست خفية؛ إنها ظاهرة في حياة أولئك الذين يُصرّون على إساءة استخدام النعم التي مُنحت لهم، مثل الأغنياء والمشاهير. على الرغم من ثرواتهم وشهرتهم ورفاهيتهم الدنيوية، يعيش الكثيرون حياة تتسم بمشاكل نفسية حادة. نجاحهم الظاهري يُخفي فراغًا داخليًا، لأنهم أعرضوا عن الهداية التي وحدها تجلب السلام. وبما أن موقفهم يمنعهم من الاستعداد للحساب النهائي يوم القيامة، فإن عقابهم في الآخرة سيكون أشد بكثير. فبينما تنتهي معاناة الدنيا في النهاية، فإن عواقب رفض الله تعالى وإساءة استخدام نعمه ستبقى إلى الأبد.

رغم إتاحة فرصة التوبة والإصلاح لقادة غير -المسلمين في مكة، أصرّوا على معارضتهم للإسلام. تعارضت رسالة الحق مع طموحاتهم ورغباتهم الدنيوية، وخشوا أن يُفقدوا قبولها نفوذهم الاجتماعي وقيادتهم. وفي غطرستهم، دبّروا مخططات متنوعة لثني الآخرين عن اعتناق الإسلام. ومن أساليبهم المتكررة - التي لم تقتصر على عصرهم فحسب، بل استخدمها معارضو الحق في كل عصر - الطعن في طبيعة النبي محمد. سورة الفرقان، الآية 7. صلى الله عليه وسلم البشرية. وجادلوا بأن الرسول ينبغي أن يكون ملاكًا لا بشرا.

"وقالوا ما هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أن أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرًا "

كان هذا الاعتراض غير معقول ومُضلل. فدور النبي الكريم، عليه السلام، مُلائمٌ للبشرية بشكلٍ فريد. فالوظيفة الأساسية للنبي الكريم، عليه السلام، هي أن يكون قدوةً عمليةً وواقعيةً للناس، مُبينًا لهم كيفية العيش في طاعة الله تعالى في جميع جوانب الحياة. الملائكة، بطبيعتهم، لا تُعاني من ظروفٍ بشرية كالجوع والتعب والإغراء. فلو بُعثَ ملاكٌ نبيًا، لادّعى الناس استحالةً بلوغه، مُبرّرين بذلك تقصيرهم. ولهذا السبب، حتى لو أرسل الله تعالى ملاكًا نبيًا، لكان بالضرورة قد جسّده في صورة بشرية ليُحاكيه الناس واقعيًا. لذا، تتضح الحكمة في تكليف أنبياء بشر، عليهم السلام، فهم يعيشون بين قومهم، ويُشاركونهم في نضالهم، ويُظهرون كيف يُمكن تطبيق الهداية الإلهية في الظروف الواقعية.

فلماذا إذاً اندهش غير -المسلمين من اختيار بشرٍ لإيصال الرسالة؟ أليس من الطبيعي أن يكون هداية البشرية من صلبهم؟ إن اللافت للنظر حقًا ليس أن الله تعالى أرسل نبيًا بشريًا، بل أن يتوقع الناس أن يُتركوا بلا هداية فإذا ضل الناس في الضلال وعضوا عن الحق، فما هو الأعجب: أن يتخذ خالقهم وربهم التدابير لهدايتهم، أم أن يسمح لهم بالتمادي في الخطأ دون تصحيح؟ فكان رد الكافرين إذن عجيبًا في عدم منطقيته. لم يكن -اعتراضهم نابغًا من العقل، بل من الغطرسة والكبرياء، فحكمة إرسال الأنبياء عليهم السلام بديهية.

ومن الاعتراضات الأخرى التي أثارها زعماء غير -المسلمين في مكة على النبي محمد صلى الله عليه وسلم سورة. مطالبته بأنه إن كان مختارًا من الله تعالى، فعليه أن يُمنح كنوز الدنيا ونعيمها دلالةً على عظمتهم: الفرقان، الآية 8

"...أو لا يُقدم له كنز من السماء، أو لا تكون له جنة يأكل منها؟ "

كشف هذا الاعتراض عن فهمهم السطحي والمادي للنبوة. ساوى هؤلاء بين الحق والشرف والغنى، غافلين عن أن رسالة الأنبياء عليهم السلام لم تكن يومًا دنيوية. فالغاية الحقيقية للنبوة هي تبليغ تعاليم الله تعالى للبشرية، وتقديم قدوة حسنة للناس في أخلاقهم وسلوكهم وعبادتهم. عاشت الغالبية العظمى من الأنبياء عليهم

السلام حياة بسيطة، وكثيراً ما عانوا الفقر والمشقة. وكان ذلك بحكمة إلهية، فمعظم الناس ليسوا أغنياء، وقد بُعث الأنبياء عليهم السلام ليُظهروا للناس كيف يعيشون حياة صالحة في ظروف عادية. وقد أثبت مثالهم أن النجاح الحقيقي لا يكمن في الغنى، بل في طاعة الله تعالى، والتحلي بالأخلاق الحميدة. حتى أولئك الأنبياء عليهم السلام الذين مُنحوا الممالك - كالنبيين داود وسليمان عليهما السلام - لم يُختاروا لثرواتهم أو نفوذهم كانت ملكيتهم ضرورةً من ضرورات عصرهم، تخدم أغراضاً محددة في الخطة الإلهية، كإقامة العدل وحماية مجتمعاتهم. علاوةً على ذلك، فقد عاشوا هم أيضاً فتراتٍ من الشدة، مُذكرين الناس بأن السلطة الدنيوية مؤقتة وأن المقياس الحقيقي للشرف هو الإيمان والتواضع والاستقامة. وهكذا، كان مطلب قادة مكة مُضللاً. لقد حكموا على النبوة بمعايير الطموح الدنيوي، بينما يقيس الله تعالى العظمة بالإخلاص والطاعة والانقياد لأمره. لم يُختَر الأنبياء عليهم السلام لإبهار الناس بالثروات، بل لهدايتهم بالحق والصبر والقُدوة. وهذا النمط ثابتٌ على مر التاريخ. وكثيراً ما عارض الأنبياء عليهم السلام نخب مجتمعاتهم، خشية فقدان نفوذهم وامتيازاتهم لم يكن رفضهم بسبب نقص الأدلة، بل لأن الهداية الإلهية تناقضت مع رغباتهم. ولكن الأنبياء عليهم السلام ثبتوا على موقفهم، مبينين أن مهمة النبوة الحقيقية هي رفع القلوب، وإصلاح المجتمعات، وقيادة الناس إلى النجاح الأبدي، وليس جمع كنوز هذه الدنيا الفانية.

عندما فشل انتقادهم لفقر النبي محمد صلى الله عليه وسلم في ثني الناس عن اعتناق الإسلام، لجأ زعماء غير -المسلمين في مكة، مدفوعين باليأس، إلى اتهامات واهية أكثر. وخوفاً من فقدان نفوذهم وقيادتهم، بدأوا (سورة الفرقان، الآية 8، سورة 25) . يتهمونهم بالجنون أو السحر

"وقال الذين ظلموا إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً ..."

كان هذا الاتهام غير منطقي ومتناقضاً في ذاته - فقد عُرف النبي محمد صلى الله عليه وسلم عالمياً بخلقه النبيل قبل نبوته بوقت طويل. وكان يُعرف بأنه أخلص الناس إليه وأصدقهم. كانت صدقه في التجارة، وعدله في الحكم، ورحمته بالضعفاء، وصبره على الشدائد صفات لا يمكن لعاقل أن يظنها جنوناً. اتسمت حياته بالاتزان والحكمة والوقار، وهي صفات تتناقض تماماً مع سلوك من أصابه الجنون أو السحر. في الواقع، لم يكشف هذا الاتهام إلا عن يأس خصومه. لم يتمكنوا من إنكار جمال خلقه، ولا دحض وضوح القرآن الكريم وبلاغته وقدرته التحويلية. وعجزوا عن تقديم حجة مضادة عقلانية، فلجأوا إلى الافتراء في محاولة لتشويه سمعته. لم تكشف كلماتهم عن ضعف النبي محمد صلى الله عليه وسلم، بل عن ضعف موقفهم. هذا النمط

ليس حكرًا على المكيين. فعلى مر التاريخ، عندما عرض الأنبياء عليهم السلام الحقيقة الإلهية، لجأت نخب مجتمعاتهم - خوفًا من فقدان امتيازاتهم وسلطتهم - إلى السخرية والاستهزاء والاتهامات الباطلة. سخر من النبي نوح عليه السلام واتهم بالضلال، واتهم النبي موسى عليه السلام بالسحر، واتهم النبي عيسى عليه السلام من قبل خصومه. ومع ذلك، في كل حالة، سادت حقيقة رسالتهم، بينما تلاشت اتهامات أعدائهم في التاريخ. وهكذا، لم تكن تهمة الجنون الموجهة إلى النبي محمد عليه الصلاة والسلام باطلة فحسب، بل كانت أيضًا شهادة على قوة رسالته. فعندما يعجز الباطل عن مواجهة الحقيقة بالعقل، يلجأ إلى الإهانة. وعندما تفشل الإهانة، يستمر الحق في الانتشار، مُنيرًا القلوب ومُغيرًا المجتمعات). سورة الفرقان، الآية 9، سورة 25)

"...انظر كيف ضربوا لك أمثالا ولكنهم ضلوا "

من يرفض الهداية الإلهية أو يهملها لتعارضها مع رغباته وطموحاته الدنيوية، سيستمر حتمًا في معصية الله تعالى، بإساءة استخدام النعم التي وهبها له. فبدلًا من توظيفها بما يوجب الشكر والصالح، يُبددها سعيًا وراء ملذات زائلة. والنتيجة حتمية: سيفقد توازنه النفسي والجسدي، وستضطرب أولوياته، وسيُسيئ تقدير كل شيء وكل شخص في حياته. ستصبح العائلة والأصدقاء والمال والعمل - بدلًا من أن تكون مصادر راحة واستقرار أسبابًا للتوتر والقلق. وبعبارة أخرى، إدراك الغاية الحقيقية من هذه النعم، سيُقصّر أيضًا في الاستعداد الكافي - للحساب يوم القيامة. وحتى لو بدا هؤلاء الأفراد وكأنهم ينعمون برفاهية الدنيا، ستبقى حالتهم النفسية مضطربة وستكون قلوبهم قلقة، وعقولهم مضطربة، وحياتهم مليئة بالصعاب. لأن راحة البال لا تُشتري بالمال، ولا سورة الفرقان، الآية). ثُوْمَنَ بالجاه أو الممتلكات. فالسلام الحقيقي لا يتحقق إلا بطاعة الله تعالى، واتباع هديه 9).

"ولكنهم ضلوا فلا سبيل لهم"

تُجسّد هذه الآية جوهر محنتهم: فبمجرد أن يبتعد المرء عن الهداية الإلهية، يفقد القدرة على إيجاد الصراط المستقيم بنفسه. وتصبح رغباته بوصلته، فتدفعه إلى مزيد من الحيرة والمشقة. وبدون توبة ورجوع إلى الله تعالى، يظل تائهاً، محروماً من السلام الحقيقي في الدنيا، ويواجه حساباً قاسياً في الآخرة.

بعد أن انتقد زعماء غير -المسلمين في مكة فقر النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ذكّرهم الله تعالى بأنه وحده مصدر النعم، ولو شاء لمنح النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ومن بعده من سار على نهجه، ما هو أعظم من: غنى الدنيا ومكانتها. سورة الفرقان، الآية ١٠

تبارك الذي لو شاء جعل لكم خيراً من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لكم قصوراً

تُعَلِّم هذه الآية أن الطموح الحقيقي لا ينبغي أن يقتصر على ممتلكات الدنيا الزائلة، بل يجب أن يسعى المرء، إلى ثواب الآخرة الأبدي. يُعَدّ صحابة النبي محمد صلى الله عليه وسلم أعظم أمة بعد الأنبياء عليهم السلام وذلك تحديداً لأهدافهم وطموحاتهم السامية. ففي كل كلمة نطقوا بها وفي كل عمل قاموا به، كان تركيزهم منصّباً على الآخرة لا على غرائز الدنيا الزائلة. حتى لو ترك المرء عبادتهم الكثيرة جانباً وتأمّل في أعمالهم اليومية فقط، لَتَبَيَّنَ لهم أنهم عاشوا الآخرة غايتهم الأسمى. لقد دأبوا على استخدام النعم التي وُهِبَتْ لهم فيما يُرضي الله تعالى، وتجنبوا إضاعتها في أمور باطلة أو آثمة. على النقيض من ذلك، لو أُزيلت الصلوات المفروضة من حياة كثير من الناس اليوم، لظهرت أعمالهم متشابهة مع أعمال غير المؤمنين، وذلك لأن طموحاتهم غالباً ما تكون ضئيلة، موجهة أساساً نحو الكسب المادي. قد يُقلّدون أفعال الصحابة رضي الله عنهم ظاهرياً، لكن نواياهم وأهدافهم متجذرة في الطموح الدنيوي بدلاً من النجاح الأبدي. انخرط الصحابة رضي الله عنهم في الأعمال التجارية وأسسوا العائلات، إلا أن نهجهم كان متأثراً تماماً بتعاليم الإسلام. لقد كسبوا وأنفقوا فقط بما يرضي الله تعالى، وتجنبوا أي شيء لن ينفعهم في الآخرة. تزوجوا، لكن اختيارهم للزوج كان مسترشداً بالإيمان، وسعوا جاهدين لأداء حقوق شركائهم وفقاً للتوجيه الإلهي، لا الأهواء الشخصية. لقد ربوا الأطفال، لكن تركيزهم كان على غرس القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وتعليمهم تقديم الآخرة على النجاح الدنيوي.

،في المقابل، يحصر كثير من الآباء اليوم تربية أبنائهم الدينية في تلاوة القرآن الكريم دون فهم أو تطبيق
بينما يبذلون كل جهدهم في إعدادهم للمكاسب الدنيوية كالمال والعقار .ويعكس هذا الخلل انخفاضاً في
الطموحات، حيث تُهمَّش الآخرة لصالح المنافع الدنيوية

تجلى عظمة الصحابة رضي الله عنهم في إيمانهم بالآخرة في كل جانب من جوانب حياتهم، فكانت أفعالهم
اليومية، ومعاملاتهم، وأسرهم، ومجتمعاتهم شاهدة على ذلك .لم يقتصر إيمانهم على الصلوات الخمس التي
لا تشغل إلا ساعة من النهار، بل عاشوا كل لحظة طاعةً لله تعالى

هذا هو المعيار الذي يُدعى إليه كل إنسان :أن يعيش حياةً تُدرك فيها عينُ الناظر في حياته اليومية أن غايته
وطموحاته مُوجهة نحو الآخرة .وهذا لا يتحقق إلا باستعمال كل نعمة فيما يرضي الله تعالى، كما بينه القرآن
الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم

إن طاعة الله تعالى والاستعداد للحساب في الآخرة غالباً ما تتعارض مع رغبات الناس وطموحاتهم الدنيوية
ولذلك، يختار الكثيرون رفض أوامره أو تجاهلها، حتى مع تظاهرهم بالإيمان .وفي الواقع، يُعدّ هذا السلوك
كفرًا، لأن الإيمان الحقيقي يقتضي التسليم لا قولاً فحسب، بل فعلاً أيضاً، وذلك بحسن استخدام النعم التي
:سورة الفرقان، الآية ١١ .أنعم الله بها عليهم كما هو مبين في التعاليم الإسلامية

"ولكنهم كذبوا بالساعة "

هذا الإنكار، سواءً كان صريحاً أم عملياً، له عواقب في كلا العالمين .ففي هذه الحياة، يحرم هؤلاء الأشخاص
أنفسهم من التوازن في حالتهم النفسية والجسدية .فتُصبح أولوياتهم مضطربة، ويُسيئون توزيع كل شيء
- وكل شخص في حياتهم .فالعائلة والأصدقاء والعمل والثروة - بدلاً من أن تكون مصادر راحة واستقرار

تُصبح أسبابًا للتوتر والقلق. بإصرارهم على العصيان، يبدأون بإلقاء اللوم على الأشخاص والظروف غير المناسبة لاضطرابهم. وقد يتهمون زوجاتهم أو عائلاتهم أو زملاءهم بأنهم مصدر صعوباتهم، وبذلك يستبعدون من هم في الواقع مصدر خير في حياتهم. وهذا يُعمّق عدم استقرارهم، ويؤدي إلى مزيد من الفوضى واليأس. ومع مرور الوقت، قد يقع هؤلاء الأفراد في أنماط مُدمرة، بما في ذلك الاكتئاب وإدمان المخدرات، وحتى الميول الانتحارية. هذه النتيجة ليست خفية؛ إنها ظاهرة في حياة أولئك الذين يُصرون على إساءة استخدام النعم، كالأثرياء والمشاهير. رغم ثرواتهم وشهرتهم ونعيم الدنيا، يعيش كثيرون حياةً يسودها الاضطراب وعدم الرضا والفراغ. نجاحهم الظاهري يخفي فراغًا داخليًا، إذ أعرضوا عن الهدى الذي لا يجلب إلا السلام. وبما أن موقفهم يمنعهم من الاستعداد للحساب الأخير يوم القيامة، فإن عقابهم في الآخرة سيكون أشد بكثير). سورة الفرقان، الآية ١١)

"وأعتدنا للمكذبين بالساعة سعيًا..."

وهكذا، فإن رفض الهداية الإلهية ليس مجرد خطأ عقائدي، بل هو -تدمير عملي للذات. فهو يحرم الناس من السلام في الدنيا، ويعرضهم لعقاب شديد في الآخرة. فالعاقل إذن هو من يدرك زوال شهوات الدنيا، ويسلم أمره لله تعالى، ويعيش كل يوم استعدادًا للحياة الأبدية.

:سورة الفرقان، الآية 11

"ولكن كذبوا بالساعة وأعتدنا للمكذبين بالساعة سعيًا"

إن إنكار إمكانية إحياء البشر يوم القيامة ادعاء غريب وغير منطقي، إذ تُعرض أمثلة الإحياء باستمرار على مدار الأيام والشهور والسنين. وقد أورد الله تعالى آيات لا تُحصى في الخلق لتذكير البشرية بقدرته على

إحياء الموتى. تأمل كيف يُحيي المطر الأرض القاحلة: ففتتحول التربة الجافة الميتة إلى أرض خصبة تنبت فيها النباتات. والبذرة الميتة المدفونة في الأرض تنشق وتخرج حية، مقدمةً قوتًا للخلقة. فإذا كان الله تعالى قادرًا على إحياء بذرة ميتة، فإنه قادر على إحياء الإنسان المدفون أيضًا في الأرض. ويشهد تغير الفصول أيضًا على الإحياء. ففي الشتاء، تبدو الأشجار ميتة بتساقط أوراقها، لكنها في الربيع والصيف تعود إلى إزهارها الكامل، وقد ارتدت ثوب الحياة مرة أخرى. وبالمثل، في جسد الإنسان، تحدث القيامة باستمرار: تموت الخلايا وتُستبدل، ويتجدد الجلد، وتستمر الحياة بتجديد مستمر. حتى دورة النوم واليقظة اليومية تُذكرنا بالبعث. فالنوم أشبه بالموت، إذ تُعطل الحواس وتُسحب الروح جزئيًا. ومع ذلك، فإن الله تعالى يُعيد الروح: سورة الزمر، الآية 42. إلى الجسد كل صباح لمن قُدر لهم البقاء

الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى "أجل مسمى إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون"

وراء هذه العلامات، ليس يوم القيامة ممكنًا فحسب، بل ضروريًا. فالكون نفسه مبني على التوازن. فالأرض على مسافة مثالية من الشمس، فأيهما أقرب أو أبعد، لما وُجدت الحياة. ودورة الماء مضبوطة بدقة لدعم الخلق. والتربة طرية بما يكفي لنمو براعم هشة، لكنها صلبة بما يكفي لدعم هياكل ضخمة. أينما نظر المرء يتضح التوازن. ومع ذلك، هناك خلل واضح في هذا العالم: أفعال البشر. فكثيرًا ما يفلت الظالمون والطغاة من العدالة، بينما يتكبد المظلومون المشقة دون أن ينالوا جزاءهم المستحق. أولئك الذين يطيعون الله تعالى بإخلاص، غالبًا ما يواجهون المحن والصعوبات، بينما قد يتمتع أولئك الذين يعصونه جهارًا بالرفاهية الدنيوية. وكما يحكم التوازن النظام الطبيعي، فكذا يجب أن يحكم التوازن أعمال البشر. وبما أن هذا التوازن لا يتحقق في هذا العالم، فلا بد من تحقيقه في عالم آخر - يوم القيامة

، كان الله تعالى ليختار الثواب أو العقاب كاملاً في هذه الدنيا، لكن حكمته تقضي بغير ذلك. فهو يُمهّل للمخطئ مُتبعاً له فرصاً تلو فرص للتوبة والإصلاح. ويمنع عن الصالحين الثواب كاملاً، لأن الدنيا ليست جنة. الإيمان يقتضي الإيمان بالغيب، وثواب الآخرة الغيبى هو ما يجعل الإيمان حقيقياً. لو كان الثواب والعقاب ظاهرين في هذه الدنيا، لفقد الإيمان جوهره

وبالإضافة إلى ذلك، فإن الخوف من العقاب النهائي والأمل في المكافأة الأبدية هما محفزان قويان، يشجعان الناس على الامتناع عن الخطيئة والسعي في الأعمال الصالحة.

لكي يأتي يوم الجزاء، لا بد لهذا العالم المادي من زوال. فلا يُورَّع الثواب والعقاب إلا بعد انتهاء أعمال الناس جميعًا. لذا، فإن نهاية العالم حتمية، لأنها مقدمة ضرورية للحساب الأخير.

إن التأمل في هذه الحقائق يُعزز يقين المرء بيوم القيامة، ويلهمه الاستعداد له باستعمال النعم التي وُهِبَتْ له بما يُرضي الله تعالى، كما هو مبين في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. وبذلك، ينال راحة البال والتوفيق في الدنيا والآخرة، مُحققًا التوازن في حالته النفسية والجسدية، ومُدركًا لكل شيء وكل شخص في حياته). سورة الجاثية، الآية ٢٢)

"وخلق الله السموات والأرض لحكمة، لئلا تجزى كل نفس ما اكتسبت، وهم لا يُظلمون".

ولكن، بما أن الاستعداد للحساب يوم القيامة يتطلب ضبط النفس والانضباط، فإنه يتعارض تمامًا مع رغبات من لا يسعون إلا للمتعة الدنيوية. ونتيجةً لذلك، يختار كثير من الناس الاستمرار في معصية الله تعالى، بإساءة استخدام النعم التي أنعم بها عليهم. وهذا الإساءة تُخلّ بتوازنهم - عقليًا وجسديًا - فيُخطئون في ترتيب أولوياتهم ويُسيئون استخدام علاقاتهم، ويُقصِّرون في الاستعداد للحساب الأخير أمام الله تعالى. قد ينعم هؤلاء الأفراد براحة دنيوية مؤقتة، لكن هذه المتع الزائلة لا تحجبهم عن العواقب الحتمية لاختياراتهم: التوتر والمشقة والاضطراب الداخلي في الدنيا والآخرة. سورة الفرقان، الآيات 11-14

بل كذبوا بالساعة، وأعتدنا للمكذبين سعيراً، فإذا رأتهم جهنم من مكان بعيد، سمعوا زفيرها، وإذا ألقوا في مكان ضيق منها مقيداً في الأغلال، نادوا فيه بالهلاك، لا تدعوا اليوم هلاكاً واحداً، ودعوا هلاكاً كثيراً

من أهم أسباب وصف حقائق الآخرة - كيوم القيامة والجنة والنار - بتفاصيلها الدقيقة والعميقة في التعاليم الإسلامية، تصحيح المعتقدات الباطلة التي ترسخت لدى الأمم السابقة. فقد استخفت كثير منهم بهذه الحقائق واعتبروها مبالغاة بعيدة، بل وسخرية. وقد نشأ هذا التجاهل من تمنيات زائفة، أتاح للناس الاستمرار في معصية الله تعالى، مُعزّين أنفسهم بافتراض زائف بأنهم سينالون النجاة في الدنيا والآخرة. وتجلّت هذه الظنون الباطلة بأشكال مختلفة. فمنهم من اعتمد على شفاعاة الصالحين دون إصلاح ذات البين. ومنهم من اعتقد أن مجرد النطق بالإيمان يكفي للنجاة، مهما كانت أعماله. ومنهم من ظن أن الاعتذار والتوبة ستقبلان يوم القيامة، حتى دون إخلاص أو تغيير في السلوك. ومنهم من تصور أن عذاب الآخرة لن يكون أشد من مصائب الدنيا الزائلة. ولإزالة هذه المفاهيم الخاطئة، يعرض القرآن الكريم وأحاديث النبي محمد صلى الله عليه وسلم حقائق الآخرة بتفصيل دقيق. ولا تهدف هذه الأوصاف إلى بث اليأس، بل إلى إيقاظ القلوب على الحقيقة، وتحطيم الطمأنينة، وتشجيع الناس على الاستعداد لمستقبلهم الأبدي بجدية. سورة الحج، الآية 2

يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم "بسكارى ولكن عذاب الله شديد

توضح هذه الآية حقيقة ذلك اليوم الساحقة: حتى أقوى الروابط الطبيعية والغرائز ستُنسى أمام رعبها. تهدف هذه الصور إلى هز الناس من الغفلة وتذكيرهم بأن الآخرة ليست أسطورة بعيدة، بل حقيقة لا مفر منها. الغرض من هذه الأوصاف هو توجيه الناس نحو طاعة الله تعالى العملية. يكمن الاستعداد الحقيقي للآخرة في الاستخدام الصحيح للنعم التي أنعم بها - المال والصحة والوقت والمعرفة والعلاقات - بطرق مرضية له، ويتحقق ذلك باتباع هدى القرآن الكريم ومثال النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم. وباستيعاب هذه التعاليم يُحفظ الشخص من الآمال الكاذبة والافتراضات الجوفاء. ويُذكرهم بأن النجاة لا تُنال بالادعاءات أو التمنيات، ولكن بالإخلاص والمساءلة والعمل الصالح. بهذه الطريقة، يُحمون من العقاب ويُهدون إلى النجاح في الدنيا والآخرة - راحة البال في الدنيا، والثواب الأبدي في الآخرة، من خلال تحقيق حالة ذهنية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في حياتهم على النحو الصحيح. سورة الفرقان، الآيتان

قل أذلك خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون هي لهم جزاء ومصيرا لهم فيها ما يشاءون خالدين وكان على "ربك وعدا مسؤولا

من الحقائق الأساسية في التعاليم الإسلامية أن الجنة قد وُعد بها من لا يكتفي بالإيمان بالله تعالى، بل يدعمه بالأعمال الصالحة. فالإيمان، إن لم يقترن بالعمل، لا قيمة له. فمجرد التصريح اللفظي، إن لم يُثبت بالطاعة وحسن الخلق، قد يتلاشى تمامًا. بل إن من يفشل في تغذية إيمانه بالأعمال المتواصلة قد يغادر هذه الدنيا وقد فقد الإيمان الذي ادّعى أنه يحمله. ويمكن تشبيه الإيمان بشعلة رقيقة. فكما تحتاج النار إلى وقود دائم لتبقى، مشتعلة، فإن الإيمان يحتاج إلى تغذية مستمرة بالعبادات والذكر والعبادة. فإذا أهمل الإيمان، ضعف وخفت وقد ينطفئ في النهاية. وبالمثل، إذا لم يدعم الإيمان بطاعة الله تعالى، فإنه يضعف حتى ينطفئ تمامًا. وهذا التشبيه يُبرز هشاشة الإيمان إن لم يُحافظ عليه بفاعلية. إن إهمال التغذية الروحية يُعرض الإنسان لخطر فقدان النور الذي يُرشده في الحياة. وهذه الخسارة هي الأشدّ تدميرًا، فبدون الإيمان، يبقى الإنسان في ظلمات محرومًا من السلام في الدنيا والنجاة في الآخرة. ولذلك، يُؤكد القرآن الكريم وأحاديث النبي محمد صلى الله عليه وسلم مرارًا على الصلة الوثيقة بين الاعتقاد والعمل. فالإيمان ليس ادعاءً جامدًا، بل واقعٌ حيّ، يتجدد ويُقوّى باستمرار بالعمل الصالح. ومن خلال هذا التناغم بين الاعتقاد والعمل، يصون الإنسان إيمانه، ويضمن وعد الجنة، ويضمن راحة البال في الدنيا والآخرة، من خلال تحقيق حالة ذهنية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في حياته على النحو الصحيح.

على مر التاريخ، نسب كثير من غير -المسلمين، ممن آمنوا بالله تعالى، إليه نقائص بشرية، كالتعب أو القصور. وبذلك، صاغوا تصورًا عن الإلهية يناسب رغباتهم الدنيوية. صوّروا الله تعالى ملكًا يشبه ملوك الدنيا، لا يستطيع حكم عوالمهم إلا بمساعدة أعوانه وولاء أمره. ومن هذا التصور الخاطئ نشأت عبادة غيره كالملائكة - على أمل نيل رضا الله تعالى من خلال وسطاء). سورة الفرقان، الآية 17، سورة 25) -

"ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول أأضللتكم عبادي هؤلاء أم ضلوا السبيل"

للأسف، تبنى بعض المسلمين هذا المفهوم الخاطئ. فهم يُكرّسون وقتهم وجهدهم ومواردهم للبحث عن شخصيات روحية يعتقدون أن لها صلة فريدة بالله تعالى. هدفهم إرضاء هؤلاء الأفراد ليشفعوا لهم، كما يشفع الحاكم لدى الملك لمن أظهروا له الولاء بالهدايا أو المبالغة في إظهار التبجيل. وبهذه الطريقة، يُعامل هؤلاء كحراس بين الناس وبين الله تعالى. إلا أن هذا الاعتقاد يتناقض جوهرياً مع التعاليم الإسلامية. لم يكن الأنبياء عليهم السلام حراساً قط. كانت مهمتهم هي إنارة الطريق المستقيم، وبيان سبل نيل رضا الله تعالى، وإظهار هذا الطريق من خلال قدوتهم. لم يطلبوا هدايا قط، ولم يطلبوا أجراً على هدايتهم. كان دورهم هو توجيه الناس إلى الله تعالى، لا إلى أنفسهم. لذلك، مع ضرورة اكتساب المعرفة الدينية من معلمين مؤهلين وإكرامهم، يجب ألا يتصور المرء أن هؤلاء الأفراد يُعبدون أو يُعاملون كوسطاء لله تعالى. فهو وحده صاحب السلطة المطلقة على الكون، وهو وحده المطلع على كل ما يجري فيه. لا يحتاج إلى وسطاء بينه وبين عباده. على: سورة البقرة، الآية ١٨٦ ، سبيل المثال

"...وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان"

:وسورة غافر الآية 60

"وقال ربكم ادعوني أستجب لكم"

:سورة البقرة، الآية 255

"...من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه..."

الشفاعة حقٌّ يوم القيامة، ولكن بإذن الله تعالى. لذا، من الضروريّ عدم الاستهزاء بهذا المفهوم أو التهاون به، فإنّ ذلك يُعرّض صاحبه لخطر الحرمان من هذه الرحمة الإلهية تمامًا. وكثيرًا ما يفعل من يُسيء إلى الشفاعة ذلك بدافع التهاون: فيُهمّلون استخدام النعم المُمنوحة لهم وفقًا للمبادئ الإسلامية، ومع ذلك ينتظرون النجاة من خلال تدخل الآخرين. وهذا الموقف خطير. فمن استهزأ بهدي القرآن الكريم أو تخلّى عنه، فقد يجد النبيّ الكريم محمدًا صلى الله عليه وسلم شاهدًا عليه يوم القيامة). سورة الفرقان، الآية 30، سورة 25)

"وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا "

، هذه الآية خاصة بالمسلمين، فهم الأمة التي أقرّت القرآن الكريم واعتنقته. أما غير -المسلمين، فلم يقبلوه قط فلا يمكن وصفهم بالتخلي عنه. وعاقبة أي مسلم يشهد عليه النبي محمد صلى الله عليه وسلم في ذلك اليوم بديهية.

حتى عند قبول الشفاعة، فإن التهاون في الدنيا لا يمنع دخول النار، بل يخففها. يجب أن يُدرك جليًا أن حتى: أقصر لحظة في النار لا تُطاق. لذلك، يجب أن يقترن الرجاء الصادق بالشفاعة بجهد مخلص ومتواصل استخدام واعٍ ومخلص للنعم، وفقًا لهدى القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. بهذا الإخلاص فقط، يمكن للمرء أن يأمل الشفاعة يوم القيامة بحق، متذكرًا دائمًا أن الله تعالى وحده هو الذي يأذن بها.

. علاوة على ذلك، من الضروري فهم أن العبادة في الإسلام لا تقتصر على الركوع أو السجود أمام صنم مادي في الواقع، أي شيء أو شخص يطيعه الإنسان أو يُعطيه الأولوية أو يعتمد عليه في معصية الله تعالى، يصبح موضع عبادته. وهذا لا يشمل الأصنام التقليدية فحسب، بل يشمل أيضًا "الأصنام" الحديثة في المجتمع

المعاصر - مثل وسائل التواصل الاجتماعي، والمشاهير، والاتجاهات الثقافية، والثروة، والسلطة، أو حتى الرغبات الشخصية. عندما يسمح المرء لهذه المؤثرات بأن تُملّي عليه خياراته وقيمه وسلوكه، فإنه، في جوهره، يمنحه الطاعة والتعظيم للذين هما الله تعالى وحده. سورة التوبة، الآية 31

"...اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله"

تشير هذه الآية إلى أهل الكتاب الذين أطاعوا قادتهم حتى لو خالفت أحكامهم أوامر الله تعالى. لم يُعبد هؤلاء القادة مادياً كأصنام، بل أُطيعوا في معصية الله تعالى، وكانت هذه الطاعة بحد ذاتها عبادة. لذا، فإن العبودية سورة. الحقيقة لا تُحدد بالأفعال الظاهرة فحسب، بل بالولاء والخضوع. ويؤجّه تحذير مماثل بشأن الشيطان الآية 60:

أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ

الغالبية العظمى من الناس لا يعبدون الشيطان عمداً، ولكن باتباعهم غواياته واتباعهم أنماط حياة تتعارض مع الهداية الإلهية، فإنهم في الواقع يطيعونه. وهذا يدل على أن الطاعة والولاء عبادة قوية، ومن يُطاع في خلاف الله تعالى يُصبح سيّداً زائفاً. لذلك، يجب على المرء أن يحذر من طاعة أي شيء أو أي شخص يُيعده عن أوامر الله تعالى. فعندما يرفض الناس عبوديته، يقعون حتماً في عبودية الآخرين - سواء كانوا أفراداً أو أيديولوجيات أو مؤسسات. قد يصبحون عبيداً لآراء المجتمع، أو ضغوط وسائل التواصل الاجتماعي، أو توقعات أصحاب العمل والأقران. إن محاولة إرضاء كل هؤلاء "الأسياء" المتضاربين تؤدي حتماً إلى التعب والتوتر والارتباك، فلا يمكن لإنسان أن يخدم أرباباً متعددين بمتطلبات مختلفة. ويمكن ملاحظة هذه الحقيقة في كثير من الناس اليوم الذين يكرسون حياتهم للرضا الدنيوي. إنهم يضحون براحة بالهم من أجل الإعجاب والتقدير والتقدير، ومع ذلك يشعرون بعدم الرضا والقلق. غالباً ما يعترف المشاهير والمؤثرون، على الرغم من شهرتهم وترفعهم، بالوحدة والاكتئاب وحتى تدمير الذات. إن اضطرابهم الداخلي هو نتيجة مباشرة لطلبهم الرضا من مصادر لا توفره لهم. إن المخلوقات التي يخدمونها - سواء كانت شهرة أو ثروة أو أشخاصاً - لا

يمكن أن تجلب لهم السلام الذي يأتي فقط من خدمة الخالق . علاوة على ذلك، لن يقدم هؤلاء الأسياد الزائفون أي عون أو راحة في الآخرة . أولئك الذين أثروا أو ضغطوا أو أمروا بالطاعة في هذه الدنيا سينفصلون عن أتباعهم عندما يواجهون المساءلة الإلهية . ستتلاشى قوتهم وسلطتهم، تاركين أتباعهم في حالة من الندم على استبدال عبودية الله تعالى بعبودية خلقه . سورة الفرقان، الآيات 17-19

ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول أأضللتم عبادي هؤلاء أم ضلوا السبيل قالوا سبحانك ما كان " لنا أن نتخذ من دونك أولياء ولكن آويت إليهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وأصبحوا قوما خاسرين فسيكذبونك "بما قلت وما أنت بمرد ولا نصير

لذا، فإن الحرية والسكينة الحقيقيتين لا تكونان إلا في طاعة الله تعالى . فالعبودية لله تُحرر الإنسان من أعباء ،أسياد الدنيا الكثيرة، وتمنحه التوازن النفسي والروحي، ووضوح الهدف، وراحة البال الدائمة . ولتحقيق ذلك ،يجب على المرء أن يرفض بوعي طاعة كل ما يؤدي إلى المعصية، وأن يُوفق أفعاله مع تعاليم الإسلام مستخدمًا وقته وماله وقدراته بما يرضي الله تعالى . وبذلك، يستعيد الإنسان كرامته، ويحقق الانسجام في الحياة، ويضمن راحة البال في الدنيا والآخرة، من خلال تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في حياته على الوجه الصحيح

:سورة الفرقان، الآية 18

"بل سليتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وأصبحوا قوما خاسرين ..."

تُسلط هذه الآية الضوء على خطرٍ مُتكرر في تاريخ البشرية :فعندما يُمنح الناس الرخاء والرخاء والراحة الدنيوية، غالبًا ما يُغفلون عن غايتهم الحقيقية .فبدلًا من أن يجعلوا النعم وسيلةً للتقرب من الله تعالى، فإنهم

يسمحون لها بأن تُصبح مُشتتاتٍ تُفضي إلى الإهمال والهلاك في نهاية المطاف. لذلك، من الضروري إدراك أن الممتلكات الدنيوية - كالثروة والشهرة والسلطة والأسرة والأصدقاء والعمل - لا تُكتسب قيمتها الحقيقية إلا إذا صاحبها راحة البال. فبدون الطمأنينة الداخلية، تُصبح هذه النعم نفسها أعباءً تُقاوم التوتر والمشقة في الدنيا والآخرة. تُقدّم حياة الأغنياء والمشاهير مثالاً صارخاً على هذه الحقيقة. فعلى الرغم من وفرة ممتلكاتهم المادية، يُعاني الكثيرون من القلق وعدم الرضا واضطرابات الصحة النفسية. وتُظهر حالتهم أن النجاح الدنيوي وحده لا يُوفّر راحة البال. لا يتحقق السلام الحقيقي إلا بتحقيق التوازن النفسي والجسدي، ووضع كل شيء وكل شخص في حياته على الوجه الصحيح، والاستعداد بصدق للمساءلة في الآخرة. ولأن الله تعالى، وحده يملك العلم التام بكل شيء، فهو وحده المؤهل لوضع قواعد سلوكية تضمن هذه النتيجة. المعرفة البشرية، رغم قرون من البحث في العقل والجسد، لا تزال محدودة. فهي لا تستطيع معالجة كل تحدٍّ يواجهه الإنسان، ولا تضمن له الحماية من جميع أشكال التوتر. فالنصيحة البشرية تتشكل بخبرة محدودة، وبعد نظر، وتحيز وبالتالي لا يمكنها تقديم التوجيه الشامل اللازم لتحقيق سلام دائم. لذلك، يجب على الإنسان قبول تعاليم الإسلام والعمل بها لمصلحته الخاصة، حتى لو تعارضت هذه التعاليم مع رغباته المباشرة. يمكن تشبيه هذا الوضع بمريض حكيم يقبل نصيحة طبيب ماهر. فمهما كان الدواء مُراً والنظام الغذائي قاسياً، فإنه يتحمّله، عالماً أنه لصحته على المدى البعيد - وبالمثل، من يقبل التعاليم الإسلامية ويعمل بها سيحظى بصحة حقيقية في جسده وروحه. ومع ذلك، ثمة فرق جوهري. فكثيراً ما يتبع المرضى الوصفات الطبية دون فهم علمي لها، ويثقون، بطبيبهم ثقة عمياء. مع ذلك، لا يأمر الله تعالى الناس بالطاعة العمياء، بل يدعوهم إلى التأمل في تعاليمه وإدراك حكمته، وملاحظة آثارها الإيجابية في حياتهم. القرآن الكريم مليء بالأدلة الواضحة، وأحاديث النبي محمد صلى الله عليه وسلم تقدم براهين عملية على صحتها. وهذا يتطلب التعامل مع تعاليم الإسلام بعقل منفتح وغير متحيز. عندها فقط يمكن للمرء أن يدرك عمقها وحكمتها وقوتها التحويلية. سورة يوسف، الآية 108:

"...قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني"

وهكذا، فإن طريق الطمأنينة والنجاح الأبدي لا يكمن في نعيم الدنيا الزائل، بل في البصيرة والتأمل واتباع الهداية الإلهية التي أنزلها الله تعالى. من سلك هذا الطريق، وجد أن نعيم الدنيا مصدر طمأنينة وشكر، ومن أهمله، وجد أن نفس النعم سبب هلاك.

"بل سلبتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وأصبحوا قوما خاسرين..."

بذكرها للأسلاف، تُوجّه هذه الآية تحذيرًا عميقًا من خطر التقليد الأعمى لرأي وسلوك الأغلبية في المجتمع. لقد كان هذا الميل من أكبر أسباب الضلال عبر التاريخ البشري. فكثيرًا ما يفترض الناس أن ممارسات، أسلافهم أو العادات السائدة في مجتمعهم صحيحة لمجرد انتشارها. إلا أن هذه الافتراضات محفوفة بالمخاطر إذ كثيرًا ما ضللت الأغلبية عن سبيل الحق. فعندما يلاحظ الأفراد تجاهل الأغلبية لتعاليم الإسلام، قد يميلون إلى استنتاج أن سلوك الأغلبية يجب أن يكون صحيحًا. هذا القبول غير النقدي للرأي العام يؤدي إلى التماهي دون تفكير. في الواقع، لا تُحدّد الحقيقة بالأرقام، بل بالدليل والعقل والوحي الإلهي. والتاريخ نفسه يشهد على هذه الحقيقة. لقرون، اعتقدت غالبية البشرية أن الأرض مسطحة، حتى أثبتت الأدلة عكس ذلك. يوضح هذا سورة الأنعام، الآية 116. المثال أن القبول الواسع لا يضمن الصواب

وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يظنون

توضح هذه الآية أن الأغلبية غالبًا ما تتصرف بناءً على الظنون والتخمينات والأهواء بدلًا من الحق. إن اتباعهم دون وعي هو هجران للعقل والمنطق اللذين أنعم الله تعالى بهما على كل فرد. لذا، يدعو الإسلام الناس إلى تجاوز التقليد الجاهل، واستخدام عقولهم في تقييم كل أمر بعلم ويقين. ويُدان التقليد الأعمى في الأمور الدينية بشكل خاص، لأنه يُجرد الإيمان من الإخلاص والفهم. تتطلب الطاعة الحقيقية التسليم الواعي لهداية الله تعالى، كما أنزلها القرآن الكريم وبيّنها النبي محمد صلى الله عليه وسلم. يشجع الإسلام على التعلم والتأمل والفهم، بحيث تتبع الأعمال من القناعة لا من العادة. وهكذا، تُذكرنا هذه الآية دائمًا بأن النجاة لا تكمن في اتباع القطيع، بل في اتباع الحق - حتى لو كان المرء وحيدًا. لطالما سلكت الأقلية طريق الحق، بينما رضخت الأغلبية للظنون والأهواء. فالحكماء إذن هم من يقاومون انجذاب الأغلبية، ويتبعون هدي الله تعالى. يوسف، الآية ١٠٨ سورة. الخالد

"...قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني"

سورة الفرقان، الآية 18

"بل سليتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وأصبحوا قوما خاسرين..."

في هذه الآية، يُوصف الوحي الإلهي بأنه تذكير، وهو مصطلح يُعبّر عن غايته وطبيعته. فالوحي لا يفرض على البشرية نظامًا غريبًا أو دخيلًا؛ بل يُذكّر ويُعيد إحياء الحقائق الكامنة في النفس البشرية. وتتوافق تعاليم الإسلام تمامًا مع الفطرة التي فطر الله تعالى الناس عليها. وأيُّ سلوكٍ يتعارض مع هذه الفطرة يُؤلّد حتمًا توترًا واختلالًا. وعندما يُحاول الأفراد اتباع مثل هذه الأنظمة، فإنهم يُعانون من صراعٍ داخليٍّ، واضطرابٍ نفسيٍّ، بل واضطرابٍ جسديٍّ، إذ يُجبرون على قالبٍ لا يتوافق مع جوهرهم الحقيقي. في المقابل، تبدو التعاليم الإسلامية مألوفةً بطبيعتها، إذ تُغذّي التوازن والسكينة والنظام في الحالتين العقلية والجسدية. وغالبًا ما يُدرك هذه الحقيقة بوضوح أولئك الذين يعتنقون الإسلام بعد أن عاشوا في ظلّ دينٍ أو فلسفةٍ أخرى. يشهد كثير من المهتدين الجدد أن مبادئ الإسلام، حتى قبل التعمق في دراستها، تتردد في نفوسهم كما لو كانوا يعيدون اكتشاف شيءٍ محفور في قلوبهم. ذلك لأن الإسلام لا يضع إطارًا جديدًا للبشرية؛ بل يعيد الناس إلى حالتهم الأصلية من النقاء والتوازن. إلا أن أنظمة أخرى، في كثير من الأحيان، تفرض قواعد سلوكية غريبة عن الفطرة البشرية. قد تتطلب هذه الأنظمة ممارسات تتعارض مع البوصلة الأخلاقية الفطرية، مما يؤدي إلى عدم الرضا واختلال التوازن والسخط. قد توفر هذه الأنظمة نظامًا مؤقتًا، لكنها لا توفر سلامًا دائمًا. ومع ذلك، لا يُدرك الانسجام بين الوحي والطبيعة البشرية دائمًا فورًا. فالتحيز والغطرسة والتعلق الأعمى بالتقاليد الموروثة قد يحجب القلب عن إدراك هذه الحقيقة. ولا يتكشف الهداية الإلهية في نورها الحقيقي إلا عند التعامل معها بصدق وانفتاح - ليس كعبء أو قيد، بل كتذكير يعيد التوازن ويزرع السكينة ويوجه البشرية نحو غايتها الأسمى. وهكذا، يعمل الوحي كمرآة وبوصلة في آن واحد. إنها مرآة تعكس الحقيقة الكامنة في النفس البشرية، تُذكّر الناس بما خُلِقوا عليه. وهي أيضًا بوصلة تُرشدهم إلى راحة البال في الدنيا والآخرة.

راحةٌ تتحقق بالتوازن بين الحالتين النفسية والجسدية، وبوضع كل شيء وكل شخص في حياتهم على الوجه الصحيح وفقاً لإرادة الله تعالى.

لكن من أعرضوا عن تذكير الوحي الإلهي، يُصِرُّون حتمًا على اتباع شهواتهم الدنيوية، مُسيئين استخدام النعم التي أنعم الله تعالى بها عليهم. فبدلاً من أن يستغلُّوا هذه النعم للشكر والطاعة، يُبدِّدونها في سعيهم وراء ملذات زائلة. وعواقب هذا الإهمال وخيمة: يفقدون توازنهم النفسي والجسدي، ويُسيئون تقدير كل شيء وكل شخص في حياتهم، ويُقَصِّرون في الاستعداد الكافي للحساب يوم القيامة. يتجلى هذا الخلل في التوتر والقلق والمشقة في الدنيا والآخرة، حتى وإن بدوا في الظاهر مُتمتِّعين ببعض الكماليات الدنيوية. لا تُغنيهم ثرواتهم أو مكانتهم سورة. أو ممتلكاتهم عن اضطرابهم الداخلي، فراحة البال لا تُشتري بالوفرة المادية، بل تُمنح بطاعة الله تعالى. الفرقان، الآية 18

"ولكنك أزرتهن وأبأهم حتى نسوا الذكر وأصبحوا قوما خاسرين..."

تُبيِّن هذه الآية خطر الغفلة. فعندما تُستمتع بالنعم دون تدبر، تُصبح حجاباً يُعمي القلب عن غايته الحقيقية فالملذات والكماليات، بدلاً من أن تُستغلَّ كأدوات للشكر والخدمة، تُصبح مُشتتات تُفضي إلى الهلاك. والخراب الموصوف هنا ليس مادياً فحسب، بل روحياً وأبدياً، إذ يُؤدي إلى عدم الاستعداد للمساءلة النهائية أمام الله تعالى. وهكذا، تُذكِّر الآية بأن النعم اختبارٌ لا ضمانٌ للنجاح. من استخدمها بما يُرضي الله تعالى، وجد السلام في الدنيا والنجاة في الآخرة. أما من أساء استخدامها، فسيكتشف أن راحته لم تكن سوى طريقٍ للهلاك وأن من أطاعهم واتبعهم في معصية الله تعالى لن يحفظهم في الدنيا ولا في الآخرة. سورة الفرقان، الآية (١٩).

"فسيكذبونكم بالذي تقولون فلا تستطيعون ردعاً ولا نصراً ومن يظلم منكم ننذقه عذاباً عظيماً"

يجب على الإنسان أن يحرص كل الحرص على تجنب الظلم بإساءة استخدام نعم الله تعالى. فهذا الإساءة تؤدي حتمًا إلى اختلال التوازن النفسي والجسدي، واضطراب الأولويات بإهمال كل شيء وكل شخص في حياته، وتحول دون الاستعداد الكافي للمحاسبة يوم القيامة. ولا يقل أهمية عن ذلك تجنب ظلم الآخرين بالتقصير في حقوقهم. إن خطورة هذا الأمر بالغة، إذ لا يغفر الله للظالم حتى يسامحه المظلوم. وهذا يُبرز خطورة انتهاك حقوق الآخرين. ففي أغلب الأحيان، من غير المرجح أن يعفو المظلوم عن ظالمه، فالبشر ليسوا بطبعهم مبالغين إلى هذه الرحمة. ونتيجة لذلك، يُجبر الظالم على تقديم أعماله الصالحة للمظلوم كتعويض. فإذا استنفدت الأعمال الصالحة، حُمِلَ الظالم ذنوب المظلوم حتى تتحقق العدالة. قد يُفضي هذا الصراع المرعب إلى جحيم الظالم يوم القيامة، حتى لو أدّى حقوق الله تعالى بالعبادات والطاعات. لذا، لا يمكن التغاضي عن انتهاك حقوق الإنسان أو تجاهله. وقد حذّر من هذا الواقع صراحةً حديثٌ في صحيح مسلم رقم 6579. والدرس واضح: أن أداء حقوق الله تعالى لا بد أن يقترن دائمًا بأداء حقوق خلقه. فإهمال أيٍّ من جانبي هذا الميزان يُفضي إلى الهلاك. يكمن النجاح الحقيقي في استثمار النعم بمسؤولية، والعدل في جميع المعاملات، والاستعداد بصدق ليوم يُوزن فيه العمل بالقسط.

يُشير الله تعالى إلى أن من دوافع عداوة قادة غير -المسلمين في مكة، وبعض علماء أهل الكتاب في المدينة، حسد النبي محمد صلى الله عليه وسلم. وقد أجمّع هذا الحسد معارضتهم له، ودفعهم إلى استخدام حجج متنوعة سورة الفرقان، الآية 20، سورة) .ضده، منها الاعتراض على طبيعة الأنبياء عليهم السلام، كما سبق بيانه (25).

وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الرُّسُلِ إِلَّا إِيَّاهُمْ يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً " أَفَتَنْصِبُونَ

تُثبت هذه الآية أن مهمة النبي الكريم، عليه السلام، مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالوضع البشري. ولن يكون من المناسب تعيين كائنات مثل الملائكة لهذا الدور، لأن الغرض الأساسي من النبي الكريم، عليه السلام، هو أن يكون قدوة عملية وقابلة للتفاعل للبشرية في جميع جوانب الحياة. يُظهر النبي الكريم، عليه السلام، كيفية العبادة، وكيفية تحمل المحن، وكيفية إدارة الشؤون اليومية، وكيفية الموازنة بين المسؤوليات الدنيوية والتفاني

الروحي. ومع ذلك، فإن الملائكة لا يشاركون في هذه التجارب البشرية. فهم لا يأكلون ولا ينامون ولا يتعبون، ولا يواجهون الصراعات والقيود التي تُحدد الوجود البشري. إذا عُيِّن ملاكا كنبيا كريمةين، عليه السلام، لاستحالة على الناس التواصل معه، بل قد يزعمون أمام الله تعالى يوم القيامة أنهم لا يستطيعون تقليد مثل هذا الكائن. ولذلك، حتى لو بعث الله تعالى ملكاً نبياً عليه الصلاة والسلام، لوجب عليه أن يتجسد في صورة بشرية ليقتدي الناس به اقتداءً حقيقياً. وهكذا تتجلى حكمة الله تعالى في بعث أنبياء بشرًا عليهم السلام يشتركون في طبيعة من أرسلوا لهدايتهم، وحدودهم، وجهادهم. فإنسانيتهم تزيل كل عذر، إذ تثبت أن الطاعة والصبر والاستقامة ممكنة في النفس البشرية نفسها.

:سورة الفرقان، الآية 20

"وجعلنا بعضهم لبعض فتنة فهل تصبرون "

لم يكن علماء أهل الكتاب يجهلون صدق الإسلام، فقد أقرّوا بأن القرآن الكريم كلام الله تعالى، لعلمهم بمؤلفه كما أقرّوا بالنبى محمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن الكريم نفسه، فقد ورد ذكر كليهما في كتبهم). سورة (الأنعام، الآية ٢٠).

"...الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه» [القرآن الكريم [كما يعرفون أبناءهم»

:وسورة البقرة، الآية 146

«الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم»

رغم هذا الاعتراف، منعتهم الغيرة من قبول الحقيقة. نبع حسدهم من كون النبي محمد صلى الله عليه وسلم من نسل النبي إسماعيل عليه السلام، لا من نسل أخيه النبي إسحاق عليه السلام، الذي ينسبون إليه نسبهم. لقد أُعيد تشكيل دينهم حول مفهوم النسب، الذي اعتقدوا أنه يمنحهم الأفضلية على سائر البشر. وكان قبول نبي من سلالة مختلفة سيحطم هذا الشعور المُصطنع بالتفوق، ولذلك رفضوه غرورًا وحسدًا.

بما أن النبي محمدًا صلى الله عليه وسلم لم يكن لديه أي اطلاع على الكتب السماوية السابقة أو الإمام بها، وهي حقيقة أقرّ بها أهل الكتاب وغير المسلمين في مكة. وبالتالي، لم يكن بإمكانه معرفة التعديلات الأصلية أو اللاحقة على التعاليم الموجودة في تلك النصوص. ويُقدّم هذا الواقع المُسلم به كدليل قاطع على الأصول الإلهية. سورة العنكبوت، الآية 48، سورة العنكبوت، السورة 29. للقرآن الكريم.

وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون

كذلك، لم يستطع غير -المسلمين في مكة، وهم أساتذة اللغة العربية، إنكار إعجاز القرآن الكريم. كانوا يعلمون يقينًا أن بلاغته وعمقه لا يمكن أن يكونا كلام مخلوق. علاوة على ذلك، فقد عاشوا مع النبي محمد صلى الله عليه وسلم أربعين عامًا قبل نبوته. كانوا يعرفون شخصيته معرفةً دقيقة، ويدركون تمامًا أنه ليس بكاذبًا. سورة يونس، الآية 16:

"لأنني عشت بينكم عمرًا قبل ذلك. أفلا تعقلون؟..."

ومع ذلك، ورغم هذه المعرفة، لم يستطع أشراف مكة قبوله. لم يكن رفضهم جهلاً بصدقه، بل غروراً وحسداً لم يطبقوا فكرة اتباع رجل كان يتيماً فقيراً، مع أنه كان من أشرف القبائل. أعمى شوقهم للقيادة والسلطة والثروة أبصارهم عن الحقيقة. ولما أعطي النبي محمد صلى الله عليه وسلم النبوة ورُقي إلى مقام القيادة والتفوق على الخلق أجمعين، ازداد حسدهم، وعارضوه بالعداء

وهكذا، أقرّ علماء أهل الكتاب وأشراف مكة بالحق، لكنهم رفضوه حسداً وكبراً وكبرياء. ومثالهم تحذيرٌ بأن: أعظم مانعٍ للهداية ليس الجهل، بل فساد القلب بالحسد والكبر. سورة الفرقان، الآية ٢٠

"وجعلنا بعضكم لبعض فتنة فهل تصبرون "

الحسد من أعظم الذنوب، ويجب اجتنابه بأي ثمن. وتكمن خطورته في أن الحاسد يتحدى قضاء الله تعالى وقدرته. فباستياءه من النعم الممنوحة لغيره، يتصرف الحاسد كما لو أن الله تعالى قد أخطأ في حكمته. وهذا الموقف شكل خفي من أشكال التمرد، لأنه يشكك في العدالة الإلهية ويقوض كمال اختيار الله تعالى. ومن يسمح للحسد بالظهور بقول أو فعل على المحسود فإنه يضر نفسه فقط، لأن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب. وقد حذر من ذلك صراحةً في حديث موجود في سنن ابن ماجه ، رقم 4210

،لكن هناك حسداً جائزاً، ما لم يتضمن تمنى زوال نعمة غيره. هذا النوع لا يكون محموداً إلا في أمور الدين ومذموماً في أمور الدنيا. وقد بيّن النبي صلى الله عليه وسلم ذلك في حديث صحيح مسلم رقم 1896، حيث وصف حالتين من الحسد المحمود: الأول: حسد من أحسن استعمال علمه وعلمه، والثاني: حسد من اكتسب مالاً حلالاً وأنفقه فيما يرضي الله تعالى

لتجنب الحسد المدمر، يجب على المرء أولاً أن يُدرك أنه من كبائر الذنوب، ويُخالف توزيع النعم الإلهية. وعليه أن يُدرك حقيقة أن الله تعالى يُعطي كل ذي حقٍ ما هو خيرٌ له، حتى وإن لم يكن ذلك واضحاً للعيان: سورة البقرة، الآية ٢١٦

"وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ..."

بدلاً من حسد الآخرين، ينبغي للإنسان أن يركز على استخدام نعمه بما يُرضي الله تعالى، كما هو مبين في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. فالشكر والعمل الصالح يُؤديان إلى زيادة النعم وراحة البال، من خلال تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، ومن خلال حسن توزيع كل شيء وكل شخص في حياته. سورة إبراهيم، الآية 7

لئن شكرتم لأزيدنكم

في المقابل، يُصرف الحسد الإنسان عن الطاعة ويُسيء استخدام النعم التي وُهِبَت له. فيقع في حالة نفسية وجسدية غير متوازنة، يُسيء توزيع كل شيء وكل شخص في حياته، ويُهمل الاستعداد الجيد للحساب يوم القيامة. سيواجه هذا الشخص حتماً الضيق والمشقة والاضطراب في الدنيا والآخرة، حتى لو كان يتمتع: سورة طه، الآيات ١٢٤-١٢٦. ظاهرياً ببعض الرفاهية الدنيوية

ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد "كنت بصيراً قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى

أما المحسود، فعليه الصبر على الأذى اللفظي أو البدني. والصبر هو الامتناع عن الشكوى قولاً وفعلاً، مع الاستمرار في استخدام النعم في طاعة الله تعالى. وهذا هو الوسيلة الحقيقية للاستعاذة من أذى الحاسد. سورة الفلق، الآيتان 1 و5.

"قل أعوذ برب الفلق...ومن شر حاسد إذا حسد"

وهكذا يحمي الله تعالى عباده من أذى الحسد، وإن لم يظهر ذلك فوراً. فحفظه دائماً مبني على حكمته وعلمه. اللامتناهيين، اللذين يفوقان إدراك البشر المحدود.

ولأن الله تعالى عليم بكل شيء، فهو مطلع على حسد الناس وسلوك المحسودين، وسيحاسب كلاً منهم على ذلك. سورة الفرقان، الآية ٢٠.)

"وجعلنا بعضهم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيراً"

لكي ينجح المرء في هذا الاختبار الحياتي، عليه أن يدرك أن حياة الآخرين ليست بالضرورة أفضل من حياته، حتى لو بدت كذلك ظاهرياً. ينخدع الكثيرون عند رؤية المشاهير أو أصحاب الثروات والمكانة الاجتماعية، ظناً منهم أنهم يعيشون حياةً هائلةً مثالية. لكن في الحقيقة، غالباً ما يكون هذا التصور وهمًا. فمن يبدون وكأنهم ينعمون بالرفاهية والراحة قد يكونون مثقلين بصراعات خفية - الوحدة، والقلق، والعلاقات

المتوترة، والضغط المستمر - مما قد يجعل الآخرين يترددون في تبادل الأماكن معهم لو عُرِفت الحقيقة كاملة. أما المتابع الخارجي، فلا يرى إلا صورةً مركبةً بعناية، غالباً ما تُشكلها لمحات انتقائية وتصويرات إعلامية. يزدهر الإعلام بعرض رواياتٍ براقّة، مُبالِغاً في النجاح مُخفياً المصاعب. ويفعل ذلك لجذب انتباه الجماهير، فلو اكتفى بنقل الحقائق المجردة، لفقد الكثير من الجمهور اهتمامه. ونتيجةً لذلك، يُضللّ الناس ويُوهمون أنفسهم بأن الآخرين يعيشون حياةً مثالية، بينما في الواقع، لا أحد بمنأى عن التجارب. يُحذّر الإسلام من الوقوع في هذا الاعتقاد الخاطي، فهو أداةٌ من أدوات الشيطان، يسعى لدفع الناس إلى جحود نعمه. فعندما يُقارن المرء نفسه باستمرار بمن يبدو أغنى أو أكثر امتيازاً، فإنه يُخاطر بتجاهل النعم الكثيرة التي أنعم الله به عليها. ولذلك، أوصى النبي محمد صلى الله عليه وسلم، في حديثٍ ورد في جامع الترمذي، رقم 2513 بأن ينظر المرء في الدنيا إلى من يملك أقل مما يملك. هذا المنظور يُنمّي الامتنان والرضا والتواضع، ويحمي القلب من الحسد وعدم الرضا. فكلما ثارت مشاعر جحود النعمة، ذكّر نفسه بالملايين الذين يعيشون في فقر أو يقاسون الجوع، أو يواجهون مصاعب تفوق بكثير ما يواجهونه. بالتفكير بهذه الطريقة، سيدرك أن العشب ليس أكثر اخضراراً في الجانب الآخر، بل هو أخضر بما فيه الكفاية في جانبهم. سورة البقرة، الآية 216

"...وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم..."

إنّ، الرضا الحقيقي لا يكمن في السعي وراء ما يملكه الآخرون، بل في إدراك حكمة الله تعالى في توزيع النعم على أكمل وجه. هذا الموقف لا يحفظ راحة البال فحسب، بل يقوي الإيمان أيضاً. فالشكر على أحوال المرء يدعو إلى مزيد من النعم، بينما الحسد والسخط لا يؤديان إلا إلى تدهور الروح. وهكذا، فإن الحكماء هم من يركزون على مسؤولياتهم، ويستغلون نعمهم بما يرضي الله تعالى، ويتجنبون أوهم الزينة الدنيوية.

كثيراً ما تتعارض طاعة الله تعالى والاستعداد للحساب في الآخرة مع مطامع الناس ورغباتهم الدنيوية. ولذلك يُصرّ الكثيرون على المعصية، وكلما عرقلت التعاليم الإسلامية أهدافهم الشخصية، ازدادوا إصراراً على معارضة الرسالة ومن يتبعها. كان هذا هو موقف قادة غير -المسلمين في مكة، الذين سعوا لقمع الإسلام بشتى الوسائل. ومن استراتيجياتهم تحدي الجوانب الغيبية للوحي، مطالبين برؤية الملائكة أو حتى الله تعالى: سورة الفرقان، الآية ٢١. نفسه

"...ويقول الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا "

تكشف هذه المطالب عن زيف تفكيرهم .فجوهر الإيمان يكمن في الإيمان بالحقائق الغيبية دون إدراكها مباشرةً بالحواس الخمس .ومع ذلك، فإن هذه الحقائق الغيبية ليست بلا دليل .فالسماوات والأرض مليئة بالدلائل الدالة على خالقها .وكما أن وجود لوحة فنية دليل على وجود رسام، فإن وجود خلقٍ مُحكمٍ مُحكمٍ دليلٌ على وجود خالق .علاوةً على ذلك، في أمور الدنيا، يقبل الناس ويعتمدون بسهولة على أمورٍ لا تُحصى لا يدركونها مباشرةً .على سبيل المثال، يتناول كثيرون الأدوية دون فهم آلية عملها في الجسم، ومع ذلك يثقون بآثارها .إذا كانت هذه الثقة مُمنوحة للمعرفة البشرية، فكم بالأحق بالوحي الإلهي، القائم على الحكمة والعقل والحقيقة .إن شريعة الإسلام راسخة في الأدلة والفترة السليمة، إلا أن بعض جوانب الإيمان تتضمن بالضرورة الغيب .وهذا ما يُعطي الإيمان قيمته الحقيقية .إذا شهد الإنسان الحقائق الغيبية - كالملائكة - لما كان لدعواه الإيمانية وزنٌ يُذكر، فالإيمان بما يُرى لا يقتضي التضحية بالثقة .يكمن الاختبار الحقيقي في قبول المرء للواقع دون إدراك مباشر، وفي طاعته لله تعالى بعد قبوله، مع قدرته على المعصية .لقد ترك الله تعالى، بإرساله الأنبياء عليهم السلام، وإنزاله الكتب السماوية، مجالاً لاختبار حكمة الإنسان وصدقه .لم يكشف الحقيقة قط بطريقة تُجبر الناس على قبولها، لأن الإكراه يُبطل معنى الامتحان .لذلك، لا ينبغي أن يظهر الله تعالى أو ملائكته أمامهم .فإن حدث ذلك، كان ذلك نهاية الامتحان، فلا مجال للاختبار أو الاجتهاد .لا قيمة للإيمان والطاعة إلا ما دام الرفض ممكناً .فبمجرد انكشاف الغيب تماماً، يصبح الإيمان حتمياً، وتفقد الطاعة قيمتها .لن يُكشف هذا إلا يوم القيامة، حين ينتهي زمن الاختبار وتتكشف حقيقة أعمال كل نفس وهكذا تتجلى حكمة الله تعالى :حجب الغيب ليُختبر الناس في صدقهم وصبرهم واستعدادهم للخضوع .من آمن وأطاع دون أن يرى فقد أظهر إيماناً حقيقياً، ومن طلب الرؤية قبل الإيمان فقد كشف عن غطرسة قلبه .التي غمرتها شهوات الدنيا وأطماعها) .سورة الفرقان، الآية ٢١)

"لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتيا كبيرا "

يدفع الغرور الناس إلى الإصرار على معصية الله تعالى، بإساءة استخدام النعم التي أنعم بها عليهم .فبدلاً من استخدام هذه النعم بشكر وطاعة، يُبددونها في سبيل رغباتهم الأنانية .هذا الاستغلال يمنحهم من تحقيق حالة

،من التوازن النفسي والجسدي، ويدفعهم إلى إساءة استخدام كل شيء وكل شخص في حياتهم .ونتيجة لذلك تصبح عائلاتهم وأصدقائهم وعملهم وثرواتهم - وهي نعم كان ينبغي أن تكون مصدر راحة - مصادر للتوتر والضيق .وعندما يُصرَّ هؤلاء الأفراد على معصيتهم، يبدأون في توجيه اللوم بشكل خاطئ على قلوبهم .وبدلاً من الاعتراف بغرورهم وإساءة استخدامهم للنعم، يتهمون الآخرين - غالباً الزوج أو العائلة أو الأصدقاء المقربين - بأنهم سبب صعوباتهم .وباستبعاد هؤلاء الأشخاص الطيبين من حياتهم، فإنهم يُعمّقون اختلال توازنهم، ويغرقون أكثر في ضائقة نفسية .وغالباً ما تتجلى هذه الدوامة الانحدارية في الاكتئاب وإدمان المخدرات، وحتى الميول الانتحارية .هذه النتائج واضحة في حياة كثيرين ممن يسيئون استخدام نعمهم، بمن فيهم الأغنياء والمشاهير، الذين رغم تمتعهم برفاهية الدنيا، يعانون من فراغ داخلي واضطراب .ومع ذلك فإن عواقب الدنيا تافهة مقارنة بما ينتظرهم في الآخرة .غرورهم يمنعهم من الاستعداد للمحاسبة، وعندما (سورة الفرقان، الآية ٢٢) .يُكشف ستر الغيب، يكون الأوان قد فات

"يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون محبوبون"

في ذلك اليوم، سيُحرمون من التوبة، أو فرصة ثانية، أو عذر .سيُتركون خاليي الوفاض -من كل خير، لأنهم .لم يستغلوا نعمهم كما هو منصوص عليه في التعاليم الإسلامية .ستُضيع جهودهم الدنيوية ونجاحاتهم الظاهرية (سورة الفرقان، الآية ٢٣، سورة ٢٥).

"وجعلنا ما عملوا من عمل هباءً منثوراً"

سورة الكهف، الآيات 103-104:

"قل هل ننبتكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا"

لذا، فإن أعظم المصائب ليست مجرد فقدان السلام في الدنيا، بل الخسارة الأبدية في الآخرة. أولئك الذين يُسيئون استخدام النعم التي مُنحت لهم، مُعمين بالغرور والشهوات، سيجدون أن ثرواتهم ومكانتهم وإنجازاتهم الدنيوية لا تحجبهم عن العدالة الإلهية. ستُصبح أعمالهم، التي كانوا يحسبونها مُحمودة، مجرد هباء منثور. الدرس واضح: يجب استخدام النعم بتواضع وشكر وطاعة لله تعالى. عندها فقط سيقفون مصدر سلام من خلال تحقيق حالة ذهنية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء وكل، في الدنيا ونجاة في الآخرة: شخص في حياتهم على النحو الصحيح. سورة الفرقان، الآية ٢٤

«أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وخير مَثوى»

في حديثٍ ورد في سنن ابن ماجه، رقم 4108، بيّن النبي محمد صلى الله عليه وسلم أن الدنيا كقطرة ماء في بحر. وضرب هذا التشبيه لِيُدرِك الناس ضآلة الدنيا عند مقارنتها بالآخرة الخالدة. ولكن في الحقيقة، لا يمكن حتى مقارنتهما، فالدنيا زائلة والآخرة باقية. ولا يُقاس المحدود باللامتناهي. يمكن تقسيم الدنيا إلى أربعة أقسام رئيسية: الشهرة، والثروة، والسلطة، والحياة الاجتماعية، بما في ذلك العائلة والأصدقاء. ومهما بلغت النعم التي ينالها الإنسان في هذه الأقسام، فإنها تبقى ناقصة، زائلة، ويقطعها الموت في النهاية. أما نعم الآخرة فهي كاملة، تامة، باقية. وبهذا المعنى، فالدنيا قطرة، بينما الآخرة بحرٌ لا ينضب. علاوةً على ذلك، لا يُضمن للإنسان طول عمره في الدنيا، لأن أجله خفي. ومع ذلك، فإن كل إنسان مضمون له الموت ودخول الآخرة لذا، من غير المنطقي أن يُكرّس المرء طاقته للاستعداد ليوم قد لا يأتي أبداً - كالتقاعد مثلاً - مع إهمال الحياة الأبدية التي لا مفرّ من مواجهتها. هذا لا يعني التخلي عن الدنيا، بل هي جسرٌ لا بدّ من عبوره للوصول إلى الآخرة سالمًا. على الإنسان أن يأخذ من الدنيا ما يكفيه وقوت عياله فقط، وفقًا لتعاليم الإسلام، متجنبًا التبذير والإسراف والتبذير. ويوجه بقية جهده نحو الاستعداد للآخرة الخالدة، وذلك بتنفيذ أوامر الله تعالى، واجتناب نواهيه، ومواجهة القدر بالصبر، كما دلت على ذلك أحاديث النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم. هذا النهج يضمن استخدام النعم فيما يرضي الله تعالى، ويجلب راحة البال والتوفيق في الدنيا والآخرة، من خلال سورة النحل. تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، ومن خلال حسن توزيع كل شيء وكل شخص في حياته: الآية 97

"من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون"

الدرس واضح: لا يُفضّل الإنسان العاقل قطرة ماء واحدة على بحرٍ لا نهاية له. وبالمثل، لا يُفضّل الإنسان الحكيم الحق الدنيا الزائلة على الآخرة الخالدة.

إن الدنيا لا تُدَان في ذاتها، بل تُدَان عندما تُصرف عن الغاية الأسمى. فإذا أحسن استخدامها، أصبحت وسيلةً لنيل الآخرة، فالمال والأهل والجاه يمكن أن تتحول إلى عبادات إذا أُديرَت بالشكر والعدل والطاعة. أما إذا سعت إليها لذاتها، فإنها تصبح حجابًا يُعمي القلب. وهكذا يتعامل العاقل مع الدنيا على أنها زادٌ للرحلة، لا غايةً في حد ذاتها). سورة الفرقان، الآية ٢٤)

«أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وخير مثنوى»

ليهدي الناس إلى السلوك القويم، ليجدوا الطمأنينة في الدنيا، ويدخلوا دار السلام في الآخرة، يُنبه الله تعالى، إلى خطورة يوم القيامة. ففي ذلك اليوم، تنزل الملائكة الذين تمنى المتكبرون رؤيتهم في الدنيا بأعداد غفيرة: (سورة الفرقان، الآية ٢٥). لا مجال للإنكار

"ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا"

هذا المشهد الجليل سيحطم كل أوهم القوة والاستقلال الدنيوي. في هذه الحياة، رفض المتكبرون حقيقة أن السلطة والطاعة لله تعالى وحده. عاشوا كما لو أن السيادة لهم، متفاخرين بثرواتهم ومكانتهم ونفوذهم. لكن، يوم القيامة، سيُرفع الحجاب، وتتكشف الحقيقة للجميع. لن ينكر أحد سلطان الله تعالى المطلق). سورة الفرقان (الآية ٢٦).

«...إن الملك يومئذ للرحمن»

في ذلك اليوم، لا يُمنح رحمته إلا من أدرك هذه الحقيقة وتقبلها في حياته الدنيا - بطاعة الله تعالى، واستخدام نعمه وفقاً لأوامره. سيُحمون من أهوال الآخرة، وسيُمنحون راحة البال والسلامة الأبدية. على النقيض من ذلك، فإن من رفضوا أو تجاهلوا سيادة الله تعالى في هذه الدنيا لن يجدوا فائدة في الاعتراف بها في ذلك اليوم. لن يكون لتأخرهم في الاعتراف أي وزن، لأن وقت الاختبار قد انتهى. وكما أدى عصيانهم في هذه الحياة إلى اختلال التوازن والضيق وسوء ترتيب الأولويات، فإن صعوباتهم ستتضاعف في الآخرة. سورة الفرقان، الآية 26

"وَكَانَ عَلَى الْكَافِرِينَ يَوْمًا عَسِيرًا ..."

لن تكون هذه المحنة محنة عابرة، بل واقع قاسي، يكتنفه الخوف والندم واليأس. ستشهد عليهم النعم التي أساءوا استخدامها في الدنيا، وسيتخلّى عنهم الغرور الذي منحهم الثقة. ستُجرد أموالهم ومكانتهم وإنجازاتهم: الدنيوية من كل قيمة، ليُتركوا صفر -اليدين أمام عرش الله تعالى. سورة الفرقان، الآية ٢٧

"ويوم يعض الظالم على يديه ويقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا "

يمكن تقسيم الندم إلى قسمين. الأول هو الندم على أمور دنيوية، كالعزوف عن الزواج أو الإنجاب أو عدم تحقيق طموحات معينة. والثاني هو الندم على ما ينشأ في القبر ويوم القيامة، كالتقصير في استغلال الموارد والوقت والنعم بما يرضي الله تعالى.

الندم الدنيوي، مهما كان نوعه، مؤقت. قد يزول بتحقيق رغبة المرء، أو بتغيير نظرته للأمور، أو حتى بالموت. وفي أقصى الأحوال، يستمر هذا الندم حتى الموت، وحتى في هذه الحالة، ليس له أثر كبير، فقد، بسبب الحزن، لكنه لا يسبب عذاباً شديداً. بل إن من يدخل الجنة برحمة الله تعالى، يزول عنه كل ندم دنيوي. كما يمحى الفرح الأبدي كل أثر للحزن.

أما ندم الآخرة، فهو أشد وطأة، إذ يدوم طويلاً -، فالمدة في القبر ويوم القيامة أطول بكثير من الحياة الدنيا القصيرة. ولا تنتهي هذه الندمات إلا بدخول الجنة - إن دخلها أحد أصلاً. وقد لا يأتي هذا للبعض إلا بعد مدة طويلة لا تُصدق (سورة الحج، الآية 47، سورة الحج، الآية 22)

"وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون"

هذه الندمات أشد وطأة، فقد تؤدي مباشرة إلى العقاب والعذاب في الآخرة. بخلاف ندم الدنيا الذي يزول مع الزمن، فإن ندم الآخرة يحمل عواقب أبدية. ويصاحبه ندم عميق، إذ يدرك الناس الفرص التي أضاعوها والنعم التي أساءوا استغلالها. لذلك، ينبغي للإنسان أن يتأمل بعمق ويحسن إلى نفسه بالسعي إلى التخلص من الندم الأهم - ندم القبر وندم يوم القيامة - قبل أن يتطرق إلى ندم الدنيا الزائل (سورة الفرقان، الآية ٢٧)

"ويوم يعض الظالم على يديه ويقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا "

ترسم هذه الآية صورةً جليةً لشدة الندم في الآخرة .لن يكون حزنًا عابرًا، بل يأسًا عارمًا، مصحوبًا بإدراك ضياع فرصة العمل إلى الأبد .سيتمنى المخطئ العودة إلى الدنيا لتصحيح أخطائه، لكن الفرصة ستضيع ،لذا، يُقدم العقلاء الاستعداد للحياة الأبدية على هموم الدنيا الزائلة .يدركون أن ندم الدنيا مجرد ظلال عابرة بينما ندم الآخرة قد يُحدد مصيرهم الأبدى .يكنم الذكاء الحقيقي في السعي الآن - بالطاعة، وبحسن استخدام النعم التي وُهبَت للإنسان كما هو موضح في التعاليم الإسلامية - لتجنب الندم المرير الذي سيُسيطر على من أهملوا محاسبتهم

(سورة الفرقان، الآية ٢٨) .ثم حذر الله تعالى من خطر صحبة السوء، فإنها من أعظم أسباب الضلال

.ويلتي !ليتني لم أخذه صديقًا يا

الإنسان اجتماعي بطبعه، ويتأثر طبعه حتمًا بمن يخالطهم، سواءً أكان ذلك خيرًا أم شرًا .قد يكون هذا التأثير فوريًا وواضحًا، أو خفيًا وتدرجيًا، ولكنه يترك أثره دائمًا .وقد أكد النبي محمد صلى الله عليه وسلم هذه الحقيقة في حديث ورد في سنن أبي داود، رقم 4833، يؤكد على الأثر العميق للصحبة .ولذلك، فإن من يحيط نفسه بالصالحين والصادقين يجد قلبه مائلًا إلى الإخلاص والطاعة والثبات على عبادة الله تعالى .فهؤلاء الصحابة يذكرون المرء بواجباته، ويحثون على حسن استعمال النعم، ويلهبون الاستعداد ليوم القيامة .أما من يخالط الضالين، فسيتبنى طبعهم وسلوكهم حتمًا، وسينجر إلى المعصية، مما يؤدي إلى إساءة استعمال النعم .التي أنعم الله بها عليهم .هذا الفساد في الشخصية يُنتج اختلالًا في التوازن - عقليًا وروحيًا، بل وجسديًا .يفقد هؤلاء الأفراد وضوح أولوياتهم، ويُسيئون توزيع كل شيء وكل شخص في حياتهم .يُهملون محاسبتهم النهائية أمام الله تعالى، ويتبعون ملذات زائلة أو مُثلاً مُضللة .عاقبة هذا الطريق حتمية :ضغوط ومصاعب

واضطرابات في كلا العالمين. حتى لو تمتعوا بالرفاهية المادية، فإنها لا تحميهم من الفراغ الداخلي، والعلاقات الممزقة، وثقل الخطيئة. سورة الفرقان، الآيات 25-29

وبلتي ليتني لم أتخذ خليلاً، فقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني، وكان الشيطان للإنسان خذولاً يا

هنا، ترتبط الصحبة السيئة ارتباطاً مباشراً بالشيطان، فهي من أقوى أسلحته في إضلال الناس. غالباً ما يعمل الشيطان من خلال الصحبة الفاسدة، التي تبعد الإنسان تدريجياً عن طاعة الله تعالى، حتى يُترك ضعيفاً ومُهملًا. الدرس واضح: يجب على المرء أن يختار الصحبة بعناية، لأن تأثيرها ثقيل على مصير المرء في الدنيا والآخرة. الصحبة الصالحة درع من الضلال، بينما الصحبة الفاسدة بوابة إلى الهلاك. لذا يلتبس العاقل صحبة من يذكره بالله تعالى، ويقوي عزمه على العيش في الطاعة، ويُلهمه على حسن استخدام النعم. في الواقع، الصحبة ليست مسألة صداقة فحسب، بل هي أيضاً مسألة تأثير. الكتب التي يقرأها المرء، والأصوات التي يستمع إليها، والبيئات التي يرتادها، كلها بمثابة رفقاء للقلب. إذا كانت هذه التأثيرات صالحة، فإنها ترفع الإنسان، وإذا كانت فاسدة، فإنها تجره إلى الأسفل. وهكذا فإن صيانة الرفقة هي صيانة للإيمان والخلق وراحة البال والنجاح الأبدي.

يُحذّر الله تعالى من مصدر آخر للضلال: الاعتقاد الخاطئ بأن مجرد النطق بالإيمان كافٍ لنيل السلام في الدنيا والنجاة في الآخرة. يظنّ بعض الناس أنّ مجرد إعلان الإيمان بالله تعالى، دون طاعته عملياً أو استغلال نعمه على الوجه الصحيح، كافٍ. وهذا اعتقادٌ مُضللٌ للغاية، فالقرآن الكريم وأحاديث النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم تُبيّن بوضوح أنّ القول وحده لا يكفي. يجب أن يؤيّد الإيمان بالعمل الصادق، وإلا فلن يُؤدّي إلى النجاح. في الواقع، سيواجه من أهمل القرآن الكريم ولم يعمل بهديه واقعاً مُدمراً يوم القيامة. سيشهد عليهم من كانوا يأملون أن يشفع لهم - النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم). سورة الفرقان، الآية 30)

"وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا "

، هذه الآية خاصة بمن أقرّوا بالقرآن الكريم واعتنقوه، فهم وحدهم من يُلام على هجره .أما غير -المسلمين فلا يُوصفون بهذا الوصف لعدم قبولهم به .إن عاقبة من يشهد عليه النبي محمد صلى الله عليه وسلم في ذلك اليوم وخيمة

لتجنب هذا المصير، يجب على الشخص أن يدعم إعلان إيمانه الشفهي بالأعمال الصالحة المستمرة من خلال أداء حقوق القرآن الكريم .وتشمل هذه الحقوق تلاوته بشكل صحيح ومنتظم، والسعي لفهم تعاليمه من مصادر موثوقة، والعمل بهديه بقصد إرضاء الله تعالى .يقدم الشخص الصادق أوامر القرآن الكريم على أهوائه، حتى لو تعارضت تلك الأهواء مع تعاليمه .إن الاقتداء بالقرآن الكريم هو العلامة الحقيقية للإخلاص، كما أكد ذلك حديث موجود في سنن أبي داود ، رقم 1342، والذي يصف شخصية النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم بأنه تجسيد للقرآن الكريم .يتطلب الإخلاص الحقيقي التعامل مع القرآن الكريم بقصد قبوله والعمل به جميعاً، لا اختياراً انتقائياً لما يتماشى مع أهوائك الشخصية وتجاهل ما يتعارض معها .أولئك الذين يتبنون :سورة الإسراء، الآية 82 .هذه الطاعة الانتقائية يظهرون عدم الإخلاص ولن ينتفعوا حقاً من هدايته

وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً

:الفرقان، الآية 30 وسورة

"وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً "

من المهم أيضاً أن نفهم أن القرآن الكريم، وإن كان علاجاً لمشاكل الدنيا، لا ينبغي أن يقتصر على هذه الوظيفة فحسب. فاعتباره مجرد أداة تُستخدم في أوقات الشدة ثم تُترك جانباً بعد زوالها يُعدّ نفاقاً. فالغرض الأساسي للقرآن الكريم هو هداية البشرية إلى الآخرة بسلام. وإهمال هذا الغرض مع استخدامه فقط للراحة الدنيوية أشبه بشراء سيارة مزودة بالعديد من الكماليات ولكن بدون محرك - مظهر خارجي يفتقر إلى الوظيفة الأساسية.

لذا، يتعامل الحكماء مع القرآن الكريم كدليل دائم، لا كعلاج مؤقت. يتلونه بخشوع، ويدرسونه بخشوع، ويعملون به بعزم. وبذلك، يُحوّلون حياتهم إلى انعكاسٍ لتعاليمه، فيجعلونه مصدر شفاءٍ ورحمةٍ وتوفيقٍ أبدي. أما من يهجره، فلن يواجه الندم في الدنيا فحسب، بل سيواجه أيضاً شهادةً قاسيةً من النبي محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة.

في الواقع، كل من ينبذ شريعة الله تعالى، ويتبنى -أنظمةً وضعها البشر، إنما يفعل ذلك إشباعاً لغرائزه الدنيوية. ذلك أن جميع الشرائع التي وضعها البشر متجذرة في جوهرها في ميولهم وطموحاتهم ومصالحهم الذاتية. بخلاف الشريعة الإلهية، القائمة على الحكمة والعدل والرحمة، فإن الأنظمة التي وضعها البشر تُشكّلها رغبات واضعها. وغالباً ما تُصمم لخدمة مصالح فئة أو طبقة أو سلطة معينة، بدلاً من إعلاء شأن الحقيقة والإنصاف العالميين. وغالباً ما يكون الأغنياء والأقوياء الأكثر رسوخاً في هذه العقلية. فهم يدركون أن قبول حقيقة الإسلام يتطلب منهم الخضوع لإطار أخلاقي أسمى، إطار يضع قيوداً على سعيهم وراء رغباتهم الجامحة. وهذا الخضوع من شأنه أن يحد من استغلالهم للآخرين، وإفراطهم في الانغماس، وإساءة استخدامهم للسلطة. وخوفاً من فقدان نفوذهم وامتيازاتهم، فإنهم لا يرفضون الحقيقة فحسب، بل يشجعون الآخرين بنشاط على اتباع نهجهم. وبذلك، يحاولون الحفاظ على مكانتهم الدنيوية، حتى على حساب سلامتهم الأبدية - هذا النمط ليس جديداً. تاريخياً، كان أول من عارض الأنبياء عليهم السلام غالباً نخب المجتمع - أولئك الذين خشوا أن يؤدي اعتناق الهداية الإلهية إلى تفويض قوتهم وكشف مظالمهم. لم يكن رفضهم بسبب نقص الأدلة. أو الوضوح فيما يتعلق بحقيقة الرسالة، لأن آيات الله تعالى كانت واضحة أمامهم في كل من الكتاب والخلق، بل إن معارضتهم نابعة من الغطرسة والكبرياء والرغبة في الاستمرار في العيش وفقاً لأهوائهم. وبالتالي نادراً ما يكون رفض الهداية الإلهية نزاعاً فكرياً حول الحق أو الباطل. بدلاً من ذلك، غالباً ما يكون مسألة قلبية - رفضاً لكبح جماح المرء لرغباته والخضوع لسلطة الخالق. إن القلب البشري، عندما يُستعبد للكبرياء والعاطفة، يُعمي نفسه عن الحقيقة حتى عندما تكون واضحة لا يمكن إنكارها. لهذا السبب، يربط القرآن الكريم مراراً الكفر ليس بالجهل فحسب، بل بالغرور وفساد النفس. لذا، فالدرس خالد: إن من يتخلون عن

الشرعية الإلهية ويتبعون -أنظمة من صنع البشر لا يفعلون ذلك لإخفاء الحقيقة، بل لعدم استعدادهم للتضحية بشهواتهم في سبيل الطاعة). سورة الفرقان، الآية 31)

"وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين "

علاوة على ذلك، عندما يختار المرء مسارًا مختلفًا عن مسار أقرانه، فإنه غالبًا ما يثير لدى الآخرين شعورًا بالنقص تجاه خياراتهم الخاصة، لا سيما عندما تكون هذه الخيارات نابعة من السعي وراء رغبات شخصية لا من طاعة الله تعالى. وكثيرًا ما يتجلى هذا الشعور بعدم الارتياح في انتقادات موجهة إلى الثبات على إيمانهم، وقد تأتي هذه الانتقادات حتى من داخل الأسرة

إضافةً إلى ذلك، تُثقل ضغوط المجتمع الأوسع كاهل المُتمسكين بالقيم الإسلامية. فكثيرًا ما تُمجّد وسائل التواصل الاجتماعي، وصيحات الموضة، والأعراف الثقافية، الترف والمادية -والتعبير عن الذات دون قيود في ظلّ هذه البيئة، غالبًا ما يُنظر إلى الترويج للإسلام على أنه عائق أمام الطموحات الدنيوية، وخاصةً الطموحات نحو الثروة والشهرة والمكانة الاجتماعية. ومن الطبيعي أن تُقاوم الصناعات التي ينتقدها الإسلام سواءً لإفراطها أو استغلالها أو انحلالها الأخلاقي - تطبيق المبادئ الإسلامية. فهي تُثني المسلمين عن - العمل بإيمانهم، وتُوجِّج بذلك المشاعر المعادية للإسلام السائدة في مختلف منصات التأثير الحديثة

إن من يسعون جاهدين للعيش وفق تعاليم الإسلام، التي تدعو إلى الاعتدال في الشهوات والتمتع بالنعم بمسؤولية، كثيرًا ما يُقابلون بالعداء من الأفراد الذين ينغمسون في الإفراط. هؤلاء الأفراد يتصرفون وفقًا لدوافعهم دون رادع، وهو سلوك يشبهه الإسلام بغرائز الحيوانات. إنهم لا يصرون على تدليل أنفسهم فحسب بل يحاولون أيضاً ثني الآخرين عن اعتناق الإسلام أو ثني المسلمين عن ممارسة عقيدتهم. هدفهم هو استدراج الآخرين إلى نمط حياة تحدده الشهوات الجامحة والغفلة عن المحاسبة. وفي مساعيهم، كثيرًا ما يستهدفون جوانب محددة من الإسلام، مثل قواعد اللباس المفروضة على النساء، بهدف تقويض جاذبيته. ومع ذلك، يمكن للأفراد ذوي البصيرة أن يتبينوا بسهولة سطحية هذه الانتقادات. فهذه الاعتراضات لا تستند إلى تحليل

منطقي، بل إلى ازدراء لتأكيد الإسلام على -الانضباط الذاتي وضبط النفس .إن تناقض حججهم واضح :فهم يعترضون على قواعد اللباس الإسلامية، بينما يلتزمون الصمت حيال قواعد اللباس الصارمة المفروضة في مهن أخرى محترمة، مثل إنفاذ القانون، والجيش، والرعاية الصحية، والتعليم، والأعمال التجارية .يكشف هذا النقد الانتقائي عن هشاشة منطقهم ونقص عمقه .في نهاية المطاف، فإن مبادئ الإسلام ذاتها - دعوته إلى الانضباط والاعتدال والمساءلة - هي التي تثير مثل هذه الهجمات .ويقف السلوك المنضبط لأتباعه شاهداً ،حيثاً على تجاوزات أولئك الذين يرفضون الهداية الإلهية .ونظراً لعدم قدرتهم على مواجهة قوة هذه المبادئ يلجأ النقاد إلى تقويض الإسلام بأي طريقة ممكنة .ومع ذلك، فإن انتقاداتهم، عند فحصها عن كثب، تكشف عن مخاوفهم ومقاومتهم لضبط النفس أكثر مما تكشف عن الإيمان الذي يعارضونه .سورة الفرقان، الآية 31:

"وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين "

في كل ظرف، يجب على المرء أن يظل ملتزماً التزاماً راسخاً بطاعة الله تعالى .هذا التفاني هو أساس السكينة الحقيقي، إذ يقي القلب من تأثيرات الآخرين السلبية، حتى وإن لم تكن هذه الحماية ظاهرة للعيان .إن الإخلاص لله تعالى يضمن للإنسان حسن استغلال النعم الممنوحة له، وتوجيه كل هبة إلى غايتها الصحيحة .هذا السلوك يُنمّي توازناً متناغماً بين العقل والجسد، مما يُمكن المرء من تنظيم جميع جوانب الحياة - سواء أكانت عائلية أم عملية أم اجتماعية - بما يتوافق مع التوجيه الإلهي .وفي الوقت نفسه، يُهيئهم للحساب النهائي يوم القيامة ونتيجة لذلك، يُعزز هذا النهج من السكينة في الدنيا والآخرة .يُهدى هؤلاء الأفراد إلى الحق في كل موقف .يواجهونه، سواء في الرخاء أو الشدة، وتزداد راحتهم النفسية، ويضمن لهم ثواب لا ينضب في الدنيا والآخرة .سورة الفرقان، الآية 31

"وكفى بربك هادياً ونصيراً ..."

في المقابل، فإن من يتجاهلون أوامر الله تعالى سعيًا وراء رضا الآخرين يفقدون طمأنينتهم الداخلية حتمًا. تدفعهم أفعالهم إلى إساءة استخدام النعم التي وهبت لهم، وهذا الإساءة تُفضي إلى اضطراب وفوضى في حالتهم النفسية والروحية والجسدية. إنهم يُسيئون ترتيب أولوياتهم، ويُسيئون إدارة علاقاتهم، ويفشلون في الاستعداد للمحاسبة أمام الله تعالى. هذا الإهمال يجلب التوتر والمشقة والاضطراب في كلا العالمين، بغض النظر عن الرفاهية المادية التي قد يتمتعون بها مؤقتًا. لا يمكن لثروتهم أو مكانتهم أو نفوذهم أن يحميهم من الفراغ الذي ينشأ عن التخلي عن الهداية الإلهية. حتى أكثر الحياة الدنيوية حسدًا تصبح جوفاء عندما لا تركز على طاعة الله تعالى.

للحفاظ على ثبات العزيمة، لا بد من بناء إيمان قوي لا يتزعزع. هذا الإيمان هو المرساة التي تُبقي الإنسان مُخلصًا لله تعالى في كل أحواله، سواء في السراء والضراء. تُنمّي هذه القوة الإيمانية بفهم وتطبيق الآيات والتعاليم الواضحة في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. تُثبت هذه التعاليم أن الطاعة الصادقة لله تعالى هي مصدر الطمأنينة في الدنيا والآخرة. في المقابل، يمتلك من يجهل مبادئ الإسلام إيمانًا هشًا، يهتز بسهولة عندما تتعارض رغباته الشخصية مع التوجيه الإلهي. هذا الجهل يُشوّش فهمه ويمنعه من إدراك أن إطاعة رغباته لأوامر الله تعالى هي السبيل الوحيد للسلام الدائم. لذلك، من الضروري لكل فرد، أن يُعزز إيمانه بالسعي وراء المعرفة وتطبيقها عمليًا. وبذلك، يضمنون طاعة الله تعالى في كل حين مستخدمين نعمه وفق تعاليمه. هذا النهج يُعزز حالةً نفسيةً وجسديةً متوازنة، ويُمكنهم من تحديد أولوياتهم في جميع جوانب حياتهم على الوجه الصحيح، ويضمن لهم السكينة في الدنيا والفلاح الأبدي في الآخرة. والفرق شاسع بين الطريقين. أحدهما يؤدي إلى الانسجام والوضوح والثواب الأبدي، بينما يؤدي الآخر إلى الحيرة والاختلال والندم الأبدي. لذا يختار العاقل الطاعة، مُدركًا أن كل نعمة أمانة من الله تعالى، وأن السلام الحقيقي يكمن في انسجام الحياة مع أوامره.

كما ذكرنا سابقًا، استخدم زعماء غير -المسلمين في مكة أساليب عديدة لردع الآخرين عن اعتناق الإسلام، مدفوعين بخوفهم من فقدان نفوذهم الاجتماعي وقيادتهم. ومن بين هذه الأساليب محاولة تشويه سمعة الطريقة، التي نزل بها القرآن الكريم. وتساءلوا ساخرين عن سبب عدم نزول الوحي كاملاً دفعةً واحدة. (سورة الفرقان، الآية 32).

"ويقول الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة"

كان هذا الاعتراض نابعاً من الكبر والجهل، إذ إن نزول القرآن الكريم تدريجياً كان في حد ذاته دليلاً على حكمة إلهية. نزل القرآن الكريم على مراحل ليسهل الانتقال من الكفر إلى الإيمان الراسخ ويزيد من ديمومته. لو نزلت جميع الأوامر والنواهي والهدى دفعة واحدة، لكان تطبيقها دفعة واحدة أمراً شاقاً وصعباً على الناس. لكن الله تعالى اختار أسلوباً يُغذي النمو التدريجي، مما يسمح للإيمان بأن يترسخ ويتعزز مع مرور الوقت. يمكن فهم هذا المبدأ من خلال تشبيهه دنيوي: فكما يزيد الأطباء جرعة الدواء الموصوف تدريجياً ليتمكن المرضى من تحمل العلاج بشكل أفضل، أنزل الله تعالى هدايته على أجزاء لتستوعبها القلوب وتتدبرها وتعمل. (سورة الفرقان، الآية 32) . بها بثبات

"كذلك لنثبت به فؤادك وفرقنا به فرقانا"

تُبرز هذه الآية أن غاية الوحي التدريجي هي تقوية قلوب المؤمنين، وتمكينهم من الثبات في مواجهة المحن والمعارضة وتحديات إصلاح حياتهم. وبشكل أعم، يُظهر هذا المبدأ أن الله تعالى لا يتوقع من الناس أن يتحولوا إلى قديسين بين عشية وضحاها، بل يتوقع منهم أن يجتهدوا باستمرار، ويتعلموا التعاليم الإسلامية، ويعملوا بها خطوة بخطوة، حتى يتطوروا إلى أفراد أقوياء وراسخين، يستخدمون نعمهم استخداماً صحيحاً كما هو موضح في التوجيه الإلهي. تعكس هذه العملية التقدم والنمو والإخلاص. ومع ذلك، من المهم بنفس القدر ملاحظة أن الوحي التدريجي لم يكن يهدف أبداً إلى تبرير الركود أو الرضا عن النفس. من يدعي التحسن دون إجراء تغييرات عملية قد اتخذ -موقفاً كسولاً ومخادعاً للذات. هذا السلوك يتناقض مع الهدف الأساسي من نزول القرآن الكريم على مراحل، لأن طبيعته التدريجية تعكس مساراً للتقدم المستمر، وليست عذراً للتأخير. إن حكمة الله تعالى تكمن في أن كل مرحلة من مراحل الوحي وُضعت للعمل بها قبل أن تأتي التي تليها، مما يُرسي أسس الطاعة والانضباط. وبالمثل، يُتوقع من كل إنسان أن يعمل بما لديه من معرفة. قبل أن يسعى للمزيد. إن تأجيل العمل انتظاراً لمزيد من الفهم هو إساءة استخدام المنهج الإلهي للنمو التدريجي، فالتقدم الحقيقي لا يُقاس بكمية المعرفة التي يكتسبها المرء، بل بكمية المعرفة التي يُترجمها إلى عمل. وهكذا، يُعلّمنا الوحي التدريجي للقرآن الكريم أن التطور الروحي رحلة تقدم مطرد. فكل خطوة إلى الأمام، مهما كانت صغيرة، لها معناها عندما تكون صادقة ومتسقة. أما الركود، مع ادعاء السير على طريق التحسين، فهو خداع للنفس ومخالفة لروح الوحي. من يحتضن التقدم المطرد يجد قلبه قوياً، وشخصيته هزيلة، وطاقته

رسوخًا. ومن يختبئ وراء أعذار "التغيير التدريجي" دون بذل أي جهد حقيقي، سيظل محرومًا من الرحمة التي أرادها الله تعالى من خلال هذه الطريقة.

رغم محاولات قادة غير -المسلمين في مكة المتكررة لثني الآخرين عن اعتناق الإسلام، خوفًا من فقدان نفوذهم الاجتماعي وقيادتهم، لم يتمكنوا من التغلب على قوة الوحي الإلهي. وحججهم، وإن كانت تُطرح: سورة الفرقان، الآية 33. بغطرسة وإصرار، كانت تُفند باستمرار بحقيقة القرآن الكريم

"وَمَا يَأْتُونَكَ بِحَجٍّ إِلَّا جَاءَكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا"

، تُسلط هذه الآية الضوء على مبدأ أزلي: كل اعتراض يُثار على الهداية الإلهية يُواجه بردّ ليس فقط صحيحًا بل أسمى حكمًا ووضوحًا وعمقًا. فالقرآن الكريم لا يُسكت الباطل فحسب، بل يكشف ضعفه ويُقدّم بديلاً أفضل، مُتجذّرًا في العدل والرحمة والحقّ. ولذلك، لجأ مُعارضو الوحي الإلهي عبر التاريخ إلى العداء والعنف. وعجزوا عن إثبات تفوق أسلوب حياتهم بالعقل أو الدليل أو المعرفة، فلجأوا إلى القوة والترهيب لم يكن فشلهم فكريًا، بل أخلاقيًا، إذ لم يطبقوا الخضوع لسلطة عليا كشفت عيوب رغباتهم وطموحاتهم. ومهما بلغ مجتمع من تقدّم، ومهما اكتسب من معارف في مختلف المجالات - بما في ذلك الطب وعلم النفس وعلوم العقل والجسد - يبقى وضع قواعد سلوك تتماشى تمامًا مع الطبيعة البشرية، وقادرة على معالجة كلّ ظرفٍ وحالةٍ وسيناريو قد يواجهه الأفراد أو المجتمعات طوال وجودهم على الأرض، أمرًا يفوق طاقة البشر. هذا المسعى مستحيلٌ أساسًا، فالبشرية لا تزال تكتشف رؤى جديدة حتى في تركيبها الجسدي والنفسي، مثل وظائف مناطق الدماغ المختلفة. إذا لم يستطع البشر فهم أنفسهم تمامًا، فكيف يمكنهم ابتكار نظامٍ لا تشوبه شائبة يضمن العدالة والوئام والسلام للجميع؟ الله تعالى وحده هو القادر على توفير مثل هذه القواعد السلوكية فهو خالق كل شيء. علمه لا حدود له، يشمل الماضي والحاضر والمستقبل بأكمله. هو وحده المؤهل لتشريع الأمور للبشرية، ووضع معيارٍ يفصل بوضوح الخير عن الشر، والنافع عن الضار، ويهدي الناس إلى راحة البال بدلًا من حياةٍ يستهلكها التوتر والاختلال. والتاريخ نفسه يشهد على هذه الحقيقة. فكلما طبقت هذه القواعد السلوكية الإلهية بصدق في حياة الأفراد والمجتمعات، أثمرت الطمأنينة والعدل والسلام. ازدهرت المجتمعات التي اعتنقتها في عدل ورحمة واستقرار، بينما سقطت تلك التي تخلت عنها في الفساد والقمع والاضطراب. إن تحول المجتمع الإسلامي المبكر من مجتمع منقسم وقبلي إلى حضارة موحدة وعادلة هو أحد أوضح الأمثلة، على قوة الهداية الإلهية. على النقيض من ذلك، عانت المجتمعات التي رفضت الشريعة الإلهية أو أهملتها

على الرغم من تقدمها المادي، من عدم المساواة والانحلال الأخلاقي والاضطراب. وبالتالي، يجب على الأفراد اعتناق مدونة السلوك الإلهي التي أنعم الله بها عليهم، وإدراك أنها الأكثر فائدة لرفاههم -، حتى عندما تتعارض بعض عناصرها مع رغباتهم الشخصية. يدرك الحكماء أن الأوامر الإلهية ليست قيودًا تهدف إلى الانتقال، بل وصفات تهدف إلى الشفاء. إنهم يتصرفون كمريض يثق في نصيحة طبيب ماهر، ويقبلون حتى الدواء المر والأنظمة الصارمة لأنهم يعرفون أنها في النهاية لصالحهم. كذلك، قد تُثير طاعة الله تعالى أحيانًا شكوكًا، لكنها السبيل الوحيد الذي يضمن صحة النفس وطمأنينة القلب والنجاح الأبدي. في الواقع، يُظهر فشل -الأنظمة التي صنعها الإنسان عبر التاريخ - سواءً أكانت سياسية أم اقتصادية أم اجتماعية - أنه لا يمكن لأي جهد بشري أن يُغني عن الهداية الإلهية. فكل أيديولوجية تكشف في النهاية عن حدودها، لأنها مُقيدة برؤية مُحددة لواقعها. وحده شرع الله تعالى يتجاوز الزمان والمكان والظروف، مُقدمًا إطارًا أبديًا وعادلًا عالميًا.

ومع ذلك، ولأن اتباع قواعد السلوك الإلهي غالبًا ما يتعارض مع رغبات الناس الدنيوية، يُصرّ الكثيرون على التمسك -بأنظمة سلوكية وضعها البشر. في هذه الدنيا، يمنعهم هذا الموقف من تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة. ويدفعهم إلى إهمال أولوياتهم وسوء إدارة علاقاتهم، حتى يصبح كل شيء في حياتهم - العائلة والأصدقاء والعمل والثروة - مصدرًا للتوتر بدلًا من الراحة. وعندما يُصرّون على معصية الله تعالى، فإنهم يبدؤون حتمًا بإلقاء اللوم على الأسباب الخاطئة. وبدلًا من إدراك أن معصيتهم قد أدت إلى اختلال التوازن، والاضطراب، فإنهم يُوجّهون إحباطهم نحو الأشخاص أنفسهم الذين قد يكونون مصادر للخير في حياتهم مثل الزوج أو الأسرة. وبقطع هذه التأثيرات الجيدة، فإنهم يُعمّقون بؤسهم. -و غالبًا ما تؤدي هذه الدورة المُدمّرة للذات إلى مزيد من التدهور، مُتجلية في الاضطرابات النفسية والاكتئاب وإدمان المخدرات، وحتى الميول الانتحارية. وهذه النتيجة ليست نظرية، بل ملحوظة. يكفي أن ننظر إلى أولئك الذين يُصرّون على إساءة استخدام النعم المُنعم بها، كالأغنياء والمشاهير. فرغم تمتعهم بالرفاهية الدنيوية، غالبًا ما تشوب حياتهم عدم الاستقرار، وتصدّع العلاقات، والفراغ الداخلي. ثروتهم وشهرتهم لا تحميهم من عواقب تجاهل الهداية الإلهية، لأن إساءة استخدام النعم تُصبح أعباءً لا مصدرًا للطمأنينة. والأخطر من ذلك، أن إهمالهم في الدنيا يمنعهم من الاستعداد للحساب يوم القيامة. إن ما يعانونه من ضغوط واضطرابات مؤقتة في هذه الحياة لا (سورة الفرقان، الآية 34). يُقارن بالعقاب الذي ينتظرهم في الآخرة

«الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم أولئك شر مكانا وأضلّ طريقا»

ترسم هذه الآية صورةً جليةً للذل والخسارة الفادحة . أولئك الذين رفضوا الخضوع لله تعالى سيُحشرون في ذلٍّ، محرومين من الكرامة، ويُلقون في جهنم كشر الخلق . سيُنزع عنهم كبرياؤهم الدنيوي، وستشهد عليهم الشهوات التي سعوا إليها يومًا ما . الدرس واضح : إن المعصية لا تسلب الإنسان راحة البال في الدنيا فحسب بل تُنتهي خرابه في الآخرة أيضًا . تكمن الحكمة الحقيقية في إدراك أن الشهوات الدنيوية، إن لم تُكبح، لا تؤدي إلا إلى التوتر والاضطراب والندم . في المقابل، فإن طاعة الله تعالى تجلب السكينة في الدنيا والسلامة الأبدية في الآخرة .

ولتوضيح الفرق بين عاقبة من أطاع الله تعالى، ومن أصرَّ على معصيته، يذكر القرآن الكريم أحداث الماضي : سورة الفرقان، الآية 35 . كعبرٍ للبشرية

"ولقد آتينا موسى الكتاب "

يُنْكَر هذا المرجع البشرية بأن شريعة الله قد أنزلت دائمًا لهداية الناس، وأن عواقب الطاعة والمعصية قد تجلّت عبر التاريخ . وقد احتوى الوحي الذي أنزل على النبي موسى عليه السلام، كسائر الوحي الإلهي، على الشريعة والحكمة . الشريعة هي شريعة الله التي يُلزم الناس بالعيش بموجبها، ضامنين بذلك حسن استغلالهم للنعم الممنوحة لهم . وبالالتزام بها، يُؤدّي الأفراد حقوق الله تعالى وحقوق إخوانهم البشر . وهذا بدوره يضمن راحة البال للفرد وينشر العدل والوئام في المجتمع . ومع ذلك، فإن الحكمة لا تقل أهمية . فهي القوة التي تُعلّم الناس كيفية تطبيق معارفهم - كالشريعة - بما يعود بالنفع عليهم وعلى الآخرين في الدنيا والآخرة . فبدون الحكمة، قد يُساء تفسير الشريعة أو يُتحايل عليها، إذ قد يستغل الناس ثغراتها لظلم الآخرين، بينما يُظهرون "امتثالهم لها . بدون القانون، تصبح الحكمة وحدها ذاتية، إذ يُعرّف الناس حينها ما هو "صواب" و"استقامة" وفقًا لأهوائهم . هذه -القواعد السلوكية التي تُحددها الذات، كما ناقشنا سابقًا، لا يمكن أن تؤدي إلى راحة بال حقيقية، لأنها مُقيدة بالجهل البشري، وقلة البصيرة، والتحيزات المتأصلة، سواء أكانت مُتعمدة أم غير مُتعمدة . لذلك، لا غنى عن القانون والحكمة . فالقانون يُوفر إطار العدالة الإلهية، بينما تضمن الحكمة تطبيقها الصحيح، والمُفيد . معًا، يُنشئان مجتمعًا متوازنًا وعادلًا، مجتمعًا يُعزز السلام والإنصاف والمساءلة . فإذا غاب أي منهما نشأ اختلال التوازن : فالقانون بدون حكمة يصبح جامدًا وعرضة للإساءة، بينما تُصبح الحكمة بدون قانون

،تعسفية وغير مستقرة .الدرس خالد .فكما اختبر قوم النبي موسى عليه السلام في استجابتهم للوحي الإلهي كذلك تُختبر كل أمة في استعدادها لاحتضان شريعة الله وحكمته .وبهذا فقط يمكن للأفراد والمجتمعات تحقيق من خلال الحصول على حالة ذهنية وجسدية متوازنة ومن خلال ،الطمأنينة والعدالة والنجاح في كلا العالمين وضع كل شيء وكل شخص في حياتهم بشكل صحيح

كما يشير الجزء التالي من الآية ٣٥، فإن من مظاهر حسن الخلق الصحبة الصالحة .سورة الفرقان، الآية ٣٥:

"وجعل معه أخاه هارون مساعداً له"

الإنسان، بطبعه، كائن اجتماعي، تتأثر معتقداته وعاداته وطباعه تأثراً عميقاً بمن يخالطهم، سواءً أكان هذا التأثير نافعاً أم ضاراً .قد يظهر هذا التأثير فجأةً، أو قد يترسخ تدريجياً مع مرور الوقت، ولكنه دائماً ما يحدث تحولاً .لذا، فالصحبة ليست أمراً محايداً، بل هي قوة دافعة تُشكل قيم المرء ومشاعره ومصيره .وقد أكد النبي محمد صلى الله عليه وسلم هذه الحقيقة الكونية في حديثٍ واردٍ في سنن أبي داود، رقم 4833، يُبرز الأثر العميق للصحابة على روحه وأخلاقه .فالمرء لا محالة يتأثر بأراء من يخالطهم، ونظرتهم، وسلوكهم، كما يتأثر من يدخل محل العطور بريحها، ومن يزور الحداد بدخانها .ولذلك، فإن من يصحب الصالحين والمخلصين يجد قلبه يجذب فطرياً نحو الإخلاص والتواضع وطاعته لله تعالى .يُذكرهم أصحابهم بمسؤولياتهم، ويشجعونهم على حسن استخدام النعم المُنعم عليهم، ويلهمونهم للاستعداد لمساءلتهم يوم القيامة .في مثل هذه الصحبة، يرتفع قلب المرء، وتصفو نيته، ويصقل سلوكه .يتعلم التوازن - عقلياً وروحياً وجسدياً ويهتدون إلى حياة راضية وهادفة .على العكس من ذلك، فإن من يخالط الغافلين والضالين يبدأون حتماً في - محاكاة مواقفهم وسلوكياتهم .قد تبدأ العملية بشكل غير محسوس، ولكنها مع مرور الوقت تُضعف الوعي الروحي للمرء وتُضعف صلته بالله تعالى .يصبح هؤلاء الأفراد عرضة لاتباع أهوائهم، وإساءة استخدام النعم المُمنوحة لهم، وإهمال هدفهم الأسمى .هذا الفساد في الروح يُشوه إدراكهم للصواب والخطأ، مما يتسبب في سوء ترتيب أولوياتهم، وإساءة استخدام علاقاتهم، وفقدان الانسجام في حياتهم .عندما يستبدل الإنسان ذكر الله تعالى بالذات الزائلة والمثل العليا الضالة، يضطرب قلبه .ولا يسد أي قدر من الراحة المادية الفراغ الناتج عن الإهمال الروحي .ومع أنه قد يبدو ناجحاً أو راضياً ظاهرياً، إلا أنه يعاني في باطنه من القلق وعدم الاستقرار وعدم الرضا .فتتوتر علاقاته، وتضطرب عقوله، وتثقل قلبه بالذنب والندم .وهكذا، تمتد عواقب

سوء الصحبة إلى ما هو أبعد من هذا العالم، فتؤدي إلى الحيرة واليأس في هذه الحياة، وإلى الخراب الروحي في الآخرة. في المقابل، تغذي الصحبة الصالحة السلام الداخلي، وتقوي الإيمان، وتُعد المرء للنجاح الأبدي ولذلك، ينتقي الإنسان الحكيم دائماً صداقاته، ويسعى إلى صحبة من يذكره بالله تعالى، ومن تحفزه شخصيته على السير في طريق الحق والفضيلة.

وبما أن قواعد السلوك الإلهي غالباً ما تتعارض مع رغبات الناس الدنيوية، فإنها تُقاوم بشكل خاص من قبل الأغنياء والنخبة، لأنهم في وضع أقوى لمتابعة طموحاتهم والانغماس في رغباتهم دون رادع. ثروتهم ونفوذهم يوفران لهم الوسائل لمعارضة التوجيه الإلهي، ولذلك يستخدمون مواردهم الدنيوية لمقاومته. وبذلك، فإنهم يستمرون في إساءة استخدام النعم التي مُنحت لهم، ويعاملونها كأدوات لإشباع رغباتهم -بدلاً من ودائع من الله تعالى يجب استخدامها بمسؤولية. والنتيجة الحتمية لهذا الإساءة هي اختلال التوازن. تصبح حالتهم النفسية والجسدية مضطربة، وأولوياتهم في غير محلها، وعلاقاتهم مع الناس والممتلكات مضطربة. وبدلاً من إيجاد السلام، يعانون من التوتر والاضطراب، لأنهم يفشلون في الاستعداد بشكل كافٍ لحسابهم أمام الله تعالى يوم القيامة. حتى وإن تمتعوا ببعض الرفاهية الدنيوية، فإنها لا تحجب عنهم الفراغ الداخلي، ولا تمنع عنهم: سورة الفرقان، الآية 36. المصاعب والمتاعب الناجمة عن العيش في خلاف مع الهداية الإلهية

"وقلنا اذهبوا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميراً"

الدرس خالد: من يُصرّ على معارضة الحق، معتمداً على ماله أو نفوذه أو نفوذه، سيُلاقي الهلاك في النهاية. ثروتهم الدنيوية لا تحميهم من العدالة الإلهية، ولا تُعوّضهم رفايتهم عن فقدانهم السلام في الدنيا والعقاب الذي ينتظرهم في الآخرة). سورة الفرقان، الآيات 37-39)

وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم وجعلناهم للناس آية وأعتدنا للظالمين عذاباً أليماً وعاداً وثمود وأصحاب "الحوض وقروناً كثيرة بينهم ولكل ضربنا الأمثال وكل أهلنا التهلكة

وهكذا، فإنّ مثال الأمم السابقة يُمثّل عبرةً لكلّ من سلك هذا الدرب . إنّ رفض الهداية الإلهية ليس كفرًا فحسب، بل هو إساءةٌ في استخدام النعم، وإفسادٌ للأولويات، ورفضٌ للخضوع لسلطان الخالق . وهذا الموقف يقود حتمًا إلى الهلاك، باطنياً في الدنيا وظاهرياً في الآخرة . لذا يُدرك الحكماء أنّ النجاح الحقيقي لا يكمن في مقاومة القانون الإلهي، بل في اعتناقه، واستخدام النعم في طاعة الله تعالى، والاستعداد ليوم محاسبة كلّ نفس) .سورة الفرقان، الآية 40)

"...ولقد أتوا على القرية التي كانت تمطر مطر السوء أفلم يروا "

هذه الآية تذكيرٌ صارخٌ بعدم الوقوع في -نمط حياةٍ مُنغمسٍ في الذات، حيث يقتصر اهتمام المرء على الظروف الشخصية متجاهلاً الحقائق الكبرى المحيطة به . هذه النظرة الضيقة تُعمي القلب عن إدراك الحكمة التي يمكن استخلاصها من التاريخ، ومن التجارب الشخصية، ومن تجارب الآخرين . عندما يعجز المرء عن التفكير فيما يتجاوز همومه المباشرة، فإنه يحرم نفسه من الدروس التي تُصقل شخصيته، وتمنع تكرار الأخطاء، وتهديه إلى سلامٍ داخليٍّ دائم . يُمكن التأمل الحقيقي الفرد من تحقيق حالةٍ ذهنيةٍ وجسديةٍ متوازنةٍ لأنه يُعلّمه أن يُقيّم كل شيءٍ وكل شخصٍ في حياته بشكلٍ صحيحٍ وفقاً لقيّمته الحقيقية . على سبيل المثال، فإن ملاحظة كيف يُسيء الأثرياء والمشاهير استخدام النعم التي مُنحت لهم - ليُصابوا بالقلق والاكتئاب والإدمان أو حتى بالانتحار رغم ما لديهم من راحة - تُثبت أن السكينة الحقيقية لا تُشتري بالثروة، ولا يُمكن ضمانها بالسعي وراء الرغبات الجامحة . إن سقوطهم شهادة حية على أن النعم، إن أسيء استخدامها، تصبح أعباءً لا مصدرًا للسلام . وبالمثل، فإن مشاهدة معاناة المصابين بالمرض ينبغي أن تُلهم قلوب الأصحاء الامتنان ينبغي أن يحفزهم هذا التأمل على استخدام صحتهم في طاعة الله تعالى قبل أن تزول، فالصحة من أضعف النعم وأكثرها زوالاً . إن تجاهل هذه الدروس هو إهدار لفرص النمو ومخاطرة بالوقوع في الغفلة . لذلك يحث الإسلام الناس على التفكير والتأمل، والنظر إلى ما وراء العدسة الضيقة لظروفهم الخاصة، واستخلاص الحكمة من العالم من حولهم . كل حدث، سواء أكان سعيدًا أم حزينًا، وكل حياة، سواء أكانت مزدهرة أم بائسة، تحتوي على دروس لمن يرغب في الرؤية . بالتأمل في هذه الحقائق، يقوي الإنسان إيمانه، ويهذب شخصيته، ويتعلم استخدام النعم بما يضمن السلام في الدنيا والنجاة في الآخرة . في الواقع، هذا النهج التأملي يحول التجارب العادية إلى مصادر للهداية . إن صعود الأمم وسقوطها، ونجاحات الأفراد وإخفاقاتهم، وحتى لحظات الحياة اليومية العابرة، كلها تُذكرنا بعواقب الطاعة والمعصية . من يغرس في نفسه هذه العادة من التأمل يعيش في صفاء وامتنان وعزيمة، بينما من ينشغل بنفسه -يتعثّر في الحياة عثرةً، ويكرر الأخطاء نفسها، ويفقد السكينة التي لا تأتي إلا بالطاعة الصادقة لله تعالى

ثم يُسلط الضوء على سبب رئيسي لتجاهل التوجيه الإلهي: عدم الإيمان بالحساب يوم القيامة، أو الاستعداد
:سورة الفرقان، الآية 40. له عملياً، حتى وإن ادعى الإيمان به لفظياً

"ولكنهم لا ينتظرون القيامة ..."

تكشف هذه الآية عن جذور الغفلة. فعندما لا يؤمن المرء إيماناً حقيقياً بمسؤوليته أو يستعد لها، يفقد القدرة
، على التعلم من الآخرين، سواءً من دمار الأمم السابقة أو من تجارب من حوله. وبدلاً من التفكير والإصلاح
تسيطر عليه شهوات الدنيا وطموحاتها. فلا تعود أفعاله موجهة بالاندفاع والانغماس، بل بالاندفاع والانغماس
ونتيجةً لذلك، يُصرّ على إساءة استخدام النعم التي وُهِبَتْ له، فيبيد ثروته وصحته ووقته وعلاقاته في
مساعي لا تجلب له نفعاً دائماً ولا سلاماً داخلياً. ويؤدي هذا الإساءة حتماً إلى اختلال التوازن: فتضطرب
حالته النفسية والجسدية، وتُضع أولوياته في غير محلها، ويفشل في تنظيم حياته بما يُفي بمسؤولياته. فالعائلة
والأصدقاء والعمل والممتلكات - بدلاً من أن تكون مصادر انسجام - تُصبح مصادر توتر وصراع. وحتى
لو تمتّع هؤلاء الأفراد ببعض الرفاهيات الدنيوية، فإنها لا تحميهم من اضطرابهم الداخلي. إن إهمالهم للمساءلة
يجعلهم غير مستعدين ليوم القيامة، حيث تُسأل كل نعمة ويوزن كل عمل. إن الضغوط والمتاعب والصعوبات
التي يواجهونها في هذه الدنيا ليست سوى انعكاس للخسارة الأكبر التي تنتظرهم في الآخرة. علاوة على
ذلك، فإن موقفهم يمنعهم من الوفاء بحقوق الآخرين. عندما يعيش الشخص دون وعي بالمساءلة، فإنه لا مفر
من ظلم من حوله - سواء من خلال الإهمال أو الاستغلال أو الظلم. يساهم هذا الفشل في انتشار الفساد داخل
المجتمع، لأنه عندما يتخلى الأفراد عن المسؤولية، يبدأ النسيج الجماعي للعدالة والرحمة في التفكك. وبالتالي
، فإن إنكار أو إهمال القيامة ليس مجرد خطأ لاهوتي؛ إنه فشل أخلاقي واجتماعي. إنه يعمي القلب عن الدروس
ويستعبد الروح للشهوة، ويفسد الفرد والمجتمع. في المقابل، يُدب الإيمان الحقيقي بالمحاسبة النفس، ويُلهم
شكر النعم، ويحفّز على أداء الحقوق، مما يُفضي إلى السلام في الدنيا والنجاة في الآخرة، من خلال تحقيق
حالة نفسية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء وكل شخص في مكانه الصحيح في الحياة، وإرساء
العدل والسلام في المجتمع). سورة الفرقان، الآية 40)

"ولكنهم لا ينتظرون القيامة..."

إن إنكار حقيقة البعث يوم القيامة ادعاءً غير معقول وغير منطقي، فعلامات البعث تحيط بنا في كل لحظة من لحظات الحياة. يُظهر الله تعالى في خلقه أمثلة لا تُحصى للموت الذي يليه التجديد، مُذكِّراً إياهم دائماً بقدرته العليا على إعادة الحياة إلى ما كان ميتاً. تأمل كيف يُحيي المطر أرضاً قاحلة. ما كان قاحلاً وجافاً - يُصبح خصباً ومثمراً، مُنبِثاً النباتات والخضرة. البذرة المدفونة تحت الأرض - التي تبدو ميتة ومنسية تنشط، لتخرج كشكل حي يُغذي الكائنات الحية الأخرى. إذا كان الله تعالى قادراً على إحياء بذرة مدفونة في التربة، فكيف لا يُحيي الإنسان الذي وُضع فيها أيضاً؟ يُقدم دوران الفصول علامةً أخرى على البعث. في الشتاء، تبدو الأشجار خالية من الحياة، مجردة من أوراقها وجمالها. ومع ذلك، عندما يحل الربيع، تعود إلى حيويتها - مُزهرة من جديد، مُكتسبةً بالنضارة واللون. وبالمثل، تتجدد الحياة باستمرار داخل جسم الإنسان، الخلايا تموت وتُستبدل، والجلد يتجدد، والأعضاء تُرمم. في كل لحظة، تتكشف دورة من الموت والبعث، مُعلنةً بصمت حقيقة البعث. حتى الانتقال اليومي بين النوم واليقظة يُذكرنا بهذه الحقيقة. النوم أشبه بالموت ففيه تُقهر الحواس وتُسحب الروح جزئياً. ومع ذلك، في كل صباح، يُعيد الله تعالى الروح إلى الجسد لمن لم: سورة الزمر، الآية 42. يحن أجله بعد

الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى "أجل مسمى إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون"

هذه الآيات المتكررة تثبت أن البعث ليس ممكناً فحسب، بل حتمياً. بل هو ضرورة، لأن العدل يقتضيه فالكون قائم على نظام وتوازن تامين. تدور الأرض على بُعدٍ دقيقٍ من الشمس، لا قريباً جداً ولا بعيداً جداً. وتعمل دورة الماء بدقة فائقة، وتُخلق التربة طريةً بما يكفي لنموّ البراعم الطرية، وصلبةً بما يكفي لحمل هياكل ضخمة. في كل ركنٍ من أركان الوجود، يسود التوازن والانسجام. ومع ذلك، يبدو هذا التوازن مختلفاً في حياة الإنسان. فكثيرٌ ممن يرتكبون الظلم أو الظلم يفلتون من المحاسبة الدنيوية، بينما غالباً ما يُكابد من يعيش حياةً صالحةً المشقة. ومن يسعى في طاعة الله تعالى، يواجه أحياناً صعوبةً، بينما قد ينعم من يتحداه بالراحة والسكينة. وكما يحكم التوازن العالم الطبيعي، فلا بد أن يحكم أعمال البشر أيضاً. وبما أن هذا التوازن لا يتحقق تماماً في الدنيا، فلا بد أن يتحقق حتماً في الآخرة - يوم القيامة. قد يختار الله تعالى أن يُجزئ الجزاء كاملاً في هذه الحياة، لكن حكمته اللامتناهية تُملي ضبط النفس. يُمنح المخطئ مهلة للتوبة والإصلاح، بينما

يُختبر الصالحون ويُطهرون، لأن هذه الدنيا الفانية ليست دار جزاء أبدي. لا معنى للإيمان إلا بالإيمان بالغيب؛ فلو أن كل فضيلة أو معصية تُكافأ أو تُعاقب فوراً، لفقد الإيمان قيمته. وهكذا، فإن الوعد بالثواب الأبدي والتحذير من العقاب الأبدي دافعان أساسيان، يُبعدان الناس عن الخطأ ويُلهمانهم نحو الخير. ولكي تتم هذه المحاسبات، لا بد أن يبلغ العالم المادي نهايته. فعندما تُكمل جميع أعمال البشر، يُعلن الحساب كاملاً. لذا، فإن نهاية هذه الدنيا حتمية، وهي مقدمة ضرورية للحياة الأبدية التي تليها. إن تأمل هذه الآيات يُعزز الإيمان بحقيقة القيامة ويوم القيامة، ويُشجع الإنسان على العيش الهادف، مُستخدماً النعم التي وُهِبت له بما يُرضي الله تعالى، كما ورد في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. وبذلك، ينال الإنسان راحة البال والوئام في العالمين، محققاً التوازن في قلبه وجسده، ومنظماً جميع جوانب حياته تنظيمًا سليماً: سورة الجاثية، الآية ٢٢

"وخلق الله السموات والأرض لحكمة، لتُجزى كل نفس ما اكتسبت، وهم لا يُظلمون"

كما ذكر سابقاً، استخدم زعماء غير -المسلمين في مكة أساليب عديدة لثني الناس عن اعتناق الإسلام، بدافع خوفهم من فقدان نفوذهم الاجتماعي وقيادتهم. ومن بين هذه الأساليب الاستهزاء العلني بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم، في محاولة لتشويه سمعته وتحذير الآخرين من اتباعه. سورة الفرقان، الآية 41

"وإذا رأوك إن يتخذوك إلا هزوا أهذا الذي بعث الله رسولا"

لم يكن سخريتهم مبنياً على منطق أو دليل، بل على غرور وكبرياء. سعوا إلى التقليل من شأن النبي محمد صلى الله عليه وسلم، بالإشارة إلى أحواله الظاهرة - يتمه، وقلة ماله، وعيشته المتواضعة. لكن في الحقيقة كانت هذه الأحوال نفسها شاهداً على صدق رسالته، إذ لم يكن نفوذه وقوته من قوت الدنيا، بل من عون إلهي ورغم فقره، كان النبي محمد صلى الله عليه وسلم ينحدر من أشرف قبيلة في الجزيرة العربية، قريش، ولذلك كان نسبه -يحظى بالاحترام. والأهم من ذلك، أن حتى أشرس خصومه لم يستطيعوا إنكار شخصيته المعصومة قبل ظهور الإسلام، كان معروفاً عالمياً بأنه أمين وصادق. كانت أمانته ونزاهته وسلوكه النبيل جلية لدرجة

أن من سخروا منه كانوا قد عهدوا إليه ذات يوم بأثمن ممتلكاتهم .لذلك، رفض سخريتهم كل من تحلى بالعقل السليم والإخلاص .أدرك من تأمل بإنصاف أن السخرية تكتيك يائس، لا دحضًا للحق .وقد أثبت التاريخ أنه .عندما يعجز معارضو الهداية الإلهية عن مواجهتها بالعقل أو الدليل، يلجأون إلى السخرية والقذف والهزاء ومع ذلك، فإن هذه الأساليب لا تكشف إلا عن ضعف موقفهم وقوة رسالتهم التي يسعون إلى تقويضها .والدرس واضح :أن السخرية من أنبياء الله عليهم السلام كانت دائمًا سلاحًا للمستكبرين، لكنها لم تنتقص قط من حقيقة رسالتهم، بل أبرزت نبل أخلاقهم وعبث حجج خصومهم .يدرك أصحاب البصيرة أن السخرية ليست دليل قوة، بل دليل ضعف، وأن مقياس النبي عليه السلام الحقيقي لا يكمن في الثروة أو الجاه الدنيوي، بل في صفاء (سورة الفرقان، الآية 41) .أخلاقه وصدق رسالته

"وإذا رأوك إن يتخذوك إلا هزوا فهذا الذي بعث الله رسولا"

يدعو الإسلام الناس إلى ضبط شهواتهم الدنيوية، وتوجيهها في حدود الله تعالى .هذه الدعوة إلى ضبط النفس تثير حتمًا انتقادات ممن لا هدف لهم في الحياة سوى إشباع شهواتهم بلا حدود .بالنسبة لهؤلاء، تكشف تعاليم الإسلام عن الطبيعة الحيوانية لسلوكهم، وتكشف عن وهم الرقي الذي يغطون به انغماسهم .علاوة على ذلك تزدهر شركات وصناعات بأكملها على الانغماس الجامح في الشهوات البشرية .سواء في مجال الترفيه أو الموضة أو غيرهما من القطاعات التي تستفيد من البذخ، تعتبر هذه الصناعات التعاليم الإسلامية عقبة أمام مصالحها .وبالتالي، فإنها تحارب الإسلام، وتشجع الناس على التخلي عن مبادئه أو إهمالها، لأن طاعة الله تعالى تهدد أساس ربحهم .في مواجهة هذا النقد والمعارضة، يُؤمر أتباع الإسلام بالثبات على طاعة الله تعالى .فهو وحده من يوفر الطمأنينة والحماية من آثار الناس السلبية، حتى وإن لم تكن هذه الحماية ظاهرة للعيان .من ثابر على الطاعة، مستخدمًا النعم التي وُهِبَتْ له وفقًا للهداية الإلهية، سيحقق حالةً نفسيةً وجسديةً متوازنة سيُقيّم كل شيء وكل شخص في حياته على الوجه الصحيح، ضامنًا أن تكون الأسرة والمال والعلاقات مصادر انسجام لا مصدرَ توتر .هذا الثبات يُفضي إلى راحة البال في الدنيا والآخرة .على النقيض من ذلك، من يسعى لإرضاء المجتمع وهو يعصي الله تعالى، لن يجني شيئًا .مثل هذا الشخص لن يكون بمنأى عن العقاب الإلهي، ولن يُرضي المجتمع حقًا، فالناس والتوجهات الدنيوية - سواءً في وسائل التواصل الاجتماعي أو الموضة أو الثقافة - متقلبة بطبيعتها .ما يُمدح اليوم يُدان غدًا، وما هو رائج الآن يُهمل في الآخرة .إن السعي وراء استحسان هذا المعيار المتغير هو حكمٌ على النفس بعدم الرضا الدائم .لذا، فالدرس واضح :لا سبيل إلى السلام والاستقرار الدائمين في السعي وراء استحسان الدنيا، بل في طاعة الله تعالى .إن الذين يركزون على هدايته سوف يجدون الطمأنينة في الدنيا والسلامة الأبدية في الآخرة، في حين أن أولئك الذين يتخلون عنه سوف يظلون قلقين وغير راضين، وفي النهاية سوف يتحملون مسؤولية إهمالهم

زعماء غير -المسلمين في مكة شعوبهم على التمسك بممارساتهم القديمة في عبادة الأصنام. لم يكن إصرارهم نابعاً من قناعة راسخة بأن عبادة الأصنام تمثل الحقيقة أو الفضيلة، بل لأنها أتاحت لهم حرية وضع قواعد سلوكهم الخاصة - قواعد تناسب رغباتهم وطموحاتهم. فبتمسكهم بالأصنام، استطاعوا الحفاظ على مظهر: سورة الفرقان، الآية 42. التدين، متجنبيين الانضباط والضبط اللذين يفرضهما الشرع الإلهي

"لقد كاد أن يضلنا عن آلهتنا لولا أننا صبرنا عليها "

يكشف هذا البيان عن دوافعهم الحقيقية. لم يخشوا أن تثبت كذب أصنامهم - فهم يعلمون جيداً أن التماثيل الجامدة لا تنطق ولا تهدي - بل أن رسالة الإسلام ستحرمهم من حرية إشباع شهواتهم دون رادع. كانت أصنامهم رموزاً نفعية، تمنحهم شرعية اجتماعية دون أن يطلبوا شيئاً في المقابل. في الواقع، لم يكن ما يُسمى بثباتهم ولاءً للحق، بل عناداً في الحفاظ على نمط حياة قائم على الانغماس في الملذات. يُبرز القرآن الكريم نمطاً مشابهاً في قصة قوم النبي موسى عليه السلام. عندما هاجر لتلقي الوحي، صنعوا من حليهم: عجلًا وعبدوه. سورة الأعراف، الآية 148

واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلًا صورة له خوار أو لم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلاً " "اتخذوه وكانوا ظالمين

هنا أيضًا، لجأ الناس إلى صنم، ليس لأنه يُهديهم، بل لأنه لا يُطالبهم بشيء. لم يكن العجل ليأمرهم أو ينهاهم - أو يُحاسبهم. كان شيئاً ميتاً، ومع ذلك كان غطاءً مناسباً لشهواتهم. بعبادته، كانوا في الواقع يعبدون أنفسهم: شهواتهم، ونفاد صبرهم، ورفضهم الخضوع للسلطة الإلهية. سورة الفرقان، الآية 43

"...أرأيت من اتخذ إلهه هواه؟ "

وهكذا، فإن جوهر جميع أشكال عبادة الأصنام وقواعد -السلوك البشري واحد :إشباع الرغبات الشخصية تحت ستار الفضيلة .سواء من خلال التماثيل أو التقاليد الثقافية أو الفلسفات التي يصنعها الإنسان بنفسه، يخدع الناس أنفسهم والآخرين ويظنون أنهم ملتزمون بمعيار أخلاقي أسمى .لكنهم في الواقع، يطاردون شهواتهم كالحيوانات التي تدفعها الغريزة لا العقل .الدرس خالد .فعندما تُرفض التوجيهات الإلهية، لا يكون ذلك لعدم وضوح الحقيقة، بل لأن القلب يقاوم الكبح .عبادة الأصنام - سواء في شكلها القديم من التماثيل الحجرية أو في أشكالها الحديثة من الثروة والشهرة والاتجاهات الثقافية - تخدم دائمًا الغرض نفسه :إضفاء الشرعية على الانغماس مع تجنب المساءلة .ومع ذلك، فإن هذه البدائل لا يمكن أن توفر راحة البال أو العدالة، لأنها متجذرة في الواقع، هذه التأثيرات لا تؤدي إلا إلى إساءة استخدام الشخص للنعم التي مُنحت .في الرغبة لا في الحقيقة له .ونتيجةً لذلك، يُصابون بحالة نفسية وجسدية غير متوازنة، فيُسيئون توزيع كل شيء وكل شخص في حياتهم .ويُهملون الاستعداد السليم للحساب أمام الله تعالى يوم القيامة .وهذا الانحراف يُفضي حتمًا إلى الضيق، والمشقة والاضطراب في الدنيا والآخرة، حتى وإن ظهروا في بعض ملذات الدنيا ورفاهيتها) .سورة الفرقان (الآية 42).

"فسيعلمون حين يروا العذاب من أضل سبيلاً..."

من الضروري أن نفهم أن الآلهة الزائفة لا تقتصر على الأصنام الحجرية أو الخشبية .في الواقع، كل ما يُجسّد طاعة الإنسان وإخلاصه في معصية الله تعالى، يُصبح عبادة .وهذا يشمل التأثيرات الحديثة، مثل وسائل التواصل الاجتماعي، والثقافة الشعبية، والثروة، والسلطة، والموضة، والشخصيات المؤثرة، وحتى رغبات المرء .عندما يُقدّم الإنسان هذه الأمور على أوامر الله تعالى، فإنه يُحوّلها في الواقع إلى معبودات، حتى لو لم يسجد لها جسديًا .سورة الفرقان، الآية 43

"...أرأيت من اتخذ إلهه هواه"

سورة التوبة الآية 31:

"...اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله"

لا تشير هذه الآية إلى أن هؤلاء الأفراد سجدوا حرفياً لعلمائهم ورهبانهم، بل تُبرز أنهم أطاعوهم حتى عندما تعارضت أحكامهم وأراؤهم مع أوامر الله تعالى. هذه الطاعة، النابعة من تعظيم في غير محله وولاءٍ أعمى، اعتُبرت عبادةً لأنها تضمنت تفضيلاً للسلطة البشرية على الحقيقة الإلهية. وينطبق المبدأ نفسه على الشيطان. سورة يس، الآية 60:

أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ

- قليلون هم من يعلنون ولاءهم للشيطان جهاراً، ومع ذلك يتبعه كثيرون دون علم، مستسلمين لوسوساته غروراً وجشعاً وخداً وسلوكاً لا أخلاقياً. لا تقتصر العبادة الحقة على أعمال الإخلاص الظاهرية؛ بل تُعرف بما يوجه المرء طاعته ومحبته وولائه. من يُشكّل أفكار شخص ويحكم سلوكه في تحدٍّ لله تعالى، يُصبح من يخدمه حقاً. عندما يُعرض الأفراد عن عبودية الله تعالى، فإنهم لا ينالون الحرية؛ بل يقعون في شكل آخر من أشكال العبودية. يصبحون عبيداً لقوى دنيوية كالثروة والرأي العام والمكانة الاجتماعية أو رغباتهم الخاصة. هذه العبودية الزائفة تولّد فوضى داخلية. فكما لا يستطيع أي عامل إرضاء عدة أسياد يصدرون أوامر متعارضة، لا يمكن لأحد أن يحقق السلام وهو يحاول إرضاء سلطات دنيوية متعددة. مثل هذا الشخص، يتميزق باستمرار بين الولاءات المتضاربة، مما يؤدي إلى الإرهاق والقلق والفراغ الروحي. مع مرور الوقت - يتكشف هذا الاضطراب على شكل اكتئاب ووحدة وعدم رضا. حتى أولئك الذين يبدون ناجحين ظاهرياً

شخصيات مرموقة، مؤثرين، أو أثرياء - غالبًا ما يجدون حياتهم جوفاء وخالية من الفرح الدائم. تُثبت معاناتهم أن النجاح المادي والتقدير لا يمكنهما ملء الفراغ الذي يتركه الإهمال الروحي. في النهاية، سيتخلى هؤلاء الأسياد المزيفون - سواء كانوا بشرًا أو أيديولوجيات أو رغبات - عن من خدموهم. يوم القيامة، لن يملكوا سلطة الشفاعة أو تقديم المساعدة، لأن الملك كله لله تعالى وحده. يُوضح القرآن الكريم أن كل نفس ستقف وحدها بين يديه، وعندما تنكشف الحقيقة، يتلاشى كل وهم تعلق دنيوي، ولا يتبقى سوى حقيقة الأعمال وعدل الله تعالى.

لذا، فإن طريق السلام والنجاح يكمن في طاعة الله تعالى وحدها. فهو وحده المستحق للعبادة لأنه وحده يرزق الخلق ويرزقهم ويهديهم إلى ما فيه منفعة لهم. والحرية الحقيقية لا تكمن في اتباع الشهوات، بل في موافقتها مع الحكمة الإلهية. ويتحقق ذلك باستخدام النعم - المال والوقت والعقل والقدرات - وفقًا للهداية التي كشف عنها القرآن الكريم وأحاديث النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم. عندما يستسلم المرء لله تعالى وحده فإنه يتحرر من طغيان أسياد الدنيا ويستعيد التوازن في جميع جوانب الحياة. يجد قلبه السلام، ويصبح هدفه واضحًا، وتكتسب أفعاله معنى. على النقيض من ذلك، فإن أولئك الذين يطيعون غير الله تعالى يظلون في صراع دائم - يسعون وراء الرضا الذي يفلت منهم إلى الأبد. إن السكينة الحقيقية في الدنيا والآخرة لا تكون إلا لمن وجه طاعته ومحبته وولائه بالكامل إلى الله تعالى.

:سورة الفرقان، الآية 43

"...أرأيت من اتخذ إلهه هواه"

تُحدد هذه الآية أحد أخطر الأمراض الروحية: تأليه الشهوة. فعندما يُعطي المرء من شأن شهواته إلى مصاف السلطة المطلقة، فإنه يُعبد شهواته. فلا يعود هذا الشخص خاضعًا للعقل أو الضمير أو الوحي، بل يُصبح عبدًا، لنزواته التي تُملي عليه سلوكه. يكشف القرآن الكريم هنا حقيقة أن الشهوة الجامحة ليست مجرد ضعف بل هي شكل من أشكال عبادة الأصنام. فكما -ينحني عابدو الأصنام أمام تماثيل هامة، ينحني من يستسلمون

لشهوواتهم أمام شهواتهم. فقراراتهم وألوياتهم وأفعالهم لا تُحكم بالتوجيه الإلهي، بل بالسعي وراء الإشباع، ويمكن مقارنة هذه الحالة بمحنة مدمن المخدرات. فالإدمان يُجرد الإنسان من ضبط نفسه، ويُشوّه حكمه ويُجبره على سلوك مُدمر. وفي سبيل ذلك، قد يرتكب السرقة أو غيرها من الأفعال الخاطئة، غافلاً عن الضرر الذي يلحقه بنفسه وبالآخرين. فيصبح إدمانهم سيدهم، ويصبحون عبيداً له. الرغبات الدنيوية، عندما تُترك دون رادع، تعمل بنفس الطريقة. يمكن أن يشتد السعي وراء الثروة أو المكانة أو المتعة حتى يصبح إدماناً يحكم سلوك الشخص. في هذه المرحلة، لم يعد لديهم رغباتهم؛ بل تمتلكها رغباتهم. قد يضحون بالعائلة والصحة والأخلاق سعياً وراء رضا زائل، ليجدوا أنفسهم قلقين وغير راضين ومثقلين بالذنب. عواقب هذا الاستعباد وخيمة. روحياً، يعمي القلب عن إدراك الحقيقة. أخلاقياً، يؤدي إلى الظلم، حيث يعطي الشخص الأولوية لرغباته على حقوق الآخرين. جسدياً وعقلياً، ينتج عنه اختلال التوازن، لأن السعي المستمر للتدليل يستنزف الجسم ويزعزع العقل. اجتماعياً، ينشر الفساد، حيث تتحدر المجتمعات التي شكلتها الرغبة الجامحة إلى الاستغلال وعدم المساواة والانحلال. لذلك يؤكد الإسلام على ضرورة ضبط الرغبات. الرغبات في حد ذاتها ليست شريرة بطبيعتها؛ إنها جزء من الطبيعة البشرية، وعند السعي إليها باعتدال وشرع، يمكن أن تكون مصدر بركة. على سبيل المثال، يمكن أن تحفز الرغبة في الثروة العمل الجاد، ولكن فقط عندما يقيد بها الصدق والكرم. يمكن أن تؤدي الرغبة في الرفقة إلى حياة عائلية، ولكن فقط عندما تسترشد بالمسؤولية، والاحترام. عندما تُسعى الرغبات ضمن حدود الله تعالى، فإنها ترفع الإنسان؛ وعندما تُسعى إليها دون قيود، فإنها تحطه إلى مستوى الحيوانات. سورة الفرقان، الآية 44

تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً أم

لذا، فالحرية الحقيقية ليست القدرة على إشباع كل نزوة، بل القدرة على كبح جماح الشهوات وتوجيهها في حدود الشريعة الإلهية. وبذلك، يصون الإنسان كرامته، ويحفظ صحته، ويضمن استخدام نعمه فيما يحقق السلام في الدنيا والنجاة في الآخرة.

يُذَكِّر الله تعالى النبي الكريم محمداً صلى الله عليه وسلم بأن رسالته لم تكن إكراه الناس على الإيمان، بل تبليغ الرسالة بوضوح، وتقديم قدوة حسنة للبشرية. كانت مسؤوليته شرح تعاليم الإسلام، وتجسيدها في سلوكه (سورة الفرقان). وترك خيار القبول أو الرفض للناس أنفسهم. فلو سُمح بالإكراه، لبطلت غاية الحياة كاختبار (الآية 43).

"إن هل ستكون مسؤولاً عنه؟ ..."

:الغاشية 88 الآيات 21-22 وسورة

"فذكر إنما أنت مذكر، لست عليهم بمسيطر"

تُرسى هذه الآيات مبدأً خالداً: الهداية لا تُفرض على أحد. من يطلب الهداية بصدق هو من يقبلها، فقلوبه مفتوحة على الحق وعقوله راضية. هؤلاء يُدركون أن الله تعالى لا يُكلف نفساً ما لا تستطيع القيام به، ولا يضعها في مأزق لا تستطيع تجاوزه. يُدركون أن السلام في الدنيا والآخرة يتطلب ثمناً: كبح جماح شهوات الدنيا. يُدركون أن الاستسلام لكل رغبة لا يُحقق رضا دائم، بل يؤدي إلى القلق وعدم التوازن. تتجلى هذه الحقيقة عندما يُراقب المرء حياة الأثرياء والمشاهير. فرغم وفرة مُتاعهم، غالباً ما يظنون قلقين، غير مُرضين وغير راضين. تُثبت تجاربهم أن الراحة المادية لا تُغني عن السكينة الروحية. على النقيض من ذلك، فإن من يُضبط شهواته ويعيش ضمن حدود الله تعالى، يُحقق التوازن في حالته النفسية والجسدية، ويُحسن وضع كل شيء وكل شخص في حياته، ويضمن راحة البال في الدنيا والآخرة. وهكذا، كانت مهمة النبي محمد صلى الله عليه وسلم هي إنارة الطريق، لا جرّ الناس إليه. مسؤولية السير في هذا الطريق تقع على عاتق كل فرد. من سلكه بإخلاص وجد الهداية، ومن أعرض عنه لم يضر إلا نفسه.

من أهم أسباب الضلال، الذي يدفع الناس إلى إضاعة النعم التي وُهِبَت لهم، التقليد الأعمى لرأي العامة والأغلبية. هذا التقليد يُنزل بالأفراد إلى مستوى الأنعام، فيساقون بسهولة إلى رعي النخبة التي لا هدف لها. (سورة الفرقان، الآية 44). سوى تحقيق رغباتها وطموحاتها الدنيوية.

تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا أم

تُسَلِّط هذه الآية الضوء على خطر التقليد الجاهل. فعندما يرى الناس أن غالبية المجتمع تتجاهل التوجيه الإلهي، قد يفترضون أن سلوك الأغلبية صحيح، فيتبعونها دون تفكير. ومع ذلك، فإن رأي الأغلبية لا يتوافق دائماً مع الحقيقة. يُقدِّم التاريخ أمثلة لا تُحصى على -معتقدات شائعة ثبت بطلانها لاحقاً، مثل الاعتقاد السائد، سابقاً بأن الأرض مسطحة. إن اعتناق الكثيرين لرأي ما لا يجعله صحيحاً؛ فالحق يُحدَّد بالدليل والعقل والوحي، لا بالأرقام. سورة الأنعام، الآية ١١٦:

وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يظنون

توضح هذه الآية أن الأغلبية غالباً ما تتبع الظنون والتخمينات والعادات الثقافية بدلاً من المعرفة واليقين. إن اتباعها دون وعي يُعرّضها للوقوع في الخطأ في أمور الدنيا والديانة. بدلاً من ذلك، يُؤمر الأفراد باستخدام المنطق والعقل اللذين أنعم الله عليهما بهما. يجب عليهم تقييم كل ظرف بناءً على المعرفة والدليل والهداية الإلهية، حتى لو قادهم ذلك إلى استنتاجات تخالف الآراء السائدة لدى الأغلبية. الكرامة الحقيقية تكمن في التأمل المستقل المسترشد بالوحي، لا في تسليم العقل للجماعة. لذلك، ينتقد الإسلام بشدة التقليد الأعمى في الأمور الدينية. فهو لا يدعو الناس إلى اتباع التقاليد أو القادة دون فهم، بل إلى التعلم والتأمل والعمل بالتعاليم الإلهية ببصيرة. يضمن هذا النهج أن تكون الطاعة صادقة، وقائمة على الفناعة، ومرنة في مواجهة الضغوط. سورة يوسف، الآية 108. المجتمعية:

"...قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني"

الدرس خالد: الأغلبية ليست دائماً على حق، والحقيقة لا تُحدد بالشعبية. من يقلد الآخرين دون وعي يُخاطر بإساءة استخدام نعمهم، وتضييع أولوياتهم، والمساهمة في انتشار الفساد. أما من يستخدم عقله، مُسترشداً بالوحي، فيضمن راحة البال، ويؤدّي واجباته، ويثبت على الصراط المستقيم، حتى لو كان أقلية.

ثم يدعو الله تعالى الناس إلى التفكير في خلق السماوات والأرض، ليدركوا وحدانيته، وقدرته المطلقة، وأنه وحده المستحق للطاعة في كل وقت. سورة الفرقان، الآيات 45-47:

،ألم تر إلى ربك كيف مّد الظل ولو شاء لجعله ساكناً، ثم جعلنا الشمس عليه دلالة، ثم أخذناها قبضاً يسيراً"
"...وهو الذي جعل لكم الليل لباساً ونوماً، سباتاً"

،تُلقت هذه الآيات الانتباه إلى آيات الحكمة الإلهية الدقيقة والعميقة التي تُحيط بالبشرية يومياً. إن امتداد الظلال وشروق الشمس وغروبها، وتعاقب الليل والنهار ليست أحداثاً عشوائية، بل هي أنظمة مُحكمة تُحافظ على الحياة. والتوازن بين النور والظلام ليس ضرورةً مادية فحسب، بل هو أيضاً تذكيرٌ روحيّ بقدرته الله تعالى ورحمته. إن التنظيم المُحكم للنهار والليل، وتفاوت أطوالهما على مدار العام، يُتيح للناس الاستفادة القصوى منهما. فإذا طالت الأيام، أنهك الناس من العمل المُطول والتعرض للعوامل الجوية. وإذا طالت الليالي، لم يجد الناس الوقت الكافي لكسب رزقهم، وطلب العلم، والانخراط في أنشطة نافعة. وإذا قصرت الليالي، حُرِم الناس من الراحة الكافية، مما يؤدي إلى تدهور الصحة واختلال التوازن. علاوةً على ذلك، فإن أي خلل في هذا التوازن سيؤثر على الزراعة، مما يُعيق توفير الغذاء للإنسان والحيوان. لذا، فإن تعاقب الليل والنهار رحمةٌ، صُممت لتوفير الراحة والتجدد والإنتاجية على النحو الواجب. إنه يضمن للبشر قضاء حاجاتهم الدنيوية مع تخصيص وقت للعبادة والتأمل. إن انسجام هذا النظام دليلٌ جليّ على حكمة الخالق الذي صوّر الكون بتناسقٍ تام. علاوةً على ذلك، فإن التناسق التام لهذه الأنظمة يُشير بشكلٍ قاطعٍ إلى وحدانية الله تعالى. لو كان هناك آلهة متعددة، لكلٍ منها إرادةٌ ورغبةٌ مستقلتان، لانحدر الكون إلى الفوضى، إذ لا يمكن للإرادات المتضاربة أن تُنتج مثل هذا النظام المتكامل. لذا، فإن استقرار الخلق دليلٌ حيّ على وجود خالقٍ واحد، ورازقٍ واحد، ومشرّعٍ واحد. سورة الأنبياء، الآية 22

"وَلَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا"

لا تُظهر آيات الخلق وحدانية الله تعالى وقدرته فحسب، بل تُعدُّ دورة النوم واليقظة اليومية بحد ذاتها تذكيرًا
:سورة الفرقان، الآية 47. عميقًا بالبعث

"ونام راحة وجعل النهار قيامة..."

النوم حالةٌ تُشبه الموت إلى حدٍّ كبير. فيه، تُفهر الحواس، ويُعلَق الوعي، وتُسحب الروح جزئيًا من الجسد
فَيُصبح الإنسان عاجزًا، عاجزًا عن الفعل أو حماية نفسه، معتمدًا كليًا على رحمة الله تعالى. ومع ذلك، في
كل صباح، يُعيد الله الروح إلى الجسد لمن لم يحن أجله بعد، مانحًا إياهم فرصةً أخرى للحياة والعمل
:والاستعداد للحساب الأخير. سورة الزمر، الآية 42

الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى
"أجل مسمى إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون"

هنا، يُقارن القرآن الكريم مباشرةً بين النوم والموت. فكما أن الله تعالى يقبض الروح نهائيًا عند الموت، فإنه
يقبضها مؤقتًا أثناء النوم، ولا يعيدها إلا إذا قدر الله لها الحياة. وهذه الدورة اليومية دليل حي على البعث: فإذا
كان الله قادرًا على قبض الروح وإعادتها كل ليلة وصباح، فلا بد أنه قادر على بعث جميع الأرواح يوم
القيامة. الدرس عميق. فكل ليلة تذكير بالفناء، وكل صباح تذكير بالبعث. وكل صحوّة فرصة متجددة لتصحيح
المسار، واستغلال النعم على الوجه الأمثل، والاستعداد ليوم لا تُرد فيه الروح إلا بعد بعثها للحساب. من
يتأمل هذه الحقيقة يعيش بتواضع وامتنان وعزيمة، مُدركًا أن الحياة هشّة وأن كل يوم هبة. علاوة على ذلك
تُظهر هذه الدورة رحمة الله تعالى. فالنوم راحة وتجدد للجسد والعقل، بينما اليقظة فرصة للعمل والعبادة

والسعي وراء الرزق. يضمن تعاقب هذه الأحوال توازن الحياة البشرية، كما يضمن تعاقب الليل والنهار توازن العالم الطبيعي. كلتا الدورتين - الكونية والشخصية - دليلان على حقيقة واحدة: أن الله تعالى يُدبّر الأمور بحكمة ودقة، وأن البعث ليس ممكناً فحسب، بل حتمي. وهكذا، فإن دورة النوم واليقظة ليست مجرد ضرورة بيولوجية، بل هي دلالة روحية. إنها بروفة يومية للموت والبعث، وتذكير بأن الحياة فانية، وأن الحساب النهائي لا ريب فيه. من يصغي إلى هذا التذكير يعيش بوعي وشكر واستعداد، بينما من يتجاهله يُبدد أيامه في غفلة، ليستيقظ على حقيقة البعث بعد فوات الأوان.

الرياح من أوضح آيات الحكمة الإلهية، فدورها في استمرار الحياة على الأرض لا غنى عنه. فهي ضرورية لتلقيح الرياح، مما يُمكن المحاصيل والنباتات والأشجار من التكاثر، مما يضمن استمرار إمدادات الغذاء للإنسان والحيوان. لولا هذه العملية، لانهارت الزراعة، وانتشر الجوع في جميع أنحاء الأرض. في العصور السابقة، كانت الرياح أيضاً الوسيلة الأساسية للسفر البحري، حاملةً السفن عبر المحيطات الشاسعة. وحتى اليوم، لا يزال النقل البحري هو الوسيلة الرئيسية لنقل البضائع عبر العالم، ولا تزال الرياح تؤدي دورها في تنظيم البحار والسماء. كما أنها حاملة السحب الممطرة، ناقلةً إياها إلى مواقع محددة حيث تشتد الحاجة إلى الماء. لولا هذه الحركة، لظلت بعض المناطق قاحلة بينما غرقت مناطق أخرى بسبب غزارة الرياح. لذا فإن توازن الرياح رحمة: فقلة الرياح تؤدي إلى الركود والفوضى، بينما تؤدي الرياح الشديدة إلى الدمار. (سورة الفرقان، الآية 48). والفوضى

"وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته"

دورة الماء بحد ذاتها معجزة في التوازن والدقة. يتبخر الماء من البحار، ويرتفع إلى الغلاف الجوي، ويتكثف متحولاً إلى مطر. في حالته الطبيعية، يكون ماء المطر حمضياً، ولكن عندما ينزل على الجبال، تُعادل المعادن الموجودة فيه حموضته، مما يجعله صالحاً للاستخدام البشري والحيواني. إذا اختل هذا التوازن الدقيق، ستكون النتيجة كارثية على الحياة على الأرض. المحيطات نفسها مصممة بشكل مثالي. يمنع الملح الموجود فيها تحلل الكائنات الميتة من تلويث المياه. وبدون ذلك، ستصبح المحيطات ملوثة، مما يجعل الحياة البحرية مستحيلة وينشر الشوائب على اليابسة. علاوة على ذلك، فإن تركيب الماء يسمح للحياة البحرية بالازدهار، فيه وللأسف الثقيلة بالإبحار عليه. لو تغيرت خصائصه ولو قليلاً، لما أمكن وجود سوى إحدى هاتين الوظيفتين وليس كليتهما. ومع ذلك، وبفضل حكمة إلهية، يتعايش كلاهما في وئام، مما يضمن بقاء النظم البيئية البحرية

واستمرار التجارة العالمية في الواقع، حتى في العصر الحديث، لا يزال النقل البحري هو الوسيلة الأكثر استخداماً لنقل البضائع حول العالم. المطر بحد ذاته متوازن تماماً. قلة المطر تؤدي إلى الجفاف والمجاعة. بينما غزارة المطر تؤدي إلى الفيضانات والدمار. لذا، فإن التنظيم الدقيق لهطول الأمطار ضروري للحياة: سورة الفرقان، الآية 48

"وأنزلنا من السماء ماءً طهوراً ..."

الدرس واضح: الرياح والبحار والأمطار ودورة المياه بأكملها ليست ظواهر عشوائية، بل هي آياتٌ لخالقٍ أوجد التوازن والانسجام في كل شيء. هذه الأنظمة تُديم الحياة، وتوفر سبل العيش، وتحافظ على النظام في الأرض. أيُّ تغيير في توازنها سيُفضي إلى الفوضى، ومع ذلك فإنَّ تنظيمها المُحكم يشهد على وحدانية الله تعالى وقدرته ورحمته. سورة الفرقان، الآية 49)

لنحيي به بلدا ميتا ونسقيه من خلقنا أنعاما كثيرا وأناسا كثيرا

ليس فقط دورة الماء المُحكمة دليلاً واضحاً على وحدانية الله تعالى وقدرته، بل إن المطر الذي يُحيي الأرض القاحلة دليلٌ مُلفتٌ على البعث. سورة الفرقان، الآية 49)

"لنحيي به بلدا ميتا "

تلقت هذه الآية الانتباه إلى حقيقة يشهدها كل جيل: الأرض التي تبدو هامدة وجافة وغير قادرة على النمو تتحول فجأة إلى حديقة مزدهرة عندما يلمسها المطر. تنبت المحاصيل وتزهر الأشجار وتخرج الحياة مما بدا ميتًا تمامًا. هذا التحول ليس رحمة بالرزق فحسب، بل هو أيضًا مثل لحقيقة البعث الأكبر. فكما أن الماء يحيي البذرة الميتة المدفونة في التربة، كذلك سيُعاد الإنسان، بمجرد دفنه في الأرض، إلى الحياة بأمر الله تعالى. لذا فإن إحياء الغطاء النباتي بعد هطول الأمطار هو تذكير يومي بأن البعث ليس ممكنًا فحسب، بل لا مفر منه. نفس الخالق الذي يُخرج الحياة من بذرة هامدة سيخرج الحياة من القبور يوم القيامة. الدرس عميق المطر ليس مجرد ضرورة مادية بل علامة روحية. يُظهر هذا أن الحياة والموت بيد الله تعالى، وأنه كما يُحيي الأرض، يُحيي الأرواح للحساب. من تأمل هذه الآية عاش بوعي وامتنان واستعداد، مُدركًا أن عودته إلى الحياة بعد الموت حتمية كعودة الخضرة بعد المطر. وهكذا، فإن دورة الماء ليست مجرد نظام رزق، بل هي أيضًا تذكير دائم بالقدرة الإلهية والرحمة ويقين البعث. كل قطرة مطر نعمة رزق وعلامة تأمل، تدعو الناس إلى الاستعداد ليوم بعثهم من الأرض.

سورة الفرقان، الآية ٤٩. يُذَكِّرُ اللهُ تعالى الناس بتواضعهم، تذكيرًا يمنعهم من الاستكبار عليه:

"وسقينا من خلقنا من أنعام ونفس كثيرا..."

بوضعه الإنسان مع الحيوان في هذه الآية، يُبرز الله تعالى اعتمادهما على الرزق نفسه. فكما لا تنجو الحيوانات بدون ماء، فكذلك الإنسان. يُزيل هذا التذكير وهم الاكتفاء الذاتي -والغرور الدنيوي، مُظهرًا أن حتى أقوى الناس يعتمدون على الرحمة الإلهية كأبسط المخلوقات. ينبغي أن يُنمّي هذا التأمل التواضع، فالكبرياء يتنافى مع حقيقة ضعف الإنسان وتبعيته. التواضع هو مدخل الهداية، فهو يشجع الإنسان على قبول حقيقة الوحي الإلهي، حتى لو تعارضت مع رغباته الشخصية أو مع الأعراف الاجتماعية السائدة. فبدون التواضع، يقسو القلب، رافضًا الحقيقة غرورًا. أما بالتواضع، فيصبح القلب مُتقبلًا، مُدركًا أن الحكمة الحقيقية لا تكمن في أهواء البشر، بل في هداية الله تعالى. كما يُغذي التواضع الامتنان لنعم الله الكثيرة التي لا تُحصى، والتي يُنعم بها الله تعالى باستمرار. والشكر في أصدق صورهِ يشمل النية والقول والعمل. في النية، يعني توجيه جميع الأعمال لمرضاة الله تعالى دون طلب جزاء دنيوي. وفي القول، يعني النطق بالخير والنفع والصدق فقط، أو الصمت عما يضر. وفي العمل، يعني استخدام النعم الممنوحة - من مال وصحة ووقت وعلم ونفوذ - فيما يرضي الله تعالى، كما بينه القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. وعندما يُعَبَّرُ عن الشكر

بهذه الطريقة الشاملة، يصبح سبباً لجلب المزيد من النعم، فقد وعد الله تعالى بزيادة نعم الشاكرين . علاوة على ذلك، يؤدي الشكر إلى راحة البال، لأنه يحول التركيز من النقص إلى ما أنعم به . كما أنه يجلب النجاح في الدنيا والآخرة، إذ يحقق الشاكر التوازن في حالته النفسية والجسدية، ويضع كل شيء وكل شخص في حياته على الوجه الصحيح وفقاً للهداية الإلهية .سورة إبراهيم، الآية 7

لئن شكرتم لأزيدنكم

الدرس واضح :التواضع والشكر صفتان متلازمتان .التواضع يمنع الغرور والتمرد، بينما يضمن الشكر حسن استغلال النعم .وهما معاً أساس حياة تُعاش في انسجام مع المشيئة الإلهية، مما يؤدي إلى الطمأنينة في الدنيا والنجاح الأبدي في الآخرة .ولكن بما أن شكر الله تعالى غالباً ما يتعارض مع رغبات الناس الدنيوية فإن كثيراً منهم يُصرّ على جحوده بإساءة استغلال النعم التي أنعم بها عليهم .سورة الفرقان، الآيتان 49-50:

"وسقينا من خلقنا من أنعام وأنسٍ كثيراً .ولقد قسمناه بينهم لعلمهم يتذكرون فأبى أكثر الناس إلا كفورا ..."

في هذه الدنيا، يحرمهم جحودهم لله تعالى من حالة ذهنية ونفسية وجسدية متوازنة .فعندما يُسيء المرء استخدام النعم التي وُهِبَتْ له باستمرار، يفقد صوابه ويبدأ في إهمال كل شيء وكل شخص في حياته .فالنعم التي كانت تُجلب له الراحة - كالعائلة والأصدقاء والعمل والثروة - تتحول تدريجياً إلى مصادر للتوتر والقلق، والسخط .ينبع هذا الخلل الداخلي من عدم إدراكهم أن السلام والنظام لا يتحققان إلا بطاعة الله تعالى والاستخدام الصحيح لنعمه وفقاً للهداية الإلهية .ومع إصرارهم على المعصية، يبدأون في اعتبار ظروفهم الخارجية سبباً لضيقهم بدلاً من الاعتراف بفساد قلوبهم وأفعالهم .وفي هذا الوهم، قد يبدأون في إلقاء اللوم على من يُدخلون الخير في حياتهم - كالزوج أو الوالدين أو الأصدقاء المقربين - معتقدين أن إزالة هذه النعم ستخفف عنهم أعباءهم .ومع ذلك، بقطعهم علاقاتهم مع هؤلاء الأصحاب المخلصين، فإنهم يُعمّقون عزلتهم، وحيرتهم .غالباً ما يدفعهم هذا الاغتراب المُفرط إلى سلوكيات أكثر تدميراً، كالانغماس في ملذات الآثام

وإدمان المخدرات، أو الهروب من الواقع عبر الماديات والترفيه. مع مرور الوقت، قد يدفعهم جحودهم الجامح وفوضاهم الداخلية إلى اليأس والاكتئاب، بل وحتى إلى أفكار انتحارية. تتجلى هذه النتيجة المأساوية جلياً عندما نلاحظ أولئك الذين يُصرّون على إساءة استخدام نعم الله تعالى - مثل كثيرين من الأغنياء والمشاهير. فرغم نجاحهم الظاهري ورفاهيتهم الدنيوية، غالباً ما تشوب حياتهم القلق والإدمان وتصدّع العلاقات والفراغ الروحي. يُمثّل مثالهم تذكيراً واضحاً بأن الوفرة المادية لا تُعوّض عن فقدان السلام الداخلي أو الرضا الروحي. فالسكينة الحقيقية لا تكمن في الممتلكات أو المكانة الاجتماعية، بل في الامتنان والاعتدال وطاعته. علاوة على ذلك، فإن عواقب هذا الموقف الجاحد والمتمرد لا تنتهي في هذه الدنيا. بسيطرته على الهداية الإلهية، يفشلون في الاستعداد للحساب النهائي يوم القيامة. وسيؤدي غفلتهم إلى عذاب أشد وأبقى في الآخرة، عذاب لا يعكس فقط عصيانهم، بل أيضاً رفضهم المستمر للرحمة الإلهية والهداية.

على الرغم من جحود الناس المستمر، فقد وهب الله تعالى للبشرية، برحمته اللامتناهية، شريعة سلوك عالمية خالدة. هذه الشريعة خالدة، إذ تعالج فطرة الإنسان الخالدة، وتقدم حلاً عملياً لكل مشكلة قد يواجهها الفرد والمجتمع. هذه الشريعة، المحفوظة في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، نزلت لينعم الأفراد براحة البال من خلال تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، وترتيب كل شيء وكل شخص في حياتهم. على نحو سليم. على الصعيد المجتمعي، تضمن هذه الشريعة العدالة والوئام بإلزامها بأداء حقوق الآخرين إن عالمية هذه الشريعة وديمومة هاتين الشريعتين ألغتا ضرورة إرسال الأنبياء عليهم السلام باستمرار إلى كل أمة. ففي العصور السابقة، عندما أرسل الأنبياء عليهم السلام إلى شعوب محددة، أدى رفضهم إلى هلاك تلك الأمم، إذ كان تحديهم إنكاراً صريحاً لوجود نبي صلى الله عليه وسلم بينهم. سورة الفرقان، الآية 51

"وَلَوْ نَشَاءُ لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا"

بل فضل الله تعالى أن يرحم البشرية رحمةً أوسع. فبوضعه شريعةً خالدةً خالدةً، ألغى الحاجة إلى تعاقب الأنبياء عليهم السلام، مانحاً الناس فرصاً أكبر للتوبة والإصلاح. إن مخالفة تعاليم الإسلام أو تجاهلها أمرٌ خطيرٌ بالفعل، ولكنه أخف وطأةً من الرفض العلني للنبي حيّ عليه السلام، يقف أمام الناس ممثلاً مباشراً للسلطة الإلهية. وهكذا، بسط الله تعالى رحمته، مانحاً الناس فرصاً أكبر للعودة إليه دون عواقب الهلاك الفوري الذي حل بالأمم السابقة. والدرس عميق. فالقرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم لا يقتصران على زمان أو مكان أو شعب معين، بل هما إطارٌ شاملٌ للبشرية جمعاء إلى يوم القيامة. وبالاتزام

بهذه الشريعة الإلهية، يطمئن الأفراد، وتحقق المجتمعات العدل والوئام، وتتجو البشرية جمعاء من دوامة الرفض والهلاك المتكررة التي اتسمت بها المجتمعات السابقة

مهما بلغ تقدم أي مجتمع فكرياً أو تقنياً، ومهما تعمق في استكشاف عوالم المعرفة - سواءً في، بشكل عام العلوم أو علم النفس أو الفلسفة أو الطب - يبقى من المستحيل تمامًا على البشرية ابتكار نظام أخلاقي متكامل وخالٍ من العيوب، يتمشى تمامًا مع الطبيعة البشرية، ويعالج كل حالة وظرف وتحدي يواجهه الأفراد، والمجتمعات عبر التاريخ. فالفهم البشري محدود ومتغير باستمرار؛ ويواصل الناس اكتشافاتهم حول وجودهم مثل آليات الدماغ البشري المعقدة وتعقيد العواطف. وعندما يظل الفهم الكامل لجسد الإنسان بعيد المنال، فمن غير المعقول أن يتمكن البشر من بناء إطار أخلاقي واجتماعي متكامل قادر على تحقيق سلام ووئام وعدالة وحده الله تعالى يملك الحكمة اللامحدودة والمعرفة المطلقة اللازمة لتوفير أسلوب حياة شامل وخالٍ. دائمة من العيوب. وبصفته خالق كل ما هو موجود، فهو ملّمٌ بكل تفاصيل التصميم البشري - الجسدي والعقلي والعاطفي والروحي. علمه شاملٌ للخلق: ما مضى، وما هو كائن، وما هو آت. هو وحده من يدرك ترابط جوانب الوجود، ولذلك، هو وحده من يستطيع أن يضع قواعد سلوك تضمن التوازن الحقيقي والرفاهية شرائعه الإلهية ليست قيودًا تعسفية، بل هي توجيهات محكمة تحمي الأفراد من الأذى، وتغرس العدل والرحمة في المجتمع، وتؤدي إلى طمأنينة حقيقية للقلب والعقل. وتؤكد شهادة التاريخ هذه الحقيقة. فكلما عاش الناس بصدقٍ وفقًا للهداية الإلهية التي أنزلها الله تعالى، شهدوا عصرًا من السلام الداخلي والعدل والوحدة والاستقرار. وأبرز مثال على هذا التحول نجده في الأجيال الأولى التي، بطاعة الوحي الإلهي، ارتقت من صراع القبائل والجهل إلى نماذج للتهذيب الأخلاقي والعدل والتحضر. في المقابل، كلما ابتعدت المجتمعات عن الهداية الإلهية واعتمدت فقط على حكمة الإنسان أو شهوته، تبع ذلك حتمًا الفوضى والظلم والانحلال، الأخلاقي - مهما بدت تلك المجتمعات متطورةً أو قوية. لذا، يجب على كل إنسان أن يعتنق شريعة الله تعالى مُدركًا أنها النظام الوحيد المناسب تمامًا للفطرة البشرية ولسلامة الدنيا. حتى لو بدت بعض الأوامر مُتعارضة مع الميل الشخصي أو راحة الدنيا، فيجب قبولها بثقة وتواضع، لأنها صادرة عن من يعلم ما هو خيرٌ لخلقه حقًا. وكما يقبل المريض الحكيم العلاج الذي يصفه الطبيب الماهر - مُتحملاً الأدوية غير المريحة أو القيود الغذائية من أجل صحة طويلة الأمد - يجب على المرء أن يقبل وصفات الله تعالى الإلهية، عالمًا أنها وحدها تضمن العافية الروحية والعقلية والجسدية. باتباع هدايته بفهم وإخلاص، يُحفظ المرء من الحيرة والقلق الناتجين عن التجارب البشرية والرغبات. هذا الطريق يؤدي إلى الصفاء والتوازن والسلام في هذه الدنيا الفانية، وإلى النجاح والرضا الأبدي في الآخرة.

يدعو الإسلام الناس إلى ضبط شهواتهم الدنيوية وتوجيهها ضمن حدود الله تعالى، فإن هذه الدعوة كما ولكن إلى ضبط النفس تثير حتمًا انتقادًا من أولئك الذين لا هدف لهم في الحياة سوى إشباع شهواتهم بلا حدود بالنسبة لهؤلاء الأفراد، فإن تعاليم الإسلام تكشف الطبيعة الحيوانية لسلوكهم، وتجردهم من وهم الرقي الذي يغطون به انغماسهم. بالإضافة إلى ذلك، تزدهر شركات وصناعات بأكملها على الانغماس الجامح في الرغبات البشرية. سواء في مجال الترفيه أو الموضة أو غيرها من القطاعات التي تستفيد من الإفراط، فإن هذه الصناعات تنتظر إلى التعاليم الإسلامية على أنها عقبة أمام مصالحها. وبالتالي، فإنها تسعى ضد الإسلام، وتشجع الناس على التخلي عن مبادئه أو إهمالها، لأن طاعة الله تعالى تهدد أساس ربحهم نفسه.

في مواجهة هذا النقد والمعارضة، يُؤمر أتباع الإسلام بالثبات على طاعة الله تعالى. فهو وحده من يمنح راحة البال والحماية من آثار الناس السلبية، حتى وإن لم تكن هذه الحماية ظاهرة للعيان. من يثبت على طاعته مستخدمًا نعمه وفق الهداية الإلهية، سيحقق حالة نفسية وجسدية متوازنة. سيضع كل شيء وكل شخص في حياته على الوجه الصحيح، ضامنًا أن تكون الأسرة والمال والعلاقات مصادر للوئام لا للتوتر. هذا الثبات يؤدي إلى راحة البال في كلا العالمين. على النقيض من ذلك، من يسعى لإرضاء المجتمع وهو يعصي الله تعالى، لن يجني شيئًا. مثل هذا الشخص لن يكون بمنأى عن العقاب الإلهي، ولن يرضي المجتمع حقًا، لأن الناس والتوجهات الدنيوية - سواء في وسائل التواصل الاجتماعي أو الموضة أو الثقافة - متقلبة بطبيعتها. ما يُمدح اليوم يُدان غدًا، وما هو رائج في لحظة يُهمل في الأخرى. إن السعي وراء موافقة هذا المعيار: سورة الفرقان، الآية 52. المتغير هو حكم على النفس بعدم الرضا الدائم

«فلا تطع الكافرين وجاهدكم به جهادا كبيرا»

إن الجهاد المذكور هنا ليس مرادفًا للحرب، التي وردت في القرآن الكريم كلمة "قتال"، بل هو مفهوم أوسع وأشمل، يشمل كل جهد يُبذل في سبيل الله تعالى. الجهاد هو بذل أقصى جهد، مكرسًا عقله وجسده وموارده لخدمة الحق. إنه التزام مدى الحياة يتطلب الإخلاص والمثابرة والتضحية. من يجاهد في سبيل الله تعالى بحق هو من أخلص في رسالته. يوظفون عقولهم للتفكير في أنجع الوسائل لتحقيق غايتهم. ينشرون الإسلام بالقول والكتابة، مستخدمين الكلمة أدوات للتوجيه والإصلاح والإلهام. يكرسون طاقاتهم البدنية للخدمة، سواء من خلال أعمال العبادة أو الأعمال الخيرية أو دعم المجتمع. ينفقون أموالهم في سبيل الحق، مدركين أن الممتلكات المادية أمانة من الله تعالى، ليستخدموها في مرضاته. يوظفون نفوذهم ومكانتهم لإزالة العقبات التي تعترض

سبيل الهداية الإلهية، وعندما تقتضي الظروف، لا يترددون في المخاطرة بحياتهم في طاعة الله تعالى. هذا السعي لا يحركه مطامع دنيوية، ولا منافع شخصية، ولا رغبة في الشهرة، بل هو دافعه الوحيد إرضاء الله تعالى، وإعلاء شأن دينه، وإعلاء كلمته. يتطلب هذا السعي إخلاص النية، فحتى أعظم الجهود الخارجية تضيق إذا شابها الكبرياء والنفاق والمصلحة الذاتية - إن شمولية السعي في سبيل الله تعالى تضمن حفظ الإيمان، ونشر الحق، وانتصار الهداية الإلهية على الباطل. بهذا السعي حُفظ الإسلام عبر الأجيال، وبه يستمد الأفراد والمجتمعات القوة والمرونة والهدف. ولولا هذا الجهد الدؤوب، لضعف الإيمان، وحُجب الحق وانتصر الباطل. لا يقتصر السعي بهذا المعنى على لحظات التضحية الاستثنائية، بل هو جزء لا يتجزأ من حياتنا اليومية. يشمل ذلك مقارعة الشهوات، والسعي للحفاظ على الإخلاص في العبادة، والصبر على البلاء والعزم على إقامة العدل حتى وإن لم يكن محبوباً. إنه الوالد الذي يسعى لتربية أبنائه الصالحين، والعالم الذي يسعى لحفظ العلم وتعليمه، والعامل الذي يسعى لكسب رزقه الحلال، والقائد الذي يسعى للحكم بالعدل. كل هذه الجهود، إذا بُذلت في سبيل الله تعالى، فهي جزء من الجهاد العظيم الذي أمر به. فالجهاد في سبيل الله تعالى شامل، صادق، لا يلين. إنه سبيل من يطلب مرضاته قبل كل شيء، ويكرس حياته للحق، ويدرك أن كل نعمة - عقلاً ومالاً ونفوذاً ونفساً - أمانة في سبيله. ومن خلال هذا الجهاد ترتفع كلمة الله تعالى، ويهزم الباطل، وتهدى البشرية إلى السلام والعدل والخلاص.

سورة الفرقان، الآية 52

"وجاهدكم به جهاداً كبيراً"

إن أفضل تمثيل للإسلام أمام العالم أجمع يتحقق بتعلم الأفراد أولاً تعاليم القرآن الكريم وسنة النبي محمد، صلى الله عليه وسلم، ثم العمل بها. ومن خلال هذه العملية، يغرسون الصفات النبيلة التي أثنى عليها الوحي. كالصبر والكرم والرحمة والتواضع، متجنبين الصفات المذمومة فيه، كالحسد والطمع والكبر والكبرياء. عندما يتحلى الإنسان بهذه الصفات الإيجابية، يصبح سلوكه شاهداً حياً على جمال الإسلام. أقواله وأفعاله بمثابة دعوة صامتة، ترشد الآخرين إلى الحق دون الحاجة إلى إقناع قسري. في المقابل، من يتجاهلون تعلم الهداية الإلهية والعمل بها، يتبنون حتماً صفات سلبية. فسلوكهم لا يضر بحالتهم الروحية فحسب، بل يثني الآخرين أيضاً - سواء من هم خارج الدين أو من هم داخله - عن اعتناق الإسلام بإخلاص. لذا، فإن تمثيل الإسلام أمام العالم الخارجي ليس خياراً، بل هو واجب على كل من يدعي اتباعه. يصبح كل فرد، في الواقع

سفيراً لدينه، وسلوكه إما أن يرفع صورته في أعين الآخرين أو يضعفها. وبسبب هذه المسؤولية، سيُحاسَبون في الدنيا والآخرة: في الدنيا، حيث تتشكل سمعتهم وتأثيرهم بأفعالهم، وفي الآخرة، حيث سيُسألون عن مدى إخلاصهم في أمانة تمثيل الإسلام. الدرس واضح: إن أنجع وسيلة لتمثيل الإسلام تمثيلاً صحيحاً ليس بالكلام فحسب، بل بالخلق أيضاً. من يعيش وفقاً لمبادئ الإسلام يُظهر حقيقته بشكل أكثر إقناعاً ممن يُعلنها بالكلام فقط. وبالتالي، فإن مسؤولية التمثيل امتياز واختبار في آن واحد، تتطلب الإخلاص والانضباط والتأمل الذاتي - المستمر.

بعد تأكيده على أهمية قبول شرع الله والعمل به، يُشير الله تعالى مرة أخرى إلى آيات الخلق التي تشهد: سورة الفرقان، الآية 53. بوحدايته وتبَيَّن وجوب طاعته وحده في كل حين

"وهو الذي أرسل البحرين العذب الفرط والمالح الأجاج وجعل بينهما برزخا محجورا "

،تُلَفَّت هذه الآية الانتباه إلى إحدى عجائب الخلق: تعايش الماء العذب والمالح، ولكلٍ منهما غرضه الخاص إلا أنهما منفصلان بحاجز إلهي يمنع اندماجهما الكامل. الماء العذب، الموجود في الأنهار والجداول، ضروري للشرب والزراعة واستدامة الحياة البرية. أما الماء المالح، الموجود في البحار والمحيطات، فيؤدي دوراً حيوياً بنفس القدر في الحفاظ على النظم البيئية البحرية ومنع تلوث المحيطات بجثث الكائنات البحرية التي لا تُحصى. لو اختلط هذان الماءان دون تنظيم، لانهار توازن الحياة على الأرض. للجبال أيضاً دورٌ حاسم في هذا النظام، فهي بمثابة خزانات طبيعية، تحتفظ بالأمطار الحمضية وتُنقيها لتصبح صالحة للاستهلاك البشري والحيواني. منها تتدفق الأنهار والجداول، موزعة استراتيجياً عبر الأرض لتوفير إمداد مستمر من الماء العذب. يُحفظ هذا الماء النقي منفصلاً عن مياه المحيطات المالحة، مما يضمن أن يخدم كلا النظامين أغراضهما الفريدة دون تعارض. وحكمة هذا الترتيب واضحة. الماء العذب يُبقي الحياة على اليابسة، بينما يُبقي الماء المالح الحياة في البحار ويضمن عدم تلويث المحيطات. إن فصل الاثنين ليس عرضياً بل مُتعمداً وهو دليل على القدرة الإلهية والدقة. فإذا اختل هذا التوازن - أي إذا امتزجت المياه العذبة والمالحة دون قيود لكانت النتيجة كارثية على الحياة البرية والبحرية على حد سواء. وهكذا، فإن انسجام الأنظمة المائية، ودور - الجبال، وفصل البحار، كلها تشهد على وحدانية الله تعالى. إنها تُثبت أن الخلق ليس نتاجاً للصدفة أو لقوى مُتنافسة مُتعددة، بل هو خالق واحد أرسى التوازن والنظام في كل شيء. هذه الآيات تدعو الناس إلى الطاعة

والشكر والتأمل، وتذكرهم بأنه كما أن العالم الطبيعي يعمل فقط بموجب القانون الإلهي، كذلك يجب أن تُعاش الحياة البشرية وفقاً لقواعد السلوك الإلهية.

يُذكر الله تعالى الناس بأصولهم المتواضعة، مُشيرًا إلى أنه لا ينبغي لهم طاعة خالقهم فحسب، بل إنه قادر على بعثهم بعد أن يتحولوا إلى تراب وعظام. سورة الفرقان، الآية 54

"...وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا "

لم تُثبت هذه الحقيقة القرآنية الخاصة بأصل الحياة علميًا إلا بعد قرون عديدة من نزولها الأول، في وقت افتقرت فيه البشرية إلى وسائل اكتشاف هذه المعرفة. لذا، فإن الآية ليست مجرد بيان واقعي؛ بل هي دليل قاطع على وجود الله تعالى وحكمته العميقة وقدرته اللامحدودة. إنها تؤكد على الدور الحاسم للماء كأساس للحياة وضرورة هذا العنصر لبقاء كل كائن حي - سواء كان إنسانًا أو حيوانًا أو نباتًا. يُظهر هذا الاعتماد العالمي بوضوح أن الخلق ليس قائمًا بذاته، بل يظل معتمدًا كليًا على الرزق المستمر من الله تعالى. إن الدقة الاستثنائية الملحوظة في دورة الماء - التبخر والتكثيف والمطر والامتصاص - متوازنة بدقة شديدة لدرجة أن أي خلل بسيط سيؤدي إلى دمار كارثي للحياة على الأرض. هذا التوازن الدقيق دليل قاطع على التصميم المتعمد، وليس مجرد صدفة أو حادث. وبالتالي، تُعد الآية ردًا مباشرًا على كلّ من الإلحاد والشرك. فإذا كانت الحياة نفسها تنبع من الماء - وهو عنصر خارج عن سيطرة الإنسان - فإن الاعتراف بخالق يصبح الاستنتاج العقلي الوحيد. علاوة على ذلك، فإن الكمال المطلق ووحدة نظام دعم الحياة هذا ينفيان إمكانية وجود آلهة متعددة، إذ لا يمكن لمثل هذا النظام أن ينشأ من إرادات متضاربة. تؤكد الاكتشافات العلمية الحديثة صحة الوحي القديم: فجسم الإنسان يتكون في معظمه من الماء، والماء ضروري لنشاط الخلايا واستمرار الحياة. هذا التناغم التام بين الوحي والواقع الملموس يؤكد صحة القرآن الكريم الخالدة. فكما أن الماء يُديم الوجود المادي، يُغذي الوحي الإلهي الحياة الروحية؛ وبدونه، تهلك الروح كما يهلك الجسد بدون ماء باختصار، الآية ليست مجرد وصف بيولوجي، بل هي شهادة تُوجّه الانتباه مباشرةً إلى وجود الله تعالى وحكمته وسلطانه. إنها دعوة لكلّ إنسانٍ للتأمل، ورفض الكفر، والاعتراف بأنّ الذي خلق الحياة من الماء هو الكائن الوحيد المستحق للعبادة والطاعة. فالكائن الذي يُحيي الجسد بالماء يُحيي الروح بالوحي، وترك أيّ منهما دعوةً للهلاك.

لضمان استمرار الجنس البشري، وضع الله تعالى نظام النسب والزواج. ومن خلاله، يرتبط الناس بأقارب:
سورة الفرقان، الآية 54. بالدم والزواج، مما يُنشئ شبكات دعم ومسؤولية تتجاوز الفرد

"وجعله نسباً وصهراً "

تُبرز هذه الآية الحكمة الإلهية في بناء المجتمع البشري على أساس الأسرة. فالأقارب بالدم يوفرون روابط طبيعية للرعاية والحماية والميراث، بينما يوسع الأقارب بالزواج هذه الروابط لتشمل دوائر أوسع، موحدين العائلات والمجتمعات. تُشكل هذه العلاقات معاً نسيج المجتمع، مما يضمن عدم عزل الناس، بل ترابطهم من خلال روابط الالتزام المتبادل والرحمة. وليس الغرض من هذه الروابط مجرد الاستمرار البيولوجي، بل، التقدم الأخلاقي والاجتماعي. فالأسر مُصممة على مساعدة بعضها البعض في أعمال الخير، وتعزيز العدالة وغرس السلام في المجتمع. عندما تُحترم الروابط الأسرية، فإنها تُصبح مصدر استقرار، تُربي أفراداً متوازنين في حالتهم النفسية والجسدية، ويُحسنون وضع كل شيء وكل شخص في حياتهم. أما إهمالها، فيُعاني المجتمع من التشردم والأنانية والظلم. لذا، فإن نظام النسب والزواج رحمة ومسؤولية في آن واحد. إنها رحمة لأنها تُوفر الرفقة والدعم والاستمرارية. إنها مسؤولية لأن كل شخص مسؤول عن كيفية معاملته لأقاربه، سواءً بالدم أو بالزواج. ومن خلال أداء هذه الواجبات وفقاً لهدى القرآن الكريم وسنة النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، يساهم الناس في نشر العدل والرحمة والسلام في مجتمعاتهم.

سورة الفرقان، الآية ٥٤. يختم الله تعالى هذه الآية بتذكير الناس بقدرته وسلطانه المطلق

"وكان ربك قديراً "

هذه الآية الموجزة، وإن كانت شاملة، تُلخّص حقيقةً عميقة. إن الذي خلق البشر من الماء أولاً، وصاغهم عبر مراحل نموّ مختلفة حتى خرجوا كائناتٍ كاملةً واعيةً، قادرٌ بلا شكٍّ على إحياءهم بعد أن تحوّلوا إلى ترابٍ وعظام. إنّ بدء الخلق بحدّ ذاته هو العجب الأعظم؛ فالبعث ما هو إلا تكرارٌ لما تمّ. لذا، تُسكت الآية كلّ الشكوك حول الحياة بعد الموت. فإذا كان الله تعالى قد أظهر قدرته على إخراج الحياة من قطرة ماءٍ بسيطة فلا بدّ أن لديه القدرة على إعادة الحياة بعد الموت. إنّ تحويل المادة الجامدة إلى إنسانٍ حيٍّ مفكر هو في حدّ ذاته تذكيرٌ يوميٌّ بأنّ البعث ليس ممكناً فحسب، بل حتميٌّ أيضاً. كما يُذكّرنا هذا الإعلان بالمسؤولية. ولأنّ الله تعالى مُلِمٌّ بكلّ شيء، فلا يُفلت من قبضته أحد. فقدرته لا تقتصر على الخلق والبعث فحسب، بل تشمل أيضاً الحساب والجزاء. يُذكّر من يعيشون في غفلة، جاحدين الحساب، بأنّ الرب الذي خلقهم سيبيعهم يوماً ما ليحاسبهم على أعمالهم. وهكذا، تُعدّ هذه الآية طمأنينةً وتحذيراً في آنٍ واحد. فهي تُطمئن المؤمنين بأنّ البعث والعدل أمران لا ريب فيهما، وتُنذّر الغافلين بأنّ الإنكار لن يمنعهم من حقيقة الآخرة. إنّ قدرة الله تعالى تحيط بكلّ شيء - الخلق والرزق والموت والبعث والحساب - فلا مجال للشك أو الإنكار.

إن طاعة الله تعالى هي الأساس الوحيد لتحقيق التوازن النفسي والجسدي الحقيقي، الذي يؤدي إلى راحة البال، في الدنيا والآخرة. إلا أن هذا المسار غالباً ما يتعارض مع رغبات الناس الدنيوية المباشرة. ونتيجةً لذلك - يختار الكثيرون اتباع قواعد سلوكية وضعها البشر - أنظمتهم مدفوعةً بطبيعتها بتلك الرغبات الدنيوية نفسها: وهي في نهاية المطاف عاجزة عن هداية أي شخص إلى السكينة الحقيقية. سورة الفرقان، الآية 55

"ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم"

من الضروري إدراك أن الآلهة الزائفة لا تقتصر على الأصنام التقليدية. في الواقع، أي شخص أو شيء أو مفهوم يفرض على المرء طاعته المطلقة وإخلاصه في تحدٍّ له هو شكل من أشكال العبادة. وهذا يشمل، الهواجس المعاصرة كالثروة، ووسائل التواصل الاجتماعي، والثقافة الشعبية، والسلطة، وصيحات الموضة والشخصيات المؤثرة، أو حتى السعي وراء الذات. عندما يُعطى المرء الأولوية لهذه المؤثرات على الأوامر الإلهية، فإنه يرفعها فعلياً إلى مصاف العبادات، حتى دون أن يسجد لها جسدياً. سورة التوبة، الآية 31

"...اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله"

لا تشير هذه الآية إلى أن هؤلاء الأفراد كانوا يعبدون علمائهم ورهبانهم حرفياً، بل تُبرز طاعتهم لهم حتى عندما تعارضت أحكامهم وآراؤهم مع أوامر الله تعالى. هذه الطاعة، النابعة من تعظيم في غير محله وولاءٍ أعمى، اعتُبرت عبادةً لأنها تضمنت تفضيلاً للسلطة البشرية على الحقيقة الإلهية. إن إعلاء كلمة عالم أو راهب على كلمة الله تعالى هو منحهم شكلاً من أشكال الربوبية التي لا يملكها إلا الخالق. وينطبق المبدأ نفسه: سورة يس، الآية 60. على الشيطان

أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ

معظم الناس لن يدّعوا أبداً أنهم يعبدون الشيطان عن قصد، ومع ذلك من خلال طاعتهم له - بالانغماس في الغطرسة والجشع والخداع والفجور - فإنهم يتبعونه فعلياً كسيد لهم. تمتد العبادة، في أصدق معانيها، إلى ما هو أبعد من الطقوس الخارجية؛ إنها تشمل توجيه الطاعة والمحبة والولاء. من يأمر قلب شخص ما ويملي أفعاله في تحدٍ لله تعالى، يصبح هو من يخدمه حقاً. عندما يتخلى الناس عن عبودية الله تعالى، فإنهم لا يصبحون أحراراً. بدلاً من ذلك، فإنهم يستبدلون شكلاً من أشكال العبودية بآخر. يصبحون عبيداً لأسياد دنيويين مثل الرأي العام والثروة المادية والتحقق الاجتماعي أو الشهوة الشخصية. تخلق هذه الطاعة في غير محلها صراعاً داخلياً واضطراباً عاطفياً. وكما لا يستطيع الموظف إرضاء العديد من المشرفين الذين يصدرون تعليمات متضاربة، لا يمكن للشخص أن يجد السلام وهو يحاول إرضاء "أرباب" دنيويين متعددين كل مطلب يجذبهم في اتجاه مختلف، فيتركهم منهكين، قلقين، ومشتتين روحياً. مع مرور الوقت، يتجلى هذا الصراع الداخلي في الاكتئاب والوحدة واليأس. ورغم تحقيق النجاح الدنيوي أو الثروة أو الشهرة، غالباً ما يشعر هؤلاء الأفراد بالفراغ والقلق. تتجلى هذه الحقيقة في كثير ممن يُعجب بهم المجتمع - من المشاهير والمؤثرين والأثرياء - الذين، رغم ترفهم، يُصارعون التعاسة وانعدام الرضا. حياتهم دليل حي على أن النجاح المادي دون أساس روحي لا يؤدي إلا إلى الفراغ. علاوة على ذلك، سيتخلى هؤلاء الأسياد المزييفون، سواء كانوا بشراً أو أيديولوجيات أو رغبات - عن أتباعهم في الآخرة. لن يدافعوا عنهم ولن يشفعوا لهم - لأنهم لا يملكون قوة أمام الله تعالى. يُذكر القرآن الكريم البشرية مراراً وتكراراً بأن كل نفس ستُحاسَب على

جدة، وأن جميع العلاقات الزائفة ستتلاشى عند ظهور الحقيقة الإلهية. في ذلك اليوم، لن يبقى إلا العبودية الخالصة لله تعالى مصدراً للنجاة.

عندما يختار الشخص اتباع أسلوب حياة مختلف عن أسلوب حياة من حوله، فإنه غالباً، علاوة على ذلك ما يُلقى الآخرين، خاصةً عندما تكون خياراته مدفوعة بالشهوة لا بالخضوع لله تعالى. وقد يتجلى هذا القلق في انتقادات لمن يتمسكون بقناعاتهم، وقد ينشأ حتى داخل دائرة الأسرة.

في الوقت نفسه، يُلقى تأثير المجتمع بثقله على المُتمسكين بالقيم الإسلامية. يُمجد العالم الحديث الإسراف والمتعة والتعبير عن الذات بحرية، مُضيقاً بذلك مجال الانضباط والتواضع اللذين يُشجع عليهما الإسلام. في بيئة كهذه، غالباً ما تُصوّر المبادئ الإسلامية كعقبات أمام النجاح المادي والمكانة الاجتماعية. العديد من الصناعات القائمة على الجشع والغرور أو التنازلات الأخلاقية تُعارض هذه القيم بطبيعة الحال، وتقاوم أي جهد لمواءمتها. وبذلك، تُغذي هذه الصناعات العداء المتزايد للإسلام الذي يتردد صدها في وسائل الإعلام والخطاب العام.

أولئك الذين يسعون للعيش وفق هدي الإسلام - سعيًا للتوازن وضبط النفس والتمتع الواعي بما هو مشروع غالباً ما يواجهون عداءً ممن يفرطون دون مراعاة للعواقب. يتصرف هؤلاء الأفراد باندفاع، مدفوعين - بالشهوة لا بالعقل، ويسعون لإقناع الآخرين بالتخلي عن طريق الإيمان. هدفهم هو تطبيع الانغماس وإبعاد الناس عن وعي المساءلة الإلهية. ولتحقيق ذلك، كثيراً ما يهاجم النقاد تعاليم إسلامية محددة، مثل اللباس المحتشم المفروض على النساء، محاولين تصويره على أنه ثقيل أو عتيق. ومع ذلك، يمكن للمراقبين المتأملين أن يلاحظوا أن هذه الاعتراضات سطحية. فهي لا تنبع من بحث صادق، بل من نفور من الانضباط الأخلاقي الذي يدعو إليه الإسلام. ويتجلى تناقض هذه الحجج: فهم يقبلون قواعد اللباس الصارمة في المهن المحترمة كالطب، وإنفاذ القانون، والتعليم، والأعمال التجارية، والجيش، لكنهم يدينون التوجيهات الإسلامية للاحتشام يكشف هذا الغضب الانتقائي عن ضعف منطقهم. في النهاية، إن قوة الإسلام الراسخة - إصراره على الانضباط والاعتدال والمساءلة - هي التي تثير هذه المعارضة. إن نزاهة وهدوء من يتبعون تعاليمه تُذكرنا بما فقدته الكثيرون في سعيهم وراء الحرية المطلقة. وعجز المنتقدون عن دحض حكمة هذه المبادئ، يدفعهم إلى النقد والسخرية. سورة الفرقان، الآية 55

"وكان الكافر على ربه ظهيرا "

لا يُجبر الإسلام أحداً على قبول الهدى، لأن ذلك يُبطل غاية امتحان الحياة .بل يُقدم الدليل الواضح والعقل السليم، مُبشراً لمن أطاع الله تعالى، ومُحذراً لمن استمر على معصيته .هذا التوازن بين التشجيع والتحذير :سورة الفرقان، الآية 56 .يضمن أن يكون إيمان كل فرد وأفعاله نابعة من إرادة حرة و يقين صادق

"وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا بَشِيرًا وَنَذِيرًا "

هذا المبدأ تذكيرٌ خالدٌ بأن دور النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وبالتالي كل من يدعو إلى الصلاح، هو تبليغ الحق لا فرضه .على كل من يسعى إلى هداية الآخرين أن يدرك أن واجبه هو تبليغ الرسالة بوضوح، والتمييز بين الصواب والخطأ، وحث الآخرين على الفضيلة .عليهم تذكير الآخرين ونصحهم وتجسيد الصلاح من خلال شخصياتهم وأفعالهم .ومع ذلك، فهم ليسوا مسؤولين عن إجبار الآخرين على قبول الهداية، فالإيمان لا يُفرض، بل يجب اختياره .غالباً ما يقع من يُسيء فهم هذا المبدأ في اليأس عندما تبدو جهوده الصادقة لإصلاح الآخرين بلا جدوى .وقد يُصاب بالإحباط من إصرار الناس على الخطأ، متناسين أن قبول الحق أمرٌ خارج :سورة الغاشية، الآيتان 21-22 .عن سيطرة البشر

"فذكر إنما أنت مذكر، لست عليهم بمسيطر"

هذه الحكمة الإلهية تُحرّر الإنسان من الحزن والإحباط اللذين لا داعي لهما. وتُعلّمنا أن المهمة هي تبليغ الرسالة بوضوح ورحمة، وترك النتيجة لله تعالى، الذي وحده يهدي القلوب. من رغب في الحقيقة بصدق سيسعى إليها ويعتقها حالما يجدها. يُدرك أن الله تعالى لا يُحمّل نفساً فوق طاقتها، وأن كل تحدٍّ يواجهه هو فرصة للنمو في الإيمان والصبر. هؤلاء الأفراد يُدركون أن السلام - في الدنيا والآخرة - يتطلب انضباطاً وتضحية. يُكبحون رغباتهم الدنياه، مُدركين أن الرضا الحقيقي لا يكمن في السعي وراء ملذات الدنيا، بل في الإشباع الروحي. تتجلى هذه الحقيقة جليّةً عندما يُلاحظ المرء من يبدو أنهم يملكون كل شيء - الثروة والجاه والشهرة - لكنهم في أعماقهم قلقون وسخطون. لم يمنحهم وفرتهم المادية السلام، لأن طمأنينة القلب ليست في الامتلاك، بل في الخضوع لمشيئة الله تعالى. ومن ثم، فإن من يسعى بصدق إلى السلام يجب أن يفهم أن النجاح الحقيقي لا يكمن في إكراه الآخرين أو السعي وراء الملذات الدنيوية، بل في أداء واجبه - وهو اتباع الحقيقة، ومشاركتها مع الرحمة، وتسليم جميع النتائج إلى الله تعالى، الذي يهدي من يشاء بحكمة كاملة.

سورة الفرقان، الآية 56

"وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا بَشِيرًا وَنَذِيرًا"

من المهم إدراك أن البشارة والإنذارات الواردة في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم لا تُجدي نفعاً إلا إذا وُجدت استجابة عملية. فمجرد الاعتراف دون عمل لا يكفي، فالهدى يُعاش، لا يُقدّر بثمن من استجاب عملياً بحسن استخدام نعم الله تعالى التي أنعم بها عليه، وفقاً للتعاليم الإسلامية، ينال راحة البال في الدنيا والآخرة. ومثل هذا الشخص يحقق حالة نفسية وجسدية متوازنة، لأن حياته مُرتبة بحكمة إلهية يضع كل شيء وكل شخص في مكانه الصحيح، ضامناً استثمار المال والأسرة والصحة والوقت بما يرضي الله تعالى. هذا التوافق بين الهداية الإلهية والسلوك اليومي يُنتج السكينة والاستقرار والنجاح في الدنيا والآخرة. في المقابل، من لم يستجب عملياً لبشارة الوحي وتحذيراته، يُصر على إساءة استخدام النعم التي وهبت له تصبح ثرواتهم مصدراً للغرور أو التبذير، وتُستهلك صحتهم في الترف، ويُبدد وقتهم في الغفلة، وتُساء إدارة علاقاتهم بالأنانية أو الإهمال. ونتيجةً لذلك، يقعون في حالة نفسية وجسدية غير متوازنة، عاجزين عن تنظيم حياتهم على النحو الصحيح. يُهملون الاستعداد المناسب لحسابهم يوم القيامة، ويعيشون وكأنهم لن يُسألوا أبداً. هذا الإهمال يؤدي حتماً إلى التوتر والمشقة والصعوبة في الدنيا والآخرة. حتى لو تمتعوا ظاهرياً ببعض الكماليات الدنيوية، فإنهم في باطنهم يظلون قلقين وغير راضين. لا تحميمهم راحتهم من القلق، ولا تمنحهم

:ممتلكاتهم السكينة الحقيقية .إن غياب طاعة الله تعالى يترك فراغًا لا يملأه أي نجاح مادي .الدرس واضح ،الهداية الإلهية ليست مجرد سماع أو إعجاب، بل عمل .فقط من خلال الطاعة العملية يمكن الحفاظ على النعم وتحقيق راحة البال، وضمان النجاح الأبدي

في جميع أنحاء القرآن الكريم، يُبيّن الله تعالى بوضوح تام أن قواعد السلوك الإسلامي وُضعت لمصلحة الناس فقط .سواء اختاروا اتباع هذه القواعد أم لا، فلا فرق عند الله تعالى، ولا عند القرآن الكريم، ولا عند النبي محمد صلى الله عليه وسلم .في الواقع، لم يطلب هذا الأخير أي جزاء دنيوي على جهوده الدؤوبة في سورة الفرقان، الآية 57 .هداية البشرية إلى الحق

"قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا "

يُبرز هذا الإعلان صدق الرسالة الإلهية .فخلافًا للأنظمة الدنيوية، التي غالبًا ما تكون مدفوعة بالمصلحة الذاتية -أو الربح أو السيطرة، فإن قواعد السلوك الإسلامية خالية من الدوافع الخفية .في المقابل، فإن جميع قواعد السلوك التي وضعها البشر، سواء أكانت سياسية أم اجتماعية أم ثقافية، تهدف حتمًا إلى انتزاع شيء من الآخرين - سواء أكان ذلك ثروتهم أم وقتهم أم اهتمامهم أم عملهم .إن نفاقهم هو أحد الأسباب الرئيسية لعدم قدرتهم على توفير راحة بال دائمة أو توازن حقيقي في الحياة .ومع ذلك، فإن قواعد السلوك الإسلامية فريدة من نوعها .فقد وُضعت لغرض وحيد هو توجيه الناس إلى راحة البال في كلا العالمين - من خلال تمكينهم من تحقيق حالة ذهنية وجسدية متوازنة وتعليمهم وضع كل شيء وكل شخص في حياتهم بشكل صحيح .سورة الفرقان، الآية 57

"إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا ..."

توضح هذه الآية أن غاية الوحي هي إرشاد من يخلص في طلبه إلى الله تعالى. الخيار بيد كل فرد، لكن مسؤوليته تقع عليه. ولتوضيح ذلك، لنأخذ مثال مريض حكيم يقبل نصيحة الطبيب. حتى لو تضمن العلاج أدوية مَرَّة أو حمية غذائية صارمة، فإنه يتحملها، عالمًا أنها في النهاية لسلامته - وبالمثل، فإن من يقبل التعاليم الإسلامية ويعمل بها - حتى لو تعارضت مع رغباته الشخصية - سيحظى بصحة نفسية وجسدية حقيقية. ذلك لأن الله تعالى وحده هو من يملك المعرفة الكاملة اللازمة لضمان تحقيق التوازن والنظام في حياته. المعرفة البشرية، رغم قرون من البحث، لا تزال محدودة. فهي لا تستطيع حل كل مشكلة يواجهها الإنسان، ولا تحميه من كل شكل من أشكال الإجهاد النفسي والجسدي. غالبًا ما تتشكل النصائح البشرية ببصيرة محدودة، وتحيزات شخصية، وفهم ناقص. على النقيض من ذلك، فإن الله تعالى يعلم الفطرة البشرية علمًا تامًا، وقد أنزل الهداية في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. وتتجلى حقيقة ذلك عند النظر إلى حياة من ينفقون نعمهم وفقًا للتعاليم الإسلامية، مقارنةً بمن لا يفعلون. فالأولون يحققون التوازن والسكينة والهدف، بينما الآخرون، حتى وإن كانوا محاطين بملذات الدنيا، غالبًا ما يظنون قلقين وغير راضين. ومع ذلك، بخلاف المريض الذي يثق ثقة عمياء بالطبيب دون فهم علمي للوصفة الطبية، فإن الله تعالى لا يطلب الإيمان الأعمى. بل يدعو الناس إلى التأمل في تعاليم الإسلام، وملاحظة حكمته، والتعرف على صدقه. من خلال الأدلة الواضحة. وهذا يتطلب التعامل مع الوحي بعقل منفتح وغير متحيز، بعيداً عن التكبر والتحيز. عندها فقط يمكن للمرء أن يقدر حقاً الرحمة والهداية الكامنة في شريعة الله. سورة يوسف، الآية 108

"...قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني"

،إن إدراك أن الله تعالى لا ينفع من هداية الناس شيء يُعَدُّ منطلقاً عميقاً للتأمل. فكماله مطلق، وملكه كامل وجلاله لا يُنازع فيه أحد. وسواء قِيلَ الناس هدايته أم رفضوها، فإن ذلك لا يزيد من عظمته ولا ينقص منها شيئاً. إن فضل الهداية الإلهية يقع كلياً على البشرية نفسها. ينبغي أن يُنمّي هذا الإدراك التواضع والشكر، إذ يُظهر أن وحي القرآن الكريم وأحاديث النبي محمد صلى الله عليه وسلم رحمةٌ خالصة. لم تُنزل عن حاجة بل عن شفقة. ليس لله تعالى نقصٌ يستلزم التمام، ولا ضعفٌ يستلزم العون. فهو الحي القيوم -، الذي لم يسبقه عدم، ولا يمسه موت. ولذلك، فعندما يأمر بالتوكل عليه، فليس ذلك لأنه يُلزم العباد بالتوكل عليه، بل لأنهم (سورة الفرقان، الآية 58). يحتاجون إليه في كل لحظة من لحظات وجودهم

"وتوكل على الحي الذي لا يموت"

، هذا التوكل ليس حالة ذهنية سلبية، بل هو توجه فاعل في الحياة .يتحقق ذلك بالطاعة - امتثال أوامره واجتناب نواهيه، ومواجهة القدر بصبر .من يعصي الله تعالى لا يمكنه أن يدّعي التوكل عليه حقًا، فالتوكل دون طاعة تناقض .وفي الوقت نفسه، فإن التوكل على الله تعالى لا ينفي المسؤولية تجاه الخلق، بل يُطهّرها يؤدي الإنسان واجباته تجاه الآخرين - الأسرة، والجماعة، والمجتمع - دون أن يضع أمله أو اعتماده النهائي عليهم .وبهذه الطريقة، يتخلص من التبعية الضارة، ويتحرر من خيبة الأمل التي تأتي لا محالة عند الاعتماد ، على طبيعة الناس غير الكاملة والمتقلبة .لقد وعد الله تعالى بالغنى لمن توكل عليه بإخلاص .سورة الطلاق :الآية 3

"ومن يتوكل على الله فهو حسبه"

هذه الكفاية شاملة، تشمل الحاجات المادية، والقوة الروحية، والاستقرار العاطفي .وكما أن الله تعالى ثابت على وعوده، فإن المتوكلين عليه يثبتون ويثبتون عند المصاعب .أما المتوكلون على الناس - الذين تتغير أمزجتهم وولاءاتهم وقدراتهم مع الزمن - فيصبحون هم أنفسهم غير مستقرين، متأثرين بكل تقلب في الظروف .ويجسد تشبيه اللجوء هذه الحقيقة بوضوح .فكلما قوي معين المرء وحامي نفسه، ازداد هو قوة فإذا لجأ المرء إلى الله تعالى، القادر على كل شيء، بطاعة صادقة، قُدِّر له التغلب على كل محنة .وببقى قلبه راسخًا حتى في ظلام العالم من حوله .أما إذا لجأ إلى الناس، وهم بطبيعتهم ضعفاء ومحدودو القدرة فسيضعف هو أيضًا عند الابتلاء .فالأمر أشبه بمن يلجأ إلى قلعة حصينة في عاصفة، وبمن يلجأ إلى كوخ من القش هش .النتيجة واضحة - :من يتمسك بالقلعة سوف يصمد، في حين أن من يتمسك بالكوخ سوف ينهار معه .

الدرس واضح لا لبس فيه .التوكل على الله تعالى هو السبيل الوحيد للقوة الحقيقية والاستقرار وراحة البال .أما ما عدا ذلك من التبعية، فهي أوهام هشة تنهار تحت وطأة عواصف الحياة .التوكل عليه هو الثبات على أساس لا يتزعزع، والتوكل على الخلق هو البناء على رمال .من يستوعب هذه الحقيقة يجد نفسه متمكنًا .مرثًا، في سلام، لأنه أوكل أمره إلى الحي -الذي لا يموت .(سورة الفرقان، الآية 58)

"وتوكل على الحي الذي لا يموت "

،لكن من الضروري إدراك أن العون الإلهي لا يُمنح بناءً على رغبات الإنسان الشخصية أو فهمه المحدود بل يتكشف في انسجام تام مع علم الله تعالى اللامتناهي وحكمته التامة .فما قد يظنه المرء تأخيرًا أو حرمانًا أو حتى مشقة، هو في الحقيقة تعبير دقيق عن الرحمة الإلهية والتدبير الإلهي .الله تعالى يمنح العون في أنسب وقت وأنفع طريقة لكل فرد، حتى وإن ظلت الحكمة الكامنة وراءه محجوبة عن الإدراك البشري .وكما يُقدم الطبيب الماهر العلاج الذي يناسب حال المريض الحقيقية لا ما يفضلُه، فإن الله تعالى يمنح عونه بطرق تشفي الروح وتهديها نحو النجاح الدائم .لذلك، يجب على الإنسان أن يثق بأن كل عون إلهي - سواء بدا يسرًا أو محنة - مُصمم تمامًا لرعاية نموه الروحي، وتعزيز ثقته بخالقه، وإعداده لما ينتظره في الدنيا والآخرة .

من أركان التوكل على الله تعالى تعظيمه .ومن أركان التعظيم تجنب نسب الأمور السلبية إليه، كالصعاب .سورة الفرقان، الآية 58 .والابتلاءات، وإن قدر الله

"...وتمجد ..."

يُنكَر هذا الأمر الناس بأن التسبيح لا يقتصر على كلمات المدح على اللسان، بل يمتد إلى كيفية إدراك المرء لأحداث الحياة وتفسيرها .إن تسبيح الله تعالى على الوجه الصحيح هو تأكيد كماله في جميع الأحوال، مع إدراك أن أحكامه ليست ظالمة أو عبثية أو ضارة في جوهرها .ما قد يبدو مشقة في المنظور البشري المحدود هو في الواقع وسيلة للتطهير أو الارتقاء أو الحماية .لذا، فإن تبني عقلية إيجابية هو وسيلة عملية لتمجيد الله تعالى .وبوجه عام، فإن تنمية هذه العقلية ضرورية للتغلب على تحديات الحياة مع الثبات على الطاعة .تتضمن هذه الطاعة استخدام النعم التي أنعم بها بطرق مرضية له، كما هو موضح في القرآن الكريم وتعاليم

النبي محمد صلى الله عليه وسلم .عندما يواجه الناس صعوبات، يجب أن يذكروا أنفسهم بأن الوضع كان يمكن أن يكون أسوأ بكثير .إذا كانت المحنة دنيوية، فعليهم أن يشكروا الله على عدم تضرر إيمانهم، فالإيمان أعظم نعمة .بدلاً من التركيز على الحزن اللاحق بالتحدي، ينبغي على المرء أن يركز على الجزاء العظيم الموعود لمن صبر في سبيل الله تعالى .عندما يفقد المرء نعمة ما، عليه أن يتأمل في النعم التي لا تُحصى :الباقية .في كل محنة، عليه أن يتذكر التذكير الإلهي في سورة البقرة، الآية ٢١٦

"وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ..."

تُعَلِّم هذه الآية أن المعرفة البشرية محدودة، وأن ما يبدو ضاراً قد يكون في الحقيقة محاسن وفوائد خفية .ولذلك، غالباً ما يكون الوضع الراهن الذي يواجهه الإنسان أفضل مما كان يتمناه في البداية، حتى وإن لم يكن يدركه حينها .

وختاماً، فإنَّ تسبيح الله تعالى يتطلب عقليةً تتجنب نسب السلبية إليه، بل ينبغي التفكير في حكمته، والتأمل في نعمه، والثقة بأن كل قدرٍ هو في النهاية لخيرهِ .وبتنمية هذه النظرة الإيجابية، لا يقوي الإنسان صبره وامتنانه فحسب، بل يُحقق أيضاً أمر تسبيح الله تعالى قولاً وفعلاً .فالكأس إذن ليست نصف فارغة، بل هي في الحقيقة نصف ممتلئة، فكل ظرف يحمل في طياته رحمةً، أو عبرةً، أو خيراً خفياً لا يعلمه إلا الله تعالى .

عندما يُمَجِّد الإنسان الله تعالى بحقٍ، بإخلاصٍ وفهمٍ، فإنَّ النتيجة الطبيعية لهذا الإقرار هي الشكر .إنَّ تمجيد الله تعالى هو إقرارٌ بكماله وقدرته ورحمته المطلقة، وهذا الإقرار يُلْزم القلب واللسان والعمل بشكر الله على :سورة الفرقان، الآية 58 .نعمه التي لا تُحصى

"...وسبح بحمده ..."

من الطبيعي أن يُعرب الناس عن امتنانهم لأي شخص يوفر لهم جزءًا من احتياجاتهم - مثل المأوى أو القوت أو الدعم. لذلك، فمن العدل والمعقول أن يكون كل الامتنان في النهاية لله تعالى، الذي يمنح كل نعمة موجودة في السماوات والأرض. كل راحة ورزق وفرصة تتبع منه وحده. يتجلى الامتنان في شكله الكامل من خلال النية والقول والعمل. يعني شكر النية أن جميع الأعمال تتم فقط لإرضاء الله تعالى. أي عمل يتم من أجل الشهرة الدنيوية أو السمعة أو المصلحة الذاتية يفتقر إلى الإخلاص ولا يجلب أي مكافأة في الآخرة. وقد تم التأكيد على هذه الحقيقة في حديث موجود في جامع الترمذي ، رقم 3154، والذي يحذر من القيام بالأعمال من أجل الآخرين. ومن الدلالة الواضحة على النية الصادقة أن الشخص لا يطلب ولا يتوقع الشكر أو التقدير، أو السداد من الناس؛ يكمن رضاهم فقط في موافقة الله تعالى. شكر القول هو ذكر الله تعالى بالثناء عليه والكف عن سخطه. من شكر بالقول أظهر الخير، ونشر الخير، وتجنب الشكوى من القدر، فإن الشكوى تعني السخط على القضاء. شكر العمل هو استخدام كل نعمة - سواء أكانت مالا أم علما أم صحة أم وقتا أم نفودا فيما يرضي الله تعالى، ويتفق مع القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. هذا الشكر لا يحفظ - النعم فحسب، بل يضاعفها أيضًا. سورة إبراهيم، الآية 7

لئن شكرتم لأزيدنكم

،من خلال هذا الامتنان الشامل، يحقق الإنسان انسجامًا دنيويًا وروحيًا. تبقى حالته النفسية والجسدية متوازنة، ويُعطى الأولوية لكل شيء وكل شخص في حياته. يُنمّي الامتنان راحة البال والتواضع والاستقرار، إذ لا يعود الإنسان يُسهّل استخدام النعم أو يُسيء استخدامها

علاوة على ذلك، فإن الملكية تمنح حق الاستخدام مبدأً عامًا. فعندما يمتلك المرء شيئًا، يحق له استخدامه كما يشاء. كذلك، بما أن الله تعالى هو الخالق والمالك والحافظ الوحيد للكون - بما فيه كل إنسان وكل ما يملكه - فمن العدل أن يُحدد وحده ما هو حلال وما هو حرام. لذا، فإن مخالفة أوامره ليست مجرد جحود، بل ظلم للمالك الحقيقي لكل شيء. وبالمثل، عندما يقترض المرء شيئًا من آخر، فإن الإنصاف يقتضي استخدامه وفقًا لتعليمات المقرض. كل نعمة تُمنح للناس - سواء كانت حياة أو وقتًا أو ثروة مادية - هي في الحقيقة قرض

من الله تعالى، وليست هبة. وكأي قرض، يجب ردها. والسبيل الوحيد لرد هذا القرض الإلهي هو استخدامه فيما يرضيه. في المقابل، ستكون بركات الجنة هبات، وليست قروضًا، تُمنح ميراثًا أبدًا لمن استخدموا نعمهم: سورة الأعراف، الآية 43. الدنيوية ببر

"وقيل لهم: تلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون ..."

لذلك، لا يخلط العاقل بين نعيم الدنيا الزائل والمشروط وعطايا الآخرة الباقية. نعيم الدنيا أمانات تُعطى لاختبار شكر المرء وطاعته، بينما نعيم الجنة مكافآت دائمة لمن اجتازها. إن إدراك هذا التمييز يُنمي التواضع والمسؤولية والتقدير العميق لرحمة الله تعالى، الذي يُعطي بسخاء، ويغفر بسخاء، ويُجازي الشاكرين أبد الدهر.

لأن الله تعالى عالمٌ علمًا تامًا، فلا يخفى عليه شيء. فهو مطلعٌ على أحوال العباد، ونواياهم، وظاهر أعمالهم. يعلم من يشكر نعمه الكثيرة، ومن يعيش في غفلة وكفر. سورة الفرقان، الآية ٥٨)

"وكفى به بذنوب عباده خبيراً"

هذه الآية تذكيرٌ وتحذيرٌ في آنٍ واحد. تُذكّر الناس بأن الله تعالى لا يحتاج إلى شاهدٍ أو كاتبٍ -ليُطلع على أعمالهم، فعلمه أحاط بكل شيء. وكفى به شاهدًا على كل عملٍ، ظاهرًا كان أو باطنًا، وسيحاسب عليه كلٌّ في الدنيا والآخرة. كما تُحذّر الآية من التهاون. قد يُخفي الكثيرون ذنوبهم عن الآخرين، لكن الله تعالى لا يخفى عليه شيء. فهو يعلم الشكر في القلب، والإخلاص وراء كل عملٍ، والكبر أو النفاق الذي قد يُفسد الأعمال الظاهرة. وهكذا، لا تقتصر المحاسبة على ما يُرى، بل تمتد إلى الحقائق الخفية من النية والإخلاص وفي الوقت نفسه، تحمل هذه الآية تشجيعًا خفيًا. فكما أن الله تعالى يعلم الذنوب، فهو يعلم أيضًا كل عملٍ من

أعمال الشكر والصبر والطاعة، مهما صغر. فلا تُغفل كلمة طيبة، ولا لحظة من ضبط النفس، ولا صلاة شكر صامته. علمه التام يضمن ألا يضيع خير ولا يُغفل ظلم. الدرس واضح: على الناس أن يعيشوا في إدراك دائم بأن الله تعالى كفى بهم شاهدًا على حياتهم. فالشكر والطاعة يجلبان راحة البال والتوفيق في الدنيا والآخرة، بينما الغفلة والكفر لا يؤديان إلا إلى الندم. إن تذكر أن الله تعالى مطلع على كل عمل هو عيش بإخلاص وتواضع ويقظة، استعدادًا ليوم كشف الأعمال.

يوم القيامة حقيقة لا مفر منها، فهو يُمثل اكتمال العدل الإلهي وعودة التوازن في كل شيء. عندما يتأمل المرء العالم الطبيعي، يلاحظ بوضوح أنه يعمل بتوازن تام - انعكاس لحكمة الله تعالى وقدرته. فالأرض على سبيل المثال، تدور على مسافة دقيقة من الشمس. لو كانت أقرب، لاستهلكت الحياة بالحرارة؛ ولو كانت أبعد، لتجمدت في خراب. تعمل دورة الماء في تناغم تام - يتبخر الماء، ويرتفع إلى السماء، ويتكثف في السحب، ويعود مطرًا - مما يدعم كل شكل من أشكال الحياة. الأرض لينة بما يكفي للسماح للجذور الهشة باختراقها، لكنها صلبة بما يكفي لدعم الجبال والهيكل الشامخة. كل نظام في الخلق يشهد على التوازن: سورة الفرقان، الآية 59. والكمال

"...الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش"

ومع ذلك، وسط كل هذا التناغم، يكمن خللٌ عميقٌ في التوازن - أفعال البشر. في هذا العالم، كثيرًا ما يشهد المرء الظلم والتفاوت. غالبًا ما يبدو أن من يظلم الآخرين يزدهر، بينما غالبًا ما يعاني من يصبر ويثبت على الحق دون جزاء. يبدو أن من يعصون الله تعالى يعيشون في رخاء، بينما يكابد من يجتهدون في اتباع أوامره المشقة. هذا التناقض الواضح يتطلب حلًا، فكما خلقت كل جوانب الخلق في توازن تام، يجب أيضًا تحقيق التوازن في النظام الأخلاقي للكون. والسبيل الوحيد لتحقيق ذلك هو يوم يُوزن فيه كل عمل، ويُصح فيه كل ظلم، وتُجزى كل نفس ما اكتسبت - يوم القيامة.

الله تعالى قادرٌ على تحقيق العدل التام في هذه الدنيا، فيجازي ويعاقب كل ذي حقٍ على أعماله فوراً. لكن حكمته ورحمته الإلهية تُمليان خلاف ذلك. فلو قُوبِلَتْ كُلُّ إثمٍ بعقابٍ فوري، لما كان للتوبة معنى، ولو قُوبِلَ كُلُّ عملٍ صالحٍ بجزاءٍ فوري، لفقد الإيمان بالغيب معناه. إن محنة الدنيا تكمن تحديداً في الإيمان دون رؤية والثقة بما وعد الله تعالى به، وإن لم يتحقق بعد. لذا، فإن الإيمان الحقيقي لا يُبنى على الرؤية أو البرهان. فحسب، بل على الاقتناع والتسليم بحقيقة الغيب.

هذا الفهم يُوجد توازناً في القلب، توازناً بين الرجاء في رحمة الله تعالى والخوف من عدله. كلاهما يُرشد الإنسان، ويمنعه من الوقوع في الغفلة أو اليأس. فالرجاء يدفعه إلى فعل الخيرات، والخوف يمنعه من المعصية. في هذا التوازن يكمن طريق السلام الداخلي والخلاص.

لكي يبدأ يوم القيامة، يجب أن تنتهي جميع أعمال البشر أولاً. فما دام العالم قائماً، سيستمر اختبار الناس، ولن يُصدر الحساب بعد. لذا، فإن يوم القيامة يستلزم نهاية العالم المادي. بمجرد زوال هذا العالم، ستُختتم سجلات جميع الأعمال، وستُعرض كل نفس على الله تعالى للحساب الأخير.

إن التأمل العميق في هذه الحقيقة يُعزز الإيمان بحتمية ذلك اليوم. ويُذكر الناس بأن الحياة الدنيا ليست سوى مرحلة اختبار مؤقتة، وأن العدل والجزاء في الآخرة. إن إدراك هذه الحقيقة يُغير نظرتهم للأمور، ويدفعهم إلى العيش بعزيمة وتواضع، واستخدام النعم بحكمة، والعمل وفقاً للإرشاد الإلهي الموجود في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. ومن خلال هذا الفهم، يجدون السكينة الحقيقية - حالة ذهنية وجسدية متوازنة - ويتعلمون وضع كل شيء وكل شخص في مكانه الصحيح، وبالتالي تحقيق السلام والنجاح في الدنيا والآخرة. (سورة الجاثية، الآية 22، سورة المائدة، الآية 45)

"وخلق الله السموات والأرض لحكمة، لتُجزى كل نفس ما اكتسبت، وهم لا يُظلمون".

لطاعة الله تعالى على الوجه الصحيح، والاستعداد العملي ليوم الحساب، لا بد من فهم سليم ودقيق لصفاته الإلهية. فالفهم المغلوط أو الناقص لهذه الصفات غالباً ما يؤدي إلى التمني، فيُصرّ الإنسان على المعصية: سورة الفرقان، الآية 59. معتقداً زوراً أنه سيحظى براحة البال في الدنيا والآخرة

"الرحمن فاسألوا عنه خبيراً ..."

تُبرز هذه الآية أهمية طلب المعرفة الحقيقية بالله تعالى من الراسخين في الوحي والحقيقة. ولتجنب الاعتقادات الخاطئة عنه، يجب دراسة أسمائه وصفاته كما وردت في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. فهذه الدراسة تُنمّي الإيمان الصحيح بالله تعالى، وتُلهم الطاعة الصادقة، إذ ترشد العبد إلى استخدام النعم التي وُهِبَتْ إليه فيما يُرضيه. أما الجهل بالصفات الإلهية فقد يؤدي إلى اعتقادات خاطئة تفتح باب المعصية. فمثلاً، من يُدرك حقاً أن الله تعالى غفور رحيم، -لا يتخذ هذه الصفة رخصةً للذنب، بل دافعاً، للاجتهاد في الطاعة، راجياً عفوه عند التقصير لا محالة. ويوازن بين الرجاء في رحمته والخوف من عدله مُدركاً أن المغفرة تُمنح لمن تاب بصدق وسعى إلى الإصلاح. على النقيض من ذلك، فإن من أساء فهم طبيعة المغفرة الإلهية قد يستمر في المعصية، مفترضاً خطأً أنه سيُغفر له مهما كانت أفعاله. مثل هذا الشخص يخدع نفسه، لأنه يقلل من جلال الله تعالى إلى مجرد إشباع لشهواته، متجاهلاً صفاته من العدل والحكمة والقدرة. هذا الشعور الزائف بالثقة هو في حد ذاته شكل من أشكال الغفلة التي تمنع التوبة الحقيقية والطاعة الدرس واضح: المعرفة الصحيحة بأسماء الله تعالى وصفاته هي أساس العبادة الصحيحة. فهي تمنع تطرف اليأس والأمل الكاذب، وتزرع التواضع والشكر، وتوجه القلب نحو العبودية الصادقة. فقط بمعرفة الله تعالى. كما أظهر نفسه يمكن للمرء أن يتجنب فخاخ التفكير التمني والاستعداد بشكل هادف لحسابه في الآخرة

في نهاية المطاف، بما أن كل شيء في الوجود ملكٌ لله تعالى وسلطانه المطلق، فمن الضروري للأفراد الالتزام بأوامره. وكما أن من يخالف قوانين بلدٍ يواجه عقوبات، فكذلك من يتجاهل الأحكام الإلهية التي وضعها الخالق يواجه عواقب في الدنيا والآخرة. ومع ذلك، ثمة فرقٌ جوهري: فبينما قد يختار المرء مغادرة بلدٍ لا تروق له قوانينه، لا مفرّ له من سلطان الله تعالى. فسلطانه يشمل السماوات والأرض، ولا يستطيع أحدٌ الخروج عن سلطانه. ومع أن الأفراد قد يحاولون تغيير المعايير المجتمعية، إلا أنهم لا يستطيعون تعديل

القوانين الإلهية التي وضعها الله تعالى .قد يناقش البشر ويُشرّعون ويُصلحون وفقًا لفهمهم المحدود، لكن ،قوانين الخالق تبقى ثابتة، لأنها متجذرة في حكمة ومعرفة كاملتين .وكما يُملّي صاحب المنزل قواعد ممتلكاته فإن الكون يحكمه الله تعالى، الذي وحده يُحدد قوانينه دون الحاجة إلى موافقة بشرية أو تصديق .لذا، فإن اتباع هذه الأحكام الإلهية ليس مجرد خضوع، بل ضرورة حتمية لتحقيق منفعة شخصية .من يدرك هذه الحقيقة سيطيع أوامر الله تعالى، ويسعى جاهدًا لاستخدام النعم التي وُهِبَتْ له بما يرضيه، كما ورد في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم .هؤلاء يدركون أن الأوامر والنواهي الإلهية ليست قيودًا تعسفية، بل هي ضمانات تهدف إلى تعزيز الرفاه الشخصي -وانسجام المجتمع .في المقابل، يجب على من يسمحون لشهواتهم بالسيطرة ويتجاهلون التعاليم الإسلامية أن يكونوا مستعدين لمواجهة عواقب أفعالهم .في هذه الدنيا، سيواجهون اختلال التوازن والقلق وعدم الرضا، فلا نظام مبني على أهواء البشر يمكن أن يوفر لهم راحة بال دائمة .وفي الآخرة، سيواجهون وطأة المساءلة كاملة، حيث لن يثنّيهم أي قدر من الاعتراضات أو الأعذار أو الشكاوى عن عاقبة ما قدره الله تعالى .سورة الفرقان، الآية 59

"...الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش "

الدرس واضح :طاعة الله تعالى ليست عبثًا، بل رحمة .فهي تُنسّق حياة الإنسان مع نظام الكون، وتضمن التوازن في الحالتين النفسية والجسدية، وتضمن النجاح في كلا العالمين .إن رفض هذا النظام دعوة للفوضى .أما قبوله فهو إيجاد السلام والهدف والثواب الأبدي

ولكن بما أن طاعة الله تعالى تتعارض غالبًا مع رغبات الناس الدنيوية، فإن كثيرًا منهم يقاومون أوامره (سورة) .ويستغلون النعم التي أنعم بها عليهم .غرورهم وتعلقهم بالملذات الدنيوية يدفعهم إلى رفض الخضوع (الفرقان، الآية 60)

"وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا به وزادهم نفورًا "

يرفض هؤلاء الأفراد الاعتراف بحكمة ورحمة الهداية الإلهية، إذ يرونها قيدًا على حريتهم. ومع ذلك، فإن هذا التمرد نفسه يسلبهم السلام والتوازن اللذين يسعون إليهما. في هذا العالم، يمنعهم عصيانهم المستمر من بلوغ حالة ذهنية وجسدية متناغمة. يغفلون عن أولوياتهم الصحيحة، ويضعون كل شيء وكل شخص في حياتهم في غير موضعه. تصبح النعم التي كانت من المفترض أن تجلب لهم الراحة والاكتمال - كالعائلة والأصدقاء والعمل والثروة - مصادر قلق وإحباط وحزن. بإصرارهم على المعصية، يغفلون عن أن محنتهم نابعة من سوء استخدامهم للنعم الإلهية. بدلًا من ذلك، يوجهون اللوم إلى الآخرين - إلى زوجاتهم أو عائلاتهم أو ظروفهم - معتقدين أنها سبب تعاستهم. عندما يقطعون علاقاتهم مع رفقاء مخلصين نافعين سعيًا وراء السلام الشخصي، فإنهم ينحدرون إلى مزيد من الفوضى والاضطراب. تدريجيًا، تظلم قلوبهم، وتغمر عقولهم يؤدي هذا إلى عدم استقرار نفسي وعاطفي، يتجلى في الاكتئاب وإدمان المخدرات، بل وحتى الأفكار الانتحارية. هذه الحقيقة المأساوية واضحة جلية في عالمنا اليوم. فكثير ممن يملكون ثروة طائلة ونفوذًا وشهرة واسعة - أولئك الذين نالوا ما يحسداهم عليه الآخرون - غالبًا ما يُظهرون اضطرابًا داخليًا عميقًا. ورغم رفاهيتهم المادية، تبقى قلوبهم قلقة. يبحثون باستمرار عن ملهيات جديدة لملء فراغ لا يسده ملذات الدنيا حالتهم دليل حي على أن راحة البال لا تُشتري، ولا تتعايش مع معصية الله تعالى. في نهاية المطاف، تتجاوز هذه النتيجة معاناة هؤلاء الأفراد بكثير. إن رفضهم المستمر للهداية الإلهية ورفضهم تصحيح مسارهم يحرمهم فرصة الاستعداد للحساب يوم القيامة. ستكون النعم التي أساءوا استخدامها دليلًا عليهم، وسيكون عقابهم في الآخرة أعظم بكثير من الضيق المؤقت الذي عانوه في الدنيا. لذا، على العاقل أن يدرك أن الحرية والرضا الحقيقيين لا يكمنان في السعي وراء كل رغبة، بل في التسليم لله تعالى، مُستعينًا بنعمه كما أمر. فبطاعته فقط يُمكن تحقيق التوازن الداخلي، وراحة البال، والتوفيق في الدنيا والآخرة.

سورة الفرقان، الآية 60

"وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا به وزادهم نفورًا "

تُبرز هذه الآية ليس فقط إنكارهم لله تعالى، بل أيضًا الحسد والكبرياء اللذين أجبا رفضهم للنبي محمد صلى الله عليه وسلم. لم يحتمل أشراف مكة من غير المسلمين فكرة الخضوع لرجل اعتبروه يتيمًا فقيرًا، مع أنه

كان من أشرف القبائل. احترقت قلوبهم حسداً لما أعلن النبوة ومنحه الله تعالى منصب القيادة والتفوق على الخلق أجمعين. لم يكن رفضهم لقلة الأدلة، فعلاّمت الحق كانت واضحة، ولا لجهلهم بشخصيته النبيلة التي اعترفوا بها قبل نبوته. بل إن ما أعمى أبصارهم هو رغبته في القيادة والهيمنة والثروة. لم يقبلوا أن السلطة الإلهية قد مُنحت له دونهم. دفعهم حسدهم وغرورهم إلى السخرية من أمر السجود للرحمن، وهو أمر كان ينبغي أن يُلهم التواضع والخضوع. هذا الردّ يُظهر حقيقةً خالدةً: إن الكبر والحسد من أعظم عوائق الهداية. فعندما يُسيطر الطموح الدنيوي والكبرياء على قلوب الناس، يعجزون عن إدراك الحقيقة، حتى لو كانت جليةً أمامهم. وبدلاً من أن يتواضعوا لله تعالى، يزدادون نفوراً، ويبتعدون عن الرحمة والنجاة. والدرس واضحٌ جليّ. فالاستسلام الحقيقي يتطلب التواضع والإخلاص والاستعداد لقبول الهداية أيّاً كان مصدرها. فمن يرفض الحقيقة حسداً أو كبراً لا يضرّ إلا نفسه، بينما من يستسلم لله تعالى ينال العزة والسكينة والفلاح الأبدي.

ثم يُشير الله تعالى مرة أخرى إلى آيات الكون التي تشهد بوحديته وتُبين وجوب طاعته وحده في كل حين
:سورة الفرقان، الآية 61

"...تبارك الذي جعل في السماء نجومًا عظيمة "

تُلقت هذه الآية الانتباه إلى عظمة السماوات ومنافعها التي لا تُحصى. فالنجوم، على وجه الخصوص، ليست مجرد زينة تُزيّن سماء الليل، بل هي ذات أغراض عميقة تعكس حكمة إلهية. على مرّ التاريخ، وحتى في بعض الأحيان في عصرنا الحالي، استُخدمت النجوم كوسيلة للملاحة. فبالنسبة للمسافرين في الصحاري أو البحارة، حيث تغيب المعالم وتتسع التضاريس، كانت النجوم تُوفّر لهم التوجيه والأمان. لولاها، لكانت رحلاتهم محفوفة بالمخاطر، ولضاع الكثيرون. وإلى جانب الملاحة، تُعدّ النجوم أيضاً علامات للزمن فبمراقبة مواقعها وحركاتها، تمكّن الناس من تحديد فصول السنة. وقد كانت هذه المعرفة لا غنى عنها للزراعة والتجارة وغيرها من المهن البشرية التي تعتمد على دورات الطبيعة. وهكذا، فإن النجوم ليست مصدراً للجمال فحسب، بل هي أيضاً نعمة عملية، مُنسجمة في نسيج بقاء الإنسان وتقدمه. والحكمة وراء مواقعها واضحة: إنها علامات على النظام الإلهي والتوازن والرحمة. وجودها يدل على خالقٍ صمّم الكون بدقةٍ وهدف. وكما تُرشد النجوم المسافرين إلى وجهاتهم، فكذلك ينبغي أن تُرشد القلوب إلى معرفة الله تعالى ربّاً واحداً مُستحقاً للطاعة. الدرس عميق. فالسماوات ليست عشوائية أو بلا غاية؛ بل هي آياتٌ مُدبّرة تدعو الناس

إلى التدبّر والاستسلام. من ينظر إلى النجوم بغفلة لا يرى إلا أضواءً بعيدة، أما من يتأملها ببصيرة فيعرفها. دلائل على الوجدانية الإلهية وتذكيرًا بالطريق الذي يجب اتباعه

يُذكّر الله تعالى البشرية بأنه سخر جميع المخلوقات في السماوات والأرض لخدمة مصالحها. ومن أعظم هذه (الآيات الشمس والقمر). سورة الفرقان، الآية 61)

"وجعل فيها سراجًا وقمرًا منيرًا"

الشمس، الموصوفة بالسراج المُشعّ، هي مصدر الضوء والطاقة اللذين تعتمد عليهما الحياة على الأرض، يضمن مسارها الدقيق حصول الأرض على تناوب متوازن بين النور والظلام. وقد رُتّب توقيت الليل والنهار إلى جانب اختلاف أطوالهما على مدار العام، بدقة متناهية ليتمكن الناس من تحقيق أقصى استفادة. فإذا طالت الأيام أكثر من اللازم، شعر الناس بالإرهاق والإرهاق من ساعات العمل الطويلة. وإذا طالت الليالي أكثر من اللازم، فلن يكون هناك وقت كافٍ لكسب الرزق أو طلب العلم النافع. وعلى العكس، إذا قصرت الليالي أكثر من اللازم، حُرِم الناس من الراحة اللازمة للحفاظ على الصحة والقوة. علاوة على ذلك، فإن أي خلل في هذا التوازن سيؤثر على الزراعة، مما يؤدي إلى نقص في الغذاء والقوت لكل من الناس والحيوانات: سورة الفرقان، الآية 62

"وهو الذي جعل الليل والنهار خلفه"

القمر، الموصوف بالنور، يعكس ضوء الشمس ويهتدي به في الليل. على مر القرون، ساعد المسافرين في الصحاري والبحارة في البحار، حيث تغيب المعالم وتكون الملاحة محفوفة بالمخاطر. وحتى في عصرنا الحالي، لا يزال دوره في الملاحة وضبط الوقت بالغ الأهمية. كما تنظم أطوار القمر مد وجزر المحيطات

والبحار، وهو أمر ضروري للحفاظ على التوازن البيئي. وأي خلل في هذه المد والجزر من شأنه أن يلحق ضررًا واسع النطاق بالبيئة والحياة البشرية. كما أن الشمس والقمر معًا بمثابة أدوات لقياس الوقت. فالأيام والشهور والسنين تُحدد جميعها بحركاتهما، مما يُمكن الناس من تنظيم حياتهم وممارسة التجارة وإقامة منظومات العبادة. وبدون هذا النظام الدقيق، لا يمكن للحضارة الإنسانية أن تعمل. إن التوازن المثالي وموقع الشمس والقمر في النظام الشمسي ليسا وليد الصدفة، بل دلائل واضحة على الحكمة والقدرة الإلهية. وهما يشهدان على وحدانية الله تعالى، الذي سخر قوى الكون الهائلة لخير البشرية. كما يعتمد الناس على الشمس والقمر في رزقهم المادي، فعليهم أيضًا الاعتماد على هداية الوحي في إرشادهم الروحي. والدرس جليّ: إن انسجام الكون انعكاس لرحمة الخالق وسلطانه. إن تجاهل هذه الآيات هو تجاهلٌ للدليل الذي يحيط بالبشرية يوميًا، بينما التأمل فيها هو هدايةٌ إلى الشكر والطاعة والاعتراف بالله تعالى ربًّا واحدًا يستحق العبادة). سورة (الفرقان، الآية 62

"...لمن أراد أن يتفكر ..."

لقد انقاد الخلق أجمعين، باستثناء البشر، لطاعة الله تعالى. ولذلك، فهم في حالة من التوازن والانسجام التام. يتجلى هذا الانسجام لكل من يتأمل الكون: فشروق الشمس وغروبها يتم بدقة متناهية، وأطوار القمر تسير في مسارها المحدد، والكواكب الكثيرة ثابتة في مداراتها دون انحراف. ولا يتحقق هذا النظام والاستقرار إلا بخضوع الخلق أجمعين لإرادة الله تعالى. في المقابل، لا يُلاحظ هذا الانسجام بين البشر، إذ يختار الكثيرون معصية الله تعالى، ويعيشون وفق أهوائهم بدلًا من التوجيه الإلهي. بخلاف سائر الخلق، الذين يُؤدون غرضهم دون تردد، مُنح البشر حرية الإرادة، وكثيرًا ما يُسيئون استخدامها، مُخلّين بالتوازن في حياتهم ومجتمعاتهم. فإذا رغب المرء في تحقيق نفس الانسجام والتوازن المُلاحظ في الكون، فعليه أن يحذو حذو الخلق، مُسلمًا لله تعالى خضوعًا صادقًا في كل وقت وحين. يتجلى هذا الخضوع بالاستخدام الصحيح للنعم التي مُنحت لهم وفقًا لهدى القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. بهذه الطاعة، يصل الإنسان إلى حالة ذهنية وجسدية متناغمة، ويضع كل شيء وكل شخص في مكانه الصحيح في حياته. هذا السلوك لا يُهيئ الإنسان للمحاسبة يوم القيامة فحسب، بل يجلب أيضًا الطمأنينة في العالمين. فكما أن السماوات والأرض تبقى في توازن بالخضوع لأمر الله، كذلك تكون حياة الإنسان متوازنة وهادئة عندما يمتثل لأوامر الله تعالى. وهكذا تصبح الطاعة مفتاحًا للتناغم، والتناغم يصبح طريقًا إلى النجاح الأبدي.

بعد ذكر بعض آيات الخلق التي خلقت لخير البشرية، يُذكر الله تعالى الناس بضرورة إدراكهم على الأقل سورة الفرقان، الآية 62. للأنظمة المتوازنة التي تُمكنهم من عيش حياة كريمة في هذه الدنيا

"لمن أراد التأمل أو الامتنان ..."

تُسلط هذه الآية الضوء على استجابتين أساسيتين لآيات الخلق: التفكير والشكر. فالتفكير يُمكن الإنسان من إدراك حكمة الله تعالى وقدرته ورحمته في نظام الكون، بينما يضمن الشكر ألا يُترك هذا الإدراك كمجرد تمرين فكري، بل يُترجم إلى أسلوب حياة عملي. إن إظهار الشكر لله تعالى على نعمه التي لا تُحصى والمستمرة هو ردّ العبد المستقيم والعاقل على ربه. ويُعبّر عن الشكر بالنية بتوجيه النية الباطنة نحو إرضاء الله تعالى فقط، وتجنب الدوافع الخفية للكبرياء والغرور أو الكسب الدنيوي. ويُعبّر عنه بالكلام بحمد الله تعالى على نعمه، والقول بالخير فقط، واختيار الصمت على الكلام الضار أو الفارغ. يتجلى الشكر في العمل باستغلال كل نعمة - سواء أكانت ثروة أم صحة أم علمًا أم وقتًا - بما يرضي الله تعالى، كما بينه القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. هذا الشمول للشكر ليس واجبًا أخلاقيًا فحسب، بل هو أيضًا مصدر رزق إلهي، فقد وعد الله تعالى من يشكر بنعم إضافية. علاوة على ذلك، يُنمي الشكر السكينة والتوازن والنجاح في الدنيا والآخرة، ويُمكن الإنسان من تحقيق حالة ذهنية وجسدية متناغمة، ووضع كل شيء وكل شخص في حياته في موضعه الصحيح. في المقابل، يُشوّه جحود الشكر المنظور، مما يؤدي إلى القلق وعدم الرضا وإساءة استخدام النعم. أما الشاكر، فيرى في كل ظرف فرصة للتقرب من الله تعالى، سواء بالتمتع بالنعم بشكر أو بتحمل البلاء بصبر. وهكذا، فإن التأمل والشكر متلازمان. فالتأمل دون شكر ناقص، والشكر دون تأمل سطحي. معًا، يُشكلان أساس حياة تُعاش في وئام مع الهداية الإلهية، مما يؤدي إلى راحة البال في: سورة إبراهيم، الآية 7. الدنيا والفوز الأبدي في الآخرة

لئن شكرتم لأزيدنكم

بعد أن حثَّ الله تعالى الناس على التفكير في خلق السماوات والأرض، مما يدفعهم بطبيعة الحال إلى شكر النعم الكثيرة التي خلقت وسُخِّرَت لمنفعتهم، بيِّن صفات من يجسّدون هذا الشكر بحق. سورة الفرقان، الآية 63:

"...وعباد الرحمن"

أول ما يتسم به هؤلاء العباد المختارون هو اعترافهم بالله تعالى ربًّا وخالقًا لهم، فيقبلون بذلك عبوديتهم له هذا القبول يُغيّر نظرهم للحياة، فلا يسعون وراء ملذاتهم الزائلة، ولا يسعون وراء رضا الآخرين أو توجهات المجتمع، كوسائل التواصل الاجتماعي والموضة والثقافة. بل غايتهم الدائمة هي رضى مولاهم الله تعالى ولأن الله تعالى هو الرحمن الرحيم، فليس نيل رضوانه عسيرًا. لا يأمر إلا بما ينفع عباده ولا ينهى إلا عما يضرهم. لذا، فإن طاعته ليست عبئًا، بل رحمة، لأنها تُوفّق بين الحياة البشرية والحكمة الإلهية. تتجلى هذه الطاعة عمليًا عندما يستخدم الإنسان النعم التي وهبه إياها على النحو الذي حدّدته التعاليم الإسلامية، لا وفقًا لأهوائه. وبذلك، يحقق راحة البال في الدنيا والآخرة، فيتوازن ذهنيًا وجسديًا، ويضع كل شيء وكل شخص في حياته على الوجه الصحيح. علاوة على ذلك، فإن العبد لله تعالى لا يتمنى رضا الناس عنه شخصيًا، بل يتمنى رضا الله تعالى، لأن رضاه هو الغاية الأسمى. هذا الموقف يحرره من قلق طلب الثناء من الآخرين ويرسّخ حياته في الإخلاص. وأخيرًا، يُدرك العبد الحق أن كل ما يملكه - بما في ذلك ماله وصحته، بل حتى حياته نفسها - قد خلقه الله تعالى ووهبها له. هذه النعم ليست ملكًا له، بل أمانة في عنقه. لذا، يجب استخدامها وفقًا لهدى القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. إن إساءة استخدامها خيانة لدين الخالق، أما استخدامها على الوجه الصحيح فهو تحقيق لغايات العبودية. وهكذا، يتميز عباد الرحمن: فهم لا يعيشون لأنفسهم، ولا لرضا الآخرين الزائل، بل لرضا الله تعالى الأبدي. وتصبح حياتهم منظمة ومتوازنة وهادفة. تعكس انسجام الخلق الذي أمروا بالتأمل فيه.

،سورة الفرقان). إنّ إدراك عبودية الله تعالى يُنشئ بطبيعته التواضع والرفق، لا سيّما في معاملته مع الناس (الآية 63).

"...وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا "

تُبرز هذه الآية أن العبودية الحقيقية لله تعالى لا تقتصر على التعبد الخاص، بل تتجلى في سلوك المرء تجاه الخلق. والتواضع جوهر هذه الشخصية، إذ يضمن تذكر المرء الدائم أن كل نعمة يمتلكها - سواء أكانت ثروة أم علمًا أم صحة أم منصبًا - قد خلقها الله تعالى ووهبها له. هذا الوعي يمنع الكبر والغرور، ويرسخ الامتنان، والمسؤولية لدى الفرد. فعندما يدرك المرء أن نعمه أمانات إلهية، يُصرّ على استخدامها على الوجه الصحيح كما هو مبين في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. هذه الطاعة تضمن له حالة نفسية وجسدية متناغمة، يضع فيها كل شيء وكل شخص في مكانه الصحيح في حياته، ويهيئ نفسه أيضًا للمحاسبة. يوم القيامة. هذا السلوك يُفضي إلى السكينة في الدنيا والآخرة، فالتوازن والسلام هما ثمرة التواضع الطبيعية. كما يُشكّل التواضع تفاعلات المرء مع الآخرين. إنه يمنع الإنسان من الاستخفاف بالآخرين أو ظلمهم، بل يحفزهم على أداء حقوق الناس كما أمر الله تعالى. وهكذا، يصبح التواضع أساسًا للعدل والسلام في المجتمع، في المقابل، لا ينشأ الظلم والقهر إلا عندما يتجذر الكبر في القلب. لذا، فإن تجنب الكبر أمر بالغ الأهمية لأنه قد يفسد حتى العبادات. قد يعتقد المرء خطأ أنه باتباعه التعاليم الإسلامية يُقدم معروفًا لله تعالى، بينما في الحقيقة، الطاعة لا تنفع إلا نفسه. هذا الكبر يعميه عن حقيقة أن الله تعالى غني عن الحاجة، بينما هو في حاجة دائمة إليه. يمكن لهذه العقلية أن تعيق الطاعة الحقيقية، وخاصة عندما تتعارض الأهواء الشخصية مع الأوامر الإلهية، فتُضله عن الصراط المستقيم. من ناحية أخرى، فإن من يدرك أن إيمانه وطاقته في النهاية يخدمان مصالحه الخاصة، سيُنميان التواضع أمام الله تعالى، وسيثبتان على الطاعة في السراء والضراء. في أوقات البلاء، يُظهرون الصبر، مُتوكلين على حكمة الله تعالى، وفي أوقات الرخاء، يُعربون عن الشكر، مُقرّين برحمته. هذا التوازن - الصبر في الشدائد والشكر في الرخاء - هو سمة عباد الرحمن الصادقين.

:سورة الفرقان، الآية 63

"...وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا "

في حديثٍ ورد في جامع الترمذي، رقم 2701، نصح النبي محمد صلى الله عليه وسلم بأن الله تعالى يُحب الرفق في كل شيء. هذا التعليم الموجز والعميق يُرسّخ الرفق صفةً مميزةً للعبد الصالح لله تعالى. الرفق ليس مجرد مجاملة، بل مبدأ يجب اتباعه في كل جانب من جوانب الحياة، وينفع من يمارسه قبل غيره. بتجسيد الرفق، ينال الإنسان البركات والأجر من الله تعالى، ويُقلّل من احتمال الوقوع في المعصية، فالشخص اللطيف أقل ميلاً لإيذاء الآخرين بالفاظٍ أو أفعالٍ قاسية. بالإضافة إلى فوائده الروحية، يجلب الرفق أيضاً فوائد ملموسة في أمور الدنيا. فالزوج الذي يُعامل شريكه بلطفٍ ينال الحب والاحترام في المقابل. والوالدان اللذان يُظهران اللطف مع أبنائهما سيجدانهم أكثر ميلاً لطاعتهم وإكرامهم. والزملاء الذين يُعاملون بلطفٍ أكثر ميلاً للتعاون والدعم. الأمثلة لا تُحصى، وفي كل ظرف تقريباً، يكون الرفق أنفع من القسوة. لا يُشترط الحزم أو الشدة إلا في حالات نادرة واستثنائية، وحتى في هذه الحالات، يجب أن يُمارس بحكمة وضبط نفس. اتسم النبي محمد صلى الله عليه وسلم بصفات نبيلة لا تُحصى، ومع ذلك فقد أبرز الله تعالى رفيقه في القرآن الكريم: سورة آل عمران، الآية ١٥٩. فكان مفتاح نجاحه في كسب القلوب

"...فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك"

تُبيّن هذه الآية أن حتى أكمل الرسائل تتطلب اللطف في توصيلها لتكون فعّالة. أما القسوة، على النقيض من ذلك، فتُبعد الناس، مهما بلغت صدق الرسالة.

علاوة على ذلك، يجب على المرء أن يتذكر أنه لن يتجاوز مرتبة نبيٍّ عليه السلام، ولن يكون من يصادفه أسوأ من فرعون. ومع ذلك، أمر الله تعالى النبيين موسى وهارون عليهما السلام بمخاطبة فرعون باللين: سورة طه، الآية 44

فَقُولُوا لَهُ قَوْلًا لَّنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى

إذا كان الرفق مأمورًا به حتى في التعامل مع أعتى الطغاة، فهو مطلوبٌ بلا شك في التعاملات العادية مع الأهل والجيران والمجتمع. القسوة لا تُنفر الناس من الإسلام، وتُوحى لهم بأنه دينٌ قاسٍ وفظٌ. وتشويه صورة الإسلام بهذه الطريقة جريمةٌ جسيمةٌ يجب اجتنابها.

لذلك، ينبغي للإنسان أن يتحلى بالرفق في جميع أموره، لما فيه من أجر عظيم، وتأثير إيجابي على الآخرين بدءًا من أسرته وصولًا إلى المجتمع. مع ذلك، لا يعني هذا التعليم الامتناع عن الدفاع عن النفس أو إقامة العدل. فالإسلام يُعلّم التواضع دون ضعف. فالرفق هو الأصل، ولكنه لا يعني السماح للآخرين بالاستغلال أو الظلم.

وأخيرًا، لا بدّ من تذكّر مبدأ بسيط وعميق: معاملة الناس تُعامل عند الله تعالى. من كان قاسيًا في كلامه وفعله عومل بقسوة. أما من كان لينًا، يُيسّر الأمور، ويُعين على الخير، ويتجاوز عن عيوبهم، فإن الله تعالى يُعامله بلطف ويسر ورحمة.

ولأن الإسلام دينٌ متوازن، فهو يُعلّم التواضع دون ضعف. سورة الفرقان، الآية 63

"وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً"

والجهل في هذا السياق لا يشير فقط إلى الشخص الذي يتصرف بشكل سيء مع شخص آخر بسبب نقص علمه وأخلاقه، بل يشير أيضًا إلى شخص يفقد السيطرة على مشاعره، مثل الغضب، حيث سيتصرف هذا الشخص بجهل، حتى لو كان يمتلك المعرفة.

لذلك، تتضمن هذه الآية تجنب صحبة الجاهلين .لا يمكن المبالغة في الطبيعة الاجتماعية المتأصلة في البشر وما ينتج عنها من تأثير عميق يُحدثه رفاق المرء على تطوره الشخصي .إن صحبة الفرد - سواء أكان تأثيرها مُلهماً أم ضاراً - تترك أثراً لا يُمحى على شخصيته .قد يكون هذا التحول مفاجئاً في بعض الأحيان، ولكنه غالباً ما يتكشف بشكل خفي مع مرور الوقت .بغض النظر عن ذلك، فإن التأثير الجماعي للرفاق يُشكل عقلية الشخص وإطاره الأخلاقي ومسار حياته النهائي .وقد عبّر النبي محمد صلى الله عليه وسلم عن صدق هذا المبدأ في حديث معروف موجود في سنن أبي داود، رقم 4833 .فقد قدم تشبيهاً واضحاً :فكما أن زائر العطار يفوح منه رائحة طيبة، وصديق الحداد يترك رائحة دخان، فإن الشخص يتخذ حتماً طباع من حوله من يحيط نفسه بأشخاص صادقين مستقيمين، يجد قلبه ميلاً بطبيعته إلى النقاء الروحي والتواضع والامتنال لأوامر الله تعالى .هؤلاء الرفاق مصدرٌ أساسيٌّ للنصح، يُذكرون المرء بلطفٍ بالإيمان والمسؤولية .يُشجعون على استخدام النعم بحكمة والتركيز الدائم على غاية الحياة .في هذه الصحبة النافعة، تتقوى عزيمة الفرد الروحية، وتُركّز النوايا، ويتحسن سلوكه العام .بإعطاء الأولوية للعلاقات القائمة على الاستقامة، يتمكن الإنسان من تحقيق السلام الداخلي والعيش بتناغم، مما يؤدي إلى الرضا الحقيقي

على النقيض من ذلك، عندما يختار المرء صحبة غير المسؤولين أو المتساهلين أخلاقياً، فإنه يبدأ تدريجياً بتقليد سلوكياتهم ومواقفهم .هذا التحول، الذي قد يبدو غير ملحوظ في البداية، يُضعف في النهاية صلة المرء بالله تعالى، ويُضعف حساسيته الأخلاقية .غالباً ما ينشغل هؤلاء الأفراد بشهوات زائلة، ويُسيئون استخدام النعم التي مُنحت لهم، ويفقدون منظورهم لغايتهم الأساسية .والنتيجة الحتمية هي حالة من خلط الأولويات واضطراب العلاقات، وقلق عميق في القلب .عندما يُستبدل ذكر الله تعالى بالسعي وراء الإشباع الزائل، لا يمكن لأي قدر من النجاح أو الراحة الخارجية أن يملأ الفراغ الروحي الناتج .ومع أنهم قد يُظهرون رضا ظاهرياً، إلا أنهم في باطنهم يُصارعون القلق والذنب والسخط العميق .تفقد عقولهم صفاءها، وتفقد قلوبهم راحة البال، وتفقد علاقاتهم صدقها .هذا التدهور الروحي يجلب صعوبات حتمية في هذه الحياة وعواقب وخيمة في الآخرة .ولذلك، يختار الإنسان الحكيم رفقاءه بعناية، باحثاً عن من يُلهم وجودهم ذكر الله تعالى .ويُتمثلون نموذجاً للنزاهة والتوازن والتمسك بالحق) .سورة الفرقان، الآية 63)

"وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً "

كما ذكرنا سابقًا، يشمل الجاهل في هذه الآية من يفقد السيطرة على انفعالاته، كالغضب. فالغضب، إن لم يُكبح، يُشوّه الحكمة، ويُعمي القلب، وغالبًا ما يُفضي إلى أقوال أو أفعال يندم عليها المرء لاحقًا. في هذا السياق، تُملي الحكمة ألا يُصعد المرء الموقف بالرد بكلمات قاسية على من فقد السيطرة على انفعالاته فالجدال مع الغاضب كصبّ الزيت على النار، فهو لا يزيدُها إلا اشتعالًا. بل إن أنجع رد فعل هو الصمت والصبر وضبط النفس. فبرفض الانخراط في سخونة اللحظة، يمنع المرء الموقف من الانحدار إلى صراع وإثم. ومن الحكمة أيضًا تجنب التفاعل المُطوّل مع شخص غلبه الغضب. فالشخص العاطفي غالبًا ما يكون أصمًا عن المنطق وأعمى عن النصيحة الحكيمة. والنصيحة، مهما كانت صادقة، من غير المُرجّح أن تخترق قُلُوبًا استهلكه الغضب. لذا، فإن أفضل حلّ هو الانسحاب من الموقف حتى يهدأ الفرد ويستعيد رباطة جأشه بمجرد عودة التوازن، يُمكن إعادة النظر في الأمر بوضوح واحترام متبادل. يعكس هذا النهج المبدأ الإسلامي الأوسع المتمثل في الرفق والصبر في التعاملات الإنسانية. وقد جسّد النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم هذا المبدأ مرارًا وتكرارًا. فعندما وُجّهت إليه عداوة أو إهانة أو استفزاز، كان يردّ بهدوء وكرامة، مُجرّدًا بذلك خصومه من أسلحتهم وكسبًا لقلوبهم. يُعلّمنا مثاله أن الصمت وضبط النفس في مواجهة الغضب ليسا علامة ضعف، بل حكمة وقوة. علاوة على ذلك، فإن ترك الموقف عند مواجهة غضب جامح لا يعود بالنفع على من ينسحب فحسب، بل أيضًا على من يغضب. فبرفض الانخراط، يحرم المرء من فرصة ارتكاب المزيد من الأخطاء بأقواله أو أفعاله. وبهذه الطريقة، يصبح ضبط النفس رحمةً، يحمي الطرفين من الأذى وفي نهاية المطاف، يجب على عبد الله تعالى أن يسعى جاهدًا لمحاكاة انسجام الخلق نفسه - أن يبقى متوازنًا وهادئًا حتى في مواجهة الاضطرابات. كما تبقى النجوم ثابتة في مداراتها والبحار في حدودها، فكذا ينبغي للإنسان أن يبقى في حدود الصبر وضبط النفس - فبذلك لا يحفظ كرامته فحسب، بل يعزز أيضًا المصالحة والعدالة والسلام في المجتمع.

لا يقتصر عباد الله تعالى الحقيقيون على إظهار نبل أخلاقهم في تعاملهم مع الآخرين، بل يُظهرون أيضًا إخلاصهم له وطاعتهم له سرًا، بعيدًا عن أعين الناس. فعبادتهم ليست عرضًا للتقدير، بل هي طاعة خالصة (سورة الفرقان، الآية 64).

"والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً"

تُسَلِّط هذه الآية الضوء على صلاة الليل التطوعية، وهي من أعظم علامات العبودية .إنها وسيلةٌ للحديث مع الله تعالى، حين يصمت العالم ويقف الشغل .وقد ورد في سنن النسائي، رقم 1614، حديثٌ يُشير إلى أنها أفضل صلاة التطوع، لأنها تجمع بين الخلوة والإخلاص والخشوع .وقد ارتبطت بها منزلة النبي محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة وفي الجنة ارتباطاً مباشراً .وهذا يُبين أن من أقامها رُفِع إلى أعلى مراتب الدنيا .(سورة الإسراء، الآية 79) .والآخرة

"ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا"

تُبين هذه الآية أن قيام الليل ليس مجرد وسيلة لتزكية النفس، بل هو سبيلٌ إلى شرفٍ وشرفٍ في الآخرة .إنه عبادةٌ تُهذِّب النفس، وتُقَوِّي القلب، وتُهيئ الإنسان للحياة الأبدية

صلاة الليل أيضاً وقتٌ للتقرب إلى الله تعالى .وقد ورد في جامع الترمذي، رقم 3579، حديثٌ يفيد بأن أقرب ما يكون العبد إلى الله تعالى في آخر الليل .ففي هذا الوقت يلين القلب، وتخف المشاغل، ويرتفع الدعاء بصدقٍ واجتهاد .بل إن حديثاً في صحيح مسلم، رقم 1770، يُعلِّمنا أن في كل ليلة ساعةٌ تُستجاب فيها الدعوات ولذلك، فإن من يقوم ليذكر الله تعالى في هذا الوقت ينال بركاتٍ لا تُحصى، روحيةً ودنيويةً .كما أن صلاة الليل سترٌ من الذنوب .فهو يُبعد الإنسان عن مجالس اللغو، ويقوي عزمته على الفتن، بل ويقيه من الأمراض الجسدية، كما ورد في حديث جامع الترمذي رقم 3549 .وهو حصنٌ روحيٌّ يُغذي الروح، وحصنٌ دنيويٌّ يحفظ الجسد .وبذلك، تُصبح صلاة الليل حصناً جامعاً للعبد الله تعالى

يتطلب الاستعداد لهذه الصلاة انضباطاً ونظرة ثابتة .ينبغي تجنب الإفراط في الأكل والشرب قبل النوم، لأن ذلك يُسبب الكسل .وينبغي عدم إرهاق النفس نهائياً، وقيلولة قصيرة تُعين على الاستيقاظ ليلاً .والأهم من ذلك كله، السعي إلى طاعة الله تعالى، بتنفيذ أوامره واجتناب نواهيه، ومواجهة القدر بالصبر، كما أرشدنا النبي محمد صلى الله عليه وسلم .فالمطيع أسهل عليه القيام لصلاة الليل، لأن قلبه متوجهة إلى العبادة

وأخيرًا، يُوحى حديث صلاة الليل برسالة أمل عميقة. فباب التوبة والتوفيق لا يُغلق أبدًا. كل ليلة تُتيح فرصة جديدة للعودة إلى الله تعالى، وطلب رحمته. ومع غنى الله عنه، فإنه يدعو عباده إليه ليُفلحوا. إنها رحمة لا تُحصى. ومع ذلك، يجب على المرء أن ينتهز هذه الفرص قبل فوات الأوان، لئلا يُترك له سوى الندم.

،الدرس واضح: قيام الليل ليس مجرد عبادة، بل هو سبيلٌ إلى التقرب إلى الله تعالى، وجَنَّةٌ من الذنوب ومصدرٌ لإجابة الدعاء، ووسيلةٌ لنيل أعلى مراتب الدنيا والآخرة. من قام به، تشرق ليلاليه بالذكر، ويزداد نهاره طمأنينةً وسكينةً، ويمتلئ قلبه بالأمل.

على الرغم من نبل خلق الله تعالى في تعاملهم معه ومع خلقه، إلا أنهم يحذرون الوقوع في فخ التمني. ولا يخدعون أنفسهم بالاعتقاد بأن بعض الأعمال الصالحة الناقصة كافية لضمان راحة البال في الدنيا والنجاة في (سورة الفرقان، الآية 65). الآخرة.

"والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان مقيمًا "

توضح هذه الآية أن حتى أكثر عباد الله تقوى يعيشون في خشوع وخوف، مُدركين شدة عذاب جهنم واحتمال الوقوع فيها رغم عباداتهم. فهم لا يسمحون لأعمالهم الصالحة بأن تصبح مصدرًا للغرور أو التهاون، بل يقرنون بها بالدعاء الدائم للحماية والمغفرة. أما التمني، على النقيض من ذلك، فهو وهم خطير. فهو يشجع المرء على تبرير ذنوبه ببضعة أعمال صالحة، كصلاة الليل، مع الاستمرار في المعصية. هذا الموقف لا قيمة له في الإسلام، لأنه يُشجع العاصي على الاستمرار في المعاصي معتقدًا زورًا أنه سيحظى بالسلم والنجاح. هذه العقلية ليست أملًا، بل خداعًا للنفس. أما الأمل الحقيقي، فهو مختلف تمامًا. إنه يتضمن السعي الصادق في طاعة الله تعالى، امتثالًا لأوامره، واجتنابًا لنواهيه، واستخدامًا لنعمه التي أنعم بها وفقًا لتعاليم الإسلام. بعد بذل هذا الجهد، يتوكل العبد على رحمة الله تعالى ومغفرته في الدنيا والآخرة. هذا التوازن بين الجهد والتوكل هو جوهر العبودية الحقيقية. وقد أوضح النبي محمد صلى الله عليه وسلم هذا التمييز في حديث

ورد في جامع الترمذي، رقم 2459، حيث أوضح أن من اتبع هواه راجياً المغفرة فهو مغرور، بينما من اجتهد في الطاعة ثم رجاى الرحمة فهو متفائل حقاً. يوضح هذا الحديث أن الرجاء بلا جهد ليس أكثر من مجرد تفكير بالتمني، بينما الرجاء الممزوج بالطاعة علامة على الإخلاص. لذلك، يجب على المرء أن يقدر الفرق بين الأمل الكاذب والأمل الحقيقي. فالأمل الكاذب يؤدي فقط إلى الإهمال والإثم والندم، بينما يلهم الأمل الحقيقي الطاعة والتواضع والمثابرة. عباد الله تعالى هم الذين يتجنبون الأول ويعتقون الثاني، ويدعون باستمرار من أجل الحماية من النار ويسعون جاهدين للعيش وفقاً للهداية الإلهية. وبهذه الطريقة، يضمنون راحة البال في هذه الدنيا والنجاح الأبدي في الآخرة.

علاوة على ذلك، يتجنب عباد الله المخلصون التهوين من شدة جهنم، فهذا الموقف لا يشجع الناس إلا على (سورة الفرقان، الآية 66). الاستمرار في المعصية، فعندما تُنسى حقيقة العقاب، تضع الحاجة إلى الإصلاح

"إنه شر من حيث هو مستوطن ومن حيث هو مكان مؤقت "

تؤكد هذه الآية أن جهنم ليست مجرد عذاب لا يُصدق، بل هي أيضاً دار جحيم، سواء لبث فيها الإنسان لفترة قصيرة أو للأبد. حتى الإقامة المؤقتة في جهنم لا تُطاق، ولذلك لا يُقلل عباد الله تعالى من شدتها. ومن أهم أسباب وصف الآخرة -وخاصة يوم القيامة والنار- بمثل هذا التفصيل الدقيق في التعاليم الإسلامية، استئصال المعتقدات الباطلة التي تبنتها الأمم السابقة. فقد استخف كثير منهم بهذه الحقائق، واعتبروها بعيدة بل وسخروا منها. وقد نشأ هذا الموقف الرافض من التمني، حيث استمر الناس في المعصية ظانين زوراً أنهم سينالون النجاة. وتنوعت هذه الظنون الباطلة. فمَنهم من اعتمد على شفاعة الصالحين دون السعي لإصلاح ذات البين. ومَنهم من اعتقد أن مجرد النطق بالإيمان يكفي للنجاة، مهما كانت أعمالهم. وظنَّ البعض أن الأعداء والتوبة ستقبلان تلقائياً يوم القيامة، حتى لو لم يتوبوا توبة صادقة في الدنيا. وظنَّ آخرون أن عذاب الآخرة لن يكون أشدَّ من عذاب الدنيا، فلم يشعروا بدافع للاستعداد. ولإزالة هذه المفاهيم الخاطئة، تُقدِّم التعاليم الإسلامية حقائق الآخرة بتفاصيل واضحة وجليّة. سورة الحج، الآية 2

يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم
"بسكارى ولكن عذاب الله شديد

هذه الأوصاف لا تهدف إلى بثّ اليأس، بل إلى إيقاظ القلوب للحقائق. فهي تُذكّر الناس بأن الآخرة ليست خرافة بعيدة، بل حقيقة لا مفرّ منها، وأنّ الاستعداد لها أمرٌ لا بدّ منه. والغرض هو الحثّ على طاعة الله تعالى عملياً، من امتثال أوامره، واجتناب نواهيه، وحسن استغلال نعمه على الوجه الذي يرضيه، كما هو مبين في القرآن الكريم وسنة النبيّ الكريم محمد صلى الله عليه وسلم. باستيعاب هذه التعاليم، يُصان الإنسان من التهاون، ويُجنّب الأمل الكاذب، ويُهدى إلى حياة الإخلاص والمسؤولية. وبذلك، يضمن السلامة من العقاب، ويُحقّق النجاح في الدنيا والآخرة. ولذلك، يعيش عباد الرحمن في توازن بين الخوف والرجاء: خوفٌ يدفعهم عن المعصية، ورجاءٌ يدفعهم إلى طلب الرحمة والمغفرة.

سورة الفرقان، الآية 66

"إنه شر من حيث هو مستوطن ومن حيث هو مكان مؤقت "

علاوة على ذلك، فإن عباد الله المخلصين لا يسمحون لأنفسهم أبداً بتبني موقف جاهل، فيفترضون أنهم مضمونون بمغادرة هذه الدنيا بإيمانهم سليماً، وأنهم حتى لو دخلوا النار، فإن إقامتهم ستكون قصيرة. هذه العقلية خطيرة، لأنها تشجع على الرضا بالنفس والإصرار على المعصية. بافتراض أن الإيمان سيبقى تلقائياً حتى الموت، يُخاطر المرء بإهمال الأعمال التي تحفظه وتقويه. في الواقع، الإيمان هش ويجب رعايته. يمكن تشبيهه بشعلة رقيقة: عندما تُعتنى به بعناية، فإنه يشتعل بشدة ويُنير، ولكن عندما يُهمل، فإنه يضعف وقد ينطفئ تماماً. وبالمثل، يتطلب الإيمان غذاءً مستمرّاً من طاعة الله تعالى وذكره وامتثال أوامره. فبدون هذا القوت الروحي، يضعف الإيمان، وقد يغادر المرء هذه الدنيا بدونه - خسارة أشد وطأة من أي مصيبة دنيوية. لذا، يعيش عباد الله تعالى في يقظة. لا يراهنون على ضمان السلامة، ولا يستهينون بعقوبات الآخرة. بل يسعون جاهدين للحفاظ على إيمانهم من خلال المداومة على العبادة، والتوبة الصادقة، واتباع الهداية الإلهية.

يدركون أن النجاة لا تُنال بالتمني، بل بالثبات والتواضع والتوكل على رحمة الله تعالى. والدرس واضح: لا تستهنوا بعظمة جهنم، ولا تظنوا أن الإيمان سيبقى دون جهد. فكما أن النار تحتاج إلى عناية مستمرة، كذلك الإيمان يحتاج إلى عناية مستمرة. من يغذيها بالطاعة ويحفظها من الغفلة يجدها نورًا يهديه إلى بر الأمان في الدنيا والآخرة. أما من يهملها، فيخاطر بفقدان النور الذي كان سينقذه، وهذه الخسارة هي الأشد فتكًا.

يُدرِك المُخلصون لله تعالى أن الإسلام منهج حياة شامل، يُرشد كل عمل وقرار وظرف يواجهونه، سواءً كان متعلقًا بأمور الدنيا أو الإيمان. سورة الفرقان، الآية 66

إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما والذين

لذلك، يجب تجنب الجهل بافتراض أن الله تعالى سيسأل الناس فقط عن واجباتهم الدينية، كالصلوات، المفروضة، متجاهلاً سلوكهم في أمور الدنيا. في الحقيقة، سيسأل الله تعالى كل فرد عن كل ظرف يمر به سواءً كان دنيويًا أو دينيًا. لا شيء يفلت من عدله التام. لذلك، من الضروري أن يتعلم الإنسان تعاليم الإسلام ويعمل بها في جميع مناحي الحياة، حتى يستجيب استجابة صحيحة في كل موقف. وبذلك، يحقق حالة نفسية وجسدية منسجمة، ويضع كل شيء وكل شخص في مكانه الصحيح، ويهيئ نفسه جيدًا لمسؤولياته يوم القيامة. هذه الطاعة الشاملة تؤدي إلى الطمأنينة في الدنيا والآخرة. لذا، يجب تجنب اعتبار الإسلام ثوبًا تلبسه وتخلعه، حسب الأهواء. فالتصرف بهذه الطريقة ليس عبودية حقيقية لله تعالى، بل هو عبودية لأهوائه. سورة الفرقان، الآية 43

"...أرأيت من اتخذ إلهه هواه"

تكشف هذه الآية حقيقة أن من يطبق التعاليم الإسلامية بانتقائية، فيطيع ما يناسبه فقط ويتجاهل ما يتعارض مع رغباته، إنما يعبدها في الواقع، حتى وإن ادعى خلاف ذلك ظاهريًا. هذا الموقف هو شكل من أشكال الشرك الخفي، لأنه يرفع التفضيل الشخصي فوق الأمر الإلهي. من يتجاهل التعاليم الإسلامية في كل موقف سيسيء استخدام النعم التي وهبت له حتمًا. فبدلاً من أن تكون وسيلة للهداية والنفع، سيسيء استخدامها، مما يؤدي إلى فوضى في حياته الشخصية والاجتماعية. ونتيجة لذلك، سيجد نفسه في حالة نفسية وجسدية غير متوازنة، يسيء توزيع كل شيء وكل شخص في حياته، ولا يستعد بشكل كافٍ للحساب يوم القيامة. حتى لو تمتع ببعض الرفاهيات الدنيوية، ستميز حالته الداخلية بالتوتر والتحديات والمصاعب. لأن السلام الحقيقي لا يتحقق بالرفاهية المادية وحدها، بل بطاعة الله تعالى الدائمة في كل أحواله. أما من يعيش وفق هديه في جميع أموره، دينيًا ودنيويًا، فسيجد التوازن والسكينة والتوفيق في الدنيا والآخرة.

سورة الفرقان، الآية 66

إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما والذين

تُرسِّخ هذه الآية الاعتدال كعلامة مميزة للعبد الحق لله تعالى. لا يقتصر الاعتدال على الأمور المالية، بل، يمتد إلى جميع جوانب الحياة - الدينية والدنيوية. إنه المبدأ الذي يضمن استخدام النعم على النحو الصحيح فلا تُهدر بالإسراف ولا تُكَدَّس بالجشع. بالالتزام بالاعتدال، يحقق الإنسان التوازن والانسجام والعدل في يحدث الإسراف عندما ينفق الشخص بإسراف على التفاهة. علاقته مع الله تعالى، ومع نفسه، ومع المجتمع أو غير الضرورية أو المساعي الدنيوية البحتة، متجاوزًا ما هو معقول أو مفيد. في حين أن الإسلام لا يحرم التمتع بالملذات المشروعة، فإنه يُدين الإفراط الذي يؤدي إلى التبذير والغرور والإهمال. يدرك العبد الحق لله تعالى أن كل نعمة - سواء كانت ثروة أو صحة أو وقت - هي أمانة، وأن إساءة استخدام هذه الأمانات الإسراف خطير لأنه يُضعف الامتنان تدريجيًا. عندما يعتاد الإنسان على شكل من أشكال جحود الجميل الترف والإسراف، فإنه يظن النعم أمرًا مسلمًا به، وينسى أنها هبة من الله تعالى قابلة للزوال في أي لحظة هذا الغفلة تؤدي إلى الغرور، إذ ينظر إلى النعم على أنها ممتلكات دائمة لا أمانات مؤقتة. وهكذا، يُعمي سورة الإسراء، الآية 27. الإسراف القلب عن الاعتماد على الله تعالى، ويبعد العبد عن التواضع

"إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفوراً"

توضح هذه الآية أن الإسراف ليس أمرًا هيئًا، بل هو فساد روحي. فهو يُقَرِّب الإنسان من الشيطان، الذي كان هو نفسه جاحدًا لنعم الله تعالى. وهكذا، فإن الإسراف ليس مجرد سوء إدارة مالية، بل هو انعكاسٌ للجحود وطريقٌ إلى الهلاك الروحي.

للإسراف عواقب اجتماعية مدمرة. فعندما يُنْفَق المال على الغرور والإسراف، تُبَدَّد الموارد التي كان من الممكن أن تُخَفَّف معاناة الآخرين. وهذا يُوسِّع الفجوة بين الأغنياء والفقراء، ويُؤَجِّج الاستياء، ويُقَوِّض التعاطف في المجتمع. فالمجتمع الذي يُصْبَح فيه الإسراف أمرًا طبيعيًا يُصْبَح مجتمعًا يشعر فيه الفقراء بالإهمال، والأغنياء بالخطر، وتضعف فيه الروابط الاجتماعية. وبهذه الطريقة، لا يُلْحَق الإسراف الضرر بالفرد فحسب، بل يُزْعِز استقرار مجتمعات بأكملها.

علاوة على ذلك، غالبًا ما يؤدي الإسراف إلى مزيد من المعاصي. فالإنسان الذي يَنغمس في ملذات الدنيا يصبح عبدًا لشهواته، يطلب المزيد باستمرار ولا يشبع أبدًا. هذا السعي وراء الاستهلاك المتواصل يصرفه عن طاعة الله تعالى وعن أداء الواجبات. كما أنه يشجع على التنافس والحسد والكبر، إذ يقيس الناس أنفسهم بالامتلاكات لا بالتقوى.

الإسراف يضرّ بالإنسان جسديًا ونفسيًا. فالإسراف في الطعام والشراب والترفيه يُضعف الجسم، ويُبَلِّد العقل، ويُؤَلِّد الكسل في العبادة. كما أنه يُغْذِّي التعلق بالراحة، ويُصْعَب الصبر على الشدائد. وهكذا، فإن الإسراف لا يُفْسِد النفس فحسب، بل يُقَوِّض أيضًا قدرتها على الصمود في وجه مصاعب الحياة.

في المقابل، يُحافظ الاعتدال على النعم، ويُنمّي الامتنان، ويُقوّي الفرد والمجتمع. من يتجنب الإسراف، يُحسن استخدام ثرواته وموارده، فيسد حاجته دون إسراف، ويُشارك الآخرين بسخاء. هذا التوازن يضمن أن تبقى النعم مصدر نفع لا سبب ضرر.

على النقيض من ذلك، يكمن الجشع والبخل. يتجلى الجشع بامتناع الإنسان عن مشاركة النعم التي وهبت له، سواءً أكانت ثروة أم علمًا أم نفوذًا. هذا السلوك يمنعه من أداء حقوق الآخرين، وهو واجبٌ أساسيٌّ في الإسلام. الجشع يُفسد القلب، فيبذل الكرم بالأنانية، والرحمة باللامبالاة. من حجب الله تعالى ما وهبه إياه حُرّم منه، كما حدّر من ذلك حديثٌ في صحيح مسلم، رقم 2376. هذا المبدأ يعكس العدالة الإلهية: فكما يُعامل المرء الآخرين، يُعامل أيضًا. يتضح التباين بين الكرم والبخل في حديث ورد في جامع الترمذي رقم 1961: فالسخي قريب من الله تعالى، قريب من الجنة، قريب من الناس، بعيد عن النار، بينما البخيل بعيد من الله تعالى، بعيد عن الجنة، بعيد عن الناس، قريب من النار. ويؤكد هذا الحديث أن الكرم يقوي كل علاقة، بين العبد والله تعالى، وبينه وبين الناس، بل وبينه وبين نفسه. أما البخل، فيُفسد كل هذه العلاقات.

للجشع أيضًا عواقب اجتماعية مدمرة. فعندما يكس الأفراد الثروة ويرفضون مشاركتها، تُلبّي احتياجات الضعفاء، وينتشر الظلم. تعاني الأسر عندما يمتنع أعضاؤها عن دعمهم، وتضعف المجتمعات عندما يغيب الكرم، وتتفتت المجتمعات عندما تحل الأنانية محل التعاطف. وهكذا، فإن الجشع ليس مجرد رذيلة شخصية بل هو مصدر فساد واسع الانتشار.

عباد الله تعالى يتجنبون كلا النقيضين باتباعهم الاعتدال. فهم ينفقون بحكمة، فيسدون حاجاتهم دون إسراف ويشاركون بسخاء، فيؤدون حقوق الآخرين دون بخل. هذا التوازن يضمن استخدام النعم فيما يرضي الله تعالى، وينفع الخلق. فالكريم المعتدل يحقق حالة نفسية وجسدية متناغمة، ويضع كل شيء وكل شخص في مكانه الصحيح، ويستعد جيدًا للحساب يوم القيامة. هذا السلوك يؤدي إلى الطمأنينة في الدنيا والآخرة. علاوة على ذلك، فإنهم بأدائهم لحقوق الناس يحظون بالاحترام والمحبة، ويساهمون في نشر العدل والسلام في المجتمع.

،في المقابل، يُسيء المُبذر أو البخيل استخدام نعم الله تعالى .ويؤدي اختلاله إلى التوتر وعدم الرضا والضيق حتى وإن تمتع بالرفاهية المادية .فيضيعون أولوياتهم، ويهملون مسؤولياتهم، ويقصرون في الاستعداد للمساءلة .علاوة على ذلك، يُثير سلوكهم الحقد والظلم، وينشرون الفساد في بيوتهم وفي المجتمع

الدرس واضح :الاعتدال ليس مجرد مبدأ مالي، بل هو منهج روحي .فهو يحمي الإنسان من غطرسة الإسراف وأنانية الجشع، ويضمن استخدام النعم بما يعكس شكر الله تعالى ورحمته بخلقه .باتباع الاعتدال والكرم والتوازن، ينال عباد الرحمن السلام الداخلي، والوئام مع الآخرين، والتوفيق في الدنيا والآخرة

،لتأكيد أن الإسلام منهجٌ شاملٌ في التعامل، يُؤثر على كلّ موقفٍ يواجهه الإنسان، سواءً أكان دنيوياً أم دينياً وعلى كلّ نعمةٍ يتفاعل معها، ذُكرَ الشرك، وهو أعظمُ الذنوب، بعدَ مناقشةِ القضايا الاجتماعية في هذه الآيات :التي تُحدِّثُ عبادَ الله تعالى .سورة الفرقان، الآية 68

"والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر "

ولذلك، فكما ينبغي الاهتمام بتجنب الشرك بجميع أشكاله، ينبغي أيضاً الاهتمام بتحقيق الجوانب الأخرى من الإسلام، حتى وإن بدت دنيوية، مثل الجوانب التي ذكرناها آنفاً

من الضروري أن نفهم أن العبادة لا تقتصر على السجود للأصنام أو التماثيل .بل إن كل ما يتبعه الإنسان أو يطيعه مخالفاً أمر الله تعالى، يصبح موضع عبادة .ويشمل ذلك وسائل التواصل الاجتماعي، والموضة والثقافة، والشخصيات المؤثرة، أو حتى رغبات المرء .فعندما يسمح الإنسان لهذه المؤثرات بأن تُملِي عليه خياراته وأفعاله، فإنها ترفعه إلى مقام سلطة لا يملكه إلا الله تعالى .سورة التوبة، الآية 31

"...اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله"

،لم يكن أتباع الديانات السابقة يعبدون علمائهم أو رهبانهم جسدياً، بل كانوا يخضعون لأحكامهم وعاداتهم حتى لو خالفوا أوامر الله تعالى .كانت هذه الطاعة العمياء، في جوهرها، شكلاً من أشكال العبادة، لأنهم وضعوا السلطة البشرية فوق الهداية الإلهية .سورة يس، الآية 60

أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ

يتجاوز مفهوم العبادة الشعائر الاحتفالية بكثير؛ فهو يتعلق أساساً بالولاء والطاعة .فبينما يعلن قليل من الناس عن إخلاصهم للشيطان، فإن المرء يخدمه فعلياً بالخضوع لإملاءاته والتصرف بمعارضة مباشرة لإرادة الله تعالى .إن الكيان أو المثل الأعلى الذي يفرض ولاءه المطلق ويُملي سلوكه يصبح سيده في جوهره .وعندما يختار المرء التخلي عن عبادة الله تعالى المُحررة، فإنه غالباً ما يعتقد خطأً أنه يحقق الحرية .وبدلاً من التحرر الحقيقي، يقع في فخ العبودية متعددة الطبقات، التي تسيطر عليها مجموعة من السلطات الدنيوية المتضاربة وتشمل هذه السلطات الزائفة مطالب الرأي العام المُلحة، وضغوط التيارات المجتمعية، والنزعة المادية التي لا تشبع، وطغيان الأنا ورغبات النفس العابرة .كلٌّ من هذه التأثيرات الدنيوية هو سيّد مُتطلب، يتطلب باستمرار الاهتمام والطاعة والتضحية .إن السعي لإرضائهم جميعاً يؤدي حتماً إلى حالة من القلق والفوضى .تحديداً لأن هذه المطالب الدنيوية متناقضة بطبيعتها، وغير مستقرة، ويستحيل إشباعها في نهاية المطاف ،تخيل عاملاً يخدم مدراء متعددين متناقضين :النتيجة هي الإرهاق، والتشتت، وفقدان تام للهدف .وبالمثل ،فإن أولئك الذين يتركون طاعة الله تعالى يجدون أنفسهم منجذبين باستمرار إلى اتجاهات لا حصر لها مضحين براحة البال وصفاء الرؤية .تتحول نعمهم - عائلاتهم، وثرواتهم، وعلاقاتهم، ووظائفهم - إلى أعباء ومصادر للتوتر بسبب عدم تقديرهم لها واستخدامها خارج نطاق التوجيه الإلهي .في سعيهم الدؤوب وراء القبول الخارجي والنجاح الدنيوي، يتنازلون طواعية عن طمأنينتهم الداخلية واستقرارهم الأخلاقي .هذا النمط من الحياة غير المنظم يُفسد القلب والعقل تدريجياً، وغالباً ما يتجلى في شعور مزمن بالوحدة، وقلق متزايد وسلوكيات إدمانية، ويأس عميق .لا يمكن لأي إنجاز دنيوي مهما بلغ أن يملأ الفراغ الروحي الناتج عن

الابتعاد عن الله تعالى .يتجلى هذا الاضطراب الداخلي غالباً حتى بين الناجحين ظاهرياً - بمن فيهم الشخصيات البارزة والأثرياء - الذين يعانون مع ذلك من عدم الاستقرار العاطفي والفراغ .علاوة على ذلك، فإن هؤلاء الأسياد المؤقتين - سواء كانوا نزعات عابرة أو أهواء شخصية أو أصحاب نفوذ - سيتخلون تماماً عن خدمهم عندما تكون الحاجة إليهم ماسة .يوم القيامة، لن يقدموا لهم عوناً ولا شفاعة .إن الطاعة التي تُقدم لهم في تحدٍّ لله تعالى لن تُصبح إلا مصدر ندم عميق

لذا، تقتضي الحكمة الحقّة تطهير قلب الإنسان من كلّ عبودية تُخالف أوامر الله تعالى .فالحريّة الحقيقية لا تكمن في إشباع جميع الرغبات، بل في التسليم التامّ لله تعالى .باختيار طاعة الله تعالى، واستغلال كلّ نعمة بما يتوافق مع تعاليم القرآن الكريم وسيرته الطيّبة للنبيّ الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، يُعيد الإنسان التناغم الداخلي بنجاح، ويضمن راحة البال، ويُرسّي أسس الرخاء الدنيويّ والنجاح الأبديّ الأسمى

لتأكيد حرمة وقيمة الحياة البشرية، كثيراً ما تُقرن التعاليم الإسلامية قتل الأبرياء بالشرك، وهو أعظم الذنوب (سورة الفرقان) .فالشرك أعظم الذنوب عند الله تعالى، بينما قتل النفس بغير حق أعظم الذنوب عند البشرية (الآية 68).

"...أو تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق..."

تُقرّ هذه الآية بقدسية الحياة، ولا يجوز إزهاقها إلا في الحالات النادرة التي يسمح بها الشرع .ولذلك، يُقدّر عباد الله الحقّون جميع أشكال الحياة .فهم يُجسّدون تعاليم الإسلام التي تُوجب الرحمة، لا للبشر فحسب بل للخلق أجمعين .وقد حدّر النبيّ الكريم محمد صلى الله عليه وسلم في حديثٍ ورد في صحيح مسلم، برقم 6028 من أن من لا يرحم الآخرين لا يرحمه الله تعالى .وهذا المبدأ عالميّ :فالرحمة لا تقتصر على الأهل، أو الأصدقاء أو إخواننا في الدين، بل تشمل جميع الناس، بل حتى الحيوانات .بل إنّ النبيّ الكريم محمد صلى الله عليه وسلم أوصى بمعاملة الحيوانات معاملةً حسنة، كما ورد في حديثٍ ورد في سنن أبي داود، برقم

تُميز هذه الأخلاق الشاملة للرحمة الإسلام كدين يُقدّر الحياة بجميع أشكالها. ويُشبه القرآن الكريم. 2550. نفسه قتل نفسٍ بريئةٍ بقتل الناس جميعاً، وإنقاذ نفسٍ بإنقاذ الناس جميعاً. سورة المائدة، الآية 32

يقتل نفساً إلا بنفس أو فساداً في الأرض" - فكأنما قتل الناس جميعاً، ومن أحياهم جميعاً - كأنه أنقذ... "

، هذه الآية وحدها كافية لفضح زيف من يدّعون قتل الأبرياء باسم الإسلام. أفعالهم ليست نابعة من الإيمان بل من رغبات دنيوية كالثراء والسلطة والنفوذ. هذه الجرائم لا تمتّ بصلة إلى الإسلام، الذي يدينهم أشدّ الإدانة.

يتجلى أهمية عدم إيذاء الآخرين في حديث ورد في سنن النسائي، رقم 4998، حيث حذّر النبي محمد صلى الله عليه وسلم من أن المرء لا يكون مؤمناً حتى يسلم الآخرين - بغض النظر عن دينهم - من لسانهم وأعمالهم. فإذا كان هذا هو الحال بالنسبة للأذى المحض، فكيف يُجيز الإسلام قتل الأبرياء؟ في الواقع، أوضح النبي محمد صلى الله عليه وسلم في الحديث نفسه أنه لا يكون المرء مؤمناً حتى تأمن أرواح وممتلكات الآخرين من أعمالهم. ويؤكد هذا التعليم أن الإيمان لا يقتصر على العبادة فحسب، بل يشمل أيضاً ضمان سلامة الآخرين وكرامتهم وحقوقهم.

على من يزعم اتباع سنن النبي محمد صلى الله عليه وسلم أن يتأمل في مثاله. لم يؤذِ أحداً قط إلا -دفاعاً عن النفس ضد المقاتلين الرجال المسلحين. لم يؤذِ امرأة ولا طفلاً ولا شيخاً قط. لم ينتقم قط لمظالم شخصية بصفته رئيساً للدولة، لم يُطبّق إلا العقوبات التي فرضها الله تعالى على من تجاوز الحدود. وهذا ما يؤكد حديث في صحيح مسلم، رقم 6050. يُظهر مثاله أن الإسلام ليس دين انتقام أو عدوان، بل دين عدل وضبط نفس. لقد جسّد الرحمة حتى تجاه أعدائه، مسامحاً لهم عند قدرته على العقاب. هذا هو نموذج السلوك الذي يجب على كل من يدعي اتباعه أن يقتدي به.

يُجيز الإسلام -الدفاع عن النفس، وحماية الأهل، وحماية الممتلكات، ولكن حتى هذا مُقيّدٌ بحدودٍ صارمة. لا يُجيز الإسلام في أيِّ موضعٍ البدء بالضرب أو قتل الأبرياء. المبدأ التوجيهي واضح: على المرء أن يُعامل الآخرين كما يُحب أن يُعامل - باحترامٍ وكرامةٍ ورحمة. لذا، فإن الدفاع عن النفس في الإسلام ليس ترخيصًا بالعدوان، بل هو وقايةٌ من الظلم. إنه ردٌّ مُتزن، مُقيّدٌ بحدودٍ أخلاقية، ودائمًا ما يكون خاضعًا للمبدأ الأسمى وهو الحفاظ على الحياة.

لذا، فالدرس واضح لا لبس فيه: الإسلام دين رحمة وعدل وحرمة للنفس. ومن يستغل اسمه لتبرير العنف ضد الأبرياء يخالف تعاليمه تمامًا. عباد الله الصالحون هم من يحفظون النفس وينشرون الرحمة ويجسدون المثال النبيل للنبي محمد صلى الله عليه وسلم. باحترامهم للنفس ورحمتهم بالخلق جميعًا وكفّهم عن الأذى والتزامهم بحدود العدل، يُهيئون أنفسهم للحساب يوم القيامة. وبذلك ينالون السلام في الدنيا والفلاح الأبدي في الآخرة.

:سورة الفرقان، الآية 68

"...أو تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق..."

:وسورة البقرة، الآية 178

"كُتِبَ عَلَيْكُمْ قِصَاصٌ فِي الْقَتْلِ، الْحَرْ بِالْحَرِّ، وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ، وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى. فَمَنْ عَفَا عَنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَإِنَّهُ..."
"...بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَبُهُ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ. ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ"

لقد خيّر الله تعالى وارث المقتول بين طريقين: إما المطالبة بالقصاص الشرعي، الذي تُنفّذه الدولة وفق ضوابط صارمة، أو العفو، سواءً بتعويض من القاتل أو بدونه. هذا الخيار من مظاهر رحمة الله، مُدرِّكًا لاختلاف الطبيعة البشرية واختلاف القدرات العاطفية. بعض الناس، بطبعهم الرحماء، قد لا يُطاق الأمر بإعدام القاتل فيميلون إلى العفو إن اضطروا. أما آخرون، فسيجدون صعوبة بالغة في العفو عن من قتل عزيزًا، لا سيما إذا كان للمتوفى مُعالون؛ إذ يكاد يكون من المستحيل إجباره على العفو في مثل هذه الظروف. بترك القرار للوارث، يُوازن الله تعالى بين كلا المزاكين برحمة وحكمة. يتناقض هذا النظام تناقضًا صارخًا مع العديد من الأطر القانونية الحديثة، حيث يقع مصير المجرم على عاتق قاضٍ أو هيئة محلفين من الغرباء. غالبًا ما تُشعر هذه الأنظمة عائلة الضحية بالاستياء، إذ يشعرون أن العقوبة لا تتناسب تمامًا مع جسامة جريمتهم. حتى عندما يُحكم على القاتل بالسجن، فإن قصر مدة الحبس وإعادة الاندماج في المجتمع قد تُثقل كاهل عائلة الضحية بصدمة نفسية تدوم مدى الحياة، بينما يستمر المجرم في العيش بدعم الدولة. في الإسلام، يُتيح منح الوارث سلطة تحديد النتيجة قدرًا من الطمأنينة والعدل يُخفف بعض العبء النفسي، مما يسمح لهم بتجاوز خسارتهم والمضي قدمًا في حياتهم. يؤكد هذا النهج على رحمة الله تعالى الشاملة وحكمته في مراعاة المشاعر الإنسانية

:سورة البقرة، الآية 178. مع إقامة العدل

"فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم ..."

يشير مصطلح "التعدي" إلى الحالات التي ينتقم فيها أقارب المتوفى من تلقاء أنفسهم، متجاوزين الإجراءات القانونية السليمة، أو التي يحدث فيها الانتقام رغم اتفاق على العفو أو التعويض. وينطبق هذا أيضًا إذا ارتكب القاتل جريمة قتل أخرى بعد العفو عنه عن الجريمة الأولى. في هذه الحالات، تصدر السلطة القضائية أمر الإعدام، حتى لو اختار وارث الضحية الثانية العفو. يضمن هذا النظام عدم تمكن أي مجرم من استغلال الثغرات القانونية للتهرب من العدالة.

:سورة البقرة، الآية 179

في القصاص حياة يا أولي الألباب ولكم

القصاص الشرعي في الإسلام يحمي الأرواح، فكثير من القتلة لا يردعهم إلا الإعدام. وقد أظهرت حالات عديدة أن من يقضون أحكامًا بالسجن بتهمة القتل غالبًا ما يرتكبون الجريمة نفسها بعد إطلاق سراحهم. بإعدام القاتل، يُحتمل إنقاذ أرواح أخرى بمنع جرائم قتل أخرى في المستقبل.

علاوة على ذلك، يدعم القصاص القانوني السلامة النفسية والعاطفية لأقارب الضحية. فمعرفة أن القاتل قد دفع الثمن غالبًا لجريمته تسمح للأسرة بإيجاد نهاية للمأساة والبدء في المضي قدمًا. فعندما يُسجن الجاني ثم يُطلق سراحه، تظل الأسرة تعاني من الصدمة التي عانى منها أحبائها، مما يمنعهم من العيش بسلام. إن منح أقارب الضحية خيار إعدام القاتل أو العفو عنه، مع تعويض مالي أو بدونه، يخفف من الألم النفسي وعبء الاستياء الذي قد يهيمن على حياتهم. هذا الاستياء، إذا تُرك دون حل، يمكن أن يخلق توترًا وصراعًا داخل الأسرة، مما يؤدي أحيانًا إلى تصدعات طويلة الأمد، بما في ذلك انهيار الزيجات. إن منح الأسرة هذا الخيار يساعد في الحفاظ على وحدتها ويسهل الشفاء العاطفي.

كما أن القصاص الشرعي يمنع دورات جرائم القتل الانتقامية التي قد تمتد لأجيال. بإعدام القاتل، يستبق الإسلام الأعمال الانتقامية التي قد تُعرض حياة أخرى للخطر. فعندما يُقتل شخص يُعيل، قد تُدمر جرائم القتل الانتقامية أسرته، بما في ذلك الأطفال الذين يُعيلهم. إن منح عائلة الضحية سلطة تحديد مصير القاتل يُساعد على منع هذه الدورات، ويصون حياة الآخرين، ويحمي سلامة المُعالين.

من المهم ملاحظة أن هذه النتائج تعتمد على التطبيق السليم للشريعة الإسلامية. تتطلب الإدانات أدلة دامغة لا تقبل الشك، وأي شك يؤدي إلى التنازل عن العقوبة القانونية كاملة. اليوم، تُسهّل التطورات، مثل كاميرات

،المراقبة التلفزيونية المغلقة واختبارات الحمض النووي وغيرها من الأساليب العلمية، إثبات الذنب بيقين عالٍ مما يقلل من خطر معاقبة الأبرياء. حتى في الأنظمة غير الإسلامية، يمكن لتطبيق القصاص القانوني الصارم في مثل هذه الحالات أن يقلل الجريمة بشكل كبير. عند التنفيذ بيقين، يُزال القلق من معاقبة شخص بريء عن: سورة البقرة، الآية 179. طريق الخطأ، مما يسمح للعدالة بأن تخدم الأحياء وضحايا الجرائم الماضية

في القصاص حياة يا أولي الألباب ولكم

وحدهم من يفكرون بشكل صحيح يدركون لماذا يمكن للقصاص القانوني أن يخدم الصالح العام. لنأخذ تشبيه البتر: من يركز فقط على عملية بتر أحد الأطراف قد يرفضها، متجاهلاً الحقيقة الأوسع المتمثلة في أن هذا - الإجراء يمكن أن ينقذ حياة. المفكر الثاقب يدرك خطورة الجراحة، لكنه يختارها لمنع نتيجة أسوأ بكثير الموت. وينطبق المنظور نفسه على الآيات قيد المناقشة. قد يبدو تنفيذ عقوبة الإعدام على قاتل مثبت جرمه قاسياً عند النظر إليه بمعزل عن غيره، ولكن عند الحكم عليه من خلال آثاره الأوسع - حماية المجتمع، وردع جرائم القتل المستقبلية، وإغاثة العائلات الثكلى - يمكن أن يكون الخيار الأمثل لحكومة مكلفة بالصالح العام عند موازنة الرفاه الجماعي مع حياة قاتل مُدان، يجب على الدولة أن تأخذ في الاعتبار العواقب الأوسع؛ فالمجرم، بعد أن سلب حقوقه الأساسية بفعل شنيع، لا يمكن معاملته بنفس الطريقة التي يُعامل بها فرد بريء من أفراد المجتمع. ومع ذلك، فإن هذا الحساب يقر باستثناء مأساوي: الحالة النادرة للإدانة الخاطئة، التي ستُكافأ في كلا العالمين. ومع ذلك، عندما يتم إثبات الذنب بما لا يدع مجالاً للشك المعقول ويتم مراعاة كل الضمانات، فإن القرار الصعب بإعطاء الأولوية للسلامة المجتمعية يمكن تبريره

سورة البقرة، الآية 179:

في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلمكم تتقون ولكم

كما هو موضح في الجزء الأخير من هذه الآية، فإن القصاص الشرعي بالإعدام رادعٌ قويٌّ للمجتمع ككل فعندما يشهد الناس محاسبة القتلة محاسبةً كاملةً، يُثنى الجناة المحتملون عن ارتكاب أفعالٍ مماثلةٍ خوفًا على حياتهم، وبالتالي حماية أنفسهم والآخرين. وينطبق هذا المبدأ على جميع الجرائم الخطيرة. فلو كانت العقوبات على جرائم كالاغتصاب شديدةً بما يكفي، لُتُني العديد من الجناة المحتملين عن ارتكابها. ومن الأسباب الرئيسية لاستمرار الجريمة في العديد من المجتمعات وجود قوانين متساهلة أو غير فعّالة لا تردع المخالفين.

من الجوانب المهمة الأخرى للقصاص القانوني خيار العفو. فاختيار العفو عن القاتل يُظهر الرحمة، وقد يُلهم التوبة الصادقة، مما يدفع الجاني إلى التخلي عن أساليبه الإجرامية. وهذا لا يصون حياة الآخرين الذين قد يتعرضون للأذى في المستقبل فحسب، بل يتيح أيضًا للجاني فرصةً للخلاص الروحي والأخلاقي. علاوةً على ذلك، يمكن لأفعال العفو أن تؤثر في الآخرين، وتشجع الضحايا وعائلاتهم على تبني الرحمة في حياتهم. وبهذه الطريقة، يُعزز العفو السلام، ويمنع المزيد من الأذى، ويُسهم في الحفاظ على الحياة في المجتمع.

كثيراً ما يُقرن قتل النفس البريئة بالزنا، فالأول يقتل الجسد، والثاني يقتل الروح. سورة الفرقان، الآية 68

"...ولا تزنوا"

لفهم تحريم العلاقات خارج إطار الزواج، لا بد من التأمل ملياً في عواقبها الوخيمة على المستوى الفردي والمجتمعي. لقد أمر الله تعالى الناس بالزواج، وحرّم العلاقات المحرمة. هذا الأمر ليس تعسفياً، ولا قيداً بلا غاية، بل هو نابع من حكمة سامية تصون السلامة النفسية والعقلية والروحية. -عندما لا يلتزم الزوجان بعهد الزواج المقدس، فإنهما يفتقران إلى الشعور بالواجب والديمومة اللذين يغرسهما الزواج. ونتيجة لذلك، عندما تنشأ الصعوبات - كما هو الحال حتماً في كل علاقة - غالباً ما يفشل هؤلاء الأزواج في دعم بعضهم البعض بالصبر والوفاء. فبدون إطار الالتزام، تُنتج المشقة اضطراباً عاطفياً أكبر، وتنهار العلاقة تحت الضغط.

إن تكرار الدخول في علاقات والخروج منها طوال الحياة يترك ندوبًا عاطفية عميقة. فكل انفصال يُضعف شعور الشخص بالاستقرار، ويترك وراءه مشاعر الفراغ وانعدام الأمن. لذلك، ليس من المستغرب أن يكون من يمرون بتجارب انفصال متعددة أكثر عرضة للإصابة بالاكتئاب والقلق واضطرابات نفسية أخرى، وغالبًا ما يحتاجون إلى استشارات نفسية للتعامل مع آثارها. في المقابل، يتمتع من يتجنبون هذه العلاقات ويسعون للزواج بمرونة أكبر، لأن رابطتهم مبنية على الواجب والمسؤولية والإخلاص المتبادل.

علاوة على ذلك، غالبًا ما يجد من يُعرفون في المجتمع بتعدد علاقاتهم صعوبة في استقطاب شريك مخلص يُلبّي حقوقهم. فالاستمرار في هذه العلاقات يُرسّخ سمعة عدم الموثوقية وشخصية تنسم بالانحلال. وهذه الصفات غير مرغوب فيها بطبيعتها لمن يسعون إلى التزام مدى الحياة. وبالتالي، فإن فشلهم المتكرر في الحب يُعمّق محنتهم، ويتركهم عالقين في دوامة من عدم الاستقرار.

تفتقر العلاقات غير الشرعية أيضًا -إلى توافق الأهداف على المدى الطويل. في كثير من الأحيان، يسعى أحد الشريكين إلى الالتزام، بينما يرغب الآخر في رفقة مؤقتة فقط. عندما يتضح هذا الخلل، يعاني الطرف الذي استثمر قلبه بعمق من دمار عاطفي. على النقيض من ذلك، يدخل الزوجان في اتحادهما على أساس من النية المشتركة والمسؤولية المتبادلة. يدعم كل منهما الآخر في مواجهة تغيرات الحياة، سواء كانت مخططة أو غير متوقعة، مثل ولادة الأطفال. نادرًا ما يوجد هذا الشعور بالاستقرار والإخلاص في العلاقات خارج إطار الزواج، إن وُجد أصلًا.

يكن خطر آخر في وهم الألفة. فالعلاقة غير الشرعية تخدع الشخص وتوهمه بأنه يعرف شريكه تمامًا. ومع ذلك، عندما يبدأ الزواج، غالبًا ما يشتكي من أن شريكه قد "تغير". في الواقع، لم يتغير الزوج؛ بل كشفت مسؤوليات الزواج وضغوطه جوانب من شخصيته كانت مخفية سابقًا. ولهذا السبب غالبًا ما تواجه العلاقات التي تبدأ بشكل غير شرعي توترًا زواجيًا أكبر. حتى المساكنة قبل الزواج لا تمنع هذه النتيجة، إذ لا يمكن تكرار قدسية الزواج ومسؤوليته خارج إطاره. كما يمتد الاضطراب العاطفي للعلاقات غير الشرعية إلى مجالات أخرى من الحياة. يتخلى العديد من الشباب عن تعليمهم أو حياتهم المهنية بمجرد أنهم لا يتحملون

رؤية شريك سابق .على النقيض من ذلك، فإن الزوجين، المرتبطين بعهد مقدس، أقل عرضة بكثير لكسر رباطهما بسبب مثل هذه الأمور العابرة .يوفر التزامهما الاستقرار الذي يحميهما من القرارات المتسرفة

لا ينبغي أن يندفع المرء بالمظهر الخارجي للعلاقات غير الشرعية، مفترضاً أنها بريئة .فالإدراك البشري محدود ومشوّش بالعاطفة، مما يدفع الناس إلى إغفال الضرر الخفي في الأفعال التي تتعارض مع الهداية الإلهية .وسيجرّ الشخص في مثل هذه العلاقة حتماً نحو مزيد من المعصية، إذ يصعب كبح جماح العواطف، والرغبات .ومع مرور الوقت، غالباً ما يؤدي هذا إلى الزنا - وهو فعلٌ مُسلّم به في العديد من المجتمعات ولكنه مُدمرٌ أخلاقياً واجتماعياً .تُفضي العلاقة الحميمة غير الشرعية إلى مشاكل عديدة، منها الحمل غير المرغوب فيه، وتفكك الأسرة، والتهوين من شأن الكبائر الأخرى .حتى لو تجنّب الشخص المعاصي الكبيرة فإن تعلقه العاطفي يُشوّش حكمه .قد يتزوج من شخص غير مناسب لمجرد مشاعر قوية، متجاهلاً أهمية التقوى والتوافق .غالباً ما يؤدي هذا إلى الخلاف والندم والمشقة .قد تُعمي مشاعر الحب المرء عن عيوب شريكه - وهو تحذيرٌ ورد في حديثٍ في سنن أبي داود، رقم 5130

علاوة على ذلك، يجذب من يعيشون حياةً غير أخلاقية آخرين ذوي سمات مماثلة .يستغلّ الأفراد غير المتدينين بعضهم بعضاً لإشباع رغباتهم الشخصية بدلاً من الاحترام المتبادل .غالباً ما تتسم هذه العلاقات بالإساءة اللفظية والإذلال والندوب العاطفية التي تبقى لفترة طويلة بعد الاعتذار .في كثير من الحالات، تتطور هذه العلاقات إلى إيذاء جسدي .عندما يذبل الجمال أو الشباب، يبحث الشريك غير المتدين عن شريك آخر معتبراً العلاقات كمالياتٍ يمكن الاستغناء عنها .يخلف هذا السلوك صدمةً عاطفية عميقة وعدم استقرار .لا ينتهي الضرر بالزوجين، بل تستمر دورة الضرر للجيل التالي .غالباً ما ينشأ الأطفال المولودون خارج إطار الزواج أو الذين ينشؤون في منازل غير مستقرة دون دعمٍ مستمر من كلا الوالدين .تؤكد الإحصاءات والملاحظات على حدٍ سواء أن العديد من الشباب الذين ينجذبون إلى الجريمة أو العصابات أو الاستغلال ينحدرون من بيئات كهذه .تُشكّل تربية الأطفال في منزلٍ مستقرٍّ ومحبٍّ تحدياً حتى عندما يكونون مرغوبين فكم يكون الأمر أصعب عندما لا يكونون كذلك؟ غالباً ما يدفع العبء العاطفي الآباء والأمهات العازبون - إلى التخلي عن أطفالهم من أجل الكفالة أو التبني، مما يزيد من خطر تعرض الطفل للأذى العاطفي والاجتماعي

كل هذه النتائج المدمرة أشبه بسُمٍّ خفيٍّ في وجبة تبدو شهيةً. فمجرد عدم رؤية السم لا يجعله غير ضار، وبالمثل، قد تبدو العلاقات غير الشرعية جذابة، لكنها تنطوي على ضررٍ خفيٍّ لا يدركه إلا الله تعالى. لذا يثق العاقل بأمره، كما يتبع المريض العاقل نصيحة طبيبه، فيقبل دواءً مُرّاً وحمياتٍ غذائيةً مُقيّدة، عالمًا أنها تؤدي إلى صحةٍ دائمة. إن العمل بهدي الله تعالى يضمن السكينة والتوازن في الحالة النفسية والجسدية، بينما اتباع الفهم المحدود يجلب ضررًا لا مفر منه. المعرفة البشرية، على الرغم من تقدمها، لا تزال محدودةً جدًا عن حل جميع المشكلات الأخلاقية والعاطفية. لا يمكن للناس أبدًا التنبؤ بجميع عواقب أفعالهم. الله تعالى وحده هو الذي يملك المعرفة الكاملة اللازمة لهداية البشرية نحو الرفاهية الحقيقية -، وقد كشف عن هذه المعرفة في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. وتظهر هذه الحقيقة بوضوح عند مقارنة السلام والوئام بين من يعيشون بالهداية الإلهية وبين الضيق والاضطراب بين من لا يعيشون بها.

لقد حلّ الله تعالى، بحكمته اللامتناهية، مشاكل مجتمعية لا تُحصى بمعالجة جذورها، مُحَرِّمًا العلاقات غير الشرعية، ومُشجِّعًا على الزواج، ذلك الاتحاد المقدس القائم على الإخلاص والمسؤولية والإخلاص. ومن خلال توجيهاته في الزواج والطلاق والأرامل وتربية الأبناء، منح البشرية مفتاح بناء أسر مستقرة، تُشكّل بدورها أساسًا لمجتمع سليم. فعندما يُؤدّي أفراد الأسرة - سواءً كانوا مُجتمعين أو مُنفصلين - حقوق بعضهم البعض ويؤفّقون بيئةً مؤهّلةً لأطفالهم، يستفيد المجتمع بأسره من هذا الاستقرار. وعلى العكس، عندما تنتفكّ الروابط الأسرية، ينتشر الإهمال والشقاق في المجتمع، مُؤدّيًا إلى ضررٍ واسع النطاق. لقد اقترح العديد من المُفكرين عبر التاريخ حلولًا لقضايا مجتمعية، لكنّ جهودهم غالبًا ما تُعالج -أعراضًا سطحية فقط. لكن الله سورة. تعالى يُحلّ هذه المشاكل باستهداف جذورها، مُصحّحًا الأساس الأخلاقي والروحي للأفراد والأسر:
النحل، الآية 89

"ونزلنا عليك الكتاب تبيانًا لكل شيء وهدى ورحمة"

ولكن من استخدم العقل والبصيرة التي وهبها الله تعالى له، سيدرك الحكمة العميقة الكامنة في كلماته. سورة:
البقرة، الآية ٢٤٢

كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ

لقد قدّم الله تعالى توجيهات واضحةً وعمليةً لمساعدة الأفراد على تجنب العلاقات غير الشرعية. باتباع هذه التوجيهات بإخلاص، فإنها تحمي إيمان المرء وشرفه، وتعزز استقراره النفسي، وتزرع السلام الداخلي من خلال تعزيز التوازن العقلي والجسدي، وضمان اتساق الأولويات والعلاقات في حياة المرء. سورة النور: الآية 30

"...قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم "

:وسورة النور 24 الآية 31

"وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن"

تُرسى هذه الآيات خط الدفاع الأول ضد الإغراء. فالعينان بمثابة بوابة القلب؛ فإذا تُركتا دون مراقبة، أيقظتا الشهوة، والتي قد تؤدي بسرعة إلى أفعال خاطئة. وقد أوضح النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم في حديث مسجل في صحيح مسلم، رقم 6753، أن زنا العين هو النظر. وهذا يُبرز أن المعصية غالبًا ما تبدأ بما تراه العين، فتُغذي القلب والعقل بصور تثير الميول المحرمة. لذا، فإن غض البصر ليس مجرد تجنب للانتهاكات الجسدية، بل هو حماية للقلب من الفساد الأخلاقي. فبمراقبة ما ينظر إليه المرء، يُظهر النفس ويُقوي ضبط النفس، ويُغذي التواضع، ويمنع الخيال من التيه في مجالات ضارة. إنه تدريب للإرادة، يُعلّم تقديم طاعة الله تعالى على الشهوات الزائلة. بضبط البصر، يطمئن القلب، ويقوي القلب السليم الصلة بالله تعالى. وهكذا، يكون غض البصر حمايةً، وحفظًا للكرامة والشرف والسلامة الروحية، ووقايةً للفرد والمجتمع من آثار الشهوات الجامحة.

، تُحذّر التعاليم الإسلامية أيضًا من أن حتى التفاعلات الخاصة بين الرجال والنساء، حتى وإن بدت حسنة النية قد تفتح بابًا للفتنة. لذا، ينبغي تجنب التواصل غير الضروري، لا سيما في الأماكن الخاصة أو عبر الوسائل الحديثة كالرسائل ووسائل التواصل الاجتماعي. وقد حذّر النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الترمذي، برقم ٢١٦٥، من أنه لا يخلون رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما. ويؤكد هذا التوجيه الخالد أن الخلوة، أيًا كان شكلها، سواء كانت جسدية أو افتراضية، تُهيئ بيئةً تتزايد فيها الشهوات وتضعف فيها ضبط النفس. فالتفاعلات الخاصة عبر الإنترنت، وإن بدت غير ضارة، إلا أنها قد تُعزز التعلق العاطفي وتُضعف الانضباط الروحي، وتؤدي تدريجيًا إلى علاقة حميمة غير لائقة. فما يبدأ كتواصل عابر قد يُضعف الحدود ويُجرّ الأفراد إلى مواقف تُخالف التوجيه الإلهي. والحكمة من هذه التعليمات واضحة: الوقاية أنجع من العلاج. باجتنب مسببات الشهوات، يصون الإنسان كرامته، ويحفظ صفاءه، ويحمي قلبه من الفساد قبل وقوع المعصية. وهذا التوجيه السديد يعكس رحمة الله تعالى، الذي لا يحرم المعصية فحسب، بل يسد أبوابها أيضًا.

. علاوة على ذلك، يأمر الله تعالى الرجال والنساء بالاحتشام، ليس فقط في لباسهم، بل في سلوكهم وتصرفاتهم
:سورة النور، الآيتان 30-31

قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يفعلون. وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو أبناء إخوانهن أو أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال أو...الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن

الحياء درعٌ واقٍ، يحمي الأفراد من الاهتمام غير اللائق، ويمنع الانجذاب الذي قد يؤدي إلى الانحطاط الأخلاقي. وقد وصف النبي محمد صلى الله عليه وسلم الحياء بأنه جزءٌ لا يتجزأ من الإيمان، كما ورد في صحيح البخاري، رقم 24، رافعا إياه من فضيلة اجتماعية إلى علامة على الاستقامة الروحية. فمن خلال

ممارسة الحياء في كل من المظهر والسلوك، يحفظ الشخص كرامته ويساهم في الرفاه الأخلاقي للمجتمع. فالحياء يكبح جماح الغرور، ويكبح الرغبات غير اللائقة، ويغذي التواضع، ويهيئ بيئة من الاحترام واللياقة، ويمتد نطاقه إلى ما هو أبعد من الملابس ليشمل الكلام والسلوك والفكر، فيشكل الشخصية، ويصون العلاقات ويعزز الإطار الأخلاقي للمجتمع. وبهذه الطريقة، يكون الحياء ضمانًا شخصيًا وضرورة مجتمعية في آن واحد، مما يضمن سيادة السلام والاحترام والوضوح الأخلاقي.

كما أوصى النبي محمد صلى الله عليه وسلم بالصيام كتدبير عملي لمن يجاهدون لضبط شهواتهم، كما ورد في صحيح البخاري، رقم 5066. فالصيام يُهذّب النفس، ويُضعف شوكة الدوافع الدنيوية، ويُتمّي الصبر وضبط النفس وزيادة التوكل على الله تعالى. وبالإمتناع طوعًا عن الملذات الحلال، يُقوّي الإنسان قدرته على مقاومة المغريات المحرمة، ويحمي نفسه من العلاقات الضارة والسلوكيات غير الأخلاقية. لذا، فالصيام ليس عبادة فحسب، بل هو أيضًا درع للقلب، يُعزز القوة المعنوية والاستقرار والوعي الروحي.

اختيار الصحابة بعناية وسيلة حيوية أخرى لتحسين النفس من الفتن. فمصاحبة من يجسدون العفة والحياء والإخلاص لله تعالى، يعزز العزيمة الأخلاقية وينمي الفضيلة. فالصحبة الصالحة تقدم التوجيه والتشجيع والتذكير بالمبادئ السامية، لا سيما في لحظات الضعف. في المقابل، فإن مصاحبة من يعتادون على السلوك المنحرف تضعف القلب تدريجيًا، فتبدو المعصية مقبولة والفضيلة ثقيلة. وقد أكد على هذه الحقيقة حديث في سنن أبي داود، رقم 4833، يسلط الضوء على التأثير العميق للصحابة على الشخصية والمصير. فالأصدقاء والزملاء ليسوا محايدين أبدًا؛ فهم إما يرفعون شأن المرء بتقريبه إلى الصلاح، أو يحطون شأنه بتشجيعه على المعصية. وهكذا يصبح اختيار الصحابة الصالحين عاملًا حاسمًا في الحفاظ على السلامة الروحية ومواءمة مسار المرء مع رضى الله تعالى.

للقادرين، يُعدّ الزواج متنفسًا شرعيًا كريمًا لشهواتهم. فهو، إلى جانب كونه ترتيبًا اجتماعيًا، عبادة تُلبّي الحاجات الجسدية والنفسية بما يُرضي الله تعالى. وقد حثّ النبي محمد صلى الله عليه وسلم على الزواج في الوقت المناسب وحذر من التأخير غير المبرر، إذ إنّ طول فترة العزوبة يزيد من عُرضة الفتن. لا يقوم الزواج الناجح على الانجذاب الجسدي فحسب، بل على التقوى والإخلاص والتقوى المشتركة، كما جاء في صحيح البخاري، رقم 5090، الذي يُوصي بإعطاء الأولوية للإيمان والصلاح في اختيار الزوج. يُعزّز هذا الاتحاد الانسجام الدائم والاستقرار والحماية من المعصية، ويُغذي الرفقة المتجدّرة في الإخلاص، ويضمن

الوفاء بالمسؤوليات بنزاهة، ويُحوّل المنزل إلى ملاذٍ للسكينة والبركة. والأسرة القوية، بدورها، تدعم الأساس الأخلاقي للمجتمع.

في نهاية المطاف، من أقوى وسائل التحكم في الشهوات تذكُّر المساءلة. وقد وصف النبي محمد صلى الله عليه وسلم، في حديثٍ رواه البخاري، رقم 6806، أحدَ سبعةٍ يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله. وهذا الشرفُ مُخصَّصٌ لمن ينضبطون في أنفسهم إجلالاً لله، مُبيناً أن القوة الحقيقية تكمن في مقاومة إغراءات طلب الرضا الإلهي. إنَّ تذكُّر الموت والمساءلة الدائم يُطهِّر الشهوات ويُطهِّر النية. وهو يُذكِّر بأنَّ كلَّ خواطرٍ خفيةٍ ونظرةٍ خفيةٍ وعملٍ خفيٍّ معلومٌ لله تعالى، وإن خفاه عن الناس. هذا الوعي يُنمِّي التواضع، ويُغذِّي الإخلاص، ويُقوِّي العزم على اجتناب المعصية. فعندما يُستحضر حتمية الوقوف بين يدي الله تعالى، تُصبح الحياة اليومية استعداداً للآخرة. يُوزن كل عمل بعناية، ويُتجنب الملذات العابرة التي تُسبب الندم، ويُسعى إلى الأعمال التي تُثمر ثواباً دائماً. وهكذا، لا يُصبح تذكُّر المساءلة وقايةً من الإغراءات فحسب، بل مصدرًا للسلام الداخلي، والوضوح الروحي، والقوة الأخلاقية الدائمة.

:سورة الفرقان، الآية 68. عموماً، من يتخلف عن اتباع شرع الله سيُسيء استخدام النعم التي وُهِبَتْ له حتماً

"ومن يفعل ذلك يلق أثاماً"

لا يقتصر هذا العقاب على الآخرة، بل يبدأ في هذا العالم. يمنعم سلوكهم من تحقيق حالة متوازنة عقلياً وجسدياً، إذ يُسيئون توزيع كل شيء وكل شخص في حياتهم. فبدلاً من أن تكون النعم مصدرًا للراحة والاستقرار، تصبح أسباباً للتوتر والاضطراب. تتحول العائلة والأصدقاء والوظيفة والثروة - وهي هبات من المفترض أن تحقق الانسجام - إلى أعباء بسبب إساءة استخدامها وترتيب أولوياتها بشكل غير صحيح. وعندما يُصرَّ هؤلاء الأفراد على العصيان، يبدأون في إلقاء اللوم على الأسباب الخاطئة. وبدلاً من إدراك أن إهمالهم للتوجيه الإلهي قد أدى إلى اختلال التوازن، يوجهون إحباطهم نحو أقرب الناس إليهم، مثل الزوج أو الأسرة. وباستبعاد هذه التأثيرات الجيدة من حياتهم، فإنهم يُعمِّقون بؤسهم. وغالباً ما تؤدي هذه الدورة المدمرة إلى

مزيد من التدهور، متجلية في الاضطرابات النفسية والاكتئاب وإدمان المخدرات، وحتى الميول الانتحارية. وهذه النتيجة ليست نظرية، بل ملحوظة. يكفي أن ننظر إلى أولئك الذين يُصرّون على إساءة استخدام النعم، المُنعم بها، كالأغنياء والمشاهير. فرغم تمتعهم بالرفاهية الدنيوية، غالبًا ما تشوب حياتهم عدم الاستقرار وتصدّع العلاقات، والفراغ الداخلي. ثروتهم وشهرتهم لا تحميهم من عواقب تجاهل الهداية الإلهية، لأن إساءة استخدام النعم تُصبح أعباء لا مصدرًا للطمأنينة. والأخطر من ذلك، أن إهمالهم في الدنيا يمنعهم من الاستعداد للحساب يوم القيامة. إن ما يعانونه من ضغوط واضطرابات مؤقتة في هذه الحياة لا يُقارن بالعقاب الذي ينتظرهم في الآخرة. وبتقصيرهم في استخدام النعم وفقًا للشرع الإلهي، فإنهم يُضيّعون راحة الدنيا وأمن الأبدية). سورة الفرقان، الآية 69)

«يُضَاعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ هُذُنًا»

:سورة الفرقان، الآية 70. لكن كما هو الحال دائمًا، يبقى باب التوبة مفتوحًا ما دام الإنسان حيًا

من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيمًا إلا

هذه الآية من أكثر آيات القرآن الكريم تفاؤلاً. فهي لا تضمن فقط مغفرة التائبين، بل تعدهم أيضاً بتحويل ذنوبهم السابقة إلى حسنات. ومن رحمة الله الواسعة أنه لا يمحو الذنوب فحسب، بل يبدلها بالأجر والثواب شرط التوبة الصادقة. والتوبة الصادقة ليست مجرد نطق بالكلمات، بل هي انعطاف عميق للقلب. تبدأ بندم صادق - شعور عميق بالحزن على معصية الله تعالى. ويتبع ذلك طلب مغفرته بتواضع وإلحاح، وعند الإمكان، طلب المغفرة لمن ظلم، شرط ألا يسبب ذلك مزيداً من الضرر أو الخلاف. كما تتطلب التوبة الصادقة عزماً راسخاً على عدم العودة إلى نفس الذنب أو ما شابهه. ويجب أن يصاحب هذا العزم خطوات عملية لتجنب الظروف أو البيئات أو الأصحاب الذين قادوا إلى المعصية سابقاً. بالإضافة إلى ذلك، يجب على المرء أن يُصلح أي حقوق تم انتهاكها - سواء كانت حقوق الله تعالى، مثل تفويت الصلوات أو إهمال الواجبات أو حقوق الناس، مثل الأموال المأخوذة بغير حق أو الأذى الذي لحق بهم. لا تكتمل التوبة إلا بالعمل الإيجابي

يجب على الشخص أن يسعى جاهداً لاستبدال المعصية بالطاعة، مستخدماً النعم التي أنعم الله عليه بها على النحو الذي يرضيه. وهذا يشمل الوفاء بالواجبات والانخراط في الأعمال الصالحة وتنمية الأخلاق الحميدة وبهذه الطريقة تصبح التوبة عملية تحول، حيث يتحول الضعف إلى قوة والذنب إلى وسيلة للتقرب إلى الله تعالى. إن رحمة الله تعالى واسعة لدرجة أنه لا يوجد ذنب لا يمكن مسامحته إذا كانت التوبة صادقة. حتى أولئك الذين ارتكبوا أعظم الأخطاء لا يُستثنون من عفوه. ما يهم ليس حجم الذنب ولكن صدق العودة. ما دامت الحياة، تبقى فرصة التوبة قائمة، فالله تعالى غفور رحيم. والدرس واضح: لا تيأس من رحمة الله تعالى ولا تؤخر توبتك. كل لحظة فرصة للعودة، والإصلاح، وإعادة بناء حياتك على أساس الإيمان والطاعة. من يغتنم هذه الفرصة يجد ماضيه جزاءً، وحاضره أماناً، ومستقبله وعداً بالتوفيق الأبدي. سورة الفرقان، الآية 71.

"ومن تاب وعمل صالحاً فإنه يتوب إلى الله "

كما ذكرنا سابقاً، بما أن الإسلام هو قانون سلوك شامل، فإنه يتضمن أداء حقوق الله تعالى وحقوق الناس: سورة الفرقان، الآية 72

«...وَهُمْ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ»

للأسف، يقع كثير من الناس في وهم أن أداء واجباتهم تجاه الله تعالى - كأداء الصلوات المفروضة - يُعفيهم من مراعاة حقوق الآخرين. هذا الاعتقاد الخاطئ يؤدي إلى سوء معاملة الأفراد، مما يُعزز الفساد والظلم في المجتمع. هذا الموقف هو تحريف للإسلام، فدين الله تعالى يشمل حقوقه وحقوق البشر، ولا يمكن تحقيق أحدهما مع إهمال الآخر. من الضروري إدراك أن حقوق الله تعالى تشمل العبادات كالصلاة والصيام والذكر بينما تشمل حقوق الناس العدل والرفق والأمانة وحفظ النفس والمال والعرض. إن إهمال حقوق الناس مع ادعاء الإخلاص لله تعالى هو نفاق، لأن العبودية الحقيقية تتطلب التوازن. حذر النبي محمد صلى الله عليه وسلم في حديثٍ ورد في صحيح مسلم، رقم 6579، من أن الظالمين سيُحاسَبون يوم القيامة. وإن نجا من

الحساب في الدنيا، فلن ينجو منه في الآخرة. يومئذٍ، يُطلب من الظالم أن يُسلم حسناته إلى ضحاياه، فإن نفدت حسناته، حُمِل عليه ذنوب من ظلمهم حتى يتم العدل. هذا الواقع المرعب قد يُودي بالظالم إلى عذاب جهنم بغض النظر عن امتثاله الظاهري لحقوق الله تعالى. يُبيّن هذا التحذير أن أي قدرٍ من العبادة لا يُعوّض عن انتهاك حقوق الآخرين. من يُصلي ويصوم ويقرأ القرآن الكريم، ثم يُسبّ أو يغشّ أو يُظلم الآخرين، سيُسلب من عباداته يوم القيامة. لن تمنعهم صلواتهم من العدل، فإله تعالى عادلٌ تمامًا، ويعيد كل حق إلى صاحبه لذا، يجب على المرء أن يسعى لتحقيق مجموعتي الحقوق: حقوق الله تعالى بالعبادة والطاعة، وحقوق الناس بالعدل والرحمة والاحترام. عندها فقط ينال المرء راحة البال، لأنه سيكون قد حقق حالة ذهنية وجسدية متوازنة، ووضع كل شيء وكل شخص في حياته على النحو الصحيح. هذا السلوك لا يضمن الطمأنينة في هذا العالم فحسب، بل ينشر أيضًا العدل والسلام في المجتمع. في المقابل، يؤدي إهمال حقوق الآخرين إلى الفوضى والاستياء والفساد، سواء في الحياة الشخصية أو في المجتمع الأوسع. الدرس واضح: الإسلام ليس دينًا للطقوس فقط، ولا للعدالة الاجتماعية فقط، بل كليهما معًا. العبد الحقيقي لله تعالى هو من ينحني في الصلاة ويعامل الخلق أيضًا بالعدل والرحمة. فلا يمكن للإنسان أن ينتظر يوم القيامة بين يدي الله تعالى بسجل سليم وقلب مطمئن إلا من خلال حفظ هذين الحقين

سورة الفرقان، الآية 72

«...وَهُمْ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ»

في حديثٍ ورد في صحيح البخاري، رقم 2673، حذّر النبي محمد صلى الله عليه وسلم من شهد زورًا ليأخذ مالا بغير حق، فإنه يلقى الله تعالى وهو عليه غضبان. هذا التحذير وحده كافٍ لردع أي شخص عن مثل هذا الفعل، فلا مصيبة أعظم من الوقوف بين يدي الله تعالى في حالةٍ تستوجب غضبه. ومن المهم ملاحظة أن هذا النهي ينطبق على الاستيلاء على أموال الناس جميعًا، بغض النظر عن دينهم. ولا تُنقص من خطورة الإثم هوية المجني عليه. حتى لو أطاع الله تعالى ظاهراً في جوانب أخرى من حياته، كأداء الصلوات المفروضة، فإن شهادته الزور تجلب غضبه. وللأسف، تنتشر هذه المعصية في كثير من المجتمعات، وخاصةً في الأماكن التي ينتشر فيها الفساد، ويلجأ فيها الأفراد إلى رفع دعاوى باطلة أمام المحاكم للاستيلاء على ثروات أو ممتلكات لا تخصهم. وفقاً لحديثٍ ورد في صحيح البخاري، رقم 2654، فإن شهادة الزور من

أكبر الكبائر .بل إن النبي محمدًا صلى الله عليه وسلم قرنهما بالشرك وعقوق الوالدين، مبيِّنًا خطورتها .وقد فعل الله تعالى الشيء نفسه في القرآن الكريم .سورة الحج، الآية 30

"فاجتنبوا رجس الأصنام واجتنبوا قول الزور ..."

ورد في سنن ابن ماجه، برقم ٢٣٧٣، حديثٌ يُنذر بشدةٍ من لم يتب توبةً صادقةً من شهادة الزور، فإن لم يتب، فلن يقوم يوم القيامة حتى يُدخله الله تعالى النار .بل إن من شهد زورًا ليأخذ شيئًا بغير حقٍّ سيدخل النار .ولو كان ما أخذه حقيرًا كغصن شجرة .وهذا ما يؤكد حديثٌ في صحيح مسلم، برقم ٣٥٣

تكمُن خطورة شهادة الزور في أنها تشمل ذنوبًا أخرى كثيرة .فهى، أولاً وقبل كل شيء، كذب .كما أنها ظلمٌ لمن ظُلم بالشهادة .وكما ذكرنا سابقًا، لا يغفر الله تعالى مثل هذه الذنب حتى يغفر له المجني عليه .فإن لم يغفر له، تُنقل إليه حسنات شاهد الزور يوم القيامة، وإن اقتضى الأمر، تُنقل إليه ذنوبه إحقاقًا للعدل .وقد يكون هذا سببًا في دخول شاهد الزور النار .وقد ثبت هذا المبدأ في حديث صحيح مسلم، رقم 6579

ويأثم شاهد الزور أيضًا إذا شهد لغيره ليأخذ شيئًا بغير حق .وهذا السلوك يتعارض تمامًا مع أمر القرآن :الكريم .سورة المائدة، الآية ٢

"وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان"

بإعانة غيره على الظلم، يُصبح شاهد الزور شريكًا في إثمه. بل إن كل ما يُكتسب بشهادة الزور يُصبح محرّمًا. فإذا استُخدمت هذه الأموال، حتى في أعمال البر الظاهرة كالصدقة، فإنها تُرد وتُكتب إثماً، لأن الله تعالى لا يقبل إلا الحلال. وقد ثبت ذلك في حديث صحيح مسلم رقم 2342. وهكذا، فإن المال المُكتسب بشهادة الزور لا بركة فيه، وكل استعمال له يُصبح إثماً

لذا، فإن قول الصدق واجب على جميع الناس في كل وقت، سواءً في حديث عابر أو تحت القسم في المحكمة. الكذب بجميع أنواعه يؤدي إلى الإثم، والإثم يؤدي إلى النار. ومن يُصر على الكذب يُكتب كذابًا عند الله تعالى. ولا يحتاج الأمر إلى بصيرة علمية لفهم مصير من يُلقبه الله تعالى بهذه الصفة يوم القيامة. وقد حذّر من ذلك صراحةً في حديث في جامع الترمذي، رقم 1971

العبرة واضحة: شهادة الزور ليست صغيرة، بل هي كبيرة تجمع بين الكذب والظلم والخيانة والظلم. إنها تُزعزع ثقة المجتمع، وتُفسد الأنظمة القانونية، وتُوجب غضب الله تعالى. لذا، فإن العبد الصالح لله تعالى يتجنبها تمامًا، وينطق بالحق حتى لو كان على نفسه، ويحرص على أن تكون كلماته دائماً وسيلةً للعدل لا للظلم.

لا يقتصر عباد الله تعالى على اجتناب جميع أنواع الشرور، بل يتجنبون أيضاً برحمة الانخراط في الأعمال: سورة الفرقان، الآية 72. الباطلة التي لا طائل منها

"وإذا مروا بالباطل مروا بكرامة "

تُبرز هذه الآية أن التقوى لا تقتصر على الامتناع عما هو محرم صراحةً، بل تشمل أيضاً اجتناب ما هو تافه أو مُبذر أو غير مُثمر روحياً. ومن أركان البر استخدام النعم التي وهب المرء إياها وفقاً للهداية الإلهية. وهذا

،يشمل ضبط النفس حتى في بعض الأمور المُباحة، خشية أن يُفْضي الانغماس فيها إلى الحرام). سورة البقرة (الآية ١٨٧).

"تلك حدود الله فلا تقربوها"

لاحظ أن الله تعالى لا يحرم تجاوز حدوده فحسب، بل يحذر من الاقتراب منها أيضاً. ويتردد صدى هذا التوجيه الدقيق والعميق في جميع أنحاء القرآن الكريم .على سبيل المثال، عندما خاطب الله تعالى النبي الكريم آدم عليه السلام في الجنة، لم يحرم عليه الأكل من الشجرة فحسب، بل أمره أيضاً بعدم الاقتراب منها، مع: أن الاقتراب منها ليس محرماً في حد ذاته .سورة الأعراف، الآية 19

"و يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين"

يوضح هذا المثال أن الحكمة لا تكمن فقط في اجتناب المعصية، بل أيضاً في الابتعاد عن مسبباتها .فكون الشيء حلالاً لا يعني بالضرورة السعي إليه دائماً، فالانغماس في بعض الحلال - وخاصة الباطل - غالباً ما يُصبح مدخلاً إلى الحرام .على سبيل المثال، فإن الكلام الفارغ، وإن لم يكن حراماً في حد ذاته، غالباً ما يؤدي إلى الغيبة والنميمة والكذب .وبالمثل، فإن إنفاق المال باطلاً، وإن لم يكن حراماً في البداية، غالباً ما :سورة الإسراء، الآية 27. يتحول إلى إسراف، وهو أمر مُدان في القرآن الكريم

"إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفوراً"

يُظهر التاريخ والتجربة أن معظم من يُضَلَّون يفعلون ذلك تدريجيًا، من خلال -عملية تدريجية- فهم يُقدِّمون على المحرمات دون الانخراط فيها مباشرةً، ولكن مع مرور الوقت، تجذبهم الإغراءات والعادة إلى العصيان الصريح. على سبيل المثال، من يُصاحب من يشرب الخمر بانتظام يكون أكثر عُرضَةً للشرب في النهاية من من يتجنبها تمامًا. وقد أكَّد النبي محمد صلى الله عليه وسلم على مبدأ الحذر والحِطة. ففي حديثٍ ورد في جامع الترمذي، رقم 2451، نصَّح بأنه لا يمكن للإنسان أن يبلغ التقوى الحقيقية حتى يترك بعض الحلال خوفًا من أن يُفْضي إلى الحرام. وهكذا، فإن التقوى لا تقتصر على اجتناب الحرام فحسب، بل تشمل أيضًا الحكمة والبصيرة في الأمور الشرعية. وبهذا الموقف، يبقى الإنسان ثابتًا على طاعة الله تعالى، مُحسنًا استخدام النعم التي وَهَبَتْ له، كما هو مُبين في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. هذا هو جوهر الاستقامة، الذي يؤدي إلى راحة البال في الدنيا والآخرة، وذلك بإقامة حالة ذهنية وجسدية متوازنة، ووضع (النحل، الآية 97، الإصحاح 16 كل شيء وكل شخص في مكانه الصحيح). سورة

"من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون"

على النقيض من ذلك، فإن من لا يُدرك أهمية عدم الاقتراب من حدود الله تعالى، يُفْترط في الحلال، وخاصةً الباطل. هذا الانغماس يزيد من احتمال الوقوع في الحرام، ويؤدي إلى إساءة استخدام النعم. ويؤدي هذا الإساءة إلى التوتر والصعوبات والاضطراب في العالمين. تصبح حالتهم النفسية والجسدية غير متوازنة، ويخطئون في ترتيب أولوياتهم، ويفشلون في الاستعداد للحساب يوم القيامة. حتى لو عاشوا لحظات عابرة من الترفيه أو الترف، تظل حياتهم موصومة بالفراغ الداخلي وعدم الاستقرار. يتضح هذا الواقع عندما يُراقب المرء حياة أولئك الذين يعيشون بهذه الطريقة، بمن فيهم كثير من الأغنياء، الذين لا تحميهم وفرة ممتلكاتهم الدنيوية من: سورة طه، الآيات 124-126. مشاكل صحية نفسية خطيرة

ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد
"كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى"

الدرس واضح :عباد الله الصادقون لا يكتفون باجتنب المعاصي، بل يتحلون بالحكمة في الحلال، ويبتعدون عن الملذات التي قد تؤدي إلى المعصية. وبذلك يحفظون نعمهم، ويصونون دينهم، ويضمنون لهم السلام في الدنيا والآخرة.

سورة الفرقان، الآية 72

"وإذا مروا بالباطل مروا بكرامة "

باجتنب ما لا يعنيه، من أمور لا طائل منها ولا غاية، يرفع عباد الله تعالى إيمانهم ويحسنون إسلامهم. وقد ورد هذا المبدأ في حديث في جامع الترمذي، رقم 2317، وهو حديث شامل -ينطبق على كل جانب من جوانب الحياة. وهو يشمل القول والفعل، ويعلم من أراد إكمال إيمانه أن يتجنب ما لا يعنيه، وأن ينشغل بما يهمه حقًا.

ولتحقيق ذلك، يجب على الإنسان أن يأخذ مسؤولياته الحقيقية على محمل الجد، وأن يسعى جاهداً لأدائها وفقاً لتعاليم الإسلام، راغباً في رضا الله تعالى فقط. ومن المهم ملاحظة أن كمال الإيمان لا يتحقق باجتنب الأمور، القائمة على العقل أو الشهوات، بل باجتنب ما حث عليه الإسلام نفسه. وهذا يشمل أداء جميع الواجبات والامتناع عن المعاصي، والاجتناب عن المكروهات، وحتى ضبط النفس في استخدام الأشياء المباحة. ويرتبط هذا المستوى من الكمال بمفهوم فضل الإيمان الموصوف في حديث صحيح مسلم رقم 99. وهو أن يعبد الإنسان الله تعالى كأنه يراه، أو على الأقل، مدركاً أنه يراه في كل وقت. وهذا الوعي بالمراقبة الإلهية يلهم الإنسان للامتناع عن المعاصي والمسارة إلى الأعمال الصالحة. ومن يغفل عن ما لا يعنيه، فلن يبلغ هذا المستوى الرفيع من الكمال.

من أهم جوانب اجتناب ما لا يعني الإنسان، مسألة الكلام. فمعظم المعاصي تقع باللسان، عندما يتفوه الناس بكلمات لا تعنيهم، كالغيبة والقذف واللغو. واللغو هو الكلام الذي قد لا يكون محرماً في ذاته، ولكنه لا فائدة منه، فلا يستحق الاهتمام. ويؤكد حديث في صحيح البخاري، رقمه ٢٤٠٨، أن اللغو مكروه عند الله تعالى وقد كثر الجدل والانقسام، بل وحتى الأذى الجسدي، لمجرد أن أحدهم تكلم في أمور لا تعنيهم. وتمزقت الأسر، وانقطعت الزيجات بسبب إهمال الأفراد لأمرهم الخاصة. وقد وجه الله تعالى الناس إلى الكلام المفيد. (سورة النساء، الآية ١١٤)

لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء رضوان الله فسوف نؤتيه أجرًا عظيمًا

تسلط هذه الآية الضوء على أن الكلام يجب أن يكون هادفًا وبناءً وموجهًا نحو الخير. في الواقع، فإن النطق بالكلمات التي لا تعني الشخص سيكون أحد الأسباب الرئيسية لدخول الناس النار، كما هو مذكور في حديث موجود في جامع الترمذي، رقم 2616. ولهذا السبب، نصح النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، في حديث موجود في جامع الترمذي، رقم 2412، بأن كل كلام سيحسب على الشخص ما لم يكن مرتبطاً بالأمر بالمعروف أو النهي عن المنكر أو ذكر الله تعالى. وهذا يعني أن جميع أشكال الكلام الأخرى ليست ذات أهمية حقيقية، لأنها لا تجلب أي فائدة في هذا العالم أو الآخرة. علاوة على ذلك، فإن النصيحة بالخير لا تقتصر على الأمور الدينية ولكنها تشمل أي شيء مفيد في الحياة الدنيا، مثل العمل أو المسؤوليات.

لذا، ينبغي للإنسان أن يحرص على اجتناب ما لا يعنيه، قولاً كان أم فعلاً، ليكمل إيمانه. وباختصار، من خصص وقته لما لا يعنيه، لا بد أن يفشل فيما يعنيه. ومن انشغل بما يعنيه حقاً، لا وقت لديه لما لا يعنيه. وهذا الشخص، برحمة الله تعالى، يُفلح في الدارين.

وأخيرًا، من يركز على الأمور المهمة حقًا يؤدي واجباته الدينية والدنيوية بجِدِّ واجتهاد، فينال راحة البال ومن أهم مصادر التوتر انشغال الإنسان بأمور لا تعنيه، إذ يمنعه ذلك من أداء واجباته الحقيقية. وبالتصرف السليم، يضمن الإنسان أداء واجباته المهمة مع ترك وقت للراحة والمتعة المشروعة. وهكذا يحقق التوازن والسكينة والنجاح الدائم.

علاوة على ذلك، فإن كرامة عباد الله المخلصين تمنعهم من الانقياد الأعمى للرأي السائد في مجتمعهم في الانغماس في أمور تافهة لا طائل منها. فهم يدركون أن الشرف الحقيقي ليس في اتباع سلوك الأغلبية، بل (سورة الفرقان، الآية 72). في اتباع السلوك القويم، حتى لو خالف سلوك من حولهم.

"وإذا مروا بالباطل مروا بكرامة "

يعلم عباد الله تعالى أن التقليد الأعمى طريقٌ للهلاك، لأن سلوك الأغلبية في المجتمع غالبًا ما يؤدي إلى العصيان. وعندما يرى المرء الأغلبية تُهمل التوجيه الإلهي، يسهل عليه افتراض أن سلوكها صحيح، فيتبعها دون تفكير. لكن الحقيقة هي أن رأي الأغلبية ليس دائمًا صحيحًا. والتاريخ نفسه يشهد على ذلك: فقد ثبت خطأ معتقدات لا تُحصى اعتنقتها الأغلبية - كالاقتناع الخاطئ بأن الأرض مسطحة. سورة الأنعام، الآية ١١٦

وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يظنون

توضح هذه الآية أن الأغلبية غالبًا ما تتبع الظن بدلًا من الحقيقة. إن التصرف كالأنعام، والتوافق مع القطيع دون تفكير، هو ترك هبة العقل والمنطق التي أنعم الله بها عليه. يؤدي هذا السلوك إلى خيارات مضللة في الشؤون الدنيوية والروحية. بدلًا من ذلك، يُؤمر الأفراد باستخدام عقولهم وذكائهم لتقييم كل ظرف بناءً على المعرفة والدليل. يجب عليهم اتخاذ قرارات مستنيرة، حتى لو خالفت هذه القرارات الآراء السائدة للأغلبية.

لذلك، ينتقد الإسلام بشدة التقليد الأعمى في الأمور الدينية، لأنه يجرّد الشخص من المسؤولية والتمييز. بدلاً من ذلك، يشجع الإسلام الناس على التعلم والتأمل والعمل بالتعاليم الإلهية بفهم. تكمن كرامة عباد الله تعالى في استقلالهم عن تأثير الرأي العام. لا يندفعون بالعدد، ولا يخيفهم الأغلبية. شرفهم يكمن في طاعة الله تعالى، وفي العيش وفق مبادئ ثابتة حتى مع تغير المجتمع. وبذلك، يصونون أنفسهم من الخطأ، ويحفظون (سورة يوسف، الآية ١٢، ١٠٨). نعمهم، ويكونون قدوة حسنة للآخرين

"...قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني"

عباد الله تعالى هم الذين أحسنوا استخدام قواهم الممنوحة - السمع والبصر والعقل - فيستجيبون لآيات الله تعالى، سواءً أكانت هذه الآيات من خلال الوحي الإلهي أم تجلّت في الخلق، كالأحداث التاريخية أو الظروف. سورة الفرقان، الآية 73. الراهنة

"والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا"

تُبرز هذه الآية أن العبودية الحقيقية تتطلب انتباهًا وتدبرًا واستجابة. عباد الله تعالى لا يتعاملون مع الأذكار الإلهية على أنها مجرد كلمات جوفاء، ولا يتجاهلون الدروس الكامنة في العالم من حولهم، بل يُشغلون قواهم بإخلاص، فيتغلغل العلم في قلوبهم ويُغيّر سلوكهم

للاستفادة من المعرفة حقًا، لا بدّ من الإنصات إليها حقًا. وهذا يتجاوز مجرد الإنصات السلبي؛ بل يتطلب انتباهًا دقيقًا، وربط المعرفة بتجارب الماضي، وتقييم كيفية تطبيقها في المستقبل، والسعي الصادق للعمل بها بهذه العملية فقط تُصبح المعرفة هداية. إنّ مجرد الإنصات إلى المعرفة الإسلامية دون تدبر وتطبيق لن يُؤثّر إيجابًا على السلوك. وهذا أحد الأسباب الرئيسية التي تجعل كثيرًا من الناس اليوم، على الرغم من توفّر

المعرفة الإسلامية غير المسبوق عبر الكتب والمحاضرات والمنصات الرقمية، يفشلون في إحداث تغيير حقيقي في حياتهم. المعرفة دون تطبيق تبقى معلومة، وليست تحولاً

سورة الفرقان، الآية 73

"والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا"

بالإضافة إلى الإنصات، يجب على المرء أن يراقب المواقف - ماضيًا كان أم حاضراً - ببصيرة. فالتأمل في التاريخ، والتجارب الشخصية، وتجارب الآخرين يُقدم دروساً قيّمة. إن -الانشغال بالذات، حيث يقتصر اهتمام المرء على الظروف الشخصية فقط، يُعمي القلب عن إدراك الحكمة التي يمكن استخلاصها من حقائق الوجود الأوسع. هذا الضيق يمنع النمو، بينما يُصقل التأمل الشخصية، ويساعد على تجنب الأخطاء المتكررة، ويزرع سلاماً داخلياً دائماً. على سبيل المثال، فإن ملاحظة كيف يُسيء الأثرياء والمشاهير استخدام النعم التي مُنحوا - ليُصابوا بالقلق والاكتئاب والإدمان، أو حتى الانتحار رغم ما يُوفرونه من راحة - تُعلّمنا أن السكينة الحقيقية لا تُشتري بالثروة ولا تُكفل برغبات جامحة. وبالمثل، فإن مشاهدة شخص يُصارع المرض تُثير الامتنان للصحة وتُلهم على استخدامها بشكل صحيح قبل أن تتلاشى. إن ملاحظة سقوط الأمم السابقة التي ابتعدت عن الهداية الإلهية تُثير التواضع واليقظة في الحاضر. وهكذا، يصبح كل ظرف، سواء أكان مناسباً أم صعباً، دليلاً على الحق لمن يتفكر. يدعو القرآن الكريم الناس مراراً وتكراراً إلى استخدام قواهم السمعية والبصرية والعقلية. ومن يفشل في ذلك يُوصف بأنه أسوأ من الأنعام، لأنه يُبدد الأدوات التي تميزه كبشر - على النقيض من ذلك، يتعامل عباد الله تعالى مع آياته - سواءً أنزلت في القرآن الكريم أم تجلت في الخلق بقلوب مفتوحة وعقول يقظة وأفعال مستجيبة. هذا السلوك يحفظ توازنهم العقلي والجسدي، ويضمن لهم وضع كل شيء وكل شخص في حياتهم على النحو الصحيح، ويهيئهم للمحاسبة يوم القيامة. لا يشنتهم الغفلة، ولا يعميهم الكبر. بل يعيشون بوعي وامتنان وعزم، مستمدين الحكمة من كل تذكير ودرس من حولهم.

،بما أن الإسلام شريعة شاملة، فهو يشمل جميع جوانب حياة الإنسان، دينيًا ودنيويًا، بما في ذلك أمور كالزواج والحياة الأسرية، وتربية الأبناء .سورة الفرقان، الآية 74

"والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين "

إذا رغب المرء حقًا في إيجاد الراحة والسكينة والسلام من شريك حياته، فعليه اختيار الزوج وفقًا لهدي الإسلام .في حديث موجود في صحيح البخاري، رقم 5090، نصح النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم بأن يتزوج المرء لأربعة أسباب :المال، والنسب، والجمال، والتقوى .وختم بتحذير من أن يتزوج المرء من أجل التقوى، وإلا فسيكون خاسرًا .يوفر هذا الحديث إطارًا خالداً لفهم أسس الزواج الناجح .الصفات الثلاث الأولى - المال، والنسب، والجمال - مؤقتة وغير كاملة .قد توفر سعادة مؤقتة، لكنها في النهاية تصبح أعباءً ،لأنها مرتبطة بالعالم المادي وليس بمصدر النجاح النهائي والدائم، ألا وهو الإيمان .الثروة، على سبيل المثال لا تضمن السعادة .يحتاج المرء فقط إلى مراقبة حياة الأغنياء والمشاهير ليرى أن الوفرة المادية غالبًا ما تتزامن مع عدم الرضا وعدم الاستقرار والتعاسة .كذلك، لا يضمن النسب حسن الخلق أو نجاح الزواج .بل إن فشل الزوجات القائمة على الهيبة العائلية غالبًا ما يُدمر الروابط بين العائلات بأكملها .الجمال أيضًا زائل .الحب القائم على الانجذاب الجسدي وحده هش، إذ يتغير بتغير الزمن والمزاج والظروف .كثير من الأزواج الذين ادعوا يومًا أنهم مغرمون جدًا بالحب، أصبحوا فيما بعد أعداءً لدودين .

من المهم توضيح أن هذا الحديث لا يعني تعمد البحث عن زوجة فقيرة أو غير جذابة .الاستقرار المالي ضروري لإعالة الأسرة، والانجذاب المتبادل عنصر مهم في الزواج السليم .بل يُعلم الحديث أن هذه الصفات لا ينبغي أن تكون الدافع الرئيسي أو النهائي للزواج .إن الأساس الحقيقي للزواج الناجح هو التقوى .والتقوى تعني تنفيذ أوامر الله تعالى، واجتناب نواهيه، ومواجهة القدر بالصبر على نهج النبي محمد صلى الله عليه وسلم .باختصار، من يتقي الله تعالى يُحسن معاملة زوجته في السراء والضراء .على النقيض من ذلك، يُسيء الشخص غير المتدين معاملة زوجته كلما استاءت، وحتى عندما يكون راضيًا، غالبًا ما يُقصر في أداء حقوق زوجته بسبب الجهل .وهذا أحد أسباب ازدياد العنف الأسري وانهيار العلاقات الزوجية في الآونة الأخيرة :سورة فاطر، الآية ٢٨ .التقوى، المبنية على المعرفة، تُزيل الجهل، وتُغرس العدل والرحمة والمسؤولية

"...إنما يخشى الله من عباده العلماء..."

يهتم المتدين بأداء حقوق الآخرين، كالزوج مثلاً، أكثر من اهتمامه بالمطالبة بحقوقه. فهو يدرك أن الله تعالى سيسأله عما إذا كان قد أدّى حقوق الآخرين، لا عما إذا كان الآخرون قد أدوا حقوقهم. أما الكافر، فينشغل باستحقاقاته المتهمة، والتي غالباً ما تنبع من الثقافة أو الموضة أو الشهوات الشخصية، لا من الإسلام، ونتيجةً لذلك، لا يشعر بالرضا الحقيقي أبداً، حتى لو أدّى الزوج حقوقه وفقاً للتعاليم الإسلامية. ولهذا السبب يرتبط الجهل بالإسلام ارتباطاً وثيقاً بالخلافات الزوجية والطلاق.

لذلك، ينبغي على من يرغب في الزواج أن يكتسب أولاً المعرفة اللازمة لذلك. عليه أن يتعلم حقوقه على زوجته، وحقوقه عليه، وكيفية التعامل معه في مختلف الظروف. فالجهل بهذه الأمور يؤدي إلى جدال لا داعي له وزواج فاشل، إذ يطلب الرجل من زوجته ما لا يفرضه الإسلام. فالعلم، أصل التقوى، هو أساس الزواج السليم الناجح.

بالإضافة إلى ذلك، ولأن الزواج علاقة عطاء وأخذ متبادل، يجب على الطرفين السعي الدائم للوفاء بحقوق الزوج/الزوجة، حتى لو قصر في ذلك. فجوهر الزواج ليس خدمة مشروطة، بل مسؤولية غير مشروطة ومن يتبنى موقفاً غير ناضج، مُعلنًا أنه لن يُفي بحقوق الزوج/الزوجة إلا بعد أن يُفي بها هو/هي، فقد أساء فهم أساس الزواج. فلا ينبغي لمثل هذا الشخص أن يُقدم على الزواج إلا بعد أن يتبنى نظرة ناضجة، لأن هذا الموقف يؤدي حتماً إلى الجمود والاستياء وانهيار الثقة، مما يُقصر كلا الطرفين في الوفاء بحقوق الآخر.

النضج يُحوّل الزواج إلى مصدر للسكينة والقوة. فعندما يُبدي أحد الزوجين الصبر واللفظ والمسؤولية، حتى عندما يتعثر الآخر، غالباً ما يُلنّ قلب الآخر ويُلهمه للإصلاح. على النقيض من ذلك، عندما يتبنى كلٌّ منهما موقفاً مشروطاً، مُنتظراً من الآخر أن يُبادر، يُصبح الزواج ساحة صراع للأناية بدلاً من أن يكون ملاذاً للرحمة.

لذلك، يتعامل العبد الحق مع الزواج على أنه التزامٌ مدى الحياة بالمسؤولية، وليس عقدَ مصلحة. ويسعى جاهداً لأداء حقوق زوجته بإخلاص، راغباً في رضا الله تعالى، واثقاً بأن جهوده ستجلب له التوفيق في الدنيا والثواب في الآخرة.

سورة الفرقان، الآية 74

"والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين "

كما هو مبين في نهاية الآية 74، فإن أفضل سبيل لتحقيق غاية تجعل الزوج والأبناء مصدر راحة هو أن يكون المرء قدوة حسنة. فعندما يجسد المرء تعاليم الإسلام في سلوكه، فإن ذلك يشجعه بطبيعة الحال على اتباعها. وبهذه الطريقة، تؤدي حقوق كل فرد في المنزل، ويصبح المنزل ملاذاً للسكينة والاستقرار والسعادة

سورة الفرقان، الآية 74

"ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما "

يُبرز هذا الدعاء أن السكينة الحقيقية في الحياة الأسرية لا تكمن في الممتلكات المادية أو المكانة الاجتماعية، أو الملذات الزائلة، بل في الاستقامة وأداء الحقوق. فالأسرة التي توحيها التقوى تصير مصدر قوة وسكينة بينما الأسرة التي تتجاهل التوجيه الإلهي غالباً ما تصير مصدراً للتوتر والصراع. إن القيادة بالقدوة تتطلب أكثر من مجرد ادعاءات إيمانية ظاهرية؛ بل تتطلب تعلم تعاليم الإسلام والعمل بها ليشهد الآخرون على

صدقها من خلال الأفعال والأقوال .عندما يُجسد الآباء والأمهات الإخلاص والصبر والصدق وطاعة الله تعالى، يكون أطفالهم أكثر قدرة على استيعاب هذه القيم .حينها فقط يُمكن للآباء والأمهات تعليم القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم للأجيال القادمة بطريقة مقنعة ودائمة .لا يكفي أن يرث الأطفال الإسلام كهوية ثقافية، بل يجب أن يفهموا صدقه من خلال الأدلة الواضحة، حتى يكون إيمانهم راسخًا باليقين لا بالتقليد الأعمى .المراهق الذي يعتنق الإسلام لمجرد أن والديه حنّوه عليه، غالبًا ما ينحرف عن دينه مع تقدمه في السن، وخاصةً عند تعرّضه لأيديولوجيات وأنماط حياة متعارضة .على النقيض من ذلك، من يعتنق الإسلام بالدليل والفهم، يدرك أنه منهج حياة شامل يُنظّم كل موقف، ويرشد إلى حسن استغلال كل نعمة

،للأسف، يحرص كثير من الآباء اليوم على تفوق أبنائهم في التعليم الديني، مما يؤدي إلى النجاح الديني ولكنهم يهملون تعليمهم الديني .وكثيرًا ما يفوضون هذه المسؤولية بالكامل للآخرين، مع أن من واجبهم تعليم أبنائهم أصول الإسلام مباشرة .وبينما يُعد تشجيع السعي وراء المعرفة الدينيّة أمرًا محمودًا، فإنه يجب ألا يكون على حساب المعرفة الدينية .إن إرسال الأطفال إلى المساجد لمجرد تعلم كيفية تلاوة القرآن الكريم دون فهم معانيه لا يكفي .إن مسؤولية الآباء هي تزويد أبنائهم بالمعرفة الدينيّة والدينيّة، مما يضمن التوازن المعرفة الدينيّة تُجهزهم للتنقل في الحياة، بينما تُرسخ المعرفة الدينية لديهم الحقيقة والأخلاق والهدف .وبدون هذا التوازن، قد يحقق الأطفال نجاحًا دنيويًا لكنهم يفقدون بوصلتهم الروحية، مما يجعلهم عرضة للشك والارتباك والعصيان

لذلك، من الأهمية بمكان أن يكون كبار العائلة، وخاصة الوالدين، قدوة حسنة في القول والفعل .فهم يتحملون مسؤولية مقدسة، لأن التوجيه الأخلاقي والروحي للأسرة يعتمد إلى حد كبير على سلوكهم .والخطوة الأولى في أداء هذا الواجب هي طلب المعرفة الأصيلة بالتعاليم الإسلامية، وفهم أوامر الله تعالى ونواهيه، والهدى الوارد في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم .ومع ذلك، فإن المعرفة وحدها لا تكفي إلا إذا تُرجمت إلى عمل دؤوب صادق .عندما يعيش الوالدان بما يعلمانه، تتعمق كلماتهما، وتحظى أفعالهما بالاحترام، ويوحي قدوتهما بالثقة والإعجاب .الأطفال، بطبعهم، مراقبون بارعون .يكتسبون العادات، والمواقف والأولويات من أقرب الناس إليهم، وخاصة والديهم .قد ينسى الطفل الكثير من الدروس التي تُقال، لكنه لن ينسى أبدًا ما يُظهره من خلال السلوك الدؤوب .إذا أمر أحد الوالدين طفله بالصلاة ولكنه أهملها ستبدو كلماته جوفاء وغير مُلهمة .ومع ذلك، عندما يُداوم الوالدان على الصلاة بخشوع وتفانٍ، فإن ذلك يُرسّخ قيمة الصلاة في قلب الطفل بشكل أكثر فعالية من أي محاضرة .وبالمثل، عندما يرى الأطفال والديهم يُجسّدون الصدق والصبر والرحمة والشكر، فإن هذه الفضائل تُنسج بشكل طبيعي في شخصيتهم .عندما يبذل الوالدان جهدًا صادقًا للعيش وفقًا للهداية الإلهية، يصبح المنزل انعكاسًا حيًا للإيمان .يمتلئ جو المنزل بالسلم

والاحترام المتبادل والشعور بالهدف .كل عمل - سواء كان كسب الرزق أو الحفاظ على الروابط الأسرية أو ،حل الخلافات - يتأثر بوعي الله تعالى .وهكذا يتحول المنزل إلى نموذج صغير ولكنه قوي للمجتمع الإسلامي .حيث لا يقتصر الإيمان على الشعائر بل يمتد إلى الأخلاق والسلوكيات واستخدام البركات

تصبح هذه الأسرة مصدر هداية للآخرين .يستشعر الجيران والأقارب، بل وحتى الغرباء، النور المنبعث من انسجامهم وسلوكهم .صبرهم في الشدة، وامتنانهم في الرخاء، وتواضعهم في النجاح، يشهد على حقيقة الإسلام وجماله أبلغ من أي كلام .يصبح قدوة الوالدين إرثًا، إرثًا لا يُشكل إيمان أبنائهم فحسب، بل يُشكل أيضًا الصحة الروحية للأجيال القادمة .وهكذا، تصبح الأسرة التي تبني حياتها على هدي القرآن الكريم وسنة النبي ،محمد صلى الله عليه وسلم، منارة في عالم مظلم .يصبح منزلهم ملاذًا للسلام والعلم، مكانًا تلين فيه القلوب وتُستغل فيه النعم على الوجه الصحيح، وتستمر فيه طاعة الله تعالى .هذه الأسر هي أساس مجتمع عادل ومتآلف، لأن البر حين يبدأ من البيت، ينتشر حتمًا إلى الخارج، مُغيّرًا المجتمعات، ومُعزّزًا الأمة بأسرها .سورة الفرقان، الآية 74

"ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما "

الإسلام، كمنهج حياة واقعي وشامل، يُقرّ بأنّ التحلي بالصفات النبيلة الواردة في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم يتطلب جهدًا واجتهادًا حقيقيين .فطريق الصلاح ليس طريقًا للراحة أو الترف، بل طريقًا للانضباط والصبر والمثابرة .ومع ذلك، فإنّ جزء هذا الاجتهاد يفوق الجهد بكثير، إذ يُفضي إلى راحة البال في الدنيا والآخرة، من خلال تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، ومن خلال وضع كل شيء وكل :سورة الفرقان، الآية 75 .شخص في حياة المرء على الوجه الصحيح

"...أولئك سيجزون الغرفة بما صبروا "

طاعة الله تعالى غالبًا ما تتعارض مع رغبات الناس الدنيوية. فالتطبيعة البشرية تميل إلى اليسر والانغماس في الملذات العاجلة، بينما تدعو الهداية الإلهية إلى ضبط النفس والصبر والنظرة البعيدة - والثبات على الطاعة في كل ظرف، سواء في الرخاء أو الشدة، يتطلب إيمانًا راسخًا. فبدون إيمان راسخ، سيتعثر المرء حتمًا عند مواجهة رغباته. والإيمان الراسخ لا يُورث بالولادة ولا تستقر عليه الثقافة، بل يُكتسب بتعلم الأدلة والبراهين الجلية الواردة في القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم والعمل بها. وتوضح هذه المصادر كيف أن طاعة الله تعالى الصادقة تؤدي إلى راحة البال الحقيقية في الدنيا والآخرة. ومن يدرس هذه المعرفة ويتأملها ويعمل بها يكتسب يقينًا إيمانيًا راسخًا، يُرسخه في كل ظرف. في المقابل، من يجهل تعاليم الإسلام يكون إيمانه ضعيفًا. مثل هذا الشخص سيعصي الله تعالى بسهولة كلما تعارضت رغباته، لأنه يعجز عن إدراك الحكمة في الأوامر الإلهية. إنه لا يدرك أن ترك رغباته في سبيل الله تعالى هو الوسيلة الحقيقية لتحقيق السلام والتوازن والنجاح. جهله يعمره عن حقيقة أن الطاعة ليست عبثًا، بل هي طريق للتحرر من الاضطرابات الداخلية. لذلك، يجب على المرء أن يسعى جاهدًا لنيل اليقين بالإيمان من خلال التعلم والعمل بالمعارف الإسلامية. وهذا يتطلب استخدام النعم التي وهبت له على النحو الصحيح، كما هو موضح في التعاليم الإلهية. عندما يفعل المرء ذلك، فإنه يحقق راحة البال في العالمين: في هذه الحياة، من خلال حالة ذهنية وجسدية متوازنة ووضع كل شخص وكل شيء في حياته بشكل صحيح؛ وفي الآخرة، من خلال المكافأة الأبدية. سورة الفرقان، الآيتان 75-76

"ويُستقبلون فيها بتحية وسلام، خالدين فيها، طوبى للمستقر والمقيم..."

هذه هي غاية من صبر، وكظم أهواءه، واستقام على طاعة الله تعالى، فيتحول جهاده في الدنيا إلى نعيم مقيم في الآخرة، حيث يُستقبل بالسلام، ويخلد في دار عز وجل.

ولكن بما أن طاعة الله تعالى غالبًا ما تتعارض مع رغبات الناس وطموحاتهم الدنيوية، فإن كثيرًا منهم يُصرّون على معصيته بإساءة استخدام النعم التي أنعم بها عليهم. فبدلاً من توظيف هذه النعم فيما يرضيه، يستغلونها في ملذات زائلة وأطماع أنانية. ومع ذلك، ورغم هذا الجحود، فإن الله تعالى يُرزقهم، ويُديم حياتهم. ويُجيب دعواتهم الطوعية والإجبارية. سورة الفرقان، الآية 77)

"قُلْ مَا يُعْبَىٰ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ"

الأدعية اللاإرادية هي تلك التي تتجاوز سيطرة الإنسان ولكنها ضرورية للبقاء .إن نبض القلب، وشهيق الرئتين وزفيرهما، وقدرة العينين على الرؤية كلها تعتمد على الطاقة الدائمة وإذن الله تعالى .كل نفس هو نداء صامت للحياة، وكل دقة قلب هي دعاء غير منطوق مستجاب برحمته .الأدعية الطوعية هي تلك اللحظات التي يلجأ فيها الشخص بوعي إلى الله تعالى لتلبية احتياجاته .في الواقع، من أقوى علامات وحدانيته وسلطانه الأعلى أنه في أوقات اليأس الحقيقي، يدعو الناس غريزيًا وحده .عندما يواجهون المصائب التي لا يمكن حلها بأي ثروة أو نفوذ أو مساعدة بشرية، فإن حتى أولئك الذين ينكرون وجوده غالبًا ما يصرخون إلى إله واحد .تمنعهم أرواحهم من اللجوء إلى آلهة متعددة، لأنه في أعماق اليأس تصبح حقيقة الوحداية الإلهية لا يمكن إنكارها .هذه الحقيقة متأصلة بعمق في الطبيعة البشرية، لدرجة أنها غالبًا ما تنعكس حتى في الأفلام والأدب، حيث لا يزال بعض الشخصيات التي تُعلن كفرها تنادي بإله واحد في لحظة حاجتها .هذه الغريزة :سورة الأعراف، الآية ١٧٢ .متأصلة في العهد الأزلي بين الله تعالى والبشرية

"وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا"

،كل نفس تشهد بربوبية الله تعالى ووحدانيته قبل دخولها هذه الدنيا .هذه الشهادة متأصلة في الفطرة البشرية وتتجلى جليًا في أوقات الشدة .فعندما تنهار دعائم الدنيا، تلجأ النفس غريزيًا إلى خالقها، مؤكدةً ما أعلنته يومًا .لحظات اليأس هذه ليست حوادث عابرة، بل هي تذكيرات وعلامات .إنها فرصٌ للناس لإدراك وحدانية الله تعالى، وإعادة تنظيم حياتهم وفقًا لأوامره .يُننّبهم العاقل لهذه اللحظات، فيتقوى بها الإيمان والطاعة، بينما يتجاهلها الغافلون ويعودون إلى المعصية بعد زوال الشدة .والجواب الصحيح هو استخدام نعم الله تعالى فيما يرضيه - المال في الصدقة، والصحة في العبادة، والوقت في الذكر، والعقل في التأمل .في هذا يكمن السلام الحقيقي والتوفيق، لأنه يُعيد الروح إلى شهادتها الأصلية، ويضمن الانسجام في الدنيا والآخرة

وهكذا، فإن استمرار رحمة الله تعالى، رغم جحود البشر، هو في حد ذاته دليل على عظمته. فهو يديم الحياة بالدعاء اللاإرادي، ويستجيب الدعاء الطوعي، ويذكر كل نفس بعهدتها معه. ومن تأمل هذه الحقائق سيتشجع على الإيمان به إن لم يكن قد آمن به بالفعل، وعلى تقوية طاعته إن آمن، فالسلام والتوازن والتوفيق الأبدي: سورة يونس، الآية 22. لا يكون إلا في الاستسلام الخالص لله تعالى

هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك وجرت بهم ريح طيبة وفرحوا بها جاءت ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أن يحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين

:سورة فصلت الآية 53

...سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق

،إن من يتجاهل الحقيقة، والآيات الكونية الكثيرة، والتعاليم الإلهية التي تُشير إلى وجوب طاعة الله تعالى، سيستمر في السعي وراء رغباته وأطماعه الدنيوية). سورة الفرقان، الآية 77)

"فإنكم قد كذبتهم فسوف يكون لا محالة [أي العقاب] ..."

لا ينبغي أن يُخدع من يُسيء استخدام النعم التي وهبت له، فيظن أنه سيفلت من المحاسبة تمامًا لمجرد أنه لم يُعاقب بعد، أو لعدم إدراكه للأشكال الخفية للعقاب المُلازمة له في حياته. إن غياب العقاب الفوري ليس دليلًا على رضا الله، بل هو اختبار للصبر وتأخير غالبًا ما يُوقع الغافلين في الخطأ. في هذا العالم، يمنع هذا الموقف الإنسان من تحقيق حالة ذهنية وجسدية متوازنة. إنه يدفعه إلى إساءة تقدير كل شيء وكل شخص في حياته مما يؤدي إلى الفوضى وعدم الرضا. ونتيجة لذلك، تصبح الأشياء التي يُقدّرُها - العائلة والأصدقاء والعمل والثروة - مصادر للتوتر والقلق. وبدلاً من إدراك إساءة استخدامهم للنعم، يبدأون في إلقاء اللوم على الآخرين في تعاستهم، وغالبًا ما يُوجّهون استياءهم نحو أقرب الناس إليهم، مثل الزوج/الزوجة. وعندما يُقصون هؤلاء الأشخاص الطيبين من حياتهم، تتفاقم حالتهم، ويزدادون اضطرابًا نفسيًا. قد يتجلى هذا في الاكتئاب، وإدمان المخدرات، وحتى الميول الانتحارية. هذه النتيجة ليست نظرية، بل ملموسة. يكفي النظر إلى حياة من يُصرون على إساءة استخدام النعم التي وهبت لهم، كالأثرياء والمشاهير. فرغم رفاهيتهم وراحتهم، يُعاني الكثيرون من الفراغ الداخلي، والعلاقات المُحطّمة، والعادات المُدمّرة. ثروتهم وشهرتهم، بدلاً من أن تُجلب لهم السلام. غالبًا ما تُضخّم سخطهم. ومع ذلك، فإن هذا الاضطراب الدنيوي ليس سوى جزء بسيط من العواقب الحقيقية. ولأن سلوكهم يمنعهم من الاستعداد للمحاسبة أمام الله تعالى، فإن عقابهم في الآخرة سيكون أشدّ بكثير. ستزول ملهيات هذه الدنيا العارضة، وسيتركون لمواجهة الحقيقة الأبدية لاختياراتهم.

لذا، يجب على الإنسان قبول تعاليم الإسلام والعمل بها لما فيه مصلحته، حتى لو تعارضت هذه التعاليم مع رغباته الشخصية. ومثال المريض الحكيم خير دليل على ذلك: فهو يقبل نصيحة طبيبه ويتبعها، عالمًا أنها في نهاية المطاف في مصلحته، حتى لو تضمنت أدوية مرّة وحمية غذائية صارمة. وكما يحقق هذا المريض في النهاية صحة نفسية وجسدية جيدة، فإن من يقبل التعاليم الإسلامية ويعمل بها سيحقق التوازن والسكينة في الدنيا والآخرة. ذلك لأن الله تعالى هو الوحيد الذي يملك المعرفة الكاملة اللازمة لضمان تحقيق حالة نفسية وجسدية متوازنة، ووضع كل شيء وكل شخص في حياته على الوجه الصحيح. المعرفة البشرية، رغم قرون من البحث، لا تزال محدودة. لا يستطيع المجتمع حل كل مشكلة يواجهها الإنسان، ولا يمكنه تقديم توجيه يمنع جميع أشكال التوتر النفسي والجسدي. إن النصيحة البشرية مقيدة ببصيرة محدودة وخبرة محدودة وتحيز. على النقيض من ذلك، أنعم الله تعالى على البشرية بهداية كاملة من خلال القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. تتجلى هذه الحقيقة عندما نلاحظ الفرق بين من يستغلون نعمهم وفقًا للتعاليم الإسلامية ومن لا يستغلونها. فالأولون يحققون التوازن والسلام والهدف، بينما غالبًا ما يُسيئون استخدام نعمهم ويعانون من اضطراب داخلي رغم نجاحهم الظاهري. في أمور الدنيا، غالبًا ما يتناول المرضى الأدوية دون فهم علمي لها، ويثقون بأطبائهم ثقة عمياء. ومع ذلك، فإن الله تعالى لا يطلب الثقة العمياء بهديته، بل يدعو الناس إلى التأمل في تعاليمه، وإدراك صدقها من خلال الأدلة الواضحة، وتقدير آثارها الإيجابية في الحياة. وهذا يتطلب التعامل مع الإسلام بعقل منفتح وغير متحيز. سورة يوسف، الآية 108

"...قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني"

.علاوة على ذلك، فإن الطمأنينة نفسها بيد الله تعالى، فهو وحده المتصرف في قلوب العباد، دار الطمأنينة
:سورة النجم، الآية ٤٣

"وأنه هو الذي أضحك وأبكى"

من الواضح إذن أن الله تعالى لا يمنح راحة البال الحقيقية إلا لمن أحسن استخدام نعمه، كما هو مبين في
التعاليم الإسلامية. ومن يهيئ حياته لهذا التوجيه يجد التوازن والسكينة والنجاح في الدنيا والآخرة. سورة
:النحل، الآية 97

"من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون"

.الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

أكثر من 500 كتاب إلكتروني مجاني عن حسن الخلق

/ كتب إنجليزية وكتب صوتية مجانية +500 اردو كتب / كتب عربية Libros বাংলা বই / Melayu بوکو /
En Español / Livres En Français / Libri Italiani / Deutsche Bücher / Livros
: البرتغالية

<https://shaykhpod.com/books/>

:مواقع النسخ الاحتياطي للكتب الإلكترونية

<https://shaykhpodbooks.wordpress.com/books/>

<https://shaykhpodbooks.wixsite.com/books>

<https://shaykhpod.weebly.com>

<https://archive.org/details/@shaykhpod>

:يوتيوب <https://www.youtube.com/@ShaykhPod/playlists>

:الكتب الصوتية والمدونات والرسوم البيانية والبودكاست <https://shaykhpod.com/>

وسائل شيخ بود الأخرى

:المدونات اليومية www.ShaykhPod.com/Blogs

:الكتب الصوتية <https://shaykhpod.com/books/#audio>

:الصور <https://shaykhpod.com/pics>

:البودكاست العامة <https://shaykhpod.com/general-podcasts>

PodWoman: <https://shaykhpod.com/podwoman>

PodKid: <https://shaykhpod.com/podkid>

:البودكاست الأردية <https://shaykhpod.com/urdu-podcasts>

:البودكاست المباشر <https://shaykhpod.com/live>

اشترك لتلقي المدونات والتحديثات اليومية عبر البريد الإلكتروني

<http://shaykhpod.com/subscribe>

